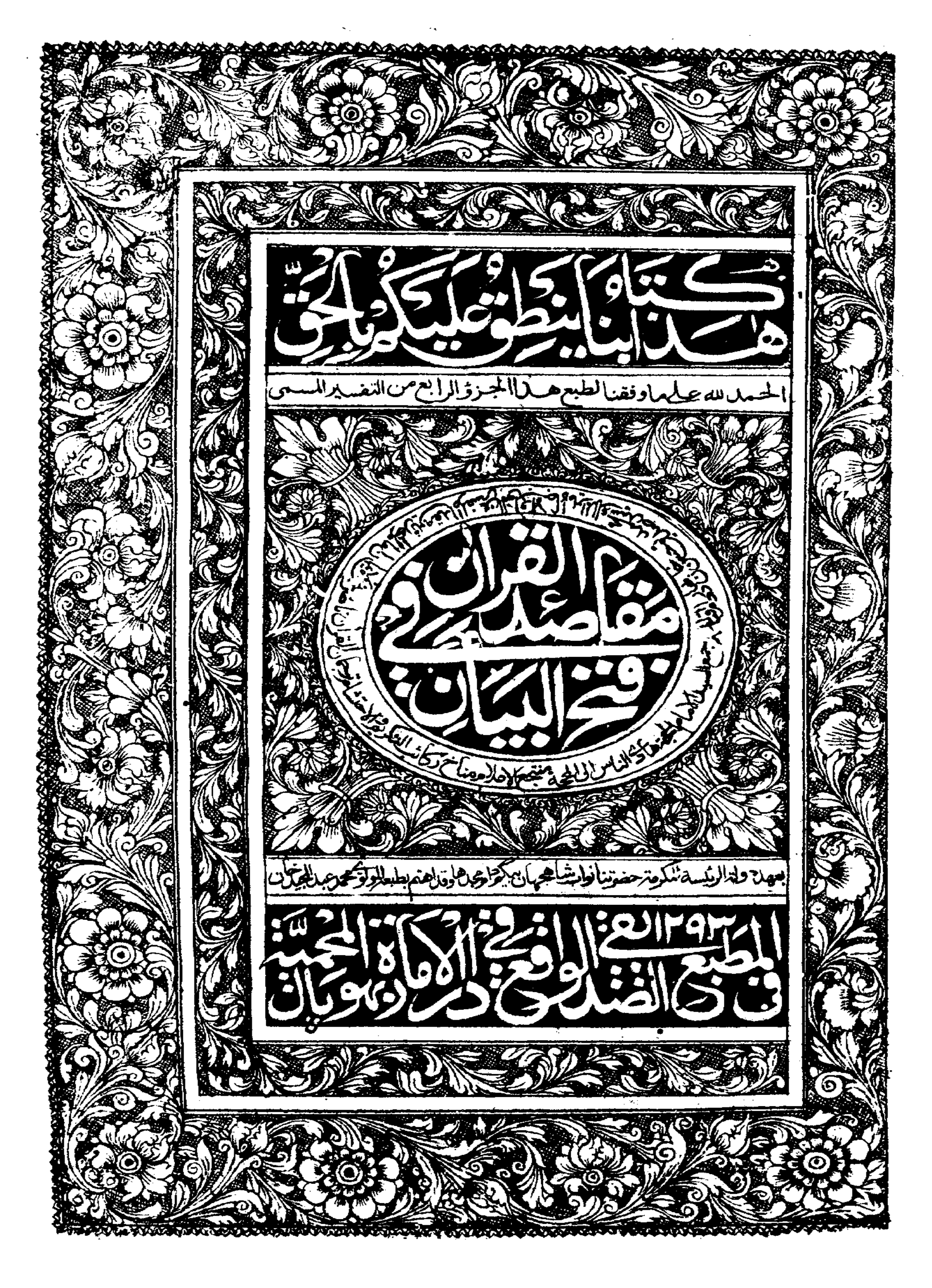
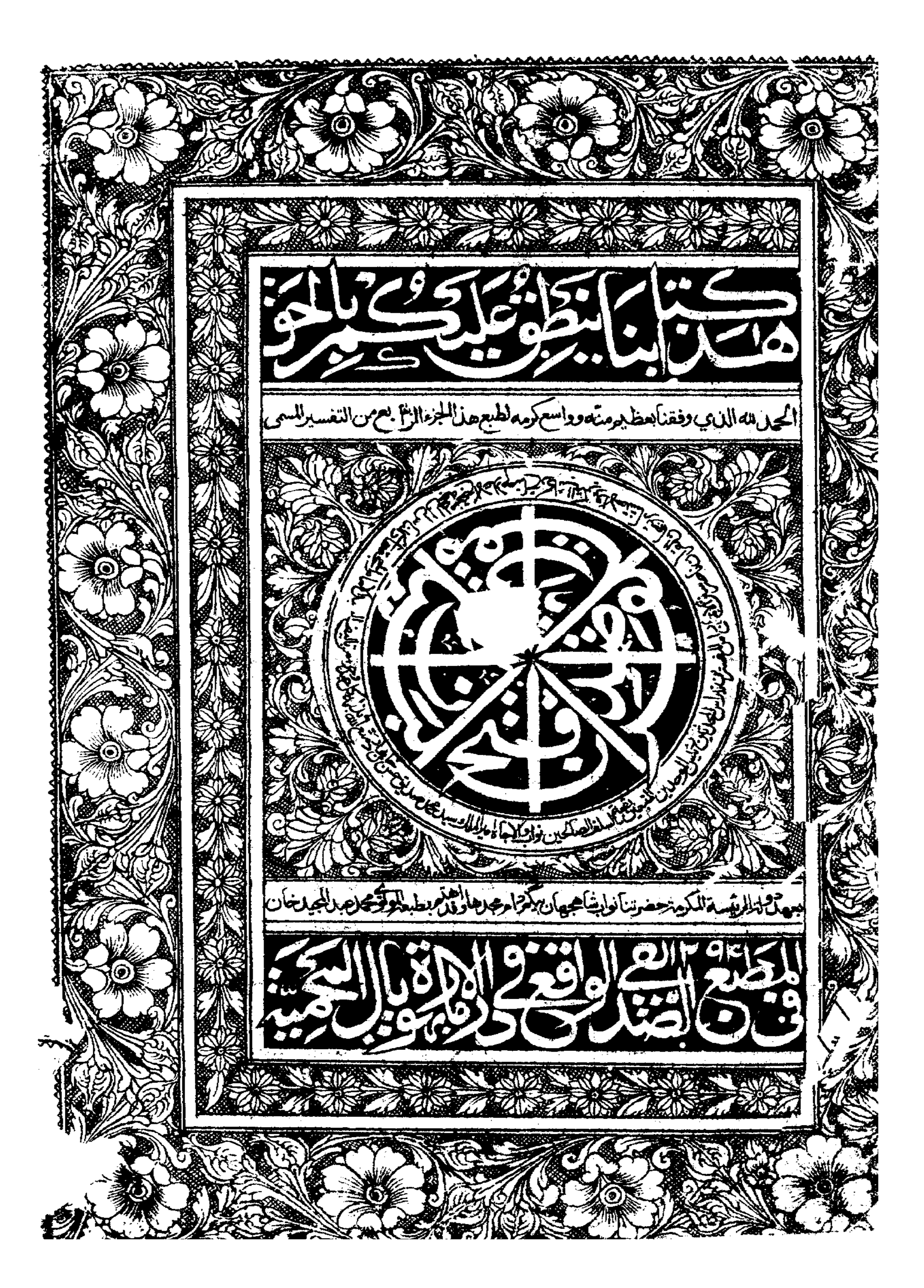

هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق
الحمد لله على ما وفقنا الطبع هذا الجزء الرابع من التفسير المسمى
فتح البيان في مقاصد القرآن
بعهد والية الرئيسة المكرمة حضرتنا نواب شاهجهان بيگم دام مجدها وقد اهتم بطبعه المولوي محمد عبد المجيد خان
في المطبع الصديقي الواقع في دار الامارة بهوپال المحمية ١٢٩٣


هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق
الحمد لله الذي وفقنا بعظيم منته وواسع كرمه لطبع هذا الجزء الرابع من التفسير المسمى
فتح البيان في مقاصد القرآن
بعهد دولة الرئيسة المكرمة حضرتنا نواب شاهجهان بيكم دام عهدها وقد اهتم بطبعه المولوي محمد عبد المجيد خان
في المطبع الصديقي العلي الواقع في دار الامارة بهوبال المحمية ١٢٩٠

فهرس الجزء الرابع من التفسير المسمى فتح البيان في مقاصد القرآن

ترجمة المؤلف دام مجده

وهو السيد السند الامام العلامة + الاصولي المتكلم المحدث الفهامة + البليغ السني المتبع + فريد العصر نادرة الدهر خاتمة النقاد + حامل لواء الاسناد + بقية اهل الاجتهاد بلا خلاف وعناد + كشاف اصداف الفرائد + قطاف ازهار الفوائد + فاتح اقفال العلوم + مانح انفال المنطوق منها والمفهوم + مضحك كمائم النكت من نواجذه + مفتح نواظر الظرف في موارده ومصادره + عز الاسلام والمسلمين محيي المائت من سنن سيد المرسلين + الجوهر الجوهر النضار النضر الشريف **ابو الطيب صديق بن حسن بن علي البخاري القنوجي الحسيني** نسبا على السماك عاليا ومذهبا الى الصواب هاديا اولاه الله تعالى خلعة العناصر والوجود + واراه بعين عنايته عالم المظاهر في مناظر شهود + يوم الاحد وقت الضحى لعله التاسع عشر من ج[illegible] ١٢٤٨ [illegible] ثمان واربعين ومائتين والف الهجرية على صاحبها الصلوة والتحية + ببلدة بريلي موطن جده القريب من جهة الام ثم جاءت به امه الكريمة من بريلي الى قنوج موطن اباءه الرقاة الى سماء العلى والاوج + ولما طعن في السنة السادسة من عمره انتقل والده الشريف الى جوار رحمة الله وبقي في حجر امه يتيما + وبخل الزمان باتيان مثله في السيادة والشرافة كانه صار عقيما + الى ان ترعرع فقرأ من الفارسية والصرف والنحو بعض رسائلها + واتقن نبذة من مسائلها + ونزل ببلدة كانبور وتعلم هناك الفوائد الضيائية ومختصر المعاني وغيرها من كتب المعاني والمباني ثم شمر عن ساق الجد لتحصيل العلوم وشد الرحل الى دهلي واخذ عن الشيخ محمد صدر الدين خان المفتي بها واتم الدرس واكمل مراتب الفنون ومقاصدها بذهنه الثاقب ونافذ الحدس + وعاد من دهلي الى قنوج وسافر منها الى بلدة بهوپال والقى بها عصا التسيار طالبا للرزق الحلال وكان زمام الحكومة اذ ذاك بيد اقتدار المليكة العالية الهمم **نواب سكندر بيكم** غفر الله لها واجزل لها الاجر الاعظم وصحب بهذه البلدة المحمية الشيخ حسين بن محسن اليمني حماه الله تعالى واقام سلسلة الاسانيد لكتب الحديث الشريف واستوصل سند القرآن الكريم عن

الشيخ محمد يعقوب الدهلوي المهاجر المتوفى بمكة المكرمة رحمه الله تعالى في سنة ١٢٨١ واخذ الاجازة عن الشيخ المعمر عبد الحق الهندي تلميذ الشوكاني رحمهما الله تعالى واستكتب اسناد الامهات الست والمسانيد والمعاجم وغير ذلك من كتب التفاسير والاصول والفقه وغير ذلك واجازه كل واحد من هؤلاء الائمة بما هو مذكور في ثبتهم الجامع لجميع اصناف العلوم وانواع الفنون واشتغل بالدرس والتاليف وصار راسا في المعقول والمنقول واماما في علمي الفروع والاصول وجد واجتهد في اتقان القرآن والسنة وتدوين علومهما واشاعة ذلك وبذل المال الكثير في اذاعتها بالطبع والتقسيم وما هنالك وله مصنفات عديدة ومجموعة مفيدة منها ما كتب في اوان التحصيل ومنها ما الف بعد ذلك وهي كلها نافعة جدا مشتملة من الحقائق والفوائد على ما لم يشتمل عليه كتاب من كتب علماء هذا العصر من العرب والعجم وذلك فضل الله يختص به من يشاء من عباده ذوي الهمم والكرم فمن ذلك هذا التفسير المسمى **بفتح البيان في مقاصد القرآن** وكتاب الروضة الندية في شرح الدرر البهية ونيل المرام من تفسير آيات الاحكام وبلوغ السؤل من اقضية الرسول والجنة في الاسوة الحسنة بالسنة والحطة بذكر الصحاح الستة والبلغة الى اصول اللغة ولف القماط على تصحيح بعض ما استعمله العامة من الاغلاط وحصول المامول من علم الاصول الى غير ذلك من الكتب والرسائل الجمة باللسان العربي ومسك الختام شرح بلوغ المرام وحجج الكرامة في آثار القيامة وهداية السائل الى ادلة المسائل ومنهج الوصول الى اصطلاح احاديث الرسول وهي باللسان الفارسي وحنية القاري في شرح ثلاثيات البخاري وتميمة الصبي في ترجمة الاربعين من احاديث النبي وفتح المغيث بفقه الحديث وغير ذلك وهي باللسان الهندية وله حماه الله تعالى في كل من هذه الالسنة يد صالحة وجارحة عاملة وفي الكتابة سرعة عجيبة وفي التاليف ملكة غريبة يكتب الكراريس العديدة في يوم واحد ويصنف الكتب الضخمة في ايام قليلة ويمر على الدواوين من السجلات ويطالع المجاميع في طرفة عين مع امعان النظر في كل باب وله عافاه الله تعالى اولاد امجاد ذكور واناث ودولة كثيرة وامتعة واثاث لم يلهه عن الدين وعلومه التكاثر بل اكتسب الهند واهلها من جوده انواع التفاخر فهو شمس بازغة والعلماء كالنجوم وهو سماء رفيع والامراء

كالرسوم له نسب عال يتصل الى سيد الانبياء وحسب غال من جهة الاجداد والآباء عالم
بن عالم وفاضل بن فاضل وباذل للعلم والخير واي باذل كم له من آثار على كف القبول مرفوعة
وثمار لامقطوعة ولاممنوعة يعرفه العجم والعرب ويخضع له الامم مع الادب من انكر فضله
فهو عن اللب محروم ومن جهله فهو في ضلاله يدوم جعله الله محسود ابين الاقران من الفضلاء
والاعيان ولم يجعله حاسد الاحد من نوع الانسان وذلك فضل الله يوتيه من يشاء ويعطي من
يريد ما اراد ومن تعم رحمة الله على عباده ورام البلوغ الى مقاصده فدونه خرط القتاد ومن
حين ارتقى الى هذه المعارج وبلغ تيك المدارج ظهرت في ايامه السعيدة العادلة محسنات
بديعة طائلة وانشاءات بالمنافع حافلة وتقدم الناس في فنون العرفان وخلعوا عنهم
رداء التقليد وفازوا بمقاصد الحديث والقرآن ولقد طال ما اعطى فاقنى وانطى فاغنى
فجميع الناس يقصدون مغناه ويرتوي من جدواه هو البحر الخضم الطامي والطود الاشم السامي
الذي لم يخيب قط ذا امل ولم له يوما عما ذكر من الاعمال وجل البر شعاره والتقوى دثاره
وفي طاعة الرحمن افكاره حاوي محاسن الشيم والشمائل جامع شتات الفضل والفضائل
الذي له الايادي المثلى والمآثر الحسنى افتخرت بهوپال بسياسته وكياسته بل فخر الاسلام
برياسته فكم له في عزته يد بيضاء ومآثر غراء قد ابتهج الكون بوجوده فكل ايامه بسعيده
وسادت في الآفاق مكارمه فكل يحمد وجوده وجوده ذو طلعة يجلو غياهب الحزن
مرآها وهمة يعنو لها من عراقيل الامور اقصاها لا يجيل خاطره المنير في امر الاسعده
ولا يرى وجها لفعل الخير الا وابتدره وورده فانه مطبوع على الكرم والاحسان و
مجبول على نفع كل انسان فكانه والمعالي توأمان او صنوان متلازمان ادام الله فخره
ويحصل هذا التفسير مما يجدد على طول المدى ذكره وكان تاليفه في بلدة بهوپال
المحمية في سنة ١٢٨٩ الهجرية القدسية في عهد دولة ذات الهمة العلية صاحبة المكارم
الجلية عين هذا الزمان الآخر ويمينه لو حلف الدهر ليأتين بمثلها حنثت يمينه
فهي درة يتيمة كلها كرم وجود وما من فضل الا وهو في ذاتها الكريمة مشهود وموجود
موارد كرمها سائغة وملابس نعمها سابغة مع ايادٍ روائح ونعم غوادي كنسائم الحدائق

غب الامطار الغوادي + فاين للسحائب المركومة فيض بنانها + واين للرياض المطورة بحجر جنانها اعني بها ولية النعم حضرتنا **نواب شاهجهان بيگم** المخاطبة من تلقاء الحكام الانكلسية بريكيس حكاورا اعظم طبقة اعلاى هند ادام الله بركات عهدها ومد ظلالها على ملازميها ورعيتها + وعمها لجميع المسلمين ونفع بها كافة المؤمنين المتبعين فهي التي بعثت جناب المؤلف ادام الله بركاته وعم مجدة وافاداته على تاليف هذا التفسير للقرآن الكريم وامرت بادارة مطبع جديد لطبع هذا الرقيم + الذي ينسب الى اسمه الشريف ويقال له **المطبع الصديقي** عند الحد والتعريف + واعانت بانواع المكرمات وجاءت باصناف الصالحات الباقيات + احيت ما طمس من السنن الغراء البيضاء + وافنت ما كان شائعا من البدع المضلة والمحدثات الظلماء + طهرت هذه الارض الحرة وسترعن ادناس الاشراك والمعاصي وزينتها بلباس التقوى حتى اقربها كل دان وقاص + فعصرها عروس الدهر لدى ذي العينين + وعهدها في جسد الاسلام بالامين + كم عمرت من مدارس العلم + وكم اجازت العلماء مع كمال الحزم والحلم + لا يطيق لساني القاصر ابراز مكارمها المشهورة + ولا يهتدي خاطري الفاتر الى كشف محامدها الماثورة + لله درها فيما علمت وعملت وعلى الله اجرها حيثما حملت من اعباء البرايا واثقال الرعايا ما حملت + كان الله لها مدى الزمان وكانت له ما ترنم البلابل على الاغصان + واخر دعوانا ان الحمد لله رب الملوك والاعيان ورازق الانسان والحيوان + وموفقهم للخير والاحسان في كل زمان ومكان بحسب الاستطاعة والامكان وصلى الله على رسوله محمد سيد ما في الوجود والاكوان + وعلى اله وصحبه بركة الاسلام وغرة جباه الايمان

نمقه مصحح هذا التفسير في دار الطباعه + الراجي رحمة ربه العالي السيد ذو الفقار احمد النقوي البوفالي وفقه الله تعالى وتبارك للعمل على كتابه العزيز الكبير ورزقه اتباعه



بسم الله الرحمن الرحيم

سورة ص آياتها ست وثمانون وقيل خمس وثمانون وقيل ثمان وثمانون آية

وهي مكية قال القرطبي في قول الجميع قال ابن عباس نزلت بمكة وعنه قال لما مرض ابو طالب
دخل عليه رهط من قريش فيهم ابو جهل فقال ان ابن اخيك يشتم الهتنا ويفعل ويفعل
ويقول ويقول فلو بعثت اليه فنهيته فبعث اليه فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فدخل البيت
وبينهم وبين ابي طالب قدر مجلس رجل فخشي ابو جهل ان يجلس الى ابي طالب ويكون ارق
عليه فوثب فجلس في ذلك المجلس فلم يجد رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا قرب عمه فجلس عند الباب
فقال له ابو طالب اي ابن اخي ما بال قومك يشكونك يزعمون انك تشتم الهتهم وتقول وتقول
قال واكثروا عليه من القول وتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا عم اني اريدهم على كلمة واحدة
يقولونها تدين لهم بها العرب وتؤدي اليهم بها العجم الجزية ففزعوا لكلمته ولقوله
فقال القوم كلمة واحدة نعم وابيك عشرا قالوا فما هي قال لا اله الا الله فقاموا فزعين
ينفضون ثيابهم وهم يقولون اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب فنزل فيهم ص

والقرآن ذي الذكر الى قوله بل لما يذوقوا عذاب اخرجه الترمذي وصححه والنسائي واحمد وابن ابي
شيبة وعبد بن حميد والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الدلائل وابن جرير وابن المنذر

بسم الله الرحمن الرحيم

ص. قرء الجمهور صاد بسكون الدال كسائر حروف التهجي في اوائل السور فانها ساكنة
الاواخر على الوقف وقرئ بكسرها من غير تنوين لالتقاء الساكنين وهذا اقرب قيل وجه
الكسر انه من صادى يصادي اذا عارض والمعنى صادِ القرآن بعملك اي عارضه وقابله
فاعمل به وهذا حكاه النحاس عن الحسن البصري وقال انه فسر قراءته هذه بهذا وعنه
ان المعنى اتله وتعرض لقراءته وقرئ صادَ بفتح الدال والفتح لالتقاء الساكنين وقيل نصب
على الاغراء وقيل معناه صاد محمد قلوب الخلق واستمالها حتى آمنوا به وروبت هذه القراءة
عن ابي عمرو وروى عن ابن ابي اسحق ايضا انه قرأ صادٍ بالكسر والتنوين تشبيها لهذا الحرف بما
هو غير متمكن من الاصوات وقرئ صادُ بالضم من غير تنوين على البناء نحو منذ وحيث كما قرئ
به في ق ون وقد بسط السمين الكلام على توجيه الكل وقال الحفناوي يجوز السكون على الحكاية
والفتح لمنع الصرف للعلمية والتانيث باعتبار ان هذا الاسم علم على السورة والجر مع التنوين
نظرا الى كون السورة قرآنا ويقال لها سورة داود وقد اختلف في معنى ص فقال الضحاك
معناه صدق الله وقال عطاء صدق محمد وقال سعيد بن جبير هو بحر يحيي الله به الموتى
بين النفختين وقال محمد بن كعب هو مفتاح اسم الله وقال قتادة هو اسم من اسماء الله وعنه
هو اسم من اسماء الرحمن وقال مجاهد هو فاتحة السورة وقال ابن عباس ص محمد صلى الله عليه وسلم
وقيل هو مما استأثر الله بعلمه وهو اعلم بمراده به وهذا هو الحق كما قدمنا في فاتحة سورة البقرة
قيل وهو اسم الحرف فمسرود على نمط التعديد او اسم للسورة او خبر مبتدأ محذوف او منصوب
باضمار اذكر او اقرأ والقرآن الواو للقسم والاقسام بالقرآن فيه تنبيه على شرف قدره وعلو
محله ومعنى ذي الذكر انه مشتمل على الذكر الذي فيه بيان كل شيء وقال مقاتل معنى ذي الذكر
ذي البيان وقال الضحاك وابن عباس ذي الشرف والعظمة كما في قوله لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم
اي شرفكم او الشهرة وقيل ذي الموعظة وقيل فيه ذكر ما يحتاج اليه في امر الدين وقيل فيه ذكر

اسماء الله تعالى وتمجيده وقيل فيه ذكر العقائد والشرائع والمواعيد وجواب القسم قوله ان
ذلك لحق قاله الزجاج والكسائي والكوفيون وقال الفراء لا نجده مستقيما لتاخره جدا عن
قوله والقرآن ورجح هو وثعلب ان الجواب قوله كم اهلكنا وقال الاخفش الجواب هو ان كل الا
كذب الرسل وقيل هو صاد لان معناه حق فهو جواب لقوله والقرآن كما تقول حقا والله
وجب والله ذكره ابن الانباري وروي ايضا عن ثعلب والفراء وهو مبني على ان جواب القسم
يجوز تقدمه وهو ضعيف وقيل الجواب محذوف والتقدير لتبعثن ونحو ذلك وقال الحوفي
تقديره لقد جاءكم الحق ونحوه وقال الزمخشري انه المعجز وللمحلي انك لمن المرسلين وقال ابن عطية
تقديره ما الامر كما يزعم الكفار من تعدد الالهة والقول بالحذف اولى وقيل ان قوله
ص مقسم به وعلى هذا القول تكون الواو في والقرآن للعطف عليه ولما كان الاقسام بالقرآن
د الا على صدقه وانه حق وانه ليس محل للريب قال سبحانه بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ
فاضرب عن ذلك وكانه قال لاريب فيه قطعا ولم يكن عدم قبول المشركين له لريب فيه
بل هم في عزة عن قبول الحق اي تكبر وتجبر وشقاق اي امتناع عن قبول الحق يعني ليس الحامل
لهم عليه الدليل بل مجرد الحمية والخصام والتقليد والعزة عند العرب الغلبة والقهر يقال
من عزبز اي من غلب سلب ومنه وعزني في الخطاب اي غلبني والشقاق ماخوذ من الشق وهو
الخلاف والعداوة وقد تقدم بيانه والتنكير فيهما للدلالة على شدتهما وتفاقمهما وقرئ في
غرة اي في غفلة عما يجب عليهم من النظر واتباع الحق والاول اولى ثم خوفهم سبحانه وهددهم
بما فعله من قبلهم من الكفار فقال كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ يعني الامم الخالية
المهلكة بتكذيب الرسل اي كم اهلكنا الذين كانوا امنع من هؤلاء واشد قوة واكثر اموالا وكم
هي الخبرية الدالة على التكثير وهي في محل نصب باهلكنا على انها مفعول به ومن قرن تمييز
ومن في من قبلهم هي لابتداء الغاية فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ النداء هنا هو نداء
الاستغاثة منهم عند نزول العذاب بهم وليس الحين حين مناص قال الحسن نادوا بالتوبة
وليس حين التوبة ولا حين ينفع العمل والمناص مصدر ناص ينوص وهو الفوت والتاخر ولات
بمعنى ليس بلغة اهل اليمن وقال النحاة هي لا التي بمعنى ليس زيدت عليها التاء كما في قولهم ربت

وثم وثمت قال الفراء النوص التأخر والتقدم وانشد قول امرئ القيس ـــ امن ذكر ليلى اذ نأتك
تنوص + فتقصر عنها خطوة وتبوص + قال يقال ناص عن قرنه ينوص نوصا ومناصا
اي فر وراغ قال الفراء ويقال ناص ينوص اذا تقدم وقيل المعنى انه قال بعضهم لبعض
مناص اي عليكم بالفرار والهزيمة فلما اتاهم العذاب قالوا مناص فقال الله ولات حين مناص
قال سيبويه والخليل لات مشبهة بليس والاسم فيها مضمر اي ليس حيننا حين مناص وقال الزجاج
التقدير وليس اواننا قال ابن كيسان والقول قول سيبويه والوقف عليها عند الكسائي بالهاء
وبه قال المبرد والاخفش وقال الاخفش انها لا النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصت
بنفي الاحيان قال الكسائي والفراء والخليل وسيبويه والاخفش والتاء تكتب منقطعة عن حين
وكذلك هي في المصاحف وقال ابو عبيد تكتب متصلة بحين فيقال ولا تحين وقد يستغنى بحين
عن المضاف اليه قال ابو عبيد لم نجد العرب تزيد هذه التاء الا في حين واوان والآن
قلت قد يزيدونها في غير ذلك ايضا قال ابن عباس ليس حين نزو ولا فرار واخرج ابن ابي
طريق عكرمة عنه قال نادوا النداء حين لا ينفعهم وانشد ـــ تذكرت ليلى حين لات
تذكر + وقد بنت منها والمناص بعيد + وعنه قال ليس هذا حين زوال وعنه قال لا حين
فرار وقرأ الجمهور ولات بفتح التاء وقرئ بكسرها كجير وجملة لات حين مناص في محل نصب على
الحال من ضمير نادوا وعجبوا ان جاءهم منذر منهم اي عجب الكفار الذين وصفهم الله سبحانه
بانهم في عزة وشقاق ان جاءهم رسول من انفسهم ينذرهم بالعذاب ان استمروا على الكفر و
ان وما في حيزها في محل نصب بنزع الخافض اي من ان جاءهم وهو كلام مستانف مشتمل على ذكر
نوع من انواع كفرهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب قالوا هذا القول لما شاهدوا ما جاء
به من المعجزات الخارجة عن قدرة البشر اي هذا المدعي للرسالة ساحر فيما يظهره من المعجزات
كذاب فيما يدعيه من ان الله ارسله قيل ووضع الظاهر موضع المضمر لاظهار الغضب عليهم
وان ما قالوه لا يتجاسر على مثله الا المتوغلون في الكفر المنهمكون في الغي اذ الكفر اغلظ من ان يسموا
من صدقه الله كاذبا ساحرا ويتعجبوا من التوحيد وهو الحق الابلج ولا يتعجبوا من الشرك وهو باطل
لجلج ثم انكروا لما جاء به صلى الله عليه وسلم من التوحيد وما نفاه من الشركاء لله فقالوا اجعل الالهة

اي صيرها الهاً واحداً وقصرها على الله سبحانه إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ اي لامر بالغ في العجب الى
الغاية تعجبوا من هذا القصر والحصر وقالوا كيف يسع الخلق كلهم اله واحد ومنشاؤه ان القوم
ما كانوا اصحاب نظر واستدلال بل كانت اوهامهم تابعة للمحسوسات فلما وجدوا في الشاهد
ان الفاعل الواحد لا تفي قدرته وعلمه بحفظ الخلائق قاسوا الغائب على الشاهد وان اسلافهم
لكثرتهم وقوة عقولهم كانوا مطبقين على الشرك توهموا ان كونهم على هذه الحال محال ان يكونوا
مبطلين فيه ويكون الانسان الواحد محقا فلعمري لو كان التقليد حقا كانت هذه الشبهة لازمة
قاله الكرخي قال الجوهري العجيب الامر الذي يتعجب منه وكذلك العجاب بالضم والعجاب بالتشديد يدل
اكثر منه وقرء الجمهور عجاب بالتخفيف وقرئ بتشديد الجيم قال مقاتل بالتخفيف لغة ازد شنوءة قيل والعجاب بالتخفيف والتشديد
يدل على انه قد جاوز الحد في العجب كما يقال الطويل للذي فيه طول والطوال للذي قد تجاوز حد
الطول وكلام الجوهري يفيد اختصاص المبالغة بعجاب مشدد الجيم لا بالمخفف وقد قدمنا
في صدر هذه السورة سبب نزول هذه الايات وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ المراد بالملأ الاشراف كما هو
مقرر في غير موضع من تفسير الكتاب العزيز عن ابن عباس قال نزلت حين انطلق اشراف
قريش الى ابي طالب فكلموه في النبي صلى الله عليه وسلم قائلين بعضهم للبعض أَنِ امْشُوا اي امضوا
على ما كنتم عليه ولا تدخلوا في دينه وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ اي اثبتوا على عبادتها وقيل
المعنى وانطلق الاشراف منهم فقالوا للعوام امشوا واصبروا على آلهتكم وان هي المفسرة للقول
المقدر او لقوله وانطلق لانه مضمن معنى القول ويجوز ان تكون مصدرية معمولة للمقدر او
للمذكور اي بان امشوا وقيل المراد بالانطلاق الاندفاع في القول وامشوا من مشت المرأة اذا
كثرت ولادتها اي اجتمعوا واكثروا وهو بعيد جدا وخلاف ما يدل عليه الانطلاق والمشي
بحقيقتهما وخلاف ما تقدم في سبب النزول وجملة إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ تعليل لما تقدمه من الامر
بالصبر اي يريده محمد بنا وبآلهتنا ويود تمامه من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه ليعلو علينا
ونكون له اتباعا فيتحكم فينا بما يريد فيكون هذا الكلام خارجا مخرج التحذير منه والتنفير عنه
وقيل ان هذا الامر يريده الله سبحانه وما اراده يكون بامضائه فهو كائن لا محالة ولا ينفع فيه الا الصبر فاصبروا
على عبادة آلهتكم وقيل المعنى ان دينكم لشيء يراد اي يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه وان هذا الامر شيء من

تواتيت الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا منه او امر يراد باهل الارض والاول اولى ما سمعنا بهذا اي

الذي يقوله محمد من التوحيد في الملة الآخرة وهي ملة النصرانية فانها اخر الملل قبل ملة الاسلام

كذا قال محمد بن كعب القرظي وقتادة ومقاتل والكلبي والسدي وبه قال ابن عباس وقال مجاهد

يعنون به ملة قريش اي التي ادركنا عليها اباءنا وعن قتادة مثله وقال الحسن المعنى ما سمعنا

ان هذا يكون في اخر الزمان وقيل ان المعنى ما سمعنا من اليهود والنصارى ان محمدا رسول الله

إن هذا إلا اختلاق اي ما هذا الا كذب اختلقه محمد وافتراه من تلقاء نفسه وافتعله ثم

استنكروا ان يخص الله رسوله بمزية النبوة دونهم فقالوا أأنزل عليه الذكر من بيننا في

الاستفهام للانكار اي كيف يكون ذلك ونحن الرؤساء والاشراف قال الزجاج قالوا كيف انزل

على محمد القرآن من بيننا ونحن اكبر سنا واعظم شرفا منه وهذا مثل قولهم لولا نزل هذا القرآن

على رجل من القريتين عظيم فانكروا ان يتفضل الله سبحانه على من يشاء من عباده بما شاء و

لما ذكر استنكارهم لنزول القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم دونهم بين السبب الذي لاجله

تركوا التصديق برسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاء به فقال بل هم في شك من ذكري اي من

القرآن او الوحي لاعراضهم عن النظر الموجب لتصديقه واهمالهم للادلة الدالة على انه

حق منزل من عند الله بل لما يذوقوا عذاب اي بل السبب انهم لم يذوقوا عذابي

فاغتروا بطول المهلة ولو ذاقوا عذابي على ما هم عليه من الشرك والشك لصدقوا ما جئت

به من القرآن ولم يشكوا فيه وذوقهم له متوقع فاذا ذاقوه زال عنهم الشك وصدقوا وتصديقهم

لا ينفعهم حينئذ لانهم صدقوا مضطرين وفيه اشارة الى ان قوله بل لما يذوقوا اضراب عن

الاضراب الاول خلاف ما يفهم من الكشاف من تعلقه بالكلامين قبله أم اي بل أعندهم

خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب اي مفاتيح نعم ربك وهي النبوة وما هو دونها من النعم

حتى يعطوها من شاؤوا فما لهم ولانكار ما تفضل الله به على هذا النبي واختاره له واصطفاه لها

والمعنى ان النبوة عطية من الله يتفضل بها على من يشاء من عباده لا مانع له فانه العزيز الغالب

القاهر الذي لا يغلب الوهاب المعطي بغير حساب الذي له ان يهب كل ما شاء لمن يشاء ثم

رشح ذلك فقال أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما اي بل الهم ملك هذه الاشياء

حتى يعطوا من شاؤا ويمنعوا من شاؤا ويعترضوا على عطاء الله سبحانه ما شاء لمن شاء و
المعنى انه ليس لهم مدخل في امر هذا العالم الجسماني الذي هو جزء يسير من خزائنه فمن اين لهم
ان يتصرفوا فيها وقوله فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ جواب شرط محذوف اي ان كان لهم ذلك
فليصعدوا في الاسباب اي المعارج والمناهج والطرق التي توصلهم الى السماء او الى العرش حتى
يستووا عليه ويحكموا بما يريدون من عطاء ومنع ويدبروا امر العالم بما يشتهون او
فليصعدوا وليمنعوا الملائكة من نزولهم بالوحي على محمد صلى الله عليه وسلم والاسباب ابواب السموات
التي تنزل الملائكة منها قاله مجاهد وقتادة قال الربيع بن انس الاسباب ادق من الشعر واشد
من الحديد ولكن لا ترى قال السدي في الاسباب في الفضل والدين وقيل فليعملوا في اسباب
القوة ان ظنوا انها مانعة وهو قول ابي عبيدة وقيل الاسباب الحبال اي ان وجدوا حبلا يصعدون
فيها الى السماء فعلوا والاسباب عند اهل اللغة كل شيء يتوصل به الى المطلوب كائنا ما كان
وفي هذا الكلام تهكم بهم وتعجيز لهم قال ابن عباس الاسباب السماء اي لانها اسباب الحوادث
السفلية جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ هذا وعد من الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم
بالنصر عليهم والظفر وجند مرتفع على انه خبر مبتدء محذوف اي هم جند حقير يعني الكفار
مهزوم مكسور عما قريب فلا تبال بهم ولا تظن انهم يصلون الى شيء مما يضمرونه بك من الكيد
وما في قوله ما هنالك هي صفة لجند لافادة التعظيم او التحقير اي جند اي جند وقيل هي
زائدة يقال هزمت الجيش كسرته وهزمت القربة اذا تكسرت وهذا الكلام متصل بما تقدم
وهو قوله بل الذين كفروا في عزة وشقاق وهم جند من الاحزاب مهزومون فلا تحزن لعزهم
وشقاقهم فاني اسلب عزهم واهزم جمعهم وقد وقع ذلك ولله الحمد في يوم بدر وفيما
بعده من مواطن الله وهو اخبار بالغيب وقيل مشار به الى نصرة الاسلام وقيل الى حفر
الخندق يعني الى مكان ذلك قال الرازي والاصح عندي حمله على يوم فتح مكة لان المعنى انهم
جند سيصيرون مهزومين في الموضع الذي ذكروا فيه هذه الكلمات وذلك الموضع هو
مكة وما ذاك الا في يوم الفتح كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ استيناف مقرر لمضمون ما قبله ببيان احوال العتاة
الطغاة الذين هؤلاء جند من جنسهم بما فعلوا من الكفر والتكذيب وفعل بهم من العقاب والعذاب

قوم نوح اي كذبوا رسولهم نوحا وكذا يقدر فيما بعده وتانيث قوم باعتبار المعنى وهو انهم امة
وطائفة وجماعة وعاد وفرعون ذو الاوتاد قال المفسرون كانت له اوتاد يعذب بها الناس
وذلك انه كان اذا غضب على احد وتد يديه ورجليه وراسه على الارض وقيل كانت له اوتاد
وحبال يلعب بها بين يديه وما ابرد هذا القول وقيل ذو القوة والبطش وقيل المراد بالاوتاد
الجموع والجنود الكثيرة يعني انهم كانوا يقوون امره ويشدون سلطانه كما يقوي الاوتاد
ما ضربت عليه فالكلام خارج مخرج الاستعارة على هذا قال ابن قتيبة العرب تقول هم في عز او
في ملك ثابت الاوتاد ويريدون ملكا دائما شديدا واصل هذا ان البيت من بيوت الشعر انما يثبت
ويقوم بالاوتاد وقيل المراد بالاوتاد هنا البناء المحكم اي وفرعون ذو الابنية المحكمة قال الضحاك
والبنيان يسمى اوتادا والاوتاد جمع وتد وفيه لغات افصحها فتح الواو وكسر التاء ويقال وتد بفتحهما
وود بادغام التاء في الدال بوزن وج وودت وهي لغة اهل نجد قال الاصمعي ويقال وتد واتد
مثل شغل شاغل وثمود وقوم لوط واصحاب الأيكة اي الغيضة وهي الاشجار الملتفة المجتمعة
وقد تقدم تفسيرها في سورة الشعراء مستوفى أولئك الاحزاب انهم الموصوفون بالقوة والكثرة
كقولهم فلان هو الرجل وقريش وان كانوا احزابا كما قال الله تعالى فيما تقدم جند ما هنالك مهزوم
من الاحزاب ولكن هؤلاء الذين قصهم الله علينا من الامم السالفة هم اكثر منهم عددا واقوى
ابدانا واوسع اموالا واعمارا وقيل ان المعنى ان مشركي قريش من اولئك الاحزاب وهو هم
ومنهم وجد التكذيب وهذه الجملة مستانفة او خبر والمبتدأ قوله وعاد كذا قال ابو البقاء
وهو ضعيف بل الظاهر ان عاد وما بعده معطوفات على قوم نوح والاولى ان تكون هذه الجملة
خبر المبتدأ محذوف او بدلا من الامم المذكورة ان كل الا اي ما كل حزب من هذه الاحزاب الا كذب
الرسل لان تكذيب الحزب لرسوله المرسل اليه تكذيب لجميع الرسل لان دعوتهم واحدة وهي
التوحيد أو هو من مقابلة الجمع بالجمع والمراد تكذيب كل حزب لرسوله والاستثناء مفرغ من اعم
الاحوال اي ما كان احد من الاحزاب في جميع احواله الا وقع منه تكذيب الرسل وفي تكرير التكذيب
ايضاحه بعد ابهامه والتنويع في تكريره بالجملة الخبرية اولا وبالاستثنائية ثانيا وما في الاستثنائية
من الوضع على وجه التوكيد انواع من المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق اشد العقاب وابلغه

ثم قال فحق عقاب اي فحق عليهم عقابي بتكذيبهم ومعنى حق ثبت ووجب وان تاخر فكانه
واقع بهم وكل ما هو آت قريب قرئ عقاب باثبات الياء وحذفها مطابقة لرؤس الآي وفي الآية
زجر وتخويف للسامعين وما ينظر هؤلاء اي ما ينتظر هؤلاء اي كفار مكة الا صيحة واحدة وهي النفخة
الكائنة عند قيام الساعة وقيل هي النفخة الثانية وعلى الاول المراد من عاصر نبينا صلى الله عليه وسلم
من الكفار وعلى الثاني المراد كفار الامم المذكورة اي ليس بينهم وبين ما اعد الله لهم من عذاب
النار الا ان ينفخ في الصور النفخة الثانية وقيل المراد بالصيحة عذاب يفجأهم في الدنيا وجملة ما لها
من فواق في محل نصب صفة لصيحة قال الزجاج فواق بفتح الفاء وضمها لغتان بمعنى واحد وهو
الزمان الذي بين حلبتي الحالب ورضعتي الراضع وهو مشتق من الرجوع ايضا لانه يعود اللبن الى
الضرع بين الحلبتين ويقال افاق من مرضه اي رجع الى الصحة ولهذا قال مجاهد ومقاتل ان
الفواق الرجوع وقال قتادة ما لها من مثنوية وقال السدي ما لها من افاقة وقيل ما لها من مرد قال الجوهري
ما لها من نظرة وراحة وافاقة وقال ابن عباس ما لها من رجعة والفيقة اسم اللبن الذي يجتمع
بين الحلبتين وجمعها فيق وافواق واما افاويق فجمع الجمع قال الفراء والسدوسي وابو عبيدة وابن زيد
والسدي الفواق بفتح الفاء الراحة والافاقة اي لا يفيقون فيها كما يفيق المريض والمغشي عليه وما لهم
الانتظار ومعنى الآية ان تلك الصيحة هي ميعاد عذابهم فاذا جاءت لم ترجع ولا ترد عنهم ولا تصرف منهم
ولا تتوقف مقدار فواق ناقة وهي ما بين حلبتي الحالب لها وهذا في المعنى كقوله تعالى فاذا جاء
اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ولما سمعوا ما توعدهم الله به من العذاب قالوا
استهزاء وتهكما ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب والقط في اللغة النصيب من القط وهو القطع
وبهذا قال قتادة وسعيد بن جبير قال الفراء القط في كلام العرب الحظ والنصيب ومنه قيل
للصك قط قال ابو عبيدة والكسائي القط الكتاب بالجوائز والجمع القطوط واصله من قط الشيء
اي قطعه ومنه قط القلم ومعنى الآية سألوا ربهم ان يعجل لهم نصيبهم وحظهم من العذاب
وهو مثل قوله ويستعجلونك بالعذاب وقال السدي سألوا ربهم ان يمثل لهم منازلهم من الجنة
ليعلموا حقيقة ما يوعدون به وقال اسماعيل بن ابي خالد المعنى عجل لنا ارزاقنا وبه
قال سعيد بن جبير والسدي وقال ابو العالية والكلبي ومقاتل لما نزل قوله

واما من اوتي كتابه بشماله قالت قريش زعمت يا محمد انا نؤتى كتابنا بشمالنا فعجل لنا قطنا قبل يوم الحساب قال ابن عباس سألوا الله ان يعجل لهم وقال قطنا نصيبنا من الجنة ثم امر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم ان يصبر على ما يسمعه من اقوالهم فقال اصبر على ما يقولون من اقوالهم الباطلة التي هذا القول المحكي عنهم من جملتها ووطن نفسك ان تزل فيما كلفت من مصابرتهم وتحمل اذاهم قيل وهذه الآية منسوخة بآية السيف وقيل محكمة وهو الصحيح ولما فرغ من ذكر قرون الضلالة وامم الكفر والتكذيب وامر نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر على ما يسمعه زاد في تسليته وتاسيته بذكر قصة داود وما بعدها فقال واذكر عبدنا داود ذا الايد اي اذكر قصته فانك تجد فيها ما تتسلى به والايد القوة قاله ابن عباس ومنه رجل ايد اي قوي وتايد الشيء تقوى والايد مفرد بوزن البيع وهو مصدر وليس جمع يد يقال آد الرجل يئيد ايدا وايادا بالكسر اذا قوي واشتد فهو ايد مثل سيد وهين ومنه قولهم ايدك الله تاييدا والمراد ما كان فيه عليه السلام من القوة على العبادة قال الزجاج كانت قوة داود على العبادة اتم قوة ومن قوته ما اخبرنا به نبينا صلى الله عليه وسلم انه كان يصوم يوما ويفطر يوما وكان يصلي نصف الليل وكان لا يفر اذا لاقى العدو وجملة انه اواب تعليل لكونه ذا الايد والاواب الرجاع عن كل ما يكرهه الله سبحانه الى ما يحبه ولا يستطيع ذلك الا من كان قويا في دينه وقيل معناه كلما ذكر ذنبه استغفر منه وتاب عنه وهذا داخل تحت المعنى الاول يقال آب يؤوب اذا رجع وقال ابن عباس الاواب المسبح بلغة الحبشة واخرج الديلمي عن مجاهد قال سألت ابن عمر عن الاواب فقال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال هو الذي يذكر ذنوبه في الخلاء فيستغفر الله وعن ابن عباس قال الاواب الموقن انا سخرنا الجبال معه استيناف مسوق لتعليل قوته في الدين وكونه رجاعا الى مرضاته تعالى وايثار مع على اللام لما اشير اليه في سورة الانبياء من ان تسخير الجبال لم يكن بطريق تفويض التصرف الكلي فيها اليه كتسخير الريح وغيرها لسليمان بل بطريق التبعية له والاقتداء به قيل كان تسخيرها انها تسير معه اذا اراد سيرها الى حيث يريد يسبحن ولم يقل مسبحات ليدل على حدوث التسبيح من الجبال شيئا فشيئا وحالا بعد حال اي يقدسن الله سبحانه وينزهنه عما لا يليق به ويسبحن في محل نصب على الحال وفي هذا بيان ما اعطاه الله من البرهان والمعجزة وهو تسبيح الجبال معه قال مقاتل كان داود اذا ذكر الله ذكرت الجبال معه وكان يفقه تسبيح الجبال

وقال محمد بن اسحق اوتي داود من حسن الصوت ما يكون له في الجبال دوي حسن فهذا معنى تسبيح الجبال والاول اولى ومعنى يسبحن يصلين ومعه متعلق بسخرنا بِالْعَشِيِّ اي وقت صلوة العشاء وَالْإِشْرَاقِ اي وقت صلوة الضحى وهو ان تشرق الشمس ويتناهى ضوءها والمعنى كان داود يسبح اثر صلاته عند طلوع الشمس وغروبها وقال الكلبي اي غدوة وعشية يقال اشرقت الشمس اذا اضاءت وذلك وقت الضحى واما شروقها فطلوعها قال الزجاج شرقت الشمس اذا طلعت واشرقت اذا اضاءت عن عطاء الخراساني عن ابن عباس قال لم يزل في نفسي من صلوة الضحى حتى قرأت هذه الآية وعنه قال لقد اتى علي زمان وما ادري وجه هذه الآية حتى رايت الناس يصلون الضحى اخرجه ابن المنذر وابن مردويه واخرج الطبراني في الاوسط وابن مردويه عنه قال كنت امر بهذه الآية فما ادري ما هي حتى حدثتني ام هانئ بنت ابي طالب ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها يوم الفتح فدعى بوضوء فتوضأ ثم صلى الضحى ثم قال يا ام هانئ هذه صلوة الاشراق والاحاديث في صلوة الضحى كثيرة جدا قد ذكرها الشوكاني في شرح المنتقى وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً اي وسخرنا له الطير حال كونها محشورة اي مجموعة اليه من كل ناحية تسبح الله معه قيل كانت تجمعها اليه الملائكة وقيل كانت تجمعها الريح كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ اي كل واحد من داود والجبال والطير رجاع الى طاعة الله وامره والضمير في له راجع الى الله عز وجل وقيل الى داود اي لاجل تسبيح داود مسبح فوضع اواب موضع مسبح والاول اولى وقد قدمنا ان الاواب الكثير الرجوع الى الله سبحانه وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ اي قويناه وثبتناه بالنصر في المواطن على اعدائه والقاء الرعب منه في قلوبهم وقيل بكثرة الجنود كان يبيت حول محرابه كل ليلة ستة او ثلثة وثلاثون الف رجل يحرسونه وكان اشد ملوك الارض سلطانا واخرج عبد بن حميد عن ابن عباس قال استعدى رجل من بني اسرائيل عند داود على رجل من عظمائهم فقال ان هذا غصبني بقرا لي فسال داود الرجل عن ذلك فجحده فسال الآخر البينة فلم تكن له بينة فقال لهما داود قوما حتى انظر في امركما فقاما من عنده فاتي داود في منامه فقيل له اقتل الرجل الذي استعدى فقال ان هذه رؤيا ولست اعجل حتى اتثبت فاتي الليلة الثانية في منامه فامر ان يقتل الرجل فلم يفعل ثم اتي الليلة الثالثة فقيل له اقتل الرجل او تاتيك العقوبة من الله فارسل داود الى الرجل فقال ان الله امرني ان اقتلك قال تقتلني بغير بينة

ولا شئت قال نعم والله لا تعذبن امراته فيك فقال الرجل لا تعجل علي حتى اخبرك اني والله ما
اخذت بهذا الذنب ولكني كنت اغتلت والد هذا فقتلته فبذلك اخذت فامر به داود فقتل
فاشتدت هيبته في بني اسرائيل وشدد به ملكه فهو قول الله وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة
المراد بها النبوة والمعرفة بكل ما يحكم به وقال مقاتل الفهم والعلم وقيل الزبور وعلم الشرائع وقيل
الاصابة في الامور وقيل كل كلام وافق الحق فهو حكمة وقال مجاهد العدل وقال ابو العالية العلم
بكتاب الله وقال شريح السنة ولا مانع من حمل الآية على الكل وفصل الخطاب المراد به الفصل في
القضاء وبه قال الحسن والكلبي ومقاتل وحكى الواحدي عن الاكثر ان فصل الخطاب الشهود والايمان
لانها انما تقطع الخصومة بهذا وبه قال ابي بن كعب وقال علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه البينة على
المدعي واليمين على من انكر وقيل الفصل بين الحق والباطل وقاله شريح والشعبي وقتادة ايضا
وقيل هو الايجاز بجعل المعنى الكثير في اللفظ القليل وقيل بيان الكلام وقيل علم الحكم والتبصر
بالقضاء والمعاني متقاربة وعن ابي موسى الاشعري قال اول من قال اما بعد داود عليه السلام و
هو فصل الخطاب اخرجه ابن ابي حاتم والديلمي وعن الشعبي انه سمع زياد بن ابيه يقول فصل
الخطاب الذي اوتيه داود اما بعد اخرجه سعيد بن منصور ولما مدحه الله سبحانه بما تقدم
ذكره اردف ذلك بذكر هذه القصة الواقعة له لما فيها من الاخبار العجيبة وقال وهل اتاك
نبؤ الخصم ومعنى الاستفهام هنا التعجب والتشويق الى استماع ما بعده لكونه امرا غريبا كما تقول
لمخاطبك هل تعلم ما وقع اليوم ثم تذكر له ما وقع قال مقاتل بعث الله الى داود ملكين جبريل
وميكائيل لينبهه على التوبة فاتياه وهو في محرابه قال النحاس ولا خلاف بين اهل التفسير ان
المراد بالخصم هنا الملكان والخصم مصدر يقع على الواحد والاثنين والجماعة ومعنى قوله اذ
تسوروا المحراب اتوه من اعلى سوره ونزلوا اليه والسور الحائط المرتفع وجاء بلفظ الجمع في
تسوروا مع كونهما اثنين نظرا الى ما يحتمل لفظ الخصم من الجمع والمحراب الغرفة لانهم تسوروا عليه
وهو ... قال يحيى بن سلام وقال ابو عبيدة انه صدر المجلس ومنه محراب المسجد وقيل انهما
كانا انسيين ولم يكونا ملكين والعامل في اذ النبأ اي هل اتاك الخبر الواقع في وقت تسورهم و
بهذا قال ابن عطية ومكي وابو البقاء وقيل العامل فيه اتاك وقيل معمول للخصم وقيل معمول لمحذوف

وقف لازم

اي وهل اتاك نبأ تحاكم الخصم وقيل معمول للتسور وا وقيل هو بدل مما قبله وقال الفراء ان احد
الظرفين المذكورين بمعنى لما عن ابن عباس ان داؤد حدث نفسه اذا ابتلي انه يعتصم فقيل له
انك ستبتلى وستعلم الذي تبتلى فيه فخذ حذرك فقيل له هذا اليوم الذي تبتلى فيه فاخذ
الزبور ودخل المحراب واغلق باب المحراب واخذ الزبور في حجره واقعد منصفا يعني خادما على
الباب وقال لا تاذن لاحد علي اليوم فبينما هو يقرء الزبور اذ جاء طائر مذهب كاحسن ما يكون
للطير فيه من كل لون فجعل يدور بين يديه فدنا منه فامكن ان ياخذه فتناوله بيده لياخذه فاستوفز
من خلفه فاطبق الزبور وقام اليه لياخذه فطار فوقع على كوة المحراب فدنى منه لياخذه فافضى
فوقع على خص فاشرف عليه لينظر اين وقع فاذا هو بامرأة عند بركتها تغتسل من الحيض فلما
رأت ظله حركت راسها فغطت جسدها اجمع بشعرها وكان زوجها غازيا في سبيل الله فكتب
داؤد الى راس الغزاة انظر اوريا فاجعله في حملة التابوت وكان حملة التابوت اما ان يفتح
عليهم واما ان يقتلوا فقدمه في حملة التابوت فقتل فلما انقضت عدتها خطبها داؤد
فاشترطت عليه ان ولدت غلاما ان يكون الخليفة من بعده واشهدت عليه خمسين من بني اسرائيل وكتب
عليه بذلك كتابا فما شعر بفتنته انه افتتن حتى ولدت سليمان وشب فتسور عليه الملكان المحراب وكان
شانهما ما قص الله في كتابه وخر داؤد ساجدا فغفر الله له وتاب عليه اخرجه ابن ابي شيبة
في المصنف وابن ابي حاتم واخرج الحاكم وصححه والبيهقي في الشعب قال ما اصاب داؤد ما اصابه
بعد القدر الا من عجب عجب بنفسه وذلك انه قال يارب ما من ساعة من ليل ولا نهار
الا وعابد من آل داؤد يعبدك يصلي لك او يسبح او يكبر وذكر اشياء فكره الله ذلك فقال يا داؤد
ان ذلك لم يكن الا بي فلولا عوني ما قويت عليه وعزتي وجلالي لاكلنك الى نفسك يوما قال يارب
فاخبرني به فاخبره فاصابته الفتنة ذلك اليوم واخرج اصل القصة الحكيم الترمذي في
في نوادر الاصول وابن جرير وابن ابي حاتم عن انس مرفوعا باسناد ضعيف واخرجه ابن جرير من
وجه اخر عن ابن عباس مطولة واخرجها جماعة عن جماعة من التابعين قال الشهاب صاحب الكشاف
بعد ذكر هذه القصة هذا ونحوه مما يقبح ان يحدث به عن بعض المتسمين بالصلاح من افناء المسلمين
فضلا عن بعض اعلام الانبياء انتهى وقال القاضي عياض لا يجوز ان يلتفت الى ما سطره الاخباريون

من اهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله على شيء من ذلك
ولا ورد في حديث صحيح والذي نص عليه الله في قصة داود وظن داود انما فتناه وليس في
قصة داود واوريا خبر ثابت وهذا هو الذي ينبغي ان يعول عليه من امر داود وقال الرازي
حاصل القصة يرجع الى السعي في قتل رجل مسلم بغير حق والى الطمع في زوجته وكلاهما منكر عظيم
فلا يليق بعاقل ان يظن بداود عليه السلام هذا وقال غيره ان الله اثنى على داود قبل هذه القصة
وبعدها وذلك يدل على استحالة ما نقلوه من القصة فكيف يتوهم عاقل ان يقع بين مدحين
ذم ولو جرى ذلك من بعض الناس لاستقبحه العقلاء ولقالوا انت في مدح شخص كيف تجري ذمه
اثناء مدحك والله تعالى منزه عن مثل هذا في كتابه القديم وروى سعيد بن المسيب والحارث
الاعور عن علي بن ابي طالب انه قال من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة
وستين جلدة وهو حد الفرية على الانبياء وروي انه حدث بذلك عمر بن عبد العزيز وعنده رجل
من اهل الحق فكذب المحدث به وقال ان كانت القصة على ما في كتاب الله فما ينبغي ان يلتمس خلافها
واعظم بان يقال غير ذلك وان كانت على ما ذكرت وكف الله عنها سترا على نبيه فما ينبغي اظهارها
عليه فقال عمر سماعي هذا الكلام احب الي مما طلعت عليه الشمس قال النسفي والذي يدل عليه المثل
الذي ضربه الله بقصته عليه السلام ليس الا طلبه الى تزوج المرأة ان ينزل له عنها فحسب وانما
جاءت على طريق التمثيل والتعريض دون التصريح لكونها ابلغ في التوبيخ من قبل ان التامل اذا اداه
الى الشعور بالمعرض به كان اوقع في نفسه واشد تمكنا من قلبه واعظم اثرا فيه مع مراعاة
حسن الادب بترك المجاهرة انتهى قال ابو السعود واما ما يذكر من انه عليه السلام تزوج امرأة
اوريا فهو افك مبتدع مكروه ومكر مخترع تمجه الاسماع وتنفر عنه الطباع ويل لمن ابتدعه اشاعه
وتبا لمن اخترعه واذاعه وسيأتي الكلام على خبر نبأ داود عليه السلام في آخره هذه القصة اذ بدل
من الاولى دخلوا على داود ففزع منهم لانهما اتياه ليلا في غير وقت دخول الخصوم ودخلوا
عليه بغير اذنه ولم يدخلوا من الباب الذي يدخل منه الناس قال ابن الاعرابي وكان محراب
داود من الامتناع بالارتفاع بحيث لا يرتقي اليه آدمي بحيلة قالوا لا تخف جملة مستانفة كانه
قيل فماذا قالوا لداود لما فزع منهم خصمان اي نحن خصمان وجاء فيما سبق بلفظ الجمع وهنا بلفظ

التثنية لما ذكرنا من ان لفظ الخصم يحتمل المفرد والمثنى والمجموع فالكل جائز قال الخليل هو كما تقول
نحن فعلنا اذا كنتما اثنين وقال الكسائي جمع لما كان خبرا فلما انقضى الخبر وجاءت المخاطبة
اخبر الاثنان عن انفسهما فقالا خصمان وقوله بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ هو على سبيل الفرض والتقدير
او على سبيل التعريض لان من المعلوم ان الملكين لا يبغيان ثم طلبا منه ان يحكم بينهما بالحق
ونهياه عن الجور فقالا فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ اي لا تجر في حكمك يقال شط الرجل واشط
شططا واشطاطا اذا جار في حكمه وتجاوز الحد قال ابو عبيد شططت عليه واشططت فيه
اي جرت فهو مما اتفق فيه فعل وافعل وقال الاخفش معناه لا تسرف وقيل لا تفرط وقيل لا تمل
والمعنى متقارب والاصل فيه البعد من شطت الدار اذا بعدت قال ابو عمرو الشطط مجاوزة القدر
في كل شيء وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ اي وسطه ومحجته اي العدل والصواب والمعنى ارشدنا
الى الحق واحملنا عليه ثم لما اخبراه عن الخصومة اجمالا شرعا في تفصيلها وشرحها فقالا
إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً المراد بالاخوة هنا اخوة الدين قاله ابن مسعود او
الصحبة او الالفة او اخوة الشركة والخلطة والنعجة هي الانثى من الضان وقد يقال لبقر الوحش نعجة
ويعبر بها عن المراة لما هي عليه من السكون والعجز وضعف الجانب وقد يكنى عنها بالبقرة والحجر والناقة
لان الكل مركوب قال الواحدي النعجة البقرة الوحشية والعرب تكني عن المراة بها وتشبه النساء بالنعاج
من البقر قرء الجمهور تسع وتسعون بكسر التاء وقرئ بفتحها قال النحاس وهي لغة شاذة وانما عني بهذا
داؤد لانه كان له تسع وتسعون امراة وعني بقوله وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ اوريا زوج المراة التي اراد
ان يتزوجها داؤد كما تقدم بيان ذلك فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا اي ضمها الي وانزل لي عنها حتى اكفلها
واصير بعلا لها قال ابن كيسان اجعلها كفلي ونصيبي قال ابن مسعود ما زاد داؤد على ان قال
اكفلنيها وعن ابن عباس قال ما زاد داؤد على ان قال تحول لي عنها وهذا يخالف ما سبق عنه
وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ اي غلبني يقال عزه يعزه عزا اذا غلبه وفي المثل من عزّ بزّ اي من غلب
اخذ السلب والاسم العزة وهي القوة قال عطاء المعنى ان تكلم كان افصح مني وان حارب كان ابطش
مني لقوة ملكه فالغلبة كانت له علي لضعفي في يده وان كان الحق معي وهذا كله تمثيل وترسي
وغالبني اي غالبني من المعازة وهي المغالبة قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ لسي

بسؤال نعجتك ليضمها الى نعاجه التسع والتسعين ان كان الامر على ما تقول واللام هي الموطئة للقسم وهي وما بعدها جواب القسم المقدر وجاء بالقسم في كلامه مبالغة في انكار ما سمعه من طلب صاحب التسع والتسعين النعجة ان يضم اليه النعجة الواحدة التي مع صاحبه ولم يكن معه غيرها ويمكن انه انما قال بهذا بعد ان سمع الاعتراف من الاخر قال النحاس ويقال ان خطيئة داود هي قوله لقد ظلمك لانه قال ذلك قبل ان يتثبت وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ وهم الشركاء واحدهم خليط وهو المخالط في المال لَيَبْغِي اللام لام التوكيد وقعت في خبر ان اي يتعدى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ويظلمه غير مراع لحقه إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فانهم يتحامون ذلك ولا يظلمون خليطا ولا غيره والاستثناء متصل وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ اي وقليل هم وما زائدة لتوكيد القلة والتعجب وقيل هي موصولة وهم مبتدء وقليل خبره عن ابن عباس قال يقول قليل الذي هم فيه وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ قال ابو عمرو والفراء ظن بمعنى ايقن ومعنى فتناه ابتليناه وقال ابن عباس اختبرناه والمعنى انه عند ان تخاصما اليه وقال ما قال علم عند ذلك انه المراد وان مقصودهما التعريض به وبصاحبه الذي اراد ان ينزل له عن امرأته قال الواحدي قال المفسرون فلما قضى بينهما داود نظر احدهما الى صاحبه فضحك فعند ذلك علم داود بما اراداه قرء الجمهور فتناه بالتخفيف للتاء وتشديد النون وقرئ بالتشديد للتاء والنون وهي مبالغة في الفتنة وقرء الضحاك افتناه وقرئ فتناه بتخفيفهما واسناد الفعل الى الملكين فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ لذنبه وَخَرَّ رَاكِعًا اي ساجدا وعبر بالركوع عن السجود لان كل واحد منهما فيه انحناء وقيل خر ساجدا بعد ما كان راكعا قال ابن العربي لا خلاف بين العلماء ان المراد بالركوع هنا السجود فان السجود هو الميل والركوع هو الانحناء واحدهما يدخل في الاخر ولكنه قد يختص كل واحد منهما بهيئته ثم جاء هذا على تسمية احدهما بالاخر وقيل المعنى للسجود راكعا اي مصليا وقيل بل كان ركوعهم سجودا وقيل بل كان سجودهم ركوعا وَأَنَابَ اي رجع الى الله بالتوبة من ذنبه قال المفسرون سجد داود اربعين يوما لا يرفع راسه الا لحاجة او لوقت صلوة مكتوبة ثم يعود ساجدا الى تمام اربعين لا ياكل ولا يشرب وهو يبكي حتى نبت العشب حول راسه وهو ينادي ربه عز وجل ويسأله التوبة ثم انزل الله له التوبة والمغفرة وقد اختلف المفسرون في ذنب داود الذي

استغفر له وتاب عنه على اقوال الاول انه نظر الى امراة الرجل الذي اراد ان تكون زوجة له
كذا قال سعيد بن جبير وغيره قال الزجاج ولم يتعمد داود النظر الى المراة لكنه عاود النظر
اليها وصارت الاولى له والثانية عليه الثاني انه ارسل زوجها في جملة الغزاة الثالث انه نوى
ان مات زوجها ان يتزوجها الرابع ان اوريا بن حنان كان خطب تلك المراة فلما غاب خطبها داود
فزوجت منه لجلالته فاغتم لذلك اوريا فعتب الله عليه حيث لم يتركها لخاطبها الخامس انه لم يجزع
على قتل اوريا كما كان يجزع على من هلك من الجند ثم تزوج امراته فعاتبه الله على ذلك لان
ذنوب الانبياء وان صغرت فهي عظيمة السادس انه حكم لاحد الخصمين قبل ان يسمع من الآخر
كما قدمنا واقول الظاهر من الخصومة التي وقعت بين الملكين تعريضا لداود عليه السلام انه
طلب من زوج المراة الواحدة ان ينزل له عنها ويضمها الى نسائه ولا ينافي هذا العصمة الكائنة
للانبياء فقد نبهه الله على ذلك وعرض له بارسال ملائكته اليه يتخاصمون في مثل قصته
حتى يستغفر لذنبه ويتوب منه فاستغفر وتاب عنه وقد قال الله تعالى وعصى آدم ربه فغوى
وهو ابو البشر واول الانبياء ووقع لغيرهم من الانبياء ما قصه الله علينا في كتابه وفي الآية ما
يدل على صدور الذنب منه وهو قوله وظن داود انما فتناه وقوله فاستغفر ربه وقوله
واناب وقوله فغفرنا له ذلك والجواب عن هذا بان حسنات الابرار سيئات المقربين ليس
كما ينبغي والاولى ما ذكرناه ثم اخبر سبحانه انه قبل استغفاره وتوبته فقال فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ
الذنب الذي استغفر منه قال عطاء الخراساني وغيره ان داود بقي ساجدا اربعين يوما
حتى نبت الرعي حول وجهه وغمر راسه قال ابن الانباري الوقف على قوله ذلك تام ثم يبتدئ
الكلام بقوله وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ والزلفى القربة والكرامة بعد المغفرة لذنبه
قال مجاهد الزلفى الدنو من الله عز وجل يوم القيامة والمراد بحسن المآب حسن المرجع وهو الجنة
واخرج ابن مردويه عن عمر بن الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ذكر يوم القيامة فعظم
شانه وشدته قال ويقول الرحمن عز وجل لداود عليه السلام مر بين يدي فيقول داود يا رب
اخاف ان تدحضني خطيئتي فيقول خذ بقدمي فياخذ بقدمه عز وجل فيمر قال فتلك الزلفى التي
قال الله وان له عندنا لزلفى وحسن مآب واخرج احمد والبخاري وابو داود والترمذي والنسائي

وابن مردويه والبيهقي في سننه عن ابن عباس انه قال في السجود في ص ليست من عزائم السجود
وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها وأخرج النسائي وابن مردويه بسند جيد عنه ايضا
ان النبي صلى الله عليه وسلم سجد في ص وقال سجدها داؤد ونسجدها شكرا وأخرج ابن مردويه عن
ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم سجد في ص وعن انس مثله مرفوعا اخرجه ابن مردويه وأخرج
الدارمي وابو داود وابن خزيمة وابن حبان والدارقطني والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في سننه
عن ابي سعيد قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر ص فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد
الناس معه فلما كان يوم آخر قرأها فلما بلغ السجدة تهيأ الناس للسجود فقال انما هي توبة نبي ولكني
رايتكم تهيأتم للسجود فنزل فسجد ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ لما تمم سبحانه قصة داؤد
اردفها ببيان تفويض امر خلافة الارض اليه والجملة مقولة لقول مقدر معطوف على غفرنا اي
وقلنا له يا داؤد انا استخلفناك على الارض او جعلناك خليفة لمن قبلك من الانبياء لتأمر بالمعروف
وتنهى عن المنكر وتدبر امر الناس وفيه دليل على ان الامر بعد التوبة بقي على ما كانت عليه لم تتغير قط ﴿فَاحْكُمْ
بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ اي بالعدل الذي هو حكم الله بين عباده لان الاحكام اذا كانت مطابقة للشريعة
الحقة الالهية انتظمت مصالح العالم واتسعت ابواب الخيرات واذا كانت الاحكام على وفق الاهوية
وتحصيل مقاصد الانفس افضى الى تخريب العالم ووقوع الهرج فيه والمرج في الخلق وذلك يفضي الى هلاك
الحاكم ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ﴾ اي هوى النفس في الحكم بين العباد وفيه تنبيه لداؤد عليه السلام ان الذي
عوتب عليه ليس بعدل وان فيه شائبة من اتباع هوى النفس ﴿فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ بالنصب
على انه جواب للنهي والفاعل هو الهوى ويجوز ان يكون الفعل مجزوما بالعطف على النهي وانما حرك
لالتقاء الساكنين فعلى الوجه الاول يكون المنهي عنه الجمع بينهما وعلى الثاني يكون النهي عن
كل واحد منهما على حدة وسبيل الله هو طريق الحق او طريق الجنة او دلائله التي نصبها على
الحق تشريعا وتكوينا ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ تعليل للنهي
عن اتباع الهوى والوقوع في الضلال ﴿بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ الباء للسببية ومعنى النسيان
الترك قال الزجاج اي بتركهم العمل لذلك اليوم صاروا بمنزلة الناسين وان كانوا ينذرون
ويذكرون ولو ايقنوا بيوم الحساب لآمنوا في الدنيا وقال عكرمة والسدي في الآية تقديم وتأخير والتقدير

ع ١٢

ولهم عذاب يوم الحساب بما نسوا اي تركوا القضاء بالعدل والاول اولى وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَ
الْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا مستانفة مقررة لمضمون ما قبلها من امر البعث والحساب اي ما خلقنا
هذه الاشياء خلقا باطلا خارجا عن الحكمة الباهرة بل خلقناها للدلالة على قدرتنا فانتصب
باطلا على المصدرية او على الحالية او على انه مفعول لاجله والاشارة بقوله ذَٰلِكَ الى المنفي قبله
وهو مبتدء وخبره ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا اي مظنونهم فانهم يظنون ان هذه الاشياء خلقت لا
لغرض ويقولون انه لا قيامة ولا بعث ولا حساب وذلك يستلزم ان يكون خلق هذه المخلوقات
باطلا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ الفاء لافادة ترتب ثبوت الويل لهم على ظنهم الباطل
اي فويل لهم بسبب النار المترتبة على ظنهم وكفرهم كان وضع الموصول موضع ضميرهم للاشعار
بعلية الصلة لاستحقاقهم الويل ثم وبخهم وبكتهم فقال أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ قال مقاتل قال كفار قريش للمؤمنين انا نعطى في الاخرة كما تعطون
فنزلت وام هي المنقطعة المقدرة ببل والهمزة للاضراب الانتقالي عن تقرير امر البعث والحساب
والجزاء بما مر من نفي خلق العالم خاليا عن الحكم والمصالح الى تقريره وتحقيقه بما في الهمزة من انكار
التسوية بين الفريقين ونفيها على ابلغ وجه واكده اي بل انجعل الذين امنوا بالله وصدقوا
رسله وعملوا بفرائضه كالكفرة المفسدين في اقطار الارض بالمعاصي قال ابن عباس في الاية الذين
امنوا علي وحمزة وعبيدة بن الحارث والمفسدون في الارض عتبة وشيبة والوليد ثم اضرب
سبحانه اضرابا اخر وانتقل عن الاول الى ما هو اظهر استحالة منه فقال أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ
اي بل انجعل اتقياء المؤمنين كاشقياء الكافرين والمنافقين وحمل الفجار على المنهمكين في
معاصي الله سبحانه من المسلمين مما لا يساعده المقام وقيل المراد بالمتقين الصحابة ولا وجه للتخصيص
بغير مخصص والاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ويجوز ان يراد بهذين الفريقين عين الاولين
ويكون التكرير باعتبار وصفين اخرين هما ادخل في انكار التسوية من الوصفين الاولين
كِتَابٌ اي القرآن كتاب أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ يا محمد مُبَارَكٌ اي كثير الخير والبركة لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ
اي التي من جملتها هذه الايات المعربة عن اسرار التكوين والتشريع وهو متعلق بانزلناه وفي
الاية دليل على ان الله سبحانه انما انزل القرآن للتدبر والتفكر في معانيه لا لمجرد التلاوة بدون تدبر

قال الحسن قد قرأ هذا القرآن عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله حفظوا حروفه وضيعوا حدوده قرأ الجمهور ليدبروا بالادغام وقرئ لتدبروا بالتاء الفوقية على الخطاب وهي قراءة علي رضي الله تعالى عنه والاصل لتتدبروا وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ اي ليتعظ اهل العقول والبصائر والالباب جمع لب وهو العقل وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ اخبر سبحانه بان من جملة نعمه على داود انه وهب له سليمان ولذا ثم مدح سليمان فقال نِعْمَ الْعَبْدُ اي سليمان فالمخصوص بالمدح محذوف وقيل ان المدح هنا بقوله نعم العبد هو لداود والاول اولى وجملة إِنَّهُ أَوَّابٌ تعليل لما قبلها من المدح والاواب الرجاع الى الله بالتوبة كما تقدم بيانه إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ اي اذكر ما صدر عنه وقت ان عرض عليه الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ وقيل هو متعلق بنعم وهو مع كونه غير متصرف لا وجه لتقييده بذلك الوقت وقيل متعلق باواب ولا وجه لتقييد كونه اوابا بذلك الوقت والعشي من الظهر او العصر الى آخر النهار والصافنات جمع صافن وقد اختلف اهل اللغة في معناه فقال القتيبي والفراء الصافن في كلام العرب الواقف من الخيل او غيرها وبه قال قتادة ومنه الحديث من احب ان يتمثل له الناس صفوفا فليتبوأ مقعده من النار اي يديمون القيام له وقال الزجاج هو الذي يقف على احدى اليدين ويرفع الاخرى ويجعل على الارض طرف الحافر منها حتى كانه يقوم على ثلث وهي الرجلان واحدى اليدين وقد يفعل ذلك باحدى رجليه وهي علامة الفراهة وقال ابو عبيدة الصافن الذي يجمع يديه ويسويهما واما الذي يقف على سنبكه فاسمه المتخيم والجياد جمع جواد يقال للفرس ذكرا كان او انثى اذا كان شديد العدو وقيل انها الطوال الاعناق مأخوذ من الجيد وهو العنق وقيل الذي يجود في الركض قيل كانت مائة فرس وقيل كانت عشرين الفا وقيل كانت عشرين فرسا وعن ابراهيم التيمي قال كانت عشرين الف فرس ذات اجنحة فعقرها وقيل انها خرجت له من البحر وكانت لها اجنحة وعن ابي هريرة قال الصافنات الجياد خيل خلقت على ما شاء وعن مجاهد قال صفون الفرس رفع احدى يديه حتى يكون على اطراف الحافر والجياد السراع لانه يجود بالركض ووصفها بالصفون لانه لا يكون في الهجان وانما هو في العراب وقيل وصفها بالصفون والجودة ليجمع لها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية يعني اذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها

واذا جرت كانت سراعاً خفافاً في جريها قيل ان سليمان غزا اهل دمشق ونصيبين فاصاب
الف فرس وقيل ورثها من ابيه واصابها ابوه من العمالقة فقال اعترافا بما صدر منه فيها
عليه وتمهيدا لما يعقبه من الامر بردها وعقرها والتعقيب باعتبار اخر العرض الممتد دون ابتدائه
إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي انتصاب حب على انه مفعول احببت بعد تضمينه معنى
آثرت قال الفراء يقول آثرت حب الخير وكل من احب شيئا فقد آثره وقيل انتصابه على المصدرية
بحذف الزوائد والناصب له احببت وقيل هو مصدر تشبيهي اي حبا مثل حب الخير والاول اولى
والمراد بالخير هنا الخيل قاله الزجاج وقال الفراء الخير والخيل في كلام العرب واحد وانهما تعاقب
بين الراء واللام فتقول انهملت العين واهمرت وختلت وخترت قال النحاس وفي الحديث الخيل
معقود بنواصيها الخير فكانها سميت خيرا لهذا وقيل لما فيها من المنافع وعن بمعنى على اي
آثرت حب الخيل على ذكر ربي يعني صلوة العصر وبه قال علي وقال ابن عباس الخير المال وقيل
احببت بمعنى لزمت وقيل بمعنى قعدت من احب البعير اذا سقط وبرك من الاعياء وقيل
بمعنى اردت حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ يعني الشمس ولم يتقدم لها ذكر ولكن المقام يدل على ذلك
قال الزجاج انما يجوز الاضمار اذا جرى ذكر الشيء او دليل الذكر وقد جرى هنا الدليل وهو قوله
بالعشي والتواري الاستتار عن الابصار والحجاب ما يحجبها عن الابصار قال قتادة وكعب الحجاب
جبل اخضر محيط بالخلائق وهو جبل قاف وسمي الليل حجابا لانه يستر ما فيه ويقال ان الحجاب
جبل دون قاف بمسيرة سنة تغرب الشمس من ورائه وفيه بعد وبرودة وعن ابن مسعود
قال توارت من وراء ياقوتة خضراء فخضرة السماء منها وعن ابن عباس قال كان سليمان لا يكلم
اعظاما له فلقد فاتته صلوة العصر وما استطاع احد ان يكلمه وقيل الضمير للخيل اي حتى توارت
في المسابقة عن الاعين والاول اولى وقوله رُدُّوهَا عَلَيَّ من تمام كلام سليمان اي اعيدوا
عرضها علي مرة اخرى قال الحسن ان سليمان لما شغله عرض الخيل حتى فاتته صلوة العصر
غضب لله وقال ردوها علي اي اعيدوها وقال ابن عباس ردوها اي الخيل وقيل الضمير
يعود الى الشمس ويكون ذلك معجزة له وانما امر بارجاعها بعد مغيبها لاجل ان يصلي العصر
والاول اولى فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ الفاء هي الفصيحة التي تدل على محذوف في الكلام

والتقدير هنا فردوها عليه قال ابو عبيدة طفق يفعل مثل ما زال يفعل وهو مثل ظل وبات
وانتصاب مسحا على المصدرية بفعل مقدر اي يمسح مسحا لان خبر طفق لا يكون الا فعلا مضارعا
وقيل هو مصدر في موضع الحال والاول اولى والسوق جمع ساق والاعناق جمع عنق والمراد
انه طفق يضرب اعناقها وسوقها بالسيف يقال مسح علاوته اي ضرب عنقه قال الفراء المسح
هنا القطع قال والمعنى انه اقبل يضرب سوقها واعناقها لانها كانت سبب فوت صلاته وكذا
قال ابو عبيدة قال الزجاج ولم يكن يفعل ذلك الا وقد اباحه الله له وجاز ان يباح ذلك
لسليمان ويحظر في هذا الوقت وقد اختلف المفسرون في تفسير هذه الاية فقال قوم المراد
بالمسح ما تقدم وقال آخرون منهم الزهري وقتادة ان المراد به المسح على سوقها واعناقها
لكشف الغبار عنها حبا لها والقول الاول اولى بسياق الكلام فانه ذكر انه آثرها على ذكر
ربه حتى فاتته صلوة العصر ثم امرهم بردها عليه ليعاقب نفسه بافساد ما الهاه عن ذلك وما
صده عن عبادة ربه وشغله عن القيام بما فرضه الله عليه ولا يناسب هذا ان يكون
الغرض من ردها عليه هو كشف الغبار عن سوقها واعناقها بالمسح عليها بيده او بثوبه ولا
متمسك لمن قال ان افساد المال لا يصدر عن نبي فان هذا مجرد استبعاد باعتبار ما هو المتقرر
في شرعنا مع جواز ان يكون في شرع سليمان ان مثل هذا مباح على ان افساد المال المنهي عنه
في شرعنا انما هو مجرد اضاعته لغير غرض صحيح واما الغرض صحيح فقد جاز مثله في شرعنا كما وقع منه
صلى الله عليه وسلم من اكفاء القدور التي طبخت من الغنيمة قبل القسمة ولهذا نظائر كثيرة في الشريعة
ومن ذلك ما وقع من الصحابة من احراق طعام المحتكر قال ابن عباس مسحا عقرا بالسيف
اي قطع سوقها واعناقها بالسيف قال الرازي التفسير الحق المطابق لالفاظ القرآن ان
تقول ان رباط الخيل كان مندوبا اليه في دينهم كما انه كذلك في ديننا ثم ان سليمان
احتاج الى غزو فجلس وامر باحضار الخيل وامر باجرائها وذكر اني لا احبها لاجل الدنيا ونصيب
النفس وانما احبها لامر الله تعالى وتقوية دينه وهو المراد بقوله عن ذكر ربي ثم انه امر باعدائها
واجرائها حتى توارت بالحجاب ثم امر برد الخيل اليه فلما عادت اليه طفق يمسح والغرض من ذلك
المسح امور الاول تشريفها لكونها من اعظم الاعوان في دفع العدو والثاني انه اراد ان يظهر انه

في ضبط السياسة والمملكة يبلغ الى انه يباشر الامور بنفسه الثالث انه كان اعلم باحوال الخيل وامراضها وعيوبها من غيره فكان يمسح حتى يعلم هل فيها ما يدل على المرض فهذا التفسير الذي ذكرناه ينطبق عليه لفظ القرآن ولا يلزمنا شيء من تلك المنكرات والمحظورات انتهى وما ابعد هذا التفسير عن الرازي وابعده عن النظم القرآني والحق ما ذكرناه فان اللغة تشهد بضرب السوق والاعناق والاوجه المعدول عنه الى تاويل ركيك وتوجيه بعيد بناء على عصمة الانبياء عليهم السلام ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾ اي ابتليناه واختبرناه بسلب ملكه قال الواحدي قال اكثر المفسرين تزوج سليمان امرأة من بنات الملوك فعبدت الصنم في داره ولم يعلم بذلك سليمان فامتحن بسبب غفلته عن ذلك وقيل ان سببه ... انه تزوج سليمان امرأة يقال لها جرادة وكان يحبها حبا شديدا فاختصم اليه فريقان احدهما من اهل جرادة فاحب ان يكون القضاء لهم ثم قضى بينهم بالحق وقيل السبب انه احتجب عن الناس ثلثة ايام لا يقضي بين احد وقيل انه تزوج جرادة هذه وهي مشركة لانه عرض عليها الاسلام فقالت اقتلني ولا اسلم وقال كعب الاحبار انه لما ظلم الخيل بالقتل سلب ملكه وقال الحسن انه قارب بعض نسائه في شيء من حيض او غيره وقيل انه امر ان لا يتزوج امرأة الا من بني اسرائيل فتزوج امرأة من غيرهم وقيل ان سبب فتنته ما ثبت في الحديث الصحيح انه قال لاطوفن الليلة على تسعين امرأة تاتي كل واحدة بفارس يقاتل في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله وقيل غير ذلك والمصير الى الحديث متعين قال النسفي ولما ما يروى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن في بيت سليمان فمن اباطيل اليهود انتهى اقول حديث الخاتم اخرجه النسائي وغيره وقواه السيوطي كما سياتي فكونه من اباطيل اليهود ليس على ما ينبغي ثم بين سبحانه ما عاقبه به فقال ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا﴾ قال اكثر المفسرين هذا الجسد الذي القاه الله على كرسي سليمان هو شيطان اسمه صخر وكان متمردا عليه غير داخل في طاعته القى الله شبه سليمان عليه وما زال يحتال حتى ظفر بخاتم سليمان وذلك عند دخول سليمان الكنيف لانه كان يلقيه اذا دخل الكنيف فجاء صخر في صورة سليمان فاخذ الخاتم من امرأة من نساء سليمان فقعد على سرير سليمان واقام اربعين يوما على ملكه وسليمان هارب وكان ملكه مرتبا على لبس الخاتم فسخرت له الجن والانس والرياح وغيرها واذا نزعه زال عنه الملك قيل وكان خاتمه من الجنة نزل به آدم

كما انزل بعصا موسى والحجر الاسود وبعود البخور وباوراق التين وقد نظم الخمسة بعضهم في قوله
واد م معه انزل العود والعصا * لموسى من الآس النبات المكرم * واوراق تين واليمين بمكة
وختم سليمان النبي المعظم * لكن يفتقر ذلك الى دليل يدل له من الاخبار المرفوعة الصحيحة قال
مجاهد ان شيطانا قال له سليمان كيف تفتنون الناس قال ارني خاتمك اخبرك فلما اعطاه
اياه نبذه في البحر فذهب ملكه وقعد الشيطان على كرسيه ومنعه الله نساء سليمان فلم يقربهن
وكان سليمان يستطعم فيقول اتعرفوني اطعموني فيكذبوه حتى اعطته امرأة يوما حوتا فشق
بطنه فوجد خاتمه في بطنه فرجع اليه ملكه وهو معنى قوله ثم اناب اي رجع على ملكه بعد اربعين
يوما وقيل معنى اناب رجع الى الله بالتوبة من ذنبه وهذا هو الصواب قيل فتن سليمان
بعد ما ملك عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين سنة اخرج الحاكم وصححه والفريابي والحكيم
الترمذي عن ابن عباس قال الشيطان الذي كان على كرسيه يقضي بين الناس اربعين يوما وكان
لسليمان امرأة يقال لها جرادة وكان بين بعض اهلها وبين قوم خصومة فقضى بينهم بالحق
الا انه ود ان الحق كان لاهلها فاوحى الله اليه ان سيصيبك بلاء فكان لا يدري يأتيه من
السماء ام من الارض واخرج النسائي وابن جرير وابن ابي حاتم بسند قال السيوطي قوي عن ابن عباس
قال اراد سليمان ان يدخل الخلاء فاعطى الجرادة خاتمه وكانت جرادة امرأته وكانت احب نسائه
اليه فجاء الشيطان في صورة سليمان فقال لها هاتي خاتمي فاعطته فلما لبسه دانت له الانس و
الجن والشياطين فلما خرج سليمان من الخلاء قال هاتي خاتمي قالت قد اعطيته سليمان قال انا
سليمان قالت كذبت لست سليمان فجعل لا ياتي احدا يقول انا سليمان الا كذبه حتى جعل الصبيان يرمونه
بالحجارة فلما رأى ذلك عرف انه من امر الله وقام الشيطان يحكم بين الناس فلما اراد الله ان يرد
على سليمان سلطانه القى في قلوب الناس انكار ذلك الشيطان فارسلوا الى نساء سليمان فقالوا
لهن تنكرن من امر سليمان شيئا قلن نعم انه يأتينا ونحن حيض وما كان يأتينا قبل ذلك فلما
رأى الشيطان انه قد فطن له ظن ان امره قد انقطع فكتبوا كتبا فيها سحر وكفر فدفنوها تحت
كرسي سليمان ثم اثاروها وقرؤها على الناس وقالوا بهذا كان يظهر سليمان على الناس ويغلبهم
فاكفر الناس سليمان فلم يزالوا يكفرونه وبعث ذلك الشيطان بالخاتم فطرحه في البحر فتلقته سمكة

فاخذته وكان سليمان يحمل على شط البحر بالاجر فجاء رجل فاشترى سمكا فيه تلك السمكة التي
في بطنها الخاتم فدعى سليمان فقال تحمل لي هذا السمك قال نعم بكم قال بسمكة من هذا السمك
فحمل سليمان السمك ثم انطلق به الى منزله فلما انتهى الرجل الى باب داره اعطاه تلك السمكة
التي في بطنها الخاتم فاخذها سليمان فشق بطنها فاذا الخاتم في جوفها فاخذه فلبسه فلما لبسه
دانت له الجن والانس والشياطين وعاد الى حاله وهرب الشيطان حتى لحق بجزيرة من جزائر
البحر فارسل سليمان في طلبه وكان شيطانا مريدا فجعلوا يطلبونه ولا يقدرون عليه حتى
وجدوه يوما نائما فجاؤا فبنوا عليه بنيانا من رصاص فاستيقظ فوثب فجعل لا يثب في مكان من
البيت الا انباط معه الرصاص فاخذوه فاوثقوه وجاؤا به الى سليمان فامر به فنقر له تخت
من رخام ثم ادخله في جوفه ثم شد بالنحاس ثم امر به فطرح في البحر فذلك قوله ولقد فتنا
سليمان والقينا على كرسيه جسدا يعني الشيطان الذي كان سلط عليه وآخرج ابن جرير
وابن المنذر وابن ابي حاتم عن ابن عباس قال صخر الجني تمثل على كرسيه على صورته
قال سليمان رب اغفر لي ما صدر عني من الذنب الذي ابتليتني لاجله وطلب المغفرة دأب
الانبياء والصلحاء هضما للنفس واظهارا للذل والخشوع وطلبا للترقي في المقامات ثم لما قدم
التوبة والاستغفار جعلها وسيلة الى اجابة طلبته فقال وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من
بعدي قال ابو عبيدة معناه لا يكون لاحد من بعدي وقيل لا ينبغي لاحد ان يسلبه مني
بعد هذه السلبة او لا يصح لاحد من بعدي لعظمته وليس هذا من سؤال نبي الله سليمان
عليه السلام الدنيا وملكها والشرف بين اهلها بل المراد بسؤاله الملك ان يتمكن به من
انفاذ حكم الله سبحانه والاخذ على يد المتمردين من عباده من الجن والانس ولو لم يكن من
المقتضيات لهذا السؤال منه الا ما رآه عند قعود الشيطان على كرسيه من الاحكام
الشيطانية الجارية في عباد الله لكفى وجملة انك انت الوهاب تعليل لما قبلها مما طلبه
من مغفرة الله له وهبة الملك الذي لا ينبغي لاحد من بعده لا بالاخيرة فقط فان المغفرة
ايضا من احكام وصف الوهابية قطعا قاله ابو السعود وآخرج البخاري ومسلم وغيرهما
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عفريتا من الجن جعل يتفلت علي البارحة

ليقطع علي صلاتي وان الله امكنني منه فلقد هممت ان اربطه الى سارية من سواري المسجد
حتى تصبحوا فتنظروا اليه كلكم فذكرت قول اخي سليمان وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي
فرده الله خاسئا ثم ذكر سبحانه اجابته لدعوته واعطاءه لمسألته فقال فسخرنا له الريح
اي ذللناها له وجعلناها منقادة لامره ثم بين كيفية التسخير لها بقوله تجري بامره رخاء
اي لينة الهبوب ليست بالعاصف ماخوذ من الرخاوة والمعنى انها ريح لينة لا تزعزع ولا تعصف
مع قوة هبوبها وسرعة جريها ولا ينافي هذا قوله في اية اخرى ولسليمان الريح عاصفة تجري
بامره لان المراد انها في قوة العاصفة ولا تعصف وقيل انها كانت تارة رخاء وتارة عاصفة
على ما يريده سليمان ويشتهيه وهذا اولى في الجمع بين الايتين حيث اصاب قال الزجاج
اجماع اهل اللغة والمفسرين على ان معنى حيث اصاب حيث اراد وحقيقته حيث قصد وقال
الاصمعي وابن الاعرابي العرب تقول اصاب الصواب واخطأ الجواب وقيل معنى اصاب بلغة
حمير اراد وليس من لغة العرب وقيل هو بلسان هجر والاول اولى وهو ماخوذ من اصابة
السهم للغرض والشياطين وقوله كل بناء وغواص بدل من الشياطين اي كل
بناء منهم وغواص منهم يبنون له ما يشاء من المباني ويغوصون في البحر فيستخرجون له
الدر منه وهو اول من استخرج اللؤلؤ من البحر واخرين مقرنين في الاصفاد معطوف على
كل داخل في حكم البدل وهم مردة الجن والشياطين سخروا له حتى قرنهم في الاصفاد يقال
قرنهم في الحبال اذا كانوا جماعة كثيرة والاصفاد الاغلال واحدها صفد قال الزجاج
هي السلاسل فكل ما شددته شدا وثيقا بالحديد وغيره فقد صفدته قال ابو عبيدة
صفدت الرجل فهو مصفود وصفدته فهو مصفد قال يحيى بن سلام ولم يكن يفعل ذلك
الا بكفارهم فاذا امنوا اطلقهم ولم يسخرهم هذا اي ما تقدم من تسخير الريح والشياطين له
او من الملك والمال والبسطة وهو بتقدير القول اي وقلنا له هذا عطاؤنا الذي اعطيناكه
من الملك العظيم الذي طلبته فامنن او امسك اي فاعط من شئت وامنع من شئت قاله
الحسن والضحاك وغيرهما وقال ابن عباس اعتق من الجن من شئت وامسك منهم من شئت
بغير حساب لا حساب عليك في ذلك الاعطاء والامساك او وعطاؤنا لك بغير حساب لكثرته وعظمته

وقال قتادة ان قوله هذا عطاؤنا اشارة الى ما اعطيه من قوة الجماع وهذا لا وجه لقصر الاية
عليه لو قدرنا انه قد تقدم ذكره من جملة تلك المذكورات فكيف يدعي اختصاص الاية به
مع عدم ذكره وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى اي قربة في الاخرة وَحُسْنَ مَآبٍ اي حسن مرجع وهو
الجنة وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ عطف بيان وعدم تصدير قصة سليمان بهذا العنوان لكمال
الاتصال بينه وبين داود عليهما السلام حتى كان قصتيهما قصة واحدة وايوب هو ابن عيص
بن اسحق إِذْ نَادَى رَبَّهُ بدل اشتمال من عبدنا أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ قرء الجمهور بفتح الهمزة
على انه حكاية لكلامه الذي نادى ربه به ولو لم يحكه لقال انه مسه وقرئ بكسرها على اضمار القول
وفي ذكر قصة ايوب ارشاد لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاقتداء به في الصبر على المكاره بِنُصْبٍ
قرأ الجمهور بضم النون وسكون الصاد فقيل هو جمع نصب بفتحتين نحو اَسَد واُسْد وقيل هو
لغة في النصب نحو رشد ورشد وقرئ بضمتين وبفتح وسكون وهذه القراءات كلها بمعنى
واحد وانما اختلفت القراءات باختلاف اللغات وقال ابو عبيدة ان النصب بفتحتين التعب
والاعياء وعلى بقية القراءات الشر والبلاء وَعَذَابٍ اي الم قال قتادة ومقاتل النصب في
الجسد والعذاب في المال قال النحاس وفيه بعد كذا قال والاولى تفسير النصب بالمعنى اللغوي
وهو التعب والاعياء وتفسير العذاب بما يصدق عليه مسمى العذاب وهو الالم وكلاهما راجع الى البدن
وقد اخرج احمد في الزهد وابن ابي حاتم وابن عساكر عن ابن عباس خبرا طويلا في قصة ايوب اوله
ان الشيطان عرج الى السماء فقال يا رب سلطني على ايوب قال الله تعالى لقد سلطتك على ماله
وولده ولم اسلطك على جسده الحديث بطوله وفيه نكارة شديدة فان الله سبحانه لا يمكن
الشيطان من نبي من انبيائه ويسلطه عليه هذا التسليط العظيم واسند المس الى الشيطان مع
ان الله سبحانه هو الذي مسه بذلك اما لكونه لما عمل بوسوسته عوقب على ذلك بذلك النصب
والعذاب فقد قيل انه اعجب بكثرة ماله وقيل استغاثه مظلوم فلم يغثه وقيل انه قال ذلك على
طريقة الادب وقيل انه قال ذلك لان الشيطان وسوس الى اتباعه فرفضوه واخرجوه من ديارهم
وقيل المراد به ما كان يوسوسه الشيطان اليه حال مرضه وابتلائه من تحسين الجزع وعدم
الصبر على المصيبة وقيل غير ذلك ارْكُضْ بِرِجْلِكَ اي قلنا له اركض كذا قال الكسائي والركض الدفع

بالرجل يقال ركض الدابة اذا ضربها برجله وقال المبرد الركض التحريك قال الاصمعي يقال ركضت
الدابة ولا يقال ركضت هي لان الركض انما هو تحريك راكبها رجليه ولا فعل لها في ذلك وحكى
سيبويه ركضت الدابة فركضت مثل جبرت العظم فجبر هذا مُغتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ هذا ايضا
من مقول القول المقدر وفي الكلام حذف والتقدير فركض برجله فنبعت عين فقلنا له هذا
مغتسل الخ وظاهر النظم الكريم ان الاغتسال والشرب كانا من عين واحدة والمغتسل هو الماء الذي
يغتسل به والشراب الذي يشرب منه وقيل ان المغتسل هو المكان الذي يغتسل فيه قال
قتادة هما عينان بارض الشام في ارض يقال لها الجابية فاغتسل من احدهما فاذهب الله ظاهر
دائه وشرب من الاخرى فاذهب الله باطن دائه وكذا قال الحسن وقال مقاتل نبعت عين جارية
فاغتسل فيها فخرج صحيحا ثم نبعت عين اخرى فشرب منها ماء عذبا باردا وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ
معطوف على مقدر كانه قيل فاغتسل وشرب فكشفنا عنه بذلك ما به من ضر ووهبنا له اهله
قيل احياهم الله بعد ان اماتهم وقيل جمعهم بعد تفرقهم وقيل غيرهم مثلهم ثم زاده مثلهم
معهم وهو معنى قوله وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ فكانوا مثلي ما كان من قبل ابتلائه رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ
لِأُولِي الْأَلْبَابِ اي وهبناهم له لاجل رحمتنا اياه وليتذكر بحاله اولو الالباب فيصبروا على
الشدائد كما صبر ويلجئوا الى الله كما لجأ ليفعل بهم ما فعل به من حسن العاقبة وقد تقدم في
سورة الانبياء تفسير هذه الآية مستوفى فلا نعيده وَخُذْ معطوف على اركض او على وهبنا او التقدير
وقلنا له خذ بِيَدِكَ ضِغْثًا هو عثكال النخل بشماريخه وقيل هو قبضة من حشيش مختلط رطبها
بيابسها وقيل الحزمة الكبيرة من القضبان واصل المادة تدل على جمع المختلطات قال
الواحدي الضغث ملء الكف من الشجر والحشيش والشماريخ وعن ابن عباس قال الضغث
هو الاسل وقال ايضا الضغث القبضة من المرعى الرطب وقال ايضا الحزمة فَاضْرِب بِّهِ اي
بذلك الضغث وَلَا تَحْنَثْ في يمينك والحنث الاثم ويطلق على فعل ما حلف على تركه او ترك
ما حلف على فعله لانهما سببان فيه وكان ايوب قد حلف في مرضه ان يضرب امرأته
مائة جلدة واختلف في سبب ذلك فقال سعيد بن المسيب انها جاءته بزيادة على ما كانت
تاتيه به من الخبز فخاف خيانتها فحلف ليضربنها وقال يحيى بن سلام وغيره ان الشيطان

اغواها ان تحمل ايوب على ان يذبح سخلة تقربا اليه فانه اذا فعل ذلك برئ فحلف ليضربنها
ان عوفي مائة جلدة وقيل باعت ذوائبها برغيفين اذ لم تجد شيئا وكان ايوب يتعلق بها
اذا اراد القيام فلهذا حلف ليضربنها واخرج احمد في الزهد عن ابن عباس قال ان ابليس
قعد على الطريق واخذ تابوتا يداوي الناس فقالت امراة ايوب يا عبد الله ان ههنا مبتلى
من امره كذا وكذا فهل لك ان تداويه قال نعم بشرط ان انا شفيته ان يقول انت شفيتني لا اريد
منه اجرا غيره فاتت ايوب فذكرت له ذلك فقال ويحك ذاك الشيطان لله علي ان شفاني
الله ان اجلدك مائة جلدة فلما شفاه الله امره ان ياخذ ضغثا فيضربها به فاخذ عذقا فيه
مائة شمراخ فضربها به ضربة واحدة واخرج احمد والطبراني عن ابي امامة بن سهل بن حنيف
قال حملت وليدة في بني ساعدة من زنا فقيل لها ممن حملك قالت من فلان المقعد فسئل المقعد
فقال صدقت فرفع ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال خذوا عثكولا فيه مائة شمراخ فاضربوه ضربة
واحدة وله طرق اخرى وقد اختلف العلماء هل هذا خاص بايوب او عام للناس كلهم وان من
حلف خرج من يمينه بمثل ذلك قال الشافعي اذا حلف ليضربن فلانا مائة جلدة او ضربا ولم يقل ضربا
شديدا ولم ينو بقلبه فيكفيه مثل هذا الضرب المذكور في الآية حكاه ابن المنذر عنه وعن ابي ثور
واصحاب الرأي وقال عطاء هو خاص بايوب ورواه ابن القاسم عن مالك ثم اثنى الله سبحانه على
ايوب فقال إِنَّا وَجَدْنَاهُ اي علمناه صَابِرًا على البلاء الذي ابتليناه به فانه ابتلي بالداء العظيم
في جسده وذهاب ماله وولده واهله فصبر وليس في شكواه الى الله اخلال بذلك فانه ليس جزعا
كتمني العافية وطلب الشفاء والشكاية المذمومة انما هي اذا كانت للمخلوقين قال ابن مسعود ايوب
راس الصابرين يوم القيامة نِعْمَ الْعَبْدُ اي ايوب إِنَّهُ أَوَّابٌ اي رجاع الى الله تعالى بالاستغفار
والتوبة وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ اي اذكر صبرهم على ما اصابهم تتأس بهم
قرء الجمهور عبادنا بالجمع وقرئ بالافراد فعلى قراءة الجمهور يكون ابراهيم واسحق ويعقوب عطف
بيان وعلى القراءة الاخرى يكون ابراهيم عطف بيان وما بعده عطف على عبدنا لا على ابراهيم
وقد يقال لما كان المراد بعبدنا الجنس جاز ابدال الجماعة منه وقيل ان ابراهيم وما بعده بدل
او النصب باضمار اعني وعطف البيان اظهر وقراءة الجمهور ابين وقد اختارها ابو حاتم وابو عبيد

أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ الايدي جمع اليد اما الجارحة فكنى بها عن الاعمال لان اكثر
الاعمال انما يزاول باليد وقيل جمع اليد التي بمعنى القوة والقدرة قال قتادة اعطوا قوة في العبادة
ونصرا في الدين قال الواحدي وبه قال مجاهد وسعيد بن جبير والمفسرون قال النحاس اما الابصار
فمتفق على انها البصائر في الدين والعلم واما الايدي فمختلف في تاويلها فاهل التفسير يقولون
انها القوة في الدين وقوم يقولون الايدي جمع يد وهي النعمة اي هم اصحاب النعم الذين انعم الله
عز وجل عليهم وقيل هم اصحاب النعم على الناس والاحسان اليهم لانهم قد احسنوا وقدموا خيرا
واختار هذا ابن جرير قرء الجمهور الايدي باثبات الياء وقرئ بغير ياء فقيل معناها معنى الاولى
وانما حذفت الياء لدلالة كسرة الدال عليها وقيل الايد القوة الا ان الزمخشري قال وتفسيره بالايد
من التاييد قلق غير متمكن انتهى وكانه انما قلق عنده لعطف الابصار عليه فهو غير مناسب الايد
من التاييد وقد يقال انه لا يراد حقيقة الجوارح اذ كل احد كذلك انما المراد الكناية من العمل الصالح
والتفكر ببصيرته فلم يقلق حينئذ اذ لم يرد حقيقة الابصار وكانه قيل اولي القوة والتفكر بالبصيرة
وقد نحا الزمخشري الى شيء من هذا قبل ذلك قاله السمين قال ابن عباس القوة في العبادة والابصار
الفقه في الدين وعنه قال الايدي النعمة وقيل اولي الاعمال الجليلة والعلوم الشريفة فعبر بالايدي
عن الاعمال وبالابصار عن المعارف لانها اقوى مباديها إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ
تعليل لما وصفوا به من شرف العبودية وعلو الرتبة بالعلم والعمل قرء الجمهور بخالصة بالتنوين
وعدم الاضافة على انها مصدر بمعنى الاخلاص فيكون ذكرى منصوبا به او بمعنى الخلوص فيكون
ذكرى مرفوعا به او يكون خالصة اسم فاعل على بابه وذكرى بدل منها او بيان لها او منصوبة
باضمار اعني والدار مفعول به للذكرى او مرفوعة على اضمار مبتدء والدار مفعول به بذكرى او ظرف
اما على الاتساع او على اسقاط الخافض وعلى كل تقدير فخالصة صفة لموصوف محذوف والباء
للسببية اي بسبب خصلة خالصة لا شوب فيها وقرئ باضافة خالصة الى ذكرى على ان الاضافة
للبيان لان الخالصة قد تكون ذكرى وغير ذكرى كما في قوله شهاب قبس لان الشهاب يكون قبسا وغيره
او على ان خالصة مصدر مضاف الى مفعوله والفاعل محذوف اي بان اخلصوا ذكرى الدار وتناسوا
عند ذكرها ذكر الدنيا او مصدر بمعنى الخلوص مضاف الى فاعله قال مجاهد معنى الاية استصفيناهم

بذكرى الآخرة فاخلصناهم بذكرها وقال قتادة كانوا يدعون الى الآخرة والى الله وقال السدي اخلصوا بخوف الآخرة قال الواحدي فمن قرأ بالتنوين في خالصة كان المعنى جعلناهم لنا خالصين بان خلصت لهم ذكرى الدار والخالصة مصدر بمعنى الخلوص والذكرى بمعنى التذكر اي خلص لهم تذكر الدار وهو انهم يذكرون التأهب لها ويزهدون في الدنيا وذلك من شأن الانبياء واما من اضاف فالمعنى اخلصناهم بان خلصت لهم ذكرى الدار والخالصة مصدر مضاف الى الفاعل والذكرى على هذا المعنى الذكر قال ابن عباس اخلصوا بذكر دار الآخرة ان يعملوا لها وقيل ذكرى الدار الثناء الجميل في الدنيا وهذا شيء قد اخلصهم به فليس يذكر غيرهم في الدنيا بمثل ما يذكرون به يقويه قوله وجعلنا لهم لسان صدق عليا قاله النسفي وفيه بعد وقال ابن جزي معناه انا جعلناهم خالصين لنا او خصصناهم دون غيرهم واما الباء على الاول فهي للتعليل وعلى الثاني هي لتعدية الفعل انتهى وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ الاصطفاء الاختيار والاخيار جمع خير بالتشديد والتخفيف كاموات في جمع ميت مثقلا ومخففا والمعنى انهم عندنا المختارين من ابناء جنسهم من الاخيار وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ قيل وجه ذكره مفردا بعد ذكر ابيه واخيه وابن اخيه للاشعار بانه عريق في الصبر الذي هو المقصود بالتذكير هنا وَالْيَسَعَ هو ابن اخطوب بن العجوز استخلفه الياس على بني اسرائيل ثم استنبئ وَذَا الْكِفْلِ اختلف في نبوته ولقبه وهو ابن عم اليسع او هو بشر بن ايوب بعثه الله بعد ابيه وسماه ذا الكفل وكان مقيما بالشام حتى مات وعمره خمس وسبعون سنة قد تقدم ذكر اليسع والكلام فيه في الانعام وتقدم ذكر ذا الكفل والكلام فيه في سورة الانبياء والمراد من ذكر هؤلاء انهم من جملة من صبر من الانبياء وتحمل الشدائد في دين الله امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بان يذكرهم ليسلك مسلكهم في الصبر وَكُلٌّ اي كل المتقدمين من داود الى هنا مِنَ الْأَخْيَارِ الذين اختارهم الله سبحانه لنبوته واصطفاهم من خلقه هَذَا ذِكْرٌ اشارة الى ما تقدم من ذكر اوصافهم الناطقة بمحاسنهم اي هذا ذكر جميل في الدنيا وشرف يذكرون به ابدا جملة جيء بها ايذانا بان القصة قد تمت واخذ في اخرى وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مع هذا الذكر الجميل لَحُسْنَ مَآبٍ في الآخرة والمآب المرجع وهذا شروع في بيان اجرهم الجزيل الآجل بعد بيان ذكرهم الجميل في العاجل وهو باب آخر من ابواب التنزيل

والمعنى انهم يرجعون فى الآخرة الى مغفرة الله ورضوانه ونعيم جنته ثم بين حسن المرجع فقال
جنّٰتِ عَدْنٍ بدلا او عطف بيان لحسن مآب وهو فى الاصل الاقامة يقال عدن بالمكان اذا
اقام فيه وقيل هو اسم لقصر في الجنة وقيل هي جنات عدن مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْاَبْوَابُ الابواب مرتفعة
باسم المفعول كقوله وفتحت ابوابها والرابط بين الحال وصاحبها ضمير مقدر اي منها او الالف واللام
لقيامه مقام الضمير اذ الاصل ابوابها وقيل ارتفاع الابواب على البدل من الضمير في مفتحة العائد
على جنات وبه قال ابو علي الفارسي اي مفتحة هي الابواب قال الفراء المعنى مفتحة لهم ابوابها والعرب
تجعل الالف واللام خلفا من الاضافة وقال الزجاج المعنى مفتحة لهم الابواب منها قال الحسن
ان الابواب يقال لها انفتحي فتنفتح انغلقي فتنغلق وقيل يفتح لهم الملائكة الابواب حال كونهم
مُتَّكِـِٕيْنَ فِيْهَا اي فى الجنات يَدْعُوْنَ فِيْهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيْرَةٍ اي بالوان متنوعة متكثرة من الفواكه
وَّشَرَابٍ كثير فحذف كثير لدلالة الاول عليه والاقتصار على دعاء الفاكهة للايذان بان مطاعمهم
لمحض التفكه والتلذذ دون التغذي قيل الجملة مستانفة لبيان حالهم فيها او حال مما ذكر
وَعِنْدَهُمْ قٰصِرٰتُ الطَّرْفِ اي قاصرات طرفهن على ازواجهن وحابسات العين لا ينظرن الى
غيرهم وقد مضى بيانه في سورة صافات اَتْرَابٌ اي متحدات فى السن والشباب او متساويات
فى الحسن والجمال وقال مجاهد المعنى انهن متواخيات لا يتباغضن ولا يتغايرن ولا يتحاسدن
بنات ثلث وثلثين سنة وقيل لدات لهم اي متقارنات فى الولادة لان التحاب بين الاقران
اثبت او بعضهن كبعض او نصف لا عجوز فيهن ولا صبية قال الشهاب لدات جمع لدة كعدة اصلها
ولد وهو كالترب من يولد معك في وقت واحد كانهما وقعا على التراب في زمن واحد قيل
اتراب للازواج والاتراب جمع ترب واشتقاقه من التراب لانه يمسهن في وقت واحد لاتحاد مولدهن
والمعاني متقاربة هٰذَا مَا تُوْعَدُوْنَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ اي هذا الجزاء الذي وعدتم به لاجل يوم
الحساب فان الحساب علة للوصول الى الجزاء والمعنى في يوم الحساب قرء الجمهور توعدون
على الخطاب التفاتا و قرئ بالتحتية على الخبر واختار هذه القراءة ابو عبيد وابو حاتم لقوله و
ان للمتقين فانه خبر اِنَّ هٰذَا المذكور من النعم والكرامات والجنات واوصافها لَرِزْقُنَا الذي
انعمنا به عليكم واعطيناكموه مَا لَهٗ مِنْ نَّفَادٍ اي لا ينقطع ولا يفنى ابدا ومثله قوله عطاء

غير مجذوذ فنعيم الجنة لا تنقطع عن اهلها هٰذَا اي الامر هذا او هذا كما ذكر او هذا ذكر فيوقف
على هذا قال ابن الانباري وهذا وقف حسن قال ابن الاثير هذا في هذا المقام من الفصل
الذي هو خير من الوصل وهي علاقة وكيدة بين الخروج من الكلام الى كلام اخر اي خذ
هذا كيت وكيت وفيه بحث اذ يلزم حينئذ عطف الاخبار على الانشاء ولذا لم يذكر الزمخشري
هذا التقدير ثم ذكر سبحانه ما لاهل الشر بعد ان ذكر ما لاهل الخير فقال وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ الذين
طغوا على الله وكذبوا رسله لَشَرَّ مَآبٍ اي لشر منقلب ينقلبون اليه ثم بين ذلك فقال
جَهَنَّمَ بدل او عطف بيان يَصْلَوْنَهَا اي يصلون جهنم ويدخلونها فَبِئْسَ الْمِهَادُ اي
بئس ما مهدوا لانفسهم وهو الفراش مأخوذ من مهد الصبي والمراد بالمهد الموضع والمخصوص
بالذم محذوف اي بئس المهاد هي كما في قوله لهم من جهنم مهاد شبه الله سبحانه ما تحتهم من
نار جهنم بالمهاد هٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ اي هذا حميم وغساق فليذوقوه قاله
الفراء والزجاج اي يقال لهم ذلك اليوم هذه المقالة والحميم الماء الحار الذي قد انتهى حره و
الغساق ما سال من جلود اهل النار من القيح ومن الصديد من قولهم غسقت عينه اذا انصبت
والغسقان الانصباب قال النحاس ويجوز ان يكون المعنى الامر هذا وارتفاع حميم وغساق على
انهما خبران لمبتدء محذوف اي هو حميم وغساق ويجوز ان يكون هذا في موضع نصب باضمار
فعل يفسره ما بعده اي ليذوقوا هذا فليذوقوه ويجوز ان يكون حميم مرتفعا على الابتداء وخبره
مقدر قبله اي منه حميم ومنه غساق وقيل الغساق ما قتل برده ومنه قيل لليل غاسق
لانه ابرد من النهار وقيل هو الزمهرير وقيل الغساق المنتن وقيل هو عين في جهنم يسيل منه
كل ذوب حية وعقرب وقال قتادة هو ما يسيل من فروج النساء الزواني ومن نتن لحوم
الكفرة وجلودهم وقال محمد بن كعب هو عصارة اهل النار وقال السدي الغساق الذي يسيل
من دموع اهل النار يسقونه مع الحميم وكذا قال ابن زيد وقال مجاهد ومقاتل هو الثلج البارد الذي
قد انتهى برده وتفسير الغساق بالبارد انسب بما تقتضيه لغة العرب وانسب ايضا بمقابلة الحميم
قرأ اهل المدينة واهل البصرة وبعض الكوفيين بتخفيف السين من غساق وقرئ بالتشديد
وهما لغتان بمعنى واحد كما قال الاخفش وقيل معناهما مختلف فمن خفف فهو اسم مثل عذاب

وجواب وصواب ومن شدد قال اسم فاعل للمبالغة نحو ضراب وقتال وقال ابن عباس
غساق الزمهرير واخرج احمد والترمذي وابن جرير وابن ابي حاتم وابن حبان والحاكم وصححه
وابن مردويه والبيهقي في البعث عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان دلوا من غساق
يهرق في الدنيا لانتن اهل الدنيا قال الترمذي بعد اخراجه لا نعرفه الا من حديث رشدين بن
سعد قلت ورشدين فيه مقال معروف وآخر من شكله قرء الجمهور وآخر مفردا مذكرا وقرء
اُخر بضم الهمزة على انه جمع وانكر الاولى لقوله ازواج وانكر عاصم الجحدري الثانية وقال لو كانت اُخر
لقال من شكلها وارتفاع آخر على انه مبتدء وخبره ازواج ويجوز ان يكون من شكله خبرا
مقدما وازواج مبتدأ مؤخرا والجملة خبر آخر ويجوز ان يكون خبر آخر مقدرا اي ولهم آخر ومن شكله ازواج
جملة مستقلة ومعنى الآية على الاولى وعذاب آخر او مذوق آخر ونوع آخر من شكل ذلك العذاب
او المذوق او النوع الاول والشكل المثل وعلى الثانية ومذوقات اُخر وانواع اُخر من شكل ذلك
المذوق او النوع المتقدم وافراد الضمير في شكله على تاويل المذكور اي من شكل المذكور ومعنى
ازواج اجناس وانواع واشباه وحاصل معنى الآية ان لاهل النار حميما وغساقا وانواعا من العذاب
من مثل الحميم والغساق قال الواحدي قال المفسرون هو الزمهرير ولا يتم هذا الذي حكاه عن المفسرين
الا على تقدير ان الزمهرير انواع مختلفة واجناس متفاوتة ليطابق معنى ازواج او على تقدير ان
لكل فرد من اهل النار زمهريرا وجملة هذا فوج حكاية لقول الملائكة هم خزنة النار وذلك
ان القادة والرؤساء اذا دخلوا النار ودخل بعدهم الاتباع قالت الخزنة للقادة هذا فوج يعنون
الاتباع مقتحم معكم اي داخل معكم الى النار بشدة والاقتحام الالقاء في الشيء بشدة فانهم يضربون
بمقامع من حديد حتى يقتحموها بانفسهم خوفا من تلك المقامع وقيل الاقتحام ركوب الشدة والدخول
فيها وفي المختار تقحم في الامر رمى بنفسه فيه من غير روية وبابه خضع وقحم فرسه النهر فانقحم اي
ادخله فدخل واقتحم الفرس النهر دخله وقوله لا مرحبا بهم من قول القادة والرؤساء لما قالت
لهم الخزنة ذلك قالوا لا مرحبا بهم اي لا اتسعت منازلهم في النار والرحب السعة والمعنى لا كرامة
لهم وهذا اخبار من الله سبحانه بانقطاع المودة بين الكفار وان المودة التي كانت بينهم تصير
عداوة وجملة لا مرحبا بهم دعائية لا محل لها من الاعراب وقال السمين في مرحبا وجهان اظهرهما

انه مفعول بفعل مقدر اي لا اتيتم مرحبا او لا سمعتم مرحبا والثاني انه منصوب على المصدر
قال ابو البقاء اي لا رحبتكم داركم مرحبا بل ضيقا والجملة المنفية اما مستأنفة سيقت للدعاء عليهم
بضيق المكان وقوله بهم بيان المدعو عليهم واما حالية وقد يعترض عليه بانه دعاء والدعاء
لا يقع حالا والجواب انه على اضمار القول اي مقولا في حقهم لا مرحبا بهم وقيل انها من تمام قول الخزنة
والاول اولى كما يدل عليه جواب الاتباع الآتي إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ تعليل من جهة القائلين لا مرحبا
بهم اي انهم صالوا النار كما صليناها ومستحقون لها كما استحققناها قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا
بِكُمْ مستأنفة جواب سؤال مقدر كأنه قال الاتباع عند سماع ما قاله الرؤساء لهم بل انتم احق بما قلتم
لنا ثم عللوا ذلك بقولهم أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا اي العذاب او الصلي لنا او قدمتموه نافية دعوتمونا
اليه بما كنتم تقولون لنا من ان الحق ما انتم عليه وان الانبياء غير صادقين فيما جاؤا به فَبِئْسَ
الْقَرَارُ اي بئس المقر جهنم لنا ولكم ثم حكى عن الاتباع ايضا انهم اردفوا هذا القول بقول آخر وهو
قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا اي من دعانا اليه وسوغه لنا قال الفراء المعنى من سوغ لنا هذا
وسنه وقيل معناه من قدم لنا هذا العذاب بدعائه ايانا الى الكفر فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ
اي عذابا بكفره وعذابا بدعائه ايانا فصار ذلك ضعفا ومثله قوله سبحانه ربنا هؤلاء
اضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار وقوله ربنا آتهم ضعفين من العذاب والضعف ان
يزيد عليه مثله وقيل المراد بالضعف هنا الحيات والعقارب قال ابن مسعود اي افاعي وحيات
وَقَالُوا اي كفار مكة كابي جهل وامية بن خلف واصحاب القليب وهم في النار مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا
كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ اي الاراذل الذين لا خير فيهم ولا جدوى وقيل انما سموهم اشرارا لانهم
كانوا على خلاف دينهم قيل هو من قول الرؤساء وقيل من قول الطاغين المذكورين سابقا
قال الكلبي ينظرون في النار فلا يرون من كان يخالفهم من المؤمنين معهم فيها فعند ذلك
قالوا هذا القول وقيل يعنون فقراء المؤمنين كعمار وخباب وصهيب وبلال وسالم وسلمان
وقيل ارادوا اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم على العموم أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا في الدنيا فاخطأنا أَمْ زَاغَتْ
عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ فلم نعلم مكانهم قاله مجاهد والانكار المفهوم من الاستفهام متوجه الى كل
واحد من الامرين قال الحسن كل ذلك قد فعلوا اتخذوهم سخريا وزاغت عنهم ابصارهم

قال الفراء والاستفهام هنا بمعنى التوبيخ والتعجب وقرئ بحذف همزة اتخذناهم في الوصل وعلى هذا يحتمل ان يكون الكلام خبراً محضاً وتكون الجملة في محل نصب صفة ثانية لرجالا وان يكون المراد الاستفهام وحذفت اداته لدلالة ام عليها فتكون ام على الوجه الاول منقطعة بمعنى بل والهمزة اي بل ازاغت عنهم الابصار على معنى توبيخ انفسهم على الاستسخار ثم الاضراب والانتقال منه الى التوبيخ على الازدراء والتحقير وعلى الثاني ام هي المتصلة وقرئ بهمزة استفهام سقطت لاجلها همزة الوصل ولا محل للجملة حينئذ وفيه التوبيخ لانفسهم على الامرين جميعاً لان ام على هذه القراءة هي للتسوية وقرئ سخريا بضم السين وبكسرها قال ابو عبيدة من كسر جعله من الهزء ومن ضم جعله من التسخير إِنَّ ذَٰلِكَ اي ما تقدم من حكاية حالهم لَحَقٌّ اي لواقع ثابت في الدار الآخرة لا يتخلف البتة تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ خبر مبتدأ محذوف ويجوز ان يكون خبراً بعد خبر وهذا على قراءة الجمهور برفع تخاصم والمعنى ان ذلك الذي حكاه الله عنهم لحق لا بد ان يتكلموا به وهو تخاصم اهل النار فيها وما قالته الرؤساء للاتباع وما قالته الاتباع لهم والجملة بيان لاسم الاشارة وفي الابهام اولاً والتبيين ثانياً مزيد تقرير له وقرأ ابن ابي عبلة بنصب تخاصم على انه بدل من ذلك او باضمار اعني وقرئ تخاصم بصيغة الماضي فتكون جملة مستانفة وانما سماه تخاصماً لان قول القادة للاتباع لا مرحباً بهم وقول الاتباع للقادة بل انتم لا مرحباً بكم من باب الخصومة ثم امر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم ان يقول قولاً جامعاً بين التخويف والارشاد الى التوحيد فقال قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ اي مخوف لكم من عذاب الله وعقابه لا ساحر ولا شاعر كما ادعيتم ومبشر وانما اقتصر على الانذار لان كلامه معهم وهم انما يناسبهم الانذار وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ يستحق العبادة إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الذي لا شريك له الْقَهَّارُ لكل شيء سواه رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا من المخلوقات الْعَزِيزُ الذي لا يغالبه مغالب الْغَفَّارُ لمن اطاعه وقيل معنى العزيز المنيع الذي لا مثل له ومعنى الغفار الستار لذنوب خلقه ثم امره الله سبحانه ان يبالغ في انذارهم ويبين لهم عظم الامر وجلالته فقال قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ اي ما انذرتكم به من العقاب وما بينته لكم من التوحيد هو خبر عظيم ونبأ جليل من شانه العناية به والتعظيم له والاحتفاء به امراً وائتماراً وعدم الاستخفاف به ومثل هذه الآية قوله عم يتساءلون عن النبأ العظيم وقال مجاهد وقتادة ومقاتل هو القرآن فانه نبأ عظيم لانه كلام الله قال الزجاج قل النبأ الذي انبأتكم به عن الله

نبأ عظيم يعني ما انبأهم به من قصص الاولين وذلك دليل على صدقه ونبوته لانه لم يعلم ذلك
الا بوحي من الله أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ صفة ثانية للنبأ او جملة مستأنفة وهذا توبيخ لهم وتقريع
لكونهم اعرضوا عنه ولم يتفكروا فيه فيعلموا صدقه ويستدلوا به على ما انكروه من البعث مَا
كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى استئناف مسوق لتقرير انه نبأ عظيم وارد من جهته تعالى بذكر
نبأ من انبائه على التفصيل من غير سابقة معرفة به ولا مباشرة سبب من اسبابها المعتادة فان
ذلك حجة بينة دالة على ان ذلك بطريق الوحي من عند الله تعالى وان سائر انبائه ايضا كذلك
وان الانبياء لا يعلمون الغيب اصلا الا بما يوحى اليهم من جهته سبحانه وتعالى والملأ الاعلى هم
الملائكة وزاد ابو السعود وآدم عليه السلام وابليس عليه اللعنة إِذْ يَخْتَصِمُونَ اي ما كان لي
فيما سبق علم بوجه من الوجوه بحال الملأ الاعلى وقت اختصامهم والضمير راجع الى الملأ الاعلى والخصومة
الكائنة بينهم هي في امر آدم قال ابن عباس قال الملائكة حين شوروا في خلق آدم فاختصموا فيه
وقالوا لا تجعل في الارض خليفة وعنه قال هي الخصومة في شأن آدم حيث قالوا اتجعل فيها من
يفسد فيها واخرج عبد الرزاق واحمد وعبد بن حميد والترمذي وحسنه وابن نصر في كتاب الصلوة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاني الليلة ربي في احسن صورة احسبه قال في المنام قال يا محمد هل
تدري فيم يختصم الملأ الاعلى قلت لا فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي او في نحري
فعلمت ما في السموات والارض ثم قال لي يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الاعلى قلت نعم في الكفارات
والكفارات المكث في المساجد بعد الصلوات والمشي على الاقدام الى الجماعات واسباغ الوضوء في المكاره
الحديث واخرج الترمذي وصححه ومحمد بن نصر والطبراني والحاكم وابن مردويه من حديث معاذ بن
جبل نحوه باطول منه وقال واسباغ الوضوء في السبرات واخرج الطبراني وابن مردويه من حديث
جابر بن سمرة نحوه باخصر منه واخرجا ايضا من حديث ابي هريرة نحوه وفي الباب احاديث وقيل الضمير
لقريش اي يختصمون فيهم بعضهم يقول بنات الله وبعضهم يقول غير ذلك والاول اولى إِن يُوحَى
إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ جملة معترضة بين اختصامهم المجمل وبين تفصيله بقوله اذ قال ربك
للملائكة والمعنى ما يوحى الي الا انني نذير مبين لكم ما تأتون من الفرائض والسنن وما تدعون من الحرام
والمعصية قاله الفراء وقال كأنك قلت ما يوحى الي الا الانذار وقرأ الجمهور بفتح همزة انما على انها وما في حيزها

في محل رفع لقيامها مقام الفاعل اي ما يوحى الي الا الانذار او الا كوني نذيرا مبينا او في محل نصب
او جر بعد اسقاط لام العلة والقائم مقام الفاعل على هذا الجار والمجرور وقرء ابو جعفر بكسر الهمزة
لان في الوحي معنى القول وهي بالقائمة مقام الفاعل على سبيل الحكاية كانه قيل ما يوحى
الي الا هذه الجملة المتضمنة لهذا الاخبار وهو ان اقول لكم انما انا نذير مبين والقصر هنا اضافي
اي لا ساحر ولا كذاب كما زعمتم وخصه بالذكر لان الكلام مع المشركين وحاله معهم مقصور
على الانذار ولما ذكر سبحانه خصومة الملائكة اجمالا فيما تقدم ذكر هنا تفصيلا فقال إِذْ قَالَ
رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ اذ هذه بدل من اذ يختصمون لاشتمال ما في حيز هذه على الخصومة وقيل هي منصوبة
باضمار اذكر والاول اولى اذا كانت خصومة الملائكة في شان من يستخلف في الارض ولما اذا كانت في غير
ذلك مما تقدم ذكره فالثاني اولى إِنِّي خَالِقٌ اي فيما سياتي من الزمن بَشَرًا اي جسما من جنس البشر وهو
ادم عليه السلام ماخوذ من مباشرته للارض او من كونه بادي البشرة اي ظاهر الجلد ليس على جلده
صوف ولا شعر ولا وبر ولا ريش ولا قشر وقوله مِنْ طِينٍ متعلق بمحذوف هو صفة للبشر او بخالق فَإِذَا سَوَّيْتُهُ صورته على صورة البشر وصارت اجزاؤه مستوية وتممته وَنَفَخْتُ اي اجريت
فِيهِ مِنْ رُوحِي اي من الروح الذي املكه ولا يملكه غيري وقيل هو تمثيل ولا نفخ ولا منفوخ فيه
وياباه ظاهر النظم الكريم فالاول اولى والمراد جعله حيا بعد ان كان جمادا لا حياة فيه وقد مر
الكلام عليه في سورة النساء والنفخ اجراء الروح الى تجويف جسم صلح لامساكها واضافة الروح اليه
تشريف لادم عليه السلام والروح جسم لطيف يحيي به الانسان بنفوذه فيه وبه قال جمهور المتكلمين
قاله الكرخي وقال النووي في شرح مسلم انه الاصح عند اصحابنا وهو مشتبك بالبدن اشتباك الماء
بالعود الاخضر وقال كثير منهم انها عرض وهي الحياة التي صار البدن بوجودها حيا وقال الفلاسفة
وكثير من الصوفية انها ليست بجسم ولا عرض بل جوهر مجرد قائم بنفسه غير متحيز متعلق بالبدن
للتدبير والتحريك غير داخل فيه ولا خارج عنه ووافقهم على ذلك الغزالي والراغب واحتج الاول
بوصفها في الاخبار بالهبوط والعروج والتردد في البرزخ انتهى وقيل جوهر شريف تدسي يسري
في بدن الانسان سريان الضوء في الفضاء او كسريان النار في الفحم ذكره الخازن واقول علم الروح مما استاثر
الله تعالى بعلمه ولا يعلمه احد من خلقه كائنا من كان والخوض في معرفته من فضول الاعمال ولغو الكلام

وقد قال الله عز وجل قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا
فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ هو امر من وقع يقع والسجود هنا هو سجود التحية لا سجود العبادة وفيه دليل
على ان المامور به ليس مجرد الانحناء كما قيل اي سقطوا له ساجدين وقد مضى تحقيقه في سورة
البقرة فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ في الكلام حذف تدل عليه الفاء والتقدير فخلقه فسواه ونفخ فيه من روحه
فسجد له الملائكة كُلُّهُمْ يفيد انهم سجدوا جميعا ولم يبق منهم احد وقوله أَجْمَعُونَ يفيد انهم
اجتمعوا على السجود في وقت واحد فالاول لقصد الاحاطة والثاني لقصد الاجتماع قال في الكشاف
فافاد اسعا انهم سجدوا عن اخرهم ما بقي منهم ملك الا سجد وانهم سجدوا جميعا في وقت واحد
غير متفرقين في اوقات وفيه نظر بل الاجتماع في الفعل وقيل انه اكد بتاكيدين للمبالغة في التعميم
وكان هذا السجود قبل دخول ادم الجنة او بعده قولان إِلَّا إِبْلِيسَ الاستثناء متصل على تقدير
انه كان متصفا بصفات الملائكة داخلا في عدادهم فغلبوا عليه او منقطع على ما هو الظاهر
من عدم دخوله فيهم اي لكن ابليس اسْتَكْبَرَ اي انف من السجود جهلا منه بانه طاعة لله وكان
استكباره استكبار كفر فلذلك كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ اي صار منهم لمخالفته لامر الله
واستكباره عن طاعته او كان من الكافرين في علم الله سبحانه وقد تقدم الكلام على هذا مستوفى
في سورة البقرة والاعراف وبني اسرائيل والكهف وطه ثم ان الله سبحانه سأله عن سبب تركه
للسجود الذي امره به فقال يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ وقرئ بالافراد اي
ما صرفك وصدك عن السجود لما توليت خلقه من غير واسطة اب وام واضاف خلقه الى نفسه
تكريما له وتشريفا مع انه سبحانه خالق كل شيء كما اضاف الى نفسه الروح والبيت والناقة والمساجد
قال مجاهد اليد هنا بمعنى التاكيد والصلة مجاز كقوله ويبقى وجه ربك وقيل اراد باليد القدرة
يقال مالي بهذا الامر يد ومالي به يدان اي قدرة وقيل التثنية في اليد للدلالة على انها ليست
بمعنى القوة والقدرة بل للدلالة على انهما صفتان من صفات ذاته سبحانه وهو الاولى وقيل التثنية
لابراز كمال الاعتناء بخلقه عليه السلام المستدعي لاجلاله وتعظيمه قصدا الى تاكيد الانكار و
تشديد التوبيخ وما في قوله لما خلقت هي المصدرية او الموصولة وقرئ لما بالتشديد مع فتح اللام على
انها ظرف بمعنى حين كما قال ابو علي الفارسي وعن عبد الله بن عمر قال خلق الله اربعا بيده العرش

وجنة عدن والقلم وآدم اخرجه ابن جرير وابو الشيخ في العظمة والبيهقي وعن عبد الله بن الحارث قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق الله ثلثة اشياء بيده خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس الفردوس بيده اخرجه ابن ابي الدنيا في صفة الجنة وابو الشيخ في العظمة والبيهقي في الاسماء والصفات أَسْتَكْبَرْتَ هو استفهام توبيخ وتقريع اي اتركت السجود لاستكبارك الحادث ام لاستكبارك القديم المستمر أَمْ كُنْتَ ام متصلة او منقطعة والمعنى استكبرت عن السجود الذي امرت به بل اكنت مِنَ الْعَالِينَ اي المستحقين للترفع عن طاعة امر الله المتعالين عن ذلك وجملة قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ مستأنفة جواب سؤال مقدر ادعى اللعين لنفسه انه خير من آدم اي ولو كنت مساويا له في الشرف لكان يقبح ان اسجد له فكيف وانا خير منه وفي ضمن كلامه هذا ان سجود الفاضل للمفضول لا يحسن ثم علل ما ادعاه من كونه خيرا منه بقوله خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ وفي زعمه ان عنصر النار اشرف من عنصر الطين وافضل منه لان الاجرام الفلكية اشرف من الاجرام العنصرية والنار اقرب العناصر من الفلك والارض ابعدها منه وايضا النار لطيفة نورانية والارض كثيفة ظلمانية وهما خيرهما وذهب عنه ان النار انما هي بمنزلة الخادم لعنصر الطين ان احتيج اليها استدعيت كما يستدعى الخادم وان استغني عنها طردت وايضا فالطين يستولي على النار فيطفيها وايضا فهي لا توجد الا بما اصله من عنصر الارض ومآل النار الى الرماد الذي لا ينتفع به والطين اصل كل ما هو نام ونابت كالانسان والشجرة ومعلوم ان الانسان والشجرة المثمرة خير من الرماد وافضل وعلى كل حال فقد شرف الله آدم بشرف وكرمه بكرامة لا يوازيها شيء من شرف العناصر وذلك ان الله تعالى خلقه بيديه ونفخ فيه من روحه وامر بالسجود له والجواهر في انفسها متجانسة وانما الشرف بعارض من عوارضها قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا مستأنفة كالتي قبلها اي فاخرج من الجنة او من زمرة الملائكة وقيل من الخلقة التي كنت عليها لانه كان يفتخر بخلقته فغير الله خلقته واسود بعد ما كان ابيض وقبح بعد ما كان حسنا واظلم بعد ما كان نورانيا وفيه بعد لان الله تعالى لم يعاقبه عند الا الاستكبار عن السجود وفيه دليل على انه صار كافرا حين لم يسجد ذكره الطيبي ثم علل امره بالخروج بقوله فَإِنَّكَ رَجِيمٌ اي مرجوم بالكواكب مطرود من كل خير ملعون بتركك امره وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ اي طردي لك عن الرحمة وابعادي لك منها الى

يوم الجزاء فاخبر الله سبحانه وتعالى ان تلك اللعنة مستمرة له دائمة عليه مادامت الدنيا ثم في الآخرة يلقى من انواع عذاب الله وعقوبته وسخطه ماهو به حقيق وليس المراد ان اللعنة تزول عنه في الآخرة بل هو ملعون ابداً ولكن لما كان له في الآخرة ما ينسى عنده اللعنة ويذهل عند الوقوع فيه منها صارت كانها لم تكن بجنب ما يكون فيه قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي مستانفة كما تقدم فيما قبلها اي امهلني واخرني ولا تعاجلني إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ يعني آدم وذريته للجزاء بعد فنائهم واراد بذلك ان يجد فسحة لاغوائهم ويأخذ منهم ثاره قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ اي المهملين إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ الذي قدره الله لفناء الخلائق وهو عند النفخة الآخرة وقيل هو النفخة الاولى قيل انما طلب ابليس الانظار الى يوم البعث ليتخلص من الموت لانه اذا انظر الى يوم البعث لم يمت قبل البعث وعند مجيء البعث لا يموت فحينئذ يتخلص من الموت فاجيب بما يبطل مراده وينقض عليه مقصده وهو الانظار الى يوم الوقت المعلوم وهو الذي يعلمه الله ولا يعلمه غيره فلما سمع اللعين انظار الله له الى ذلك الوقت قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ فاقسم بعزة الله انه يضل بني آدم بتزيين الشهوات والمعاصي لهم وادخال الشبه عليهم حتى يصيروا غاوين جميعاً ولا ينافيه قوله تعالى فبما اغويتني فان اغواء تعالى اياه اثر من آثار قدرته تعالى وعزته وحكم من احكام قهره وسلطنته فان الاقسام بهما واحد ولعل اللعين اقسم بهما جميعاً فحكى تارة قسمه باحدهما واخرى باخرى ثم لما علم ان كيده لا ينجع الا في اتباعه واحزابه من اهل الكفر والمعاصي استثنى من لا يقدر على اضلاله ولا يجد السبيل الى اغوائه فقال إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ اي الذين اخلصتهم لطاعتك وعصمتهم مني وقد تقدم تفسير هذه الآيات في سورة الحجر وغيرها قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ مستانفة كالجمل التي قبلها قرء الجمهور بنصب الحق في الموضعين على انه مقسم به حذف منه حرف القسم فانتصب او هما منصوبان على الاغراء اي الزموا الحق او مصدران مؤكدان لمضمون قوله لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ وقرئ برفع الاول ونصب الثاني فرفع الاول على انه مبتدأ وخبره مقدر اي فالحق مني او فالحق انا او خبره لاملأن او هو خبر مبتدأ محذوف واما نصب الثاني فبالفعل المذكور بعده اي وانا اقول الحق واجاز الفراء وابو عبيد ان يكون منصوباً بمعنى حقا لاملأن جهنم واعترض عليهما بان ما بعد اللام مقطوع عما قبلها وروي عن الفراء وسيبويه ايضاً ان المعنى فالحق ان املأ جهنم وروي عن ابن عباس ومجاهد انهما قرءا برفعهما فرفع

الاول على ما تقدم ورفع الثاني بالابتداء وخبره الجملة المذكورة بعده والعائد محذوف وقرئ
بخفضهما على تقدير حرف القسم قال الفراء كما يقول الله عز وجل لافعلن كذا وغلطه ابو العباس ثعلب
وقال لا يجوز الخفض بحرف مضمر وجملة لاملأن جواب القسم على قراءة الجمهور وجملة والحق اقول معترضة
بين القسم وجوابه مِنكَ اي من جنسك من الشياطين وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنهُم اي من ذرية آدم
فاطاعوك اذ دعوتهم الى الضلال والغواية أَجمَعِينَ تاكيد للمعطوف والمعطوف عليه اي
لاملأنها من الشياطين واتباعهم اجمعين لا تفاوت في ذلك بين ناس وناس ثم امر الله سبحانه
رسوله ان يخبرهم بانه انما يريد بالدعوة الى الله امتثال امره لا عرض الدنيا الزائل فقال قُل مَا أَسأَلُكُم
عَلَيهِ مِن أَجرٍ الضمير في عليه راجع الى تبليغ الوحي ولم يتقدم له ذكر ولكنه مفهوم من السياق وقيل
هو عائد الى ما تقدم من قوله ءانزل عليه الذكر من بيننا وقيل الضمير راجع الى القرآن وقيل الى
الدعاء الى الله على العموم فيشمل القرآن وغيره من الوحي ومن قول الرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى ما
اطلب منكم من جعل تعطونيه عليه قال ابن عباس قل يا محمد ما اسألكم على ما ادعوكم اليه
من اجر عرض دنيا وَمَا أَنَا مِنَ المُتَكَلِّفِينَ اي المتصنفين بما ليسوا من اهله حتى انتحل النبوة والتقول
القرآن من تلقاء نفسي واقول ما لا اعلم او ادعوكم الى غير ما امرني الله بالدعوة اليه والتكلف التصنع
وفي البخاري ومسلم وغيرهما عن مسروق قال بينما رجل يحدث في المسجد فقال فيما يقول يوم تاتي
السماء بدخان مبين قال دخان يكون يوم القيامة يأخذ باسماع المنافقين وابصارهم ويأخذ
المؤمنين كهيئة الزكام قال فقمنا حتى دخلنا على عبد الله وهو في بيته وكان متكئا فاستوى
قاعدا فقال يا ايها الناس من علم منكم علما فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله اعلم فان من العلم
ان يقول العالم بما لا يعلم الله اعلم قال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم قل ما اسألكم عليه من اجر وما
انا من المتكلفين واخرج البخاري عن عمر قال نهينا عن التكلف واخرج الطبراني والحاكم والبيهقي
عن سلمان قال نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نتكلف للضيف إِن هُوَ إِلَّا ذِكرٌ لِّلعَالَمِينَ اي ما
هذا القرآن او الوحي او ما ادعوكم اليه الا ذكر من الله عز وجل للجن والانس العقلاء دون الملائكة
لان المراد بالذكر الموعظة والتخويف وتذكير العواقب وهذا انما يناسب المكلفين وهم الثقلان فقط ناظم
وَلَتَعلَمُنَّ ايها الكفار نَبَأَهُ اي نبأ ما انبأكم به من الوعد والوعيد وغيرهما او ما اخبركم به من الدعاء الى الله

وتوحيده والترغيب الى الجنة والتحذير من النار بعد حين قال قتادة والزجاج والفراء بعد
الموت وقال عكرمة وابن زيد يوم القيامة وقال الكلبي من بقي علم ذلك لما ظهر امره وعلا
ومن مات علمه بعد الموت وقال السدي وذلك يوم بدر وقيل عند ظهور الاسلام و
فشوه وكان الحسن يقول يا ابن ادم عند الموت يأتيك الخبر اليقين وفيه من التهديد ما لا يخفى

سورة الزمر ويقال لها سورة الغرف وهي اثنتان وسبعون آية وقيل خمس وسبعون آية

وهي مكية في قول الحسن وعكرمة وجابر بن زيد واخرج النحاس في ناسخه عن ابن عباس
قال نزلت بمكة سوى ثلث آيات نزلن بالمدينة في وحشي قاتل حمزة يا عبادي الذين
اسرفوا على انفسهم الثلث الآيات وقال آخرون الى سبع آيات من قوله قل يا عبادي الذين الى آخر السبع
واخرج النسائي عن عائشة قالت كان يصوم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نقول ما يريد
ان يفطر ويفطر حتى نقول ما يريد ان يصوم وكان يقرأ في كل ليلة بني اسرائيل والزمر واخرجه
الترمذي عنها بلفظ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرأ الزمر وبني اسرائيل

بسم الله الرحمن الرحيم

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ ارتفاعه على انه خبر مبتدأ محذوف هو اسم اشارة اي هذا تنزيل وقال
ابو حيان ان المبتدأ المقدر لفظ هو ليعود على قوله ان هو الا ذكر للعالمين كانه قيل وهذا الذكر
ما هو فقيل هو تنزيل الخ وقيل ارتفاعه على انه مبتدأ وخبره الجار والمجرور بعده اي تنزيل كائن
من الله العزيز والى هذا ذهب الزجاج والفراء واجاز الفراء والكسائي النصب على انه مفعول به
لفعل مقدر اي اتبعوا او اقرؤا تنزيل الكتاب وقال الفراء يجوز نصبه على الاغراء اي الزموا والكتاب
هو القرآن مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ صلة للتنزيل او خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف او متعلق
بمحذوف على انه حال عمل فيه اسم الاشارة المقدر إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ اي انزلناه بسبب
الحق واثباته واظهاره او متلبسين بالحق او متلبسا بالحق او بداعية الحق واقتضائه للانزال والمراد
كل ما فيه من اثبات التوحيد والنبوة والمعاد وانواع التكاليف قال مقاتل يقول لم ننزله باطلا

لغير شيء وهذا ليس بتكرار لان الاول كالعنوان للكتاب والثاني لبيان ما في الكتاب او المراد بالثاني هو الاول واظهاره لتعظيمه ومزيد الاعتناء بشأنه فَاعْبُدِ اللّٰهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّيْنَ الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها اي محضا له الدين من الشرك والريا بالتوحيد وتصفية السر والاخلاص ان يقصد العبد بعمله وجه الله سبحانه والدين العبادة والطاعة وراسها توحيد الله وانه لا شريك له وفي الآية دليل على وجوب النية واخلاصها عن الشوائب لان الاخلاص من الامور القلبية التي لا تكون الا باعمال القلب وقد جاءت السنة الصحيحة ان ملاك الامر في الاقوال والافعال النية كما في حديث انما الاعمال بالنيات وحديث لا قول ولا عمل الا بالنية اَلَا لِلّٰهِ الدِّيْنُ الْخَالِصُ مستأنفة مقررة لما قبلها من الامر بالاخلاص اي ان الدين الخالص من شوائب الشرك وغيره هو لله وما سواه من الاديان فليس بدين الله الخالص الذي امر به قال قتادة الدين الخالص شهادة ان لا اله الا الله وقد اخرج ابن مردويه عن يزيد الرقاشي ان رجلا قال يارسول الله انا نعطي اموالنا التماس الذكر فهل لنا في ذلك من اجر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا قال يارسول الله انما نعطي التماس الاجر والذكر فهل لنا اجر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا يقبل الا ما اخلص له ثم تلا هذه الآية وقال الحسن الدين الاسلام ولما امر سبحانه بعبادته على وجه الاخلاص وان الدين الخالص له لا لغيره بين بطلان الشرك الذي هو مخالف للاخلاص وقال وَالَّذِيْنَ اتَّخَذُوْا مِنْ دُوْنِهٖۤ اَوْلِيَآءَ الموصول عبارة عن المشركين ومحله الرفع على الابتداء وخبره قوله ان الله يحكم بينهم وجملة مَا نَعْبُدُهُمْ اِلَّا لِيُقَرِّبُوْنَاۤ اِلَى اللّٰهِ زُلْفٰى في محل نصب على الحال بتقدير القول والاستثناء مفرغ من اعم العلل والمعنى والذين لم يخلصوا العبادة لله بل شابوها بعبادة غيره قائلين ما نعبدهم لشيء من الاشياء الا ليقربونا الى الله تقريبا فالزلفى اسم اقيم مقام المصدر والضمير في نعبدهم راجع الى الاشياء التي كانوا يعبدونها من الملائكة وعيسى والاصنام وهم المرادون بالاولياء والمراد بالزلفى الشفاعة كما حكاه الواحدي عن المفسرين قال قتادة كانوا اذا قيل لهم من ربكم وخالقكم ومن خلق السموات والارض ومن انزل من السماء ماء قالوا الله فيقال لهم ما معنى عبادتكم الاصنام قالوا ليقربونا الى الله زلفى ويشفعوا لنا عنده قال الكلبي جواب هذا الكلام قوله في سورة الاحقاف فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة اِنَّ اللّٰهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ اي بين اهل الاديان يوم القيامة فيجازي كلا بما يستحقه وقيل

وفي فصل لازم

وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ عبر بالانزال لما يروى انه خلقها في الجنة ثم انزلها فيكون الانزال حقيقة كما قيل في قوله وانزلنا الحديد فيه باس شديد فان ادم لما اهبط الى الارض انزل معه الحديد ويحتمل ان يكون مجازا لانها لما لم تعش الا بالنبات والنبات انما يعيش بالماء والماء منزل من السماء كانت الانعام كانها منزلة لان سبب سببها منزل وهذا يسمى التدريج ومنه قوله تعالى قد انزلنا عليكم لباسا وقيل ان انزل بمعنى انشأ وجعل او بمعنى اعطى وقيل جعل الخلق انزالا لان الخلق انما يكون بامر ينزل من السماء ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ هي ما في قوله من الابل اثنين ومن البقر اثنين ومن الضان اثنين ومن المعز اثنين ويعني بالاثنين في الاربعة المواضع الذكر والانثى والزوج ما معه اخر من جنسه يزاوجه ويحصل منهما النسل فيطلق لفظ الزوج على المفرد اذا كان معه اخر من جنسه لا ينفك عنه ويحصل منهما النسل وكذا يطلق على الاثنين فهو مشترك والمراد هنا الاطلاق الاول وقد تقدم تفسير هذه الاية في سورة الانعام ثم بين سبحانه نوعا اخر من قدرته البديعة فقال يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ قرأ حمزة بكسر الهمزة والميم وقرء الكسائي بكسر الهمزة وفتح الميم وقرء الباقون بضم الهمزة وفتح الميم انما قال هذا التغليب من يعقل ولشرف الانسان على سائر الخلق خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ الجملة استينافية لبيان ما تضمنته من الاطوار المختلفة في خلقهم وخلقا مصدر مؤكد للفعل المذكور ومن بعد خلق صفة له قال قتادة والسدي نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظما ثم لحما وقال ابن زيد خلقكم خلقا في بطون امهاتكم من بعد خلقكم في ظهر ادم فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ هي ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة قاله مجاهد وعكرمة وقتادة والضحاك وقال سعيد بن جبير ظلمة المشيمة وظلمة الرحم وظلمة الليل وقال ابو عبيدة ظلمة صلب الرجل وظلمة بطن المرأة وظلمة الرحم والرحم داخل البدن والمشيمة داخل الرحم قال ابن الاعرابي يقال لما يكون فيه الولد المشيمة والكيس والغلاف والجمع مشيم بحذف الهاء ومشائم ويقال لها من غيره السلا والاشارة بقوله ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ اليه سبحانه باعتبار افعاله السابقة والاسم الشريف خبره وربكم خبر اخر لَهُ الْمُلْكُ الحقيقي في الدنيا والاخرة لا شركة لغيره فيه وهو خبر ثالث وقوله لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خبر رابع فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ اي فكيف تنصرفون عن عبادته وتنقلبون عنها الى عبادة غيره او تصرفون عن طريق الحق بعد هذا البيان ولما ذكر سبحانه النعم التي انعم بها على عباده وبين لهم من بدائع صنعه وعجيب فعله ما يوجب على كل عاقل ان يؤمن به عقبه بقوله

إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ أي غير محتاج إليكم ولا إلى إيمانكم ولا إلى عبادتكم له فإنه الغني
المطلق ومع كون كفر الكافر لا يضره كما أنه لا ينفعه إيمان المؤمن فهو أيضا لَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ
أي لا يرضى لأحد من عباده الكفر ولا يحبه ولا يأمر به ولا يفعل فعل الراضي بأن يأذن فيه ويقر عليه
ويثيب فاعله ويمدحه بل يفعل فعل الساخط بأن ينهى عنه ويذم عليه ويعاقب مرتكبه وإن
كان بإرادته إذ لا يخرج شيء عنها قال أبو السعود عدم رضاه بكفر عباده لأجل منفعتهم ودفع
مضرتهم رحمة عليهم لا لتضرره تعالى به انتهى ومثل هذه الآية قوله إن تكفروا أنتم ومن في الأرض
جميعا فإن الله لغني حميد ومثلهما ما ثبت في صحيح مسلم من قوله صلى الله عليه وسلم يا عبادي لو أن أولكم وآخركم
وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا وقد اختلف المفسرون في هذه
الآية هل هي على عمومها وأن الكفر غير مرضي لله سبحانه على كل حال كما هو الظاهر أو هي خاصة والمعنى
لا يرضى لعباده المؤمنين الكفر وقد ذهب إلى التخصيص حبر الأمة ابن عباس رضي الله تعالى عنه وتابعه
على ذلك عكرمة والسدي وغيرهما ثم اختلفوا في الآية اختلافا آخر فقال قوم إنه يريد كفر الكافر ولا
يرضاه وقال الآخرون إنه لا يريده ولا يرضاه والكلام في تحقيق مثل هذا يطول جدا وقد استدل
القائلون بتخصيص هذه الآية والمثبتون للإرادة مع عدم الرضاء بما ثبت في آيات كثيرة من الكتاب
العزيز أنه سبحانه يضل من يشاء ويهدي من يشاء وما تشاؤن إلا أن يشاء الله ونحو هذا مما يؤدي
معناه كثير في الكتاب العزيز قال ابن عباس في قوله إن تكفروا الخ يعني الكفار الذين لم يرد الله أن يطهر
قلوبهم فيقولون لا إله إلا الله ثم قال ولا يرضى لعباده الكفر وهم عباده المخلصون الذين قال إن عبادي
ليس لك عليهم سلطان فألزمهم شهادة أن لا إله إلا الله وحببها إليهم أخرجه ابن جرير فيكون عاما
في اللفظ خاصا في المعنى كقوله عينا يشرب بها عباد الله يريد بعض العباد وقال عكرمة لا يرضى
لعباده المسلمين الكفر وعن قتادة قال والله ما رضي الله لعبد ضلالة ولا أمره بها ولا دعاه إليها
ولكن رضي لكم طاعته وأمركم بها ونهاكم عن معصيته ثم لما ذكر سبحانه أنه لا يرضى لعباده الكفر بين أنه
يرضى لهم الشكر فقال وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ أي يرضى لكم الشكر المدلول عليه بقوله وإن تشكروا
ويثبكم عليه وإنما رضي لهم سبحانه الشكر لأنه سبب سعادتهم في الدنيا والآخرة كما قال سبحانه لئن
شكرتم لأزيدنكم لا لانتفاعه به قرئ بإسكان الهاء من يرضه وبإشباع الضمة على الهاء واختلس الباقون

والقراآت كلها سبعية ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ أي لا تحمل نفس حاملة للوزر حمل نفس أخرى وهذا
بيان لعدم سراية كفر الكافر لغيره أصلاً وقد تقدم تفسير هذه الآية مستوفى ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ﴾
يوم القيامة ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من خير وشر وفيه تهديد شديد ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾
أي بما تضمره القلوب وتستره فكيف بما تظهره وتبديه وهذا تعليل بالتنبئة بالأعمال ﴿وَإِذَا مَسَّ
الْإِنسَانَ ضُرٌّ﴾ أي ضر كان في جسمه أو ماله أو أهله أو ولده من بلاء ومرض أو فقر أو خوف أو شدة
لأن اللفظ مطلق فلا معنى لتقييده والمس في الأعراض مجاز وجواب الشرط قوله ﴿دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ أي راجعاً
إليه مستغيثاً به في دفع ما نزل به تاركاً لما كان يدعوه ويستغيث به من ميت أو حي أو صنم أو غير ذلك
في حال الرخاء لعلمه بأنها بمعزل عن القدرة على كشف ضره ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ﴾ أي أعطاه وملكه
يقال خوله الشيء أي ملكه إياه ولا يستعمل في الجزاء بل في ابتداء العطية ﴿نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن
قَبْلُ﴾ أي نسي الضر الذي كان يدعو الله إلى كشفه عنه من قبل أن يخوله ما خوله وقيل نسي الدعاء
الذي كان يتضرع به وتركه أو نسي ربه الذي كان يدعوه ويتضرع إليه ثم جاوز ذلك إلى الشرك
بالله وهو معنى قوله ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ أي شركاء من الأصنام أو غيرها يستغيث بها ويعبدها وقال
السدي يعني أنداداً من الرجال يعتمد عليهم في جميع أموره ﴿لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ﴾ أي ليضل الناس عن
طريق الله التي هي الإسلام والتوحيد قرأ الجمهور بضم الياء وقرئ بفتحها وهما سبعيتان واللام للعاقبة
ثم أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم أن يهدد من كان متصفاً بتلك الصفة فقال ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ
قَلِيلًا﴾ أي تمتعاً قليلاً أو زماناً قليلاً فمتاع الدنيا قليل قال الزجاج لفظه لفظ الأمر ومعناه التهديد
والوعيد وفيه إشعار بأن الكفر نوع تشهٍّ لا سند له وإقناط للكافرين من التمتع في الآخرة ولذلك
علله بقوله ﴿إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ على سبيل الاستئناف للمبالغة أي مصيرك إليها عن قريب وأنك ملازمها
ومعدود من أهلها على الدوام وهو تعليل لقلة التمتع وفيه من التهديد أمر عظيم قيل نزلت في
عتبة بن ربيعة وقيل في أبي حذيفة المخزومي وقيل هو عام في كل كافر وهو الأوفق بقواعد الشريعة
ثم لما ذكر سبحانه صفات المشركين وتمسكهم بغير الله عند اندفاع المكروهات عنهم ذكر صفات المؤمنين
فقال ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ﴾ هذا إلى آخره من تمام الكلام المأمور به رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى أذلك
الكافر أحسن حالاً ومآلاً أمن هو قائم بطاعات الله في السراء والضراء في ساعات الليل مستمر

على ذلك غير مقتصر على دعاء الله سبحانه عند نزول الضر به قرئ امن بالتشديد وبالتخفيف فعلى القراءة الاولى ام داخلة على من الموصولة وادغمت الميم في الميم وام هي المتصلة ومعادلها محذوف اي الكافر خير ام الذي هو قانت وقيل هي المنقطعة مقدرة ببل والهمزة اي بل امن هو قانت كالكافر وعلى الثانية الهمزة للاستفهام والاستفهام للتقرير ومقابله محذوف اي امن هو قانت كمن كفر وقال الفراء ان الهمزة في هذه القراءة للنداء ومن منادى وهي عبارة عن النبي صلى الله عليه وسلم المامور بقوله قل تمتع بكفرك قليلا والتقدير يا من هو قانت قل كيت وكيت وقيل التقدير يا من هو قانت انك من اصحاب الجنة ومن القائلين بان الهمزة للنداء الفراء وضعف ذلك ابو حيان وقال هو اجنبي عما قبله وعما بعده وقد سبقه الى هذا التضعيف ابو علي الفارسي واعترض على هذه القراءة من اصلها ابو حاتم والاخفش ولا وجه لذلك فانها اذا ثبتت الرواية بطلت الدراية وقد اختلف في تفسير القانت هنا فقيل المطيع وقيل الخاشع او القائم في صلاته وقيل الداعي لربه قال النحاس اصل القنوت الطاعة فكل ما قيل فيه فهو داخل في الطاعة آنَاءَ اللَّيْلِ جمع انى بكسر الهمزة والقصر كمعى وامعاء وقيل واحدها انو يقال مضى من الليل انيان وانوان والمراد بآناء الليل ساعاته واوقاته وقيل جوفه وقيل ما بين المغرب والعشاء وقيل اوله واوسطه وآخره سَاجِدًا وَقَائِمًا منصوبان على الحال اي جامعا بين السجود والقيام في الصلوة وقدم السجود على القيام لكونه ادخل في العبادة والآية دلت على ترجيح قيام الليل على النهار وانه افضل منه وذلك لان الليل استر فيكون ابعد عن الرياء ولان ظلمة الليل تجمع الهم وتمنع البصر عن النظر الى الاشياء واذا صار القلب فارغا عن الاشتغال بالاحوال الخارجية رجع الى المطلوب الاصلي وهو الخشوع في الصلوة ومعرفة من يصلي له وقيل لان الليل وقت النوم ومظنة الراحة فيكون قيامه اشق على النفس فيكون الثواب فيه اكثر قال ابن عباس من احب ان يهون الله عليه الوقوف يوم القيامة فليره الله في ظلمة الليل ذكره القرطبي يَحْذَرُ الْآخِرَةَ اي يحذر عذاب الآخرة قاله سعيد بن جبير ومقاتل وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ فيجمع بين الرجاء والخوف وما اجتمعا في قلب رجل الا فاز قيل وفي الكلام حذف تقديره كمن لا يفعل شيئا من ذلك كما يدل عليه السياق وقيل الرحمة هنا المغفرة وقيل الجنة وهذا يدل على ان جانب الرجاء اكمل واولى ان ينسب الى الله تعالى وعن ابن عمر انه تلا هذه الآية وقال ذاك عثمان بن عفان وفي لفظ نزلت في عثمان بن عفان وعن

ابن عباس قال نزلت في عمار بن ياسر واخرج الترمذي والنسائي وابن ماجة عن انس قال دخل رسول
الله صلى الله عليه وسلم على رجل وهو في الموت فقال كيف تجدك قال ارجو الله واخاف ذنوبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن الا اعطاه الله الذي يرجو وامنه الذي يخاف اخرجوه
من طريق سيار بن حاتم عن جعفر بن سليمان عن ثابت عن انس قال الترمذي غريب وقد رواه
بعضهم عن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا ثم امر الله سبحانه رسوله ان يقول لهم قولا اخر يتبين
به الحق من الباطل فقال قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ ان ما وعد الله به من البعث والثواب
والعقاب حق وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ذلك او الذين يعلمون ما انزل الله على رسله والذين لا يعلمون
ذلك او المراد العلماء والجهال ومعلوم عند كل من له عقل انه لا استواء بين العلم والجهل
ولا بين العالم والجاهل قال الزجاج اي كما لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون كذلك لا يستوي
المطيع والعاصي وقيل المراد بالذين يعلمون هم العاملون بعلمهم فانهم المنتفعون به لان من لم
يعمل بمنزلة من لم يعلم وقيل افتتح الله الاية بالعمل وختمها بالعلم لان العمل من باب المجاهدات والعلم
من باب المكاشفات وهو النهاية فاذا حصل للانسان دخل له على كماله وفضله إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو
الْأَلْبَابِ اي انما يتعظ بوعظ الله ويتدبر ويتفكر فيه اصحاب العقول الصافية والقلوب النيرة وهم
المؤمنون لا الكفار فانهم وان زعموا ان لهم عقولا فهي كالعدم وهذه الجملة ليست من جملة الكلام
المامور به بل من جهة الله سبحانه بعد الامر بما ذكر من القوارع الزاجرة عن الكفر والمعاصي لبيان
عدم تاثيرها في قلوب الكفرة لاختلال عقولهم قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لما نفى سبحانه
المساواة بين من يعلم وبين من لا يعلم وبين انه انما يتذكر اولو الالباب امر رسوله صلى الله عليه وسلم بان
يامر المؤمنين من عباده بالثبات على تقواه والايمان به والمعنى يا ايها الذين صدقوا بتوحيد الله اتقوا
ربكم بطاعته واجتناب معاصيه وامتثال اوامره واخلاص الايمان له ونفي الشركاء عنه والمراد قل
لهم قولي هذا بعينه ثم لما امر الله سبحانه المؤمنين بالتقوى بين لهم ما في هذه التقوى من الفوائد فقال
لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا اي عملوا الاعمال الحسنة فِي هَذِهِ الدُّنْيَا على وجه الاخلاص حَسَنَةٌ عظيمة وهي الجنة
وقوله في هذه الدنيا متعلق باحسنوا وقيل بحسنة على انه بيان لمكانها فيكون المعنى للذين احسنوا
في العمل حسنة في الدنيا بالصحة والعافية والظفر والغنيمة والاول اولى ثم لما كان بعض العباد قد يتعسر

ع٩

عليه فعل الطاعات والاحسان في وطنه ارشده الله سبحانه من كان كذلك الى الهجرة فقال وارض
الله واسعة وبلاده كثيرة فليهاجر الى حيث تمكنه طاعة الله والعمل بما امر به والترك لما نهي عنه
كما هو سنة الانبياء والصالحين فانه لا عذر له في التفريط اصلا ومثل ذلك قوله سبحانه الم تكن
ارض الله واسعة فتهاجروا فيها وقد مضى الكلام في الهجرة مستوفى في سورة النساء وقيل المراد بالارض الواسعة
هنا ارض الجنة رغبهم في سعتها وسعة نعيمها كما في قوله جنة عرضها السموات والارض والجنة قد
تسمى ارضا قال تعالى وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء و
الاول اولى وقيل ارتحلوا من مكة وتحولوا الى بلاد اخر واقتدوا بالانبياء والصالحين في مهاجرتهم الى
غير بلادهم ليزدادوا احسانا الى احسانهم وطاعة الى طاعتهم وفيه حث على الهجرة من البلد الذي
يظهر فيه المعاصي وقيل من امر بالمعاصي في بلد فليهرب منه ثم لما بين سبحانه ما للمحسنين اذا احسنوا او
كان لابد في ذلك من الصبر على فعل الطاعة وعلى كف النفس عن الشهوات اشار الى فضيلة الصبر وعظيم
مقداره فقال إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ على مفارقة اوطانهم وعشائرهم وعلى غيرها من تجرع الغصص
واحتمال البلايا في طاعة الله وازدياد الخير أَجْرَهُمْ في مقابلة صبرهم وما كابدوه من العسر
بِغَيْرِ حِسَابٍ اي بما لا يقدر على حصره حاصر ولا يستطيع حسبانه حاسب وان كان معلوما محصيا
عند الله قال عطاء بما لا يهتدي اليه عقل ولا وصف وقال مقاتل اجرهم الجنة وارزاقهم فيها بغير حساب
وايثار الصابرين على المتقين للايذان بانهم حائزون لفضيلة الصبر كحيازتهم لفضيلة الاحسان لما
اشير اليه من استلزام التقوى مع ما فيه من زيادة حث على المصابرة والمجاهدة في تحمل مشاق الهجرة
والحاصل ان الاية تدل على ان ثواب الصابرين واجرهم لا نهاية له لان كل شيء يدخل تحت الحساب
فهو متناه وما كان لا يدخل تحت الحساب فهو غير متناه وهذه فضيلة عظيمة ومثوبة جليلة
تقتضي ان كل راغب في ثواب الله وطامع فيما عنده من الخير ان يتوفر على الصبر ويزم نفسه بزمامه
ويقيدها بقيده فان الجزع لا يرد قضاء قد نزل ولا يجلب خيرا قد سلب ولا يدفع مكروها قد وقع واذا
تصور العاقل هذا حق تصوره وتعقله حق تعقله علم ان الصابر على ما نزل به قد فاز بهذا الاجر
العظيم وظفر بهذا الخير الخطير وغير الصابر قد نزل به القضاء شاء ام ابى ومع ذلك فانه من الاجر
ما لا يقادر قدره ولا يبلغ مداه فضم الى مصيبته مصيبة اخرى ولم يظفر بغير الجزع وما احسن قول من قال

ومن فوقهم غواش وقوله يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ذلك أي ما تقدم
ذكره من وصف عذابهم في النار وهو مبتدأ وخبره قوله يُخَوِّفُ اللهُ بِهِ عِبَادَهُ المؤمنين أي يحذرهم
بما توعد به الكفار من العذاب ليخافوه فيتقوه وهو معنى يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ أي اتقوا هذه المعاصي
الموجبة لمثل هذا العذاب على الكفار ووجه تخصيص العباد بالمؤمنين أن الغالب في القرآن إطلاق
لفظ العباد عليهم وقيل هو للكفار وأهل المعاصي وقيل هو عام للمسلمين والكفار وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا
الطَّاغُوتَ هو بناء مبالغة في المصدر كالرحموت والعظموت وهو الأوثان والشيطان وقال مجاهد
وابن زيد هو الشيطان وقال الضحاك والسدي هو الأوثان وقيل إنه الكاهن وقيل هو اسم أعجمي
مثل طالوت وجالوت وقيل إنه اسم عربي مشتق من الطغيان إلا أن فيها قلبا بتقديم اللام على
العين فيها مبالغات هي التسمية بالمصدر كأن عين الشيطان طغيان وأن البناء بناء مبالغة وهو
للاختصاص إذ لا تطلق على غير الشيطان قال الأخفش الطاغوت جمع ويجوز أن يكون واحدا مؤنثا
والمعنى أعرضوا عن عبادته وخصوا عبادتهم بالله عز وجل وقوله أَنْ يَعْبُدُوهَا في محل نصب
على البدل من الطاغوت بدل اشتمال كأنه قال اجتنبوا عبادة الطاغوت وقد تقدم الكلام على تفسير
الطاغوت مستوفى في سورة البقرة وَأَنَابُوا إِلَى اللهِ معطوف على اجتنبوا والمعنى رجعوا إليه بالكلية و
أقبلوا على عبادته معرضين عما سواه لَهُمُ الْبُشْرَى بالثواب الجزيل وهو الجنة وهذه البشرى إما على ألسنة الرسل
أو على ألسنة الملائكة عند حضور الموت أو عند البعث أو من الله تعالى لقوله تحيتهم يوم يلقونه سلام
ولا مانع أن يكون من الله ومن الملائكة فإن فضل الله واسع وقيل لهم البشرى في الدنيا بالثناء
عليهم بصالح أعمالهم وعند الوضع في القبر وفي الآخرة عند الخروج من القبر وعند الوقوف للحساب و
عند جواز الصراط وعند دخول الجنة وفي الجنة ففي كل موقف من هذه المواقف تحصل لهم البشارة
بنوع من الخير والراحة والروح والريحان فَبَشِّرْ عِبَادِ المراد بالعباد هنا العموم فيدخل الموصوفون
بالاجتناب والإنابة إليه دخولا أوليا وإنما أتى به ظاهرا ليتوصل لوصفهم بما ذكر الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ
الْقَوْلَ الحق من كتاب الله وسنة رسوله فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أي محكمه ويعملون به قال السدي
يتبعون أحسن ما يؤمرون به فيعملون بما فيه وقيل هو الرجل يسمع الحسن والقبيح فيتحدث
بالحسن وينكف عن القبيح فلا يتحدث به وقيل يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن وقيل يستمعون

الرخص والعزائم فيتبعون العزائم ويتركون الرخص وقيل يأخذون بالعفو ويتركون العقوبة
وعن ابن عمر قال كان سعيد بن زيد وأبو ذر وسلمان يتبعون في الجاهلية أحسن القول والكلام
لا إله إلا الله قالوا بها فأنزل الله على نبيه يستمعون القول فيتبعون أحسنه الآية ثم أثنى الله سبحانه
على هؤلاء المذكورين فقال ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ أي هم الذين
أوصلهم إلى الحق وهم أصحاب العقول الصحيحة لأنهم الذين انتفعوا بعقولهم ولم ينتفع من عداهم بعقولهم
وأخرج ابن مردويه عن أبي سعيد قال لما نزلت فبشر عبادي الذين الآية أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم
مناديا فنادى من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة فاستقبل عمر الرسول صلى الله عليه وسلم فرده فقال
يا رسول الله خشيت أن يتكل الناس فلا يعملون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو يعلم الناس قدر
رحمة ربي لاتكلوا ولو يعلمون قدر سخط ربي وعقابه لاستصغروا أعمالهم وهذا الحديث أصله في
الصحيح من حديث أبي هريرة وفي الآية إشارة إلى إيثار الاتباع وترك التقليد لأن الله قد أثنى على
المتبعين بكونهم مهتدين وسماهم أولي الألباب ولم يثن على التقليد ولا على أهله في موضع من القرآن
الكريم بل ذمه وذمهم في غير موضع كما تقدم مرارا ثم ذكر سبحانه من سبقت له الشقاوة وحرم
السعادة فقال ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾ من هذه موصولة في محل رفع على الابتداء وخبرها
محذوف أي كمن يخاف أو فأنت تخلصه أو تتأسف عليه أو شرطية وجوابه قوله ﴿أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي
النَّارِ﴾ فالفاء فاء الجواب دخلت على جملة الجزاء وأعيدت الهمزة الإنكارية لتأكيد معنى الإنكار وقال
سيبويه إنه كرر الاستفهام لطول الكلام وقال الفراء المعنى أفأنت تنقذ من حقت عليه كلمة العذاب
والمراد بها قوله تعالى لإبليس لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين وقوله لمن تبعك منهم لأملأن
جهنم منكم أجمعين وقيل قوله هؤلاء في النار ولا أبالي ومعنى الآية التسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
لأنه كان حريصا على إيمان قومه فأعلمه الله أن من سبق عليه القضاء وحقت عليه كلمة الله لا يقدر
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينقذه من النار بأن يجعله مؤمنا قال عطاء يريد أبا لهب وولده ومن تخلف
من عشيرة النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان وفي الآية مجاز بإطلاق المسبب وإرادة السبب وتنبيه على أن المحكوم
عليه بالعذاب بمنزلة الواقع في النار وأن اجتهاده في دعائهم إلى الإيمان سعي في إنقاذهم من النار وأصل
الكلام أفأنت تهدي من هو منغمس في الضلال فوضع النار موضع الضلال ووضع السبب موضع المسبب

لقوة امره ثم عقب المجاز بما يناسبه من قوله تنقذ بدل تهدي فهو ترشيح ولما ذكر سبحانه فيما سبق
ان لاهل الشقاوة ظللا من فوقهم من النار ومن تحتهم ظللا استدرك عنهم من كان من اهل
السعادة فقال لكن الذين اتقوا ربهم وهم الذين خوطبوا بقوله يا عباد فاتقون ووصفوا بما عدد من
الصفات الفاضلة وهم المخاطبون ايضا فيما سبق بقوله يا عبادي الذين امنوا اتقوا ربكم الاية
وقيل لكن ليست للاستدراك لانه لم يأت قبله نفي بل هو اضراب عن قصة الى قصة مخالفة للاولى
لهم غرف من فوقها غرف اي منازل في الجنة رفيعة فوقها منازل هي ارفع منها وذلك لان
الجنة درجات بعضها فوق بعض وقوله لهم غرف في معنى وعدهم الله بذلك وعدا لا يخلفه وانها
مبنية بناء المنازل في احكام اساسها وقوة بنائها وان كانت منازل الدنيا ليست بشيء بالنسبة
اليها تجري من تحتها الانهار اي من تحت تلك الغرف الفوقانية والتحتانية وفي ذلك كمال بهجتها و
زيادة لرونقها وانتصاب وعد الله على المصدرية المؤكدة لمضمون الجملة لان قوله لهم غرف في معنى
وعدهم الله ذلك وجملة لا يخلف الله الميعاد مقررة للوعد اي لا يخلف الله ما وعد به الفريقين من
الخير والشر عن ابي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اهل الجنة يتراءون
اهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري الغابر في الافق من المشرق او المغرب لتفاضل ما بينهم فقالوا
يا رسول الله تلك منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا
المرسلين متفق عليه ولما ذكر سبحانه الجنة ووصفها بوصف يوجب الرغبة والشوق اليها اتبعه بذكر
الدنيا ووصفها بوصف يوجب الرغبة عنها والنفرة منها فذكر تمثيلا لها في سرعة زوالها وقرب
اضمحلالها مع ما في ذلك من ذكر نوع من انواع قدرته الباهرة وصنعه البديع فقال الم تر ان الله
انزل من السماء ماء اي من السحاب مطرا فسلكه ينابيع اي عيونا ومسالك ومجاري وركايا في
الارض اي فادخله واسكنه فيها كالعروق في الجسد والينابيع جمع ينبوع من نبع الماء ينبع والينبوع
عين الماء والامكنة التي ينبع منها الماء من خلال الارض او نفس الماء الجاري والمعنى ادخل الماء النازل
من السماء في الارض وجعله فيها عيونا جارية او جعله في ينابيع اي في امكنة ينبع منها الماء فهو على
الوجه الثاني منصوب بنزع الخافض قال مقاتل فجعله ركايا وعيونا في الارض وقال ابن عباس ما في
الارض ماء الا نزل من السماء ولكن عروق في الارض تغيره فذلك قوله فسلكه ينابيع في الارض فمن سره ان يعود

الملح عن باقليصعد ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ اي بذلك الماء من الارض وصيغة المضارع لاستحضار الصورة زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ من اصفر واخضر وابيض واحمر او من بر وشعير وغيرهما اذا كان المراد بالالوان الاصناف وشمل لفظ الزرع جميع ما يستنبت حتى البقلات ثُمَّ يَهِيجُ اي يجف وييبس يقال هاج النبت يهيج هيجا اذا تم جفافه وحان له ان ينتشر عن منبته قال الجوهري يقال هاج النبت هياجا اذا يبس وارض هايجة يبس بقلها او اصفر واهاجت الريح النبت ايبسته قال المبرد قال الاصمعي يقال هاجت الارض تهيج اذا ادبر نبتها وولى قال وكذلك هاج النبت فَتَرَاهُ بعد خضرته ونضارته وحسن رونقه مُصْفَرًّا قد ذهبت خضرته وزالت نضارته ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا اي متفتتا متكسرا من تحطم العود اذا تفتت من اليبس ويقال للدابة اذا اسنت حطمة ويتعدى بالحركة فيقال حطمته حطما من باب ضرب فانحطم وحطمته بالتشديد مبالغة قرء الجمهور ثم يجعله بالرفع عطفا على ما قبله وقرئ بالنصب باضمار ان ولا وجه لذلك إِنَّ فِي ذَٰلِكَ المذكور من الافعال الخمسة التي اولها انزل لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ اي لتذكيرا لاهل العقول الصحيحة فانهم الذين يتعقلون الاشياء على حقيقتها فيتفكرون ويعتبرون ويعلمون بان الحيوة الدنيا حالها كحال هذا الزرع في سرعة التصرم وقرب التقضي وذهاب بهجتها وزوال رونقها ونضارتها فاذا انتج لهم التفكر والاعتبار العلم بذلك لم يحصل منهم الاغترار بها والميل اليها وايثارها على دار النعيم الدائم والحياة المستمرة واللذة الخالصة ولم يبق معهم شك في ان الله قادر على البعث والحشر لان من قدر على هذا اقدر على ذلك وقيل هو مثل ضربه الله للقران ولصدور من في الارض والمعنى انزل من السماء قرانا فسلكه في قلوب المؤمنين ثم يخرج به دينا بعضه افضل من بعض فاما المؤمن فيزداد ايمانا ويقينا واما الذي في قلبه مرض فانه يهيج كما يهيج الزرع وهذا بالتغيير اشبه منه بالتفسير ثم لما ذكر سبحانه ان في ذلك لذكرى لاولي الالباب ذكر شرح الصدر للاسلام لان الانتفاع الكامل لا يحصل الا به فقال أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ اي وسعه لقبول الحق وفتحه للاهتداء الى سبيل الخير قال السدي وسع صدره للاسلام للفرح به والطمانينة اليه وشرح الصدر للاسلام عبارة عن تكميل الاستعداد له فانه محل للقلب الذي هو منبع الروح التي تتعلق بها النفس القابل للاسلام فانشراحه مستتبع لانشراح القلب والكلام في الهمزة والفاء كما تقدم في افمن حق ومن مبتدء وخبرها محذوف تقديره كمن قسي قلبه وطبع الله عليه وحرج صدره فلم يهتد ودل على هذا الخبر المحذوف قوله

فويل للقاسية قلوبهم والمعنى أفمن وسع الله صدره للإسلام فقبله واهتدى بهديه قال ابن
عباس من شرح الله صدره للإسلام أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وأخرج ابن مردويه عن ابن
مسعود قال تلا النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية قلنا يا نبي الله كيف انشراح صدره قال إذا دخل النور القلب
انشرح وانفسح قلنا فما علامة ذلك يا رسول الله قال الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور
والتأهب للموت قبل نزول الموت وأخرج ابن مردويه عن محمد بن كعب القرظي مرفوعاً مرسلاً وأخرج الحكيم
الترمذي في نوادر الأصول عن ابن عمر أن رجلاً قال يا نبي الله أي المؤمنين أكيس قال أكثرهم ذكراً للموت
وأحسنهم له استعداداً وإذا دخل النور في القلب انفسح واستوسع فقالوا ما آية ذلك يا نبي الله قال
الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت وأخرجه عن أبي جعفر
عبد الله بن المسور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه وزاد فيه ثم قرأ أفمن شرح الله صدره للإسلام
فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ أي فهو بسبب ذلك الشرح على بيان وبصيرة ويقين وهداية من ربه يفيض
عليه كمن قسي قلبه لسوء اختياره فصار في ظلمات الضلالة وبليات الجهالة قال قتادة النور كتاب الله به
يأخذ وإليه ينتهي قال الزجاج تقدير الآية أفمن شرح الله صدره كمن طبع على قلبه فلم يهتد لقسوته فويل
لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ قال الفراء والزجاج أي عن ذكر الله كما تقول اتخمت عن طعام أكلته
ومن طعام أكلته والمعنى أنه غلظ قلبه وجفا عن قبول ذكر الله والقسوة جمود وصلابة تحصل في
القلب يقال قسي القلب إذا صلب وقلب قاس أي صلب لا يرق ولا يلين وقيل المعنى من أجل ذكره الذي من
حقه أن تنشرح له الصدور وتطمئن به القلوب والمعنى أنه إذا ذكر الله اشمأزوا والأول أولى ويؤيد قراءة
من قرأ عن ذكر الله أي إذا ذكر الله عندهم أو آياته ازدادت قلوبهم قساوة كقوله فزادتهم رجساً إلى
رجسهم وقيل إن النفس إذا كانت خبيثة الجوهر كدرة العنصر بعيدة عن قبول الحق فإن سماعها لذكر
الله لا يزيدها إلا قسوة وكدورة كحر الشمس يلين الشمع ويعقد الملح فكذلك القرآن يلين قلوب المؤمنين
عند سماعه ولا يزيد الكافرين إلا قسوة قال مالك بن دينار ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة
القلب وما غضب الله تعالى على قوم إلا نزع منهم الرحمة وأخرج الترمذي وابن مردويه وابن شاهين في
الترغيب في الذكر والبيهقي في الشعب عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكثروا الكلام بغير ذكر
الله فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب وإن أبعد الناس من الله القلب القاسي والإشارة بقوله

أولئك أي القاسية قلوبهم في ضلال مبين أي غواية ظاهرة واضحة ثم ذكر سبحانه بعض أوصاف
كتابه العزيز فقال الله نزل أحسن الحديث يعني القرآن الذي فيه مندوحة عن سائر الأحاديث
وسماه حديثاً لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحدث به قومه ويخبرهم بما ينزل عليه منه وفيه بيان أن أحسن
القول المذكور سابقاً هو القرآن وفي إيقاع الاسم الشريف مبتدأ وبناء نزل عليه تفخيم لشأن أحسن الحديث
والوصف بهذا لوجهين أحدهما من جهة اللفظ لأن القرآن من أفصح الكلام وأجزله وأبلغه وليس هو
من جنس الشعر ولا من جنس الخطب والرسائل بل هو نوع يخالف الكل في أسلوبه والثاني من جهة المعنى
لأنه كتاب منزه عن التناقض والاختلاف مشتمل على أخبار الماضين وقصص الأولين وعلى أخبار الغيوب
الكثيرة وعلى الوعد والوعيد والجنة والنار وغير ذلك كتاباً بدل من أحسن الحديث أو حال منه
متشابهاً صفة لكتاباً أي يشبه بعضه بعضاً في الحسن والإحكام وصحة المعاني وقوة المباني وبلوغه إلى
أعلى درجات البلاغة والدلالة على المنافع العامة وقال قتادة يشبه بعضه بعضاً في الآي والحروف وقيل
يشبه كتب الله المنزلة على أنبيائه عن ابن عباس قال قالوا يا رسول الله لو حدثتنا فنزل الله نزل أحسن الحديث
الآية مثاني صفة أخرى لكتاباً وهو جمع مثنى أو مثنى وأنه من التثنية بمعنى التكرير أي تثنى فيه القصص
وتتكرر فيه المواعظ والأحكام وقيل يثنى في التلاوة فلا يمل سامعه ولا يسأم قاريه قرأ الجمهور مثاني بفتح
الياء وقرئ بسكونها تخفيفاً واستثقالاً لتحريكها أو على أنها خبر مبتدأ محذوف أي هو مثاني قال
ابن عباس القرآن كله مثاني وعنه قال القرآن يشبه بعضه بعضاً ويرد بعضه إلى بعض وعنه قال كتاب
الله مثاني ثني فيه الأمر مراراً وصح وصف الواحد بالجمع لأن الكتاب جملة ذات تفاصيل وتفاصيل الشيء هي
جملته لا غير ألا ترى أنك تقول القرآن أسباع وأخماس وسور وآيات فكذلك تقول أحكام وأقاصيص و
مواعظ مكررات ونظيره قولك الإنسان عروق وعظام وأعصاب أو منصوب على التمييز من متشابهاً
كما تقول رأيت رجلاً حسناً شمائل والمعنى متشابهة مثانيه قال الرازي في تبيين معنى مثاني أن أكثر الأشياء
المذكورة في القرآن متكررة زوجين زوجين مثل الأمر والنهي والعام والخاص والمجمل والمفصل وأحوال السموات
والأرض والجنة والنار والنور والظلمة واللوح والقلم والملائكة والشياطين والعرش والكرسي والوعد
والوعيد والرجاء والخوف والمقصود من ذلك البيان أن كل شيء ما سوى الحق زوج وأن الفرد الأحد الحق
هو الله ولا يخفى ما في كلامه هذا من التكلف والبعد عن مقصود التنزيل تقشعر منه جلود الذين

تَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ اي تضطرب وتتحرك شدة تشمئز صفة لكتاب او حال منه وان كان نكرة فقد خصص
بالصفة او مستأنفة لبيان ما يحصل عند سماعه من التأثر لسامعيه والاقشعرار التقبض يقال اقشعر
جلده اذا انقبض وتجمع من الخوف ووقف شعره ومنه القشعريرة والمعنى انها تاخذهم منه قشعريرة
قال الزجاج اذا ذكرت آيات العذاب اقشعرت جلود الخائفين لله وهي تغير يحدث في جلد الانسان
عند ذكر الوعيد والوجل والخوف وقيل المراد بالجلود القلوب والاول اولى لذكرها فيما بعد قال الواحدي
وهذا قول جميع المفسرين وقيل المعنى ان القرآن لما كان في غاية الجزالة والبلاغة فكانوا اذا رأوا
عجزهم عن معارضته اقشعرت الجلود منه اعظاما له وتعجبا من حسنه وبلاغته عن عبد الله بن الزبير
قال قلت لجدتي اسماء كيف كان يصنع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرؤا القرآن قالت كانوا كما
نعتهم الله تدمع اعينهم وتقشعر جلودهم قلت فان ناسا ههنا اذا سمعوا ذلك تاخذهم عليه غشية
قالت اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ عدي تلين بالى
لتضمينه فعلا يتعدى بها كانه قيل سكنت واطمأنت الى ذكر الله لينة غير منقبضة ومفعول ذكر الله
محذوف والتقدير الى ذكر الله رحمته وثوابه وجنته وحذف للعلم به قال بعض العارفين اذا نظروا الى عالم
الجلال طاشوا واذا لاح لهم عالم الجمال عاشوا قال قتادة هذا نعت اولياء الله نعتهم بانها تقشعر جلودهم
وتطمئن قلوبهم الى ذكر الله ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم انما ذلك في اهل البدع وهو
من الشيطان وروي ان ابن عمر مر برجل من اهل العراق ساقط فقال ما بال هذا قالوا انه اذا قرئ
عليه القرآن او سمع ذكر الله سقط فقال ابن عمر انا لنخشى الله وما نسقط وعنه قال ان الشيطان يدخل
في جوف احدهم ما كان هذا صنيع اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وذكر عند ابن سيرين الذين يصرعون
اذا قرئ عليهم القرآن فقال بيننا وبينهم ان يقعد احدهم على ظهر بيت باسطا رجليه ثم يقرئ
عليه القرآن من اوله الى آخره فان رمى بنفسه فهو صادق وذكرت الجلود وحدها اولا ثم
قرنت بها القلوب ثانيا لان محل الخشية القلب فكان ذكرها يتضمن ذكر القلوب وقيل ان المكاشفة
في مقام الرجاء اكمل منها في مقام الخوف لان الخير مطلوب بالذات والخوف ليس بمطلوب واذا حصل الخوف
اقشعر منه الجلد واذا حصل الرجاء اطمأن اليه القلب ولان الجلد ذَلِكَ الكتاب الموصوف بتلك الصفات
هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ ان يهديه من عباده وقيل الاشارة الى ما وهبه الله لهؤلاء من خشية عذابه ورجاء

ثوابه وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ اي يجعل قلبه مظلما قاسيا غير قابل للحق فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ يهديه الى الحق ويخلصه من الضلال قرء الجمهور من هاد بغير ياء وقرئ بالياء ثم لما حكم على القاسية قلوبهم بحكم في الدنيا وهو الضلال حكم عليهم في الآخرة بحكم آخر وهو العذاب فقال أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ الاستفهام للانكار وقد تقدم الكلام فيه وفي هذه الفاء الداخلة على من في قوله افمن حق عليه الخ ومن مبتدأ والخبر محذوف لدلالة المقام عليه والمعنى افمن شانه ان يقي نفسه بوجهه الذي هو اشرف اعضائه سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لكون يده قد صارت مغلولة الى عنقه كمن هو آمن لا يعتريه شيء من ذلك ولا يحتاج الى الاتقاء قال الزجاج المعنى افمن يتقي بوجهه سوء العذاب كمن يدخل الجنة قال عطاء وابن زيد يرمى به مكتوفا في النار فاول شيء تمس النار منه وجهه وقال ابن عباس ينطلق به الى النار مكتوفا ثم يرمى به فيها فاول ما يمس وجهه النار وقال مجاهد يجر على وجهه في النار قال الاخفش المعنى افمن يتقي بوجهه سوء العذاب افضل ام من سعد مثل قوله تعالى افمن يلقى في النار خير ام من يأتي آمنا يوم القيامة ثم اخبر سبحانه عما يقوله الخزنة للكفار فقال وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ وهو معطوف على يتقي اي ويقال لهم وجاء بصيغة الماضي للدلالة على التحقيق ووضع الظاهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالظلم والاشعار بعلة الامر في قوله ذوقوا قال عطاء اي جزاء ما كنتم تعملون ومثل هذه الآية قوله هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون وقد تقدم الكلام على معنى الذوق في غير موضع ثم اخبر سبحانه عن حال من قبلهم من الكفار فقال كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ اي من قبل الكفار المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم والمعنى انهم كذبوا رسلهم فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ اي من جهة لا يحتسبون اتيان العذاب منها وذلك عند امنهم وغفلتهم عن عقوبة الله لهم بتكذيبهم فَأَذَاقَهُمُ اللهُ الْخِزْيَ اي الذل والهوان فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بالمسخ والخسف والقتل والاسر والجلاء وغير ذلك وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لكونه في غاية الشدة مع دوامه لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ اي لو كانوا ممن يعلم الاشياء ويتفكر فيها ويعمل بمقتضى علمه لآمنوا وما كذبوا قال المبرد يقال لكل ما نال الجارحة من شيء قد ذاقته اي وصل اليها كما تصل الحلاوة والمرارة الى الذائق لهما قال والخزي المكروه وَلَقَدْ اللام موطئة للقسم ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ اي جعلنا واوضحنا وبينا مِنْ كُلِّ مَثَلٍ قد قدمنا تحقيق المثل وكيفية ضربه في غير موضع ومعنى من كل مثل ما يحتاجون اليه في امر دينهم وليس المراد ما هو اعم من ذلك فهو هنا

قف لازم

كما في قوله ما فرطنا في الكتاب من شيء اي من شيء يحتاجون اليه في امر دينهم وقيل المعنى ما ذكرنا
من اهلاك الامم السالفة مثل لهؤلاء لعلهم يتذكرون يتعظون فيعتبرون قرآنا عربيا حال
مؤكدة من هذا وتسمى هذه حالا موطية لان الحال في الحقيقة هو عربيا وقرآنا توطية له نحو جاءني زيد
رجلا صالحا كذا قال الاخفش ويجوز ان ينتصب على المدح قال الزجاج عربيا منتصب على الحال وقرآنا توكيد
غير ذي عوج اي لا اختلاف فيه بوجه من الوجوه قال الضحاك اي غير مختلف قال النحاس احسن ما قيل
في معناه قول الضحاك وقيل غير متضاد وقيل غير ذي لبس وقيل غير ذي لحن وقيل غير ذي شك
كما قال الشاعر وقد اتاك يقين غير ذي عوج من الاله وقول غير مكذوب وقال ابن عباس غير
مخلوق وقيل معناه صحيح مستقيم يفهم ولا يلتبس بخلافه من الباطل لعلهم يتقون علة اخرى بعد
العلة الاولى وهي لعلهم يتذكرون اي لكي يتقوا الكفر والكذب فالاول سبب في الثاني ثم ذكر سبحانه
مثلا من الامثال القرآنية للتذكير والايقاظ فقال ضرب الله مثلا اي تمثيل حالة التعجيبة باخرى مثلها واضرب
يا محمد لقومك مثلا ثم بين المثل فقال رجلا فيه شركاء متشاكسون قال الكسائي نصب رجلا لانه
تفسير للمثل وقيل منصوب بنزع الخافض اي ضرب الله مثلا برجل وقيل ان رجلا هو المفعول الاول ومثلا هو
المفعول الثاني واخر المفعول الاول ليتصل بما هو من تمامه وقد تقدم تحقيق هذا في سورة يس وجملة
فيه شركاء في محل نصب صفة لرجلا والتشاكس التخالف واصله سوء الخلق وعسره وهو سبب التخالف
والتشاجر ويقال التشاخص بالخاء المعجمة قال الفراء اي مختلفون وقيل متنازعون قال المبرد متعاسرون
من شكس يشكس شكسا فهو شكس مثل عسر يعسر عسرا فهو عسر وشكس بكسر الكاف هو القياس
قال الجوهري التشاكس الاختلاف قال ويقال رجل شكس بالتسكين اي صعب الخلق وهذا مثل من اشرك بالله
وعبد الهة كثيرة ثم قال ورجلا سلما لرجل اي خالصا له وهذا مثل من يعبد الله وحده قرأ الجمهور سلما
بفتح السين واللام وقرئ بكسر السين وسكون اللام وقرأ ابن عباس ومجاهد والجحدري وابن كثير ويعقوب
سالما اسم فاعل من سلم له فهو سالم واختارها ابو عبيد قال لان السالم الخالص ضد المشترك والسلم ضد
الحرب ولا موضع للحرب ههنا واجيب عنه بان الحرف اذا كان له معنيان لم يحمل الا على اولاهما فالسلم وان
كان ضد الحرب فله معنى اخر بمعنى سالم من سلم له كذا اذا خلص له وايضا يلزمه في سالم ما الزم به
لانه يقال شيء سالم اي لا عاهة به واختار ابو حاتم القراءة الاولى والحاصل ان قراءة الجمهور هي على الوصف

بالمصدر للمبالغة او على حذف مضاف اي ذا سلم ومثلها قراءة سعيد بن جبير ومن معه قال ابن عباس
رجلا سلما اي ليس لاحد فيه شيء ثم جاء سبحانه بما يدل على التفاوت بين الرجلين فقال هَلْ يَسْتَوِيَانِ
مَثَلًا وهذا الاستفهام للانكار والاستبعاد والمعنى هل يستوي هذا الذي يخدم جماعة شركاء اخلاقهم
مختلفة ونياتهم متباينة يستخدمه كل واحد منهم فيتعب وينصب مع كون كل واحد منهم غير راض بخدمته
وهذا الذي يخدم واحدا لا ينازعه غيره اذا اطاعه رضي عنه واذا عصاه عفى عنه فان بين هذين من
الاختلاف الظاهر الواضح ما لا يقدر عاقل ان يتفوه باستوائهما لان احدهما في اعلى المنازل والاخر في ادناها
وانتصاب مثلا على التمييز المحول عن الفاعل لان الاصل هل يستوي مثلهما اي حالهما وصفتهما وافرد التمييز
ولم يثنه لان الاصل في التمييز الافراد لكونه مبينا للجنس وقال السمين وافرد التمييز لانه مقتصر عليه اولا في قوله
ضرب الله مثلا وقرئ مثلين فطابق حالي الرجلين وجملة اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ مقررة لما قبلها من نفي الاستواء بطريق
الاعتراض وللايذان للموحدين بما في توحيدهم لله من النعمة العظيمة المستحقة لتخصيص الحمد به اي الحمد
لله على عدم استواء هذين الرجلين وقيل الجملة اعتراضية فاذ قوله بَلْ اَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُوْنَ اضراب
انتقالي مرتبط بقوله هل يستويان من بيان عدم الاستواء على الوجه المذكور الى بيان ان اكثر الناس وهم
المشركون فانهم لا يعلمون ذلك مع كمال ظهوره ووضوحه فيقعون في ورطة الشرك والضلال قال الواحدي
والبغوي والمراد بالاكثر الكل والظاهر خلاف ما قالاه فان المؤمنين بالله يعلمون ما في التوحيد من رفعة شانه
وعلو مكانه وان الشرك لا يماثله بوجه من الوجوه ولا يساويه في وصف من الاوصاف ويعلمون ان الله سبحانه
يستحق الحمد على هذه النعمة وان الحمد مختص به ثم اخبر سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم بان الموت يدركه ويدركهم
لا محالة فقال اِنَّكَ مَيِّتٌ وَّاِنَّهُمْ مَّيِّتُوْنَ وذلك انهم كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم الموت
فاخبر ان الموت يعمهم جميعا فلا معنى للتربص وشماتة الفاني بالفاني وهذا تمهيد لما يعقبه من الخصام يوم
القيامة قرأ الجمهور ميت وميتون بالتشديد وقرئ مائت ومائتون وبها قرأ عبد الله ابن الزبير وقد استحسن
هذه القراءة بعض المفسرين لكون موته وموتهم مستقبلا ولا وجه للاستحسان فان قراءة الجمهور تفيد
هذا المعنى قال الفراء والكسائي الميت بالتشديد من لم يمت وسيموت والميت بالتخفيف من قد مات وفارقته الروح
قال الخليل انشد ابو عمرو * وتسألني تفسير ميت وميت * فدونك قد فسرت ان كنت تعقل * فمن كان ذا
روح فذلك ميت * وما الميت الا من الى القبر يحمل * وقال السمين ولا خلاف بين القراء في تثقيل مثل هذا اذا لم

قتادة نعيت الى النبي صلى الله عليه وسلم نفسه ونعيت اليهم انفسهم ووجه هذا الاخبار الاعلام للصحابة بانه يموت فقد كان بعضهم يعتقد انه لا يموت مع كون فيه توطية وتمهيد لما بعدة اخرج النسائي وغيره عن ابن عمر قال لقد لبثنا برهة من دهرنا ونحن نرى ان هذه الاية نزلت فينا وفي اهل الكتابين من قبلنا حتى رايت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفت انها نزلت فينا **ثُمَّ إِنَّكُمْ** ايها الناس جميعا مؤمنكم وكافركم **يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ** فيما بينكم من المظالم قيل يعني المحق والمبطل وقيل تخاصمهم يا محمد وتحتج عليهم بانك قد بلغتهم وانذرتهم وهم يخاصمونك او يخاصم المؤمن الكافر والظالم المظلوم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كان عندة مظلمة لاخيه من عرض او مال فليتحلله اليوم قبل ان لا يكون دينار ولا درهم ان كان له عمل صالح اخذ منه بقدر مظلمته وان لم يكن له حسنات اخذ من سيئات صاحبه فحملت عليه رواه البخاري وعنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم ولا متاع له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المفلس من ياتي يوم القيامة بصلوة وزكوة وصيام وياتي قد شتم هذا وقذف هذا واكل مال هذا او سفك دم هذا او ضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضى ما عليه اخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار اخرجه مسلم وعن ابن عمر قال نزلت علينا هذه الاية وما ندري ما تفسيرها حتى وقعت الفتنة فقلنا هذا الذي وعدنا ربنا ان نختصم فيه وعن الزبير بن العوام قال لما نزلت انك ميت الى قوله تختصمون قلت يا رسول الله ايكرر علينا ما يكون بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب قال نعم ليكررن عليكم ذلك حتى يؤدى الى كل ذي حق حقه قال الزبير فوالله ان الامر لشديد اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وعن ابي سعيد الخدري قال لما نزلت هذه الاية كنا نقول ربنا واحد وديننا واحد ونبينا واحد فما هذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا نعم هو هذا وعن ابراهيم لما نزلت هذه الاية قالوا كيف نختصم ونحن اخوان فلما قتل عثمان قالوا هذه خصومتنا ثم بين سبحانه حال كل فريق من المختصمين فقال

فَمَنْ اي لا احد **أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ**

فزعمان له ولدا او شريكا او صاحبة وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ وهو ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعاء الناس الى التوحيد وامرهم بالقيام بفرائض الشرع ونهيهم عن محرماته واخبارهم بالبعث والنشور وما اعد الله للمطيع والعاصي وقوله اذ جاء ظرف لكذب بالصدق اي كذب بالقرآن في وقت مجيئه اي فاجأه بالتكذيب لما سمعه من غير وقفة ولا اعمال روية بتمييز بين حق وباطل كما يفعل اهل النصفة فيما يسمعون ثم استفهم سبحانه استفهاما تقريريا فقال أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ اي أليس لهؤلاء المفترين المكذبين بالصدق والمثوى المقام وهو مشتق من ثوى بالمكان اذا اقام به يثوي ثواء وثويا مثل مضى مضاء ومضيا وحكى ابو عبيد انه يقال اثوى وانكر ذلك الاصمعي وقال لا نعرف اثوى ثم ذكر سبحانه فريق المؤمنين المصدقين فقال وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ الموصول في موضع رفع بالابتداء وهو عبارة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تابعه وقيل الذي جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي صدق به ابوبكر قاله علي بن ابي طالب وعن ابي هريرة مثله وقال مجاهد الذي جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي صدق به علي بن ابي طالب وقال السدي الذي جاء بالصدق جبريل والذي صدق به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قتادة ومقاتل وابن زيد الذي جاء بالصدق النبي صلى الله عليه وسلم والذي صدق به المؤمنون وقال النخعي الذي جاء بالصدق وصدق به هم المؤمنون الذين يجيئون بالقرآن يوم القيامة وقيل ان ذلك عام في كل من دعا الى توحيد الله وارشد الى ما شرعه لعباده واختار هذا ابن جرير وهو الذي اختاره من هذه الاقوال ويؤيده قراءة ابن مسعود والذين جاؤا بالصدق وصدقوا به وقرئ صدق به بالتخفيف اي صدق به الناس قال ابن عباس الذي جاء بالصدق يعني بلا اله الا الله وصدق به يعني برسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الذي جاء بالصدق هو جبريل جاء بالقرآن وصدق به محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الذي جاء بالصدق الانبياء وصدق به الاتباع والكل صحيح قالوا والوجه في العربية ان يكون جاء وصدق لفاعل واحد لان التغاير يستدعي اضمار الذي وذا غير جائز واضمار الفاعل من غير تقدم الذكر وذا بعيد ولفظ الذي كما وقع في قراءة الجمهور وان كان مفردا فمعناه الجمع لانه يراد به الجنس كما يفيده قوله أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ اي المتصفون بالتقوى التي هي عنوان النجاة قال ابن عباس يعني اتقوا الشرك ثم ذكر سبحانه ما لهؤلاء الصادقين المصدقين في الآخرة فقال لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ اي

لهم كل ما يشاؤنه من رفع الدرجات ودفع المضرات وتكفير السيئات وجلب المنافع وفي هذا ترغيب عظيم وتشويق بالغ ذلك اي ما تقدم ذكره من جزائهم وهو مبتدء وخبره جزاء المحسنين اي الذين احسنوا في اعمالهم وقد ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ثم بين سبحانه ما هو الغاية مما لهم عند ربهم فقال ليكفر الله عنهم اسوأ الذي عملوا فان ذلك هو اعظم ما يرجونه من دفع الضرر عنهم لان الله سبحانه اذا غفر لهم ما هو الاسوء من اعمالهم غفر لهم ما دونه بطريقة الاولى واللام متعلقة بيشاؤن او بالمحسنين او بمحذوف قرء الجمهور اسوء على انه افعل تفضيل وقيل ليست للتفضيل بل بمعنى سيء الذي عملوا وبهذا الاعتبار عم الاسوء جميع معاصيهم وقرئ اسواء بالف بين الهمزة والواو بزنة اجمال جمع سواء ولما ذكر الله سبحانه ما يدل على دفع المضار عنهم ذكر ما يدل على جلب اعظم المنافع اليهم فقال ويجزيهم اجرهم باحسن الذي كانوا يعملون اضافة الاحسن الى ما بعده ليست من اضافة المفضل الى المفضل عليه بل من اضافة الشيء الى بعضه قصد الى التوضيح من غير اعتبار تفضيل قال مقاتل يجزيهم بالمحاسن من اعمالهم ولا يجزيهم بالمساوي وعم الاحسن جميع حسناتهم ولولا هذا التاويل لاقتضى النظر انه يكفر عنهم اقبح السيئات فقط ويجزيهم على افضل الحسنات فقط اليس الله بكاف عبده قرء الجمهور بالافراد وقرئ بالجمع فعلى الاولى المراد النبي صلى الله عليه وسلم او الجنس ويدخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم دخولا اوليا وعلى الثانية المراد الانبياء او المؤمنون او الجميع واختار ابو عبيد الاولى لقوله عقبه ويخوفونك والاستفهام للانكار لعدم كفايته سبحانه على ابلغ وجه كانها بمكان من الظهور لا يتيسر لاحد ان ينكره وقيل المراد بالعبد والعباد ما يعم المسلم والكافر قال الجرجاني ان الله كاف عبده المؤمن وعبده الكافر هذا بالثواب وهذا بالعقاب وقرئ بكاف عباده بالاضافة ويكافي بصيغة المضارع وقوله ويخوفونك يجوز ان يكون في محل نصب على الحال اذ المعنى اليس كافيك حال تخويفهم اياك بالذين من دونه هي المعبودات التي يعبدونها قالوا تكف عن شتم الهتنا او ليصيبنك منهم خبل او جنون كان المعنى انه كافيك في كل حال حتى في هذه الحال ويجوز ان تكون مستانفة ومن يضلل الله اي من حق عليه القضاء بضلاله حتى غفل عن كفاية الله لعبده محمد وخوفه بما لا ينفع ولا يضر فما له من هاد يهديه الى الرشد ويخلصه من الضلالة ومن يهد الله فما له من مضل يخرجه من الهداية ويوقعه في الضلالة اليس الله

بِعَزِيزٍ اي غالب لكل شيء قاهر له ذِي انْتِقَامٍ ينتقم من عصاته بما يصبه عليهم من عذابه وما ينزله بهم من سوط عقابه واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتحقيق مضمون الكلام وتربية المهابة وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ لَيَقُوْلُنَّ اللّٰهُ ذكر سبحانه اعترافهم اذا سئلوا عن الخالق بانه الله سبحانه لوضوح البرهان على تفرده بالخالقية مع عبادتهم للاصنام والاوثان واتخاذهم الالهة من دون الله وفي هذا اعظم دليل على انهم كانوا في غفلة شديدة وجهالة عظيمة لانهم اذا علموا ان الخالق لهم ولما يعبدون من دون الله هو الله سبحانه فكيف استحسنت عقولهم عبادة غير خالق الكل وتشريك مخلوق مع خالقه في العبادة وقد كانوا يذكرون بحسن العقول وكمال الادراك والفطنة التامة ولكنهم لما قلدوا اسلافهم واحسنوا الظن بهم هجروا ما يقتضيه العقل وعملوا بما هو محض الجهل ثم امر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم ان يبكتهم بعد هذا الاعتراف ويوبخهم فقال قُلْ اَفَرَاَيْتُمْ مَّا تَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ اِنْ اَرَادَنِيَ اللّٰهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كٰشِفٰتُ ضُرِّهٖۤ اي اخبروني عن آلهتكم هذه هل تقدر على كشف ما اراده الله بي من الضر والضر هو الشدة والبلاء اَوْ اَرَادَنِيْ بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكٰتُ رَحْمَتِهٖ عني بحيث لا تصل الي والرحمة النعمة والرخاء قرء الجمهور كاشفات وممسكات في الموضعين بالاضافة وقرأهما ابو عمرو بالتنوين واختار ابو عبيد وابو حاتم قراءة ابي عمرو لان كاشفات اسم فاعل في معنى الاستقبال وما كان كذلك فتنوينه اجود وبها قرء الحسن وعاصم قال مقاتل لما نزلت هذه الاية سألهم النبي صلى الله عليه وسلم فسكتوا وقال غيره قالوا لا تدفع شيئا من قدر الله ولكنها تشفع فنزل قُلْ حَسْبِيَ اللّٰهُ في جميع اموري في جلب النفع ودفع الضر عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُوْنَ اي عليه لا على غيره يعتمد المعتمدون ثم امر الله سبحانه ان يهددهم ويتوعدهم فقال قُلْ يٰقَوْمِ اعْمَلُوْا عَلٰى مَكَانَتِكُمْ اي على حالتكم التي انتم عليها وتمكنتم منها والمكانة بمعنى المكان فاستعيرت عن العين للمعنى كما يستعار هنا وحيث للزمان وهما للمكان اِنِّيْ عَامِلٌ على حالتي التي انا عليها وتمكنت منها وحذف ذلك للعلم به مما قبله فَسَوْفَ تَعْلَمُوْنَ مَنْ يَّاْتِيْهِ عَذَابٌ يُّخْزِيْهِ اي يهينه ويذله في الدنيا فيظهر عند ذلك انه المبطل وخصمه المحق والمراد بهذا العذاب عذاب الدنيا وما حل بهم من القتل والاسر والقهر والذلة ثم ذكر عذاب الاخرة فقال وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيْمٌ اي دائم مستمر في الدار الاخرة وهو عذاب النار وهو مجاز في الظرف او في الاسناد واصله مقيم فيه صاحبه ثم لما كان تعظيم

الَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُوْنَ بِالْاٰخِرَةِ انتصاب وحده على الحال عند يونس وعلى المصدر عند الخليل و سيبويه والاشمئزاز في اللغة النفور قال ابو عبيدة اشمأزت نفرت وقال المبرد انقبضت وبالاول قال قتادة وبالثاني قال مجاهد والمعنى متقارب وقال المورج انكرت وقال ابو زيد اشمأز الرجل ذعر من الفزع والمناسب للمقام تفسير اشمأزت بانقبضت وهو في الاصل الازورار وكان المشركون اذا قيل لا اله الا الله انقبضوا كما حكاه الله عنهم في قوله واذا ذكرت ربك في القران وحده ولوا على ادبارهم نفورا قال ابن عباس في الاية اشمأزت قست ونفرت قلوب هؤلاء الاربعة الذين لا يؤمنون بالاخرة ابو جهل بن هشام والوليد بن عتبة وصفوان وابي بن خلف وَاِذَا ذُكِرَ الَّذِيْنَ مِنْ دُوْنِهٖٓ اللات والعزى اِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُوْنَ اي يفرحون بذلك ويبتهجون به والعامل في اذا في قوله واذا ذكر الله الفعل الذي بعدها وهو اشمأزت والعامل في اذا في قوله واذا ذكر الذين الخ الفعل العامل في اذا الفجائية والتقدير فاجؤا الاستبشار وقت ذكر الذين من دونه وذلك لفرط افتتانهم بها ونسيانهم حق الله ولقد بالغ في الامرين حتى بلغ الغاية فيهما فان الاستبشار ان يمتلي قلبه سرورا حتى تنبسط له بشرة وجهه والاشمئزاز ان يمتلي غضبا وغما حتى ينقبض اديم وجهه ولما لم يقبل المتمردون من الكفار ما جاءهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدعاء الى الخير وصمموا على كفرهم امره الله سبحانه ان يرد الامر الى الله سبحانه ويلتجئ اليه تعالى بالدعاء لما تحير في امرهم وعجز في عنادهم وشدة شكيمتهم فانه القادر على الاشياء العالم بالاحوال كلها فقال قُلِ اللّٰهُمَّ اصله يا الله عوض عنها الميم لقربها من حروف العلة وشددت لتكون على حرفين كالمعوض عنه ولذا لم يجمع بينهما فلا يقال يا اللهم في فصيح الكلام وما سمع من قوله + اني اذا ما حدث المَّا + اقول يا اللهم يا اللهما ضرورة قاله الكرخي فَاطِرَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ اي مبدعهما عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ اي ما غاب وشوهد وهما منصوبان على النداء اَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيْمَا كَانُوْا فِيْهِ يَخْتَلِفُوْنَ من الهدى والضلالة والمعنى تجازي المحسن باحسانه وتعاقب المسيئ باساءته فانه بذلك يظهر من هو المحق ومن هو المبطل ويرتفع عنده خلاف المختلفين وتخاصم المتخاصمين وقيل هذه محاكمة من النبي للمشركين الى الله تعالى وعن ابن المسيب لا اعرف اية قرئت فدعي عندها الا اجيب سواها وعن الربيع بن خيثم وكان قليل الكلام لما اخبر بقتل الحسين رضي الله عنه وقالوا الآن يتكلم فما زاد ان قال آه او قد فعلوا وقرأ هذه الاية

واخرج مسلم وابو داود والبيهقي في الاسماء والصفات عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا قام من الليل افتتح صلاته اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم
الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك
انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم ثم لما حكى عن الكفار ما حكاه من الاشمئزاز عند ذكر الله
والاستبشار عند ذكر الاصنام ذكر ما يدل على شدة عذابهم وعظم عقوبتهم فقال وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ
ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا اي جميع ما في الدنيا من الاموال والذخائر وَمِثْلَهُ مَعَهُ اي منضما اليه
لَافْتَدَوْا بِهِ اي بالمذكور من الامرين اي لجعلوه فدية لانفسهم مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
اي من سوء عذاب ذلك اليوم وقد مضى تفسير هذا في آل عمران وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا
يَحْتَسِبُونَ اي ظهر لهم من فنون عقوبات الله وسخطه وشدة عذابه ما لم يكن في حسابهم ولا
يحدثون به في نفوسهم وفي هذا وعيد لهم عظيم وتهديد بالغ غاية لا غاية وراءها وقال مجاهد
عملوا اعمالا توهموا انها حسنات فاذا هي سيئات وكذا قال السدي وقال سفيان الثوري ويل لاهل
الرياء ويل لاهل الرياء ويل لاهل الرياء هذه آيتهم وقصتهم وقال عكرمة بن عمار جزع محمد بن المنكدر
عند موته جزعا شديدا فقيل له ما هذا الجزع قال اخاف آية من كتاب الله وبدا لهم من الله ما
لم يكونوا يحتسبون فانا اخشى ان يبدو لي ما لم اكن احتسب وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا اي مساوي
اعمالهم من الشرك وظلم اولياء الله وما تحتمل ان تكون مصدرية اي سيئات كسبهم وان تكون موصولة
اي سيئات الذي كسبوه حين تعرض صحائف اعمالهم وكانت خافية عليهم او عقاب ذلك وَحَاقَ
بِهِمْ اي احاط بهم ونزل بهم مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ من الانذار الذي كان ينذرهم به رسول الله
صلى الله عليه وسلم فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ المراد هنا بالانسان الجنس باعتبار بعض افراده او غالبها وقيل المراد به
الكفار فقط والاول اولى ولا يمنع من حمله على الجنس خصوص سببه لان الاعتبار بعموم اللفظ والفاء
بحق النظم القرآني والفاء بعد لو لا المعنى ان شان غالب نوع الانسان انه اذا مسه ضُرٌّ من مرض او فقر
او غيرهما دَعَانَا وتضرع الينا في رفعه ودفعه ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا اي اعطيناه نعمة كائنة من
عندنا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ مني بوجوه المكاسب او على خير عندي او على علم من الله بفضلي وقيل
ان كان ذلك سعادة في المال او عافية في النفس يقول انما حصل ذلك بجدي واجتهادي

وان كان صحيحا قال انما حصل ذلك بسبب العلاج الفلاني وان حصل ما لا يقول حصل بكسبي
وهذا تناقض ايضا لانه لما كان عاجزا محتاجا اضاف الكل الى الله تعالى وفي حال السلامة والصحة
قطعه عن الله تعالى واسنده الى كسب نفسه وهذا تناقض قبيح وقال الحسن على علم علمني الله اياه و
قيل قد علمت اني اذا اوتيت هذا في الدنيا ان لي عند الله منزلة وجاء في اوتيته بالضمير مذكرا مع كونه
راجعا الى النعمة لانها بمعنى الانعام وقيل ان الضمير عائد الى ما وهي موصولة والاول اولى بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ هذا
رد لما قاله اي ليس ذلك الذي اعطيناك لما ذكرت بل هو محنة لك واختبار لحالك اتشكر ام تكفر قال
الفراء انث الضمير في قوله هي لتانيث الفتنة ولو قال بل هو فتنة لجاز وقيل تانيث الضمير باعتبار لفظ الفتنة
وتذكير الاول في قوله اوتيته باعتبار معناها وقال النحاس بل عطية فتنة وَّلٰكِنَّ اَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُوْنَ
ان ذلك استدراج لهم من الله وامتحان لما عندهم من الشكر او الكفر قَدْ قَالَهَا الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ
اي قال هذه الكلمة التي قالوها وهي قوله انما اوتيته على علم الذين من قبلهم كقارون وغيره فان قارون
قال انما اوتيته على علم عندي وانما نسب اليهم قوله باعتبار رضاهم به فَمَآ اَغْنٰى عَنْهُمْ مَّا كَانُوْا يَكْسِبُوْنَ
ما نافية اي لم يغن عنهم ما كسبوا من متاع الدنيا شيئا او استفهامية اي اي شئ اغنى عنهم ذلك
فَاَصَابَهُمْ سَيِّاٰتُ مَا كَسَبُوْا اي جزاء سيئات كسبهم او اصابهم سيئات هي جزاء كسبهم وسمي
الجزاء سيئات لوقوعها في مقابلة سيئاتهم فيكون ذلك من باب الازدواج والمشاكلة كقوله وجزاء
سيئة سيئة مثلها وفيه رمز الى ان جميع اعمالهم كذلك ثم اوعد سبحانه الكفار في عصره فقال وَالَّذِيْنَ
ظَلَمُوْا مِنْ هٰٓؤُلَآءِ الموجودين من الكفار سَيُصِيْبُهُمْ سَيِّاٰتُ مَا كَسَبُوْا كما اصاب من قبلهم وقد
اصابهم في الدنيا ما اصابهم من القحط والقتل والاسر والقهر والسين للتاكيد وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِيْنَ اي بفائتين
على الله بل مرجعهم اليه يصنع بهم ما شاء من العقوبة اَوَلَمْ يَعْلَمُوْٓا الضمير للقائلين انما اوتيته على علم فالمعنى
اقالوها ولم يعلموا او غفلوا ولم يعلموا اَنَّ اللّٰهَ يَبْسُطُ اي يوسع الرِّزْقَ لِمَنْ يَّشَآءُ ان يوسعه له وان كان لا
حيلة له ولا قوة امتحانا وَيَقْدِرُ اي يقبضه على من يشاء ان يقبضه ويضيقه عليه وان كان قويا شديد
الحيلة ابتلاء وقيل يجعله على قدر قوته قال مقاتل وعظهم الله ليعتبروا في توحيده وذلك حين مطروا بعد
سبع سنين فقال اولم يعلموا ان الله يوسع الرزق لمن يشاء ويقتر على من يشاء فلا قابض ولا باسط الا الله تعالى
ويدل على ذلك انا نرى الناس مختلفين في سعة الرزق وضيقه فلا بد لذلك من حكمة وسبب وذلك المسبب ليس

هو عقل الرجل وجهله فانا نرى العاقل القادر في اشد الضيق والجاهل الضعيف في اعظم السعة إِنَّ
فِي ذَٰلِكَ المذكور من التوسيع والتضييق لَآيَاتٍ اي لدلالات عظيمة وعلامات جليلة لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ
بالله وانما خص المؤمنين لانهم المنتفعون بالآيات المتفكرون فيها ثم لما ذكر سبحانه ما ذكره من
الوعيد عقبه بذكر سعة رحمته وعظيم مغفرته وامر رسوله صلى الله عليه وسلم ان يبشرهم بذلك فقال
قُلْ يَا عِبَادِيَ قرئ باثبات الياء وصلا ووقفا وبغير الياء وهما سبعيتان الَّذِينَ أَسْرَفُوا اي افرطوا
عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ في الكفر والمعاصي واستكثروا منها لَا تَقْنَطُوا بفتح النون وبكسرها اي لا تيأسوا مِن رَّحْمَةِ
اللَّهِ اي من مغفرته وفي هذه الآية من انواع المعاني والبيان اشياء حسنة منها اقباله تعالى عليهم
ونداءهم ومنها اضافتهم اليه اضافة تشريف ومنها الالتفات من التكلم الى الغيبة في قوله من رحمة
الله ومنها اضافة الرحمة لاجل اسمائه الحسنى ومنها اعادة الظاهر بلفظه في قوله الآتي ان الله قاله
السمين وقال عبد الله وغيره هذه الآية ارجى آية في كتاب الله سبحانه لاشتمالها على اعظم بشارة فانه اولا
اضاف العباد الى نفسه لقصد تشريفهم ومزيد تبشيرهم ثم وصفهم بالاسراف في المعاصي والاستكثار
من الذنوب ثم عقب ذلك بالنهي عن القنوط من الرحمة لهؤلاء المستكثرين من الذنوب فالنهي عن القنوط
للمذنبين غير المسرفين من باب الاولى ويقوى الخطاب قيل وهذه عامة في كل كافر يتوب ومؤمن عاص
يتوب فتمحو توبته ذنبه والمراد منها التنبيه على انه لا ينبغي للعاصي ان يظن انه لا خلاص له من العذاب
فان من اعتقد ذلك فهو قانط من رحمة الله تعالى اذ لا احد من العصاة الا وانه متى تاب زال عقابه
وصار من اهل المغفرة والرحمة والحق ان الآية غير مقيدة بالتوبة بل هي على اطلاقها ولما نهاهم عن القنوط
اخبرهم بما يدفع ذلك ويرفعه ويجعل الرجاء مكان القنوط وجاء بما لا يبقى بعده شك ولا يتخالج القلب
عند سماعه ظن فقال إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ فالالف واللام قد صيرت الجمع الذي دخلت عليه الجنس
الذي يستلزم استغراق افراده فهو في قوة ان الله يغفر كل ذنب كائنا ما كان الا ما اخرجه النص القرآني وهو
الشرك ثم لم يكتف بما اخبر عباده به من مغفرة كل ذنب بل اكد ذلك بقوله جَمِيعًا فيا لها من بشارة ترتاح له
قلوب المؤمنين المحسنين ظنهم بربهم الصادقين في رجائه الخالعين لثياب القنوط الرافضين لسوء الظن
بمن لا يتعاظمه ذنب ولا يبخل بمغفرته ورحمته على عباده المتوجهين اليه في طلب العفو الملتجئين به في مغفرة ذنوبهم
وما احسن ما علل به سبحانه هذا الكلام قائلا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ اي كثير المغفرة والرحمة عظيمهما

بليغهما واوسعهما فابرز الجملة موكدة بان والفصل وباعادة الصفتين اللتين تضمنتهما الاية السابقة
فمن ابى هذا التفضل العظيم والعطاء الجسيم وظن ان تقنيط عباد الله وتاييسهم من رحمته اولى بهم
مما بشرهم الله به فقد ركب اعظم الشطط وغلط اقبح الغلط فان التبشير وعدم التقنيط هو الذي جاءت
به مواعيد الله في كتابه العزيز والمسلك الذي سلكه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صح عنه من قوله يسروا
ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا واذا تقرر لك هذا فاعلم ان الجمع بين هذه الاية وبين قوله تعالى ان الله
لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء هو ان كل ذنب كائنا ما كان ما عدا الشرك بالله
مغفور لمن شاء الله ان يغفر له على انه يمكن ان يقال ان اخباره لنا بانه يغفر الذنوب جميعا يدل على
انه يشاء غفرانها جميعا وذلك يستلزم انه يشاء المغفرة لكل المذنبين من المسلمين فلم يبق بين
الايتين تعارض من هذه الحيثية واما ما يزعمه جماعة من المفسرين من تقييد هذه الاية بالتوبة
وانها لا تغفر الا ذنوب التائبين وزعموا انهم قالوا ذلك للجمع بين الايات فهو جمع بين الضب والنون و
بين الملاح والحادي وعلى نفسها براقش تجني ولو كانت هذه البشارة العظيمة مقيدة بالتوبة لم يكن لها
كثير موقع فان التوبة من المشرك يغفر الله له بها ما فعله من الشرك باجماع المسلمين ولذا قال ان الله
لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فلو كانت التوبة قيدا في المغفرة لم يكن للتنصيص
على الشرك فائدة وقد قال سبحانه وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم قال الواحدي المفسرون كلهم
قالوا ان هذه الاية في قوم خافوا ان اسلموا ان لا يغفر لهم ما جنوا من الذنوب العظام كالشرك وقتل النفس
ومعاداة النبي صلى الله عليه وسلم قلت هب انها في هؤلاء القوم فكان ماذا فان الاعتبار بما اشتملت عليه من
العموم لا بخصوص السبب كما هو متفق عليه بين اهل العلم ولو كانت الايات القرانية والاحاديث النبوية
مقيدة باسبابها غير متجاوزة لها لارتفعت اكثر التكاليف عن الامة ان لم ترتفع كلها واللازم باطل
بالاجماع فالملزوم مثله وفي السنة المطهرة من الاحاديث الثابتة في الصحيحين وغيرهما في هذا الباب
ما لو عرفه المطلع عليه حق معرفته وقدره حق قدره علم صحة ما ذكرناه وعرف حقية ما حررناه
قاله الشوكاني وعن ابن عمر قال كنا نقول ليس لمفتتن توبة وما الله بقابل منه شيئا عرفوا الله وامنوا
به وصدقوا رسوله ثم رجعوا عن ذلك لبلاء اصابهم وكانوا يقولونه لانفسهم فلما قدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم المدينة انزل الله فيهم قل يا عبادي الذين اسرفوا الايات قال ابن عمر فكتبتها بيدي ثم

بعثت بها الى هشام بن العاصي وعن ابي سعيد قال لما اسلم وحشي انزل الله والذين لا يدعون مع
الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق قال وحشي واصحابه قد ارتكبنا هذا كله فانزل
الله قل يا عبادي الذين اسرفوا الآية واخرج البخاري في الادب المفرد عن ابي هريرة قال خرج النبي صلى
الله عليه وسلم على رهط من اصحابه وهم يضحكون ويتحدثون فقال والذي نفسي بيده لو تعلمون ما اعلم لضحكتم
قليلا ولبكيتم كثيرا ثم انصرف وابكى القوم واوحى الله اليه يا محمد لم تقنط عبادي فرجع النبي صلى الله عليه وسلم
فقال ابشروا وسددوا وقاربوا وعن عمر بن الخطاب انها نزلت فيمن افتتن وعن ابن عباس انها نزلت
في مشركي مكة لما قالوا ان الله لا يغفر لهم ما قد اقترفوه من الشرك وقتل النفس وغير ذلك واخرج احمد
وابن جرير وابن ابي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن ثوبان سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ما احب ان لي الدنيا وما فيها بهذه الآية يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الآية فقال رجل و
من اشرك فسكت النبي صلى الله عليه وسلم قال الا ومن اشرك ثلاث مرات واخرج احمد وابو داود والترمذي
وحسنه وابن المنذر والحاكم وغيرهم عن اسماء بنت يزيد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرء يا عبادي
الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي انه هو الغفور
الرحيم وعن ابن مسعود انه مر على قاص يذكر الناس فقال يا مذكر الناس لا تقنط الناس ثم قرء يا عبادي
الآية وعن ابن سيرين قال قال علي اي آية اوسع فجعلوا يذكرون آيات من القرآن من يعمل سوءا او
يظلم نفسه الآية ونحوها فقال علي ما في القرآن اوسع من يا عبادي الآية واخرج ابن جرير وابن المنذر
عن ابن عباس في الآية قال قد دعى الله الى مغفرته من زعم ان المسيح ابن الله ومن زعم ان عزير
ابن الله ومن زعم ان الله فقير ومن زعم ان يد الله مغلولة ومن زعم ان الله ثالث ثلثة يقول لهؤلاء
افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ثم دعى الى توبته من هو اعظم قولا من هؤلاء
من قال انا ربكم الاعلى وقال ما علمت لكم من اله غيري قال ابن عباس ومن ايس العباد من التوبة
بعد هذا فقد جحد كتاب الله ولكن لا يقدر العبد ان يتوب حتى يتوب الله عليه وحديث ابي سعيد
الخدري في رجل قتل تسعة وتسعين انسانا في الصحيحين بطوله وكذا حديث رجل قال و ذروني
في الريح فيهما بطوله عن ابي هريرة وعنه في سنن ابي داود حديث رجلين متحابين وعن انس قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل يا ابن آدم انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان

منك ولا ابالي يا ابن ادم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا ابالي يا ابن ادم لو انك اتيتني بقراب الارض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لاتيتك بقرابها مغفرة اخرجه الترمذي والعنان السحاب والقراب بضم القاف هو ما يقارب ملأها وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ اي ارجعوا اليه بالطاعة لما بشرهم سبحانه بانه يغفر الذنوب جميعا امرهم بالرجوع اليه بفعل الطاعات واجتناب المعاصي وليس في هذا ما يدل على تقييد الاية الاولى بالتوبة لا بمطابقة ولا تضمن ولا التزام بل غاية ما فيها انه بشرهم بتلك البشارة العظمى ثم دعاهم الى الخير وخوفهم من الشر على انه يمكن ان يقال ان هذه الجملة مستانفة خطابا للكفار الذين لم يسلموا بدليل قوله وَأَسْلِمُوا لَهُ جاء بها لتحذير الكفار وانذارهم بعد ترغيب المسلمين بالاية الاولى وتبشيرهم وهذا وان كان بعيدا ولكنه يمكن ان يقال به والمعنى على ما هو الظاهر ان الله جمع لعباده بين التبشير العظيم والامر بالانابة اليه والاخلاص له والاستسلام لامره والخضوع لحكمه وقوله مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ اي عذاب الدنيا كما يفيده النظم فليس في ذلك ما يدل على ما زعمه الزاعمون وتمسك به القانطون المقنطون والحمد لله رب العالمين ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ اي لا تمنعون من العذاب ان لم تتوبوا قبل نزول العقاب وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ يعني القران يقول احلوا حلاله وحرموا حرامه والقران كله حسن قال الحسن التزموا طاعته واجتنبوا معاصيه وقال السدي الاحسن ما امر الله به في كتابه وقال ابن زيد يعني المحكمات وكلوا علم المتشابه الى عالمه وقيل الناسخ دون المنسوخ وقيل العفو دون الانتقام بما يحق فيه الانتقام وقيل احسن ما انزل اليكم من اخبار الامم الماضية ومثله قوله تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وقيل القران او المامور به دون المنهي عنه او العزائم دون الرخص ولعله ما هو انجى واسلم كالانابة والمواظبة على الطاعة مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ اي من قبل ان يفاجئكم العذاب وانتم غافلون عنه لا تشعرون به وقيل اراد انهم يموتون بغتة فيقعون في العذاب والاول اولى لان الذي ياتيهم بغتة هو العذاب في الدنيا بالقتل والاسر والخوف والقهر والجدب لا عذاب الاخرة ولا الموت لانه لم يسند الاتيان اليه أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ قال البصريون اي حذار ان تقول وقال الكوفيون اي لئلا تقول قال المبرد بادروا خوف ان تقول او حذرا من ان تقول وقدره الزمخشري كراهة ان تقول وابن عطية وانيبوا من اجل ان تقول وابو البقاء والحوفي انذرناكم مخافة ان تقول قال الحلبي عقب نقل بعض هذه التقادير ولا حاجة

الى اضمار هذا العامل مع وجود انيبوا ونكر نفس لان المراد بها بعض الانفس وهي النفس الكافرة المتميزة
باللجاج الشديد في الكفر او بالعذاب الاليم وقيل المراد به التكثير كما في قوله علمت نفس ما احضرت اي
نفوس كثيرة وهم الكفار والعصاة من المؤمنين وقال الزجاج خوف ان تصير الى حال تقولون فيها يا حسرتي
قرأ الجمهور يا حسرتى بالالف بدلا من الياء المضاف اليها وقرأ ابن كثير يا حسرتاه بهاء السكت وقفا وقرأ
ابو جعفر يا حسرتي بالياء على الاصل والحسرة الندامة والاغتمام والحزن على ما فات عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ اي على تفريطي
وتقصيري فما مصدرية فِي جَنبِ اللَّهِ اي طاعته قاله الحسن والجنب والجانب كلاهما بمعنى جهة الشيء المحسوسة
واطلاق الجنب على الطاعة مجاز بالاستعارة حيث شبهت بالجهة بجامع تعلق كل. الطاعة
لها تعلق بالله كما ان الجهة لها تعلق بصاحبها وقال الضحاك في ذكر الله ويعني به القرآن والعمل به وقال
ابو عبيدة في ثواب الله وقيل في حق الله او في امر الله او في ذات الله وقال الفراء الجنب القرب والجوار اي
في قرب الله وجواره ومنه قوله والصاحب بالجنب والمعنى على هذا القول على ما فرطت في طلب جواره وقربه
وهو الجنة وبه قال ابن الاعرابي وقال الزجاج اي في الطريق الذي هو طريق الله من توحيده والاقرار بنبوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى هذا فالجنب بمعنى الجانب اي قصرت في الجانب الذي يؤدي الى رضى الله يقال
انا في جنب فلان وفلان لين الجانب والجنب ثم قالوا افرط في جنبه وفي جانبه يريدون في حقه وهذا
من باب الكناية قال ابن عباس في الآية اخبر الله ما العباد قائلون قبل ان يقولوا وعلمهم قبل ان
يعملوا وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ اي وما كنت الا من المستهزئين بدين الله في الدنيا وبكتابه وبرسوله
وبالمؤمنين قال قتادة لم يكفه ان ضيع طاعة الله حتى سخر من اهلها والجملة حالية اي فرطت وانا ساخر
أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ اي لو ان الله ارشدني الى دينه لكنت ممن يتقي الشرك
والمعاصي وهذا من جملة ما يحتج به المشركون من الحجج الزائفة ويتعللون به من العلل الباطلة كما في قوله
سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا فهي كلمة حق يريدون بها باطلا قال ابو المنصور
هذا الكافر اعرف بهداية الله من المعتزلة وكذا اولئك الكفرة الذين قالوا لاتباعهم لو هدانا الله لهديناكم
ولكن علم منا اختيار الضلالة والغواية فخذلنا ولم يوفقنا والمعتزلة يقولون بل هداهم واعطاهم
التوفيق لكنهم لم يهتدوا ثم ذكر سبحانه مقالة اخرى مما قالوه فقال أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ
والتعبير باو للدلالة على ان النفس لا تخلو عن هذه الاقوال تحسرا وتحيرا وتعللا بما لا طائل تحته فاو للتنويع

لما تقوله النفس في ذلك اليوم ونصبها بان تكون مانعة خلو فتجوز الجمع لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً أي رجعة الى
الدنيا فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ المؤمنين بالله الموحدين له المحسنين في اعمالهم ثم ذكر سبحانه جوابه
على هذه النفس المتمنية المتعللة بغير علة فقال بَلَى أي فيقال له من قبل الله بلى الخ كانه قال ما هداني
الله فيقال بلى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي مرشدة لك والمراد بالآيات هي الآيات التنزيلية وهو القرآن
فَكَذَّبْتَ بِهَا او هو قوله انها ليست من عند الله وَاسْتَكْبَرْتَ أي تكبرت عن الايمان بها وَكُنْتَ مع
ذلك التكذيب والاستكبار مِنَ الْكَافِرِينَ بالله وجاء سبحانه بخطاب المذكر في قوله جاءتك وكذبت
واستكبرت وكنت لان النفس تطلق على المذكر والمؤنث قال المبرد تقول العرب نفس واحد اي
انسان واحد او التذكير باعتبار كونها شخصا كما قرأ الجمهور بفتح التاء في هذه المواضع وقرئ بكسرها في
جميعها وهي قراءة امير المؤمنين ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وبنته عايشة وام سلمة ورويت
عن ابن كثير وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ بان له شريكا وصاحبة وولدا وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ
لما احاط بهم من العذاب ولما شاهدوه من غضب الله ونقمته والجملة في محل النصب على الحال قال
الاخفش ترى غير عامل في وجوههم مسودة انما هو مبتدأ وخبر والاولى ان ترى ان كانت من
الرؤية البصرية فجملة وجوههم مسودة حالية وان كانت قلبية فهي مفعول ثان لترى أَلَيْسَ
فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ الاستفهام لتقرير اسوداد وجوههم وتعليل له كانه قال لان لهم
في جهنم مقرا ومقاما والكبر هو بطر الحق وغمط الناس كما ثبت في الحديث الصحيح وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ
اتَّقَوْا الشرك ومعاصي الله من جهنم متلبسين بِمَفَازَتِهِمْ أي بمكان فوزهم من الجنة بان يجعلوا فيه
قرئ الجمهور بالافراد على انه مصدر ميمي والفوز الظفر بالخير والنجاة من الشر قال المبرد المفازة مفعلة
من الفوز وهو السعادة وان جمع فحسن كقولك السعادة والسعادات في المعنى ينجيهم الله بفوزهم أي
بنجاتهم من النار وفوزهم بالجنة وقرئ بمفازاتهم جمع مفازة وجمعها مع كونها مصدرا لاختلاف الانواع
وقيل ثم مضاف محذوف والتقدير بدواعي مفازتهم او باسبابها والمفازة النجاة وقيل لا حاجة
الى ذلك اذ المراد بالمفازة الفلاح وجملة لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ مفسرة لمفازتهم كانه قيل وما
مفازتهم فقيل لا يمسهم الخ او منصوبة على الحال من الذين اتقوا وقيل الباء للسببية أي بسبب فوزهم
مع انتفاء مساس السوء لهم وعدم وصول الحزن الى قلوبهم لانهم رضوا بثواب الله وامنوا من عقابه الله

خالق كل شيء من الاشياء الموجودة في الدنيا والآخرة كائنا ما كان من غير فرق بين شيء وشيء فيه
رد على المعتزلة والثنوية وهو على كل شيء وكيل اي الاشياء كلها موكولة اليه فهو القائم بحفظها
وتدبيرها من غير مشارك له له مقاليد السموات والارض جملة مستأنفة والمقاليد واحدها
مقليد ومقلاد او لا واحد له من لفظه كاساطير ويقال ايضا اقليد واقاليد والكلمة اصلها
فارسية والكلام من باب الكناية لان حافظ الخزائن ومدبرها هو الذي يملك مفاتيحها فهو كناية
عن شدة التمكن والتصرف في كل شيء مخزون في السموات والارض والحمل على الظاهر اولى وهي هنا مفاتيح
الرزق والرحمة قاله مقاتل وقتادة وغيرهما قال ابن عباس اي مفاتيحها وقال الليث المقلاد الخزانة
ومعنى الاية له خزائن السموات والارض وبه قال الضحاك والسدي وقيل خزائن السموات المطر وخزائن
الارض النبات وقيل هي عبارة عن قدرته سبحانه وحفظه لها والاول اولى قال الجوهري الاقليد
المفتاح ثم قال والجمع المقاليد وقيل هي لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله
ولا حول ولا قوة الا بالله وقد اخرج ابو يعلى ويوسف القاضي في سننه وابو الحسن القطان وابن السني وابن
المنذر وابن ابي حاتم وابن مردويه عن عثمان بن عفان قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله
له مقاليد السموات والارض فقال لي يا عثمان لقد سألتني عن مسئلة لم يسألني عنها احد قبلك مقاليد
السموات والارض لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله والحمد لله واستغفر الله الذي لا اله الا هو الاول
والآخر والظاهر والباطن يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير ثم ذكر فضل هذه
الكلمات وله طرق عن عثمان وقيل غير ذلك والمعنى على هذا ان لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح
خير السموات والارض من تكلم بها اصابه والذين كفروا بآيات الله اي بالقرآن وسائر الآيات الدالة
على الله سبحانه وتوحيده اولئك هم الخاسرون اي الكاملون في الخسران لانهم صاروا بهذا الكفر الى
النار متصل بقوله وينجي الله الخ وما بينهما اعتراض وان كان المعطوف جملة اسمية والمعطوف عليه
جملة فعلية فهذا لا يمنع صحة العطف غايته انه خال عن حسنه قل افغير الله تأمروني اعبد
ايها الجاهلون الاستفهام للانكار التوبيخي والفاء للعطف على مقدر كنظائره والاصل افتأمروني
اي بعد مشاهدة الآيات الدالة على انفراده بالتوحيد ان اعبد غير الله قاله الكسائي وغيره وقيل
فتأمروني بعبادة غير الله او اعبد غير الله امر الله سبحانه ان يقول هذا للكفار لما دعوه الى ما هم عليه من

عبادة الاصنام وقالوا هو دين آبائك وعن ابن عباس ان قريشا دعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
يعطوه مالا فيكون اغنى رجل بمكة ويزوجوه ما اراد من النساء ويطئون عقبه فقالوا له هذا لك يا محمد
وتكف عن شتم آلهتنا ولا تذكرها بسوء قال حتى انظر ما يأتيني من ربي فجاء بالوحي قل يا ايها الكافرون
الى آخر السورة وانزل الله عليه قل افغير الله تأمروني الى قوله من الخاسرين وَلَقَدْ هذه اللام دالة على
قسم مقدر اي والله لقد أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ من الرسل لَئِنْ جواب القسم وهذه اللام ايضا
دالة على قسم مقدر اي والله لئن أَشْرَكْتَ يا محمد فرضا لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ وكل من
هاتين اللامين واقعة في جواب القسم الثاني والثاني وجوابه جواب الاول وجواب الشرط محذوف
لدخول جواب القسم عليه وهذا الكلام من باب التعريض لغير الرسل لان الله سبحانه قد عصمهم عن الشرك
ووجه ايراده على هذا الوجه التحذير والانذار للعباد من الشرك لانه اذا كان موجبا لاحباط عمل الانبياء
على الفرض والتقدير فهو محبط لعمل غيرهم من اممهم بطريق الاولى قيل وفي الكلام تقديم وتاخير والتقدير
ولقد اوحي اليك لئن اشركت ليحبطن عملك وأوحي الى الذين من قبلك كذلك قال مقاتل اي اوحي اليك والى الانبياء
قبلك بالتوحيد والتوحيد محذوف ثم قال لئن اشركت يا محمد ليحبطن عملك وهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
خاصة وقيل افراد الخطاب في لئن اشركت باعتبار كل واحد من الانبياء كانه قيل اوحي اليك والى كل
واحد من الانبياء هذا الكلام ولئن اشركت وهذه الآية مقيدة بالموت على الشرك كما في الآية الاخرى و
من يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم وقيل هذا خاص بالانبياء لان الشرك
منهم اعظم ذنبا من الشرك من غيرهم والاول اولى ثم امر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم بتوحيده فقال
بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وفي هذا رد على المشركين حيث امروه بعبادة الاصنام ووجه الرد ما يفيده التقديم من
القصر قال الزجاج لفظ اسم الله منصوب باعبد قال ولا اختلاف في هذا بين البصريين والكوفيين وقال
الفراء هو منصوب باضمار فعل وعن الكسائي مثله والاول اولى قال الزجاج والفاء في فاعبد للمجازاة وقال
الاخفش زائدة قال عطاء ومقاتل معنى فاعبد وحد لان عبادته لا تصح الا بتوحيده وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ
لانعامه عليك بما هداك اليه من التوحيد والدعاء الى دينه واختصك به من الرسالة وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ
حَقَّ قَدْرِهِ اي ما عرفوه حق معرفته وقال المبرد اي ما عظموه حق عظمته حين اشركوا به غيره من قولك
فلان عظيم القدر وانما وصفهم بهذا لانهم عبدوا غير الله وامروا رسوله بان يكون مثلهم في الشرك وقرئ

قدروا بالتشديد وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ القبضة في اللغة ما قبضت عليه بجميع كفك
فاخبر سبحانه عن عظيم قدرته بان الارض كلها مع عظمتها وكثافتها في مقدوره كالشيء الذي يقبض
عليه القابض بكفه كما يقولون هو في يد فلان وفي قبضته للشيء الذي يهون عليه التصرف فيه وان
لم يقبض عليه والمراد بالارض الارضون السبع يشهد لذلك قوله جميعا وقوله الآتي والسموات ولان
هذا التأكيد لا يحسن ادخاله الا على الجمع ولان الموضع موضع تعظيم فهو مقتض للمبالغة والمعنى الارضون
جميعا ذوات قبضته يقبضهن قبضة واحدة وقدم الارض على السموات لمباشرتهم بها ومعرفتهم بحقيقتها
اخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود قال جاء حبر من الاحبار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا
محمد انا نجد ان الله يحمل السموات يوم القيامة على اصبع والشجر على اصبع والماء والثرى على اصبع وسائر
الخلق على اصبع ثم يهزهن فيقول انا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقا لقول
الحبر ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة وانما خص
يوم القيامة بالذكر وان كانت قدرته عامة شاملة لدار الدنيا ايضا لان الدعاوي تنقطع في ذلك اليوم
كما قال والامر يومئذ لله وقال مالك يوم الدين وكذلك قال في الحديث ثم يقول انا الملك اين ملوك
الارض وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ذكر اليمين للمبالغة في كمال القدرة كما يطوي الواحد منا الشيء
المقدور له طيه بيمينه والطي ضد النشر واليمين في كلام العرب قد يكون بمعنى القدرة والملك
قال الاخفش بيمينه يقول في قدرته نحو قوله او ما ملكت ايمانكم اي ما كانت لكم قدرة عليه وليس
الملك لليمين دون الشمال وسائر الجسد ومنه قوله سبحانه لاخذنا منه باليمين اي بالقوة والقدرة
وليس يريد به طيا بعلاج وانتصاب وانما المراد بذلك الفناء والذهاب يقال قد انطوى عنا ما كنا فيه
وجاءنا غيره وانطوى عنا وهو بمعنى المضي والذهاب قال الخازن اليمين ليس عندنا بمعنى الجارحة
وانما هي صفة جاء بها التوقيف فنحن نطلقها على ما جاءت ولا نكيفها وننتهي الى حيث انتهى بنا
الكتاب والاخبار المأثورة الصحيحة وهذا مذهب اهل السنة والجماعة قال سفيان بن عيينة
كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عنه انتهى ومعنى الآية وما عظموه
حق تعظيمه والحال انه متصف بهذه الصفة الدالة على كمال القدرة والمقصود الاشارة الى ان المتولي
لابقاء السموات والارض في هذه الدار هو المتولي لتخريبهما يوم القيامة وذلك يدل على قدرته التامة

على الايجاد والاعدام وانه غني على الاطلاق فانه اذا حاول تخريب الارض يقبضها ويزيلها وتخريب
السموات بجمعها كالسجل المطوي اخرج البخاري ومسلم وغيرهما من حديث ابي هريرة قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول يقبض الله الارض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه ثم يقول انا الملك اين ملوك
الارض وعن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلعم يقول يطوي الله السموات يوم القيامة ثم ياخذهن
بيده اليمنى ثم يقول انا الملك اين الجبارون اين المتكبرون اين ملوك الارض اخرجه الشيخان
وفي الباب احاديث وآثار تقتضي حمل الآية على ظاهرها من دون تكلف لتاويل ولا تعسف بقال
وقيل ثم نزه سبحانه نفسه فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ به من المعبودات التي يجعلونها
شركاء له مع هذه القدرة العظيمة والحكمة الباهرة وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ
وَمَنْ فِي الْأَرْضِ هذه هي النفخة الاولى والصور هو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل وقد تقدم غير
مرة وقد قيل انه يكون معه جبريل لحديث ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلعم ان صاحبي
الصور بايديهما او في ايديهما قرنان يلاحظان النظر متى يؤمران اخرجه ابن ماجة وفي ابي داود
عنه قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب الصور وقال عن يمينه جبريل وعن يساره ميكائيل
ذكره القرطبي ومعنى صعق زالت عقولهم فخروا مغشيا عليهم وقيل ماتوا قال الواحدي قال المفسرون
مات من الفزع وشدة الصوت اهل السموات والارض قرء الجمهور الصور بسكون الواو وقرئ بفتحها
جمع صورة إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وحده والاستثناء متصل والمستثنى جبريل وميكائيل واسرافيل وملك
الموت وقيل رضوان وحملة العرش وخزنة الجنة والحور العين والنار وقيل الباري تعالى قاله الحسن
وفيه نظر من حيث قوله من في السموات والارض فانه لا يتحيز فعلى هذا يتعين ان يكون منقطعا
وقيل الزبانية وقيل عقارب اهل النار وحياتها اخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابي هريرة قال
قال رجل من اليهود بسوق المدينة والذي اصطفى موسى على البشر فرفع رجل من الانصار يده
فلطمه وقال أتقول هذا وفينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قال الله
ونفخ في الصور الى قوله ينظرون فاكون اول من يرفع راسه فاذا انا بموسى آخذ بقائمة من قوائم
العرش فلا ادري ارفع راسه قبلي او كان ممن استثنى الله وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله الا من
شاء الله قال هم الشهداء متقلدون اسيافهم حول عرشه تتلقاهم الملائكة يوم القيامة الحديث

اخرجه ابو يعلى والدارقطني في الافراد وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في البعث واخرجه سعيد بن منصور وعبد بن حميد من قول ابي هريرة وعن انس انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله الا من شاء الله فقال جبريل وميكائيل وملك الموت واسرافيل وحملة العرش اخرجه الفريابي وابن جرير وابو نصر السجزي في الابانة وابن مردويه واخرج ابن المنذر عن جابر قال هو موسى لانه كان صعق قبل ههنا اشكال اورده بعض السلف وهو ان نص القرآن يدل على ان هذا الاستثناء بعد نفخة الصعق وهي النفخة الاولى التي مات فيها من بقي على وجه الارض والحديث المتقدم يدل على انها نفخة البعث وما قيل انه يحتمل ان موسى ممن لم يمت من الانبياء باطل لصحة موته وقال القاضي عياض يحتمل ان تكون هذه صعقة فزع بعد النشر حين تنشق الارض والسموات فتتوافق الآيات والاحاديث قال القرطبي ويرده ما مر في الحديث من اخذ موسى بقائمة العرش فانه انما هو عند نفخة البعث وايضا تكون النفخات اربعا ولم ينقله الثقات قال الشهاب فمن حمل الصعق على غشي يكون من نفخة بعد نفخة البعث للارهاب والارعاب فكلامه مردود بما عرفت ومن الغريب ان بعضهم جعلها بحديث ابي هريرة خمسا وقد سمعنا بمن زاد في الطنبور نغمة ولم نسمع بمن زاد في الصور نفخة قال القرطبي والذي يزيح الاشكال ما قاله بعض مشائخنا ان الموت ليس بعدم محض بالنسبة الى الانبياء والشهداء فانهم موجودون احياء وان لم نرهم فاذا نفخت نفخة الصعق صعق كل من في السموات والارض وصعق غير الانبياء موت وصعقهم غشي فاذا كانت نفخة البعث حيي من مات وافاق من غشي عليه ولذا وقع في الصحيحين فاكون اول من يفيق والاحاديث الواردة في كيفية نفخ الصور كثيرة وقد ذكر سليمان الجمل في هذا المقام عن ابن الوردي وغيره ما جاء في صورة الصور وهيئته وتعداد نفخاته ولا تعلق له بالتفسير ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ نَفْخَةٌ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ﴾ يعني الخلق كلهم ﴿قِيَامٌ﴾ على ارجلهم ﴿يَنظُرُونَ﴾ ما يقال لهم او ينتظرون ذلك والاستثناء ملاحظ في هذا ايضا لان من لم يمت كالحور فلا يقال له ذلك عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين النفختين اربعون قالوا اربعون يوما قال ابو هريرة ابيت قالوا اربعون شهرا قال ابيت قالوا اربعون سنة قال ابيت ثم ينزل الله عز وجل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل وليس من الانسان شيء الا يبلى الا عظم واحد وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة اخرجه الشيخان وقد ثبت

الاية على ان النفخة اثنتان الاولى للموت والثانية للبعث والجمهور على انها ثلاث الاولى للفزع كما قال ونفخ فى الصور ففزع والثانية للموت والثالثة للاعادة وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ الاشراق الاضاءة يقال اشرقت الشمس اذا اضاءت وشرقت اذا طلعت والمراد بالارض عرصات القيامة اي الارض الجديدة التي يوجدها الله في ذلك الوقت ليحشر الناس عليها وليس المراد بها ارض الدنيا بِنُورِ رَبِّهَا اي بعدل ربها قاله الحسن وغيره وقال الضحاك بحكم ربها والمعنى ان الارض اضاءت وانارت بما اقامه الله من العدل بين اهلها وما قضى به من الحق فيهم فالعدل نور والظلم ظلمات وقيل ذلك حين يتجلى الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء بين خلقه فما يضارون في نوره كما لا يضارون في الشمس في يوم الصحو وقيل ان الله سبحانه يخلق نورا يوم القيامة يلبسه وجه الارض فتشرق به غير نور الشمس والقمر ولا مانع من الحمل على المعنى الحقيقي فان الله سبحانه هو نور السموات والارض قرأ الجمهور اشرقت مبنيا للفاعل وقرئ على البناء للمفعول وَوُضِعَ الْكِتَابُ قيل هو اللوح المحفوظ وقال قتادة يعني الكتب والصحف التي فيها اعمال بني ادم فاخذ بيمينه واخذ بشماله وكذا قال مقاتل وقيل هو من وضع المحاسب كتاب المحاسبة بين يديه اي وضع الكتاب للحساب وَجِاْيءَ بِالنَّبِيِّينَ الى الموقف فسألوا عما اجابتهم به اممهم وَالشُّهَدَاءِ الذين يشهدون على الامم من امة محمد صلى الله عليه وسلم كما في قوله وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس وقيل المراد بالشهداء الذين استشهدوا في سبيل الله فيشهدون يوم القيامة لمن ذب عن دين الله قاله السدي وقيل هم الحفظة كما قال تعالى وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد قاله ابن زيد قال ابن عباس النبيين الرسل والشهداء الذين يشهدون لهم بالبلاغ ليس فيهم طعان ولا لعان يشهدون بتبليغ الرسالة وتكذيب الامم اياهم ولما بين سبحانه انه يوصل لكل ذي حق حقه عبر عن هذا المعنى باربع عبارات اولاها قوله وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ اي قضي بين العباد بالعدل والصدق والثانية وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ اي والحال انهم لا ينقصون من ثوابهم ولا يزاد على ما يستحقونه من عقابهم ختم الاية بنفي الظلم كما افتتحها باثبات العدل والثالثة وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ من خير وشر اي جزاءه والرابعة وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ في الدنيا لا يحتاج الى كاتب ولا حاسب ولا شاهد لانه عالم بمقادير اعمالهم وبكيفياتها فامتنع دخول الخطاء عليه قاله الكرخي وقال القرطبي ومع ذلك فتشهد الكتب والشهود الزاما للحجة انتهى يعني انما وضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء لتكميل الحجة وقطع المعذرة

ع

ثم ذكر سبحانه تفصيل ما ذكره من توفية كل نفس ما كسبت فقال وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ
زُمَرًا اي سيق الكافرون سوقا عنيفا الى النار حال كونهم جماعات متفرقة بعضها يتلو بعضا قال
ابو عبيدة والاخفش زمرا جماعات متفرقة بعضها اثر بعض واحدتها زمرة واشتقاقه من الزمر
وهو الصوت اذ الجماعة لا تخلو عنه غالبا حَتَّىٰ هي الابتدائية التي تبتدئ الجمل بعدها إِذَا جَاءُوهَا
فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا اي ابواب النار ليدخلوها وهي سبعة ابواب كانت قبل ذلك مغلقة وقد مضى
بيان ذلك في سورة الحجر وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا جمع خازن نحو سدنة وسادن أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ
اي من انفسكم ومن جنسكم يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ التي انزلها عليكم وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ
هَٰذَا اي يخوفونكم لقاء هذا اليوم الذي صرتم فيه والمراد به وقت الشدة لا يوم القيامة جميعه قال الزمخشري
وقد جاء استعمال اليوم والايام مستفيضا في اوقات الشدة قَالُوا لهم هذا القول تقريعا وتوبيخا فاجابوا
بالاعتراف ولم يقدروا على الجدل الذي كانوا يتعللون به في الدنيا لانكشاف الامر وظهوره ولهذا
قَالُوا بَلَىٰ اي قد اتتنا الرسل بآيات الله وانذرونا ما سنلقاه وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى
الْكَافِرِينَ وهي لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين جيء بالظاهر مقام المضمر لبيان سبب
استحقاقهم العذاب وهو كفرهم فلما اعترفوا هذا الاعتراف قِيلَ لهم من قبل الملائكة الموكلين
لعذابهم ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ التي قد فتحت لكم لتدخلوها خَالِدِينَ اي مقدرين الخلود فِيهَا
فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ جهنم واللام فيه للجنس وجيء بالظاهر لبيان سبب كفرهم الذي استحقوا به العذاب
وقد تقدم تحقيق المثوى في غير موضع ولما ذكر فيما تقدم حال الذين كفروا وسوقهم الى جهنم زمرا
ذكر هنا حال المتقين وسوقهم الى الجنة فقال وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا اي ساقهم
الملائكة سوق اعزاز وتشريف وتكريم والمراد بذلك السوق اسراعهم الى دار الكرامة والرضوان كما يفعل
بمن يكرم من الوافدين على بعض الملوك والمراد بالسوق المتقدم طردهم الى العذاب بالهوان كما يفعل
بالاسير اذا سيق الى الحبس او القتل فشتان ما بين السوقين وهذا من بدائع انواع البديع وهو ان يأتي
سبحانه وتعالى بكلمة في حق الكفار فتدل على هوانهم وعقابهم ويأتي بتلك الكلمة بعينها وهيئتها في
حق المؤمنين فتدل على اكرامهم بحسن ثوابهم فسبحان من انزله معجز المباني متمكن المعاني عذب الموارد
والمثاني قيل الكلام على حذف مضاف اي سيقت مراكبهم اذ لا يذهب بهم الا راكبين وقد سبق معنى الزمر

اي جماعات اهل الصلوة في جماعة واهل الصوم كذلك الى غير ذلك حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها
جواب اذا محذوف قال المبرد تقديره سعدوا وفتحت وقال الزجاج القول عندي ان الجواب محذوف
على تقدير حتى اذا جاؤها وكانت هذه الاشياء التي ذكرت دخلوها فالجواب دخلوها وحذف لان في
الكلام دليلا عليه وقال الاخفش والكوفيون الجواب فتحت والواو زائدة وهو خطأ عند البصريين لان
الواو من حروف المعاني فلا تزاد وقيل ان زيادة الواو دليل على ان الابواب فتحت لهم قبل ان ياتوا
لكرامتهم على الله والتقدير حتى اذا جاؤها وابوابها مفتحة بدليل قوله جنات عدن مفتحة لهم الابواب
وحذفت الواو في قصة اهل النار لانهم وقفوا على النار وفتحت بعد وقوفهم اذلالا وترويعا ذكر معناه النحاس
منسوبا الى بعض اهل العلم قال ولا اعلم انه سبقه اليه احد وعلى هذا القول تكون الواو واو الحال بتقدير قد
اي جاؤها وقد فتحت لهم الابواب وقيل انها واو الثمانية وذلك ان من عادة العرب انهم كانوا
يقولون في العدد خمسة ستة سبعة وثمانية وقد مضى القول في هذا في سورة براءة مستوفى وفي
سورة الكهف ايضا وقد اخرج البخاري ومسلم وغيرهما من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين يلونهم على ضوء اشد كوكب
دري في السماء اضاءة واخرج الشيخان وغيرهما عن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
في الجنة ثمانية ابواب منها باب يسمى باب الريان لا يدخله الا الصائمون وقد ورد في كون ابواب
الجنة ثمانية احاديث في الصحيحين وغيرهما وكتابنا مثير ساكن الغرام الى روضات دار السلام هو
احسن ما جمع في احوال الجنة فليرجع اليه وليعول عليه ثم اخبر سبحانه ان خزنة الجنة يسلمون
على المؤمنين فقال وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ اي سلامة لكم من كل آفة لا يعتريكم بعده مكروه
طِبْتُمْ وطهرتم في الدنيا فلم تتدنسوا بالشرك والمعاصي قال مجاهد طبتم بطاعة الله وقيل بالعمل
الصالح والمعنى واحد وقيل طاب لكم المقام وقيل طابت حالكم وحسنت وجعل دخول الجنة
مسببا عن الطيب والطهارة لانها دار الطيبين ومثوى الطاهرين قد طهرها الله من كل دنس
وطيبها من كل قذر فلا يدخلها الا مناسب لها موصوف بصفتها قال مقاتل اذا قطعوا جسر جهنم
حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم حتى اذا هذبوا
وطيبوا قال لهم رضوان واصحابه سلام عليكم الآية وقد اخرج البخاري حديث القنطرة هذا في جامعه من

حديث ابي سعيد الخدري وهو طويل جدا فادخلوها اي الجنة خالدين اي مقدرين الخلود و
قالوا اي فعند ذلك قال اهل الجنة الحمد لله الذي صدقنا وعده بالبعث والثواب بالجنة في قوله
تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا واورثنا الارض اي ارض الجنة قاله قتادة وابو العالية
كانها صارت من غيرهم اليهم فملكوها وتصرفوا فيها تصرف الوارث فيما يرثه ففي الكلام تجوز وقيل انهم
ورثوا الارض التي كانت لاهل النار لو كانوا مؤمنين قاله اكثر المفسرين وقيل انها ارض الدنيا
وفي الكلام تقديم وتاخير نتبوأ من الجنة حيث نشاء اي نتخذ فيها من المنازل ما نشاء حيث
نشاء فلا يختار احد مكان غيره وقيل يتخير كل واحد من امة محمد صلى الله عليه وسلم اين ينزل تكرمة له وان كان
لا يختار الا ما قسم له واما بقية الامم فيدخلون بعد امة محمد صلى الله عليه وسلم فينزلون فيما فضل عنهم
في الكرخي الجنة نوعان الجنات الجسمانية وهي لا تحتمل المشاركة والجنات الروحانية وحصولها لواحد
لا يمنع من حصوله لآخرين فنعم اجر العاملين في الدنيا الجنة وهذا من تمام قول اهل الجنة
وقيل هو من قول الله سبحانه وترى يا محمد الملائكة حافين اي محيطين ومحدقين قائمين بجميع
ما عليهم من الحقوق من حول العرش اي جوانبه التي يمكن الحفوف بها فليسمع لحفوفهم صوت التسبيح
والتمجيد والتقديس وادخال من يفهم انهم مع كثرتهم الى حد لا يحصيه الا الله لا يملؤن حوله وهذا
اولى من قول البيضاوي ان من مزيدة وبه قال الاخفش او للابتداء اي ابتداء حفوفهم من حول العرش
الى حيث شاء الله والمعنى ان الرائي يراهم بهذه الصفة في ذلك اليوم والحافين جمع حاف قاله الاخفش
وهو المحدق بالشيء من حففت بالشيء اذا احطت به وهو ماخوذ من الحفاف وهو الجانب وقال الفراء
وتبعه الزمخشري لا واحد له من لفظه اذ لا يقع لهم هذا الاسم الا مجتمعين يسبحون بحمد ربهم اي
حال كونهم مسبحين لله متلبسين بحمده اي يقولون سبحان الله وبحمده وقيل معنى يسبحون يصلون
حول العرش شكرا لربهم وهذا التسبيح تلذذ لا تسبيح تعبد لان التكاليف يزول في ذلك اليوم وذلك
يشعر بان ثوابهم هو عين ذلك التسبيح وافهم ان منتهى درجات العليين ولذاتهم الاستغراق في
صفاته تعالى اللهم ارزقنا وقضي بينهم اي بين جميع العباد والخلائق بالحق اي بالعدل بادخال بعضهم
الجنة وبعضهم النار وقيل بين النبيين الذين جيء بهم مع الشهداء وبين اممهم وقيل بين الملائكة
باقامتهم في منازلهم على حسب درجاتهم والاول اولى وقيل الحمد لله رب العالمين القائلون هم المؤمنون

حمدوا الله على قضائه بينهم وبين اهل النار بالحق كما قال واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين وقيل القائلون هم الملائكة حمدوا الله تعالى على عدله في الحكم وقضائه بين عباده بالحق وبدء سبحانه هذه السورة بالحمد وختمها بالحمد للتنبيه على تحميده في بداية كل امر ونهايته والحمد الاول على صدق الوعد وايراث الجنة وهذا على القضاء بالحق فلا تكرار فيه وروي من حديث ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرء على المنبر اخر الزمر فتحرك المنبر مرتين ؕ

سورة غافر وهي سورة المؤمن وتسمى سورة الطول وهي خمس وثمانون اية

وقيل اثنتان وثمانون اية قاله القرطبي وهي مكية في قول عطاء وجابر وعكرمة قال الحسن الا قوله وسبح بحمد ربك لان الصلوات نزلت بالمدينة وقال ابن عباس وقتادة الا ايتين نزلتا بالمدينة وهما ان الذين يجادلون في ايات الله والتي بعدها وكذا نص عليه السيوطي في الاتقان وفي لباب الاصول في اسباب النزول قال ابن عباس انزلت حم المؤمن بمكة وعن سمرة بن جندب قال نزلت الحواميم جميعا بمكة واخرج محمد بن نصر وابن مردويه عن انس بن مالك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله اعطاني السبع الحواميم مكان التوراة واعطاني الراات الى الطواسين مكان الانجيل واعطاني ما بين الطواسين الى الحواميم مكان الزبور وفضلني بالحواميم والمفصل ما قرءهن نبي قبلي وقال ابن عباس ان لكل شيء لبابا وان لباب القران حم وقال ابن مسعود الحواميم ديباج القران وعنه قال اذا وقعت في ال حم وقعت في روضات دمثات اتانق فيهن وعن سعد بن ابراهيم قال الحواميم تسمى العرائس رواه الدارمي في مسنده وقال الجوهري ال حميم سور في القران فاما قول العامة الحواميم فليس من كلام العرب وبه قال الحريري في درة الغواص وقال ابو عبيدة الحواميم على غير قياس والاولى ان تجمع بذوات حم انتهى فتلخص من مجموع هذه الاخبار ان هذه السور السبع تسمى الحواميم وتسمى ال حم وتسمى ذوات حم فلها جموع ثلاثة خلافا لمن انكر الاول منها واخرج البيهقي في الشعب عن خليل بن مرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحواميم سبع وابواب النار سبع يجيء كل حم منها يقف على باب من هذه الابواب يقول اللهم لا تدخل من هذا الباب من كان يؤمن بي ويقرأني ؕ

بسم الله الرحمن الرحيم

حم قرء الجمهور بفتح الحاء مشبعا وقرئ بامالته امالة محضة وبامالته بين بين وقرء الجمهور بسكون
الميم كسائر الحروف المقطعة وقرء الزهري بضمها على انها خبر مبتدء مضمر او مبتدء والخبر ما بعدها وقرء
عيسى بن عمر الثقفي بفتحها وهي تحتمل وجهين احدهما انها منصوبة بفعل مقدر اي اقرء حم وانما منعت
من الصرف للعلمية والتانيث او للعلمية وشبه العجمة وذلك انه ليس في الاوزان العربية وزن فاعيل
بخلاف الاعجمية نحو قابيل وهابيل والثاني انها حركة بناء تخفيفا كاين وكيف وقرء ابن ابي اسحق و
ابو السماك بكسرها لالتقاء الساكنين او بتقدير القسم وقرء الجمهور بوصل الحاء بالميم وقرء ابو جعفر بقطعها
وقد اختلف في معناه فقيل هو اسم من اسماء الله قاله ابو ملة وقيل اسم من اسماء القران قاله قتادة
وقال الضحاك والكسائي معناه قضي وجعلاه بمعنى حم اي وقع وقضي وقيل مفاتيح خزائنه وقيل اسم
الله الاعظم وقيل بدء اسماء الله تعالى الحميد وحليم وحكيم وحنان وكمالك ومجيد ومنان ومتكبر
ومصور ومؤمن ومهيمن وقيل معناه حم امر الله اي قرب نصره لاوليائه وانتقامه من اعدائه
وهذا كله تكلف لا موجب له وتعسف لا ملجئ اليه والحق ان هذه الفاتحة لهذه السورة وامثالها من المتشابه
الذي استاثر الله بعلم معناه كما قدمنا تحقيقه في فاتحة سورة البقرة واخرج الترمذي والحاكم وصححه
وابو داود وغيرهم عن المهلب بن ابي صفرة قال حدثني من سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول ليلة الخندق
ان أبيتم الليلة فقولوا حم لا ينصرون وعن البراء بن عازب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انكم تلقون
عدوكم فليكن شعاركم حم لا ينصرون اخرجه النسائي والحاكم وابن ابي شيبة تنزيل الكتاب هو خبر لحم
على تقدير انه مبتدء او خبر لمبتدء مضمر اي هذا تنزيل او هو مبتدء وخبره من الله قال الرازي
المراد بالتنزيل المنزل والمعنى ان القران منزل من عند الله ليس بكذب عليه العزيز المنيع بسلطانه
الغالب القاهر في ملكه العليم الكثير العلم بخلقه وما يقولونه ويفعلونه فهو تهديد للمشركين وبشارة
للمؤمنين غافر الذنب اي ذنب المؤمنين وعن ابن عمر قال ساتر الذنب لمن يقول لا اله الا الله وقابل
التوب اي توبة الراجعين او عمن يقول لا اله الا الله والتوب والثوب والاوب اخوات في معنى الرجوع مصدر
وقال الاخفش التوب جمع توبة كدوم ودومة وادخال الواو في هذا الوصف لافادة الجمع للمذنب التائب
بين قبول توبته ومحو حوبته قاله العمادي او لتغاير الوصفين اذ ربما يتوهم الاتحاد قاله البيضاوي شديد
العقاب اي مشدده لمن لا يقول لا اله الا الله او على المخالفين والكافرين وقيل قابل التوب لاوليائه

شديد العقاب لاعدائه وقيل قابل التوب من الشرك وشديد العقاب لمن لا يوحده ذِي الطَّوْلِ أي السعة والمن والغنى والفضل على العارفين او الغني عن كل العالمين واصل الطول الانعام والتفضل أي ذي الانعام على عباده والتفضل عليهم قال مجاهد وابن عباس ذي الغنى والسعة ومنه قوله ومن لم يستطع منكم طولا اي غنى وسعة وقال عكرمة ذي المن قال الجوهري والطول بالفتح المن يقال منه طال عليه ويطول عليه اذا امتن عليه وقال محمد بن كعب ذي التفضل قال الماوردي والفرق بين المن والتفضل ان المن عفو عن ذنب والتفضل احسان غير مستحق والله سبحانه موصوف على الدوام بكل من هذه الصفات فاضافة المشتق منها للتعريف كالاخيرة وقال السمين فيها ثلاثة اوجه احدها انها كلها صفات للجلالة الثاني ان الكل ابدال لان اضافتها غير محضة الثالث ان غافر وقابل نعتان وشديد العقاب بدل انتهى ثم ذكر ما يدل على توحيده وانه الحقيق بالعبادة فقال لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ استينافا او حال لازمة وقال ابو البقاء صفة قال ابن عادل وهذا على ظاهره فاسد لان الجملة لا تكون صفة للمعارف ويمكن ان يريد انه صفة لشديد العقاب لانه لم يتعرف عنده بالاضافة إِلَيْهِ لا الى غيره الْمَصِيرُ اي مصير من يقول لا اله الا الله فيدخل الجنة ومصير من لا يقول لا اله الا الله فيدخل النار وذلك في اليوم الآخر قال الكرخي حال من الجملة قبله اخرج ابو عبيد وابن سعد ومحمد بن نصر وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم المؤمن الى اليه المصير وآية الكرسي حين يصبح حفظ بهما حتى يمسي ومن قرأهما حين يمسي حفظ بهما حتى يصبح ثم لما ذكر الله سبحانه ان القرآن كتاب الله انزله ليهتدى به في الدين ذكر احوال من يجادل فيه لقصد ابطاله فقال مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا اي ما يخاصم في دفع آيات الله وتكذيبها بالطعن فيها الا الكفار والمراد الجدال بالباطل والقصد الى دحض الحق كما في قوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاما الجدال لاستيضاح الحق وايضاح الملتبس وحل المشكل وكشف المعضل واستنباط المعاني ورد اهل الزيغ بها ورفع اللبس والبحث عن الراجح والمرجوح وعن المحكم والمتشابه ودفع ما يتعلق به المبطلون من متشابهات القرآن وردهم بالجدال الى المحكم فهو من اعظم ما يتقرب به المتقربون وافضل ما يجاهد في سبيله المجاهدون وبذلك اخذ الله الميثاق على الذين اوتوا الكتاب فقال واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه وقال ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات

الهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون وقال ولا تجادلوا
اهل الكتاب الا بالتي هي احسن فتلخص ان الجدال نوعان جدال في تقرير الحق وجدال في تقرير الباطل
اما الاول فهو حرفة الانبياء عليهم السلام ومنه قوله تعالى حكاية عن قوم نوح يا نوح قد جادلتنا واما الثاني
فهو مذموم وهو المراد بهذه الآية فجدالهم في آيات الله هو قولهم مرة هذا سحر ومرة شعر ومرة هو قول
الكهنة ومرة اساطير الاولين ومرة انما يعلمه بشر واشباه هذا قاله الكرخي واخرج عبد بن حميد
وابو داود عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جدالا في القرآن كفر وعنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم مراء في القرآن كفر اخرجه ابو داود وغيره وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال
هاجرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فسمع اصوات رجلين اختلفا في آية فخرج يعرف في وجهه الغضب
فقال انما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب اخرجه مسلم قال ابو العالية آيتان ما اشدهما
على الذين يجادلون في القرآن هذه الآية وقوله ان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد ولما
حكم سبحانه على المجادلين في آيات الله بالكفر نهى رسوله صلى الله عليه وسلم عن ان يغتر بشيء من حظوظهم الدنيوية
فقال فلا يغررك تقلبهم في البلاد اي فلا يغررك ما يفعلونه من التجارة النافقة في البلاد كالشام واليمن ومن الحصول
من المكاسب والارباح وما يجمعونه من الاموال سالمين غانمين فانهم معاقبون عما قليل وان امهلوا فانهم
لا يهملون قال الزجاج لا يغررك سلامتهم بعد كفرهم فان عاقبتهم الهلاك وهذا تسلية له صلى الله عليه وسلم
ووعيد لهم والفاء لترتيب النهي او وجوب الانتهاء على ما قبلها من التسجيل عليهم بالكفر الذي لا شيء امقت
منه عند الله ولا اجلب لخسران الدنيا والآخرة قرأ الجمهور لا يغررك بفك الادغام وقرئ بالادغام وهو جواب
لشرط مقدر اي اذا تقرر عندك ان المجادلين في آيات الله كفار فلا يغررك الخ ثم بين حال من كان قبلهم
وان هؤلاء سلكوا سبيل اولئك في التكذيب فقال كذبت قبلهم اي قبل اهل مكة قوم نوح والاحزاب من
بعدهم اي وكذبت الاحزاب الذين تحزبوا على الرسل من بعد قوم نوح كعاد وثمود وغيرهما وهمت كل امة
من تلك الامم المكذبة برسولهم الذي ارسل اليهم ليأخذوه اي ليتمكنوا منه فيحبسوه ويعذبوه و
يصيبوا منه ما ارادوا وقال قتادة والسدي ليقتلوه والاخذ قد يرد بمعنى الاهلاك كقولهم فاخذتهم فكيف كان
نكير والعرب تسمي الاسير الاخيذ والاخذ بمعنى الاسر وجادلوا اي خاصموا رسولهم بالباطل من القول ليدحضوا
اي ليزيلوا به الحق ومنه مكان دحض اي مزلقة ومزلة اقدام والباطل داحض لانه يزلق ويزول فلا يستقر

قال يحيى بن سلام جادلوا الانبياء بالشرك ليبطلوا به الايمان فاخذتهم اي فاخذت هؤلاء المجادلين بالباطل فكيف كان عقاب الذي عاقبتهم به وحذف ياء المتكلم اجتزاء بالكسرة عنها وصلا ووقفا لانها راس اية وكذلك حقت كلمة ربك اي وجبت وثبتت ولزمت يقال حق الشيء اذا لزم وثبت والمعنى وكما حقت على الامم المكذبة لرسلهم كلمة العذاب حقت كلمة ربك اي وعيده على الذين كفروا بك وجادلوك بالباطل وتحزبوا عليك وهو ابهام لما ينبئ عنه اضافة اسم الرب الى ضميره صلى الله عليه وسلم فان ذلك للاشعار بان وجوب كلمة العذاب عليهم من احكام تربيته التي من جملتها نصرته على اعدائه وتعذيبهم قاله ابو السعود وقرء الجمهور كلمة بالتوحيد وقرئ كلمات بالجمع وجملة انهم اصحب النار للتعليل اي لاجل انهم مستحقون للنار قال الاخفش اي لانهم او بانهم وقال المحلي بدل من كلمة اي بدل الكل او الاشتمال على ارادة اللفظ او المعنى ثم ذكر احوال حملة العرش ومن حوله فقال الذين يحملون العرش ومن حوله الموصول مبتدء وخبره قوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين امنوا والجملة مستانفة مسوقة لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان ان هذا الجنس من الملائكة الذين هم اعلى طبقاتهم واولهم وجودا يضمون الى تسبيحهم لله والايمان به الاستغفار للذين امنوا بالله ورسوله وصدقوا وفيه دليل على ان الاشتراك في الايمان يجب ان يكون ادعى شيء الى النصيحة والشفقة وان تباعدت الاجناس وشطت الاماكن والمراد بمن حول العرش هم الملائكة الذين يطوفون به مهللين مكبرين وهم الكروبيون وهو في محل رفع عطفا على الذين الخ وهذا هو الظاهر وقيل يجوز ان يكون في محل نصب عطفا على العرش والاول اولى والمعنى ان الملائكة الذين يحملون العرش وكذلك الملائكة الذين هم حول العرش ينزهون الله متلبسين بحمده على نعمه ويؤمنون بالله ببصائرهم ويستغفرون الله لعباده المؤمنين به واخبر عنهم بالايمان اظهار الفضله وتعظيما لاهله ومساق الاية لذلك وهم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيامة ارد فهم الله تعالى باربعة اخر كما قال تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وهم اشرف الملائكة وافضلهم لقربهم من الله عز وجل وهم على صورة الاوعال والعرش فوق ظهورهم ذكره القشيري واخرجه الترمذي من حديث ابن عباس واستفيد منه ان حمل الملائكة للعرش على ظهورها وقد ورد في بيان مسافة اظلافهم الى ركبهم وارجلهم واقدامهم وما بين شحمة اذنهم الى عاتقهم والفاظ تسبيحهم اخبار واثار وكذا في صفة العرش وبعد ما بين السماء السابعة وبين العرش والمعول عليه

وقف لازم

منها ما ورد في الصحيح ثم بين سبحانه كيفية استغفارهم للمؤمنين فقال حاكيا عنهم رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا اي وسعت
رحمتك كل شي وعلمك كل شي وتقديم الرحمة على العلم لانها المقصودة بالذات هنا قاله البيضاوي ونحوه ابو السعود لان المقام مقام
الاستغفار والا فالعلم متقدم ذاتا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا اي اوقعوا التوبة عن الذنوب او عن الشرك
وان كان عليهم ذنوب وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وهو دين الاسلام وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ اي احفظهم
منه واجعل بينهم وبينه وقاية بان تلزمهم الاستقامة وتتم نعمتك عليهم فانك وعدت من
كان كذلك بذلك ولا يبدل القول لديك وان كان يجوز ان تفعل ما تشاء وان الخلق عبيدك
رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ اي اقامة معطوف على قولهم وسط الجملة الندائية لقصد المبالغة
بالتكرير ووصف جنات عدن بانها هي الَّتِي وَعَدْتَهُمْ اياها وادخل مَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ
وَذُرِّيَّاتِهِمْ المراد بالصلاح هنا الايمان بالله والعمل بما شرعه الله فمن فعل ذلك فقد صلح لدخول
الجنة ويجوز عطف ومن صلح على الضمير في وعدتهم اي ووعدت من صلح والاولى عطفه على الضمير الاول في
وادخلهم لان الدعاء لهم بالادخال صريح وعلى الثاني ضمني والمعنى ساوينهم ليتم سرورهم قرء الجمهور
بفتح اللام من صلح وذرياتهم على الجمع وقرء ابن ابي عبلة بضم اللام وقرء عيسى بن عمر على الافراد إِنَّكَ
أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ اي الغالب القاهر الكثير الحكمة الباهرة وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ يقال وقاه يقيه وقاية
اي حفظه والمعنى احفظهم عن العقوبات او جزاء السيئات على تقدير مضاف محذوف قال قتادة
وقهم ما يسوءهم من العذاب وهذا دعاء يتناول عذاب الجحيم وعذاب موقف القيامة والحساب
السؤال وقوله وقهم عذاب الجحيم مقصور على ازالة عذاب النار فيكون تعميما بعد تخصيص او الاول
دعاء للاصول والثاني للفروع والضمير راجع للمعطوف وهو الآباء والازواج والذرية افاده ابو السعود
وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ اي يوم القيامة والتنوين عوض عن جملة غير موجودة في الكلام بل
متصيدة من السياق وتقديرها يوم اذ تدخل من تشاء الجنة ومن تشاء النار المسببة عن السيئات
وهو يوم القيامة وقيل التقدير يوم اذ تؤاخذ بها وجواب من فَقَدْ رَحِمْتَهُ من عذابك وادخلته
جنتك وَذَلِكَ اي ما تقدم من ادخالهم الجنات ووقايتهم السيئات هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ اي الظفر
الذي لا ظفر مثله والنجاة التي لا تساويها نجاة حيث وجدوا باعمال منقطعة نعيما لا ينقطع وبافعال
حقيرة ملكا لا تصل العقول الى كنه جلالته قال مطرف انصح عباد الله للمؤمنين الملائكة واغش الخلق

ع ١٩

لهم هم الشياطين ثم لما ذكر سبحانه اصحاب النار وانها حقت عليهم كلمة العذاب ذكر احوالهم بعد دخول
النار فقال ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ﴾ قال الواحدي قال المفسرون انهم لما رأوا اعمالهم ونظروا
في كتابهم وادخلوا النار ومقتوا انفسهم بسوء صنيعهم ناداهم حين عاينوا عذاب الله مناد ﴿لَمَقْتُ اللَّهِ﴾ اياكم
في الدنيا ﴿أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ اليوم او من مقت بعضكم بعضا اليوم قال الاخفش هذه اللام
هي لام الابتداء وقعت بعد ينادون لان معناه يقال لهم والنداء قول قال الكلبي يقول كل انسان
من اهل النار لنفسه مقتك يا نفسي فتقول الملائكة لهم وهم في النار لمقت الله اياكم اذ انتم في الدنيا
اشد من مقتكم انفسكم اليوم وقال الحسن يعطون كتابهم فاذا نظروا الى سيئاتهم مقتوا انفسهم
فينادون لمقت الله اياكم في الدنيا ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾ اكبر من مقتكم انفسكم اذ عاينتم
النار والظرف منصوب بمقدر محذوف دل عليه المذكور اي مقتكم وقت دعائكم وقيل هو اذكروا وقيل
بالمقت المذكور والمقت اشد البغض والمراد هنا لازمه وهو الغضب عليهم وتعذيبهم قاله ابو السعود
وقال الكرخي المراد منه هنا اشد الانكار والزجر ﴿فَتَكْفُرُونَ﴾ اي فتصرون على الكفر اتباعا لانفسكم
الامارة ومسارعة الى هواها واقتداء باخلائكم المضلين وتقليدا لاسلافكم المتقدمين استحبابا
لآرائهم ثم اخبر سبحانه عما يقولون في النار فقال ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ نعتان
لمصدر محذوف اي امتنا اماتتين اثنتين واحييتنا احياءتين اثنتين والمراد بالاماتتين انهم
كانوا نطفا لا حياة لها في اصلاب آبائهم ثم اماتهم بعد ان صاروا احياء في الدنيا والمراد بالاحياءتين
انه احياهم الحياة الاولى في الدنيا ثم احياهم عند البعث ومثل هذه الاية قوله وكنتم امواتا فاحياكم ثم
يميتكم ثم يحييكم قاله ابن مسعود اي كانوا امواتا في صلب آبائهم ثم اخرجهم فاحياهم ثم اماتهم ثم
يحييهم بعد الموت وقيل معنى الاية انهم اميتوا في الدنيا عند انقضاء آجالهم ثم احياهم الله في قبورهم
للسؤال ثم اميتوا ثم احياهم الله في الآخرة ووجه هذا القول ان الموت سلب الحياة ولا حياة للنطفة ووجه
القول الاول ان الموت قد يطلق على عادم الحياة من الاصل وقد ذهب الى التفسير الاول جمهور السلف وقال
ابن زيد المراد بالاية انه خلقهم في ظهر آدم واستخرجهم واحياهم واخذ عليهم الميثاق ثم اماتهم ثم احياهم
في الدنيا ثم اماتهم وقال ابن عباس قال كنتم ترابا قبل ان يخلقكم فهذه ميتة ثم احياكم فخلقكم فهذه حياة
ثم يميتكم فترجعون الى القبور فهذه ميتة اخرى ثم يبعثكم يوم القيامة فهذه حياة اخرى فهما موتتان وحياتان

كقوله كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم الآية ثم ذكر سبحانه اعترافهم بعد ان صاروا في النار بما كذبوا به في الدنيا فقال حاكيا عنهم فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا التي اسلفناها في الدنيا من تكذيب الرسل والاشراك بالله وترك توحيده فاعترفوا حيث لا ينفعهم الاعتراف وندموا حيث لا ينفعهم الندم و المعنى لما رأوا الاماتة والاحياء قد تكررا عليهم علموا ان الله قادر على الاعادة كما هو قادر على الانشاء فاعترفوا وقد جعلوا اعترافهم هذا مقدمة لقولهم فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ لنا من النار ورجوع لنا الى الدنيا لنطيع ربنا مِّن سَبِيلٍ اي من طريق سريع او بطيء لنتخلص منها ام اليأس واقع دون ذلك فلا خروج ولا سبيل اليه وهذا كلام من غلب عليه اليأس وانما يقولون ذلك تحيرا ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك ومثل هذا قولهم الذي حكاه الله عنهم فهل الى مرد من سبيل وقوله فارجعنا نعمل صالحا وقوله يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا الآية ثم اجاب الله سبحانه عن قولهم هذا بقوله ذَٰلِكُم مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف اي الامر ذلكم او مبتدأ خبره محذوف اي ذلكم العذاب الذي انتم فيه بِأَنَّهُ اي بسبب انه إِذَا دُعِيَ اللَّهُ في الدنيا وَحْدَهُ دون غيره كَفَرْتُمْ به وتركتم توحيده وَإِن يُشْرَكْ بِهِ غيره من الاصنام او غيرها تُؤْمِنُوا بالاشراك به وتصدقوا به وتجيبوا الداعي اليه فبين سبحانه لهم السبب الباعث على عدم اجابتهم الى الخروج من النار وهو ما كانوا فيه من اشراك غيره به في العبادة التي رأسها الدعاء وترك توحيد الله فَالْحُكْمُ لِلَّهِ وحده دون غيره وهو الذي حكم عليكم بالخلود في النار وعدم الخروج منها فتعذيبه لكم عدل نافذ الْعَلِيِّ المتعالي سلطانه عن ان يكون له مماثل في ذاته و صفاته فلا يرد قضاؤه الْكَبِيرِ الذي كبر عن ان يكون له مثل او صاحبة او ولد او شريك فلا يعجز جزاؤه وقيل كان الحرورية اخذوا قولهم لا حكم الا لله من هذا وقال قتادة لما خرج اهل حروراء قال علي من هؤلاء قيل المحكمون اي يقولون لا حكم الا لله فقال علي كلمة حق اريد بها الباطل هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ اي دلائل توحيده وعلامات قدرته من الريح والسحاب والرعد والبرق ونحوها وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا يعني مطرا فانه سبب الارزاق جمع سبحانه بين اظهار الآيات وانزال الارزاق لان باظهار الآيات قوام الاديان وبالارزاق قوام الابدان وهذه الآيات هي التكوينية التي جعلها الله سبحانه في سمواته وارضه وما فيهما وما بينهما قرأ الجمهور ينزل بالتشديد وقرئ بالتخفيف وصيغة المضارع في الفعلين للدلالة على تجدد الاراءة والتنزيل واستمرارهما وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ اي ما يتعظ بتلك الآيات الباهرة فيستدل بها على



التوحيد، وصدق الوعد والوعيد الا من يرجع الى طاعة الله بما يستفيده من النظر في آيات الله ويتوب من الشرك ويرجع اليه في جميع اموره فان المعاند لا يتذكر ولا يتعظ ثم لما ذكر سبحانه ما نصبه من الادلة على التوحيد امر عباده بدعائه واخلاص الدين له فقال فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ اي اذا كان الامر كما ذكر من اختصاص التذكير بمن ينيب فادعوا الله وحده مخلصين له العبادة التي امركم بها وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ذلك فلا تلتفتوا الى كراهتهم ودعوهم يموتوا بغيظهم ويهلكوا بحسرتهم رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ مرفوع على انه خبر آخر عن المبتدء المتقدم اي هو الذي يريكم آياته وهو رفيع الدرجات وكذلك ذُو الْعَرْشِ خبر ثالث ويجوز ان يكون رفيع مبتدء وخبره ذو العرش ويجوز ان يكونا خبرين لمبتدء محذوف و رفيع صفة مشبهة والمعنى رفيع الصفات عظيمها او رفيع درجات ملائكته اي معارجهم او رفيع درجات انبيائه واوليائه في الجنة وقال الكلبي و سعيد بن جبير رفيع السموات السبع وعلى هذا الوجه يكون رفيع بمعنى رافع وقيل هو ترفع بعظمته في صفات جلاله وكماله و وحدانيته المستغني عن كل ماسواه وكل الخلق فقراء اليه ومعنى ذو العرش مالكه وخالقه والمتصرف فيه خلقه مطافا للملائكة وجعله فوق سمواته وذلك يقتضي علو شانه وعظم سلطانه ومن كان كذلك فهو الذي تحق له العبادة ويجب له الاخلاص وجملة يُلْقِي الرُّوحَ في محل رفع على انها خبر آخر للمبتدء المتقدم او المقدر اي ينزل الوحي وسمي الوحي روحا لان الناس يحيون به من موت الكفر كما تحيى الابدان بالارواح ومثل هذه الآية قوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وقيل الروح جبريل كما في قوله نزل به الروح الامين على قلبك وقوله نزله روح القدس من ربك بالحق وقوله مِنْ أَمْرِهِ متعلق بيلقي ومن لابتداء الغاية ويجوز ان يكون متعلقا بمحذوف على انه حال من الروح والمعنى من اجل امره او بامره او من قضائه عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وهم الانبياء لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ قرء الجمهور مبنيا للفاعل ونصب اليوم والفاعل هو الله سبحانه او الرسول او من يشاء والمنذر به محذوف اي لينذر العذاب يوم التلاق وقرئ لتنذر بالفوقية على ان الفاعل ضمير المخاطب وهو الرسول او ضمير يرجع الى الروح لانه يجوز تانيثها وقرئ على البناء للمفعول ورفع يوم على النيابة والتلاق بحذف الياء واثباتها وقفا ووصلا وتوجيه ذلك ذكره الفاسي في شرح الشاطبية فليراجع والمعنى يوم يلتقي اهل السموات والارض في المحشر وبه قال قتادة وقال ابو العالية ومقاتل يوم يلتقي العابدون والمعبودون وقيل الظالم والمظلوم وقيل يلتقي الخلق والخالق

وقيل الاولون والآخرون وقيل جزاء الاعمال والعاملون قال ابن عباس يوم التلاق يوم القيامة
يلتقي فيه آدم وآخر ولده وعنه قال هو يوم الآزفة ونحو هذا من اسماء يوم القيامة عظمه الله وحذر منه عباده
يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ اي خارجون من قبورهم لا يسترهم شيء من جبل او اكمة او بناء لكون الارض يومئذ قاعا
صفصفا ولا ثياب عليهم وانما هم عراة مكشوفون كما في الحديث يحشرون عراة حفاة غرلا وهو بدل من يوم
التلاق بدل كل من كل ويوم ظرف مستقبل كاذا مضاف الى الجملة الاسمية على طريقة الاخفش وحركة
يوم حركة اعراب على المشهور وقيل حركة بناء كما ذهب اليه الكوفيون ويكتب هنا وفي الذاريات منفصلا
وهو الاصل افاده السمين ونحوه في شرح الجزرية لشيخ الاسلام لان هم مرفوع بالابتداء فالمناسب القطع
وما عداهما نحو يومهم الذي يوعدون وحتى يلاقوا يومهم موصول لان هم فيهما مجرور فالمناسب
الوصل وجملة لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ مستأنفة مبينة لبروزهم اي لا يخفى عليه سبحانه شيء من ذواتهم
واحوالهم واعمالهم التي عملوها في الدنيا او حال من ضمير بارزون او خبر ثان للمبتدأ وقوله لمن خبر مقدم
وقوله الْمُلْكُ الْيَوْمَ مبتدأ مؤخر والجملة مستأنفة جواب سؤال مقدر كأنه قيل فماذا يقال عند بروز
الخلائق في ذلك اليوم فقيل يقال لمن الملك اليوم قال المفسرون اذا هلك كل من في السموات والارض
فيقول الرب تبارك وتعالى هذا القول فلا يجيبه احد فيجيب تعالى نفسه فيقول لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ خبر مبتدأ محذوف
قال الحسن هو السائل وهو المجيب حين لا احد يجيبه فيجيب نفسه وقيل انه سبحانه يأمر مناديا ينادي
بذلك فيقول اهل المحشر مؤمنهم وكافرهم لله الواحد القهار قال النحاس وهذا اصح ما قيل فيه وقيل
الاول ظاهر جدا وقيل انه يجيب المنادي بهذا الجواب اهل الجنة دون اهل النار افاده الزمخشري وقيل هو حكاية
لما ينطق به لسان الحال في ذلك اليوم لانقطاع دعاوي المبطلين كما في قوله وما ادراك ما يوم الدين
ثم ما ادراك ما يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله وقال القرطبي ذلك عند فناء
الخلق وقيل يقوله تعالى بين النفختين ويجيب نفسه بعد اربعين سنة الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ
هذا من تمام الجواب على القول بان المجيب هو الله سبحانه واما على القول بان المجيب هم العباد كلهم او بعضهم
فهو مستأنف لبيان ما يقوله الله سبحانه بعد جوابهم اي اليوم تجزى كل نفس بما عملت في الدنيا من خير
وشر لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ على احد منهم بنقص من ثوابه او بزيادة في عقابه إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ اي سريع
حسابه لانه سبحانه لا يحتاج الى تفكر في ذلك كما يحتاجه غيره لاحاطة علمه بكل شيء فلا يعزب عنه مثقال ذرة

قيل يحاسب جميع الخلق في قدر نصف نهار من ايام الدنيا لانه تعالى لا يشغله حساب عن حساب
يحاسب الخلق في وقت واحد لحديث ورد بذلك عن ابن مسعود قال يجمع الله الخلق يوم القيامة
بصعيد واحد بارض بيضاء كانها سبيكة فضة لم يعص الله فيها قط فاول ما يتكلم ان ينادي
مناد لمن الملك اليوم الى قوله للحساب اخرجه عبد بن حميد فاول ما يبدؤ به من الخصومات
الدماء وقال ابن عباس ينادي مناد بين يدي الساعة يا ايها الناس اتتكم الساعة فيسمعها الاحياء
والاموات وينزل الله الى السماء الدنيا فيقول لمن الملك اليوم لله الواحد القهار الاية واخرج ابن ابي الدنيا
في البعث والديلمي عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله ثم امر الله سبحانه رسوله بانذار عباده فقال
وانذرهم يوم الازفة اي يوم القيامة سميت بذلك لقربها يقال ازف فلان او الرحيل اي قرب يازف
ازفا من باب تعب وازوفا دنا وقرب ومنه قوله تعالى ازفت الازفة اي قربت الساعة ودنت القيامة
وقيل ان يوم الازفة هو يوم حضور الاجل والاول اولى قال الزجاج وقيل لها ازفة لانها قريبة وان استبعد
الناس امرها وما هو كائن فهو قريب اذ القلوب لدى الحناجر وذلك انها تزول عن مواضعها وترتفع
عن اماكنها من الخوف حتى تصير الى الحنجرة وتلصق بحلوقهم فلا تعود فيستريحوا بالنفس ولا تخرج فيستريحوا
بالموت كقوله وبلغت القلوب الحناجر جمع حنجور كحلقوم وزنا ومعنى او جمع حنجرة وهي الحلقوم كاظمين
بغمه مغمومين مكروبين ممتلئين غما قال الزجاج المعنى اذ قلوب الناس لدى الحناجر في حال كظمهم
قال قتادة وقعت قلوبهم في الحناجر من المخافة فهي لا تخرج ولا تعود في امكنتها وقيل هو اخبار عن نهاية
الجزع وانما قال كاظمين باعتبار اهل القلوب لان المعنى اذ قلوب الناس لدى حناجرهم فيكون حالا منهم
وقيل حالا من القلوب وجمع الحال منها جمع العقلاء لانه اسند اليها ما يسند الى العقلاء فجمعت جمعه
ثم بين سبحانه انه لا ينفع الكافرين في ذلك اليوم احد فقال ما للظالمين من حميم اي قريب ومحب ينفعهم
وحميمك قريبك الذي يهتم لامره ولا شفيع يطاع في شفاعته لهم قال الكرخي حقيقة الاطاعة لا تتاتى
هنا لان المطاع يكون فوق المطيع رتبة ومقتضاه ان الشافع يكون فوق المشفوع عنده وهذا محال
هنا لان الله تعالى لا شيء فوقه فهو مجاز ومعناه ولا شفيع يشفع اي يؤذن له في الشفاعة او تقبل
شفاعته وقال المحلي لا مفهوم للوصف اذ لا شفيع لهم اصلا اي لا مطاع ولا غيره ثم وصف سبحانه شمول
علمه بكل شيء وان كان في غاية الخفاء فقال يعلم خائنة الاعين وهي مسارقة النظر الى ما لا يحل

النظر اليه والخائنة مصدر كالعافية والكاذبة اي يعلم خيانة الاعين والجملة خبر آخر لقوله هو
الذي يريكم او خبر رابع عن المبتدء الذي اخبر برفيع وما بعده عنه والاول هو الظاهر وقيل غير ذلك
قال المورج فيه تقديم وتاخير اي يعلم الاعين الخائنة وقيل الاضافة على معنى من اي الخائنة من
الاعين قال قتادة خائنة الاعين الهمز بالعين فيما لا يحب الله وقال الضحاك هو قول الانسان ما رأيت
وقد رأى ورأيت وما رأى وقال السدي انه الرمز بالعين وقال سفيان هي النظرة بعد النظرة وبه قال
الفراء والاول اولى وبه قال مجاهد قال ابن عباس في الاية الرجل يكون في القوم فتمر بهم المرأة فيريهم انه
يغض بصره عنها واذا غضوا نظر اليها واذا نظروا اغض بصره عنها وقد اطلع الله من قلبه انه ود
ان ينظر الى عورتها اخرجه سعيد بن منصور وابن ابي شيبة وابن المنذر وابن ابي حاتم واخرج الطبراني
في الاوسط وابو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب عنه في الاية قال اذا نظر اليها يريد الخيانة ام لا وما تخفي
الصدور قال اذا قدر عليها ايزني بها ام لا الا اخبركم بالتي تليها والله يقضي بالحق قادر على ان يجزي
بالحسنة الحسنة وبالسيئة السيئة واخرج ابو داود والنسائي وابن مردويه عن سعد قال لما
كان يوم فتح مكة امن النبي صلى الله عليه وسلم الناس الا اربعة نفر وامرأتين وقال اقتلوهم وان وجدتموهم
متعلقين باستار الكعبة منهم عبد الله بن سعد بن ابي سرح فاختبى عند عثمان بن عفان فلما دعى
رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الى البيعة جاء به فقال يا رسول الله بايع عبد الله فرفع راسه فنظر اليه
ثلثا كل ذلك يابى بيعته ثم بايعه ثم اقبل على اصحابه فقال ما كان فيكم رجل رشيد يقوم الى هذا
حين رأني كففت يدي عن بيعته فيقتله فقالوا ما يدرينا يا رسول الله ما في نفسك هلا اومأت
الينا بعينك فقال انه لا ينبغي لنبي ان تكون له خائنة الاعين ﴿وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ اي القلوب من
الضمائر وتستره وتكنه وتضمره من معاصي الله او من امانة وخيانة او النظرة الاولى او هل يزني
بها لو خلا بها او لا ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾ فيجازي كل احد بما يستحقه من خير وشر ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ
دُونِهِ﴾ اي يعبدونهم من دون الله قرأ الجمهور بالتحتية يعني الظالمين وقرئ بالفوقية على الخطاب
لهم وهما سبعيتان ﴿لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ﴾ لانهم لا يعلمون شيئا ولا يقدرون على شيء فكيف يكونون شركاء
لله وهذا تهكم بهم لان ما لا يوصف بالقدرة كالجماد لا يقال فيه يقضي او لا يقضي ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ
الْبَصِيرُ﴾ فلا يخفى عليه من المسموعات والمبصرات خافية تقرير لقوله يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور

والقضاء بالحق ووعيد لهم بانه يسمع ما يقولون ويبصر ما يعملون وانه يعاقبهم عليه وتعريض
بما يدعون من دونه وانها لا تسمع ولا تبصر ولما خوفهم سبحانه باحوال الآخرة اردفه ببيان تخويفهم
باحوال الدنيا فقال أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ
لان العاقل من اعتبر بحال غيره اي اغفلوا ولم يسيروا في الارض فيعتبروا بمن قبلهم من الامم المكذبة
لرسلهم كعاد وثمود واضرابهم والعاقبة بمعنى الصفة او بمعنى المآل ارشدهم الله سبحانه الى الاعتبار
بغيرهم فان الذين مضوا من الكفار كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً اي من هؤلاء الحاضرين من الكفار
بيان للتفاوت بين حال هؤلاء واولئك وفي قراءة منكم اي التفاتا من الغيبة الى الخطاب وقع
ضمير الفصل هنا بين معرفة ونكرة مع انه لا يقع الا بين معرفتين لكون النكرة هنا مشابهة للمعرفة
من حيث امتناع دخول أل عليها لان اصل التفضيل المقرون بمن لا تدخل عليه أل وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ
بما عمروا فيها من الحصون المتينة والمصانع الحصينة والقصور المشيدة وبما لهم من العدد و
العدة فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ اي عاقبهم واهلكهم بسبب ذنوبهم وتكذيبهم رسلهم وَمَا كَانَ
لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ اي دافع يدفع عنهم العذاب ويقيهم وقد مر تفسير هذه الآية في مواضع ذلك
اي ما تقدم من الاخذ بِأَنَّهُمْ اي بسبب انهم كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ اي بالحجج الواضحة
والمعجزات الظاهرة فَكَفَرُوا بما جاؤهم به فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ يفعل كل ما يريده لا يعجزه شيء
شَدِيدُ الْعِقَابِ لمن عصاه ولم يرجع اليه ثم ذكر سبحانه قصة موسى ليعتبروا فقال وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا
مُوسَى بِآيَاتِنَا اي متلبسا بها وهي التسع التي تقدم ذكرها في غير موضع وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ اي حجة بينة
واضحة وهي التوراة وقيل المراد به اما الآيات نفسها والعطف لتغاير العنوانين واما بعضها اي
المشهور منها كاليد والعصا وافردت بالذكر مع اندراجها تحت الآيات اعتناء بها إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ
وَقَارُونَ خصهم بالذكر لانهم رؤساء المكذبين بموسى ففرعون الملك وهامان الوزير وقارون صاحب
الاموال والكنوز وكان مدار التدبير في عداوته كان عليهم فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ فيما جاءهم به القائل
فرعون وقومه واما قارون فلم يقل ذلك ففي الكلام تغليب وكذا يقال في قوله قالوا اقتلوا وقال الخطيب كان
هذا قول قارون وان لم يقله بالفعل فانه طبع على الكفر ففعله اخرا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْحَقِّ مِنْ
عِنْدِنَا وهي معجزاته الظاهرة الواضحة قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قال قتادة هذا قتل

غير القتل الاول لان فرعون قد كان امسك وكف عن قتل الولدان وقت ولادة موسى فلما بعث الله موسى واحس بانه قد وقع ما وقع اعاد القتل على بني اسرائيل غيظا وحنقا فكان يأمر بقتل الذكور وترك الاناث ومثل هذا قول فرعون سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم والمعنى اعيدوا عليهم ما كنتم تفعلونه اولا عما منه انه يصدهم بذلك عن مظاهرته ظنا منهم انه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكهم على يديه فشغلهم الله عن ذلك بما انزل عليهم من انواع العذاب كالضفادع والقمل والدم والطوفان الى ان خرجوا من مصر فاغرقهم الله تعالى واستحيوا اي استبقوا نساءهم للخدمة وما كيد الكافرين الا في ضلال اي في خسران وضياع ووبال لانه يذهب باطلا ولا يغني عنهم شيئا ويحيق بهم ما يريد الله عز وجل وان الناس لا يمتنعون من الايمان وان فعل بهم مثل هذا بل ينفذ عليهم لا محالة القدر المقدور والقضاء المحتوم واللام اما للعهد والاظهار في موضع الاضمار لذمهم بالكفر والاشعار بعلة الحكم او للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا والجملة اعتراض جيء بها في تضاعيف ما حكي عنهم من الاباطيل للمسارعة الى بيان بطلان ما اظهروه واضمحلاله بالمرة وقال فرعون ذروني اقتل موسى اي اتركوني ان اقتله والظاهر من حال اللعين انه قد استيقن انه نبي وان ما جاء به حق ولكن كان يخاف ان هم بقتله ان يعاجل بالهلاك وانما قال ذلك تمويها وايهاما انهم هم المانعون له من قتله ولولاهم لقتله مع انه ما منعه الا ما في نفسه من الفزع الهائل وقوله وليدع ربه تجلد منه واظهار لعدم المبالاة ولكنه اخوف الناس منه في منعه من قتله وجوه ذكرها الخطيب اي ليدع الذي يزعم انه ارسله الينا فليمنعه من القتل ان قدر على ذلك اي لا يهولنكم ذلك فانه لا رب له حقيقة بل انا ربكم الاعلى ثم ذكر العلة التي لاجلها اراد ان يقتله فقال اني اخاف ان لم اقتله ان يبدل دينكم الذي انتم عليه من عبادة غير الله ويدخلكم في دينه الذي هو عبادة الله وحده او ان يظهر في الارض الفساد اي يوقع بين الناس الخلاف والفتنة جعل اللعين ظهور ما دعى اليه موسى وانتشاره في الارض واهتداء الناس اليه فسادا وليس الفساد الا ما هو عليه هو ومن تابعه والمعنى انه لابد من وقوع احد الامرين او وقوع الامرين جميعا وقال موسى اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب لما هدده فرعون بالقتل لم يأت في دفع شر اللعين الا بان استعاذ بالله عز وجل من كل متعظم عن الايمان بالله غير مؤمن بالبعث والنشور واعتمد عليه فلا جرم صانه الله عن كل بلية

ويدخل فرعون في هذا العموم دخولاً اولياً ولم يسم فرعون بل ذكره بوصف يعمه وغيره من الجبابرة
لتعميم الاستعاذة والاشعار بعلة القساوة والجرأة على الله تعالى وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ
يَكْتُمُ إِيمَانَهُ قال الحسن ومقاتل والسدي كان قبطياً وهو ابن عم فرعون وهو الذي نجى مع موسى وهو المراد
بقوله وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى وقيل كان من بني اسرائيل ولم يكن من آل فرعون وهو خلاف ما
في الآية وقد تمحل لذلك بان في الآية تقديماً وتاخيراً والتقدير وقال رجل من بني اسرائيل يكتم
ايمانه من آل فرعون قال القشيري ومن جعله اسرائيلياً ففيه بعد لانه يقال كتمه امر كذا ولا يقال
كتم منه كما قال سبحانه ولا يكتمون الله حديثاً وايضاً ما كان فرعون يحتمل من بني اسرائيل مثل هذا القول
وقد اختلف في اسم هذا الرجل فقيل حبيب وقيل شمعان وهو الاصح كما في مبهمات القرآن وقيل
حزقيل وبه قال ابن عباس واكثر العلماء وقال وهب كان اسمه جبريل وقيل غير ذلك قال ابن عباس
لم يكن في آل فرعون مؤمن غيره وغير امرأة فرعون وغير المؤمن الذي انذر موسى الذي قال ان الملأ
يأتمرون بك ليقتلوك قال ابن المنذر اخبرت انه حزقيل وعن ابي اسحق قال اسمه حبيب قرأ الجمهور
رجل بضم الجيم وقرئ بسكونها وهي لغة تميم ونجد والاولى هي الفصيحة وقرئ بكسر الجيم أَتَقْتُلُونَ
رَجُلًا الاستفهام للانكار أَن يَقُولَ اي لان يقول او كراهة ان يقول وقال الزمخشري اي وقت ان يقول
ورد ذلك لنص النحاة على خلافه وقال الامام تاج الدين ابن مكتوم اجاز ابن جني ذلك والاول اولى
رَبِّيَ اللَّهُ وهو ربكم ايضاً لا رب وحده وهو اشارة الى التوحيد وهذا انكار منه عظيم كانه قيل اترتكبون
الفعلة الشنعاء التي هي قتل نفس محرمة من غير روية وتامل في امره واطلاع على سبب يوجب قتله
وما لكم علة في ارتكابها الا كلمة الحق وهو قوله ربي الله وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ اي والحال
ان قد جاءكم بالمعجزات الواضحات والدلالات الظاهرات على نبوته وصحة رسالته والمعنى انه لم يحضر
لتصحيح قوله ببينة واحدة ولكن ببينات من عند من نسبت اليه الربوبية وهو استدراج لهم الى الاعتراف
به اخرج البخاري وغيره من طريق عروة قال قيل لعبد الله بن عمرو بن العاص اخبرنا باشد شيء صنعه
المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بفناء الكعبة اذ اقبل عقبة بن ابي
معيط فاخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً فاقبل ابو بكر فاخذ
بمنكبيه ودفعه عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال اتقتلون رجلاً ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم

واخرج البزار وابو نعيم في فضائل الصحابة عن علي بن ابي طالب انه قال يا ايها الناس اخبروني من اشجع
الناس قالوا انت قال اما اني ما بارزت احدا الا انتصفت منه ولكن اخبروني عن اشجع الناس قالوا
لا نعلم فمن قال ابو بكر رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم واخذته قريش فهذا يجبئه وهذا يتلتله وهم يقولون
انت الذي جعلت الالهة الها واحدا قال فوالله ما دنى منا احد الا ابو بكر يضرب هذا ويجئ هذا ويتلتل
هذا وهو يقول ويلكم اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله ثم رفع بردة كانت عليه فبكى حتى اخضلت لحيته
ثم قال انشدكم امؤمن آل فرعون خير ام ابو بكر فسكت القوم فقال الا تجيبون فوالله لساعة من ابي بكر
خير من مثل مؤمن آل فرعون ذاك رجل يكتم ايمانه وهذا رجل اعلن ايمانه ثم تلطف الرجل المؤمن
لهم في الدفع عن موسى واحتج عليهم بطريق التقسيم فقال وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ اي ضرر كذبه
وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ هذا كلام صادر عن غاية الانصاف وعدم التعصب
ولذلك قدم من شقي الترديد كونه كاذبا او انما خوفهم به اقتصارا على ما هو اظهر احتمالا عندهم ولكن
قوله هذا الشك منه فانه كان مؤمنا كما وصفه الله ولا يشك المؤمن والمعنى انه لم يصبكم كله فلا اقل
من ان يصيبكم بعضه لا سيما ان تعرضتم له بسوء وقال ابو عبيدة وابو الهيثم بعض هنا بمعنى كل اي
يصيبكم كل الذي يعدكم والبعض قد يستعمل في لغة العرب بمعنى الكل قال النسفي وتفسير البعض
بالكل مزيف انتهى نعم ولا ضرورة تلجئ الى الحمل ما في الآية على ذلك فكانه اراد التنزل معهم وايهامهم انه لا يعتقد
صحة نبوته كما يفيده قوله يكتم ايمانه قال اهل المعاني وهذا على الظاهر في الحجاج كانه قال لهم اقل ما
يكون في صدقه ان يصيبكم بعض الذي يعدكم وفي بعض ذلك هلاككم فكان الحاصل بالبعض هو
الحاصل بالكل وقال الليث بعض ههنا صلة يريد يصيبكم الذي يعدكم وقيل يصيبكم هذا العذاب
الذي يقوله في الدنيا وهو بعض ما يتوعدكم به من العذاب وقيل انه وعدهم بالثواب والعقاب
فاذا كفروا اصابهم العذاب وهو بعض ما وعدهم به وحذفت النون من يكن في الموضعين تخفيفا
لكثرة الاستعمال كما قال سيبويه إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ هذا من تمام كلام الرجل
المؤمن وهو احتجاج آخر ذو وجهين احدهما انه لو كان موسى مسرفا كذابا لما هداه الله الى البينات ولا
ايده بالمعجزات وثانيهما انه اذا كان كذلك خذله الله واهلكه فلا حاجة لكم الى قتله والمسرف المقيم
على المعاصي المستكثر منها والكذاب المفتري يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ذكرهم ذلك الرجل المؤمن ما هم فيه

من الملك ليشكروا الله ولا يتمادوا في كفرهم ومعنى ظَاهِرِينَ الظهور على الناس والغلبة لهم والاستعلاء
عليهم فِي الْأَرْضِ اي ارض مصر فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا اي من يمنعنا من عذابه ويحول
بيننا وبينه عند مجيئه وفي هذا تحذير منه لهم من نقمة الله بهم وانزال عذابه عليهم وانما نسب ما يسرهم
من الملك والظهور في الارض لهم خاصة ونظم نفسه في سلكهم فيما يسوءهم من مجيء باس الله تطييبا لقلوبهم
وايذانا بانه مناصح لهم ساع في تحصيل ما يفيدهم ودفع ما يرديهم ليتاثروا بنصحه فلما سمع فرعون ما قاله
هذا الرجل من النصح الصحيح جاء بمراوغة يوهم بها قومه انه لهم من النصيحة والرعاية بمكان مكين وانه لا يسلك
بهم الا مسلكا يكون فيه جلب النفع لهم ودفع الضر عنهم ولهذا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى اي ما اشير
عليكم الا بما ارى لنفسي قاله ابن زيد وهذا تفسير لمآل المعنى والتفسير المطابق لجوهر اللفظ ما قال الضحاك
ما اعلمكم الا ما اعلم من الصواب وهو قتل موسى والرؤية هنا هي القلبية الاعتقادية لا البصرية العلمية
فتعدى لمفعولين ثانيهما الا ما ارى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ اي ما اهديكم ولا ادعوكم بهذا
الرأي الا الى طريق الحق والهدى قرأ الجمهور بتخفيف الشين وقرأ معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه بتشديدها
على انها صيغة مبالغة كضراب قال النحاس هو لحن ولا وجه له ثم كرر ذلك الرجل المؤمن تذكيرهم وحذرهم
ان ينزل بهم ما نزل بمن قبلهم فقال الله حاكيا عنه وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ
اي مثل يوم عذاب الامم الماضية الذين تحزبوا على انبيائهم وافرد اليوم لان جمع الاحزاب قد اغنى
عن جمعه والاحزاب لم ينزل بها العذاب في يوم واحد بل نزل بها في الدنيا في ايام مختلفة مترتبة
ثم فسر الاحزاب فقال مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ اي مثل حالهم في
العذاب او مثل عادتهم في الاقامة على التكذيب ومثل جزاء ما كانوا عليه من الكفر والتكذيب وَمَا
اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ اي لا يعذبهم ولا يعاقبهم بغير ذنب ولا يترك الظالم منهم بغير انتقام او لا يزيد على
قدر ما يستحقون من العذاب او لا يهلكهم الا بعد اقامة الحجة عليهم ونفي الارادة للظلم يستلزم نفي
الظلم بفحوى الخطاب وتفسير المعتزلة بانه لا يريد لهم ان يظلموا بعيد لان اهل اللغة قالوا اذا قال الرجل
لآخر لا اريد ظلما لك معناه لا اريد ان اظلمك ثم زاد الرجل المؤمن في الوعظ والتذكير فقال وَيَا قَوْمِ
إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ قرأ الجمهور بتخفيف الدال وحذف الياء والاصل التنادي وهو التفاعل
من النداء يقال تنادى القوم اي نادى بعضهم بعضا وقرئ باثبات الياء على الاصل وقرأ ابن عباس

الضحاك و عكرمة قال بعض اهل اللغة هو لحن لانه من ندّ يندّ (بتشديد الدال) اذا مر على وجهه هاربا قال النحاس وهذا
غلط والقراءة حسنة على معنى التنافر قال الضحاك في معناه انهم اذا سمعوا بزفير جهنم ندوا هربا فلا يأتون
قطرا من اقطار الارض الا وجدوا صفوفا من الملائكة فيرجعون الى المكان الذي كانوا فيه فذلك قوله يوم
التناد وعلى قراءة الجمهور المعنى يوم ينادي بعضهم بعضا او ينادي اهل النار اهل الجنة واهل الجنة
اهل النار او يوم ينادي فيه كل اناس بامامهم ولا مانع من الحمل على جميع هذه المعاني وهو ما حكى الله
تعالى في سورة الاعراف ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ونادى
اصحاب الاعراف وقيل ينادي مناد الا ان فلانا سعد سعادة لا يشقى بعدها ابدا والا ان فلانا شقي شقاوة
فلا يسعد بعدها ابدا او ينادى حين يذبح الموت يا اهل الجنة خلود بلا موت ويا اهل النار خلود
بلا موت وقيل ينادى المؤمن هاؤم اقرؤا كتابيه وينادى الكافر يا ليتني لم اوت كتابيه يوم تولون
مدبرين اي منصرفين عن الموقف الى النار او فارين عنها غير معجزين قال قتادة ومقاتل المعنى
الى النار بعد الحساب ما لكم من الله من عاصم يعصمكم من عذاب الله ويمنعكم منه ومن يضلل الله
فما له من هاد يهديه الى طريق الرشاد قرئ هاد باثبات الياء وحذفها في الوقف وعلى حذفها في الوصل
مع حذفها خطأ ولقد جاءكم يوسف هذا من تمام وعظ مؤمن آل فرعون ذكرهم قديم عتوهم على
الانبياء وقيل ان هذا من قول موسى عليه السلام والاول اولى من قبل اي قبل موسى وهو يوسف
بن يعقوب في قول عمر الى زمن موسى قاله المحلي اي عاش واستمر يوسف بن يعقوب الى زمن موسى الكليم
قال سليمان الجمل وهذا القول لم يقله غيره من المفسرين وانما غاية ما وجد بعد التفتيش ما نقله
الشهاب بقوله وفي بعض التواريخ ان وفاة يوسف قبل مولد موسى باربع وستين سنة قال القاري الصحيح
ان المعمر هو فرعون موسى ادرك يوسف وعاش الى ان ارسل اليه موسى وعمر اربعمائة سنة واربعين
سنة انتهى وقال السيوطي في التحبير وعاش يوسف بن يعقوب مائة وعشرين سنة وبين يوسف
وموسى اربعمائة سنة انتهى وقيل هو فرعون آخر بالبينات اي انه جاءهم بالمعجزات الظاهرات والآيات
الواضحات من قبل مجيء موسى اليهم اي جاء الى ابائكم فجعل المجيء الى الاباء مجيئا الى الابناء وقال ابن جريج
المراد بالبينات رؤيا يوسف وقيل المراد بها قوله ءارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار وقيل المراد بيوسف
يوسف بن افرائيم بن يوسف بن يعقوب وكان اقام فيهم اي في القبط نبيا عشرين سنة وحكى النقاش

عن الضحاك ان الله بعث اليهم رسولا من الجن يقال له يوسف قال الشوكاني والاول اولى فما زلتم
اي ما زال اسلافكم في شك مما جاءكم به من البينات ولم تؤمنوا به حتى اذا هلك يوسف قلتم
اي قال اسلافكم لن يبعث الله من بعده رسولا فكفروا به في حياته وكفروا بمن بعده من الرسل بعد
موته وظنوا ان الله لا يجدد عليهم الحجة وانما قالوا ذلك على سبيل التشهي والتمني من غير حجة ولا برهان
ليكون لهم اساس في تكذيب الرسل الذين ياتون بعده وهذا ليس اقرارا منهم برسالته بل هو ضم منهم
الى الشك في رسالته والتكذيب برسالة من بعده افاده الخطيب والخازن كذلك الضلال الواضح
يضل الله من هو مسرف في معاصي الله مستكثر منها او مشرك مرتاب في دين الله شاك في وحدانيته
ووعده ووعيده وقوله الذين يجادلون في آيات الله بدل من من والجمع باعتبار معناها او بيان
لها او صفة او في محل نصب باضمار اعني او خبر مبتدأ محذوف اي هم الذين او مبتدأ وخبره يطبع
قال ابن جرير الذين يجادلون يعود وقيل الضمير يعود الى من في من هو مسرف مرتاب والاول اولى قيل
هذا من كلام الرجل المؤمن ايضا وقيل انه ابتداء كلام من الله سبحانه بغير سلطان اي بغير حجة و
وبرهان ساطع اتاهم صفة لسلطان كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا يحتمل ان يراد به التعجب و
الاستعظام وان يراد به الذم كبئس وفاعل كبر ضمير يعود الى الجدال المفهوم من يجادلون قال المحلي كبر
خبر المبتدأ انتهى وهذا اولى واحسن الاعاريب العشرة التي ذكرها السمين واليه نحا ابو حيان كذلك الطبع
الحكم البليغ يطبع الله على كل قلب متكبر جبار مستأنف قرأ الجمهور باضافة قلب الى متكبر واختارها ابو حاتم
وابو عبيد وفي الكلام حذف والتقدير كذلك يطبع الله على كل قلب كل متكبر فحذف كل الثانية لدلالة الاولى
عليها والمعنى انه سبحانه يطبع على قلوب جميع المتكبرين الجبارين وقرئ بتنوين قلب على ان متكبر صفة له
فيكون القلب مرادا به الجملة لان القلب هو محل التكبر وسائر الاعضاء تبع له في ذلك وهما سبعيتان
وقرأ ابن مسعود على قلب كل متكبر وتقديره عند الزمخشري على كل ذي قلب متكبر قال الشيخ ولا ضرورة
تدعو الى اعتبار الحذف قلت بل ثم ضرورة الى ذلك وهي توافق القراءتين ثم لما سمع فرعون هذا رجع
الى تكبره وتجبره معرضا عن الموعظة نافرا عن قبولها وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا اي قصرا
مشيدا كما تقدم بيان تفسيره في سورة القصص وقيل صرحا اي بناء ظاهرا لا يخفى على الناظرين
وان بعد ومنه يقال صرح الشيء اذا ظهر وفي المصباح الصرح بيت واحد يبنى منفردا طويلا ضخما وفي السمين

الصرح القصر او صحن الدار او بلاط يتخذ من زجاج واصله من التصريح وهو الكشف لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ
اي الطرق من السماء الى السماء قال قتادة والزهري والسدي والاخفش هي الابواب اي ابوابها الموصلة
اليها أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ بيان للاسباب لان الشيء اذا ابهم ثم فسر كان اوقع في النفوس وافخم للشأن او بدل
منها وانشد الاخفش عند تفسير للآية بيت زهير ❊ ومن هاب اسباب المنايا ينلنه ❊ ولو رام
اسباب السماء بسلم ❊ وقيل اسباب السموات الامور التي يستمسك بها وكل ما ادّاك الى شيء فهو
سبب اليه كالرشا ونحوه فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَٰهِ مُوسَىٰ اي انظر اليه واطلع على حاله قرء الاعرج السلمي و
عيسى بن عمر وحفص بالنصب على جواب الامر في قوله ابن لي وهذا راي البصريين او على جواب الترجي
كما قال ابو عبيد وغيره وهذا رأي الكوفيين قال النحاس معنى النصب خلاف معنى الرفع لان معنى النصب متى بلغت
الاسباب اطلعت وقرأ الجمهور بالرفع عطفا على ابلغ فهو على هذا داخل في حيز الترجي ومعناه لعلي ابلغ
ولعلي اطلع بعد ذلك وقيل غير ذلك وفي هذا دليل على ان فرعون كان بمكان من الجهل عظيم
وبمنزلة من فهم حقائق الاشياء سافلة جدا وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ اي موسى كَاذِبًا في ادعائه بان له الها
غيري مستويا على العرش فوق السموات او فيما يدعيه من الرسالة قال فرعون ذلك تمويها وتلبيسا
وتخليطا على قومه والا فهو يعرف ويعتقد حقيقة الاله وانه في جهة العلو ولكنه اراد التلبيس على
قومه توصلا لبقائهم على الكفر فكأنه يقول لو كان اله موسى موجودا لكان له محل ومحله اما الارض
واما السماء ولم نره في الارض فيبقى ان يكون في السماء والسماء لا يتوصل اليها بسلم وَكَذَٰلِكَ التزيين
زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ من الشرك والتكذيب فتمادى في الغي واستمر على الطغيان والمزين هو الشيطان
وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ اي سبيل الرشاد والهدى قرأ الجمهور وصد بفتح الصاد والدال اي صد فرعون الناس عن
السبيل وقرأ الكوفيون وصد بضم الصاد مبنيا للمفعول واختار هذه القراءة ابو عبيد وابو حاتم
ولعل وجه الاختيار لها منهما كونها مطابقة لما اجمعوا عليه في زين من البناء للمفعول والقراءتان
سبعيتان وقرأ يحيى بن وثاب وعلقمة صد بكسر الصاد وقرأ ابن ابي اسحق وعبد الرحمن بن ابي بكر بفتح الصاد
وضم الدال منونا على انه مصدر معطوف على سوء عمله اي زين له الشيطان سوء العمل والصد
وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ في ابطال آيات موسى إِلَّا فِي تَبَابٍ اي خسار وهلاك قال ابن عباس
التباب الخسران ومنه تبت يدا ابي لهب ثم ان ذلك الرجل المؤمن اعاد التذكير والتحذير كما حكى الله عنه بقوله

وقال الذي آمن يا قوم اتبعون بإثبات الياء وحذفها في الوصل والوقف والقراءتان سبعيتان وهذا
بالنظر للفظ وأما في الرسم فهي محذوفة لا غير لأنها من ياءات الزوائد أي اقتدوا بي في الدين اعملوا بنصيحتي
أهدكم سبيل الرشاد أي طريق الهدى والصواب وهو الجنة وهو ضد الغي وفيه تعريض شبيه بالتصريح
أن ما عليه فرعون وقومه سبيل الغي وقيل هذا من قول موسى والأول أولى يا قوم إنما هذه الحياة
الدنيا متاع يتمتع بها أياما ثم تنقطع وتزول لأن التنوين للتقليل فالإخلاد إليها أصل الشر ومنبع
الفتن ورأس كل بلاء وآفة وإن الآخرة هي دار القرار أي الاستقرار والثبات فلا انتقال ولا تحول
عنها لكونها دائمة لا تنقطع ومستمرة لا تزول والباقي خير من الفاني قال بعض العارفين لو كانت
الدنيا ذهبا فانيا والآخرة خزفا باقيا لكانت الآخرة خيرا من الدنيا فكيف والدنيا خزف فان والآخرة
ذهب باق قال ابن عباس الدنيا جمعة من جمع الآخرة سبعة آلاف سنة وأخرج ابن مردويه عن
أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الحياة الدنيا متاع وليس من متاعها شيء أفضل من المرأة الصالحة
التي إذا نظرت إليها سرتك وإذا غبت عنها حفظتك في نفسها ومالها من عمل سيئة من كلام الرجل
المؤمن والمعنى من عمل في دار الدنيا معصية من المعاصي كائنة ما كانت فلا يجزى إلا مثلها ولا يعذب
إلا بقدرها والظاهر شمول الآية لكل ما يطلق عليه اسم السيئة وقيل هي خاصة بالشرك ولا وجه لذلك
ومن عمل صالحا قيل هو لا إله إلا الله من ذكر أو أنثى وهو مؤمن أي مع كونه مؤمنا بما جاء
به رسله فأولئك الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح يدخلون الجنة بفتح الياء وضم الخاء وبالعكس
سبعيتان يرزقون فيها رزقا واسعا بغير حساب أي بغير تقدير ومحاسبة قال مقاتل يقول لا تبعة عليهم
فيما يعطون في الجنة من الخير ثم كرر ذلك الرجل المؤمن دعاءهم إلى الله وصرح بإيمانه ولم يسلك المسالك
المتقدمة من إيهامه لهم أنه منهم وأنه إنما تصدى لتذكيرهم كراهة أن يصيبهم بعض ما توعدهم
به موسى كما يقوله الرجل المحب لقومه من التحذير عن الوقوع فيما يخاف عليهم الوقوع فيه فقال و ترك
العطف في النداء الثاني لأنه تفصيل لإجمال الأول وهنا عطف لأنه ليس بتلك الثابة لأنه كلام مباين
للأول والثاني فحسن إيراد الواو العاطفة فيه ونحوه قال الزمخشري يا قوم ما لي تكرير النداء
لزيادة التنبيه لهم والإيقاظ عن سنة الغفلة وفيه أنهم قومه وأنه من آل فرعون والمعنى
أخبروني عنكم كيف هذه الحال أدعوكم إلى النجاة من النار ودخول الجنة بالإيمان بالله وإجابة

النصف

ورسله وتدعونني إلى النار بما تريدونه مني من الشرك وقيل المعنى ما لكم ادعوكم كما تقول ما لي اراك حزينا
اي ما لك ثم فسر الدعوتين فقال تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم اي ما لا علم لي
بكونه شريكا لله والمراد بنفي العلم نفي المعلوم بدل من تدعونني الاولى على جهة البيان لها واتى بجملة فعلية
لتدل على ان دعوتهم باطلة لا ثبوت لها وفي قوله وأنا أدعوكم بجملة اسمية لتدل على ثبوت دعوته وتقويها
إلى العزيز الغالب على امره وفي انتقامه ممن كفر الغفار لذنب من آمن به وتاب لا جرم قد تقدم تفسير
هذا في سورة هود وجرم فعل ماض بمعنى حق ولا الداخلة عليه لنفي ما ادعوه ورد ما زعموه وفاعل هذا
الفعل هو قوله أنما تدعونني إليه اي حق ووجب بطلان دعوته وما بمعنى الذي فكان حقها ان تكتب
مفصولة من النون كما هو القاعدة لكنها رسمت في المصحف الامام موصولة بالنون كما اشار له ابن الجزري
ليس له دعوة قال الزجاج معناه ليس له استجابة دعوة تنفع وقيل ليس له دعوة توجب له الالوهية
في الدنيا ولا في الآخرة وقال الكلبي ليس له شفاعة وأن مردنا إلى الله اي مرجعنا ومصيرنا اليه
بالموت اولا وبالبعث آخرا فيجازي كل احد بما يستحقه من خير وشر وأن المسرفين اي المستكثرين من
معاصي الله قال قتادة وابن سيرين يعني المشركين وقال مجاهد والشعبي هم السفهاء السفاكون للدماء
بغير حقها وبه قال ابن مسعود وقال عكرمة الجبارون المتكبرون وقيل هم الذين تعدوا حدود الله
والمعنى حق ان المسرفين هم أصحاب النار اي اهل جهنم ولما بلغ ذلك المؤمن في باب النصيحة الى هذا الكلام
ختم كلامه بخاتمة لطيفة فقال فستذكرون ما أقول لكم اذا نزل بكم العذاب وتعلمون اني
قد بالغت في نصحكم وتذكيركم وهو كلام مجمل مبهم وفي هذا الابهام والاجمال من التخويف والتهديد
ما لا يخفى وأفوض أمري إلى الله مستانف اي اتوكل عليه واسلم امري اليه قيل انه قال هذا لما ارادوا
الايقاع به قال مقاتل هرب هذا المؤمن الى الجبل فطلبوه فلم يقدروا عليه وقيل القائل هو موسى والاول
اولى إن الله بصير بالعباد يعلم المحق من المبطل فوقاه الله سيئات ما مكروا اي ما ارادوا به من المكر
السيء وما هموا به من الحاق انواع العذاب بمن خالفهم قال قتادة نجاه الله مع بني اسرائيل من الغرق
وحاق بآل فرعون اي احاط بهم ونزل عليهم سوء العذاب قال الكسائي يقال حاق يحيق
حيقا وحيوقا اذا نزل ولزم قال الكلبي غرقوا في البحر ودخلوا النار والمراد بآل فرعون فرعون
وقومه وترك التصريح به للاستغناء بذكرهم عن ذكره لكونه اولى بذلك

منهم او المراد بآل فرعون فرعون نفسه والاول اولى لانهم قد عذبوا في الدنيا جميعا بالغرق وسيعذبون في الآخرة بالنار ثم بين سبحانه ما اجمله من سوء العذاب فقال **النَّارُ يُعْرَضُونَ** اي تعرض ارواحهم من حين موتهم الى قيام الساعة **عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا** اي صباحا ومساء فارتفاع النار على انها بدل من سوء العذاب وقيل على انها خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ وخبره يعرضون والاول اولى ورجحه الزجاج وعلى الوجهين الاخيرين تكون الجملة مستأنفة جواب سؤال مقدر وقرئ بالنصب على تقدير فعل يفسره يعرضون من حيث المعنى اي يصلون النار يعرضون عليها او على الاختصاص واجاز الفراء الخفض على البدل من العذاب واخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان احدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ان كان من اهل الجنة فمن اهل الجنة وان كان من اهل النار فمن اهل النار يقال له هذا مقعدك حين يبعثك الله اليه يوم القيامة زاد ابن مردويه ثم قرأ النار يعرضون عليها غدوا وعشيا وعرضهم عليها احراقهم بها يقال عرض الامام الاسارى على السيف اذا قتلهم بها وفي هذين الوقتين يعذبون بالنار وفيما بين ذلك اما ان يعذبوا بجنس آخر او ينفس عنهم ويجوز ان يكون غدوا وعشيا عبارة عن الدوام واحتج بعض اهل العلم على اثبات عذاب القبر بهذه الآية اعاذنا الله تعالى عنه بمنه وكرمه وبه قال مجاهد وعكرمة ومحمد بن كعب كلهم قال القرطبي ان ارواحهم في جوف طير سود تغدو على جهنم وتروح كل يوم مرتين فذلك عرضها انتهى وقد حققنا ذلك في كتابنا ثمار التنكيت في شرح ابيات التثبيت بالفارسية فليعلم ثم ذهب الجمهور الى ان هذا العرض هو في البرزخ قال الفراء ويكون في الآية تقديم وتاخير اي ادخلوا آل فرعون اشد العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ولا ملجئ الى هذا التكلف فان قوله **وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ** الخ يدل دلالة واضحة على ان ذلك العرض هو في البرزخ **اَدْخِلُوا** اي يقال للملائكة ادخلوا **آلَ فِرْعَوْنَ اَشَدَّ الْعَذَابِ** هو عذاب النار فانه اشد مما كانوا فيه وقيل انواع من العذاب بعضها اشد من بعض غير الذي كانوا يعذبون بها منذ اغرقوا قرأ حمزة والكسائي ونافع وحفص ادخلوا بقطع الهمزة وكسر الخاء وهو على تقدير القول كما ذكر وقرأ الباقون ادخلوا بهمزة وصل من دخل يدخل امرا لآل فرعون بالدخول بتقدير حرف النداء اي ادخلوا يا آل فرعون اشد العذاب عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما احسن محسن مسلم او كافر الا اثابه الله قلنا يا رسول الله ما اثابة الكافر قال المال والولد والصحة واشباه ذلك

قلنا وما اثابته في الآخرة قال عذابا دون العذاب وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ادخلوا آل فرعون
اشد العذاب اخرجه البزار وابن ابي حاتم والحاكم وصححه ابن مردويه والبيهقي في شعب الايمان
وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ اي اذكر لقومك وقت تخاصمهم في النار ثم بين سبحانه هذا التخاصم فقال
فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا عن الانقياد للانبياء والاتباع لهم وهم رؤساء الكفر إِنَّا
كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فتكبرتم على الناس بنا والتبع جمع تابع كخدم وخادم او مصدر واقع موقع اسم الفاعل
اي تابعين او ذوي تبع قال البصريون التبع يكون واحدا ويكون جمعا وقال الكوفيون هو جمع لا واحد له
فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ اي هل تدفعون عنا نصيبا منها او تحملونه معنا وجملة
قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا مستانفة جواب سؤال مقدر قرأ الجمهور كل بالرفع على الابتداء
وخبره فيها والجملة خبر ان قاله الاخفش وقرأ ابن السميفع وعيسى بن عمر كلا بالنصب قال الكسائي والفراء على
التاكيد لاسم ان بمعنى كلنا وتنوينه عوض عن المضاف اليه وقيل على الحال ورجحه ابن مالك و
المعنى انا نحن وانتم جميعا في جهنم فكيف نغني عنكم ولو قدرنا لاغنينا عن انفسنا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ
بَيْنَ الْعِبَادِ اي قضى بينهم بان فريقا في الجنة وفريقا في السعير فلا يغني احد عن احد شيئا فعند
ذلك يحصل الياس للاتباع من المتبوعين فيرجعون كلهم الى خزنة جهنم يسألونهم كما قال وَقَالَ
الَّذِينَ فِي النَّارِ من الامم الكافرة مستكبرهم وضعيفهم جميعا لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ جمع خازن وهم القوام
بتعذيب اهل النار وانما لم يقل لخزنتها لان في ذكر جهنم تهويلا وتفظيعا او لبيان محلهم فيها
فان جهنم هي ابعد النار قعرا من قولهم بئر جهنام بعيدة القعر وفيها اعتى الكفار واطغاهم فلعل
الملائكة الموكلين بعذاب اولئك اجوب دعوة لزيادة قربهم من الله فلهذا تعمدهم اهل النار بطلب
الدعوة منهم ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ اي شيئا منه مقدار يوم من ايام
الدنيا لانه ليس في الآخرة ليل ولا نهار قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مستانفة جواب
سؤال مقدر والاستفهام للتقريع والتوبيخ قَالُوا بَلَى اي اتونا بها فكذبناهم ولم نؤمن بهم ولا بما جاءوا
به من الحجج الواضحة فلما اعترفوا قَالُوا اي قال لهم الملائكة الذين هم خزنة جهنم تهكما بهم فَادْعُوا
اي اذا كان الامر كذلك فادعوا انتم فانا لا ندعو لمن كفر بالله وكذب رسله بعد مجيئهم بالحجج الواضحة
ثم اخبروهم بان دعاءهم لا يفيد شيئا فقالوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ اي في ضياع

ع ١٣

وبطلان وخسار وتبار وانعدام وفيه اقناط لهم عن الاجابة وهو من قول الله تعالى اخبارا لنبيه
وهو انسب بما بعده وعليه جرى المحلي والشهاب ويحتمل ان يكون من كلام الخزنة انا لننصر رسلنا
والذين امنوا استئناف من جهة الله سبحانه اي نجعلهم الغالبين لاعدائهم القاهرين لهم والموصول
في محل نصب عطفا على رسلنا اي لننصر رسلنا وننصر الذين امنوا معهم في الحيوة الدنيا ء عوّد هم
الله من الانتقام عنهم بالقتل والسلب والاسر وقيل بالغلبة والقهر وقيل بالحجة وقيل بالانتقام لهم
من الاعداء بالاستيصال وان غلبوا في الدنيا في بعض الاحايين امتحانا من الله عز وجل والعاقبة
لهم كما نصر يحيى بن زكريا لما قتل فانه قتل به سبعين الفا وكما نصر الحسين بن علي الشهيد فانه قتل
به سبعين الفا ايضا اخرج احمد والترمذي وحسنه وابن ابي الدنيا والطبراني وابن مردويه والبيهقي
في الشعب عن ابي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من رد عن عرض اخيه رد الله عن وجهه نار
جهنم يوم القيامة ثم تلى انا لننصر رسلنا والذين امنوا واخرج ابن مردويه من حديث ابي هريرة
مثله ويوم يقوم الاشهاد هو يوم القيامة قال زيد بن اسلم الاشهاد هم الملائكة والنبيون و
المؤمنون وقال مجاهد والسدي الاشهاد الملائكة يشهدون للانبياء بالابلاغ وعلى الامم بالتكذيب
وقيل الحفظة يشهدون على بني ادم بما عملوا من الاعمال وكذا الجوارح تشهد عليهم بما فعلوا
قال الزجاج الاشهاد جمع شاهد مثل صاحب واصحاب قال النحاس ليس باب فاعل ان يجمع على
افعال ولا يقاس عليه ولكن ما جاء منه مسموعا ادي على ما سمع فهو على هذا جمع شهيد مثل
شريف واشراف ومعنى نصرهم يوم القيامة ان الله يجازيهم باعمالهم فيدخلهم الجنة ويكرمهم بكراماته
ويجازي الكفار باعمالهم فيلعنهم ويدخلهم النار وهو معنى قوله يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم
قرأ نافع والكوفيون بالتحتية وقرأ الجمهور تنفع بالفوقية والكل جائز في اللغة وانما لم تنفعهم المعذرة
لانها معذرة باطلة وتعلة داحضة وشبهة زائغة ولهم اللعنة اي البعد عن الرحمة ولهم
سوء الدار اي النار ولقد اتينا موسى الهدى هذا من جملة ما قصه الله سبحانه قريبا من نصره
لرسله اي اتيناه التوراة والنبوة كما في قوله سبحانه انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور قال مقاتل
الهدى من الضلالة يعني التوراة واورثنا بني اسرائيل اي بعد ما كانوا فيه من الذل الكتاب
اي التوراة والمعنى ان الله سبحانه لما انزل التوراة على موسى بقيت بعده فيهم وتوارثوها خلفا عن سلف

وقيل المراد بالكتاب سائر الكتب المنزلة على انبياء بني اسرائيل بعد موت موسى هُدًى وَذِكْرَىٰ اي
لاجلهما او هاديا ومذكرا ومرشدا لِأُولِي الْأَلْبَابِ اي لاهل العقول السليمة ثم امر الله سبحانه رسوله صلى الله
عليه وسلم بالصبر على الاذى فقال فَاصْبِرْ اي اصبر على اذى المشركين كما صبر من قبلك من الرسل قال
الكلبي نسخت اية القتال اية الصبر اِنَّ وَعْدَ اللّٰهِ الذي وعد رسله به حَقٌّ لا خلف فيه ولا شك في وقوعه
كما في قوله انا لننصر رسلنا وقوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان
جندنا لهم الغالبون ثم امره الله سبحانه بالاستغفار لذنبه فقال وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ قيل المراد
ذنب امتك فهو على حذف مضاف وقيل المراد الصغائر عند من يجوزها على الانبياء وقيل هو مجرد
تعبد له صلى الله عليه وسلم بالاستغفار لزيادة الثواب وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وَسَبِّحْ
بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ اي دم على تنزيه الله متلبسا بحمده والعشي هو من بعد الزوال وفيه
اربع صلوات والابكار من الفجر الى الزوال وفيه صلوة واحدة وقيل المراد صل في الوقتين صلوة العصر
وصلوة الفجر قال الحسن وقتادة وقيل هما صلاتان ركعتان غدوة وركعتان عشية وذلك قبل
ان تفرض الصلوات الخمس اِنَّ الَّذِيْنَ يُجَادِلُوْنَ عام في كل مجادل وان نزل في مشركي مكة قاله ابو السعود
فِيْۤ اٰيٰتِ اللّٰهِ اي القران بِغَيْرِ سُلْطٰنٍ اَتٰىهُمْ اي بغير حجة ظاهرة واضحة جاءتهم من جهة الله سبحانه تقييد
المجادلة بذلك مع استحالة اتيانه للايذان بان المتكلم في امر الدين لا بد من استناده الى سلطان
مبين اِنْ فِيْ صُدُوْرِهِمْ اِلَّا كِبْرٌ اي ما في قلوبهم الا تكبر عن الحق يحملهم على تكذيبك مَّا هُمْ
بِبٰلِغِيْهِ صفة لكبر قال الزجاج بالغي ارادتهم فيه فجعله على حذف المضاف وقال غيره بالغي كبرهم
وقال ابن قتيبة كبر اي تكبر على محمد صلى الله عليه وسلم وطمع ان يبلغوه وما هم ببالغي ذلك وقيل المراد
بالكبر الامر الكبير اي يطلبون النبوة او يطلبون امرا كبيرا يصلون به اليك من القتل ونحوه ولا يبلغون ذلك
وقال مجاهد معناه في صدورهم عظمة ما هم ببالغيها والمراد بهذه الاية المشركون وقيل اليهود
عن ابي العالية قال ان اليهود اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ان الدجال يكون منا في اخر الزمان ويكون
من امره فعظموا امره وقالوا يصنع كذا ويصنع كذا فانزل الله هذه الاية قال لا يبلغ الذي يقول فاستعذ بالله
فامر نبيه ان يتعوذ من فتنة الدجال لخلق السموات والارض اكبر من خلق الدجال اخرجه عبد
بن حميد وابن ابي حاتم قال السيوطي بسند صحيح وعن كعب الاحبار قال هم اليهود نزلت فيهم فيما ينتظرونه من

امر الدجال وقال مجاهد الا كبر اي عظمة قريش ثم امر الله سبحانه بان يستعيذ بالله من شرورهم
فقال فَاسْتَعِذْ بِاللّٰهِ اي فالتجئ اليه من شرهم وكيدهم وبغيهم عليك إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ لاقوالهم الْبَصِيرُ
بافعالهم لا يخفى عليه من ذلك خافية ثم بين سبحانه عظيم قدرته فقال لَخَلْقُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ ابتداء
من غير سبق مادة اَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ اي اعظم في النفوس واجل في الصدور لعظم اجرامهما و
استقرارهما من غير عمد وجريان الافلاك بالكواكب من غير سبب واشق بحسب عادة الناس في مزاولة
الافعال من ان علاج الشيء الكبير اشق من علاج الصغير وان كان بالنسبة الى الله لا تفاوت بين الصغير و
الكبير فكيف ينكرون البعث واحياء ما هو دونهما من كل وجه كما في قوله اوليس الذي خلق
السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم قال ابو العالية المعنى لخلق السموات والارض اعظم
من خلق الدجال حين عظمته اليهود وقال يحيى بن سلام هو احتجاج على منكري البعث اي
هما اكبر من اعادة خلق الناس وَلٰكِنَّ اَكْثَرَ النَّاسِ اي كفار مكة لَا يَعْلَمُوْنَ بعظم قدرة الله وانه
لا يعجزه شيء فهم كالاعمى ومن يعلمه كالبصير وقد وردت احاديث صحيحة كثيرة في ذكر الدجال وصفته و
انذار الرسل منه لاممهم وخروجه في اخر الزمان وما يقع منه ومن يتبعه من اليهود كما حققناه
في حجج الكرامة في اثار القيامة وليس هذا موضع ذكرها وبسطها واليه ذهب جميع اهل السنة والمحدثين
والفقهاء خلافا لمن انكره وابطل امره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة وخلافا للجبائي وموافقيه
فانه صحح الوجود ولكن الاشياء التي ياتي بها زعموا انها مخاريق وخيالات لا حقائق لها والاخبار
الصحيحة المتواترة تدفعه وترده ردا مشبعا ثم لما ذكر سبحانه الجدال بالباطل ذكر مثلا للباطل والحق
وانهما لا يستويان فقال وَمَا يَسْتَوِي الْاَعْمٰى وَالْبَصِيْرُ اي الذي يجادل بالباطل والذي يجادل بالحق
او الغافل والمستبصر وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ اي ولا يستوي المحسن بالايمان والعمل الصالح
وَلَا الْمُسِيْٓءُ بالكفر والمعاصي وزيادة لا للتاكيد والتقابل يجيء على ثلث طرق احدها ان يجاور المناسب ما
يناسبه كهذه الاية والثانية ان يتاخر المتقابلان كقوله تعالى مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير
والسميع والثالثة ان يقدم مقابل الاول ويؤخر مقابل الاخر كقوله تعالى وما يستوي الاعمى والبصير
ولا الظلمات ولا النور وكل ذلك تفنن في البلاغة وقدم الاعمى في نفي التساوي لمجيئه بعد صفة
الذم في قوله ولكن اكثر الناس لا يعلمون قَلِيْلًا مَّا تَتَذَكَّرُوْنَ بالفتية على الغيبة لان قبلها وبعدها

على الغيبة لا على الخطاب واختارها ابو عبيد وابو حاتم وبالفوقية على الخطاب بطريقة الالتفات
وفائدته في مقام التوبيخ هي اظهار العنف الشديد والانكار البليغ افاده الكرخي إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ
لَا رَيْبَ فِيهَا اي لا شك في مجيئها وحصولها وقيامها لوضوح شواهدها واجماع الرسل على الوعد
بوقوعها لانه لابد من جزاء لئلا يكون خلق الخلق للفناء خاصة وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ
بذلك ولا يصدقونه لقصور افهامهم وضعف عقولهم عن ادراك الحجة والمراد باكثر الناس الكفار
الذين ينكرون البعث ثم لما بين سبحانه ان قيام الساعة حق وليس بمرتاب فيها ولا شبهة في مجيئها
ارشد عباده الى ما هو الوسيلة الى السعادة في دار الخلود فامر رسوله صلى الله عليه وسلم ان يحكي عنه ما امره
بابلاغه وهو وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ قال اكثر المفسرين المعنى وحدوني واعبدوني اتقبل
عبادتكم واغفر لكم واجيبكم واثيبكم وقيل هذا الوعد بالاجابة مقيد بالمشية اي استجب لكم ان شئت
كقوله فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وقيل المراد بالدعاء السوال بجلب النفع ودفع الضر قيل الاول
اولى لان الدعاء في اكثر استعمالات الكتاب العزيز هو العبادة قلت بل الثاني اولى لان معنى الدعاء حقيقة
وشرعا هو الطلب فان استعمل في غير ذلك فهو مجاز على ان الدعاء في نفسه باعتبار معناه الحقيقي هو
عبادة بل مخ العبادة كما ورد بذلك الحديث الصحيح فالله سبحانه قد امر عباده بدعائه ووعدهم بالاجابة
ووعده الحق وما يبدل القول لديه ولا يخلف الميعاد وعن ابن عباس قال وحدوني اغفر لكم وقال جرير بن
عبد الله اعبدوني وعن عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء الاستغفار اخرجه ابن مردويه وعن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يدع الله يغضب عليه اخرجه احمد والحاكم وابن ابي شيبة
وعن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا ينفع حذر من قدر ولكن الدعاء ينفع مما نزل ومما
لم ينزل فعليكم بالدعاء اخرجه احمد وابو يعلى والطبراني وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الدعاء مخ العبادة اخرجه الترمذي والحكيم الترمذي في نوادر الاصول وعن ابن عباس قال افضل
العبادة الدعاء وقرأ هذه الآية واخرج البخاري في الادب عن عايشة قالت سئل النبي صلى الله عليه وسلم اي
العبادة افضل فقال دعاء المرء لنفسه ثم صرح سبحانه بان هذا الدعاء باعتبار معناه الحقيقي وهو
الطلب هو من عبادته فقال إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ قرأ الجمهور
بفتح الياء وضم الخاء وقرئ بالعكس مبنيا للمفعول دَاخِرِينَ اي ذليلين صاغرين وهذا وعيد شديد

لمن استكبر عن دعاء الله وفيه لطف بعباده عظيم واحسان اليهم جليل حيث توعد من ترك طلب الخير منه واستدفاع الشر به بهذا الوعيد البالغ وعاقبه بهذه العقوبة العظيمة فيا عباد الله وجهوا رغباتكم وعولوا في كل طلباتكم على من امركم بتوجيهها اليه وارشدكم الى التعويل عليه وكفل لكم الاجابة باعطاء الطلبة فهو الكريم المطلق الذي يجيب دعوة الداعي اذا دعاه ويغضب على من لم يطلب من فضله العظيم وملكه الواسع ما يحتاجه من امور الدنيا والدين وعن النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء هو العبادة ثم قرأ وقال ربكم ادعوني الى قوله داخرين اخرجه الترمذي وقال حسن صحيح والبخاري في الادب وابو داؤد والنسائي وابن ماجة وابن المنذر وابن ابي حاتم والطبراني وابن حبان والحاكم وصححه وابن مردويه وابو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب واحمد وابن ابي شيبة وعبد بن حميد وسعيد بن منصور والطبراني ثم ذكر سبحانه بعض ما انعم به على عباده فقال **ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ** من الحركات في طلب الكسب لكونه جعله مظلما باردا تناسبه الراحة الظاهرية بالسكون والنوم الذي هو الموت الاصغر والراحة الحقيقية بالعبادة التي هي الحياة الدائمة **وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا** اي مضيئا لتبصروا فيه حوائجكم وتتصرفوا في طلب معايشكم وهو من الاسناد المجازي اي مبصرا فيه لان الابصار في الحقيقة لاهل النهار **إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ** يتفضل عليهم بنعمه التي لا تحصى ولم يقل لمفضل او لمتفضل لان المراد تنكير الفضل وان يجعل فضلا لا يوازيه فضل وذلك انما يكون بالاضافة **وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ** النعم ولا يعترفون بها اما لجحودهم لها وكفرهم بها كما هو شان الكفار او لاغفالهم للنظر واهمالهم لما يجب من شكر المنعم وهم الجاهلون ولم يقل ولكن اكثرهم حتى لا يتكرر ذكر الناس لان في هذا التكرير تخصيصا لكفران النعمة بهم وانهم هم الذين يكفرون فضل الله ولا يشكرونه كقوله ان الانسان لكفور وقوله ان الانسان لظلوم كفار **ذَٰلِكُمُ** اي الفاعل المخصوص بالافعال المقتضية للالوهية والربوبية **ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ** بين سبحانه في هذا كمال قدرته المقتضية لوجوب توحيده **فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ** اي كيف تنقلبون عن عبادته وتنصرفون عن توحيده وتصرفون عن الايمان مع قيام البرهان **كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ** اي مثل ذلك الافك يؤفك الجاحدون لآيات الله المنكرون لتوحيده ثم ذكر لهم سبحانه نوعا آخر من نعمه التي انعم بها عليهم مع ما في ذلك من الدلالة على كمال قدرته

وتفرده بالالهية فقال الله الذي جعل لكم الارض قرارا اي موضع قرار مع كونها في غاية الثقل ولا
ممسك لها سوى قدرة الله وفيها تحيون وفيها تموتون والسماء بناء اي سقفا قائما ثابتا مع كونها افلاكا
دائرة بنجوم طول الزمان سائرة ينشأ عنها الليل والنهار والاظلام والاضاءة ثم بين بعض نعمه المتعلقة
بانفس العباد فقال وصوركم فاحسن صوركم اي خلقكم في احسن صورة لم يخلق حيوانا احسن
منكم وقيل لم يخلقكم منكوسين كالبهائم ثم قيل خلق ابن ادم قائما معتدلا يأكل ويتناول بيده وغيره يتناول
بفيه وقال الزجاج خلقكم احسن الحيوان كله قرأ الجمهور صوركم بضم الصاد وقرأ الاعمش وابو رزين بكسرها
قال الجوهري والصور بكسر الصاد لغة في الصور بضمها ورزقكم من الطيبات اي المستلذات من
المآكل والمشارب من غير رزق الدواب ذلكم المنعوت بهذه النعوت الجليلة الله ربكم فتبارك الله
رب العالمين اي كثر خيره وبركته هو الحي لا اله الا هو اي الباقي الذي لا يفنى المتفرد بالالهية
وهذا التركيب يفيد الحصر فيه اشارة الى العلم التام والقدرة التامة الكاملة فادعوه اي اعبدوه
مخلصين له الدين اي الطاعة والعبادة من الشرك الحمد لله رب العالمين قال الفراء هو خبر
وفيه اضمار امر اي احمدوه عن ابن عباس قال من قال لا اله الا الله فليقل اثرها الحمد لله رب
العالمين وذلك قوله فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين وعلى هذا هو من كلام
المأمورين بالعبادة ويجوز ان يكون من كلامه تعالى على انه استئناف فحمد ذاته بذاته ثم امر الله سبحانه
رسوله ان يخبر المشركين بان الله نهاه عن عبادة غيره وامره بالتوحيد فقال قل لهم ردا عليهم فيما
طلبوه منك وهو عبادة آلهتهم اني نهيت نهيا عاما ببراهين العقول ونهيا خاصا بادلة النقول
ان اعبد الذين تدعون اي تعبدون من دون الله وهي الاصنام ثم بين وجه النهي فقال لما
جاءني البينات من ربي وهي الادلة العقلية والنقلية فانها توجب التوحيد وامرت ان اسلم
لرب العالمين اي استسلم له بالانقياد والخضوع او الاخلاص ثم اردف هذا بذكر دليل من
الادلة الدالة على التوحيد فقال هو الذي خلقكم اي خلق اباكم الاول وهو ادم وخلقه من تراب
يستلزم خلق ذريته منه ثم من نطفة ثم من علقة قد تقدم تفسير هذا في غير موضع
ثم يخرجكم طفلا اي اطفالا وافرده لكونه اسم جنس او على معنى ثم يخرج كل واحد منكم طفلا
ثم لتبلغوا اشدكم وهي الحالة التي تجتمع فيها القوة والعقل من الثلاثين سنة الى الاربعين وقد سبق

بيان الاشد مستوفى في الانعام والتقدير لتكبروا شيئا فشيئا ثم لتبلغوا غاية الكمال ثُمَّ يبقيكم لِتَكُونُوا شُيُوخًا بضم الشين وبكسرها سبعيتان وقرئ شيخا على الافراد كقوله طفلا والشيخ من جاوز اربعين سنة يعني ان مراتب الانسان بعد خروجه من بطن امه ثلث الطفولية وهي حالة النمو والزيادة الى ان يبلغ كمال الاشد من غير ضعف ثم يتناقص بعد ذلك وهي الشيخوخة وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ اي من قبل الاشدة من قبل الشيخوخة وَلِتَبْلُغُوا جميعا أَجَلًا مُسَمًّى اي وقت الموت او يوم القيامة واللام هي لام التعليل او العاقبة وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ اي لكي تعقلوا توحيده بكم وقدرته البالغة في خلقكم على هذه الاطوار المختلفة الى الاجل المذكور هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ اي يقدر على الاحياء والامانة فَإِذَا قَضَى أَمْرًا من الامور التي يريدها فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ من غير توقف على شيء من الاشياء اصلا وهذا تمثيل لتاثير قدرته في المقدورات عند تعلق ارادته بها وتصوير لسرعة ترتب المكونات على تكوينه من غير ان يكون هناك امر ومامور والفاء الاولى للدلالة على ان ما بعدها من نتائج ما قبلها من اختصاص الاحياء والامانة به سبحانه وتعالى قاله ابو السعود وقد تقدم تحقيق معناه في البقرة وفيما بعدها أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ تعجيب من احوالهم الشنيعة وآرائهم الركيكة وتمهيد لما يعقبه من بيان تكذيبهم بكل القرآن وبسائر الكتب والشرائع وترتيب الوعيد على ذلك كما ان ما سبق من قوله تعالى ان الذين يجادلون في آيات الله الخ بيان لابتناء جدالهم على مبنى فاسد لا يكاد يدخل تحت الوجود هو الامنية الفارغة فلا تكرار فيه اي انظر الى هؤلاء المكابرين المجادلين في آياته تعالى الواضحة الموجبة للايمان بها الزاجرة عن الجدال فيها كيف يصرفون عنها مع تعاضد الدواعي الى الاقبال عليها وانتفاء الصوارف عنها بالكلية وقيام الادلة الدالة على صحتها وانها في انفسها موجبة للتوحيد قاله ابو السعود وقال النسفي ذكر الجدال في هذه السورة في ثلثة مواضع فجاز ان يكون في ثلثة اقوام او ثلثة اصناف او للتاكيد انتهى قال ابن زيد هم المشركون بدليل قوله الآتي الذين كذبوا بالكتاب وبما ارسلنا به رسلنا قال القرطبي وقال اكثر المفسرين نزلت في القدرية قال ابن سيرين ان لم تكن هذه الآية نزلت في القدرية فلا ادري فيمن نزلت ويجاب عن هذا بان الله سبحانه قد وصف هؤلاء بصفة تدل على غير ما قالوه فقال الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وهذا وصف لا يصح ان يطلق على فرقة من فرق الاسلام والمراد بالكتاب اما القرآن او جنس الكتب المنزلة من عند الله والموصول اما في محل جر

على انه نعت للموصول الاول او بدل منه ويجوز ان يكون في محل نصب على الذم وبما ارسلنا به رسلنا
معطوف على قوله بالكتاب ويراد به ما يوحى الى الرسل من غير كتاب ان كانت اللام في الكتاب للجنس او
سائر الكتب ان كان المراد بالكتاب القران فسوف يعلمون عاقبة امرهم ووبال كفرهم وفي هذا وعيد
شديد والظرف في قوله اذ الاغلال في اعناقهم متعلق بيعلمون اي فسوف يعلمون وقت كون الاغلال في
اعناقهم او اذكرهم وقت الاغلال ليخافوا او ينزجروا والسلاسل جمع سلسلة معروفة قال الراغب تسلسل
الشيء اضطرب كانه تصور منه تسلسل متردد فتردد لفظه تنبيه على تردد معناه وماء سلسل
متردد في مقره معطوف على الاغلال والتقدير اذ الاغلال والسلاسل في اعناقهم ويجوز ان يرتفع
السلاسل على انه مبتدأ وخبره محذوف لدلالة في اعناقهم عليه ويجوز ان يكون خبره يسحبون
في الحميم بحذف العائد اي يسحبون بها في الحميم وهذا على قراءة الجمهور برفع السلاسل وقرئ
بنصبها وقرأوا يسحبون بفتح الياء مبنيا للفاعل فتكون السلاسل مفعولا مقدما وقرئ بجر السلاسل
قال الفراء وهذه القراءة محمولة على المعنى اذ المعنى اعناقهم في الاغلال والسلاسل وقال الزجاج
المعنى على هذه القراءة وفي السلاسل يسحبون واعترضه ابن الانباري بان ذلك لا يجوز في العربية والسحب
الجر بعنف والسحاب من ذلك لان الريح تجره او لانه يجر الماء والحميم هو المتناهي في الحر وقيل الصديد
وقيل جهنم وقيل الماء الحار الذي يكسب الوجوه سوادا والاعراض عارا والارواح عذابا والاجسام نارا وقد
تقدم تفسيره قال ابن عباس يسحبون في الحميم فينسلخ كل شيء عليهم من جلد ولحم وعرق حتى يصير في عقبه
حتى ان لحمه قدر طوله وطوله ستون ذراعا ثم يكسى جلدا اخر ثم يسجر في الحميم ثم في النار يسجرون
يقال سجرت التنور اي اوقدته وسجرته ملأته بالوقود ومنه والبحر المسجور اي المملوء فالمعنى توقد بهم
النار او تملأ بهم والمراد انهم يعذبون بالوان العذاب وينقلون من باب الى باب قال مجاهد ومقاتل
توقد بهم النار فصاروا وقودها عن عبد الله بن عمرو قال تلى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ الاغلال
الى قوله يسجرون فقال لو ان رصاصة مثل هذه واشار الى جمجمة ارسلت من السماء الى الارض وهي مسيرة
خمسمائة سنة لبلغت الارض قبل الليل ولو انها ارسلت من راس السلسلة لسارت اربعين خريفا
الليل والنهار قبل ان يبلغ اصلها او قال قعرها اخرجه احمد والترمذي وحسنه والحاكم وصححه وابن مردويه
والبيهقي في البعث والنشور ثم قيل لهم اي يقال لهم وصيغة الماضي للدلالة على التحقق اين ما كنتم تشركون

مِنْ دُونِ اللهِ هذا توبيخ وتقريع لهم اي اين الشركاء الذين كنتم تعبدونهم من دون الله وهي الاصنام
وغيرها وترسم اين مفصولة من ما كما اشار اليه ابن الجزري قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا اي يقولون ذهبوا و
غابوا وفقدناهم فلا نراهم ثم اضربوا عن ذلك وانتقلوا الى الاخبار بعدمهم وانه لا وجود لهم فقالوا
بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا اي لم نكن نعبد شيئا قالوا هذا لما تبين لهم ما كانوا فيه من
الضلالة والجهالة وانهم كانوا يعبدون ما لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع وليس هذا انكار منهم
لوجود الاصنام التي كانوا يعبدونها بل اعتراف منهم بان عبادتهم اياها كانت باطلة كقولك
حسبته شيئا فلم يكن كذلك وقال المحلي انكروا عبادتهم اياها وهذا بعيد في مقام الحساب والعرض
على رب العالمين كَذٰلِكَ الضلال الفظيع يُضِلُّ اللهُ الْكَافِرِينَ حيث عبدوا هذه الاصنام التي اوصلتهم
الى النار ذٰلِكُمْ اي ذلك الاضلال المدلول عليه بالفعل او العذاب بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ
بِغَيْرِ الْحَقِّ اي تظهرون في الدنيا من الفرح بمعاصي الله والسرور بمخالفة رسله وكتبه وقيل بما كنتم تفرحون به
من المال والاتباع والصحة وقيل من انكار البعث والعذاب وقيل المراد بالفرح هنا البطر والتكبر وَبِمَا كُنْتُمْ
تَمْرَحُونَ المراد بالمرح الزيادة في البطر وقال مجاهد وغيره تبطرون وتاشرون وقال الضحاك الفرح السرور
والمرح العدوان وقال مقاتل المرح البطر والخيلاء وقيل المرح اشد من الفرح اُدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ السبعة
المقسومة لكم قال تعالى لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم حال كونكم خَالِدِينَ فِيهَا اي
مقدرين الخلود فيها فَبِئْسَ مَثْوَى اي مأوى الْمُتَكَبِّرِينَ عن قبول الحق جهنم وكان الظاهر ان يقال
مدخل وصرح به بالمثوى لكون دخولهم بطريق الخلود قاله ابو السعود وقال السمين لم يقل مدخل لان
الدخول لا يدوم وانما يدوم الثواء فلذلك خصه بالذم وان كان الدخول ايضا مذموما ثم امر الله سبحانه
رسوله صلى الله عليه وسلم بالصبر تسلية له فقال فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ اي وعده بالانتقام منهم حَقٌّ كائن لا محالة
اما في الدنيا او في الآخرة ولهذا قال فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ من العذاب في الدنيا بالقتل والاسر و
القهر وما زائدة عند المبرد والزجاج والاصل ان نرك ولحقت بالفعل نون التاكيد أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ معطوف على
نرينك اي قبل انزال العذاب بهم فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ يوم القيامة فنعذبهم اشد العذاب وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا
رُسُلًا وانبياء مِنْ قَبْلِكَ الى اممهم مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ اي انبأناك باخبارهم في القرآن
ما لقوه من قومهم وهم خمسة وعشرون وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ فيه خبره ولا اوصلنا اليك علم

ماكان بينه وبين قومه وعن علي بن ابي طالب في الاية قال بعث الله عبدا حبشيا فهو ممن لم يقصص على محمد صلى الله عليه وسلم عن ابي ذر قال قلت يا رسول الله كم عدة الانبياء قال مائة الف واربعة وعشرون الفا الرسل من ذلك ثلثمائة وخمسة عشر جما غفيرا اخرجه احمد وصححه في الكشاف بقيل وَمَا كَانَ اي ماصح وما استقام لِرَسُولٍ منهم أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ اي معجزة دالة على نبوته إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لا من قبل نفسه فان المعجزات عطايا قسمها الله تعالى بينهم على ما اقتضته حكمته كسائر القسم ليس لهم اختيار في ايثار بعضها والاستبداد باتيان مقترحها لانهم عبيد مربوبون فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ اي الوقت المعين لهم لعذابهم في الدنيا وفي الاخرة قُضِيَ بِالْحَقِّ فيما بين الرسل ومكذبيها فينجي الله بقضائه الحق عباده المحقين وَخَسِرَ هُنَالِكَ اي في ذلك الوقت الْمُبْطِلُونَ الذين يتبعون الباطل ويعملون به وهم خاسرون في كل وقت قبل ذلك ختمه بقوله المبطلون وختم السورة بقوله الكافرون لان الاول متصل بقوله قضي بالحق ونقيض الحق هو الباطل والثاني متصل بايمان غير نافع ونقيض الايمان الكفر افاده الكرخي ثم امتن الله سبحانه على عباده بنوع من انواع نعمه التي لا تحصى فقال اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ اي خلقها لاجلكم قال الزجاج الانعام هنا الابل خاصة وقيل الازواج الثمانية والاول هو الظاهر لانها هي التي توجد المنافع الاتية كلها وقوله لِتَرْكَبُوا مِنْهَا تفصيل لهذا الاجمال ومن للتبعيض وكذا هي في قوله وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ اولابتداء الغاية في الموضعين ومعناها ابتداء الركوب وابتداء الاكل والاول اولى والمعنى لتركبوا بعضها وتاكلوا بعضها وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ اخر غير الركوب والاكل من الوبر والصوف والشعر والزبد والسمن والجبن والدر والنسل وغير ذلك وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ قال مجاهد ومقاتل وقتادة تحمل اثقالكم من بلد الى بلد وقد تقدم بيان هذا مستوفى في سورة النحل وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ اي على الابل في البر وعلى السفن في البحر وقيل المراد بالحمل على الانعام هنا حمل الولدان والنساء في الهوادج وهو السر في فصله عن الركوب وفي الجمع بينها من المناسبة التامة حتى سميت سفائن البر ونظير هذه الاية قوله تعالى في سورة النحل والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع الاية لكن هذه اجمع منها وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ اي دلائله الدالة على كمال قدرته ووحدانيته فَأَيَّ آيَةٍ من آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ فانها كلها من الظهور وعدم الخفاء بحيث لا ينكرها منكر ولا يجحدها جاحد وفيه تقريع لهم وتوبيخ عظيم وتذكير اي اشهر من تانيثه فلذلك لم يقل

ع ١٠

غاية آيات الله لأن التفرقة بين المذكر والمؤنث في الأسماء الجامدة نحو حمار وحمارة غريب وهي في أي
أغرب لإبهامها ونصب أي بتنكرون وإنما قدم على العامل فيه لأن له صدر الكلام ثم أرشدهم سبحانه
إلى الاعتبار والتفكر في آيات الله فقال أفلم يسيروا في الأرض أي في أطرافها ونواحيها فينظروا
بأبصارهم وبصائرهم كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من الأمم التي عصت الله وكذبت
رسلها فإن الآثار الموجودة في ديارهم تدل على ما نزل بهم من العقوبة وما صاروا إليه من سوء
العاقبة ثم بين سبحانه أن تلك الأمم كانوا فوق هؤلاء في الكثرة والقوة فقال كانوا أكثر
منهم عددا وأشد قوة أي أقوى منهم أجسادا وأوسع منهم أموالا وأعظم منهم آثارا في
الأرض بالعمائر والمصانع والحصون والصهاريج والحرث فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون يجوز
أن تكون ما الأولى نافية أو استفهامية منصوبة بأغنى والثانية موصولة أو مصدرية مرفوعة
بها أي أي شيء أغنى عنهم أي لم يغن عنهم أو أي شيء أغنى عنهم مكسوبهم أو كسبهم فلما جاءتهم
رسلهم بالبينات أي بالحجج الواضحات والمعجزات الظاهرات فرحوا بما عندهم من العلم أي أظهر
الكفار الفرح بما عندهم مما يدعون أنه من العلم من الشبه الداحضة والدعاوي الزائغة والفنون
الفاسدة والعلوم الكاسدة وسماه علما تهكما بهم أو على ما يعتقدونه وقال مجاهد قالوا نحن أعلم
منهم لن نعذب ولن نبعث وقيل المراد من العلم علم أحوال الدنيا لا الدين كما في قوله يعلمون ظاهرا
من الحياة الدنيا قال النسفي أو علم الفلاسفة والدهريين فإنهم كانوا إذا سمعوا بوحي الله دفعوه وصغروا
علم الأنبياء إلى علمهم وعن سقراط أنه سمع بموسى وقيل له لو هاجرت إليه فقال نحن قوم مهذبون فلا حاجة
بنا إلى من يهذبنا أو المراد فرحوا بما عند الرسل من العلم فرح ضحك واستهزاء به كأنه قال استهزءوا
بالبينات وبما جاءوا به من علم الوحي فرحين مرحين انتهى وقيل الذين فرحوا بما عندهم من
العلم هم الرسل وذلك أنهم لما كذبهم قومهم أعلمهم الله بأنه مهلك الكافرين ومنجي المؤمنين
فرحوا بذلك وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون أي أحاط بهم جزاء استهزائهم فلما رأوا
بأسنا أي عاينوا عذابنا النازل بهم في الدنيا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين
وهي الأصنام التي كانوا يعبدونها فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا أي عند معاينة
عذابنا لأن ذلك الإيمان ليس بالإيمان النافع لصاحبه فإنه إنما ينفع الإيمان الاختياري

لا الايمان الاضطراري والفاءات من قوله فما اغنى الى هنا اربع الاولى لبيان عاقبة كثرتهم وشدة قوتهم اي ان عاقبتها خلاف وضد ما كانوا يملونه منها وهو نفعها فلم يترتب عليها بل ترتب عدمه كقولك وعظته فلم يتعظ والثانية تفسير لتفصيل ما ابهم واجمل من عدم الاغناء والثالثة لمجرد التعقيب وجعل ما بعدها تابعا لما قبلها واقعا عقيبه لان مضمون قوله فلما جاءتهم الخ انهم كفروا فكانه قيل فكفروا ثم لما رأوا باسنا آمنوا والرابعة للعطف على آمنوا كانه قيل فآمنوا فلم ينفعهم لان النافع هو الايمان الاختياري سُنَّةَ اللّٰهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ اي مضت فِي عِبَادِهِ المعنى ان الله سبحانه سن هذه السنة في الامم كلها انه لا ينفعهم الايمان اذا رأوا العذاب وقد مضى بيان هذا مستوفى في سورة النساء وسورة التوبة وانتصاب سنة على انها مصدر مؤكد لفعل محذوف بمنزلة وعد الله وما اشبه من المصادر المؤكدة وقيل منصوب على التحذير اي احذروا يا اهل مكة سنة الله في الامم الماضية والاول اولى وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ اي وقت رؤيتهم باس الله ومعاينتهم لعذابه على انه اسم مكان قد استعير للزمان كما سلف آنفا قاله ابو السعود وقال السمين لا يحتاج لهذا بل يصح ابقاؤه على اصله قال الزجاج الكافر خاسر في كل وقت لكنه يتبين لهم خسرانهم اذا رأوا العذاب

سورة حم السجدة وتسمى سورة فصلت وسورة المصابيح وهي اربع وخمسون آية

وقيل ثلث وخمسون قال القرطبي وهي مكية في قول الجميع قال ابن عباس انها نزلت بمكة واخرج ابن ابي شيبة وعبد بن حميد وابو يعلى والحاكم وصححه وابن مردويه وابو نعيم والبيهقي كلاهما في الدلائل وابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال اجتمع قريش يوما فقالوا انظروا اعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليأت هذا الرجل الذي قد فرق جماعتنا وشتت امرنا وعاب ديننا فليكلمه ولينظر ماذا يرد عليه فقالوا ما نعلم احدا غير عتبة بن ربيعة فقالوا ائت يا ابا الوليد فاتاه فقال يا محمد انت خير ام عبد الله انت خير ام عبد المطلب فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فان كنت تزعم ان هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التي عبت وان كنت تزعم انك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك اما والله ما رأينا سخلة قط اشأم على قومك منك فرقت جماعتنا وشتت امرنا وعبت ديننا وفضحتنا في العرب حتى لقد طار فيهم ان في قريش ساحرا وان في قريش كاهنا والله ما ننتظر الا مثل صيحة الحبلى ان يقوم

بعضنا الى بعض بالسيوف يا رجل ان كان انما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون اغنى قريش رجلا وان كان انما بك الباءة فاختر اي نساء قريش شئت فلنزوجك عشرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فرغت قال نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته حتى بلغ فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فقال عتبة حسبك حسبك ما عندك غير هذا قال لا فرجع الى قريش فقالوا ما وراءك قال ما تركت شيئا ارى انكم تكلمونه به الا كلمته قالوا فهل اجابك قال والذي نصبها بنية ما فهمت شيئا مما قال غير انه انذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود قالوا ويلك يكلمك الرجل بالعربية وما تدري ما قال قال لا والله ما فهمت شيئا مما قال غير ذكر الصاعقة واخرج ابو نعيم والبيهقي كلاهما في الدلائل عن ابن عمر قال لما قرأ النبي صلى الله عليه وسلم على عتبة بن ربيعة حم اتى اصحابه فقال اطيعوني في هذا اليوم واعصوني بعده فوالله لقد سمعت من هذا الرجل كلاما ما سمعت اذني قط كلاما مثله وما دريت ما ارد عليه وفي هذا الباب روايات تدل على اجتماع قريش وارسالهم عتبة بن ربيعة وتلاوته صلى الله عليه وآله وسلم اول هذه السورة عليه

بسم الله الرحمن الرحيم

حم قد تقدم الكلام على اعرابه ومعناه في السورة التي قبل هذه السورة فلا نعيده والله اعلم بمراده به وكذلك تقدم الكلام على معنى قوله تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ واعرابه وانما خص هذين الوصفين بالذكر لان الخلق في هذا العالم كالمرضى المحتاجين والقرآن مشتمل على كل ما يحتاج اليه المرضى من الادوية على ما يحتاج اليه الاصحاء من الاغذية فكان اعظم النفع من الله على هذا العالم انزال القرآن الناشئ عن رحمته ولطفه بخلقه كِتَابٌ فُصِّلَتْ اي بينت وميزت باعتبار اللفظ والمعنى او جعلت آياته اساليب وتفاصيل مختلفة من احكام وامثال ومواعظ وعجائب احوال النبات والحيوان والانسان وتهذيب الاخلاق ورياضة النفس وتواريخ للماضين وصفات التنزيه والتقديس وشرح غرائب الملكوت والملك وبالجملة فمن انصف علم انه ليس في بدء الخلق وحاية كتاب جمع فيه من العلوم المختلفة مثل ما في القرآن فتبارك الله رب العالمين واحسن الخالقين قال قتادة فصلت بينت

حلاله من حرامه وطاعته من معصيته وقال الحسن بالوعد والوعيد وقال سفيان بالثواب
والعقاب ولا مانع من الحمل على الكل وقرئ فصلت بالتخفيف اي فرقت بين الحق والباطل والجملة
في محل نصب صفة للكتاب وانتصاب قُرْاٰنًا عَرَبِيًّا على الاختصاص او على المدح قال الاخفش
اي اريد بهذا الكتاب المفصل قرآنا من صفته كيت وكيت او على الحال اي فصلت آياته حال
كونه قرآنا وقيل على المصدرية اي يقرؤه قرآنا وقيل مفعول ثان لفصلت وقيل على اضمار فعل
يدل عليه فصلت اي فصلناه قرآنا عربيا لِقَوْمٍ يَّعْلَمُوْنَ معانيه ويفهمونها وهم اهل
اللسان العربي وانما خصوا بالذكر لانهم يفهمونه بلا واسطة لكون القرآن بلغتهم وغيرهم لا
يفهمها الا بواسطتهم قال الضحاك اي يعلمون ان القرآن منزل من عند الله وقال مجاهد اي يعلمون
انه اله واحد في التوراة والانجيل واللام متعلقة بمحذوف صفة اخرى لقرآنا او متعلقة بفصلت
والاول اولى وكذلك بَشِيْرًا وَّنَذِيْرًا صفتان اخريان لقرآن او حالان من كتاب والمعنى بشيرا لاولياء
الله ونذيرا لاعدائه وقرئا بالرفع على انهما صفة لكتاب او خبر عن محذوف فَاَعْرَضَ اَكْثَرُهُمْ
اي الكفار عما اشتمل عليه من النذارة فَهُمْ لَا يَسْمَعُوْنَ سماعا ينتفعون به لاعراضهم عنه
وَقَالُوْا قُلُوْبُنَا فِيْٓ اَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُوْنَآ اِلَيْهِ الاكنة جمع كنان وهو الغطاء اي في اغطية مثل
الكنانة التي فيها السهام فهي لا تفقه ما تقول من التوحيد ولا يصل اليها قولك قال مجاهد الكنان
للقلب كالجنة للنبل وقد تقدم بيان هذا في البقرة وَفِيْٓ اٰذَانِنَا وَقْرٌ اي صمم يمنع من استماع
قولك واصل الوقر الثقل وقرئ وقر بكسر الواو وقرئ بفتح الواو والقاف وَمِنْۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ
اي ستر ومن لابتداء الغاية والمعنى ان الحجاب ابتدأ منا وابتدأ منك فالمسافة المتوسطة بين
جهتنا وجهتك مستوعبة بالحجاب لا فراغ فيها ولو قيل بيننا وبينك حجاب ولم تات لفظة من
لكان المعنى ان الحجاب حاصل وسط الجهتين والمقصود المبالغة بالتباين المفرط فلذلك
جيء بمن وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن ادراك الحق وتقبله واعتقاده كانها في غلف واغطية
تمنع من نفوذه فيها ومج اسماعهم له كان بها صمما عنه ولتباعد المذهبين والدينين و
امتناع المواصلة بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فَاعْمَلْ اي استمر على دينك وهو التوحيد
اِنَّنَا عٰمِلُوْنَ اي مستمرون على ديننا وهو الاشراك وقال الكلبي اعمل في هلاكنا فانا عاملون

في هلاكك وقال مقاتل اعمل لالهك الذي ارسلك فانا نعمل لالهتنا التي نعبدها وقيل فاعمل لآخرتك
فانا عاملون لدنيانا او فاعمل في ابطال امرنا فانا نعمل في ابطال امرك ثم امره الله سبحانه ان يجيب
عن قولهم هذا فقال قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ اي انما انا كواحد
منكم لولا الوحي ولم اكن من جنس مغاير لكم حتى تكون قلوبكم في اكنة مما ادعوكم اليه وفي
اذانكم وقر ومن بيني وبينكم حجاب ولم ادعكم الى ما يخالف العقل وانما ادعوكم الى التوحيد
قرأ الجمهور يوحى مبنيا للمفعول وقرأ الاعمش والنخعي مبنيا للفاعل اي يوحي الله الي قيل ومعنى
الآية اني لا اقدر على ان احملكم على الايمان قسرا فاني بشر مثلكم ولا امتياز لي عنكم الا اني اوحي الي
التوحيد والامر به فعلي البلاغ وحده فان قبلتم رشدتم وان ابيتم هلكتم وقيل المعنى اني لست
بملك لا يرى وانما انا بشر مثلكم وقد اوحي الي دونكم فصرت بالوحي نبيا ووجب عليكم اتباعي
وقال الحسن في معنى الآية ان الله سبحانه علم رسوله صلى الله عليه وسلم كيف يتواضع فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ
عداه بالى لتضمنه معنى توجهوا والمعنى وجهوا استقامتكم اليه بالطاعة ولا تميلوا عن سبيله
وَاسْتَغْفِرُوهُ لما فرط منكم من الذنوب والشرك وما انتم عليه من سوء العقيدة والعمل
ثم هدد المشركين وتوعدهم فقال وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ثم وصفهم بقوله الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ
الزَّكَاةَ اي يمنعونها ولا يخرجونها الى الفقراء وقال الحسن وقتادة لا يقرون بوجوبها وقال
الضحاك ومقاتل لا يتصدقون ولا ينفقون في الطاعة وقيل معنى الآية لا يشهدون ان لا اله الا الله
لانها زكوة الانفس وتطهيرها قاله ابن عباس وقال مجاهد لا يزكون اعمالهم وكان يقال الزكاة قنطرة
الاسلام فمن قطعها نجا ومن تخلف عنها هلك وقال الفراء كان المشركون ينفقون النفقات
ويسقون الحجيج ويطعمونهم فحرموا ذلك على من امن بمحمد صلى الله عليه وسلم فنزلت فيهم هذه الآية وانما جعل
منع الزكوة مقرونا بالكفر بالآخرة لان احب الشيء الى الانسان ماله وهو شقيق روحه فاذا بذله في
سبيل الله فذلك اقوى دليل على استقامته وثباته وصدق نيته ونصوع طويته وما خدع
المؤلفة قلوبهم الا بلمظة من الدنيا فقرت عصبيتهم ولانت شكيمتهم وما ارتدت بنو حنيفة بعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بمنع الزكوة فنصبت لهم الحرب وجوهدوا وفيه بعث للمؤمنين على اداء
الزكوة وتخويف شديد من منعها حيث جعل المنع من اوصاف المشركين وقرن بالكفر بالآخرة وهم

بالآخرة هم كافرون معطوف على لا يؤتون الزكوة داخل معه في حيز الصلة اي منكرون للاخرة

جاحدون لها والمجيء بضمير الفصل لقصد الحصر إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير

ممنون عليهم غير مقطوع عنهم يقال مننت الحبل اذا قطعته وقيل الممنون المنقوص قاله ابن عباس

وقطرب قال الجوهري المن القطع ويقال النقص ومنه قوله تعالى لهم اجر غير ممنون وقيل غير محسوب

وقيل معنى الآية لا يمن عليهم به لانه انما يمن بالتفضل فاما الاجر فحق اداؤه وقال السدي نزلت في

المرضى والزمنى والهرمى اذا ضعفوا عن الطاعة كتب لهم من الاجر مثل ما كانوا يعملون في الصحة ثم امر الله

سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم ان يوبخهم ويقرعهم فقال قل أئنكم قرأ الجمهور بهمزتين الثانية بين بين

وقرئ بهمزة بعدها ياء خفيفة وان واللام للتاكيد الانكار وقدمت الهمزة لاقتضائها الصدارة واما

للاشعار بان كفرهم من البعد بحيث ينكر العقلاء وقوعه فيحتاج الى التاكيد لتكفرون بالذي خلق

الارض في يومين والمعنى لتكفرون بمن شانه هذا الشان العظيم وقدرته هذه القدرة الباهرة

قيل اليومان هما يوم الاحد ويوم الاثنين وقيل خلقهن في نوبتين كل نوبة اسرع مما يكون في يوم و

قيل المراد مقدار يومين لان اليوم الحقيقي انما يتحقق بعد وجود الارض والسماء ذكرهما تعليما للاناءة

ولو اراد ان يخلقها في لحظة لفعل وتجعلون له اندادا اي اضدادا وشركاء والجملة معطوفة على

تكفرون داخلة تحت الاستفهام ذكر عنهم شيئين منكرين احدهما الكفر بالله والثاني اثبات الشركاء

له ذلك المتصف بما ذكر رب العالمين جمع عالم وهو ما سوى الله وجمع لاختلاف انواعه بالياء والنون

تغليبا للعقلاء ومن جملة العالمين ما تجعلونها اندادا لله فكيف تجعلون بعض مخلوقاته شركاء له

في عبادته وجعل فيها رواسي اي جبالا ثوابت معطوف على خلق وقيل مستانفة لوقوع الفصل

بينهما بالاجنبي والاول اولى لان الجملة الفاصلة هي مقررة لمضمون ما قبلها فكانت بمنزلة التاكيد معنى

من فوقها انها مرتفعة عليها لانها من اجزاء الارض وانها خالفتها باعتبار الارتفاع فكانت من هذه

الحيثية كالمغايرة لها وانما اختار ارساءها فوق الارض لتكون منافع الجبال ظاهرة لطالبيها

وليبصروا ان الارض والجبال اثقال على اثقال كلها مفتقرة الى ممسك وهو الله العزيز المتعال القاهر

المختار وبارك فيها اي جعلها مباركة كثيرة الخير بما خلق فيها من المنافع للعباد قال السدي

انبت فيها شجرها وقدر فيها اقواتها قال الحسن وعكرمة والضحاك قدر فيها ارزاق اهلها

وما يصلح لمعايشهم من التجارات والاشجار والمنافع جعل في كل بلدة ما لم يجعله في الاخرى ليعيش
بعضهم من بعض بالتجارة والاسفار من بلد الى بلد وقيل قدر البر لاهل قطر من الارض والتمر لاهل قطر اخر
وكذلك سائر الاقوات قيل ان الزرع اكثر الحرف بركة لان الله وضع الاقوات في الارض وقال ابن عباس
اي شق الانهار وغرس الاشجار ووضع الجبال واجرى البحار وجعل في هذه ما ليس في هذه وفي هذه ما
ليس في هذه وقال قتادة ومجاهد خلق فيها انهارها واشجارها ودوابها في تتمة اربعة ايام اي في
يوم الثلاثاء والاربعاء باليومين المتقدمين قاله الزجاج وغيره قال ابن الانباري ومثاله قول القائل
خرجت من البصرة الى بغداد في عشرة ايام والى الكوفة في خمسة عشر يوما اي في تتمة خمسة عشر
يوما فيكون المعنى ان حصول جميع ما تقدم من خلق الارض وما بعدها في اربعة ايام كاملة
مستوية بلا زيادة ولا نقصان ولولا هذا التقدير لكانت الايام ثمانية يومان في الاول وهو قوله خلق
الارض في يومين ويومان في الاخر وهو قوله الاتي فقضاهن سبع سموات في يومين واربعة في
الوسط وقال ابو البقاء ولعل زيادة مدة الارض على مدة السماء جريا على ما يتعارفون من ان بناء
السقف اخف من بناء البيت وقيل التنبيه على ان الارض هي المقصودة بالذات لما فيها من
الثقلين وكثرة المنافع وقيل لما فيها من الابتلاء بالمعاصي والمجاهدات والمجادلات والمعالجات
عن ابن عباس ان اليهود اتت النبي صلى الله عليه وسلم فسألته عن خلق السموات والارض فقال خلق الله الارض
في يومين الاحد والاثنين وخلق الجبال وما فيهن من منافع يوم الثلثاء وخلق يوم الاربعاء الشجر و
الحجر والماء والمدائن والعمران والخراب فهذه اربعة ايام فقال تعالى قل ائنكم لتكفرون الى قوله
للسائلين وخلق يوم الخميس السماء وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة الى ثلاث ساعات
بقين منه فخلق من اول ساعة من هذه الثلث الاجال حين يموت من مات وفي الثانية القى فيها
من كل شيء مما ينتفع به وفي الثالثة خلق آدم واسكنه الجنة وامر ابليس بالسجود له واخرجه منها
في اخر ساعة قالت اليهود ثم ماذا يا محمد قال ثم استوى على العرش قالوا قد اصبت لو اتممت قالوا
ثم استراح فغضب النبي صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا فنزل ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما
في ستة ايام وما مسنا من لغوب فاصبر على ما يقولون اخرجه ابن جرير والنحاس في ناسخه وابو الشيخ
في العظمة والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الاسماء والصفات ولكن في حديث مسلم عن ابي هريرة

قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال خلق الله التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الاحد
وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الاربعاء وخلق الدواب يوم الخميس
وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة في آخر الخلق فيما بين العصر الى الليل واخرج ابو الشيخ عن ابن عباس
ايضا قال ان الله خلق يوما فسماه الاحد ثم خلق ثانيا فسماه الاثنين ثم خلق ثالثا فسماه الثلاثاء
ثم خلق رابعا فسماه الاربعاء ثم خلق خامسا فسماه الخميس وذكر نحو ما تقدم واخرج ابو الشيخ عن ابن
عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله فرغ من خلقه في ستة ايام وذكر نحو ما تقدم وانتصاب سواء
على انه مصدر مؤكد لفعل محذوف وهو صفة للايام اي استوت الاربعة سواء بمعنى استواء ويجوز
ان يكون منتصبا على الحال من الارض او من الضمائر الراجعة اليها قرأ الجمهور بنصب سواء وقرأ زيد
بن علي والحسن وغيرهما بخفضه على انه صفة للايام وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف
قال الحسن المعنى في اربعة ايام مستوية تامة لا تزيد ولا تنقص للسائلين متعلق بسواء اي مستويات
للسائلين او بمحذوف كانه قيل هذا الحصر للسائلين في كم يوم خلقت الارض وما فيها او متعلق بقدر
اي قدر فيها اقواتها لاجل الطالبين المحتاجين اليها قال الفراء في الكلام تقديم وتأخير والمعنى
وقدر فيها اقواتها سواء للمحتاجين في اربعة ايام واختار هذا ابن جرير ثم لما ذكر سبحانه خلق
الارض وما فيها ذكر كيفية خلقه للسموات فقال ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ اي عمد وقصد نحوها قصدا
سويا وتعلقت ارادته بخلقها قال الرازي هو من قولهم استوى الى مكان كذا اذا توجه اليه توجها
لا يلتفت معه الى عمل آخر وهو من الاستواء الذي هو ضد الاعوجاج ونظيره قولهم استقام اليه
ومنه قوله تعالى فاستقيموا اليه والمعنى ثم دعاه داعي الحكمة الى خلق السموات بعد خلق الارض
وما فيها قال الحسن المعنى صعد امره الى السماء ويفهم من هذه الآية ان خلق السماء كان بعد خلق
الارض وبه قال ابن عباس وقوله والارض بعد ذلك دحاها مشعر بان خلق الارض بعد خلق السماء
والجواب ان الخلق ليس عبارة عن الايجاد والتكوين فقط بل هو عبارة عن التقدير ايضا فالمعنى قضى
ان يحدث الارض في يومين بعد احداث السماء وعلى هذا يزول الاشكال والجواب المشهور انه
خلق الارض اولا ثم خلق السماء بعدها ثم دحى الارض ومدها والاول اولى قال الشوكاني بعد ذكر
هذا الاستشكال ان ثم ليست للتراخي الزماني بل للتراخي الرتبي فيندفع الاشكال من اصله وعلى تقديرها

للتراخي الزماني فالجمع ممكن بان الارض خلقها متقدم على خلق السماء ودحوها بمعنى بسطها هو امر زائد على مجرد خلقها فهي متقدمة خلقا متاخرة دحوا وهذا ظاهر انتهى ولعله ياتي عند تفسير قوله والارض بعد ذلك دحاها زيادة ايضاح للمقام ان شاء الله تعالى وقد تقدم هذا الجمع في سورة البقرة ولكن خلق ما في الارض لا يكون الا بعد دحوها فالاشكال باق وعلى هذا الا يتقصى عن الاشكال الا بما ذكر في ثم او ان بعد بمعنى قبل وبمعنى مع وَهِيَ دُخَانٌ هو ما ارتفع من لهب النار ويستعار لما يرى من بخار الارض قال المفسرون هذا الدخان هو بخار الماء وقياس جمعه في القلة ادخنة وفي الكثرة دخيان وهي من باب التشبيه الصوري لان صورتها صورة الدخان في رأي العين وخص سبحانه الاستواء الى السماء مع كون الخطاب المترتب على ذلك متوجها اليهما والى الارض كما يفيده قوله فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا استغناء بما تقدم من ذكر تقديرها وتقدير ما فيها ومعنى ائتيا افعلا ما امرتكما به وجيئا به كما يقال ائت ما هو الاحسن اي افعله وقيل المعنى ائتيا على ما ينبغي ان تأتيا عليه من الشكل والوصف ائتي يا ارض مدحوة قرارا ومهادا لاهلك وائتي يا سماء مقببة سقفا لهم قال الواحدي قال المفسرون ان الله سبحانه قال اما انت يا سماء فاطلعي شمسك وقمرك ونجومك واما انت يا ارض فشققي انهارك واخرجي ثمارك ونباتك قاله ابن عباس قرأ الجمهور ائتيا امر من الاتيان وقرئ آتيا قالتا آتينا بالمد فيهما وهو من المواتاة وهي الموافقة اي لتوافق كل منكما الاخرى لما يليق بها واليه ذهب الرازي والزمخشري او من الايتاء وهو الاعطاء قال ابن عباس فوزنه على الاول فاعلا كقاتلا وعلى الثاني افعلا كاكرما وطوعا وكرها مصدران في موضع الحال اي طائعتين او مكرهتين وقرئ كُرها بالضم قال الزجاج اطيعا طاعة او تكرهان كرها قيل ومعنى هذا الامر لهما التسخير والحصول والوقوع اي كونا فكانتا كما قال تعالى انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فالكلام من باب التمثيل لتأثير قدرته واستحالة امتناعهما او من باب الاستعارة التخييلية قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ اي اتينا امرك منقادين وجمعهما جمع من يعقل لخطابهما بما يخاطب به العقلاء وجمع الامر لهما في الاخبار عنه لا يدل على جمعه في الزمان بل قد يكون القول لهما متعاقبا قال القرطبي قال اكثر اهل العلم ان الله سبحانه خلق فيهما الكلام فتكلمتا كما اراد سبحانه وقيل هو تمثيل لظهور الطاعة منهما وتأثير القدرة الربانية فيهما والاول اولى قال ابو نصر السكسكي فنطق من الارض موضع الكعبة ونطق من السماء بحيالها فوضع الله حرمة

فَقَضٰهُنَّ سَبْعَ سَمٰوٰتٍ اي خلقهن واحكمهن واتمهن وفرغ منهن والضمير اما راجع الى السماء على المعنى لانها سبع سموات او مبهم مفسر بسبع سموات وانتصاب سبع على التفسير او على البدل من الضمير وقيل على انه مفعول ثان لقضيهن لانه مضمن معنى صيرهن وقيل على الحال اي قضيهن حال كونهن معدودة بسبع ويكون قضى بمعنى صنع وقيل على التمييز وهو تفسير وتفصيل لتكوين السماء المجمل المعبر عنه بالامر وجوابه لا انه فعل مرتب على تكوينهما اي خلقهن خلقا ابداعيا واتقن امرهن حسبما تقتضيه الحكمة فِيْ يَوْمَيْنِ الخميس والجمعة وفرغ منها في ساعة منه وفيها خلق آدم قال المحلي ولذا لم يقل هنا سواء ووافق ما هنا آيات خلق السموات والارض في ستة ايام والمعنى انه مضى من المدة ما لو حصل هناك فلك وشمس لكان المقدار مقدرا بيومين والمشهور ان الايام الستة بقدر ايام الدنيا وقيل بقدر ستة آلاف سنة حكاه القرطبي قال مجاهد ويوم من الستة الايام كالف سنة مما تعدون وَاَوْحٰى فِيْ كُلِّ سَمَآءٍ اَمْرَهَا قال قتادة والسدي اي خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها وافلاكها وما فيها من الملائكة والبحار والبرد والثلج وقيل المعنى اوحى فيها ما اراده وما امر به والايحاء قد يكون بمعنى الامر كما في قوله بان ربك اوحى لها وقوله واذ اوحيت الى الحواريين اي امرتهم وهو امر تكوين قال ابن عباس ولله على كل سماء بيت يحج اليه وتطوف به الملائكة بحذاء الكعبة والذي في السماء الدنيا هو البيت المعمور وَزَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا اي التي تلي الارض بِمَصَابِيْحَ اي بكواكب مضيئة متلألئة عليها كتلألؤ المصابيح وفيه التفات الى نون العظمة لابراز مزيد العناية بالتزيين المذكور وَحِفْظًا اي وحفظناها حفظا او خلقنا المصابيح زينة وحفظا والاول اولى قال ابو حيان في الوجه الثاني هو تكلف وعدول عن السهل البين والمراد بالحفظ حفظها من الشياطين الذين يسترقون السمع ذٰلِكَ اي ما وقع ونقدم ذكره تَقْدِيْرُ الْعَزِيْزِ الْعَلِيْمِ اي البليغ القدرة الكثير العلم فَاِنْ اَعْرَضُوْا عن التدبر والتفكر في هذه المخلوقات وعن الايمان بعد هذا البيان وفيه التفات من خطابهم بقوله ائنكم الى الغيبة لفعلهم الاعراض عن خطابهم وهو تناسب حسن فَقُلْ اَنْذَرْتُكُمْ اي خوفتكم وصيغة الماضي للدلالة على تحقق الانذار المنبئ عن تحقق المنذر به صٰعِقَةً مِّثْلَ صٰعِقَةِ عَادٍ وَّثَمُوْدَ اي عذابا مثل عذابهم والمراد بالصاعقة العذاب المهلك من كل شيء قال المبرد الصاعقة المرة المهلكة لاي شيء كان والصاعقة في الاصل هي الصيحة التي يحصل بها الهلاك او قطعة نار تنزل من السماء

معهما رعد شديد والمراد بها ههنا مطلق العذاب لكن بالنظر الى الصاعقة الاولى واما الثانية فالمراد بها حقيقتها قرأ الجمهور صاعقة بالالف في الموضعين وقرئ صعقة فيهما وقد تقدم بيان معنى الصاعقة والصعقة في البقرة إِذْ جَاءَتْهُمُ اي الى عاد وثمود وانما خصهما من بين القبائل لان قريشا كانوا يمرون على بلادهم الرُّسُلُ اي هود وصالح ومن قبلهما كان هود وصالح بين نوح وابراهيم ليس بينهما غيرهما من الرسل وان الذين تقدموا عليهما من الرسل اربعة نوح وادريس وشيث وآدم مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ اي اتوهم من كل جانب وعملوا فيهم كل حيلة فلم يروا منهم الا الاعراض وعن الحسن انذروهم من وقائع الله فيمن قبلهم من الامم وعذاب الآخرة والظرف متعلق بانذرتكم او بالصاعقة لانها بمعنى العذاب او حال من صاعقة عاد وهذا اولى من الوجهين الاولين لان الانذار لم يقع وقت مجيء الرسل فلا يصح ان يكون ظرفا له وكذلك الصاعقة لا يصح ان يكون الوقت ظرفا لها ومن في الموضعين متعلقة بجاءتهم اي من جميع جوانبهم او من جهة الزمان الماضي بالانذار عما جرى على الكفار او من جهة المستقبل بالتحذير عما يحيق بهم من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة وقيل المعنى جاءتهم الرسل المتقدمون والمتأخرون على تنزيل مجيء كلامهم ودعوتهم الى الحق مجيء انفسهم فكان الرسل قد جاؤهم وخاطبوهم بقولهم أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ اي بان لا تعبدوا على انها مصدرية او تفسيرية او مخففة من الثقيلة واسمها ضمير شأن محذوف ثم ذكر سبحانه ما اجابوا به على الرسل فقال قَالُوا اي عاد وثمود مخاطبين لهود وصالح لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ اي لارسل الينا مَلَائِكَةً ولم يرسل الينا بشرا من جنسنا ثم صرحوا بالكفر ولم يتلعثموا فقالوا فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ اي كافرون بما تزعمونه من ان الله ارسلكم الينا لانكم بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فكيف اختصكم برسالته دوننا وقد تقدم دفع هذه الشبهة الداحضة التي جاؤا بها في غير موضع وفيه تغليب المخاطب على الغائب فغلبوا هودا وصالحا على من قبلهما من الرسل فكانهم قالوا فانا كافرون بكما وبمن دعونا الى الايمان به ممن قبلكما من الرسل ولما ذكر عادا وثمودا جملا ذكر ما يختص بكل طائفة من الطائفتين تفصيلا فقال فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ اي بغير استحقاق ذلك الذي وقع منهم من التكبر والتجبر ثم ذكر سبحانه بعض ما صدر عنهم من الاقوال الدالة على الاستكبار فقال وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً وكانوا

ذوي اجسام طوال وخلق عظيم وقوة شديدة فاغتروا بأجسامهم حين تهددهم هود
بالعذاب ومرادهم بهذا القول انهم قادرون على دفع ما نزل بهم من العذاب وبلغ من قوتهم
ان الرجل كان يقتلع الصخرة من الجبل بيده ويجعلها حيث يشاء فرد الله عليهم بقوله أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ
اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً الاستفهام للاستنكار عليهم والتوبيخ لهم اي اولم يعلموا
بان الله اشد منهم قدرة واوسع منهم قوة فهو قادر على ان ينزل بهم من انواع عقابه ما شاء
بقوله كن فيكون وقال خلقهم ولم يقل خلق السموات والارض لان هذا ابلغ في تكذيبهم في ادعاء
انفرادهم بالقوة فانهم حيث كانوا مخلوقين فبالضرورة ان خالقهم اشد قوة منهم وَكَانُوا بِآيَاتِنَا
اي بمعجزات الرسل التي خصهم الله بها وجعلها دليلا على نبوتهم او بآياتنا التي انزلناها على رسلنا
او بآياتنا التكوينية التي نصبناها لهم وجعلناها حجة عليهم او بجميع ذلك يَجْحَدُونَ ثم ذكر الله
سبحانه ما انزل عليهم من عذابه فقال فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا الصرصر الريح الشديدة
الصوت من الصرة وهي الصيحة قال ابو عبيدة معنى صرصر شديدة عاصفة وقال الفراء هي الباردة
تحرق كما تحرق النار وقال عكرمة وسعيد بن جبير وقتادة هي الباردة وقال مجاهد هي الشديدة
السموم والاول تفسيرها بالبرد لان الصر في كلام العرب البرد قال ابن السكيت صرصر يجوز ان يكون
من الصر وهو البرد ومن صرصر الباب ومن الصرة وهي الصيحة ومنه فاقبلت امرأته في صرة ثم بين سبحانه
وقت نزول ذلك العذاب عليهم فقال فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ اي نكدات مشؤومات ذوات نحوس عليهم
قال مجاهد وقتادة كن اخر شوال من يوم الاربعاء الى يوم الاربعاء وذلك سبع ليال وثمانية ايام
حسوما قيل وما عذب قوم الا في يوم الاربعاء وقيل نحسات باردات حكاه الثعلبي وقيل متتابعات
وقيل شداد وقيل ذوات غبار وتراب ثائر لا يكاد يبصر فيه قرء نافع وابن كثير وابو عمرو نحسات
باسكان الحاء على انه جمع نحس وقرأ الباقون بكسرها واختار ابو حاتم الاولى لقوله في يوم نحس مستمر واختار
ابو عبيد الثانية لِنُذِيقَهُمْ اي لكي نذيقهم عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا والخزي هو الذل والهوان
بسبب ذلك الاستكبار وهو في الاصل صفة المعذب وانما وصف به العذاب على الاسناد المجازي
للمبالغة فهو من اضافة الموصوف الى صفته اي العذاب الخزي ولهذا جاء وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى
اي اشد اهانة وخزيا فلو لم يكن من اضافة الموصوف الى صفته لم يأت بلفظ اخزى الذي يقتضي المشاركة

وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ اي لا يمنعون من العذاب النازل بهم ولا يدفعه عنهم دافع ثم ذكر حال الطائفة الاخرى فقال وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ اي بينا لهم سبيل النجاة ودللناهم على طريق الحق بارسال الرسل اليهم ونصب الدلالات لهم من مخلوقات الله وانزال الآيات التشريعية فانها توجب على كل عاقل ان يؤمن بالله ويصدق رسله قال الفراء معنى الآية دللناهم على مذهب الخير بارسال الرسل قال الشيخ ابو منصور يحتمل ما ذكر من الهداية التبيين وخلق الاهتداء فيهم لان الهدى المضاف الى الخالق يكون بمعنى البيان والتوفيق وخلق فعل الاهتداء فاما الهدى المضاف الى الخلق فيكون بمعنى البيان لا غير وقال صاحب الكشاف فيه فان قلت أليس معنى قولك هديته جعلت فيه الهدى والدليل عليه قولك هديته فاهتدى بمعنى تحصيل البغية وحصولها كما تقول ردعته فارتدع فكيف ساغ استعماله في الدلالة المجردة قلت للدلالة على انه مكنهم فازاح عللهم ولم يبق لهم عذر فكانه حصل البغية فيهم بتحصيل ما يوجبها ويقتضيها انتهى وانما تمحل بهذا لانه لا يتمكن من ان يفسره بخلق الاهتداء لانه يخالف مذهبه الفاسد قرأ الجمهور ثمود بالرفع ومنع الصرف وقرئ بالرفع والصرف وقرئ بالنصب والصرف وقرئ بالنصب والمنع فاما الرفع فعلى الابتداء وهو الفصيح واما النصب فعلى الاشتغال واما الصرف فعلى تفسير الاسم بالاب او الحي واما المنع فعلى تاويله بالقبيلة فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى اي اختاروا الكفر على الايمان قال ابو العالية اختاروا العمى على البيان وقال السدي اختاروا المعصية على الطاعة فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ قد تقدم ان الصاعقة اسم للشيء المهلك لاي شيء كان والهون الهوان والاهانة فكانه قال اصابهم مهلك العذاب ذي الهوان او الاهانة ويقال عذاب هون اي مهين كقوله ما لبثوا في العذاب المهين بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ الباء للسببية اي بسبب الذي كانوا يكسبونه او بسبب كسبهم وهو شركهم وتكذيبهم صالحا وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ وهم صالح ومن معه من المؤمنين فان الله نجاهم من ذلك العذاب وكانوا اربعة آلاف ثم لما ذكر سبحانه ما عاقبهم به في الدنيا ذكر ما عاقبهم به في الآخرة فقال وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ اي الكفار مطلقا الاولين والآخرين إِلَى النَّارِ اي اذكر لقريش المعاندين لك حال الكفار يوم القيامة لعلهم يرتدعوا وينزجروا وفي وصفهم بكونهم اعداء الله مبالغة في ذمهم قرأ الجمهور يحشر بالتحتية مضمومة ورفع اعداء على النيابة وقرأ نافع بالنون ونصب اعداء ومعنى حشرهم الى النار سوقهم اليها

ع

اوالى موقف الحساب لانه يتبين عنده فريق الجنة وفريق النار فهم يوزعون اي يحبس اولهم على آخرهم ليتلاحقوا ويجتمعوا كذا قال قتادة والسدي وغيرهما وبه قال ابن عباس اي يستوقف سوابقهم حتى يلحق بهم توالبهم وهي عبارة عن كثرة اهل النار واصله من وزعته اي كففته وقد سبق تحقيق معناه في سورة النمل مستوفى وعن ابن عباس قال يدفعون وقيل يساقون حتى اذا ما جاؤها اي النار التي حشروا اليها وصاروا بحضرتها او موقف الحساب وما مزيدة للتوكيد شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون في الدنيا من المعاصي في كيفية هذه الشهادة ثلثة اقوال اولها ان الله تعالى يخلق الفهم والقدرة والنطق فيها فتشهد كما يشهد الرجل على ما يعرفه ثانيها انه تعالى يخلق في تلك الاعضاء الاصوات والحروف الدالة على تلك المعاني ثالثها ان يظهر في تلك الاعضاء احوال تدل على صدور تلك الاعمال من ذلك الانسان وتلك الامارات تسمى شهادات كما يقال العالم يشهد بتغيرات احواله على حدوثه وقال الكرخي ينطقها الله تعالى كانطاق اللسان فتشهد وليس نطقها باغرب من نطق اللسان عقلا وايضاحه ان البنية ليست شرطا للحياة والعلم والقدرة فالله تعالى قادر على خلق العقل والقدرة والنطق في كل جزء من اجزاء هذه الاعضاء قال مقاتل تنطق جوارحهم بما كتمت السنتهم من عملهم بالشرك والمراد بالجلود هي جلودهم المعروفة في قول اكثر المفسرين وقال السدي وعبيد الله بن ابي جعفر والفراء اراد بالجلود الفروج وهو من باب الكنايات كما قال تعالى لا تواعدوهن سرا اراد النكاح وقال تعالى او جاء احد منكم من الغائط والمراد قضاء الحاجة وفي الحديث اول ما يتكلم من الادمي فخذه وكفه وعلى هذا التقدير تكون الاية وعيدا شديدا في اتيان الزنا لان مقدمة الزنا انما تحصل بالفخذ والاول اولى ووجه تخصيص الثلاثة بالشهادة دون غيرها مع ان الحواس خمسة وهي السمع والبصر والشم والذوق واللمس وآلة اللمس هي الجلد ما ذكره الرازي ان الذوق داخل في اللمس من بعض الوجوه لان ادراك الذوق انما يتأتى بان تصير جلدة اللسان مماسة لجرم الطعام وكذلك الشم لا يتأتى حتى تصير جلدة الانف مماسة لجرم المشموم فكانا داخلين في جنس اللمس انتهى واذا عرفت من كلامه هذا وجه تخصيص الثلاثة بالذكر عرفت منه وجه تخصيص الجلود بالسؤال كما قال وقالوا لجلودهم لانها قد اشتملت على ثلث حواس فكان تأتي المعصية من جهتها اكثر واما على قول من قال بالفرج فوجه تخصيصها بالسؤال ظاهر لان ما يشهد به الفرج من الزنا

اعظم قبحا واجلب للخزي في العقوبة والمراد بالجلود هنا المعنى الاعم فليس في سؤالهم ترك سؤال السمع
والبصر بل هما داخلان في الجلود بالمعنى الذي علمته لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا سؤال توبيخ وتعجب من
هذا الامر الغريب لكونها ليست مما ينطق ولكونها كانت في الدنيا مساعدة لهم على المعاصي فكيف
تشهد الآن عليهم فلذلك استغربوا شهادتها وخاطبوها بصيغة خطاب العقلاء لصدور ما يصدر
من العقلاء عنها وهو الشهادة قَالُوا مجيبين لهم معتذرين أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ
مما ينطق من مخلوقاته فشهدنا عليكم بما عملتم من القبائح وقيل المعنى ما نطقنا باختيارنا بل انطقنا
الله والاول اولى والمعنى ان نطقنا ليس بعجيب من قدرة الله الذي قدر على انطاق كل حيوان وَهُوَ خَلَقَكُمْ
أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ قيل هذا من تمام كلام الجلود وقيل انه من كلام الملائكة وقيل مستأنف
من كلام الله والمعنى ان من قدر على خلقكم وانشائكم ابتداء قدر على اعادتكم ورجعكم اليه وجعل
صيغة المضارع مع ان هذه المحاورة بعد البعث والرجوع لما ان المراد بالرجوع ليس مجرد الرد الى الحياة بالبعث
بل ما يعمه ويعم ما يترتب عليه من العذاب الخالد المترقب عند المخاطبة فغلب المتوقع على الواقع
وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ هذا تقريع لهم وتوبيخ
من جهة الله سبحانه او من كلام الجلود اي ما كنتم تستخفون عند الاعمال القبيحة وارتكاب الفواحش
بالحيطان والحجب حذرا من شهادة الجوارح عليكم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء اصلا وهو قول اكثر
العلماء ولما كان الانسان لا يقدر على ان يستخفي من جوارحه عند مباشرة المعصية كان معنى الاستخفاء
هنا ترك المعصية وقيل معنى الاستتار الاتقاء اي ما كنتم تتقون في الدنيا ان تشهد عليكم جوارحكم في
الآخرة فتتركوا المعاصي خوفا من هذه الشهادة ومعنى ان تشهد لاجل ان تشهد او مخافة ان تشهد
وقيل ان الاستتار مضمن معنى الظن اي ما كنتم تظنون ان تشهد وهو بعيد واخرج عبد الرزاق
واحمد والنسائي وابن ابي حاتم والحاكم وصححه والبيهقي في البعث عن معاوية بن حيدة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم تحشرون هاهنا واومى بيده الى الشام مشاة وركبانا وعلى وجوهكم وتعرضون على الله
وعلى افواهكم الفدام واول ما يعرب عن احدكم فخذه وكفه وتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كنتم
تستترون الخ واخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود قال كنت مستترا باستار الكعبة فجاء ثلاثة
نفر قرشي وثقفيان او ثقفي وقرشيان كثير لحم بطونهم قليل فقه قلوبهم فتكلموا بكلام لم اسمعه

فقال احدهم اترون ان الله يسمع كلامنا هذا فقال الآخران انا اذا رفعنا اصواتنا سمعه وانا اذا لم نرفعه لم يسمعه فقال الآخر ان سمع منه شيئاً سمعه كله قال فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله وماكنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم الى قوله من الخاسرين وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ عند استتاركم من الناس مع عدم استتاركم من اعضائكم أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ من المعاصي فلهذا تجترأتم على فعلها قيل كان الكفار يقولون ان الله لا يعلم ما في انفسنا ولكن يعلم ما نظهر دون ما نسر قال قتادة الظن هنا بمعنى العلم وقيل اريد بالظن معنى مجازي يعم معناه الحقيقي وما هو فوقه من العلم وَذَٰلِكُمْ اي ماذكر من ظنكم مبتدء ظَنُّكُمُ بدل منه الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ نعت والخبر أَرْدَاكُمْ اي اهلككم وطرحكم في النار وقيل ظنكم الخبر والموصول بدل اوبيان وارداكم حال وقد مقدرة اوغير مقدرة اي ذلكم ظنكم مرديا اياكم فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ اي الكاملين في الخسران قال المحققون الظن قسمان احدهما حسن والآخر قبيح فالحسن ان يظن بالله عز وجل الرحمة والفضل والاحسان قال صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله عز وجل انا عند ظن عبدي بي واخرج احمد وابو داؤد الطيالسي وعبد بن حميد ومسلم وابو داؤد وابن ماجة وابن حبان وابن مردويه عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله تعالى فان قوما قد ارداهم سوء ظنهم بالله فقال الله وذلكم ظنكم الآية والظن القبيح ان يظن انه تعالى يعزب عن علمه بعض هذه الافعال وقال قتادة الظن نوعان مرد ومنج فالمنجي قوله اني ظننت اني ملاق حسابيه وقوله الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم والمردي هو قوله وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم ثم اخبر عن حالهم فقال فَإِن يَصْبِرُوا على النار فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ اي محل استقرارهم واقامتهم لا خلاص ولا خروج لهم منها صبروا اولم يصبروا على كل حال وقيل المعنى فان يصبروا في الدنيا على اعمال اهل النار فالنار مثوى لهم وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ يقال اعتبني فلان اي ارضاني بعد اسخاطه اياي واستعتبته طلبت منه ان يرضى والمعنى انهم ان يسألوا ان يرجع بهم الى ما يحبون لم يرجع لانهم لا يستحقون ذلك قال الخليل تقول استعتبته فاعتبني اي استرضيته فارضاني ومعنى الآية ان يطلبوا الرضاء لم يقع الرضاء عنهم بل لا بد لهم من النار قرأ الجمهور يستعتبوا بفتح التحتية وكسر التاء الفوقية الثانية مبنيا للفاعل ومن المعتبين بفتح الفوقية اسم مفعول وقرئ يستعتبون مبنيا للمفعول وقرئ

من المعتبين اسم فاعل اي انهم ان اقالهم الله وردهم الى الدنيا لم يعملوا بطاعته كما في قوله سبحانه
ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقيضنا لهم اصل التقييض التيسير والتهيئة اي هيانا لهم اي للكفار قرنا
وخيرهم قرناء من الشياطين بمنزلة الاخلاء لهم جمع قرين بمعنى نظير كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن
نقيض له شيطانا فهو له قرين وقال الزجاج سببنا لهم قرناء حتى اضلوهم وقيل سلطنا عليهم
قرناء وقيل قدرنا والمعاني متقاربة اي يلازمونهم ويستولون عليهم استيلاء القيض على البيض و
القيض قشر البيض الاعلى وقيل ان الله قيض لهم قرناء في النار والاولى ان ذلك في الدنيا لقوله فزينوا
لهم ما بين ايديهم وما خلفهم فان المعنى زينوا لهم ما بين ايديهم من امور الدنيا وشهواتها
وحملوهم على الوقوع في معاصي الله بانهما كهم فيها وزينوا لهم ما خلفهم من امور الاخرة فقالوا
لا بعث ولا حساب ولا جنة ولا نار وقال الزجاج ما بين ايديهم ما عملوه وما خلفهم ما عزموا على
ان يعملوه وروي عنه ايضا انه قال ما بين ايديهم من امر الاخرة وما خلفهم من امر الدنيا
بان الدنيا قديمة ولا صانع الا الطبائع والافلاك وحق عليهم القول اي وجب وثبت عليهم
العذاب وتحقق مقتضاه وهو قوله سبحانه لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين
في امم اي كائنين في جملة امم وقيل في بمعنى مع اي مع امم من الامم الكافرة ولا حاجة الى بدل حرف
من حرف مع امكان بقائه على بابه والمعنى الامم التي قد خلت ومضت من قبلهم من الجن والانس
على الكفر انهم كانوا خاسرين تعليل لاستحقاقهم العذاب قاله الكرخي وقال الذين كفروا
لا تسمعوا لهذا القرآن اي قال بعضهم لبعض لا تسمعوه ولا تنصتوا له وقيل المعنى لا تطيعوا
يقال سمعت لك اي اطعتك والغوا فيه اي عارضوه باللغو والباطل او ارفعوا اصواتكم ليتشوش
القاري له وقال مجاهد الغوا فيه بالمكاء والتصدية والتصفيق والتخليط في الكلام حتى يصير لغوا
وقال الضحاك اكثروا الكلام ليختلط عليه ما يقول وقال ابو العالية قعوا فيه وعيبوه قرأ الجمهور
الغوا بفتح الغين من لغى اذا تكلم باللغو وهو ما لا فائدة فيه او من لغي بالفتح يلغى بالفتح ايضا كما حكاه الاخفش
وكان قياسه الضم كغزا يغزو ولكنه فتح لاجل حرف الحلق او من لغي بكذا اذا رمى به فتكون في بمعنى
الباء اي ارموا به وقرئ بضم الغين من لغا بالفتح يلغو كدعا يدعو وفي الحديث فقد لغوت وهذا
موافق لقراءة غير الجمهور وقد تقدم الكلام في اللغو في سورة البقرة لعلكم تغلبون اي لكي تغلبوا

ع

فيسكتوا عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة اذا قرء القرآن يرفع صوته فكان المشركون يطردون الناس عنه ويقولون لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون وكان اذا اخفى قراءته لم يسمع من يحب ان يسمع القرآن فانزل الله الآية ولا تجهر بصلوتك ولا تخافت بها اخرجه ابن ابي حاتم ثم توعدهم سبحانه على ذلك فقال فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا هذا وعيد لجميع الكفار ويدخل فيهم الذين السياق معهم دخولا اوليا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ اي ولنجزينهم في الآخرة جزاء قبيحا بما لهم التي عملوها في الدنيا قال مقاتل وهو الشرك وقيل المعنى انه يجازيهم بمساوي اعمالهم لا بمحاسنها كما يقع منهم من صلة الارحام واكرام الضيف لان ذلك باطل لا اجر له مع كفرهم وفي هذا تعريض بمن لا يكون عند كلام الله المجيد خاضعا خاشعا متفكرا متدبرا وتهديد ووعيد لمن يصدر عنه عند سماعه ما يشوش على القاري ويخلط عليه القراءة فانظر الى عظمة القرآن وتامل في هذا التغليظ والتشديد واشهد لمن عظمه واجل قدره والقى اليه السمع وهو شهيد بالفوز العظيم والاجر الكبير ذَٰلِكَ اي العذاب الشديد واسوء الجزاء جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ بدل او عطف بيان للجزاء المخبر به عن ذلك او خبر مبتدء محذوف او مبتدء خبره لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ اي دار الاقامة المستمرة التي لا انقطاع لها ولا انتقال عنها جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ اي يجزون جزاء بسبب جحدهم بآيات الله قال مقاتل يعني القرآن يجحدون انه من عند الله وعلى هذا يكون التعبير عن اللغو بالجحود لكونه سببا له اقامة للسبب مقام المسبب وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ قالوا هذا وهم في النار وذكره بلفظ الماضي تنبيها على تحقق وقوعه والمراد انهم طلبوا من الله سبحانه ان يريهم من اضلهم من فريقي الجن والانس من الروساء الذين كانوا يزينون لهم الكفر ومن الشياطين الذين كانوا يسولون لهم ويحملونهم على المعاصي لان الشيطان على ضربين جني وانسي قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن وقال الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس قال علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه وارضاه هو ابن آدم الذي قتل اخاه وابليس اي لانهما سنا المعصية لبني آدم قرء الجمهور ارنا بكسر الراء وقرئ بسكونها وهما لغتان بمعنى واحد وقال الخليل اذا قلت ارني ثوبك بالكسر فمعناه بصرنيه وبالسكون اعطنيه نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ

اقدامنا في النار اي نذوسهما باقدامنا لنشتفي منهم وليكونا وقاية بيننا وبينها فتخف عنا حرارتها نوع خفة وليكونا من الاسفلين فيها مكانا او ليكونا من الاذلين المهانين وقيل ليكونا اشد عذابا منا قال الزجاج ليكونا في الدرك الاسفل وممن هو دوننا ثم لما ذكر سوء عقاب الكافرين وما اعد لهم ذكر حسن حال المؤمنين وما انعم به عليهم فقال ان الذين قالوا ربنا الله وحده لا شريك له ثم استقاموا اي داموا و ثبتوا على التوحيد ولم يلتفتوا الى اله غير الله وثم للتراخي في الزمان من حيث ان الاستقامة امر يمتد زمانه افاده ابو السعود وقال الخطيب ثم للتراخي الرتبة في الفضيلة فان الثبات على التوحيد وصحابه الى الممات ابرفي علوّ رتبته لا يرام الا بتوفيق ذي الجلال والاكرام قال جماعة من الصحابة والتابعين معنى الاستقامة اخلاص العمل لله تعالى وقال قتادة وابن زيد ثم استقاموا على طاعة الله وقال الحسن استقاموا على امر الله فعملوا بطاعته واجتنبوا معاصيه وقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة استقاموا على شهادة ان لا اله الا الله حتى ماتوا وقال الثوري عملوا على وفاق ما قالوا وقال الربيع اعرضوا عما سوى الله وقال الفضيل بن عياض زهدوا في الفانية و رغبوا في الباقية عن انس قال قرء علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية قال قد قالها ناس من الناس ثم كفر اكثرهم فمن قالها حين يموت فهو ممن استقام عليها اخرجه الترمذي والنسائي والبزار وابو يعلى وغيرهم وقال ابو بكر الصديق الاستقامة ان لا يشركوا بالله شيئا وعنه قال لم يرجعوا الى عبادة الاوثان قال ابو حيان قال ابن عباس نزلت هذه الاية في ابي بكر الصديق وعن بعض الصحابة قال ثم استقاموا على فرائض الله وعن عمر بن الخطاب قال استقاموا بطاعة الله ولم يروغوا روغان الثعلب واخرج احمد وعبد بن حميد والدارمي والبخاري في تاريخه ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة وابن حبان عن سفيان بن عبد الله الثقفي ان رجلا قال يا رسول الله مرني بامر في الاسلام لا اسأل عنه احدا بعدك قال قل آمنت بالله ثم استقم قلت فما اتقي فاومى الى لسانه قال الترمذي حسن صحيح تتنزل عليهم الملائكة من عند الله سبحانه بالبشرى التي يريدونها من جلب نفع او دفع ضر او رفع حزن قال ابن زيد ومجاهد تتنزل عليهم عند الموت وقال مقاتل وقتادة اذا قاموا من قبورهم للبعث وقال وكيع البشرى في ثلاثة مواطن عند الموت وفي القبر وعند البعث قال البيضاوي او في جميع فيما يعرض لهم من الاحوال تاتيهم بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن ان لا تخافوا

وَلَا تَحْزَنُوا ان هي المخففة او المفسرة او الناصبة ولا على الوجهين الاولين ناهية وعلى الثالث نافية والمعنى لا تخافون مما تقدمون عليه من امور الآخرة ولا تحزنوا على ما فاتكم من امور الدنيا من اهل وولد ومال قال مجاهد لا تخافوا الموت ولا تحزنوا على اولادكم فان الله خليفتكم عليهم وقال عطاء لا تخافوا ورد ثوابكم فانه مقبول ولا تحزنوا على ذنوبكم فاني اغفرها لكم والظاهر عدم تخصيص تنزل الملائكة عليهم بوقت معين وعدم تقييد نفي الخوف والحزن بحالة مخصوصة كما يشعر به حذف المتعلق في الجميع والخوف غم يلحق النفس لتوقع مكروه في المستقبل والحزن غم يلحقها لفوات نفع في الماضي وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ بها على السنة الرسل في الدنيا فانكم واصلون اليها مستقرون بها خالدون في نعيمها ثم بشرهم سبحانه بما هو اعظم من ذلك كله فقال نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ اي نحن المتولون لحفظكم ومعونتكم في امور الدنيا وامور الاخرة ومن كان الله وليه فاز بكل مطلب ونجا من كل مخافة وقيل ان هذا من قول الملائكة قال مجاهد يقولون لهم نحن قرناؤكم الذين كنا معكم في الدنيا فاذا كان يوم القيامة قالوا لا نفارقكم حتى تدخلوا الجنة وقال السدي نحن الحفظة لاعمالكم في الدنيا وانصاركم واحباؤكم واولياؤكم في الاخرة وقيل انهم يشفعون لهم في الاخرة ويتلقونهم بالكرامة وقال النسفي رح كما ان الشياطين قرناء العصاة والكافرين فكذلك الملائكة اولياء المتقين واحباؤهم في الدارين وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ من صنوف الكرامات واللذات وانواع النعم وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ اي تتمنون افتعال من الدعاء بمعنى الطلب وقد تقدم بيان معنى هذا في قوله ولهم ما يدعون مستوفى والفرق بين الجملتين ان الاولى باعتبار شهوات انفسهم والثانية باعتبار ما يطلبونه اعم من ان يكون مما تشتهيه انفسهم اولا اذ لا يلزم ان يكون كل مطلوب مشتهى كالفضائل العلمية وان كان الاول اعم ايضا من وجه بحسب حال الدنيا فالمريض لا يريد ما يشتهيه يضر مرضه الا ان يقال التمني اعم من الارادة وقال الرازي الاقرب عندي ان قوله ولكم فيها ما تشتهي انفسكم اشارة الى الجنة الروحانية المذكورة في قوله دعواهم فيها سبحانك اللهم الآية وانتصاب نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ على الحال من الموصول او من عائده او من فاعل تدعون او هو مصدر مؤكد لفعل محذوف اي انزلنا نزلا والنزل ما يعد لهم حال نزولهم من الرزق والضيافة قال النسفي هو رزق النزيل وهو الضيف وقد تقدم تحقيقه في سورة آل عمران

قال أهل المعاني كل ما في هذه الآية المذكورة في هذه الآية جارية مجرى النزل الكريم إذا أعطي هذا
النزل فما ظنك بما بعده من الألطاف والكرامة ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله أي إلى توحيد
وطاعته قال الحسن هو المؤمن أجاب الله في دعوته ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من طاعته وعمل صالحا
في إجابته وقال إنني من المسلمين لربي وليس الغرض منه القول فقط بل يضم إليه اعتقاد القلب
فيعتقد بقلبه دين الإسلام مع التلفظ أي قال ذلك ابتهاجا بالإسلام وفرحا به واتخاذا له دينا
ومذهبا [illegible] قال ابن سيرين والسدي وابن زيد هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وروي هذا
أيضا عن الحسن وقال عكرمة وقيس بن أبي حازم ومجاهد نزلت في المؤذنين قالت عائشة الداعي
إلى الله المؤذن والعمل الصالح ركعتان فيما بين الأذان والإقامة وعنها قالت ما أرى هذه الآية نزلت إلا في
المؤذنين ويجاب عن هذا بأن الآية مكية والأذان إنما شرع بالمدينة والأولى حمل الآية على العموم
كما يقتضيه اللفظ ويدخل فيها من كان سببا لنزولها دخولا أوليا فكل من جمع بين دعاء العباد
إلى ما شرعه الله وعمل عملا صالحا وهو تأدية ما فرضه الله عليه مع اجتناب ما حرمه الله عليه وكان
من المسلمين دينا لا من غيرهم فلا شيء أحسن منه ولا أوضح من طريقته ولا أكثر ثوابا من عمله قيل
والدعوة إلى الله مراتب الأولى دعوة الأنبياء إلى الله بالمعجزات وبالحجج والبراهين وبالسيف وهذه المرتبة
لم تتفق لغير الأنبياء المرتبة الثانية دعوة العلماء إلى الله بالحجج والبراهين فقط والعلماء أقسام
علماء بالله وعلماء بصفات الله وعلماء بأحكام الله المرتبة الثالثة دعوة المجاهدين إلى الله بالسيف
والسنان فهم يجاهدون الكفار حتى يدخلوا في دين الله وطاعته المرتبة الرابعة دعوة المؤذنين
إلى الصلاة فهم أيضا دعاة إلى الله وإلى طاعته ثم بين سبحانه الفرق بين محاسن الأعمال ومساويها
فقال ولا تستوي الحسنة ولا السيئة أي لا تستوي الحسنة التي يرضى بها الله ويثيب عليها ولا
السيئة التي يكرهها الله ويعاقب عليها ولا وجه لتخصيص الحسنة بنوع من أنواع الطاعات وتخصيص
السيئة بنوع من أنواع المعاصي فإن اللفظ أوسع من ذلك وقيل الحسنة التوحيد والسيئة الشرك
وقيل الحسنة المداراة والسيئة الغلظة وقيل الحسنة العفو والسيئة الانتصار وقيل الحسنة
العلم والسيئة الفحش وقيل غير ذلك قال الفراء لا في ولا السيئة زائدة والجملة مستأنفة سيقت
لبيان محاسن الأعمال الجارية بين العباد إثر بيان محاسن الأعمال الجارية بين العبد وبين الرب ترغيبا

لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الصبر على اذية المشركين ومقابلة اساءتهم بالاحسان ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ
أَحْسَنُ استينافٍ مبين عاقبة الحسنى اي ادفع السيئة اذا جاءتك من المسيء باحسن ما يمكن دفعها
به من الحسنات ومنه مقابلة الاساءة بالاحسان والذنب بالعفو والغضب بالصبر والاغضاء
عن الهفوات والاحتمال للمكروهات قال ابن عباس امر المسلمين بالصبر عند الغضب والحلم عند الجهل
والعفو عند الاساءة فاذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان وخضع لهم عدوهم كانه ولي حميم
وقال ابن عباس القه بالسلام وقال مجاهد وعطاء بالتي هي احسن يعني بالسلام اذا لقي من يعاديه
وقيل بالمصافحة عند التلاقي والمعنى ان الحسنة والسيئة متفاوتتان في انفسهما فخذ بالحسنة التي
هي احسن من اختها اذا اعترضتك حسنتان فادفع بها السيئة التي ترد عليك من بعض اعدائك
كما لو اساء اليك رجل اساءة فالحسنة ان تعفو عنه والتي هي احسن ان تحسن اليه مكان اساءته
اليك مثل ان يذلك فتمدحه او يقتل ولدك فتفتدي ولده من يد عدوه ووضع التي هي احسن موضع
الحسنة ليكون ابلغ في الدفع بالحسنة لان من دفع بالحسنى هان عليه الدفع بما دونها فَإِذَا الَّذِي
بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ هذه هي الفائدة الحاصلة من الدفع بالتي هي احسن
والمعنى انك اذا فعلت ذلك الدفع صار العدو كالصديق والبعيد عنك كالقريب منك وقال مقاتل
نزلت في ابي سفيان بن حرب كان معاديا للنبي صلى الله عليه وسلم فصار له وليا بالمصاهرة التي وقعت بينه
وبينه ثم اسلم فصار وليا في الاسلام حميما بالصهارة وقيل غير ذلك والاولى حمل الاية على العموم
وَمَا يُلَقَّاهَا قال الزجاج اي ما يلقى هذه الفعلة وهذه الحالة وهي دفع السيئة بالحسنة إِلَّا الَّذِينَ
صَبَرُوا على كظم الغيظ واحتمال المكروه وتجرع الشدائد وترك الانتقام وقال انس الرجل يشتمه اخوه فيقول
ان كنت صادقا غفر الله لي وان كنت كاذبا فغفر الله لك وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ في الثواب
الخير او من الخلق الحسن وكمال النفس وهذا النسب وقال قتادة الحظ العظيم الجنة اي ما يلقاها الا من
وجبت له الجنة وقيل الضمير في يلقاها عائد الى الجنة وقيل راجعة الى كلمة التوحيد قرأ الجمهور
يلقاها من التلقية وقرئ تلاقاها من الملاقات ثم امر سبحانه بالاستعاذة من الشيطان فقال
وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ النزغ شبيه النخس شبه به الوسوسة لانها تبعث على الشر
وجعل النزغ نازغا على سبيل المجاز العقلي كقولهم جد جده او اريد واما ينزغنك نازغ وصفا

للشيطان بالمصدر او لتسويله والمعنى وان صرفك الشيطان عن شيء مما شرعه الله لك او عن
الدفع بالتي هي احسن فاستعذ بالله من شره وامض على حلمك ولا تطعه وجملة إنه هو السميع
العليم تعليل لما قبلها اي السميع لكل ما يسمع ومنه استعاذتك والعليم بكل ما يعلم ومنه فعلك واحوالك ومن كان
كذلك فهو يعيذ من استعاذ به وقال هنا بزيادة هو وال وفي الاعراف بدونهما لان ما هنا متصل بمؤكد
بالتكرار وبالحصر فناسب التاكيد بما ذكر وما في الاعراف خلي عن ذلك فجرى على القياس من كون المسند
اليه معرفة والمسند نكرة اخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن سليمان بن صرد قال استب رجلان عند
النبي صلى الله عليه وسلم فاشتد غضب احدهما فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني لاعلم كلمة لو قالها لذهب عنه الغضب
اعوذ بالله من الشيطان الرجيم فقال الرجل امجنون تراني فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم واما ينزغنك
من الشيطان نزغ فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ثم شرع سبحانه في بيان بعض آياته البديعة
الدالة على كمال قدرته وقوة تصرفه للاستدلال بها على توحيده فقال ومن آياته الليل والنهار
في تعاقبهما على حد معلوم وتناوبهما على قدر مقسوم والشمس والقمر في اختصاصهما بسير مقدر
ونور مقرر هذا رد على قوم عبدوا الشمس والقمر وانما تعرض للاربعة مع انهم لم يعبدوا الليل والنهار
للايذان بكمال سقوط الشمس والقمر عن رتبة السجودية لهما بنظمهما في المخلوقية في سلك الاعراض التي
لا قيام لها بذاتها وهذا هو السر في نظم الكل في سلك آياته ثم لما بين ان ذلك من آياته نهاهم عن
عبادة الشمس والقمر وامرهم ان يسجدوا لله عز وجل فقال لا تسجدوا للشمس ولا للقمر لانهما مخلوقان
من مخلوقاته وان كثرت منافعهما فلا يصح ان يكونا شريكين له في ربوبيته واسجدوا لله الذي
خلقهن اي هذه الاربعة المذكورة لان جمع ما لا يعقل حكمه حكم جمع الاناث او الآيات او الشمس و
القمر لان الاثنين جمع عند جماعة من الائمة قال السمين وانما عبر عن الاربع بضمير الاناث مع ان فيها
ثلاثة مذكرة والعادة تغليب المذكر على المؤنث لانه لما قال ومن آياته فنظم الاربعة في سلك الآيات
صار كل واحد منها آية فعبر عنها بضمير الاناث في قوله خلقهن إن كنتم إياه تعبدون قيل كان ناس
يسجدون للشمس والقمر كالصابئين في عبادتهم الكواكب ويزعمون انهم يقصدون بالسجود لهما السجود
لله فنهوا عن ذلك فهذا وجه تخصيص ذكر السجود بالنهي عنه وقيل وجه تخصيصه انه اقصى مراتب
العبادة وهذه الآية من آيات السجود بلا خلاف وانما اختلفوا في موضع السجدة فقيل موضعها عند

قوله ان كنتم اياه تعبدون لانه متصل بالامر وقيل عند قوله وهم لا يسأمون لانه تمام الكلام
وعن ابن عباس انه كان يسجد باخر الايتين من حم السجدة وكان ابن مسعود يسجد بالاولى منهما
وعن ابن عمر انه كان يسجد بالاولى ويسجد بالاية الاخيرة فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ
يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ۩ اي ان استكبروا عن الامتثال فدعهم وشأنهم
فان لله عبادا يعبدونه كالملائكة يديمون التسبيح لله سبحانه بالليل والنهار او يصلون له وهم لا يملون
ولا يفترون يعني ان الله لا يعدم عابدا بل من خلقه من يعبده على الدوام والعندية عندية مكانة
وتشريف وفي الحديث انا عند ظن عبدي بي وانا عند المنكسرة قلوبهم وَمِنْ آيَاتِهِ الدالة على
قدرته ووحدانيته أَنَّكَ الخطاب لكل عاقل او لكل من يصلح له او لرسول الله صلى الله عليه وسلم تَرَى
الْأَرْضَ اي بعضها بحاسة البصر وبعضها بعين البصيرة فيما سوى ما ابصرت خَاشِعَةً يابسة لا نبات
فيها متطامنة وهي انسب بلفظ خاشعة والخاشعة اليابسة الجدبة الجامدة وقيل الغبراء التي لا
تنبت قال الازهري اذا يبست الارض ولم تمطر قيل قد خشعت والخشوع التذلل والتقاصر فاستعير
لحال الارض اذا كانت محطة لا نبات فيها كما وصفها بالهمود في قوله تعالى وترى الارض هامدة وهو خلاف
وصفها بالاهتزاز والربو كما قال فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اي ماء المطر او غيره اهْتَزَّتْ تحركت بالنبات
حركة عظيمة كثيرة سريعة فكان كمن يعالج ذلك بنفسه يقال اهتز الانسان اذا تحرك وَرَبَتْ انتفخت و
علت قبل ان تنبت قاله مجاهد وغيره اي تصدعت عن النبات بعد موتها وعلى هذا ففي الكلام تقديم و
تاخير وتقديره ربت واهتزت وقيل الاهتزاز والربو قد يكونان قبل خروج النبات من الارض وقد يكونان
بعده ومعنى الربو لغة الارتفاع كما يقال للموضع المرتفع ربوة ورابية فالنبات يتحرك للبروز ثم يزداد في جسمه
بالكبر طولا وعرضا وقد تقدم تفسير هذه الاية مستوفى في سورة الحج وقيل اهتزت استبشرت بالمطر
ربت انتفخت بالنبات وقيل تشققت فارتفع ترابها وخرج منها النبات وسماها الحجم مغطيا الوجه تشبيهها في
عروقه وغلظت عروقه فصار يمنع سلوكها على ما كانت فيه من السهولة وتزخرفت بذلك النبات كانها
بمنزلة المختال في زيه لما كانت قبل ذلك كالذليل وقرأ ابو جعفر وخالد ربأت إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا
لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ بالبعث والنشور إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ لا يعجزه شيء كائنا ما كان إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي
آيَاتِنَا اي يميلون عن الحق والاستقامة في اياتنا بالطعن والتحريف والتاويل الباطل واللغو فيها او الالحاد

الميل والعدول ومنه اللحد في القبر لانه اميل الى ناحية منه يقال لحد في دين الله اي مال عنه وعدل
يقال لحد وهو لغة فيه وقد تقدم تفسير الالحاد ويقال الحد الحافر ولحد اذا مال عن الاستقامة فحفر في
شق فاستعير لحال الارض اذا كانت ملحودة فاستعير للانحراف في تأويل آيات القرآن عن جهة الصحة و
الاستقامة قال مجاهد معنى الآية يميلون عن الايمان بالقرآن وقال ايضا يميلون عند تلاوة القرآن بالمكاء
والتصدية واللغو والغناء وقال قتادة يكذبون في آياتنا وقال السدي يعاندون ويشاقون وقال
ابن زيد يشركون والمعاني متقاربة وقال ابن عباس في الآية هو ان يضع الكلام في غير موضعه لَا يَخْفَوْنَ
عَلَيْنَا بل نحن نعلمهم فنجازيهم بما يعملون قيل نزلت في ابي جهل ثم بين كيفية الجزاء والتفاوت بين
المؤمن والكافر فقال أَفَمَنْ يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الاستفهام للتقرير و
الغرض منه التنبيه على ان الملحدين في الآيات يلقون في النار وان المؤمنين بها يأتون آمنين يوم القيامة
وظاهر الآية العموم اعتبارا بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فهو تمثيل للكافر والمؤمن وقيل المراد بمن يلقى
في النار ابو جهل ومن يأتي آمنا النبي صلى الله عليه وسلم وقيل حمزة وقيل عمر بن الخطاب وقيل ابو سلمة بن عبد
الاسود المخزومي وقال ابن عباس ابو جهل بن هشام ومن يأتي آمنا يوم القيامة ابو بكر الصديق وعن بشير
بن تميم قال نزلت في ابي جهل وعمار بن ياسر وعن عكرمة مثله وكان الظاهر ان يقال ام من يدخل الجنة وعدل
عنه للتصريح بامنهم وانتفاء الخوف عنهم قاله الكرخي وترسم ام مفصولة من من اتباعا للمصحف الامام
اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ هذا امر تهديد اي اعملوا من اعمالكم التي تلقيكم في النار ما شئتم فهو مجازيكم على كل ما تعملون
قال الزجاج لفظه لفظ الامر ومعناه الوعيد وقال ابن عباس هذا لاهل بدر خاصة إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ لا يخفى عليه منه خافية فيجازيكم عليه إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ الجملة مستأنفة
مقررة لما قبلها اي ان الذين كفروا بالقرآن لما جاءهم يجازون بكفرهم او هالكون او يعذبون وقيل
هو قوله ينادون من مكان بعيد وهذا بعيد وان نحاه ابو عمرو بن العلاء وذكر السمين في خبر ان
اعاريب وجوها لا نطول بذكرها وَإِنَّهُ اي القرآن الذي كانوا يلحدون فيه لَكِتَابٌ عَزِيزٌ عن ان
يعارض او يطعن فيه الطاعنون منيع عن كل عيب محمي بحماية الله وقيل عديم النظير وذلك ان الخلق
عجزوا عن معارضته وقيل اعزه الله بمعنى منعه اي ممتنع عن قبول الابطال والتحريف ثم وصفه بانه
حق لا سبيل للباطل اليه بوجه من الوجوه فقال لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ قال الزجاج

معناه انه محفوظ من ان ينقص منه فيأتيه الباطل من بين يديه او يزاد فيه فيأتيه الباطل
من خلفه وبه قال قتادة والسدي ومعنى الباطل على هذا الزيادة والنقصان وقال مقاتل لا يأتيه
التكذيب من الكتب التي قبله ولا يجيء من بعده كتاب فيبطله وبه قال الكلبي وسعيد بن جبير وقيل الباطل
هو الشيطان اي لا يستطيع ان يزيد فيه ولا ينقص منه وقيل لا يزاد فيه ولا ينقص منه لا من جبريل
ولا من محمد صلى الله عليه وسلم وقيل لا يأتيه التبديل والتناقض بوجه من الوجوه وقيل لا يأتيه الباطل عما
اخبر فيما تقدم من الزمان ولا فيما تأخر وقيل ان الباطل لا يتطرق اليه ولا يجد اليه سبيلا من جهة
من الجهات حتى يصل اليه والمعنى كل ما فيه حق وصدق ليس فيه ما لا يطابق الواقع والعموم اولى
تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ خبر مبتدأ محذوف او صفة اخرى لكتاب ثم سلى سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم عما كان
يتأثر له من اذية الكفار فقال مَا يُقَالُ لَكَ من هؤلاء الكفار من وصفك بالسحر والكذب والجنون
إِلَّا مِثْلَ مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ فان قومهم كانوا يقولون لهم مثل ما يقول لك هؤلاء وقيل
المعنى ما يقال لك من التوحيد واخلاص العبادة لله الا ما قد قيل للرسل من قبلك فان الشرائع كلها
متفقة على ذلك وقيل هو استفهام اي اي شيء يقال لك إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لمن يستحق مغفرته
من الموحدين الذين تابعوك وتابعوا من قبلك من الانبياء وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ للكفار المكذبين
المعادين لرسل الله وقيل لذو مغفرة للانبياء وذو عقاب لاعدائهم وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا
اي لو جعلنا هذا القرآن الذي تقرؤه على الناس بغير لغة العرب ولا حجة فيه لابي حنيفة رح في جواز
الصلوة اذا قرأ بالفارسية كما زعمه النسفي وغيره لان التركيب خارج مخرج الفرض والتقدير دون
الوقوع والتحقيق لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ اي بينت بلغتنا فاننا عرب لا نفهم لغة العجم والاستفهام في
قوله ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ للانكار وهو من جملة قول المشركين اي لقالوا كلام اعجمي ورسول عربي و
الاعجمي الذي لا يفصح سواء كان من العرب او من العجم والياء للمبالغة في الوصف كاحمري وليس النسب
فيه حقيقيا وقال الرازي في لوامحه هي كياء كرسي وبختي وفرق بينهما الشيخ والاعجم ضد الفصيح وهو الذي
لا يبين كلامه ويقال للحيوان غير الناطق اعجم وقيل المراد هلا فصلت آياته فجعل بعضها اعجميا
وبعضها عربيا لافهام العرب قال ابن عباس يقول لو جعلنا القرآن اعجميا ولسانك يا محمد عربي
لقالوا اعجمي وعربي تأتينا به مختلطا او مختلطا هلا بينت آياته فكان القرآن مثل اللسان يقول فلم نفصل

لئلا يقولوا فكانت حجة عليهم قرء ابو بكر وحمزة والكسائي ءاعجمي بهمزتين محققتين وقرئ بهمزة واحدة وقرئ بتسهيل الثانية بين بين ثم امر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم ان يجيبهم فقال قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ اي يهتدون به الى الحق ويستشفون به من كل شك وشبهة ومن الاسقام والالام قال النحاس يرد عليهم بانه هاد لهم شاف لما في صدورهم كاف في دفع الشبهة فلذا اورد بلسانهم معجزا بينا في نفسه مبينا لغيره وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ اي صمم عن سماعه وفهم معانيه ولهذا تواصوا باللغو فيه والموصول مبتدء خبره في اذانهم وقرا والموصول الثاني عطف على الاول وقر عطف على هدى عند من جوز العطف على عاملين مختلفين والتقدير هو للاولين هدى وشفاء وللاخرين وقر في اذانهم وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى وذلك لتصامهم عن سماعه وتعاميهم عما يريهم من الايات قال قتادة عموا عن القران وصموا عنه وقال السدي عميت قلوبهم عنه والمعنى وهو عليهم ذو عمى ووصف بالمصدر للمبالغة وقيل المعنى والوقر عليهم عمى اي ظلمة وشبهة قرء الجمهور عمى بفتح الميم منونة على انه مصدر وقرء ابن عباس وعبد الله بن الزبير وعمرو بن العاص وابن عمر بكسر الميم منونة على انه اسم منقوص على انه وصف به مجازا وقرئ بكسر الميم وفتح الياء على انه فعل ماض واختار ابو عبيدة القراءة الاولى أُولَئِكَ اي الذين لا يؤمنون يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ مثل حالهم باعتبار عدم فهمهم للقران بحال من ينادى من مسافة بعيدة لا يسمع من يناديه منها قال الفراء تقول للرجل الذي لا يفهم كلامك انت تنادي من مكان بعيد ففيه استعارة تمثيلية وقال الضحاك ينادون يوم القيامة بافتح اسمائهم من مكان بعيد وقال مجاهد من مكان بعيد من قلوبهم وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ كلام مستانف يتضمن تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يحصل له من الاغتمام بكفر قومه وطعنهم في القران فاخبره ان هذه عادة قديمة في امم الرسل غير مختصة بقومك فانهم يختلفون في الكتب المنزلة اليهم والمراد بالكتاب التوراة وضمير فيه راجع اليه وقيل يرجع الى موسى والاول اولى يعني قال بعضهم هو حق وقال بعضهم هو باطل كما اختلف قومك في كتابك فمصدق به ومكذب وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ في تاخير العذاب عن المكذبين بالقران من امتك وامهالهم كما في قوله ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بتعجيل العذاب لمن كذب منهم قال قتادة اي سبق لهم من الله حين واجلهم بالغوه وَإِنَّهُمْ لَفِي

ع ۱۲

شك منه مريب اي من كتابك المنزل عليك وهو القران ومعنى الشك المريب الموقع في الريبة والشديد الريبة وقيل ان المراد اليهود وانهم في شك من التوراة مريب والاول اولى من عمل صالحا فلنفسه اي من اطاع الله وامن برسله ولم يكذبهم فثواب ذلك راجع اليه ونفعه خاص به ومن اساء فعليها اي عقاب اساءته عليه لا على غيره وما ربك بظلام للعبيد فلا يعذب احدا الا بذنبه ولا يقع منه الظلم لاحد كما في قوله سبحانه ان الله لا يظلم الناس شيئا وظلام صيغة نسب كتمار وبقال وخباز لا صيغة مبالغة وهذا التقرير احسن من غيره وقال الكرخي ليس بذي ظلم اشار به الى ان ظلام ليس على بابه وقد تقدم الكلام على معنى هذه الاية في سورة ال عمران عند قوله وان الله ليس بظلام للعبيد وفي سورة الانفال ايضا ثم اخبر سبحانه ان علم القيامة ووقت قيامها لا يعلم غيره فقال



اليه يرد علم الساعة

اي علم سوال الساعة اي السوال عنها اي علم جواب هذا السؤال فاذا وقع السؤال عنها وجب على المسئول ان يرد علمها اليه لا الى غيره واخذ الحصر من تقديم المعمول وقد روي ان المشركين قالوا يا محمد ان كنت نبيا فخبرنا متى تقوم الساعة فنزلت هذه الاية وما تخرج من ثمرات من اكمامها ما نافية ومن الاولى للاستغراق والثانية لابتداء الغاية وقيل ما موصولة اي علم الساعة وعلم التي تخرج والاول اولى والاكمام جمع كم بكسر الكاف وهو وعاء الثمرة ويطلق على كل ظرف لمال او غيره قال ابو عبيدة اكمامها اوعيتها وهي ما كانت فيه الثمرة واحدها كم وكمة قال الراغب الكم ما يغطي اليد من القميص وما يغطي الثمرة وجمعه اكمام وهذا يدل على ان الكم بضم الكاف لانه جعله مشتركا بين كم القميص وكم الثمرة ولا خلاف في كم القميص انه بالضم ويمكن ان يقال ان في الكم الذي هو وعاء الثمر لغتين قرأ الجمهور من ثمرة بالافراد على ارادة الجنس وقرئ بالجمع للاختلاف في انواع الثمار قال قتادة من اكمامها حين تطلع وما تحمل من انثى حملا في بطنها ولا تضع ذلك الحمل الا بعلمه اي علم الله سبحانه والاستثناء مفرغ من اعم الاحوال اي ما يحدث شيء من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع في حال من الاحوال ملابسا لشيء من الاشياء الا كائنا بعلم الله فاليه يرد علم الساعة كما يرد اليه علم هذه الامور الحادثة وفيه دليل على ان اصحاب الكشف والكهان واهل النجوم لا يمكنهم القطع والجزم في شيء مما يقولونه البتة وانما غاية

اذ علمه ظن ضعيف او وهم خفيف قد لا يصيب وعلم الله هو العلم اليقين المقطوع به الذي لا يشركه فيه
احد ﴿ويوم يناديهم﴾ اي ينادي الله سبحانه المشركين وذلك يوم القيامة فيقول لهم ﴿اين شركائي الذين﴾
كنتم تزعمون انهم شركائي في الدنيا من الاصنام وغيرها فادعوهم الآن فليشفعوا لكم او يدفعوا عنكم العذاب
وهذا على طريقة التهكم بهم والتقريع لهم واضافهم الى نفسه على زعمهم الباطل ﴿قالوا﴾ اي يقولون فالماضي
بمعنى المضارع ﴿آذناك﴾ اي اعلمناك قاله ابن عباس يقال اذن يؤذن اذا اعلم اي اعلمناك وقيل
اخبرناك قال النسفي وهو الاظهر اذ الله تعالى كان عالما بذلك واعلام العالم محال انما الاخبار للعالم
بالشيء ليتحقق بما علم به الا ان يكون المعنى انك علمت من قلوبنا الآن انا لا نشهد تلك الشهادة الباطلة
لانه اذا علمه من نفوسهم فكأنهم اعلموه انتهى ﴿ما منا من شهيد﴾ يشهد بان لك شريكا وذلك انهم
لما عاينوا القيامة تبرؤوا من الشركاء وتبرأت منهم تلك الاصنام التي كانوا يعبدونها وقيل ان القائل
بهذا هي المعبودات التي كانوا يعبدونها اي ما منا من شهيد يشهد لهم بانهم كانوا محقين والاول
اولى ﴿وضل عنهم﴾ اي غاب وزال وبطل في الآخرة ﴿ما كانوا يدعون من قبل﴾ في الدنيا من الاصنام
ونحوها ﴿وظنوا ما لهم من محيص﴾ اي ايقنوا وعلموا انه لا مهرب لهم من العذاب يقال حاص يحيص حيصا
اذا هرب وقيل الظن على معناه الحقيقي لانه بقي لهم في تلك الحال ظن ورجاء والاول اولى ثم ذكر سبحانه
بعض احوال الانسان فقال ﴿لا يسأم الانسان من دعاء الخير﴾ اي لا يمل من دعاء الخير لنفسه وجلبه
اليه ولا يزال يسأل ربه المال والخير هنا المال والصحة والسلطان والرفعة قال السدي والانسان هنا
يراد به الكافر وقيل الوليد بن المغيرة وقيل عتبة وشيبة ابنا ربيعة وامية بن خلف والاولى حمل
الآية على العموم باعتبار الغالب فلا ينافيه خروج خلص العباد وقرأ ابن مسعود من دعاء المال ﴿وان
مسه الشر﴾ اي البلاء والشدة والفقر والمرض ﴿فيؤوس﴾ من روح الله ﴿قنوط﴾ من رحمته والياس
من صفة القلب وهو قطع الرجاء والقنوط اظهار آثاره على ظاهر البدن وصنيع المحلي يقتضي ترادفهما وبه قال
بعضهم فالجمع بينهما للتأكيد وقيل يؤوس من اجابة دعائه قنوط بسوء الظن بربه وقيل يؤوس من
زوال ما به من المكروه قنوط بما يحصل له من ظن دوامه وهما صيغتا مبالغة تدلان على انه شديد
الياس عظيم القنوط وبولغ فيه من طريقين من طريق بناء فعول كما اشرنا ومن طريق التكرير والقنوط
ان يظهر عليه اثر الياس فيتضاءل وينكسر اي يقطع الرجاء من فضل الله وروحه وهذا صفة الكافر

بدليل قوله تعالى انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون، وَلَئِنْ لام قسم أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ اي ولئن آتيناه خيرا وعافية وغنى من بعد شدة ومرض وفقر لَيَقُولَنَّ جواب القسم وجواب الشرط محذوف لسد جواب القسم مسده هَذَا لِي اي هذا شيء استحقه على الله لرضاه بعملي فظن ان تلك النعمة التي صار فيها وصلت اليه باستحقاقه لها ولم يعلم ان الله يبتلي عباده بالخير والشر ليتبين له الشاكر من الجاحد والصابر من الجزع قال مجاهد معناه هذا بعملي وانا محقوق به او هذا لي دائما لا يزول وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً اي ما اظنها تقوم كما يخبر بها الانبياء او لست على يقين من البعث وهذا خاص بالكافرين والمنافقين فيكون المراد بالانسان المذكور في صدر الآية الجنس باعتبار غالب افراده لان اليأس من رحمة الله والقنوط من خيره والشك في البعث لا يكون الا من الكافرين او المتزلزلين في الدين المتظاهرين بالاسلام المبطنين للكفر وَلَئِنْ لام قسم رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي على تقدير صدق ما يخبر به الانبياء من قيام الساعة وحصول البعث والنشور إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى جواب القسم لسبقه الشرط اي للحالة الحسنى من النعمة والكرامة فظن انه استحق خير الدنيا بما فيه من الخير واستحق خير الآخرة بذلك الذي اعتقده في نفسه واثبته لها وهو اعتقاد باطل وظن فاسد وقد تضمن الكلام مبالغات حيث اكد بالقسم وان وتقديم الظرفين والعدول الى صيغة التفضيل اذ الحسنى تأنيث الاحسن فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا اي لنخبرهم به يوم القيامة وهذا رد لقول الكافر ولئن رجعت الى آخره اي ليس الامر كما يزعم وانما له العذاب الشديد كما قال وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ بسبب ذنوبهم واللام هذه والتي قبلها هي الموطئة للقسم وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ اي على هذا الجنس من حيث هو باعتبار غالب افراده أَعْرَضَ عن الشكر وَنَأَى بِجَانِبِهِ اي ترفع عن الانقياد للحق وتكبر وتجبر وثنى عطفه متبختر كناية عن الاعراض وقيل اعرض عنه او ذهب بنفسه وتباعد عنه بكليته تكبرا والجانب هنا مجاز عن النفس ونأى بمعنى بعد يقال نأيت وتناءيت اي بعدت وتباعدت والمنتأى الموضع البعيد وقرئ ناء بالالف قبل الهمزة وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ اي البلاء والجهد والفقر والمرض فَذُو اي فهو ذو دُعَاءٍ عَرِيضٍ اي كثير والعرب تستعمل العرض والطول في الكثرة مجازا يقال اطال فلان في الكلام واعرض في الدعاء اذا اكثر فهو مستعار مما له عرض متسع للاشعار بكثرته فان العريض يكون ذا اجزاء كثيرة والاستعارة تخييلية شبه الدعاء بامر يوصف بالامتداد ثم

له العرض قاله الكرخي والطول اطول الامتدادين فاذا كان عرضه كذلك فما ظنك بطوله افاده
ابو السعود والمعنى انه اذا مسه الشر تضرع الى الله واستغاث به ان يكشف عنه ما نزل به واستكثر من
ذالك فذكره في الشدة ونسيه في الرخاء واستغاث به عند نزول النقمة وتركه عند حصول النعمة
وهذا صنيع الكافرين ومن كان غير ثابت القدم من المسلمين قال الشهاب فان قلت كونه يدعو
دعاء طويلا عريضا ينافي وصفه قبل هذا بانه يؤس قنوط لان الدعاء فرع الطمع والرجاء وقد اعتبر
في القنوط ظهور اثر الياس فظهورها يدل على الرجاء يأباه قلت يمكن دفع المنافاة بحمله على عدم اتحاد
الاوقات والاحوال انتهى اولعل هذا شأن بعض غير البعض الذي حكى عنه الياس والقنوط او شأن
الكل في بعض الاوقات ذكره ابو السعود ثم رجع سبحانه الى مخاطبة الكفار ومحاجتهم فقال قُلْ أَرَأَيْتُمْ
اي اخبروني عن حالتكم العجيبة واستعمال ارايتم بمعنى الاخبار مجاز ووجه المجاز انه لما كان العلم
بالشيء سببا للاخبار عنه او ابصاره به طريقا الى الاحاطة به علما والى صحة الاخبار عنه استعملت الصيغة
التي لطلب العلم او لطلب الابصار في طلب الخبر لاشتراكهما في الطلب ففيه مجازان استعمال رأى
التي بمعنى علم او ابصر في الاخبار واستعمال الهمزة التي هي لطلب الرؤية في طلب الاخبار قاله الشهاب
إِنْ كَانَ الْقُرْآنُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ كما قلتم ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ اي كذبتم به ولم تقبلوه ولا عملتم بما فيه مَنْ
أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ خلاف بَعِيدٍ عن الحق اي لا احد اضل منكم لفرط شقاقكم وشدة
عداوتكم والاصل اي شيء اضل منكم فوضع من هو في شقاق موضع الضمير لبيان حالهم في المشاقة
وانها السبب الاعظم في ضلالهم سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا اي الالات صدق القرآن وعلامات كونه من عند الله
فِي الْآفَاقِ جمع افق بضم الهمزة والفاء كذا قال اهل اللغة كاعناق وعنق وهو الناحية ونقل الراغب انه
يقال افق بفتحهما كجبل واجبال والمعنى سنريهم آياتنا في النواحي على ما اخبرهم به النبي صلى الله عليه وسلم
من الحوادث الاتية وآثار النوازل الماضية وما يسر الله له ولخلفائه من الفتوح والظهور على ممالك
الشرق والغرب على وجه خارق للعادة وقال القرطبي اي علامات وحدانيتنا وقدرتنا في الآفاق يعني خراب
منازل الامم الماضية وربع القرون الخالية وَفِي أَنْفُسِهِمْ قال ابن زيد في الآفاق آيات السماء وفي
انفسهم حوادث الارض وقال مجاهد في الآفاق فتح القرى التي يسر الله فتحها لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وللخلفاء من بعده وانصار دينه في آفاق الدنيا وبلاد المشرق والمغرب عموما وفي ناحية المغرب خصوصا

من الفتوح التي لم يتيسر مثلها لاحد من خلفاء الارض قبلهم او من الظهور على الجبابرة والاكاسرة وتغليب قليلهم على كثيرهم وتسليط ضعفائهم على اقويائهم واجرائه على ايديهم امورا خارجة عن المعهود خارقة للعادات وفي انفسهم فتح مكة ورجح هذا ابن جرير واختاره المنهال بن عمرو والسدي وقال قتادة والضحاك في الآفاق وقائع الله في الامم وفي انفسهم في يوم بدر وقال عطاء في الآفاق يعني اقطار السموات والارض من الشمس والقمر والنجوم والليل والنهار والرياح والامطار والرعد والبرق والصواعق والنبات والاشجار والجبال والبحار وغير ذلك وفي انفسهم من لطيف الصنعة وبديع الحكمة حتى في سبيل الغائط والبول فان الرجل ياكل ويشرب من مكان واحد ويتميز ذلك خارجا من مكانين وحتى في عينيه اللتين ينظر بهما من السماء الى الارض مسيرة خمسمائة عام وفي اذنيه اللتين يفرق بهما بين الاصوات المختلفة وغير ذلك من بديع حكمة الله تعالى فيه فان قيل قوله سنريهم الخ يقتضي انه الى الان ما اطلعهم على تلك الآيات وسيطلعهم عليها بعد ذلك مع ان الآيات المذكورة قد اطلعوا عليها وهي منهم نصب العين والجواب ان المراد على هذا سنريهم اسرار آياتنا الخ فالآيات وان اطلعوا عليها بالفعل لكن سرها وحكمتها لم يطلعوا عليه قاله الكرخي وعن ابن جريج في الآية قال امسك المطر عن الارض كلها وفي انفسهم قال البلايا التي تكون في اجسامهم وقال ابن عباس كانوا يسافرون فيرون آثار عاد وثمود فيقولون والله لقد صدق محمد صلى الله عليه وسلم وما اراهم في انفسهم قال الامراض وقيل في كونهم نطفا الى غير ذلك من انتقال احوالهم كما تقدم في المؤمنون بيانه ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ الضمير راجع الى القرآن وقيل الى الاسلام الذي جاءهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الى ما يريهم الله ويفعل من ذلك وقيل الى محمد صلى الله عليه وسلم انه الرسول الحق من عند الله والاول اولى وقد حرف الوجودية هذه الآية الكريمة بحملها على اتحاد الخالق والخالق تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ الجملة مستانفة لتوبيخهم وتقريعهم على ترددهم في شان القرآن وعنادهم المحوج الى ايراد الآيات وعدم اكتفائهم باخباره تعالى والمعنى اولم يغنهم ولم يكفهم عن الآيات الموعودة المبينة لحقية القرآن انه سبحانه شهيد على جميع الاشياء وقيل المعنى اولم يكف بربك يا محمد انه شاهد على اعمال الكفار والباء زائدة وهذا هو الراجح وقيل اولم يكف بربك شاهدا على ان القرآن منزل من عنده والشهيد بمعنى العالم او هو بمعنى الشهادة

التي هي الحضور قال الزجاج ومعنى الكناية ههنا أن الله عز وجل قد بين لهم ما فيه كفاية في الدلالة والمعنى
أولم يكف بك أنه على كل شيء شهيد شاهد للأشياء لا يغيب عنه شيء ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ
رَبِّهِمْ﴾ أي في شك من البعث والحساب والثواب والعقاب ﴿أَلَا إِنَّهُ﴾ تعالى ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ أحاط علمه
جميع المعلومات وأحاطت قدرته بجميع المقدورات يقال أحاط يحيط إحاطة وحيطة وفي هذا
وعيد شديد لأن من أحاط بكل شيء لا يخفى عليه شيء جازى المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

ع ١٠

سورة الشورى وتسمى سورة حم عسق وسورة شورى من غير ألف ولام وسورة حم وهي ثلاث وخمسون آية

وهي مكية كلها قاله ابن عباس وابن الزبير وكذا قال الحسن وعكرمة وعطاء وجابر وروي عن ابن عباس
وقتادة أنها مكية إلا أربع آيات منها نزلت بالمدينة قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى إلى آخرها
وقد أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم ونعيم بن حماد والخطيب عن أرطاة بن المنذر حديثا طويلا في تفسير
حم عسق وهو حديث لا يصح ولا يثبت وما أظنه إلا من الموضوعات المكذوبات والحامل لواضعه عليه ما
يقع لكثير من الناس من عداوة الدول والحط من شأنهم والإزراء عليهم وكذا ما أخرجه أبو يعلى وابن
عساكر عن أبي معاوية قال السيوطي بسند ضعيف قلت بل بسند موضوع ومتن مكذوب وقد قال
ابن كثير في الحديث الأول إنه غريب عجيب منكر وفي الثاني إنه أغرب من الأول وعندي أنهما موضوعان مكذوبان

بسم الله الرحمن الرحيم

حم عسق قد تقدم الكلام في أمثال هذه الفواتح قال عبد المؤمن سألت الحسن[1] بن الفضل
لم قطع حم من عسق ولم يقطع كهيعص فقال لأنها بين سور أولها حم فجرت مجرى نظائرها قبلها و
بعدها فكان حم مبتدأ وعسق خبره ولأنهما عدتا آيتين وعدت أخواتها مثل كهيعص والمر والمص
آية واحدة وقيل إن الحروف المعجمة كلها في المعنى واحد من حيث إنها أس البيان وقاعدة الكلام ذكره
الجرجاني وقيل لأن أهل التأويل لم يختلفوا في كهيعص وأخواتها أنها حروف التهجي لا غير واختلفوا في حم فقيل
معناها حُمَّ أي قضي ما هو كائن ففصلوا بين ما يقدر فيه فعل وبين ما لا يقدر وقيل إن ح حلمه وم
مجده وع علمه وس سناه وق قدرته أقسم الله بها وقيل هما اسم واحد فالفصل بينهما ليطابق سائر الحواميم

[1] وفي نسخة الحسين بن الفضل

وقيل غير ذلك مما هو متكلف ومتعسف لم يدل عليه دليل ولا جاءت به حجة ولا شبهة وقد ذكرنا
قبل هذا ما روي في ذلك مما لا اصل له والحق ما قدمناه لك في فاتحة سورة البقرة كذلك
كلام مستأنف غير متعلق بما قبله اي مثل ذلك الايحاء الذي اوحى الى سائر الرسل من كتب الله المنزلة
عليهم المشتملة على الدعوة الى التوحيد والنبوة والبعث وهذا هو وجه المشابهة يوحي اليك يا محمد
في هذه السورة وقيل ان حم عسق اوحيت الى من قبله من الانبياء فتكون الاشارة بقوله كذلك
اليها والاول اولى والى الذين من قبلك اي الى الرسل الله كانه قيل من يوحي فقال الله العزيز في
ملكه الغالب بقهره الحكيم بصنعه المصيب في قوله وفعله له ما في السموات وما في الارض ذكر
سبحانه لنفسه هذا الوصف وهو ملكه جميع ما فيهما لدلالته على كمال قدرته ونفوذ تصرفه في جميع
مخلوقاته وهو العلي ذاته وشأنه على خلقه العظيم الكبير مكانه وبرهانه تكاد السموات يتفطرن
من فوقهن قرء الجمهور تكاد بالفوقية وكذلك تتفطرن قرأوه بالفوقية مع تشديد الطاء وقرأ
نافع والكسائي وابن وثاب يكاد يتفطرن بالتحتية فيهما وقرأ ابو عمرو والمفضل وابو بكر وابو عبيد
ينفطرن بالنون من الانفطار كقوله اذا السماء انفطرت والتفطر التشقق قال الضحاك والسدي
يتفطرن يتشققن من عظمة الله وجلاله وقيل المعنى يكاد كل واحدة منها ينفطر فوق التي تليها
من قول المشركين اتخذ الله ولدا وقيل معنى من فوقهن من فوق الارضين والاول اولى وقيل
يتشققن لكثرة ما على السموات من الملائكة وقيل يكدن يتفطرن من علو شان الله وعظمته
ويدل عليه مجيئه بعد قوله العلي العظيم ومن لابتداء الغاية اي يبتدئ التفطر من جهة الفوق
وقال الاخفش الصغير ان الضمير يعود الى جماعات الكفار اي من فوقهم وهو بعيد جدا ووجه
تخصيص جهة الفوق انها اقرب الى الآيات العظيمة والمصنوعات الباهرة او على طريق المبالغة كان
كلمة الكفار مع كونها جاءت من جهة التحت اثرت في جهة الفوق فتأثيرها في جهة التحت بالاولى
والملائكة يسبحون بحمد ربهم كلام مستأنف اي ينزهونه عما لا يليق به ولا يجوز عليه متلبسين
بحمده وقيل ان التسبيح موضوع موضع التعجب اي يتعجبون من جرأة المشركين على الله وقيل المعنى
يصلون بامر ربهم قاله السدي ويستغفرون لمن في الارض اي يشفعون لمن في الارض من عباد الله المؤمنين
كما في قوله ويستغفرون للذين امنوا ويطلبون هدايتهم وقيل الاستغفار منهم بمعنى السعي

فيما يستدعي المغفرة لهم وتاخير عقوبتهم طمعا في ايمان الكافر وتوبة الفاسق فتكون الاية عامة كما هو ظاهر اللفظ غير خاصة بالمؤمنين وان كانوا داخلين فيها دخولا اوليا واليه ذهب البيضاوي بل ولو فسر الاستغفار بالسعي فيما يدفع الخلل المتوقع لعم الحيوان بل الجماد والمراد بالملائكة هنا حملة العرش وقيل جميع الملائكة وهو الظاهر من قول الكلبي وقيل هو منسوخ بقوله ويستغفرون للذين آمنوا وقال المهدوي والصحيح انه ليس بمنسوخ لانه خبر وهو خاص بالمؤمنين وقال ابو الحسن بن الحصار ان حملة العرش مخصوصون بالاستغفار للمؤمنين ولله ملائكة اخر يستغفرون لمن في الارض قال الماوردي وفي استغفارهم لهم قولان احدهما من الذنوب والخطايا وهو ظاهر قول مقاتل والثاني انه طلب الرزق لهم والسعة عليهم قاله الكلبي وهو الاظهر لان من في الارض يعم الكافر وغيره وعلى قول مقاتل لا يدخل الكافر وقال مطرف وجدنا انصح عباد الله لعباد الله الملائكة ووجدنا اغش عباد الله لعباد الله الشياطين ﴿أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ اي كثير المغفرة والرحمة لاهل طاعته واوليائه او لجميع عباده فان تاخير عقوبة الكفار والعصاة نوع من انواع مغفرته ورحمته ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ اي اصناما يعبدونها وجعلوا له شركاء واندادا ﴿ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ﴾ اي يحفظ اعمالهم لا يغيب عنه منها شيء ليجازيهم بها ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ اي لم توكل بهم حتى تؤاخذ بهم ولا وكل اليك هدايتهم وانما عليك البلاغ قيل وهذه الاية منسوخة باية السيف ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ الايحاء البديع المبين المفهم ﴿أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ اي انزلنا عليك ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ بلسان قومك لا لبس فيه عليك ولا على قومك كما ارسلنا كل رسول بلسان قومه ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾ اي مكة والمراد اهلها ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ من الناس اي لتنذرهم العذاب ﴿وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ﴾ اي بيوم الجمع وهو يوم القيامة لانه مجمع الخلائق وقيل المراد جمع الارواح بالاجساد وقيل جمع الظالم والمظلوم وقيل جمع العامل والعمل ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ اي لا شك فيه والجملة معترضة مقررة لما قبلها او صفة ليوم الجمع او حال منه ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾ قرأ الجمهور برفع فريق في الموضعين اما على انه مبتدأ وخبره الجار والمجرور وساغ الابتداء بالنكرة لان المقام مقام تفصيل او على ان الخبر مقدر قبله اي منهم فريق في الجنة ومنهم فريق في السعير او انه خبر مبتدأ محذوف وهو ضمير عائد الى المجموعين المدلول عليهم بذكر الجمع اي هم فريق في الجنة وفريق في السعير وقرئ فريقا بالنصب في الموضعين على الحال من جملة محذوفة اي

افترقوا حال كونهم كذلك واجاز الفراء والكسائي النصب على تقدير لتنذر فريقا وقد اخرج الترمذي وصححه واحمد والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه عن عبد الله بن عمرو قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده كتابان فقال اتدرون ما هذان الكتابان قلنا لا الا ان تخبرنا يا رسول الله قال للذي في يده اليمنى هذا كتاب من رب العالمين باسماء اهل الجنة واسماء آبائهم وقبائلهم ثم اجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم ثم قال للذي في شماله هذا كتاب من رب العالمين باسماء اهل النار واسماء آبائهم وقبائلهم ثم اجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم ابدا فقال اصحابه ففيم العمل يا رسول الله ان كان امر قد فرغ منه فقال سددوا وقاربوا فان صاحب الجنة يختم له بعمل اهل الجنة وان عمل اي عمل وان صاحب النار يختم له بعمل اهل النار وان عمل اي عمل ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيديه فنبذهما ثم قال فرغ ربكم من العباد فريق في الجنة وفريق في السعير قال الترمذي بعد اخراجه هذا حسن صحيح غريب وروى ابن جرير طرفا منه عن ابن عمرو موقوفا عليه قال ابن جرير وهذا الموقوف اشبه بالصواب قلت بل المرفوع اشبه بالصواب فقد رفعه الثقة ورفعه زيادة ثابتة من وجه صحيح ويقوي الرفع ما اخرجه ابن مردويه عن البراء قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في يده كتاب ينظر فيه قالوا انظروا اليه كيف وهو امي لا يقرأ قال فعلمها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا كتاب من رب العالمين باسماء اهل الجنة واسماء قبائلهم لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم وقال فريق في الجنة وفريق في السعير فرغ ربكم من اعمال العباد ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ قال الضحاك اهل دين واحد اما على هدى واما على ضلالة ولكنهم افترقوا على اديان مختلفة بالمشيئة الازلية وهو معنى قوله ﴿وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ اي في الدين الحق وهو الاسلام ﴿وَالظَّالِمُونَ﴾ اي المشركون ﴿مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ﴾ يدفع عنهم العذاب ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ ينصرهم في ذلك المقام ومثل هذا قوله ولو شاء الله لجمعهم على الهدى وقوله ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها وهذا مقابل لقوله يدخل من يشاء في رحمته فكان مقتضى الظاهر ان يقال ويدخل من يشاء في غضبه لكن عدل عنه الى ما ذكر للمبالغة في الوعيد فان نفي من يتولاهم وينصرهم ادل على ان كونهم في العذاب امر معلوم مفروغ منه افاده الكرخي وقال الشوكاني وههنا مخاصمات بين المتمذهبين المحامين على ما درج عليه اسلافهم فذهبوا عليه من بعدهم وليس بنا الى ذكر شيء

من ذلك فائدة كما هو عادتنا في تفسيرنا هذا فهو تفسير سلفي يمشي مع الحق ويدور مع
مدلولات النظم الشريف وانما يعرف ذلك من رسخ قدمه وتجرد من التعصب قلبه ولحمه ودمه
أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مستانفة مقررة لما قبلها من انتفاء ان يكون للظالمين ولي او نصيرا
وام هذه هي المنقطعة المقدرة ببل المفيدة للانتقال وبالهمزة المفيدة للانكار اي بل اتخذ الكافرون
من دون الله اولياء من الاصنام يعبدونها فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ اي هو الحقيق بان يتخذوه وليا فانه
الخالق الرازق الضار النافع والفاء لمجرد العطف قاله الكرخي وغرضه بهذا الرد على الزمخشري في
قوله انها جواب شرط مقدر كانه قيل ان ارادوا ان يتخذوا اوليا في الحقيقة فالله هو الولي الحق قال ابو حيان
لا حاجة الى هذا التقدير لتمام الكلام بدونه وَهُوَ اي ومن شانه انه يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ اي يقدر على كل مقدور فهو الحقيق بتخصيصه بالالوهية وافراده بالعبادة وَمَا اخْتَلَفْتُمْ
فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ هذا عام في كل ما اختلف فيه العباد من امر الدين فان حكمه ومرجعه
الى الله يحكم فيه يوم القيامة بحكمه ويفصل خصومة المختصمين فيه وعند ذلك يظهر المحق من المبطل
ويتميز فريق الجنة وفريق النار قال الكلبي وما اختلفتم فيه من شيء اي من امر الدين فحكمه الى
الله يقضي فيه وزاد البيضاوي او امر الدنيا او لا يذكر الدنيا في الكشاف وذكره المحلي وقال من الدين
وغيره والغير كالخصومات في الدنيا والاول اولى اذ لا يلزم ان تكون بينهم وبين الكفرة ولا يقال في مثله
التحاكم الى الله افاده الشهاب وقال مقاتل ان اهل مكة كفر بعضهم بالقران وامن به بعضهم فنزلت
هذه الاية والاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ويمكن ان يقال ان معنى حكمه الى الله انه مردود
الى كتابه فانه قد اشتمل على الحكم بين عباده فيما يختلفون فيه فتكون الاية عامة في كل اختلاف يتعلق بامر
الدين انه مردود الى كتاب الله ومثله قوله وان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول وقد حكم
سبحانه بان الدين هو الاسلام وان القران حق وان المؤمنين في الجنة والكافرين في النار ولكن لما
كان الكفار لا يذعنون لكون ذلك حقا الا في الدار الاخرة وعدهم الله بذلك يوم القيامة وقيل تحاكموا
فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لان حكمه حكم الله ولا تؤثروا حكومة غيره على حكومته ذَٰلِكُمُ مبتدا اي الحاكم
العظيم الشان بهذا الحكم اللَّهُ خبر اول رَبِّي خبر ثان عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ خبر ثالث اي اعتمدت عليه في جميع
اموري لا على غيره وفوضته في كل شؤني وَإِلَيْهِ لا الى غيره أُنِيبُ اي ارجع في كل شيء يعرض لي وهذا حكاية

رابع فَاطِرُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ الفاطر الخالق المبدع وقد تقدم تحقيقه وهذا خبر خامس
او مبتدأ وخبره ما بعده او نعت لربي لان الاضافة محضة ويكون عليه توكلت واليه انيب معترضا
بين الصفة والموصوف وقرأ زيد بن علي فاطر بالجر على انه نعت للاسم الشريف في قوله الى الله وما
بينهما اعتراض او بدل من الهاء في عليه او اليه واجاز الكسائي النصب على النداء واجازه غيره على المدح
جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ اَنْفُسِكُمْ اَزْوَاجًا خبر سادس اي خلق لكم من جنسكم نساء او المراد حواء لكونها
خلقت من ضلع آدم وقال مجاهد نسلا بعد نسل وَّمِنَ الْاَنْعَامِ اَزْوَاجًا اي خلق لها من جنسها اناثا
او وخلق لكم من الانعام اصنافا من الذكور والاناث وهي الثمانية التي ذكرها في الانعام يَذْرَؤُكُمْ فِيْهِ
اي يبثكم من الذرء وهو البث او يخلقكم وينشئكم والضمير في يذرؤكم للمخاطبين والانعام الا انه غلب
عليه العقلاء قال الزمخشري وهي من الاحكام ذات العلتين قال الشيخ وهو اصطلاح غريب والمعنى
ان الخطاب يغلب على الغيبة اذا اجتمعا وضمير فيه راجع الى الجعل المدلول عليه بالفعل او للمخلوق
وقيل راجع الى ما ذكر من التدبير وقال الفراء والزجاج وابن كيسان معنى يذرؤكم فيه يكثركم به
اي يكثركم بجعلكم ازواجا لان ذلك سبب النسل وقال ابن قتيبة يذرؤكم فيه اي في الزوج وقيل
في البطن وقيل في الرحم لَيْسَ كَمِثْلِهٖ شَيْءٌ خبر سابع والمراد بذكر المثل هنا المبالغة في النفي بطريق الكناية
فانه اذا نفي عمن يناسبه كان نفيه عنه اولى كقولهم مثلك لا يبخل وغيرك لا يجود وقيل ان الكاف
زائدة للتوكيد لانه تعالى لا مثل له وهو المشهور عند المعربين وقيل ان مثل زائدة قاله ثعلب وغيره كما
في قوله فان آمنوا بمثل ما آمنتم به اي بما آمنتم به وهذا التوجيه الاول اولى فان الكناية باب مسلوك للعرب
ومهيع مألوف لهم قال ابن قتيبة العرب تقيم المثل مقام النفس فتقول مثلي لا يقال له هذا اي انا لا يقال لي
وقيل المراد بالمثل الصفة وذلك ان المثل بمعنى المَثَل والمثل الصفة كقوله مثل الجنة فيكون المعنى
ليس مثل صفته تعالى شيء من الصفات التي لغيره وهو محمل سهل قال الراغب المثل اعم الالفاظ الموضوعة
للمشابهة وذلك ان الند يقال لما يشارك في الجوهر فقط والشبه يقال فيما يشارك في الكيفية فقط
والمساوي يقال فيما يشاركه في الكمية فقط والشكل يقال فيما يشاركه في القدر والمساحة فقط و
المثل في جميع ذلك ولهذا لما اراد الله نفي الشبه من كل وجه خصه بالذكر فقال تعالى ليس كمثله شيء
وقال ابو البقاء لو لم تكن الكاف زائدة لافضى ذلك الى المحال اذ يكون المعنى ان له مثلا

وليس لمثله مثل وفي ذلك تناقض لانه اذا كان له مثل فلمثله مثل وهو هو مع ان اثبات المثل لله
سبحانه محال وهذا تقرير حسن ولكنه يندفع ما اورده بما ذكرناه من كون الكلام خارجا مخرج الكناية
ومن فهم هذه الاية الكريمة حق فهمها وتدبرها حق تدبرها مشى بها عند اختلاف المختلفين في الصفات على
طريقة بيضاء واضحة ويزداد بصيرة اذا تامل معنى قوله وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ فان هذا
الاثبات بعد ذلك النفي للمماثل قد اشتمل على برد اليقين وشفاء الصدور وانثلاج القلوب فاقدر
يا طالب الحق قدر هذه الحجة النيرة والبرهان القوي فانك تحطم بها كثيرا من البدع وتهشم بها
رؤسا من الضلالة وترغم بها اناف طوائف من القاصرين المتكلفين والمتكلمين المتاولين ولا سيما
اذا ضممت اليه قول الله سبحانه ولا يحيطون به علما فانك حينئذ قد اخذت بطرفي حبل ما يسمونه علم الكلام
وعلم اصول الدين ودع عنك ما صحبه في جرابه فهو كحديث ماحديث الرواحل وهو السميع الخ خبر ثان وقوله
لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ خبر تاسع جمع مقلاد او مقليد او اقليد وهو المفتاح جمع على خلاف
القياس اي خزائنهما او مفاتيحهما والمراد المطر والنبات وغيرهما كالجواهر المستخرجة من الارض قال
النحاس والذي يملك المفاتيح يملك الخزائن وقد تقدم تحقيقه في سورة الزمر ثم لما ذكر سبحانه ان
بيده مقاليد هما ذكر بعده البسط والقبض فقال يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ خبر عاشر اي
يوسعه لمن يشاء كالروم والفرس ويضيقه على من يشاء كالعرب إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ من الاشياء عَلِيمٌ
فلا تخفى عليه خافية واحاطة علمه بكل شيء يندرج تحتها علمه بطاعة المطيع ومعصية العاصي
فهو يجازي كلا بما يستحقه من خير وشر شَرَعَ لَكُمْ اي بين واوضح وسن واظهر طريقا واضحا وهو خبر
حادي عشر مِنَ الدِّينِ اي دينا تطابقت على صحته الانبياء والخطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم مَا وَصَّى بِهِ
نُوحًا من التوحيد ودين الاسلام واصول الشرائع التي لم يختلف فيها الرسل وتوافقت عليها الكتب
انما خص نوحا لانه اول الانبياء اصحاب الشرائع والمعنى قد وصيناه واياك يا محمد دينا واحدا وقد ثبت
في الحديث الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في حديث الشفاعة المشهور الكبير ولكن ائتوا نوحا فانه اول رسول
بعثه الله الى اهل الارض وهذا صحيح لا اشكال فيه كما ان ادم اول رسول نبي بغير اشكال الا ان ادم لم
يكن معه الا نبوة ولم تفرض له الفرائض ولا شرعت له المحارم وانما كان شرعه تنبيها على بعض الامور
واقتصارا على ضرورات المعاش واخذا بوظائف الحياة والبقاء واستمر الى نوح فبعثه الله بتحريم الامهات

والبنات والاخوات ووظف عليه الواجبات واوضح له الادلة الدينية ولم يزل ذلك يتأكد بالرسل ويتناصر بالانبياء عليهم السلام واحدا بعد واحد وشريعة اثر شريعة حتى ختمها بخير الملل ملتنا على لسان اكرم الرسل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والذي اوحينا اليك من القران وشرائع الاسلام والبراءة من الشرك والتعبير عنه بالموصول لتفخيم شأنه صلى الله عليه وسلم من تلك الحيثية وخص ما شرع لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم بالايحاء مع كون ما قبله وما بعده مذكورا بالتوصية للتصريح برسالته القامع لانكار الكفرة وفيه التفات من الغيبة الى التكلم بنون العظمة لكمال الاعتناء بالايحاء اليه وهو السر في تقديمه على ما بعده مع تقدمه عليه زمانا وتقديم توصية نوح للمسارعة الى بيان كون المشروع لهم دينا قديما وتوجيه الخطاب اليه صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين للتشريف والتنبيه على انه تعالى شرعه لهم على لسانه عليه الصلوة والسلام وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى مما تطابقت عليه الشرائع وانما خص هؤلاء الانبياء الخمسة بالذكر لانهم اكابر الانبياء واصحاب الشرائع المعظمة والاتباع الكثيرة واولو العزم ولميل قلوب الكفرة اليهم لاتفاق الكل على نبوة بعضهم وتفرد اليهود في موسى والنصارى في عيسى وكل من هؤلاء المذكورين له شرع جديد ومن عداهم من الرسل انما كان يبعث بتبليغ شرع من قبله فشيث وادريس بعثا بتبليغ شرع ادم ومن بين نوح وابراهيم هما هود وصالح بعثا بتبليغ شرع نوح ومن بين ابراهيم وموسى بعثوا بتبليغ شرع ابراهيم وكذا من بين موسى وعيسى بعثوا بتبليغ شرع موسى فليتامل ثم بين ما وصى به هؤلاء فقال ان اقيموا الدين اي توحيد الله والايمان به وطاعة رسله وقبول شرائعه والمراد باقامته تعديل اركانه وحفظه من ان يقع فيه زيغ او المواظبة عليه والتشمير له وقال السدي اي اعملوا به وقيل المراد سائر ما يكون المرء باقامته مسلما ولم يرد به الشرائع فانها مختلفة قال تعالى ولكل منكم جعلنا شرعة ومنهاجا قال مجاهد لم يبعث الله نبيا قط الا وصاه باقامة الصلوة وايتاء الزكوة والاقرار لله بالطاعة فذلك دينه الذي شرع لهم وقال قتادة يعني تحليل الحلال وتحريم الحرام قال القرطبي الاصول التي لا تختلف فيها الشرائع هي التوحيد والصلوة والزكوة والصيام والحج والتقرب الى الله بصالح العمل والصدق والوفاء بالعهد واداء الامانة وصلة الرحم وتحريم الكفر والقتل والزنا والاذاية للخلق كيفما تصورت والاعتداء على الحيوان كيفما دار واقتحام الدناءات وما يعود بخرم المروات فهذا كله مشروع دينا واحدا وملة واحدة لم تختلف على السنة الانبياء وان اختلفت اعدادهم وذلك قوله تعالى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا لما امرهم سبحانه

باقامة الدين نهاهم عن الاختلاف فيه فقال وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ اي لا تختلفوا في التوحيد والايمان بالله وطاعة رسوله وقبول شرائعه فان هذه الامور قد تطابقت عليها الشرائع وتوافقت فيها الاديان فلا ينبغي الخلاف في مثلها وليس هذا من فروع المسائل التي تختلف فيها الادلة وتتعارض فيها الامارات وتتباين فيها الافهام فانها من مطارح الاجتهاد ومواطن الخلاف قال القرطبي في الآية اي اجعلوه دائما قائما مستمرا محفوظا مستقرا من غير خلاف فيه ولا اضطراب فمن الخلق من وفى بذلك ومنهم من نكث ومن نكث فانما ينكث على نفسه واختلفت الشرائع وراء هذه في احكامه حسبما اراد الله مما اقتضت المصلحة واوجبت الحكمة وضعه في الازمنة على الامم والله اعلم قال قتادة في الآية الا تعلموا ان الفرقة هلكة وان الجماعة ثقة وقال علي الجماعة رحمة والفرقة عذاب ثم ذكر سبحانه ان ما شرعه من الدين شق على المشركين فقال كَبُرَ اي عظم وشق عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ من التوحيد ورفض الاوثان قال قتادة اشتد عليهم شهادة ان لا اله الا الله وحده وضاق بها ابليس وجنوده فابى الله الا ان ينصرها ويعليها ويظهرها ويظفرها على من ناواها والاولى التعميم لدلالة السياق ولا يمنعه تخصيص المشركين بالذكر كما لا يخفى ثم خص اولياءه فقال اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ استيناف وارد لتحقيق الحق وفيه اشعار بان منهم من يجيب الى الدعوة والاجتباء الاختيار والمعنى يختار لتوحيده والدخول في دينه افتعال من الجباية وهي الجمع على طريق الاصطفاء واجتباء الله العبد تخصيصه اياه بفيض الهي لتحصل له انواع النعم بلا سعي منه مَنْ يَشَاءُ من عباده قال قتادة يخلص لنفسه من يشاء وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ اي يوفق لدينه ويستخلص لعبادته من يرجع الى طاعته ويقبل الى عبادته

ثم لما ذكر سبحانه ما شرعه لهم من اقامة الدين وعدم التفرق فيه ذكر ما وقع من التفرق والاختلاف فقال وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ اي ما تفرقوا الا عن علم بان الفرقة ضلالة متوعد عليها او العلم بعث الرسول او اسباب العلم من الرسل والكتب وغيرهما فلم يلتفتوا اليها وفعلوا ذلك التفرق قيل المراد قريش وهم الذين تفرقوا من بعد ما جاءهم العلم وهو محمد صلى الله عليه وسلم بغيا منهم عليه وقد كانوا يقولون ما حكاه الله عنهم بقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير الآية وبقوله فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقيل المراد امم الانبياء المتقدمين وانهم فيما

بينهم اختلفوا لما طال بهم المدى فآمن قوم وكفر قوم وقيل اليهود والنصارى خاصة كما في قوله
وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة بغيا بينهم اي بغيا من بعضهم على بعض
طلبا للرياسة فليس تفرقهم لقصور في البيان والحجج ولكن للبغي والظلم والاشتغال بالدنيا والجاه والحمية
ولولا كلمة سبقت من ربك وهي تاخير العقوبة الى اجل مسمى وهو يوم القيامة كما في قوله و
الساعة موعدهم وقيل الى الاجل الذي قضاه الله لعذابهم في الدنيا بالقتل والاسر والذل والقهر
لقضي بينهم اي لوقع القضاء بينهم بانزال العقوبة بهم معجلة وقيل يقضي بين من آمن منهم ومن
كفر بنزول العذاب بالكافرين ونجاة المؤمنين وان الذين اورثوا الكتاب اي التوراة و
الانجيل وهم اليهود والنصارى الذين كانوا في عهده صلى الله عليه وسلم من بعدهم اي من بعد من قبلهم من اليهود
والنصارى المختلفين في الحق وقال مجاهد معنى من بعدهم من قبل مشركي مكة وهم اليهود والنصارى وقيل المراد كفار
المشركين من العرب الذين اورثوا القرآن من بعد ما اورث اهل الكتاب كتابهم ووصفهم بانهم لفي شك منه اي من
القرآن او من محمد صلى الله عليه وسلم وعلى كلا الوجهين فالشك هنا ليس على معناه المشهور من اعتدال
النقيضين وتساويهما في الذهن بل المراد به ما هو اعم اي مطلق التردد وقال القرطبي في شك من
الذي اوصى به الانبياء مريب موقع في الريبة وهي قلق النفس واضطرابها ولذلك لم يؤمنوا
فلذلك اي فلاجل ما ذكر من التفرق والشك او الكتاب او العلم الذي اوتيته
او فلاجل انه شرع من الدين ما شرع فادع الى الله والى توحيده والى الاتفاق والائتلاف على
الملة الحنيفية القويمة والاتباع لما اوتيته وعلى هذا اللام في موضع الى لافادة الصلة والتعليل قال
الفراء والزجاج المعنى فالى ذلك فادع كما تقول دعوت الى فلان ولفلان وذلك اشارة الى ما وصى
به الانبياء من التوحيد وقيل في الكلام تقديم وتاخير والمعنى كبر على المشركين ما تدعوهم اليه
فلذلك فادع واستقم على ما دعوت اليه فسر الراغب الاستقامة بلزوم المنهج المستقيم فلا حاجة
الى تاويلها بالدوام على الاستقامة قال قتادة استقم على امر الله وقال سفيان استقم على القرآن و
قال الضحاك استقم على تبليغ الرسالة كما امرت بذلك من جهة الله تعالى ولا تتبع اهواءهم الباطلة
وتعصباتهم الزائغة في ترك التوحيد ولا تنظر الى خلاف من خالفك في دين الله وقل آمنت بما انزل
الله من كتاب اي بجميع الكتب التي انزلها الله على رسله لا كالذين آمنوا ببعض منها وكفروا ببعض

وفيه تحقيق للحق وبيان لاتفاق الكتب في اصول الدين وتاليف لقلوب اهل الكتابين وتعريض بهم
وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ في احكام الله اذا ترافعتم الي فلا احيف عليكم بزيادة على ما شرع الله او
بنقصان منه وابلغ اليكم ما امرني الله بتبليغه كما هو واللام لام كي اي امرت بذلك الذي امرت به لكي
اعدل بينكم وقيل هي زائدة والمعنى امرت ان اعدل وقيل بمعنى الباء وان المصدرية مقدرة اي
بان اعدل والاول اولى قال ابو العالية امرت لاسوي بينكم في الدين فاومن بكل كتاب وبكل رسول
والظاهر ان الآية عامة في كل شيء والمعنى امرت لاعدل بينكم في كل شيء اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ اي الهنا و
الهكم وخالقنا وخالقكم لَنَا أَعْمَالُنَا اي ثوابها وعقابها خاص بنا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ اي ثوابها وعقابها
خاص بكم فكل مجازى بعمله لَا حُجَّةَ اي لا خصومة بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ لان الحق قد ظهر ووضح ولم يبق للمحاجة
مجال وليس في الآية الا ما يدل على المتاركة في المقاولة والمحاجة لا مطلقا حتى تكون منسوخة وانما عبر عن
ابطالهم بالحجة مجاراة لهم على زعمهم الباطل قال ابن عباس ومجاهد الخطاب لليهود وقيل للكفار على
العموم اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا في المحشر لفصل القضاء وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ اي المرجع يوم القيامة فيجازي كلا بعمله
وهذا منسوخ باية السيف وقيل ليست بمنسوخة لان البراهين قد ظهرت والحجج قد قامت فلم يبق الا العناد
وبعد العناد لا حجة ولا جدال وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ اي يخاصمون في دين الله مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ
اي استجاب الناس لَهُ اي لدين الله ودخلوا فيه وقيل الضمير راجع الى الله وقيل الى محمد صلى الله عليه وسلم
المعلوم من السياق الدال عليه الفعل والاول اولى قال مجاهد من بعد ما اسلم الناس قال وهؤلاء قوم
توهموا ان الجاهلية تعود وقال قتادة هم اليهود والنصارى ومحاجتهم قولهم نبينا قبل نبيكم وكتابنا
قبل كتابكم وكانوا يرون لانفسهم الفضيلة بانهم اهل كتاب وانهم اولاد الانبياء وكان المشركون يقولون
اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا فنزلت هذه الآية وقال ابن عباس هم اهل الكتاب كانوا يجادلون
المسلمين ويصدونهم عن الهدى من بعد ما استجابوا لله وقال هم قوم من اهل الضلالة وكانوا يتربصون
بان تاتيهم الجاهلية وعن عكرمة قال لما نزلت اذا جاء نصر الله والفتح قال المشركون لمن بين اظهرهم من
المؤمنين قد دخل الناس في دين الله افواجا فاخرجوا من بين اظهرنا فنزلت هذه الآية والموصول
مبتدأ وخبره الجملة بعده وهي حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ اي لا ثبات لها كالشيء الذي يزول عن
موضعه يقال دحضت حجته دحوضا بطلت وبابه خضع والادحاض الازلاق ومكان دحض اي زلق

ودحضت رجله اي زلقت وبابه قطع وسماها حجة وان كانت شبهة لزعمهم انها حجة وعليهم غضب
عظيم من الله لجدالهم بالباطل ولهم عذاب شديد في الآخرة الله الذي انزل الكتاب بالحق الجنس
فيشمل جميع الكتب المنزلة على الرسل وقيل المراد به القرآن خاصة بالحق متعلق بمحذوف اي متلبسا
بالحق وهو الصدق والميزان اي العدل كذا قال اكثر المفسرين قالوا وسمي العدل ميزانا لان الميزان آلة
الانصاف والتسوية بين الخلق فالميزان متجوز به عنه استعمالا للسبب في المسبب وقيل الميزان ما بين في الكتب
المنزلة مما يجب على كل انسان ان يعمل به وقيل هو الجزاء على الطاعة بالثواب وعلى المعصية بالعقاب وقال قتادة الميزان العدل
فيما امر به ونهى عنه وانزال العدل هو الامر والتكليف به وقيل انه الميزان على نفسه انزله الله من السماء
في زمن نوح عليه السلام وعلم العباد الوزن به لئلا يكون بينهم تظالم وتباخس كما في قوله لقد
ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وقيل هو محمد صلى
الله عليه وآله وسلم يقضي بينكم بكتاب الله وقال مجاهد هو الذي يوزن به
وما يدريك لعل الساعة قريب اي اي شيء يجعلك داريا بها عالما بوقتها لعلها شيء قريب او قريب
مجيئها او ذات قرب او اتيانها قريب وقال قريب ولم يقل قريبة لان تانيثها غير حقيقي قال الزجاج المعنى لعل
البعث او لعل مجيء الساعة قريب قال الكسائي قريب نعت ينعت به المؤنث والمذكر كما في قوله ان رحمت
الله قريب من المحسنين وقال الكرخي ولا يقال ان قريب يستوي فيه المؤنث والمذكر لان فعيلا
هنا بمعنى فاعل ولا يستوي فيه ما ذكر والاستفهام انكاري اي لا سبب يوصلك للعلم بها الا الوحي
الذي ينزل عليك قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الساعة وعنده قوم من المشركين فقالوا متى تقوم
تكذيبا لها فانزل الله هذه الآية ويدل على هذا قوله يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها استعجال
استهزاء منهم بها وتكذيبا بمجيئها فلا يشفقون منها والذين آمنوا مشفقون منها اي خائفون
وجلون من مجيئها اي فلا يستعجلونها ففي الآية احتباك حيث ذكر الاستعجال اولا وحذف الاشفاق
وذكر الاشفاق ثانيا وحذف الاستعجال قال مقاتل لانهم لا يدرون ما يحمون عليه وقال الزجاج
لانهم يعلمون انهم محاسبون ومجزيون ويعلمون انها الحق اي انها آتية لا ريب فيها وكائنة
لا محالة ومثل هذا قوله والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون ثم بين
ضلال الممارين فيها فقال الا ان الذين يمارون في الساعة اي يخاصمون فيها مخاصمة شك وريبة

من المماراة وهي المخاصمة والمجادلة او من المرية وهي الشك والريبة لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ عن الحق لانهم لم يتفكروا في الموجبات للايمان بها من الدلائل التي هي مشاهدة لهم منصوبة لاعينهم مفهومة لعقولهم ولو تفكروا لعلموا ان الذي خلقهم ابتداء قادر على الاعادة وقد دل الكتاب والسنة على وقوعها والعقل تشهد على انه لابد من دار جزاء والبعث اشبه الغائبات بالمحسوسات فمن لم يهتد لتجويزه فهو ابعد عن الاهتداء الى ماوراءه اَللّٰهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ اي كثير اللطف بهم بالغ الرافة لهم قال مقاتل لطيف بالبر والفاجر حيث لم يقتلهم جوعا بمعاصيهم قال عكرمة بار بهم وقال السدي رفيق بهم وقيل حفي بهم وقال القرطبي لطيف بهم في العرض والمحاسبة وقيل في ايصال المنافع وصرف البلاء وقيل لطف بالغوامض علمه وعظم عن الجرائم حلمه وقيل اللطيف من ينشر المناقب ويستر المثالب او يعفو عمن يهفو او يعطي العبد فوق الكفاية ويكلفه الطاعة دون الطاقة وقال الجنيد لطف باوليائه فعرفوه ولو لطف باعدائه ما جحدوه وقال جعفر الصادق يلطف بهم في الرزق من وجهين احدهما انه جعل رزقك من الطيبات الثاني انه لم يدفع اليك مرة واحدة فتبذره وقال الحسين بن الفضل لطيف بهم في القران وتفصيله وتفسيره وقيل اللطيف الذي لا يخاف الا عدله ولا يرجى الا فضله وقيل هو الذي يعين على الخدمة ويكثر المدحة وقيل هو الذي لا يعاجل من عصاه ولا يخيب من رجاه وقيل هو الذي لا يرد سائله ولا يوئس امله وقيل هو الذي يرحم من لا يرحم نفسه وقيل هو الذي اوقد للعلماء من الكتاب والسنة سراجا وجعل لهم الصراط المستقيم والدين القيم منهاجا وانزل لهم من سحائب بره ومنه ولطفه وكرمه واحسانه ماء ثجاجا وقيل غير ذلك وحاصل المعنى انه يجري لطفه على عباده في كل امورهم ومن جملة ذلك الرزق الذي يعيشون به في الدنيا وهو معنى قوله يَرْزُقُ مَنْ يَّشَاۤءُ منهم كيف يشاء فيوسع على هذا ويضيق على هذا وفي تفضيل قوم بالمال حكمة ليحتاج البعض الى البعض كما قال ليتخذ بعضهم بعضا سخريا وكان هذا لطفا بالعباد ليمتحن الغني بالفقير والفقير بالغني وقيل مايشاء من انواع الرزق فهو وان كان يرزق كل ذي روح لكنه فاوت بين المرزوقين في الرزق قلة وكثرة وجنسا ونوعا لحكمة يعلمها هو وَهُوَ الْقَوِيُّ العظيم القوة الباهر القدرة الْعَزِيْزُ الذي يغلب كل شئ ولا يغلبه شيء مَنْ كَانَ يُرِيْدُ حَرْثَ الْاٰخِرَةِ نَزِدْ لَهٗ فِيْ حَرْثِهٖ الحرث في اللغة الكسب يقال هو يحرث لعياله ويحترث اي يكتسب ومنه سمي الرجل حارثا ومعنى اصل الحرث

القاء البذر في الارض فعلها طلب ما يحصل من ثمرات الاعمال وفوائدها بطريق الاستعارة المبنية على تشبيهها بالغلال الحاصلة من البذر المتضمن لتشبيه الاعمال بالبذور والمعنى من كان يريد باعماله وكسبه ثواب الاخرة يضاعف الله له تلك الحسنة بعشرة امثالها الى سبعمائة ضعف وقيل معناه يزيد في توفيقه واعانته وتسهيل سبل الخير له ﴿وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا﴾ اي من كان يريد باعماله وكسبه ثواب الدنيا وهو متاعها وما يرزق الله به عباده منها موثرا لها على الاخرة ﴿نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ ما قضت به مشيئتنا وقسم له في قضائنا ولو تهاون به ولم يطلبه لاتاه قال قتادة المعنى نعطيه ما قسم له كما قال عجلنا له فيها ما نشاء وقال ايضا ان الله يعطي على نية الاخرة ما شاء من امر الدنيا ولا يعطي على نية الدنيا الا الدنيا قال القشيري والظاهر ان الاية في الكافر وهو تخصيص بغير مخصص ثم بين سبحانه ان هذا الذي يريد بعمله الدنيا لا نصيب له في الاخرة فقال ﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ لانه لم يعمل للاخرة فلا نصيب له فيها وقد تقدم تفسير هذه الاية في سورة الاسراء وقال ابن عباس في الاية حرث الاخرة عيش الاخرة وقال من يؤثر دنياه على اخرته لم يجعل الله له نصيبا في الاخرة الا النار ولم يزد بذلك من الدنيا شيئا الا رزقا فرغ منه وقسم له واخرج احمد والحاكم وصححه وابن مردويه وابن حبان عن ابي بن كعب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بشر هذه الامة بالسناء والرفعة والنصر والتمكين في الارض ما لم يطلبوا الدنيا بعمل الاخرة فمن عمل منهم عمل الاخرة للدنيا لم يكن له في الاخرة من نصيب واخرج الحاكم وصححه والبيهقي في الشعب عن ابي هريرة قال تلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يريد حرث الاخرة الاية ثم قال يقول الله ابن ادم تفرغ لعبادتي املأ صدرك غنى واسد فقرك وان لا تفعل ملأت صدرك شغلا ولم اسد فقرك وعن علي قال الحرث حرثان فحرث الدنيا المال والبنون وحرث الاخرة الباقيات الصالحات ولما بين سبحانه القانون في امر الدنيا والاخرة اردفه ببيان ما هو الذنب العظيم الموجب للنار فقال ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾ ام منقطعة وتقديره بل الهم شركاء وقيل هي المعادلة لالف الاستفهام وفي الكلام اضمار تقديره ايقبلون ما شرع الله من الدين ام لهم الهة ﴿شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ﴾ وقيل ام بمعنى بل التي للانتقال والهمزة التي للتوبيخ والتقريع وضمير شرعوا عائد الى الشركاء وضمير لهم الى الكفار وقيل العكس والاول اولى ﴿مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ من الشرك والمعاصي والشرائع المضلة وانكار البعث والعمل للدنيا والاية بعمومها تشمل كل شيء لم يامر به الله سبحانه او رسوله

فيدخل فيه التقليد لانه مما لم ياذن به الله بل ذمه في كتابه في غير موضع ولم ياذن به رسوله ولا امام
من ائمة الدين ولا احد من سلف الامة وساداتها وقادتها بل نهى عنه المجتهدون الاربعة ومن كان
بعدهم من اهل الحق بركة الايمان واتباع السنة المطهرة وانما احدثه من احدثه من الجهال والعوام
بعد القرون المشهود لها بالخير فرحم الله امرءً سمع الحق فاتبعه وسمع الباطل فتركه وادمغه و
بالله التوفيق وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ وهي تاخير عذابهم حيث قال بل الساعة موعدهم لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ
في الدنيا فعوجلوا بالعقوبة والضمير في بينهم راجع الى المؤمنين والمشركين او الى المشركين وشركائهم
وَإِنَّ الظَّالِمِينَ اي المشركين الكافرين والمكذبين لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ مولم في الدنيا والاخرة قرأ
الجمهور بكسر ان على الاستيناف وقرئ بفتحها عطفا على كلمة الفصل تَرَى الظَّالِمِينَ خطاب لكل
من تتاتى منه الرؤية مُشْفِقِينَ اي خائفين وجلين مِمَّا كَسَبُوا من السيئات وذلك الخوف و
الوجل يوم القيامة وَهُوَ الضمير راجع الى ما كسبوا بتقدير مضاف قاله الزجاج اي وجزاء ما كسبوا
وَاقِعٌ بِهِمْ نازل عليهم لا محالة اشفقوا او لم يشفقوا والجملة حالية ولما ذكر الله سبحانه حال الظالمين ذكر
حال المؤمنين فقال وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مبتدء وخبره فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ جمع روضة
قال ابو حيان اللغة الكثيرة تسكين الواو ولغة هذيل فتحها والروضة الموضع النزه الكثير الخضرة وقد
مضى بيان هذا في سورة الروم روضة الجنة اطيب مساكنها كما انها في الدنيا احسن اماكنها وفيه تنبيه
على ان عصاة المسلمين من اهل الجنة لانه خص الذين آمنوا وعملوا الصالحات بانهم في روضات الجنات
وهي البقاع الشريفة من الجنة والبقاع التي دون تلك الاوصاف لابد وان تكون مخصوصة بمن كان دون
الذين آمنوا وعملوا الصالحات لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ من صنوف النعم وانواع المستلذات وعند
ظرف ليشاؤن او للاستقرار العامل في لهم العندية مجازا وحقيقة ذَٰلِكَ اي ما ذكر للمؤمنين هُوَ
الْفَضْلُ الْكَبِيرُ اي الذي لا يوصف ولا تهتدى العقول الى كنه صفته ومعرفة حقيقته لان الحق اذا
قال كبير فمن ذا الذي يقدر قدره ذَٰلِكَ اي الفضل الكبير الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ قرئ يبشر مخففا
ومثقلا وهما سبعيتان ثم وصف العباد بقوله الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فهؤلاء الجامعون بين
الايمان والعمل بما امر الله به وترك ما نهى عنه هم المبشرون بتلك البشارة ثم لما ذكر سبحانه ما اخبر به
نبيه صلى الله عليه وسلم من هذه الاحكام الشريفة التي اشتمل عليها كتابه امره بان يخبرهم بانه لا يطلب منهم بسبب

هذا التبليغ ثوابا منهم فقال، قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا اي قل يا محمد لا اطلب منكم الآن ولا في مستقبل الزمان على تبليغ الرسالة ببشارة او نذارة جعلا ولا نفعا وان قل والخطاب ما لقريش و للانصار لانهم اخواله او لجميع العرب لانهم اقاربه في الجملة إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ العظيمة الواسعة فِى ٱلْقُرْبَىٰ اي مظروفة فيها بحيث تكون القربى موضعا للمودة وظرفا لها لا يخرج شيء من محبتكم عنها الاستثناء متصل اي الا ان تودوني لقرابتي بينكم او تودوا اهل قرابتي ويجوز ان يكون منقطعا قال الزجاج الا الموده استثناء ليس من الاول اي الا ان تودوني لقرابتي فتحفظوني والخطاب لقريش وهذا قول عكرمة ومجاهد وابي مالك والشعبي فيكون المعنى على الانقطاع لا اسألكم اجرا قط ولكن اسألكم المودة في القربى التي بيني وبينكم ارقبوني فيها ولا تعجلوا الي ودعوني والناس وبه قال قتادة ومقاتل والسدي والضحاك وابن زيد وغيرهم وهو الثابت عن ابن عباس كما سياتي وقال سعيد بن جبير وغيره هم آل محمد وسياتي ما استدل به القائلون بهذا وقال الحسن وغيره معنى الاية الا التودد الى الله عز وجل والتقرب بطاعته وقال الحسين بن الفضل ورواه ابن جرير عن الضحاك ان هذه الاية منسوخة قال البغوي وهذا قول غير مرضي لان مودة النبي صلى الله عليه وسلم وكف الاذى عنه ومودة اقاربه والتقرب الى الله بالطاعة والعمل الصالح من فرائض الدين انتهى وفي الاية ثلثة اقوال الاول ان القربى بمعنى القرابة اي الرحم والثاني بمعنى الاقارب والثالث بمعنى القرب والتقرب والزلفى وسياتي ما يتضح به الصواب ويظهر به معنى الاية عن ابن عباس انه سئل عن قوله الا المودة في القربى قال سعيد بن جبير قربى آل محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس عجلت ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن بطن من قريش الا كان له فيهم قرابة فقال الا ان تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة وعنه قال قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اسألكم عليه اجرا الا ان تودوني في نفسي لقرابتي وتحفظوا القرابة التي بيني وبينكم وعن الشعبي قال اكثر الناس علينا في هذه الاية قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى فكتبنا الى ابن عباس نسأله عن ذلك فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان واسط النسب في قريش ليس بطن من بطونهم الا وله فيه قرابة فقال الله قل لا اسألكم عليه اجرا الا ان تودوني لقرابتي منكم وتحفظوني بها وعن ابن عباس قال كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة من جميع قريش فلما كذبوه وابوا ان يبايعوه قال يا قوم اذا ابيتم ان تبايعوني فاحفظوا قرابتي فيكم ولا يكون غيركم من العرب اولى بحفظي ونصرتي منكم وعنه قال قالت الانصار فعلنا وفعلنا وكانهم فخروا فقال

العباس لنا الفضل عليكم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاهم في مجالسهم فقال يا معشر الانصار
الم تكونوا اذلة فاعزكم الله قالوا بلى يا رسول الله قال افلا تجيبون قالوا ما نقول يا رسول الله قال الا تقولون
الم يخرجك قومك فاويناك الم يكذبوك فصدقناك الم يخذلوك فنصرناك فما زال يقول حتى جثوا
على الركب قالوا اموالنا وما في ايدينا لله ورسوله فنزلت هذه الآية وفي اسناده يزيد بن ابي زياد
وهو ضعيف والاولى ان الآية مكية لا مدنية وقد اشرنا فيما سبق ان هذه الآية مدنية وهذا متمسكهم
وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الآية تحفظوني في اهل بيتي وتودوهم بي
اخرجه الديلمي وابو نعيم وعنه قال لما نزلت هذه الآية قالوا يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين
وجبت علينا مودتهم قال علي وفاطمة وولداهما اخرجه ابن المنذر وابن ابي حاتم والطبراني وابن مردويه
قال السيوطي بسند ضعيف وعنه قال نزلت هذه الآية بمكة وكان المشركون يؤذون رسول الله صلى الله
عليه وسلم فانزل الله قل لهم يا محمد لا اسألكم عليه اي على ما ادعوكم اليه اجرا عوضا من الدنيا الا المودة
في القربى الا الحفظ في قرابتي فيكم فلما هاجر الى المدينة احب ان يلحقه باخوته من الانبياء فقال
قل ما سألتكم من اجر فهو لكم ان اجري الا على الله يعني ثوابه وكرامته في الآخرة كما قال نوح وما
اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين وكما قال هود وصالح وشعيب لم يستثنوا اجرا
كما استثنى النبي صلى الله عليه وسلم فرده عليهم وهي منسوخة وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في الآية قل لا اسألكم
على ما اتيتكم به من البينات والهدى اجرا الا ان تودوا الله وان تتقربوا اليه بطاعته هذا حاصل
ما روي عن حبر الامة ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في تفسير هذه الآية والمعنى الاول هو الذي صح عنه ورواه عنه
الجم الغفير من تلامذته فمن بعدهم ولا ينافيه ما روي عنه من النسخ فلا مانع من ان يكون قد نزل القرآن
في مكة بان يود كفار قريش لما بينه وبين القريش من القربى ويحفظوه بها ثم ينسخ ذلك ويذهب هذا
الاستثناء من اصله كما يدل عليه ما ذكرنا مما يدل على انه لم يسأل على التبليغ اجرا على الاطلاق
ولا يقوى ما روي من حملها على آل محمد صلى الله عليه وسلم على معارضة ما صح عن ابن عباس من تلك الطرق
الكثيرة وقد اغنى الله آل محمد عن هذا بما لهم من الفضائل الجليلة والمزايا الجميلة وقد بينا ذلك
عند تفسيرنا لقوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت وكما لا يقوى هذا على المعارضة
فكذلك لا يقوى ما روي عنه ان المراد بالمودة ان يودوا الله وان يتقربوا اليه بطاعته ولكنه يشد من عضد

هذا انه تفسير مرفوع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وَمَنْ يَقْتَرِفْ اي يكتسب واصل القرف
الكسب يقال فلان يقرف لعياله من باب ضرب اي يكسب والاقتراف الاكتساب ماخوذ من قولهم
رجل قرفة اذا كان محتالا حَسَنَةً اي طاعة نَزِدْ لَهُ فِيهَا اي في هذه الحسنة او في
الجنة حُسْنًا بمضاعفة ثوابها قال مقاتل المعنى من يكتسب حسنة واحدة نزد له فيها حسنا نضاعفها
بالواحدة عشرا فصاعدا وقيل المراد بهذه الحسنة هي المودة في القربى والحمل على العموم اولى ويدخل
تحته المودة في القربى دخولا اوليا لذكرها عقيب ذكر المودة في القربى وقال ابن عباس انها المودة في
آل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال السدي انها نزلت في ابي بكر ومودته فيهم والظاهر العموم إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
شَكُورٌ اي كثير المغفرة للمذنبين كثير الشكر للمطيعين قال قتادة غفور للذنوب شكور للحسنات وقال السدي غفور لذنوب
آل محمد صلى الله عليه وسلم شكور للقليل فيضاعفه أَمْ منقطعة اي بل يَقُولُونَ افْتَرَى اي اختلق عَلَى اللَّهِ
كَذِبًا بدعوى النبوة ونسبة القرآن الى الله تعالى والانكار للتوبيخ ثم اجاب سبحانه عن قولهم هذا فقال
فَإِنْ يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ اي لو افترى على الله الكذب لشاء عدم صدوره منه وختم على قلبه
بحيث لا يخطر بباله شيئا مما كذب فيه كما تزعمون قال قتادة يختم على قلبك فينسيك القرآن
فاخبرهم انه لو افترى عليه لفعل به ما اخبرهم به في هذه الآية وقال مجاهد ومقاتل ان يشأ يربط
على قلبك بالصبر على اذاهم حتى لا يدخل قلبك مشقة من قولهم وقيل الخطاب له والمراد الكفار اي ان
يشأ يختم على قلوب الكفار ويعاجلهم بالعقوبة ذكره القشيري وقيل المعنى لو حدثتك نفسك ان
تفتري على الله لطبع على قلبك فانه لا يجترئ على الكذب الا من كان مطبوعا على قلبه والاولى
ان يقال المقصود من هذا الكلام المبالغة في تقرير الاستبعاد وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ استئناف مقرر لما
قبله من نفي الافتراء غير داخل في جزاء الشرط قال ابن الانباري يختم على قلبك تام وما بعده
مستانف قال الكسائي فيه تقديم وتاخير اي والله يمحو الباطل وقال الزجاج ويمحو الله الباطل
احتجاج على من انكر ما اتى به النبي صلى الله عليه وسلم اي لو كان ما اتى به باطلا لمحاه كما جرت به عادته في
المفترين وسقطت الواو من يمحو في بعض المصاحف كما حكاه الكسائي وَيُحِقُّ الْحَقَّ اي الاسلام فيثبته
بِكَلِمَاتِهِ اي بما انزله من القرآن وقد فعل الله تعالى ذلك فمحا باطلهم واعلى كلمة الاسلام إِنَّهُ
عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ اي عالم بما في قلوب العباد وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ المذنبين

اي يقبل توبتهم اليه مما عملوا من المعاصي واقترفوا من السيئات والتوبة الندم على المعصية و القلع عنها والعزم على عدم المعاودة لها وهذه ثلثة شروط فيما بينه وبين الله تعالى فاذا حصلت هذه الشروط صحت التوبة وان فقد احد الثلاثة لم تصح واما فيما يتعلق بحق آدمي فشروطها اربعة هذه الثلثة والرابع ان يبرء من حق صاحبها وقيل يقبل التوبة عن اوليائه واهل طاعته والاول اولى فان التوبة مقبولة من جميع العباد مسلمهم وكافرهم اذا كانت صحيحة صادرة عن خلوص نية وعزيمة صحيحة والاحاديث في ذكر التوبة وحكمها كثيرة في الصحيحين وغيرهما وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ على العموم لمن تاب عن سيئة ويعفو لمن يشاء بلا توبة ايضا اذا كان مادون الشرك وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ من خير وشر فيجازي كلا بما يستحقه قرأ حمزة وغيره تفعلون بالفوقية على الخطاب وقرئ بالتحتية على الخبر وهما سبعيتان واختار الثانية ابو عبيد وابو حاتم لان هذا القول وقع بين خبرين وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ اي يعطيهم ما طلبوه منه يقال اجاب واستجاب بمعنى وقيل المعنى تقبل عبادة المخلصين وقيل التقدير يستجيب لهم فحذف اللام كما حذف في قوله واذا كالوهم اي كالوا لهم وقيل ان الموصول في محل رفع اي يجيبون ربهم اذا دعاهم كقوله استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم واستظهره السفاقسي قال المبرد المعنى يستدعي الذين امنوا الاجابة هكذا حقيقة معنى استفعل فالذين في موضع رفع والاول اولى وَيَزِيدُهُمْ على ما طلبوه مِنْ فَضْلِهِ او على ما يستحقونه من الثواب تفضلا منه وقيل يشفعهم في اخوانهم وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ هذا للكافرين مقابلا لما ذكره للمؤمنين فيما قبله وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ جميعهم اي لو وسع الله لهم رزقهم لَبَغَوْا اي لعصوا وطغوا جميعهم فِي الْأَرْضِ وبطروا النعمة وتكبروا وطلبوا ما ليس لهم طلبه وقيل المعنى لو جعلهم سواء في الرزق لما انقاد بعضهم لبعض ولتعطلت الصنائع لان الغنى مبطرة مأشرة وكفى بحال قارون و فرعون عبرة والاول اولى والظاهر عموم انواع الرزق وقيل هو المطر خاصة وذكروا في كون بسط الرزق موجبا للطغيان وجوها لا نطول بذكرها واصل البغي طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى كمية او كيفية وفي القرطبي بغيهم طلبهم منزلة بعد منزلة ودابة بعد دابة ومركبا بعد مركب وملبسا بعد ملبس وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بالتشديد وضده سبعيتان بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ اي ينزل من الرزق لعباده بتقدير

على حسب مشيئته وما تقتضيه حكمته البالغة إِنَّهُ بِعِبَادِهِ اي باحوالهم خَبِيرٌ بَصِيرٌ بما يصلحهم من
من توسيع الرزق وتضييقه فيقدر لكل احد منهم ما يصلحه ويكفه عن الفساد والبغي في الارض
ويقدر لهم ما تقتضيه حكمته فيفقر ويغني ويمنع ويعطي ويبسط ويقبض ولو اغناهم جميعا لبغوا
ولو افقرهم لهلكوا وما ترى من البسط على من يبغي ومن البغي بدون البسط فهو قليل ولا شك
ان البغي مع الفقر اقل ومع البسط اكثر واغلب عن ابي هانئ الخولاني قال سمعت عمرو بن حريث وغيره
يقولون انما انزلت هذه الآية في اصحاب الصفة وذلك انهم قالوا لو ان لنا فتمنوا الدنيا قال السيوطي
سنده صحيح وعن علي مثله وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ بالتشديد والتخفيف سبعيتان الْغَيْثَ اي المطر الذي
هو انفع انواع الرزق واعمها فائدة واكثرها منفعة ومصلحة مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا اي يئسوا عن نزوله
فيعرفون بهذا الانزال للمطر بعد القنوط مقدار رحمته لهم ويشكرون له ما يجب الشكر عليه والعامة
على فتح النون وقرئ بكسرها وهي لغة وعليها قرئ لا تقنطوا بفتح النون في المتواتر ولم يقرأ بالكسر في
الماضي الا شاذا وما مصدرية اي من بعد قنوطهم وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ اي بركات الغيث ومنافعه في
كل شيء من السهل والجبل والنبات والحيوان وما يحصل به من الخصب او رحمته الواسعة المنتظمة
لما ذكر انتظاما اوليا والمراد بالرحمة المطر فذكر المطر باسمين الغيث لانه يغيث من الشدائد والرحمة
لانه رأفة واحسان وَهُوَ الْوَلِيُّ للصالحين من عباده بالاحسان اليهم وجلب المنافع لهم ودفع الشر عنهم
الْحَمِيدُ المستحق للحمد منهم على انعامه خصوصا وعموما ثم ذكر سبحانه بعض آياته الدالة على كمال قدرته
الموجبة لتوحيده وصدق ما وعد به من البعث فقال وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ اي
خلقهما على هذه الكيفية العجيبة والصنعة الغريبة الدالة على وجود صانع حكيم قادر وفيه اشارة الى
ما قرر في الكلام من المسالك الاربعة في الاستدلال على وجود الصانع تعالى وهي حدوث الجواهر
وامكانها وحدوث الاعراض القائمة بها وامكانها ايضا وفيه اشارة ايضا الى ان خلق السموات
والارض من اضافة الصفة للموصوف اي السموات المخلوقة والارض المخلوقة وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ
يجوز عطفه على خلق بتقدير مضاف ويجوز عطفه على السموات وقدمه القاضي على الاول والدابة اسم
لكل ما دب قال الفراء اراد ما بث في الارض دون السماء كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما
يخرج من الملح دون العذب وقال ابو علي الفارسي تقديره وما بث في احدهما فحذف المضاف

قال مجاهد يدخل في هذا الملائكة والناس وقد قال تعالى ويخلق ما لا تعلمون قال الكرخي وما جوزه الزمخشري من ان يكون للملائكة مشي مع الطيران فيوصفون بالدبيب كما يوصف به الاناسي ويبعد ان يخلق الله تعالى في السموات حيوانا يمشون فيها مشي الاناسي على الارض بعيد من الافهام لكونه على خلاف العرف العام لان الشيء انما يكون اية اذا كان معلوما ظاهرا مكشوفا ومن ثم اهمل القاضي ذكره **وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ** اي حشرهم يوم القيامة في الضمير تغليب العاقل على غيره لانه راجع الى الدابة ولولاه لكان يقال على جمعها **إِذَا** اي في وقت **يَشَاءُ قَدِيرٌ** والظرف متعلق بجمعهم لا بقدير فان المقيد بالمشية جمعه تعالى لا قدرته قال ابو البقاء لان ذلك يؤدي الى ان يصير المعنى وهو على جمعهم قدير اذا يشاء فتتعلق القدرة بالمشية وهو محال قال شهاب الدين والسمين ولا ادري ما وجه كونه محالا على مذهب اهل السنة فان كان يقول بقول المعتزلة وهو ان القدرة تتعلق بما لم يشاء الله تمشى كلامه ولكنه مذهب رديء لا يجوز اعتقاده **وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ** من المصائب كائنة ما كانت **فَبِمَا** اي بسبب ما **كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ** من المعاصي وما هي الشرطية ولهذا دخلت الفاء في جوابها على قراءة الجمهور ولا يجوز حذفها عند سيبويه وجوز الاخفش وبعض البغداديين الحذف كما في قوله وان اطعتموهم انكم لمشركون وبه قال ابو البقاء وقيل هي الموصولة فيكون الحذف والاثبات جائزين والاول اولى قال الزجاج اثبات الفاء اجود لان الفاء مجازاة جواب الشرط ومن حذف الفاء فعلى ان ما في معنى الذي والمعنى الذي اصابكم وقع بما كسبت ايديكم وعبر بالايدي لان اكثر الافعال تزاول بها والعالج وتحصل قال الحسن المصيبة هنا الحدود على المعاصي والاولى الحمل على العموم كما يفيده وقوع النكرة في سياق النفي ودخول من الاستغراقية عليها قال الضحاك ما تعلم الرجل القرآن ثم نسيه الا بذنب ثم قرأ هذه الآية وقال اي مصيبة اعظم من نسيان القرآن قلت ويلحق بالقرآن نسيان السنة المطهرة وترك العمل بها وايثار الرأي عليها ايضا عن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه قال الا اخبركم بافضل اية في كتاب الله حدثنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما اصابكم من مصيبة الآية وسافسرها لك يا علي ما اصابكم من مرض او عقوبة او بلاء في الدنيا فبما كسبت ايديكم والله اكرم من ان يثني عليكم العقوبة في الآخرة وما عفا الله عنه في الدنيا فالله اكرم من ان يعود بعد عفوه اخرجه احمد وابن راهويه وابن منيع وعبد بن حميد والحكيم الترمذي وابو يعلى وابن المنذر وابن ابي حاتم وابن مردويه والحاكم قيل المراد بهذه المصائب الاحوال المكروهة نحو الاوجاع والاسقام والقحط والبلاء

الربع ع ١٠

والغرق والصواعق وغير ذلك من الذنوب المعاصي وتعلق بهذه الاية من يقول بالتناسخ وقال لولم تكن
للاطفال حالة كانوا عليها قبل هذه الحالة لما تالموا والحق ان الاية مخصوصة بالمكلفين بالسياق وبالسباق
وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ اي من المعاصي التي يفعلها العباد فلا يعاقب عليها او عن كثير من الناس فلا
يعاجلهم بالعقوبة فمعنى الاية انه يكفر عن العبد بما يصيبه من المصائب ويعفو عن كثير من الذنوب
وقد ثبتت الادلة الصحيحة ان جميع ما يصاب به الانسان فى الدنيا يوجر عليه او يكفر عنه من ذنوبه
وقيل هذه الاية مختصة بالكافرين على معنى ان ما يصابون به بسبب ذنوبهم من غير ان يكون ذلك
مكفرا عنهم لذنب ولا محصلا لثواب ويترك عقوبتهم عن كثير من ذنوبهم فلا يعاجلهم في الدنيا بل يمهلهم الى الدار
الاخرة والاولى حمل الاية على العموم والعفو يصدق على تاخير العقوبة كما يصدق على محو الذنب ورفع
الخطاب به قال الواحدي وهذه ارجى اية في كتاب الله لانه جعل ذنوب المؤمنين صنفين صنف
كفره عنهم بالمصائب وصنف عفا عنه في الدنيا وهو كريم لا يرجع في عفوه فهذه سنة الله مع المؤمنين
واما الكافر فانه لا يعجل له في الدنيا عقوبة ذنبه حتى يوافي به يوم القيامة وعن ابي موسى ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لا تصيب عبدا نكبة فما فوقها او دونها الا بذنب وما يعفو الله عنه اكثر وقرأ وما
اصابكم الاية اخرجه الترمذي وعبد بن حميد وعن عمران بن حصين انه دخل عليه بعض اصحابه و
كان قد ابتلي في جسده فقال انا لنبتئس لك لما نرى فيك قال فلا تبتئس لما ترى فان ما ترى بذنب وما
يعفو الله عنه اكثر ثم تلا هذه الاية الى اخرها وعن معاوية بن ابي سفيان سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ما من شئ يصيب المؤمن في جسده يوذيه الا كفر الله به عنه من سيئاته اخرجه احمد وعن
البراء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عثرة قدم ولا اختلاج عرق ولا خدش عود الا بما قدمت ايديكم
وما يعفو الله اكثر اخرجه ابن مردويه وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ اي بفائتين عليه هربا في الارض
ولا في السماء لو كانوا فيها بل ما قضاه عليهم من المصائب واقع عليهم نازل بهم وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ
مِن وَلِيٍّ يواليكم فيمنع عنكم ما قضاه الله وَلَا نَصِيرٍ ينصركم من عذاب الله في الدنيا ولا في الاخرة ثم
ذكر سبحانه اية اخرى من اياته العظيمة الدالة على توحيده وصدق ما وعد به فقال وَمِنْ آيَاتِهِ
الْجَوَارِ بحذف الياء من الخط لانها من ياءات الزوائد وباثباتها وحذفها في اللفظ في كل من الوصل والوقف
قراءات سبعية وهي السفن واحدها جارية اي سائرة فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ اي الجبال جمع علم وهو الجبل

قال الخليل كل شيء مرتفع عند العرب فهو علم وقال مجاهد الاعلام القصور واحدها علم إِنْ يَشَأْ قرأ الجمهور
بالهمز وقرئ بلا همز يُسْكِنِ الرِّيحَ قرأ الجمهور بالافراد وقرئ بالجمع والمعنى يسكن الريح التي تجري بها
السفن فَيَظْلَلْنَ اي السفن الجواري العامة على فتح اللام التي هي عين الفعل وهو القياس لان الماضي بكسرها
وقرئ بكسرها وهو شاذ وقال الزمخشري من ظل يظل ويظل نحو ضل يضل ويضل قال الشيخ وليس كما ذكر لان يضل
بفتح العين من ضللت بكسرها في الماضي ويضل بالكسر من ضللت بالفتح وكلاهما مقيس يعني ان كلا منهما
له اصل يرجع اليه بخلاف ظل فان ماضيه مكسور العين فقط وظل هنا بمعنى صار لان المعنى ليس على
وقت الظلول وهو النهار فقط افاده السمين رَوَاكِدَ اي سواكن ثوابت وقوفا يقال ركد الماء ركودا سكن
وكذلك ركدت الريح وركدت السفينة وكل ثابت في مكان فهو راكد وركد الميزان استوى وركد القوم هدأوا
والمراكد المواضع التي يركد فيها الانسان وغيره عَلَىٰ ظَهْرِهِ اي ظهر البحر لا تجري قال ابن عباس يتحركن ولا
يجرين في البحر إِنَّ فِي ذَٰلِكَ الذي ذكر من امر السفينة لَآيَاتٍ دلالات عظيمة لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ اي
لكل من كان كثير الصبر على البلوى كثير الشكر على النعماء قيل الايمان نصفان نصف صبر عن المعاصي
ونصف شكر وهو الاتيان بالواجبات فقال قطرب الصبار الشكور الذي اذا اعطي شكر واذا ابتلي صبر
قال عون بن عبد الله فكم من منعم عليه غير شاكر وكم من مبتلى غير صابر أَوْ يُوبِقْهُنَّ اي يهلكهن بالغرق
قاله ابن عباس والمراد اهلهن يقال اوبقه اي اهلكه بِمَا كَسَبُوا من الذنوب وقيل بالشرك والاول
اولى فانه يهلك في البحر المشرك وغير المشرك وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ من اهلها بالتجاوز عن ذنوبهم فينجيهم
من الغرق قرأ الجمهور يعف بالجزم عطفا على جواب الشرط قال القشيري وفي هذه القراءة اشكال لان
المعنى ان يشأ يسكن الريح فتبقى تلك السفن رواكد او يهلكها بذنوب اهلها فلا يحسن عطف ويعف على هذا
لانه يصير المعنى ان يشأ يعف وليس المعنى ذلك بل المعنى الاخبار عن العفو من غير شرط المشية فهو اذن
عطف على المجزوم من حيث اللفظ لا من حيث المعنى وقد قرأ قوم يعفو بالرفع وهي جيدة في المعنى قال
ابو حيان وما قاله ليس بجيد اذ لم يفهم مدلول التركيب والمعنى الا انه تعالى ان يشأ اهلك ناسا وانجى ناسا على
طريق العفو عنهم [illegible] وقرئ بالنصب باضمار ان بعد الواو وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي
آيَاتِنَا قرأ الجمهور بنصب يعلم قال الزجاج على الصرف قال ومعنى الصرف صرف العطف على اللفظ الى العطف على
المعنى قال وذلك انه لما لم يحسن عطف ويعلم مجزوما على ما قبله اذ يكون المعنى ان يشأ يعلم عدل الى العطف على

مصدر الفعل الذي قبله ولا يتأتى ذلك الا باضمار أن ليكون مع الفعل في تأويل اسم كما قال
الزجاج قال المبرد وابو علي الفارسي واعترض على هذا الوجه بما لا طائل تحته وقيل النصب على العطف
على تعليل محذوف والتقدير لينتقم منهم ويعلم واعترضه ابو حيان بأنه ترتب على الشرط اهلاك
قوم ونجاة قوم فلا يحسن تقدير لينتقم منهم وقرأ نافع وابن عامر برفع يعلم على الاستيناف
على انه جملة اسمية او فعلية فعلى كونها فعلية يكون الموصول فاعلا وعلى كونها اسمية يكون مفعولا
والفاعل ضمير مستتر يعود على مبتدأ مقدر اي وهو يعلم الذين وهي قراءة ظاهرة واضحة اللفظ
وقرئ بالجزم عطفا على الجزم قبله على معنى وان يشأ يجمع بين الاهلاك والنجاة والعفو ومعنى قوله
مَا لَهُمْ مِّنْ مَّحِيْصٍ ما لهم من فرار ولا مهرب من العذاب قاله قطرب وقال السدي ما لهم من ملجأ
وهو مأخوذ من قولهم حاص به البعير حيصة اذا رمى به ومنه قولهم فلان يحيص عن الحق اي
يميل عنه ثم لما ذكر سبحانه دلائل التوحيد ذكر التنفير عن الدنيا فقال فَمَآ اُوْتِيْتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ
الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا اي ما اعطيتموه من الغناء والسعة في الرزق واثاث الدنيا فانما هو متاع
قليل يتمتع بها في ايام قليلة تنقضي وتذهب وتزول ؎ انما الدنيا فناء + ليس للدنيا ثبوت +
انما الدنيا كبيت + نسجته العنكبوت + ثم رغبهم في ثواب الآخرة وما عند الله من النعيم المقيم فقال
وَمَا عِنْدَ اللّٰهِ من ثواب الطاعات والجزاء عليها بالجنات هُوَ خَيْرٌ من متاع الدنيا وَّاَبْقٰى لانه
دائم لا ينقطع ومتاع الدنيا ينقطع بسرعة ثم بين سبحانه لمن هذا فقال لِلَّذِيْنَ اٰمَنُوْا اي صدقوا
وعملوا على ما يوجبه الايمان وَعَلٰى رَبِّهِمْ لا على غيره يَتَوَكَّلُوْنَ اي يفوضون اليه امورهم ويعتمدون
عليه في كل شؤنهم قيل نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه حين تصدق بجميع ماله فلامه
الناس وَالَّذِيْنَ يَجْتَنِبُوْنَ كَبٰٓئِرَ الْاِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ الموصول في محل جر معطوف على الذين
آمنوا او بدل منه او في محل نصب على اضمار اعني والاول اولى والمراد الكبائر من الذنوب وقد قدمنا
تحقيقها في سورة النساء قرأ الجمهور كبائر بالجمع وقرئ كبير بالافراد وهو يفيد مفاد كبائر لان
الاضافة للجنس كاللام والرسم الكريم يحتمل القراءتين والفواحش هي من الكبائر ولكنها مع وصف كونها
فاحشة كأنها فوقها وذلك كالقتل والزنا ونحو ذلك وقال مقاتل الفواحش موجبات الحدود
وقال السدي هي الزنا فعطفها من عطف الخاص على العام والبعض على الكل اذ الكبائر قد لا توجب حدا

كالغيبة والربا وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ اي يتجاوزون عن الذنب الذي اغضبهم ويكظمون
الغيظ ويحلمون على من ظلمهم وخص الغضب بالغفران لان استيلاءه على طبع الانسان وغلبته
عليه شديدة فلا يغفره عند سورة الغضب الا من شرح الله صدره وخصه بمزيد الحلم وقد اثنى
الله سبحانه عليهم بقوله في آل عمران والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس قال ابن زيد جعل الله المؤمنين صنفين
صنفا يعفون عن ظالمهم فبدأ بذكرهم وصنفا ينتصرون من ظالمهم وهم الذين سيأتي ذكرهم وَالَّذِينَ
اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ اي اجابوه الى ما دعاهم اليه واقاموا ما اوجبه عليهم من فريضة
الصلوة قال ابن زيد هم الانصار بالمدينة استجابوا الى الايمان بالرسول حين انفذ اليهم اثني عشر نقيبا
منهم قبل الهجرة واقاموا الصلوة لمواقيتها بشروطها وهيأتها قاله القرطبي ونحوه في البيضاوي
وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ اي يتشاورون فيما بينهم ولا يعجلون ولا ينفردون بالرأي والشورى مصدر
شاورته مثل البشرى والذكرى قال الضحاك هو تشاورهم حين سمعوا بظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم
وورد النقباء اليهم حين اجتمع رأيهم في دار ابي ايوب على الايمان به والنصرة له وقيل المراد تشاورهم
في كل امر يعرض لهم فلا يستأثر بعضهم على بعض برأي قال ابن العربي الشورى الفة للجماعة ومسبار
للعقول وسبب الى الصواب وما تشاور قوم قط الا هدوا واضح الله تعالى المشاورة في الامور بمدح
القوم الذين كانوا يمتثلون ذلك وما احسن ما قاله بشار بن برد
اذا بلغ الرأي المشورة فاستعن * برأي نصيح او نصيحة حازم * ولا تجعل الشورى عليك غضاضة * فريش الخوافي قوة للقوادم
وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشاور اصحابه في اموره وامره الله سبحانه بذلك فقال وشاورهم في الامر
وذلك في الآراء كثير ولم يكن يشاورهم في الاحكام لانها منزلة من عند الله على جميع الاقسام
من الفرض والندب والمكروه والمباح والحرام فاما الصحابة بعده صلعم فكانوا يتشاورون في الاحكام ويستنبطونها
من الكتاب والسنة واول ما تشاور فيه الصحابة الخلافة فان النبي صلى الله عليه وسلم لم ينص عليها وتشاوروا في
اهل الردة فاستقر رأي ابي بكر على القتال وشاور عمر رضي الله عنه الهرمزان حين وفد عليه مسلما
وقد تقدم منا في آل عمران كلام في الشورى وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ في سبيل الخير ويتصدقون به على
المحاويج ثم ذكر سبحانه الطائفة التي تنتصر ممن ظلمها فقال وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ اي بغي من بغى عليهم
بغير الحق هُمْ يَنْتَصِرُونَ اي ينتقمون من ظالمهم من غير تعد ذكر سبحانه هؤلاء المنتصرين في معرض المدح

كما ذكر المغفرة عند الغضب في معرض المدح لان التذلل لمن بغى ليس من صفات من جعل الله له
العزة حيث قال العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فالانتصار عند البغي فضيلة كما ان العفو عند
الغضب فضيلة قال ابن العربي ذكر الله الانتصار في البغي في معرض المدح وذكر العفو عن الجرم في
موضع آخر في معرض المدح فاحتمل ان يكون احدهما رافعا للآخر ويكون ذلك راجعا الى حالتين
احداهما ان يكون الباغي معلنا بالفجور مؤذيا للصغير والكبير فيكون الانتقام منه افضل الثانية ان
يقع ذلك ممن لم يعرف بالزلة ويسأل المغفرة فالعفو ههنا افضل وهكذا ذكر الكيا الطبري في احكامه
وقال النخعي كانوا يكرهون ان يذلوا انفسهم فيجترئ عليهم السفهاء والفساق لكن هذا الانتصار
مشروط بالاقتصار على ما جعله الله له وعدم مجاوزته كما بينه سبحانه عقب هذا بقوله (وجزاء سيئة
سيئة مثلها) فبين سبحانه ان العدل في الانتصار هو الاقتصار على المساواة وظاهر هذا العموم وقد
قال مقاتل والشافعي وابو حنيفة وسفيان ان هذا خاص بالمجروح ينتقم من الجارح بالقصاص
دون غيره وقال مجاهد والسدي هو جواب القبيح اذا قال شخص اخزاك الله يقول اخزاك الله من غير
ان يعتدي واذا انتصر فقد استوفى ظلامته وبرئ الاول من حقه وبقي عليه اثم الابتداء والاثم لحق الله
تعالى وتسمية الجزاء سيئة اما لكونها تسوء من وقعت عليه او على طريق المشاكلة لتشابههما في الصورة
اخرج النسائي وابن ماجه وابن مردويه عن عائشة قالت دخلت علي زينب وعندي رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاقبلت علي فسبتني فردعها النبي صلى الله عليه وسلم فلم تنته فقال لي سبيها فسببتها حتى جف ريقها في
فمها ووجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهلل سرورا واخرج احمد ومسلم وابو داود والترمذي وابن مردويه
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا من شيء فعلى البادي حتى يعتدي المظلوم ثم
قوله وجزاء سيئة سيئة مثلها (فمن عفا) الفاء للتفريع اي اذا كان الواجب في الجزاء رعاية
المماثلة من غير زيادة وهي عسرة جدا فالاولى العفو والاصلاح اذا كان قابلا للاصلاح فلا يرد انه نفى
قولهم الحلم على العاجز محمود وعلى المتغلب مذموم والعفو من عفى عمن ظلمه (واصلح) بالعفو بينه وبين ظالمه
(فأجره على الله) اي يأجره على ذلك لا محالة وابهم الاجر تعظيما لشأنه وتنبيها على جلالته قال مقاتل فكان العفو
من الاعمال الصالحة وقد بينا هذا في سورة آل عمران والمقصود من الآية التحريض على العفو وقد ذكرت
التوفيق بينه وبين الانتصار اخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم

القيامة امر الله مناديا ينادي الا ليقم من كان له على الله اجر فلا يقوم الا من عفى في الدنيا وذلك قوله فمن عفى الآية واخرج البيهقي عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ينادي مناد من كان له اجر على الله فليدخل الجنة مرتين فيقوم من عفى عن اخيه قال الله تعالى فمن عفى الآية ثم ذكر سبحانه خروج الظلمة عن محبته التي هي سبب الفوز والنجاة فقال إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ يعني من يبدأ بالظلم قاله مقاتل وبه قال سعيد بن جبير وقيل لا يحب من يتعدى في الاقتصاص ويجاوز الحد فيه لان المجاوزة ظلم وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ مصدر مضاف الى المفعول اي بعد ان ظلمه الظالم واللام هي لام الابتداء وقال الحوفي وابن عطية هي لام القسم وليس بجيد بل الاول اولى ومن هي الشرطية وجوابه فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ بمؤاخذة وعقوبة لانهم فعلوا ما هو جائز لهم وقيل من موصولة والاول اولى وفي القرطبي الآية دليل على ان له ان يستوفي ذلك بنفسه وهذا ينقسم ثلثة اقسام وذكرها في حاشية الجمل لا نطول ببسطها فمحلها كتب الفقه دون التفاسير ولما نفى سبحانه السبيل على من انتصر بعد ظلمه بين من عليه السبيل فقال إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ اي يتعدون عليهم ابتداء كذا قال الاكثر وقال ابن جريج اي يظلمونهم بالشرك المخالف لدينهم وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ اي يعملون في النفوس والاموال بِغَيْرِ الْحَقِّ كذا قال الاكثر قيد به لان البغي قد يكون مصحوبا بحق كالانتصار المقترن بالتعدي فيه وقال مقاتل بغيهم عملهم بالمعاصي وقيل يتكبرون ويتجبرون وقال ابو مالك هو ما يرجوه اهل مكة ان يكون بمكة غير الاسلام دينا أُولَئِكَ اي الذين يظلمون الناس لَهُمْ بهذا السبب عَذَابٌ أَلِيمٌ شديد الالم ثم رغب سبحانه في الصبر والعفو فقال وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ كرره اهتماما بالصبر وترغيبا فيه والصبر هنا هو الاصلاح المتقدم فاعيد هنا وعبر عنه بالصبر لانه من شان اولي العزم واشارة الى ان العفو الممدوح ما نشأ عن التحمل لا عن العجز والعي ومن صبر على الاذى وغفر لمن ظلمه لوجه الله ولم ينتصر وهذا فيمن ظلمه مسلم ويحكى ان رجلا سب رجلا في مجلس الحسن رح فكان المسبوب يكظم ويعرق فيمسح العرق ثم قام فتلا هذه الآية فقال الحسن عقلها والله وفهمها اذ ضيعها الجاهلون وبالجملة العفو مندوب اليه ثم قد ينعكس في بعض الاحوال فيرجع ترك العفو مندوبا اليه كما تقدم وذلك اذا احتيج الى كف زيادة البغي وقطع مادة الاذى إِنَّ ذَلِكَ الصبر والمغفرة منه وحذف الراجع لانه مفهوم كما حذف من قولهم السمن منوان بدرهم لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ قال مقاتل اي من الامور التي امر الله بها وندب اليها

ع ٤

او مما ينبغي ان يوجبه العاقل على نفسه ولا يترخص في تركه قال ابو سعيد القرشي الصبر على المكاره من
علامات الانتباه فمن صبر على مكروه يصيبه ولم يجزع اورثه الله تعالى حال الرضا وهو اجل الاحوال
ومن جزع من المصيبات وشكى وكله الله تعالى الى نفسه ثم لم تنفعه شكواه وقال الزجاج الصابر
يؤتى بصبره ثوابا فالرغبة في الثواب اتم عزما قال ابن زيد ان هذا كله منسوخ بالجهاد وانه خاص
بالمشركين وقال قتادة انه عام وهو ظاهر النظم القرآني وقال هنا بلام التوكيد وفي لقمان بدونها
لان الصبر على مكروه حدث بظلم كقتل اشد من الصبر على مكروه حدث بلا ظلم كموت ولد فكان العزم
على الاول آكد منه على الثاني وما هنا من القبيل الاول فكان انسب بالتوكيد وما في لقمان من القبيل الثاني
فكان انسب بعدمه افاده الكرخي وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ اي يخذله فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ اي
فما له من احد يلي هدايته وينصره وظاهر الآية العموم وقيل هي خاصة بمن اعرض عن النبي صلى الله
عليه وسلم ولم يعمل بما دعاه اليه من الايمان بالله والعمل بما شرعه الله والمودة في القربى اي فمن اضله الله عن
هذه الاشياء فلا يهديه احد قاله القرطبي والاول اولى وَتَرَى الخطاب في الموضعين لكل من تتأتى
منه الرؤية والرؤية فيهما بصرية والجملة الواقعة بعد كل منهما حالية الظَّالِمِينَ اي المشركين
المكذبين بالبعث لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ اي حين نظروا النار وقيل نظروا ما اعد الله لهم عند الموت
واختير لفظ الماضي للتحقيق يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ اي هل الى الرجعة الى الدنيا من طريق
وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا اي على النار خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ اي ساكنين متواضعين من اجله
يَنْظُرُونَ اليها مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ اي ذليل قاله ابن عباس ومن هي لابتداء الغاية اي يبتدئ
نظرهم الى النار ويجوز ان تكون تبعيضية وقال يونس من بمعنى الباء اي ينظرون بطرف ضعيف
من الذل والخوف وبه قال الاخفش والطرف الخفي الذي يخفى نظره كالمصبور ينظر الى السيف لما
لحقهم من الذل والخوف والوجل قال مجاهد وانما ينظرون بقلوبهم لانهم يحشرون عميا وعين
القلب طرف خفي وقال قتادة وسعيد بن جبير والسدي والقرظي ومحمد بن كعب يسارقون
النظر الى النار من شدة الخوف وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَ
أَهْلِيهِمْ اي ان الكاملين في الخسران هم هؤلاء الذين جمعوا بين خسران الانفس والاهلين
بتخليدهم في النار يَوْمَ الْقِيَامَةِ اما ظرف لخسروا وانما القول في الدنيا او لقال فالقول في القيامة

ويكون عبر عنه بالماضي للدلالة على تحقق وقوعه قاله ابو السعود واما خسرانهم لانفسهم فلكونهم
صاروا في النار معذبين بها واما خسرانهم لاهليهم فلانهم ان كانوا معهم في النار فلا ينتفعون
بهم وان كانوا في الجنة فقد حيل بينهم وبينهم وقيل خسران الاهل انهم لو آمنوا لكان لهم في
الجنة اهل من الحور العين ﴿أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ هذا من تمام كلام المؤمنين،
او من كلام الله سبحانه اي هم في عذاب دائم لا ينقطع ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَاءَ يَنصُرُونَهُم
مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ اي لم يكن لهم اعوان يدفعون عنهم العذاب وانصار ينصرونهم في ذلك الموطن
من دون الله بل هو المتصرف سبحانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن
سَبِيلٍ﴾ اي من طريق يسلكها الى النجاة ثم امر سبحانه عباده بالاستجابة وحذرهم فقال ﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم﴾
اي استجيبوا دعوته لكم الى الايمان به وبكتبه ورسله ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ اي
لا يقدر احد على رده ودفعه على معنى من قبل ان يأتي من الله يوم لا يرده احد ولا يرده الله بعد ان
حكم به على عباده ووعدهم به والمراد به يوم القيامة او يوم الموت ﴿مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ﴾ تلجأون اليه
﴿وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾ اي انكار يعني بل تعترفون بذنوبكم لانها مدونة في صحائفكم وتشهد بها عليكم جوارحكم
وقال مجاهد ما لكم من ناصر ينصركم وقيل النكير بمعنى المنكر كالاليم بمعنى المولم اي لا تجدون يومئذ
منكرا لما ينزل بكم من العذاب حكاه ابن ابي حاتم وقاله الكلبي وغيره والاول اولى قال الزجاج معناه
انهم لا يقدرون ان ينكروا الذنوب التي يوقفون عليها ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾
اي حافظا تحفظ اعمالهم الصادرة عنهم حتى تحاسبهم عليها ولا موكلا بهم رقيبا عليهم لتقهرهم
على امتثال ما ارسلناك به ﴿إِنْ﴾ اي ما ﴿عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ لما امرت بابلاغه وليس عليك غير ذلك وهذا
منسوخ باية السيف لانه قبل الامر بالجهاد ﴿وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً﴾ اي اذا اعطيناه رخاء
وصحة وغنى ﴿فَرِحَ بِهَا﴾ بطرا ونعم الدنيا وان كانت عظيمة فلانها بالنسبة الى سعادة الآخرة كالقطرة بالنسبة
الى البحر فلهذا سمي الانعام اذاقة والمراد بالانسان الجنس ولهذا قال ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ اي بلاء وشدة
ومرض وفقر ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من الذنوب وعبر بالايدي لان اكثر الافعال تزاول بها ﴿فَإِنَّ
الْإِنسَانَ كَفُورٌ﴾ اي كثير الكفر لما انعم به عليه من نعمه غير شكور له عليها وهذا باعتبار غالب
جنس الانسان ولم يقل فانه كفور بل وضع الظاهر موضع المضمر ليسجل على ان هذا الجنس موسوم

بكفران النعم كما قال ان الانسان لظلوم كفار والمعنى انه يذكر البلاء وينسى النعم ويغمطها ثم ذكر
سبحانه سعة ملكه ونفاذ تصرفه فقال لله ملك السموات والارض اي له التصرف فيهما بما يريد
لا مانع لما اعطى ولا معطي لما منع والملك بالضم الاستيلاء على الشيء والتمكن من التصرف فيه وفي المصباح
وملك على الناس امرهم ملكا من باب ضرب اذا تولى السلطنة فهو ملك والاسم الملك بضم الميم يخلق
ما يشاء من الخلق يهب لمن يشاء اناثا بدل مفصل من مجمل اي لا ذكور معهن قاله مجاهد والحسن و
الضحاك وابو مالك وابو عبيدة وقال ابن عباس يريد لوطا وشعيبا لانهما لم يكن لهما الا البنات ويهب
لمن يشاء الذكور اي لا اناث معهم يريد ابراهيم لانه لم يكن له الا الذكور قاله ابن عباس قيل وتعريف
الذكور بالالف واللام للدلالة على شرفهم على الاناث ويمكن ان يقال ان التقديم للاناث قد عارض ذلك
فلا دلالة في الاية على المفاضلة بل هي مسوقة لمعنى اخر وقد دل على شرف الذكور قوله سبحانه الرجال قوامون
على النساء بما فضل الله وغير ذلك من الادلة الدالة على شرف الذكور على الاناث وقيل تقديم الاناث
لكثرتهن بالنسبة الى الذكور وقيل لتطييب قلوب ابائهن وقيل لغير ذلك مما لا حاجة الى التطويل بذكره
اخرج ابن مردويه وابن عساكر عن واثلة بن الاسقع عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من بركة المرأة ابتكارها بالانثى
لان الله قال يهب لمن يشاء اناثا الى او يزوجهم ذكرانا واناثا اي يقرن بين الاناث والذكور ويجعلهم
ازواجا فيهما جميعا لبعض خلقه يريد محمدا صلى الله عليه وسلم فانه كان له من البنين ثلاثة على الصحيح القاسم
وعبد الله وابراهيم ومن البنات اربع زينب ورقية وام كلثوم وفاطمة قاله ابن عباس قال مجاهد
هو ان تلد المرأة غلاما ثم تلد جارية ثم تلد غلاما ثم تلد جارية وقال محمد بن الحنفية هو ان تلد
توأما غلاما وجارية وقال القتيبي التزويج هنا هو الجمع بين البنين والبنات تقول العرب زوجت الابل
اذا جمعت بين الصغار والكبار ومعنى الاية اوضح من ان يختلف في مثله فانه سبحانه اخبر انه يهب لبعض
خلقه اناثا ويهب لبعض خلقه ذكورا ويجمع لبعض بين الذكور والاناث ويجعل من يشاء عقيما
لا يولد له ذكر ولا انثى والعقيم الذي لا يولد له يريد يحيى وعيسى قاله ابن عباس وقال اكثر المفسرين
هذا على وجه التمثيل وانما الحكم عام في كل الناس لان المقصود بيان نفاذ قدرة الله تعالى في تكوين الاشياء
كيف يشاء فلا معنى للتخصيص يقال رجل عقيم وامرأة عقيم وعقمت المرأة تعقم عقما واصله القطع ويقال
نساء عقم وعقماء وعقام انه عليم قدير اي بليغ العلم عظيم القدرة وما كان لبشر اي ما صح لفرد

من افراد البشر أن يكلمه الله بوجه من الوجوه إلا وحيا بأن يوحي اليه فيلهمه في المنام ويقذف
في قلبه ذلك قال مجاهد نفث ينفث في قلبه فيكون الهاما منه كما اوحى الى ام موسى والى ابراهيم في
ذبح ولده والوحي الاشارة والرسالة والكتابة وكل ما القيته الى غيرك ليعلمه وحيا كيف كان قاله ابن
فارس وهو مصدر وحى اليه يحي من باب وعى واوحى اليه بالالف مثله ثم غلب استعمال الوحي فيما
يلقى الى الانبياء من عند الله تعالى ولغة القرآن الفاشية اوحى بالالف أو من وراء حجاب كما كلم موسى
يريد ان كلامه يسمع من حيث لا يرى وهو تمثيل بحال الملك المحتجب الذي يكلم خواصه من وراء حجاب قال
ابن عباس في الآية الا ان يبعث ملكا يوحي اليه من عنده او يلهمه فيقذف في قلبه او يكلمه من
وراء حجاب وقيل المراد به ان السامع محجوب عن الرؤية في الدنيا أو يرسل رسولا اي ملكا فيوحي
ذلك الملك الى الرسول من البشر بإذنه اي بامر الله وتيسيره ما يشاء ان يوحي اليه قال الزجاج المعنى
ان كلام الله للبشر اما ان يكون بالهام يلهمهم او يكلمهم من وراء حجاب كما كلم موسى او برسالة ملك اليهم
وتقدير الكلام ما كان لبشر ان يكلمه الله الا ان يوحي وحيا او يكلمه من وراء حجاب او يرسل رسولا
ومن قرأ يرسل رفعا اراد وهو يرسل فهو ابتداء واستئناف انتهى وقرأ الجمهور بنصب يرسل وبنصب يوحي
على تقدير ان وتكون ان وما دخلت عليه معطوفين على وحيا ووحيا في محل الحال والتقدير الا موحيا
او مرسلا ولا يصح عطف ويرسل على ان يوحي لانه يصير التقدير وما كان لبشر ان يرسل الله رسولا وهو فاسد
لفظا ومعنى وقد قيل في توجيه قراءة الجمهور غير هذا مما لا يخلو عن ضعف وقرئ بالرفع وكذلك فيوحي
باسكان الياء على انه خبر مبتدأ محذوف والتقدير وهو يرسل كما قال الزجاج وغيره وجملة انه علي
حكيم تعليل لما قبلها اي متعال عن صفات النقص حكيم في كل احكامه قال المفسرون سبب نزول هذه
الآية ان اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم الا تكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلمه موسى فنزلت وكذلك
اي كالوحي الذي اوحينا الى الانبياء قبلك أوحينا إليك روحا من أمرنا المراد به القرآن قاله ابن
عباس وقيل النبوة قال مقاتل يعني الوحي بامرنا ومعناه القرآن لانه يهتدى به ففيه حياة من موت الكفر
وقيل رحمة وقيل جبريل ومن تبعيضية لان الموحى اليه لا ينحصر في القرآن ثم ذكر سبحانه صفة رسوله
قبل ان يوحى اليه فقال ما كنت تدري ما الكتاب اي اي شيء هو لانه صلى الله عليه وسلم كان اميا لا يقرأ ولا
يكتب وذلك ادخل في الاعجاز وادل على صحة نبوته ومعنى ولا الايمان انه كان صلى الله عليه وسلم لم يعرف

تفاصيل الشرائع ومعالمها ولا يهتدي الى معانيها كالصلوة والصوم والزكوة والختان وايقاع الطلاق والغسل من الجنابة وتحريم ذوات المحارم بالقرابة والصهر وهذا هو الحق وخص الايمان لانه اسها واساسها وقيل المراد بالايمان هنا الصلوة قال بهذا جماعة من اهل العلم منهم امام الائمة محمد بن اسحاق بن خزيمة واحتج بقوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم يعني الصلوة فسماها ايمانا وذهب جماعة الى ان الله لم يبعث نبيا الا وقد كان مؤمنا به وقالوا معنى الاية ما كنت تدري قبل الوحي كيف تقرء القران ولا كيف تدعو الخلق الى الايمان وقيل كان هذا قبل البلوغ حين كان طفلا وفي المهد وقال الحسين بن الفضل انه على حذف المضاف اي ولا اهل الايمان وقيل المراد بالايمان دين الاسلام وقيل الايمان هنا عبارة عن الاقرار بكل ما كلف الله به العباد وقال الكواشي ويجوز ان يراد بالايمان نفس الكتاب وهو القران وعطف عليه لاختلاف لفظيهما اي ما كنت تعرف القران وما فيه من الاحكام ويدل على هذا التاويل توحيد الضمير في جعلناه وقيل المراد بالايمان الكلمة التي بها دعوة الايمان والتوحيد وهي لا اله الا الله محمد رسول الله والايمان بهذا التفسير انما علمه بالوحي لا بالعقل قاله الكرخي وعن علي قال قيل للنبي صلى الله عليه وسلم هل عبدت وثنا قط قال لا قالوا فهل شربت خمرا قط قال لا وما زلت اعرف ان الذي هم عليه كفر وما كنت ادري ما الكتاب ولا الايمان وبذلك نزل القران وما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا اي جعلنا الروح الذي اوحيناه اليك ضياء ودليلا على التوحيد والايمان نهدي به المراد به الهداية الموصلة بدليل قوله من نشاء هدايته من عبادنا ونرشده الى الدين الحق وانك لتهدي اي كل مكلف فالهداية فيه اعم من التي قبلها قرأ الجمهور لتهدي على البناء للفاعل وقرئ على البناء للمفعول وقرئ بضم التاء وكسر الدال من اهدى وفي قراءة ابي وانك لتدعو الى صراط مستقيم قال قتادة والسدي ومقاتل وانك لتدعو الى الاسلام فهو الصراط المستقيم ثم بين الصراط المستقيم بقوله صراط الله بدل من الاول بدل المعرفة من النكرة وفي هذه الاضافة للصراط الى الاسم الشريف من التعظيم له والتفخيم لشانه ما لا يخفى الذي له ما في السموات وما في الارض ملكا وخلقا وعبيدا والمعنى انه المالك لذلك والمتصرف فيه الا الى الله تصير اليه ترجع الامور يوم القيامة لا الى غيره اي جميع امور الخلائق بارتفاع الوسائط والتعلقات وعلى هذا المضارع على ظاهره وقيل المراد بهذا المضارع الديمومة كقولك زيد يعطي ويمنع اي

من شانه ذلك وليس المراد حقيقة المستقبل لان الامور منوطة به تعالى كل وقت وفيه وعيد بالبعث المستلزم للمجازاة ووعد بنعيم الجنان في يوم المحسن ويعاقب المسيء قال سهيل بن ابي الجعد احترق مصحف ولم يبق منه الا قوله الا الى الله تصير الامور وغرق مصحف فانمحى كله الا قوله الا الى الله تصير الامور ذلك والله اعلم ذكره القرطبي

سورة الزخرف وهي تسع وثمانون اية

قال القرطبي هي مكية بالاجماع وبه قال ابن عباس قال مقاتل الا قوله واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا يعني فانها نزلت بالمدينة

بسم الله الرحمن الرحيم

حم الكلام ههنا كالكلام الذي قدمناه والله اعلم بمراده به والكتاب المبين اقسم بالقرآن الذي ابان طرق الهدى من طرق الضلالة وابان ما تحتاج اليه الامة من الشريعة وقيل المبين الواضح للمتدبرين وهو من الايمان الحسنة البديعة لتناسب القسم والمقسم عليه ولعل اقسام الله بالاشياء استشهاد بما فيها من الدلالة على المقسم عليه وجواب القسم انا جعلناه قرآنا عربيا وهذا عندهم من البلاغة وهو كون القسم والمقسم عليه من واد واحد ان اريد بالكتاب القرآن وان اريد به جنس الكتب المنزلة لم يكن من ذلك والضمير في جعلناه على الاول يعود على الكتاب وعلى الثاني يعود على القرآن وان لم يصرح بذكره والجعل هنا تصيير ولا يلتفت لخطأ الزمخشري في تجويزه ان يكون بمعنى خلقناه والمعنى سميناه وصيرناه ووصفناه ولذلك تعدى الى مفعولين وقال السدي اي انزلناه قرآنا وقال مجاهد قلناه وقال سفيان الثوري بيناه وكذا قال الزجاج اي انزل بلسان العرب لان كل نبي انزل كتابه بلسان قومه وقال مقاتل لان لسان اهل الجنة عربي لعلكم تعقلون اي لكي تفهموه وتتعقلوا معانيه وتحيطوا بما فيه قال ابن زيد لعلكم تتفكرون وانه اي وان القرآن في ام الكتاب لدينا اي عندنا لعلي حكيم اخبر عن منزلته وشرفه وفضله اي ان كذب به اهل مكة فانه عندنا شريف رفيع القدر محكم النظم في اعلى طبقات البلاغة ودرجات الفصاحة لا يوجد فيه اختلاف ولا تناقض والجملة عطف على الجملة المقسم بها داخلة تحت معنى القسم او مستأنفة

مقررة لما قبلها قال الزجاج ام الكتاب اصل الكتاب واصل كل شيء امه والقرآن مثبت عند الله في
اللوح المحفوظ كما قال بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ قال ابن جريج المراد بقوله وانه اعمال الخلق
من ايمان وكفر وطاعة ومعصية عن ابن عباس قال ان اول ما خلق الله من شيء القلم وامره ان
يكتب ما هو كائن الى يوم القيامة عنده ثم قرأ هذه الآية واخرج ابن مردويه نحوه عن انس مرفوعا
افنضرب عنكم الذكر صفحا يقال ضربت عنه واضربت عنه اذا تركته وامسكت عنه كذا قال
الفراء والزجاج وغيرهما وانتصاب صفحا على المصدرية او على الحال اي صافحين والصفح مصدر
قولهم صفحت عنه اذا اعرضت عنه وذلك انك توليه صفحة وجهك وعنقك والمراد بالذكر هنا
القرآن والاستفهام للانكار والتوبيخ قال الكسائي المعنى افنضرب عنكم الذكر طيا فلا توعظون ولا تؤمرون
وقال مجاهد وابو صالح والسدي افنضرب عنكم العذاب ولا نعاقبكم على اسرافكم وكفركم وقال قتادة
المعنى افنهلككم ولا نأمركم ولا ننهاكم وروي عنه انه قال المعنى افنمسك عن انزال القرآن من قبل
انكم لا تؤمنون به وقيل الذكر التذكير كانه قال انترك تذكيركم ان كنتم قوما مسرفين قرئ ان
بالكسر على انها الشرطية والجزاء محذوف لدلالة ما قبله عليه وبفتحها على التعليل اي لان كنتم قوما
منهمكين في الاسراف مصرين عليه مفرطين في الجهالة مجاوزين الحد في الضلالة قال ابن عباس
في الآية احسبتم ان نصفح عنكم ولم تفعلوا ما امرتم به ثم سلى سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم فقال وكم
ارسلنا من نبي في الاولين كم هي الخبرية التي معناها التكثير والمعنى ما اكثر ما ارسلنا من الانبياء
في الامم السابقة وما يأتيهم من نبي الا كانوا به يستهزئون كاستهزاء قومك بك فاهلكنا
قوما اشد منهم اي من هؤلاء القوم بطشا اي قوة تمييزا او حال اي باطشين والاول احسن
والبطش شدة الاخذ ومضى مثل الاولين اي سلف في القرآن في غير موضع منه ذكر قصتهم
وحالهم العجيبة التي حقها ان تسير مسير المثل لشهرتها وقال قتادة عقوبتهم وقيل صفتهم
في الاهلاك والمثل الوصف والخبر وفي هذا وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد شديد لهم
لانه يتضمن ان الاولين اهلكوا بتكذيب الرسل وهؤلاء ان استمروا على تكذيبك والكفر بما جئت به
هلكوا مثلهم ولئن لام قسم سألتهم اي هؤلاء الكفار من قومك من خلق السموات والارض
اي هذه الاجرام العلوية والسفلية ليقولن خلقهن العزيز العليم جواب القسم لا جواب الشرط وهذا

عطف القاعدة في اجتماع الشرط والقسم من حذف جواب المتاخر منهما وحذف ضمنه نون الرفع
لتوالي النونات وواو الضمير لالتقاء الساكنين وكون الفصل للتوكيد اذا لو جاء العزيز بغير خلقهن لكان
كافيا والمعنى اقروا بان الله خالقهن ولم ينكروا ذلك وهذا اسوء لحالهم واشد لعقوبتهم لانهم جعلوا
بعض مخلوقات الله وجعلوه شريكا له بل عمدوا الى ما لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يضر من المخلوقات
وهي الاصنام فجعلوها شركاء لله ثم وصف سبحانه نفسه بما يدل على عظيم نعمته على عباده و
كمال قدرته في مخلوقاته فقال الذي جعل لكم الارض مهدا اي فراشا كالمهد للصبي ولو شاء لجعلها
متزلزلة لا يثبت فيها شيء كما ترون من بعض الجبال ولو شاء لجعلها متحركة فلا يمكن الانتفاع بها في الزراعة
ولا الابنية فالانتفاع بها انما حصل لكونها مسطحة قارة ساكنة وقد تقدم بيانه قرأ الجمهور مهادا
وقرأ الكوفيون مهدا وهذا كلام مبتدأ غير متصل بما قبله ولو كان متصلا بما قبله من جملة
مقول الكفار لقالوا الذي جعل لنا الارض مهادا وجعل لكم فيها سبلا اي طرقا تسلكونها الى حيث
تريدون ولو شاء لجعلها بحيث لا يسلك في مكان منها كما جعل بعض الجبال كذلك وقيل معايش تعيشون
بها لعلكم تهتدون بسلوكها الى مقاصدكم ومنافعكم في اسفاركم والذي نزل من السماء
ماء بقدر اي بقدر الحاجة وحسبما تقتضيه المصلحة ولم ينزل عليكم منه فوق حاجتكم حتى
يهلك زرائعكم ويهدم منازلكم ويهلككم بالغرق ولا دونها حتى تحتاجوا الى الزيادة وعلى حسبما
تقتضيه مشيته في ارزاق عباده بالتوسيع تارة والتقتير اخرى فانشرنا به بلدة ميتا اي احيينا
بذلك الماء بلدة مقفرة من النبات وفيه التفات قرأ الجمهور ميتا بالتخفيف وقرئ بالتشديد كذلك
اي مثل ذلك الاحياء للارض باخراج نباتها بعد ان كانت لا نبات بها تخرجون اي تبعثون من
قبوركم احياء فان من قدر على هذا قدر على ذلك وقد مضى بيان هذا في ال عمران والاعراف
قرأ الجمهور تخرجون مبنيا للمفعول وقرئ مبنيا للفاعل والذي خلق الازواج كلها اي الضروب
والانواع كالحلو والحامض والابيض والاسود قال سعيد بن جبير الاصناف كلها وقال الحسن
الازواج الشتاء والصيف والليل والنهار والسموات والارض والجنة والنار وقيل ازواج الحيوان
من ذكر وانثى وقيل ازواج النبات كقوله وانبتنا فيها من كل زوج بهيج ومن كل زوج كريم وقيل
ما يتقلب فيه الانسان من خير وشر وايمان وكفر ونفع وضر وفقر وغنى وصحة وسقم وهذا القول يعم الاقوال ويجمعها

بعمومه وقيل الاول اولى قال بعض المحققين كل ما سوى الله فهو زوج كالفوق والتحت واليمين واليسار والقدام والخلف والماضي والمستقبل والذوات والصفات وكونها ازواجا يدل على انها ممكنة الوجود محدثة مسبوقة بالعدم فاما الحق تعالى فهو الفرد المنزه عن الضد والند والمقابل والمعاضد وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنَ الْفُلْكِ السفن وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ اي ما تركبونه في البحر والبر واريد بالانعام هنا ما يركب من الحيوان وهو الابل والخيل والبغال والحمير وقرينة هذا قوله في سورة النحل والخيل والبغال والحمير لتركبوها فيح في الانعام هنا تغليب اذ الانعام هي الابل والبقر والغنم قال الشوكاني المراد بالانعام ههنا الابل خاصة وقيل الابل والبقر والاول اولى انتهى لِتَسْتَوُوا اللام لام العلة وهو الظاهر او للصيرورة وجوز ابن عطية ان تكون لام الامر وفيه بعد لقلة دخولها على امر المخاطب عَلَىٰ ظُهُورِهِ الضمير راجع الى ما قاله ابو عبيد وقال الفراء اضاف الظهور الى واحد لان المراد به الجنس فصار الواحد في معنى الجمع بمنزلة الجنس فلذلك ذكر وجمع الظهر لان المراد ظهور هذا الجنس والاستواء الاستعلاء اي لتستعلوا على ظهور ما تركبون من الفلك والانعام ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ التي انعم بها عليكم من تسخير ذلك المركب في البحر والبر إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ اي على ما تركبون ففيه مراعاة لفظ ما ايضا قال مقاتل والكلبي هو ان تقول الحمد لله الذي رزقني هذا وحملني عليه وَتَقُولُوا اي باللسان تكرر جمعا بين القلب واللسان سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وقرأ علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه سبحان من سخر لنا هذا وقال قتادة قد علمكم كيف تقولون اذا ركبتم والمعنى ذلل لنا هذا المركب الذي ركبناه سفينة كان او دابة قاله الخطيب وصرح غيره بانه خاص بالدابة واما السفينة فيقول فيها بسم الله مجريها ومرساها ويؤيده وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ فان الامتناع والتعاصي والتوحش لولا تسخير الله واذلاله انما يتاتى في الدواب واما السفن فهي من عمل ابن ادم فليس لها امتناع بقوتها كامتناع الدابة قال ابن عباس والكلبي مقرنين مطيقين يقال اقرن هذا البعير اي اطاقه وقال الاخفش وابو عبيدة مقرنين ضابطين يقال فلان مقرن لفلان اي ضابط له وقيل مماثلين له في القوة من قولهم هو قرن فلان اذا كان مثله في القوة وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ اي راجعون اليه وهذا تمام ما يقال عند ركوب الدابة او السفينة وفيه اشارة الى الرد عليهم في انكار البعث اخرج مسلم وابو داود والترمذي والنسائي والحاكم وابن مردويه عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

كان اذا سافر ركب راحلته ثم كبر ثلاثا ثم قال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا
الى ربنا لمنقلبون وروي ان قوما ركبوا وقالوا سبحان الله وفيهم رجل على ناقة لا تتحرك هزالا فقال
اني مقرن لهذه فسقط لوثبتها واندقت عنقه وينبغي ان لا يكون ركوب العاقل للتنزه والتلذذ
بل للاعتبار ويتأمل عنده انه هالك لا محالة ومنقلب الى الله غير منفلت من قضائه قال القرطبي
علمنا سبحانه وتعالى ما نقول اذا ركبنا الدواب وعرفنا في اية اخرى على لسان نوح عليه السلام
ما نقول اذا ركبنا السفن فكم من راكب دابة عثرت به او شمست او تقحمت او طاح عن ظهرها فهلك
وكم من راكب سفينة انكسرت به فغرق فلما كان الركوب مباشرة امر مخوف واتصالا بسبب من اسباب
التلف امر ان لا ينسى عند اتصاله به موته ولا يدع ذكر ذلك بقلبه ولسانه حتى يكون مستعدا لقضاء
الله باصلاحه من نفسه والحذر من ان يكون ركوبه ذلك من اسباب موته في علم الله وهو غافل
عنه وقال ابن العربي ليس بواجب ذكره باللسان بل يستحب وانما الواجب اعتقاده بالقلب والاول اولى والجمع
افضل ثم رجع سبحانه الى ذكر الكفار الذين تقدم ذكرهم فقال وَجَعَلُوا لَهُ اي بعد ذلك الاعتراف
كما قاله القاضي او معه كذا في الكشاف والجملة حالية والجعل تصيير قولي اي حكموا واثبتوا له
او بمعنى سموا واعتقدوا مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا اي ولدا وسماه جزءا دلالة على استحالته على الواحد
في ذاته لان المركب لا يكون واحد الذات قال قتادة جزءا اي عدلا يعني ما عبد من دون الله وقال
الزجاج والمبرد الجزء هنا البنات والجزء عند اهل العربية البنات يقال قد اجزأت المرأة اذا ولدت
البنات وقد جعل صاحب الكشاف تفسير الجزء بالبنات من بدع التفسير وصرح بانه مكذوب على
العرب ويجاب عنه بانه قد رواه الزجاج والمبرد وهما امام اللغة العربية وحافظاها ومن اليهما
المنتهى في معرفتها ويؤيد تفسير الجزء بالبنات ما سيأتي من قوله ام اتخذ مما يخلق بنات وقوله
واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا وقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وقيل المراد بالجزء
هنا الملائكة فانهم جعلوهم اولادا لله سبحانه قاله مجاهد والحسن قال الازهري ومعنى الاية انهم
جعلوا لله من عباده نصيبا على معنى انهم جعلوا نصيب الله من الولد اناثا إِنَّ الْإِنْسَانَ القائل ما تقدم
لَكَفُورٌ مُبِينٌ اي ظاهر الكفران مبالغ فيه قيل المراد بالانسان هنا الكافر فانه الذي يجحد نعم الله
عليه جحودا بينا ثم انكر عليهم هذا فقال أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ هذا استفهام تقريع وتوبيخ وام هي

ع

هي المنقطعة وقدرها بعضهم ببل التي للانتقال وبعضهم بهما وكل صحيح لان فيهما معا عبثلاثة
كما نقله ابو حيان والمعنى انقولون اتخذ ربكم لنفسه البنات وَأَصْفَاكُم اخلصكم وخصكم بِالْبَنِينَ
فجعل لنفسه المفضول من الصنفين ولكم الفاضل منهما يقال اصفيته بكذا اي اثرته به واصفيته
الود اخلصته له ومثل هذه الآية قوله الكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى وهذه الجملة
معطوفة على اتخذ داخلة معها تحت الانكار ثم زاد في تقريعهم وتوبيخهم فقال وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم
استيناف او حال بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا اي بما جعله للرحمن سبحانه من كونه جعل لنفسه البنات
والالتفات الى الغيبة للايذان بان قبائحهم اقتضت ان يعرض عنهم ويحكي لغيرهم ليتعجب منها والمثل
بمعنى الشبه اي المشابه لا بمعنى الصفة الغريبة العجيبة والمعنى اذا بشر احدهم بانها ولدت له
بنت اغتم لذلك وظهر عليه اثره وهو معنى قوله ظَلَّ اي صار وَجْهُهُ مُسْوَدًّا بسبب حدوث
الانثى له حيث لم يكن الحادث له ذكرا مكانها وَهُوَ كَظِيمٌ اي والحال انه شديد الحزن كثير
الكرب مملوء منه قال قتادة حزين وقال عكرمة مكروب وقيل ساكت ثم زاد في توبيخهم وتقريعهم
فقال أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ النشو التربية والحلية الزينة ومن عبارة عن الانثى اي يجعلون لله
الانثى التي تتربى في الزينة لنقصها اذ لو كملت في نفسها لما كملت بالزينة قرأ الجمهور ينشأ بفتح الياء
واسكان النون وقرأ ابن عباس والضحاك وحفص بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين واختار
القراءة الاولى ابو حاتم واختار الثانية ابو عبيد وقال الهروي الفعل على القراءة الاولى لازم وعلى الثانية
متعد والمعنى يربى ويكبر في الحلية وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ اي عاجز عن ان يقوم بامر نفسه
واذا خوصم لا يقدر على اقامة حجته وتقرير دعواه ودفع ما يجادله به خصمه لنقصان عقله وضعف رأيه
واضافة غير لا تمنع عمل ما بعدها في الجار المتقدم عليها لانها بمعنى النفي قال المبرد تقدير الآية وجعلوا
له من ينبت في الزينة واذا احتاج الى مجاثاة الخصوم ومجاراة الرجال كان غير مبين ليس عنده
بيان ولا ياتي ببرهان وفيه انه جعل النشأة في الزينة من المعائب فعلى الرجل ان يجتنب ذلك و
يتزين بلباس التقوى قال قتادة قلما تكلم امرأة بحجتها الا تكلمت بالحجة عليها وقال ابن زيد والضحاك
الذي ينشأ في الحلية اصنامهم التي صاغوها من ذهب وفضة قال ابن عباس في الآية هو النساء
فرق بين زيهن وزي الرجال ونقصهن من الميراث وبالشهادة وامرهن بالقعدة وسماهن الخوالف

وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا الجعل هنا بمعنى القول والحكم على الشيء كما تقول جعلت زيدا افضل الناس اي قلت بذلك وحكمت له به اي سموهم وحكموا وقالوا انهم اناث وجمعوا في كفرهم ثلث كفرات وذلك انهم نسبوا الى الله الولد ونسبوا اليه اخس النوعين وجعلوا ملائكته المكرمين اناثا فاستخفوا بهم قرأ الجمهور عباد بالجمع وبها قرأ ابن عباس وقرأ الباقون عند بنون ساكنة واختار الاولى ابو عبيد لان الاسناد فيها اعلى ولان الله انما كذبهم في قولهم انهم بنات الله فاخبرهم بانهم عباده قال النسفي وهو الزم في الحجاج مع اهل العناد لتضاد بين العبودية والولاد انتهى وتؤيد هذه القراءة قوله بل عباد مكرمون واختار ابو حاتم الثانية قال وتصديق هذه القراءة قوله ان الذين عند ربك عن سعيد بن جبير قال اقرأ هذا الحرف الذين هم عند الرحمن اناثا فسألت ابن عباس فقال عباد الرحمن قلت فانها في مصحفي قال فامحها واكتبها عباد الرحمن ثم وبخهم وقرعهم فقال أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ اي احضروا خلق الله اياهم فهو من الشهادة التي هي الحضور وفي هذا تهكم بهم وتجهيل لهم قرأ الجمهور سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ بضم الفوقية وبناء الفعل للمفعول ورفع شهادتهم وقرئ بالنون وبناء الفعل للفاعل ونصب شهادتهم وقرئ شهاداتهم بالجمع والمعنى سنكتب هذه الشهادة التي شهدوا بها في ديوان اعمالهم لنجازيهم على ذلك قال البقاعي يجوز ان يكون في السين استعطاف لهم الى التوبة قبل كتابة ما قالوا ولاحلم لعمري به وَيُسْأَلُونَ عنها يوم القيامة في الآخرة وهذا وعيد قال سليمان الجمل وهذا يدل على ان القول بغير دليل منكر وان التقليد حرام يوجب الذم العظيم انتهى وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ هذا فن آخر من فنون كفرهم بالله جاؤا به للاستهزاء والسخرية ومعناه لو شاء الرحمن في زعمكم عدم عبادة الملائكة ما عبدنا هذه الملائكة فاستدلوا بنفي مشيته عدم العبادة على امتناع النهي عنها او على حسنها وذلك باطل لان المشية ترجيح بعض الممكنات على بعض مامورا كان او منهيا حسنا كان او غيره وبالجملة هذا الكلام حق يراد به باطل وقد مضى بيانه في الانعام وتعلقت المعتزلة بظاهر هذه الاية في ان الله لم يشأ الكفر من الكافر وانما شاء الايمان فان الكفار ادعوا ان الله شاء منهم الكفر وما شاء منهم ترك عبادة الاصنام فرد الله عليهم قولهم واعتقادهم وبين جهلهم بقوله مَا لَهُم بِذَٰلِكَ اي بما قالوه من ان الله لو شاء عدم عبادتهم الملائكة ما عبدوهم مِنْ عِلْمٍ بل تكلموا بذلك جهلا وارادوا بما صورته صورة الحق باطلا وزعموا انه اذا شاء غفر ورضي وقيل

الاشارة بذلك الى قوله وجعلوا الملائكة الذين هم عند الرحمن اناثا قاله قتادة ومقاتل والكلبي وقال مجاهد وابن جريج اي مالهم بعبادة الاوثان من علم ثم بين انتفاء علمهم بقوله إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ اي ما هم الا يكذبون فيما قالوا ويتحلون تمحلا باطلا قال هنا يخرصون وفي الجاثية يظنون لان هذا كذب فناسبه الخرص وما هناك صدق مخلوط بالكذب فناسبه الظن أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ ام هي المنقطعة بمعنى همزة الاستفهام الانكاري اي بل اعطيناهم كتابا من قبل القران بما ادعوه او من قبل قولهم هذا بان يعبدوا غير الله وقيل ان الضمير في من قبله يعود الى ادعائهم اي ام آتيناهم كتابا من قبل ادعائهم ينطق بصحة ما يدعونه والاول اولى او ام معادلة لقوله اشهدوا فتكون متصلة والمعنى احضروا ام آتيناهم كتابا الخ والاول ارجح واولى كما افاده الشهاب فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ يأخذون بما فيه ويحتجون به ويجعلونه لهم دليلا ثم بين سبحانه انه لا حجة بايديهم ولا شبهة ولكنهم اتبعوا آباءهم في الضلالة فقال بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ اي على طريقة ومذهب قال ابو عبيدة هي الطريقة والدين وبه قال ابن عباس وقتادة وغيره قال الجوهري والامة الطريقة والدين يقال فلان لا امة له ولا نحلة اي لا دين له وقال الفراء وقطرب على قبلة وقال الاخفش على استقامة قرأ الجمهور امة بالضم وقرئ بكسرها قال الجوهري الامة بالكسر النعمة والامة ايضا لغة في الامة وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ بهم وكانوا يعبدون غير الله اعترفوا بانه لا مستند لهم من حيث العيان ولا من حيث العقل ولا من حيث السمع والبيان سوى تقليد آبائهم قال الخازن جعلوا انفسهم مهتدين باتباع آبائهم وتقليدهم من غير حجة انتهى وعبارة ابي السعود لم يأتوا بحجة عقلية ولا نقلية بل اعترفوا بانه لا مستند لهم سوى تقليد آبائهم الجهلة مثلهم انتهى وقال هنا مهتدون وفيما بعده مقتدون لان الاول وقع في محاجتهم النبي صلى الله عليه وسلم وادعائهم ان آباءهم كانوا مهتدين وانهم مهتدون كآبائهم فناسبه مهتدون والثاني وقع حكاية عن قوم ادعوا الاقتداء بالآباء دون الاهتداء فناسبه مقتدون افاده الكرخي ثم اخبر سبحانه ان غير هؤلاء الكفار قد سبقهم الى هذه المقالة وقال بها فقال وَكَذَلِكَ اي الامر كما ذكر من عجزهم عن الحجة وتمسكهم بالتقليد وقوله مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ استيناف مبين لذلك

دال على ان التقليد فيما بينهم ضلال قديم ليس لاسلافهم ايضا مستند غيره قال ابو السعود في
المترفون الاغنياء والرؤساء والمتنعمون جمع مترف اسم مفعول من ترف كفرح تنعم والترفة النعمة الطغيه
قال الكرخي هذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ودلالة على ان التقليد في نحو ذلك ضلال قديم وان
من تقدمهم ايضا لم يكن لهم مستند منظور اليه وتخصيص المترفين للاشعار بان التنعم هو الذي
اوجب البطر وصرفهم عن النظر الى التقليد انتهى والامة هي من الام وهو القصد فالامة الطريقة التي
تؤم اي تقصد ومقتدون اي متبعون قاله قتادة قال النسفي وهذه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم
وبيان ان تقليد الاباء داء قديم انتهى قال الرازي في تفسيره لو لم يكن في كتاب الله الا هذه الآيات
لكفت في ابطال القول بالتقليد وذلك لانه تعالى بين ان هؤلاء الكفار لم يتمسكوا في اثبات ما
ذهبوا اليه لا بطريق عقلي ولا بدليل نقلي ثم بين انهم انما ذهبوا اليه بمجرد تقليد الاباء والاسلاف
وانما ذكر تعالى هذه المعاني في معرض الذم والتهجين وذلك يدل على ان القول بالتقليد باطل
ومما يدل عليه ايضا من حيث العقل ان التقليد امر مشترك فيه بين المبطل وبين المحق وذلك
لانه كما حصل لهذه الطائفة قوم من المقلدة فكذلك حصل لاضدادهم اقوام من المقلدة فلو
كان التقليد طريقا الى الحق لوجب كون الشيء ونقيضه حقا ومعلوم ان ذلك باطل وانه تعالى
بين ان الداعي الى القول بالتقليد والحامل عليه انما هو حب التنعم في طيبات الدنيا وحب
الكسل والبطالة وبغض تحمل مشاق النظر والاستدلال لقوله الا قال مترفوها والمترفون هم الذين
اترفتهم النعمة اي ابطرتهم فلا يحبون الا الشهوات والملاهي ويبغضون تحمل المشاق في طلب
الحق انتهى ثم امر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم ان يرد عليهم فقال قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ
مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ اي اتتبعون اباءكم وتقلدونهم ولو جئتكم بدين اهدى من دين
اباءكم قال الزجاج المعنى قل لهم اتتبعون ما وجدتم عليه اباءكم من الضلالة التي ليست من الهداية
في شيء وان جئتكم باهدى منه قرأ الجمهور قل وقرئ قال وهو حكاية لما جرى بين المنذرين وقومهم
اي قال كل منذر من اولئك المنذرين لامته وقيل ان كلا القراءتين حكاية لما جرى بين المنذرين
وقومهم اي قال كل منذر من اولئك المنذرين لامته المقلدين كانه قال لكل نبي قل بدليل قوله
قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ قال الشوكاني وهذا من اعظم الادلة الدالة على بطلان التقليد

وفيه فان هؤلاء المقلدة في الاسلام انما يعملون بقول اسلافهم ويتبعون آثارهم ويقتدون بهم فاذا رام الداعي الى الحق ان يخرجهم من ضلالة او يدفعهم عن بدعة قد تمسكوا بها وورثوها عن اسلافهم بغير دليل نير ولا حجة واضحة بل لمجرد قيل وقال لشبهة داحضة وحجة زائفة ومقالة باطلة قالوا بما قاله المترفون من هذه الملل انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون او بما يلاقي معناه معنى ذلك فان قال لهم الداعي الى الحق قد جمعتنا الملة الاسلامية وشملنا هذا الدين المحمدي ولم يتعبدنا الله ولا تعبدكم ولا تعبد آباءكم من قبلكم الا بكتابه الذي انزله على رسوله وبما صح عن رسوله صلى الله عليه وسلم فانه المبين لكتاب الله الموضح لمعانيه الفارق بين محكمه ومتشابهه فتعالوا نرد ما تنازعنا فيه الى كتاب الله وسنة رسوله كما امرنا الله بذلك في كتابه بقوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول فان الرد اليهما اهدى لنا ولكم من الرد الى ما قاله اسلافكم ودرج عليه آباؤكم نفروا نفور الوحش ورموا الداعي لهم الى ذلك بكل حجر ومدر كانهم لم يسمعوا قول الله سبحانه انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا ولا قوله فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما فان قال لهم القائل هذا العالم الذي تقتدون به وتتبعون اقواله هو مثلكم في كونه متعبدا بكتاب الله وسنة رسوله مطلوبا منه ما هو مطلوب منكم واذا عمل برايه عند عدم وجدانه للدليل فذلك رخصة له لا يحل ان يتبعه غيره عليها ولا يجوز له العمل بها وقد وجدوا الدليل الذي لم يجده وها انا اوجدكموه في كتاب الله او فيما صح من سنة رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك اهدى لكم مما وجدتم عليه آباءكم قالوا لا نعمل بهذا ولا سمع لك ولا طاعة ووجدوا في صدورهم اعظم الحرج من حكم الكتاب والسنة ولم يسلموا لذلك ولا اذعنوا له وقد وهب لهم الشيطان عصي يتوكأون عليها عندان يسمعوا من يدعوهم الى الكتاب والسنة وهي انهم يقولون ان امامنا الذي قلدناه واقتدينا به اعلم بكتاب الله وسنة رسوله وذلك لان اذهانهم قد تصورت من يقتدون به تصورا عظيما بسبب تقدم العصر وكثرة الاتباع وما علموا ان هذا منقوض عليهم مدفوع به في وجوههم فانه لو قيل لهم ان في التابعين من هو اعظم قدرا واقدم عصرا من صاحبكم فان كان لتقدم العصر وجلالة القدر مزية توجب الاقتداء

فتعالوا حتى اريكم من هو اقدم عصرا واجل قدرا فان ابيتم ذلك ففي الصحابة رضي الله عنهم من هو
اعظم قدرا من صاحبكم علما او فضلا وجلالة قدر فان ابيتم ذلك فها انا ادلكم على من هو اعظم
قدرا واجل خطرا واكثر اتباعا واقدم عصرا وهو محمد بن عبد الله نبينا ونبيكم صلى الله عليه وسلم ورسول الله الينا واليكم
فتعالوا فهذه سنته موجودة في دفاتر الاسلام ودواوينه التي تلقتها جميع هذه الامة قرنا بعد قرن
وعصرا بعد عصر وهذا كتاب ربنا خالق الكل ورازق الكل وموجد الكل بين اظهرنا موجود في كل
بيت وبيد كل مسلم لم يلحقه تغيير ولا تبديل ولا زيادة ولا نقص ولا تحريف ولا تصحيف ونحن وانتم ممن يفهم
الفاظه ويتعقل معانيه فتعالوا لناخذ الحق من معدنه ونشرب صفو الماء من منبعه فهو خير مما وجدتم
عليه اباءكم قالوا لا سمع ولا طاعة اما بلسان القال او بلسان الحال فتدبر هذا وتامله ان بقي فيك
بقية من انصاف وشعبة من خير ومزعة من حياء وحصة من دين ولا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم وقد اوضحت هذا غاية الايضاح في كتابي الذي سميته ادب الطلب ومنتهى الارب
وقد اوضح حافظ ابن القيم في اعلام الموقعين عن رب العالمين فارجع اليهما ان رمت ان تنجلي
عنك ظلمات التعصب وتتقشع لك سحائب التقليد فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وذلك الانتقام ما اوقعه
الله بقوم نوح وعاد وثمود بما استحقوه على اصرارهم على التقليد فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الْمُكَذِّبِينَ للانبياء من تلك الامم فان اثارهم موجودة ولا تكترث بتكذيب قومك لك ثم لما بين
في الاية المتقدمة انه ليس لاولئك الكفار داع يدعوهم الى تلك الاقاويل الباطلة الا تقليد الاباء
والاسلاف وبين انه طريق باطل ومنهج فاسد وان الرجوع الى الدليل اولى من الاعتماد على التقليد
اردفه بهذه الاية وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ اي الذي هو اعظم ابائهم ومحط فخرهم والمجمع على محبته
وحقية دينه منهم ومن غيرهم لِأَبِيهِ اي واذكر لهم وقت قوله لابيه من غير ان يقلده كما قلدتم
انتم اباءكم وَقَوْمِهِ اي الذين قلدوا اباءهم وعبدوا الاصنام إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ تبرءهم مما هم
عليه وتمسك بالبرهان ليسلكوا مسلكه في الاستدلال والبراء مصدر نعت به للمبالغة وهو
يستعمل للواحد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث وقال الجوهري وتبرأت من كذا وانا منه براء وخلاء
لا يثنى ولا يجمع لانه مصدر في الاصل وبه قال الكسائي والمبرد والزجاج ثم استثنى خالقه من البراءة فقال
إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي اي خلقني والاستثناء منقطع اي لكن الذي فطرني او متصل من عموم ما لانهم

كانوا يعبدون الله والاصنام او الاصفة بمعنى غير وما نكرة موصوفة قاله الزمخشري فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ
اي سيرشدني لدينه ويوفقني لطاعته ويثبتني على الحق واخبار بانه سيهديه جزما لثقته بالله
سبحانه وقوة يقينه والاوجه ان السين للتاكيد دون التسويف وصيغة المضارع للدلالة على
الاستمرار وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ الضمير في جعلها عائد الى قوله الا الذي فطرني وهي بمعنى
التوحيد كانه قال وجعل كلمة التوحيد باقية في عقب ابراهيم وهم ذريته فلا يزال فيهم من
يوحد الله وفاعل جعلها ابراهيم وذلك حيث وصاهم بالتوحيد وامرهم ان يدينوا به كما في قوله
ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب الاية وقيل الفاعل هو الله عز وجل اي وجعل الله سبحانه كلمة
التوحيد باقية في عقب ابراهيم والعقب من بعد قال مجاهد وقتادة الكلمة لا اله الا الله لا يزال
من عقبه من يعبد الله الى يوم القيامة ويوحده ويدعو الى توحيده وقال عكرمة هي الاسلام قال
ابن زيد الكلمة هي قوله اسلمت لرب العالمين قال ابن عباس كلمة باقية لا اله الا الله في عقب
ابراهيم ولده لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ تعليل للجعل اي جعلها باقية رجاء ان يرجع اليها من يشرك منهم
بدعاء من يوحد وقيل الضمير في لعلهم يرجع الى اهل مكة اي لعل اهلها يرجعون الى دينك الذي
هو دين ابراهيم وقيل في الكلام تقديم وتاخير والتقدير فانه سيهدين لعلهم يرجعون وجعلها
قال السدي لعلهم يتوبون فيرجعون عما هم عليه الى عبادة الله قال الرازي في تفسيره والمقصود
من هذه الاية ذكر وجه اخر يدل على فساد القول بالتقليد وتقريره من وجهين الاول انه تعالى حكى
عن ابراهيم عليه السلام انه تبرء عن دين ابائه بناء على الدليل فنقول اما ان يكون تقليد الاباء
في الاديان محرما او جائزا فان كان محرما فقد بطل القول بالتقليد وان كان جائزا فمعلوم ان
اشرف اباء العرب هو ابراهيم عليه السلام وذلك لانه ليس لهم فخر ولا شرف الا بانهم من اولاده واذا كان
كذلك فتقليد هذا الاب الذي هو اشرف الاباء اولى من تقليد سائر الاباء واذا ثبت ان تقليده اولى
من تقليد غيره فنقول انه ترك دين الاباء وحكم بان اتباع الدليل اولى من متابعة الاباء واذا
كان كذلك وجب تقليده في ترك تقليد الاباء ووجب تقليده في ترجيح الدليل على التقليد واذا ثبت
هذا فنقول فقد ظهر ان القول بوجوب التقليد يوجب المنع من التقليد وما افضى ثبوته
الى نفيه كان باطلا فوجب ان يكون القول بالتقليد باطلا فهذا طريق دقيق في ابطال التقليد

وهو المراد من هذه الاية الوجه الثاني في بيان ان ترك التقليد والرجوع الى متابعة الدليل اولى
في الدنيا والدين انه تعالى بين ان ابراهيم عليه السلام لما عدل عن طريقة ابيه الى متابعة الدليل
لا جرم جعل الله دينه ومذهبه باقيا في عقبه الى يوم القيامة واما اديان اٰبائه فقد اندرست
وبطلت فثبت ان الرجوع الى متابعة الدليل يبقى محمود الاثر الى قيام الساعة وان التقليد والاصرار
ينقطع اثره ولا يبقى منه في الدنيا خبر ولا اثر فثبت من هذين الوجهين ان متابعة الدليل وترك
التقليد اولى فهذا بيان المقصود الاصلي من هذه الاية انتهى ثم ذكر سبحانه نعمته على قريش و
من وافقهم من الكفار المعاصرين له فقال بَلْ مَتَّعْتُ هٰؤُلَاءِ اي اهل مكة عقب ابراهيم وَاٰبَاءَهُمْ
اضرب سبحانه عن الكلام الاول الى ذكر ما متعهم به من الانفس والاهل والاموال والمد في الاعمار
وانواع النعم وسلامة الابدان من البلايا والنقم وما متع به اٰباءهم ولم يعاجلهم بالعقوبة فاغتروا
بالمهلة واكبوا على الشهوات وشغلوا بالتنعم عن كلمة التوحيد وبطروا وتمادوا على الباطل حَتّٰى جَاءَهُمُ
الْحَقُّ يعني القران وَرَسُوْلٌ مُّبِيْنٌ يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ظاهر الرسالة واضحها او مبين لهم ما يحتاجون
اليه من امر الدين فلم يجيبوه ولم يعملوا بما انزل عليه وفي هذه الغاية خفاء بينه في الكشاف وشروحه
وهو ان ما ذكر ليس غاية للتمتيع اذ لا مناسبة بينهما مع ان مخالفة ما بعدها لما قبلها غير مرعي فيها
والجواب ان المراد بالتمتيع ما هو سببه من اشتغالهم به عن شكر المنعم فكانه قال اشتغلوا به حتى
جاءهم الحق ورسول مبين وهو غاية في نفس الامر لانه مما ينبههم ويزجرهم لكنهم لطغيانهم عكسوا
فهو كقوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة افاده الشهاب ثم بين
سبحانه ما صنعوه عند مجيء الحق فقال وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوْا هٰذَا سِحْرٌ وَّاِنَّا بِهٖ كٰفِرُوْنَ
اي جاحدون فسموا القران سحرا وجحدوه واستحقروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجه النظم انهم
لما عولوا على تقليد الاٰباء والاسلاف لم يتفكروا في الدليل واغتروا بطول الامهال وامتاع
الله اياهم بنعيم الدنيا فاعرضوا عن الحق والغرض بهذا الكلام توبيخ المقلد المسيء وَقَالُوْا متحكمين
بالباطل لَوْلَا هلا نُزِّلَ هٰذَا الْقُرْاٰنُ عَلٰى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيْمٍ اي رجل عظيم من احد
القريتين كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان اي من احدهما والمراد بهما مكة والطائف قاله ابن
عباس وبالرجلين الوليد بن المغيرة من مكة وعروة بن مسعود الثقفي من الطائف كذا قال قتادة

وغيرهم قال مجاهد وغيره عتبة بن ربيعة من مكة و عمير بن عبد ياليل الثقفي من الطائف وقال
ابن عباس عمير بن مسعود وخيار قريش وقال ايضا العظيم الوليد بن المغيرة القرشي وحبيب
بن عمير الثقفي وعنه قال يعنون اشرف من محمد الوليد بن المغيرة من اهل مكة ومسعود الثقفي
من اهل طائف وقيل غير ذلك وظاهر النظم ان المراد رجل من احدى القريتين عظيم الجاه واسع المال
مسود في قومه والمعنى انه لو كان قرآنا لنزل على رجل من عظماء القريتين فهو لاء المساكين قالوا
منصب رسالة الله منصب شريف فلا يليق الا برجل شريف وقد صدقوا في ذلك الا انهم ضموا اليه
مقدمة فاسدة وهي ان الرجل الشريف عندهم هو الذي يكون كثير المال والجاه ومحمد صلى الله عليه وسلم
ليس كذلك فاجاب الله سبحانه عنهم بقوله أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ يعني النبوة او ما هو اعم منها
والاستفهام للانكار المستقل بالتجهيل والتعجيب من تحكمهم في اختيار من يصلح للنبوة وترسم هذه
التاء مجرورة اتباعا للرسم المصحف الامام كما نص عليه ابن الجزري ثم بين انه سبحانه هو الذي قسم بينهم
ما يعيشون به من امور الدنيا فقال نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا اي نحن
اوقعنا هذا التفاوت بين العباد فجعلنا هذا غنيا وهذا فقيرا وهذا مالكا وهذا مملوكا وهذا قويا وهذا ضعيفا
ولم نفوض ذلك اليهم وليس لاحد من العباد ان يتحكم في شئ بل الحكم لله وحده واذا كان الله سبحانه
هو الذي قسم بينهم ارزاقهم فكيف لا يقنعون بقسمته في امر النبوة وتفويضها الى من يشاء
من خلقه قال مقاتل يقول أبأيديهم مفاتيح الرسالة فيضعونها حيث شاؤا وقرأ الجمهور معيشتهم
بالافراد وقرأ ابن عباس ومجاهد وابن محيصن معايشهم بالجمع وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ
دَرَجَاتٍ انه فاضل بينهم فجعل بعضهم افضل من بعض في الدنيا بالرزق والرياسة والقوة
والحرية والعقل والعلم ثم ذكر العلة لرفع درجات بعضهم على بعض فقال لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا
سُخْرِيًّا اي ليستخدم بعضهم بعضا فيستخدم الغني الفقير والرئيس المرؤس والقوي الضعيف و
الحر العبد والعاقل من هو دونه في العقل والعالم الجاهل وهذا في غالب احوال الدنيا وبه تتم مصالحهم
وينتظم معاشهم ويصل كل واحد منهم الى مطلوبه فان كل صناعة دنياوية يحسنها قوم دون
آخرين فجعل البعض محتاجا الى البعض لتحصل المواساة بينهم في متاع الدنيا ويحتاج هذا الى هذا
ويصنع هذا لهذا ويعطي هذا هذا قال السدي وابن زيد سخريا خولا وخدما يسخر الاغنياء الفقراء

فيكون بعضهم سببا لمعاش بعض وقال قتادة والضحاك ليملك بعضهم بعضا وقيل هو من السخرية التي بمعنى الاستهزاء قال الاخفش سخرت به وسخرت منه وضحكت به وضحكت منه وهزئت منه وهزئت به وهذا وان كان مطابقا للمعنى اللغوي ولكنه بعيد من معنى القران ومناف لما هو مقصود السياق وعلى هذا القول تكون اللام للصيرورة والعاقبة لا للعلة والسببية وَرَحْمَتُ رَبِّكَ يعني بالرحمة ما اعده الله لعباده الصالحين في الدار الاخرة وقيل هي النبوة لانها المرادة بالرحمة المتقدمة في قوله اهم يقسمون رحمة ربك ولا مانع من ان يراد كل ما يطلق عليه اسم الرحمة اما شمولا او بدلا خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ اي مما يجمعونه من الاموال وسائر متاع الدنيا لان الدنيا على شرف الزوال والانقراض وفضل الله ورحمته تبقى ابد الابدين ثم بين سبحانه حقارة الدنيا عنده فقال وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً اي لولا ان يجتمعوا على الكفر ميلا الى الدنيا وزخرفها او يرغبوا فيه اذا رأوا الكفار في سعة وتنعم لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ جمع الضمير في بيوتهم وافرده في يكفر باعتبار معنى من ولفظها ولبيوتهم بدل اشتمال من الموصول واللام للاختصاص والسقف جمع سقف قرأ الجمهور بضم السين والقاف كرهن ورهن قال ابو عبيدة ولا ثالث لهما وقال الفراء هو جمع سقيف نحو كثيب وكثب ورغيف ورغف وقيل هو جمع سقوف فيكون جمع الجمع وقرئ بفتح السين واسكان القاف على الافراد ومعناه الجمع لكونه الجنس قال الحسن معنى الاية لولا ان يكفر الناس جميعا بسبب ميلهم الى الدنيا وتركهم الاخرة لاعطيناهم في الدنيا ما وصفناه لهوان الدنيا عندنا وقال بهذا اكثر المفسرين وقال ابن زيد لولا ان يكون الناس امة واحدة في طلب الدنيا واختيارهم لها على الاخرة وقال الكسائي المعنى لولا ان يكون في الكفار غني وفقير وفي المسلمين مثل ذلك لاعطينا الكفار من الدنيا لهوانها وَمَعَارِجَ كالدرج من فضة جمع معرج بفتح الميم وكسرها وسميت المصاعد من الدرج المعارج لان المشي عليها مثل مشي الاعرج ومعاريج جمع معراج والمعراج السلم وهي لغة بعض تميم وهذا كمفاتح جمع مفتح ومفاتيح جمع مفتاح قال الاخفش ان شئت جعلت الواحدة معرج ومعرج مثل مرقاة ومرقاة والمعنى جعلنا لهم معارج من فضة عَلَيْهَا اي على المعارج يَظْهَرُونَ يرتقون ويصعدون يقال ظهرت على البيت اي علوت سطحه وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا اي وجعلنا لبيوتهم ابوابا من فضة وسررا من فضة وتكرير لفظ

البيوت لزيادة التقرير ﴿عَلَيْهَا﴾ اي على السرر وهو جمع سرير وقيل جمع اسرة فيكون جمعا للجمع
﴿يَتَّكِئُونَ﴾ الاتكاء والتوكؤ التحامل على الشيء ومنه اتوكأ عليها واتكأ على الشيء فهو متكئ والموضع متكأ
﴿وَزُخْرُفًا﴾ اي وجعلنا لهم زخرفا يجعلونه في السقف والمعارج والابواب والسرر ليكون بعض كل
منها من فضة وبعضه من ذهب لانه ابلغ في الزينة وقيل النصب بنزع الخافض اي ابوابا وسررا من
فضة ومن ذهب فلما حذف الخافض انتصب والزخرف الذهب وقيل الزينة اعم من ان يكون ذهبا
او غيره قال ابن زيد هو ما يتخذه الناس في منازلهم من الامتعة والاثاث وقال الحسن النقوش واصله
الزينة يقال زخرفت الدار زينتها وتزخرف فلان اي تزين قال ابن عباس في الاية يقول لولا ان
نفعل الناس كلهم كفارا لجعلنا لبيوت الكفار سقفا من فضة ومعارج من فضة وهي درج عليها
يصعدون الى الغرف وسرر فضة وزخرفا وهو الذهب واخرج الترمذي وصححه وابن ماجة عن سهل
بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها
شربة ماء وعن المستورد بن شداد قال كنت في الركب الذين وقفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على السخلة
الميتة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اترون هذه هانت على اهلها حين القوها قالوا من هوانها القوها
يا رسول الله قال فان الدنيا اهون على الله من هذه الشاة على اهلها اخرجه الترمذي وحسنه
وعن قتادة بن النعمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا احب الله عبدا حماه من الدنيا كما يظل احدكم
يحمي سقيمه الماء اخرجه الترمذي وقال حسن غريب وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر اخرجه مسلم قال البقاعي ولا يبعد ان يكون ما صار اليه الفسقة
والجبابرة من زخرفة الابنية وتذهيب السقوف وغيرها من مبادي الفتنة بان يكون الناس
امة واحدة في الكفر قرب الساعة حتى لا تقوم الساعة على من يقول الله او في زمن الدجال لان من يبقى
اذ ذاك على الحق في غاية القلة بحيث انه لا عدد له في جانب الكفرة لان كلام الملوك لا يخلو عن
حقيقة وان خرج مخرج الشرط فكيف بملك الملوك سبحانه ثم اخبر سبحانه ان جميع ذلك انما يتمتع
به في الدنيا فقال ﴿وَإِنْ كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ قرأ الجمهور لما بالتخفيف وقرئ بالتشديد
فعلى الاول ان هي المخففة من الثقيلة وعلى الثانية هي النافية ولما بمعنى الا اي ما كل ذلك الا ما يتمتع
به في الدنيا وقرئ بكسر اللام من لما على ان اللام للعلة وما موصولة والعائد محذوف اي للذي هو

النصف ع

متاع وَالْآخِرَةُ اي الجنة عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ اي لمن اتقى الشرك والمعاصي وآمن بالله وحده وعمل
بطاعته وترك الدنيا وآثر الآخرة فانها الباقية التي لا تفنى ونعيمها الدائم الذي لا ينقطع وَمَنْ
يَعْشُ يقال عشوت الى النار قصدتها وعشوت عنها اي اعرضت عنها كما تقول عدلت الى فلان و
عدلت عنه اي ملت اليه وملت عنه كذا قال الفراء والزجاج وابو الهيثم والازهري وقال الخليل العشو
النظر الضعيف وقال ابو عبيدة والاخفش ان معنى ومن يعش ومن تظلم عينه وهو نحو قول الخليل
وهذا على قراءة الجمهور من يعش بضم الشين من عشا يعشو وقرئ بفتح الشين يقال عشي الرجل
يعشى عشيا اذا عمي وقال الجوهري العشا مقصور مصدر الاعشى وهو الذي لا يبصر بالليل ويبصر
بالنهار والمرأة عشواء وقرئ يعشو بالواو على ان من موصولة غير متضمنة معنى الشرط والمعنى و
من يعرض ويتعامى ويتجاهل ويتغافل عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ ولم يخف عقابه ولم يرد ثوابه وقيل يول
ظهره عن القرآن نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا قرأ الجمهور بالنون وقرئ بالتحتية مبنيا للفاعل وقرأ ابن عباس
بالتحتية مبنيا للمفعول ورفع شيطان على النيابة والمعنى نسبب له جزاء على كفره شيطانا فَهُوَ
لَهُ قَرِينٌ اي ملازم له في الدنيا يمنعه من الحلال ويبعثه على الحرام وينهاه عن الطاعة و
يأمره بالمعصية ولا يفارقه وقيل في الآخرة اذا قام من قبره قاله سعيد الجريري وقيل فيهما قال
القشيري وهو الصحيح او هو ملازم للشيطان لا يفارقه بل يتبعه في جميع اموره ويطيعه في
كل ما يوسوس به اليه وقال الزجاج معنى الآية ان من اعرض عن القرآن وما فيه من الحكم الى اباطيل
المضلين يعاقبه الله بشيطان يقيضه له حتى يضله ويلازمه قرينا فلا يهتدي مجازاة له حين
آثر الباطل على الحق البين اخرج ابن ابي حاتم عن محمد بن عثمان المخزومي ان قريشا قالت قيضوا لكل
رجل من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم رجلا ياخذه فقيضوا لابي بكر طلحة بن عبيد الله فاتاه وهو في
القوم فقال ابو بكر الى ما تدعوني قال ادعوك الى عبادة اللات والعزى قال ابو بكر وما اللات قال اولاد
الله قال وما العزى قال بنات الله قال ابو بكر فمن امهم فسكت طلحة فلم يجبه فقال لاصحابه اجيبوا
الرجل فسكت القوم فقال طلحة قم يا ابا بكر اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فانزل الله
هذه الآية وثبت في صحيح مسلم وغيره ان مع كل مسلم قرينا من الجن وَإِنَّهُمْ اي وان الشياطين
الذين يقيضهم الله لكل احد ممن يعشو عن ذكر الرحمن كما هو معنى من لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ

اي يحولون بينهم وبين سبيل الحق ويمنعونهم منه ويوسوسون لهم انهم على الهدى حتى يظنوا صدق مايوسوسون به وهو معنى قوله ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ﴾ اي يحسب الكفار ان الشياطين ﴿مُهْتَدُونَ﴾ فيطيعونهم او يحسب الكفار بسبب تلك الوسوسة انهم في انفسهم مهتدون وصيغة المضارع في الافعال الاربعة للدلالة على الاستمرار التجددي لقوله ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا﴾ فان حتى وان كانت ابتدائية داخلة على الجملة الشرطية لكنها تقتضي حتما ان تكون غاية لامر ممتد كما مر مرارا قاله ابو السعود قرئ جاءنا بالافراد اي الكافر او جاء كل واحد منهما وقرأ الجمهور بالتثنية اي الكافر والشيطان المقارن له ﴿قَالَ﴾ الكافر مخاطبا للشيطان ﴿يَا لَيْتَ﴾ كان في الدنيا ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ اي بعد مابين المشرق والمغرب فغلب المشرق على المغرب قال مقاتل يتمنى الكافر ان بينهما بعد مشرق اول يوم في السنة من مشرق اقصر يوم في السنة والاول اولى وبه قال الفراء ﴿فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾ اي انت ايها الشيطان ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ﴾ هذا حكاية لما سيقال لهم يوم القيامة ﴿إِذ ظَّلَمْتُمْ﴾ اي لاجل ظلمكم انفسكم في الدنيا وقيل ان اذ بدل من اليوم لانه تبين في ذلك اليوم انهم ظلموا انفسهم في الدنيا ﴿أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ قرأ الجمهور بفتح ان على انها وما بعدها في محل رفع على الفاعلية اي لن ينفعكم اليوم اشتراككم في العذاب قال المفسرين لايخفف عنهم بسبب الاشتراك شيء من العذاب لان لكل احد من الكفار والشياطين الحظ الاوفر منه وقيل انها للتعليل لنفي النفع اي لن ينفعكم الاعتذار والندم اليوم فانتم وقرناؤكم اليوم مشتركون في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه في الدنيا ويقوي هذا المعنى قراءة ان بالكسر ثم ذكر سبحانه انه لاتنفع الدعوة والوعظ من سبقت له الشقاوة فقال ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ﴾ الهمزة للانكار التعجبي اي ليس لك ذلك فلا يضيق صدرك ان كفروا وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم واخبار له بانه لايقدر على ذلك الا الله عز وجل ﴿وَمَن كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ عطف على العمي للتغاير العنواني والا فالمصداق واحد اي انك لاتهدي من كان كذلك ومعنى الاية ان هؤلاء الكفار بمنزلة الصم الذين لايعقلون ما جئت به وبمنزلة العمي الذين لايبصرون لافراطهم في الضلالة وتمكنهم من الجهالة ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾ بالموت قبل ان ننزل بهم العذاب وقيل المعنى نخرجنك من مكة ﴿فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾ اما في الدنيا او في الآخرة قال علي كرم الله وجهه ذهب الله بنبيه صلى الله عليه وسلم وبقيت النقمة في عدوه

أو نرينك الذي وعدناهم من العذاب قبل موتك فإنا عليهم مقتدرون متى شئنا عذبناهم
قال كثير من المفسرين قد أراه الله ذلك يوم بدر وبه قال ابن عباس وقال الحسن وقتادة هي
في أهل الإسلام يريد ما كان بعد النبي صلى الله عليه وسلم من الفتن وقد كان بعد النبي صلى الله عليه وسلم فتنة
شديدة فأكرم الله نبيه صلى الله عليه وسلم وذهب به فلم يره في أمته شيئاً من ذلك والأول أولى فاستمسك
بالذي أوحي إليك من القرآن وإن كذب به من كذب إنك على صراط مستقيم أي طريق
واضح تعليل للاستمساك أو للأمر به وإنه أي وإن القرآن لذكر لك ولقومك أي شرف
ولقريش إذ نزل عليك وأنت منهم بلغتك ولغتهم ومثله قوله لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم
وقيل بيان لك ولأمتك فيما لكم حاجة وقيل تذكرة تذكرون بها أمر الدين وتعملون به وعن علي
وابن عباس قالا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على القبائل بمكة ويعدهم الظهور فإذا قالوا
لمن الملك بعدك أمسك فلم يجبهم بشيء لأنه لم يؤمر في ذلك بشيء حتى نزلت وإنه لذكر لك و
لقومك فكان إذا سئل بعد قال لقريش فلا يجيبوه حتى قبلته الأنصار على ذلك وعن ابن عمر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان أخرجه الشيخان وعن
معاوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا أكبه الله تعالى
على وجهه ما أقاموا الدين أخرجه البخاري وسوف تسألون عما جعله الله لكم من الشرف كذا
قال الزجاج والكلبي وغيرهما وقيل يسألون عما يلزمهم من القيام بما فيه والعمل به وعن تعظيمهم له
وشكرهم لهذه النعمة يوم القيامة واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون
الرحمن أي غيره آلهة يعبدون قال الزهري وسعيد بن جبير وابن زيد أن جبريل قال
ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم لما أسري به فالمراد سؤال الأنبياء في ذلك الوقت عند ملاقاته لهم وبه
قال جماعة من السلف وقال المبرد والزجاج وجماعة من العلماء إن المعنى واسأل أمم من قد
أرسلنا وبه قال ابن عباس ومجاهد والسدي والضحاك وقتادة وعطاء والحسن وفائدة
إيقاع السؤال على الرسل مع أن المراد أممهم التنبيه على أن المسئول عنه عين ما نطقت به
ألسنة الرسل لا ما تقوله علماؤهم من تلقاء أنفسهم وعلى الأول هي مكية وعلى الثاني مدنية
ومعنى الآية على القولين سؤالهم هل أذن الله بعبادة الأوثان في ملة من الملل وهل سوغ ذلك .

ع ١٠

لاحد منهم والمقصود تقريع مشركي قريش بان ما هم عليه لم يأت في شريعة من الشرائع
وقيل ليس المراد بسؤال الرسل حقيقة السؤال ولكنه مجاز عن النظر في اديانهم والفحص عن مللهم هل
جاءت عبادة الاوثان قط في ملة من ملل الانبياء وكفاه فحصا ونظرا نظره في كتاب الله المعجز المصدق
لما بين يديه واخبار الله فيه بانهم يعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وهذه الآية في نفسها
كافية لا حاجة الى غيرها والله اعلم ولما اعلم الله سبحانه نبيه ﷺ بانه منتقم له من عدوه وذكر اتفاق الانبياء على
التوحيد اتبعه بذكر قصة موسى وفرعون وبيان ما نزل بفرعون وقومه من النقمة فقال ولقد
ارسلنا موسى باياتنا التسع التي تقدم بيانها الى فرعون وملائه اي القبط فقال اني رسول رب
العالمين ارسلني اليكم فلما جاءهم باياتنا وهو مطالبتهم اياه باحضار البينة على دعواه وابراز
الآية اذا هم منها يضحكون استهزاء وسخرية وجواب لما هو اذا الفجائية لان التقدير فاجؤوا وقت
ضحكهم وما نريهم من آية الا هي اكبر من اختها اي كل واحدة من آيات موسى اكبر مما قبلها و
اعظم قدرا مع كون التي قبلها عظيمة في نفسها وقيل المراد بهذا الكلام انهن موصوفات بالكبر لا
يكدن يتفاوتن فيه وعليه كلام الناس هما اخوان كل واحد منهما اكبر من الآخر وقيل المعنى ان الاولى
تقتضي علما والثانية تقتضي علما فاذا ضمت الثانية الى الاولى ازداد الوضوح ومعنى الاخوة بين الآيات
انها متشاكلة متناسبة في دلالتها على صحة نبوة موسى كما يقال هذه صاحبة هذه اي هما قرينتان في
المعنى وقيل المعنى ان كل واحدة من الآيات اذا انفردت ظن الظان انها اكبر من سائر الآيات واخذناهم
بسبب تكذيبهم بتلك الآيات بالعذاب اي بالسنين والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم
والطمس كما قال تعالى ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين الآية ثم بين سبحانه ان العلة في اخذه لهم بالعذاب
هو رجاء رجوعهم فقال لعلهم يرجعون اي لكي يرجعوا عن الكفر الى الايمان ولما عاينوا ما جاءهم به
من الآيات البينات والدلالات الواضحات ظنوا ان ذلك من قبيل السحر وقالوا يا ايه الساحر وكانوا يسمون
العلماء سحرة ويوقرون السحرة ويعظمونهم ولم يكن السحر صفة ذم عندهم قال الزجاج خاطبوه بما
تقدم له عندهم من التسمية بالساحر او نادوه بذلك في تلك الحال لشدة شكيمتهم وفرط حماقتهم
والاظهر ان النداء كان باسمه العلم كما في الاعراف في قوله قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لكن
حكى الله سبحانه هنا كلامهم لا بعبارتهم بل على وفق ما اضمرته قلوبهم من اعتقادهم انه ساحر فلا تقتضيه

مقام التسلية فالك فان قريشا سموه ساحرا وسموا ما اتى به سحرا فادة للكرخي والمعنى ادع الله بما اخبرنا من عهده اليك انا اذا امنا كشف عنا العذاب الذي نزل بنا انّنا لمهتدون اي فنحن مهتدون فيما يستقبل من الزمان ومؤمنون بما جئت به فلمّا كشفنا عنهم العذاب في الكلام حذف والتقدير فدعا موسى ربه فكشف عنهم العذاب فلما كشف عنهم العذاب اذا هم ينكثون فاجئوا نكثهم للعهد الذي جعلوه على انفسهم من الاهتداء والنكث النقض وكانوا ينقضونه في كل مرة من مرات العذاب ونادى فرعون افتخارا في قومه قيل لما رأى تلك الآيات خاف ميل القوم الى موسى فجمعهم ونادى بصوته فيما بينهم او امر مناديا ينادي بقوله قال يقوم اليس لي ملك مصر لا ينازعني فيه احد ولا يخالفني فيه مخالف وهذه الانهار تجري من تحتي اي والحال ان الانهار تجري من تحت قصري والمراد انهار النيل وقال قتادة المعنى تجري بين يدي وفي بساتيني قال الحسن تجري بامري اي تجري تحت امري وقال الضحاك اراد بالانهار القواد والرؤساء والجبابرة وانهم يسيرون تحت لوائه وقيل اراد بالانهار الاموال والاول اولى افلا تبصرون ذلك وتستدلون به على قوة ملكي وعظم قدري وضعف موسى عن مقاومتي وعن الرشيد انه لما قرأها قال لاولينها اخس عبيدي فولاها الخصيب وكان خادمه على وضوئه وعن عبد الله بن طاهر انه وليها فخرج اليها فلما شارفها قال اهي القرية التي افتخر بها فرعون حتى قال اليس لي ملك مصر والله لهي اقل عندي من ان ادخلها فثنى عنانه ام انا خير ام هي المنقطعة المقدرة ببل التي للاضراب دون الهمزة التي للانكار اي بل انا خير قال ابو عبيدة ام بمعنى بل والمعنى قال فرعون لقومه بل انا خير وقال الفراء ان شئت جعلتها من الاستفهام الذي جعل بام لاتصاله بكلام قبله وقيل هي زائدة وحكى ابو زيد عن العرب انهم يجعلون ام زائدة والمعنى انا خير من هذا وقال الاخفش في الكلام حذف والمعنى افلا تبصرون ام تبصرون ثم ابتدى فقال انا خير وروي عن الخليل وسيبويه نحو قول الاخفش ويؤيد هذا ان عيسى الثقفي ويعقوب الحضرمي وقفا على ام على تقدير ام تبصرون فحذف لدلالة الاول عليه وعلى هذا فتكون ام متصلة لا منقطعة والاول اولى وحكى الفراء ان بعض القراء قرأ اما انا خير اي الست خيرا من هذا الذي هو مهين اي ضعيف حقير ممتهن في نفسه لا عز له لانه يتعاطى اموره بنفسه وليس له ملك

ولا قوة يجري بها نهرا او ينفذ بها امرا وَلَا يَكَادُ يُبِينُ الكلام لما في لسانه من العقدة وقد تقدم بيانه
في سورة طه قال ابن عباس في الآية كانت بموسى لثغة في لسانه واللثغة بالضم ان تصير الراء
غينا ولاما او السين ثاء وقد لثغ من باب طرب فهو ألثغ وقيل المعنى لا يكاد يبين حجته التي
تدل على صدقه فيما يدعي ولم يرد به انه لا قدرة له على الكلام والاول اولى فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ
من عند مرسله الذي يدعي انه الملك بالحقيقة أَسْوِرَةٌ جمع سوار وبها قرأ حفص وقرأ
الجمهور اساورة جمع اسورة جمع سوار وقال ابو عمرو بن العلاء واحد الاساورة والاساور
والاساوير اسوار وهي لغة في سوار وقرأ ابي اساور وابن مسعود اساوير قال مجاهد كانوا اذا سوّدوا
رجلا سوّروه بسوارين وطوّقوه بطوق ذهب علامة لسيادته ارادوا بالقاء الاسورة عليه
القاء مقاليد الملك اليه اي فهلا حلي باسورة مِنْ ذَهَبٍ ان كان عظيما مقدما سيدا
أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ اي هلا جاء معه الملائكة متتابعين متقارنين ان كان صادقا
يعينونه على امره ويشهدون له بالنبوة يمشون معه فاوهم اللعين قومه ان الرسل لا بد ان يكونوا
على هيئة الجبابرة ومحفوفين بالملائكة فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ اي حملهم على خفة الجهل والسفه بقوله
وكيده واستفزهم بالقول واستزلهم وعمل فيهم كلامه وقيل طلب منهم الخفة في الطاعة وهي
الاسراع قال ابن الاعرابي المعنى فاستجهل قومه فاطاعوه لخفة احلامهم وقلة عقولهم يقال استخفه
الفرح اي ازعجه واستخفه اي حمله ومنه ولا يستخفنك الذين لا يوقنون وقيل استخف قومه اي وجدهم
خفاف العقول وقد استخف بقومه وقهرهم حتى اتبعوه وعززوه وصيغة الاستفعال للوجدان
وفي نسبته الى القوم تجوز فَأَطَاعُوهُ فيما امرهم به وقبلوا قوله وكذبوا موسى إِنَّهُمْ كَانُوا
قَوْمًا فَاسِقِينَ اي خارجين عن طاعة الله فَلَمَّا آسَفُونَا اي اغضبونا قاله المفسرون والاسف الغضب
وقيل اشد الغضب وقيل السخط وقيل المعنى اغضبوا رسلنا قال ابن عباس فلما اسخطونا او اغضبونا
اي بالافراط في الفساد والعصيان انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ ثم بين العذاب الذي وقع به الانتقام فقال
فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ في البحر وانما اهلكوا بالغرق ليكون هلاكهم بما تعززوا به وهو الماء في قوله
وهذه الانهار تجري من تحتي ففيه اشارة الى ان من تعزز بشيء دون الله اهلكه الله به وقد استضعف
اللعين موسى وعابه بالفقر والضعف فسلطه الله تعالى عليه اشارة الى انه ما استضعف احد شيئا الا غلبه افاده القشيري

أخرج أحمد والطبراني والبيهقي في الشعب وابن أبي حاتم عن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا رأيت الله يعطي العبد ما شاء وهو مقيم على معاصيه فإنما ذلك استدراج منه له وقرأ فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين وعن طارق بن شهاب قال كنت عند عبد الله فذكر عنده موت الفجاءة فقال تخفيف على المؤمن وحسرة على الكافر فلما آسفونا انتقمنا منهم فجعلناهم سلفا أي قدوة لمن عمل بعملهم من الكفار في استحقاق العذاب لأجل الاعتبار بهم قرأ الجمهور سلفا بفتح السين واللام جمع سالف كخدم وخادم ورصد وراصد وحرس وحارس يقال سلف يسلف إذا تقدم ومضى قال الفراء والزجاج جعلناهم متقدمين سابقين ليتعظ بهم الآخرون اللاحقون وقرئ سلفا بضم السين واللام قال الفراء هو جمع سليف نحو سرر وسرير وقال أبو حاتم هو جمع سلف نحو خُشُب وخَشَب وقرئ بضم السين وفتح اللام جمع سُلفة وهي الفرقة المتقدمة نحو غرف وغرفة كذا قال النضر بن شميل وقال ابن عباس سلفا أهواء مختلفة ومثلا للآخرين أي عبرة وموعظة لمن يأتي بعدهم أو قصة عجيبة تجري مجرى الأمثال وتسير سير الأقوال ولما قال سبحانه واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون تعلق المشركون بأمر عيسى وقالوا ما يريد محمد صلى الله عليه وسلم إلا أن نتخذه إلها كما اتخذ النصارى عيسى بن مريم فأنزل الله ولما ضرب ابن مريم مثلا كذا قال قتادة ومجاهد وقال الواحدي أكثر المفسرين على أن هذه الآية نزلت في مجادلة ابن الزبعرى مع النبي صلى الله عليه وسلم لما نزل قوله تعالى إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال ابن الزبعرى خصمتك ورب الكعبة أليست النصارى يعبدون المسيح واليهود عزيرا وبنو مليح الملائكة فإن كان هؤلاء في النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم ففرحوا به وضحكوا وارتفعت أصواتهم فأنزل الله إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ونزلت هذه الآية المذكورة هنا وقد مضى هذا في سورة الأنبياء ولا يخفاك أن ما قاله ابن الزبعرى مندفع من أصله وباطل برمته فإن الله سبحانه قال إنكم وما تعبدون ولم يقل ومن تعبدون حتى يدخل في ذلك العقلاء كالمسيح وعزير والملائكة قال الشهاب ابن الزبعرى هو عبد الله الصحابي المشهور وهذه القصة على تقدير صحتها كانت قبل إسلامه إذا قومك يا محمد صلى الله عليه وسلم منه أي من ذلك المثل المضروب يصدون أي يضجون ويصيحون فرحا بذلك المثل المضروب

والمراد بقومه هنا كفار قريش اذ ظنوا انه اراد والمراد النبي صلى الله عليه وسلم به وانما سكت انتظار الوحي قرأ الجمهور يصدون بكسر الصاد وقرئ بضمها وهما سبعيتان قال الكسائي والفراء والزجاج والاخفش هما لغتان ومعناهما يضجون قال الجوهري صد يصد صديداً اي ضج وقيل انه بالضم الاعراض وبالكسر من الضجيج قاله قطرب قال ابو عبيد لو كانت من الصدود عن الحق يقال اذا فرغ عنه يصدون عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقريش انه ليس احد يعبد من دون الله فيه خير قالوا الست تزعم ان عيسى كان نبياً او عبداً من عباد الله صالحاً وقد عبدته النصارى فان كنت صادقاً فانه كآلهتهم فانزل الله ولما ضرب ابن مريم مثلاً الآية قلت وما يصدون قال يضجون وَقَالُوٓا ءَأَالِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَ اي المسيح قال السدي وابن زيد خاصموه وقالوا ان كان كل من عبد من غير الله في النار فنحن نرضى ان تكون آلهتنا مع عيسى وعزير والملائكة وقال قتادة يعنون محمداً صلى الله عليه وسلم اي آلهتنا خير ام محمد صلى الله عليه وسلم ويقوي هذا قراءة ابن مسعود آلهتنا خير ام هذا مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًاۢ اي ما ضربوا لك هذا المثل في عيسى الا ليجادلوك لا لطلب الحق حتى يرجعوا اليه عند ظهوره وبيانه على ان جدلا منتصب على العلة او مجادلين على انه مصدر في موضع الحال وقرئ جدالا بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ اي شديد والخصومة كثيروا اللدد عظيموا الجدل واخرج سعيد بن منصور واحمد وعبد بن حميد والترمذي وصححه وابن ماجه وابن جرير وابن المنذر والطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا اوتوا الجدل ثم تلى هذه الآية وقد ورد في ذم الجدل بالباطل احاديث كثيرة ثم بين سبحانه ان عيسى ليس برب وانما هو عبد من عباده اختصه بنبوته فقال إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ بما اكرمناه به من النبوة وانعمنا عليه برفعة المنزلة والذكر وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ اي آية وعبرة لهم يعرفون به قدرة الله سبحانه فانه كان من غير اب وكان يحيي الموتى ويبرئ الاكمه والابرص وكل مريض باذن الله فمن اين يدخل في قوله انكم وما تعبدون واخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال ان المشركين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ارأيت من يعبد من دون الله اين هم قال في النار قالوا الشمس والقمر قال والشمس والقمر قالوا فعيسى بن مريم قال قال الله ان هو الا عبد انعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني اسرائيل وَلَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَا مِنكُم

مَّلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ الخطاب لقريش اي لو نشاء لاهلكنا كم وجعلنا بدلكم في الارض ملائكة مكرمين يعمرونها ويعبدوننا فيهذا تهديد وتخويف لقريش قال السمين في من هذه اقوال احدها انها بمعنى بدل اي لجعلنا بدلكم ومنه قوله تعالى ارضيتم بالحيوة الدنيا من الاخرة اي بدلها والثاني وهو المشهور انها تبعيضية وتاويل الاية عليه لولدنا منكم يا رجال ملائكة في الارض يخلفونكم كما تخلفكم اولادكم كما ولدنا عيسى من انثى دون ذكر ذكره الزمخشري والثالث انها تبعيضية قال ابو البقاء وقيل المعنى لحولنا بعضكم ملائكة وقال ابن عطية لجعلنا بدلا منكم ومقصود الاية انا لو نشاء لاسكنا الملائكة الارض وليس في اسكاننا اياهم السماء شرف حتى يعبدوا وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ قال مجاهد والضحاك والسدي وقتادة ان المراد المسيح وان خروجه اي نزوله مما يعلم به قيام الساعة اي قربها لكونه شرطا من اشراطها لان الله سبحانه ينزله من السماء قبيل قيام الساعة كما ان خروج الدجال من اعلام الساعة وقال الحسن وسعيد بن جبير المراد القرآن لانه يدل على قرب مجيء الساعة وبه يعلم وقتها واهوالها واحوالها وقيل المعنى ان حدوث المسيح من غير اب واحيائه للموتى دليل على صحة البعث وقيل الضمير لمحمد صلى الله عليه وسلم والاول اولى قال ابن عباس اي خروج عيسى بن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة واخرجه الحاكم وابن مردويه عنه مرفوعا وعن ابي هريرة نحوه اخرجه عبد بن حميد قرأ الجمهور لعلم بصيغة المصدر جعل المسيح علما مبالغة لما يحصل من العلم بحصولها عند نزوله وقرأ جماعة من الصحابة بفتح العين واللام اي خروجه علم من اعلامها وشرط من شروطها وقرئ للعلم بلامين مع فتح العين واللام اي للعلامة التي يعرف بها قيام الساعة فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا اي فلا تشكن في وقوعها ولا تكذبن بها فانها كائنة لا محالة وَاتَّبِعُونِ قرأ الجمهور بحذف الياء وصلا ووقفا وقرئ باثباتها وصلا ووقفا وقرئ بحذفها في الوصل دون الوقف اي اتبعوني فيما امركم به من التوحيد وبطلان الشرك وفرائض الله التي فرضها عليكم هَٰذَا اي الذي امركم به وادعوكم اليه صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ اي طريق قيم موصل الى الحق وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ اي لا تغتروا بوساوسه وشبهه التي يوقعها في قلوبكم فيمنعكم ذلك من اتباعي او من الايمان بالساعة فان الذي دعوتكم اليه هو دين الله الذي اتفق عليه رسله وكتبه ثم علل نهيهم عن ان يصدهم الشيطان ببيان عداوته لهم فقال إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ اي مظهر لعداوته لكم غير متحاش عن ذلك ولا متكتم به كما يدل على ذلك

ماوقع بينه وبين آدم وما الزمه نفسه من اغواء جميع بني آدم الا عباد الله المخلصين وَلَمَّا
جَاۤءَ عِيسَىٰ الى بني اسرائيل بِالْبَيِّنَاتِ اي بالمعجزات الواضحة والشرائع النيرة قال قتادة البينات
ههنا الانجيل قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ اي النبوة وقيل الانجيل وقيل ما يرغب في الجميل ويكف عن القبيح
وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ من احكام التوراة ولم يترك العاطف ليتعلق
بما قبله ليوذن بالاهتمام بالعلة حتى جعلت كانها كلام براسه والبعض هو امر الدين قال قتادة
يعني اختلاف الفرق الذين تحزبوا في امر عيسى قال الزجاج الذي جاء به عيسى في الانجيل انما هو
بعض الذي اختلفوا فيه فبين لهم في غير الانجيل ما احتاجوا اليه وقيل ان بني اسرائيل اختلفوا
بعد موت موسى في اشياء من امر دينهم وقال ابو عبيدة ان بعض هنا بمعنى كل كما في قوله يصبكم
بعض الذي يعدكم وقال مقاتل هو كقوله ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم يعني ما احل في
الانجيل مما كان محرما في التوراة كلحم الابل والشحم من كل حيوان وصيد السمك يوم السبت ثم امرهم
بالتقوى والطاعة فقال فَاتَّقُوا اللَّهَ اي اتقوا معاصيه وَأَطِيعُونِ فيما امركم به من التوحيد و
الشرائع وابلغه عنه إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هذا بيان لما امرهم بان يطيعوه فيه
هَٰذَا اي عبادة الله وحده والعمل بشرائعه صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ وهذا تمام كلام عيسى عليه السلام
او استيناف من الله يدل على ما هو المقتضي للطاعة في ذلك فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ قال مجاهد
والسدي الاحزاب هم اهل الكتاب من اليهود والنصارى وقال الكلبي ومقاتل هم فرق النصارى
اختلفوا في امر عيسى قال قتادة المعنى انهم اختلفوا فيما بينهم وقيل اختلفوا من بين من بعث اليهم من
اليهود والنصارى والاحزاب هي الفرق المتحزبة قيل هم اليعقوبية والنسطورية والملكانية والشمعونية
وهذا مبني على انه بعث بجميع بني اسرائيل فتحزبوا في امره وقيل المراد بالاحزاب الذين تحزبوا على النبي صلى الله
عليه وسلم وكذبوه وهم المرادون بقوله هل ينظرون الا الساعة والاول اولى فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا من
هؤلاء المختلفين وهم الذين اشركوا بالله ولم يعملوا بشرائعه وقالوا في عيسى ما كفروا به مِنْ عَذَابِ
يَوْمٍ أَلِيمٍ اي اليم عذابه وهو يوم القيامة هَلْ يَنظُرُونَ اي هل يترقب وينتظر هؤلاء الاحزاب
او الكفار إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً اي فجاءة وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ اي لا يفطنون بذلك
لاشتغالهم بامر دنياهم وانكارهم لها كقوله تاخذهم وهم يخصمون الْأَخِلَّاۤءُ في الدنيا اي

المتحابون فيها يومئذ اي يوم تاتيهم الساعة بعضهم لبعض عدو اي يعادي بعضهم بعضا لانها قد انقطعت بينهم العلائق واشتغل كل واحد منهم بنفسه ووجدوا تلك الامور التي كانوا فيها اخلاء اسبابا للعذاب فصاروا اعداء ثم استثنى المتقين فقال الا المتقين فانهم اخلاء في الدنيا والاخرة لانهم وجدوا تلك الخلة التي كانت بينهم من اسباب الخير والثواب فبقيت خلتهم على حالها عن علي بن ابي طالب في الاية قال خليلان مؤمنان وخليلان كافران توفي احد المؤمنين فبشر بالجنة فذكر خليله فقال اللهم ان خليلي فلانا كان يامرني بطاعتك وطاعة رسولك ويامرني بالخير وينهاني عن الشر وينبئني اني ملاقيك اللهم لا تضله بعدي حتى تريه ما اريتني وترضى عنه كما رضيت عني فيقال له اذهب فلو تعلم ما له عندي لضحكت كثيرا ولبكيت قليلا ثم يموت الاخر فيجمع بين ارواحهما فيقال ليثن كل واحد منكما على صاحبه فيقول كل واحد منهما لصاحبه نعم الاخ ونعم الصاحب ونعم الخليل واذا مات احد الكافرين بشر بالنار فيذكر خليله فيقول اللهم ان خليلي فلانا كان يامرني بمعصيتك ومعصية رسولك ويامرني بالشر وينهاني عن الخير وينبئني اني غير ملاقيك اللهم فلا تهده بعدي حتى تريه مثل ما اريتني وتسخط عليه كما سخطت علي فيموت الاخر فيجمع بين ارواحهما فيقال ليثن كل واحد منكما على صاحبه فيقول كل لصاحبه بئس الاخ وبئس الصاحب وبئس الخليل اخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد وحميد بن زنجويه في ترغيبه وابن جرير والبيهقي وابن مردويه وابن ابي حاتم يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون اي يقال لهؤلاء المتقين المتحابين في الله بهذه المقالة تشريفا لهم وتطييبا لقلوبهم فيذهب عند ذلك خوفهم ويرتفع حزنهم الذين امنوا باياتنا وكانوا مسلمين لله منقادين له مخلصين في امر الدين ادخلوا الجنة اي يقال لهم ذلك قال مقاتل اذا وقع الخوف يوم القيامة نادى مناد يا عبادي لا خوف عليكم فاذا سمعوا النداء رفع الخلائق رؤسهم فيقال الذين امنوا باياتنا وكانوا مسلمين فينكس اهل الاوثان رؤسهم غير المسلمين ادخلوا الجنة انتم وازواجكم المراد بها نساؤهم المؤمنات وقيل قرناؤهم من المؤمنين وقيل زوجاتهم من الحور العين تحبرون تكرمون او تنعمون او تفرحون او تسرون او تعجبون او تلذذون بالسماع والاولى تفسير ذلك بالفرح والسرور الناشئين عن الكرامة والنعمة اذا هم باربعة امور الاول نفي الخوف الثاني نفي الحزن الثالث الامر بدخول الجنة والرابع البشارة بالسرور يطاف عليهم بصحاف من ذهب جمع صحفة وهي القصعة

الواسعة العريضة قال الكسائي اعظم القصاع الجفنة ثم القصعة وهي تشبع عشرة ثم الصحفة وهي تشبع الخمسة ثم المكيلة وهي تشبع الرجلين او الثلاثة والمعنى ان لهم في الجنة اطعمة يطاف عليهم بها في صحاف الذهب **وَأَكْوَابٍ** اي ولهم فيها اشربة يطاف عليهم بها في الاكواب وهي جمع كوب قال الجوهري الكوب كوز لا عروة له والجمع اكواب قال قتادة الكوب المدور القصير العنق القصير العروة والابريق المستطيل العنق الطويل العروة وقال الاخفش الاكواب الاباريق التي لا خراطيم لها وقال قطرب هي الاباريق التي ليست لها عرى والعروة ما يمسك منه ويسمى اذنا قال ابن عباس الاكواب الجرار من الفضة **وَفِيهَا** اي في الجنة **مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ** اي انفس اهل الجنة من فنون الاطعمة والاشربة والاشياء المعقولة والمسموعة والملموسة ونحوها مما تطلبه النفس وتهواه كائنا ما كان جزاء لهم بما منعوا انفسهم من الشهوات في الدنيا **وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ** من كل المستلذات التي يستلذ بها ويطلب مشاهدتها واعلاها النظر الى وجهه الكريم جزاء ما تحملوه من مشاق الاشتياق تقول لذ الشيء يلذ لذاذا ولذاذة اذا وجده لذيذا والتذ به قرأ الجمهور تشتهي وتلذ وفي مصحف ابن مسعود تشتهيه الانفس وتلذه الاعين باثبات الضمير العائد الى الموصول وهذا حصر لانواع النعم لانها اما مشتهيات في القلوب او مستلذات في العيون عن عبد الرحمن بن سابط قال قال رجل يا رسول الله هل في الجنة خيل فاني احب الخيل قال ان يدخلك الله الجنة فلا تشاء ان تركب فرسا من ياقوتة حمراء فتطير بك في اي الجنة شئت الا فعلت وسأله آخر فقال يا رسول الله هل في الجنة من ابل فاني احب الابل قال فلم يقل له ما قال لصاحبه فقال ان يدخلك الله الجنة يكن لك ما اشتهت نفسك ولذت عينك اخرجه الترمذي **وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** لا تموتون ولا تخرجون منها **وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا** اي يقال لهم يوم القيامة هذه المقالة اي صارت اليكم كما يصير الميراث الى الوارث **بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** في الدنيا من الاعمال الصالحة وتلك مبتدأ والجنة صفته والموصول مع صلته صفة للجنة والخبر بما كنتم الخ وقيل الخبر الموصول مع صلته والاول اولى وفيه التفات من الغيبة الى الخطاب للتشريف والمخاطب كل واحد من اهل الجنة فلذلك افرد الكاف ولم يقل وتلكم الذي هو مقتضى اورثتموها ايذانا بان كل واحد مقصود بذاته اخرج ابن ابي حاتم وابن مردويه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من احد الا وله منزل في

الجنة ومنزل في النار فالكافر يرث المؤمن منزله من النار والمؤمن يرث الكافر منزله في الجنة
وذلك قوله وتلك الجنة التي اورثتموها لكم فيها سوى الطعام والشراب فاكهة كثيرة اي
كثيرة الانواع والاصناف والفاكهة معروفة وهي الثمار كلها رطبها ويابسها منها تأكلون وكل
ما يؤكل يخلف بدله ومن تبعيضية او ابتدائية وقدم الجار لاجل الفاصلة ثم شرع سبحانه في الوعيد
بعد ذكر الوعد كما هو دأب القران الكريم فقال ان المجرمين اي اهل الاجرام الكفرية كما يدل عليه
ايرادهم في مقابلة المؤمنين الذين لهم ما ذكره الله سبحانه قبل هذا في عذاب جهنم خالدون
لا ينقطع عنهم العذاب ابدا لا يفتر عنهم اي لا يخفف عنهم ذلك العذاب جملة حالية وكذلك
وهم فيه مبلسون اي ايسون من النجاة وقيل ساكتون سكوت يأس وقد مضى تحقيق معناه
في الانعام ولا يشكل على هذا قوله الاتي ونادوا الخ لان تلك ازمنة متطاولة واحقاب ممتدة
فتختلف بهم الاحوال فيسكتون تارة لغلبة اليأس عليهم وعلمهم انه لا فرج ويشتد عليهم العذاب
تارة فيستغيثون وقرأ عبد الله وهم فيها اي في النار لدلالة العذاب عليها وما ظلمناهم اي ما
عذبناهم بغير ذنب ولا بزيادة على ما يستحقونه ولكن كانوا هم الظالمين لانفسهم بما فعلوا من الذنوب
قرأ الجمهور الظالمين بالنصب على انه خبر كان والضمير ضمير فصل وقرئ الظالمون بالرفع على ان
الضمير مبتدء وما بعده خبره والجملة خبر كان ونادوا يا مالك اي نادى المجرمون هذا النداء و
الاتيان بالماضي على حد اتى امر الله ومالك هو خازن النار قرأ الجمهور بغير الترخيم وقرئ يا مال بالترخيم
قيل لابن عباس ان ابن مسعود قرأ يا مال فقال ما اشغل اهل النار عن الترخيم ليقض علينا ربك
بالموت من قضى عليه اذا اماته قال تعالى فوكزه موسى فقضى عليه توسلوا بمالك خازن النار الى
الله سبحانه ليسأله لهم ان يقضي عليهم بالموت ليستريحوا من العذاب وقال البيضاوي هو لا ينافي
ابلاسهم فانه جأر وتمن للموت من فرط الشدة قال انكم ماكثون اي مقيمون في العذاب هانت
والله دعوتهم على مالك وعلى رب مالك وقيل سكت عن اجابتهم اربعين سنة قاله الخازن والسنة
ثلثمائة وستون يوما واليوم كالف سنة مما تعدون قاله القرطبي وقيل ثمانين سنة وقيل مائة سنة
وقال ابن عباس يمكث عنهم الف سنة ثم اجابهم بهذا الجواب لقد جئناكم بالحق يحتمل ان
يكون هذا من كلام الله سبحانه او من كلام مالك والاول اظهر والمعنى انا ارسلنا اليكم الرسل

وانزلنا عليهم الكتب فدعوكم فلم تقبلوا ولم تصدقوا وهو معنى قوله وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ
كَارِهُونَ اي لاتقبلونه وتنفرون منه لان مع الباطل الدعة ومع الحق التعب قيل معنى اكثركم
كلكم وقيل اراد الرؤساء والقادة ومن عداهم اتباع لهم والمراد بالحق كل ما امر الله به على السن
رسله وانزله في كتبه وقيل هو خاص بالقران أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ كلام مستانف
ناع على المشركين ما فعلوا من الكيد برسول الله صلى الله عليه وسلم وام هي المنقطعة التي بمعنى بل والهمزة
اي بل اابرموا امرا وفي ذلك انتقال من توبيخ اهل النار وحكاية حالهم الى حكاية ما يقع من هؤلاء
والابرام الاتقان والاحكام يقال ابرمت الشيء احكمته واتقنته وابرم الحبل اذا احكم فتله والمعنى بل
احكموا كيد النبي صلى الله عليه وسلم فانا محكمون لهم كيدا قاله مجاهد وقتادة وابن زيد ومثل هذا قوله
تعالى ام يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون وقيل المعنى ام قضوا امرا فانا قاضون عليهم
امرنا بالعذاب قاله الكلبي أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ اي بل ايحسبون انا لا نسمع
ما يسرون في انفسهم او ما يتحادثون به سرا في مكان خال وما يتناجون به فيما بينهم بَلَىٰ نسمع
ذلك ونعلمه وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ اي الحفظة عندهم يكتبون جميع ما يصدر عنهم من قول
او فعل عن يحيى بن معاذ قال من ستر من الناس ذنوبه وابداها لمن لا يخفى عليه خافية فقد جعله
اهون الناظرين اليه وهو من امارات النفاق اخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال بينا
ثلاثة بين الكعبة واستارها قرشيان وثقفي او ثقفيان وقرشي فقال واحد منهم اترون ان الله
يسمع كلامنا فقال واحد اذا جهرتم يسمع واذا اسررتم لم يسمع فنزلت هذه الاية ثم امر الله سبحانه
رسوله صلى الله عليه وسلم ان يقول للكفار قولا يلزمهم به الحجة ويقطع ما يوردونه من الشبهة فقال
قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ وصح ذلك ببرهان صحيح او ان كان له ولد في قولكم وعلى زعمكم فَأَنَا أَوَّلُ
الْعَابِدِينَ اي اول من عبد الله وحده لان من عبد الله وحده فقد دفع ان يكون له ولد قاله ابن قتيبة وقال الحسن
والسدي ان المعنى ما كان للرحمن ولد ويكون قوله فانا اول العابدين ابتداء كلام قال ابن
عباس في الاية يقول ان يكن للرحمن ولد فانا اول العابدين اي الشاهدين وعن زيد بن اسلم
قال هذا معروف من كلام العرب ان كان هذا الامر قط اي ما كان وعن قتادة نحوه وقيل المعنى
قل يا محمد ان ثبت لله ولد فانا اول من يعبد هذا الولد الذي تزعمون ثبوته ولكنه يستحيل ان يكون له

ولده فيه نفي للولد على ابلغ وجه واتم عبارة واحسن اسلوب وهذا هو الظاهر من النظم
القرآني لان هذا الكلام وارد على سبيل الفرض والمراد نفي الولد وذلك انه علق العبادة بكينونة
الولد وهي محال في نفسها فكان المعلق بها محالا مثلها ومن هذا القبيل قوله تعالى انا او اياكم لعلى
هدى او في ضلال مبين ومثل هذا قول الرجل لمن يناظره ان ثبت ما تقوله بالدليل فانا اول
من يعتقده ويقول به فتكون ان في ان كان شرطية ورجح هذا ابن جرير وغيره وقيل معنى العابدين
الآنفين من العبادة وهو تكلف لا ملجئ اليه ولكنه قرئ العبدين بغير الف من عبد يعبد عبدا
بالتحريك اذا انف وغضب فهو عَبِد والاسم العبدة مثل الانفة ولعل الحامل على هذه القراءة
الشاذة البعيدة لمن قرأها هو استبعاد معنى فانا اول العابدين وليس بمستبعد ولا مستنكر وقد
حكى الجوهري عن ابي عمرو في قوله فانا اول العابدين انه من الانف والغضب وحكاه الماوردي عن
الكسائي والقتيبي وبه قال الفراء وكذا قال ابن الاعرابي ان معنى العابدين الغضاب الانفين وقال
ابو عبيدة معناه الجاحدين وحكى عبدني حقي اي جحدني ولا شك ان عبد واعبد بمعنى انف
او غضب ثابت في لغة العرب وكفى بنقل هؤلاء الائمة حجة ولكن جعل ما في القرآن من هذا من
التكلف الذي لا ملجئ اليه ومن التعسف الواضح وقد رد ابن عرفة ما قالوه فقال انما يقال عَبِد يعبد
فهو عبِدٌ وقل ما يقال عابد والقرآن لا ياتي بالقليل من اللغة ولا الشاذ قرأ الجمهور ولد بالافراد
وقرئ بضم الواو وسكون اللام سُبْحَانَ رَبِّ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ اي
تنزيها له وتقديسا عما يقولون من الكذب بان له ولدا ويفترون عليه سبحانه ما لا يليق بجنابه
وهذا ان كان من كلام الله سبحانه فقد نزه نفسه الكريمة عما قالوه وان كان من تمام كلام
رسوله صلى الله عليه وسلم الذي امره بان يقوله فقد امره بان يضم الى ما حكاه عنهم بزعمهم الباطل تنزيه
ربه وتقديسه فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا اي اترك الكفار حيث لم يهتدوا بما هديتهم به ولا
اجابوك فيما دعوتهم اليه يخوضوا في اباطيلهم ويلهوا في دنياهم حَتّٰى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي
يُوعَدُونَ وهو يوم القيامة وقيل العذاب في الدنيا وقيل يوم الموت وهو الاظهر فان خوضهم
ولعبهم انما ينتهي بيوم الموت قيل وهذا منسوخ بآية السيف وقيل هو غير منسوخ وانما اخرج
مخرج التهديد وفيه دليل على ان ما يقولونه من باب الجهل والخوض واللعب قرأ الجمهور يلاقوا وقرئ يلقوا

وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ الجار والمجرور في الموضعين متعلق باله لانه بمعنى المعبود او مستحق للعبادة والمعنى وهو الذي معبود في السماء ومعبود في الارض او مستحق للعبادة في السماء والعبادة في الارض وبما تقرر من ان المراد باله معبود اندفع ما قيل هذا يقتضي تعدد الالهة لان النكرة اذا اعيدت نكرة تعددت كقولك انت طالق وطالق وايضاح الاندفاع ان الاله هنا بمعنى المعبود وهو تعالى معبود فيهما والمغايرة انما هي بين معبوديته في السماء ومعبوديته في الارض لان المعبودية من الامور الاضافية فيكفي التغاير فيها من احد الطرفين فاذا كان العابد في السماء غير العابد في الارض صدق ان معبوديته في السماء غير معبوديته في الارض مع ان المعبود واحد وفيه دلالة على اختصاصه باستحقاق الالوهية فان التقديم يدل على الاختصاص افاده الكرخي قال ابو علي الفارسي واله في الموضعين مرفوع على انه خبر مبتدء محذوف اي هو الذي في السماء هو اله وفي الارض هو اله وحسن حذفه لطول الكلام قال والمعنى على الاخبار بالالهية لا على الكون فيهما قال قتادة يعبد في السماء والارض وقيل في بمعنى على اي هو القادر على السماء والارض كما في قوله ولا صلبنكم في جذوع النخل وقرأ عمر وعلي وابن مسعود وهو الذي في السماء الله وفي الارض الله على تضمين العلم معنى المشتق فيتعلق به الجار والمجرور من هذه الحيثية وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ اي البليغ الحكمة الكثير العلم وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا تبارك تفاعل من البركة وهي كثرة الخيرات والمراد بما بينهما الهواء وما فيه من الحيوانات وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ اي علم الوقت الذي يكون فيه قيامها وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ فيجازي كل احد بما يستحقه من خير وشر وفيه وعيد شديد قرأ الجمهور بالفوقية على سبيل الالتفات من الغيبة الى الخطاب وقرئ بالتحتية وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ اي لا يملك من يدعونه من دون الله من الاصنام ونحوها الشفاعة عند الله كما يزعمون انهم يشفعون لهم قرأ الجمهور يدعون بالتحتية وقرئ بالفوقية إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ اي التوحيد وَهُمْ يَعْلَمُونَ اي هم على علم وبصيرة بما شهد وا به والاستثناء متصل والمعنى الا من شهد بالحق وهم المسيح وعزير والملائكة فانهم يملكون الشفاعة لمن يستحقها وقيل هو منقطع والمعنى لكن من شهد بالحق يشفع فيه هؤلاء وقيل المستثنى منه محذوف اي لا يملكون الشفاعة في احد الا فيمن شهد بالحق قال سعيد بن جبير وغيره

معنى الآية انه لا يملك هؤلاء الشفاعة الا لمن شهد بالحق وآمن على علم وبصيرة وقال قتادة
لا يشفعون لعابديها بل يشفعون لمن شهد بالوحدانية وقيل مدار الاتصال في هذا الاستثناء
على جعل الذين يدعون عاما لكل ما يعبد من دون الله ومدار الانقطاع على جعله خاصا بالاصنام
﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ﴾ اللام هي الموطئة للقسم والمعنى لئن سألت هؤلاء المشركين العابدين للاصنام ﴿مَنْ
خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ جواب القسم وجواب الشرط محذوف على القاعدة اي اقروا واعترفوا بان
خالقهم الله ولا يقدرون على الانكار ولا يستطيعون الجحود لظهور الامر وجلائه ﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾
اي فكيف ينقلبون عن عبادة الله الى عبادة غيره وينصرفون عنها مع هذا الاعتراف فان المعترف
بان الله خالقه اذا عمد الى صنم او حيوان وعبده مع الله او عبده وحده فقد عبد بعض مخلوقات
الله وفي هذا من الجهل ما لا يقادر قدره يقال افكه يافكه افكا اذا قلبه وصرفه عن الشيء وقيل المعنى
ولئن سألت المسيح وعزيرا والملائكة من خلقهم ليقولن الله فانى يؤفك هؤلاء الكفار في اتخاذهم
لها آلهة وقيل المعنى ولئن سألت العابدين والمعبودين جميعا ﴿وَقِيلِهِ﴾ قرأ الجمهور بالنصب عطفا على
محل الساعة كانه قيل انه يعلم الساعة ويعلم قيله او عطفا على سرهم ونجواهم اي يعلم سرهم و
نجواهم ويعلم قيله او عطفا على مفعول يكتبون المحذوف اي يكتبون ذلك ويكتبون قيله او
عطفا على مفعول يعلمون المحذوف اي يعلمون ذلك ويعلمون قيله او هو مصدر اي قال قيله
او منصوب باضمار فعل اي الله يعلم قيل رسوله او هو معطوف على محل بالحق اي شهد بالحق
وبقيله او منصوب على حذف حرف القسم ومن المجوزين للاول المبرد وابن الانباري وللثاني
الفراء والاخفش وللنصب على المصدرية ايضا الفراء والاخفش وقرئ قيله بالجر عطفا على لفظ الساعة
اي وعنده علم الساعة وعلم قيله والقول والقال والقيل والمقال كلها مصادر بمعنى واحد جاءت
على هذه الاوزان وقال ابو عبيد يقال قلت قولا وقالا وقيلا او على ان الواو للقسم وقرأ قتادة
ومجاهد والحسن وابو قلابة والاعرج وابن هرمز ومسلم بن جندب قيله بالرفع عطفا على علم
اي وعنده علم الساعة وعنده قيله او على الابتداء وخبره الجملة المذكورة بعده او خبره محذوف
تقديره وقيله كيت وكيت او وقيله مسموع والضمير في وقيله راجع الى النبي صلى الله عليه وسلم قال قتادة
هذا نبيكم يشكو قومه الى ربه وقيل عائد الى المسيح وعلى الوجهين فالمعنى انه قال مناديا لربه ﴿يَا رَبِّ﴾

إِنَّ هَٰؤُلَاءِ الذين ارسلتني اليهم قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ثم لما نادى ربه بهذا اجابه بقوله فَاصْفَحْ عَنْهُمْ اي اعرض عن دعوتهم وَقُلْ سَلَامٌ اي امري تسليم منكم ومتاركة لكم وقال الفراء ان سلام مرفوع باضمار عليكم قال عطاء يريد مداراة حتى ينزل حكمي ومعناه المتاركة كقوله سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين فليس في الآية مشروعية السلام على الكفار كما قيل وقال قتادة امره بالصفح عنهم ثم امره بقتالهم فصار الصفح منسوخا بالسيف وقيل هي محكمة لم تنسخ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ قرأ الجمهور بالتحتية وقرئ بالفوقية وفيه تهديد شديد لهم ووعيد عظيم من الله عز وجل وتسلية له صلى الله عليه وسلم

سُورَةُ الدُّخَانِ هِيَ سِتٌّ اَوْ سَبْعٌ اَوْ تِسْعٌ وَخَمْسُونَ آيَةً

قال القرطبي هي مكية بالاتفاق الا قوله انا كاشفو العذاب قليلا وبه قال ابن عباس وابن الزبير وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان في ليلة الجمعة اصبح يستغفر له سبعون الف ملك اخرجه البيهقي في الشعب ورفعه الثعلبي ايضا والترمذي وقال غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه وعمرو بن ابي خثعم ضعيف قال البخاري منكر الحديث وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان في ليلة الجمعة اصبح مغفورا له اخرجه البيهقي وابن مردويه ومحمد بن نصر والترمذي وقال غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه وهشام بن مقدام يضعف والحسن لم يسمع من ابي هريرة كذا قال ايوب ويونس بن عبيد وعلي بن زيد ويشهد له طرق اخرى منها ما اخرجه الدارمي ومحمد بن نصر عن ابي رافع قال من قرأ الدخان في ليلة الجمعة اصبح مغفورا له وزوج من الحور العين واخرج ابن مردويه عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة حم الدخان في ليلة الجمعة او يوم الجمعة بنى الله له بيتا في الجنة قال الشهاب في سورة الواقعة ولم يذكر البيضاوي في فضائل السور حديثا غير موضوع من اول القرآن الى هنا غير ما هنا وما مر في سورة يس والدخان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حم قد تقدم قبل هذه السورة الكلام على هذا والله اعلم بمراده به وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ الواو للقسم

والكتاب المبين اي المشتمل على بيان ما للناس حاجة اليه في دينهم ودنياهم انا
انزلناه جواب القسم وقد انكر بعض النحاة ان تكون هذه الجملة جوابا للقسم لانها صفة للمقسم
به ولا تكون صفة المقسم به جوابا للقسم وقال الجواب انا كنا منذرين واختاره ابن عطية وقال
اعتراض يتضمن تفخيم الكتاب ورجح الاول بالسبق وبكونه من البدائع وبسلامته من الفك اللازم لما اختاره
ابن عطية وقيل ان قوله انا كنا منذرين جواب ثان او جملة مستأنفة مقررة للانزال وفي حكم العلة له
كانه قال انا انزلناه لان من شأننا الانذار والضمير في انزلناه راجع الى الكتاب وهو القرآن وقد اقتصر
على ذلك البيضاوي وتبعه الجلال المحلي وعلى هذا فقد اقسم بالقرآن انه انزل القرآن وهذا النوع من
الكلام يدل على غاية تعظيم القرآن فقد يقول الرجل اذا اراد تعظيم الرجل له اليه حاجة اتشفع بك
اليك واقسم بحقك عليك وجاء في الحديث اعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك
وبك منك لا احصي ثناء عليك وقيل المراد بالكتاب سائر الكتب المنزلة والضمير راجع الى القرآن
على معنى انه سبحانه اقسم بسائر الكتب المنزلة انه انزل القرآن والاول اولى واستدلوا بهذه الآية على
حدوث القرآن بوجوه لا دلالة لها عليه في ليلة مباركة اي ليلة القدر كما في قوله انا انزلناه في
ليلة القدر ولها اربعة اسماء هي ليلة البراءة وليلة الصك وليلة الرحمة قال عكرمة وطائفة
الليلة المباركة هنا ليلة النصف من شعبان وقال النووي في باب صوم التطوع من شرح مسلم
انه خطأ والصواب وبه قال العلماء انها ليلة القدر وقيل بينها وبين ليلة القدر اربعون ليلة
والجمهور واكثر المفسرين على الاول وليلة القدر في اكثر الاقاويل في شهر رمضان وقال قتادة انزل
القرآن كله في ليلة القدر من ام الكتاب وهو اللوح المحفوظ الى بيت العزة في سماء الدنيا ثم انزل الله
سبحانه على نبيه صلى الله عليه وسلم في الليالي والايام في ثلث وعشرين سنة في انواع الوقائع حالا فحالا وقد
تقدم تحقيق الكلام في هذا في سورة البقرة عند قوله شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن وذكر
سليمان الجمل ادلة القولين وبسط فيها لا نطول بذكرها هنا وقال مقاتل كان ينزل من اللوح
المحفوظ كل ليلة قدر من الوحي على مقدار ما ينزل به جبريل في السنة الى مثلها من العام وقيل
ابتداء نزوله في ليلة القدر ووصف الله سبحانه هذه الليلة بانها مباركة لنزول القرآن فيها ما
هو مشتمل على مصالح الدين والدنيا ولكونها تتنزل فيها الملائكة والروح كما سيأتي في سورة القدر

ان شاء الله تعالى قال ابن عباس انزل القرآن في ليلة القدر ونزل به جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما بجواب الناس وقيل المباركة الكثيرة الخير لما ينزل فيها من الخير والبركة ويستجاب من الدعاء ولو لم يوجد فيها الا انزال القرآن وحده لكفى به بركة إنا كنا منذرين اي مخوفين عقابنا استئناف او جواب ثان بغير عاطف ومن جملة بركتها ما ذكره الله سبحانه ههنا بقوله فيها يفرق كل أمر حكيم اي يفصل ويبين من قولهم فرقت الشيء افرقه فرقا والامر الحكيم المحكم المبرم الذي لا يحصل فيه تغيير ولا نقض وهو من الاسناد المجازي لان الحكيم صفة صاحب الامر على الحقيقة ووصف به الامر به مجاز وذلك ان الله سبحانه يكتب فيها ما يكون في السنة من حياة وموت وبسط وقبض وخير وشر ورزق واجل ونصر وهزيمة وخصب وقحط وغير ذلك من اقسام الحوادث وجزئياتها اي اوقاتها واماكنها ويبين ذلك للملائكة من تلك الليلة الى مثلها من العام المقبل فيجدونه سواء فيزدادون بذلك ايمانا كذا قال مجاهد وقتادة والحسن وغيرهم وهذه الجملة اما صفة اخرى لليلة وما بينهما اعتراض او مستأنفة لتقرير ما قبلها قرأ الجمهور يفرق بضم الياء وفتح الراء مخففا وقرئ بفتح الياء وضم الراء ونصب كل امر ورفع حكيم على انه الفاعل والحق ما ذهب اليه الجمهور من ان هذه الليلة المباركة هي ليلة القدر لا ليلة النصف من شعبان لان الله سبحانه اجملها هنا وبينها في سورة البقرة بقوله شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن وبقوله في سورة القدر انا انزلناه في ليلة القدر فلم يبق بعد هذا البيان الواضح ما يوجب الخلاف ولا ما يقتضي الاشتباه قال ابن عباس في الآية يكتب من ام الكتاب في ليلة القدر ما يكون في السنة من رزق وموت وحياة ومطر حتى يكتب الحاج يحج فلان ويحج فلان وقال ابن عمر امر السنة الى السنة الا الشقاوة والسعادة فانه في كتاب الله لا يبدل ولا يغير اخرجه ابن ابي حاتم واخرج عبد بن حميد وغيره عنه انه قال انك لترى الرجل يمشي في الاسواق وقد وقع اسمه في الموتى ففي تلك الليلة يفرق امر الدنيا الى مثلها من قابل من موت وحياة ورزق كل امر الدنيا يفرق تلك الليلة الى مثلها واخرج ابن زنجويه والديلمي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقطع الآجال من شعبان الى شعبان حتى ان الرجل لينكح ويولد له وقد خرج اسمه في الموتى واخرجه ابن ابي الدنيا وابن جرير عن عثمان بن محمد وهذا امر سل لا تقوم به الحجة ولا يعارض بمثله صرائح القرآن وما روي في هذا فهو اما مرسل او فيه مجهول

وقد اورد صاحب الدر المنثور ما اورد في فضل ليلة النصف من شعبان وذلك
لا يستلزم انها المراد بقوله في ليلة مباركة وانتصاب قوله أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا بيفرق اي يفرق فرقا لان امرا
بمعنى فرقا قاله الزجاج والفراء والمعنى انا نامر ببيان ذلك ونسخه من اللوح المحفوظ فهو على هذا منتصب على
المصدرية مثل قولك يضرب ضربا وقال المبرد امر في موضع المصدر والتقدير انزلناه انزالا وقال
الاخفش انتصابه على الحال اي امرين وقيل على الاختصاص اعني بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا
وفيه تفخيم لشان القرآن وتعظيم له وقد ذكر بعض اهل العلم في انتصاب امرا اثني عشر وجها اظهرها
ما ذكرناه وقرأ زيد بن علي بالرفع اي هو امر إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ الرسل محمدا ومن قبله قال الرازي المعنى انا
فعلنا ذلك الانذار لاجل انا كنا مرسلين للانبياء ومثله قال ابن الخطيب وانتصاب رَحْمَةً على العلة
اي انزلناه للرحمة قاله الزجاج وقال المبرد انها منتصبة على انها مفعول لمرسلين اي انا كنا مرسلين
رحمة وقيل هي مصدر في موضع الحال اي راحمين قاله الاخفش وقيل انها مصدر منصوب بفعل
مقدر اي رحمنا رحمة وقيل انها حال من ضمير مرسلين اي ذوي رحمة وقرأ الحسن بالرفع اي هي رحمة
ورأفة بالمرسل اليهم مِنْ رَبِّكَ متعلق بالرحمة او صفة لمحذوف وفيه التفات من التكلم الى الغيبة
ولو جرى على منوال ما تقدم لقال من ربنا والمعنى رأفة مني بخلقي ونعمة عليهم بما بعثت اليهم من الرسل
إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ لمن دعاه الْعَلِيمُ بكل شيء ثم وصف سبحانه نفسه بما يدل على عظيم قدرته الباهرة
فقال رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا قرأ الجمهور رب بالرفع عطفا على السميع العليم او على انه (وقف لازم)
مبتدأ وخبره قوله الآتي لا اله الا هو او على انه خبر لمبتدأ محذوف اي هو رب وقرأ الكوفيون بالجر
على انه بدل من ربك او بيان له او نعت له إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ بانه رب السموات والارض وما بينهما وقد
اقروا بذلك كما حكاه الله عنهم في غير موضع فايقنوا بان محمدا رسوله لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ مستأنفة مقررة
لما قبلها او خبر رب السموات كما مر وكذلك جملة يُحْيِي وَيُمِيتُ فانها مستأنفة مقررة لما قبلها رَبُّكُمْ
وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ قرأ الجمهور بالرفع على الاستئناف بتقدير مبتدأ اي هو ربكم او على انه بدل من رب
السموات او بيان او نعت له وقرأ الكسائي في رواية الشيرازي عنه وغيره بالجر ووجه الجر ما ذكرناه في
قراءة من قرأ بالجر في رب السموات وقرأ الانطاكي بالنصب على المدح بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ اضرب
عن كونهم موقنين الى كونهم في شك من التوحيد والبعث وفي اقرارهم بان الله خالقهم خالق

سائر المخلوقات وانما يقولونه تقليدا لآبائهم من غير علم وان ذلك منهم على طريقة اللعب والهزو في دينهم بما يعن لهم من غير حجة ومحل يلعبون الرفع على انه خبر ثان او النصب على الحال فارتقب الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها لان كونهم في شك ولعب يقتضي ذلك والمعنى فانتظر لهم يا محمد يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ وقيل المعنى احفظ قولهم هذا لتشهد عليهم يوم تاتي السماء الخ وقد اختلف في هذا الدخان المذكور في الآية متى ياتي فقيل انه من اشراط الساعة وانه يمكث في الارض اربعين يوما وقد ثبت في الصحيح انه من جملة العشر الآيات التي تكون قبل قيام الساعة وقيل انه امر قد مضى وهو ما اصاب قريشا بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم حتى كان الرجل يرى بين السماء والارض دخانا وهذا ثابت في الصحيحين وغيرهما وبه قال الفراء والزجاج وقيل انه يوم فتح مكة وقال ابن قتيبة فيه وجهان الاول انه في سنة القحط يعظم يبس الارض بسبب انقطاع المطر ويرتفع الغبار الكثير ويظلم الهواء وذلك يشبه الدخان ويقولون كان بيننا امر ارتفع له دخان ولهذا يقال للسنة المجدبة الغبراء الثاني ان العرب يسمون الشيء الغالب بالدخان والسبب فيه ان الانسان اذا اشتد خوفه او ضعفه اظلمت عيناه ويرى الدنيا كالمملوة من الدخان اخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود ان قريشا لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وابطؤا عن الاسلام قال اللهم اعني عليهم بسبع كسبع يوسف فاصابهم قحط وجهد حتى اكلوا العظام فجعل الرجل ينظر الى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجوع فانزل الله هذه الآية فاتي النبي صلى الله عليه وسلم فقيل يا رسول الله استسق الله المطر فاستسقى لهم فسقوا فانزل الله انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون فلما اصابتهم الرفاهية عادوا الى حالهم فانزل الله يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون فانتقم الله منهم يوم بدر فقد مضى البطشة والدخان واللزام وقد روي عن ابن مسعود نحو هذا من غير وجه وروي نحوه عن جماعة من التابعين كمقاتل ومجاهد وعن ابي مليكة قال دخلت على ابن عباس فقال لم انم هذه الليلة فقلت لم قال طلع الكوكب فخشيت ان يطرق الدخان قال ابن كثير وهذا اسناد صحيح وكذا صحح السيوطي ولكن ليس فيه انه سبب نزول الآية وقد عرفناك انه لا منافاة بين كون هذه الآية نازلة في الدخان الذي كان يتراءى لقريش من الجوع وبين كون الدخان من آيات الساعة وعلاماتها واشراطها فقد وردت

احادیث صحاح وحسان وضعاف بذلك وليس فيها انه سبب نزول الاية فلاحاجة بنا الى التطويل بذكرها والواجب التمسك بما ثبت في الصحيحين وغيرهما ان دخان قريش عند الجهد والجوع هو سبب النزول وبهذا نعرف اندفاع ترجيح من رجح انه الدخان الذي من اشراط الساعة كابن كثير في تفسيره وغيره في غيره وهكذا يندفع قول من قال انه الدخان الكائن يوم فتح مكة متمسكا بما اخرجه ابن سعد عن ابي هريرة قال كان يوم فتح مكة دخان وهو قول الله فارتقب الخ فان هذا لايعارض ما في الصحيحين على تقدير صحة اسناده مع احتمال ان يكون ابوهريرة رضي الله تعالى عنه ظن من وقوع ذلك الدخان يوم الفتح انه المراد بالاية ولهذا لم يصرح بانه سبب نزولها يَغْشَى النَّاسَ صفة ثانية للدخان اي يشملهم ويحيط بهم هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ اي يقولون هذا او قائلين ذلك او يقول الله لهم ذلك رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ اي يقولون ذلك وقد روي انهم اتوا النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا ان كشف الله عنا العذاب اسلمنا والمراد بالعذاب الجوع الذي كان بسببه مايرونه من الدخان او يقولونه اذا رأوا الدخان الذي هو من ايات الساعة او اذا رأوه يوم فتح مكة على اختلاف الاقوال والراجح منها انه الدخان الذي كانوا يتخيلونه مما نزل بهم من الجوع وشدة الجهد ولاينافي ترجيح هذا ماورد ان الدخان من ايات الساعة فان ذلك دخان اخر ولاينافيه ايضا ماقيل انه الذي كان يوم فتح مكة فانه دخان اخر على فرض صحة وقوعه أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ اي كيف يتذكرون ويتعظون بما نزل بهم والحال انه قَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ يبين لهم كل شيء يحتاجون اليه من امر الدنيا والدين ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ اي اعرضوا عن ذلك الرسول الذي جاءهم ولم يكتفوا بمجرد الاعراض عنه بل جاوزوه وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ اي قالوا في حقه تارة انما يعلمه القران بشر وتارة اخرى انه مجنون او قال بعضهم هذا او بعضهم ذلك فكيف يتذكر هؤلاء وانى لهم الذكرى ثم لما دعوا الله بان يكشف عنهم العذاب وانه اذا كشفه عنهم امنوا اجاب الله سبحانه عليهم بقوله إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا اي انا نكشفه عنهم كشفا قليلا او زمانا قليلا وهذا جواب بطريق الالتفات لمزيد التهديد والتوبيخ ومابينهما اعتراض اي الى يوم بدر او الى مابقي من اعمارهم ثم اخبر سبحانه عنهم انهم لاينزجرون عما كانوا عليه من الشرك ولايفون بما وعدوا به من الايمان فقال إِنَّكُمْ عَائِدُونَ

الى ما كنتم عليه من الشرك وقد كان الامر هكذا فان الله سبحانه لما كشف عنهم العذاب رجعوا الى ما كانوا عليه من الكفر والعناد وقيل المعنى انكم عائدون الينا بالبعث والنشور والاول اولى

يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ قرأ الجمهور نبطش بفتح النون وكسر الطاء اي نبطش بهم وقرئ بضم الطاء وهي لغة وقرئ بضم النون وكسر الطاء والظرف منصوب باضمار اذكر وقيل بدل من يوم تاتي السماء وقيل هو متعلق بمنتقمون وقيل بما دل عليه منتقمون وهو منتقم والبطشة الكبرى هي يوم بدر قاله الاكثر والمعنى انهم لما عادوا والى التكذيب والكفر بعد رفع العذاب عنهم انتقم الله منهم بوقعة بدر وقال الحسن وعكرمة المراد بها عذاب النار يوم القيامة واختار هذا الزجاج والاول اولى وعن ابن عباس انه قال قال ابن مسعود البطشة الكبرى يوم بدر وانا اقول هي يوم القيامة قال ابن كثير وهذا اسناد صحيح وقال ابن الخطيب هذا القول اصح لان يوم بدر لا يبلغ هذا المبلغ الذي يوصف بهذا الوصف العظيم وان الانتقام التام انما يحصل يوم القيامة لقوله تعالى اليوم تجزى كل نفس بما كسبت وقال ابن كثير قبل هذا فسر ذلك ابن مسعود بيوم بدر وهذا قول جماعة ممن وافق ابن مسعود على تفسيره الدخان بما تقدم وروي ايضا عن ابن عباس عنه وعن ابي بن كعب وجماعة وهو محتمل والظاهر ان ذلك يوم القيامة وان كان يوم بدر يوم بطشة الكبرى ايضا انتهى قال الشوكاني بل الظاهر انه يوم بدر وان كان يوم القيامة بطشة اكبر من كل بطشة فان السياق مع قريش فتفسيره بالبطشة الخاصة بهم اولى من تفسيره بالبطشة التي تكون يوم القيامة لكل عاص من الانس والجن انتهى وَلَقَدْ فَتَنَّا وقرئ فتنا بالتشديد على المبالغة او التكثير لكثرة متعلقه اي ابتلينا قَبْلَهُمْ اي قبل هؤلاء العرب ليكون ما مضى من خبرهم عبرة لهم قَوْمَ فِرْعَوْنَ معهم ومعنى الفتنة هنا ان الله سبحانه ارسل اليهم رسله وامرهم بما شرعه لهم فكذبوهم او وسع عليهم الارزاق فطغوا وبغوا قال الزجاج بلوناهم اي امتحناهم وفعلنا بهم فعل الممتحن والمعنى عاملناهم معاملة المختبر ببعث الرسل اليهم والتمكين في الارض

وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ على الله كريم في قومه او كريم في نفسه حسيب نسيب لان الله لم يبعث نبيا الا من سراة قومه وكرامهم وقال مقاتل حسن الخلق بالتجاوز والصفح وقال الفراء كريم على ربه اذا اختصه بالنبوة واسماع الكلام قال ابن عباس هو موسى أَنْ أَدُّوا ان هذه هي

المفسرة لتقدم ما هو بمعنى القول او مخففة من الثقيلة والمعنى ان الشأن والحديث ادوا إِلَيَّ
عِبَادَ اللهِ او مصدرية اي بان ادوا والمعنى انه طلب منهم ان يسلموا اليه بني اسرائيل الذين
كان فرعون استعبدهم فاداؤهم استعارة بمعنى اطلاقهم وارسالهم معه قال مجاهد
المعنى ارسلوا معي عباد الله واطلقوهم من العذاب فعباد الله على هذا مفعول به كقوله في سورة
طه فارسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم وقيل المعنى ادوا الي عباد الله ما وجب عليكم من
حقوق الله فيكون منصوبا على انه منادى مضاف وقيل ادوا الي سمعكم حتى ابلغكم رسالة
ربي وقال ابن عباس اتبعوني الى ما ادعوكم اليه من الحق إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ من الله اليكم أَمِينٌ
على الرسالة غير متهم وهذا تعليل للامر وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللهِ اي لا تتجبروا ولا تتكبروا عليه
بترفعكم عن طاعته ومتابعة رسله واهانة وحيه وهذا اوضح وقيل لا تبغوا على الله وقيل لا تفتروا
عليه قاله ابن عباس والاول اولى والفرق بين البغي والافتراء ان البغي بالفعل والافتراء بالقول
وقال ابن عباس ايضا لا تعتوا وقال ابن جريج لا تعظموا وقال يحيى بن سلام لا تستكبروا والفرق
بينهما ان التعاظم تطاول المقتدر والاستكبار ترفع المحتقر افاده الماوردي وجملة إِنِّي آتِيكُمْ
تعليل لما قبلها من النهي قرأ الجمهور بكسر همزة اني وقرئ بالفتح بتقدير اللام بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ اي بحجة بينة
واضحة يعترف بصحتها كل عاقل ولا سبيل الى انكارها وقال قتادة وابن عباس بعذر بين والاول اولى
وبه قال يحيى بن سلام وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ استعاذ بالله سبحانه لما
توعدوه بالقتل قال قتادة ترجموني بالحجارة وبه قال ابن عباس وقيل تشتموني كذا قال ابن عباس
ايضا وقيل تقتلوني وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي اي ان لم تصدقوني وتقروا بنبوتي ولم تؤمنوا بالله
لاجل برهاني فاللام في لي لام الاجل وقيل اي وان لم تؤمنوا بي كقوله فآمن له لوط اي به فَاعْتَزِلُونِ اي
فاتركوني ولا تتعرضوا لي باذى قال مقاتل دعوني كفافا لا علي ولا لي وقيل كونوا بمعزل عني وانا
بمعزل منكم الى ان يحكم الله بيننا وقيل فخلوا سبيلي قاله ابن عباس والمعنى متقارب ثم لما لم
يصدقوه ولم يجيبوا دعوته رجع الى ربه بالدعاء كما حكى الله عنه بقوله فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ
قَوْمٌ مُجْرِمُونَ اي كافرون قرأ الجمهور بفتح الهمزة على اضمار حرف الجر اي دعاه بان هؤلاء وقرئ
بكسرها على اضمار القول وفي الكلام حذف اي فكفروا فدعا ربه وسماه دعاء مع انه لم يذكر

الا بجرد كونهم مجرمين لانهم قد استحقوا بذلك الدعاء عليهم قيل كان دعاؤه اللهم عجل لهم ما يستحقونه
باجرامهم وقيل هو قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين والاول اولى فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا
اجاب الله سبحانه دعاءه فامره ان يسري ببني اسرائيل ليلا يقال سرى واسرى لغتان جيدتان قرأ
الجمهور فاسر بالقطع من اسرى وقرأ اهل الحجاز بالوصل من سرى وهما سبعيتان والجملة بتقدير القول
اي فقال الله لموسى اسر بعبادي ليلا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ اي يتبعكم فرعون وجنوده وقد تقدم في
غير موضع خروج فرعون بعدهم وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا اي ساكنا يقال رها يرهو رهوا اذا سكن
لا يتحرك قال الجوهري يقال افعل ذلك رهوا اي ساكنا على هيئتك وعيش راه اي ساكن ورها
البحر سكن وقال الهروي وغيره وهو المعروف في اللغة والمعنى اترك البحر ساكنا على صفته بعد ان ضربته
بعصاك ولا تامره ان يرجع كما كان ليدخله آل فرعون بعدك وبعد بني اسرائيل فينطبق عليهم
فيغرقون وقال ابو عبيدة رها بين رجليه يرهو رهوا اي فتح قال ومنه قوله واترك البحر رهوا
والمعنى اتركه منفرجا كما كان بعد دخولكم فيه وكذا قال ابو عبيد وبه قال مجاهد وغيره قال
ابن عرفة وهما يرجعان الى معنى واحد وان اختلف لفظاهما لان البحر اذا سكن جريه انفرج قال
الهروي ويجوز ان يكون رهوا نعتا لموسى اي سر ساكنا على هيئتك وقال كعب والحسن رهوا
طريقا وقال الضحاك والربيع سهلا وقال عكرمة يبسا كقوله فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا وعلى
كل تقدير فالمعنى اتركه ذا رهو او اتركه رهوا على المبالغة في الوصف بالمصدر وقال ابن عباس رهوا
سمتا وعنه قال كهيئته وامضه وعنه ايضا قال الرهو ان يترك كما كان إِنَّهُمْ اي ان فرعون و
جنده بعد خروجكم جُنْدٌ مُغْرَقُونَ اي متمكنون في هذا الوصف وان كان لهم وصف القوة و
التجمع الذي شانه النجاة الموجبة للعلو في الامور اخبر سبحانه موسى بذلك ليسكن قلبه ويطمئن جاشه قرأ
الجمهور بكسر ان على الاستيناف لقصد الاخبار بذلك وقرئ بالفتح على تقدير لانهم كَمْ تَرَكُوا كم
هي الخبرية المفيدة للتكثير وقد مضى الكلام في معنى الآية في سورة الشعراء والتقدير فاغرقوا وكم
مفعول به اي تركوا امورا كثيرة وقد بينها بقوله مِنْ جَنَّاتٍ اي بساتين وَعُيُونٍ تجري
وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ قرأ الجمهور مقام بفتح الميم على انه اسم مكان للقيام وقرئ بضمها اسم
مكان الاقامة قال ابن عباس ومقام كريم المنابر وعن جابر مثله وقيل هو ما كان لهم من

المنازل الحسنة والمجالس الشريفة والمحافل المزينة ﴿وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾ النعمة بالفتح التنعم ونضارة العيش ولذاذته يقال نعمه الله وناعمه فتنعم وبالكسر المنة وما انعم به عليك وفلان واسع النعمة اي واسع المال ذكر معنى هذا الجوهري وقال المحلي نعمة اي متعة اي امور يتمتعون وينتفعون بها كالملابس والمراكب قرأ الجمهور فاكهين بالالف وقرئ بغير الف والمعنى على الاولى متنعمين طيبة انفسهم وعلى الثانية اشرين بطرين قال الجوهري فكه الرجل بالكسر فهو فكه اذا كان طيب النفس مزاحا والفكه ايضا الاشر البطر قال وفكهين اي ناعمين وقال الثعلبي هما لغتان كالحاذر والحذر والفاره والفره وقيل ان الفاكه هو المستمتع بانواع اللذة كما يتمتع الرجل بانواع الفاكهة ﴿كَذَٰلِكَ﴾ اي الامر كذلك والاشارة الى مصدر فعل يدل عليه تركوا اي مثل ذلك السلب سلبناهم اياها وقيل مثل ذلك الاخراج اخرجناهم منها وقيل مثل ذلك الاهلاك اهلكناهم فعلى الوجه الاول يكون قوله ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا﴾ معطوفا على تركوا وعلى الوجوه الاخرة يكون معطوفا على الفعل المقدر ﴿قَوْمًا آخَرِينَ﴾ المراد بهم بنو اسرائيل فان الله سبحانه ملكهم مصر بعد ان كانوا فيها مستعبدين فصاروا لها وارثين اي انها وصلت اليهم كما يصل الميراث الى الوارث ومثل هذا قوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وهذا قول الحسن وقيل انهم لم يرجعوا الى مصر والقوم الآخرون غير بني اسرائيل وهو قول ضعيف جدا قاله الكرخي ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ هذا بيان لعدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد بوجودهم كقول العرب بكت عليهم السماء وكسفت لمهلكهم الشمس في نقيض ذلك فالبكا مجاز مرسل والآية استعارة بالكناية والمعنى انه لم يصب بفقدهم وهلاكهم احد من اهل السماء ولا من اهل الارض وكانت العرب تقول عند موت السيد منهم بكت له السماء والارض اي عمت مصيبته وقال الحسن في الكلام مضاف محذوف اي فما بكى عليهم اهل السماء والارض من الملائكة والناس وقال الزمخشري ذكر هذا على سبيل السخرية بهم يعني انهم كانوا يستعظمون انفسهم ويعتقدون انهم لو ماتوا لبكت عليهم السماء والارض ولم يكونوا بهذا الحد بل كانوا دون ذلك فذكر هذا تهكما بهم وقال مجاهد ان السماء والارض تبكيان على المؤمن اربعين صباحا وقيل تبكي على المؤمن مواضع صلوته ومصاعد عمله وعلى هذا انه بكاء كالمعروف من بكاء الحيوان

وفي معنى الاية وجهان والثاني اظهر واوفق بالاحاديث ونظم القرآن قال السدي لما قتل الحسين
رضي الله تعالى عنه بكت عليه السماء وبكاؤها حمرتها وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن عبد
الا وله بابان باب يصعد منه عمله وباب ينزل منه رزقه فاذا مات فقداه وبكيا عليه وتلا هذه
الاية فما بكت الخ وذكر انهم لم يكونوا يعملون على الارض عملا صالحا تبكي عليهم ولم يصعد لهم الى
السماء من كلامهم ولا من عملهم كلام صالح فيفقدهم فيبكي عليهم اخرجه الترمذي وابن ابي الدنيا
وابو يعلى وابن ابي حاتم وابن مردويه وابو نعيم في الحلية والخطيب واخرج ابن جرير وعبد بن حميد
وابن المنذر والبيهقي في الشعب نحوه من قول ابن عباس رضي الله عنه قال يقال الارض تبكي على المؤمن اربعين
صباحا وعن شريح بن عبيد الحضرمي مرسلا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الاسلام بدء غريبا
وسيعود غريبا كما بدء الا لا غربة على مؤمن ما مات مؤمن في غربة غابت عنه فيها بواكيه
الا بكت عليه السماء والارض ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية ثم قال انهما لا تبكيان على كافر
اخرجه ابن جرير وابن ابي الدنيا وعن علي رضي الله تعالى عنه ان المؤمن اذا مات بكى عليه مصلاه
ومصعد عمله من السماء ثم تلى هذه الاية وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ اي مؤخرين للتوبة وممهلين الى
وقت آخر بل عوجلوا بالعقوبة لفرط كفرهم وشدة عنادهم وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ
الْمُهِينِ اي خلصناهم باهلاك عدوهم مما كانوا فيه من الاستعباد وقتل الابناء واستحياء النساء
وتكليفهم للاعمال الشاقة مِن فِرْعَوْنَ بدل من العذاب اما على حذف مضاف اي من عذابه
واما على المبالغة كانه نفس العذاب فابدل منه او على انه حال من العذاب اي صادرا من فرعون
وقرأ ابن عباس مَنْ فرعون بفتح الميم على الاستفهام التحقيري كما يقال لمن افتخر بحسبه اونسبه
من انت والاول اولى ثم بين سبحانه فقال إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا في التكبر والتجبر مِّنَ الْمُسْرِفِينَ في
الكفر بالله وارتكاب معاصيه كما في قوله ان فرعون علا في الارض ومن اسرافه انه كان على
حقارته وخسته ادعى الالهية ولما بين سبحانه كيفية دفعه الضر عن بني اسرائيل بين ما اكرمهم
به فقال وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ اي مؤمني بني اسرائيل عَلَىٰ اي مع عِلْمٍ منا بحالهم وهي كونهم احقاء
بان يختاروا او كونهم يزيغون ويحصل منهم الفرطات في بعض الاحوال عَلَى الْعَالَمِينَ اي على
عالمي زمانهم على علم منه سبحانه باستحقاقهم لذلك وليس المراد انه اختارهم على جميع العالمين

ع ٢٩

بدليل قوله في هذه الامة كنتم خير امة اخرجت للناس وقيل على كل العالمين لكثرة الانبياء فيهم وهذا خاصة لهم وليس لغيرهم حكاه ابن عيسى والزمخشري وغيرهما والاول اولى وقيل يرجع هذا الاختيار الى تخليصهم من الغرق وايراثهم الارض بعد فرعون وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ اسيه معجزات موسى مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ اي اختبار ظاهر وامتحان واضح لننظر كيف يعملون وقال قتادة الآيات انجاؤهم من الغرق وفلق البحر لهم وتظليل الغمام عليهم وانزال المن والسلوى لهم وقال ابن زيد الآيات هي الشر الذي كفهم عنه والخير الذي امرهم به وقال الحسن وقتادة البلاء المبين النعمة الظاهرة كما في قوله وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا ونبلوكم بالشر والخير فتنة إِنَّ هَؤُلَاءِ اي كفار قريش لان الكلام فيهم وقصة فرعون مسوقة للدلالة على استوائهم في الاصرار على الكفر لَيَقُولُونَ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى التي نموتها في الدنيا ولا حيوة بعدها ولا بعث وهو معنى قوله وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ اي بمبعوثين يقال انشر الله الموتى ونشرهم اذا بعثهم وليس في الكلام قصد الى اثبات موتة اخرى بل المراد ما العاقبة ونهاية الامر الا الموتة الاولى المزيلة للحياة الدنيوية قال الرازي وابن الخطيب المعنى انه لا يأتينا من الاحوال الشديدة الا الموتة الاولى وهذا الكلام لا يدل على انه لا تأتيهم الحياة الثانية البتة فلا حاجة الى التكلف الذي ذكره الزمخشري في هذا المقام ثم اوردوا على من وعدهم بالبعث ما ظنوه دليلا وهو حجة داحضة فقالوا فَأْتُوا بِآبَائِنَا اي ارجعوهم بعد موتهم الى الدنيا قال الفراء والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحده كقوله رب ارجعوني والاولى انه خطاب له صلى الله عليه وسلم ولاتباعه من المسلمين إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فيما تقولونه وتخبرونا به من البعث ثم رد الله سبحانه عليهم بقوله أَهُمْ خَيْرٌ في القوة والمنعة أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ الحميري الذي حار في الدنيا بجيوشه وغلب اهلها وقهرهم وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها وكان مؤمنا وكان قومه كافرين وكان من ملوك اليمن سمي تبعا لكثرة اتباعه وقيل كل واحد من ملوك اليمن يسمى تبعا لانه يتبع صاحبه الذي قبله كما سمي في الاسلام خليفة وفيه وعيد شديد وقيل المراد بقوم تبع جميع اتباعه لا واحد بعينه وكان تبع هذا يعبد النار فاسلم ودعا قومه وهم حمير الى الاسلام فكذبوه وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تسبوا تبعا فانه قد اسلم رواه البيهقي والحاكم وصححه وابن المبارك وعبد بن حميد وابن ابي الدنيا

وعن سهل بن سعد الساعدي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه اخرجه احمد والطبراني
وابن ماجة وابن مردويه وروي نحو هذا عن غيرهما من الصحابة والتابعين قال الرياشي كان
ابو كرب اسعد الحميري من التبابعة ممن آمن بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث بسبعمائة سنة واليه
تنسب الانصار وهو اول من كسى البيت بعد ما اراد غزوه وبعد ما غزا المدينة واراد خرابها
ثم انصرف عنها لما اخبر انها مهاجر نبي اسمه احمد وقال شعرا اودعه عند اهلها وكانوا يتوارثونه
كابرا عن كابر الى ان هاجر النبي صلى الله عليه وسلم فدفعوه اليه وقال كعب ذم الله قومه ولم يذمه والمراد بقوله
وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ عاد وثمود ونحوهم من الامم الكافرة أَهْلَكْنَاهُمْ مستانفة لبيان حالهم
وعاقبة امرهم إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ اي كافرين منكرين للبعث تعليل لاهلاكهم يعني ان الله سبحانه
قد اهلكهم بسبب كونهم مجرمين فاهلاكه لمن هو دونهم بسبب كونه مجرما مع ضعفه وقصور
قدرته بالاولى وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا اي ما بين جنسي السماء والارض
لَاعِبِينَ اي بغير غرض صحيح قال مقاتل لم نخلقهما عابثين لغير شئ وقال الكلبي لاهين وقيل
غافلين قرأ الجمهور وما بينهما وقرئ وما بينهن لان السموات والارض جمع مَا خَلَقْنَاهُمَا وما
بينهما إِلَّا بِالْحَقِّ اي بالامر الحق والاستثناء مفرغ من اعم الاحوال وقال الكلبي الا للحق وكذا قال
الحسن وقيل الا لاقامة الحق واظهاره وقيل بالعدل وهو الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية
وقيل بالجد ضد اللعب وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ لقلة نظرهم ان الامر كذلك وهم المشركون
وفيه تجهيل عظيم لمنكري البعث والحشر وتوكيد لان انكارهم يؤدي الى ابطال الكائنات
باسرها ويحسبونه هينا وهو عند الله عظيم وفي هذه الآية دليل على صحة الحشر ووقوعه ووجه
الدلالة انه لو لم يحصل البعث والجزاء لكان هذا الخلق عبثا لانه تعالى خلق نوع الانسان
وخلق ما ينتظم به اسباب معاشهم من السقف المرفوع والمهاد المفروش وما فيهما وما بينهما
من عجائب المصنوعات وبدائع الاحوال ثم كلفهم بالايمان والطاعة فاقتضى ذلك ان يتميز المطيع
من العاصي بان يكون المطيع متعلق فضله واحسانه والعاصي متعلق عدله وعقابه وذلك
لا يكون في الدنيا لقصر زمانها وعدم الاعتداد بمنافعها لكونها مشوبة بانواع الآفات والمحن فلابد
من البعث لتجزى كل نفس بما كسبت فظهر بهذا وجه اتصال الآية بما قبلها وهو انه لما حكى مقالة منكري

البعث والجزاء وهدد هم ببيان مآل المجرمين الذين مضوا ذكر الدليل القاطع الدال على صحة البعث والجزاء فقال وما خلقنا الخ ان يوم الفصل اي يوم القيامة الذي يفصل فيه الحق عن الباطل والاضافة على معنى في والظاهر انها بمعنى اللام ميقاتهم اي الوقت المجعول لتمييز المحسن من المسيء والمحق من المبطل اجمعين لا يخرج عنهم احد من ذلك وقد اتفق القراء على رفع ميقاتهم على انه خبر ان واسمها يوم الفصل واجاز الكسائي والفراء نصبه على انه اسمها ويوم الفصل خبرها ثم وصف سبحانه ذلك اليوم فقال يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا بدل من يوم الفصل او منتصب بفعل يدل عليه الفصل اي يفصل بينهم يوم لا يغني والمعنى انه لا ينفع قريب قريبا ولا يدفع عنه شيئا ويطلق المولى على الولي وهو القريب والناصر وفي المختار المولى المعتق والمعتق وابن العم والناصر والجار والحليف اي لا يدفع ابن عم عن ابن عمه ولا صديق عن صديقه شيئا ومولى الاول مرفوع بالفاعلية والثاني مجرور بعن واعرابهما اعراب المقصور كفتى وعصا ورحى والمراد بالمولى الثاني الكافر وبالاول المؤمن اي لا يغني مؤمن عن مولى كافر شيئا فهذه الاية نظير قوله تعالى واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا الاية ولا هم ينصرون الضمير راجع الى المولى وان كان مفردا في اللفظ لانه في المعنى جمع لانه نكرة في سياق النفي وهو من صيغ العموم اي ولا هم يمنعون من عذاب الله والجملة توكيد لما قبلها فالمعنى لا ينصر المؤمن الكافر ولو كان بينهما في الدنيا علقة من قرابة او صداقة او غيرهما كما اشار له القرطبي الا من رحم الله قال الكسائي الاستثناء منقطع اي لكن من رحمه الله وكذا قال الفراء وقيل هو متصل والمعنى لا يغني قريب عن قريب الا المؤمنين فانه يؤذن لهم في الشفاعة فيشفعون في بعضهم او مرفوع على البدلية من مولى الاول ويغني بمعنى ينفع قاله الحوفي او مرفوع المحل ايضا على البدلية من واو ينصرون اي لا يمنع من عذاب الله الا من رحمه الله ذكره السمين انه هو العزيز الرحيم اي الغالب الذي لا ينصر من اراد عذابه الرحيم بعباده المؤمنين ثم لما وصف اليوم ذكر بعده وعيد الكفار فقال ان شجرت الزقوم طعام الاثيم هي الشجرة التي خلقها الله في جهنم على صورة شجر الدنيا وسماها الشجرة الملعونة والزقوم ثمرها وهو كل طعام ثقيل فاذا جاء اهل النار الجئ اليها فاكلوا منها وقد مضى الكلام على شجرة الزقوم في سورة الصافات وشجرت ترسم بالتاء المجرورة ووقف

ع ١٣

عليها بالهاء ابو عمرو وابن كثير والكسائي ووقف الباقون بالتاء على الرسم قاله الخطيب وفي
القرطبي كل ما في كتاب الله من ذكر الشجرة فالوقف عليه بالهاء الا حرفا واحدا في سورة الدخان ان
شجرت الزقوم انتهى اي فيجوز الوقف عليها بالتاء والهاء وفي القاموس كلام مبسوط على الزقوم الزوم
فليرجع اليه والاثيم الكثير الاثم قال في الصحاح اثم الرجل بالكسر اثما وماثما اذا وقع في الاثم فهو اثم
واثيم واثوم فمعنى طعام الاثيم ذو الاثم قيل هو ابو جهل ولا وجه للتخصيص كالمهل وهو دردي
الزيت وعكر القطران وقيل هو النحاس المذاب وقيل كل ما يذوب في النار من ذهب او فضة وكل منطبع
سواء كان من صفر او حديد او رصاص وقيل الصديد والقيح يغلي في البطون كغلي الحميم
قرأ الجمهور تغلي بالتاء على ان الفاعل ضمير يعود على الشجرة والجملة خبر ثان او حال او خبر مبتدأ
محذوف اي تغلي غليا مثل غلي الحميم وهو الماء الشديد الحرارة وقرئ بالتحتية على ان الفاعل ضمير يعود
الى الطعام وهو في معنى الشجرة ولا يصح عوده الى المهل لانه مشبه به وانما يغلي ما يشبه بالمهل
خذوه اي يقال للملائكة الذين هم خزنة النار خذوه اي الاثيم فاعتلوه العتل القود بالعنف
يقال عتله يعتله اذا جره وذهب به الى مكروه وقيل العتل ان تاخذ بتلابيب الرجل ومجامعه
فتجره قرأ الجمهور فاعتلوه بكسر التاء وقرئ بضمها وهما لغتان وقراءتان سبعيتان الى سواء
الجحيم اي الى وسطه ومعظمه كقوله فرأوه في سواء الجحيم ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم
من هي التبعيضية اي صبوا فوق راسه بعض هذا النوع واضافة العذاب الى الحميم للبيان اي
عذاب هو الحميم وهو الماء الحار كما تقدم او من اضافة الصفة للموصوف او المسبب للسبب
فالمصبوب هو الحميم لا عذابه وصب العذاب استعارة كقوله افرغ علينا صبرا فقد شبه العذاب
بالمائع ثم خيل له بالصب فهو تخييل الاهانة به اي قولوا له تهكما وتقريعا وتوبيخا ذق العذاب
انك قرأ الجمهور بكسر الهمزة وقرأ الكسائي بفتحها وروي ذلك عن علي اي لانك انت العزيز
الكريم قيل ان ابا جهل كان يزعم انه اعز اهل الوادي واكرمهم فيقولون له ذق العذاب
ايها المتعزز المتكرم على زعمك وفيما كنت تقوله قال الفراء اي بهذا القول الذي قلته في الدنيا
عن ابن عباس في الاية قال يقول لست بعزيز ولا كريم اخرج الاموي في مغازيه عن عكرمة قال لقي رسول
الله صلى الله عليه وسلم ابا جهل فقال ان الله امرني ان اقول لك اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى قال فنزع يده من يده وقال ما

تستطيع انت ولا اصحابك من شيء لقد علمت اني امنع اهل بطحاء وانا العزيز الكريم فقتله الله يوم بدر واذله وعيره بكلمته وانزل ذق انك انت العزيز الكريم ان هذا العذاب والامر ما كنتم به تمترون اي تشكون فيه حين كنتم في الدنيا والجمع باعتبار جنس الاثيم ثم ذكر سبحانه مستقر المتقين فقال ان المتقين الذين اتقوا الكفر والمعاصي في مقام قرأ الجمهور مقام بفتح الميم وهو موضع القيام وقرئ بضمها وهو موضع الاقامة قاله الكسائي وغيره وهما سبعيتان وقال الجوهري قد يكون كل واحد منهما بمعنى الاقامة وقد يكون بمعنى موضع القيام والمراد المكان وهو من الخاص الذي وقع مستعملا في معنى العام ثم وصف المقام بقوله امين يأمن فيه صاحبه من جميع المخاوف قال النسفي هو من امن الرجل امانة فهو امين وهو ضد الخائن فوصف به المكان استعارة لان المكان المخيف كانما يخون صاحبه بما يلقى فيه من المكاره انتهى واصل الامن طمانينة النفس وزوال الخوف والامن والامان والامانة في الاصل مصادر ويستعمل الامان تارة اسما للحالة التي عليها الانسان في الامن وتارة لما يؤمن عليه الانسان كقوله وتخونوا اماناتكم اي ما ائتمنتم عليه في جنات وعيون بدل من مقام امين جيء به للدلالة على نزاهته واشتماله على ما يستلذ من الماكل والمشارب يلبسون من سندس واستبرق خبر ثان او ثالث او حال من الضمير المستكن في الجار والمجرور والسندس مارق من الديباج وفي المصباح الديباج ثوب سداه ولحمته ابريسم ويقال انه معرب انتهى والاستبرق ما غلظ منه وهو تعريب استبرد اللفظ اذا عرب خرج من ان يكون عجميا لان معنى التعريب ان يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره عن منهاجه واجرائه على اوجه الاعراب فساغ ان يقع في القرآن العربي وقد تقدم تفسيره في سورة الكهف متقابلين اي في مجالسهم ينظر بعضهم الى بعض وهو اتم للانس فلا يرد ما قيل من ان الجلوس على هذه الصفة موحش لان قليل الثواب اذا اطلع على حال كثير الثواب يتنغص لاحوال الاخرة خلاف احوال الدنيا وقال المحلي لا ينظر بعضهم الى قفا بعض لدوران الاسرة كذلك اي نفعل بالمتقين فعلا كذلك او الامر كذلك وزوجناهم اي اكرمناهم بان زوجناهم بحور عين الحور جمع حوراء وهي البيضاء والعين جمع عيناء وهي الواسعة العين وقال مجاهد انما سميت الحوراء حوراء لانه يحار الطرف في حسنها وقيل هو من حور العين وهو شدة بياض العين في شدة سوادها

كذا قال ابو عبيدة وقال الاصمعي ما ادري ما الحور في العين قال ابو عمرو الحور ان تسود العين كلها
مثل اعين الظباء والبقر قال وليس في بني آدم حور وانما قيل للنساء حور لانهن شبهن بالظباء والبقر
وقيل المراد بقوله وزوجناهم قرناهم وليس من عقد التزويج لانه يقال زوجته بامرأة وقال
ابو عبيدة وجعلناهم ازواجا لهن كما يزوج البعل بالبعل اي جعلناهم اثنين اثنين وكذا
قال الاخفش واختلف ايهما افضل في الجنة النساء الآدميات ام الحور ذكر ابن المبارك ان نساء
الآدميات من دخل منهن الجنة فضلن على الحور العين بما عملن في الدنيا وروي مرفوعا ان الآدميات
افضل من الحور العين بسبعين الف ضعف وقيل ان الحور العين افضل لقوله عليه الصلوة و
السلام فابدله زوجا خيرا من زوجه والله اعلم يَدْعُونَ فِيهَا اي في الجنة بِكُلِّ فَاكِهَةٍ اي
يأمرون باحضار ما يشتهون من الفواكه حال كونهم آمِنِينَ من التخم والاسقام والآلام قال قتادة
امنين من الموت والوصب والشيطان وقيل من انقطاع ما هم فيه من النعيم لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ
إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى اي لا يموتون فيها ابدا الا الموتة التي ذاقوها في الدنيا والاستثناء منقطع اي
لكن الموتة كذا قال الزجاج والفراء وغيرهما ومثل هذه الآية قوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء
الا ما قد سلف وقيل ان الا بمعنى بعد واختاره الطبري كقولك ما كلمت رجلا اليوم الا رجلا عندك
اي بعد رجل عندك وأباه الجمهور لان مجيء الا بمعنى بعد لم يثبت وقيل هي بمعنى سوى اي سوى الموتة
الاولى نقله الطبري وضعفه قال ابن عطيه وليس تضعيفه بصحيح بل كونها بمعنى سوى مستقيم متسق
قال ابن قتيبة انما استثنى الموتة الاولى وهي في الدنيا لان السعداء حين يموتون يصيرون بلطف
الله وقدرته الى اسباب من الجنة يلقون الروح والريحان ويرون منازلهم من الجنة ويفتح لهم ابوابها
فاذا ماتوا في الدنيا فكانهم ماتوا في الجنة لاتصالهم باسبابها ومشاهدتهم اياها فيكون الاستثناء
على هذا متصلا قال الزمخشري فان قلت كيف استثنيت الموتة الاولى المذوقة قبل دخول الجنة
من الموت المنفي ذوقه فيها قلت اريد ان يقال لا يذوقون فيها الموت البتة فوضع قوله الا الموتة
الاولى موضع ذلك لان الموتة الماضية محال ذوقها في المستقبل فهو من باب التعليق بالمحال كانه
قيل ان كانت الموتة الاولى يستقيم ذوقها في المستقبل فانهم يذوقونها في الجنة انتهى قلت وهذا
عند علماء البيان يسمى نفي الشيء بدليله وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ قرأ الجمهور وقاهم بالتخفية وقرئ

بالتشديد على المبالغة فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ اي لاجل الفضل منه او اعطاهم ذلك عطاء فضلا منه ذَٰلِكَ الذي تقدم ذكره من صرف العذاب ودخول الجنة هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ الذي لا فوز بعده المتناهي في العظم لانه خلاص عن المكاره وظفر بالمطالب ثم لما بين سبحانه الدلائل وذكر الوعد والوعيد قال فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ اي انما انزلنا القرآن بلغتك كي يفهمه قومك فيتذكروا ويعتبروا او يعملوا بما فيه او سهلناه بلغتك عليك وعلى من يقرؤه وهذا فذلكة للسورة واجمال لما فيها من التفصيل لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ اي يتعظون فيؤمنون لكنهم لا يؤمنون فَارْتَقِبْ اي فانتظر ما وعدناك من النصر عليهم واهلاكهم على يدك إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ اي فانهم منتظرون ما ينزل بك من موت او غيره وقيل انتظر ان يحكم الله بينك وبينهم فانهم منتظرون بك نوائب الدهر والمعنى متقارب قال المحلي وهذا قبل الامر بجهادهم اي فهو منسوخ وليس بصحيح لان رفع الاباحة الاصلية ليس نسخا انما النسخ رفع حكم ثبت في الشرع بحكم آخر وقيل النهي لا يريد به النسخ لان الشيء قبل الامر به او النهي عنه ليس فيه حكم شرعي حتى يرفع بالنسخ فتامل ۞

سورة الجاثية وتسمى الشريعة قال الخازن هي ست او سبع وثلاثون آية

وهي مكية كلها في قول الحسن وجابر وعكرمة وقال ابن عباس وقتادة الا آية منها وهي قوله للذين آمنوا الى ايام الله فانها نزلت بالمدينة في عمر بن الخطاب ذكره الماوردي وقال المهدوي والنحاس انها نزلت في عمر شتمه رجل من المشركين بمكة قبل الهجرة فاراد ان يبطش به فانزل الله قل للذين آمنوا الآية ثم نسخت بآية القتال فالسورة كلها مكية على هذا من غير استثناء ۞

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞

حم قد تقدم الكلام على هذا في فاتحة سورة غافر وما بعدها والله اعلم بمراده به تَنزِيلُ الْكِتَابِ اي القرآن مبتدأ مِنَ اللَّهِ خبره الْعَزِيزِ في ملكه الْحَكِيمِ في صنعه ثم اخبر سبحانه بما يدل على قدرته الباهرة فقال إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ اي في خلقهما لَآيَاتٍ دالة على قدرة الله ووحدانيته لِّلْمُؤْمِنِينَ قال الزجاج ويدل على ان المعنى في خلقهما قوله وَفِي خَلْقِكُمْ انفسكم على اطوار مختلفة قال

مقاتل من تراب ثم من نطفة الى ان يصير انسانا وحاصل ما ذكرهنا من الدلائل ستة على ثلث فواصل الاولى للمؤمنين الثانية يوقنون الثالثة يعقلون ووجه التغاير بينها ان المنصف من نفسه اذا نظر في السموات والارض وانه لابد لهما من صانع امن واذا نظر في خلق نفسه ونحوها ازداد ايمانا فايقن واذا نظر في سائر الحوادث عقل واستحكم علمه وَفِي خَلْقِكُمْ مَا يَبُثُّ اي ما يفرقه وينشره مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ والنحاة في هذا الموضع كلام طويل في رفع آيات ونصبها والبحث في مسئلة العطف على معمولي عاملين مختلفين وحجج المجوزين له وجوابات المانعين منه مقرر في علم النحو مبسوط في مطولاته لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ يعني انه لا اله الا هو وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ اي في تعاقبهما او تفاوتهما في الطول والقصر والظلام والضياء وذهابهما ومجيئهما وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ معطوف على اختلاف والرزق المطر لانه سبب لكل ما يرزق الله العباد به فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا احياء الارض اخراج نباتها وموتها خلوها عن النبات ويبسها وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ في مهابها اي انها تهب تارة من جهة وتارة من اخرى وتارة تكون حارة وتارة تكون باردة وتارة نافعة وتارة ضارة والرياح اربعة بحسب جهات الافق آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ مراد الله سبحانه في كتابه يفهمون الدليل فيؤمنون تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ اي هذه الآيات المذكورة هي حجج الله وبراهينه بِالْحَقِّ اي محقين او متلبسة بالحق او الباء للسببية فتتعلق بنفس الفعل فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ اي حجج قيل المقصود فباي حديث بعد آيات الله وذكر الاسم الشريف ليس الا لقصد تعظيم الآيات فيكون من باب اعجبني زيد وكرمه وقيل المراد بعد حديث الله وهو القرآن كما في قوله الله نزل احسن الحديث وهو المراد بالآيات والعطف لمجرد التغاير العنواني يُؤْمِنُونَ قرأ الجمهور بالفوقية وقرئ بالتحتية والمعنى يؤمنون باي حديث وانما قدم عليه لان الاستفهام له صدر الكلام وَيْلٌ واد في جهنم او كلمة عذاب لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ اي لكل كذاب كثير الاثم مرتكب لما يوجبه ثم وصف هذا الافاك بصفة اخرى فقال يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ اي القرآن تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ على كفره ويقيم على ما كان عليه حال كونه مُسْتَكْبِرًا اي متماديا على كفره متكبرا عن الايمان ومتعظما في نفسه عن الانقياد للحق والاصرار ماخوذ من اصرار الحمار على العانة وهو ان ينحي عليها صارا اذنيه وثم للتراخي الرتبي عن العقل

أي اصرارهم على الكفر بعد ما تريه الادلة المذكورة وسمعها مستبعد في العقول قال مقاتل اذا سمع
من آيات القرآن شيئا اتخذها هزوا وجملة كأن لم يسمعها في محل نصب على الحال او مستانفة وان هي
المخففة من الثقيلة واسمها ضمير شان محذوف فبشره بعذاب اليم هذا من باب التهكم اي فبشر
على اصراره واستكباره وعدم استماعه الى الآيات بعذاب شديد الالم قيل نزلت في النضر بن الحارث
وما كان يشتري من احاديث العجم ويشغل بها الناس عن استماع القرآن والآية عامة في كل من كان
مضارا لدين الله وإذا علم من آياتنا شيئا قرأ الجمهور بفتح العين وكسر اللام مخففة على البناء للفاعل
وقرئ على البناء للمفعول والمعنى انه اذا وصل اليه وبلغه شيء وعلم انه من آيات الله اتخذها اي
الآيات هزوا وقيل الضمير في اتخذها عائد الى شيء لانه عبارة عن الآيات والاول اولى أولئك
اي كل افاك متصف بتلك الصفات لهم عذاب مهين بسبب ما فعلوا من الاصرار والاستكبار
عن سماع آيات الله واتخاذها هزوا والعذاب المهين هو المشتمل على الاذلال والفضيحة من ورائهم اي من
وراء ما هم فيه من التعزز بالدنيا والتكبر عن الحق جهنم فانها من قدامهم لانهم متوجهون
اليها وعبر عن القدام بالوراء كقوله من ورائه جهنم والوراء مستعمل بمعنى الامام كما يستعمل
بمعنى الخلف وهو مشترك بين المعنيين فيستعمل في الشيء وضده كالجون يستعمل في الابيض والاسود
على سبيل الاشتراك وقيل جعلها باعتبار اعراضهم عنها كانها خلفهم وقيل الوراء اسم للجهة التي
يواريها الشخص من خلف او قدام ولا يغني اي لا يدفع عنهم ما كسبوا من اموالهم واولادهم
شيئا من عذاب الله ولا ينفعهم بوجه من وجوه النفع ولا يغني عنهم ما اتخذوا من دون الله
اولياء من الاصنام وما في الموضعين اما مصدرية او موصولة وزيادة لا في الجملة الثانية للتاكيد
ولهم عذاب عظيم في جهنم التي هي من ورائهم هذا اي القرآن هدى للمهتدين به والذين
كفروا بآيات ربهم القرآنية لهم عذاب من رجز اليم الرجز اشد العذاب قرأ الجمهور اليم بالجر
صفة للرجز وقرئ بالرفع صفة لعذاب الله الذي سخر لكم البحر اي جعله على صفة تتمكنون
بها من الركوب عليه بأن جعله املس السطح يطفو عليه ما يتخلخله كالاخشاب ولا يمنع الغوص
فيه لتجري الفلك فيه بامره اي باذنه واقداره لكم ولتبتغوا من فضله بالتجارة تارة و
الغوص للدر والمعالجة للصيد وغير ذلك ولعلكم تشكرون اي لكي تشكروا النعم التي تحصل لكم

بسبب هذا التسخير للبحر وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ اي سخر لعباده جميع ما خلقه في سمواته وارضه مما يتعلق بمصالحهم ويقوم به معايشهم ومما سخره لهم من مخلوقات السموات الشمس والقمر والنجوم النيرات والمطر والسحاب والرياح وجميعا حال من ما في السموات او تاكيد له وقوله منه متعلق بمحذوف هو صفة لجميعا اي كائنا منه او متعلق بسخر او حال من ما في السموات او خبر لمبتدء محذوف والمعنى ان كل ذلك رحمة منه لعباده وقال ابن عباس جميعا منه اي منه النور والشمس والقمر وكل شيء هو من الله وعن طاوس قال جاء رجل الى عبد الله بن عمرو بن العاص فسأله مم خلق الخلق قال من الماء والنور والظلمة والهواء والتراب قال فمم خلق هؤلاء قال لا ادري ثم اتى الرجل عبد الله بن الزبير فسأله فقال مثل قول عبد الله بن عمرو فاتى ابن عباس فسأله مم خلق الخلق فقال من الماء والنور والظلمة والريح والتراب قال فمم خلق هؤلاء فقرأ ابن عباس وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه فقال الرجل ما كان لياتي بهذا الا رجل من اهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم إِنَّ فِي ذٰلِكَ المذكور من التسخير لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ خص المتفكرين لانه لا ينتفع بها الا من تفكر فيها فانه ينتقل من التفكر الى الاستدلال بها على التوحيد قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا اي قل لهم اغفروا يغفروا اي يعفوا ويصفحوا قاله علي بن عيسى واختاره ابن العربي وقيل التقدير قل لهم ليغفروا والمعنى قل لهم ليتجاوزوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ اي عن الذين لا يرجون وقائع الله باعدائه اي لا يتوقعونها ومعنى الرجاء هنا الخوف وقيل هو على معناه الحقيقي والمعنى لا يرجون ثوابه في الاوقات التي وقتها الله لثواب المؤمنين والاول اولى والايام يعبر بها عن الوقائع كما تقدم في تفسير قوله وذكرهم بايام الله قال مقاتل لا يخشون مثل عذاب الله للامم الخالية وذلك انهم لا يؤمنون به فلا يخافون عقابه وقيل المعنى لا يأملون نصر الله لاوليائه وايقاعه باعدائه وقيل لا يخافون البعث قيل والآية منسوخة باية السيف والاولى انه يقال انها محمول على ترك المنازعة وعلى التجاوز فيما يصدر عنهم من الكلمات الموذية وعن ابن عباس في الآية قال كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يعرض عن المشركين اذا اذوه وكانوا يستهزؤن به ويكذبونه فامره الله ان يقاتل المشركين كافة فكان هذا من المنسوخ والاول اولى لِيَجْزِيَ اللَّهُ قَوْمًا قرئ بالتحتية وقرئ بالنون اي لنجزي نحن والجملة لتعليل الامر بالمغفرة والمراد بالقوم المؤمنون امروا بالمغفرة ليجزيهم الله يوم القيامة بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ في الدنيا من الاعمال الحسنة التي من جملتها الصبر على اذية الكفار

والاغضاء عنهم بكظم الغيظ واحتمال المكروه وقيل المعنى ليجزي الكفار بما عملوا من السيئات كانه قال لا تكافؤهم انا لنكافيهم ثم قيل المراد بالقوم كلاهما فيكون التنكير للتعظيم او التحقير او التنويع والاول اولى ثم ذكر المؤمنين واعمالهم والمشركين واعمالهم فقال مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا اي ان عمل كل طائفة من احسان واساءة لعامله لا يتجاوزه الى غيره وفيه ترغيب وترهيب والجملة مستانفة لبيان كيفية الجزاء ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ اي تصيرون فيجازي كلا بعمله ان كان خيرا فخير وان كان شرا فشر وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ المراد بالكتاب التوراة كذا في الكشاف وتبعه القاضي ولعل الاولى ان يحمل الكتاب على الجنس حتى يشمل الانجيل والزبور ايضا لكن جمهور المفسرين على تفسيره هنا بالتوراة لانه ذكر بعدها الحكم ونحوه وما ذكر لا حكم فيه اذ الزبور ادعية ومناجاة والانجيل احكامه قليلة جدا وعيسى مامور بالعمل بالتوراة والمراد بالحكم الفهم والفقه الذي يكون بهما الحكم بين الناس وفصل خصوماتهم والنبوة من بعثه الله من الانبياء فيهم وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ اي المستلذات التي احلها الله لهم ومن ذلك المن والسلوى وهذه نعم دنيوية وما قبله من الكتاب والنبوة نعم دينية وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ من اهل زمانهم حيث آتيناهم ما لم نؤت من عداهم من كثرة الانبياء فيهم وفلق البحر وغرق العدو ونحوها وقد تقدم بيان هذا في سورة الدخان قال ابن عباس لم يكن احد من العالمين في زمانهم اكرم على الله ولا احب اليه منهم وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ اي شرائع واضحات في الحلال والحرام او معجزات ظاهرات وقيل العلم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم وشواهد نبوته وتعيين مهاجره فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ اي فما وقع الاختلاف بينهم في ذلك الامر الا بعد مجيء العلم اليهم ببيانه وايضاح معناه فجعلوا ما يوجب زوال الخلاف موجبا للثبوته وقيل المراد بالعلم يوشع بن نون فانه آمن به بعضهم وكفر بعضهم وقيل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فاختلفوا فيها حسدا وبغيا بَغْيًا بَيْنَهُمْ قيل بغيا من بعضهم على بعض بطلب الرياسة إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ من امر الدين فيجازي المحسن باحسانه والمسيء باساءته ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ ثم للاستيناف والشريعة في اللغة المذهب والملة والمنهاج ويقال لمشرعة الماء وهي مورد شاربيه شريعة والجمع شرائع فاستعير ذلك للدين لان العباد يردون ما تحيى به نفوسهم ومنه

الشارع لانه طريق الى المقصد فالمراد بالشريعة هنا ما شرعه الله لعباده من الدين اي جعلناك
يا محمد على منهاج واضح من امر الدين يوصلك الى الحق وقال ابن عباس على هدى من امر دينه وقال قتادة
الشريعة الامر والنهي والحدود والفرائض البينة لانها طريق الى الحق وقال الكلبي السنة لانه يستن
بطريقة من قبله من الانبياء وقال ابن زيد الدين لانه طريق الى النجاة وقال ابن العربي الامر يرد في
اللغة بمعنيين احدهما بمعنى الشان كقوله واتبعوا امر فرعون وما امر فرعون برشيد والثاني ما يقابله
النهي وكلاهما يصح ان يكون مرادا هنا وتقديره ثم جعلناك على طريقة من الدين وهي ملة الاسلام
كما قال تعالى ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا ولا خلاف ان الله تعالى لم يغاير بين
الشرائع في التوحيد والمكارم والمصالح وانما خالف بينها في الفروع حسبما علمه سبحانه وتعالى فاتبعها
اي فاعمل باحكامها في امتك وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ توحيد الله وشرائعه لعباده
وهم كفار قريش ومن وافقهم ثم علل النهي عن اتباع اهوائهم فقال إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ
شَيْئًا اي لا يدفعون عنك شيئا مما اراده الله بك ان اتبعت اهواءهم وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ
بَعْضٍ اي انصار ينصر بعضهم بعضا لان الجنسية علة الانضمام وقال ابن زيد ان المنافقين اولياء
اليهود وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ اي ناصرهم والمراد بالمتقين الذين اتقوا الشرك والمعاصي والاشارة بقوله
هَذَا الى القران او الى اتباع الشريعة بَصَائِرُ لِلنَّاسِ اي براهين ودلائل لهم فيما يحتاجون اليه من
احكام الدين وبينات تبصرهم وجه الفلاح ومعالم يتبصرون بها في الاحكام والحدود وجعل
ذلك بمنزلة البصائر في القلوب ليتوصل بكل واحد منها الى تحصيل العرفان واليقين وجمع الخبر باعتبار
ما في المبتدا من تعدد الايات والبراهين وقرئ هذه بصائر اي هذه الايات لان القران بمعناها
وَهُدًى اي رشد وطريق يؤدي الى الجنة لمن عمل به وَرَحْمَةٌ من الله في الاخرة لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ
اي من شانهم الايقان وعدم الشك والتزلزل بالشبهة أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ
ام هي المنقطعة المقدرة ببل والهمزة وما فيها من معنى بل للانتقال من البيان الاول الى الثاني
والهمزة لانكار الحسبان بطريق انكار الواقع واستقباحه والتوبيخ عليه والاجتراح الاكتساب ومنه الجوارح
وقد تقدم في المائدة والجملة مستانفة سيقت لبيان تباين حالي المسيئين والمحسنين اثر بيان حالي
الظالمين والمتقين وهو معنى قوله أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ اي نسوي بينهم

مع اجترحهم السيئات وبين اهل الحسنات قيل نزلت في قوم من المشركين وقيل المسيئون
عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة والمحسنون علي وحمزة وعبيدة بن الحارث حين برزوا
اليهم يوم بدر فقتلوهم والعموم اولى سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ في دار الدنيا وفي الآخرة كلا
لا يستوون في شيء منهما فان حال اهل السعادة فيهما غير حال اهل الشقاوة فهؤلاء في عز الايمان
والطاعة وشرفهما في المحيا وفي رحمة الله تعالى ورضوانه في الممات واولئك في ذل الكفر والمعاصي
هوانهما في المحيا وفي لعنة الله والعذاب الخالد في الممات وشتان بينهما وقيل المراد انكار ان يستووا
في الممات كما استووا في الحيوة قرأ الجمهور سواء بالرفع على انه خبر مقدم والمبتدأ محياهم ومماتهم والمعنى
انكار حسبانهم ان محياهم ومماتهم سواء وقرئ بالنصب على انه حال من الضمير المستتر في الجار والمجرور في قوله
كالذين امنوا او على انه مفعول ثان لحسب واختار قراءة النصب ابو عبيد وقال معناه نجعلهم سواء
وقرئ مماتهم بالنصب على معنى سواء في محياهم ومماتهم ولما سقط الخافض انتصب سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ
اي ساء حكمهم هذا الذي حكموا به وقال مجاهد في الاية المؤمن في الدنيا والاخرة مؤمن والكافر
في الدنيا والاخرة كافر وقال مسروق قال لي رجل من اهل مكة هذا مقام اخيك تميم الداري ولقد
رايته قام ذات ليلة حتى اصبح او قرب ان يصبح يقرأ اية من كتاب الله يركع بها ويسجد ويبكي ام حسب
الذين اجترحوا السيئات الاية وعن الفضيل انه بلغها فجعل يرددها ويبكي ويقول يا فضيل
ليت شعري من اي الفريقين انت وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ المقتضي للعدل بين العباد
وهذا كالدليل لما قبله من نفي الاستواء ومحل بالحق النصب على الحال من الفاعل او المفعول او الباء
للسببية وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ اي خلق الله اياهما ليدل بهما على قدرته ولتجزى او اللام
للصيرورة قاله ابن عطية اي صار الامر من حيث اهتدى بها قوم وضل بها قوم اخرون وَهُمْ
اي النفوس المدلول عليها بكل نفس لَا يُظْلَمُونَ بنقص ثواب او زيادة عقاب وتسمية ذلك ظلما
مع انه ليس كذلك على ما عرف من قاعدة اهل السنة لبيان غاية تنزه ساحة لطفه تعالى عما ذكر بتنزيله
منزلة الظلم الذي يستحيل صدوره عنه او سماه ظلما نظرا الى صدوره منا كما في الابتلاء والاختبار
ثم عجب سبحانه من حال الكفار فقال أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ قال الحسن وقتادة ذلك الكافر
اتخذ دينه ما يهواه فلا يهوى شيئا الا ركبه وقال عكرمة يعبد ما يهواه او يستحسنه فاذا استحسن شيئا

وهويه اتخذه الها قال سعيد بن جبير كان احدهم يعبد الحجر فاذا رأى ما هو حسن منه رمى به
وعبد الآخر وقال ابن عباس ذلك الكافر اتخذ دينه بغير هدى من الله ولا برهان والمعنى
هو مطواع لهوى النفس يتبع ما يدعوه اليه فكانه يعبده كما يعبد الرجل الهه وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ
قد علمه قال ابن عباس يقول اضله في سابق علمه وقيل المعنى اضله عن الثواب على علم منه انه
لا يستحقه وقال مقاتل على علم منه انه ضال لانه يعلم ان الصنم لا ينفع ولا يضر قال الزجاج على
سبق في علمه انه ضال قبل ان يخلقه وقال الكرخي اضله وهو عالم بالحق وهذا اشد تشنيعا عليه
وَخَتَمَ اي طبع عَلَىٰ سَمْعِهِ حتى لا يسمع الوعظ وطبع على قَلْبِهِ حتى لا يفقه الهدى ولا يعقله وَجَعَلَ
عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً اي ظلمة وغطاء حتى لا يبصر الرشد قرأ الجمهور غشاوة بالالف مع كسر الغين وقرئ
بغير الف مع فتح الغين وقرأ ابن مسعود والاعمش كقراءة الجمهور مع فتح الغين وهي لغة ربيعة وقرئ
بضمها وهي لغة عكل فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ اي بعد اضلال الله له اي لا يهتدي أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ تذكرا اعتبار حتى تعلموا حقيقة الحال قال الواحدي ليس يبقى للقدرية مع هذه الآية
عذر ولا حيلة لان الله صرح بمنعه اياه عن الهدى حتى اخبر انه ختم على سمعه وقلبه وبصره
ثم بين سبحانه بعض جهالاتهم وضلالاتهم فقال وَقَالُوا اي منكرو البعث مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا
الدُّنْيَا اي ما الحياة الا الحياة التي نحن فيها نَمُوتُ وَنَحْيَا اي يصيبنا الموت والحياة فيها وليس وراء ذلك
حياة وقيل نموت نحن ونحيي فيها اولادنا وقيل نكون نطفا ميتة ثم نصير احياء وقيل في الآية
تقديم وتاخير اي نحيي ونموت كذا قرأ ابن مسعود وعلى كل تقدير فمرادهم بهذه المقالة انكار البعث وتكذيب الآخرة
وقيل هذا من كلام من يقول بالتناسخ اي يموت الرجل ثم تجعل روحه في موات فيحيى به وَمَا
يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ اي مرور الليالي والايام والدهر في الاصل مدة بقاء العالم من دهره اذا غلبه
وفي القاموس دهرهم امر كمنع نزل بهم مكروه فهم مدهورون وقرئ الا دهر يمر قال
مجاهد يعني السنين والايام انتهى كانوا يزعمون ان مرورها هو المؤثر في هلاك الانفس وينكرون ملك
الموت وقبضه الارواح باذن الله وكانوا يضيفون كل حادثة تحدث الى الدهر والزمان الا ترى ان
اشعارهم ناطقة بشكوى الزمان وقال قتادة الا العمر والمعنى واحد وقال قطرب المعنى وما يهلكنا الا الموت
وقال عكرمة وما يهلكنا الا الله عن ابي هريرة قال كان اهل الجاهلية يقولون انما يهلكنا الليل والنهار وهو الذي

يحيينا ويميتنا فيسبون الدهر فقال الله تعالى يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وانا الدهر بيدي الامر اقلب الليل والنهار واخرج البخاري ومسلم وغيرهما من حديثه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل يؤذيني ابن آدم الحديث وفي الموطا عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يقولن احدكم يا خيبة الدهر فان الله هو الدهر وقد استدل بهذا الحديث من قال ان الدهر من اسماء الله تعالى ومرادهم بهذا الحصر انكار ان يكون الموت بواسطة ملك الموت واضافة الحوادث الى الدهر والزمان وان المؤثر في هلاك الانفس هو مرور الايام والليالي ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ﴾ اي بنسبة الحوادث الى حركات الافلاك وما يتعلق بها على الاستقلال ﴿مِنْ عِلْمٍ﴾ ثم بين كون ذلك صادرا منهم لا عن علم فقال ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ اي ما هم الا قوم غاية ما عندهم الظن فما يتكلمون الا به ولا يستندون الا اليه ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾ اي اذا تليت آيات القرآن على المشركين حال كونها واضحات ظاهرة المعنى والدلالة على البعث او مبينات لما يخالف معتقدهم قاله الكرخي ﴿مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا﴾ احياء ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ انا نبعث بعد الموت اي ما كان لهم حجة ولا متمسك ولا متشبث يتعلقون ويعارضون به الا هذا القول الباطل الذي ليس من الحجة في شيء وانما سماه حجة مع انه ليس بحجة لانهم ادلوا به كما يدلي المحتج بحجته وساقوه مساقها فسمي حجة على سبيل التهكم او لانه في حسابهم وتقديرهم حجة ثم امر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم ان يرد عليهم فقال ﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ﴾ في الدنيا ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عند انقضاء آجالكم ﴿ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ﴾ اي في ﴿يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ مقرا بالبعث والنشور ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ اي في جمعكم لان من قدر على ابتداء الخلق قدر على اعادته وفي هذا رد لقولهم وما يهلكنا الا الدهر ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ بذلك لاعراضهم عن التفكر بالدلائل فلهذا حصل معهم الشك في البعث وجاؤا في دفعه بما هو اوهن من بيت العنكبوت ولو نظروا حق النظر لحصلوا على العلم اليقين واندفع عنهم الريب وارا حوا انفسهم من ورطة الشك والحيرة ثم لما ذكر سبحانه ما احتج به المشركون وما اجاب به عليهم ذكر اختصاصه بالملك فقال ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ اي هو المتصرف فيهما وحده كما اراد لا يشاركه احد من عباده وهو شامل للاحياء والاماتة المذكورين قبله وللجمع والبعث للمخاطبين وغيرهم ثم توعد اهل الباطل فقال ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ﴾ اي المكذبون الكافرون المتعلقون بالاباطيل يظهر في ذلك اليوم خسرانهم لانهم يصيرون الى النار والعامل

ع ٣ ٥

في يوم هو يخسر ويومئذ بدل منه والتنوين عوض عن المضاف اليه المدلول عليه بما اضيف
اليه المبدل منه فيكون التقدير ويوم تقوم الساعة يوم تقوم الساعة فيكون بدلا توكيديا
والاولى ان يكون العامل في يوم هو ملك اي ولله ملك يوم تقوم الساعة ويكون يومئذ معمولا ليخسر
والجملة مستانفة من حيث اللفظ وان كان لها تعلق بما قبلها من حيث المعنى افاده السمين وقال التفتازاني
وهذا بالتاكيد اشبه وانى يتاتى ان هذا مقصود بالنسبة دون الاول وقال الحفناوي اليوم في البدل
بمعنى الوقت والمعنى وقت ان تقوم الساعة وتحشر الموتى فيه وهو جزء من يوم تقوم الساعة فانه يوم
متسع مبدؤه من النفخة الاولى فهو بدل البعض والعائد مقدر ولما كان خسرانهم وقت حشرهم كان هو
المقصود بالنسبة ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ﴾ الخطاب لكل من يصلح له او للنبي صلعم والامة الملة والرؤية
بصرية او علمية وفيه بعد ومعنى قوله ﴿جَاثِيَةً﴾ مستوفزة والمستوفز الذي لا يصيب الارض منه
الا ركبتاه واطراف انامله قال الضحاك وذلك عند الحساب قيل معنى جاثية مجتمعة قاله ابن عباس
وقال الفراء المعنى وترى اهل كل ذي دين مجتمعين وقال عكرمة متميزة عن غيرها وقال مورج معناه
بلغة قريش خاضعة وقال الحسن باركة على الركب والجثو الجلوس على الركب تقول جثى يجثو ويجثي
جثوا وجثيا اذا جلس على ركبتيه والاول اولى ولا ينافيه ورود هذا اللفظ لمعنى آخر في لسان العرب
وقد ورد اطلاق الجثوة على الجماعة من كل شيء في لغة العرب وعن عبد الله بن باباه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم كاني اراكم بالكوم دون جهنم جاثين ثم قرأ سفيان هذه الآية اخرجه البيهقي
في البعث وعبد الله بن احمد في زوائد الزهد وابن ابي حاتم وسعيد بن منصور وعن ابن عمر في
الآية قال كل امة مع نبيها حتى يجيء رسول الله صلى الله عليه وسلم على كوم قد علا الخلائق فذلك المقام المحمود
وظاهر الآية ان هذه الصفة تكون لكل امة من الامم من غير فرق بين اهل الاديان المتبعين
للرسل وغيرهم من اهل الشرك وقال يحيى بن سلام هو خاص بالكفار والاول اولى ويؤيده
قوله ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا﴾ وقوله فيما سياتي فاما الذين آمنوا ومعنى الى كتابها الى الكتاب
المنزل عليها وقيل الى صحيفة اعمالها وقيل الى حسابها وقيل اللوح المحفوظ والاول اولى
قرأ الجمهور كل امة بالرفع على الابتداء وخبره تدعى وقرئ بالنصب على البدل من كل امة ﴿الْيَوْمَ﴾
اي يقال لهم اليوم ﴿تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من خير وشر ﴿هَٰذَا كِتَابُنَا﴾ الا منافاة بين هذا

وقوله كتابنا لانه كتابهم بمعنى انه مشتمل على اعمالهم وكتاب الله بمعنى انه هو الذي امر الملائكة بكتبه
واليه اشار في التقرير قاله الكرخي يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بما عملتم بِالْحَقِّ بلا زيادة ونقصان وهذا من
تمام مايقال لهم والقائل بهذا هم الملائكة وقيل هو من قول الله سبحانه اي يشهد عليهم وهو
استعارة يقال نطق الكتاب بكذا اي بين وقيل انهم يقرؤنه فيذكرون ما عملوا فكانه ينطق
عليهم دليله قوله تعالى ويقولون ياويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها
قال ابن عباس هو ام الكتاب فيه اعمال بني ادم وقيل هو ديوان الحفظة ومحل ينطق النصب على
الحال او الرفع على انه خبر آخر لاسم الاشارة وجملة إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ تعليل
للنطق بالحق اي نامر الملائكة بنسخ اعمالكم اي بكتبها وتثبيتها عليكم وليس المراد بالنسخ ابطال شيء
واقامة آخر مقامه اذ ورد ان الملك اذا صعد بالعمل يؤمر بالمقابلة على ما في اللوح قال الواحدي
واكثر المفسرين على ان هذا الاستنساخ من اللوح المحفوظ فان الملائكة تكتب منه كل عام ما
يكون من اعمال بني ادم فيجدون ذلك موافقا لما يعملونه قالوا لان الاستنساخ لا يكون
الا من اصل وقيل ان الملائكة تكتب كل يوم ما يعمله العبد فاذا رجعوا الى مكانهم نسخوا منه
الحسنات والسيئات وتركوا المباحات وقيل ان الملائكة اذا رفعت اعمال العباد الى الله سبحانه
امر عز وجل ان يثبت عنده منها ما فيه ثواب وعقاب ويسقط منها ما لا ثواب فيه ولا عقاب
وقال ابن عباس الملائكة يستنسخون اعمال بني ادم فقام رجل فقال يا ابن عباس ما كنا نرى هذا
تكتبه الملائكة في كل يوم وليلة فقال انكم لستم قوما عربا هل يستنسخ الشيء الا من كتاب وعن علي بن
ابي طالب ان لله ملائكة ينزلون كل يوم بشيء يكتبون فيه اعمال بني ادم وعن ابن عمر نحوه ما روي عن
ابن عباس وعن ابن عباس ايضا في الآية قال يستنسخ الحفظة من ام الكتاب ما يعمل بنو ادم فانما يعمل
الانسان ما استنسخ الملك من ام الكتاب واخرج نحوه الحاكم عنه وصححه واخرج الطبراني عنه ايضا
في الآية قال ان الله وكل ملائكة ينسخون من ذلك العلم في رمضان ليلة القدر ما يكون في الارض
من حدث الى مثلها من السنة المقبلة فيتعارضون به حفظة الله على العباد عشية كل خميس
فيجدون ما رفع الحفظة موافقا لما في كتابهم ذلك ليس فيه زيادة ولا نقصان فَأَمَّا الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ التي من جملتها الجنة قاله البيضاوي

وهذا تفصيل لحال الفريقين فالمؤمنون يدخلهم الله برحمته الجنة وفسر المحلي كالزمخشري الرحمة
بنفس الجنة وهو اظهر ذٰلِكَ الادخال في رحمته هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ اي الظاهر الواضح لخلوصه عن الاكدار
والشوائب التي تخالطه وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فيقال لهم أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي اي القرآن تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ
الاستفهام للتوبيخ لان الرسل قد اتتهم وتلت عليهم آيات الله فكذبوا ولم يعملوا بها فَاسْتَكْبَرْتُمْ
اي تكبرتم عن قبولها وعن الايمان بها وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ اي من اهل الاجرام وهي الآثام والاجترام
الاكتساب يقال فلان جريمة اهله اذا كان كاسبهم فالمجرم من كسب الآثام بفعل المعاصي وَإِذَا
قِيلَ لكم ايها الكفار إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ اي وعده بالبعث والحساب والجزاء او بجميع ما وعد به
من الامور المستقبلة واقع لا محالة والعامة على كسر الهمزة لانها محكية بالقول وقرئ بفتحها وذلك
مخرج على لغة سليم يجرون القول مجرى الظن مطلقا قاله السمين وَالسَّاعَةُ قرأ الجمهور بالرفع على
الابتداء او العطف على موضع اسم ان وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان اي القيامة لَا رَيْبَ فِيهَا اي في وقوعها
قُلْتُم استغرابا واستبعادا وانكارا لها مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ اي اي شيء هي إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا اي نحدس حدسا ونتوهم توهما
قال المبرد تقديره ان نحن الا نظن ظنا وقيل التقدير ان نظن الا انكم تظنون ظنا وقيل ان نظن
مضمن معنى نعتقد اي ما نعتقد الا ظنا لا علما وقيل ان ظنا له صفة مقدرة اي الا ظنا بينا وقيل ان
الظن يكون بمعنى العلم والشك فكانهم قالوا ما لنا اعتقاد الا الشك ولعل ذلك قول بعضهم تحيروا
بين ما سمعوا من آبائهم وما تلي عليهم في امر الساعة وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ اي لم يكن يقين بذلك
ولم يكن معنا الا مجرد الظن ان الساعة آتية وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا اي ظهر لهم سيئات اعمالهم
على الصورة التي هي عليها اي جزاؤها وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ اي احاط بهم ونزل عليهم
جزاء اعمالهم بدخولهم النار وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا اي نترككم في النار
كما تركتم العمل لهذا اليوم والنسيان اريد به الترك مجازا اما بعلاقة السببية او للتشبيه في
عدم المبالاة واضافة اللقاء الى اليوم توسعا لانه اضاف الى الشيء ما هو واقع فيه كمكر الليل وَ
مَأْوَاكُمُ النَّارُ اي مسكنكم ومستقركم الذي تأوون اليه وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ينصرونكم
فيمنعون عنكم العذاب ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا اي ذلك العذاب العظيم بسبب
انكم اتخذتم القرآن هزوا ولعبا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا اي خدعتكم بزخارفها واباطيلها فظننتم

انه لا دار غيرها ولا بعث ولا نشور فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا اي من النار قرأ الجمهور بضم الياء وفتح الراء مبنيا للمفعول وقرئ بفتح الياء وضم الراء مبنيا للفاعل وهما سبعيتان والالتفات من الخطاب الى الغيبة لتحقيرهم وللايذان باسقاطهم عن رتبة الخطاب وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ اي لا يسترضون ولا يطلب منهم الرجوع الى طاعة الله لانه يوم لا تقبل فيه توبة ولا تنفع فيه معذرة فَلِلَّهِ الْحَمْدُ اي الوصف بالجميل على وفاء وعده في المكذبين رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ اي خالق ما ذكر لا يستحق الحمد سواه والعالم ما سوى الله وجمع لاختلاف انواعه قرأ الجمهور رب في المواضع الثلاثة بالجر على الصفة للاسم الشريف او البيان او البدل وقرئ بالرفع في الثلاثة على تقدير مبتدء اي هو رب السموات الخ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ اي الجلال والعظمة والسلطان وخص السموات والارض لظهور آثار ذلك فيهما وهو القهر والتصرف لا لنفسها لانها صفة ذاتية للرب تعالى واظهارهما في موضع الاضمار لتفخيم شان الكبرياء وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ اي العزيز في سلطانه فلا يغالبه مغالب والحكيم في كل افعاله واقواله وجميع اقضيته عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما القيته في النار اخرجه ابن ابي شيبة ومسلم وابو داود وابن ماجة والبيهقي ع

سورة الاحقاف هي اربع او خمس وثلاثون اية

وهذا الاختلاف مبني على ان حم اية اولا وهي مكية قال القرطبي في قول جميعهم قال ابن عباس وابن الزبير نزلت بمكة وقال المحلي الا قل ارايتم ان كان من عند الله الاية والا فاصبر كما صبر اولو العزم والا ووصينا الانسان بوالديه الثلاث آيات يعني آخرها قوله الا اساطير الاولين وعن ابن مسعود قال اقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة الاحقاف واقرأها آخر فخالف قراءته فقلت من اقرأكها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت والله لقد اقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم غير ذا فاتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله الم تقرئني كذا وكذا قال بلى وقال الآخر الم تقرئني كذا وكذا قال بلى فتمعر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ليقرأ كل واحد منكما ما سمع فانما هلك من كان قبلكم بالاختلاف و الاحقاف واد باليمن كانت فيه منازل عاد وقيل جمع حقف وهو التل من الرمل ٤٤٤

بسم الله الرحمن الرحيم

حم الله اعلم بمراده به وقد تقدم الكلام على هذا مستوفى وبيان ما هو الحق من ان فواتح السور من المتشابه الذي يجب ان يوكل علمه الى من انزله.

تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا

السموات والأرض وما بينهما من المخلوقات باسرها الا بالحق ليدل على قدرتنا ووحدانيتنا هو استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي الا خلقا ملتبسا بالحق الذي تقتضيه المشية الالهية واجل اي وبتقدير اجل مسمى وهذا الاجل هو يوم القيامة فانها تنتهي فيه السموات والارض وما بينهما او تبدل الارض غير الارض والسموات وقيل المراد به هو انتهاء اجل كل فرد من افراد المخلوقات والاول اولى وهذا اشارة الى قيام الساعة وانقضاء مدة الدنيا وان الله لم يخلق خلقه باطلا وعبثا لغير شيء بل خلقه للثواب والعقاب والذين كفروا عما انذروا وخوفوا به في القرآن من البعث والحساب والجزاء والعذاب معرضون حال اي الحال انهم مولون غير مستعدين له ولا مؤمنين به قل أرايتم اخبروني ما تدعون وتعبدون من دون الله من الاصنام وغيرها اروني يحتمل ان يكون تاكيدا لقوله قل ارايتم اي اخبروني اروني والمفعول الثاني لارايتم قوله ماذا اي اي شيء خلقوا من الارض ويحتمل ان لا يكون تاكيدا بل يكون هذا من باب التنازع لان ارايتم يطلب مفعولا ثانيا واروني كذلك أم لهم شرك في السموات ام منقطعة مقدرة ببل والهمزة والمعنى بل الهم شركة مع الله فيها والاستفهام للتوبيخ والتقريع وتخصيص الشرك بالسموات دون ان يعمم بالارض ايضا احترازا عما يتوهم ان للوسائط شركة في ايجاد الحوادث السفلية ايتوني بكتاب منزل هذا من جملة المقول والامر تبكيت لهم واظهار لعجزهم وقصورهم عن الاتيان بذلك واشارة الى نفي الدليل المنقول بعد الاشارة الى نفي الدليل المعقول من قبل هذا اي القرآن فانه قد صرح ببطلان الشرك وان الله واحد لا شريك له وان الساعة حق لا ريب فيها فهل للمشركين كتاب يخالف هذا الكتاب اوحجة تنافي هذه الحجة او اثارة من علم قال في الصحاح

اي بقية منه وكذا الاثرة بالتحريك قال ابن قتيبة اي بقية من علم الاولين وقال الفراء والمبرد يعني ما يؤثر عن كتب الاولين قال الواحدي وهو معنى قول المفسرين قال عطاء او شيء تأثرونه عن نبي كان قبل محمد صلى الله عليه وسلم قال مقاتل او رواية من علم عن الانبياء وقال الزجاج او اثارة اي علامة و الاثارة مصدر كالسماحة والشجاعة واصل الكلمة من الاثر وهي الرواية يقال أثرت الحديث أثره اثرة واثارة واثرا اذا ذكرته عن غيرك قرأ الجمهور اثارة على المصدر كالسماحة والغواية وقرأ ابن عباس وزيد بن علي وغيرهما بفتح الهمزة والثاء اثرة من غير الف وقرئ أثرة بضم الهمزة وسكون الثاء قال ابن عباس او اثارة من علم اي خط اخرجه احمد وابن المنذر وابن ابي حاتم وغيرهم قال سفيان لا اعلم الا عن النبي صلى الله عليه وسلم يعني ان هذا الحديث مرفوع لا موقوف على ابن عباس وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان نبي من الانبياء يخط فمن صادف مثل خطه علم اخرجه عبد بن حميد وابن مردويه ومعنى هذا ثابت في الصحيح ولاهل العلم فيه تفاسير مختلفة ومن اين لنا ان هذه الخطوط الرملية موافقة لذلك الخط واين السند الصحيح الى ذلك النبي او الى نبينا صلى الله عليه وسلم ان هذا الخط هو على صورة كذا فليس ما يفعله اهل الرمل الا جهالات وضلالات وعن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم او اثارة من علم قال حسن الخط اخرجه ابن مردويه وعن ابن عباس قال خط كان تخطه العرب في الارض وعنه قال بينة من العلم ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ في دعواكم التي تدعونها وهي قولكم ان لله شريكا وان الله امركم بعبادة الاوثان ولم يأتوا بشيء من ذلك فتبين بطلان قولهم لقيام البرهان العقلي والنقلي على خلافه ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ﴾ اي لا احد اضل منه ولا اجهل فانه دعى من لا يسمع فكيف يطمع في الاجابة فضلا عن جلب نفع او دفع ضر فتبين بهذا انه اجهل الجاهلين واضل الضالين والاستفهام للتوبيخ والتقريع ﴿إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ غاية لعدم الاستجابة والمراد بها التابيد كقوله تعالى وان عليك لعنتي الى يوم الدين قاله الشهاب وقال في الانتصاف في هذه الغاية نكتة وهي أنه تعالى جعل عدم الاستجابة مغيا بيوم القيامة فاشعرت الغاية بانتفاء الاستجابة في يوم القيامة على وجه ابلغ واتم واوضح وضوح الحالة بالبين الذي لا يتعرض لذكره اذ هنالك تتجدد العداوة والمباينة بينهما وبين عابديها ﴿وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ الضمير الاول للاصنام والثاني لعابديها

والمعنى الاصنام التي يدعونها غافلون عن ذلك لا يسمعون ولا يعقلون لكونهم جمادات فالغفلة
مجاز عن عدم الفهم فيهم والجمع في الضميرين باعتبار معنى من واجرى على الاصنام ما هو للعقلاء
لاعتقاد المشركين فيها انها تعقل وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ العابدون للاصنام كَانُوا اي كان الاصنام لَهُمْ
اي لعابديهم أَعْدَاءً يتبرء بعضهم من بعض ويلعن بعضهم بعضا وقد قيل ان الله يخلق
الحياة في الاصنام فتكذبهم وقيل المراد انها تكذبهم وتعاديهم بلسان الحال لا بلسان المقال واما
الملائكة والمسيح وعزير والشياطين فانهم يتبرؤن ممن عبدهم يوم القيامة كما في قوله تعالى
تبرأنا اليك ما كانوا ايانا يعبدون وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ اي كان المعبودون بعبادة المشركين
اياهم جاحدين مكذبين وقيل الضمير في كانوا للعابدين كما في قوله والله ربنا ما كنا مشركين
والاول اولى وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا اي آيات القرآن حال كونها بَيِّنَاتٍ واضحات المعاني ظاهرات
الدلالات قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ اي لاجله وفي شانه وهو عبارة عن الآيات كما قاله القاضي
كالكشاف واليه اشار في التقرير ووضعه موضع ضميرها ووضع الذين كفروا موضع ضمير
المتلو عليهم للتسجيل عليها بالحق وعليهم بالكفر والانهماك في الضلالة كما يؤخذ ذلك من تقرير
وايضاحه انه هنا اقام ظاهرين مقام مضمرين اذ الاصل قالوا لها اي للآيات ولكن ابرزهما
ظاهرين لاجل الوصفين المذكورين افاده الكرخي لَمَّا جَاءَهُمْ اي وقت ان جاءهم
قالوا من غير نظر وتامل هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ اي ظاهر السحرية بين البطلان أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ
ام هي المنقطعة المقدرة ببل والهمزة اي بل ايقولون والاستفهام للانكار والتعجب من صنيعهم
وبل للانتقال عن تسميتهم الآيات سحرا الى قولهم ان رسول الله افترى ما جاء به والظاهر
ان الافتراء على الله اشنع من السحر لا يحتاج الى البيان وان كان كلاهما كفرا وفي ذلك من التوبيخ
والتقريع ما لا يخفى ثم امر الله سبحانه ان يجيب عنهم فقال قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ على سبيل الفرض
والتقدير كما تدعون فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا اي فلا تقدرون على ان تردوا عني عقاب
الله فكيف افتري على الله لاجلكم وانتم لا تقدرون على دفع عقابه عني هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ
فِيهِ اي تخوضون فيه من التكذيب والافاضة في الشيء الخوض والاندفاع فيه يقال افاضوا
في الحديث اي اندفعوا فيه وافاض البعير اذا دفع جرته من كرشه والمعنى الله اعلم بما تقولون

في القرآن وتخوضون فيه من التكذيب له والقول بأنه سحر وكهانة كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ فإنه يشهد لي بأن القرآن من عنده وأني قد بلغتكم ويشهد عليكم بالتكذيب والجحود وفي هذا وعيد شديد بجزاء فاضحتهم وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ لمن تاب وآمن وصدق بالقرآن وعمل بما فيه أي كثير الرحمة والمغفرة بليغهما وفيه اشعار بحلم الله عنهم مع عظيم جرمهم قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ البدع من كل شيء المبدء أي ما أنا بأول رسول لقد قال ابن عباس يعني قد بعث الله قبلي كثيرا من الرسل وقيل البدع بمعنى البديع كالخف والخفيف والبديع ما لم ير له مثل من الابتداع وهو الاختراع وشيء بدع بالكسر أي مبتدع وفلان بدع في هذا الأمر أي بديع كذا قال الأخفش وقرئ بدعا بفتح الدال مصدرا على تقدير حذف مضاف أي ما كنت ذا بدع قاله أبو البقاء وقرئ بفتح الباء وكسر الدال على الوصف كحذر وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي فيما يستقبل من الزمان هل أبقى في مكة أو أخرج منها وهل أموت أو أقتل كما فعل بالأنبياء قبلي قرئ يفعل مبنيا للمفعول وللفاعل وما استفهامية كما جرى عليه المحلي أو موصولة كما قال الزمخشري وَلَا أدري ما يفعل بِكُمْ يعني هل تعجل لكم العقوبة كالمكذبين قبلكم أم تمهلون وهذا إنما هو في الدنيا وأما في الآخرة فقد علم أنه وأمته في الجنة وأن الكافرين في النار وقيل إن المعنى ما أدري ما يفعل بي ولا بكم يوم القيامة وإنها لما نزلت فرح المشركون وقالوا كيف نتبع نبيا لا يدري ما يفعل به ولا بنا وأنه لا فضل له علينا فنزل قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر والأول أولى قال ابن عباس رضي الله عنه فأنزل الله تعالى بعد هذا ليغفر لك الله الخ وقوله ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات الآية فأعلم الله سبحانه نبيه صلعم ما يفعل به وبالمؤمنين جميعا وأرغم الله أنف الكفار وأخرج أبو داؤد في ناسخه أن هذه الآية منسوخة بقوله ليغفر لك الله وقد ثبت في صحيح البخاري وغيره من حديث أم العلاء قالت لما مات عثمان بن مظعون رضي الله تعالى عنه قلت رحمك الله يا أبا السائب شهادتي عليك لقد أكرمك الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك أن الله أكرمه أما هو فقد جاءه اليقين من ربه وإني لأرجو له الخير وما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي ولا بكم قالت أم العلاء فوالله لا أزكي بعده أحدا إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قرأ الجمهور مبنيا للمفعول أي ما أتبع إلا القرآن ولا أبتدع من عندي شيئا

والمعنى قصر افعاله صلى الله عليه وسلم على الوحي لا قصر اتباعه على الوحي وما انا الا نذير مبين اي انذركم عقاب
الله واخوفكم عذابه على وجه الايضاح قل ارايتم اي اخبروني ماذا حالكم ان كان ما يوحى الي
من القران من عند الله وقيل المراد محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى ان كان رسولا من عند الله في الحقيقة و
الحال انكم قد كفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل العالمين بما انزل الله في التوراة
على مثله فامن اي على مثل القران من المعاني الموجودة في التوراة المطابقة له من اثبات التوحيد
والبعث والنشور وغير ذلك وهذه المثلية هي باعتبار تطابق المعاني وان اختلفت الالفاظ
قال الجرجاني مثل صلة والمعنى وشهد شاهد عليه انه من عند الله وكذا قال الواحدي فامن
الشاهد بالقران لما تبين له انه من كلام الله ومن جنس ما ينزله على رسله وهذا الشاهد من
بني اسرائيل هو عبد الله بن سلام كما قال الحسن ومجاهد وقتادة وعكرمة وغيرهم وفي هذا
نظر فان السورة مكية بالاجماع وعبد الله بن سلام كان اسلامه بعد الهجرة فيكون المراد بالشاهد
رجلا من اهل الكتاب قد امن بالقران في مكة وصدقه واختار هذا ابن جرير والراجح انه عبد الله
بن سلام وان هذه الاية مدنية لا مكية وروي عن مسروق ان المراد بالرجل موسى عليه السلام
وشهادته ما في التوراة من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن سعد بن ابي
وقاص قال ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاحد يمشي على وجه الارض انه من اهل الجنة الا لعبد الله
بن سلام وفيه نزلت وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله واخرج الترمذي وابن جرير وابن
مردويه عن عبد الله بن سلام قال نزل في ايات من كتاب الله نزلت في وشهد شاهد من بني اسرائيل
ونزل في قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب وعن ابن عباس قال هو عبد الله
بن سلام وقد روي نحو هذا عن جماعة من التابعين وفيه دليل على ان هذه الاية مدنية فيخصص بها عموم
قولهم ان سورة الاحقاف كلها مكية واياه ذكر الكواشي وكونه اخبارا قبل الوقوع خلاف الظاهر
ولذا قيل لم يذهب احد الى ان الاية مكية اذا فسر الشاهد بابن سلام وفيه بحث لان قوله وشهد
شاهد معطوف على الشرط الذي يصيره بالماضي مستقبلا فلا ضير في شهادة الشاهد بعد نزولها
وادعاء انه لم يقل به احد مع ذكره في شروح الكشاف لا وجه له الا ان يراد من السلف المفسرين قاله
الشهاب واستكبرتم اي امن الشاهد واستكبرتم انتم عن الايمان وقد اختلف في جواب الشرط

ما هو فقال الزجاج محذوف تقديره أتؤمنون وقيل تقديره فقد ظلمتم لدلالة ان الله لا يهدي
القوم عليه وقيل تقديره فمن اضل منكم وقيل قوله فآمن واستكبرتم وقال ابو علي الفارسي تقديره
اتامنون عقوبة الله وقيل التقدير الستم ظالمين إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ فحرمهم الله
سبحانه الهداية بظلمهم لانفسهم بالكفر بعد قيام الحجة الظاهرة على وجوب الايمان ومن فقد
هداية الله له ضل عن عوف بن مالك الاشجعي قال انطلق النبي صلى الله عليه وسلم وانا معه حتى دخلنا
كنيسة اليهود يوم عيدهم فكرهوا دخولنا عليهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر اليهود اروني
اثني عشر رجلا منكم يشهدون ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله يحط الله عن كل يهودي تحت
اديم السماء الغضب الذي عليه فسكتوا فما اجابه منهم احد ثم رد عليهم فلم يجبه احد ثلاثا
فقال ابيتم فوالله لانا الحاشر وانا العاقب وانا المقفي آمنتم او كذبتم ثم انصرف وانا معه حتى كدنا
ان نخرج فاذا رجل من خلفه فقال كما انت يا محمد فاقبل فقال ذلك الرجل اي رجل تعلموني فيكم يا معشر
اليهود فقالوا والله ما نعلم فينا رجلا اعلم بكتاب الله ولا افقه منك ولا من ابيك ولا من جدك فقال
فاني اشهد بالله انه النبي الذي تجدونه مكتوبا في التوراة والانجيل قالوا كذبت ثم ردوا عليه
وقالوا شرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبتم لن يقبل منكم قولكم فخرجنا ونحن ثلاثة رسول الله وانا
وابن سلام فانزل الله قل ارايتم ان كان من عند الله الى قوله ان الله لا يهدي القوم الظالمين
اخرجه ابو يعلى وابن جرير والطبراني والحاكم وصححه وصححه السيوطي ثم ذكر الله سبحانه نوعا آخر من
اقاويلهم الباطلة في حق القرآن العظيم والمؤمنين به فقال وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا اي كفار مكة
لِلَّذِينَ آمَنُوا اي لاجلهم وفي حقهم وقيل هي لام التبليغ لَوْ كَانَ ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من القرآن
والنبوة خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ لانهم عند انفسهم المستحقون للسبق الى كل مكرمة فان معالي
الامور لا تنالها ايدي الاراذل وهم سقاط عامتهم فقراء وموال ورعاة قالوه زعما منهم ان
الرياسة الدينية مما ينال باسباب دنيوية وزل عنهم انها منوطة بكمالات نفسانية وملكات
روحانية مبناها الاعراض عن زخارف الدنيا الدنية والاقبال على الآخرة بالكلية وان من فاز
بها فقد حازها بحذافيرها ومن حرمها فما له منها من خلاق ولم يعلموا ان الله سبحانه يختص برحمته
من يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء ويصطفي لدينه من يشاء عن قتادة قال قال ناس

من المشركين نحن اعز ونحن ونحن فلو كان خيرا ما سبقنا اليه فلان وفلان فنزلت هذه الاية
وعن عون بن ابي شداد قال كانت لعمر بن الخطاب امة اسلمت قبله يقال لها زنيرة وكان عمر يضربها
على الاسلام وكان كفار قريش يقولون لو كان خيرا ما سبقنا اليه زنيرة فانزل الله في شأنها هذه الاية
وعن سمرة بن جندب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بنو غفار واسلم كانوا الكثير من الناس فتنة
يقولون لو كان خيرا ما جعلهم الله اول الناس فيه وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ اي بالقران وقيل بمحمد
صلى الله عليه وسلم وقيل بالايمان فَسَيَقُولُونَ غير مكتفين بنفي خيريته هَٰذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ فجاوزوا نفي خيرية
القران الى دعوى انه كذب قديم كما قالوا اساطير الاولين وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ قرأ الجمهور
بكسر الميم من من على انها حرف جر وهي مع مجرورها خبر مقدم وكتاب موسى مبتدأ مؤخر والجملة في
محل نصب على الحال او مستأنفة والكلام مسوق لرد قولهم هذا افك قديم فان كونه قد تقدم القران
كتاب موسى وهو التوراة وتوافقا في اصول الشرائع يدل على انه حق ويقتضي بطلان قولهم وقرئ بفتح الميم
على انها موصولة ونصب كتاب اي وآتينا من قبله كتاب موسى إِمَامًا اي يقتدى به في الدين
وَرَحْمَةً من الله لمن آمن به وهما منتصبان على الحال قاله الزجاج وغيره وقال الاخفش على القطع
وقال ابو عبيدة اي جعلناه اماما ورحمة وَهَٰذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ يعني القران فانه مصدق
لكتاب موسى الذي هو امام ورحمة ولغيره من كتب الله وقيل مصدق للنبي صلى الله عليه وسلم
وانتصاب لِسَانًا عَرَبِيًّا على الحال الموطئة وصاحبها الضمير في مصدق العائد الى كتاب الله و
جوز ابو البقاء ان يكون مفعولا لمصدق والاول اولى وقيل على حذف مضاف اي ذا لسان
عربي وهو النبي صلى الله عليه وسلم وقيل بلسان على اسقاط حرف الجر وهو ضعيف لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا
اي لينذر الكتاب او لينذر الله وقيل الرسول والاول اولى قرأ الجمهور بالتحتية وقرئ لتنذر بالفوقية
على ان فاعله النبي صلى الله عليه وسلم وَبُشْرَىٰ في محل نصب عطفا على محل لتنذر لانه مفعول له قاله الزمخشري
وتبعه ابو البقاء وتقديره للانذار والبشرى وقيل منصوب على المصدرية لفعل محذوف اي وبشر بشرى
وقال الزجاج الاجود ان يكون في محل رفع اي وهو بشرى وقيل انه معطوف على مصدق فهو في
محل رفع وقوله لِلْمُحْسِنِينَ متعلق ببشرى إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا اي جمعوا
بين التوحيد الذي هو خلاصة العلم والاستقامة على الشريعة التي هي منتهى العلم وثمرة الدلالة

على تأخر رتبة العمل وتوقف اعتباره على التوحيد وقد تقدم تفسير هذا في سورة السجدة فلا خوف
عليهم اي من لحوق مكروه في الآخرة والفاء زائدة في خبر الموصول لما فيه من معنى الشرط ولم تمنع ان من
ذلك لبقاء معنى الابتداء بخلاف ليت ولعل وكان ولا هم يحزنون على فوات محبوب في الدنيا وان
ذلك دائم مستمر اولئك الموصوفون بما ذكر اصحاب الجنة التي هي دار المؤمنين حال كونهم
خالدين فيها وفي هذه الآية من الترغيب امر عظيم فان نفي الخوف والحزن على الدوام والاستقرار
في الجنة على الابد مما لا تطلب الانفس سواه ولا تتشوق الارواح الى ما عداه جزاء بما كانوا يعملون
اي يجزون جزاء بسبب اعمالهم التي عملوها من الطاعات لله وترك معاصيه في الدنيا ولما كان
رضاء الله في رضاء الوالدين وسخطه في سخطهما كما ورد به الحديث حث الله تعالى عليه بقوله ووصينا
الانسان بوالديه حسنا قرأ الجمهور بضم الحاء وسكون السين وقرئ بفتحهما وقرئ احسانا وقد
تقدم في سورة العنكبوت ووصينا الانسان بوالديه حسنا من غير اختلاف بين القراء وقد تقدم
في سورة الانعام وسورة بني اسرائيل وبالوالدين احسانا فلعل هذا هو وجه اختلاف القراء هنا
وعلى جميعها فانتصابه على المصدر بتقدير وصيناه ان يحسن اليهما حسنا او احسانا وقيل بتضمين
وصينا معنى الزمنا وقيل على انه مفعول له والحسن خلاف القبح والاحسان خلاف الاساءة و
التوصية الامر حملته امه كرها ووضعته كرها تعليل للتوصية المذكورة واقتصر في
التعليل على الام لان حقها اعظم ولهذا كان لها ثلثا البر قاله الخطيب قرأ الجمهور كرها بضم الكاف في الموضعين وقرئ
بفتحها قال الكسائي وهما لغتان بمعنى واحد قال ابو حاتم الكره بالفتح لا يحسن لانه الغضب والغلبة
واختار ابو عبيد الفتح وقال لان لفظ الكره في القرآن كله بالفتح الا التي في سورة البقرة كتب عليكم القتال
وهو كره لكم وقيل ان الكره بالضم ما حمل الانسان على نفسه وبالفتح ما حمل على غيره وانما ذكر سبحانه حمل الام
ووضعها تاكيدا لوجوب الاحسان اليها الذي وصى الله به والمعنى انها حملته ذات كره ووضعته ذات
كره ثم بين سبحانه مدة حمله وفصاله فقال وحمله وفصاله ثلاثون شهرا اي مدتهما هذه المدة
من عند ابتداء حمله الى ان يفصل من الرضاع اي يفطم عنه وقد استدل بهذه الآية على ان اقل
مدة الحمل ستة اشهر لان مدة الرضاع سنتان اي مدة الرضاع الكامل في قوله حولين كاملين لمن اراد
ان يتم الرضاعة فذكر سبحانه في هذه الآية اقل مدة الحمل واكثر مدة الرضاع وفي هذه الآية اشارة
الى ان حق الام آكد من حق الاب لانها حملته بمشقة ووضعته بمشقة وارضعته هذه المدة بتعب

ونصب ولم يشاركها الاب في شيء من ذلك قرأ الجمهور فصاله بالالف وقرئ فصله بفتح الفاء و سكون الصاد والفصل والفصال بمعنى كالفطم والفطام والقطف والقطاف عن نافع بن جبير ان ابن عباس اخبره قال اني لصاحب المرأة التي أتي بها عمر وضعت لستة اشهر فانكر الناس ذلك فقلت لعمر لم تظلم قال كيف قلت اقرأ وحمله وفصاله ثلاثون شهرا والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين كم الحول قال سنة قلت كم السنة قال اثنا عشر شهرا قلت فاربعة وعشرون شهرا حولان كاملا ويؤخر الله من الحمل ما يشاء ويقدم ما شاء فاستراح عمر الى قولي وعنه انه كان يقول اذا ولدت المرأة لتسعة اشهر كفاها من الرضاع احد وعشرون شهرا واذا ولدت لسبعة اشهر كفاها من الرضاع ثلاثة وعشرون شهرا واذا وضعت لستة اشهر فحولان كاملان لان الله يقول وحمله وفصاله ثلثون شهرا حتى إذا بلغ أشده اي بلغ استحكام قوته وعقله وغاية شبابه واستوائه وهو جمع لا واحد له من لفظه وكان سيبويه يقول واحده شدة وبلوغ الاشد ان يكتهل ويستوفي السن التي تستحكم فيها قوته ولبه وذلك اذا اناف على الثلاثين وناطح الاربعين وقد مضى تحقيق الاشد مستوفى ولابد من تقدير جملة تكون حتى غاية لها اي عاش واستمرت حياته وقيل بلغ عمره ثماني عشرة سنة وقيل الاشد الحلم قاله الشعبي وابن زيد وقال الحسن وهو بلوغ الاربعين والاول اولى لقوله وبلغ أربعين سنة فان هذا يفيد ان بلوغ الاربعين هو شيء وراء بلوغ الاشد قال المفسرون لم يبعث الله نبيا قط الا بعد اربعين سنة قال رب أوزعني اي الهمني ورغبني ووفقني قال الجوهري استوزعت الله فاوزعني اي استلهمته فالهمني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي اي الهمني شكر ما انعمت علي من الهداية وعلى والدي من التحنن علي منهما حين ربياني صغيرا وقيل انعمت علي بالصحة والعافية وعلى والدي بالغنى والثروة وأن أعمل صالحا ترضاه منى وأصلح لي في ذريتي اي اجعل ذريتي صالحين راسخين في الصلاح متمكنين منه وعدى بفي لتضمنه معنى اللطف او هو نزل منزلة اللازم ثم عدى ليفيد سريان الصلاح فيهم والا فالاصلاح متعد كما في قوله تعالى واصلحنا له زوجه وفي هذه الآية دليل على انه ينبغي لمن بلغ عمره اربعين سنة ان يستكثر من هذه الدعوات إني تبت إليك من ذنوبي وإني من المسلمين اي المستسلمين لك المنقادين لطاعتك المخلصين لتوحيدك أولئك اشارة الى الانسان المذكور والجمع لانه يراد به الجنس الذين

نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا من اعمال الخير في الدنيا والمراد بالاحسن الحسن كقوله واتبعوا احسن ما انزل اليكم فالقبول ليس قاصرا على افضل حسناتهم واحسنها بل يعم كل طاعاتهم فاضلها ومفضولها والقبول هو الرضاء بالعمل والاثابة عليه وقيل ان اسم التفضيل على معناه ويراد به ما يثاب العبد عليه من الاعمال لا ما لا يثاب عليه كالمباح فانه حسن وليس باحسن وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فلا نعاقبهم عليها قرأ الجمهور يتقبل ويتجاوز على بناء الفعلين للمفعول وقرئ بالنون فيهما على اسنادهما الى الله سبحانه والتجاوز الغفران واصله من جزت الشيء اذا لم تقف عليه فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ اي انهم كائنون في عدادهم منتظمون في سلكهم فالجار والمجرور في محل النصب على الحال كقولك اكرمني الامير في اصحابه اي كائنا في جملتهم وقيل ان في بمعنى مع اي مع اصحاب الجنة وقيل انهما خبر مبتدأ محذوف اي هم في اصحاب الجنة وَعْدَ الصِّدْقِ مصدر مؤكد لمضمون الجملة السابقة لان قوله اولئك الذين نتقبل عنهم في معنى الوعد بالتقبل والتجاوز ويجوز ان يكون مصدر الفعل محذوف اي وعدهم الله وعد الصدق الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ به على السن الرسل في الدنيا عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية في ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فاستجاب الله له فاسلم والداه جميعا واخوانه وولده كلهم ونزلت فيه ايضا فاما من اعطى واتقى الى آخر السورة وقال النسفي قيل نزلت في ابي بكر الصديق وفي ابيه ابي قحافة وامه ام الخير وفي اولاده واستجابة دعائه فيهم فانه آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمان وثلاثين سنة ودعا لهما وهو ابن اربعين سنة ولم يكن احد من الصحابة من المهاجرين منهم والانصار اسلم هو ووالداه وبنوه وبناته غير ابي بكر رضي الله تعالى عنه ولما ذكر سبحانه من شكر نعمة الله سبحانه عليه وعلى والديه ذكر من قال لهما قولا يدل على التضجر منهما عند دعوتهما له الى الايمان فقال وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا الموصول عبارة عن الجنس القائل ذلك القول ولهذا اخبر عنه بالجمع واف كلمة تصدر عن قائلها عند تضجره من شيء يرد عليه قرئ اف بكسر الفاء مع التنوين وقرئ بفتحها من غير تنوين وقرئ بكسرها من غير تنوين فالقراءات ثلاثة سبعية والهمزة في الكل مضمومة وقد مضى بيان الكلام على هذا في سورة بني اسرائيل واللام في لكما للبيان الموقع له كما في قوله هيت لك وقد اخرج البخاري

عن يوسف بن ماهك قال كان مروان على الحجاز استعمله معاوية بن ابي سفيان فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية عليه ما عليه لكي يبايع له بعد ابيه فقال عبد الرحمن بن ابي بكر شيئا فقال خذوه

فدخل بيت عائشة فلم يقدروا عليه فقال مروان ان هذا انزل فيه والذي قال لوالديه اف لكما
فقالت عائشة ما انزل الله فينا شيئا من القرآن الا ان الله انزل عذري وعن محمد بن زياد قال لما بايع معاوية لابنه
قال مروان سنة ابي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما فقال عبد الرحمن سنة هرقل وقيصر فقال مروان
هذا الذي قال الله فيه والذي قال لوالديه اف لكما الآية فبلغ ذلك عائشة فقالت كذب مروان
والله ما هو به ولو شئت ان اسمي الذي نزلت فيه لسميته ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن ابا مروان
ومروان في صلبه فمروان من لعنه الله اخرجه النسائي وعبد بن حميد وابن المنذر والحاكم وصححه
وعن ابن عباس في الآية قال هذا ابن لابي بكر ونحوه عن السدي ولا يصح هذا ويرده ما سياتي من قوله
تعالى اولئك الذين حق عليهم القول في امم والصحيح انه ليس المراد من الآية شخص معين بل المراد كل
شخص كان موصوفا بهذه الصفة وهو كل من دعاه ابواه الى الدين الصحيح والايمان بالبعث فابى وانكر
وقيل نزلت في كل كافر عاق لوالديه أَتَعِدَانِنِي بنونين مخففتين وفتح ياءه اهل المدينة ومكة
واسكنها الباقون وقرئ بادغام احدى النونين في الاخرى وقرئ بفتح النون الاولى فرارا من توالي
مثلين مكسورين أَنْ أُخْرَجَ قرأ الجمهور مبنيا للمفعول وقرئ مبنيا للفاعل والمعنى اتعدانني
ان ابعث بعد الموت وهذا هو الموعود به وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي اي والحال ان قد
مضت القرون فماتوا ولم يبعث منهم احد وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ له ويطلبان منه التوفيق الى
الايمان واستغاث يتعدى بنفسه تارة وبالباء اخرى يقال استغاث الله واستغاث به وقال الرازي
معناه يستغيثان بالله من كفره فلما حذف الجار وصل الفعل وقيل الاستغاثة الدعاء فلا حاجة
الى الباء وزعم ابن مالك انه يتعدى بنفسه فقط وعاب قول النحاة مستغاث به قلت لكنه
لم يرد في القرآن الا متعديا بنفسه اذ تستغيثون ربكم فاستغاثه الذي من شيعته وان
يستغيثوا يغاثوا قال الفراء يقال اجاب الله دعاءه وغواثه وَيْلَكَ اي يقولان له ويلك وليس
المراد به الدعاء عليه بل الحث له على الايمان ولهذا قالا له آمِنْ بالبعث واعترف وصدق إِنَّ
وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ قرأ الجمهور بكسر ان على الاستئناف او التعليل وقرئ بفتحها اي بان وعد
حق لا خلف فيه وهو من جملة مقولهما فَيَقُولُ عند ذلك مكذبا لما قالاه مَا هَذَا الذي تقولانه
من البعث إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اي احاديثهم واباطيلهم التي يسطرونها في الكتب من غير ان تكون

لها حقيقة أُولَٰئِكَ القائلون هذه المقالات هم ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ اي وجب عليهم العذاب بقوله سبحانه لابليس لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين كما يفيده قوله فِيٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وجملة إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ تعليل لما قبلها وهذا يدفع كون سبب النزول عبد الرحمن بن ابي بكر وانه الذي قال لوالديه ما قال فانه من افاضل المؤمنين وليس ممن حقت عليه كلمة العذاب وَلِكُلٍّ اي لكل فريق من الفريقين المؤمنين والكافرين والابرار والفجار من الجن والانس دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ اي مراتب عند الله يوم القيامة باعمالهم قال ابن زيد درجات اهل النار تذهب سفلا ودرجات اهل الجنة تذهب علوا ومراتب اهل النار يقال لها دركات بالكاف كما في الحديث لا درجات والجواب ان ذلك على جهة التغليب او المراد المراتب مطلقا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ اي جزاء اعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم قدر جزاءهم على مقادير اعمالهم فجعل الثواب درجات والعقاب دركات قرأ الجمهور بالنون وقرئ بالتحتية واختار ابو عبيد الاولى وابو حاتم الثانية وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ اي لا يزاد مسيء ولا ينقص محسن بل يوفى كل فريق ما يستحقه من خير وشر والجملة حالية مؤكدة او مستأنفة مقررة لما قبلها وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ اي اذكر لهم يا محمد يوم ينكشف الغطاء فينظرون الى النار ويقربون منها وقيل معنى يعرضون يعذبون من قولهم عرضه على السيف وعرض الشخص على النار اشد في اهانته من عرض النار عليه اذ عرضه عليها يفيد انه كالحطب المخلوق للاحتراق وقيل في الكلام قلب والمعنى تعرض النار عليهم أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا اي يقال لهم ذلك قرأ الجمهور اذهبتم بهمزة واحدة وقرئ بهمزتين محققتين ومعنى الاستفهام التقريع والتوبيخ قال الفراء والزجاج العرب توبخ بالاستفهام وبغيره فالتوبيخ كائن على القراءتين قال الكلبي المراد بالطيبات اللذات وما كانوا فيه من المعايش والمعنى ان كل ما قدر لكم من اللذات والطيبات فقد ذهبتم به واخذتموه وتمتعتم به فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم منها شيء وقيل المعنى افنيتم شبابكم في الكفر والمعاصي قال ابن بحر الطيبات الشباب والقوة مأخوذة من قولهم ذهب اطيباه اي شبابه وقوته قال الماوردي ووجدت الضحاك قاله ايضا قلت القول الاول اظهر والثاني فيه بعد وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا اي بالطيبات والمعنى انهم اتبعوا الشهوات واللذات التي في معاصي الله سبحانه ولم يبالوا بالذنب تكذيبا منهم لما جاءت به الرسل من الوعد بالحساب والعقاب والثواب

فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ اي العذاب الذي فيه ذلكم وخزي عليكم قال مجاهد وقتادة الهون الهوان بلغة قريش بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ اي بسبب تكبركم عن عبادة الله والايمان به وتوحيده وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ اي تخرجون عن طاعة الله وتعملون بمعاصيه فجعل السبب في عذابهم امرين التكبر عن اتباع الحق والعمل بمعاصي الله سبحانه وهذا شان الكفرة فانهم جمعوا بينهما قيل لما وبخ الله تعالى الكافرين بالتمتع بالطيبات آثر النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه والصالحون من بعدهم اجتناب اللذات في الدنيا رجاء ثواب الآخرة وفي الباب اخبار وآثار تدل على ذم التمتع وَاذْكُرْ يا محمد لقومك أَخَا عَادٍ هو هود بن عبد الله بن رباح كان اخاهم في النسب لا في الدين إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ اي وقت انذاره اياهم بِالْأَحْقَافِ هي ديار عاد جمع حقف وهو الرمل العظيم المستطيل المعوج قاله الخليل وغيره وكانوا اقهر واهل الارض بقوتهم والمعنى ان الله سبحانه امره ان يذكر لقومه قصتهم ليتعظوا ويخافوا ويعتبروا بها وقيل امره ان يتذكر في نفسه قصتهم مع هود ليقتدي به ويهون عليه تكذيب قومه له قال عطاء الاحقاف رمال بلاد الشحر والشحر قريب من عدن وفي القاموس الشحر كمنع فتح الفم وساحل البحر بين عمان وعدن وقال مقاتل هي باليمن في حضرموت وقال ابن زيد هي رمال مبسوطة مستطيلة مشرفة على البحر كهيئة الجبال ولم تبلغ ان تكون جبالا وقيل الاحقاف ما استدار من الرمل وقال ابن عباس الاحقاف جبل بالشام وقيل واد بين عمان ومهرة واليه تنسب الابل المهرية وقيل كانوا من قبيلة ارم وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ اي قد مضت الرسل من قبله ومن بعده كذا قال الفراء وغيره والمعنى في اعلمهم ان الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو انذاره فالذين قبله اربعة آدم وشيث وادريس ونوح والذين بعده كصالح وابراهيم واسمعيل واسحق وكذا سائر انبياء بني اسرائيل أَنْ اي بان قال أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ وحده إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ تعليل لما قبله عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ اي هائل بسبب شرككم قاله القاضي وفيه اشارة الى ان عظيم مجاز عن هائل لانه يلزم العظم قَالُوا اي جوابا لانذاره أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا اي لتصرفنا عن عبادتها وقيل لتزيلنا وقيل لتمنعنا والمعنى متقارب فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا من العذاب العظيم إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ في وعدك لنا به قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ

ع ١٠

بوقت مجيئه عِنْدَ اللَّهِ لا عندي ولا مدخل لي فيه فاستعجل به وَأُبَلِّغُكُمْ أي وأما أنا فإنما وظيفتي
التبليغ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إليكم من ربكم من الإنذار والإعذار لا الإتيان بالعذاب فإنه ليس من مقدوري
بل هو من مقدورات الله تعالى وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ حيث بقيتم مصرين على كفركم
ولم تهتدوا وإنما جئتكم به بل اقترحتم علي ما ليس من وظائف الرسل فَلَمَّا رَأَوْهُ الضمير يرجع إلى ما
في قوله بما تعدنا وقال المبرد والزجاج يعود إلى غير مذكور وبينه قوله عَارِضًا فيعود إلى السحاب
أي فلما رأوا السحاب عارضا فعارضا نصب على التكرير بمعنى التفسير وسمي السحاب عارضا لأنه
يبدو في عرض السماء قال ابن عباس العارض السحاب قال الجوهري زاد يعترض في الأفق ومنه
قوله هذا عارض ممطرنا وانتصاب عارضا على الحال أو التمييز مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ أي متوجها
نحوها سائرا إليها قال المفسرون كانت عاد قد حبس عنهم المطر أياما فساق الله إليهم سحابة سوداء
فخرجت عليهم من واد لهم يقال له المغيث فلما رأوه مستقبل أوديتهم استبشروا وَقَالُوا هَذَا عَارِضٌ
مُمْطِرُنَا أي غيم فيه مطر وقوله مستقبل أوديتهم صفة لعارضا لأن إضافته لفظية لا معنوية فصح
وصف النكرة به وهكذا ممطرنا فلما قالوا ذلك أجاب عليهم هود أو القائل هو الله بَلْ هُوَ مَا
اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ من العذاب حيث قلتم فأتنا بما تعدنا رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ الريح التي عذبوا بها
نشأت من ذلك السحاب الذي رأوه تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا صفة ثانية لريح أي تهلك كل
شيء مرت به من نفوس عاد وأموالها والتدمير الإهلاك وكذا الدمار وقرئ يدمر بالتحتية مفتوحة
وسكون الدال وضم الميم ورفع كل على الفاعلية من دمر دمارا ومعنى بأمر ربها أن ذلك بقضائه
وقدره أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن عائشة قالت ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعا ضاحكا
حتى أرى منه لهواته إنما كان يتبسم وكان إذا رأى غيما أو ريحا عرف ذلك في وجهه قلت يا رسول
الله الناس إذا رأوا الغيم فرحوا أن يكون فيه المطر وأراك إذا رأيته عرفت في وجهك الكراهية
قال يا عائشة وما يؤمني أن يكون فيه عذاب قد عذب قوم بالريح وقد رأى قوم العذاب فقالوا
هذا عارض ممطرنا وأخرج مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة عن عائشة قالت كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم إذا عصفت الريح قال اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به وأعوذ
بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به فإذا تخيلت السماء تغير لونه وخرج ودخل وأقبل وأدبر فإذا أمطرت سرح عنه

سر به عنه فسالته فقال لا ادري لعله كما قال قوم عاد هذا عارض ممطرنا فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم بعد خراب اموالهم وذهاب انفسهم قرأ الجمهور بالفوقية على الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل من يصلح للرؤية ونصب مساكنهم وقرئ بالتحتية مبنيا للمفعول ورفع مساكنهم قال سيبويه معناه لا ترى اشخاصهم الا مساكنهم وقال الكسائي والزجاج معناها لا يرى شيئ الا مساكنهم فهي محمولة على المعنى كما تقول ما قام الا هند اي ما قام احد الا هند وفي الكلام حذف والتقدير فجاءتهم الريح فدمرتهم فاصبحوا الخ قال ابن عباس في الآية اول ما عرفوا انه عذاب رأوا ما كان خارجا من رحالهم ومواشيهم يطير بين السماء والارض مثل الريش دخلوا بيوتهم واغلقوا ابوابهم فجاءت الريح ففتحت ابوابهم ومالت عليهم بالرمل فكانوا تحت الرمل سبع ليال وثمانية ايام حسوما لهم انين ثم امر الله الريح فكشفت عنهم الرمل وطرحتهم في البحر فهو قوله فاصبحوا الآية وعنه قال ما ارسل الله على عاد من الريح الا قدر خاتمي هذا كذلك الجزاء نجزي القوم المجرمين قد تقدم تفسير هذه القصة في سورة الاعراف ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه قال المبرد ما في قوله فيما بمنزلة الذي وان بمنزلة ما النافية وتقديره ولقد مكناهم في الذي ما مكناكم فيه من كثرة المال وطول العمر وقوة الابدان وقيل ان زائدة اي ولقد مكناهم فيما مكناكم فيه وبه قال القتيبي والاول اولى لانه ابلغ في التوبيخ لكفار قريش وامثالهم قال ابن عباس يقول لم نمكنكم وعنه قال عاد مكنوا في الارض افضل مما مكنت فيه هذه الامة وكانوا اشد قوة واكثر اموالا واطول اعمارا وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة اي انهم اعرضوا عن قبول الحجة والتذكر مع ما اعطاهم الله من الحواس والآت الفهم التي بها تدرك الادلة ولهذا قال فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيئ اي فما نفعهم ما اعطاهم الله من ذلك حيث لم يتوصلوا به الى التوحيد واعتقاد صحة الوعد والوعيد ووحد السمع لانه لا يدرك به الا الصوت وما يتبعه بخلاف البصر حيث يدرك به اشياء كثيرة بعضها بالذات وبعضها بالواسطة والفؤاد يعم ادراكه كل شيئ قاله الكرخي وقد قدمنا من الكلام على افراد السمع وجمع البصر ما يغني عن الاعادة ومن في من شيئ زائدة والتقدير فما اغنى عنهم شيئا من الاغناء ولا نفعهم بوجه من وجوه النفع اذ كانوا يجحدون بآيات الله اي لانهم كانوا جاحدين وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن اي احاط بهم العذاب الذي كانوا يستعجلونه بطريق الاستهزاء

حيث قالوا فأتنا بما تعدنا ولقد اهلكنا ما حولكم من القرى الخطاب لاهل مكة والمراد بالقرى قرى قوم ثمود وهي الحجر وسدوم قرى قوم لوط بالشام ونحوهما مما كان مجاورا لبلاد الحجاز وكانت اخبارهم متواترة عندهم وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون اي بينا الحجج ونوعناها لكي يرجعوا عن كفرهم فلم يرجعوا ثم ذكر سبحانه انه لم ينصرهم من عذاب الله ناصر فقال فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة اي فهلا نصرهم آلهتهم التي تقربوا بها بزعمهم الى الله لتشفع لهم حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله ومنعتهم من الهلاك الواقع بهم قال الكسائي القربان كل ما يتقرب به الى الله من طاعة ونسيكة والجمع قرابين كالرهبان والرهابين واحد مفعولي اتخذ والضمير راجع الى الموصول والثاني آلهة وقربانا حال ولا يصح ان يكون قربانا مفعولا ثانيا وآلهة بدلا منه لفساد المعنى وقيل يصح ذلك ولا يفسد المعنى ورجحه ابن عطية وابو البقاء وابو حيان وانكر ان يكون في المعنى فساد على هذا الوجه بل ضلوا عنهم اي غابوا عن نصرهم ولم يحضروا عند الحاجة اليهم بالكلية وقيل بل هلكوا وقيل الضمير في ضلوا راجع الى الكفار اي تركوا الاصنام وتبرؤا منها والاول اولى وذلك افكهم اي ذلك الضلال والضياع اثر افكهم الذي هو اتخاذهم اياها آلهة وزعمهم انها تقربهم الى الله قرأ الجمهور افكهم بكسر الهمزة وسكون الفاء مصدر افك يأفك افكا اي كذبهم وقرئ افك بفتح الهمزة والفاء والكاف على انه فعل اي ذلك القول صرفهم عن التوحيد وقرئ بفتح الهمزة وتشديد الفاء اي صيرهم آفكين قال ابو حاتم يعني قلبهم عما كانوا عليه من النعيم وقرئ بالمد وكسر الفاء بمعنى صارفهم وما كانوا يفترون معطوف على افكهم اي اثر افترائهم او اثر الذي كانوا يفترونه والمعنى وذلك افكهم اي كذبهم الذي كانوا يقولون انها تقربهم الى الله وتشفع لهم وما كانوا يكذبون انها آلهة ولما بين سبحانه ان في الانس من آمن وفيهم من كفر بين ايضا ان في الجن كذلك فقال واذ صرفنا اليك نفرا من الجن اي اذكر اذ وجهنا اليك نفرا منهم وبعثناهم اليك واقبلنا بهم نحوك والنفر دون العشرة يستمعون القرآن صفة ثانية لنفرا وحال لان النكرة قد تخصصت بالصفة الاولى عن ابن مسعود قال هبطوا يعني الجن على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ القرآن ببطن نخلة فلما سمعوه قالوا انصتوا قالوا صه وكانوا تسعة احدهم زوبعة فانزل الله واذ صرفنا الى قوله ضلال مبين وعن الزبير قال اذ صرفنا اليك نفرا من الجن بنخلة ورسول الله صلى الله

عليه وسلم يصلي العشاء الأخرة كادوا يكونون عليه لبدا وكانوا تسعة نفر من أهل نصيبين فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا الى قومهم وعنه قال اتوه ببطن نخلة وعنه قال صرفت الجن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين وكانوا اشراف الجن بنصيبين وهي قرية من اليمن وجنها اشرف الجن وسادتهم واخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن مسروق قال سألت ابن مسعود من اذن النبي صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا القرآن قال اذنته بهم الشجرة واخرج احمد ومسلم والترمذي عن علقمة قال قلت لابن مسعود هل صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم منكم احد ليلة الجن قال ما صحبه منا احد ولكنا فقدناه ذات ليلة فقلنا اغتيل استطير ما فعل قال فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فلما كان في وجه الصبح اذا نحن به يجيئ من قبل حراء فاخبرناه فقال انه اتاني داعي الجن فاتيتهم فقرأت عليهم القرآن فانطلق فارانا آثارهم وآثار نيرانهم واخرج احمد عنه قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن وقد روي نحو هذا من طرق والجمع بين الروايات بالحمل على قصتين وقعت منه صلى الله عليه وسلم مع الجن حضر احدهما ابن مسعود ولم يحضر في الاخرى وقد وردت احاديث كثيرة ان الجن بعد هذا وفدت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة بعد مرة واخذوا عنه الشرائع وذكر سليمان الجمل في سبب هذه الواقعة قولين من الخطيب والخازن لاحاجة بنا الى ذكرهما فانهما ليسا من التفسير في شيئ فَلَمَّا حَضَرُوهُ اي حضروا القرآن عند تلاوته وقيل حضروا النبي صلى الله عليه وسلم ويكون في الكلام التفات من الخطاب الى الغيبة والاول اولى قَالُوٓا اَنۡصِتُوۡا اي اسكتوا امر بعضهم بعضا لاجل ان يسمعوا فَلَمَّا قُضِيَ قرا الجمهور مبنيا للمفعول اي فرغ من تلاوته وقرئ مبنيا للفاعل اي فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من تلاوته والاولى تؤيد ان الضمير في حضروه للقرآن والثانية تؤيد انه للنبي صلى الله عليه وسلم وَلَّوۡا اِلٰى قَوۡمِهِمۡ مُّنۡذِرِيۡنَ اي انصرفوا قاصدين الى من وراءهم من قومهم منذرين لهم عن مخالفة القرآن ومحذرين لهم وانتصابا منذرين على الحال المقدرة اي مقدرين الانذار وهذا يدل على انهم آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وكانوا يهودا وقد اسلموا والجن لهم ملل مثل الانس ففيهم اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الاصنام وفي مسلميهم مبتدعة ومن يقول بالقدر وخلق القرآن ونحو ذلك من المذاهب والبدع قال الخازن قَالُوۡا يٰقَوۡمَنَآ وفي الكلام حذف والتقدير فوصلوا الى قومهم فقالوا يا قومنا اِنَّا سَمِعۡنَا كِتٰبًا اي قرآنا اُنۡزِلَ

مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ أي لما قبله من الكتب المنزلة كالتوراة والانجيل والزبور
وصحف ابراهيم وغيرها يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أي الى الدين الحق أي العقائد الصحيحة وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ
أي الى طريق الله القويم أي الشرائع الفرعية والاحكام الدينية قال مقاتل لم يبعث الله نبياً الى
الجن والانس قبل محمد صلى الله عليه وسلم يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يعنون محمداً صلى الله عليه وسلم أو القرآن
يَغْفِرْ لَكُم جواب الامر مِّن ذُنُوبِكُمْ أي بعضها وهو ما عدا حق العباد لانه لا يغفر الا برضا أصحابه
وقيل ان من هنا لابتداء الغاية والمعنى انه يقع ابتداء الغفران من الذنوب ثم ينتهي الى غفران
ترك ما هو الاولى وقيل هي زائدة والاول اولى واما مظالم الحربيين فهي كحقوق الله تغفر بمجرد الاسلام
من الظالم ولا تتوقف على الاستحلال من المظلوم الحربي وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ وهو عذاب النار
وفي هذه الآية دليل على ان حكم الجن حكم الانس في الثواب والعقاب والتعبد بالاوامر والنواهي قال
الحسن ليس لمؤمني الجن ثواب غير نجاتهم من النار وبه قال ابو حنيفة والاول اولى وبه قال مالك
والشافعي وابن ابي ليلى وعلى القول الاول فقال القائلون به انهم بعد نجاتهم من النار يقال لهم
كونوا تراباً كما يقال للبهائم والثاني ارجح وقد قال الله تعالى في مخاطبة الجن والانس ولمن خاف مقام
ربه جنتان فبأي آلاء ربكما تكذبان فامتن الله سبحانه على الثقلين بأن جعل جزاء محسنهم الجنة
ولا ينافي هذا الاقتصار ههنا على ذكر اجارتهم من عذاب اليم ومما يؤيد هذا ان الله سبحانه قد
جازى كافرهم بالنار وهو مقام عدل فكيف لا يجازي محسنهم بالجنة وهو مقام فضل ومما يؤيد به
هذا ايضاً ما في القرآن الكريم في غير موضع ان جزاء المؤمنين الجنة وجزاء من عمل الصالحات الجنة
وجزاء من قال لا اله الا الله الجنة وغير ذلك مما هو كثير في الكتاب والسنة وقد اختلف اهل
العلم هل ارسل الله الى الجن رسولاً منهم ام لا وظاهر الآيات القرآنية ان الرسل من الانس كما في
قوله وما ارسلنا قبلك الا رجالاً نوحي اليهم من اهل القرى وقال وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا
انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق وقال سبحانه في ابراهيم الخليل وجعلنا في ذريته
النبوة والكتاب فكل نبي بعثه الله بعد ابراهيم فهو من ذريته واما قوله سبحانه في سورة الانعام
يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم فقيل المراد من مجموع الجنسين صدق على احدهما
وهو الانس كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان أي من احدهما وَمَن شرطية لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ

فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ اي لايفوت الله ولا يسبقه ولا يقدر على الهرب منه لانه وان هرب كل مهرب فهو في الارض لاسبيل له الى الخروج منها وفي هذا ترهيب شديد وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ اي انصار يمنعونه من عذاب الله بين سبحانه بعد استحالة نجاته بنفسه استحالة نجاته بواسطة غيره أُولَٰئِكَ اي من لا يجب داعي الله فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ اي ظاهر واضح وهذا آخر كلام الجن الذين سمعوا القرآن قد اجتمع ههنا همزتان مضمومتان من كلمتين وليس لهما نظير في القرآن غير هذا ثم ذكر سبحانه دليلا على البعث فقال أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ الرؤية هنا هي القلبية التي بمعنى العلم والهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر اي الم يتفكروا ولم يعلموا ان الذي خلق هذه الاجرام العظام من السموات والارض ابتداء وَلَمْ يَعْيَ مجزوم بحذف الالف قرأ الجمهور بسكون العين وفتح الياء مضارع عيي وقرئ بكسر العين وسكون الياء بِخَلْقِهِنَّ اي لم يتعب ولم ينصب ولم يعجز عن ذلك ولا ضعف عنه يقال عي بالامر وعيي اذا لم يهتد لوجهه قال الشهاب عدم العي مجاز عن عدم الانقطاع والنقص يعني ان قدرته واجبة لا تنقص ولا تنقطع بالايجاد ابد الآباد بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ قال ابو عبيدة والاخفش الباء زائدة للتوكيد كما في قوله وكفى بالله شهيدا قال الكسائي والفراء والزجاج العرب تدخل الباء مع الجحد والاستفهام فتقول ما اظنك بقائم والجار والمجرور في محل رفع على انهما خبر لان وقرأ جماعة يقدر على صيغة المضارع واختار ابو عبيد الاولى وابو حاتم الثانية بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ لا يعجزه شيء تعليل لما افادته بلى من تعليل الخاص بالعام ولما اثبت البعث ذكر بعض ما يحصل في يومه من الاهوال فقال وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ اي يقال ذلك اليوم للذين كفروا أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ وهذه الجملة هي المحكية بالقول والاشارة بهذا الى ما هو مشاهد لهم يوم عرضهم على النار وفي الاكتفاء بمجرد الاشارة من التهويل للمشار اليه والتفخيم لشأنه ما لا يخفى كأنه امر لا يمكن التعبير عنه بلفظ يدل عليه قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا اعترفوا حين لا ينفعهم الاعتراف واكدوا هذا الاعتراف بالقسم لان المشاهدة هي حق اليقين الذي لا يمكن جحده ولا انكاره وكأنهم يطمعون في الخلاص بالاعتراف بحقية ما هم فيه قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ اي بسبب كفركم بهذا في الدنيا وانكاركم له وفي هذا الامر لهم بذوق العذاب توبيخ بالغ وتهكم عظيم ولما قرر سبحانه الادلة على النبوة والتوحيد والمعاد امر رسوله بالصبر فقال

فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ الصبر الوثوق بحكم الله والثبات من غير بث ولا استكراه
قاله القشيري والفاء جواب شرط محذوف اي اذا عرفت ذلك و قامت عليه البراهين ولم ينجع في
الكافرين فاصبر كما صبر ارباب الثبات والحزم واولو الجد و الصبر فانك منهم قال مجاهد اولو
العزم من الرسل خمسة نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد وهم اصحاب الشرائع وبه قال ابن
عباس و قال ابو العالية هم نوح وهود وابراهيم فامر الله رسوله ان يكون رابعهم وقال السدي
هم ستة ابراهيم وموسى وداود وسليمان وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وقيل نوح وهود وصالح
وشعيب ولوط وموسى وقال ابن جريج ان منهم اسمعيل ويعقوب وايوب وليس منهم يونس
وقال الشعبي والكلبي هم الذين امروا بالقتال فاظهروا المكاشفة وجاهدوا الكفرة وقيل هم نجباء
الرسل المذكورين في سورة الانعام وهم ثمانية عشر ابراهيم واسحق ويعقوب ونوح وداود وسليمان
وايوب ويوسف وموسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى والياس واليسع ويونس ولوط واختار
هذا الحسين بن الفضل لقوله بعد ذكرهم اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقيل
ان الرسل كلهم اولو عزم ولم يبعث الله عز وجل نبيا الا كان ذا عزم وحزم ورأي وكمال عقل
وقيل هم اثنا عشر نبيا ارسلوا الى بني اسرائيل وقال الحسن هم اربعة ابراهيم وموسى وداود و
عيسى وعن ابن عباس قال هم الذين امروا بالقتال حتى مضوا على ذلك نوح وهود وصالح وموسى وداود
وسليمان وعن جابر بن عبد الله قال بلغني ان اولي العزم من الرسل كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر وعن
عايشة قالت ظل رسول الله صلى الله عليه وسلم صائما ثم طوى ثم ظل صائما ثم طوى ثم ظل صائما قال
عايشة ان الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد يا عايشة ان الله لم يرض من اولي العزم من الرسل الا بالصبر
على مكروهها والصبر عن محبوبها ثم لم يرض مني الا ان يكلفني ما كلفهم فقال اصبر كما صبر اولو
العزم من الرسل واني والله لاصبرن كما صبروا جهدي ولا قوة الا بالله اخرجه ابن ابي حاتم و
الديلمي قيل هذه الآية منسوخة بآية السيف وقيل محكمة قال القرطبي والاظهر انها منسوخة
لان السورة مكية وذكر مقاتل ان هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد فامره الله ان
يصبر على ما اصابه كما صبر اولو العزم تسهيلا عليه و تثبيتا له وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ اي لا تستعجل العذاب
يا محمد للكفار فانه نازل بهم لا محالة وان تأخر واللام للتعليل فلما امره سبحانه بالصبر ونهاه عن استعجال

العذاب لقومه رجاء ان يؤمنوا قال كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ من العذاب في الآخرة لطوله لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ اي الاقدر ساعة من ساعات الايام لما يشاهدونه من الهول العظيم والبلاء المقيم بَلَاغٌ قرأ الجمهور بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي هذا الذي وعظتم به بلاغ او تلك الساعة بلاغ او هذا القرآن بلاغ او هو مبتدأ والخبر لهم الواقع بعد قوله ولا تستعجل لهم اي لهم بلاغ وقرئ بالنصب على المصدر اي بلغ بلاغا وقرئ بلغ بصيغة الامر وبلغ بصيغة الماضي فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ قرأ الجمهور يهلك على البناء للمفعول وقرئ على البناء للفاعل وقرئ بالنون ونصب القوم والمعنى انه لا يهلك بعذاب الله الا القوم الخارجون عن الطاعة الواقعون في معاصي الله قال قتادة لا يهلك على الله الا هالك مشرك قيل وهذه الآية اقوى آية في الرجاء وقال الزجاج تأويله لا يهلك مع رحمة الله تعالى وفضله الا القوم الفاسقون وهذا تطميع في سعة فضل الله تعالى سبحانه*

سورة محمد صلى الله عليه وسلم وتسمى سورة القتال وسورة الذين كفروا وهي ثمان وتسع وثلاثون آية

وقيل هي اربعون آية والخلاف في قوله حتى تضع الحرب اوزارها وقوله لذة للشاربين وهي مدنية قال الماوردي في قول الجميع الا ابن عباس وقتادة فانهما قالا الا آية منها نزلت بعد حجة الوداع حين خرج من مكة وجعل ينظر الى البيت وهو يبكي حزنا عليه فنزل قوله تعالى وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك وهذا مبني على ان المكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة والمشهور ان المكي ما نزل قبل الهجرة والمدني ما نزل بعدها ولو في مكة فعليه تكون هذه الآية مدنية وهذا كله مبني على هذا النقل الذي نقله الماوردي هنا ونقله القرطبي ايضا هنا والذي نقله الخازن والخطيب وغيرهما بل والقرطبي ايضا انها نزلت لما خرج من مكة الى الغار مهاجرا والنقل الثاني هو الصحيح لانه هو الذي يناسبه التوجع بقوله وكاين من قرية واما على النقل الاول فلا يظهر هذا التوجع لانه في حجة الوداع فارقها مختارا بعد ما صارت دار اسلام واسلم جميع اهلها وبدئ فتحها في السنة الثامنة وقال الثعلبي انها مكية وحكاه ابن هبة الله عن الضحاك وسعيد بن جبير وهو غلط من القول فالسورة مدنية كما لا يخفى قال ابن عباس نزلت سورة القتال بالمدينة وعن ابن الزبير نزلت بالمدينة

ع ربع

سورة الذين كفروا وعن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرأ بهم في المغرب الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اخرجه الطبراني في الاوسط

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

اَلَّذِيْنَ كَفَرُوْا هم كفار قريش كفروا بالله وَصَدُّوْا انفسهم وغيرهم عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ وهو دين الاسلام بنهيهم عن الدخول فيه كذا قال مجاهد والسدي وابن عباس وقال الضحاك معنى سبيل الله بيت الله بمنع قاصديه وقيل هم اهل الكتاب او عام في كل من كفر وصد اَضَلَّ اَعْمَالَهُمْ اي ابطلها الله واحبطها وجعلها ضائعة قال الضحاك المعنى ابطل كيدهم ومكرهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وجعل الدائرة عليهم في كفرهم وقيل ابطل ما عملوه في الكفر مما كانوا يسمونه مكارم الاخلاق من صلة الارحام وفك الاسارى واطعام الطعام وعمارة المسجد الحرام واجارة المستجير وقري الاضياف ونحو ذلك وهذه وان كانت باطلة من اصلها لكن المعنى انه سبحانه حكم ببطلانها فلا يرون لها في الاخرة ثوابا ويجزون بها في الدنيا من فضله تعالى وقال ابن عباس كانت لهم اعمال فاضلة لا يقبل الله مع الكفر عملا ولما ذكر سبحانه فريق الكافرين اتبعهم بذكر فريق المؤمنين فقال وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ وَاٰمَنُوْا بِمَا نُزِّلَ عَلٰى مُحَمَّدٍ ظاهر هذا العموم فيدخل تحته كل مؤمن من المؤمنين الذين يعملون الصالحات ولا يمنع من ذلك خصوص سببها فقد قيل انها نزلت في الانصار قاله ابن عباس وقيل في ناس من قريش وقيل في مؤمني اهل الكتاب ولكن الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب العامة على بناء نزل للمفعول مشددا وقرئ مبنيا للفاعل وهو الله وقرئ أنزل بالهمزة ونزل ثلاثيا والمراد به القرآن وهذا من عطف الخاص على العام ولا شك ان الايمان بالقرآن المنزل على محمد من جملة افراد ما يجب الايمان به وخص سبحانه وتعالى الايمان بما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم بالذكر مع اندراجه تحت مطلق الايمان المذكور قبله تنبيها على شرفه وعلو مكانه واشعارا بان الايمان لا يتم دونه وانه الاصل فيه ولذا اكده بقوله وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَّبِّهِمْ ومعنى كونه الحق انه الناسخ لما قبله ولا ينسخ والجملة اعتراضية كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّاٰتِهِمْ التي عملوها فيما مضى فانه غفرها لهم بالايمان والعمل الصالح وَاَصْلَحَ بَالَهُمْ

اي شأنهم قاله مجاهد وقال قتادة حالهم وقيل أمرهم والمعاني متقاربة قال المبرد البال الحال ههنا وقيل الشأن وهو كالمصدر ولا يعرف منه فعل ولا تجمعه العرب الا في ضرورة الشعر قال الجوهري والبال ايضا رخاء العيش يقال فلان رخي البال والبال الحوت العظيم من حيتان البحر وليس بعربي والبالة القارورة والجراب ووعاء الطيب موضع بالحجاز وقيل والمعنى انه عصمهم عن المعاصي في حياتهم وارشدهم الى اعمال الخير وليس المراد اصلاح حال دنياهم من اعطائهم المال ونحو ذلك وقال النقاش ان المعنى اصلح نياتهم ذٰلِكَ اي ما مر مما اوعد به الكفار ووعد به المؤمنين او الامر ذلك بِاَنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَاَنَّ الَّذِيْنَ اٰمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَّبِّهِمْ فالباطل الشرك والكفر والحق التوحيد والايمان والمعنى ان ذلك الاضلال لاعمال الكافرين بسبب اتباعهم الباطل من الشرك بالله والعمل بمعاصيه وذلك التكفير لسيئات المؤمنين واصلاح بالهم بسبب اتباعهم الحق الذي امر الله باتباعه من التوحيد والايمان وعمل الطاعات كَذٰلِكَ الضرب او مثل ذلك البيان يَضْرِبُ يبين اللّٰهُ لِلنَّاسِ اَمْثَالَهُمْ اي احوال الفريقين الجارية مجرى الامثال في الغرابة قال الزجاج كذلك يضرب لهم امثال حسنات المؤمنين واضلال اعمال الكافرين يعني ان من كان كافرا اضل الله عمله ومن كان مؤمنا كفر الله سيئاته او جعل الاضلال مثلا لخيبة الكفار وتكفير السيئات مثلا لفوز الابرار ولما بين سبحانه حال الفريقين امر بجهاد الكفار فقال فَاِذَا لَقِيْتُمُ الفاء لترتيب ما في حيزها من الامر على ما قبلها فان ضلال اعمال الكفرة وخيبتهم وصلاح احوال المؤمنين وفلاحهم مما يوجب ان يترتب على كل من الجانبين ما يليق به من الاحكام اي فاذا كان الامر كما ذكر فاذا لقيتم في المحاربة الَّذِيْنَ كَفَرُوْا اي المشركين ومن لم يكن صاحب عهد من اهل الكتاب فَضَرْبَ الرِّقَابِ قال الزجاج اي فاضربوا الرقاب ضربا وقيل هو منصوب على الاغراء قال ابو عبيدة هو كقولهم يا نفس صبرا وقيل التقدير اقصدوا واضربوا الرقاب وخص الرقاب بالذكر لان القتل اكثر ما يكون بقطعها لا ان الواجب ضرب الرقبة خاصة لان هذا لا يكاد يتأتى حالة الحرب وانما يتأتى القتل في اي موضع كان من الاعضاء وهو الاكثر والغالب وقيل لان في التعبير عنه من الغلظة والشدة ما ليس في نفس القتل وهي حز العنق واطارة العضو الذي هو راس البدن وعلوه واحسن اعضائه حَتّٰۤى اِذَاۤ اَثْخَنْتُمُوْهُمْ غاية للامر

بضرب الرقاب لانه بيان غاية القتل وهو ماخوذ من الشئ الثخين اي الغليظ وفي المصباح اثخن في الارض اثخانا سار الى العدو واوسعهم قتلا واثخنته اوهنته بالجراحة واضعفته وقد مضى تحقيق معناه في الانفال والمعنى اذا اثقلتموهم وقهرتموهم بالقتل والجراح ومنعتموهم النهوض والحركة فَشُدُّوا الْوَثَاقَ بالفتح القيد والحبل ويجيئ بالكسر اسم الشئ الذي يوثق به كالرباط قال الجوهري واوثقه في الوثاق بكسر الواو لغة فيه والجمع وثق مثل رباط وربط وعناق وعنق قرأ الجمهور فشدوا بضم الشين وقرئ بكسرها وانما امر سبحانه بشد الوثاق لئلا يفلتوا او ينفلتوا والمعنى اذا بالغتم في قتلهم واكثرتم القتل فيهم فامسكوا عنهم واسروهم واحفظوهم بالوثاق فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً قرأ الجمهور بالمد وقرئ بالقصر اي فاما ان تمنوا عليهم بعد الاسر وشد الوثاق منا او تفدوا فداء والمن الاطلاق بغير عوض والفداء ما يفدي به الاسير نفسه من الاسر ولم يذكر القتل هنا اكتفاء بما تقدم وانما قدم المن على الفداء لانه من مكارم الاخلاق ولهذا كانت العرب تفتخر به كما قال شاعرهم ؎ ولا نقتل الاسرى ولكن نفكهم + اذا اثقل الاعناق حمل المغارم + قال ابن عباس في الاية جعل الله النبي والمؤمنين بالخيار في الاسارى ان شاؤا قتلوهم وان شاؤا استعبدوهم وان شاؤا فادوهم وعنه ايضا قال هذا منسوخ نسختها فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين وعن الحسن قال اتي الحجاج باسارى فدفع الى ابن عمر رجلا يقتله فقال ابن عمر ليس بهذا امرنا انما قال الله حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء وعن ليث قال قلت لمجاهد بلغني ان ابن عباس قال لا يحل قتل الاسارى لان الله قال فاما منا بعد واما فداء فقال مجاهد لا تعبأ بهذا شيئا ادركت اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلهم ينكر هذا ويقول هذه منسوخة انما كانت في الهدنة التي كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين فاما اليوم فلا يقول الله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ويقول فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب فان كان مشركوا العرب لم يقبل منهم الا الاسلام فان لم يسلموا فالقتل واما من سواهم فانهم اذا اسروا فالمسلمون فيهم بالخيار ان شاؤا اقتلوهم وان شاؤا استحيوهم وان شاؤا فادوهم اذا لم يتحولوا عن دينهم فان اظهروا الاسلام لم يفادوا ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الصغير والمرأة والشيخ الفاني ثم ذكر سبحانه الغاية لذلك فقال حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا اوزار الحرب اثقالها

التي لا تقوم الا بها من السلاح والكراع اسند الوضع اليها وهو لاهلها على طريق المجاز والمعنى ان المسلمين
مخيرون بين تلك الامور الاربعة الى غاية هي ان لا تكون حرب مع الكفار بان لا تبقى لهم شوكة قال مجاهد
المعنى حتى لا يكون دين غير دين الاسلام وبه قال الحسن والكلبي قال الكسائي حتى يسلم الخلق وقال
الفراء حتى يؤمنوا او يذهب الكفر اي لا يبقى الا مسلم او مسالم وقيل المعنى حتى يضع الاعداء المحاربون اوزارهم
وهو سلاحهم بالهزيمة او الموادعة وروي عن الحسن وعطاء انهما قالا في الاية تقديم وتاخير والمعنى
فضرب الرقاب حتى تضع الحرب اوزارها فاذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق وقد اختلف العلماء في هذه
الاية هل هي محكمة او منسوخة فقيل انها منسوخة في اهل الاوثان وانه لا يجوز ان يفادوا ولا
يمن عليهم والناسخ لها قوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله فاما تثقفنهم في الحرب
فشرد بهم من خلفهم وقوله وقاتلوا المشركين كافة ولهذا قال قتادة والضحاك والسدي
وابن جريج وكثير من الكوفيين قالوا والمائدة آخر ما نزل فوجب ان يقتل كل مشرك الا من قامت
الدلالة على تركه كالنساء والصبيان ومن تؤخذ منه الجزية وهذا هو المشهور من مذهب ابي حنيفة
وقيل ان هذه الاية ناسخة لقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم روي ذلك عن عطاء
وغيره وقال كثير من العلماء ان الاية محكمة وان الامام مخير بين القتل والاسر وبعد الاسر مخير
بين المن والفداء وبه قال مالك والشافعي والثوري والاوزاعي وابو عبيد وغيرهم وهذا هو الراجح
لان النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده فعلوا ذلك وقال سعيد بن جبير لا يكون فداء
ولا اسر الا بعد الاثخان والقتل بالسيف لقوله ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في
الارض فاذا اسر بعد ذلك فللامام ان يحكم بما رآه من قتل او غيره وعن ابي هريرة عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال يوشك من عاش منكم ان يلقى عيسى بن مريم اماما مهديا وحكما عدلا فيكسر الصليب ويقتل
الخنزير ويضع الجزية وتضع الحرب اوزارها رواه عبد بن حميد وابن ابي حاتم وابن مردويه و
عن سلمة بن نفيل عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث قال لا تضع الحرب اوزارها حتى يخرج ياجوج
وماجوج رواه ابن مردويه وابن سعد واحمد والنسائي والبغوي والطبراني والحاصل ان حتى
غاية لاحد الامور الاربعة او للمجموع عند الشافعي واما عند ابي حنيفة فان حمل الحرب على حرب بدر
فهي غاية للمن والفداء وان حملت على الجنس فهي غاية للضرب والشد والمراد بالوضع ترك القتال لو كان الشخص مستقلا بالله

ذلك اي الامر ذلك وقيل ذلك حكم الكفار وقيل افعلوا ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم يعني
ان الله قادر على الانتصار منهم بالانتقام منهم باهلاكهم وتعذيبهم بما شاء من انواع العذاب
كالخسف والرجفة وغير ذلك بغير قتال ولكن امركم بحربهم ليبلو بعضكم ببعض اي ليختبر فيعلم
المجاهدين في سبيله والصابرين على ابتلائه ويجزل ثوابهم ويعذب الكفار بايديهم والذين
قتلوا في سبيل الله فلن يضل اعمالهم قرأ الجمهور قاتلوا مبنيا للفاعل وقرئ قتلوا مخففا ومشددا
مبنيا للمفعول وقرئ قتلوا على البناء للفاعل مع التخفيف من غير الف والمعنى على الاولى والرابعة
ان المجاهدين في سبيل الله ثوابهم غير ضائع وعلى الثانية والثالثة ان المقتولين في سبيل
الله كذلك لا يضيع الله سبحانه اجرهم قال قتادة ذكر لنا ان هذه الاية نزلت في يوم احد وقد
فشت في المسلمين الجراحات والقتل ثم ذكر سبحانه ما لهم من جزيل الثواب عنده فقال سيهديهم
الله سبحانه الى الرشد في الدنيا وهو العمل الصالح والاخلاص فيه ويعطيهم الثواب في الآخرة قال ابو العالية
قد ترد الهداية والمراد بها ارشاد المؤمنين الى مسالك الجنان والطرق المفضية اليها وقال ابن زياد
يهديهم الى محاجة منكر ونكير في القبر ويصلح بالهم اي حالهم وشأنهم وامرهم وقيل يرضي
خصماءهم ويقبل اعمالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم الجملة مستأنفة او حالية بتقدير
قد او بدونه تقديرها قاله السمين اي بينها لهم حتى عرفوها من غير استدلال وذلك انهم اذا
دخلوا الجنة تفرقوا الى منازلهم قال الواحدي هذا قول عامة المفسرين وقال الحسن وصف الله
لهم الجنة في الدنيا فلما دخلوها عرفوها بصفتها وقيل فيه حذف اي عرف طرقها ومساكنها
وبيوتها وقيل هذا التعريف بدليل يدلهم عليها وهو الملك الموكل بالعبد يسير بين يديه حتى يدخله
منزله كذا قال مقاتل ويرده حديث ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار حتى اذا هذبوا ونقوا اذن لهم في
دخول الجنة فوالذي نفس محمد بيده لاحدهم اهدى بمنزله في الجنة من منزله الذي كان
في الدنيا رواه البخاري وهذا يدل على صحة القول الاول وقيل عرفها لهم اي طيبها بانواع الملاذ مأخوذ
من العرف وهو الرائحة او المعنى حددها لهم بحيث يكون لكل واحد جنة مفرزة وقيل عرف اهل السماء
انها لهم وقيل عرفها لهم اظهر لهم الكرامة فيها وقيل عرف المطيعين اعمالهم والاول اولى ثم

وعدهم سبحانه على نصر دينه بقوله يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله أي دينه ينصركم
على الكفار ويفتح لكم ومثله قوله ولينصرن الله من ينصره قال قطرب إن تنصروا
نبي الله ينصركم ويثبت أقدامكم أي يثبتكم في المعترك عند القتال فالمراد بالأقدام الذوات
بتمامها وعبر بالقدم لأن الثبات والتزلزل يظهران فيها وتثبيت الأقدام عبارة عن النصر والمعونة
في مواطن الحرب قيل على الإسلام وقيل على الصراط والذين كفروا من أهل مكة وغيرهم فتعسا
لهم منتصب على المصدر للفعل المقدر قال الفراء مثل سقيا لهم ورعيا وأصل التعس الانحطاط
والعثار قال ابن السكيت التعس أن يخر على وجهه والنكس أن يخر على رأسه قال والتعس
أيضا الهلاك قال الجوهري وأصله الكب وهو ضد الانتعاش قال المبرد أي فمكروها لهم
وقال ابن جريج بعدا لهم وقال السدي خزيا لهم وقال ابن زيد شقاء لهم وقال الحسن شتما لهم
وقال ثعلب هلاكا لهم وقال الضحاك وابن زياد خيبة لهم وقيل قبحا لهم حكاه النقاش
وقال الضحاك أيضا رغما لهم وقال ثعلب أيضا شرا لهم وقال أبو العالية شقوة لهم وعنه سقوطا
لهم قيل والتعس في الدنيا العثرة وفي الآخرة التردي في النار يقال للعاثر تعسا إذا دعوا عليه
ولم يريدوا قيامه وضده لعا إذا دعوا له وأرادوا قيامه واللام في لهم للبيان كما في قوله هيت لك
وأضل أعمالهم معطوف على ما قبله داخل معه في خبرية الموصول أي أبطلها لأنها كانت
في طاعة الشيطان والإشارة بقوله ذلك إلى ما تقدم مما ذكره الله من التعس والإضلال أي
الأمر ذلك أو ذلك الأمر بأنهم كرهوا ما أنزل الله على رسوله من القرآن المشتمل على التكاليف
وذلك لأنهم قد ألفوا الإهمال وإطلاق العنان في الشهوات والملاذ فلما جاء القرآن بترك
ذلك كرهوه وما أنزل على رسله من كتبه لاشتمالها على ما في القرآن من التوحيد والبعث
فأحبط الله أعمالهم بذلك السبب والمراد بالأعمال ما كانوا عملوا من أعمال الخير في الصورة وإن كانت
باطلة من الأصل لأن عمل الكافر لا يقبل قبل إسلامه ثم خوف سبحانه الكفار وأرشدهم إلى الاعتبار
بحال من قبلهم فقال أفلم يسيروا في الأرض أي في أرض عاد وثمود وقوم لوط وغيرهم ليعتبروا
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم أي آخر أمر الكافرين قبلهم فإن آثار العذاب
في ديارهم باقية ثم بين سبحانه ما صنع بمن قبلهم فقال دمر الله عليهم التدمير الإهلاك

اي اهلكهم واستاصلهم يقال دمره ودمر عليه بمعنى والثاني ابلغ لما فيه من العموم اي اهلك ما يختص به من المال والنفس ونحوه والاتيان بعلى لتضمينه معنى اطبق عليهم اي اوقعه عليهم محيطا بهم والجملة مستانفة جواب سؤال مقدر ثم توعد مشركي مكة فقال وَلِلْكَافِرِينَ اي السائرين بسيرة من قبلهم من الكفار أَمْثَالُهَا قال ابن عباس يعني لكفار قومك يا محمد صلى الله عليه وسلم مثل ما دمرت به القرى فاهلكوا بالسيف قال الزجاج وابن جرير الضمير راجع الى عاقبة الذين من قبلهم من الامم الكافرة وانما جمع لان العواقب متعددة بحسب تعدد الامم المعذبة وقيل امثال العقوبة او الهلكة او التدميرة والاول اولى لرجوع الضمير الى ما هو مذكور قبله مع صحة معناه ذَلِكَ اي ما ذكر من ان للكافرين امثالها بِأَنَّ اي بسبب ان اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا اي ناصرهم ووليهم وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ اي لا ناصر يدفع عنهم كما يؤخذ من مقابله وهذا لا يخالف قوله ثم ردوا الى الله مولاهم الحق فان المولى فيه بمعنى المالك لا بمعنى الناصر قال قتادة نزلت يوم احد وقرأ ابن مسعود ولي الذين إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ قد تقدم تفسير الآية في غير موضع وتقدم كيفية جري الانهار من تحت الجنات والجملة مسوقة لبيان ولاية الله للمؤمنين وثمرتها الاخروية وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ بمتاع الدنيا اياما قلائل وينتفعون به غير متفكرين في العاقبة وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ في معالفها ومسارحها غافلة عما هي بصدده من النحر والذبح والمعنى كانهم انعام ليس لهم همة الا بطونهم وفروجهم ساهون عن العاقبة لاهون بما هم فيه لا يلتفتون الى الآخرة وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ اي مقام يقيمون به ومنزل ينزلونه ويستقرون فيه ومصير يصيرون اليه والجملة في محل نصب على الحال او مستانفة ثم خوف الله سبحانه الكفار بانه قد اهلك من هو اشد منهم فقال وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ قد قدمنا ان كاين مركبة من الكاف واي وانها بمعنى كم الخبرية اي وكم من قرية والمعنى كم من اهل قرية كذبت رسلها هِيَ اي هم أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ اهل قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ اي اخرجوك منها أَهْلَكْنَاهُمْ فكذلك نفعل باهل قريتك فاصبر كما صبر رسل اهل هؤلاء القرى قال مقاتل اي اهلكناهم بالعذاب حين كذبوا رسلهم فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ فبالاولى من هو اضعف منهم وهم قريش الذين هم اهل قرية النبي صلى الله عليه وسلم وهي مكة فالكلام على حذف المضاف

كما في قوله واسأل القرية والجملة بيان لعدم خلاصهم من العذاب بواسطة الاعوان والانصار
اثر بيان عدم خلاصهم منه بانفسهم والفاء لترتيب ذكر ما بالغير على عدمه بالذات وهو
حكاية حال ماضية اذ كان الظاهر ان يقال فلم ينصرهم ناصر لان هذا اخبار عما مضى عن ابن
عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج من مكة الى الغار التفت الى مكة وقال انت احب بلاد الله الى الله
ولولا ان اهلك اخرجوني منك لم اخرج فاعتى الاعداء من عتى على الله في حرمه او قتل غير قاتله
او قتل بذحول الجاهلية فانزل الله وكاين من قرية الآية ثم ذكر سبحانه الفرق بين حال المؤمنين
وحال الكافرين فقال أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ الهمزة للانكار
والفاء للعطف على مقدر كنظائره والمعنى انه لا يستوي من كان على يقين من ربه وحجة وبرهان
من عنده ولا يكون كمن زين له سوء عمله وهو عبادة الاوثان والاشراك بالله والعمل بمعاصي الله
اي لا مماثلة بينهما وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم في عبادتها وانهمكوا في انواع الضلالات بلا شبهة توجب
الشك فضلا عن حجة نيرة روعي في هذين الضميرين معنى من كما روعي فيما قبلهما لفظها ثم لما بين
سبحانه الفرق بين الفريقين في الاهتداء والضلال بين الفرق بين مرجعهما ومآلهما فقال مَّثَلُ
اي صفة الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ مستأنف لشرح محاسن الجنة الموعود بها المؤمنين وبيان
ما فيها وفيه اوجه احدها انه مبتدأ وخبره مقدر فقدره النضر بن شميل ما تسمعون
قوله فِيهَا أَنْهَارٌ مفسر له وقدره سيبويه فيما يتلى عليكم مثل الجنة والجملة بعدها ايضا مفسرة
للمثل الثاني ان مثل زائدة تقديره الجنة التي وعد المتقون فيها انهار الثالث ان مثل الجنة
مبتدأ والخبر قوله فيها انهار وفيه نظر الرابع ان مثل الجنة مبتدأ خبره كمن هو خالد في
النار فقدره ابن عطية امثل اهل الجنة كمن هو خالد فقدر حرف الانكار ومضافا ليصح
قدره الزمخشري كمثل جزاء من هو خالد والجملة من قوله فيها انهار على هذا فيها ثلاثة اوجه احدها
هي حال من الجنة اي مستقرة فيها انهار الثاني انها خبر لمبتدأ مضمر اي هي فيها انهار كان
قائلا قال ما مثلها فقيل فيها انهار الثالث ان يكون تكرير اللصلة لانها في حكمها الا ترى انه
يصح قولك التي فيها انهار وانما عري من حرف الانكار افاده السمين مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ بالمد
والقصر سبعيتان ولغتان وقال الاخفش ان الممدود يراد به الاستقبال والمقصور يراد به الحال

يقال اسن الماء ياسن اسونا اذا تغيرت رائحته ومثله الآجن وزنا ومعنى قال ابن عباس
غير متغير يعني بخلاف ماء الدنيا فيتغير بعارض وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ اي لم
يحمض كما تتغير البان الدنيا لانها لم تخرج من ضروع الابل والغنم والبقر فلا يعود حامضا ولا
قارصا ولا ما يكره من الطعوم وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ اي لذيذة لهم طيبة الشرب
لا يتكرهها الشاربون بخلاف خمر الدنيا فانها كريهة عند الشرب يقال شراب لذ ولذيذ وفيه
لذة بمعنى ومثل هذه الاية قوله بيضاء لذة للشاربين والمعنى ليس فيها حموضة ولا عفوصة ولا مرارة
ولا عضاضة ولم تدنسها الارجل بالدوس ولا الايدي بالعصر وليس في شربها ذهاب عقل ولا
صداع ولا خمار ولا آفة من آفات الخمر بل هي لمجرد الالتذاذ وتفريح الطبع فقط تعويضا بخمر
الدنيا كقوله تعالى لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى مما يخالطه من الشمع
والقذى والعكر والكدر نقلوا في العسل التذكير والتانيث وجاء القرآن على التذكير وفي المصباح
يذكر ويؤنث وهو الاكثر ويصغر على عسيلة على لغة التانيث ذهابا الى انها قطعة من الجنس و
طائفة منه ونحوه في المختار وزاد والعاسل الذي ياخذ العسل من بيت النحل والنحلة عسالة عن
معاوية بن حيدة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في الجنة بحر اللبن وبحر الماء وبحر العسل
وبحر الخمر ثم تشقق الانهار منها بعد اخرجه احمد والترمذي وصححه ابن المنذر وابن مردويه و
البيهقي في البعث وعن كعب قال نهر النيل نهر العسل في الجنة ونهر دجلة نهر اللبن في الجنة ونهر الفرات
نهر الخمر في الجنة ونهر سيحان نهر الماء في الجنة وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيحان
وجيحان والنيل والفرات كل من انهار الجنة اخرجه مسلم قال النووي هما غير سيحون وجيحون واللذان
هما من الجنة فهما في بلاد الارمن فسيحان نهر اردنه وجيحان نهر المصيصة وهما نهران عظيمان
جدا اكبرهما جيحان هذا هو الصواب في موضعهما ثم ذكر بعد هذا كلاما طويلا ثم قال فاما كون
هذه الانهار من ماء الجنة ففيه تاويلان الثاني وهو الصحيح انها على ظاهرها وان لها مادة من الجنة
مخلوقة موجودة اليوم هذا مذهب اهل السنة وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ اي لاهل الجنة
في الجنة مع ما ذكر من الاشربة من كل صنف من اصناف الثمرات ومن زائدة للتوكيد
وفي ذكر الثمرات بعد المشروب اشارة الى ان ماكول اهل الجنة للذة لا لحاجة فلهذا ذكر الثمار بعد

المشروب لانها للتفكه واللذة ﴿ومغفرة من ربهم﴾ لذنوبهم قبل دخولهم اليها والواو لمطلق الجمع
وتنكير مغفرة للتعظيم اي ولهم مغفرة عظيمة كائنة من ربهم برفع التكاليف عنهم ﴿كمن هو خالد
في النار﴾ هو خبر لمبتدأ محذوف اي امن هو في نعيم الجنة على هذه الصفة خالدا فيها كمن هو
خالد في النار او خبر لقوله مثل الجنة ورجح الاول الفراء فقال اراد امن كان في هذا النعيم كمن هو خالد
في النار وقدره الكواشي امثل هذا الجزاء الموصوف كمثل جزاء من هو خالد وهو ماخوذ من اللفظ
فهو احسن وقال الزجاج اي افمن كان على بينة من ربه واعطي هذه الاشياء كمن زين له سوء
عمله وهو خالد في النار وقال ابن كيسان ليس مثل الجنة التي فيها الثمار والانهار كمثل النار التي فيها
الحميم والزقوم وليس مثل اهل الجنة في النعيم كمثل اهل النار في العذاب الاليم وقيل غير ذلك
﴿وسقوا ماء حميما﴾ الحميم الماء الحار الشديد الحرارة والغليان فاذا شربوه قطع امعاءهم وهو
معنى قوله ﴿فقطع امعاءهم﴾ اي مصارينهم فخرجت من ادبارهم لفرط حرارته والامعاء جمع
معا بالقصر والفه مبدلة عن ياء لقولهم معيان وهو ما في البطون من الحوايا ﴿ومنهم﴾ اي من هؤلاء
الكفار الذين يتمتعون و ياكلون كما تاكل الانعام ﴿من يستمع اليك﴾ وهم المنافقون افرد الضمير
باعتبار لفظ من وجمع في قوله ﴿حتى اذا خرجوا من عندك﴾ باعتبار معناها والمعنى ان المنافقين
كانوا يحضرون مواقف وعظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ومواطن خطبه التي يمليها على المسلمين يوم
الجمعة وحينئذ تكون هذه الاية مدنية بل وكذا ما بعدها من الايات الاتية فتكون
مستثناة من القول بان السورة مكية والمعنى حتى اذا خرجوا من عنده ﴿قالوا للذين اوتوا العلم﴾
وهم علماء الصحابة وقيل عبد الله بن عباس وقيل عبد الله بن مسعود وقيل ابو الدرداء
والاول اولى اي سألوا اهل العلم فقالوا لهم على طريقة الاستهزاء ﴿ماذا﴾ اي اي شيء ﴿قال﴾ اي النبي صلى الله
عليه وسلم ﴿آنفا﴾ بالمد والقصر اي الساعة وبها فسره الزمخشري وقال انه ظرف حالي كالآن وقال ابن عطية
والمفسرون معناه الساعة الماضية القريبة منا وهذا تفسير بالمعنى والمعنى انا لم نلتفت الى قوله
ولم نرجع اليه ومنه امر انف اي مستانف وروضة انف اي لم يرعها احد وانتصابه على الظرفية
اي وقتا مؤتنفا او حال من الضمير في قال قال الزجاج هو من استانفت الشيء اذا ابتدأته واصله
ماخوذ من انف الشيء لما تقدم منه مستعار من الجارحة قال ابن عباس كنت فيمن يسأل عنه

قال انا منهم وفي هذا منقبة لابن عباس جليلة لانه كان اذ ذاك صبيا فان النبي صلى الله عليه وسلم مات وهو في سن البلوغ فسؤال الناس له عن معاني القران في حيات النبي صلى الله عليه وسلم ووصف الله سبحانه للمسؤلين بانهم الذين اوتوا العلم وهو منهم من اعظم الادلة على سعة علمه ومزيد فقهه في كتاب الله وسنة رسوله مع كون اترابه واهل سنه اذ ذاك يلعبون مع الصبيان وعن عكرمة قال كانوا يدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا خرجوا من عنده قالوا لابن عباس ماذا قال انفا فيقول كذا وكذا وكان ابن عباس اصغر القوم فانزل الله الاية فكان ابن عباس من الذين اوتوا العلم وعن ابن بريدة قال هو ابن مسعود وعن ابن عباس قال هو ابن مسعود والاشارة بقوله أُولَٰئِكَ الى المذكورين من المنافقين وهو مبتدأ وخبره الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ اي بالكفر فلم يؤمنوا ولا توجهت قلوبهم الى شيء من الخير وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ في الكفر والعناد ثم ذكر حال اضدادهم فقال وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا الى طريق الخير فامنوا بالله وعملوا بما امرهم به زَادَهُمْ هُدًى بالتوفيق وقيل زادهم النبي صلى الله عليه وسلم وقيل زادهم القران وقال الفراء زادهم اعراض المنافقين واستهزاؤهم هدى وقيل زادهم نزول الناسخ هدى وعلى كل تقدير فالمراد انه زادهم ايمانا وعلما وبصيرة في الدين قال ابن عباس في الاية لما انزل القران امنوا به وكان هدى فلما تبين الناسخ من المنسوخ زادهم هدى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ اي الهمهم اياها واعانهم عليها يعني خلق التقوى فيهم او اعطاهم ثواب تقواهم وجزاءها والاول اولى واوفق لتاليف النظم لما سبق ان اغلب ايات هذه السورة الكريمة روعي فيها التقابل فقوبل الطبع بزيادة الهدى لان الطبع يحصل من تزايد الرين وترادف ما يزيد في الكفر وقوبل اتباع الهوى بايتاء التقوى فيحمل على كمال التقوى وهو ان يتنزه العارف عما يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه بشراشره وهو التقى الحقيقي المعني بقوله اتقوا الله حق تقاته فان المزيد على مزيد الهدى مزيد لا مزيد عليه وقال الربيع التقوى هي الخشية وقال السدي هي ثواب الاخرة وقال مقاتل هي التوفيق للعمل بما يرضاه وقيل العمل بالناسخ وترك المنسوخ وقيل ترك الرخص والاخذ بالعزائم فَهَلْ يَنْظُرُونَ اي ما ينتظر كفار مكة إِلَّا السَّاعَةَ اي القيامة أَنْ تَأْتِيَهُمْ بدل اشتمال من الساعة اي ليس الامر الا ان تاتيهم بَغْتَةً اي فجاءة وفي هذا وعيد للكفار شديد

وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بادروا بالاعمال سبعا فهل تنتظرون الا فقرا منسيا او غنى
مطغيا او مرضا مفسدا او هرما مفندا او موتا مجهزا او الدجال فشر غائب ينتظر او الساعة والساعة
ادهى وامر اخرجه الترمذي وحسنه فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا تعليل لمفاجاتها والا تيانها من حيث
هو او هذا كالعلة للفعل باعتبار تعلقه بالبدل لان ظهور اشراط الشيء موجب لانتظاره ومعنى اشراطها
اماراتها وعلاماتها وكانوا قد قرأوا في كتبهم ان النبي صلى الله عليه وسلم اخر الانبياء فبعثته من اشراطها
قاله الحسن والضحاك والاشراط جمع شرط بسكون الراء وفتحها وهو العلامة وقيل المراد باشراطها
هنا اسبابها التي هي دون معظمها وقيل اراد بعلامات الساعة انشقاق القمر والدخان كذا قال
الحسن وقال الكلبي كثرة المال والتجارة وشهادة الزور وقطع الارحام وقلة الكرام وكثرة اللئام قلت
كما يشاهد الان وفي هذا الزمان والله المستعان قال ابن عباس في الاية اول الساعات وقد ثبت
في الصحيحين وغيرهما من حديث انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت انا والساعة كهاتين واشار بالوسطى
والسبابة ومثله عند البخاري من حديث سهل بن سعد وفي الباب احاديث كثيرة فيها بيان اشراط
الساعة وبيان ما قد وقع منها وما لم يكن قد وقع وهي تاتي في مصنف مستقل فلا نطيل بذكرها وفي هذا
الباب كتاب الاشاعة لاشراط الساعة وهو نفيس جدا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ الساعة بغتة ذِكْرَاهُمْ
اي فمن اين لهم التذكر والاتعاظ والتوبة والخلاص كقوله يومئذ يتذكر الانسان وانى له الذكرى
فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ اي اذا علمت ان مدار الخير هو التوحيد والطاعة ومدار الشر هو الشرك و
العمل بمعاصي الله فاعلم انه لا اله غيره ولا رب سواه والمعنى اثبت على ذلك واستمر عليه ودم على ما انت
عليه من العلم بالوحدانية فانه النافع يوم القيامة لانه صلى الله عليه وسلم قد كان عالما بانه لا اله الا الله
قبل هذا ودليل علمه قوله صلى الله عليه وسلم من مات وهو يعلم ان لا اله الا الله دخل الجنة رواه مسلم
وقيل ما علمته استدلالا فاعلمه خبرا يقينيا وقيل المعنى فاذكر انه لا اله الا الله فعبر عن الذكر بالعلم قيل
الفاءات في هذه الايات لعطف جملة على جملة بينهما اتصال وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ اي استغفر لما ان يقع
منك ذنب او استغفر الله ليعصمك او استغفره مما ربما يصدر منك من ترك الاولى قال القاضي
عياض ان المراد به الفترات والغفلات من الذكر الذي كان شانه صلى الله عليه وسلم الدوام عليه فاذا
فتر وغفل عد ذلك ذنبا واستغفر منه وقيل يحتمل ان يكون استغفاره شكرا وياباه قوله لذنبك

وقيل استغفر لذنوب اهل بيتك وهذا تكلف بلا موجب وقيل للتستن به امته وليقتدوا به في ذلك وقيل الخطاب له والمراد الامة ويابى هذا قوله وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ فان المراد باستغفاره لذنوب امته بالدعاء لهم بالمغفرة عما فرط من ذنوبهم وهذا اكرام من الله عز وجل لهذه الامة حيث امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يستغفر لذنوبهم وهو الشفيع المجاب فيهم ان شاء الله تعالى عن ابن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال افضل الذكر لا اله الا الله وافضل الدعاء الاستغفار ثم قرأ فاعلم انه لا اله الا الله الاية رواه الطبراني وابن مردويه والديلمي وعن ابي هريرة في قوله واستغفر لذنبك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاستغفر الله في اليوم سبعين مرة رواه عبد الرزاق وعبد بن حميد والترمذي وصححه وابن المنذر وابن ابي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الشعب واصله في البخاري وفي رواية اكثر من سبعين وعن عبد الله بن سرجس قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فاكلت معه من طعام فقلت غفر الله لك يا رسول الله قال ولك فقيل ا ستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم ولكم وقرأ واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات اخرجه مسلم واحمد والترمذي والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه وروى مسلم عن الاغر المزني قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه ليغان على قلبي حتى استغفر الله في اليوم مائة مرة وللعلماء في هذا الغين كلام طويل لا يسعه هذا الموضع وقد وردت احاديث في استغفاره صلى الله عليه وسلم لنفسه ولامته وترغيبه في الاستغفار

وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ في الدنيا اي اعمالكم ومعايشكم ومتاجركم وَمَثْوَاكُمْ في الدار الاخرة قاله ابن عباس وقيل منقلبكم في اعمالكم نهارا ومثواكم في ليلكم نياما وقيل منقلبكم في اصلاب اباءكم الى ارحام امهاتكم ومثواكم في الارض اي مقامكم فيها قال ابن كيسان منقلبكم من ظهر الى بطن في الدنيا ومثواكم في القبور وقيل منصرفكم في اعمالكم ومثواكم اي مصيركم الى الجنة او النار والمعنى انه عالم بجميع احوالكم لا يخفى عليه شيء منها وان دق وخفي ومثله حقيق بان يتقى ويخشى وان يستغفر وسأل المؤمنون ربهم عز وجل ان ينزل على رسوله صلى الله عليه وسلم سورة يامرهم فيها بقتال الكفار حرصا منهم على الجهاد ونيل ما اعد الله للمجاهدين من جزيل الثواب فحكى الله عنهم ذلك بقوله وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا من هنا الى اخر السورة لا يظهر الا كونه مدنيا اذ القتال لم يشرع الا بالمدينة وكذلك النفاق لم يظهر الا بها فيحمل القول فيما تقدم بانها مكية على اغلبها او اكثرها وكذا يحمل القول بانها مدنية على

ع ٨

البعض منها لَوْلَا هلا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فيها ذكر القتال والامر بالجهاد والتحريض عليه فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ في معنى الجهاد مُّحْكَمَةٌ اي غير منسوخة وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ اي فرض الجهاد و طلبه قال قتادة كل سورة ذكر فيها الجهاد فهي محكمة وهي اشد القران على المنافقين لان النسخ لا يرد عليها من قبل ان القتال نسخ ماكان من الصفح والمهادنة وهو غير منسوخ الى يوم القيامة وقرأ ابن مسعود فاذا انزلت سورة محدثة اي محدثة النزول وقرأ الجمهور انزلت وذكر على بنائه للفاعل للمفعول وقرئ نَزَلَتْ وذكر على بنائهما للفاعل ونصب القتال رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ اي شك وهم المنافقون او ضعف في الدين واصل المرض الفتور فمرض القلوب فتورها عن قبول الحق والاول هو الاظهر الموافق لسياق النظم الكريم يَنظُرُونَ إِلَيْكَ يعني شزرا او كراهية منهم نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ اي نظرا مثل نظر من شخص نظره وبصره عند الموت لجبنهم عن القتال وميلهم الى الكفار كذا ب من اصابته غشية الموت وقال ابن قتيبة والزجاج يريد انهم يشخصون نحوك بابصارهم وينظرون اليك نظرا شديدا كما ينظر الشاخص بصره عند الموت فَأَوْلَى لَهُمْ قال الجوهري قولهم اولى لك تهديد ووعيد وكذا قال مقاتل والكلبي وقتادة قال الاصمعي معنى قولهم في التهديد اولى لك اي وليك وقاربك ماتكره وهو فعل ماض قال ثعلب ولم يقل احد في اولى احسن مما قاله الاصمعي وقال المبرد يقال لمن هم بالغضب ثم افلت اولى لك اي قاربت الغضب وقال الجرجاني هو ماخوذ من الويل اي فويل لهم وكذا قال في الكشاف قال قتادة ايضا كانه قال العقاب اولى لهم وعلى هذا يكون اسما لا فعلا وعليه الاكثر وفي اعرابه اوجه ذكرها السمين طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ كلام مستانف اي امرهم طاعة او طاعة وقول معروف خير لكم قال الخليل وسيبويه ان التقدير طاعة وقول معروف احسن وامثل بكم من غيرهما وقدره مكي منا طاعة فقدره مقدما اي الاولى بهم ان يطيعوك ويخاطبوك بالقول الحسن الخالي عن الاذية وقيل ان طاعة خبر اولى وقيل ان طاعة صفة لسورة اي فاذا انزلت سورة محكمة طاعة اي ذات طاعة او مطاعة ذكره مكي وابو البقاء وفيه بعد لكثرة الفواصل وقيل ان لهم خبر مقدم وطاعة مبتدء مؤخر والاول اولى فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ عزم الامر جد الامر اي جد القتال ووجب وفرض، واسند الامر الى العزم وهو لاصحابه مجازا وجواب اذا قيل هو قوله الآتي فلو صدقوا الله وقيل تقديره

كرهوه قال المفسرون معناه اذا جد الامر ولزم فرض القتال خالفوا وتخلفوا فلو صدقوا الله في اظهار الايمان والطاعة لكان خيراً لهم من المعصية والمخالفة فهل عسيتم يقال عسيت ان افعل كذا وعسيت بالفتح والكسر لغتان ذكره الجوهري وهما سبعيتان وفيه التفات عن الغيبة الى الخطاب للتاكيد التوبيخ وتشديد التقريع اي فهل يتوقع منكم ان توليتم اي اعرضتم عن الايمان الذي تلبستم ظاهراً ان تفسدوا في الارض بانواع الفساد ان توليتم امر الامة ان تفسدوا فيها بالظلم قال الكلبي وقال كعب ان يقتل بعضكم بعضاً وقال قتادة ان توليتم عن طاعة كتاب الله عز وجل ان تفسدوا فيها بسفك الدماء وقال ابن جريج ان توليتم عن الطاعة ان تفسدوا في الارض بالمعاصي وقيل اعرضتم عن القتال وفارقتم احكامه فتعودوا الى جاهليتكم او توليتم الحكم فجعلتم حكاماً ان تفسدوا في الارض باخذ الرشا قرأ الجمهور توليتم مبنياً للفاعل وقرئ مبنياً للمفعول معناها فهل عسيتم ان ولي عليكم ولاة جائرون ان تخرجوا عليكم في الفتنة وتحاربوهم وتقطعوا ارحامكم بالبغي والظلم والقتل قرأ الجمهور تقطعوا بالتشديد على التكثير وقرئ بالتخفيف من القطع عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى خلق الخلق حتى اذا فرغ منهم قامت الرحم بحقو الرحمن فقال مه قالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال نعم اترضين ان اصل من وصلك واقطع من قطعك قالت بلى قال فذلك لك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا ان شئتم فهل عسيتم الآية اخرجه البخاري ومسلم وغيرهما والاحاديث في صلة الرحم كثيرة اولئك المفسدون يدل عليه ما تقدم وفي الاشارة التفات للايذان بان ذكرهنا يا ثمهم اوجب اسقاطهم عن رتبة الخطاب وحكاية احوالهم الفظيعة لغيرهم الذين لعنهم الله اي ابعدهم من رحمته وطردهم عنها فاصمهم عن استماع الحق واعمى ابصارهم اي عن مشاهدة ما يستدلون به على التوحيد والبعث وحقية سائر ما دعاهم اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقل فاصم اذانهم كما قال واعمى ابصارهم ولم يقل واعماهم لانه لا يلزم من ذهاب الاذن ذهاب السماع فلم يتعرض لها والاعين يلزم من ذهابها ذهاب الابصار افلا يتدبرون القرآن اصل التدبر التفكر في عاقبة الشيء وما يؤل اليه امره وتدبر القرآن لا يكون الا مع حضور القلب وجمع الهم وقت تلاوته ويشترط فيه تقليل الغذاء من الحلال الصرف وخلوص النية قاله الخازن والاستفهام للانكار والمعنى افلا يتفهمونه فيعلمون بما اشتمل عليه من المواعظ الزاجرة والحجج الظاهرة والبراهين القاطعة الباهرة التي تكفي من له فهم وعقل وتزجره عن الكفر بالله والاشراك به والعمل بمعاصيه

وقيل المراد به التاسي وقيل هذه الآية محققة للآية المتقدمة محجة لهم على ترك ما هم فيه من الكفر
الذي استحقوا بسببه اللعنة او كالتبكيت لهم على اصرارهم على الكفر أم هي المنقطعة بمعنى بل والهمزة
التي للانتقال من توبيخ الى توبيخ اي بل أ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا فهم لا يفهمون ولا يعقلون قال مقاتل
يعني الطبع على القلوب والتنكير اما لتهويل حالها او تفظيع شانها كانه قيل على قلوب منكرة لا
يعرف حالها واما لان المراد بها قلوب بعضهم وهم المنافقون والاقفال استعارة لانغلاق القلب
عن معرفة الحق واضافة الاقفال الى القلوب للتنبيه على ان المراد بها ما هو للقلوب بمنزلة الاقفال
للابواب او انها اقفال مخصوصة بها مناسبة لها ومعنى الآية انه لا يدخل في قلوبهم الايمان ولا يخرج منها
الكفر والشرك لان الله سبحانه قد طبع عليها قرئ اقفالها بالجمع واقفالها بكسر الهمزة على انه مصدر كالاقبال
والآية بعمومها تشمل كل من لا يتدبر القرآن ولا يتاسى به ويدخل فيه من نزلت فيه دخولا اوليا
واما المقلدة التاركة للتدبر في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فهؤلاء هم الذين على قلوبهم
اقفالها إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم اي رجعوا كفارا كما كانوا قال قتادة هم كفار اهل الكتاب
كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم بعدما عرفوا نعته عندهم وبه قال ابن جريج وقال ابن عباس هم اهل النفاق
وقال الضحاك والسدي هم المنافقون قعدوا عن القتال وهذا اولى لان السياق في المنافقين مِّن
بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى بما جاءهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعجزات الظاهرة والآيات القاهرة
والدلائل الواضحة والبراهين الباهرة الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ اي زين لهم خطاياهم وسهل لهم الوقوع
فيها واقتراف الكبائر والجملة خبر ان وَأَمْلَىٰ لَهُمْ اي مد لهم في الآمال والاماني ووعدهم طول العمر
وقيل ان الذي املى لهم هو الله عز وجل على معنى انه لم يعاجلهم بالعقوبة قرأ الجمهور املى على البناء
للفاعل وقرئ على البناء للمفعول اي امهلوا ومد في عمرهم واختار القول بان الفاعل هو الله الفراء والمفضل
والاولى اختيار انه الشيطان لتقدم ذكره قريبا ذَٰلِكَ اي ما تقدم من ارتدادهم والتسويل والاملاء
والاول اولى بِأَنَّهُمْ اي بسبب ان هؤلاء المنافقين الذين ارتدوا على ادبارهم قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا
مَا نَزَّلَ اللَّهُ وهم المشركون سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وهذا البعض هو عداوة رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومخالفة ما جاء به وقيل المعنى ان المنافقين قالوا لليهود سنطيعكم في بعض الامر كالقعود عن
الجهاد والموافقة في الخروج معهم ان اخرجوا والتظاهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل ان القائلين

اليهود والذين كرهوا المنافقون ويؤيد كون القائلين المنافقين والكارهين اليهود قوله تعالى
الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم
ولا نطيع فيكم احدا ابدا وان قوتلتم لننصرنكم ولما كان قولهم المذكور للذين كرهوا ما انزل الله
بطريقة السر بينهم قال الله سبحانه وَاللّٰهُ يَعْلَمُ اِسْرَارَهُمْ بكسر الهمزة على المصدر اي اخفاءهم
وبها قرأ الكوفيون وقرأ الجمهور بفتحها على انه جمع سر فَكَيْفَ اِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلٰٓئِكَةُ الفاء لترتيب
ما بعدها على ما قبلها وكيف في محل رفع على انها خبر مقدم والتقدير فكيف علمه باسرارهم اذا
توفتهم الملائكة او في محل نصب بفعل محذوف اي فكيف يصنعون او خبر لكان مقدرة اي
فكيف يكونون والظرف معمول للمقدر قرأ الجمهور توفتهم وقرئ توفهم وقوله يَضْرِبُوْنَ
وُجُوْهَهُمْ وَاَدْبَارَهُمْ في محل نصب على الحال من فاعل توفتهم او من مفعوله اي ضاربين
وجوههم وضاربين ادبارهم وفي الكلام تخويف وتشديد والمعنى
انه اذا تأخر عنهم العذاب فسيكون حالهم هذا وهو تصوير لتوفيهم على اقبح حال واشنعه
قيل لا يتوفى احد على معصية الا يضرب الملائكة في وجهه ودبره وقيل ذلك عند القتال نصرة
من الملائكة لرسول الله وقيل ذلك يوم القيامة والاول اولى ذٰلِكَ اي التوفي المذكور على الصفة
المذكورة بِاَنَّهُمُ اتَّبَعُوْا مَآ اَسْخَطَ اللّٰهَ اي بسبب اتباعهم ما يسخط الله من الكفر والمعاصي وقيل
كتمانهم ما في التوراة من نعت نبينا صلى الله عليه وسلم والاول اولى لما في الصيغة من العموم وَكَرِهُوْا
رِضْوَانَهٗ اي ما يرضاه الله من الايمان والتوحيد والطاعة فَاَحْبَطَ اَعْمَالَهُمْ بهذا السبب والمراد
الاعمال التي صورتها صورة الطاعة والا فلا عمل لكافر وما كانوا قد عملوا قبل الردة من الخير
اَمْ اي بل حَسِبَ الَّذِيْنَ فِيْ قُلُوْبِهِمْ مَّرَضٌ يعني المنافقين الذين فصلت احوالهم الشنيعة وصفوا
بوصفهم السابق بكونه المدار في النعي عليهم بقوله اَنْ لَّنْ يُّخْرِجَ اللّٰهُ اَضْغَانَهُمْ والمعنى ان ذلك مما
لا يكاد ان يدخل تحت الاحتمال والاخراج بمعنى الاظهار والاضغان جمع ضغن وهو ما يضمر من المكروه
واختلف في معناه فقيل هو الغش وقيل الحسد وقيل الحقد قال الجوهري الضغن والضغينة الحقد
قال قطرب هو في الآية العداوة وان هي المخففة من الثقيلة واسمها ضمير شان مقدر قال ابن
عباس اضغانهم اعمالهم خبثهم والحسد الذي في قلوبهم ثم دل الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم على

ع ۳

المنافقين فكان يدعو باسم الرجل من اهل النفاق ولو نشاء لأريناكهم اي لاعلمناكهم وعرفناكهم
باعيانهم معرفة تقوم مقام الرؤية تقول العرب سأريك ما اصنع اي سأعلمك والالتفات الى نون
العظمة لابراز العناية بالاراءة فلعرفتهم بسيماهم اي بعلاماتهم الخاصة بهم التي يتميزون بها
قال الزجاج المعنى لو نشاء لجعلنا على المنافقين علامة وهي السيماء فلعرفتهم بتلك العلامة قال انس
ما خفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية احد من المنافقين وكان يعرفهم بسيماهم وتكرير اللام
للمبالغة او للتاكيد ولتعرفنهم في لحن القول قال المفسرون لحن القول نحواه ومقصده ومغزاه
وما يعرضون به من تهجين امرك وامر المسلمين وكان بعد هذا لا يتكلم منافق عنده الا عرفه
قال ابو زيد لحنت له اللحن اذا قلت له قولا يفقهه عنك ويخفى على غيره واصل اللحن امالة الكلام
وصرفه الى نحو من الانحاء لغرض من الاغراض بازالة الاعراب او التصحيف والاول محمود والثاني مذموم
قال ابو سعيد الخدري في الآية لحن القول بغضهم علي بن ابي طالب والله يعلم اعمالكم لا يخفى
عليه منها خافية فيجازيكم بها وفيه وعيد شديد ووعد للمؤمنين وايذان بان حالهم بخلاف
حال المنافقين ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين اي لنعاملنكم معاملة المختبر
وذلك بان نامركم بالجهاد حتى نعلم علم ظهور من امتثل الامر بالجهاد وصبر على دينه ومشاق
ما كلف به ونبلوا اخباركم اي نظهرها ونكشفها امتحانا لكم ليظهر للناس من اطاع الله فيما
امره ومن عصى ولم يمتثل قرئ بالياء والنون في الافعال الثلاثة وعن الفضيل رح انه كان اذا قرأها
بكى وقال اللهم لا تبتلنا فانك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت استارنا وعذبتنا ان الذين كفروا
وصدوا عن سبيل الله المراد بهؤلاء هم المنافقون وقيل اهل الكتاب وقيل هم المطعمون
يوم بدر من المشركين وقيل نزلت في قريظة والنضير ومعنى صدهم منعهم للناس عن الاسلام و
اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وشاقوا الرسول اي عادوه وخالفوه من بعد ما تبين لهم الهدى اي علموا
انه صلى الله عليه وسلم نبي من عند الله سبحانه وتعالى بما شاهدوا من المعجزات الواضحة والحجج القاطعة لن يضروا
الله ورسوله شيئا بتركهم الايمان واصرارهم على الكفر وما ضروا الا انفسهم وسيحبط اعمالهم اي
يبطلها والمراد بهذه الاعمال ما صورته صورة اعمال الخير كاطعام الطعام وصلة الارحام وسائر
ما كانوا يفعلونه من الخير وان كانت باطلة من الاصل لان الكفر مانع وقيل المراد بالاعمال المكايد التي

نصبوها لابطال دين الله والغوائل التي كانوا يبغونها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم امر سبحانه عباده
المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم فقال يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْٓا اَطِيْعُوا اللّٰهَ وَاَطِيْعُوا الرَّسُوْلَ
فيما امر تحريه من الشرائع المذكورة في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ثم نهاهم عن ان يبطلوا اعمالهم
كما ابطلت الكفار اعمالهم بالاصرار على الكفر فقال وَلَا تُبْطِلُوْٓا اَعْمَالَكُمْ قال الحسن اي لا تبطلوا
حسناتكم بالمعاصي وقال الزهري بالكبائر وهو الاولى وقال الكلبي وابن جريج بالريا والسمعة وقال مقاتل
بالمن وقال عطاء بالنفاق والشرك قلت والظاهر النهي عن كل سبب من الاسباب التي توصل الى بطلان
الاعمال كائنا ما كان من غير تخصيص بنوع معين عن ابي العالية قال كان اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم يرون انه لا يضر مع لا اله الا الله ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل حتى نزلت هذه الاية فخافوا
ان يبطل الذنب العمل وفي لفظ فخافوا الكبائر ان تحبط اعمالهم عن ابن عمر قال كنا معشر اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم نرى بانه ليس شيء من الحسنات الا مقبول حتى نزلت هذه الاية فلما نزلت قلنا ما
هذا الذي يبطل اعمالنا فقلنا الكبائر الموجبات والفواحش فكنا اذا رأينا من اصاب شيئا منها
قلنا قد هلك حتى نزلت هذه الاية ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فلما نزلت
كففنا عن القول في ذلك وكنا اذا رأينا احدا اصاب منها شيئا خفنا عليه وان لم يصب منها شيئا
رجوناه واستدل بهذه الاية من لا يرى ابطال النوافل حتى لو دخل في صلوة تطوع او صوم تطوع
لا يجوز له ابطال ذلك العمل والخروج منه وبه قال ابو حنيفة رح وقال الشافعي بخلافه ولا دليل لهم في
الاية ولا حجة لان السنة مبينة للكتاب وقد ثبت في الصحيحين ان النبي صلى الله عليه وسلم اصبح صائما فلما رجع
الى البيت وجد حيسا فقال لعائشة قربيه فلقد اصبحت صائما فاكل وهذا معنى الحديث وليس
بلفظه وليس في هذه الاية دليل كما ظنه الزمخشري على احباط الطاعات بالكبائر على ما زعمت المعتزلة
والخوارج فجمهورهم على ان كبيرة واحدة تحبط جميع الطاعات حتى ان من عبد الله طول عمره ثم شرب
جرعة خمر فهو كمن لم يعبده قط ثم بين سبحانه انه لا يغفر للمصرين على الكفر والصد عن سبيل الله
فقال اِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا وَصَدُّوْا عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ ثُمَّ مَاتُوْا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَّغْفِرَ اللّٰهُ لَهُمْ
فقيد سبحانه عدم المغفرة بالموت على الكفر لان باب التوبة وطريق المغفرة لا يغلقان على من كان حيا
وظاهر الاية العموم وان كان السبب خاصا نزلت في اصحاب القليب قاله المحلي لكن حكمها عام في كل كافر مات على كفره

ثم نهى سبحانه المؤمنين عن الوهن والضعف فقال فَلَا تَهِنُوا أي فلا تضعفوا عن القتال والوهن الضعف
والخطاب لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والحكم عام لجميع المسلمين وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ أي ولا تدعوا الكفار إلى الصلح
ابتداء منكم فإن ذلك لا يكون إلا عند الضعف قال الزجاج منع الله المسلمين أن يدعوا الكفار إلى
الصلح وأمرهم بحربهم حتى يسلموا وقرئ تدّعوا من ادّعى القوم وتداعوا والسلم بفتح السين وكسرها
سبعيتان قال قتادة معنى الآية لا تكونوا أول الطائفتين ضرعت إلى صاحبتها واختلف أهل العلم
في هذه الآية هل هي محكمة أو منسوخة فقيل إنها محكمة وإنها ناسخة لقوله وإن جنحوا للسلم فاجنح لها
وقيل منسوخة بهذه الآية ولا يخفاك أنه لا مقتضى للقول بالنسخ فإن الله سبحانه نهى المسلمين في هذه
الآية عن أن يدعوا إلى السلم ابتداء ولم ينه عن قبول السلم إذا جنح إليه المشركون فالآيتان محكمتان
ولم يتواردا على محل واحد حتى يحتاج إلى دعوى النسخ أو التخصيص بل نزلتا في وقتين مختلفي الأحوال.
وجملة وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ حالية أو مستأنفة مقررة لما قبلها من النهي أي وأنتم القاهرون الغالبون
بالسيف والحجة قال الكلبي أي آخر الأمر لكم وإن غلبوكم في بعض الأوقات وَاللَّهُ مَعَكُمْ بالنصر والمعونة
عليهم وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ أي لن ينقصكم شيئاً من ثواب أعمالكم يقال وتره يتره وتراً إذا نقصه
حقه وأصله من وترت الرجل إذا قتلت له قريباً أو نهبت له مالاً ويقال فلان موتور إذا قتل له قتيل
ولم يؤخذ بدمه قال الجوهري أي لن ينقصكم في أعمالكم كما تقول دخلت البيت وأنت تريد في البيت
قال الفراء هو مشتق من الوتر وهو الذحل وقيل مشتق من الوتر وهو الفرد فكان المعنى ولن يفردكم بغير
ثواب قال ابن عباس يتركم يظلمكم إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ أي باطل وغرور لا أصل لشيء
منها ولا ثبات له ولا اعتداد به تنقطع في أسرع مدة فكيف تمنعكم عن طلب الآخرة واللعب ما يشغل
الإنسان وليس فيه منفعة في الحال ولا في المآل ثم إذا استعمله الإنسان ولم ينتبه لاشتغاله المهمة فهو
اللعب وإن اشغله عن مهمات نفسه فهو اللهو وَإِنْ تُؤْمِنُوا بالله وَتَتَّقُوا الكفر والمعاصي يُؤْتِكُمْ
أُجُورَكُمْ أي جزاء ذلك في الآخرة والأجر الثواب على الطاعة وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ أي لا يأمركم
بإخراجها جميعها في الزكاة وسائر وجوه الطاعات بل أمركم بإخراج القليل منها غيضاً من فيض
أي ربع العشر وهو الزكاة وبه قال ابن عيينة وغيره وقيل المعنى ولا يسألكم أموالكم إنما يسألكم أمواله لأن
الملك له وهو المنعم عليكم بإعطائها وقيل لا يسألكم أموالكم أجراً على تبليغ الرسالة كما في قوله ما أسألكم عليه

من اجر والاول اولى إن يسألكموها اي اموالكم كلها فيحفكم اي يبالغ في طلبها قال المفسرون يجهدكم
ويلحف عليكم بمسألة جميعها يقال احفى بالمسألة والحف والح بمعنى واحد والمحفي المستقصي في السؤال و
الاحفاء الاستقصاء في الكلام ومنه احفاء الشارب اي استيصاله وجواب الشرط قوله تبخلوا اي
ان يامركم باخراج جميع اموالكم تبخلوا بها وتمتنعوا من الامتثال ويخرج اضغانكم الاضغان الاحقاد
والمعنى انها تظهر عند ذلك قال قتادة قد علم الله ان في سؤال المال خروج الاضغان لدين الاسلام من حيث
محبة المال بالجبلة والطبيعة ومن نوزع في حبيبه ظهرت طويته التي كان يسرها ها انتم هؤلاء
ايها المؤمنون تدعون مستانفة مقررة ومؤكدة لاتحاد محصل معناهما لتنفقوا في سبيل الله اي
في الجهاد وفي طرق الخير فمنكم من يبخل بما يطلب منه ويدعى اليه من الانفاق في سبيل الله
واذا كان منكم من يبخل باليسير من المال فكيف لا يبخلون بالكثير وهو جميع الاموال ومقابله ومنكم
من يجود وحذف لان المراد الاستدلال على البخل ثم بين سبحانه ان ضرر البخل عائد على النفس فقال
ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه اي يمنعها الاجر والثواب ببخله عن داعي نفسه لا عن داعي
ربه وبخل وضن يتعديان تارة بعلى وبعن اخرى لتضمينه معنى الامساك والتعدية قال السمين
والاجود ان يكونا حال تعديهما بعن مضمنين معنى الامساك والله الغني المطلق المتنزه عن الحاجة
الى اموالكم وانتم الفقراء الى الله والى ما عنده من الخير والرحمة وان تتولوا يستبدل قوما
غيركم معطوف على الشرطية المتقدمة وهي وان تؤمنوا والمعنى ان تعرضوا عن الايمان والتقوى
يستبدل قوما آخرين يكونوا مكانكم هم اطوع لله منكم عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية قالوا
من هؤلاء وسلمان الى جانب النبي صلى الله عليه وسلم فقال هم الفرس هذا وقومه وفي اسناده مسلم الزنجي
قد تفرد به وفيه مقال معروف ولهذا الحديث طرق في الصحيح وعن ابي هريرة قال تلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم هذه الآية فقالوا يا رسول الله من هؤلاء الذين ان تولينا استبدلوا بنا ثم لا يكونوا امثالنا
فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على منكب سلمان ثم قال هذا وقومه والذي نفسي بيده لو كان الايمان
منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس اخرجه الترمذي وابن مردويه من حديث جابر والطبراني
في الاوسط والبيهقي في الدلائل وعبد بن حميد وعبد الرزاق وفي اسناده ايضا مسلم بن خالد
الزنجي نحوه وقال عكرمة هم فارس والروم وقال الحسن هم العجم وقال شريح بن عبيد هم اهل اليمن و

وقيل الانصار وقيل الملائكة وقيل التابعون وقال مجاهد هم من شاء الله من سائر الناس وقال الكلبي هم كندة والنخع من عرب اليمن وقال المحاسبي فلا احد يعد من جميع اجناس الاعاجم احسن دينا ولا كانت العلماء الا الفرس وحكي عن ابي موسى الاشعري انه لما نزلت هذه الاية فرح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هي احب الي من الدنيا والله اعلم ولينظر في سنده ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا أَمْثَٰلَكُم﴾ في التولي عن الايمان والتقوى بل مطيعين له عز وجل قال ابن جرير في البخل بالانفاق في سبيل الله وكلمة ثم للدلالة على ان مدخولها مما يستبعده المخاطبون لتقارب الناس في الاحوال واشتراكهم في الميل الى المال۞

ع ١٠

سورة الفتح هي تسع وعشرون اية وهي مدنية

قال القرطبي بالاجماع وبه قال ابن عباس وابن الزبير وعن المسور بن مخرمة ومروان قالا نزلت بين مكة والمدينة في شان الحديبية من اولها الى اخرها وهذا لا ينافي الاجماع على كونها مدنية لان المراد بالسور المدنية النازلة بعد الهجرة من مكة واخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن عبد الله بن مغفل قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح في مسيره سورة الفتح على راحلته فرجع فيها وفي الصحيحين عن زيد بن اسلم عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسير في بعض اسفاره وعمر بن الخطاب يسير معه ليلا فسأله عمر عن شيء فلم يجبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم سأله فلم يجبه ثم سأله فلم يجبه فقال عمر بن الخطاب هلكت ام عمر نزرت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك فقال عمر فحركت بعيري ثم تقدمت امام الناس وخشيت ان ينزل في القران فما نشبت ان سمعت صارخا يصرخ بي فقلت لقد خشيت ان يكون قد نزل في قران فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه فقال لقد انزلت علي سورة لهي احب الي مما طلعت عليه الشمس ثم قرأ انا فتحنا لك فتحا مبينا وفي صحيح مسلم عن قتادة ان انس بن مالك حدثهم قال لما نزلت انا فتحنا لك فتحا مبينا الى قوله فوزا عظيما مرجعه من الحديبية وهم يخالطهم الحزن والكآبة وقد نحر والهدي بالحديبية فقال لقد انزلت علي اية هي احب الي من الدنيا جميعها

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وحده قيل المراد الحكم والقضاء كما في قوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق فكأنه قال انا قضينا وحكمنا لك فتحا ظاهرا واضحا مكشوفا بغير قتال ولا تعب والفتح الظفر بالبلدة عنوة او صلحا بحرب او غير حرب وبخراج او بدونه لانه منغلق ما لم يظفر به فاذا ظفر به فقد فتح ماخوذ من فتح باب الدار وجيئ به بلفظ الماضي لان علم الله في تحققها بمنزلة الكائنة وفي ذلك من الفخامة والدلالة على علو شان المخبر عنه وهو الفتح ما لا يخفى واسناده الى نون العظمة لاسناد افعال العباد اليه تعالى خلقا وايجادا واختلف في تعيين هذا الفتح فقال الاكثر على ما في البحر هو صلح الحديبية والصلح قد يسمى فتحا قال الفراء والفتح قد يكون صلحا وقال قوم انه فتح مكة وقال آخرون انه فتح خيبر والاول ارجح ويؤيده ما ذكرناه قبل هذا من ان السورة نزلت في شان الحديبية وقيل هو جميع ما فتح الله لرسوله من الفتوح وقيل هو ما فتح له من النبوة والدعوة الى الاسلام وقيل فتح الروم ومعنى الفتح في اللغة فتح المنغلق والصلح الذي كان مع المشركين بالحديبية كان مسدودا متعذرا حتى فتحه الله قال الزهري لم يكن فتح اعظم من صلح الحديبية وذلك ان المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فتمكن الاسلام في قلوبهم واسلم في ثلث سنين خلق كثير وكثر بهم سواد الاسلام قال الشعبي لقد اصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديبية ما لم يصب في غزوة غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وبويع بيعة الرضوان واطعموا نخل خيبر وبلغ الهدي محله وظهرت الروم على فارس ففرح المؤمنون بظهور اهل الكتاب على المجوس وقال الزجاج كان في فتح الحديبية اية عظيمة وذلك انه نزح ماؤها ولم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مج في البير فدرت بالماء حتى شرب جميع الناس وعن مجمع بن جارية الانصاري قال شهدنا الحديبية فلما انصرفنا عنها حتى بلغنا كراع الغميم اذا الناس يوجفون الاباعر فقال الناس بعضهم لبعض ما للناس فقالوا اوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجنا مع الناس نوجف فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته عند كراع الغميم فاجتمع الناس اليه فقرأ عليهم انا فتحنا لك فتحا مبينا فقال رجل اي رسول الله او فتح هو فقال اي والذي نفس محمد بيده انه لفتح فقسمت خيبر على اهل الحديبية لم يدخل معهم فيها احد الا من شهد الحديبية فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية عشر سهما وكان الجيش الفا وخمسمائة منهم ثلاثمائة فارس فاعطى الفارس سهمين واعطى الراجل سهما اخرجه احمد وابو داود والحاكم وصححه والبيهقي في

الدلائل وغيرهم وعن ابن مسعود قال اقبلنا من الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينا نحن
نسير اذا اتاه الوحي وكان اذا اتاه اشتد عليه فسري عنه وبه من السرور ما شاء الله فاخبرنا انه
انزل عليه انا فتحنا لك فتحا مبينا اخرجه احمد والبخاري في تاريخه وابو داود والنسائي وغيرهم
وعن انس في الآية قال الحديبية اخرجه البخاري وغيره وعن البراء قال تعدون انتم الفتح فتح مكة
وقد كان فتح مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية اخرجه البخاري وغيره وعن عائشة
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا فتحنا لك فتح مكة اخرجه ابن مردويه وعن انس نحوه ومذهب ابي حنيفة ان مكة
فتحت عنوة ومذهب الشافعي انها فتحت صلحا وفي البويطي ان اسفلها فتحه خالد عنوة واعلاها فتحه الزبير
صلحا ودخل صلى الله عليه وسلم من جهته فصار الحكم له وبهذا تجتمع الاخبار التي ظاهرها التعارض ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ
اللَّهُ﴾ اللام هي لام العلة قال ابن الانباري سألت ابا العباس يعني المبرد عن اللام هذه فقال هي لام
كي معناها انا فتحنا لك فتحا مبينا لكي يجتمع لك مع المغفرة تمام النعمة في الفتح فلما انضم الى المغفرة
شيء حادث واقع حسن معنى كي وغلط من قال ليس الفتح سبب المغفرة وقال الزمخشري ان اللام لم تكن
علة للمغفرة ولكنه علة لاجتماع ما عدد من الامور الاربعة وهي المغفرة واتمام النعمة وهداية
الصراط المستقيم والنصر العزيز كانه قيل يسرنا لك فتح مكة ونصرناك على عدوك لنجمع لك
بين عز الدارين واغراض الآجل والعاجل قال ابن عادل وغيره وهذا كلام غير جيد مخالف لظاهر
الآية فان اللام داخلة على المغفرة فهي علة للفتح والفتح معلل بها وقيل غير ذلك والاسلم ما اقتصر عليه
المحلي كما يأتي وقال الرازي في توجيه التعليل ان المراد بقوله ليغفر لك الله التعريف بالمغفرة تقديره
انا فتحنا لك لتعرف انك مغفور لك معصوم وقال ابن عطية المراد ان الله فتح لك لكي يجعل الفتح علامة
لغفرانه لك فكانها لام الصيرورة وقال ابو حاتم هي لام القسم والاصل ليغفرن فكسرت اللام تشبيها بلام
كي وحذفت النون وهو خطأ فان لام القسم لا تكسر ولا تنصب المضارع قال ابن عادل وقد يقال ان
هذا ليس بنصب وانما هو بقاء للفتح الذي كان قبل نون التوكيد بقي ليدل عليها ولكن هذا قول
مردود وقال البيضاوي اللام علة للفتح من حيث انه مسبب عن جهاد الكفار والسعي في اعلاء
الدين وازاحة الشرك وتكميل النفوس الناقصة وقال الجلال المحلي اللام للعلة الغائية فمدخولها
مسبب لا سبب واختلف في معنى قوله ﴿مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ فقيل ما تقدم من ذنبك

قبل الرسالة وما تاخر بعدها قاله مجاهد وسفيان الثوري وابن جرير والواحدي وغيرهم وقال عطاء ما تقدم من ذنبك يعني ذنب ابويك آدم وحوى وما تاخر من ذنوب امتك وما ابعد هذا عن معنى القرآن وقيل ما تقدم من ذنب ابيك ابراهيم وما تاخر من ذنوب النبيين من بعده وهذا كالذي قبله وقيل ما تقدم من ذنب يوم بدر وما تاخر من ذنب يوم حنين وهذا كالقولين الاولين في البعد وقيل لو كان ذنب قديم او حديث لغفرناه لك وقيل غير ذلك مما لا وجه له والاول اولى ويكون المراد بالذنب بعد الرسالة ترك ما هو الاولى وسمي ذنبا في حقه لجلالة قدره وان لم يكن ذنبا في حق غيره فهو من باب حسنات الابرار سيئات المقربين اخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن المغيرة بن شعبة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي حتى ترم قدماه فقيل له اليس قد غفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا وفي الباب احاديث ويتم نعمته عليك باظهار دينك على الدين كله وقيل بالجنة وقيل بالنبوة والحكمة وقيل بفتح مكة والطائف والخيبر والاولى ان يكون المعنى ليجتمع لك مع الفتح تمام النعمة بالمغفرة والهداية الى صراط مستقيم وهو دين الاسلام ويهديك به صراطا طريقا مستقيما اي يثبتك عليه وهو دين الاسلام وقيل على الهدى الى ان يقبضك اليه وقال البيضاوي في تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرياسة فالهداية على حقيقتها فلا حاجة الى ما قيل من ان المراد زيادة الاهتداء او الثبات عليه وينصرك الله نصرا عزيزا اي غالبا قويا ذا عز بالغ لا يتبعه ذل هو الذي انزل السكينة اي السكون والطمانينة والوقار في قلوب المؤمنين وهم اهل الحديبية بما يسره لهم من الفتح لئلا تنزعج نفوسهم لما يرد عليهم قال ابن عباس السكينة هي الرحمة قيل كل سكينة في القرآن طمانينة الا التي في سورة البقرة وقد تقدم تفسيرها في موضعها ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم اي ليزدادوا بسبب تلك السكينة ايمانا منضما الى ايمانهم الحاصل لهم من قبل قال ابن مسعود تصديقا مع تصديقهم وقال الكلبي كلما نزلت آية من السماء فصدقوا بها ازدادوا تصديقا الى تصديقهم وقال الربيع بن انس خشية مع خشيتهم وقال الضحاك يقينا مع يقينهم قال ابن عباس في الآية ان الله بعث نبيه صلى الله عليه وسلم بشهادة ان لا اله الا الله فلما صدق بها المؤمنون زادهم الصلوة فلما صدقوا بها زادهم الصيام فلما صدقوا به زادهم الزكوة فلما صدقوا بها زادهم الحج فلما صدقوا به زادهم الجهاد

ثم اكمل لهم دينهم فقال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وعنه ايضا قال اوثق ايمان اهل السماء واهل الارض واصدقه واكمله شهادة ان لا اله الا الله وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ يعني الملائكة والانس والجن والشياطين يدبر امرهم كيف يشاء ويسلط بعضهم على بعض ويحفظ بعضهم ببعض وَكَانَ اللّٰهُ عَلِيْمًا كثير العلم بخلقه بليغه حَكِيْمًا في صنعه واقواله وافعاله لِيُدْخِلَ اي امر بالجهاد ليدخل الْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنّٰتٍ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهٰرُ خٰلِدِيْنَ فِيْهَا وقيل هذه اللام متعلقة بمحذوف يدل عليه ما قبله تقديره يبتلي بتلك الجنود من شاء فيقبل الخير من اهله والشر ممن قضي له به ليدخل ويعذب وقيل متعلقة بقوله انا فتحنا لك ليدخل ويعذب وهذا الاصح وقيل متعلقة بينصرك اي نصرك الله بالمؤمنين ليدخل ويعذب وقيل متعلقة بيزدادوا وهذا الاصح ايضا فالاول اولى وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئٰتِهِمْ اي يغطيها ولا يظهرها ولا يعذبهم بها وتقديم الادخال في الذكر على التكفير مع ان الترتيب في الوجود على العكس للمسارعة الى بيان ما هو المطلب الاعلى والمقصد الاسنى وَكَانَ ذٰلِكَ اي المذكور من الادخال والتكفير عِنْدَ اللّٰهِ اي في علمه وقضائه وحكمه فَوْزًا عَظِيْمًا اي ظفرا بكل مطلوب ونجاة من كل غم وجلبا لكل نفع ودفعا لكل ضر والظرف متعلق بمحذوف على انه حال من فوزا لانه صفة له في الاصل فلما قدم صار حالا اي كائنا من عند الله والجملة اعتراض مقرر لما قبله بين المعطوف وهو يعذب والمعطوف عليه وهو يدخل اخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن انس رضي الله تعالى عنه قال لما نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله الاية مرجعه من الحديبية قال لقد انزلت علي اية هي احب الي مما على الارض ثم قرأها عليهم فقالوا هنيئا مريئا يا رسول الله قد بين الله لك ماذا يفعل بك فماذا يفعل بنا فنزلت عليه ليدخل المؤمنين حتى بلغ فوزا عظيما ثم لما فرغ الله سبحانه مما وعد به صالحي عباده ذكر ما يستحقه غيرهم فقال وَيُعَذِّبَ الْمُنٰفِقِيْنَ وَالْمُنٰفِقٰتِ وَالْمُشْرِكِيْنَ وَالْمُشْرِكٰتِ معطوف على يدخل اي يعذبهم في الدنيا بايصال الهموم والغموم اليهم بسبب علو كلمة المسلمين وما يشاهدونه من ظهور الاسلام وقهر المخالفين له وبان يسلط النبي صلى الله عليه وسلم عليهم قتلا واسرا واسترقاقا في الدنيا وفي الاخرة بعذاب جهنم وقدم المنافقين على المشركين لانهم كانوا اشد على المؤمنين ضررا من الكفار المجاهرين لان المؤمن كان يتوقى المجاهر ويخالط

المنافق لظنه ايمانه وكان يخشى اليه سره وفيه دلالة على انهم اشد منهم عذابا واحق منهم بما وعدهم الله به ثم وصف الفريقين فقال الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ وهو ظنهم ان النبي صلى الله عليه وسلم يغلب وان كلمة الكفر تعلو كلمة الاسلام وما ظنوه ما حكاه الله عنهم بقوله بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا السوء صفة لموصوف محذوف اي ظن الامر السوء عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ اي ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين دائر عليهم حائق بهم الدائرة مصدر بزنة اسم الفاعل او اسم فاعل من دار يدور وسمي به عاقبة الزمان اي حادثته وهي في الاصل عبارة عن الخط المحيط بالمركز ثم استعملت في الحادثة المحيطة بمن وقعت عليه الا ان اكثر استعمالها في المكروه والسوء بالضم معناه العذاب والهزيمة والشر وبالفتح معناه الذم وقد قرئ بهما وهما لغتان وفي الاصل مصدران وهذا اخبار عن وقوع السوء بهم او دعاء عليهم والاضافة من باب اضافة العام للخاص فهي للبيان وقال سيبويه السوء هنا الفساد ولما بين الله سبحانه ان دائرة السوء عليهم في الدنيا بين ما يستحقونه مع ذلك من الغضب واللعنة وعذاب جهنم فقال وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا اي مرجعا وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ من الملائكة والانس والجن والشياطين والصيحة والرجفة والحجارة والزلازل والخسف والغرق ونحو ذلك وكرر هذه الاية لقصد التاكيد او المراد جنود العذاب كما يفيده التعبير بالعزة هنا مكان العلم هنالك او التهديد بانهم في قبضة قدرة المنتقم فلا تكرار وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا غالبا فلا يرد باسه حَكِيمًا فيما دبره اي لم يزل متصفا بذلك إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا على امتك بتبليغ الرسالة اليهم وَمُبَشِّرًا بالجنة للمطيعين وَنَذِيرًا لاهل المعصية من النار لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ قرأ الجمهور بالفوقية وقرئ بالتحتية فعلى الاولى الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وامته وعلى الثانية المراد المبشرون والمنذرون وهما سبعيتان وفيه امتنان منه تعالى عليه صلى الله عليه وسلم حيث شرفه بالرسالة وبعثه الى الكافة شاهدا على اعمال امته وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا اي غدوة وعشية والخلاف بين القراء في هذه الافعال الثلاثة كالخلاف في لتؤمنوا كما سلف ومعنى تعزروه تعظموه وتفخموه قاله الحسن والتعزير التوقير والتعظيم وقال قتادة تنصروه وتمنعوا منه وقال عكرمة تقاتلون معه بالسيف وقال ابن عباس يعني الاجلال وعنه

قال تضربوا بين يديه بالسيف وعن جابر بن عبد الله قال لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذه الآية وتعزروه قال لاصحابه ماذاك قالوا الله ورسوله اعلم قال لتنصروه رواه ابن عدي و
ابن مردويه والخطيب وابن عساكر في تاريخه ومعنى توقروه تعظموه وقال السدي تسودوه وقال
ابن عباس يعني التعظيم وقيل والضميران في الفعلين للنبي صلعم وهنا وقف تام ثم يبتدئ وتسبحوه
اي تسبحوا الله عز وجل وهو من التسبيح الذي هو التنزيه من جميع النقائص او من السبحة وهي الصلوة
وقيل الضمائر كلها في الافعال الثلثة لله عز وجل فيكون المعنى تثبتون له التوحيد وتنفون
عنه الشركاء وقيل تنصروا دينه وتجاهدوا مع رسوله وزاد الزمخشري ومن فرق الضمائر
فقد ابعد ومثله في المدارك قال الحفناوي وهذا اظهر لتكون الضمائر على وتيرة واحدة
إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ اصل البيعة العقد الذي يعقده الانسان على نفسه من بذل الطاعة
للامام والوفاء بالعهد الذي التزمه له وهي بيعة الرضوان بالحديبية فانهم بايعوه تحت الشجرة
على قتال قريش فبايعه جماعة على الموت منهم سلمة بن الاكوع وبايعه جماعة على ان لا يفروا
منهم معقل بن يسار والحديبية قرية ليست كبيرة بينها وبين مكة اقل من مرحلة او مرحلة
سميت ببئر هناك وقد جاء في الحديث ان الحديبية بئر قال مالك هي من الحرم وقال ابن القصار
بعضها من الحل ويجوز في الحديبية التخفيف والتشديد والاول افصح وعامة المحدثين
يشددونها إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ اخبر سبحانه ان هذه البيعة لرسوله صلى الله عليه وسلم هي بيعة له
كما قال ومن يطع الرسول فقد اطاع الله وذلك لانهم باعوا انفسهم من الله بالجنة
وجملة يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ مستانفة لتقرير ما قبلها على طريق التخييل او في محل نصب
على الحال وفي هذا التركيب استعارة تصريحية تبعية في الفعل ومكنية في الاسم الكريم
وتخييلية في اثبات اليد له وفيه مشاكلة في مقابلة يده بايديهم والمعنى ان عقد الميثاق
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كعقده مع الله سبحانه من غير تفاوت بينهما كذا قاله الزمخشري
والكرخي وقيل يد الله بالوفاء بما وعدهم من الخير فوق ايديهم وقال السدي كانوا
ياخذون بيد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يبايعونه ويد الله فوق ايديهم في
المبايعة قال الرازي وذلك يحتمل وجوها لان اليد في الموضعين اما ان تكون بمعنى واحد

وأما أن تكون بمعنيين فإن قلنا إنهما بمعنى واحد ففيه وجهان أحدهما يد الله بمعنى نعمة الله عليهم فوق إحسانهم كما قال بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان وثانيهما نصرته إياهم أقوى وأعلى من نصرتهم إياه يقال اليد لفلان أي الغلبة والنصرة والقوة وإن قلنا إنهما بمعنيين فنقول اليد في حق الله تعالى بمعنى الحفظ في حق المبايعين بمعنى الجارحة فيكون المعنى يد الله فوق أيديهم بالحفظ انتهى قلت وهذا هو مذهب أهل التأويل والكلام ومذهب السلف في هذه الآية وأمثالها السكوت عن التأويل وإمرار آيات الله وأحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم المتعلقة بالصفات كما جاءت مع الإيمان بها من غير تشبيه ولا تكييف ولا تعطيل ولا تحريف ولا صرف عن الظاهر ولا تأويل وهو الحق فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ أي فمن نقض ما عقد من البيعة فإنما ينقض على نفسه لأن ضرر ذلك راجع إليه لا يجاوزه إلى غيره عن عبادة بن الصامت قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في النشاط والكسل وعلى النفقة في العسر واليسر وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعلى أن نقول في الله لا تأخذنا فيه لومة لائم وعلى أن ننصره إذا قدم علينا يثرب فنمنعه مما نمنع منه نفوسنا وأزواجنا وأبناءنا ولنا الجنة فمن وفى وفى الله له ومن نكث فإنما ينكث على نفسه أخرجه أحمد وابن مردويه وفي الصحيحين من حديث جابر أنهم كانوا في بيعة الرضوان خمس عشرة مائة وفيهما عنه أنهم كانوا أربع عشرة مائة وفي البخاري من حديث قتادة عن سعيد بن المسيب أنه سأله كم كانوا في بيعة الرضوان قال خمس عشرة مائة فقال له إن جابرا قال كانوا أربع عشرة مائة قال رحمه الله وهم هو حدثني أنهم كانوا خمس عشرة مائة وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ أي ثبت على الوفاء بما عاهد الله عليه في البيعة لرسوله يقال وفيت بالعهد وأوفيت به ومنه قوله أوفوا بعهد الله والموفون بعهدهم قرأ الجمهور عليه بكسر الهاء وقرئ بضمها فَسَيُؤْتِيهِ بالياء والنون سبعيتان أَجْرًا عَظِيمًا وهو الجنة وهذه الآية فيها دلالة على مشروعية البيعة وقد صدرت منه صلى الله عليه وسلم مبايعات كثيرة اشتملت عليها الأحاديث الواردة في الصحيحين وغيرهما من دواوين الإسلام وفيها أن الناس كانوا يبايعونه تارة على الهجرة والجهاد وتارة على إقامة أركان الإسلام وتارة على الثبات والقرار في معارك الكفار وتارة على هجر الفواحش والمنكرات وتارة على التمسك بالسنة والاجتناب عن البدعة والحرص على الطاعات كما بايع نسوة من الأنصار على أن لا ينحن وبايع ناسا من فقراء المهاجرين على أن لا يسألوا

ع

الناس شيئا فكان احدهم يسقط سوطه فينزل عن فرسه فيأخذه ولا يسأل احدا
رواه ابن ماجة في سننه وقد نطق به الكتاب العزيز كما في هذه الآية في قوله تعالى اذا جاءك
المؤمنات يبايعنك الآية ومما لا شك فيه ولا شبهة انه اذا ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل
على سبيل العبادة والاهتمام بشأنه فانه لا ينزل عن كونه سنة في الدين بقي انه صلى الله عليه وسلم كان
خليفة الله في ارضه وعالما بما انزله الله تعالى من القرآن والحكمة معلما للكتاب والسنة مزكيا
للامة فما فعله على جهة الخلافة كان سنة للخلفاء وما فعله على جهة كونه معلما للكتاب و
الحكمة ومزكيا للامة كان سنة للعلماء الراسخين وهذا صحيح البخاري شاهد على انه صلى الله
عليه وسلم اشترط على جرير عند مبايعته والنصح لكل مسلم وانه بايع قوما من الانصار فاشترط ان
لا يخافوا في الله لومة لائم ويقولوا بالحق حيث كانوا فكان احدهم يجاهر الامراء والملوك بالرد
والانكار الى غير ذلك وكل ذلك من باب التزكية والامر بالمعروف والنهي عن المنكر فالبيعة على اقسام
منها بيعة الخلافة ومنها بيعة الاسلام ومنها بيعة التمسك بحبل التقوى ومنها بيعة
الهجرة والجهاد ومنها بيعة التوثق في الجهاد وكان بيعة الاسلام متروكة في زمن الخلفاء اما
في زمن الراشدين منهم فلان دخول الناس في الاسلام في ايامهم كان غالبا بالقهر والسيف
لا بالتاليف واظهار البرهان ولا طوعا ولا رغبة واما في غيرهم فلانهم كانوا في الاكثر ظلمة
فسقة لا يهتمون وكذلك بيعة التمسك بحبل التقوى كانت متروكة اما في زمن الخلفاء الراشدين
فلكثرة الصحابة الذين استناروا بصحبة النبي صلى الله عليه وسلم وتادبوا في حضرته فكانوا لا يحتاجون الى
بيعة الخلفاء واما في زمن غيرهم فخوفا من افتراق الكلمة وان يظن بهم مبايعة الخلافة فتهيج
الفتن فلما اندرس هذا في الخلفاء انتهز اكابر العلماء والمشائخ الفرصة وتمسكوا بسنة البيعة
وان الذي اعتادة الصوفية من مبايعة المتصوفين ففيه ما يقبل وما يرد ويظهر ذلك
بعرضها على الكتاب والسنة فما وافقهما فهو السنة والصواب وما خالفهما فهو الخطأ والتباب
وانما هذه البيعة سنة وليست بواجبة لان الناس بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقربوا
بها الى الله تعالى ولم يدل دليل على تأثيم تاركها ولم ينكر احد من الائمة على من تركها فكان كالاتفاق
على انها ليست بواجبة وشرط من يأخذ البيعة امور احدها علم الكتاب والسنة وانما شرطنا ذلك

لان الغرض من البيعة امره بالمعروف ونهيه عن المنكر وارشاده الى تحصيل السكينة الباطنة
وازالة الرذائل واكتساب الحمائد متقيدا بظاهر القران الكريم والحديث الشريف ومن لم يكن عالما
بهما وعاملا بموجبهما لا يتصور منه ذلك ابدا وقد اتفقت كلمة المشائخ على ان لا يتكلم على الناس
الا من كتب الحديث وقرأ القران وثانيها العدالة والتقوى والصدق والضبط فيجب ان يكون
مجتنبا عن الكبائر غير مصر على الصغائر ثالثها ان يكون زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة مواظبا
على الطاعات المؤكدة والاذكار الماثورة في صحاح الاحاديث مواظبا على تعلق القلب بالله سبحانه
رابعها ان يكون آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر مستبدا برايه لا امعة ليس له رأي ولا امر ذا مروة
وعقل تام يعتمد عليه في كل ما يامر به وينهى عنه قال تعالى ممن ترضون فما ظنك بصاحب البيعة
خامسها ان يكون صحب العلماء بالكتاب والسنة وتادب بهم دهرا طويلا واخذ منهم العلم
الظاهر والنور الباطن والسكينة وهذا لان سنة الله جرت بان الرجل لا يفلح الا اذا رأى المفلحين
ولا يشترط في ذلك ظهور الكرامات وخوارق العادات ولا ترك الاكتساب لان الاول ثمرة المجاهدة
لا شرط الكمال والثاني مخالف للشرع المطهر ولا تغتر بما فعله المغلوبون في احوالهم انما الماثور القناعة
بالقليل والورع من الشبهات واذا تقرر لك هذا عرفت ما هو صاف عما هو كدر فاشدد يديك
عليه ولا تلتفت الى غير ما ذكرنا وبالله التوفيق ولما ذكر تعالى اهل بيعة الرضوان واضافهم
الى حضرة الرحمن ذكر من غاب عن ذلك الجناب وابطاء عن حضرة تلك العمرة بقوله سَيَقُولُ اي
يوجد لا خلف فيه لَكَ لانهم يعلمون شدة رحمتك ورفقك وشفقتك على عباد الله فهم يطمعون
في قبولك عذرهم الفاسد ما لا يطمعون فيه من غيرك من خلص المؤمنين الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ
هم الذين خلفهم الله عن صحبة رسوله حين خرج عام الحديبية معتمرا قال مجاهد وغيره يعني
اعراب غفار ومزينة وجهينة واسلم واشجع والدئل وهم الاعراب الذين كانوا حول المدينة
وقيل تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سافر الى مكة عام الفتح بعد ان كان قد استنفرهم ليخرجوا
معه وخافوا ان يكون قتال وقالوا نذهب الى قوم قد غزوه في قعر داره بالمدينة وقتلوا اصحابه
يعنون باحد شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا اي منعنا من الخروج معك ما لنا من الاموال والنساء
والذراري وليس لنا من يقوم بهم ويخلفنا عليهم وانا لو تركناهم لضاعوا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا ليغفر الله لنا

ما وقع منا من التخلف عنك لهذا السبب فلما كان طلب الاستغفار منهم ليس عن اعتقاد
بل على طريقة الاستهزاء وكانت بواطنهم مخالفة لظواهرهم فضحهم الله بقوله يقولون بألسنتهم
من طلب الاستغفار وما قبله ما ليس في قلوبهم فهم كاذبون في اعتذارهم وفي طلب
الاستغفار لهم وهذا هو صنيع المنافقين والجملة مستأنفة لبيان ما تنطوي عليه بواطنهم
او بدل من الجملة الاولى ثم امر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم ان يجيب عنهم فقال قل فمن يملك
لكم من الله شيئاً اي فمن يمنعكم مما اراده الله بكم من خير وشر ونفع وضر والاستفهام بمعنى
النفي اي لا احد يقدر لاجلكم من مشيئته وقضائه ثم في النظم مجاز عن هذا ثم بين ذلك فقال
إن أراد بكم ضراً اي انزال ما يضركم من ضياع الاموال وهلاك الاهل والقتل والهزيمة والعقوبة على التخلف
قرأ الجمهور ضرا بفتح الضاد وهو مصدر ضررته ضرا وقرئ بضمها وهو اسم ما يضر وقيل هما لغتان
وسبعيتان أو أراد بكم نفعاً اي نصراً وغنيمة وهذا رد عليهم حين ظنوا ان التخلف عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم يدفع عنهم الضر ويجلب لهم النفع ثم اضرب سبحانه عن ذلك فقال بل
كان الله بما تعملون خبيراً اي ان تخلفكم ليس لما زعمتم بل كان الله خبيراً بجميع ما تعملونه
من الاعمال التي من جملتها تخلفكم وقد علم ان تخلفكم لم يكن لذلك بل للشك والنفاق وما خطر
لكم من الظنون الفاسدة الناشئة عن عدم الثقة بالله ولهذا قال بل ظننتم أن لن ينقلب
الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبداً وهذه الجملة مفسرة لما قبلها لما فيها من الابهام اي
بل ظننتم ان العدو يستأصل المؤمنين بالمرة فلا يرجع منهم احد الى اهله لما في قلوبكم من
عظمة المشركين وحقارة المؤمنين فلاجل ذلك تخلفتم لا لما ذكرتم من المعاذير الباطلة وزين
قرأ الجمهور مبنيا للمفعول وقرئ مبنيا للفاعل وهو الشيطان ذلك في قلوبكم فقبلتموه
وظننتم ظن السوء هو ان الله سبحانه لا ينصر رسوله وهذا الظن اما هو الظن الاول والتكرير
للتأكيد والتوبيخ او المراد به ما هو اعم من الاول فيدخل الظن الاول تحته دخولا اوليا وكنتم
قوماً بوراً قال الزجاج هالكين عند الله وكذا قال مجاهد قال الجوهري البور الرجل الفاسد الهالك
الذي لا خير فيه قال ابو عبيد بوراً هلكى وهو جمع بائر مثل حائل وحول في المعتل وبازل وبزل
في الصحيح وقد بار فلان اي هلك وأباره الله اي اهلكه قيل والبور الهلاك وهو مصدر يخبر به عن الجميع

وَمَنْ لَّمْ يُؤْمِنْ بِاللّٰهِ وَرَسُوْلِهٖ فَاِنَّآ اَعْتَدْنَا لِلْكٰفِرِيْنَ سَعِيْرًا هذا كلام مستانف من جهة الله سبحانه غير داخل تحت ما امر الله سبحانه رسوله ان يقوله اي ومن لم يؤمن بهما كما صنع هؤلاء المخلفون فجزاؤهم ما اعد الله لهم من عذاب السعير والنار الشديدة واقيم الظاهر مقام المضمر للايذان بان من لم يجمع بين الايمان بالله ورسوله فهو كافر مستوجب للسعير ونكر سعيرا لانها نار مخصوصة كما نكر نارا تلظى او للتهويل وَلِلّٰهِ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ يتصرف فيه كيف يشاء لا يحتاج الى احد من خلقه وانما تعبدهم بما تعبدهم ليثيب من احسن ويعاقب من اساء ولهذا قال يَغْفِرُ لِمَنْ يَّشَآءُ ان يغفر له وَيُعَذِّبُ مَنْ يَّشَآءُ ان يعذبه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وهذا حسم لاطماعهم الفارغة في استغفاره صلى الله عليه وسلم لهم وَكَانَ اللّٰهُ غَفُوْرًا رَّحِيْمًا اي كثير المغفرة والرحمة بليغهما يخص بمغفرته ورحمته من يشاء من عباده وتقتضي الحكمة مغفرته من المؤمنين دون من عداهم من الكافرين فهم بمعزل عن ذلك قطعا سَيَقُوْلُ الْمُخَلَّفُوْنَ المذكورون اِذَا انْطَلَقْتُمْ اي عند انطلاقكم ايها المسلمون اِلٰى مَغَانِمَ اي مغانم خيبر لِتَاْخُذُوْهَا اي لتحوزوها ذَرُوْنَا اي اتركونا ودعونا نَتَّبِعْكُمْ ونشهد معكم غزوة خيبر واصل القصة انه لما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين من الحديبية في ذي الحجة من سنة ست اقام بالمدينة بقيته واوائل المحرم من سنة سبع وعدهم الله فتح خيبر وخص بغنائمها من شهد الحديبية فلما انطلقوا اليها قال هؤلاء المخلفون ذرونا نتبعكم فقال سبحانه يُرِيْدُوْنَ اَنْ يُّبَدِّلُوْا كَلٰمَ اللّٰهِ اي يغيروه والمراد بهذا الكلام هو مواعيد الله لاهل الحديبية خاصة بغنيمة خيبر وقال مقاتل يعني امر الله لرسوله ان لا يسير معه احد منهم وقال ابن زيد هو قوله تعالى واذا استاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا واعترض هذا ابن جرير وغيره بان غزوة تبوك كانت بعد فتح خيبر وبعد فتح مكة والاول اولى وبه قال مجاهد وقتادة ورجحه ابن جرير وغيره وعليه عامة اهل التاويل قرا الجمهور كلام الله وقرئ كلم الله قال الجوهري الكلام اسم جنس يقع على القليل والكثير والكلم لا يكون اقل من ثلاث كلمات لانه جمع كلمة مثل نبق ونبقة ثم امر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم ان يمنعهم من الخروج معه فقال قُلْ لَّنْ تَتَّبِعُوْنَا هذا النفي هو بمعنى النهي للمبالغة والمعنى لا تتبعونا كَذٰلِكُمْ قَالَ اللّٰهُ مِنْ قَبْلُ اي من قبل رجوعنا من الحديبية ان غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية خاصة ليس لغيرهم فيها نصيب فَسَيَقُوْلُوْنَ يعني المنافقين عند سماع هذا القول وهو قوله قل لن تخ

بَلْ اضراب عن محذوف هو مقول القول كما علمت تَحْسُدُونَنَا اي بل ما يمنعكم من خروجنا معكم الا الحسد لئلا نشارككم في الغنيمة وليس ذلك حكما من الله كما تزعمون ثم رد الله سبحانه عليهم بقوله بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا اي لا يعلمون الا علما قليلا وهو علمهم بامر الدنيا وقيل لا يفقهون من امر الدين الا فقها قليلا وهو ما يصنعونه نفاقا بظواهرهم دون بواطنهم والفرق بين الاضرابين ان الاول رد ان يكون حكم الله ان لا يتبعوهم واثبات الحسد والثاني اضراب عن وصفهم باضافة الحسد الى المؤمنين الى وصفهم بما هو اعم منه وهو الجهل وقلة الفقه وفيه ان الجهل غاية في الذم وحب الدنيا ليس من شيمة العالم العاقل قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ كرر ذكرهم بهذا الاسم مبالغة في الذم واشعارا بشناعة التخلف اي فذمهم مرة بعد اخرى كما اشار اليه في التقرير سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ قال عطاء بن ابي رباح ومجاهد وابن ابي ليلى وعطاء الخراساني هم فارس وقال كعب والحسن وابن ابي ليلى هم الروم وروي عن الحسن ايضا انه قال هم فارس والروم وقال سعيد بن جبير هم هوازن وثقيف وقال قتادة هوازن وغطفان يوم حنين وقال الزهري ومقاتل هم بنو حنيفة اهل اليمامة اصحاب مسيلمة وحكى هذا القول الواحدي عن اكثر المفسرين وعن ابي هريرة انهم الاكراد وقال ابن عباس هم فارس والروم وعنه قال هوازن وبنو حنيفة يعني اهل الردة الذين حاربهم ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه لان مشركي العرب والمرتدين هم الذين لا يقبل منهم الا الاسلام او السيف وقال ابو هريرة لم يأت تاويل هذه الاية بعد وظاهر الاية يرده وفي هذه الاية دليل على صحة امامة ابي بكر الصديق وعمر رضي الله تعالى عنهما لان ابا بكر دعاهم الى قتال بني حنيفة وعمر دعاهم الى قتال فارس والروم قال الخازن واقوى هذه الاقوال انهم هوازن وثقيف لان الداعي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وابعدها انهم بنو حنيفة ثم ذكر الدليل على صحة القول الاول واطال فيه ولا يصح لانه قال لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا فدل على ان المراد بالداعي غير النبي صلى الله عليه وسلم ومعلوم انه لم يدع هؤلاء القوم بعد النبي الا ابو بكر وعمر رضي الله عنهما تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فلا تقاتلون اي يكون احد الامرين اما المقاتلة او الاسلام لا ثالث لهما وهذا حكم الكفار الذين لا تؤخذ منهم الجزية كفارس والروم واما بنو حنيفة فكانوا مرتدين فلا يقبل منهم الا الاسلام

قال الزجاج التقدير او هم يسلمون وقرئ او يسلموا اي حتى يسلموا فان تطيعوا الى قتالهم يؤتكم
الله اجرا حسنا وهو الغنيمة في الدنيا والجنة في الآخرة وان تتولوا اي تعرضوا كما توليتم من
قبل وذلك عام الحديبية يعذبكم عذابا اليما بالقتل والاسر والقهر في الدنيا او بعذاب النار
في الآخرة لتضاعف جرمكم ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج اي
ليس على هؤلاء المعذورين بهذه الاعذار حرج في التخلف عن الغزو وترك الجهاد لعدم استطاعتهم
قال مقاتل عذر الله اهل الزمانة الذين تخلفوا عن المسير الى الحديبية بهذه الآية والحرج الاثم
وعن زيد بن ثابت قال كنت اكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم واني لواضع القلم على اذني اذ امر بالقتال
اذ جاء اعمى فقال كيف لي وانا ذاهب البصر فنزلت ليس على الاعمى حرج الآية قال هذا في الجهاد
وليس عليهم من جهاد اذا لم يطيقوا اخرجه الطبراني قال السيوطي بسند حسن وهذه اعذار صحيحة
ظاهرة لان اصحابها لا يقدرون على الكر والفر وهناك اعذار اخر ذكرها الخازن وغيره وموضعها
كتب الفقه دون التفسير ومن يطع الله ورسوله فيما امر به ونهاه عنه ومنه الجهاد يدخله
بالياء وقرئ بالنون وهما سبعيتان جنات تجري من تحتها الانهار ومن يتول يعذبه عذابا
اليما اي ومن يعرض عن الطاعة ويستمر على الكفر والنفاق يعذبه الله عذابا شديد الالم كر[illegible]
لان المقام ادعى للترهيب وفصل الوعد واجمل الوعيد مبالغة في الوعد لكون الغفران والرحمة
من دابه بخلاف التعذيب ثم ذكر سبحانه الذين اخلصوا نياتهم وشهدوا بيعة الرضوان فقال
لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة اي رضي الله عنهم وقت تلك البيعة
وهي بيعة الرضوان وكانت بالحديبية وهذه الشجرة هي سمرة كانت بها وقيل سدرة وكانت البيعة
على ان يقاتلوا قريشا ولا يفروا وروي انه بايعهم على الموت واتى بصيغة المضارع لاستحضار
صورة المبايعة والسمرة من شجر الطلح وجمهور المفسرين على ان المراد بالطلح في القرآن الموز وفي
الصحيح عن ابن عمر ان الشجرة اخفيت والحكمة في ذلك ان لا يحصل الافتتان بها لما وقع تحتها من الخير
فلو بقيت لما امن تعظيم الجهال لها حتى ربما اعتقدوا ان لها قوة نفع او ضر كما نشاهده الآن فيما دونها
ولذلك اشار ابن عمر بقوله كان خفاؤها رحمة من الله كذا في الفتح وشرح المواهب وعن نافع قال بلغ عمر
بن الخطاب ان ناسا يأتون الشجرة التي بويع تحتها فامر بها فقطعت اخرجه ابن ابي شيبة في المصنف

ع ٧

وقد تقدم ذكر عدد اهل هذه البيعة قريبا والقصة مبسوطة في كتب الحديث والسير وفي الباب احاديث ذكرها الخازن وغيره والمعنى فعل بالراسخين في الايمان فعل الراضي بما جعل لهم من الفتح وما قدر لهم من الثواب وانهم ذلك انه لم يرض عن الكافرين فخذلهم في الدنيا مع ما اعد لهم في الآخرة فالآية لقربها لما ذكر من جزاء الفريقين بامور شاهدة ولاجل هذا الرضا سميت بيعة الرضوان فَعَلِمَ اللهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ اي علم ما فيها من الصدق والوفاء قاله الفراء وقال قتادة وابن جريج من الرضاء بامر البيعة على ان لا يفروا وقال مقاتل من كراهة البيعة على الموت فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ اي الطمانينة وسكون النفس والامن كما تقدم وقيل الصبر عَلَيْهِمْ اي على المؤمنين المخلصين حتى ثبتوا وبايعوا على الموت وعلى ان لا يفروا والآية تشير الى ان اهل بيعة الرضوان من اهل الجنة لان رضوان الله موجب لدخولها والاحاديث الصحيحة تدل لذلك قال ابن عباس انما انزلت السكينة على من علم منه الوفاء وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا هو فتح خيبر عند انصرافهم من الحديبية قاله قتادة وابن ابي ليلى وغيرهما وقيل فتح مكة والاول اولى وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا اي واثابهم مغانم كثيرة او آتاهم وهي غنائم خيبر وكانت ذات نخل وعقار واموال فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم وقرئ بالتاء على الالتفات لتشريفهم بالخطاب وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا اي غالبا مصدرا افعاله واقواله على اسلوب الحكمة عن سلمة بن الاكوع قال بينا نحن قائلون اذ نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ايها الناس البيعة البيعة نزل روح القدس فثرنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو تحت شجرة سمرة فبايعناه فذلك قوله تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين الآية فبايع لعثمان باحدى يديه على الاخرى فقال الناس هنيئا لابن عفان يطوف بالبيت ونحن ههنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو مكث كذا وكذا سنة ما طاف حتى اطوف اخرجه ابن جرير وابن ابي حاتم وابن مردويه واخرج البخاري عن سلمة بن الاكوع قال بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة قيل على اي شئ كنتم تبايعون يومئذ قال على الموت واخرج مسلم وغيره عن جابر قال بايعناه على ان لا نفر ولم نبايعه على الموت وعن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل النار احد ممن بايع تحت الشجرة اخرجه احمد ومسلم وابو داود والترمذي وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدخلن الجنة من بايع تحت الشجرة الا صاحب الجمل الاحمر اخرجه الترمذي واستغربه وَعَدَكُمُ اللهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا في هذا وعد منه سبحانه

لعباده المؤمنين بما سيفتحه عليهم من الغنائم الى يوم القيامة يأخذونها في أوقاتها التي قدر وقوعها فيها والالتفات الى الخطاب لتشريفهم في مقام الامتنان والخطاب لاهل الحديبية فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ اي غنائم خيبر قاله مجاهد وغيره وقيل صلح الحديبية وهي في جنب ما وعدهم الله به من الفتوحات كالقليل من الكثير وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ اي ايدي قريش يوم الحديبية بالصلح وقيل ايدي اهل خيبر وابصارهم عن قتالكم وقذف في قلوبهم الرعب وقال ابن عباس يعني اهل مكة ان يستحلوا حرم الله ويستحل بكم وانتم حرم وقال قتادة كف ايدي اليهود عن المدينة بعد خروج النبي صلى الله عليه وسلم الى الحديبية وخيبر ورجح هذا ابن جرير قال لان كف ايدي الناس بالحديبية مذكور في قوله وهو الذي كف ايديهم عنكم وقيل الناس يعني عيينة بن حصن الفزاري وعوف بن مالك النصري ومن كان معهما اذ جاؤا لينصروا اهل خيبر عند حصار النبي صلى الله عليه وسلم لهم وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ اي فعل ما فعل من التعجيل والكف لتكون آية لهم او وعد فعجل وكف لتنتفعوا بذلك ولتكون آية وقيل ان الواو مزيدة واللام لتعليل ما قبلها اي وكف لتكون والمعنى ذلك الكف آية يعلم بها صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع ما يعدكم به وقال ابن عباس اي سنة لمن بعدكم وقيل عبرة يعرفون بها انهم من الله عز وجل بمكان وانه ضامن نصرهم والفتح عليهم وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا اي يزيدكم بتلك الآية هدى وبصيرة ويقينا وثقة بفضل الله تعالى ويثبتكم على الهداية الى طريق الحق بصلح الحديبية وفتح خيبر وقيل طريق التوكل عليه وتفويض الامر اليه تعالى لان الحاصل من الكف ليس الا ذلك ولان اصل الهدى حاصل قبله وَأُخْرَىٰ اي فعجل لكم هذه المغانم ومغانم اخرى ويجوز فيها اوجه ذكرها السمين وغيره لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا وهي الفتوح التي فتحها الله على المسلمين من بعد كفارس والروم ونحوهما كذا قال الحسن ومقاتل وابن ابي ليلى وقال الضحاك وابن زيد وابن اسحق هي خيبر وعدها الله نبيه قبل ان يفتحها ولم يكونوا يرجونها وقال قتادة فتح مكة وقال عكرمة حنين والاول اولى وقال ابن عباس هذه الفتوح التي تفتح الى اليوم وعنه قال هي خيبر وقيل فتح بلدة اخرى مطلقا وقيل مغانم هوازن في غزوة حنين قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا صفة ثانية للاخرى قال الفراء احاط الله بها لكم حتى تفتحوها وتأخذوها والمعنى انه اعدها لهم وجعلها كالشيء الذي قد احيط به من جميع جوانبه فهو محصور لا يفوت منه شيء فهم وان لم يقدروا عليها في الحال

في محبوس لهم لا تفوتهم وقيل المعنى انه احاط علمه بانها ستكون لهم وَكَانَ اللّٰهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ من فتح القرى والبلدان قَدِيْرًا لا يعجزه شيء ولا تختص قدرته ببعض المقدورات دون بعض وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا لَوَلَّوُا الْاَدْبَارَ قال قتادة يعني كفار قريش بالحديبية واهل مكة وقيل اسد وغطفان الذين ارادوا نصر اهل خيبر والاول اولى ثُمَّ لَا يَجِدُوْنَ وَلِيًّا يواليهم على قتالكم ويحرسهم وَّلَا نَصِيْرًا ينصرهم عليكم سُنَّةَ اللّٰهِ الَّتِيْ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ اي طريقته وعادته التي قد مضت في الامم من نصر اوليائه على اعدائه وهو قوله لاغلبن انا ورسلي وانتصاب سنة على المصدرية بفعل محذوف اي سن الله سنة وهو مصدر مؤكد لمضمون الجملة المتقدمة من هزيمة الكفار ونصر المؤمنين وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللّٰهِ تَبْدِيْلًا اي تغييرا بل هي مستمرة ثابتة وَهُوَ الَّذِيْ كَفَّ اَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ اي كف ايدي المشركين عن المسلمين وايدي المسلمين عن المشركين لما جاؤا يصدون رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه عن البيت عام الحديبية وهي المراد بقوله بِبَطْنِ مَكَّةَ لان اكثرها من الحرم مِنْ بَعْدِ اَنْ اَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ اي اقدركم وسلطكم لما روي ان عكرمة بن ابي جهل خرج في خمسمائة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من هزمه وادخله حيطان مكة وعن ابن عباس اظهر الله المسلمين عليهم بالحجارة حتى ادخلوهم البيوت وقيل المعنى هو الذي قضى بينهم وبينكم المكافة والمحاجزة بعد ما خولكم الظفر عليهم والغلبة وذلك يوم الفتح وبه استشهد ابو حنيفة رح على ان مكة فتحت عنوة لا صلحا والمراد على هذا ببطن مكة نفس مكة وَكَانَ اللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُوْنَ بَصِيْرًا لا يخفى عليه من ذلك شيء قرئ بالتاء وبالياء وهما سبعيتان عن انس قال لما كان يوم الحديبية هبط على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واصحابه ثمانون رجلا من اهل مكة في السلاح من قبل جبل التنعيم يريدون غرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعى عليهم فاخذوا فعفا عنهم فنزلت هذه الآية اخرجه ابن ابي شيبة واحمد ومسلم وابو داؤد والنسائي والترمذي وغيرهم وفي صحيح مسلم وغيره انها نزلت في نفر اسرهم سلمة بن الاكوع يوم الحديبية واخرج احمد والنسائي والحاكم وصححه وغيرهم في سبب نزول الآية ان ثلاثين شابا من المشركين خرجوا يوم الحديبية على المسلمين في السلاح فثاروا في وجوههم فدعى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ الله باسماعهم ولفظ الحاكم بابصارهم فقام اليهم المسلمون فاخذوهم فقال لهم

رسول الله صلى الله عليه وسلم هل جئتم في عهد احد او هل جعل لكم احد امانا فقالوا لا فخلى سبيلهم فنزلت
هذه الاية هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا يعني كفار قريش وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ اي عن الوصول اليه
ومعنى الصد انهم منعوهم ان يطوفوا بالمسجد الحرام ويحلوا عن عمرتهم وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا اي محبوسا
قرأ الجمهور بنصب الهدي عطفا على الضمير المنصوب في صدوكم وقرئ بالجر عطفا على المسجد ولا بد
من تقدير مضاف اي عن نحر الهدي وقرئ بالرفع على تقدير وصُد الهدي وقرأ الجمهور بفتح الهاء
من الهدي وسكون الدال وقرئ بكسرها وتشديد الياء وانتصاب معكوفا على الحال من الهدي
قال الجوهري عكفه اي حبسه ووقفه ومنه والهدي معكوفا ومنه الاعتكاف في المسجد وهو الاحتباس
وعكف على الشيء اقبل عليه مواظبا وقال ابو عمرو بن العلاء معكوفا مجموعا وانكر الفارسي تعدية
عكف بنفسه واثبتها ابن سيدة والازهري وغيرهما وهو ظاهر القران لبناء اسم المفعول منه
أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ اي عن ان يبلغ محله او مفعول لاجله والمعنى صدوا الهدي كراهة ان يبلغ
محله ومحله منحره وهو حيث يحل نحره من الحرم وهو بدل اشتمال من الهدي وكان الهدي سبعين بدنة
وقال ابن عباس نحروا يوم الحديبية سبعين بدنة فلما صدت عن البيت حنت كما تحن الى
اولادها ورخص الله سبحانه لهم بجعل ذلك الموضع الذي وصلوا اليه وهو الحديبية محلا للنحر
فلا ينتهض حجة للحنفية على ان مذبح هدي المحصر هو الحرم وللعلماء في هذا كلام معروف في كتب الفروع
وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ يعني المستضعفين من المؤمنين بمكة لَمْ تَعْلَمُوهُمْ
اي لم تعرفوهم وقيل لم تعلموا انهم مؤمنون أَنْ تَطَئُوهُمْ اي بالقتل والايقاع بهم يقال وطئت
القوم اي اوقعت بهم وذلك انهم لو كبسوا مكة واخذوها عنوة بالسيف لم يتميز المؤمنون الذين
هم فيها من الكفار وعند ذلك لا يامنون ان يقتلوا المؤمنين فتلزمهم الكفارة وتلحقهم سُبّة
وهو معنى قوله فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ اي من جهتهم مَعَرَّةٌ اي مشقة بما يلزمكم في قتلهم من كفارة
وعيب واصل المعرة العيب ماخوذ من العر وهو الجرب وذلك ان المشركين سيقولون ان المسلمين قد
قتلوا اهل دينهم قال الزجاج معرة اي اثم وكذا قال الجوهري وبه قال ابن زيد وقال الكلبي ومقاتل
وغيرهما المعرة كفارة قتل الخطأ كما في قوله فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة
مؤمنة لان الله اوجب على قاتل المؤمن في دار الحرب اذا لم يعلم ايمانه الكفارة دون الدية

وقال ابن اسحاق المعرة غرم الدية وقال قطرب المعرة الشدة وقيل الغم وقيل هي مفعلة من
عره بمعنى عراه اذا دهاه ما يكرهه ويشق عليه بِغَيْرِ عِلْمٍ متعلق بان تطأوهم اي غير عالمين وجواب
لولا محذوف والتقدير لاذن الله لكم او لما كف ايديكم عنهم لِيُدْخِلَ اللّٰهُ اللام متعلقة بما يدل عليه
الجواب المقدر اي ولكن لم ياذن لكم او كف ايديكم عنهم ليدخل الله فِيْ رَحْمَتِهٖ بذلك اي في توفيقه
لزيادة الخير او الاسلام مَنْ يَّشَآءُ من عباده وهم المؤمنون والمؤمنات الذين كانوا في مكة فيتم
لهم اجورهم باخراجهم من بين ظهراني الكفار ويفك اسرهم ويرفع ما كان ينزل بهم من العذاب
وقيل اللام متعلقة بمحذوف غير ما ذكر والتقدير لو قتلتموهم لادخلهم الله في رحمته والاول اولى
وقيل ان من يشاء عبارة عمن رغب في الاسلام من المشركين عن ابي جمعة جنيد بن سبع قال
قاتلت رسول الله صلى الله عليه وسلم اول النهار كافرا وقاتلت معه اخر النهار مسلما وفينا نزلت ولولا رجال
الخ وكنا تسعة نفر سبعة رجال وامرأتان وفي رواية ابن ابي حاتم كنا ثلاثة رجال وتسع نسوة
اخرجه الطبراني وابو يعلى وابن ابي حاتم وابن قانع والباوردي والطبراني وابن مردويه قال السيوطي
بسند جيد وعن ابن عباس في الاية قال حين ردوا النبي صلى الله عليه وسلم ان تطؤهم بقتلكم اياهم لَوْ تَزَيَّلُوْا
التزيل التميز اي لو تميز الذين امنوا من الذين كفروا منهم قاله القتيبي وقال الكلبي لو تفرقوا وقيل
لو زال الذين امنوا من بين اظهرهم والمعاني متقاربة قرأ الجمهور لو تزيلوا وقرئ لو تزايلوا والتزايل التباين
لَعَذَّبْنَا الَّذِيْنَ كَفَرُوْا مِنْهُمْ اي من اهل مكة بان ناذن لكم في فتحها عَذَابًا اَلِيْمًا قال القاضي بالقتل
والسبي وهو الظاهر لان المراد من تعذيبهم التعذيب الدنيوي الذي هو تسليط المؤمنين عليهم
وقتالهم فان عدم التمييز لا يوجب عدم عذاب الاخرة افاده علي القاري قال ابن عباس لو تزيل
الكفار من المؤمنين لعذبهم الله عذابا اليما بقتلكم اياهم قال قتادة ان الله يدفع بالمؤمنين عن الكفار
كما وقع بالمستضعفين من المؤمنين عن مشركي مكة اِذْ جَعَلَ اي اذكر وقت ان جعل الَّذِيْنَ كَفَرُوْا
فِيْ قُلُوْبِهِمُ الْحَمِيَّةَ اي اضمروها واصروا عليها والحمية الانفة يقال فلان ذو حمية اي ذو انفة
وغضب وتكبر وتعاظم اي جعلوها ثابتة راسخة في قلوبهم والجعل بمعنى الالقاء حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ
بدل من الحمية قال مقاتل بن سليمان ومقاتل بن حيان قال اهل مكة قد قتلوا ابناءنا واخواننا ثم يدخلون
علينا في منازلنا فتحدثت العرب انهم قد دخلوا علينا على رغم انفسنا واللات والعزى لا يدخلونها علينا

فهذه الحمية هي حمية الجاهلية التي دخلت في قلوبهم وقال الزهري حميتهم انفتهم عن الاقرار للنبي صلى الله عليه وسلم
بالرسالة وقال الخطيب حمية الجاهلية هي التي مدارها مطلق المنع سواء كان بحق او باطل فتمنع من
الاذعان للحق ومبناها على التشفي على مقتضى الغضب لغير الله فتوجب تخطي حدود الشرع ولذلك انفوا
من دخول المسلمين مكة المشرفة لزيارة البيت العتيق الذي الناس فيه سواء فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ
اي الطمانينة والوقار عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ حيث لم يدخلهم ما دخل اهل الكفر من الحمية
وقيل ثبتهم على الرضاء والتسليم اخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن سهل بن حنيف انه قال
يوم صفين اتهموا انفسكم فلقد رأيتنا يوم الحديبية يعني الصلح الذي كان بين النبي صلى الله عليه وسلم و
بين المشركين ولو نرى قتالا لقاتلنا فجاء عمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله السنا على الحق
وهم على الباطل اليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار قال بلى قال ففيم نعطي الدنية في ديننا
ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم قال يا ابن الخطاب اني رسول الله ولم يضيعني الله ابدا فرجع متغيظا
فلم يصبر حتى جاء ابا بكر فقال يا ابا بكر السنا على الحق وهم على الباطل قال بلى قال اليس قتلانا في
الجنة وقتلاهم في النار قال بلى قال ففيم نعطي الدنية في ديننا قال يا ابن الخطاب انه رسول
الله ولم يضيعه الله ابدا فنزلت سورة الفتح فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عمر فاقرأه اياها
قال يا رسول الله افتح هو قال نعم وَأَلْزَمَهُمْ اي اختار لهم فهو الزام تشريف واكرام كَلِمَةَ التَّقْوَى من
الشرك وهي لا اله الا الله كذا قال الجمهور وزاد بعضهم محمد رسول الله وزاد بعضهم وحده لا
شريك له وقال الزهري هي بسم الله الرحمن الرحيم وذلك ان الكفار لم يقروا بها وامتنعوا من
كتابتها في كتاب الصلح الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ثبت ذلك في كتب الحديث
والسير فخص الله بهذه الكلمة المؤمنين والزمهم بها والاول اولى لان كلمة التوحيد هي التي
يتقى بها الشرك بالله وقيل كلمة التقوى هي الوفاء بالعهد والثبات عليه عن ابي بن كعب عن النبي
صلى الله عليه وسلم والزمهم كلمة التقوى قال لا اله الا الله اخرجه احمد وابن جرير والدارقطني في الافراد و
ابن مردويه والبيهقي في الاسماء والصفات والترمذي وقال حديث غريب لا نعرفه الا من حديثه
اي الحسن بن قزعة وكذا قال ابو زرعة واخرج ابن مردويه عن سلمة بن الاكوع مرفوعا مثله و
عن علي بن طالب مثله من قوله ومن قول عمر بن الخطاب نحوه وعن ابن عباس نحوه وعن مسور بن مخرمة

ومروان نحوه وروي عن جماعة من التابعين نحو ذلك وَكَانُوٓا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا عطف تفسيري
اي وكان المؤمنون احق بهذه الكلمة من الكفار والمستأهلين لها دونهم في علم الله تعالى لان
الله سبحانه اهلهم لدينه واختارهم لصحبة رسوله صلى الله عليه وسلم وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا اي بما يعلم
الكفار وما كانوا يستحقونه من العقوبة وامر المؤمنين وما كانوا يستحقونه من الخير لَّقَدْ صَدَقَ
ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا اي جعل رؤياه صادقة محققة ولم يجعلها اضغاث احلام وان كان تفسيرها
لم يقع الا بعد ذلك في عمرة القضا قال الواحدي قال المفسرون ان الله سبحانه ارى نبيه صلى الله عليه وسلم
في المدينة قبل ان يخرج الى الحديبية كانه هو واصحابه حلقوا وقصروا فاخبر بذلك اصحابه ففرحوا
وحسبوا انهم سيدخلون مكة عامهم ذلك فلما رجعوا من الحديبية ولم يدخلوا مكة قال المنافقون
والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا دخلنا المسجد الحرام فانزل الله هذه الآية وقيل ان الرؤيا كانت بالحديبية
بِٱلْحَقِّ متعلق بصدق اي صدقه فيما رأى وفي كونه وحصوله صدقا متلبسا بالحق اي بالحكمة البالغة
وذلك ما فيه من الابتلاء والتمييز بين المؤمن الخالص وبين من في قلبه مرض ويجوز ان يكون بالحق
قسما اما بالحق الذي هو نقيض الباطل او بالحق الذي هو من اسمائه سبحانه وجوابه لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ
ٱلْحَرَامَ في العام القابل وعلى الاول هو جواب قسم محذوف إِن شَآءَ ٱللَّهُ تعليق للعدة بالمشية لتعليم
العباد لما يجب ان يقولوه كما في قوله ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله قال ثعلب
ان الله استثنى فيما يعلم ليستثني الخلق فيما لا يعلمون وقيل كان الله سبحانه علم انه يموت بعض هؤلاء
الذين كانوا معه في الحديبية فوقع الاستثناء لهذا المعنى قاله الحسن بن الفضل وقيل معنى ان
شاء الله كما شاء الله وقال ابو عبيدة ان بمعنى اذ يعني اذ شاء الله حيث ارى رسوله ذلك ءَامِنِينَ
حال من فاعل لتدخلن والشرط معترض والمعنى آمنين في حال الدخول لا تخافون عدوكم ان يخرجكم
في المستقبل مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ اي آمنين من العدو ومحلقا بعضكم جميع الشعور ومقصرا
بعضكم والحلق والتقصير خاص بالرجال والحلق افضل من التقصير كما يدل على ذلك الحديث الصحيح
في استغفاره صلى الله عليه وسلم للمحلقين في المرة الاولى والثانية والقائل يقول له وللمقصرين فقال في الثالثة وللمقصرين
وقد روى دعاؤه للمحلقين والمقصرين في البخاري ومسلم وغيرهما احاديث منها ما قدمنا الاشارة اليه وهو من حديث
ابن عمر وفيهما من حديث ابي هريرة ايضا لَا تَخَافُونَ مستأنف وفيه زيادة تاكيد لما تقدم من الامن

فلا تكرار فعلم ما لم تعلموا عطف على صدق اي صدق رسوله الرؤيا فعلم ما لم تعلموا من
المصلحة في الصلح لما في دخولكم في عام الحديبية من الضرر على المستضعفين من المؤمنين فجعل
من دون ذلك اي دخولكم مكة كما ارى رسوله فتحا قريبا ليقويكم به فانه كان موجبا للاسلام
كثير قال اكثر المفسرين هو صلح الحديبية وقال ابن زيد والضحاك فتح خيبر وتحققت الرؤيا في العام
القابل وقال الزهري لا فتح في الاسلام كان اعظم من صلح الحديبية ولقد دخل في تلك السنين في
الاسلام مثل من كان قد دخل فيه قبل ذلك بل اكثر فان المسلمين كانوا في سنة ست وهو سنة
الحديبية الفا واربعمائة وكانوا في سنة ثمان عشرة الاف وقيل هو فتح مكة هو الذي ارسل رسوله
بالهدى اي ارسله متلبسا بالهدى ودين الحق وهو الاسلام ليظهره على الدين كله اي يغلبه
يعليه على كل الاديان بنسخ ما كان حقا واظهار افساد ما كان باطلا كما يفيده تاكيد الجنس وقيل
ليظهر رسوله والاول اولى وقد كان ذلك بحمد الله فان دين الاسلام قد ظهر على جميع الاديان وانقهر
له كل اهل الملل فلا ترى دينا قط الا وللاسلام دونه العز والغلبة وقيل هو عند نزول عيسى عليه السلام
حين لا يبقى على وجه الارض كافر وقيل هو اظهاره بالحجج والآيات والاول اولى وفي هذا تاكيد لما وعد
من الفتح وكفى بالله الباء زائدة شهيدا على هذا الاظهار الذي وعد المسلمين به وعلى صحة نبوة
نبيه صلى الله عليه وسلم محمد رسول الله الجملة مبينة لما هو من جملة المشهود به والذين معه من
المؤمنين قيل هم اصحاب الحديبية والاولى الحمل على العموم اشداء على الكفار اي غلاظ عليهم
كما يغلظ الاسد على فريسته وهو جمع شديد لا تاخذهم بهم رافة لان الله امرهم بالغلظة عليهم فلا
يرحمونهم رحماء بينهم اي متوادون متعاطفون كالولد مع الوالد وهو جمع رحيم والمعنى انهم
يظهرون لمن خالفهم في دينهم الشدة والصلابة ولمن وافقهم الرحمة والرافة ونحوه قوله اذلة على
المؤمنين اعزة على الكافرين قال الحسن بلغ من تشددهم على الكفار انهم كانوا يتحرزون من ثيابهم
ان تلزق بثيابهم ومن ابدانهم ان تمس ابدانهم وتلزق بها وبلغ من ترحمهم فيما بينهم انه كان
لا يرى مؤمن مؤمنا الا صافحه وعانقه ومن حق المسلمين في كل زمان ان يراعوا هذا التذلل وهذا
التعطف فيتشددوا على من ليس من دينهم ويعاشروا اخوانهم المؤمنين في الاسلام متعطفين بالبر
والصلة وكف الاذى والاحتمال منهم قرأ الجمهور برفع اشداء ورحماء على انه خبر للموصول وقرئ بنصبهما

على الحال او على المدح ويكون الخبر على هذه القراءة قوله تَرٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا اي تشاهدهم وتبصرهم
حال كونهم راكعين ساجدين اخبر عن كثرة صلاتهم ومداومتهم عليها يَبْتَغُوْنَ فَضْلًا مِّنَ اللّٰهِ وَ
رِضْوَانًا اي يطلبون ثواب الله لهم ورضاه عنهم وفيه لطيفة ان المخلص بعمله لله يطلب اجره من
الله والمرائي بعمله لا يبتغي له اجر وذكر بعضهم في الآية والذين معه ابا بكر الصديق اشداء على
الكفار عمر بن الخطاب رحماء بينهم عثمان بن عفان تراهم ركعا سجدا علي بن ابي طالب يبتغون
فضلا من الله ورضوانا بقية الصحابة رضي الله تعالى عنهم اجمعين سِيْمَاهُمْ فِيْ وُجُوْهِهِمْ
مِّنْ اَثَرِ السُّجُوْدِ السيما العلامة وفيه لغتان المد والقصر اي يظهر علامتهم في جباههم من اثر السجود
في الصلوة لكثرة التعبد بالليل والنهار وقال الضحاك اذا سهر الرجل اصبح مصفرا فجعل هذا هو
السيما وقال الزهري مواضع السجود اشد وجوههم بياضا وقال مجاهد هو الخشوع والتواضع و
بالاول اعني كونه ما يظهر في الجباه من كثرة السجود قال سعيد بن جبير ومالك وقال ابن جريج هو
الوقار وقال الحسن اذا رايتهم رايتهم مرضى وما هم بمرضى وقيل هو البهاء في الوجه وظهور
الانوار عليه وبه قال سفيان الثوري قال ابن عباس اما انه ليس الذي ترونه ولكنه سيما الاسلام
وسمته وخشوعه وعنه قال هو السمت الحسن وعن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في
قوله سيماهم الخ النور يوم القيامة اخرجه الطبراني في الاوسط والصغير وابن مردويه قال السيوطي
بسند حسن وعن ابن عباس قال بياض يغشى وجوههم يوم القيامة قال عطاء الخراساني دخل
في هذه الآية كل من حافظ على الصلوات الخمس قال البقاعي ولا يظن ان من السيما ما يصنعه بعض
المرائين من اثر هيئة السجود في جبهته فان ذلك من سيماء الخوارج وعن ابن عباس عن النبي صلى الله
عليه وسلم اني لابغض الرجل واكرهه اذا رايت بين عينيه اثر السجود ذكره الخطيب ولينظر في سنده ذلك
اي ما تقدم من هذه الصفات الجليلة مَثَلُهُمْ اي وصفهم العجيب الشان الذي وصفوا به فِي التَّوْرٰىةِ
وَمَثَلُهُمْ اي وصفهم الذي وصفوا به فِي الْاِنْجِيْلِ تكرير ذكر المثل لزيادة تقريره وللتنبيه على غرابته
وانه جار مجرى الامثال في الغرابة قال ابن عباس اي نعتهم مكتوب في التوراة والانجيل قبل ان يخلق
الله السموات والارض كَزَرْعٍ اَخْرَجَ شَطْئَهٗ كلام مستانف اي هم كزرع وقيل هو تفسير لذلك
على انه اشارة مبهمة لم يرد به ما تقدم من الاوصاف وقيل هو خبر لقوله مثلهم في الانجيل اي مثلهم

في الانجيل كزرع قال الفراء فيه وجهان ان شئت قلت ذلك مثلهم في التورٰىة ومثلهم في
الانجيل يعني كمثلهم في القران فيكون الوقف على الانجيل وان شئت قلت ذلك مثلهم في التورٰىة
ثم تبتدي ومثلهم في الانجيل كزرع قرا الجمهور شطأه بسكون الطاء وقرئ بفتحها وهما سبعيتان
وقرئ شطاه كعصاه وقرئ شطه بغير همز وكلها لغات قال الاخفش والكسائي شطأه اي طرفه
قال الفراء شطأ الزرع فهو مشطئ اذا خرج قال الزجاج اخرج شطأه اي نباته وقال قطرب الشطأ
سوى السنبل وعن الفراء هو السنبل وقال الجوهري شطأ الزرع والنبات فراخه والجمع اشطاء وقد اشطأ
الزرع خرج شطأه وقال النسفي نباته فروخه فَآزَرَهُ اي قواه وشده واعانه قيل ان المعنى ان الشطأ
قوى الزرع قاله السمين وقيل ان الزرع قوى الشطأ وبه قال النسفي وهو انسب فان العادة ان الاصل
يتقوى بفروعه فهي تعينه وتقويه قرا الجمهور فآزره بالمد وقرئ بالقصر وهما سبعيتان قال الفراء آزرت
فلانا آزره ازرا اذا قويته فَاسْتَغْلَظَ اي صار ذلك الزرع غليظا بعد ان كان دقيقا فهو من باب
استحجر الطين او المراد المبالغة في الغلظة كما في استعصم ونحوه واشار الاول لان تمسك الساق على التدريج
فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ اي فاستقام على اعواده والسوق جمع ساق وقرئ سؤقه بالهمزة الساكنة
يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ اي يعجب هذا الزرع زارعه لقوته وحسن منظره وهنا تم المثل قاله السمين قلت وهذا
مثل ضربه الله سبحانه لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وانهم يكونون في الابتداء قليلا ثم يزدادون ويكثرون
ويقوون كالزرع فانه يكون في الابتداء ضعيفا ثم يقوى حالا بعد حال حتى يغلظ ساقه قال قتادة
مثل اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في الانجيل مكتوب فيه انه سيخرج من قوم ينبتون نبات الزرع يامرون
بالمعروف وينهون عن المنكر وعن عكرمة اخرج شطأه بابي بكر فآزره بعمر فاستغلظ بعثمان فاستوى
على سوقه بعلي وهذا ونحوه مما تقدم ليس بتفسير للقران بل من لطائف الكلام وعن بعض الصحابة انه
لما قرأ هذه الاية قال تم الزرع وقد دنا حصاده ثم ذكر سبحانه علة تكثيره لاصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم
وتقويته لهم وتشبيههم بالزرع فقال لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ اي انما كثرهم وقواهم ليكونوا غيظا
للكفار واللام متعلقة بمحذوف اي فعل ذلك ليغيظ قيل هو قول عمر بن الخطاب لاهل مكة بعدما
اسلم لا يعبد الله سرا بعد اليوم وقال مالك بن انس من اصبح وفي قلبه غيظ على اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقد اصابته هذه الاية وقد وردت احاديث كثيرة في فضل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

على الخصوص والعموم ليس هذا محل بسطها وَعَدَ اللّٰهُ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ مِنْهُمْ مَّغْفِرَةً وَّاَجْرًا عَظِيْمًا اي وعد سبحانه هؤلاء الذين مع محمد صلى الله عليه وسلم ان يغفر ذنوبهم ويجزل اجرهم بادخالهم الجنة التي هي اكبر نعمه واعظم منة ومن هنا للبيان الجنس لا للتبعيض وهذه الآية ترد قول الروافض انهم كفروا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم اذا الوعد لهم بالمغفرة والاجر العظيم انما يكون لو ان ثبتوا على ما كانوا عليه في حياته صلى الله عليه وسلم قال الجلال المحلي وهما اي المغفرة والاجر لمن بعدهم ايضا في آيات اي بعد الصحابة من التابعين ومن بعدهم الى يوم القيامة كقوله تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم الى قوله اعدت للذين آمنوا بالله ورسله ونحو ذلك من الآيات **خاتمة** قد جمعت هذه الآية وهي محمد رسول الله الى آخر السورة جميع حروف المعجم في ذلك بشارة تلويحية مع ما فيها من البشارة التصريحية باجتماع امرهم وعلو نصرهم رضي الله تعالى عنهم وحشرنا معهم وهذا من لطائف النظم القرآني وهذا آخر القسم الاول من القرآن وهو المطول وقد ختم كما ترى بسورتين هما في الحقيقة للنبي صلى الله عليه وسلم وحاصلهما الفتح بالسيف والنصر على من قاتله ظاهرا كما ختم القسم الثاني المفصل بسورتين هما نصرة له صلى الله عليه وسلم بالحال على من قصده بالنصر باطنا

سورة الحجرات ثماني عشرة آية وهي مدنية

قال القرطبي بالاجماع قال ابن عباس وابن الزبير انها نزلت بالمدينة

بسم الله الرحمن الرحيم

يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا ذكر هذا اللفظ في هذه السورة خمس مرات والمخاطب فيه المؤمنون والمخاطب به امر او نهي وذكر فيها يا ايها الناس مرة والخطاب فيها يعم المؤمنين والكافرين كما ان المخاطب به وهو قوله انا خلقناكم من ذكر وانثى يعمهما فناسب فيها ذكر الناس لَا تُقَدِّمُوْا بَيْنَ يَدَيِ اللّٰهِ وَرَسُوْلِهٖ قرأ الجمهور بتشديد الدال مكسورة وفيه وجهان احدهما انه متعد وحذف مفعوله لقصد التعميم او ترك المفعول للقصد الى نفس الفعل كقولهم هو يعطي ويمنع والثاني انه لازم نحو وجه وتوجه ويعضده قراءة تقدموا بفتح التاء والقاف والدال قال الواحدي قدم

ههنا بمعنى تقدموا وهو لازم قال ابو عبيدة العرب تقول لا تقدم بين يدي الامام وبين يدي الاب
اي لا تعجل بالامر دونه والنهي لان المعنى لا تقدموا قبل امرهما ونهيهما وبين يدي الامام عبارة عن
الامام لا بين يدي الانسان وقرئ بضم التاء وكسر الدال من اقدم اي لا تقدموا على شيء ومعنى
الاية لا تقطعوا امرا دون الله ورسوله ولا تعجلوا به وقيل المراد معنى بين يدي فلان بحضرته
لان ما يحضره الانسان فهو بين يديه وقيل لا تقولوا بخلاف الكتاب والسنة وهو الاظهر والاشمل
وجرت هذه العبارة اي بين يدي الله ورسوله هنا على سنن من المجاز وهو الذي يسميه
اهل البيان تمثيلا اي استعارة تمثيلية والغرض تصوير كمال الهجنة وتقبيح قطع الحكم بغير اذن
الله ورسوله او المراد بين يدي رسول الله وذكر لفظ الله تعظيما للرسول واشعارا بانه من الله بمكان يوجب
اجلالا له وعلى هذا فلا استعارة واليه يميل كلام المحلي وقال الشهاب في هذا الكلام تجوزان احدهما
في بين اليدين فان حقيقته ما بين العضوين فتجوز بهما عن الجهتين المقابلتين لليمين والشمال
القريبتين منه باطلاق اليدين على ما يجاورهما ويحاذيهما فهو من المجاز المرسل ثم استعيرت
الجملة وهي التقدم بين اليدين استعارة تمثيلية للقطع بالحكم بلا اقتداء ومتابعة لمن تلزمه
متابعته والمعنى كما قال الخازن لا تعجلوا بقول او فعل قبل ان يقول رسول الله او قبل ان يفعل
وفي البيضاوي المعنى لا تقطعوا امرا قبل ان يحكم الله ورسوله به انتهى وقطع الامر الجزم به والجرأة
على ارتكابه من غير اذن من له الاذن وَاتَّقُوا اللَّهَ في كل اموركم ويدخل تحتها الترك للتقدم
بين يدي الله ورسوله دخولا اوليا ثم علل ما امر به من التقوى بقوله إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ لكل
مسموع عَلِيمٌ بكل معلوم عن عبد الله بن الزبير قال قدم ركب من بني تميم على النبي صلى الله عليه وسلم
فقال ابو بكر امر القعقاع بن معبد وقال عمر امر الاقرع بن حابس فقال ابو بكر ما اردت الا خلافي
فقال عمر ما اردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت اصواتهما فانزل الله يا ايها الذين امنوا لا تقدموا
بين يدي الله ورسوله حتى انقضت الاية اخرجه البخاري وغيره قال ابن عباس نهوا ان
يتكلموا بين يدي كلامه وهذا يشمل معارضة السنة والكتاب بالرأي والتقليد ايضا وعن
عايشة قالت لا تصوموا قبل ان يصوم نبيكم واخرج البخاري في تاريخه عنها قالت كان اناس
يتقدمون بين يدي رمضان بصيام يعني يوما او يومين فانزل الله هذه الاية يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

في اعادة النداء فوائد منها ان في ذلك بيان زيادة الشفقة على المسترشد كقول لقمان لابنه
يا بني لا تشرك بالله لان النداء تنبيه للمنادى ليقبل على استماع الكلام ويجعل باله منه فاعادته
تفيد تجدد ذلك ومنها ان لا يتوهم ان المخاطب ثانيا غير المخاطب اولا ومنها ان يعلم ان كلا واحد من
الكلامين مقصود ليس الثاني تاكيد للاول لَا تَرْفَعُوْا اَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ يحتمل ان
المراد حقيقة رفع الصوت لان ذلك يدل على قلة الاحتشام وترك الاحترام لان خفض الصوت
وعدم رفعه من لوازم التعظيم والتوقير ويحتمل ان يكون المراد المنع من كثرة الكلام ومزيد اللغط
والاول اولى والمعنى لا ترفعوا اصواتكم الى حد يكون فوق ما يبلغه صوت النبي صلى الله عليه وسلم
قال المفسرون المراد من الاية تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم وتوقيره وان لا ينادوه كما ينادي بعضهم بعضا
وهذا نهي عن قول كما ان قوله لا تقدموا نهي عن فعل عن ابي بكر الصديق قال لما نزلت هذه الاية
قلت يا رسول الله والله لا اكلمك الا كاخي السرار وفي سنده حصين بن عمر وهو ضعيف لكنه
يؤيده ما روي عن ابي هريرة قال لما نزلت ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله قال ابو بكر و
الذي انزل عليك الكتاب يا رسول الله لا اكلمك الا كاخي السرار حتى القى الله واخرج البخاري و
مسلم وغيرهما عن انس قال لما نزلت هذه الاية الى قوله وانتم لا تشعرون وكان ثابت بن قيس بن
شماس رفيع الصوت فقال انا الذي كنت ارفع صوتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم حبط عملي انا من اهل
النار وجلس في بيته حزينا ففقده رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق بعض القوم اليه فقالوا فقدك
رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك فقال انا الذي ارفع صوتي فوق صوت النبي واجهر له بالقول حبط عملي
انا من اهل النار فاتوا النبي صلى الله عليه وسلم فاخبروه بذلك فقال لا بل هو من اهل الجنة فلما كان
يوم اليمامة قتل وفي الباب احاديث بمعناه وعن ابن مسعود قال نزلت في ثابت بن قيس بن شماس
وَلَا تَجْهَرُوْا لَهٗ بِالْقَوْلِ اذا كلمتموه كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ اي كما تعتادونه من الجهر بالقول اذا كلم
بعضكم بعضا قال الزجاج امرهم الله سبحانه بتجليل نبيه صلى الله عليه وسلم وان يغضوا اصواتهم و
يخاطبوه بالسكينة والوقار وقيل المراد بقوله ولا تجهروا له بالقول لا تقولوا يا محمد يا احمد ولكن يا نبي الله
ويا رسول الله توقيرا له وليس المراد برفع الصوت والجهر بالقول هو ما يقع على طريقة الاستخفاف فان
ذلك كفر وانما المراد ان يكون الصوت في نفسه غير مناسب لما يقع في مواقف من يجب تعظيمه وتوقيره

والحاصل ان النهي هنا وقع عن امور الاول عن التقديم بين يديه بما لم يأذن به من الكلام والثاني
عن رفع الصوت البالغ الى حد يكون فوق صوته سواء كان في خطابه او خطاب غيره والثالث
ترك الجفا في مخاطبته ولزوم الادب في محاورته لان المقاولة والمجاهرة انما تكون بين الاكفاء الذين
ليس لبعضهم على بعض مزية توجب احترامه وتوقيره ثم علل سبحانه ما ذكره بقوله أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ
قال الزجاج اي لان تحبط يعني فتحبط فاللام المقدرة لام الصيرورة وهذه العلة تصلح ان تكون علة
للنهي اي نهاكم الله عن الجهر خشية او كراهة ان تحبط او علة للمنهي اي لا تفعلوا الجهر فانه يؤدي الى الحبوط
فكلام الزجاج بنظر الى الوجه الثاني لا الى الاول وجملة وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ في محل نصب على الحال و
فيه تهديد شديد ووعيد عظيم قال الزجاج وليس المراد وانتم لا تشعرون يوجب ان يكفر الانسان
وهو لا يعلم فكما لا يكون الكافر مؤمنا الا باختياره الايمان على الكفر كذلك لا يكون الكافر كافرا من حيث
لا يعلم ثم رغب الله سبحانه في امتثال امره فقال إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ
اجلالا له وتعظيما واصل الغض النقص من كل شيء ومنه نقص الصوت أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ
اللَّهُ قُلُوبَهُمْ قال الفراء اخلص قلوبهم لِلتَّقْوَىٰ كما يمتحن الذهب بالنار فيخرج جيده من رديه
ويسقط خبيثه وبه قال مقاتل ومجاهد وقتادة وقال الاخفش اختصها للتقوى وقال الواحدي
تقدير الكلام امتحن الله قلوبهم فاخلصها للتقوى فحذف الاخلاص لدلالة الامتحان عليه وهذا
الوجه انسب لان الكلام وارد في مدح اولئك السادة الكرام وفي التعريض بمن ليس على صفتهم
ومن ثم قال في فاصلة الاية السابقة وانتم لا تشعرون وفي فاصلة اللاحقة اكثرهم لا يعقلون
وقيل طهرها من كل قبيح وقيل وسعها وشرحها من محنت الاديم اذا وسعته وقال ابو عمرو كل
شيء جهدته فقد محنته واللام متعلقة بمحذوف اي صالحة للتقوى كقولك انت صالح لكذا
او للتعليل كقولك جئت لاداء الواجب اي ليكون مجيئي سببا لادائه لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ
عَظِيمٌ خبر اخر لاولئك او مستأنفة لبيان ما اعد الله لهم في الاخرة وهو الظاهر إِنَّ الَّذِينَ
يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ هم جفاة بني تميم كما سياتي بيانه ووراء الحجرات خارجها وخلفها
او قدامها والحجرات جمع حجرة كالغرفات جمع غرفة والظلمات جمع ظلمة وقيل جمع حجر والحجر جمع
حجرة فهو جمع الجمع والحجرة الرقعة من الارض المحجورة بحائط يحوط عليها وهي فعلة بمعنى مفعولة



قرأ الجمهور الحجرات بضم الجيم وقرئ بفتحها تخفيفا وقرئ باسكانها وهي لغات ومناداتهم من وراء
الحجرات اما بانهم اتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها او بانهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له فنادى كل واحد
على حجرة ومن في من وراء لابتداء الغاية ولا وجه للمنع من جعلها لهذا المعنى ﴿أكثرهم لا يعقلون﴾ لغلبة
الجهل عليهم وكثرة الجفا في طباعهم والمراد بالاكثر الكل لان العرب قد تفعل هكذا عن الاقرع بن
حابس انه اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اخرج الينا فلم يجبه فقال يا محمد ان حمدي زين وان ذمي
شين فقال ذلك الله فانزل الله ان الذين الخ اخرجه احمد وابن جرير والبغوي والطبراني وابن
مردويه قال السيوطي بسند صحيح قال ابن منيع لا اعلم روى للاقرع مسندا غير هذا وعن البراء
بن عازب في الآية قال جاء رجل فقال يا محمد ان حمدي زين وان ذمي شين فقال النبي صلى الله
عليه وسلم ذاك الله اخرجه الترمذي وحسنه وعن زيد بن ارقم قال اجتمع ناس من العرب فقالوا
انطلقوا الى هذا الرجل فان يك نبيا فنحن اسعد الناس به وان يك ملكا نعش بجناحه فاتيت النبي
صلى الله عليه وسلم فاخبرته بما قالوا فجاؤا الى حجرته فجعلوا ينادونه يا محمد يا محمد فانزل الله هذه الآية
فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم باذني وجعل يقول لقد صدق الله قولك يا زيد اخرجه ابن راهويه
ومسدد وابو يعلى والطبراني وابن مردويه قال السيوطي باسناد حسن وفي الباب احاديث
قال النسفي وورود الآية على النمط الذي وردت عليه فيه ما لا يخفى من اجلال محل رسول الله
صلى الله عليه وسلم منها التسجيل على الصائحين به بالسفه والجهل ومنها ايقاع لفظ الحجرات كناية عن
موضع خلوته ومقيله مع بعض نسائه ومنها التعريف باللام دون الاضافة ولو تامل متامل
من اول هذه السورة الى آخر هذه الآية لوجدها كذلك فتامل كيف ابتدئ بايجاب ان تكون
الامور التي تنتمي الى الله ورسوله متقدمة على الامور كلها من غير تقييد ثم اردف ذلك النهي عما
هو من جنس التقديم من رفع الصوت والجهر كان الاول بساط للثاني ثم اثنى على الغاضين اصواتهم
ليدل على عظم موقعه عند الله ثم عقبه بما هو اطم وهجنته اتم من الصياح برسول الله
صلى الله عليه وسلم في حال خلوته من وراء الجدر كما يصاح باهون الناس قدرا لينبه على فظاعة ما جسروا
عليه لان من رفع الله قدره عن ان يجهر له بالقول كان صنيع هؤلاء من المنكر الذي بلغ من التفاحش
مبلغا انتهى ﴿ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم﴾ اي لو انتظروا خروجك ولم يعجلوا

بالمناداة لكان اصلح لهم في دينهم ودنياهم لما في ذلك من رعاية حسن الادب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورعاية جانبه الشريف والعمل بما يستحقه من التعظيم والتبجيل وقيل انهم جاؤا شفعاء في اسارى
فاعتق رسول الله صلى الله عليه وسلم نصفهم وفادى نصفهم ولو صبروا لاعتق الجميع ذكر معناه مقاتل
وقيل يفيد انه لو خرج ولم يكن خروجه اليهم ولاجلهم للزمهم ان يصبروا الى ان يعلموا ان خروجه
اليهم وَاللّٰهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ كثير المغفرة والرحمة بليغهما لا يؤاخذ مثل هؤلاء فيما فرط منهم من
اساءة الادب ان تابوا واتابوا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا قرأ الجمهور
من التبين وقرئ فتثبتوا من التثبت والمراد من التبين التعرف والتفحص ومن التثبت الاناءة
وعدم العجلة والتبصر في الامر الواقع والخبر الوارد حتى يتضح ويظهر وفي تنكير الفاسق والنبأ
شياع في الفساق والانباء كانه قال اي فاسق جاءكم باي نبأ فتوقفوا فيه وتطلبوا بيان الامر
انكشاف الحقيقة ولا تعتمدوا على قول الفساق لان من لا يتحامى جنس الفسوق لا يتحامى الكذب
الذي هو نوع منه والفسوق الخروج من الشيء يقال فسقت الرطبة عن قشرها ومن مقلوبه فقست البيضة
اذا كسرتها واخرجت ما فيها من بياضها وصفرتها ومن مقلوبه ايضا قفست الشيء اذا اخرجته
من يد مالكه مغتصبا له عليه ثم استعمل في الخروج عن القصد بركوب الكبائر قال المفسرون ان
هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن ابي معيط كما سيأتي بيانه أَنْ اي كراهة ان او لئلا
تُصِيبُوا بالقتل والاسر قَوْمًا بِجَهَالَةٍ لان الخطأ ممن لم يتبين الامر ولم يتثبت فيه هو الغالب
وهو جهالة لانه لم يصدر عن علم والمعنى متلبسين بجهالة بحالهم فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ بهم من اصابتهم
بالخطأ نَادِمِينَ على ذلك مغتمين له مهتمين به وفي الآية دليل على قبول خبر الواحد العدل
لانا لو توقفنا في خبره لسوينا بينه وبين الفاسق ولخلا التخصيص به عن الفائدة عن الحارث
بن ضرار الخزاعي قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاني الى الاسلام فدخلت فيه واقررت
به ودعاني الى الزكوة فاقررت بها وقلت يا رسول الله ارجع الى قومي فادعوهم الى الاسلام واداء
الزكوة فمن استجاب لي جمعت زكوته وترسل الي يا رسول الله رسولا لابان كذا وكذا ليأتيك ما
جمعت من الزكوة فلما جمع الحارث الزكوة ممن استجاب له وبلغ الابان الذي اراد رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يبعث اليه احتبس الرسول فلم يأت فظن الحارث ان قد حدث فيه سخط من الله ورسوله

فدعى سروات قومه فقال لهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت لي وقتا يرسل الي رسوله
ليقبض ما كان عندي من الزكوة وليس من رسول الله الخلف ولا ارى حبس رسوله الا من سخطة فانطلقوا
فناتي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد بن العقبة الى الحارث ليقبض
ما عنده مما جمع من الزكوة فلما ان سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق فرق فرجع فاتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ان الحارث منعني الزكوة واراد قتلي فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم البعث الى الحارث
فاقبل الحارث باصحابه حتى اذا استقل البعث وفصل عن المدينة لقيهم الحارث فقالوا هذا
الحارث فلما غشيهم قال لهم الى من بعثتم قالوا اليك قال ولم قالوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعث اليك الوليد بن عقبة فزعم انك منعته الزكوة واردت قتله قال لا والذي بعث محمدا بالحق
ما رايته بتة ولا اتاني فلما دخل الحارث على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال منعت الزكوة واردت
قتل رسولي قال لا والذي بعثك بالحق ما رايته ولا اتاني وما اقبلت الا حين احتبس على رسول
رسول الله صلى الله عليه وسلم خشيت ان تكون كانت سخطة من الله ورسوله فنزلت يا ايها الذين امنوا
الى قوله حكيم اخرجه احمد وابن ابي حاتم والطبراني وابن منده وابن مردويه قال السيوطي بسند جيد
قال ابن كثير هذا من احسن ما روي في سبب نزول الاية وقد رويت روايات كثيرة متفقة
على انه سبب نزول الاية وانه المراد بها وان اختلفت القصص ثم وعظهم الله سبحانه فقال
واعلموا ان فيكم رسول الله فلا تقولوا قولا باطلا ولا تسرعوا عند وصول الخبر اليكم من غير تبين
فان الله يخبره فيهتك ستر الكاذب وفارجعوا اليه واطلبوا رايه ثم قال مستانفا لو يطيعكم
في كثير من الامر اي مما تخبرونه به من الاخبار الباطلة وتشيرون به عليه من الاراء التي
ليست بصواب لعنتم اي لوقعتم في العنت وهو التعب والجهد والاثم والهلاك ولكنه لا يطيعكم
في غالب ما تريدون قبل وضوح وجهه له ولا يسارع الى العمل بما يبلغه قبل النظر فيه عن ابي
سعيد الخدري انه قرأ هذه الاية وقال هذا نبيكم يوحى اليه وخيار ائمتكم لو اطاعهم في كثير
من الامر لعنتوا فكيف بكم اليوم اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب ولكن الله
حبب اليكم الايمان اي جعله احب الاشياء اليكم او محببا لديكم فلا يقع منكم الا ما يوافقه
ويقتضيه من الامور الصالحة وترك التسرع في الاخبار وعدم التثبت فيها قيل والمراد

بهوى لا من عد الاولين لبيان براءتهم عن اوصاف الاولين والظاهر انه تذكير للكل بما
يقتضيه الايمان و توجيه محبته التي جعلها الله في قلوبهم وَزَيَّنَهُ اي حسنه بتوفيقه و
قربه منكم وادخله فِي قُلُوبِكُمْ حتى جربتم علما يقتضيه في الاقوال والافعال وَكَرَّهَ اِلَيْكُمُ
الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ اي جعل كل ما هو من جنس هذه الثلثة مكروها عندكم
واصل الفسق الخروج عن الطاعة والعصيان جنس ما يعصى الله به وقيل اراد بذلك
الكذب خاصة والاول اولى وفي هذه الاية لطيفة وهو ان الله سبحانه و تعالى ذكر هذه الثلثة
الاشياء في مقابلة الايمان الكامل وهو ما اجتمع فيه ثلاثة امور اقرار باللسان وتصديق
بالجنان وعمل بالاركان فكراهة الكفر في مقابلة محبة الايمان وتزيينه في القلوب هو التصديق
بالجنان و الفسوق وهو الكذب في مقابلة الاقرار باللسان و العصيان في مقابلة العمل بالاركان
أُولَئِكَ الموصوفون بما ذكر هُمُ الرَّاشِدُونَ يعني اصابوا طريق الحق ولم يميلوا عن الاستقامة
والرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب من الرشادة وهي الصخرة وفيه التفات عن الخطاب
فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً اي لاجل فضله وانعامه والمعنى انه حبب اليكم ما حبب وكره
اليكم ما كره لاجل فضله وانعامه او جعلكم راشدين لاجل ذلك وقيل التقدير تبتغون
فضلا ونعمة وَاللَّهُ عَلِيمٌ بكل معلوم حَكِيمٌ في صنعه وفي كل ما يقضي به بين عباده
ويقدره لهم وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا قرأ الجمهور باعتبار كل فرد من افراد الطائفة
كقوله هذان خصمان اختصموا وقال النسفي حملا على المعنى لان الطائفتين في معنى القوم
والناس وثنى في قوله فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا نظرا الى اللفظ عن انس قال قيل للنبي صلى الله عليه وسلم
لو اتيت عبد الله بن ابي فانطلق اليه وركب حمارا وانطلق المسلمون يمشون وهي ارض
سبخة فلما انطلق اليه قال اليك عني فوالله لقد اذاني ريح حمارك فقال رجل من الانصار والله لحمار
رسول الله صلى الله عليه وسلم اطيب ريحا منك فغضب لعبد الله رجال من قومه فغضب لكل منهما
اصحابه وكان بينهم ضرب بالجريد والايدي والنعال فنزلت وان طائفتان من المؤمنين
اقتتلوا الاية اخرجه البخاري ومسلم وغيرهما وقد روي نحو هذا من وجوه اخر قال ابن عباس
كان قتال بالنعال والعصي فامرهم ان يصلحوا بينهما وعن عايشة قالت ما رايت مثل ما رغبت

عنه هذه الامة في هذه الآية وقيل المراد من الطائفتين الاوس والخزرج فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ البغي التعدي بغير حق والامتناع من الصلح الموافق للصواب والاستطالة والظلم والفيء الرجوع وقد سمي به الظل والغنيمة لان الظل يرجع بعد نسخ الشمس والغنيمة ما يرجع من اموال الكفار الى المسلمين والمعنى انه اذا تقاتل فريقان من المسلمين فعلى المسلمين ان يسعوا بالصلح بينهم ويدعوهم الى حكم الله فان حصل بعد ذلك التعدي من احدى الطائفتين على الاخرى ولم تقبل الصلح ولا دخلت فيه ولم تتأثر بالنصيحة وابت الاجابة الى حكم الله تعالى كان على المسلمين ان يقاتلوا هذه الطائفة الباغية حتى ترجع الى امر الله وحكمه وكتابه وقيل الى طاعته في الصلح الذي امر به وحتى للغاية وقيل بمعنى كي فتكون للتعليل والاول كما قال بعضهم هو الظاهر المناسب لسياق الآية عن ابن عباس الآية قال ان الله امر النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين اذا اقتتلت طائفتان من المؤمنين ان يدعوهم الى حكم الله وينصف بعضهم عن بعض فاذا اجابوا حكم فيهم بكتاب الله حتى ينصف المظلوم فمن ابى منهم ان يجيب فهو باغ وحق على الامام ان يقاتلهم حتى يفيئوا الى امر الله ويقروا بحكم الله وعن ابن عمر قال ما وجدت في نفسي من شيء ما وجدت في نفسي من هذه الآية اني لم اقاتل هذه الفئة الباغية كما امرني الله والحاصل ان حكم الفئة الباغية وجوب قتالها ما قاتلت فاذا كفت وقبضت عن الحرب ايديها تركت والمراد بامر الله الصلح وزوال الشحناء فَإِنْ فَاءَتْ اي فان رجعت تلك الطائفة الباغية عن بغيها الى الحق واجابت الدعوة الى كتاب الله وحكمه والرضاء بما فيه فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ اي بالنصح والدعاء الى حكم الله ولا تكتفوا بمجرد متاركتهما عسى ان يكون بينهما قتال في وقت آخر يعني فعلى المسلمين ان يعدلوا بين الطائفتين في الحكم ويتحروا الصواب المطابق لحكم الله ويأخذوا على يد الطائفة الظالمة حتى تخرج من الظلم وتؤدي ما يجب عليها للاخرى ثم امر الله سبحانه المسلمين ان يعدلوا في كل امورهم بعد امرهم بهذا العدل الخاص بالطائفتين المقتتلتين فقال وَأَقْسِطُوا اي اعدلوا وهو امر باستعمال القسط على طريق العموم بعد ما امر به في اصلاح ذات البين والقسط الجور والقسط العدل والفعل منه اقسط الرباعي وهمزته للسلب اي زال القسط وهو الجور بخلاف قسط الثلاثي فمعناه الجور يقال قسط الرجل اذا جار واقسط اذا عدل وهذا هو المشهور

خلافا للزجاج في جعلهما سواء إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ اي العادلين ومحبته لهم تستلزم مجازاتهم باحسن الجزاء وجملة إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ مستانفة مقررة لما قبلها من الامر بالاصلاح والمعنى انهم راجعون الى اصل واحد وهو الايمان قال الزجاج الدين يجمعهم فهم اخوة اذا كانوا متفقين في دينهم فرجعوا بالاتفاق في الدين الى اصل النسب لانهم لآدم وحواء قال بعضهم ؎ ابي الاسلام لا اب لي سواه اذا افتخروا بقيس او تميم ، ولنعم ما قيل ؎ القوم اخوان صدق بينهم سبب من المودة لم يعدل به نسب وذلك ان الايمان قد عقد بين اهله من السبب القريب والنسب اللاصق ما ان لم يفضل الاخوة لم ينقص عنها ثم قد جرت العادة على انه اذا نشب مثل ذلك بين الاخوين ولاد الزم السائران يتناهضوا في رفعه وازاحته بالصلح بينهما فالاخوة في الدين احق بذلك فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ يعني بين كل مسلمين تخاصما وتقاتلا وفيه وضع الظاهر موضع المضمر مضافا الى المامورين بالاصلاح للمبالغة في التقرير والتحضيض للايذان بان الاخوة الدينية موجبة للاصلاح او تخصيص الاثنين بالذكر لاثبات وجوب الاصلاح فيما فوقهما بطريق الاولى لانهما اقل من يقع بينهما الشقاق فاذا لزمت المصالحة بين الاقل كانت بين الاكثر الزم لان الفساد في شقاق الجمع اكثر منه في شقاق الاثنين قرأ الجمهور على التثنية قال ابو علي الفارسي في توجيهها اراد بالاخوين الطائفتين لان لفظ التثنية قد يرد ويراد به الكثرة وقال ابو عبيدة اي اصلحوا بين كل اخوين وقرئ اخوانكم بالجمع وقرئ اخوتكم بالفوقية على الجمع ايضا وَاتَّقُوا اللَّهَ في كل اموركم لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ بسبب التقوى والترجي باعتبار المخاطبين اي راجين ان ترحموا ولعل من الله في هذا المقام اطماع من الكريم الرحيم اذا اطماع فعل ما يطمع فيه لا محالة وفي هذه الآية دليل على قتال الفئة الباغية اذا تقرر بغيها على الامام او على احد من المسلمين وعلى فساد قول من قال بعدم الجواز مستدلا بقوله صلى الله عليه وسلم قتال المسلم كفر فان المراد بهذا الحديث وما ورد في معناه قتال المسلم الذي لم يبغ قال ابن جرير لو كان الواجب في كل اختلاف يكون بين فريقين من المسلمين الهرب منه ولزوم المنازل لما اقيم حق ولا ابطل باطل ولوجد اهل النفاق والفجور سببا الى استحلال كل ما حرم الله من اموال المسلمين وسبي نسائهم وسفك دمائهم بان يتحزبوا عليهم ويكف المسلمون ايديهم عنهم وذلك مخالف لقوله صلى الله عليه وسلم خذوا على ايدي سفهائكم

قال ابن العربي هذه الآية اصل في قتال المسلمين وعمدة في حرب المتأولين وعليها عول الصحابة
واليها لجأ الاعيان من اهل الملة واياها عنى النبي صلى الله عليه وسلم بقوله تقتل عمارا الفئة الباغية
وقوله صلى الله عليه وسلم في شان الخوارج يخرجون على حين فرقة من الناس تقتلهم اولى الطائفتين
بالحق والآية تدل ايضا على ان البغي لا يزيل اسم الايمان لانه سماهم مؤمنين مع وجود البغي وعن
علي وقد سئل عن اهل الجمل وصفين أمشركون قال لا انهم من الشرك فروا فقيل امنافقون هم
قال لا ان المنافقين لا يذكرون الله الا قليلا قيل فما حالهم قال اخواننا بغوا علينا وهو رضي
الله تعالى عنه قدوة في قتال اهل بغي وعنه انه سمع رجلا يقول في ناحية المسجد لا حكم الا لله فقال
كلمة حق اريد بها باطل يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ اي رجال منكم مِّن قَوْمٍ وتنكير القوم للتبعيض
وان المعنى على الافراد وانما جاء النظم على الجمع لان السخرية تقع في المجامع قال الكرخي انه من نسبة فعل البعض الى الجميع لرضاهم به في الاغلب
ولوجوده فيما بينهم والسخرية الاستهزاء وحكى ابو زيد سخرت به وضحكت به وهزيت به وقال
الاخفش سخرت به وسخرت منه وضحكت به ومنه وهزيت منه وبه كل ذلك يقال والاسم السخرية
والسخري بالكسر والضم لغة فيه قرئ بهما في قوله ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ومعنى الآية النهي
للمؤمنين عن ان يستهزئ بعضهم ببعض عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ علل النهي بان يكون
المسخور بهم عند الله خيرا من الساخرين بهم فينبغي ان لا يجترئ احد على الاستهزاء بمن تقتحم عينه
اذا رآه رث الحال او ذا عاهة في بدنه او غير لبيق في محادثته فلعله اخلص ضميرا وانقى قلبا ممن
هو على ضد صفته فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله تعالى قال ابن مسعود ان البلاء موكل بالقول
لو سخرت من كلب لخشيت ان احول كلبا ولما كان لفظ قوم مختصا بالرجال لانهم القوام على النساء
افرد النساء بالذكر فقال وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ المسخور بهن خَيْرًا مِّنْهُنَّ يعني من
الساخرات منهن وقيل افرد النساء بالذكر لان السخرية منهن اكثر عن مقاتل قال نزلت في قوم من بني
تميم استهزؤا من فقراء المسلمين كبلال وسلمان وعمار وخباب وصهيب وابن فهيرة وسالم مولى
ابي حذيفة وعن انس نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم عيرن ام سلمة بالقصر وعن ابن عباس نزلت في
صفية بنت حيي قال لها بعض نساء النبي صلى الله عليه وسلم يهودية بنت يهودي وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ اي
لا تطعنوا اهل دينكم واللمز العيب والطعن وقد مضى تحقيقه في سورة براءة عند قوله ومنهم من

يلمزك في الصدقات قال ابن جرير اللمز باليد والعين واللسان والاشارة والهمزة لا يكون الا باللسان والمعنى لا يلمز بعضكم بعضا كما في قوله ولا تقتلوا انفسكم وقوله فسلموا على انفسكم والمؤمنون كنفس واحدة فاذا عاب المؤمن المؤمن فكانما عاب نفسه وقيل لا تفعلوا ما تلمزون به لان من فعل ما استحق به اللمز فقد لمز نفسه حقيقة قال مجاهد وقتادة وسعيد بن جبير لا يطعن بعضكم على بعض وبه قال ابن عباس وقال الضحاك لا يلعن بعضكم بعضا ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ اي لا تدعوا الانسان بغير ما سمي به والتنابز التفاعل من النبز بالتسكين وهو المصدر والنبز بالتحريك اللقب مطلقا اي حسنا كان او قبيحا خص في العرف بالقبيح والجمع انباز والالقاب جمع لقب وهو اسم غير الذي سمي به الانسان والمراد هنا لقب السوء والتنابز بالالقاب ان يلقب بعضهم بعضا والتداعي بها قال الواحدي قال المفسرون هو ان يقول لاخيه المسلم يا فاسق يا منافق او يقول لمن اسلم يا يهودي يا نصراني قال عطاء هو كل شيء اخرجت به اخاك من الاسلام كقولك يا كلب يا حمار يا خنزير قال الحسن ومجاهد كان الرجل يعير بكفره فيقال له يا يهودي يا نصراني فنزلت وبه قال قتادة وابو العالية وعكرمة عن ابي جبيرة بن الضحاك قال فينا نزلت في بني سلمة قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وليس فينا رجل الا وله اسمان او ثلاثة فكان اذا دعي واحدا منهم باسم من تلك الاسماء قالوا يا رسول الله انه يكرهه فنزلت ولا تنابزوا بالالقاب اخرجه البخاري في الادب واهل السنن الاربع وغيرهم وعن ابن عباس نحوه وعنه قال التنابز ان يكون الرجل عمل السيئات ثم تاب منها وراجع الحق فنهى الله ان يعير بما سلف من عمله وعن ابن مسعود في الآية قال اذا كان الرجل يهوديا فاسلم فيقول يا يهودي يا مجوسي ويقول للرجل المسلم يا فاسق قيل والتلقيب المنهي عنه هو ما يتداخل المدعو به كراهة لكونه تقصيرا به فاما ما يحبه فلا باس به ومنه الالقاب التي صارت كالاعلام لاصحابها نحو الاخفش والاعمش وما اشبه ذلك قال القرطبي انه يستثنى من هذا من غلب عليه الاستعمال كالاعرج والاحدب ولم يكن له سبب يجد في نفسه منه عليه فجوزته الائمة واتفق اهل اللغة على قوله انتهى واما الالقاب التي تكسب حمدا او مدحا وتكون حقا وصدقا فلا تكره كما قيل لابي بكر عتيق ولعمر الفاروق ولعثمان ذو النورين ولعلي ابو تراب ولخالد سيف الله ﴿بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ﴾

اي بئس الاسم ان يذكر بالفسق والاسم هنا ليس المراد به ما يقابل اللقب والكنية ولا ما يقابل الفعل والحرف بل المراد به
الذكر المرتفع لانه من السمو من قولهم طار اسمه في الناس بالكرم او باللوم وحقيقته ما سما من ذكره
وارتفع بين الناس كانه قيل بئس الذكر المرتفع للمؤمنين بسبب ارتكاب هذه الجرائر ان
يذكروا بالفسق بعد دخولهم في الايمان استقباحا للجمع بين الايمان والفسق الذي يحظره الايمان
كما تقول بئس الشأن بعد الكبرة الصبوة قال ابن زيد اي لفسق ان يسمى الرجل كافرا او زانيا بعد
اسلامه وتوبته وقيل المعنى ان من فعل ما نهي عنه من السخرية واللمز والنبز فهو فاسق
ومن لم يتب عما نهى الله عنه فاولئك هم الظالمون لارتكابهم ما نهى الله عنه وامتناعهم
من التوبة وظلموا من لقبوه وظلموا انفسهم بما لزمها من الاثم يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا
كثيرا من الظن يقال جنبه الشر اذا ابعده عنه وحقيقته جعله في جانب فيعدى الى مفعولين
قال تعالى واجنبني وبني ان نعبد الاصنام ومطاوعه اجتنب الشر فنقص مفعولا والظن هنا
مجرد التهمة التي لا سبب لها كمن يتهم غيره بشيء من الفواحش ولم يظهر عليه ما يقتضي ذلك وامر
سبحانه باجتناب الكثير ليفحص المؤمن عن كل ظن يظنه حتى يعلم وجهه لان من الظن ما يجب اتباعه
فان اكثر الاحكام الشرعية مبنية على الظن كالقياس وخبر الواحد ودلالة العموم ولكن هذا الظن
الذي يجب العمل به قد قوي بوجه من الوجوه الموجبة للعمل به فارتفع عن الشك والتهمة قال الزجاج
هو ان يظن باهل الخير سوءا فاما اهل السوء والفسوق فلنا ان نظن بهم مثل الذي ظهر منهم قال مقاتل
بن سليمان ومقاتل بن حيان هو ان يظن باخيه المسلم سوءا ولا باس به ما لم يتكلم به فان تكلم
بذلك الظن وابداه اثم وحكى القرطبي عن اكثر العلماء ان الظن القبيح بمن ظاهره الخير لا يجوز وانه لا حرج
في الظن القبيح بمن ظاهره القبيح وجملة ان بعض الظن اثم تعليل لما قبلها من الامر باجتناب
كثير من الظن وهذا البعض هو ظن السوء باهل الخير والاثم هو ما يستحقه الظان من العقوبة
ومما يدل على تقييد هذا الظن المامور باجتنابه بظن السوء قوله تعالى وظننتم ظن السوء
وكنتم قوما بورا فلا يدخل في الظن المامور باجتنابه شيء من الظن المامور باتباعه من مسائل
الدين فان الله قد تعبد عباده باتباعه واوجب العمل به جمهور اهل العلم ولم ينكر ذلك الا بعض
طوائف المبتدعة كيادا للدين وشذوذا عن جمهور المسلمين وقد جاء التعبد بالظن في

كثير من الشريعة المطهرة بل في اكثرها قال ابو السعود من الظن ما يجب اتباعه كالظن فيما لا
قاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله تعالى ومنه ما يحرم كالظن في الالهيات والنبوات
وحيث يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين ومنه ما يباح كالظن في الامور المعاشية انتهى
وقيل الظن انواع فمنه واجب ومامور به وهو الظن الحسن بالله عز وجل ومنه مندوب
اليه وهو الظن الحسن بالاخ المسلم الظاهر العدالة ومنه حرام محظور وهو سوء الظن بالله عز
وجل وسوء الظن بالاخ المسلم قال ابن عباس في الاية نهى الله المؤمن ان يظن بالمؤمن سوءا و
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث ولا تجسسوا
ولا تحسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله اخوانا الحديث اخرجه
الشيخان ثم لما امرهم سبحانه باجتناب كثير من الظن نهاهم عن التجسس فقال وَلَا تَجَسَّسُوا التجسس البحث
عما ينكتم عنك من عيوب المسلمين وعوراتهم نهاهم الله سبحانه عن البحث عن معائب الناس ومثالبهم
حتى يطلع عليها بعد ان سترها الله تعالى قرأ الجمهور بالجيم ومعناه ما ذكرنا وقرئ بالحاء قال
الاخفش ليس يبعد احدهما عن الاخر لان التجسس بالجيم هو البحث عما يكتم عنك والتحسس بالحاء
طلب الاخبار والبحث عنها وقيل ان التجسس بالجيم هو البحث ومنه قيل رجل جاسوس اذا كان يبحث
عن الامور وبالحاء ما ادركه الانسان ببعض حواسه وقيل انه بالحاء فيما يطلبه الانسان لنفسه
وبالجيم ان يكون رسولا لغيره قاله ثعلب والاول اعرف يقال تحسست الاخبار وتجسستها اي
تفحصت عنها قال ابن عباس نهى الله المؤمنين عن تتبع عورات المؤمن وعن زيد بن وهب قال
أُتي ابن مسعود فقيل هذا فلان يقطر لحيته خمرا فقال ابن مسعود انا قد نُهينا عن التجسس ولكن
ان يظهر لنا شئ ناخذه قال مجاهد خذوا ما ظهر ودعوا ما ستره الله وعن عقبة بن عامر ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من رأى عورة فسترها كان كمن احيى موؤدة اخرجه ابو داود وعن ابي هريرة
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يستر عبد عبدا في الدنيا الا ستره الله يوم القيامة رواه مسلم وفي كتاب
ابي داود عن معاوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انك ان اتبعت عورات المسلمين
افسدتهم او كدت ان تفسدهم فقال ابو الدرداء كلمة سمعها معاوية من رسول الله صلى الله عليه وسلم نفعه
الله بها وقد وردت احاديث في النهي عن تتبع عورات المسلمين والتجسس عن عيوبهم وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُم

بَعْضًا اي لايتناول بعضكم بعضا بظهر الغيب بما يسوءه يقال اغتابه اغتيابا اذا وقع فيه والاسم الغيبة وهي ذكر العيب بظهر الغيب يعني ان تذكر الرجل بما يكرهه كما في حديث ابي هريرة الثابت في الصحيح لمسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله اعلم قال ذكرك اخاك بما يكره فقيل افرايت ان كان في اخي ما اقول فقال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته قال ابن عباس حرم الله ان يغتاب المؤمن بشيء كما حرم الميتة والاحاديث في تحريم الغيبة كثيرة جدا معروفة في كتب الحديث قال الحسن الغيبة ثلثة اوجه كلها في كتاب الله تعالى الغيبة والافك والبهتان فاما الغيبة فهي ان تقول في اخيك ما هو فيه واما الافك فهو ان تقول فيه ما بلغك عنه واما البهتان فهو ان تقول ما ليس فيه ولا خلاف في ان الغيبة من الكبائر وان على من اغتاب احدا التوبة الى الله او الاستغفار لمن اغتابه او الاستحلال منه وللشوكاني رسالة في ذلك سماها رفع الريبة عن مسئلة الغيبة وهي نفيسة جدا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا مثل سبحانه الغيبة باكل الميتة لان الميت لا يعلم باكل لحمه كما ان الحي لا يعلم بغيبة من اغتابه ذكر معناه الزجاج وفيه اشارة الى ان عرض الانسان كلحمه وانه كما يحرم اكل لحمه يحرم الاستطالة في عرضه وفي هذا من التنفير عن الغيبة والتقبيح لها والتوبيخ لفاعلها والتشنيع عليه ما لا يخفى فان لحم الانسان مما تنفر عنه الطباع الانسانية وتستكرهه الجبلة البشرية فضلا عن كونه محرما شرعا وفيه مبالغات منها الاستفهام الذي معناه التقرير ومنها جعل ما هو في الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة ومنها اسناد الفعل الى احدكم للتعميم والاشعار بان احدا من الاحدين لا يحب ذلك ومنها انه لم يقتصر على تمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان حتى جعل الانسان اخا ومنها انه لم يقتصر على لحم الاخ حتى جعله ميتا فهذا تمثيل على الحش وجه فَكَرِهْتُمُوهُ اي فاغتيابه في حياته كاكل لحمه بعد مماته فالكلام من باب الاستعارة التمثيلية وفي هذا التمثيل والتشبيه اشارة الى ان عرض الانسان كدمه ولحمه لان الانسان يتالم قلبه من قرض العرض كما يتالم جسمه من قطع اللحم وهذا من باب القياس الظاهر لان عرض الانسان اشرف من لحمه ودمه فاذا لم يحسن من العاقل اكل لحوم الانسان لم يحسن منه قرض عرضهم بالطريق الاولى لان ذلك اشد الما قال الفراء تقديره فقد كرهتموه فلا تفعلوا والمعنى فلما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بالسوء

والمعنى فكما كرهتموه هذا فاجتنبوا ذكره بالسوء غائبا قال الرازي الفاء في تقدير جواب كلام
كانه قال لا يحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه إذن وقال ابو البقاء هو معطوف على محذوف
تقديره عرض عليكم ذلك فكرهتموه ولا يمكنكم انكار كراهته وبه قال البيضاوي وقيل ان
صح ذلك عندكم فانتم تكرهونه وقيل هو خبر بمعنى الامر واتقوا الله بترك ما امركم باجتنابه
إن الله تواب رحيم لمن اتقاه وتاب عما فرط منه من الذنب ومخالفة الامر والمبالغة في
التواب للدلالة على كثرة من يتوب عليه من عباده او لانه ما من ذنب يقترفه العبد الا كان معفوا
عنه بالتوبة او لانه لما بولغ في قبول التوبة نزل صاحبها منزلة من لم يذنب قط لسعة كرمه يا
أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى هما آدم وحوى والمقصود انهم متساوون لاتصالهم
بنسب واحد وكونهم يجمعهم اب واحد وام واحدة وانه لا موضع للتفاخر بينهم بالانساب وقيل المعنى
ان كل واحد منكم من اب وام فالكل سواء عن ابن ابي مليكة قال لما كان يوم الفتح رقى بلال فأذن
على الكعبة فقال بعض الناس اهذا العبد الاسود يؤذن على ظهر الكعبة وقال بعضهم ان سخط الله هذا
يغيره فنزلت هذه الآية اخرجه ابن المنذر وابن ابي حاتم والبيهقي في الدلائل وعن الزهري
قال امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بني بياضة ان يزوجوا ابا هند امرأة منهم فقالوا يا رسول الله انزوج
بناتنا موالينا فنزلت هذه الآية اخرجه ابو داود في مراسيله وابن مردويه والبيهقي في سننه
قال الزهري نزلت في ابي هند خاصة وعن عمر بن الخطاب ان هذه الآية هي مكية وهي للعرب
خاصة الموالي اي قبيلة لهم واي شعاب وجعلناكم شعوبا وقبائل الشعوب جمع شعب بفتح
الشين وهو الحي العظيم مثل مضر وربيعة والقبائل دونها كبني بكر من ربيعة وبني تميم من مضر
قال الواحدي هذا قول جماعة من المفسرين سموا شعبا لتشعبهم واجتماعهم كشعب اغصان الشجرة
والشعب من اسماء الاضداد يقال شعبته اذا جمعته وشعبته اذا فرقته ومنه سميت المنية
شعوب لانها مفرقة فاما الشعب بالكسر فهو الطريق في الجبل قال الجوهري الشعب ما تشعب من
قبائل العرب والعجم والجمع الشعوب وقال مجاهد الشعوب البعيد من النسب والقبائل دون
ذلك وقال قتادة الشعوب النسب الاقرب وقيل اعلى طبقات النسب وقيل ان الشعوب عرب
اليمن من قحطان والقبائل من ربيعة ومضر وسائر عدنان وقيل الشعوب بطون العجم والقبائل

بطون العرب وحكى ابو عبيد ان الشعب اكثر من القبيلة ثم القبيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة ثم العشيرة وكل واحدة تدخل فيما قبلها فالقبائل تحت الشعوب والعمائر تحت القبائل والبطون تحت العمائر والافخاذ تحت البطون والفصائل تحت الافخاذ والعشائر تحت الفصائل فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وعبد مناف فخذ وبنو هاشم فصيلة والعباس عشيرة وليس بعد العشيرة حي يوصف ومما يؤيد ما قاله الجمهور من ان الشعب اكثر من القبيلة قول الشاعر شعر قبائل من شعوب ليس فيهم + كريم قد يعد ولا نجيب + قال ابن عباس الشعوب القبائل العظام والقبائل البطون وعنه قال الشعوب الجماع والقبائل الافخاذ التي يتعارفون بها وعنه قال القبائل الافخاذ والشعوب الجمهور مثل مضر لتعارفوا اي خلقناكم كذلك ليعرف بعضكم بعضا والفائدة في التعارف ان ينتسب كل واحد منهم الى نسبه ولا يعتزي الى غيره ويصل رحمه والمقصود من هذا ان الله سبحانه خلقهم كذلك لهذه الفائدة لا للتفاخر بانسابهم ودعوى ان هذا الشعب افضل من هذا الشعب وهذه القبيلة اكرم من هذه القبيلة وهذا البطن اشرف من هذا البطن وانما الفخر بالتقوى قرأ الجمهور لتعارفوا بتخفيف التاء واصله لتتعارفوا وقرئ بتشديدها على الادغام وقرئ بتائين ثم علل سبحانه ما يدل عليه الكلام من النهي عن التفاخر فقال إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ اي ان التفاضل بينكم انما هو بالتقوى فمن تلبس بها فهو المستحق لان يكون اكرم ممن لم يتلبس بها واشرف وافضل فدعوا ما انتم فيه من التفاخر بالانساب فان ذلك لا يوجب كرما ولا يثبت شرفا ولا يقتضي فضلا قرأ الجمهور بكسر ان وقرئ بفتحها اي لان اكرمكم عن ابي هريرة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الناس اكرم قال اكرمهم عند الله اتقاهم قالوا ليس عن هذا نسألك قال فاكرم الناس يوسف نبي الله بن نبي الله بن نبي الله بن خليل الله قالوا ليس عن هذا نسألك قال فعن معادن العرب تسألوني قالوا نعم قال خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا اخرجه البخاري وغيره وقال عمر بن الخطاب اتقاكم للشرك وقد وردت احاديث في الصحيح وغيره ان التقوى هي التي تتفاضل بها العباد إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بكل معلوم ومن ذلك اعمالكم خَبِيرٌ بما تسرون وما تعلنون لا تخفى عليه من ذلك خافية ولما ذكر سبحانه ان اكرم الناس عند الله اتقاهم له وكان اصل التقوى الايمان ذكر ما كانت تقوله العرب من دعوى الايمان ليثبت لهم الشرف والفضل فقال قَالَتِ الْأَعْرَابُ

آمنا وهم بنو أسد قاله مجاهد وقيل هم جهينة ومزينة وأسلم وأشجع وغفار والأول أولى
وهم الذين أظهروا الإسلام في سنة مجدبة يريدون الصدقة فأمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم
أن يرد عليهم فقال قل لم تؤمنوا أي لم تصدقوا تصديقاً صحيحاً عن اعتقاد قلب وخلوص نية وطمأنينة
ولكن قولوا أسلمنا أي استسلمنا خوف القتل والسبي أو للطمع في الصدقة وهذه صفة المنافقين
لأنهم أسلموا في ظاهر الأمر ولم تؤمن قلوبهم ولهذا قال سبحانه ولما يدخل الإيمان في
قلوبكم أي لم يكن ما أظهرتموه بألسنتكم عن مواطأة قلوبكم بل مجرد قول باللسان من دون
اعتقاد صحيح ولا نية خالصة وفي لما معنى التوقع وهذا تكرار لكنه مستقل بفائدة زائدة لأنه علم
من الأول نفي الإيمان عنهم ومن الثاني نفيه مع توقع حصوله قال الزجاج الإسلام إظهار
الخضوع وقبول ما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم وبذلك يحقن الدم فإن كان مع ذلك الإظهار اعتقاد
وتصديق بالقلب فذلك الإيمان وصاحبه المؤمن وقد أخرج هؤلاء من الإيمان بقوله ولما
يدخل الإيمان في قلوبكم أي لم تصدقوا وإنما أسلمتم تعوذاً من القتل وهذه الآية تنقض على
الكرامية مذهبهم أن الإيمان لا يكون بالقلب ولكن باللسان وإن تطيعوا الله ورسوله طاعة
صحيحة صادرة عن نيات خالصة وقلوب مصدقة غير منافقة لا يلتكم أي لا ينقصكم
من أعمالكم شيئاً يقال لات يليت إذا نقص ولاته يليته ويلوته إذا انقصه قرأ الجمهور يلتكم
من لاته يليته كباعه يبيعه وقرئ لا يألتكم بالهمز من ألته يألته بالفتح في الماضي والكسر
في المضارع واختار الثانية أبو حاتم لقوله وما ألتناهم من عملهم من شيء وهما لغتان فصيحتان
إن الله غفور أي بليغ المغفرة لمن فرط منه ذنب رحيم بليغ الرحمة لهم ثم لما ذكر سبحانه أن
أولئك الذين قالوا آمنا لم يؤمنوا ولا دخل الإيمان في قلوبهم بين المؤمنين المستحقين
لإطلاق اسم الإيمان عليهم فقال إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله إيماناً صحيحاً
خالصاً عن مواطأة القلب واللسان ثم لم يرتابوا أي لم يدخل في قلوبهم شيء من الريب ولا
خالطهم شك من الشكوك أتى بثم للتراخي للإشارة إلى أن نفي الريب عنهم ليس في وقت حصول
الإيمان فيهم وإنشائه فقط بل هو مستمر بعد ذلك فيما يتطاول من الأزمنة فكأنه قال ثم
داموا على ذلك وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أي في طاعته وابتغاء مرضاته ومن دخل في الجهاد

الاعمال الصالحة التي امر الله بها فانها من جملة ما يجاهد المرء نفسه حتى يقوم به ويؤديه كما امر الله سبحانه والطاعات كلها في سبيل الله وجهته والمجاهدة بالاموال عبارة عن العبادات المالية كالزكوة وقدم الاموال لحرص الانسان عليها فان ماله شقيق روحه وجاهدوا بمعنى بذلوا الجهد ومفعوله مقدر اي العدو او النفس والهوى أُولٰئِكَ اي الجامعون بين الامور المذكورة هُمُ الصّٰدِقُونَ في الاتصاف بصفة الايمان والدخول في عداد اهله لا من عداهم ممن اظهر الاسلام بلسانه وادعى انه مؤمن ولم يطمئن بالايمان قلبه ولا وصل اليه معناه ولا عمل باعمال اهله وهم الاعراب الذين تقدم ذكرهم وسائر اهل النفاق ثم امر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم ان يقول لاولئك الاعراب وامثالهم قولا آخر لما ادعوا انهم مؤمنون فقال قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللّٰهَ التعليم ههنا بمعنى الاعلام ولهذا ادخلت الباء في بِدِيْنِكُمْ اي اتخبرونه بذلك حيث قلتم آمنا وَاللّٰهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ فكيف يخفى عليه بطلان ما تدعونه من الايمان وَاللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمٌ لا تخفى عليه من ذلك خافية وقد علم ما تبطنونه من الكفر وتظهرونه من الاسلام لخوف الضراو رجاء النفع ثم اخبر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم بما يقوله لهم عند المن عليه بما يدعونه من الاسلام فقال يَمُنُّوْنَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوْا اي يعدون اسلامهم منة عليك حيث قالوا جئناك بالاثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان قاله عبد الله بن ابي اوفى اخرجه ابن مردويه وغيره قال السيوطي بسند حسن وعن ابن عباس نحوه وذكر انهم بنو اسد كما تقدم والمن تعداد النعم على المنعم عليه وهو مذموم من الخلق ممدوح من الله تعالى قُلْ لَّا تَمُنُّوْا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ اي لا تعدوه منة علي فان الاسلام هو المنة التي لا يطلب موليها ثوابا لمن انعم بها عليه ولهذا قال بَلِ اللّٰهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدٰىكُمْ لِلْإِيْمَانِ اي ارشدكم اليه واراكم طريقه سواء وصلتم الى المطلوب ام لم تصلوا اليه قرأ الجمهور بفتح ان وقرئ بكسرها إِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ فيما تدعونه والجواب محذوف يدل عليه ما قبله اي ان كنتم صادقين فلله المنة عليكم إِنَّ اللّٰهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ اي ما غاب فيهما لا يخفى عليه شيء فيهما فكيف يخفى عليه حالكم بل يعلم سركم وعلانيتكم وَاللّٰهُ بَصِيْرٌ بِمَا تَعْمَلُوْنَ لا يخفى عليه من ذلك شيء فهو مجازيكم بالخير خيرا وبالشر شرا وفي هذا بيان لكونهم غير صادقين قرأ الجمهور على الخطاب وقرئ على الغيبة

ع



سورة ق هي خمس واربعون آية وهي مكية كلها

في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر وعن ابن عباس وقتادة انها مكية الا اٰية وهي قوله ولقد خلقنا السموٰت والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب وهي اول المفصل على الصحيح وقيل من الحجرات وقد اخرج مسلم وغيره عن قطبة بن مالك قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في الفجر في الركعة الاولى ق والقراٰن المجيد وعن ابي واقد الليثي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في العيد بقاف واقتربت اخرجه احمد ومسلم واهل السنن وعن ام هشام ابنة حارثة قالت ما اخذت ق والقراٰن المجيد الا من في رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بها في كل جمعة على المنبر اذا خطب الناس اخرجه ابن ابي شيبة وابو داؤد وابن ماجة والبيهقي وهو في صحيح مسلم

بسم الله الرحمٰن الرحيم

ق الكلام في اعراب هذا كالكلام الذي قدمناه في ص سواء بسواء لالتقائهما في اسلوب واحد قرأ العامة بالجزم وقرئ بكسر الفاء لان الكسر اخو الجزم وقرئ بفتحها لان الفتح اخف الحركات وقرئ بضمها لانه في غالب الامر حركة البناء نحو منذ وقط وقبل وبعد واختلف في معنى ق فقال الواحدي قال المفسرون هو اسم جبل محيط بالدنيا من زبرجد وقيل من زمرد خضر واخضرت السماء منه والسماء مقببة عليه وهو وراء الحجاب الذي تغيب الشمس من ورائه بمسيرة سنة قال الفراء كان يجب على هذا ان يظهر الاعراب في ق لانه اسم وليس بهجاء قال ولعل القاف وحدها ذكرت من اسمه كقول القائل قلت لها قفي فقالت قاف اي انا واقفة وحكى الفراء والزجاج ان قوما قالوا معنى ق قضي الامر وقضي ما هو كائن كما قيل في حم حُمّ الامر وقيل هو اسم من اسماء الله تعالى اقسم به قاله ابن عباس وقال قتادة هو اسم من اسماء القراٰن وقال الشعبي فاتحة السورة وقال ابو بكر الوراق معناه قف عند امرنا ونهينا ولا تعدهما وقال الانطاكي هو قرب الله من عباده بيانه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وقال القرطبي افتتاح اسم الله عز وجل قادر وقاهر وقريب وقابض وقاض وقيل غير ذلك مما هو اضعف منه وابطل والحق انه من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه كما حققناه ذلك في فاتحة سورة البقرة

فالله اعلم بمراده به وقد روى ابن ابي حاتم عن ابن عباس اثرا طويلا في بيان جبل قاف قال ابن كثير
لا يصح سنده عنه وفيه ايضا انقطاع والقرآن المجيد اي انه ذو مجد وشرف على سائر الكتب
المنزلة وقال الحسن الكريم وبه قال ابن عباس وقيل الرفيع القدر وقيل الكبير القدر وعن ابن
عباس قال ليس شيء احسن منه ولا افضل وجواب القسم قال الكوفيون هو قوله بل عجبوا وقال
الاخفش محذوف اي لتبعثن يدل عليه ائذا متنا وكنا ترابا وقال ابن كيسان جوابه ما يلفظ من قول
لان ما قبلها عوض منها وقيل هو قد علمنا بتقدير اللام اي لقد علمنا وقيل محذوف تقديره
انزلناه اليك لتنذر كانه قيل ق والقرآن المجيد انزلناه اليك لتنذر به الناس بل عجبوا بل
للاضراب عن الجواب على اختلاف الاقوال لبيان حالهم الزائدة في الشناعة على عدم الايمان
والمعنى بل عجب الكفار ان اي لان جاءهم منذر منهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم ولم يكتفوا بمجرد
الشك والرد بل جعلوا ذلك من الامور العجيبة وقيل هو اضراب عن وصف القرآن بكونه مجيدا وقد
تقدم تفسير هذا في سورة ص ثم فسر ما حكاه عنهم من كونهم عجبوا بقوله فقال الكافرون هذا
شيء عجيب وفيه زيادة تصريح وايضاح واضمارهم ثم اظهاره للاشعار بتعنتهم في هذا
المقال ثم التسجيل على كفرهم بهذا المقال قال قتادة عجبهم ان دعوا الى اله واحد وقيل تعجبهم من البعث
والنشور والذي نص عليه القرآن اولى فيكون لفظ هذا اشارة الى مبهم مفسر بما بعده من قوله ءاذا
متنا وكنا ترابا وقال الشوكاني الاول اولى قال الرازي الظاهر ان قولهم هذا اشارة الى مجيء المنذر ثم
قالوا اذا متنا وايضا قد وجد هاهنا بعد الاستبعاد بالاستفهام امر يؤدي معنى التعجب وهو قولهم ذلك
رجع بعيد فانه استبعاد وهو كالتعجب فلو كان التعجب بقولهم هذا شيء عجيب عائدا الى قولهم اذا لكان
كالتكرار فان قيل التكرار الصريح يلزم من قولك هذا شيء عجيب انه يعود الى مجيء المنذر فان تعجبهم
منه علم من قوله وعجبوا ان جاءهم فقوله هذا شيء عجيب يكون تكرارا فنقول ذلك ليس بتكرار بل
هو تقرير لانه لما قال بل عجبوا بصيغة الفعل وجاز ان يتعجب الانسان مما لا يكون عجبا كقوله اتعجبين من
امر الله ويقال في العرف لا وجه لتعجبك مما ليس بعجيب فكانهم لما عجبوا قيل لهم لا معنى لتعجبكم فقالوا
هذا شيء عجيب فكيف لا نعجب منه ويدل على ذلك قوله هاهنا فقال الكافرون بالفاء فانها تدل على انه
مترتب على ما تقدم قرأ الجمهور بالاستفهام وقرئ بهمزة واحدة فيحتمل الاستفهام كقراءة الجمهور

والهمزة مقدرة ويحتمل ان يكون معناه الاخبار والمعنى استنكارهم للبعث بعد موتهم ومصيرهم
ترابا ثم جزموا باستبعادهم للبعث فقالوا ذلك اي البعث رجع بعيد اي بعيد عن الافهام او
العقول او العادة او الامكان يقال رجعته ارجعه رجعا ورجع هو يرجع رجوعا ثم رد الله سبحانه
ما قالوه فقال قد علمنا ما تنقص الارض منهم اي ما تاكل من اجسادهم فلا يضل عنا شيء من ذلك
ومن احاط علمه بكل شيء حتى انتهى الى علم ما يذهب من اجساد الموتى في القبور لا يصعب عليه
البعث ولا يستبعد منه وقال السدي النقص هنا الموت يقول قد علمنا من يموت منهم
ومن يبقى لان من مات دفن فكان الارض تنقص من الاموات وقيل المعنى من يدخل في الاسلام
من المشركين والاول اولى قال ابن عباس في الاية اجسادهم وما يذهب منها وما تاكل من لحومهم
وعظامهم واشعارهم وعندنا كتاب حفيظ اي حافظ لعدتهم واسمائهم ولكل شيء من
الاشياء وهو اللوح المحفوظ وقيل المراد بالكتاب هنا العلم والاحصاء والاول اولى وقيل حفيظ بمعنى
محفوظ اي محفوظ من الشياطين او محفوظ فيه كل شيء ثم اضرب سبحانه من الكلام الاول وانتقل
الى ما هو اشنع منه واقبح فقال بل كذبوا بالحق فانه تصريح بالتكذيب منهم بعد ما تقدم عنهم من
الاستبعاد والمراد بالحق هنا القران قال الماوردي في قول الجميع وقيل هو الاسلام وقيل محمد و
قيل النبوة الثابتة بالمعجزات لما جاءهم اي وقت مجيئه اليهم من غير تدبر ولا تفكر ولا امعان
نظر فهم في امر مريج اي مختلط ومضطرب يقولون تارة ساحر ومرة شاعر ومرة كاهن قاله
الزجاج وغيره وقال قتادة مختلف وقال الحسن ملتبس وقيل فاسد والمعاني متقاربة ومنه
قولهم مرجت امانات الناس اي فسدت ومرج الدين والامر اختلط وقال ابن عباس المريج
الشيء المتغير افلم ينظروا شروع في بيان الدليل الذي يدفع قولهم ذلك رجع بعيد والاستفهام
للتقريع والتوبيخ اي كيف غفلوا عن النظر الى السماء كائنة فوقهم يشاهدونها كل وقت كيف
بنيناها اي اوجدناها وجعلناها على هذه الصفة مرفوعة كالخيمة الا انها بغير عماد تعتمد عليه
وزيناها بما جعلنا فيها من المصابيح والنيرات والكواكب وما لها من فروج اي فتوق و
شقوق وصدوع تعيبها وهو جمع فرج قال الكسائي ليس فيها تفاوت ولا اختلاف ولا فتوق ولا
صدوع ولا خلل والواو للحال والارض مددناها اي بسطناها على وجه الماء والقينا

فِيهَا رَوَاسِيَ اي جبالا ثوابت تثبتها وقد تقدم تفسير هذا في سورة الرعد وَأَنْبَتْنَا فِيهَا
مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ اي من كل صنف حسن كريم يسر به وقد تقدم تفسير هذا ايضا في سورة الحج تَبْصِرَةً
وَذِكْرَى هما علتان لما تقدم اي فعلنا ما فعلنا للتبصير والتذكير قاله الزجاج وقال المحلي
تبصيرا منا اي تعليما وتفهيما واستدلالا وقيل منصوبان بفعل مقدر من لفظهما اي بصرناهم
تبصرة وذكرناهم تذكرة وقيل حالان اي مبصرين ومذكرين وقيل حال من المفعول اي ذات
تبصرة وتذكير لمن يراها وقال ابو حاتم اي جعلنا ذلك تبصرة وذكرى قال الرازي يحتمل ان
يكون المصدران عائدين الى السماء والارض اي خلقنا السماء تبصرة وخلقنا الارض ذكرى
ويدل على ذلك ان السماء وزينتها غير متجددة في كل عام فهي كالشيء المرئي على ممر الزمان واما
الارض فهي كل سنة تاخذ زينتها وزخرفها فتذكر فالسماء تبصرة والارض تذكرة ويحتمل ان
يكون كل واحد من المصدرين موجودا في كل واحد من الامرين فالسماء تبصرة وتذكرة والارض
كذلك والفرق بين التذكرة والتبصرة هو ان فيهما آيات مستمرة منصوبة في مقابلة
البصائر وآيات متجددة مذكرة عند التناسي لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ المنيب الراجع الى الله بالتوبة
المتدبر في بديع صنعه وعجائب مخلوقاته وفي سياق هذه الآيات تذكير لمنكري البعث و
ايقاظ لهم عن سنة الغفلة وبيان لامكان ذلك وعدم امتناعه فان القادر على هذه الامور
يقدر عليه وهكذا قوله وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ اي السحاب مَاءً مُبَارَكًا اي كثير البركة لانتفاع
الناس به في غالب امورهم فَأَنْبَتْنَا بِهِ اي بذلك الماء جَنَّاتٍ اي بساتين كثيرة وَحَبَّ
الْحَصِيدِ اي ما يقتات ويحصد من الحبوب والمعنى وحب الزرع الحصيد وخص الحب لانه
المقصود كذا قال البصريون وقال الكوفيون هو من باب اضافة الشيء الى نفسه كمسجد الجامع
حكاه الفراء وانها جائزة اذا اختلف اللفظان كحق اليقين وحبل الوريد ودار الآخرة قال الكرخي
قال الضحاك حب الحصيد البر والشعير وقيل كل حب يحصد ويدخر ويقتات وَالنَّخْلَ
تخصيصها بالذكر مع دخولها في الجنات للدلالة على فضلها على سائر الاشجار اولفرط ارتفاعها
وكثرة منافعها ولذلك شبه صلى الله عليه وسلم المسلم بها بَاسِقَاتٍ حال مقدرة لانها وقت الانبات
لم تكن باسقة قال مجاهد وعكرمة وقتادة الباسقات الطوال وقال سعيد بن جبير مستويات

وقال الحسن وعكرمة والفراء مواقير حوامل يقال للشاة بسقت اذا ولدت والاشهر في لغة العرب الاول يقال بسقت النخلة بسوقا اذا طالت وبسقت الشاة ولدت وابسقت الناقة وقع في ضرعها اللبأ قبل النتاج وبسق الرجل مهر في علمه وبسق فلان على اصحابه من باب دخل اي طال عليهم في الفضل عن قطبة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في الصبح ق فلما اتى على هذه الاية والنخل باسقات فجعلت اقول ما بسوقها قال طولها اخرجه الحاكم وصححه وابن مردويه وقال ابن عباس الطول لها طلع نضيد الطلع هو اول ما يخرج من ثمر النخل يقال طلع الطلع طلوعا والنضيد المتراكب الذي نضد بعضه على بعض وذلك قبل ان ينفتح فهو نضيد في اكمامه فاذا خرج من اكمامه فليس بنضيد قال ابن عباس متراكم بعضه على بعض رزقا للعباد اي رزقناهم رزقا وانبتنا هذه الاشياء للرزق لم يقيد هنا العباد بالانابة كما قيد به في قوله تبصرة وذكرى لكل عبد منيب لان التذكرة لا تكون الا للمنيب والرزق يعم كل احد غير ان المنيب ياكل ذاكرا وشاكرا للانعام وغيره ياكل كما تاكل الانعام فلم يخصص الرزق بقيد قاله الخطيب واحيينا به اي بذلك الماء بلدة ميتا قرئ بالتخفيف والتثقيل اي مجدبة لا ثمار فيها ولا زرع والتذكير باعتبار كون البلدة بلدا او مكانا كما في عبارة ابي السعود كذلك الخروج مستانفة لبيان ان الخروج من القبور عند البعث كمثل هذا الاحياء الذي احيى الله به الارض الميتة وقدم فيها الخبر للقصد الى الحصر ثم ذكر سبحانه الامم المكذبة فقال كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس هم قوم شعيب وقيل حنظلة بن صفوان او نبي آخر ارسل بعد صالح لبقية من ثمود وتقدم لهذا مزيد كلام في سورة الفرقان وقيل هم الذين جاءهم من اقصا المدينة رجل يسعى وهم من قوم عيسى وقيل هم اصحاب الاخدود والرس اما موضع نسبوا اليه او بير كانوا مقيمين عليها بمواشيهم يعبدون الاصنام فخسفت تلك البير مع ما حولها فذهبت بهم وبكل مالهم كما ذكرت قصتهم في سورة الفرقان او فعل وهو حفر البير يقال رس اذا حفر بيرا وتانيث الفعل لمعنى قوم والجملة استيناف وارد لتقرير حقية البعث ببيان اتفاق كافة الرسل عليها وتعذيب منكريها وثمود وعاد وفرعون وقومه ذكرت ثمود بعد اصحاب الرس لان الرجفة التي اخذتهم مبدؤها الخسف باصحاب الرس ثم اتبع ثمود بعاد لان الريح التي اهلكتهم اثر صيحة ثمود واخوان لوط جعلهم اخوانه لانهم كانوا اصهاره

وقيل هم من قوم ابراهيم وكانوا من معارف لوط وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ تقدم الكلام على الايكة
في سورة الشعراء وقرئ هنا ليكة وهي الغيضة اي الشجر الملتف بعضه على بعض ونبيهم الذي
بعث الله اليهم شعيب عليه السلام وَقَوْمُ تُبَّعٍ هو تبع الحميري الذي تقدم ذكره في قوله اهم خير
ام قوم تبع واسمه سعد وقيل اسعد وكنيته ابوكرب قال قتادة ذم الله سبحانه قوم تبع ولم يذمه
كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ التنوين عوض عن المضاف اليه اي كل واحد من هؤلاء المذكورين كذب رسوله
الذي ارسله الله اليه وكذب ما جاء به من الشرع وكان بعض النحاة يجيز حذف تنوينها وبناها
على الضم كالغاية كقبل وبعد واللام في الرسل يكون للعهد او للجنس اي كل طائفة من هذه الطوائف
كذبت جميع الرسل ولو بالواسطة وذلك لان قوم تبع كذبوا الرسول الذي دعاهم تبع الى شريعته بواسطة
تلك ايهم لتبع وافراد الضمير في كذب باعتبار لفظ كل وفي هذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم كانه قيل له
لا تحزن ولا تكثر غمك لتكذيب هؤلاء لك فهذا شأن من تقدمك من الانبياء فان قومهم كذبوهم
ولم يصدقهم الا القليل منهم والمراد بالكلية هنا التكثير كما في قوله تعالى واوتيت من كل شيء فهي
باعتبار الاغلب فَحَقَّ وَعِيدِ حذفت الياء وبقيت الكسرة دليلا عليها اي وجب عليهم وعيدي
وحقت عليهم كلمة العذاب وحل بهم ما قدره الله عليهم من الخسف والمسخ والاهلاك بالانواع
التي انزلها الله بهم من عذابه أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ الاستفهام للتقريع والتوبيخ والجملة مستأنفة
لتقرير امر البعث الذي انكرته الامم اي افعجزنا بالخلق حين خلقناهم اولا ولم يكونوا شيئا فكيف نعجز
عن بعثهم يقال عييت بالامر اذا عجزت عنه ولم اعرف وجهه قال ابن عباس يقول لم يعيينا
الخلق الاول قال الكاذروني معناه لم نعجز عن الابداء فلا نعجز عن الاعادة قرأ الجمهور بكسر الياء
الاولى بعدها ياء ساكنة وقرئ بتشديد الياء من غير اشباع ثم ذكر سبحانه انهم في شك من
البعث فقال بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ اي في شك وشبهة وحيرة واختلاط من خلق
مستأنف وهو بعث الاموات لما فيه من مخالفة العادة وتنكير خلق لتفخيم شأنه والايذان بأنه
حقيق بان يبحث عنه ويهتم بمعرفته ومعنى الاضراب انهم غير منكرين لقدرة الله على الخلق الاول
بل هم في لبس من خلق جديد قد لبس عليهم الشيطان وحيرهم وذلك تسويله لهم ان احياء الموتى
امر خارج عن العادة فتركوا لذلك الاستدلال الصحيح وهو ان من قدر على الانشاء كان على الاعادة اقدر

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ هذا كلام مبتدء يتضمن ذكر بعض القدرة الربانية والمراد بالانسان الجنس وقيل آدم ونعلم حال بتقدير نحن والجملة اسمية ولا يصح ان يكون ونعلم حالا بنفسه لانه مضارع مثبت باشرته الواو وما مصدرية او موصولة كما في البيضاوي والباء زائدة كقولك صوت بكذا وهمس به او للتعدية اي فالنفس تجعل الانسان قائما به الوسوسة والوسوسة هي في الاصل الصوت الخفي والمراد بها هنا ما يختلج في سره وقلبه وضميره اي حديث النفس هو ما ليس فيه صوت بالكلية لكن مناسبته للمعنى الاصلي الخفاء في كل اي يعلم ما يخفي ويكن في نفسه ومن استعمال الوسوسة في الصوت الخفي قول الاعشى ع يسمع للحلي وسواسا اذا انصرفت * فاستعمل لما خفي من حديث النفس وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ اي الى الانسان لان ابعاضه واجزاءه يحجب بعضها بعضا ولا يحجب على الله شيء مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ هو حبل العاتق وهو ممتد من ناحية حلقه الى عاتقه وهما وريدان اي عرقان عن يمين وشمال وقال الحسن الوريد الوتين وهو عرق معلق بالقلب وهو تمثيل القرب بقرب ذلك العرق من الانسان اي نحن اقرب اليه بالعلم من حبل وريده لا يخفى علينا شيء من خفياته فكان ذاته قريبة منه كما يقال الله في كل مكان اي بعلمه فانه سبحانه منزه عن الامكنة وحاصله انه تجوز بقرب الذات عن قرب العلم قاله الكرخي والاضافة بيانية اي حبل من الوريد وقيل الحبل هو نفس الوريد فهو من باب مسجد الجامع سمي وريدا لان الروح ترد اليه وهو في العنق الوريد وفي القلب الوتين وفي الظهر الابهر وفي الذراع والفخذ الاكحل والنساء وفي الخنصر الاسيلم وفي الخازن الوريد العرق الذي يجري فيه الدم ويصل الى كل جزء من اجزاء البدن وهو بين الحلق والعلباوين وقال الزمخشري انهما وريدان يكتنفان بصفحتي العنق في مقدمهما متصلان بالوتين يردان من الراس اليه قال ابو السعود وهو عرق متصل بالقلب اذا قطع مات صاحبه وقيل المعنى نحن اقرب اليه بنفوذ قدرتنا فيه ويجري فيه امرنا كما يجري الدم في عروقه وقد اخرج ابن مردويه عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نزل الله من ابن آدم اربع منازل هو اقرب اليه من حبل الوريد وهو يحول بين المرء وقلبه وهو آخذ بناصية كل دابة وهو معهم اينما كانوا وقال ابن سعيد في حبل الوريد هو عروق العنق وعنه هو نياط القلب قال القشيري في هذه الآية هيبة وفزع وخوف لقوم وروح وانس وسكون قلب لقوم ذكره الخطيب

ثم ذكر سبحانه انه مع علمه به وكل به ملكين يكتبان ويحفظان عليه عمله الزاما للحجة فقال اذ
اي اذكر اذ يتلقى المتلقيان يعني انه اقرب اليه من حبل وريده حين يتلقى المتلقيان وهما
الملكان الموكلان به وعا يلفظ به وما يعمل به اي ياخذان ذلك ويثبتانه والتلقي الاخذ وقيل
التلقي التلقن بالحفظ والكتابة والمعنى نحن اعلم باحواله غير محتاجين الى الحفظة الموكلين به وانما
جعلنا ذلك الزاما للحجة وتوكيدا للامر عن اليمين وعن الشمال قعيد قال الحسن وقتادة المتلقيان
ملكان يتلقيان عملك احدهما عن يمينك يكتب حسناتك والآخر عن شمالك يكتب سيئاتك
وقال مجاهد ايضا وكل الله بالانسان ملكين بالليل وملكين بالنهار يحفظان عمله ويكتبان اثره
روي انهما قاعدان على ثنيتيه لسانه قلمهما وريقه مدادهما ذكره ابو السعود وانما قال قعيد
ولم يقل قعيدان وهما اثنان لان المراد عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد فحذف الاول لدلالة الثاني
عليه كذا قال سيبويه وقال الاخفش والفراء ان لفظ قعيد يصلح للواحد والاثنين والجمع ولا يحتاج
الى تقدير في الاول قال الجوهري وغيره من ائمة اللغة والنحو فعيل وفعول مما يستوي فيه الواحد
والاثنان والجمع والقعيد للقاعد كالجليس بمعنى المجالس لفظا ومعنى ما يلفظ من قول الا لديه
رقيب عتيد اي ما يتكلم من كلام فيلفظه ويرميه من فيه الا لدي ذلك اللافظ ملك يرقب
قوله ويكتبه والرقيب الحافظ المتتبع لامور الانسان الذي يكتب ما يقوله من خير وشر فكاتب الخير
هو ملك اليمين وكاتب الشر ملك الشمال والعتيد الحاضر المهيأ قال الجوهري العتيد المهيأ يقال
عتده تعتيدا واعتده اعتادا اي اعده ومنه واعتدت لهن متكأ والمراد هنا انه معد للكتابة
مهيأ لها والافراد في رقيب عتيد مع اطلاعهما معا على ما صدر منه لما ان كلا منهما رقيب لما فوض
اليه لا لما فوض لصاحبه كما ينبئ عنه قوله عتيد وتخصيص القول بالذكر لاثبات الحكم في الفعل
بدلالة النص فالمراد ان كلا منهما يقال له رقيب عتيد ويعلم من هذه الآية ان الملكين معدان لذلك
بخلاف الاولى فانه لا يعلم منها ذلك وايضا فعلم من هذه صريحا ان الملك يضبط كل لفظ ولا
يعلم ذلك من الاولى قال ابو سعيد في الآية يكتب كل ما تكلم به من خير او شر حتى انه ليكتب قوله
اكلت شربت ذهبت جئت رايت حتى اذا كان يوم الخميس عرض قوله وعمله فاقر منه ما كان
من خير او شر والقى سايره فذلك قوله يمحو الله ما يشاء ويثبت وقال ابن عباس انما يكتب الخير والشر

لا يكتب يا غلام اسرج الفرس يا غلام اسقني الماء وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان الله غفر لهذه الامة ما حدثت به انفسها ما لم تعمل او تتكلم وعن عمرو بن ذر قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الله عند لسان كل قائل فليتق الله عبد ولينظر ما يقول اخرجه احمد وابو نعيم و
البيهقي في الشعب وابن ابي شيبة واخرج الحكيم الترمذي عن ابن عباس مرفوعا مثله وجاءت
سكرة الموت لما بين سبحانه ان جميع اعمالهم محفوظة مكتوبة ذكر بعده ما ينزل بهم من الموت
والبعث وما يتفرع عليه من الاحوال والاهوال وقد عبر عن وقوع كل منها بصيغة الماضي ايذانا
بتحققها وغاية اقترابها والمراد بسكرة الموت شدته وغمرته التي تغشى الانسان وتغلب على عقله
ومعنى بالحق انه عند الموت يتضح له الحق ويظهر له صدق ما جاءت به الرسل من الاخبار
بالبعث والوعد والوعيد وقيل الحق هو الموت نفسه وقيل في الكلام تقديم وتاخير اي وجاءت
سكرة الحق بالموت وكذا قرأ ابو بكر الصديق وابن مسعود والسكرة هي الحق فاضيفت الى نفسها
لاختلاف اللفظين وقيل الباء للملابسة كالتي في قوله تنبت بالدهن اي متلبسة بالحق اي بحقيقة
الحال وقيل بالحق من امر الآخرة حتى يراه المنكر لها عيانا وهو نفس الشدة قاله الجلال المحلي وقال
القاري لم يظهر لي معنى هذه العبارة ويمكن ان يقال الضمير في قوله هو راجع لامر الآخرة والمراد بالشدة
الامر الشديد وهو اهوال الآخرة فعلى هذا تكون هذه الجملة تفسيرا لقوله من امر الآخرة وقيل الحكمة
وقيل بما يؤول اليه امر الانسان من السعادة والشقاوة ذلك اي الموت ما كنت منه تحيد اي الذي
كنت تميل عنه وتفر منه في حياتك فلم ينفعك الهرب والفرار يقال حاد عن الشيء يحيد حيودا و
حيدة وحيدودة مال عنه وعدل وقال الحسن تحيد تهرب وقيل تفزع وقيل تكره وقيل تنفر
ونفخ في الصور عبر عنه بالماضي لتحقق وقوعه وهذه هي النفخة الآخرة للبعث عطف على جاءت
سكرة الموت والصور هو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام وهو من العظمة بحيث لا يعلم
قدره الا الله وقد التقمه اسرافيل من حين بعث محمد صلى الله عليه وسلم منتظرا للاذن بالنفخ ذكره الخطيب
ذلك اي الوقت الذي يكون فيه النفخ في الصور والفعل كما يدل على المصدر يدل على الزمان ايضا
يوم الوعيد الذي اوعد الله به الكفار قال مقاتل يعني بالوعيد العذاب في الآخرة وخصص
الوعيد مع كون اليوم هو يوم الوعيد جميعا لتهويله والمعنى يوم تحقق الوعيد والانجاز وجاءت

فيه كل نفس من النفوس معها سائق وشهيد اي من يسوقها ومن يشهد لها وعليها واختلف في
السائق والشهيد فقال الضحاك السائق من الملائكة والشهيد من انفسهم يعني الايدي والارجل وقال
الحسن وقتادة سائق يسوقها وشاهد يشهد عليها بعملها اي هما ملكان وقيل ملك جامع
بين الوصفين وقال ابن مسلم السائق قرينها من الشياطين سمي سائقا لانه يتبعها وان لم يحثها
والشهيد جوارحه واعماله وقال مجاهد السائق والشهيد ملكان وقيل السائق كاتب السيئات
والشهيد كاتب الحسنات قال عثمان بن عفان سائق ملك يسوقها الى امر الله وشهيد ملك
يشهد عليها بما عملت قال القرطبي قلت هذا اصح وعن ابي هريرة قال السائق الملك والشهيد
العمل وقال ابن عباس السائق الملك والشهيد شاهد عليه من نفسه ثم في الآية قولان احدهما
انها عامة في المسلم والكافر وهو قول الجمهور والثاني انها خاصة بالكافر قاله الضحاك ويقال للكافر
لقد كنت في غفلة من هذا وبه قال ابن عباس وقال الضحاك المراد بهذا المشركون لانهم
كانوا في غفلة من عواقب امورهم وقال ابن زيد الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي لقد كنت يا
محمد في غفلة من الرسالة وقال اكثر المفسرين المراد به جميع الخلق برهم وفاجرهم واختار هذا ابن
جرير لانه ما من احد الا وله اشتغال ما عن الآخرة قرأ الجمهور بفتح التاء من كنت وفتح الكاف في
غطاءك وبصرك حملا على ما في لفظ كل من التذكير وقرئ بالكسر في الجميع على ان المراد النفس
فكشفنا عنك غطاءك الذي كان في الدنيا يعني رفعنا الحجاب الذي كان بينك وبين امور
الآخرة ورفعنا ما كنت فيه من الغفلة عن ذلك وقال ابن عباس الحياة بعد الموت قال البيضاوي
الغطاء الحاجب لامور المعاد وهو الغفلة والانهماك في المحسوسات والالف بها وقصور النظر
عليها قال السدي المراد بالغطاء انه كان في بطن امه فولد وقيل انه كان في القبر فنشر والاول
اولى فبصرك اليوم حديد اي نافذ تبصر به ما كان يخفى عليك في الدنيا وتدرك به ما
انكرته فيها والبصر قيل هو بصر القلب وقيل بصر العين وقال مجاهد بصرك اي لسان ميزانك
حين توزن حسناتك وسيئاتك وبه قال الضحاك وقال قرينه اي قال الملك الموكل به
وهو الرقيب السابق ذكره وان للانسان رقيبين وهما العتيدان فافراده لتاويله كما مر في القريب
وفي الشهاب وفي افادة ان المراد بالقرين الجنس ولو جعلت الخطابات السابقة للكافر لكان وجه افراد القرين ظاهرا

هذا ما لدي اي عندي من كتاب عملك وما موصولة او نكرة موصوفة عتيد حاضر قد هيأته كذا قال الحسن وقتادة والضحاك وقال ابن عباس قرينه شيطانه وقال مجاهد ان الملك يقول للرب سبحانه هذا الذي وكلتني به من بني آدم قد احضرته واحضرت ديوان عمله وروي عنه انه قال ان قرينه من الشيطان يقول ذلك اي هذا ما قد هيأته لك باغوائي واضلالي وقال ابن زيد ان المراد هنا قرينه من الانس وعتيد مرفوع على انه صفة لما ان كانت موصوفة وان كانت موصولة فهو خبر القيا في جهنم هذا خطاب من الله عز وجل للسائق والشهيد قال الزجاج هذا امر للملكين الموكلين به وقيل هو خطاب للملكين من خزنة النار وقيل هو خطاب للواحد على تنزيل تثنية الفاعل منزلة تثنية الفعل وتكريره قال الخليل والاخفش هذا كلام العرب الصحيح ان يخاطب الواحد بلفظ الاثنين يقولون ارحلاها وازجراها وخذاها واطلقاه للواحد قال الفراء العرب تقول للواحد قوما عنا واصل ذلك ان ادنى اعوان الرجل في ابله وغنمه ورفقته في سفره اثنان فجرى كلام الرجل للواحد على ذلك ومنه قولهم في الشعر للواحد خليلي قال المازني قوله القيا يدل على الق الق قال المبرد هي تثنية على التوكيد فناب القيا مناب الق الق او الالف ليست للتثنية لا حقيقة ولا صورة بل هي منقلبة عن نون التوكيد الخفيفة على حد قوله لنسفعا وابدلتها بعد فتح الفاء وقفا كما تقول في قفن قفا واجري الوصل مجرى الوقف كلنسفعا ويؤيده قراءة الحسن في الشواذ القين بنون التوكيد الخفيفة ولم يقرأ بهذه القراءة احد من السبعة وقال الكرخي الخطاب للملكين السائق والشهيد على ما عليه الاكثر وهو الظاهر كل كفار للنعم عنيد مجانب للايمان معاد لاهله قال مجاهد وعكرمة العنيد المعاند للحق وقيل المعرض عن الحق يقال عند يعند بالكسر عنودا اذا خالف الحق ورده وهو يعرفه مناع للخير لا يبذل خيرا ولا يؤدي زكوة مفروضة او كل حق وجب عليه في ماله معتد ظالم لا يقر بتوحيد الله مريب شاك في الحق من قولهم اراب الرجل اذا صار ذا ريب الذي جعل مع الله الها آخر بدل من كل او منصوب على الذم او بدل من كفار او مرفوع بالابتداء والخبر فالقياه في العذاب الشديد اي النار تاكيد للامر الاول او بدل منه قال قرينه ربنا ما اطغيته مستانفة لبيان ما يقوله القرين والمراد به هنا الشيطان الذي قيض لهذا الكافر

انكر ان يكون اطغاه ثم قال ولكن كان في ضلال بعيد عن الحق فدعوته فاستجاب لي ولو كان من عبادك المخلصين لما قدرت عليه وقيل ان قرينه الملك الذي كان يكتب سيئاته وان الكافر يقول رب انه اعجلني فيجيبه بهذا كذا قال مقاتل وسعيد بن جبير والاول اولى وبه قال الجمهور قال تعالى لا تختصموا لدي مستانفة كانه قيل فماذا قال الله فقيل قال لا تختصموا لدي يعني الكافرين وقرناؤهم نهاهم سبحانه عن الاختصام في مواقف الحساب قال ابن عباس انهم اعتذروا بغير عذر فابطل الله حجتهم ورد عليهم قولهم وقد قدمت اليكم بالوعيد اي بارسال الرسل وانزال الكتب والباء مزيدة للتاكيد او على تضمين قدم معنى تقدم قيل ان مفعول قدمت اليكم هو ما يبدل اي قد قدمت اليكم هذا القول متلبسا بالوعيد وهذا بعيد جدا ما يبدل القول لدي اي ما يغير القول لدي في ذلك اي لا خلف لوعدي بل هو كائن لا محالة وقد قضيت عليكم بالعذاب فلا تبديل له وقيل هذا القول هو قوله من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وقيل هو قوله لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وقيل المراد بالقول هو الوعيد بتخليد الكافر في النار ومجازاة العصاة على حسب استحقاقهم وقال الفراء وابن قتيبة معنى الاية انه ما يكذب عندي بزيادة في القول ولا ينقص منه لعلمي بالغيب وهو قول الكلبي واختاره الواحدي لانه قال لدي ولم يقل ما يبدل قولي قيل والمعنى لا تطمعوا اني ابدل وعيدي والعفو عن بعض المذنبين لبعض الاسباب ليس من التبديل فان دلائل العفو في حق عصاة المذنبين تدل على تخصيص الوعيد ولا تخصيص في حق الكافر فالوعيد على عمومه في حقهم والاول اولى وما انا بظلام للعبيد اي لا اعذبهم ظلما بغير جرم اجترموه ولا ذنب اذنبوه وقال ابن عباس في الاية ما انا بمعذب من لم يجترم ولما كان نفي الظلام لا يستلزم نفي مجرد الظلم قيل انه هنا بمعنى الظالم كالتمار بمعنى التامر وقيل ان صيغة المبالغة لتاكيد هذا المعنى بابراز ما ذكر من التعذيب بغير ذنب في معرض المبالغة في الظلم وقيل صيغة المبالغة لرعاية جمعية العبيد من قولهم فلان ظالم لعبده وظلام لعبيده وقيل ظلام بمعنى ذي ظلم لقوله لا ظلم اليوم واذا لم يظلم في هذا اليوم فنفي الظلم عنه في غيره احرى فلا مفهوم له وقيل غير ذلك وقد تقدم الكلام على هذا في سورة آل عمران وفي سورة الحج يوم نقول

قرأ الجمهور بالنون وقرئ بالياء وقرئ اقول ويقال والعامل في الظرف ما يدل القول او محذوف اي اذكر يوم او انذرهم يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد قيل هذا الكلام على طريقة التمثيل والتخييل ولا سؤال ولا جواب وبه قال الزمخشري والاولى انه على طريقة التحقيق ولا يمنع من ذلك عقل ولا شرع قال الكرخي جعل الزمخشري هذا من باب المجاز مردود لما ورد تحاجت النار والجنة واشتكت النار الى ربها ولا مانع من ذلك فقد سبح الحصى وسلم الحجر على النبي صلى الله عليه وسلم ولو فتح باب المجاز فيه لاتسع الخرق قال النسفي هذا على تحقيق القول من جهنم وهو غير مستنكر كانطاق الجوارح والسؤال لتوبيخ الكفار لعلمه تعالى انها قد امتلأت ام لا وقال الواحدي قال المفسرون اراها الله تصديق قوله لاملأن جهنم فلما امتلأت قال لها هل امتلأت وتقول هل من مزيد اي قد امتلأت ولم يبق في موضع لم يمتلئ وبهذا قال عطاء ومجاهد ومقاتل بن سليمان وقيل ان هذا الاستفهام بمعنى الاستزادة اي انها تطلب الزيادة على من قد صار فيها وقيل ان المعنى انها طلبت ان يزاد في سعتها لتضايقها باهلها والمزيد اما مصدر كالمجيد او اسم مفعول كالمبيع فالاول بمعنى هل من زيادة والثاني بمعنى هل من شيء تزيد دينه قال ابن عباس وهل فيّ من مكان يزاد فيّ واخرج البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوي بعضها الى بعض وتقول قط قط وعزتك وكرمك ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقا آخر فيسكنهم في فضول الجنة هذا لفظ مسلم واخرجاه ايضا من حديث ابي هريرة نحوه وفيه فاما النار فلا تمتلي حتى يضع الله عليها رجله يقول لها قط قط قيل معنى القدم هنا القوم المتقدم الى النار ومعنى الرجل العدد الكثير من الناس وغيرهم وفي الباب احاديث ومذهب جمهور السلف فيها الايمان بها من غير تاويل ولا تعطيل ولا تكييف ولا تحريف ولا تمثيل وامرارها على ظاهرها وهذا هو الحق الذي لا محيد عنه قال القرطبي في تذكرته باب ما جاء ان جهنم في الارض وان البحر طبقها روي عن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يركب البحر رجل الا غاز او حاج او معتمر فان تحت البحر نارا ذكره ابو عمر وضعفه قال ابن عمر لا يتوضأ بماء البحر لانه طبق جهنم وضعفه ابو عمر ايضا

ثم لما فرغ الله سبحانه من بيان حال الكافرين شرع في بيان حال المؤمنين فقال وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ
اي قربت وذنيت لِلْمُتَّقِينَ الذين اتقوا الشرك تقريبا غَيْرَ بَعِيدٍ اومكانا غير بعيد منهم
بحيث يشاهدونها ويرونها في الموقف وينظرون ما فيها مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا
خطر على قلب بشر وقيل المعنى انها زينت لقلوبهم في الدنيا بالترغيب والترهيب فصارت
قريبة من قلوبهم والاول اولى وقيل يطوي الله المسافة التي بين المؤمن والجنة فهو التقريب
وذلك اكراما للمؤمن بيانا لشرفه وانه ممن تمشي اليه وقيل المراد قرب الدخول فيها لا بمعنى
القرب المكاني وقيل معنى ازلفت جمعت محاسنها لانها مخلوقة وان المعنى قرب حصولها
لانها تنال بكلمة طيبة وخص المتقين بذلك لانهم احق بها هٰذَا اشارة الى الجنة التي ازلفت
لهم على معنى هذا الذي ترونه من فنون نعيمها مَا تُوعَدُونَ والجملة بتقدير القول اي يقال
لهم هذا ما توعدون قرأ الجمهور بالفوقية وقرئ بالتحتية لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ هو بدل
من للمتقين باعادة الخافض او متعلق بقول محذوف هو حال اي مقولا لهم لكل اواب والاواب
الرجاع الى طاعة الله تعالى بالتوبة عن المعاصي وقيل هو المسبح وقيل هو الذاكر لله في الخلوة
قال الشعبي ومجاهد هو الذي يذكر ذنوبه في الخلوة فيستغفر الله منها وقال عبيد بن عمير
هو الذي لا يجلس مجلسا حتى يستغفر الله فيه والحفيظ هو الحافظ لذنوبه حتى يتوب منها وقال
قتادة هو الحافظ لما استودعه الله من حقه ونعمته قاله مجاهد وقيل هو الحافظ لامر الله و
قال الضحاك هو الحافظ لوصية الله له بالقبول قال ابن عباس حفيظ ذنوبه حتى رجع عنها
وقيل حافظ لحدود الله مَنْ خَشِيَ الرَّحْمٰنَ بِالْغَيْبِ بدلا وبيان لكل اواب او بدل بعد بدل
من المتقين وفيه نظر لانه لا يتكرر البدل والمبدل منه واحد ويجوز ان يكون مرفوعا
على الاستيناف والخبر ادخلوها بتقدير يقال لهم ادخلوها والخشية انزعاج القلب عند
ذكر الخطيئة والخشية بالغيب ان يخاف الله ولم يكن رآه وقال الضحاك والسدي يعني في الخلوة
حيث لا يراه احد قال الحسن اذا ارخى الستر واغلق الابواب وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ اي راجع
الى الله مخلص لطاعته وقيل بسريرة مرضية وعقيدة صحيحة وقيل المنيب المقبل على الطاعة
وقيل السليم ادْخُلُوهَا الجمع باعتبار معنى من اي ادخلوا الجنة بِسَلَامٍ اي بسلامة من العذاب

وكل مخوف وقيل بسلام من الله او من ملائكته وقيل بسلامة من زوال النعم وحلول النقم
اي متلبسين به او مع سلام اي ليسلم بعضكم على بعض فالمراد السلام فيما بينهم ولا مانع من
حمل الكريمة على كل ذلك ذلك اشارة الى زمن ذلك اليوم الذي حصل فيه الدخول كما قال
ابو البقاء وخبره يوم الخلود وسماه يوم الخلود لانه لا انتهاء له بل هو دائم ابدا وهذا القول
في الدنيا اعلام واخبار وليس ذلك قولا يقوله عند قوله ادخلوها او ان اطمينان القلب بالقول
الكثير لهم ما يشاؤن فيها اي في الجنة ما تشتهي انفسهم وتلذ ا [illegible] م من فنون النعم وانواع
الخير ولدينا مزيد من النعم التي لم تخطر لهم على بال ولا مرت لهم في خيال قيل هو النظر
الى وجهه الكريم قاله جابر وقال انس يتجلى لهم الرب تبارك وتعالى في كل ليلة جمعة في
دار كرامته فهذا هو المزيد وعن علي قال يتجلى لهم الرب عز وجل وقيل ان السحابة تمر باهل الجنة
فتمطرهم الحور فيقلن نحن المزيد الذي قال تعالى ولدينا مزيد وفي الباب روايات واحاديث ثم
خوف سبحانه اهل مكة بما اتفق للقرون الماضية قبلهم فقال وكم اهلكنا قبلهم اي قبل
قريش ومن وافقهم من قرن اي امة كثيرة من الكفار هم اشد منهم بطشا اي قوة كعاد
وثمود وغيرهم فنقبوا في البلاد قرئ بتشديد القاف على الماضي والتنقيب التنقير عن الامر
والبحث والطلب اي ساروا وتقلبوا فيها وطافوا في بقاعها طلبا للهرب واصله من النقب وهو الطريق
قال مجاهد ضربوا وطافوا وقال النضر بن شميل دوروا وقال المورج تباعدوا والاول اولى وقرأ ابن عباس وغيره
نقبوا بفتح القاف مخففة والنقب هو الخرق والطريق في الجبل وكذا المنقب والمنقبة كذا قال ابن السكيت
وجمع النقب نقوب وقرئ بكسر القاف مشددة على الامر للتهديد اي طوفوا فيها وسيروا
في جوانبها ولما كان التقدير ولم يسلموا مع كثرة تنقيبهم وتفتيشهم توجه سؤال فيه تنبيه
الغافل وتقريع وتبكيت للمعاند الجاهل بقوله هل من محيص لهم او لغيرهم اي من معدل
ومحيد ومهرب يهربون اليه من الموت او مخلص يتخلصون به من العذاب ليكون لهؤلاء وجه ما
في رد امرنا وهل حرف استفهام ومن زائدة قال الزجاج لم يروا محيصا من الموت والمحيص مصدر
حاص عنه يحيص حيصا وحيوصا ومحيصا ومحاصا وحيصانا اي عدل وحاد والجملة مستانفة
لبيان انه لا مهرب ولا مفر وهي من كلام الله تعالى اذ لو كانت من كلامهم لكان التقدير هل من محيص لنا فليتأمل

وفي هذا انذار لاهل مكة انهم مثل من قبلهم من القرون لا يجدون من الموت والعذاب مفراً ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ﴾ اي فيما ذكر من قصتهم في هذه السورة من اولها الى آخرها تذكرة وموعظة ﴿لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ اي عقل قال الفراء وهذا جائز في العربية تقول ما لك قلب وما قلبك معك اي ما لك عقل وما عقلك معك وقيل المراد القلب نفسه لانه اذا كان سليماً ادرك الحقائق وتفكر كما ينبغي وقيل لمن كان حياة ونفس مميزة فعبر ذلك بالقلب لانه وطنها ومعدن حياتها ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾ اي استمع ما يقال له من الوعظ وغيره يقال الق سمعك الي اي استمع مني والمعنى انه القى السمع الى ما يتلى عليه من الوحي الحاكي لما جرى على تلك الامم قرأ الجمهور القى مبنياً للفاعل وقرئ على البناء للمفعول ورفع السمع واو مانعة الخلو لا مانعة الجمع فان القاء السمع لا يجدي بدون سلامة القلب كما يلوح به قوله ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ اي حاضر الفهم او حاضر القلب لان من لا يفهم في حكم الغائب وان حضر بجسمه فهو لم يحضر بفهمه قال الزجاج اي قلبه حاضر فيما يسمع قال سفيان اي لا يكون حاضراً وقلبه غائب قال مجاهد وقتادة هذه الآية في اهل الكتاب وكذا قال الحسن وقال محمد بن كعب وابو صالح انها في اهل القرآن خاصة ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ اولها الاحد وآخرها الجمعة فخلق الارض في يومين وما فيها في يومين والسموات في يومين ولو شاء لخلق الكل في اقل من لمح البصر ولكنه تعالى من فضله علمنا بذلك التأني في الامور واليوم قد يطلق ويراد به الوقت والحين وقد يعبر به عن مدة الزمان اي مدة كانت وقد تقدم تفسير هذه الآية في سورة الاعراف وغيرها مراراً ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن﴾ زائدة ﴿لُّغُوبٍ﴾ اي تعب واعياء يقال لغب يلغب بالضم لغوباً وقال ابن عباس لغوب نصب قال الواحدي قال جماعة المفسرين نزلت رداً على اليهود في قولهم ان الله استراح يوم السبت واستلقى على العرش فلذلك تركوا العمل فيه فاكذبهم الله بقوله وما مسنا من لغوب وانتفاء التعب عنه لتنزهه تعالى عن صفات المخلوقين ولعدم المماسة بينه وبين غيره انما امره اذا اراد شيئاً ان يقول له كن فيكون قال الرازي والظاهر ان المراد الرد على المشركين والاستدلال بخلق السموات والارض وما بينهما في امر البعث واما ما قاله اليهود ونقلوه فهو مما حرف منهم او لم يعلموا تأويله ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ هذه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وامر له بالصبر على ما يقوله المشركون اي هون عليك ولا تحزن لقولهم وتلقَّ ما يرد عليك منهم بالصبر ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾

قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ اي نزه الله عما لا يليق بجنابه العالي متلبسا بحمده وقت
الفجر ووقت العصر وقيل المراد صلوة الفجر وصلوة العصر قاله ابن عباس وقيل الصلوات الخمس وقيل
صل ركعتين قبل طلوع الشمس وركعتين قبل غروبها والاول اولى وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ من
للتبعيض اي سبحه بعض الليل وقيل هي صلوة الليل وقيل ركعتا الفجر وقيل صلوة العشاء
والاول اولى وَأَدْبَارَ السُّجُودِ اي وسبحه اعقاب الصلوات قرأ الجمهور بفتح الهمزة جمع دبر وقرئ
بكسرها على المصدر من ادبر الشيء ادبارا والاول اولى وقال جماعة من الصحابة والتابعين ادبار السجود
الركعتان بعد المغرب وادبار النجوم الركعتان قبل الفجر وقد اتفق القراء السبعة في ادبار النجوم
انه بكسر الهمزة وعن ابن عباس قال بت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى ركعتين خفيفتين قبل
صلوة الفجر ثم خرج الى الصلوة فقال يا ابن عباس ركعتان قبل صلوة الفجر ادبار النجوم وركعتان
بعد المغرب ادبار السجود اخرجه الترمذي والحاكم وصححه وابن مردويه وابن ابي حاتم وعن علي
بن ابي طالب قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ادبار النجوم وادبار السجود فقال ادبار السجود ركعتان
بعد المغرب وادبار النجوم ركعتان قبل الغداة اخرجه مسدد في مسنده وابن المنذر وابن مردويه
وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ادبار السجود ركعتان بعد المغرب وادبار النجوم ركعتان قبل الفجر
عن علي وابي هريرة مثله وقال ابن عباس امره ان يسبح في ادبار الصلوات كلها وبه قال مجاهد
قال الكرخي لخبر ابي هريرة في الصحيح مرفوعا من سبح دبر كل صلوة ثلثا وثلثين وحمد الله ثلثا
وثلثين وكبر الله ثلثا وثلثين فذلك تسعة وتسعون وتمام المائة لا اله الا الله وحده لا شريك
له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر وَاسْتَمِعْ
ما يوحى اليك من احوال القيامة وفي ذلك تهويل وتعظيم لشأن المخبر به وقيل الاستماع بمعنى
الانتظار وهو بعيد وقيل استمع النداء والصوت او الصيحة قاله ابن عباس يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ
هو اسرافيل او جبرئيل يقف على صخرة بيت المقدس فينادي بالحشر وهي صيحة القيامة يعني
النفخة الثانية في الصور من اسرافيل وقيل اسرافيل ينفخ وجبريل ينادي اهل المحشر ويقول هلموا
للحساب فالنداء على هذا في المحشر قال الشهاب وهو الاصح كما دلت عليه الآثار قال مقاتل هو
اسرافيل ينادي في المحشر فيقول يا ايها الناس هلموا للحساب وقيل ينادي ايتها العظام البالية

والاوصال المتقطعة واللحوم المفرقة والشعور المتفرقة ان الله يامركن ان تجتمعن لفصل القضاء مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ من السماء حيث يصل النداء الى كل فرد من افراد المحشر قال قتادة كنا نحدث انه ينادي من صخرة بيت المقدس به قال ابن عباس قال الكلبي وهي اقرب موضع من الارض الى السماء باثني عشر ميلا وهي وسط الارض قال كعب بثمانية عشر ميلا يَوْمَ يَسْمَعُونَ اي الخلق كلهم الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ يعني صيحة البعث وهي النفخة الثانية من اسرافيل ويحتمل ان تكون قبل ندائه و بعده قاله الجلال المحلي وهذا غير مستقيم لان بعثهم واحياءهم كان بصيحة واحدة كما في قوله تعالى ان كانت الا صيحة واحدة قال الكلبي معنى بالحق بالبعث وهو حال من الواو اي يسمعون متلبسين بالحق او من الصيحة اي متلبسة بالحق وقال مقاتل يعني انها كائنة حقا ذَٰلِكَ اي يوم النداء والسماع يَوْمُ الْخُرُوجِ من القبور قال ابن عباس اي يوم يخرجون الى البعث من القبور يعني يعلمون عاقبة تكذيبهم إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي في الآخرة وَنُمِيتُ في الدنيا لا يشاركنا في ذلك مشارك والجملة مستانفة لتقرير امر البعث وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ فنجازي كل عامل بعمله يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا حال كونهم مسرعين الى المنادي الذي ناداهم ذَٰلِكَ حَشْرٌ اي بعث وجمع عَلَيْنَا يَسِيرٌ هين وتقديم الظرف يدل على الاختصاص اي لا يتيسر مثل ذلك الامر العظيم الا على القادر الذي لا يشغله شان عن شان ثم عزا الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم فقال نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ من تكذيبك فيما جئت به ومن انكار البعث والتوحيد وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ اي بمسلط تجبرهم وتقهرهم على الايمان والآية منسوخة باية السيف وجبار صيغة مبالغة من جبر الثلاثي فان فعالا انما يبنى من الثلاثي وفي المصباح اجبرته على كذا بالالف حملته عليه قهرا وغلبته فهو مجبر هذه لغة عامة العرب وفي لغة لبني تميم وكثير من اهل الحجاز جبرته جبرا من باب قتل حكاه الازهري ثم قال جبرته واجبرته لغتان جيدتان وقال الخطابي الجبار الذي جبر خلقه على ما اراد من امره ونهيه يقال جبره السلطان واجبره بمعنى ورايت في بعض التفاسير عند قوله تعالى وما انت عليهم بجبار ان الثلاثي لغة حكاها الفراء وغيره واستشهد لصحتها بما معناه انه لا يبنى فعال الا من فعل ثلاثي نحو الفتاح والعلام ولم يجئ من افعل بالالف الا دراك فان حمل جبار على هذا المعنى فهو جيد قال الفراء وقد سمعت العرب تقول جبرته على الامر واجبرته واذا ثبت ذلك فلا يعول على قول من ضعفها

فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ اي وعيدي لعصاتي بالعذاب واما من عداهم فلا تشتغل بهم ثم امره الله سبحانه بعد ذلك بالقتال قال ابن عباس قالوا يا رسول الله لو خوفتنا فنزلت فذكر بالقرآن من يخاف وعيد وهم المؤمنون ۞

سورة الذاريات هي ستون آية وهي مكية

قال القرطبي في قول الجميع وبه قال ابن عباس وابن الزبير وفي بعض النسخ والذاريات بالواو

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا يقال ذرت الريح التراب تذروه ذروا واذرته تذريه ذريا اقسم الله سبحانه بالرياح التي تذر التراب وغيره وقيل المقسم به مقدر وهو رب الذاريات وما بعدها والاول اولى عن علي قال الذاريات الرياح وقال غيره النساء الولود فانهن يذرين الاولاد فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا قال علي هي السحاب اي تحمل الماء كما تحمل ذوات الاربع الوقر وانتصاب وقرا على انه مفعول به كما يقال حمل فلان عدلا ثقيلا قرأ الجمهور بكسر الواو واسم ما يوقر اي يحمل وقرئ بفتحها على انه مصدر وقيل الرياح الحاملات للسحاب او النساء الحوامل فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا قال علي هي السفن اي الجارية في البحر بالرياح جريا سهلا اي جريا ذا يسر وقيل هي الرياح الجارية في مهابها او الكواكب التي تجري في منازلها وقيل السحاب والاول اولى واليسر السهل في كل شيء فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا قال علي الملائكة وعن عمر بن الخطاب مثله ورفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم وفي اسناده ابو بكر بن سبرة وهو ضعيف لين الحديث وسعيد بن سلام وليس من اصحاب الحديث كذا قال البزار قال ابن كثير هذا الحديث ضعيف رفعه واقرب ما فيه انه موقوف على عمر وعن ابن عباس مثل قول علي يعني الملائكة التي تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها او ما يعمهم وغيرهم من اسباب القسمة او الرياح تقسم الامطار بتصريف السحاب قال الفراء تاتي الملائكة بامر مختلف جبريل بالغلظة والوحي الى الانبياء وميكائيل صاحب الرحمة والرزق وملك الموت ياتي بالموت واسرافيل صاحب الصور واللوح وقيل تاتي بامر مختلف بالجدب والخصب والمطر والموت والحوادث وقيل هي السحب التي يقسم الله بها امر

العباد وقيل ان المراد بهذه الاوصاف الاربعة الرياح كما تقدم فانها توصف بجميع ذلك لانها
تذر التراب وتحمل الاثقال وتجري في الهواء وتقسم الامطار وهو ضعيف جدا والترتيب في هذه
الاقسام ترتيب ذكري ورتبي باعتبار تفاوت مراتبها في الدلالة على قدرته تعالى اقسم الله بهذه
الاشياء لشرف ذواتها ولما فيها من الدلالة على عجيب صنعته وقدرته لكونها امورا بديعة
مخالفة لمقتضى العادة فمن قدر عليها فهو قادر على البعث الموعود به إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ
هذا جواب القسم وما مصدرية او موصولة اي ان ما توعدون من الثواب والعقاب لكائن
لا محالة وَإِنَّ الدِّينَ اي الحساب والجزاء على الاعمال لَوَاقِعٌ اي حاصل وكائن لا محالة ثم ابتدأ
قسما آخر فقال وَالسَّمَاءِ المراد بها هنا هي المعروفة وقيل المراد بها السحاب والاول اولى ذَاتِ
الْحُبُكِ قرأ الجمهور بضم الحاء والباء وقرئ بضمها وسكون الباء وقرئ بكسر الحاء وفتح الباء و
بكسر الحاء وضم الباء قال ابن عطية هي لغات قال الجلال المحلي جمع حبيكة كطريقة وطرق اي
صاحبة الطرق في الخلقة كالطرق في الرمل واختلف المفسرون في تفسير الحبك فقال مجاهد و
قتادة والربيع وغيرهم المعنى ذات الخلق المستوي الحسن قال ابن الاعرابي كل شئ احكمته واحسنت
عمله فقد حبكته واحتبكته وقال الحسن وسعيد بن جبير ذات الزينة وروي عن الحسن ايضا
انه قال ذات النجوم وقيل ذات البنيان المتقن وقال الضحاك ذات الطرائق وبه قال الفراء يقال
لما تراه من الماء والرمل اذا اصابته الريح حبك قال الفراء الحبك تكسر كل شئ كالرمل اذا مرت
به الريح الساكنة والماء اذا مرت به الريح ويقال للدرع الحديد حبك وقيل الحبك الشدة اي و
السماء ذات الشدة والمحبوك الشديد الخلق من فرس او غيره قال الواحدي بعد حكاية القول
الاول هذا قول الاكثرين قال ابن عباس والسماء ذات الحبك اي حسنها واستوائها وعنه قال
ذات البهاء والجمال وان بنيانها كالبرد المسلسل وعنه قال ذات الخلق الحسن وعن ابن عمر
مثله وعن علي قال هي السماء السابعة واستعمال الحبك في الطرائق هو الذي عليه اهل اللغة
وان كان الاكثر من المفسرين على خلافه على انه يمكن ان ترجع تلك الاقوال في تفسير الحبك الى
هذا وذلك بان يقال ان ما في السماء من الطرائق بصيرات يكون سببا لمزيد حسنها واستواء خلقها
وحصول الزينة فيها ومزيد القوة لها وفي البيضاوي ذات الحبك ذات الطرائق والمراد اما الطرق

المحسوسة التي هي مسير الكواكب او المعقولة التي تسلكها النظار وتتوصل بها الى المعارف او النجوم فان لها طرائق او انها تزينها كما يزين الموشي طرائق الوشي إِنَّكُمْ هذا جواب القسم بالسماء ذات الحبك اي انكم يا اهل مكة لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ متناقض في شان محمد صلى الله عليه وسلم و القرآن بعضكم يقول انه شاعر وبعضكم يقول انه ساحر وبعضكم يقول انه مجنون والقرآن شعر سحر كهانة ووجه تخصيص القسم بالسماء المتصفة بتلك الصفة تشبيه اقوالهم في اختلافها باختلاف طرائق السماء وقيل المراد بكونهم في قول مختلف ان بعضهم ينفي الحشر وبعضهم يشك فيه وقيل كونهم يقرون ان الله خالقهم ويعبدون الاصنام وقيل قول مختلف مصدق ومكذب يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ اي يصرف عن الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما جاء به او عن الحق و هو البعث والتوحيد من صرف عن الهداية في علم الله تعالى يقال افكه يافكه افكا اي قلبه عن الشيء وصرفه عنه ومنه قوله تعالى قالوا اجئتنا لتافكنا عن آلهتنا وقال مجاهد يوفن عنه من افن والافن فساد العقل وقيل يحرمه من حرم وقال قطرب يخدع عنه من خدع وقال اليزيدي يدفع عنه من دفع وقال ابن عباس يضل عنه من ضل وفي الخطيب قيل ان هذا القول مدح للمؤمنين ومعناه يصرف عن القول المختلف من صرف عن ذلك القول ورشد الى المستوي قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ هذا دعاء عليهم وحكى الواحدي عن المفسرين جميعا ان المعنى لعن الكذابون والمراد بالكذابين اصحاب القول المختلف واصل هذا التركيب الوصل بالقتل اجرى مجرى اللعن واستعمل بمعناه تشبيها للملعون الذي يفوته كل خير وسعادة بالمقتول الذي تفوته الحياة وكل نعمة قال ابن الانباري والقتل اذا اخبر به عن الله كان بمعنى اللعنة لان من لعنه الله فهو بمنزلة المقتول الهالك قال الفراء معنى قتل لعن وفي القاموس ما يقتضي ان قتل ياتي بمعنى لعن ونصه قتل الانسان ما اكفره اي لعن وقاتلهم الله اي لعنهم والخراصون الكذابون الذين يخرصون فيما لا يعلمون فيقولون ان محمدا مجنون كذاب شاعر ساحر قال الزجاج الخراصون هم الكذابون والخرص حزر ما على النخل من الرطب تمرا والخراص الذي يخرصها وليس هو المراد هنا قال ابن عباس في الآية لعن المرتابون وعنه قال هم الكهنة وقيل هم المقتسمون الذين اقتسموا اعقاب مكة ليصرفوا الناس عن الاسلام الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ اي في غفلة وعمى وجهالة عن

امور الآخرة واصل الغمرة ما ستر الشيء وغطاه ومنها غمرات الموت قال ابن عباس الغمرة الكفر والشرك ساهون اي لاهون غافلون والسهو الغفلة عن الشيء وذهابه عن القلب وقال ابن عباس في غفلة لاهون وعنه قال في ضلالتهم يتمادون يسألون أيان يوم الدين اي يقولون متى يجيء يوم الجزاء تكذيبا منهم واستهزاء وجوابهم يجيء اخبر سبحانه عن ذلك اليوم فقال يوم هم على النار يفتنون اي يحرقون ويعذبون فيها يقال فتنت الذهب اذا احرقته لتختبره واصل الفتنة الاختبار قال عكرمة الم تران الذهب اذا دخل النار قيل فتن قال ابن عباس يفتنون يعذبون قال الشهاب اصلها اذابة الجوهر ليظهر غشه ثم استعمل في التعذيب والاحراق وعدي يفتنون بعلى لتضمنه معنى يعرضون ذوقوا فتنتكم اي يقال لهم حين التعذيب ذوقوا عذابكم قاله ابن زيد وقال مجاهد حريقكم ورجح الاول الفراء وجملة هذا الذي كنتم به تستعجلون من جملة ما هو محكي بالقول اي هذا ما كنتم تطلبون تعجيله في الدنيا استهزاء منكم وقيل هي بدل من فتنتكم ولما ذكر سبحانه حال اهل النار ذكر حال اهل الجنة فقال إن المتقين في جنات وعيون اي هم كائنون في بساتين فيها عيون جارية في جهاتهم وامكنتهم لا يبلغ وصفها الواصفون حال كونهم آخذين اي قابضين ما آتاهم ربهم شيئا فشيئا من الخير والثواب والكرامة راضين به ومسرورين ومتلقين له بالقبول لا يستوفونه بكماله لامتناع استيفاء ما لا نهاية له إنهم كانوا قبل ذلك محسنين قال ابن عباس اي قبل ان تنزل الفرائض يعملون والجملة تعليل لما قبلها اي لانهم كانوا في الدنيا قبل دخولهم الجنة محسنين في اعمالهم الصالحة من فعل ما امروا به وترك ما نهوا عنه ثم ذكر احسانهم الذي وصفهم به فقال كانوا قليلا من الليل ما يهجعون الهجوع النوم بالليل دون النهار وبابه خضع والهجعة النومة الخفيفة والمعنى كانوا قليلا ما ينامون من الليل ويصلون اكثره وكذا قال المحلي وما زائدة او مصدرية او موصولة اي كانوا قليلا من الليل هجوعهم او ما يهجعون فيه والتهجاع القليل من النوم وقيل ما نافية اي ما كانوا ينامون قليلا من الليل فكيف بالكثير منه وهذا ضعيف جدا وهكذا قول من قال ان المعنى كان عددهم قليلا ثم ابتدأ فقال ما يهجعون وبه قال ابن الانباري وهو اضعف مما قبله وقال قتادة في تفسير هذه الآية كانوا يصلون بين العشائين وبه قال

ابو العالية وابن وهب قال ابن عباس ماتاتي عليهم ليلة ينامون حتى يصبحوا الا يصلون فيها
وعنه قال يقول قليلا ما كانوا ينامون وعن انس قال كانوا يصلون بين المغرب والعشاء وَ
بِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ اي يطلبون في اوقات السحر من الله سبحانه ان يغفر ذنوبهم قال
الحسن مدوا الصلوة الى الاسحار ثم اخذوا بالاسحار استغفار وقال الكلبي ومقاتل ومجاهد هم بالاسحار يصلون
وذلك ان صلاتهم طلب منهم للمغفرة وقال الضحاك هي صلوة الفجر قال ابن عمر يستغفرون
يصلون قال ابن زيد السحر السدس الاخير من الليل والمعنى يعدون مع هذا الاجتهاد انفسهم
من نبين ويسألون غفران ذنوبهم لوفور علمهم بالله تعالى وانهم لا يقدرون على ان يقدروه حق
قدره وان اجتهدوا لقول سيد الخلق محمد صلعم لا احصي ثناء عليك وقيل يستغفرون من
تقصيرهم في العبادة وقيل من ذلك القدر القليل الذي كانوا ينامون من الليل ثم ذكر سبحانه
صدقاتهم فقال وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ اي يجعلون في اموالهم ويوجبون على
انفسهم حقا للسائل والمحروم تقربا الى الله عز وجل بمقتضى الكرم يصلون بها الارحام والفقراء
والمساكين وقال محمد بن سيرين وقتادة الحق هنا الزكوة المفروضة والاولى ان فيحمل على صدقة
النفل وصلة الرحم وقرى الضيف لان السورة مكية والزكوة لم تفرض الا بالمدينة وسياتي في سورة
سأل سائل وفي اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم بزيادة معلوم والسائل هو الذي يسأل
الناس لفاقته واختلف في تفسير المحروم فقيل هو الذي يتعفف عن السؤال حتى يحسبه الناس
غنيا فلا يتصدقون عليه وبه قال قتادة والزهري وقال الحسن ومحمد بن الحنفية هو الذي
لا سهم له في الغنيمة ولا يجري عليه من الفيئ شيئ وقال زيد بن اسلم هو الذي اصيب ثمره او زرعه
او ماشيته وقال القرظي هو الذي اصيب بجائحة وقيل الذي لا يكتسب وقيل هو الذي لا يجد غنا
يغنيه وقيل هو المملوك وقيل الكلب وقيل غير ذلك قال الشعبي لي اليوم سبعون سنة منذ احتلمت
اسأل عن المحروم فما انا اليوم باعلم مني فيه يومئذ والذي ينبغي التعويل عليه ما يدل عليه المعنى
اللغوي والمحروم في اللغة الممنوع من الحرمان وهو المنع فيدخل تحته من حرم الرزق من الاصل ومن
اصيب ماله بجائحة اذهبته ومن حرم العطاء ومن حرم الصدقة لتعففه واظهر هذه الاقوال انه
المتعفف لانه قرنه بالسائل والمتعفف لا يسأل ولا يكاد الناس يعطون من لا يسأل وانما يفطن له متيقظ

قال ابن عباس في اموالهم حق سوى الزكوة يصل بها رحما او يقري بها ضيفا او يعين بها محروما
وعنه قال السائل الذي يسأل الناس والمحروم الذي ليس له سهم في المسلمين وعنه قال المحروم
هو المحارف الذي يطلب الدنيا وتدبر عنه ولا يسأل الناس فامر الله المؤمنين برفده وعن عائشة
في الآية قالت هو المحارف الذي لا يكاد يتيسر له مكسبه واخرج الترمذي والبيهقي في سننه
عن فاطمة بنت قيس انها سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية قال ان في المال حقا سوى الزكوة
وتلا هذه الآية ليس البر ان تولوا وجوهكم الى قوله وفي الرقاب واقام الصلوة واتى الزكوة ثم ذكر
سبحانه ما نصبه من الدلائل الدالة على توحيده ووعده ووعيده فقال وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ
اي دلائل واضحة وعلامات ظاهرة من الجبال والبر والبحر والاشجار والانهار والثمار وفيها
آثار الهلاك للامم الكافرة المكذبة لما جاءت به رسل الله ودعتهم اليه وهي مدحوة كالبساط
لما فوقها وفيها المسالك والفجاج للمتقلبين فيها وهي مجزأة فمن سهل ومن جبل وصلبة و
رخوة وعذبة وسبخة وفيها معادن مفتنة ودواب منبثة مختلفة الصور والاشكال متباينة
الهيآت والافعال الى غير ذلك من بدائع صنعه وصنائع قدرته وحكمته وتدبيره لِلْمُوقِنِينَ
اي للموحدين الذين سلكوا الطريق السوي البرهاني الموصل الى المعرفة فهم نظارون بعيون
باصرة وافهام نافذة كلما رأوا آية عرفوا وجه تاويلها فازدادوا ايقانا على ايقانهم وخص الموقنين
بالله لانهم الذين يعترفون بذلك ويتدبرون فيه فينتفعون به وَفِي أَنْفُسِكُمْ في حال ابتدائها
وتنقلها من حال الى حال آيات تدل على توحيد الله وصدق ما جاءت به الرسل فانه خلقهم
نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظما الى ان ينفخ فيهم الروح ثم تختلف بعد ذلك صورهم والوانهم
وطبائعهم والسنتهم ثم نفس خلقهم على هذه الصفة العجيبة الشان من لحم ودم وعظم و
اعضاء وحواس ومجاري ومنافس وفي بواطنها وظواهرها من عجائب الفطرة وبدائع الخلق
ما تتحير فيه الاذهان وحسبك بالقلوب وما ركز فيها من العقول وبالالسن والنطق ومخارج
الحروف وما في تركيبها وترتيبها ولطائفها من الآيات الساطعة والبينات القاطعة على حكمة مدبرها
وصانعها ودع الاسماع والابصار والاطراف وسائر الجوارح وتأتيها لما خلقت له وما سوى ذلك في
الاعضاء من المفاصل للانعطاف والتثني فانه اذا جسا منها شيء جاء العجز واذا استرخى اناخ

الدليل فتبارك الله احسن الخالقين وقيل يريد اختلاف الالسن والصور والالوان والطبائع وقيل يريد سبيل الغائط والبول يأكل ويشرب من مدخل واحد ويخرج من سبيلين وقيل المراد بالانفس الارواح اي وفي نفوسكم التي بها حياتكم آيات ولا وجه لتخصيص شيء دون شيء بل اللفظ اوسع من ذلك افلا تبصرون اي تنظرون بعين البصيرة والعبرة الارض وما فيها والانفس وما فيها فتستدلون بذلك على الخالق الرازق المتفرد بالالوهية وانه لاشريك له ولا ضد ولا ند وان وعده الحق وقوله الحق وان ما جاءت اليكم به رسله هو الحق الذي لاشك فيه ولا شبهة تعتريه وفي السماء رزقكم اي سبب رزقكم وهو المطر فانه سبب الارزاق قال سعيد بن جبير والضحاك الرزق هنا ما ينزل من السماء من مطر وثلج وقيل المراد بالسماء السحاب اي وفي السحاب رزقكم وقيل المراد بالسماء المطر وسماه سماء لانه ينزل من جهتها وقال ابن كيسان يعني وعلى رب السماء رزقكم قال ونظيره وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وهو بعيد وقال سفيان الثوري اي عند الله في السماء رزقكم وقيل المعنى في السماء تقدير رزقكم قرأ الجمهور بالافراد وقرئ ارزاقكم بالجمع وما توعدون من الجنة والنار قاله مجاهد وقال عطاء من الثواب والعقاب وقال الكلبي من الخير والشر وقال ابن سيرين ما توعدون من امر الساعة وبه قال الربيع والاولى الحمل على ما هو الاعم من هذه الاقوال فان جزاء الاعمال مكتوب في السماء والقضاء والقدر ينزل منها والجنة والنار فيها ثم اقسم سبحانه وتعالى بنفسه فقال فورب السماء والارض انه اي ان ما اخبركم به في هذه الآيات لحق وقال الزجاج هو ما ذكر من امر الرزق والآيات قال الكلبي يعني ما قص في الكتاب وقال مقاتل يعني من امر الساعة وقيل ان ما في قوله وما توعدون مبتدء وخبره فورب السماء الخ فيكون الضمير لما ثم قال سبحانه مثل ما انكم تنطقون اي كمثل نطقكم وما زائدة كذا قال بعض الكوفيين وقال الزجاج والفراء اي لحق حقا مثل نطقكم وقال المازني ان مثل مع ما بمنزلة شيء واحد فبني على الفتح وقال سيبويه هو مبني لاضافته الى غير متمكن قرأ الجمهور بنصب مثل على تقدير كمثل نطقكم وقرئ بالرفع على انه صفة لحق لان مثل نكرة وان اضيفت فهي لا تتعرف بالاضافة كغير ورجح قول المازني ابو علي الفارسي ومعنى الآية تشبيه تحقيق ما اخبر الله عنه بتحقيق نطق الآدمي ووجوده وهذا كما تقول انه لحق كما انك ههنا وانه لحق

كما انت تتكلم والمعنى انه في صدقه ووجوده كالذي تعرفه ضرورة عن ابي سعيد الخدري
قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لو ان احدكم فر من رزقه لتبعه كما يتبعه الموت اسنده الثعلبي وذكره القرطبي
وقال بعض الحكماء معناه كما ان كل انسان ينطق بلسان نفسه لا يمكنه ان ينطق بلسان غيره
كذلك كل انسان يأكل رزق نفسه الذي قسم له لا يقدر ان يأكل رزق غيره هَلْ أَتَاكَ
حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ذكر سبحانه قصة ابراهيم ليبين انه اهلك بسبب التكذيب من
اهلك وفي الاستفهام تفخيم للحديث وشأنه وتنبيه على ان هذا الحديث ليس مما قد علم به رسول
الله صلى الله عليه وسلم وانه انما علم بطريق الوحي وقيل ان هل بمعنى قد كما في قوله هل اتى على الانسان
حين من الدهر والضيف مصدر يطلق على الواحد والاثنين والجماعة وقد تقدم الكلام
على قصة ضيف ابراهيم في سورة هود وسورة الحجر الْمُكْرَمِينَ اي انهم مكرمون عند الله سبحانه
لانهم ملائكة جاؤا اليه في صورة بني ادم كما قال تعالى في وصفهم في اية اخرى بل عباد مكرمون
وقيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل وقال مجاهد ومقاتل اكرمهم ابراهيم واحسن اليهم وقام
على رؤسهم وكان لا يقوم على رؤس الضيف وامر امرأته ان تخدمهم وقال الكلبي اكرمهم بالعجل
اي عجل لهم القرى وقيل لانهم كانوا ضيف ابراهيم وهو اكرم الخلق على الله يومئذ وضيف الكريم
مكرمون وقيل لانهم كانوا غير مدعوين والاول اولى إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ العامل في الظرف الحديث
اي هل اتاك حديثهم الواقع في وقت دخولهم عليه او ضيف لانه مصدر او المكرمين او محذوف
اي اذكر كذا ذكر السمين فَقَالُوا سَلَامًا اي نسلم عليك سلاما ويحتمل ان يكون المعنى كلاما
حسنا لانه كلام سلم به المتكلم من ان يلغو فيكون على هذا مفعولا به قَالَ سَلَامٌ اي قال
ابراهيم سلام والمراد به التحية قرأ الجمهور بنصب سلام الاول ورفع الثاني على انه مبتدأ محذوف
الخبر اي عليكم سلام والعدول الى الرفع لقصد افادة الجملة الاسمية للدوام والثبات بخلاف
الفعلية فانها لمجرد التجدد والحدوث ولهذا قال اهل المعاني ان سلام ابراهيم ابلغ من سلام
الملائكة وقرئ بالرفع في الموضعين وقرئ بالنصب فيهما وقرئ سلم بكسر السين وقرئ سلم فيهما
قَوْمٌ مُنْكَرُونَ اي انتم قوم منكرون قيل انه قال هذا في نفسه ولم يخاطبهم به لان ذلك يخالف الاكرام
قيل انه انكرهم لكونهم ابتدؤا بالسلام ولم يكن ذلك معهودا عند قومه وقيل انه رأى فيهم ما يخالف بعض

بعض الصور البشرية وقيل لانه رأهم على غير صور الملائكة الذين يعرفهم وقيل لانهم دخلوا
بغير استيذان وقيل المعنى انتم غرباء ولا نعرفكم فعرفوني من انتم وقيل غير ذلك فَرَاغَ اي عدل
إِلَىٰ أَهْلِهِ قاله الزجاج اي الذين كان عندهم بقرة وكان عامة ماله البقر قاله الخطيب فالمراد باهله
خدمه كالرعاء وقيل ذهب اليهم في خفية من ضيوفه والمعنى متقارب وقد تقدم تفسيره في سورة
والصافات يقال راغ وارتاغ اي طلب وماذا ترتغ اي تريد وتطلب وراغ الى كذا مال اليه سرا و
حاد فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ اي فجاء ضيفه بعجل قد شواه لهم كما في سورة هود بعجل حنيذ وفي
الكلام حذف تدل عليه الفاء الفصيحة اي فذبح عجلا فحنذه فجاء به قال في الصحاح العجل ولد
البقر والعجول مثله والجمع العجاجيل والانثى عجلة وقيل العجل في بعض اللغات الشاة فَقَرَّبَهُ اي قرب
العجل إِلَيْهِمْ ووضعه بين ايديهم وعرض عليهم الاكل وقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ الاستفهام للانكار
وذلك انه لما قربه اليهم لم ياكلوا منه او للعرض او للتحضيض فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً اي احس
في نفسه خوفا منهم لما لم ياكلوا مما قربه اليهم وقيل معنى اوجس اضمر واغا وقع له ذلك لما لم
يتحرموا بطعامه ومن اخلاق الناس ان من اكل من طعام انسان صار امنا منه فظن ابراهيم
انهم جاؤا للشر لم ياتوا للخير وفي زاده ان الانكار الحاصل قبل تقريب العجل كما مر في هود بمعنى عدم
العلم بانهم من اي بلدة والانكار الحاصل بعده بمعنى عدم العلم بانهم دخلوا عليه لقصد الخير
او الشر فان من امتنع من تناول الطعام يخاف من شره وقيل انه وقع في قلبه انهم ملائكة فلما
رأوا ما ظهر عليه من امارات الخوف قَالُوا لَا تَخَفْ واعلموه انهم ملائكة مرسلون اليه من جهة
الله سبحانه وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ اي ذي علم كثير عند ان يبلغ مبالغ الرجال والمبشر به عند
الجمهور هو اسحق وقال مجاهد وحده انه اسمعيل وهو مردود بقوله وبشرناه باسحق وقد قدمنا
تحقيق هذا الكلام في هود بما لا يحتاج الناظر فيه الى غيره فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ اي سارة فِي صَرَّةٍ لم
يكن هذا الاقبال من مكان الى مكان وانما هو كقولك اقبل يشتمني اي اخذ في شتمي كذا قال الفراء
وغيره والصرة الصيحة والضجة اي جاءت صائحة لانها لما بشرت بالولد وجدت حرارة الدم اي
دم الحيض وقيل الصرة الجماعة من الناس قال الجوهري الضجة والصيحة والصرة الجماعة والصرة الشدة
من حرب او غيره وقال عكرمة وقتادة انها الرنة والتاوه والمعنى انها كانت في زاوية من وليا البيت تنظر اليهم

فاقبلت في صيحة او ضجة او في جماعة من الناس يستمعون كلام الملائكة فَصَكَّتْ وَجْهَهَا اي
ضربت بيدها مبسوطة على وجهها كما جرت بذلك عادة النساء عند التعجب قال مقاتل والكلبي
جمعت اصابعها فضربت جبينها تعجبا ومعنى الصك ضرب الشيء بالشيء العريض يقال صكه اي
ضربه وقال ابن عباس في صرة في صيحة فصكت لطمت وَقَالَتْ كيف الد وانا عَجُوزٌ عَقِيمٌ
استبعدت ذلك لكبر سنها ولكونها عقيما لا تلد قَالُوا كَذَٰلِكِ اي كما قلنا لك واخبرناك قَالَ
رَبُّكِ فلا تشكي في ذلك ولا تعجبي منه فان ما اراد الله كائن لا محالة ولم نقل ذلك من جهة انفسنا
وقد كانت اذ ذاك بنت تسع وتسعين سنة وابراهيم ابن مائة سنة وكان بين البشارة والولادة
سنة ذكره القرطبي وقد سبق بيان هذا مستوفى وجملة إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ
تعليل لما قبلها اي حكيم في افعاله واقواله عليم بكل شيء

قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ

مستانف جوابا عن سؤال مقدر كانه قيل فماذا قال ابراهيم بعد هذا القول من الملائكة
والخطب الشان والقصة والمعنى فما شانكم وقصتكم أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ من جهة الله وما ذاك الامر
الذي لاجله ارسلكم سوى هذه البشارة قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ اي كافرين يريدون
قوم لوط لِنُرْسِلَ اي لننزل عَلَيْهِمْ من السماء حِجَارَةً اي لنرجمهم بحجارة مِّن طِينٍ متحجر مطبوخ
بالنار واستدل به على وجوب الرجم بالحجارة على اللائط مُّسَوَّمَةً صفة لحجارة او حال من الضمير
المستكن في الجار والمجرور وهو من الحجارة لكونها وصفت بالجار والمجرور اي معلمة بعلامات تعرف
بها قيل كانت مخططة بسواد وبياض وقيل بسواد وحمرة وقيل معروفة بانها حجارة العذاب
وقيل مكتوب على كل حجر من يهلك بها عِندَ رَبِّكَ ظرف لمسومة اي معلمة عنده لِلْمُسْرِفِينَ
المتمادين في الضلال المجاوزين الحد في الفجور باتيانهم الذكور وقال مقاتل المشركين والشرك
اسرف الذنوب واعظمها قال السدي ومقاتل كانوا اربعمائة الف فادخل جبريل جناحه تحت
الارض فاقتلع قراهم وكانت اربعة ورفع حتى سمع اهل السماء اصواتهم ثم قلبها ثم ارسل عليهم الحجارة
فتتبعت الحجارة شذاذهم ومسافريهم افاده زاده وهو جمع شاذ اي الخارجين منهم عن ارضهم

فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ هذا كلام من جهة الله سبحانه اي لما اردنا اهلاك قوم لوط اخرجنا من كان في قرى قوم لوط من قومه المؤمنين به والفاء مفصحة عن جمل قد حذفت ثقة بذكرها في مواضع اخر كانه قيل فباشروا ما امروا به فاخرجنا من كان فيها بقولنا فاسر باهلك فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا اي في قرى قوم لوط وهي وان لم تذكر لكن دل عليها السياق غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ اي غير اهل بيت يقال بيت شريف ويراد به اهله قيل وهم اهل بيت لوط وقال مجاهد لوط وابنتاه وعن سعيد بن جبير قال كانوا ثلاثة عشر ونحوه قال الاصفهاني والاسلام الانقياد والاستسلام لامر الله سبحانه فكل مؤمن مسلم ومن ذلك قوله قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا وقد اوضح الفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الاسلام والايمان في الحديث الثابت في الصحيحين وغيرهما من طرق انه سئل عن الاسلام فقال ان تشهد ان لا اله الا الله وتقيم الصلوة وتؤتي الزكوة وتحج البيت وتصوم رمضان وسئل عن الايمان فقال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره فالمرجع في الفرق بينهما هو الذي قاله المصدوق الصادق ولا التفات الى غيره مما قاله اهل العلم في رسم كل واحد منهما برسوم مضطربة مختلفة متناقضة واما ما في الكتاب العزيز من اختلاف مواضع استعمال الاسلام والايمان فذلك باعتبار المعاني اللغوية والاستعمالات العربية والواجب تقديم الحقيقة الشرعية على اللغوية والحقيقة الشرعية هي هذه التي اخبرنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم واجاب سؤال السائل له عن ذلك بها قال الكرخي فيه اشارة الى ما قاله الخطابي وغيره ان المسلم قد يكون مؤمنا وقد لا يكون والمؤمن مسلم دائما فهو اخص وبهذا يستقيم تاويل الآيات والاحاديث وَتَرَكْنَا فِيهَا اي في تلك القرى بعد اهلاك الكافرين آيَةً اي علامة ودلالة تدل على ما اصابهم من العذاب وهي تلك الاحجار او صخر منضود او ماء اسود منتن خرج من ارضهم او آثار العذاب في تلك القرى فانها ظاهرة بينة وقيل هذه الآية المتروكة نفس القرى الخربة لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ اي كل من يخاف عذاب الله ويخشاه من اهل ذلك الزمان ومن بعدهم فلا يفعل مثل فعلهم وانما خص هؤلاء لانهم الذين يتعظون بالمواعظ ويتفكرون في الآيات دون غيرهم ممن لا يخاف ذلك وهم المشركون المكذبون بالبعث والوعد والوعيد وَتَرَكْنَا فِي قصة

مُوسٰى اٰية وهذا معنى واضح قاله السمين او في الارض في موسى ايات قاله الفراء وابن عطية و الزمخشري قال ابو حيان وهو بعيد جدا ينزه القران عن مثله وقيل وتركنا فيها اية وجعلنا في موسى اية قال ابو حيان ولا حاجة الى اضمار وجعلنا لانه قد امكن ان يكون العامل في المجرور وتركنا والوجه الاول هو الاولى وما عداه متكلف متعسف لم تلجأ اليه حاجة ولا دعت اليه ضرورة إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ الظرف متعلق بمحذوف وهو نعت لآية اي كائنة وقت ارسلنا او باية نفسها او منصوب بتركنا والاول اولى بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ وهو الحجة الظاهرة الواضحة وهي العصا وما معها من الايات التسع فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ التولي الاعراض والركن الجانب قاله الاخفش والمعنى اعرض عن الايمان بجانبه اي مع جنوده لانهم له كالركن كما في قوله اعرض ونأى بجانبه قال الجوهري ركن الشيء جانبه الاقوى ويأوي الى ركن شديد اي عز ومنعة وقال ابن عباس بركنه بقومه وقال ابن زيد ومجاهد وغيرهما الركن جمعه وجنوده الذين كان يتقوى بهم ومنه قوله تعالى او آوي الى ركن شديد اي عشيرة ومنعة وقيل الركن نفس القوة وبه قال قتادة وغيره وَقَالَ فرعون في حق موسى سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ فردد فيما راه من احوال موسى بين كونه ساحرا او مجنونا فاو هنا على بابها من الابهام على السامع او للشك نزل نفسه منزلة الشاك في امره تمويها على قومه وهذا من اللعين مغالطة وايهام لقومه فانه يعلم ان ما راه من الخوارق لا يتيسر على يد ساحر ولا يفعله من به جنون وقال ابو عبيدة ان او بمعنى الواو لانه قد قال ذلك جميعا ولم يتردد وبه قال المؤرج والفراء كقوله ولا تطع منهم اثما او كفورا قال تعالى ان هذا لساحر عليم وقال في موضع اخر ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وتجيء او بمعنى الواو ورد النحاس عليه وقالوا لا ضرورة تدعو الى ذلك واما الايتان فلا يدلان على انه قالهما معا وانما يفيدان انه قالهما اعم من ان يكونا معا او وهذا في وقت وهذا في وقت اخر ذكره السمين فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ اي طرحناهم في البحر فغرقوا وَهُوَ اي فرعون مُلِيمٌ اي ات بما يلام عليه حين ادعى الربوبية وكذب الرسل وكفر بالله وطغى في عصيانه وفي الاسناد تجوز على حد عيشة راضية يقال الام الرجل فعل ما يستحق عليه اللوم واللوم العذل تقول لامه على كذا من باب قال ولومه ايضا فهو ملوم واللائمة الملامة وَتركنا فِي قصة اهلاك عَادٍ اٰية إِذْ أَرْسَلْنَا

عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ وهي التي لا خير فيها ولا بركة لا تلقح شجراً ولا تحمل مطراً انما هي ريح العذاب والاهلاك
قال علي هي النكباء وهي كل ريح هبت بين ريحين لتنكبها وانحرافها عن مهاب الرياح المعروفة وهي رياح
متعددة لا ريح واحدة قال ابن عباس الريح العقيم الشديدة التي لا تلقح شيئاً وعنه قال لا تلقح الشجر ولا تثير
السحاب واختلف فيها فقيل الجنوب والاظهر انها الدبور لقوله صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا واهلكت
عاد بالدبور وفيه ايذان بان العقم ههنا مستعار للمعنى المذكور على سبيل التبعية شبه ما في الريح
من الصفة التي تمنع من انشاء مطر او القاح شجر بما في المرأة من الصفة المذكورة التي تمنع من الحمل ثم
قيل العقيم واريد به ذلك المعنى بقرينة وصف الريح به او سماها عقيماً لانها اهلكتهم وقطعت دابرهم
افاده الكرخي وفي الشهاب اصل العقم اليبس المانع من قبول الاثر كما قاله الراغب وهو فعيل بمعنى فاعل
او مفعول فلما اهلكتهم وقطعت نسلهم شبه ذلك الاهلاك بعدم الحمل لما فيه من اذهاب النسل
وهذا هو المراد هنا ثم وصف سبحانه هذه الريح فقال مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ اي مرت عليه من
انفسهم وانعامهم واموالهم إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ اي كالشيء الهالك البالي المتفتت وقال قتادة
هو الذي ديس من يابس النبات وقال السدي وابو العالية انه التراب المدقوق وقال قطرب
انه الرماد وقيل ما دسته الماشية من الكلاء واصل الكلمة من رم العظم اذا بلي فهو رميم والرمة
العظام البالية والجمع رمم ورمام قال ابن عباس كالرميم كالشيء الهالك البالي وفي القرطبي
كالشيء الهشيم يقال للنبت اذا يبس وتفتت رميم وهشيم والتقدير ما تترك من شيء الا جعلته
كالرميم فالجملة في موضع المفعول الثاني لتذر واعربها ابو حيان حالاً وليس بظاهر وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ
لَهُمْ اي وتركنا في قصة ثمود اية وقت ان قلنا لهم بعد عقر الناقة تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ اي عيشوا
متمتعين بالدنيا الى حين وقت الهلاك وانقضاء الاجل وهو ثلاثة ايام كما في قوله تعالى تمتعوا
في داركم ثلاثة ايام فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ اي تكبروا عن امتثال امر الله وهذا ترتيب اخباري والا ففي
الحقيقة عتوهم انما كان قبل وعدهم بالهلاك الذي هو المراد من قوله تمتعوا حتى حين على
تفسيره اذ المراد به ما بقي من اجالهم والمراد بامر ربهم هو المذكور في سورة هود يا قوم هذه ناقة الله
لكم اية فَأَخَذَتْهُمُ بعد مضي الثلاثة ايام الصَّاعِقَةُ وهي كل عذاب مهلك وقرئ الصعقة
وهي المرة من مصدر صعقتهم الصاعقة واخذتهم من بعد عقر الناقة والصاعقة هي نار نزل

من السماء فيها رعد شديد وقدم الكلام على الصاعقة في البقرة وفي مواضع وَهُمْ يَنْظُرُونَ
اي يرونها عيانا لانها كانت نهارا وقيل ان المعنى ينتظرون ما وعدوه من العذاب والاول اولى
فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ اي لم يقدروا على القيام حين نزول العذاب قال قتادة من نهوض
يعني لم ينهضوا من تلك الصرعة والمعنى انهم عجزوا عن القيام فضلا عن الهرب ومثله قوله تعالى
فاصبحوا في ديارهم جاثمين وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ اي ممتنعين من عذاب الله بغيرهم ممن اهلكهم
الله اولم تمكنهم مقابلتها بالعذاب لان معنى الانتصار المقابلة وَاهلكنا او ونبذناهم ونبذنا او واذكر قَوْمَ
نُوحٍ وثلاثة اوجه اخر في النصب ذكرها السمين وفي قراءة الجر اربعة اوجه ذكرها
السمين ايضا لا نطول بذكرها مِنْ قَبْلُ اي من قبل هؤلاء المهلكين فان زمانهم متقدم
على زمن فرعون وعاد وثمود إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ اي خارجين عن طاعة الله وَالسَّمَاءَ
بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ اي بقوة وقدرة قاله ابن عباس قيل التقدير وبنينا السماء بنيناها وقرئ برفع
السماء على الابتداء والنصب ارجح لعطف جملة الاشتغال على جملة فعلية قبلها وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ
الموسع ذو الوسع والسعة والمعنى انا لذو سعة بخلقها وخلق غيرها لا نعجز عن ذلك وقيل لقادرون
من الوسع بمعنى الطاقة والقدرة وقيل انا لموسعون الرزق بالمطر قال الجوهري اوسع الرجل صار
ذا سعة وغنى وقيل جاعلوها واسعة وعليه تكون الحال مؤسسة اخبر اولا انه بناها بقوته وقدرته
وثانيا بانه وسعها اي جعلها واسعة فالارض بالنسبة اليها كحلقة في فلاة وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا
قرئ بنصب الارض على الاشتغال وبرفعها على الابتداء والاول اولى والمعنى بسطناها ومهدناها
ومددناها فالفراش كناية عن البسط والتسوية فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ اي نحن يقال مهدت الفراش
بسطته ووطأته وتمهيد الامور تسويتها واصلاحها وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ اي صنفين
وامرين متقابلين او نوعين من ذكر وانثى وبر وبحر وشمس وقمر وحلو ومر وسماء وارض وليل ونهار
ونور وظلمة وجن وانس وخير وشر وموت وحياة وسهل وحزن وصيف وشتاء وايمان وكفر
وسعادة وشقاوة وحق وباطل وحلو وحامض وسرور وغم الى غير ذلك مما لا يحصر فكل اثنين منها
زوج والله تعالى فرد لا مثل له فلا يرد كون كل من العرش والكرسي واللوح والقلم لم يخلق من كل منها الا
واحد لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ اي خلقنا ذلك هكذا لتتذكروا وتعرفوا انه خالق كل شيء وتستدلوا به

على توحيد الله وصدق وعده ووعيده فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ اي قل لهم يا محمد اذا كان الامر كذلك
ففروا واهربوا الى الله بالتوبة من ذنوبكم عن الكفر والمعاصي اي الى ثوابه من عقابه بان تطيعوه ولا
تعصوه وقيل المعنى اخرجوا من مكة وقال الحسين بن الفضل احترزوا عن كل شيء غير الله فمن
فر الى غيره لم يمتنع منه وقيل فروا من طاعة الشيطان الى طاعة الرحمن وقيل فروا من الجهل
الى العلم والمعاني متقاربة اي اذا علمتم ان الله تعالى واحد لا نظير له ففروا اليه ووحدوه ولا تشركوا
به شيئا إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ اي من الله اي من جهته نَذِيرٌ منذر مُبِينٌ بين الانذار والجملة تعليل للامر
بالفرار وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ تنصيص على اعظم ما يجب ان يفر منه وهو الشرك فنهاهم عن
الشرك بالله بعد ان امرهم بالفرار الى الله إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ تعليل للنهي وتكرير للتوكيد
والاطالة في الوعيد ابلغ او الاول مرتب على ترك الايمان والطاعة والثاني مرتب على الاشراك وقيل
انما كرر ليعلم ان الايمان لا ينفع الا مع العمل كما ان العمل لا ينفع الا مع الايمان وانه لا يفوز ولا ينجو عند الله
الا الجامع بينهما كَذَٰلِكَ اي الامر الشأن والقصة كذلك والكاف بمعنى مثل ثم فسر ما اجمل بقوله
مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ في هذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ببيان ان هذا شأن الامم المتقدمة وان ما وقع من العرب من التكذيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفه
بالسحر والجنون قد كان ممن قبلهم لرسلهم أَتَوَاصَوْا بِهِ الاستفهام للتقريع والتوبيخ والتعجيب
من حالهم اي هل اوصى اولهم اخرهم بالتكذيب وتواطئوا عليه حتى قالوه جميعا متفقين عليه
او الاستفهام للنفي اي ما وقع منهم وصية بذلك لانهم لم يتلاقوا في زمان واحد بَلْ هُمْ قَوْمٌ
طَاغُونَ اضراب عن التواصي الى ما جمعهم من الطغيان اي لم يتواصوا بذلك بل جمعهم الطغيان
وهو مجاوزة الحد في الكفر فهو اضراب انتقالي ثم امر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم بالاعراض عنهم فقال
فَتَوَلَّ عَنْهُمْ اي اعرض عنهم وكف عن جدالهم ودعائهم الى الحق فقد فعلت ما امرك الله به وبلغت
رسالته وكررت عليهم الدعوة فابوا الا الاصرار والعناد فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ عند الله على الاعراض بعد
هذا لانك قد اديت ما عليك وما قصرت فيما امرت به وبذلت المجهود في البلاغ وهذا منسوخ
بآية السيف او بقوله الآتي وذكر الآية قال ابن عباس امره الله ان يتولى عنهم ليعذبهم وعذر
محمد صلى الله عليه وسلم ولما امره بالاعراض عنهم امره بان لا يترك التذكير والموعظة بالتي هي احسن فقال

وَذَكِّرْ أي جميعهم فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ أي من قدر الله إيمانه او من آمن فانه يزداد
بها بصيرة قال الكلبي المعنى عظ بالقرآن من آمن من قومك فان الذكرى تنفعهم وقال مقاتل عظ
كفار مكة فان الذكرى تنفع من كان في علم الله انه يؤمن وقيل ذكرهم بالعقوبة وايام الله وخص
المؤمنين بالتذكير لانهم المنتفعون به وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ جملة مستأنفة مقررة
لما قبلها لان كون خلقهم لمجرد العبادة مما ينشط رسول الله صلى الله عليه وسلم للتذكير وينشطهم للاجابة
قيل هذا خاص فيمن سبق بعلم الله انه يعبده فهو عموم مراد به الخصوص قال الواحدي قال المفسرون
هذا خاص لاهل طاعته يعني من اهل من الفريقين قال وهذا قول الكلبي والضحاك واختيار الفراء
وابن قتيبة قال القشيري والآية دخلها التخصيص بالقطع لان المجانين لم يؤمروا بالعبادة ولا
ارادها منهم وقد قال ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس ومن خلق لجهنم لا يكون ممن
خلق للعبادة قاله شيخ الاسلام زكريا نقلا عن الرازي فالآية محمولة على المؤمنين منهم ويدل
عليه قراءة ابي بن كعب وابن مسعود وما خلقت الجن والانس من المؤمنين الا ليعبدون وقال
مجاهد ان المعنى الا ليعرفوني قال الثعلبي وهذا قول حسن لانه لو لم يخلقهم لما عرف وجوده و
توحيده وروي عن مجاهد انه قال المعنى الا لآمرهم وانهاهم ويدل عليه قوله وما امروا الا ليعبدوا
الله الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون واختار هذا الزجاج وقال زيد بن اسلم هو ما جبلوا
عليه من السعادة والشقاوة فخلق السعداء من الجن والانس للعبادة وخلق الاشقياء للمعصية
وقال الكلبي المعنى الا ليوحدون فاما المؤمن فيوحده في الشدة والرخاء واما الكافر فيوحده في
الشدة دون النعمة كما في قوله واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين وقال جماعة
الا ليخضعوا الي ويتذللوا ومعنى العبادة في اللغة الذل والخضوع والانقياد وكل مخلوق من الجن و
الانس خاضع لقضاء الله متذلل لمشيئته منقاد لما قدره عليه خلقهم على ما اراد ورزقهم كما قضى
لا يملك احد منهم لنفسه نفعا ولا ضرا ووجه تقديم الجن على الانس ههنا تقدم وجودهم قال ابن عباس
في الآية ليقروا بالعبودية طوعا او كرها وعنه قال على ما خلقتهم عليه من طاعتي ومعصيتي وشقوتي
وسعادتي وقيل هذا لا ينافي تخلف العبادة بالفعل من بعضهم لان هذا البعض وان لم يعبد الله لكن
فيه التهيؤ والاستعداد الذي هو الغاية بالحقيقة وهذا احسن مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ

يُطْعِمُوْنَ هذه الجملة فيها بيان استغنائه سبحانه عن عباده وانه لا يريد منهم منفعة كما يريد السادة
من عبيدهم بل هو الغني المطلق الرازق المعطي وقيل المعنى ما اريد منهم ان يرزقوا احدا من عبادي
ولا ان يرزقوا انفسهم ولا يطعموا احدا من خلقي ولا يطعموا انفسهم وانما اسند الاطعام الى نفسه لان
الخلق عيال الله فمن اطعم عيال الله فهو كمن اطعمه وهذا ——— كما ورد في قوله صلى الله عليه وسلم
يقول الله عبدي استطعمتك فلم تطعمني اي لم تطعم عبادي ومن زائدة لتوكيد العموم ثم بين
سبحانه انه هو الرزاق لا غيره فقال اِنَّ اللّٰهَ هُوَ الرَّزَّاقُ لا رازق سواه ولا معطي غيره
فهو الذي يرزق مخلوقاته ويقوم بما يصلحهم فلا يشتغلوا بغير ما خلقوا له من العبادة تعليل
لعدم ارادة الرزق منهم ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِيْنُ تعليل لعدم احتياجه الى استخدامهم في تمامه من اصلاح
طعامه وشرابه ونحو ذلك قرأ الجمهور برفع المتين على انه وصف لرزاق او لذو او خبر بعد خبر
او خبر مبتدأ مضمر وعلى كل تقدير فهو تاكيد لان ذو القوة يفيد فائدته وقرئ بالجر صفة للقوة
والتذكير لكون تانيثها غير حقيقي قال الفراء كان حقه المتينة فذكرها لانه ذهب بها الى الشيء المبرم
المحكم الفتل يقال حبل متين اي محكم الفتل ومعنى المتين هنا الشديد القوة قال ابن عباس
المتين الشديد فَاِنَّ لِلَّذِيْنَ ظَلَمُوْا انفسهم بالكفر والمعاصي من اهل مكة وغيرهم ذَنُوْبًا اي نصيبا
من العذاب مِثْلَ ذَنُوْبِ اَصْحٰبِهِمْ اي نصيب الكفار من الامم السالفة قال ابن الاعرابي يقال يوم
ذنوب اي طويل الشر لا ينقضي واصل الذنوب في اللغة الدلو العظيمة ومن استعمال الذنوب في
النصيب من الشيء قول الشاعر ؎ لعمرك والمنايا طارقات + لكل بني اب منها ذنوب + وما في
الاية ماخوذ من مقاسمة السقاة الماء بالدلو الكبيرة فيكون لهذا ذنوب ولهذا ذنوب فهو تمثيل
جعل الذنوب مكان الحظ والنصيب قاله ابن قتيبة وقيل عبر عن النصيب بالذنوب لشبهه
به في انه يصب عليهم العذاب كما يصب الذنوب قال تعالى يصب من فوق رؤسهم الحميم قال
ابن عباس ذنوبا دلوا قال الراغب الذنوب الدلو الذي له ذنب فَلَا يَسْتَعْجِلُوْنِ اي فلا تطلبوا
مني اعجل لكم العذاب كما في قوله فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين فَوَيْلٌ لِّلَّذِيْنَ كَفَرُوْا والفاء
لترتيب ما بعدها على ما قبلها كما ان الفاء الاولى لترتيب النهي عن الاستعجال على ذلك ووضع الموصول
موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالكفر واشعارا بعلة الحكم مِنْ يَّوْمِهِمُ الَّذِيْ يُوْعَدُوْنَ العذاب قبل

هو يوم القيامة وقيل يوم بدر والاول اولى

سورة الطور وفي نسخة الطور بالواو وهي تسع او ثمان واربعون اية

وهي مكية قال القرطبي في قول الجميع قال ابن عباس نزلت الطور بمكة وعن ابن الزبير مثله وعن جبير بن مطعم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور اخرجه البخاري ومسلم وغيرهما وعن ام سلمة انها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الى جنب البيت بالطور وكتاب مسطور اخرجه البخاري وغيره

بسم الله الرحمن الرحيم

والطور قال الجوهري والقرطبي هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام قال مجاهد والسدي الطور بالسريانية الجبل والمراد به طور سينا قال مقاتل بن حيان هما طوران يقال لاحدهما طور سينا وللاخر طور زيتا لانهما ينبتان التين والزيتون وقيل هو جبل مدين واسمه زبير قلت ومدين بالارض المقدسة وهي قرية شعيب عليه السلام وقيل ان الطور كل جبل ينبت الشجر المثمر وما لا ينبت فليس بطور فاقسم الله سبحانه بهذا الجبل تشريفا له وتكريما وتذكيرا بما فيه من الايات قال ابن عباس الطور جبل عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطور جبل من جبال الجنة اخرجه ابن مردويه وكثير ضعيف جدا وكتاب مسطور اي مكتوب متفق الكتابة بسطور مصفوفة في حروف مرتبة جامعة لكلمات متفقة والسطر الصف من الشيء يقال بنى سطرا والسطر ايضا الخط والكتابة وهو في الاصل مصدر وبابه نصر وسطر ايضا بفتحتين والجمع اسطار كسبب واسباب وجمع الجمع اساطير وجمع السطر السطر وسطور كافلس وفلوس والمراد بالكتاب القرآن ونكره لانه كتاب مخصوص من بين سائر الكتب او للاشعار بانه ليس مما يتعارفه الناس وقيل هو اللوح المحفوظ وقيل جميع الكتب المنزلة وقيل ما تكتبه الحفظة قاله الفراء وغيره ومثله ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا وقوله اذا الصحف نشرت وقال الكلبي هو ما كتب الله لموسى بيده من التوراة وموسى يسمع صرير القلم وقيل انه الكتاب الذي كتبه الله تعالى لملائكته في السماء يقرءون فيه ما كان وما يكون وقيل المراد ما كتبه الله في قلوب الاولياء من المؤمنين بيانه اولئك كتب في قلوبهم الايمان وفيه بعد في رق اي مكتوب في رق وهو الصحيفة

قال الجوهري الرق بالفتح ما يكتب فيه وهو جلد رقيق ومنه قوله تعالى في رق منشور وقال المبرد الرق ما دق من الجلد ليكتب فيه قال ابو عبيد وجمعه رقوق قال الراغب الرق كل ما يكتب فيه جلدا كان او غيره وقرئ بفتح الراء ويجوز كسرها كما قرئ به شاذا واما الرق الذي هو ملك الارقاء فهو بالكسر لا غير يقال عبد رق وعبد مرقوق مَّنشُورٍ مبسوط مفتوح غير مطوي لا ختم عليه اولا ثم وهو بالنسبة للتوراة الالواح التي انزلت على موسى وبالنسبة للقرآن المصحف وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ بكثرة الغاشية والاهل والزوار من الملائكة قيل هو في السماء السابعة وقيل في سماء الدنيا وقيل هو الكعبة فعلى القولين الاولين يكون وصفه بالعمارة باعتبار من يدخل اليه من الملائكة ويعبد الله فيه وعلى القول الثالث يكون وصفه بالعمارة حقيقة او مجازا باعتبار كثرة من يتعبد فيه من بني آدم وقيل هو في السماء الثالثة او السادسة او الرابعة فهذه اقوال ستة في محل البيت المعمور وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت المعمور في السماء السابعة يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه حتى تقوم الساعة اخرجه ابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الشعب وفي الصحيحين وغيرهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في حديث الاسراء بعد مجاوزته الى السماء السابعة ثم رفع لي البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه وعن ابي الطفيل ان ابن الكوّى سال عليا عن البيت المعمور فقال ذاك الضراح بيت فوق سبع سموات تحت العرش يدخله كل يوم سبعون الف ملك ثم لا يعودون اليه ابدا الى يوم القيامة ونحوه عن ابن عباس وعن ابن عمرو رفعه ان البيت المعمور لبحيال الكعبة لو سقط منه شيء لسقط عليها يصلي فيه كل يوم سبعون الفا ثم لا يعودون اليه وعن ابن عباس نحوه وضعف اسناده السيوطي وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ يعني السماء سماها سقفا لكونها كالسقف للارض ومنه قوله تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا وقيل هو العرش وهو سقف الجنة وقال علي السماء وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ اي الموقد المحمي من السجر وهو ايقاد النار في التنور ومنه قوله واذا البحار سجرت وقد ورد ان البحار تسجر يوم القيامة فتكون نارا وقيل المسجور المملو بالماء وهو البحر المحيط كما ذكره العمادي قيل انه من اسماء الاضداد يقال بحر مسجور اي مملو وبحر مسجور اي فارغ خال وقيل المسجور المسول ومنه ساجور الكلب لانه يمسكه وقال ابو العالية المسجور الذي ذهب ماؤه ونضب وقيل المسجور المفجر ومنه

الضراح بالضم بيت في السماء وهو البيت المعمور صحاح الجوهري

قوله واذا البحار فجرت وقال الربيع بن انس هو الذي يختلط فيه العذب بالملح والاول اولى وبه قال
مجاهد والضحاك ومحمد بن كعب والاخفش وغيرهم وعن علي في الآية قال بحر في السماء تحت العرش
وعن ابن عمر مثله وقال ابن عباس المسجور المحبوس وعنه المرسل والواو الاولى للقسم والبواقي للعطف
اقسم الله بهذه الاشياء لما فيها من عظيم قدرته وجواب القسم قوله إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ اي
كائن لا محالة لمن يستحقه مَا لَهُ مِن دَافِعٍ يدفعه ويرده عن اهل النار خبر ثان لان او صفة لواقع
ومن مزيدة للتاكيد ووجه تخصيص هذه الامور بالاقسام بها انها عظيمة دالة على كمال القدرة
الربانية يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا اي انه لواقع في هذا اليوم والمور الاضطراب والحركة قال اهل
اللغة مار الشيء يمور مورا اذا تحرك وجار وجاء وذهب قاله الاخفش وابو عبيدة وقال ابن عباس
تحرك وقال الضحاك يموج بعضها في بعض وقال مجاهد تدور دورا وقيل تجري جريا وقيل تتكفأ
قاله الاخفش قال البغوي والمور يجمع هذه المعاني اذ هو في اللغة الذهاب والمجيء والتردد والدوران
والاضطراب ويطلق المور على الموج ومنه ناقة موّارة اليد اي سريعة تموج في مشيها موجا ومعنى
الآية ان العذاب يقع بالعصاة ولا يدفعه عنهم واقع في هذا اليوم الذي تكون فيه السماء هكذا
وهو يوم القيامة وقيل ان السماء ههنا الفلك وموره اضطراب نظمه واختلاف سيره وَتَسِيرُ
الْجِبَالُ سَيْرًا اي تزول عن اماكنها وتسير عن مواضعها كسير السحاب وتطير في الهواء ثم تقع على
الارض مفتتة كالرمل ثم تصير كالعهن اي الصوف المندوف ثم تطيرها الرياح فتكون هباء منبثا
كما دل عليه كلامه في سورة النمل قيل ووجه تاكيد الفعلين بالمصدر الدلالة على غرابتهما وخروجهما
عن المعهود والحكمة في مور السماء وسير الجبال الاعلام والانذار بان لا رجوع ولا عود الى الدنيا
لخرابها وعمارة الآخرة وقد تقدم تفسير مثل هذا في سورة الكهف فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ
ويل كلمة عذاب يقال للهالك واسم واد في جهنم وانما دخلت الفاء لان في الكلام معنى المجازاة
اي اذا وقع ما ذكر من مور السماء وسير الجبال فويل لهم اي شدة عذاب ثم وصف المكذبين بقوله
الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ اي في تردد في الباطل واندفاع فيه يلهون لا يذكرون حسابا
ولا يخافون عقابا والمعنى انهم يخوضون في امر محمد صلى الله عليه وسلم بالتكذيب والاستهزاء وقيل يخوضون
في اسباب الدنيا ويعرضون عن الآخرة والخوض من المعاني الغالبة فانه يعبر بالخوض عن كل شيء لانه

غلب في الخوض في الباطل كالاحضار فانه عام في كل شيء ثم غلب استعماله في الاحضار للعذاب قال تعالى لكنت من المحضرين ونظيره في الاسماء الغالبة دابة فانها غلبت في ذوات الاربع والقوم غلب في الرجال افاده الكرخي اخذا عن حواشي الكشاف يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا الدع الدفع بعنف وجفوة يقال دععته ادعه دعا اي دفعته قال الراغب اصله ان يقال للعاثر دع دع وهذا بعيد من هذه اللفظة والمعنى انهم يدفعون الى النار دفعا عنيفا شديدا قال مقاتل تغل ايديهم الى اعناقهم وتجمع نواصيهم الى اقدامهم ثم يدفعون الى جهنم دفعا على وجوههم وقرئ يدعون مخففا من الدعاء اي يدعون الى النار قال ابن عباس يدعون يدفعون اي يدفع في اعناقهم حتى يردوا النار فاذا دنوا منها قال لهم خزنتها هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي تشاهدونها هي النار التي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ في الدنيا ثم وبخهم سبحانه او امر ملائكته بتوبيخهم فقال أَفَسِحْرٌ هَٰذَا الذي تشاهدون وترون كما كنتم تقولون لرسل الله المرسلة ولكتبه المنزلة هذا سحر وقدم الخبر هنا على المبتدأ لانه الذي وقع الاستفهام عنه وتوجه التوبيخ اليه أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ اي ام انتم عمي عن هذا كما كنتم عميا عن الحق في الدنيا وهذا بازاء قولهم في الدنيا انما سكرت ابصارنا وظاهر كلام الكشاف ان ام منقطعة حيث قال ام انتم عمي عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر وهذا تقريع وتهكم وفي التفسير الكبير هل في امرنا سحر ام هل في بصركم خلل اي لا واحد منهما ثابت فجعلها معادلة اصْلَوْهَا اي اذا لم يمكنكم انكارها وتحققتم ان ذلك ليس بسحر ولم يكن في ابصاركم خلل فالآن ادخلوها وقاسوا شدتها فَاصْبِرُوا على العذاب أَوْ لَا تَصْبِرُوا وافعلوا ما شئتم فالامران سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ في عدم النفع قاله ابو حيان وبه قال ابو البقا وقيل سواء عليكم الصبر وعدمه واليه نحا الزمخشري والاول احسن لان جعل النكرة خبرا اولى من جعلها مبتدأ وجعل المعرفة خبرا إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ تعليل للاستواء فان الجزاء بالعمل اذا كان واقعا حتما كان الصبر وعدمه سواء إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ لما فرغ سبحانه من ذكر حال المجرمين ذكر حال المتقين والجملة مستانفة او من جملة ما يقال للكفار زيادة في غمهم وحسرتهم والتنوين في جنات ونعيم للتفخيم فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ يقال رجل فاكه اي ذو فاكهة كما قيل

لا ابن وتأثيم والمعنى انهم ذوو فاكهة من فواكه الجنة وقيل ذوو نعمة وتلذذ بما صاروا فيه مما اعطاهم
الله عز وجل مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقد تقدم بيان معنى هذا قرأ الجمهور فاكهين
بالالف والنصب على الحال وقرئ بالواو على انه خبر بعد خبر وقرئ فكهين والفكه طيب النفس كما تقدم في الدخان
ويقال للاشر والبطر ولا يناسب التفسير به هنا والمفاكهة الممازحة وتفكه تعجب وقيل تندم قال تعالى
فظلتم تفكهون اي تندمون وتفكه بالشيء تمتع به قيل ما مصدرية وفيه بعد من حيث المعنى اذ
التفكه ليس باعطاء الرب بل بالمعطي وقيل موصولة والباء على اصلها او بمعنى في ووقاهم ربهم
عذاب الجحيم معطوف على الصلة او حال بتقدير قد او معطوف على في جنات والاول اظهر كلوا واشربوا
هنيئا اي يقال لهم ذلك والهنيء ما لا تنغيص فيه ولا نكد ولا كدر قال الزجاج اي ليهنكم ما صرتم اليه هنيئا
والمعنى كلوا طعاما هنيئا وقد تقدم تفسير هنيئا في سورة النساء وقال ابن عباس هنيئا اي لا
تموتون فيها فعندها قالوا افما نحن بميتين الا موتتنا الاولى وما نحن بمعذبين بما اي بسبب ما كنتم تعملون في الدنيا
للاخرة متكئين على نمارق على سرر بضم الراء الاولى جمع سرير وقرئ بفتحها مصفوفة قال ابن الاعرابي
المصفوفة المتصل بعضها ببعض حتى تصير صفا اي موضوعة بعضها الى بعض قيل سرر من ذهب
مكللة بالدر والزبرجد والياقوت والسرير كما بين مكة وايلة وزوجناهم قال يونس بن حبيب
تقول العرب زوجته امرأة وتزوجت بامرأة وليس من كلام العرب زوجته بامرأة قال وقول
الله تعالى وزوجناهم بحور عين اي قرناهم وقال الفراء زوجته بامرأة لغة ازد شنوءة وانما قلنا
قرناهم لان الحور العين في الجنات مملوكات بملك اليمين لا بملك النكاح يقال زوجت ابلي اي قرنت
بعضها الى بعض وليس من التزويج الذي هو عقد النكاح قرأ الجمهور بحور عين من غير اضافة وقرأ
عكرمة باضافة الحور الى العين وهن عظام الاعين حسانها اشد ابياض الاعين وقد تقدم تفسيرها
في سورة الدخان ولما فرغ سبحانه من ذكر اهل الجنة على العموم ذكر حال طائفة منهم على الخصوص
فقال والذين آمنوا فيه ثلاثة اوجه احدها انه منصوب بفعل مقدر اي واكرمنا الذين آمنوا
والثاني انه مجرور على ما قاله الزمخشري والذين آمنوا معطوف على حور عين اي قرناهم بحور عين
وبالذين آمنوا اي بالرفقاء والجلساء منهم فيتمتعون تارة بملاعبة الحور العين وتارة بمؤانسة الاخوان
قال ابو حيان ولا يتخيل احد ان قوله والذين آمنوا معطوف على بحور عين غير هذا الرجل وهو تخيل اعجمي

مخالف لفهم العربي ابن عباس وغيره قلت اما ما ذكره ابو القاسم المبين فلا شك في حسنه ونضارته
وليس فى الكلام العربي ما يدفعه بل لو عرض على ابن عباس وغيره لاعجبهم واي مانع معنوي او
صناعي يمنعه والثالث انه مرفوع على انه مبتدأ والخبر الجملة من قوله الحقنا بهم والاول اولى وقيل المراد
بالذين آمنوا المهاجرون والانصار وظاهر الآية العموم ولا يوجب تخصيصها بهم كونهم السبب في
نزولها ان صح ذلك فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ﴿وَأَتْبَعْنَاهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ﴾ اي
حال كون الذرية متلبسة بايمان استقلالي او تبعي اما الذرية الكافرة فلا تتبع اباءها
وهذا على ان الباء للملابسة لكن جمهور المفسرين على انها للسببية او بمعنى في وبهذا الاعتبار
لا يظهر دخول الاولاد الكبار فان ايمانهم استقلالي لا تبعي كالصغار وقال ابو السعود اعتبار هذا
القيد للايذان بتبوت الحكم في الايمان الكامل اصالة لا الحاقا وقرئ اتبعناهم باسناد الفعل الى المتكلم
المعظم نفسه كقوله الحقنا وقرأ اتبعتهم باسناد الفعل الى الذرية وقرئ ذريتهم بالافراد والجمع
ومعنى الآية ان الله سبحانه يرفع ذرية المؤمن اليه وان كانوا دونه في العمل لتقر عينه وتطيب نفسه
بشرط ان يكونوا مؤمنين فيختص ذلك بمن يتصف بالايمان من الذرية وهم البالغون دون الصغار
فانهم وان كانوا لاحقين بآبائهم فبدليل آخر غير هذه الآية وقيل ان الذرية تطلق على الكبار
والصغار كما هو المعنى اللغوي فيلحق بالآباء المؤمنين صغار ذريتهم وكبارهم ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾
الذرية هنا تصدق على الآباء وعلى الابناء فان المؤمن اذا كان عمله اكثر الحق به من دونه في
العمل ابنا كان او ابا وهو منقول عن ابن عباس وغيره ويلحق بالذرية من النسب الذرية بالسبب
وهو المحبة فان كان معها اخذ علم او عمل كانت اجدر فتكون ذرية الافادة كذرية الولادة قاله
الخطيب ولعل الاول اولى وقيل ان الضمير في بهم راجع الى الذرية المذكورة اولا اي الحقنا بالذرية
المتبعة لاباءهم بايمان ذريتهم والحاق الذرية بهم بمحض الفضل والكرم وهذا هو الاليق بكمال لطفه
قال ابن عباس في هذه الآية ان الله ليرفع ذرية المؤمن معه في درجته في الجنة وان كانوا دونه
لتقر بهم عينه ثم قرء هذه الآية واخرجه البزار وابن مردويه عنه مرفوعا وعنه ايضا ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل الرجل الجنة سأل عن ابويه وزوجته وولده فيقال انهم لم يبلغوا درجتك
وعملك فيقول يا رب قد عملت لي ولهم فيؤمر بالحاقهم به اخرجه الطبراني وابن مردويه وعن علي

بن ابي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمنين واولادهم في الجنة وان المشركين
واولادهم في النار ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا الآية اخرجه عبد الله بن احمد في
زوائد المسند وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح
في الجنة فيقول يارب من اين لي هذا فيقول باستغفار ولدك لك اخرجه احمد واسناده صحيح
وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ قرئ بفتح اللام من ألتنا وبكسرها وهما سبعيتان اي وما نقصنا
الآباء بالحاق ذريتهم بهم من ثواب اعمالهم شيئا وقيل المعنى وما نقصنا الذرية من اعمالهم شيئا
لقصر اعمارهم والاول اولى وقد قدمنا تحقيق معنى لاته ولاته في سورة الحجرات وقرئ والتناهم
بالمد وهو لغة قال في الصحاح يقال ماالاته من عمله شيئا اي ما نقصته قال ابن عباس ما التناهم
ما نقصناهم ومن زائدة كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ يعني مرهون والظاهر انه عام وان كل
انسان مرتهن بعمله فان قام به على الوجه الذي امره الله به فكه والا اهلكه وقيل هو بمعنى راهن
والمعنى كل امرئ بما كسب ثابت دائم وقيل هذا خاص بالكفار لقوله كل نفس بما كسبت رهينة الا
اصحاب اليمين ثم ذكر سبحانه ما امدهم به من الخير فقال وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا
يَشْتَهُونَ اي وزدناهم على ما كان لهم من مبادي التنعم وقتا فوقتا بفاكهة متنوعة ولحم من
انواع اللحمان مما تشتهيه انفسهم ويستطيبونه من فنون النعماء وانواع الآلاء وان لم يقترحوا
ولم يصرحوا بطلبه بل بمجرد ما يخطر على قلوبهم يقدم اليهم يَتَنَازَعُونَ فِيهَا اي يتعاطون يتناولون
ويتعاورون هم وجلساؤهم من اقربائهم كَأْسًا اي يتجاذب بعضهم الكاس من بعض هذا من
يد هذا وهذا من يد هذا تلذذا وتانسا والكاس اناء الخمر ويطلق على كل اناء مملوء من خمر او غيره
فاذا فرغ لم يسم كاسا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ قال الزجاج لا يجري بينهم ما يلغى به ولا ما فيه اثم
كما يجري بين من يشرب الخمر في الدنيا واللغو من الكلام هو الذي لا نفع فيه ولا مضرة والتأثيم
تفعيل من الاثم والضمير في فيها راجع الى الكاس وقيل الى الجنة ولا يجري فيها ما فيه اثم والاول
اولى قال ابن قتيبة لا تذهب بعقولهم فيلغوا كما يكون من خمر الدنيا ولا يكون منهم ما يؤثمهم
وقال الضحاك لا تاثيم اي لا كذب قال قتادة اللغو الباطل وقال مقاتل بن حيان لا فضول فيها
وقال سعيد بن المسيب لا رفث فيها وقال ابن زيد لا سباب ولا تخاصم فيها قال ابن عباس لا باطل

وَلَا كِذَّابًا فِيهَا وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ اي يطوف عليهم بالكاس والفواكه والطعام والتحف وغير ذلك مماليك لهم وقيل اولادهم قال الكرخي لم يضفهم لئلا يظن انهم الذين كانوا يخدمونهم في الدنيا فيشفق كل من خدم احدا في الدنيا ان يكون خادما له في الجنة فيحزن بكونه لا يزال تابعا وقيل انهم من اخدمهم الله تعالى اياهم من اولاد غيرهم وقيل هم غلمان خلقوا في الجنة قال الكلبي لا يكبرون ابدا وليس في الجنة نصب ولا حاجة الى خدمة ولكنه اخبر بانهم على نهاية التنعم كَأَنَّهُمْ في الحسن واللطافة والبهاء من بياضهم وصفائهم لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ اي مستور مصون في الصدف لم تمسه الايدي لانه رطبا احسن واصفى او مخزون لانه لا يخزن الا الثمين الغالي القيمة قال الكسائي كننت الشيء سترته وصنته من الشمس واكننته جعلته في الكن ومنه كننت الجارية واكننتها فهي مكنونة وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ اي يسأل بعضهم بعضا في الجنة عن حاله وما كان فيه من تعب الدنيا وخوف العاقبة فيحمدون الله الذي اذهب عنهم الحزن والخوف والهم وما كانوا فيه من الكد والنكد بطلب المعاش وتحصيل ما لا بد منه من الرزق وما وصلوا اليه تلذذا واعترافا بالنعمة وقيل يقول بعضهم لبعض بما صرتم في هذه المنزلة الرفيعة وقيل ان التساؤل بينهم عند البعث من القبور والاول اولى لدلالة السياق على انهم قد صاروا في الجنة اخرج البزار عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل اهل الجنة الجنة اشتاقوا الى الاخوان فيجيء سرير هذا حتى يحاذي سرير هذا فيتحدثان فيتكئ ذا ويتكئ ذا فيتحدثان بما كانوا في الدنيا فيقول احدهما يا فلان تدري اي يوم غفر الله لنا يوم كنا في موضع كذا وكذا فدعونا الله فغفر لنا قَالُوا مستانفة جواب سؤال مقدر كانه قيل ماذا قال بعضهم لبعض عند التساؤل فقيل قالوا ايماء الى علة الوصول لما هم فيه من النعيم ومحط العلة قوله الآتي فمن الله علينا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ اي من قبل الآخرة وذلك في الدنيا فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ اي خائفين وجلين من عذاب الله او كنا خائفين من عصيان الله او من نزع الايمان وفوت الامان او من رد الحسنات والاخذ بالسيئات والمقصود اثبات خوفهم في سائر الاوقات والاحوال بطريق الاولى فان كونهم بين اهليهم مظنة الامن فاذا خافوا في تلك الحال فلان يخافوا دونها اولى ولعل الاولى ان يحمل اشارة الى معنى الشفقة على خلق الله كما ان قوله الآتي انا كنا من قبل ندعوه اشارة الى التعظيم لامر الله فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا بالمغفرة والرحمة او بالتوفيق لطاعته

ووقنا عذاب السموم يعني عذاب جهنم والسموم من اسماء جهنم كذا قال الحسن ومقاتل وقال الكلبي وابو عبيدة هو عذاب النار وقال الزجاج سموم جهنم ما يوجد من حرها قال ابو عبيدة السموم بالنهار وقد يكون بالليل والحرور بالليل وقد يكون بالنهار وقد يستعمل السموم في لفح البرد وهو في لفح الشمس والحر اكثر وقيل سميت الريح سموما لانها تدخل المسام وهي في الاصل الريح الحارة التي تتخلل المسام والجمع سمائم وقيل سم يومنا اي اشتد حره قالت عائشة لو فتح الله على اهل الارض من عذاب السموم قدر الانملة لاحرقت الارض ومن عليها وقالوا ايماء ايضا الى علة الوصول انا كنا من قبل ندعوه اي نوحد الله ونعبده او نسأله ان يمن علينا بالمغفرة والرحمة ومحط العلة قوله انه هو البر الرحيم قرئ انه بكسر الهمزة على الاستيناف وبفتحها اي لانه والبر كثير الاحسان وقيل اللطيف قاله ابن عباس والرحيم كثير الرحمة لعباده فذكر اي اثبت ودم على ما انت عليه من الوعظ والتذكير فما انت بنعمة ربك التي انعم بها عليك من رجاحة العقل وعلو الهمة والنبوة وكرم الفعال وطهارة الاخلاق او وما انت في حال اذكارك بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون وقيل المعنى انتفى عنك الكهانة والجنون بسبب نعمة الله عليك كما تقول ما انا بمعسر بحمد الله وغناه وقيل الباء للقسم والتقدير ما انت ونعمة الله بكاهن ولا مجنون والكاهن هو الذي يوهم انه يعلم الغيب من دون وحي اي ليس ما تقوله كهانة فانك انما تنطق بالوحي الذي امرك الله بابلاغه والمقصود من الاية رد ما كان يقوله المشركون انه كاهن او مجنون ام يقولون شاعر ام هي المنقطعة وقد تقدم الخلاف هل هي مقدرة ببل والهمزة او ببل وحدها قال الخليل هي هنا للاستفهام قال سيبويه خوطب العباد بما جرى في كلامهم قال النحاس يريد سيبويه ان ام في كلام العرب للخروج من حديث الى حديث اي لا ينبغي منهم هذا القول ولا يليق قال الكواشي وانما قدرت ببل لان ما بعدها متيقن وما بعد ام مشكوك فيه مسئول عنه وذكرت ام هنا خمس عشرة مرة وكلها الزامات ليس للمخاطبين بها عنها جواب لكن قال الثعلبي نقلا عن الخليل ان كل ما في سورة الطور من ام فهو استفهام وليس بعطف وانما استفهم تعالى مع علمه بهم تقبيحا عليهم وتوبيخا لهم كقول الشخص لغيره اجاهل انت مع علمه بجهله نتربص به باسناد الفعل الى جماعة المتكلمين وقرئ على البناء للمفعول نعت لشاعر وقد كانت العرب تحترز عن اذية الشعراء فقالوا لا نعارضه في الحال مخافة ان يغلبنا بقوة شعره

ع ٣٨

وانما نتربص موته وهلاكه كما هلك من قبله من الشعراء رَيْبَ الْمَنُونِ اي صروف الدهر وحوادثه
والمعنى ننتظر به حوادث الايام فيموت كما مات غيره او يهلك كما هلك من قبله والمنون يكون
بمعنى الدهر ويكون بمعنى المنية لانها تنقص العدد وتقطع المدد وسمي الدهر منونا لانه يقطع الاجل
واطلاق الريب على الحوادث استعارة تصريحية شبهت بالريب اي الشك لانها لا تدوم ولا تبقى على
حال كما انه كذلك قال الاخفش المعنى نتربص الى ريب المنون فحذف حرف الجر كما تقول قصدت زيدا
اي الى زيد قال الاصمعي المنون واحد لا جمع له قال الفراء يكون واحدا وجمعا وقال الاخفش جمع
لا واحد له قال ابن عباس ان قريشا لما اجتمعوا الى دار الندوة في امر النبي صلى الله عليه وسلم قال قائل
منهم احبسوه في وثاق وتربصوا به المنون حتى يهلك كما هلك من قبله من الشعراء زهير
والنابغة انما هو كاحدهم فانزل الله في ذلك هذه الآية وقال ابن عباس ريب المنون الموت
ثم امره الله سبحانه ان يجيب عنهم فقال قُلْ تَرَبَّصُوا اي انتظروا موتي او هلاكي امر تهديد لا ايجاب
او ندب او اباحة لان تربصهم هلاكه حرام لا محالة فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ لموتكم او
هلاككم أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا اي بل اتامرهم عقولهم بهذا الكلام المتناقض فان
الكاهن هو المفرط في الفطنة والذكاء ودقة النظر والمجنون هو ذاهب العقل مغطى على فهمه
فضلا عن ان تكون له فطنة وذكاء والشاعر يكون ذا كلام موزون متسق مخيل ولا يتأتى
ذلك من المجنون قال الواحدي قال المفسرون كانت عظماء قريش توصف بالاحلام والعقول
فازرى الله بحلومهم حين لم تثمر لهم معرفة الحق من الباطل وفي القاموس الحلم بالكسر الاناءة
والعقل والجمع احلام وحلوم فامر الاحلام به مجاز عن ادائها اليه أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ اي بل
اطغوا وجاوزوا الحد في العناد فقالوا ما قالوا وهذه الاضرابات من شيء الى شيء مع الاستفهام
كما هو مدلول ام المنقطعة تدل على ما تعقبها اشنع مما تقدمها واكثر جراءة وعنادا أَمْ يَقُولُونَ
تَقَوَّلَهُ اي اختلق القرآن من جهة نفسه وافتعله والتقول لا يستعمل الا في الكذب في الغالب وان
كان اصله تكلف القول ومنه اقتال عليه ويقال اقتال عليه بمعنى تحكم عليه ثم اضرب سبحانه عن
قوله بقوله وانتقل الى ما هو اشد شناعة عليهم فقال بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ اي سبب صدور هذه
الاقوال المتناقضة عنهم كونهم كفارا لا يؤمنون بالله ولا يصدقون ما جاء به رسوله استكبارا

ثم تحداهم سبحانه والزمهم الحجة فقال فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مختلق مفتعل مِثْلِهِ اي مثل القران
في نظمه وحسن بيانه وبديع اسلوبه قال الرازي والظاهر ان الامر ههنا على حقيقته لانه لم
يقل فليأتوا مطلقا بل قال إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ فيما زعموا من قولهم ان محمدا صلى الله عليه وسلم تقوله
من عند نفسه وجاء به من جهته فهو امر معلق على شرط اذا وجد ذلك الشرط يجب الاتيان به
مع انه كلام عربي وهم رؤس العرب وفصحاؤهم والممارسون لجميع الاوضاع العربية من نظم ونثر
أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ ام هي المنقطعة كما تقدم فيما قبلها وكما سياتي فيما بعدها اي بل اخلقوا
على هذه الكيفية البديعة والصنعة العجيبة من غير خالق لهم قال الزجاج اي اخلقوا باطلا
لغير شيء لا يحاسبون ولا يؤمرون ولا ينهون وجعل من بمعنى اللام قال ابن كيسان ام خلقوا
عبثا وتركوا سدى لا يؤمرون ولا ينهون وقيل المعنى ام خلقوا من غير اب ولا ام فهم كالجماد لا
يفهمون ولا تقوم عليهم حجة أَمْ اي بل ايقولون هُمُ الْخَالِقُونَ لانفسهم فلا يؤمرون ولا
ينهون مع انهم يقرون ان الله خالقهم واذا اقروا لزمتهم الحجة قال الجلال المحلي ولا يعقل
مخلوق بغير خالق ولا معدوم يخلق فلا بد لهم من خالق هو الله الواحد فلم لا يوحدونه ويؤمنون
برسوله وكتابه أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وهم لا يدعون ذلك فلزمتهم الحجة ولهذا اضرب
عن هذا وقال بَلْ لَا يُوقِنُونَ اي ليسوا على يقين من الامر بل يخبطون في ظلمات الشك في
وعد الله ووعيده والا لامنوا بنبيه وهذا فيه مزيد تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم يعني انهم كما طعنوا
فيك طعنوا في خالقهم أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ اي خزائن ارزاق العباد وقيل مفاتيح الرحمة
وقال مقاتل يقول بايديهم مفاتيح ربك بالرسالة فيضعونها حيث شاؤا وكذا قال عكرمة وقال
الكلبي خزائن المطر والرزق وقيل مقدوراته وضرب المثل بالخزائن لان الخزانة بيت يهيأ لجمع
انواع مختلفة من الذخائر ومقدورات الرب كالخزائن التي فيها من كل الاجناس فلا نهاية لها
أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ اي المسلطون الغالبون القاهرون الجبارون وقيل الارباب القاهرون
فلا يكونون تحت امر ولا نهي ويفعلون ما يشاؤن من سيطر عليه اذا راقبه وحفظه او قهره
ولم يات على مفيعل الا خمسة الفاظ اربعة صفة اسم فاعل مهيمن ومبيقر ومسيطر ومبيطر و
واحد اسم جبل وهو المجيمر قال في الصحاح المصيطر المسلط على الشيء ليشرف عليه ويتعهد احواله

لم يات على مفيعل الا خمسة الفاظ

ويكتب عمله واصله من السطر لان الكتاب يسطر اي اهم الحفظة قال ابو عبيدة سطرت علي
اي اتخذتني خولا لك قرئ المصيطرون بالصاد الخالصة وبالسين الخالصة وقرئ بصاد مشمة
زايا أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ اي بل ايقولون ان لهم سلما ومرقى منصوبا الى السماء يصعدون
به ويستمعون فيه كلام الملائكة وما يوحى اليهم ويصلون به الى علم الغيب كما يصل اليه محمد صلى الله
عليه وسلم بطريق الوحي حتى تمكنهم منازعة النبي صلى الله عليه وسلم بزعمهم وهذا الزعم منهم على سبيل الفرض
والتقدير ولم يقع منهم بالفعل لانهم لما كانوا على حالة المعاندة والمعارضة كانهم ادعوا ذلك
وقيل في بمعنى على اي يستمعون عليه كقوله ولاصلبنكم في جذوع النخل قاله الاخفش وقال
ابو عبيد يستمعون به وقال الزجاج المعنى انهم كجبريل الذي يأتي النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي وقيل
اي صاعدين فيه فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ ان ادعى ذلك بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ اي بحجة ظاهرة واضحة
بينة أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ اي بل اتقولون لله البنات وَلَكُمُ الْبَنُونَ سفه سبحانه احلامهم وضلل
عقولهم ووبخهم اي ايضيفون الى الله البنات وهي اضعف الصنفين ويجعلون لانفسهم البنين
وهم اعلاهما وفيه اشعار بان هذا رايه فهو بمحل سافل في الفهم والعقل فلا يستبعد منه انكار
البعث وجحد التوحيد ثم رجع سبحانه الى خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا
اي بل اتسألهم اجرا يدفعونه اليك على تبليغ الرسالة فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ اي من التزام غرامة تطلبها
منهم مُثْقَلُونَ اي مجهودون لحملهم ذلك المغرم الثقيل ومتعبون ومغتمون من ثقله الحمل
التعبه لكن هذا الثقل معنوي لان العادة ان من غرم انسانا مالا يصير الغارم مغتما منه كارها له فلا يسمع
قوله ولا يمتثله قال قتادة يقول هل سألت هؤلاء القوم اجرا فجهدهم فلا يستطيعون الاسلام
أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ اي بل ايدعون ان عندهم الغيب وهو ما في اللوح المحفوظ المثبت فيه المغيبات
فالغيب بمعنى الغائب والالف واللام في الغيب بمعنى النوع لا للعهد ولا لتعريف الجنس فالمراد نوع الغيب وهذا
الزعم فرضي اذ لم يقع منهم بالفعل لكنهم على حالة من المكابرة والمعارضة بحيث ينسب اليهم هذا الزعم
قال قتادة هذا جواب لقولهم نتربص به ريب المنون يقول الله ام عندهم الغيب حتى علموا ان محمدا
صلى الله عليه وسلم يموت قبلهم فَهُمْ يَكْتُبُونَ ذلك بعدما وقفوا عليه وقيل هو رد لقولهم انا لا نبعث ولو بعثنا
لم نعذب قال ابن قتيبة معنى يكتبون يحكمون بما يقولون أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا اي مكرا برسول الله صلى الله

عليه وسلم فيهلكونه بذلك المكر فالَّذِينَ كَفَرُوا هذا من وقوع الظاهر موضع المضمر تنبيها على اتصافهم بهذه الصفة القبيحة والاصل ام يريدون كيدا فهم هُمُ الْمَكِيدُونَ اي الممكور بهم المجزيون بكيدهم فضرر كيدهم يعود عليهم ولا يحيق المكر السيئ الا باهله او حكم على جنس هم نوع منه فيندرجون فيه اندراجا اوليا للتوغلهم في هذه الصفة وكان هذا المكر والقيل و الكيد في دار الندوة وهي دار من دور اهل مكة والظاهر انه من الاخبار بالغيب فان السورة مكية وذلك الكيد كان وقوعه ليلة الهجرة ثم اهلكهم الله تعالى ببدر عند انتهاء سنين عددها عدة ما هنا من كلمة ثم وهي خمس عشرة فان بدرا كانت في الثانية من الهجرة وهي الخامسة عشر من النبوة واذلهم في غير موطن ومكر سبحانه بهم ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ اي بل ايدعون ان لهم الها غير الله يحفظهم ويرزقهم وينصرهم وهذا استفهام انكاري على معنى نفي الحصول من اصله اي ليس لهم في الواقع اله غير الله وعلى معنى نفي الانبغاء واللياقة بالنظر لاعتقادهم ان هنالك آلهة غيره ثم نزه سبحانه نفسه عن هذه المقالة الشنعاء فقال سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ما يحتمل وجهين احدهما ان تكون مصدرية معناه سبحانه عن اشراكهم ثانيهما خبرية معناه عن الذين يشركون وعلى هذا فيحتمل أن يكون التنزيه عن الولد لانهم كانوا يقولون البنات لله فقال سبحان عن البنات والبنين وان يكون عن مثل الآلهة لانهم كانوا يقولون هو مثل ما يعبدونه فقال سبحان الله عن مثل ما يعبدونه ثم ذكر سبحانه بعض جهالاتهم فقال وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ الكسف جمع كسفة وهي القطعة من الشيء والمركوم المجعول بعضه على بعض قال الفراء من قرأ كسفا بكسر الكاف وسكون السين جعله واحدا ومن قرأ كسفا بكسر الكاف وفتح السين جعله جمعا وهذا الكلام على سبيل الفرض والتقدير فمن المعلوم ان قريشا لم ينزل عليهم قطع من السماء تعذيبا لهم كما قال تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم كانه يقول لو عذبناهم بسقوط قطع من السماء عليهم لم ينتهوا ولم يرجعوا ويقولون في هذا النازل عنادا واستهزاء واغاظة لمحمد انه سحاب مركوم ثم امر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم ان يتركهم فقال فَذَرْهُمْ اي اتركهم وخل عنهم جواب شرط مقدر اي اذا بلغوا في الكفر والشا

الى هذا الحد وتبين انهم لا يرجعون عن الكفر فدعهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون
اي يوم موتهم او يوم قتلهم ببدر وهو الظاهر قاله البقاعي او يوم القيامة قرئ يلاقوا ويلقوا ويصعقون
على البناء للمفعول وللفاعل عند السبعة فالاول يحتمل ان تكون من صعق فهو مصعوق وان تكون من اصعق
رباعيا يقال اصعق فهو مصعق والمعنى ان غيرهم اصعقهم وقراءة السلمي بضم الياء وكسر العين توخذ بان افعل
بمعنى فعل والصعقة الهلاك على ما تقدم بيانه يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا اي لا ينفعهم في ذلك اليوم كيدهم الذي
كادوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدنيا ولا هم ينصرون اي ولا يمنع عنهم العذاب النازل
بهم مانع بل هو واقع بهم لا محالة وان للذين ظلموا اي لهؤلاء الذين ظلموا انفسهم بالكفر
والمعاصي عذابا في الدنيا دون ذلك اي غير عذاب يوم القيامة اي قبله وهو قتلهم يوم
بدر وقال ابن زيد هو مصائب الدنيا من الاوجاع والاسقام والبلايا وذهاب الاموال
والاولاد وقال مجاهد هو الجوع والجهد سبع سنين وقيل عذاب القبر قبل يوم القيامة قاله ابن عباس
وقيل المراد بالعذاب هو القحط والجوع قبل يوم بدر لانه كان في ثانية الهجرة والقحط وقع لهم قبلها
وبالذي ياتي بعده هو قتلهم يوم بدر ولكن اكثرهم لا يعلمون ما يصيرون اليه من عذاب
الله وما اعده لهم في الدنيا والاخرة واصبر لحكم ربك الى ان يقع لهم العذاب الذي وعدناهم
به فانك باعيننا اي بمرائ ومنظر منا او في حفظنا وحمايتنا فلا تبال بهم قال الزجاج انك بحيث
نراك ونحفظك وترعاك فلا يصلون اليك وانما جمع لفظ الاعين مع ان لدلوله واحد وهو المصدر
لمناسبة نون العظمة وسبح بحمد ربك اي نزه ربك عما لا يليق به متلبسا بحمد ربك على انعامه
عليك اي قل سبحان الله وبحمده حين تقوم من مجلسك قال عطاء وسعيد وسفيان الثوري
وابو الاحوص يسبح الله حين يقوم من مجلسه فيقول سبحان الله وبحمده او سبحانك اللهم وبحمدك
عند قيامه من كل مجلس يجلسه وقال محمد بن كعب والضحاك والربيع بن انس حين تقوم الى الصلوة
قال الضحاك يقول الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا وفيه نظر لان التكبير
يكون بعد القيام لا حال القيام ويكون التسبيح بعد التكبير وهذا غير معنى الاية والاول اولى
وقيل المعنى صل لله حين تقوم من مقامك وبه قال ابو الجوزاء وحسان بن عطية وقال الكلبي
وابن عباس واذكر الله باللسان حين تقوم من فراشك الى ان تدخل الصلوة وهي صلوة الفجر

وعن ابي برزة الاسلمي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم باخرة اذا قام من المجلس يقول سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك فقال رجل يا رسول الله انك لتقول قولا ما كنت تقوله فيما مضى قال كفارة لما يكون في المجلس اخرجه ابو داود والنسائي والحاكم وابن مردويه وابن ابي شيبة واخرجه النسائي والحاكم عن رافع بن خديج عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل ان يقوم من مجلسه سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك الا غفر له ما كان في مجلسه ذلك اخرجه ابن جرير والترمذي وقال حسن صحيح وفي الباب احاديث مسندة ومرسلة وقيل حين تقوم من منامك عن عاصم بن حميد قال سالت عايشة باي شيء كان يفتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استيقظ من نومه فقالت سالتني عن شيء ما سألني عنه احد قبلك كان اذا قام كبر عشرا وحمد الله عشرا وسبح عشرا وهلل عشرا واستغفر عشرا وقال اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني وعافني وكان يتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة اخرجه ابو داود والنسائي

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ امره الله سبحانه ان يسبحه في بعض الليل حقيقة ايضا قال مقاتل اي صل المغرب والعشاء وقيل ركعتي الفجر وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في الاية قال الركعتان قبل صلوة الصبح اخرجه ابن مردويه ﴿وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾ اي وقت ادبارها من اخر الليل وقبل صلوة الفجر واختاره ابن جرير وقيل هو التسبيح في ادبار الصلوات وقال ابن عباس ركعتي الفجر وقيل سنة الصبح قرئ ادبار بكسر الهمزة على انه مصدر وبفتحها على الجمع اي اعقاب النجوم وادبارها اذا غربت ودبر الامر اخره

وقد تقدم الكلام على هذا في سورة ق

سورة النجم احدى واثنتان وستون اية وهي مكية

جميعها في قول الجمهور وعن ابن عباس وعكرمة الا اية منها وهي قوله الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الاية وقيل ان السورة كلها مدنية والصحيح هو الاول واخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود قال اول سورة انزلت فيها سجدة والنجم فسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد الناس كلهم الا رجلا رايته اخذ كفا من تراب فسجد عليه فرايته بعد ذلك قتل كافرا وهو امية بن خلف

قال أول سورة استعلن بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها والنجم وعن ابن عمر قال صلى بنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقرأ والنجم فسجد بنا وأطال السجود وعن زيد بن ثابت قال قرأت والنجم عند النبي صلى الله عليه
وسلم فلم يسجد فيها أخرجه أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي والطبراني والطيالسي
وابن أبي شيبة وابن مردويه وعن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد في النجم بمكة فلما هاجر
إلى المدينة تركها وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسجد في شيء من المفصل منذ تحول إلى المدينة

بسم الله الرحمن الرحيم

والنجم هو الكوكب وسمي به لطلوعه وكل طالع نجم يقال نجم السن والنبت والقرن إذا طلع والتعريف للجنس
والمراد به جنس النجوم يعني نجوم السماء كلها حين تغرب أقسم الله بالنجوم إذا غابت وليس يمتنع أن يعبر
عنها بلفظ واحد ومعناه جمع وبه قال جماعة من المفسرين وقيل المراد به الثريا وهو اسم غلب عليها
تقول العرب النجم وتريد به الثريا وبه قال ابن عباس مجاهد وغيرهما وإن كانت في العدد نجوما يقال إنها سبعة أنجم
ستة ظاهرة وواحدة خفية يمتحن الناس بها أبصارهم وفي الشفاء للقاضي عياض أن النبي صلى
الله عليه وسلم كان يرى في الثريا أحد عشر نجما وقيل المراد بالنجم الشعرى لذكرها في قوله تعالى وأنه رب الشعرى
وقال السدي النجم هنا هو الزهرة لأن قوما من العرب كانوا يعبدونها وقيل النجم هنا النبت الذي
لا ساق له كما في قوله والنجم والشجر يسجدان قاله الأخفش وقيل النجم محمد صلى الله عليه وسلم وقيل النجم
القرآن وسمي نجما لأنه نزل منجما مفرقا والعرب تسمي التفريق تنجيما والمفرق المنجم وبه قال مجاهد
الفراء وغيرهما والأول أولى قال الحسن المراد بالنجم النجوم إذا سقطت يوم القيامة وقيل المراد بها
النجوم التي ترجم بها الشياطين إذا هوى أي إذا انصب أخرجه ابن جرير عن ابن عباس وانتثر
ومعنى هويه سقوطه من علو يقال هوى النجم يهوي هويا إذا سقط من علو إلى سفل وقيل غروبه
وقيل طلوعه والأول أولى وبه قال الأصمعي وغيره ويقال هوى في السير إذا مضى قال الراغب الهوي ذهابا
في انحدار والهوي في ارتفاع وقيل هوى في اللغة خرق الهواء ومقصده السفل أو مصيره إليه وإن لم يقصد
ومعنى الهوي على قول من فسر النجم بالقرآن أنه نزل من أعلى إلى أسفل وأما على قول من قال إنه الشجر الذي لا ساق
له أو أنه محمد صلى الله عليه وسلم فلا يظهر للهوي معنى صحيح وفي العامل في هذا الظرف أوجه وعلى كل منها إشكال ذكرها السمين
لا نطول الكلام بذكرها هنا وجواب القسم قوله ما ضل صاحبكم وما غوى أي ما ضل محمد صلى الله عليه وسلم عن الحق

ولا عدل عنه والغي ضد الرشد اي ما صار غاويا ولا تكلم بالباطل وقيل ما خاب فيما طلب والغي
الخيبة وبين الضلال والغي التباين الكلي فان الضلال فعل المعاصي والغي هو الجهل المركب وبتقدير
اتحادهما يكون ذلك من باب التاكيد باللفظ المخالف مع اتحاد المعنى والاول اولى وهو من عطف الخاص
على العام للاهتمام بشأن الاعتقاد وايضاحه ان الجهل قد يكون من كون الانسان غير معتقد لا
صالحا ولا فاسدا وقد يكون من اعتقاد شيء فاسد وهذا الثاني يقال له غي وفي قوله صاحبكم
اشارة بانهم المطلعون على حقيقة حاله والتعبير بالصحبة مع كونها ادل على القصد مرغبة لهم فيه
ومقبلة بهم اليه ومقصد عليهم اتهامه في انذاره وهم يعرفون طهارة شمائله والخطاب لقريش
قال ابن عباس اقسم الله ان ما ضل محمد صلى الله عليه وسلم ولا غوى وما ينطق عن الهوى اي ما يصدر
نطقه عن الهوى لا بالقران ولا بغيره فعن على بابها ومثل النطق الفعل وقال ابو عبيدة ان عن بمعنى الباء
اي بالهوى قال قتادة اي ما ينطق بالقران عن هواه إن هو إلا وحي يوحى اي ما هو الذي ينطق به
من القران وكل احواله واقواله وافعاله الا وحي من الله يوحيه اليه ويوحى صفة لوحي تفيد
الاستمرار التجددي وتفيد نفي المجاز اي هو وحي حقيقة لا لمجرد التسمية كما تقول هذا قول يقال
وقيل تقديره يوحى اليه ففيه مزيد فائدة والاية دليل على كون السنة المطهرة وحيا يوحى
علمه شديد القوى جمع قوة والمعنى انه علمه جبريل الذي هو شديد قواه هكذا قال اكثر
المفسرين وقال الحسن هو الله عز وجل والاول اولى وهو من باب اضافة الصفة الى الموصوف
ومن شدة قوته انه اقتلع قرى قوم لوط ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين
وكان هبوطه على الانبياء وصعوده اسرع من رجعة الطرف وهذه القوة ثابتة له ولو كان على صورة الادميين
ذو مرة اي قوة وشدة في الخلق وقيل ذو صحة جسم وسلامة من الافات ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم
لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي وقيل ذو حصافة عقل ومتانة رأي قال قطرب العرب
تقول لكل من هو جزل الرأي حصيف العقل ذو مرة والتفسير للمرة بهذا اولى لان القوة والشدة
قد افادها قوله شديد القوى قال الجوهري المرة احدى الطبائع الاربع والمرة القوة وشدة العقل
وقال ابن عباس ذو خلق حسن وقيل منظر حسن وقيل قوة في العقل وحدة بحيث لا يدفعه عما يريده
دافع ولا يسأم من شيء يزاوله فحصل الفرق بين القوة والمرة ومن جملة شدته وقوته قدرته على التشكل

فلذلك قال فَاسْتَوٰى ارتفع جبريل وعلى الى مكانه فى السماء بعد ان علّم محمدا صلى الله عليه وسلم قاله
سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير وقيل معناه قام في صورته التي خلقه الله عليها لانه كان ياتي
النبي صلى الله عليه وسلم في صورة الادميين كما ياتي الى الانبياء فسأله النبي صلى الله عليه وسلم ان يريه نفسه التي
جبله الله عليها فاراه نفسه مرتين مرة فى الارض ومرة فى السماء ولم يره احد من الانبياء على صورته
التي خلق عليها الا نبينا صلى الله عليه وسلم وقيل المعنى فاستوى القرآن في صدره صلى الله عليه وسلم حين نزل عليه
او صعد جبريل حين نزل به وقيل المعنى اعتدل محمد في قوته او في رسالته ذكره الماوردي
وقيل المعنى ارتفع النبي صلى الله عليه وسلم بالمعراج وقال الحسن فاستوى يعنى الله عزوجل على العرش و
الاول اولى وقيل المعنى فاستوى جبريل عاليا على صورته ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم قبل ذلك
راه عليها حتى سأله اياها على ما ذكرنا وَهُوَ بِالْاُفُقِ الْاَعْلٰى اي فاستوى جبريل حال كونه بالافق
والمراد بالافق الاعلى جانب المشرق وهو فوق جانب المغرب والافق ناحية السماء وجمعه افاق
قال قتادة ومجاهد هو الموضع الذي تطلع منه الشمس وكذا قال سفيان وقيل هو يعني جبريل
والنبي صلى الله عليه وسلم بالافق الاعلى ليلة المعراج ويجوز ان تكون هذه الجملة مستانفة عن ابن مسعود
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ير جبريل في صورته الا مرتين اما واحدة فانه سأله ان يراه في
صورته فراه صورته فسد الافق واما الثانية فانه كان معه حيث صعد فذلك قوله وهو
بالافق الاعلى لقد راى من ايات ربه الكبرى قال خلق جبريل رواه احمد والطبراني وغيرهما و
عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال رايت جبريل عند سدرة المنتهى له ستمائة جناح اخرجه ابو الشيخ
وابن جرير واحمد وعن ابن عباس قال الافق الاعلى مطلع الشمس ثُمَّ دَنٰى جبريل بعد استوائه
بالافق الاعلى اي قرب من الارض فَتَدَلّٰى اي فنزل على النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي وقيل في الكلام
تقديم وتأخير والتقدير ثم تدلى فدنى قاله ابن الانباري وغيره قال الزجاج معنى دنى فتدلى واحد
اي قرب وزاد فى القرب كما تقول دنى مني فلان وقرب ولو قلت قرب مني ودنى جاز قال الفراء
الفاء في فتدلى بمعنى الواو والتقدير تدلى جبريل ودنى ولكنه جائز اذا كان معنى الفعلين واحدا
ان تقدم ايهما شئت قال الجمهور الذي دنى فتدلى هو جبريل وقيل هو النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن
عباس هو محمد صلى الله عليه وسلم دنى فتدلى الى ربه والمعنى دنى منه امره وحكمه والاول اولى قيل ومن قال

ان الذي استوى هو جبريل ومحمد صلى الله عليه وسلم فالمعنى عنده ثم دنى محمد صلى الله عليه وسلم من ربه في
كرامة فتدلى اي هوى للسجود وبه قال الضحاك وعن ابن عباس قال دنى ربه فتدلى قال التدلي
هو النزول بقرب الشيء فكان مقدار ما بين جبريل ومحمد صلى الله عليه وسلم او ما بين محمد صلى الله عليه وسلم
وربه تعالى قاب اي قدر قوسين عربيين والقاب والقيب والقاد والقيد والقيس المقدار ذكر
معناه في الصحاح قال الزمخشري وقد جاء التقدير بالقوس والرمح والسوط والذراع والباع و
الخطوة والشبر والفتر والاصبع والقاب ما بين المقبض والسية ولكل قوس قابان قال بعضهم
اراد قابي قوس فقلبه وقال سعيد بن المسيب القاب صدر القوس العربية حيث يشد
عليه السير الذي يتنكبه صاحبه ولكل قوس قاب واحد فاخبر ان جبريل قرب من محمد
كقرب قاب قوسين قال الزجاج اي فيما تقدرون انتم والله سبحانه عالم بمقادير الاشياء ولكنه يخاطبنا
على ما جرت به عادة المخاطبة فيما بيننا وقال سعيد بن جبير وعطاء وابو اسحق الهمداني وابو وائل
شقيق بن سلمة فكان قدر ذراعين والقوس الذراع يقاس بها كل شيء وهي لغة بعض الحجازيين
وقيل هي لغة ازد شنوءة والقوس يذكر ويؤنث فمن انث قال في تصغيرها قويسة ومن ذكر
قال قويس والجمع قسي واقواس وقوس ايضا بقية التمر في الجلة اي الوعاء والقوس برج في السماء
وقال الكسائي اراد قوسا واحدة اخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود في هذه الاية قال
رأى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل له ستمائة جناح وعنه قال في الاية دنى جبريل منه حتى كان قدر
ذراع او ذراعين وبه قال ابن عباس والحسن وعايشة وقتادة وقال ابن عباس القاب القيد و
القوسين الذراعين وعن ابي سعيد قال لما اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم اقترب من ربه فكان
قاب قوسين او ادنى الم تر الى القوس ما اقربها من الوتر وعن انس ودنى الجبار رب العزة حتى كان
منه قاب قوسين او ادنى وهذه رواية عن سلمة عن ابن عباس وفيه جهالة وقال الضحاك
نحو ما قال انس او ادنى او بمعنى الواو وقيل بمعنى بل والاول اولى كقوله او يزيدون لان المعنى فكان
باحد هذين المقدارين في رأي الرائي اي لتقارب ما بينهما يشك الرائي في ذلك وادنى افعل تفضيل
والمفضل عليه محذوف اي او ادنى من قاب قوسين او ادنى من ذلك وضمه الى نفسه حتى افاق
وسكن روعه وجعل يمسح التراب عن وجهه فاوحى الى عبده اي فاوحى جبريل الى محمد صلى الله عليه وسلم

يتعليم من الله لا من عند نفسه ما أوحى فيه تفخيم للوحي الذي أوحى اليه والوحي القاء الشيء بسرعة ومنه الوحاء وهو السرعة والضمير في عبده يرجع الى الله كما في قوله ما ترك على ظهرها من دابة وقيل المعنى فاوحى الله الى عبده وبالاول قال الربيع والحسن وابن زيد وقتادة وقيل فاوحى الله الى عبده محمد صلى الله عليه وسلم وقيل وقد ابهم الله سبحانه ما اوحاه جبريل عليه السلام الى محمد صلى الله عليه وسلم وما اوحاه الله الى عبده جبريل او الى محمد صلى الله عليه وسلم ولم يبينه لنا فليس لنا ان نتعرض لتفسيره وقال سعيد بن جبير الذي اوحاه الله اليه هو الم نشرح لك صدرك الخ والم يجدك يتيما فاوى الخ وقيل اوحى الله اليه ان الجنة حرام على الانبياء حتى تدخلها وعلى الامم حتى تدخلها امتك وقيل ان ما للعموم لا للابهام والمراد كلما اوحى به اليه والحمل على الابهام اولى لما فيه من التعظيم ما كذب الفؤاد ما رأى اي ما كذب فؤاد محمد صلى الله عليه وسلم ما رآه بصره ليلة المعراج رؤية حقيقية يقال كذبه اذا قال له الكذب ولم يصدقه قال المبرد معنى الاية انه رأى شيئا فصدق به قرئ ما كذب مخففا وبالتشديد وهما سبعيتان وما في ما رأى موصولة او مصدرية قال ابن مسعود في الاية رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه حلتان رفرف اخضر قد ملأ ما بين السماء والارض اخرجه الترمذي والحاكم وصححاه والبيهقي وغيرهم وبه قالت عائشة وقيل هو الله عز وجل رآه بعين راسه وقيل بقلبه وقيل جعل بصره في فؤاده وعن ابي ذر قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك قال نور اني اراه اخرجه مسلم والكلام على هذه المسئلة مستوفى في موطنه وقد تكلم عليه القاضي عياض في الشفاء والخفاجي في شرحه والقسطلاني في شرح المواهب اللدنية والنووي وقال والحاصل ان الراجح عند اكثر العلماء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه عز وجل بعيني براسه ليلة الاسراء واثبات هذا لا ياخذونه الا بالسماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا مما لا ينبغي ان يتشكك فيه انتهى قال سليمان الجمل وحاصل المسئلة ان الصحيح ثبوت الرؤية وهو ما جرى عليه ابن عباس حبر الامة وهو الذي يرجع اليه في المعضلات وقد راجعه ابن عمر فاخبره بانه رآه ولا يقدح في ذلك حديث عائشة لانها لم تخبر انها سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لم اره وانما اعتمدت على الاستنباط مما تقدم وجوابه ظاهر فان الادراك هو الاحاطة والله تبارك وتعالى لا يحاط به واذا ورد النص بنفي الاحاطة لا يلزم منه نفي الرؤية بغير احاطة واجيب عن احتجاجها بقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا بانه لا يلزم من الرؤية وجود الكلام حال الرؤية فيجوز وجود الرؤية من غير كلام وبانه عام مخصوص

أفتمارونه على ما يرى قرئ من المماراة وهي المجادلة والملاحاة وقرئ افتمرونه اي افتجحدونه واختار ابو عبيد الثانية قال لانهم لم يماروه وانما جحدوه يقال مراه حقه اي جحده ومريته انا اي جحدته قال المبرد يقال امراه عن حقه وعلى حقه اذا امنعه منه ودفعه وقيل على بمعنى عن وقرئ افتمرونه بضم التاء من امريت اي اتريبونه وتشكون فيه قال جماعة من المفسرين المعنى على الاولى افتجادلونه وذلك انهم جادلوه حين اسري به فقالوا صف لنا بيت المقدس اي فتجادلونه جدالا ترومون به دفعه عما شاهده وعلمه وقال ما يرى ولم يقل ما رأى على حكاية الحال الماضية استحضارا للحالة البعيدة في ذهن المخاطبين ولقد رآه نزلة أخرى اللام هي الموطية للقسم اي والله لقد رآه والنزلة المرة من النزول اي رأى جبريل نازلا نزلة اخرى اورآه روية اخرى ونصب نزلة على الظرف او المصدرية او الحالية وبالاول قال الزمخشري وهو مذهب الفراء نقله عنه مكي وبالثاني قال ابو البقاء وبالثالث قال الحوفي وابن عطية قال جمهور المفسرين المعنى انه رأى محمد صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام مرة اخرى في صورة نفسه وذلك ليلة المعراج وقيل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه مرة اخرى بفؤاده وقيل بعينه اخرج مسلم والطبراني وغيرهما عن ابن عباس في الآية قال رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه بقلبه مرتين واخرج نحوه عنه الترمذي وحسنه وعن انس قال رأى محمد ربه وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه مرتين مرة ببصره ومرة بفؤاده وعنه لقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه عزوجل وعنه قال اتعجبون ان تكون الخلة لابراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد صلى الله عليه وسلم وقد روي نحو هذا عنه من طرق واخرج مسلم والترمذي وابن مردويه عن ابي ذر قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك قال نور انى اراه وعنه انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك قال رأيت نورا اخرجه مسلم وابن مردويه وعنه قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه بقلبه ولم يره ببصره اخرجه النسائي وابن المنذر وغيرهما قال صاحب التحرير والحجج في المسئلة وان كانت كثيرة لكن لا نتمسك الا بالاقوى منها وهو حديث ابن عباس اتعجبون الخ وعن عكرمة سئل ابن عباس هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه قال نعم وقد روي باسناد لا بأس به وعن انس نحوه وكان الحسن يحلف لقد رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه والاصل في المسئلة حديث ابن عباس حبر هذه الامة وعالمها والمرجوع اليه في المعضلات وقد راجعه ابن عمر في هذه المسئلة فاخبره انه رآه ولا يقدح في هذا حديث

عايشة لانها لم تخبر انها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لم ار ربي وانما ذكرت ما ذكرت متأولة لقول
الله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا الآية ولقوله لا تدركه الابصار واذا قد صحت الروايات عن ابن
عباس انه تكلم في هذه المسئلة باثبات الرؤية وجب المصير الى اثباتها لانها ليست مما يدرك بالعقل ويؤخذ بالظن وانما
يتلقى بالسمع ولا يستجيز لاحد ان يظن بابن عباس انه تكلم في هذه المسئلة بالظن والاجتهاد وقد قال معمر بن راشد حين ذكر اختلاف عائشة
وابن عباس ما عائشة عندنا باعلم من ابن عباس ثم ابن عباس اثبت ما نفاه غيره والمثبت مقدم على النافي انتهى عند سدرة المنتهى لما اسري
به في السموات قاله الجلال المحلي ومن المعلوم ان الاسراء كان قبل الهجرة بسنة واربعة اشهر او بثلاث سنين على الخلاف والرؤية
الاولى كانت في ابتداء البعثة فبين الرؤيتين نحو عشر سنين وفي السدرة هي شجرة النبق قال مقاتل تحمل الحلي والحلل والثمار من جميع
الالوان لو وضعت ورقة منها في الارض لاضاءت لاهلها وهي شجرة طوبى التي ذكرها الله في سورة الرعد
والنبق بكسر الموحدة ثمر السدر الواحدة نبقة ويقال فيه نبق بفتح النون وسكون الباء ذكرها يعقوب في
الاصلاح وهي لغة البصريين والاولى افصح وهي التي ثبتت عن النبي صلى الله عليه وسلم وهذه السدرة هي في
السماء السادسة كما في الصحيح وروي انها في السماء السابعة عن يمين العرش والمنتهى مكان
الانتهاء او مصدر ميمي والمراد به الانتهاء نفسه قيل اليه ينتهي علم الخلائق ولا يعلم احد منهم
ما وراءها وقيل ينتهي اليها ما يعرج به من الارض وقيل تنتهي اليها ارواح الشهداء وقيل
غير ذلك واضافة الشجرة الى المنتهى من اضافة الشيء الى مكانه كقولك اشجار البستان او من اضافة
المحل الى الحال كقولك كتاب الفقه والتقدير عند سدرة عندها منتهى العلوم او من اضافة
الملك الى المالك على حذف الجار والمجرور اي سدرة المنتهى اليه وهو الله عز وجل قال تعالى وان
الى ربك المنتهى واختلف لم سميت سدرة المنتهى على ثمانية اقوال ذكرها القرطبي وغيره وعن ابن
مسعود قال لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى الى سدرة المنتهى وهو في السماء السادسة اليها
ينتهي ما يعرج من الارواح فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها اخرجه
احمد ومسلم والترمذي وغيرهم عندها جنة المأوى اي عند تلك السدرة جنة تعرف بجنة
المأوى وهي عن يمين العرش وسميت بها لانه اوى اليها آدم وقيل ان ارواح المؤمنين تاوي اليها
وقيل ياوي اليها جبريل والملائكة وقيل يصير اليها المتقون قرئ جنة بالرفع على الابتداء وقرئ
جنه فعلا ماضيا من جن يجن اي ضمه المبيت او ستره ايواء الله له قال الاخفش ادركه كما تقول جنه

الليل اي سترة وادركه قال ابن مسعود الجنة في السماء السابعة العليا والنار في الارض السابعة السفلى

إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى الغشيان بمعنى التغطية والستر وبمعنى الاتيان يقال فلان يغشاني كل حين اي ياتيني وفي ابهام الموصول وصلته من التفخيم وتكثير للغواشي ما لا يخفى فقد علم بهذه العبارة ان ما يغشاها من الخلائق الدالة على عظمة الله تعالى وجلالته اشياء لا يحيط بها الوصف ولا يكتنهها نعت ولا يحصيها عدد وقيل يغشاها جراد من ذهب وقال ابن مسعود فراش من ذهب قال الرازي وهذا ضعيف لان ذلك لا يثبت الا بدليل سمعي فان صح فيه خبر والا فلا وجه له وقيل طوائف من الملائكة وقال مجاهد رفرف اخضر وقيل رفرف من طيور خضر وقيل غشيها امر الله وقيل نور الخلائق وقيل نور رب العزة والمجيء بالمضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا للصورة البديعة او للدلالة على الاستمرار التجددي مَا زَاغَ الْبَصَرُ اي ما مال بصر النبي صلى الله عليه وسلم عما رآه ولم يلتفت الى ما غشي السدرة من فراش الذهب وغيره يمنة ولا يسرة بل اشتغل بمطالعتها مع ان ذلك العالم غريب عن بني آدم وفيه من العجائب ما يحير الناظر وَمَا طَغَى اي ما جاوز ما رأى وفي هذا وصف ادب النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام حيث لم يلتفت ولم يمل بصره ولم يمده الى غير ما رأى وقيل ما جاوز ما امر به لَقَدْ رَأَى اي والله لقد رأى تلك الليلة مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى اي العظام ما لا يحيط به الوصف قيل رأى رفرفا سد الافق وقيل رأى جبريل في حلة خضراء كما تقدم وقيل عجائب الملكوت وقال الضحاك رأى سدرة المنتهى وقيل هو كل ما رآه في مسراه تلك الليلة وعوده ومن للتبعيض ومفعول رأى الكبرى او رأى شيئا عظيما من آيات ربه او من زائدة ولما قص الله سبحانه هذه الاقاصيص قال للمشركين موبخا لهم ومقرعا أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى اي اخبروني عن هذه الالهة التي تعبدونها من دون الله هل لها قدرة توصف بها وهل اوحت اليكم شيئا كما اوحى الله الى محمد صلى الله عليه وسلم ام هي جمادات لا تعقل ولا تنفع وقال ابو السعود الهمزة للانكار والفاء لترتيب الرؤية على ما ذكر من شئونه تعالى المنافية لها غاية المنافاة والمعنى اعقيب ما سمعتم من آثار كمال عظمته واحكام قدرته ونفاذ امره في الملأ الاعلى وما تحت الثرى وما بينهما رأيتم هذه الاصنام مع غاية حقارتها وذلتها شركاء لله على ما تقدم من عظمته وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى ذكر هذه الاصنام الثلاثة التي اشتهرت في العرب وعظم اعتقادهم فيها قال الواحدي وغيره وكانوا يشتقون لها اسماء من اسماء

الله تعالى فقالوا من الله اللات ومن العزيز العزى وهي تانيث الاعز بمعنى العزيزة ومناة من منى الله الشيء اذا قدره قرئ اللات بتخفيف التاء وهي ماخوذة من اسم الله وقيل اصله لات يليت فالتاء اصلية وقيل هي زائدة واصله لوى يلوي لانهم كانوا يلوون اعناقهم اليها او يلتوون ويعتكفون عليها او يطوفون بها وقرئ اللات بتشديد التاء فقيل هو اسم رجل كان يلت السويق ويطعمه الحاج فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه فهو اسم فاعل في الاصل غلب على هذا الرجل وقال مجاهد كان رجلا في راس جبل يتخذ من لبنها وسمنها حيسا ويطعم الحاج وكان ببطن نخلة فلما مات عبدوه وقال الكلبي كان رجلا من ثقيف له صرمة غنم وقيل انه عامر بن الضرب العدواني قال في الصحاح واللات اسم صنم لثقيف وكان بالطائف وقيل بعكاظ وقيل بنخلة ورجح ابن عطية الاول وبعض العرب يقف عليها بالتاء وبعضهم بالهاء قال ابن عباس كان اللات رجلا يلت السويق للحاج اخرجه البخاري وغيره والالف واللام في اللات زائدة لازمة وقال ابو البقاء ليست بزائدة وهو غلط والعزى من العز وهي تانيث الاعز وهي اسم صنم لقريش وبني كنانة قال مجاهد هي شجرة كانت لغطفان وكانوا يعبدونها فبعث اليها النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها وقيل كانت شيطانة تاتي ثلث سمرات ببطن نخلة وقال سعيد بن جبير العزى حجر ابيض كانوا يعبدونه وقال قتادة هي بيت كان ببطن نخلة وعن ابن عباس ان العزى كانت ببطن نخلة وان اللات كانت بالطائف وان مناة كانت بقديد ومناة صنم بني هلال وقال ابن هشام صنم هذيل وخزاعة وقال قتادة كانت للانصار وقرئ مناة بالف من دون همزة وبالمد والهمزة فالاولى اشتقاقها من منى يمني اي صب لان دماء النسائك كانت تصب عندها يتقربون بذلك اليها وعلى الثانية فاشتقاقها من النوء وهو المطر لانهم كانوا يستمطرون عندها الانواء وقيل هما لغتان للعرب ووقف عليها بالتاء اتباعا لرسم المصحف وبالهاء قال في الصحاح ومناة اسم صنم كان بين مكة والمدينة والهاء للتانيث ويسكت عليها بالتاء وهي لغة والثالثة الاخرى صفة لمناة وصفها بانها ثالثة وبانها اخرى والثالثة لا تكون الا اخرى قال ابو البقاء فالوصف بالاخرى للتاكيد وقد استشكل وصف الثالثة بالاخرى والعرب انما تصف به الثانية فقال الخليل انما قال ذلك لوفاق رؤس الاي كقوله مارب اخرى وقال الحسين بن الفضل فيه تقديم وتاخير والتقدير افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة وقيل ان وصفها بالاخرى لقصد

التعظيم لانها كانت عند المشركين عظيمة وقيل ان ذلك للتحقير والذم وان المراد المتاخرة الوضيعة المقدار كما في قوله قالت اخراهم لاولاهم اي وضعاؤهم لرؤسائهم وهذا الزمخشري وقال ابن عادل وفيه نظر لان الاخرى انما تدل على الغيرية وليس فيها تعرض لمدح ولا ذم فان جاء شيء من ذلك فلقرينة خارجية ثم ذكر سبحانه توبيخهم وتقريعهم بمقالة شنعاء قالوها فقال أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ اي كيف تجعلون لله ما تكرهون من الاناث وتجعلون لانفسكم ما تحبون من الذكور قيل وذلك قولهم ان الملائكة بنات الله وقيل المراد كيف تجعلون اللات والعزى ومناة وهي اناث في زعمكم شركاء لله ومن شانهم ان يحتقروا الاناث ثم ذكر سبحانه ان هذه التسمية والقسمة المفهومة من الاستفهام قسمة جائرة فقال تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ قرئ بياء ساكنة بغير همزة وبهمزة ساكنة والمعنى انها قسمة خارجة عن الصواب جائرة عن العدل مائلة عن الحق قال الاخفش يقال ضاز في الحكم اي جار وضازه حقه يضيزه ضيزا اي نقصه وبخسه قال وقد يهمز وقال الكسائي ضاز يضيز ضيزى وضاز يضوز ضوزا اذا تعدى وظلم وبخس وانتقص قال الفراء وبعض العرب يقول ضأزا بالهمز وعن ابي زيد انه سمع العرب تهمز ضيزى قال البغوي ليس في كلام العرب فعلى بكسر الفاء في النعوت انما تكون في الاسماء مثل ذكرى قال المورج كرهوا ضم الضاد في ضيزى وخافوا انقلاب الياء واوا وهي من بنات الواو فكسروا الضاد لهذه العلة كما قالوا في جمع الابيض بيض وكذا قال الزجاج وقيل هي مصدر كذكرى فيكون المعنى قسمة ذات جور وظلم قال ابن عباس ضيزى جائرة لاحق فيها وقيل عوجاء غير معتدلة ثم رد سبحانه عليهم بقوله إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ اي ما الاوثان او الاصنام باعتبار ما تدعونه من كونها الهة الا اسماء محضة ليس فيها شيء من معنى الالوهية التي تدعونها لانها لا تبصر ولا تسمع ولا تعقل ولا تفهم ولا تضر ولا تنفع فليست الا مجرد اسماء وقيل ان قوله هي راجع الى الاسماء الثلاثة المذكورة والاول اولى سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم قلدوا فيها الاخر الاول وتبع في ذلك الابناء الاباء وفي هذا من التحقير لشانها ما لا يخفى كما تقول في تحقير رجل ما هو الا اسم اذا لم يكن مشتملا على صفة معتبرة ومثل هذه الآية قوله تعالى ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم يقال سميته زيدا وسميته بزيد فقوله سميتموها صفة لاسماء والضمير يرجع الى الاسماء لا الى الاصنام اي جعلتموها اسماء لا جعلتم لها اسماء مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ اي من حجة ولا برهان قال مقاتل لم ينزل لنا كتابا لكم فيه حجة كما تقولون

انها آلهة ثم اخبر عنهم بقوله إِن يَتَّبِعُونَ بالتحتية وقرئ بالفوقية اي ما يتبعون فيما ذكر من التسمية والعمل بموجبها وفيه التفات الى الغيبة للايذان بأن تعداد قبائحهم اقتضى الاعراض عنهم وحكاية جناياتهم الى غيرهم إِلَّا الظَّنَّ الذي لا يغني من الحق شيئا وهو ظن انها تستحق العبادة وبهذا تبين ان العطف في قوله وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ للمغايرة اي ما تميل اليه وتشتهيه من غير التفات الى ما هو الحق الذي يجب اتباعه ومن اتبع ظنه وما تشتهيه نفسه بعد ما جاءه الهدى والبيان الشافي لا يعد انسانا ولا يعتد به وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ اي البيان الواضح الظاهر بالكتاب المنزل والنبي المرسل بانها ليست بآلهة وان العبادة لا تصلح الا لله الواحد القهار والجملة اعتراض او حال من فاعل يتبعون وايا ما كان ففيها تأكيد لبطلان اتباع الظن وهوى النفس وزيادة تقبيح لحالهم فان اتباعهما من اي شخص كان قبيح وممن هداه الله بارسال الرسل وانزال الكتب اقبح أَمْ لِلْإِنسَانِ مَا تَمَنَّىٰ ام هي المنقطعة المقدرة ببل والهمزة التي للانكار فاضرب عن اتباعهم الظن الذي هو مجرد التوهم وعن اتباعهم هوى النفس وما تميل اليه وانتقل الى انكار ان يكون لهم ما يتمنون من كون الاصنام تنفعهم وتشفع لهم وقيل هو تمني بعضهم ان يكون هو النبي وقيل قوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى ثم علل انتفاء ان يكون للانسان ما تمنى بقوله فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ اي ان امور الآخرة والدنيا باسرها لله عز وجل فليس لهم معه امر من الامور ومن جملة ذلك امنياتهم الباطلة واطماعهم الفارغة ثم اكد ذلك وزاد في ابطال ما يتمنونه فقال وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا كم هنا هي الخبرية المفيدة للتكثير ولهذا جمع الضمير في شفاعتهم مع افراد الملك فلفظها مفرد ومعناها جمع والمعنى الاقناط مما علقوا به والتوبيخ لهم بما يتمنونه ويطمعون فيه من شفاعة الاصنام مع كون الملائكة مع كثرة عبادتها وكرامتها على الله لا تشفع الا لمن اذن ان يشفع له فكيف بهذه الجمادات الفاقدة للعقل والفهم وهو معنى قوله إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لهم بالشفاعة لِمَن يَشَاءُ ان يشفعوا له وَيَرْضَىٰ بالشفاعة لكونه من اهل التوحيد وليس للمشركين في ذلك حظ ولا يأذن الله بالشفاعة لهم ولا يرضاها لكونهم ليسوا من المستحقين لها إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ اي هؤلاء الذين لا يؤمنون بالبعث وما بعده من الدار الآخرة على الوجه الذي بينته الرسل وهم الكفار يضمون الى كفرهم مقالة شنعاء وجهالة جهلاء وهي انهم لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ

ع ٢٥

المنزهين عن كل نقص تَسْمِيَةَ الْأُنثَىٰ وذلك انهم رأوا في الملائكة تاء التانيث وصح عندهم ان
يقال سجدت للملائكة فزعموا انها بنات الله فجعلوهم اناثا وسموهم بناتا وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ اي
والحال انهم غير عالمين بما يقولون فانهم لم يعرفوه ولا شاهدوهم ولا بلغ اليهم ذلك من طريق
من طرق التي يخبر المخبرون عنها بل قالوا ذلك جهلا وضلالة وجرأة وقرئ ما لهم بها اي بالملائكة
او التسمية ومن زائدة في المبتدأ للوكيد إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ اي ما يتبعون في هذه المقالة الا مجرد
الظن والتوهم وقال النسفي هو تقليد الآباء ثم اخبر سبحانه عن الظن وحكمه فقال وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ
الْحَقِّ شَيْئًا اي ان جنس الظن لا يغني من الاغناء ومن بمعنى عن والحق هنا العلم وفيه دليل على ان
مجرد الظن لا يقوم مقام العلم وان الظان غير عالم وهذا في الامور التي يحتاج فيها الى العلم وهي
المسائل العلمية لا فيما يكتفى فيه بالظن وهي المسائل العملية وقد قدمنا تحقيق هذا ولا بد من
هذا التخصيص فان دلالة العموم والقياس وخبر الواحد ونحو ذلك ظنية فالعمل بها عمل بالظن وقد
وجب علينا العمل في هذه الامور فكانت ادلة وجوب العمل به فيها مخصصة لهذا العموم وما ورد
في معناه من الذم لمن عمل بالظن والنهي عن اتباعه وفي الكرخي الظن لا اعتبار له في المعارف الحقيقية
وانما العبرة به في العمليات وما يكون وصلة اليها كمسائل علم الفقه وقال ابن الخطيب المراد منه ان
الظن لا يغني في الاعتقادات شيئا واما في الافعال العرفية او الشرعية فان الظن فيها يتبع عند عدم
الوصول الى اليقين فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ اي اعرض عن ذِكْرِنَا المراد بالذكر هنا القرآن او ذكر
الآخرة او ذكر الله على العموم وقيل المراد به هنا الايمان والمعنى اترك مجادلتهم فقد بلغت اليهم
ما امرت به وليس عليك الا البلاغ وهذا منسوخ باية السيف قال الرازي واكثر المفسرين يقولون ان
كل ما في القرآن من قوله فاعرض منسوخ باية القتال وهو باطل لان الامر بالاعراض موافق لاية القتال
فكيف ينسخ ولا عراض عن المناظرة شرط لجواز المقاتلة وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا اي لم يرد سواها
ولا طلب غيرها بل قصر نظره عليها فانه غير متاهل للخير ولا مستحق للاعتناء بشانه ثم صغر سبحانه
شانهم وحقر امرهم فقال ذَٰلِكَ اي التولي وقصر الارادة على الحيوة الدنيا هو مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ
ليس لهم علم غيره ولا يلتفتون الى سواه من امر الدين قال الفراء اي ذلك قدر عقولهم ونهاية علمهم ان اثروا
الدنيا على الآخرة وقيل الاشارة بقوله ذلك الى جعلهم الملائكة بنات الله وتسميتهم لهم تسمية الانثى

ربع

والاول اولى والمراد بالعلم هنا مطلق الادراك الذي يندرج تحته الظن الفاسد والجملة مستأنفة لتقرير جهلهم واتباعهم مجرد الظن وقيل معترضة بين المعلل والعلة وهي قوله إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ فان هذا تعليل للامر بالاعراض والمعنى انه سبحانه وتعالى اعلم بمن حاد عن الحق واعرض عنه ولم يهتد اليه واعلم بمن اهتدى فقبل الحق واقبل اليه وعمل به فهو مجاز كل عامل بعمله ان خيرا فخير وان شرا فشر وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وارشاد له بانه لا يتعب نفسه في دعوة من اصر على الضلالة وسبقت له الشقاوة فان الله قد علم حال هذا الفريق الضال كما علم حال الفريق الراشد وتكرير قوله هو اعلم لزيادة التقرير وللايذان بكمال تباين المعلومين ثم اخبر سبحانه عن سعة قدرته وعظيم ملكه فقال وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ اي هو المالك لذلك والمتصرف فيه لا يشاركه فيه احد لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا من الشرك وغيره اللام متعلقة بما دل عليه الكلام كأنه قال هو مالك ذلك يضل من يشاء ويهدي من يشاء ليجزي المسيئ باساءته والمحسن باحسانه وقيل المعنى هو اعلم بمن اهتدى ليجزي وقيل هي لام العاقبة لا التعليل اي وعاقبة امر الخلق الذين فيهم المحسن والمسيئ ان يجزي الله كلا منهما بعمله وبه صرح الواحدي والزمخشري وقال مكي ان اللام متعلقة بقوله لا يغني شفاعتهم وهو بعيد من حيث اللفظ ومن حيث المعنى قرئ ليجزي بالتحتية وبالنون وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بالتوحيد وغيره من الطاعات بِالْحُسْنَى اي بالمثوبة الحسنى وهي الجنة او بسبب اعمالهم الحسنى وتكرير الفعل لابراز كمال الاعتناء بامر الجزاء وللتنبيه على تباين الجزائين ثم وصف هؤلاء المحسنين فقال الَّذِينَ اي هم الذين يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ قرئ الكبائر على الجمع وكبير على الافراد والكبائر كل ذنب توعد الله عليه بالنار او ذم فاعله ذما شديدا ولاهل العلم في تحقيق الكبائر كلام طويل وكما اختلفوا في تحقيق معناها وماهيتها اختلفوا في عددها وَالْفَوَاحِشَ جمع فاحشة وهي ما فحش من كبائر الذنوب كالزنا ونحوه وهو من عطف الخاص على العام قال مقاتل كبائر الاثم كل ذنب ختم بالنار والفواحش كل ذنب فيه الحد وقيل الكبائر الشرك والفواحش الزنا وقد قدمنا في سورة النساء ما هو ابسط من هذا واكثر فائدة وقال ابن عباس الكبائر ما سمى الله فيه النار والفواحش ما كان فيه حد الدنيا إِلَّا اللَّمَمَ اي الا ما قل وصغر

من الذنوب والاستثناء منقطع لانه ليس من الكبائر والفواحش قال السمين وهذا هو المشهور
ويجوز ان يكون متصلا عند من يفسر اللمم بغير الصغائر واصل اللمم في اللغة ما قل وصغر ومنه
الم بالمكان قل لبثه فيه والم بالطعام قل اكله منه قال المبرد اصل اللمم ان يلم
بالشيء من غير ان يركبه يقال الم بكذا اذا قاربه ولم يخالطه قال الازهري العرب تستعمل الالمام في معنى
الدنو والقرب قال الزجاج اصل اللمم والالمام ما يعمله الانسان المرة بعد المرة ولا يتعمق فيه ولا
يقيم عليه يقال ألممت به اذا زرته وانصرفت عنه ويقال ما فعلته الا لماما والماما اي الحين بعد
الحين ومنه الماما لخيال قال في الصحاح الم الرجل من اللمم وهو صغائر الذنوب ويقال هو مقاربة
المعصية من غير مواقعة وقد اختلف اقوال اهل العلم في تفسير هذا المذكور في الآية فالجمهور
على انه صغائر الذنوب وقيل هو ما كان دون الزنا من القبلة والغمزة والنظرة وكالكذب الذي
لا حد فيه ولا ضرر والاشراف على بيوت الناس وهجر المسلم فوق ثلاث والضحك في الصلوة المفروضة
والنياحة وشق الجيب للمصيبة والتبختر في المشي والجلوس بين الفساق ايناسا بهم وادخال
مجانين وصبيان ونجاسة المسجد اذا كان يغلب تنجيسهم له واستعمال نجاسة في بدن او ثوب
لغير حاجة ونحو ذلك ذكره الخطيب وغيره وقيل هو الرجل يلم بذنب ثم يتوب ويقع الواقعة ثم
ينتهي وهو قول ابي هريرة وابن عباس وبه قال مجاهد والحسن والزهري ومنه ان تغفر اللهم
تغفر جما، واي عبد لك لا الما، واختار هذا القول الزجاج والنحاس وقيل هو ذنوب الجاهلية
فان الله لا يؤاخذ بها في الاسلام وبه قال زيد بن ثابت وزيد بن اسلم وقال نفطويه هو ان ياتي
بذنب لم يكن له به عادة قال والعرب تقول ما تاتينا الا لماما اي في الحين قال ولا يكون ان يهم
ولا يفعل لان العرب لا تقول الم بنا الا اذا فعل لا اذا هم ولم يفعل والراجح الاول اخرج البخاري ومسلم
عن ابن عباس قال ما رايت شيئا اشبه باللمم مما قال ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله كتب على ابن
ادم حظه من الزنا ادرك ذلك لا محالة فزنا العين النظر وزنا اللسان النطق والنفس تمنى وتشتهي و
الفرج يصدق ذلك او يكذبه وعن ابن مسعود في قوله الا اللمم قال زنا العين النظر وزنا الشفتين
التقبيل وزنا اليدين البطش وزنا الرجلين المشي ويصدق ذلك الفرج او يكذب به فان تقدم بفرجه
كان زانيا والا فهو اللمم وعن ابي هريرة انه سئل عن قوله الا اللمم قال هي النظرة والغمزة والقبلة والمباشرة

فاذا مس الختان الختان فقد وجب الغسل وهو الزنا وهو قول ابن مسعود ومسروق والشعبي وعن ابن
عباس فيه قال الا اللمم الا ما قد سلف وعنه قال هو الرجل يلم بالفاحشة ثم يتوب منها وعن ابي هريرة
قال اللمة من الزنا ثم يتوب ولا يعود واللمة من شرب الخمر ثم يتوب ولا يعود فذلك الالمام وعن
ابن عباس ايضا قال اللمم كل شيء بين الحدين حد الدنيا وحد الآخرة تكفره الصلوة وهو دون
كل موجب فاما حد الدنيا فكل حد فرض الله عقوبته في الدنيا واما حد الآخرة فكل شيء ختمه الله
بالنار واخر عقوبته الى الآخرة وقال عبد الله بن عمرو بن العاص اللمم دون الشرك إِنَّ رَبَّكَ
وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ بسبب غفران الصغائر باجتناب الكبائر قال الكرخي عقب به ما سبق لئلا ييأس
صاحب الكبيرة من رحمته ولئلا يتوهم وجوب العقاب على الله تعالى وقال غيره الجملة تعليل
لما تضمنه الاستثناء اي ان ذلك وان خرج عن حكم المواخذة فليس يخلو عن كونه ذنبا
يفتقر الى مغفرة الله ويحتاج الى رحمته بل لسعة المغفرة الربانية وقيل انه سبحانه يغفر لمن
تاب عن ذنبه واناب وعن عمر وابن عباس قال لا كبيرة في الاسلام يعني مع التوبة ولا صغيرة
مع الاصرار قلت وفي كون الاصرار على الصغيرة كبيرة اختلاف بين اهل العلم قال النووي في المنهاج
وشرط العدالة اجتناب الكبائر والاصرار على صغيرة قال في تحفة المحتاج قيل عطف الاصرار
من عطف الخاص على العام وفيه نظر لان الاصرار لا يصير الصغيرة كبيرة حقيقة وانما يلحقها
في الحكم ولا ينافي هذا قول كثيرين كابن عباس ونسب للمحققين كالاشعري وابن فورك والاستاذ
ابي اسحق انتهى وفي الزواجر عن اقتراف الكبائر نقلا عن الرافعي اما الصغائر فلا يشترط تجنبها بالكلية
لكن الشرط ان لا يصر عليها فان اصر كان الاصرار كارتكاب الكبيرة انتهى والحاصل ان المعتمد وقال
لكثير من المتأخرين كالاذرعي والبلقيني والزركشي وابن العماد وغيرهم انه لا تضر المداومة على نوع
من الصغائر ولا على انواع سواء كان مقيما على الصغيرة او الصغائر ومكثرا من فعل ذلك حيث
غلب الطاعات المعاصي والا ضر ثم رايت ابن العماد قال ما نقله الاسنوي عن الرافعي من ان الاصرار
على الصغيرة يصيرها كبيرة ليس كذلك ولم يذكر الرافعي هذه العبارة قال البلقيني المراد عدم غلبة
الصغائر على الطاعة وفسر القاضيان الماوردي والطبري الاصرار في قوله تعالى ولم يصروا بان
لم يعزموا على ان لا يعودوا اليه وقضيته حصول الاصرار بالعزم على العود بترك العزم على عدم العود

ويوافقه قول ابن الصلاح الاصرار التلبس بضد التوبة باستمرار العزم على المعاودة واستدامة الفعل بحيث يدخل به في حيز ما يطلق عليه الوصف بصيرورته كبيرة وليس لزمن ذلك وعدده حصر وقال ابن عبد السلام الاصرار ان تتكرر منه الصغيرة تكرارا يشعر بقلة مبالاته بدينه اشعار ارتكاب الكبيرة بذلك وكذلك اذا اجتمعت صغائر مختلفة الانواع بحيث يشعر مجموعها بما يشعر به اصغر الكبائر انتهى والصواب في هذا الباب ما ذكره القاضي محمد بن علي الشوكاني رح في ارشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الاصول ونصه قد قيل ان الاصرار على الصغيرة حكمه حكم مرتكب الكبيرة وليس على هذا دليل يصلح للتمسك به وانما هي مقالة لبعض الصوفية فانه قال لا صغيرة مع الاصرار وقد روى بعض من لا يعرف علم الرواية هذا اللفظ وجعله حديثا ولا يصح ذلك بل الحق ان الاصرار حكمه حكم ما اصر عليه والاصرار على الصغيرة صغيرة والاصرار على الكبيرة كبيرة انتهى ويفهم من ذلك ايضا ان الاصرار على الكبيرة ليس كنوافض التوبة عن الكبيرة وان كانت واجبة علينا فورا بنصوص الكتاب والسنة واجماع الامة لكن قد يغفرها الله تعالى من غير توبة ايضا كما دلت عليه السنة المطهرة واختاره محققوا اهل الحديث ثم ذكر سبحانه احاطة علمه باحوال عباده فقال هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ اي باحوالكم وتفاصيل امورالكم إِذْ حين أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ اي خلقكم منها في ضمن خلق ابيكم ادم وحينما صوركم في الارحام وقيل المراد ادم فانه خلقه من طين وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ اي هو اعلم باحوالكم وقت كونكم اجنة وهي جمع جنين وهو الولد ما دام في البطن سمي بذلك لاجتنانه اي لاستتاره في بطن امه ولهذا قال فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فلا يسمى من خرج عن البطن جنينا والجملة مستانفة لتقرير ما قبلها عن ثابت بن الحارث الانصاري قال كانت اليهود اذا هلك لهم صبي صغير قالوا هو صديق فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال كذبت يهود ما من نسمة يخلقها في بطن امها الا انه شقي او سعيد فانزل الله عند ذلك هذه الآية اخرجه الطبراني وغيره فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ اي لا تمدحوها ولا تثنوا عليها خيرا ولا تنسبوها الى زكاء العمل وزيادة الخير والطاعات وحسن الاعمال واهضموها فان ترك تزكية النفس ابعد من الرياء واقرب الى الخشوع قال ابن عباس لا تمدحوها وقال الحسن علم الله من كل نفس ما هي صانعة والى ما هي صائرة فلا تبروها من الآثام ولا تمدحوها بحسن الاعمال وقيل لا تزكوها رياء وخيلاء ولا تقولوا لمن لم تعرفوا حقيقته انا خير منك وانا ازكى منك او اتقى منك

فان العلم عند الله وفيه اشارة الى وجوب خوف العاقبة فان الله يعلم عاقبة من هو على التقوى اخرج احمد ومسلم وابو داؤد عن زينب بنت ابي سلمة انها سميت برة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزكوا انفسكم الله اعلم باهل البر منكم سموها زينب وقال المحلي في الآية وهذا النهي على سبيل الاعجاب واما على سبيل الاعتراف بالنعمة فحسن ولهذا قيل المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر لقوله تعالى واما بنعمة ربك فحدث هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ مستانفة مقررة للنهي اي فانه يعلم المتقي منكم وغيره قبل ان يخرجكم من صلب ابيكم آدم فمن جاهد نفسه وخلصت منه التقوى فهو يحصله فوق ما يؤمل من الثواب في الدارين فكيف بمن صارت له التقوى له وصفا ثابتا وهو الذي ينتفع بها ويثاب عليها وقيل نزلت في ناس كانوا يعملون اعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا ثم لما بين الله سبحانه وتعالى جهالة المشركين على العموم خص بالذم بعضهم فقال أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ عن الخير واعرض عن اتباع الحق وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا اي اعطى عطاء قليلا او شيئا قليلا من المال المسمى وَأَكْدَىٰ منع الباقي وقطع ذلك وامسك عنه مأخوذ من الكدية وهي الصلابة يقال لمن حفر بيرا ثم بلغ فيها الى حجر لا يتهيأ له فيه حفر قد اكدى ثم استعملته العرب لمن اعطى فلم يتم ولمن طلب شيئا فلم يبلغ آخره قال الكسائي وابو زيد ويقال كدت اصابعه اذا كلت من الحفر وكدت يده اذا كلت ولم تعمل شيئا واكدت الارض اذا قل نباتها واكديت الرجل عن الشيء رددته واكدى الرجل اذا قل خيره قال الفراء معنى الآية امسك عن العطية وقطع وقال المبرد منع منعا شديدا وقال مجاهد وابن زيد ومقاتل نزلت في الوليد بن المغيرة وكان قد اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم على دينه فعيره بعض المشركين فترك ورجع الى شركه قال مقاتل كان الوليد مدح القرآن ثم امسك عنه فاعطى قليلا من لسانه من الخير ثم قطعه وقال الضحاك نزلت في النضر بن الحارث وقال محمد بن كعب القرظي نزلت في ابي جهل قال ابن عباس اكدى قطع نزلت في العاص بن الوائل وعنه قال اطاع قليلا ثم انقطع أَعِندَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰ الاستفهام للتقريع والتوبيخ والمعنى اعند هذا المكدي علم ما غاب عنه من امر العذاب فهو يعلم ذلك قال مقاتل وهو الوليد بن المغيرة وعليه الاكثر وقال السدي انه العاص بن وائل السهمي او ابو جهل كما قاله محمد بن كعب وهذا الخلاف في من تولى واعطى واكدى واما الذي عيره وضمن له ان يحمل عنه العذاب فلم يذكروا

هنا تعيينه أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ اي المخبر ولم يحدث بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ يعني اسفاره وهي التوراة او صحف قبلها
وَ بما في صحف إِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ اي تمم واكمل ما امر به قال المفسرون اي بلغ قومه ما امر به واداه
وقيل بالغ في الوفاء بما عاهد الله عليه عن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اتدرون ما قوله
وابراهيم الذي وفى قالوا الله ورسوله اعلم قال وفى عمل يومه باربع ركعات كان يصليهن وزعم
انها صلوة الضحى اخرجه سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وغيرهم قال السيوطي ضعيف
وفي اسناده جعفر ابن الزبير وهو ضعيف وعن سهل بن معاذ بن انس عن ابيه عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال الا اخبركم لم سمى الله خليله الذي وفى انه كان يقول كلما اصبح وامسى فسبحان الله حين
تمسون وحين تصبحون الى اخر الاية اخرجه ابن ابي حاتم وفي اسناده ابن لهيعة وهو ضعيف وعن
ابن عباس قال سهام الاسلام ثلاثون سهما لم يتمها احد قبل ابراهيم قال الله وابراهيم الذي
وفى وعنه قال يقول ابراهيم الذي استكمل الطاعة فيما فعل بابنه حين رأى الرؤيا وانما خص هذين
النبيين بالذكر لانه كان قبل ابراهيم وموسى يوخذ الرجل بجريرة غيره فاول من خالفهم ابراهيم
ثم بين سبحانه ما في صحفهما فقال أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ اي لا تحمل نفس حاملة حمل نفس
اخرى ومعناه لا تؤخذ نفس بذنب غيرها قال ابن عباس كانوا قبل ابراهيم ياخذون الرجل
بذنب غيره كان الرجل يقتل بقتل ابيه وابنه واخيه وامرأته وعبده حتى كان ابراهيم
فنهاهم عن ذلك وبلغهم عن الله تعالى الا تزر الخ وقد مضى تفسير هذه الاية في
سورة الانعام وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ وهذا ايضا من جملة ما في صحف موسى
وابراهيم والمعنى ليس له الا اجر سعيه وجزاء عمله ولا ينفع احدا عمل احد وهذا العموم مخصوص
بمثل قوله سبحانه والحقنا بهم ذريتهم وبمثل ما ورد في شفاعة الانبياء والملائكة للعباد ومشروعية
دعاء الاحياء للاموات ونحو ذلك ولم يصب من قال ان هذه الاية منسوخة بمثل هذه الامور
فان الخاص لا ينسخ العام بل يخصصه فكلما قام الدليل على ان الانسان ينتفع به وهو من غير سعيه
كان مخصصا لما في هذه الاية من العموم وتعقب ايضا بانها خبر ولا نسخ في الاخبار وبانها على ظاهرها
والدعاء من الولد دعاء من الوالد من حيث اكتسابه للولد وبانها مخصوصة بقوم ابراهيم وموسى لانها
حكاية لما في صحفهم واما هذه الامة فلها ما سعت هي وما سعى لها غيرها لما صح ان لكل نبي وصالح

شفاعة وهو انتفاع بعمل الغير ولغير ذلك ومن تأمل النصوص وجد من انتفاع الانسان بما لم يعمله ما لا يكاد يحصى فلا يجوز ان تأول الاية على خلاف الكتاب والسنة واجماع الامة وح فالظاهر ما قلنا ان الاية عامة قد خصصت بامور كثيرة قال ابن عباس فى الاية فانزل الله بعد ذلك والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم الاية فادخل الله الابناء الجنة بصلاح الاباء وكان ابن عباس اراد ان هذه الاية استرجع استثناء وقيل المراد بالانسان الكافر والمعنى ليس له من الخير الا ما عمل هو فيثاب عليه في الدنيا بان يوسع عليه في رزقه ويعافى في بدنه حتى لا يبقى له في الاخرة خير وقيل هو من باب العدل واما من باب الفضل فجائز ان يزيده الله ما يشاء من فضله وكرمه وقيل هذا منسوخ الحكم في هذه الشريعة وانما هو في صحف موسى وابراهيم قال شيخ الاسلام تقي الدين ابو العباس احمد بن تيمية رح من اعتقد ان الانسان لا ينتفع الا بعمله فقد خرق الاجماع وذلك باطل من وجوه كثيرة **احدها** ان الانسان ينتفع بدعاء غيره وهو انتفاع بعمل الغير **ثانيها** ان النبي صلى الله عليه وسلم يشفع لاهل الموقف في الحساب ثم لاهل الجنة في دخولها **ثالثها** لاهل الكبائر في الخروج من النار وهذا انتفاع بسعي الغير **رابعها** ان الملائكة يدعون ويستغفرون لمن في الارض وذلك منفعة بعمل الغير **خامسها** ان الله تعالى يخرج من النار من لم يعمل خيرا قط بمحض رحمته وهذا انتفاع بغير عملهم **سادسها** ان اولاد المؤمنين يدخلون الجنة بعمل ابائهم وذلك انتفاع بمحض عمل الغير **سابعها** قال تعالى في قصة الغلامين اليتيمين وكان ابوهما صالحا فانتفعا بصلاح ابيهما وليس من سعيهما **ثامنها** ان الميت ينتفع بالصدقة عنه وبالعتق بنص السنة والاجماع وهو من عمل الغير **تاسعها** ان الحج المفروض يسقط عن الميت بحج وليه بنص السنة وهو انتفاع بعمل الغير **عاشرها** ان الحج المنذور او الصوم المنذور يسقط عن الميت بعمل غيره بنص السنة وهو انتفاع بعمل الغير **حادي عشرها** المدين قد امتنع صلى الله عليه وسلم من الصلوة عليه حتى قضى دينه ابو قتادة وقضى دين الاخر علي بن ابي طالب فانتفع بصلوة النبي صلى الله عليه وسلم وهو من عمل الغير **ثاني عشرها** ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لمن صلى وحده الا رجل يتصدق على هذا فيصلي معه فقد حصل له فضل الجماعة بفعل الغير **ثالث عشرها** ان الانسان تبرأ ذمته من ديون الخلق اذا قضاها قاض عنه وذلك انتفاع بعمل الغير **رابع عشرها** ان من عليه تبعات ومظالم اذا حلل منها سقطت عنه وهذا انتفاع بعمل الغير **خامس عشرها**

ان الجار الصالح ينفع في المحيا والممات كما جاء في الاثر وهذا انتفاع بعمل الغير سادس عشرها ان جليس اهل الذكر يرحم بهم وهو لم يكن منهم ولم يجلس لذلك بل لحاجة عرضت له والاعمال بالنيات فقد انتفع بعمل غيره سابع عشرها الصلوة على الميت والدعاء له في الصلوة انتفاع للميت بصلوة الحي عليه وهو عمل غيره ثامن عشرها ان الجمعة تحصل باجتماع العدد وكذلك الجماعة بكثرة العدد وهو انتفاع للبعض بالبعض تاسع عشرها ان الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وقال تعالى ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات وقال تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض فقد رفع الله تعالى العذاب عن بعض الناس بسبب بعض وذلك انتفاع بعمل الغير عشروها ان صدقة الفطر تجب على الصغير وغيره ممن يمونه الرجل فانه ينتفع بذلك من يخرج ولا سعي له فيها حادي عشريها ان الزكوة تجب في مال الصبي والمجنون ويثاب على ذلك ولا سعي له ومن تامل العلم وجد من انتفاع الانسان بما لم يعمله ما لا يكاد يحصى فكيف يجوز ان نتاول الاية الكريمة على خلاف صريح الكتاب والسنة واجماع الامة انتهى كلامه رح وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ اي يعرض عليه ويكشف له يوم القيامة ويبصره في الاخرة في ميزانه من غير شك ثُمَّ يُجْزَاهُ اي يجزى الانسان سعيه يقال جزاه الله بعمله وجزاه على عمله فالضمير المرفوع عائد على الانسان والمنصوب على سعيه وقيل على الجزاء المتاخر وهو قوله الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ فيكون هو مفسر له ويجوز ان يرجع الى الجزاء الذي هو مصدر يجزاه وقواه السفاقسي ويجعل الجزاء الاوفى تفسيرا للجزاء المدلول عليه بالفعل كما في قوله اعدلوا هو اقرب للتقوى قال الاخفش يقال جزيته الجزاء وجزيته بالجزاء سواء لا فرق بينهما وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ اي المرجع والمصير اليه سبحانه لا الى غيره فيجازيهم باعمالهم هذا كله في الصحف الاولى والمخاطب كل او النبي صلى الله عليه وسلم خاصة عن ابي بن كعب في هذه الاية عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا فكرة في الرب وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ اي هو الخالق لذلك والقاضي بسببه قال الحسن والكلبي اضحك اهل الجنة في الجنة وابكى اهل النار في النار وقال الضحاك اضحك الارض بالنبات وابكى السماء بالمطر وقيل اضحك من شاء في الدنيا بان سره وابكى من شاء بان غمه وهذا على ان كلا الفعلين حذف مفعوله وقال سهل بن عبد الله اضحك المطيعين بالرحمة وابكى العاصين بالسخط وقيل اضحك المؤمنين

في العقبى بالمواهب ابكاهم في الدنيا بالنوائب وقيل خلق الفرح والحزن وقيل ان الفعلين من الافعال
اللازمة كقوله والله يحيي ويميت وهذا يدل على ان ما يعمل الانسان فبقضائه وخلقه حتى الضحك
والبكاء وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا اي قضى اسباب الموت والحياة ولا يقدر على ذلك غيره وقيل خلق
نفس الموت والحياة كما في قوله خلق الموت والحياة وقيل امات الاباء واحيي الابناء وقيل امات في
الدنيا واحيي للبعث وقيل المراد بهما النوم واليقظة وقال عطاء امات بعدله واحيي بفضله وقيل
امات الكافر واحيي المؤمن كما في قوله او من كان ميتا فاحييناه وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الصنفين
الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى من كل حيوان وهذا ايضا من جملة المتضادات الواردة على النطفة فبعضها يخلق
ذكرا وبعضها يخلق انثى ولا يصل اليه فهم العقلاء ولا يعلمونه وانما هو بقدرة الله لا بفعل
الطبيعة وفيه رد على الطبائعيين القائلين بالبرد والرطوبة في الانثى فرب امرأة احر وايبس
مزاجا من الرجل مِنْ نُطْفَةٍ منيء ولا يدخل في ذلك ادم وحوى فانهما لم يخلقا من النطفة والنطفة
الماء القليل إِذَا تُمْنَى اي تصب في الرحم وتدفق فيه كذا قال الكلبي والضحاك وعطاء بن ابي رباح وغيرهم
يقال منى الرجل يمني وامنى اي صب المني وقال ابو عبيدة اذا تمنى اذا تقدر يقال منيت الشيء اذا قدرته
ومنى له اذا قدر له وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى اي اعادة الارواح الى الاجسام عند البعث وفاء بوعده
فانه قال انا نحن نحيي ونميت لا بحكم العقل ولا الشرع قرئ النشأة بالقصر بوزن الضربة وبالمد بوزن
الكفالة سبعيتان وهما على القراءتين مصدران وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى اي اغنى من شاء وافقر من
شاء ومثله قوله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وقوله يقبض ويبسط قاله ابن زيد واختاره
ابن جرير وقال مجاهد وقتادة والحسن اغنى موّل واقنى اخدم وقيل معنى اقنى اعطى القنية وهي
ما يتاثل من الاموال اي اصول الاموال وما يدخرونه بعد الكفاية وقيل معنى اقنى ارضى بما اعطى
اي اغناه ثم ارضاه بما اعطاه قال الجوهري قنى الرجل يقني مثل غنى يغني ثم يتعدى بتغيير الحركة
فيقال قنيت له مالا كسبته وهو نظير شترت عينه بالكسر وشترها الله بالفتح فاذا دخلت عليه الهمزة
والتضعيف اكتسب مفعولا ثانيا فيقال اقناه الله مالا وقناه اياه اي كسبه اياه واقناه ارضاه والقنا
الرضاء قال ابو زيد تقول العرب من اعطي مائة من البقر فقد اعطي القنى ومن اعطي
مائة من الضأن فقد اعطي الغناء ومن اعطي مائة من الابل فقد اعطي المنى وقال الاخفش وابن كيسان

اقنى افقر وهو يؤيد القول الاول وقال ابن عباس اغنى واقنى اعطى وارضى وقيل اقنى زاد فوق الغنى وحذف مفعول اغنى واقنى لان المراد نسبة هذين الفعلين اليه وحده وكذلك باقيها وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَىٰ هي كوكب يطلع خلف الجوزاء في شدة الحر والمراد به هنا الشعرى التي يقال لها العبور وهي اشد ضياء من الشعرى التي يقال لها الغميصاء وانما ذكر سبحانه انه رب الشعرى مع كونه ربا لكل الاشياء للرد على من كان يعبدها واول من عبدها وسن عبادتها ابو كبشة وكان من اشراف العرب وذلك لان النجوم تقطع السماء عرضا والشعرى تقطعها طولا فهي مخالفة لها فعبدها وعبدها خزاعة وحمير وكانت قريش تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ابي كبشة تشبيها له به لمخالفته دينهم كما خالفهم ابو كبشة وكان من اجداد النبي صلى الله عليه وسلم من قبل امه ومن ذلك قول ابي سفيان عند دخوله على هرقل لقد امر امر ابن ابي كبشة قال ابن عباس في الاية هو الكوكب الذي يدعى الشعرى وعنه قال نزلت هذه الاية في خزاعة وكانوا يعبدون الشعرى وهو الكوكب الذي يتبع الجوزاء ويسمى كلب الجبار ايضا وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ وصف عادا بالاولى لكونهم كانوا من قبل ثمود قال ابن زيد قيل لها عاد الاولى لانهم اول امة اهلكت بعد نوح وقال ابن اسحق هما عادان فالاولى اهلكت بالصرصر والاخرى بالصيحة وقيل عاد الاولى قوم هود اهلكوا بريح صرصر وعاد الاخرى ارم بن عوص بن سام بن نوح وَثَمُودَ كما اهلك عادا فَمَا أَبْقَىٰ احدا من الفريقين وثمود هم قوم صالح عليه السلام اهلكوا بالصيحة وقد تقدم الكلام على عاد وثمود في غير موضع وَقَوْمَ نُوحٍ بالغرق مِّن قَبْلُ اي من قبل اهلاك عاد وثمود إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ من عاد وثمود وَأَطْغَىٰ منهم او اظلم واطغى من جميع الفرق الكفرية او اظلم واطغى من مشركي العرب وانما كانوا كذلك لانهم عتوا على الله بالمعاصي مع طول مدة دعوة نوح لهم كما في قوله فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما وقيل لانهم كانوا يضربونه حتى لا يكون به حراك ويغشى عليه فاذا افاق قال رب اغفر لقومي فانهم لا يعلمون وينفرون عنه حتى كانوا يحذرون صبيانهم ان يسمعوا منه وَالْمُؤْتَفِكَةَ الائتفاك الانقلاب والمؤتفكة مدائن قوم لوط عليه السلام وسميت المؤتفكة لانها انقلبت بهم وصار عاليها سافلها تقول افكته اذا قلبته ومعنى أَهْوَىٰ اسقط اي اهواها جبريل الى الارض بعد ان رفعها الى السماء مقلوبة الى الارض قال المبرد جعلها تهوي فَغَشَّاهَا

ما غشى اي البسها ما البسها من الحجارة المنضودة المسومة التي وقعت عليهم كما في قوله فجعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليهم حجارة من سجيل وفي هذه العبارة تهويل للامر الذي غشاها به وتعظيم له وقيل ان الضمير راجع الى جميع الامم المذكورة اي فغشاها من العذاب ما غشى على اختلاف انواعه فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى هذا خطاب للانسان المكذب اي فباي نعم ربك الدالة على وحدانيته وقدرته ايها الانسان المكذب تتشكك وتمتري وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم تعريضا لغيره فهو من باب الالهاب والتهييج والتعريض بالغير وعن ابن عباس انه الوليد بن المغيرة وقيل لكل من يصلح له قال ابن عادل الصحيح العموم لقوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم وقوله وكان الانسان اكثر شيء جدلا قلت ولقوله فباي آلاء ربكما تكذبان قيل اسناد فعل التماري الى الواحد باعتبار تعدده بحسب تعدد متعلقه وهو الآلاء التماري فيها قلت لا حاجة الى هذا التكلف لان التفاعل مجرد عن التعدد في الفاعل والفعل للمبالغة في الفعل وسمى هذه الامور المذكورة آلاء اي نعما مع كون بعضها نقما لا نعما لانها مشتملة على العبر والمواعظ ويكون فيها انتقام من العصاة وفي ذلك نصرة للانبياء والصالحين قرئ تتمارى من غير ادغام وبادغام احدى التائين في الاخرى هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى اي هذا محمد رسول اليكم من الرسل المتقدمين قبله فانه انذركم كما انذروا قومهم كذا قال ابن جريج ومحمد بن كعب وغيرهما وقال قتادة يريد القرآن وانه انذر بما انذرت به الكتب الاولى وقيل هذا الذي اخبرنا به عن اخبار الامم تخويف لهذه الامة من ان ينزل بهم ما نزل باولئك كذا قال ابو مالك وقال ابو صالح الاشارة بقوله هذا الى ما في صحف موسى وابراهيم والاول اولى قال ابن عباس هذا نذير اي محمد صلى الله عليه وسلم والاولى على تاويل الجماعة لمراعاة الفواصل والتنوين للتفخيم على جميع التقادير المتقدمة أَزِفَتِ الْآزِفَةُ اي قربت الساعة ودنت سماها آزفة لقرب قيامها وقيل لدنوها من الناس كما في قوله اقتربت الساعة اخبرهم بذلك ليستعدوا لها قال في الصحاح ازفت الآزفة يعني القيامة وازف الرجل عجل قال ابن عباس الآزفة من اسماء القيامة واللام فيها للعهد لا للجنس لئلا يخلو الكلام عن الفائدة اذ لا معنى لوصف القريب بالقرب كما قيل ولذا قيل ان الآزفة علم بالغلبة للساعة هنا وفيه نظر لان وصف القريب بالقرب يفيد المبالغة في قربه كما يدل عليه الافتعال في اقتربت الساعة لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ اي ليس لها نفس او حال قادرة على كشفها عند وقوعها الا الله سبحانه وقيل كاشفة بمعنى انكشاف والهاء فيها كالهاء في العاقبة والداهية وقيل كاشفة بمعنى كاشف

والهاء للمبالغة كراوية وعلامة ونسابة والاول اولى والمعنى انه لا يقدر على كشفها اذا غشيت الخلق بشدائدها واهوالها احد غير الله كذا قال عطاء والضحاك وقتادة وغيرهم وقيل ليس لها نفس مبينة متى تقوم كقوله لا يجليها لوقتها الا هو ثم وبخهم سبحانه فقال أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ المراد بالحديث القرآن اي كيف تعجبون منه تكذيبا وَتَضْحَكُونَ منه استهزاء مع كونه غير محل للتكذيب ولا موضع للاستهزاء وَلَا تَبْكُونَ خوفا وانزجارا لما فيه من الوعيد الشديد عن صالح ابي الخليل قال لما نزلت هذه الآية فما ضحك النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك الا ان يتبسم وفي لفظ فما رئي النبي صلى الله عليه وسلم ضاحكا ولا متبسما حتى ذهب من الدنيا وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ لاهون غافلون عما يطلب منكم مستأنفة لتقرير ما قبلها او حالية والسمود الغفلة والسهو عن الشيء والاعراض واللهو وقيل الجمود وقيل الاستكبار وقال في الصحاح سمد سمودا رفع راسه تكبرا فهو سامد قال ابن الاعرابي السمود اللهو والسامد اللاهي يقال للقينة اسمدينا اي الهينا بالغنا وقال المبرد سامدون خامدون وقال مجاهد غضاب مبرطمون والبرطمة الاعراض وقيل اشرون بطرون وقيل ساهون لاهون غافلون لاعبون وقال ابن عباس لاهون معرضون عنه وعنه قال الغنا باليمانية كانوا اذا سمعوا القرآن تغنوا ولعبوا وقال ابو عبيدة السمود الغنا بلغة حمير يقولون يا جارية اسمدي لنا اي غني وقال كانوا يمرون على النبي صلى الله عليه وسلم شامخين الم تر الى البعير كيف يخطر شامخا وعن ابي خالد الوالبي قال خرج علي بن ابي طالب علينا وقد اقيمت الصلوة ونحن قيام ننتظره ليتقدم فقال ما لكم سامدون لا انتم في صلوة ولا انتم في جلوس تنتظرون فَاسْجُدُوا لِلَّهِ لما وبخ سبحانه المشركين على الاستهزاء بالقرآن والضحك منه والسخرية وعدم الانتفاع بمواعظه وزواجره امر عباده المؤمنين بالسجود لله والعبادة له اي اذا كان الامر كذلك فاسجدوا لله وَاعْبُدُوا فانه المستحق لذلك منكم وهو من عطف العام على الخاص اي ولا تسجدوا للاصنام ولا تعبدوها وهذا ماخوذ من لام الاختصاص ومن السياق وقد تقدم في فاتحة السورة ان النبي صلى الله عليه وسلم سجد عند تلاوة هذه الآية وسجد معه الكفار فيكون المراد بها سجود التلاوة وقيل سجود الفرض

سورة القمر ويقال سورة اقتربت

وقد تقدم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بقاف واقتربت الساعة في الاضحى والفطر وقال ابن عباس

اقتربت تدعى في التوراة المبيضة تبيض وجه صاحبها يوم تبيض الوجوه قال البيهقي منكر وعن اسحٰق بن عبد الله بن ابي فروة رفعه من قرأ اقتربت الساعة في كل ليلة بعثه الله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر اخرجه ابن الضريس وهي خمس وخمسون اية وهي مكية كلها في قول الجمهور وقال مقاتل الا ثلث ايات من قوله ام يقولون نحن جميع منتصر الى قوله والساعة ادهى وامر قال القرطبي ولا يصح وقيل الا سيهزم الجمع الاية وعن ابن عباس انها نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله وجميع ايات السورة فواصلها على الراء الساكنة

بسم الله الرحمن الرحيم

اِقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ اي قربت ولا شك انها قد صارت باعتبار نسبة ما بقي بعد قيام النبوة المحمدية الى ما مضى من الدنيا قريبة ويمكن ان يقال انها لما كانت متحققة الوقوع لا محالة كانت قريبة فكل ات قريب وَانْشَقَّ الْقَمَرُ اي وقد انشق القمر وانفلق وكذا قرأ حذيفة بزيادة قد والمراد الانشقاق الواقع في ايام النبوة معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والى هذا ذهب الجمهور من السلف والخلف قال الواحدي و جماعة للمفسرين على هذا الا ما روى عثمان بن عطاء عن ابيه انه قال المعنى سينشق القمر والعلماء كلهم على خلافه قال وانما ذكر اقتراب الساعة مع انشقاق القمر لان انشقاقه من علامات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته وزمانه من اشراط اقتراب الساعة قال ابن كيسان في الكلام تقديم وتاخير اي انشق القمر واقتربت الساعة وحكى القرطبي عن الحسن مثل قول عطاء انه الانشقاق الكائن يوم القيامة وهذا قول باطل لا يصح وشاذ لا يثبت لاجماع المفسرين على خلافه ولان الله سبحانه ذكره بلفظ الماضي وحمل الماضي على المستقبل بعيد يفتقر الى قرينة تنقله او دليل يدل عليه وفي ذلك قال الرازي قال بعض المفسرين المراد سينشق وهو بعيد لا معنى له لان من منع ذلك وهو الفلسفي خذله الله يمنعه في الماضي والمستقبل ومن يجوزه لا يحتاج الى التاويل فرد على المانع وقال والقران اول دليل واقوى مثبت له وامكانه لا يشك فيه وقد اخبر عنه الصادق فيجب اعتقاد وقوعه وحديث امتناع الخرق والالتيام حديث اللئام وقد ثبت جواز الخرق والتخريب على السموات ذكرناه مرارا وقيل معنى انشق وضح الامر وظهر والعرب تضرب بالقمر المثل فيما وضح وقيل انشقاق

ك اشارة الى ان افتعل المشتمل على الزوائد يعني الفعل المجرد والى ان المزيد للمبالغة لان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى منه دام فيوضه وبركاته ورحمت افاداتهم

القمر هو انشقاق الظلمة عنه وطلوعه في اثنائها كما يسمى الصبح فلقا لانفلاق الظلمة عنه قال ابن
كثير قد كان الانشقاق في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ثبت ذلك في الاحاديث المتواترة بالاسانيد
الصحيحة قال وهذا امر متفق عليه بين العلماء ان انشقاق القمر قد وقع في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وانه
كان احدى المعجزات الباهرات قال الزجاج زعم قوم عندوا عن القصد وما عليه اهل العلم ان تاويله
ان القمر ينشق يوم القيامة والامر بين في اللفظ واجماع اهل العلم لان قوله الاتي وان يروا اية يعرضوا
ويقولوا سحر مستمر يدل على ان هذا كان في الدنيا لا في القيامة انتهى ولم يات من خالف الجمهور
وقال ان الانشقاق سيكون يوم القيامة الا بمجرد استبعاد فقال انه لو انشق في زمن النبوة لم يبق احد
الا راه لانه اية والناس في الايات سواء ويجاب عنه بانه لا يلزم ان يراه كل احد لا عقلا ولا شرعا
ولا عادة وان هذا الانشقاق حصل في الليل ومعظم الناس نيام غافلون والابواب مغلقة وهم
مغطون بثيابهم فقل من يتفكر في السماء او ينظر اليها وما هو مشاهد معتاد ان كسوف القمر وغيره
مما يحدث في السماء في الليل من العجائب والانوار الطوالع والشهب العظام ونحو ذلك يقع ولا يتحدث
به الا احاد الناس ولا علم عند غيرهم بذلك لما ذكرنا من غفلة الناس عنه وكان هذا
الانشقاق اية عظيمة حصلت في الليل لقوم سألوها واقترحوا رويتها فلم يتاهب غيرهم لها قال
بعض اهل العلم وقد يكون القمر حينئذ في بعض المجاري والمنازل التي تظهر لبعض اهل الافاق
دون بعض كما يكون ظاهرا لقوم غائبا عن قوم وكما يجد الكسوف اهل بلد دون بلد والله اعلم
ومع هذا فقد نقل الينا بطريق التواتر وهذا بمجرده يدفع الاستبعاد ويضرب به في وجه قائله
والحاصل انا اذا نظرنا الى كتاب الله فقد اخبرنا بانه انشق ولم يخبرنا بانه سينشق وان نظرنا الى
سنة رسوله صلى الله عليه وسلم فقد ثبت في الصحيح وغيره من طرق متواترة انه قد كان ذلك في ايام النبوة وان
نظرنا الى اقوال اهل العلم فقد اتفقوا على هذا ولا يلتفت الى شذ وذ من شذ واستبعاد من استبعد
وفي الباب رسائل شتى للشيخ رفيع الدين الدهلوي رح وغيره . قد اخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن
انس ان اهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يريهم اية فاراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء
بينهما وروي عنه من طرق اخرى عند مسلم والترمذي وغيرهما وقال فنزلت اقتربت الساعة و
انشق القمر واخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم

فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وعنه قال رأيت القمر منشقا
شقتين مرتين مرة بمكة قبل ان يخرج النبي صلى الله عليه وسلم شقة على ابي قبيس وشقة على السويداء وذكر ان هذا
سبب نزول الآية اخرجه عبد بن حميد والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الدلائل وعنه ايضا قال
رأيت القمر وقد انشق وابصرت الجبل بين فرجتي القمر اخرجه احمد وابو نعيم وابن جرير وغيرهم وله
طرق عنه واخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عباس قال انشق القمر في زمن النبي صلى الله عليه وسلم
وله طرق عنه واخرج مسلم والترمذي وغيرهما عن ابن عمر في الآية قال كان ذلك على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم انشق القمر فرقتين فرقة من دون الجبل وفرقة خلفه فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اشهد وعن
جبير بن مطعم عن ابيه في الآية قال انشق القمر ونحن بمكة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صار
فرقة على هذا الجبل وفرقة على هذا الجبل فقال الناس سحرنا محمد فقال رجل ان كان سحركم فانه لا يستطيع
ان يسحر الناس كلهم اخرجه احمد والترمذي والحاكم وصححه وعبد بن حميد وغيرهم وعن عبد
الرحمن السلمي قال خطبنا حذيفة بن اليمان بالمدائن فحمد الله واثنى عليه ثم قال اقتربت الساعة و
انشق القمر الا وان الساعة قد اقتربت الا وان القمر قد انشق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وان
الدنيا قد آذنت بفراق اليوم المضمار وغدا السباق اخرجه ابن ابي شيبة وعبد بن حميد وعبد الله
بن احمد في زوائد الزهد وابن جرير وابن مردويه وابو نعيم ونقل في المواهب عن الحافظ ابن حجر ان
الانشقاق لم يقع الا مرة واحدة وان رواية مرتين مؤولة مصروفة عن ظاهرها وكان اي الانشقاق
قبل الهجرة بنحو خمس سنين ﴿وَإِن يَرَوْا﴾ اي كفار قريش ﴿آيَةً﴾ تدل على صدق الرسول والمراد بها هنا انشقاق
القمر ﴿يُعْرِضُوا﴾ عن تاملها والايمان بها ﴿وَيَقُولُوا هَذَا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ اي دائم مطرد قوي كل شيء دام
حاله قيل فيه مستمر وذلك لما رأوا تتابع المعجزات وترادف الآيات اعرضوا عن التصديق بها وقالوا
هذا سحر مستمر قال الواحدي قال المفسرون لما انشق القمر قال المشركون سحرنا محمد فقال الله وان يروا آية
يعني انشقاق القمر يعرضوا عن التصديق بها والايمان بها ويقولوا سحر قوي شديد يعلو كل سحر من
قولهم استمر الشيء اذا قوي واستحكم وقد قال بان معنى مستمر قوي شديد جماعة من اهل العلم قال الاخفش
هو ماخوذ من امرار الحبل وهو شدة فتله وبه قال ابو العالية والضحاك واختاره النحاس وقال الفراء و
الكسائي وابو عبيدة سحر مستمر اي ذاهب مار سوف يذهب ولا يبقى من قولهم مر الشيء واستمر اي ذهب وبطل

وبه قال قتادة ومجاهد وغيرهما واختاره النحاس وقيل يشبه بعضه بعضا وقيل قد مر من الارض الى
السماء وقيل هو من المرارة يقال مر للشيء صار مرا اي مستبشع عندهم مر على لهواتهم لا يقدرون ان يسيغوه
كما لا يساغ المر وبه قال الزمخشري وفي هذه الاية اعظم دليل على ان الانشقاق قد كان في زمن رسول
الله صلى الله عليه وسلم كما قررناه سابقا وفي التفهيمات للشيخ ولي الله المحدث الدهلوي رحمه الله واما شق القمر فعندنا
ليس من المعجزات انما هو من ايات القيامة كما قال تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر ولكنه صلى الله عليه وسلم اخبر عنه
قبل وجوده فكان معجزة من هذا السبيل انتهى واعترضه بعض من لا يسمن قوله ولا يغني من جوع و
دفعه جماعة من علماء الهند وغيرهم وليس في هذه العبارة انكار تلك المعجزة كما فهمه بعض القاصرين عن
بلوغ رتبة الكمال بل هي ادل دليل على اثباتها عند من يفهم كلام العلماء بالله تعالى تامل ثم ذكر سبحانه
تكذيبهم فقال وَكَذَّبُوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما عاينوا من قدرة الله وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وما زينه
لهم الشيطان الرجيم من دفع الحق بعد ظهوره ذكرهذين بصيغة الماضي للاشعار بانهما من عادتهم القديمة
مع ان الظاهر المضارع لكونهما معطوفين على يعرضوا وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ مستانفة لتقرير بطلان
ما قالوه من التكذيب واتباع الهوى ولاقناطهم مما علقوا به امانيهم الفارغة من عدم استقرار امره
صلى الله عليه وسلم حيث قالوا سحر مستمر ببيان ثباته ورسوخه اي وكل امر من الامور منته الى غاية يستقر عليها
لا محالة فالخير يستقر باهل الخير والشر يستقر باهل الشر قال الفراء تقول يستقر قرار تكذيبهم وقرار قول
المصدقين حتى يعرفوا حقيقته بالثواب والعقاب وقيل كل ما قدر فهو كائن لا محالة وقال الكلبي المعنى
لكل امر حقيقة ما كان منه في الدنيا فسيظهر وما كان منه في الاخرة فسيعرف وقيل هو جواب قولهم سحر مستمر
اي ليس امره بذاهب كما زعمتم بل امر محمد صلى الله عليه وسلم سيظهر الى غاية يتبين فيها انه حق وقيل كل امر من
امرهم وامره صلى الله عليه وسلم مستقر على حالة خذلان او نصرة في الدنيا او شقاوة او سعادة في الاخرى ذكره
ابو السعود والظاهر هو الاول وابهام المستقر عليه للتنبيه على كمال ظهور الحال وعدم الحاجة الى التصريح
به قرأ الجمهور مستقر بكسر القاف وهو مرتفع على انه خبر المبتدا وهو كل وقرئ بالجر على انه صفة لامر وقرئ
بفتح القاف قال ابو حاتم ولا وجه لها وقيل وجهه كل امر ذو استقرار او زمان استقرار على انه مصدر او ظرف
زمان او ظرف مكان وَلَقَدْ جَاءَهُم اي كفار مكة او الكفار على العموم مِّنَ الْأَنبَاءِ اي من بعض اخبار
الامم المكذبة المقصوصة علينا في القران مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ اي ازدجار عن الكفر على انه مصدر ميمي يقال

ازدجرته وزجرته اذا نهيته عن السوء ووعظته بغلظة او اسم مكان والمعنى جاءهم ما فيه موضع
ازدجار اي انه في نفسه موضع لذلك واصله مزتجر وتاء الافتعال تقلب دالا بعد الزاي والدال والذال
كما تقرر في موضعه وهذا في آخر كتاب سيبويه وقرئ مزجر بابدال التاء زايا وادغامها وقرئ مزجر
اسم فاعل من ازجر اي صار ذا زجر وما موصولة او موصوفة حكمة خبر مبتدأ محذوف او بدل من ما
بدل كل من كل او بدل اشتمال او من مزدجر بالغة تامة اي القران حكمة قد بلغت الغاية ليس فيها نقص
ولا خلل وقرئ بالنصب على انها حال من ما اي حال كون ما فيه مزدجر حكمة بالغة نهاية الصواب فما
تغن النذر ما استفهامية اي اي شئ او لسي اغناء تغني النذر وتحصله وتكسبه او نافية اي لم تغن
النذر شيئا ولم تنفع فيهم والفاء لترتيب عدم الاغناء على مجيء الحكمة البالغة ولا ترسم الياء هنا بعد النون
اتباعا للرسم المصحف والنذر جمع نذير بمعنى المنذر اي الامور المنذرة لهم كاحوال الامم السابقة وما
بلغهم من العذاب الذي بلغ قريشا وتسامعوا به او بمعنى الانذار على انه مصدر ثم امره الله سبحانه بالاعراض
عنهم فقال فتول عنهم اي اعرض عنهم حيث لم يؤثر فيهم الانذار وهي منسوخة باية السيف قاله اكثر
المفسرين وقال الرازي ان قولهم بالنسخ ليس بشئ بل المراد منها الانتظار هم بالكلام ذكره الخطيب يوم اي اذكر
يوم يدع الداع واليه ذهب الرماني والزمخشري وفيه وجوه هذا اقربها وسقطت الواو من يدع اتباعا
للفظ وقد وقعت في الرسم هكذا وحذفت الياء من الداع مبالغة في التخفيف واكتفاء بالكسرة والداع هو
اسرافيل وقيل جبريل والاول اولى الى شيء نكر اي امر فظيع ينكرونه استعظاما له لعدم تقدم العهد لهم
بمثله وهو هول يوم القيامة وقيل هو الحساب قرأ الجمهور نكر بضم الكاف وقرئ بسكونها تخفيفا وقرئ بكسر الكاف
وفتح الراء على صيغة الفعل المجهول خشعا ابصارهم قرأ الجمهور خشعا جمع خاشع وقرئ خاشعا على
الافراد وقرأ ابن مسعود خاشعة قال الفراء الصفة اذا تقدمت على الجماعة جاز فيها التذكير والتانيث والجمع
يعني جمع التكسير لا جمع السلامة لانه يكون من الجمع بين الفاعلين والخشوع في البصر الخضوع والذلة
واضاف الخشوع الى الابصار لان العز والذل يتبين فيها ويظهر اكثر من ظهوره على بقية البدن يخرجون
اي الناس مطلقا مؤمنهم وكافرهم من الاجداث واحدها جدث وهو القبر كانهم لكثرتهم وتموجهم
واختلاط بعضهم ببعض جراد منتشر اي منبث في الاقطار مختلط بعضه ببعض في الاماكن لا يدرون
اين يذهبون من الخوف والحيرة مهطعين الى الداع الاهطاع الاسراع في المشي اي حال كونهم مسرعين

الى الداعي وهو اسرافيل وقال الضحاك مقبلين وقال قتادة عامدين وقال عكرمة فاتحين اذانهم الى الصوت والاول اولى وبه قال ابو عبيدة وغيره وقال ابن عباس ناظرين اليه بابصارهم لا يقلعون وقيل مادّي اعناقهم اليه يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ اي صعب شديد على الكافرين كما في المدثر يوم عسير على الكافرين غير يسير وفي اسناد هذا القول الى الكفار دليل على ان اليوم ليس بشديد على المؤمنين ثم ذكر سبحانه تفصيل بعض ما تقدم من الانباء المجملة فقال كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ اي قبل قريش قَوْمُ نُوحٍ اي كذبوا نبيهم وفي هذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا تفصيل بعد اجمال وتفسير لما قبله من التكذيب المبهم وفيه مزيد تقرير وتاكيد اي فكذبوا نوحا والفاء على هذا تفصيلية فان التفصيل يكون عقب الاجمال وقيل معناه كذبوه تكذيبا بعد تكذيب كلما مضى منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب والفاء ح للتعقيب والمكذب الثاني غير الاول وان اتحد المكذب او كذبوه بعد ما كذبوا جميع الرسل والفاء على هذا للتسبب وانما لم يرتض القاضي هذين الوجهين وان جرى في الكشاف عليهما لان الظاهر هو الاتحاد في كليهما ثم بين سبحانه انهم لم يقتصروا على مجرد التكذيب فقال وَقَالُوا مَجْنُونٌ اي نسبوا نوحا الى الجنون وَازْدُجِرَ معطوف على قالوا اي وزجر عن دعوى النبوة وعن تبليغ ما ارسل به بانواع الزجر وقيل انه معطوف على مجنون اي وقالوا انه ازدجرته الجن وتخبطته وذهبت بلبه والاول اولى قال مجاهد هو من كلام الله سبحانه اخبر عنه بانه انتهر وزجر بالسب وانواع الاذى قال الرازي وهذا اصح لان المقصود تقوية قلب النبي صلى الله عليه وسلم بذكر من تقدمه فَدَعَا نوح رَبَّهُ على قومه أَنِّي اي باني وقرئ بكسر الهمزة على اضمار القول اي فقال اني واما اجرا الدعاء مجرى القول وهو مذهب الكوفيين مَغْلُوبٌ من جهة قومي لتمردهم عن الطاعة وزجرهم لي عن تبليغ الرسالة وذلك بعد صبره عليهم غاية الصبر حيث مكث الف سنة الا خمسين عاما يدعوهم فلم يفد فيهم شيئا ولما يئس عن اجابتهم وعلم تمردهم وعتوهم واصرارهم على ضلالتهم طلب من ربه سبحانه النصرة عليهم فقال فَانْتَصِرْ اي انتقم لي منهم ثم ذكر سبحانه ما عاقبهم به فقال فَفَتَحْنَا مخففا ومشددا وهما سبعيتان أَبْوَابَ السَّمَاءِ اي كلها في جميع الاقطار وهو على ظاهره وللسماء ابواب تفتح وتغلق ولا يستبعد ذلك لانه قد صح في الحديث ان للسماء ابوابا وقيل هو على الاستعارة فان الظاهر ان يكون المطر من السحاب والاول اولى بِمَاءٍ الباء للتعدية على المبالغة حيث جعل الماء كالآلة

التي يفتح بها كما تقول فتحت بالمفتاح مُنْهَمِرٍ غزير نازل بقوة اي منصبا انصبابا شديدا في كثرة وتتابع لم ينقطع اربعين يوما والهمر الصب بكثرة يقال همر الماء والدمع يهمر همرا وهمورا اذا كثر وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا اي جعلنا الارض كلها عيونا متفجرة وهو ابلغ من قولك فجرنا عيون الارض قرأ الجمهور فجرنا بالتشديد وقرئ بالتخفيف قال عبيد بن عمير اوحى الله الى الارض ان تخرج ماءها فتفجرت بالعيون وسالت بالمياه فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ وقرئ الماءان وقرأ علي ومحمد بن كعب الماوان اي التقى ماء السماء وماء الارض على امر قد قضي عليهم اي كائنا على حال قدرها الله وقضى بها في اللوح المحفوظ انه يكون وهو هلاك قوم نوح بالطوفان قيل كان ماء السماء اكثر وقيل بالعكس وحكى ابن قتيبة ان المعنى على مقدار لم يزد احدهما على الآخر بل كان ماء السماء وماء الارض على سواء قال قتادة قدر لهم اذا كفروا ان يغرقوا قال ابن عباس لم تمطر السماء قبل ذلك اليوم ولا بعده الا من السحاب وفتحت ابواب السماء بالماء من غير سحاب ذلك اليوم فالتقى الماءان وَحَمَلْنَاهُ اي نوحا عَلَىٰ سفينة ذَاتِ أَلْوَاحٍ وهي الاخشاب العريضة وَدُسُرٍ قال الزجاج هي المسامير التي تشد بها الالواح واحدها دسار وكل شيء ادخل في شيء يشده فهو دسر وكذا قال قتادة ومحمد بن كعب وابن زيد وسعيد بن جبير وغيرهم وقال الحسن وشهر بن حوشب وعكرمة الدسر ظهر السفينة التي يضربها الموج سميت بذلك لانها تدسر الماء اي تدفعه والدسر الدفع وقال الليث الدسار خيط يشد به الواح السفينة قال في الصحاح الدسار واحد الدسر وهي خيوط تشد بها الواح السفينة ويقال هي المسامير وقيل صدر السفينة وقيل عوارضها واضلاعها وقيل الالواح جانبا السفينة والدسر اصلها وقيل اصلها وطرفاها قال ابن عباس الالواح الواح السفينة والدسر معاريضها التي تشد بها السفينة وقال ايضا المسامير وقال ايضا الدسر كلكل السفينة وقال مجاهد نطق السفينة وعنه ايضا اضلاع السفينة تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا اي بمنظر ومرأى منا وحفظ منا لها كما في قوله واصنع الفلك باعيننا وقيل بامرنا وقيل بوحينا وقيل بالاعين النابعة من الارض وقيل باعين اوليائنا من الملائكة الموكلين بحفظها والاول اولى جَزَاءً قال الفراء فعلنا به وبهم ما فعلنا من انجائه واغراقهم ثوابا فالنصب على العلة وقيل اي غرقوا انتصارا وهو تفسير للمعنى وقيل جازيناهم جزاء لِّمَن كَانَ كُفِرَ به وجحد امره وهو نوح عليه السلام فانه كان لهم نعمة كفروها فكل نبي نعمة على امته قرأ الجمهور كفر مبنيا للمفعول والمراد به نوح وقيل هو الله

سبحانه فانهم كفروا به وجحدوا نعمته وقرئ كفر بفتح الكاف والفاء مبنيا للفاعل اي جزاء وعقابا لمن كفر بالله وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا اي السفينة آيَةً عبرة للمعتبرين قال قتادة ابقاها الله بارض الجزيرة وقيل على الجودي زمانا مديدا ودهرا طويلا حتى نظر اليها ورآها اوائل هذه الامة او ابقينا خبرها او ابقينا جنس السفن او تركنا بمعنى جعلنا وقيل المعنى تركنا هذه الفعلة التي فعلناها بهم عبرة وموعظة لمن يعتبر ويتعظ بها فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ اصله مذتكر فابدلت التاء دالا ثم ابدلت المعجمة مهملة لتقاربهما وادغمت الدال في الدال والمعنى هل من متعظ ومعتبر يتعظ بهذه الآية ويعتبر بها فيترك المعصية ويختار الطاعة ثم انه تعالى لما اجاب دعوة نوح بان اغرقهم اجمعين قال مستعظما لذلك العقاب وابعادا للمشركي مكة فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي الذي عذبتهم به وكيف كان عاقبة نُذُرِ اي انذاري قال الفراء الانذار والنذر مصدران والاستفهام للتهويل والتعجيب اي كانا على كيفية هائلة عجيبة لا يحيط بها الوصف وقيل نذر جمع نذير ونذير بمعنى الانذار كنكير بمعنى الانكار وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ اي سهلناه للاذكار والاتعاظ بان شحناه بانواع المواعظ والعبر الشافية وصرفنا فيه من الوعد والوعيد وحفظه الصغير والكبير والعربي والعجمي وغيرهم قال ابن عباس لولا ان الله يسره على لسان الآدميين ما استطاع احد من الخلق ان يتكلموا بكلام الله واخرج الديلمي عن انس مرفوعا مثله وقال سعيد بن جبير يسرناه للحفظ والقراءة وليس شيء من كتب الله يقرأ كله ظاهرا الا القرآن والجملة قسمية وردت في اواخر القصص الاربع تقريرا لمضمون ما سبق وتنبيها على ان كل قصة منها مستقلة بايجاب الادكار فيها كافية في الازدجار ومع ذلك لم تقع واحدة في حيز الاعتبار اي وتالله لقد سهلنا القرآن لقومك بان انزلناه على لغتهم فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ اي متعظ بمواعظه ومعتبر لعبره وطالب لحفظه فيعان عليه وقارئ يقرأه وطالب علم وخير وقال ابن عباس هل من متذكر كرر هذا في هذه السورة للتنبيه والافهام وقيل ان الله تعالى اقتص في هذه السورة على هذه الامة انباء الامم وقصص المرسلين وما عاملتهم به الامم وما كان من عقبى امورهم وامور المرسلين فكان في كل قصة ونبأ ذكر للمستمع ان لو تذكروا انما كرر هذه الآية عند كل قصة بقوله فهل من مدكر لان كل كلمة استفهام تستدعي افهامهم التي ركبت في جوافهم وجعلها حجة عليهم فاللام من هل للاستعراض والهاء للاستخراج وفي الآية الحث على درس القرآن والاستكثار من تلاوته والمسارعة في تعلمه كَذَّبَتْ عَادٌ هم قوم هود ولم يتعرض لكيفية تكذيبهم له مسارعة

الى بيان ما نزل بهم من العذاب ولم يقل فكذبوا هودا كما قال في قصة نوح فكذبوا عبدنا لان تكذيب قوم نوح ابلغ لطول مقامه فيهم وكثرة عناده هم واما لان قصة عاد ذكرت مختصرة فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ اي فهل سمعتم او فاسمعوا كيف كان عذابي لهم وانذاري اياهم ونذر مصدر بمعنى انذار كما تقدم والاستفهام للتهويل والتعظيم والغرض بهذا توجيه قلوب السامعين نحو الاصغاء الى ما يلقى اليهم قبل ذكره إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا هذه الجملة مستانفة مبينة لما اجمله سابقا من العذاب والصرصر شدة البرد اي ريح شديدة البرد وقيل الصرصر شدة الصوت وقد تقدم بيانه في حم السجدة قال ابن عباس ريحا صرصرا اي باردة فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ اي دائم الشوم الى الابد استمر عليهم بنحوسه واستمر فيه العذاب الى الهلاك وقد كانوا يتشأمون بذلك اليوم قال الزجاج اي بيوم الاربعاء في آخر الشهر اي شهر شوال لثمان بقين منه واستمر الى غروب شمس الاربعاء آخره وقد قال في سورة الحاقة سبع ليال وثمانية ايام حسوما وفي حم السجدة في ايام نحسات فالمراد باليوم هنا الوقت والزمان وعلى هذا ليس المراد ان يوم نزول العذاب كان آخر الشهر قاله الخطيب قال الضحاك كان ذلك اليوم مرا عليهم وكذا حكى الكسائي عن قوم انهم قالوا هو من المرارة اي كالشيء المر تكرهه النفوس وقيل هو من المرة بمعنى القوة اي في يوم قوي الشوم مستحكم كالشيء المحكم الفتل الذي لا يطاق نقضه والظاهر انه من الاستمرار لا من المرارة ولا من المرة اي دام عليهم العذاب فيه حتى اهلكهم وشمل بهلاكه كبيرهم وصغيرهم وقيل استمر بهم الى نار جهنم قال ابن عباس في ايام شداد عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاربعاء يوم نحس مستمر اخرجه ابن المنذر وابن مردويه واخرجه هو عنه من وجه آخر مرفوعا وعن علي ايضا مرفوعا وعن انس ايضا مرفوعا وفيه قيل وكيف ذاك يا رسول الله قال اغرق الله فيه فرعون وقومه واهلك فيه عادا وثمود واخرج ابن مردويه والخطيب بسند قال السيوطي ضعيف عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر اربعاء في الشهر يوم نحس مستمر قرأ الجمهور باضافة يوم الى نحس مع سكون الحاء وهو من اضافة الموصوف الى الصفة او على تقدير مضاف اي في يوم عذاب نحس وقرئ بتنوين يوم على ان نحس صفة له وقرئ بكسر الحاء تَنْزِعُ النَّاسَ اوقع الظاهر موضع المضمر ليعم ذكورهم واناثهم والا فالاصل تنزعهم اي تقلعهم من الارض من تحت اقدامهم اقتلاع النخلة من اصلها قال مجاهد كانت تقلعهم من الارض فترمي بهم على رؤسهم فتدق اعناقهم وتبين

رؤسهم من اجسادهم وقيل تنزع الناس من البيوت وقيل من قبورهم لانهم حفروا حفائر ودخلوها وروي انهم دخلوا في الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم الريح منها وصرعتهم موتى كَأَنَّهُمْ وحالهم ماذكر أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ الاعجاز جمع عجز وهو مؤخر كل شيء وعن ابن عباس قال اصول النخل وعنه اعجاز سواد النخل والنقعر المنقطع المنقلع من اصله يقال قعرت النخلة اذا قطعتها من اصلها حتى تسقط شبههم في طول قامتهم حين صرعتهم الريح وطرحتهم على وجوههم بالنخل الساقط على الارض التي ليس لها رؤس وذلك ان الريح قلعت رؤسهم اولا ثم كبتهم على وجوههم وهذا ما جرى عليه الزجاج وغيره وفيه اشارة الى قوتهم وثباتهم في الارض باجسامهم فكانهم لعظم اجسامهم وكمال قوتهم يقصدون مقاومة الريح لما صرعتهم والقتهم على الارض فكانها اقلعت اعجاز نخل منقعر وتذكير منقعر مع انه صفة لاعجاز نخل وهي مؤنثة اعتبارا باللفظ ويجوز تانيثه اعتبارا بالمعنى كما قال اعجاز نخل خاوية قال المبرد كل ما ورد عليك من هذا الباب ان شئت رددته الى اللفظ تذكيرا او الى المعنى تانيثا وقيل ان النخل والنخيل يذكر ويؤنث فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ اي انذاري لهم بالعذاب قبل نزوله او انذاراتي في تعذيبهم لمن بعدهم كرر التهويل وقال ابو السعود تهويل لهما وتعجيب من امرهما بعد بيانهما فليس فيه شائبة تكرار كما قيل وما قيل من ان الاول لما حاق بهم في الدنيا والثاني لما يحيق بهم في الاخرة يرده ترتيب الثاني على العذاب الدنيوي وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ انكار ونفي للمتعظ على ابلغ وجه واوكده حيث يدل على انه لا يقدر احد ان يجيب المستفهم بنعم ثم لما ذكر سبحانه تكذيب عاد اتبعه ببيان تكذيب ثمود فقال كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ جمع نذير اي كذبت بالرسل المرسلين او مصدر بمعنى الانذار اي كذبت بالانذار الذي انذروا به وانما كان تكذيبهم لرسولهم وهو صالح تكذيبا للرسل لان من كذب واحدا من الانبياء فقد كذب سائرهم لاتفاقهم في الدعوة الى كليات الشرائع فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ الاستفهام للانكار اي كيف نتبع بشرا كائنا من جنسنا منفردا وحده لا متابع له على ما يدعو اليه قرأ الجمهور بنصب بشرا على الاشتغال اي انتبع بشرا واحدا منا وهو الراجح لتقدم اداة هي بالفعل اولى وقرئ بالرفع على الابتداء وواحد صفته ونتبعه خبره وقرئ برفع بشر ونصب واحد على الحال إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ اي انا اذا اتبعناه لفي خطأ وذهاب عن الحق والصواب وَسُعُرٍ اي عذاب وعناء وشدة كذا قال الفراء

وغيره وقال ابو عبيدة هو جمع سعير وهو لهب النار والسعر الجنون يذهب كذا وكذا لما يتلهب به من الحدة وقال مجاهد سعر بعد عن الحق وقال السدي في احتراق وقيل المراد به هنا الجنون من قولهم ناقة مسعورة اي كانها من شدة نشاطها مجنونة وقال ابن عباس في شقاء ثم كرروا الانكار والاستبعاد فقالوا أألقي الذكر عليه من بيننا اي كيف خص من بيننا بالوحي والنبوة وفينا من هو احق بذلك منه ثم اضربوا عن الانكار وانتقلوا الى الجزم بكونه كذابا اشرا فقالوا بل هو كذاب أشر الاشر المرح و النشاط او البطر والتكبر وتفسيره بالبطر والتكبر انسب بالمقام قرأ الجمهور أشر كفرح صفة مشبهة و قرئ على انه افعل التفضيل وقرئ بفتح الشين وفتح الهمزة ثم اجاب سبحانه عليهم بقوله سيعلمون غدا السين لتقريب مضمون الجملة وتاكيده والمراد بقوله غدا وقت نزول العذاب الذي حل بهم في الدنيا او في يوم القيامة جريا على عادة الناس في التعبير بالغد عن المستقبل من الامر وان بعد كما في قوطمران مع اليوم غدا والاول اولى قرأ الجمهور بالتحتية على انه اخبار من الله سبحانه لصالح عن وقوع العذاب عليهم بعد مدة وقيل على سبيل الالتفات وقرئ بالتاء على انه خطاب من صالح لقومه من الكذاب الأشر من استفهامية اي اي فريق هو الكذاب الاشر المتكبر البطر اهو هم ام صالح عليه السلام إنا مرسلوا الناقة مستانفة لبيان ما تقدم اجماله من الوعيد ومبادي الموعود به حتما اي انا مخرجوها من الصخرة على حسب ما اقترحوه وموجدوها لهم فتنة لهم اي ابتلاء وامتحانا واختبارا فارتقبهم اي انتظر ما يصنعون وما يصنع بهم واصطبر اي اصبر على ما يصيبك من الاذى منهم ولا تعجل حتى ياتيك امرنا ونبئهم اي اخبرهم اخبارا عظيما عن امر عظيم وهو أن الماء قسمة بينهم اي بين ثمود وبين الناقة لها يوم لا تدع في البئر قطرة ياخذها احد منهم ولهم يوم لا تشاركهم فيه كما في قوله لها شرب ولكم شرب يوم معلوم وقال بينهم بضمير العقلاء تغليبا قرأ الجمهور قسمة بكسر القاف بمعنى مقسوم وقرئ بفتحها كل شرب محتضر هو بكسر الشين الحظ من الماء والنصيب محتضر اي يحضره من هو له فالناقة تحضره يوما وهم يحضرونه يوما قال مجاهد ان ثمود يحضرون الماء يوم نوبتهم فيشربون ويحضرون يوم نوبتها فيحتلبون فنادوا صاحبهم اي فتمادوا على ذلك او فبقوا على ذلك مدة ثم ملوا من ضيق الماء والمرعى عليهم وعلى مواشيهم فاجمعوا على قتلها والفاء فصيحة تفصح عن كلام محذوف هو ما تقدم والمعنى نادى ثمود صاحبهم وهو قدار بن سالف عاقر الناقة

يحضونه على عقرها فتعاطى التعاطي تناول الشيء بتكلف اي تناول الناقة بالعقر فعقرها او اجترى على تعاطي اسباب العقر فعقرها غير مكترث قال محمد بن اسحاق كمن لها في اصل شجرة على طريقها فرماها بسهم فانتظم به عضلة ساقها ثم شد عليها بالسيف فكسر عرقوبها ثم نحرها موافقة لهم فكيف كان عذابي ونذر اي انذاري لهم بالعذاب قبل نزوله اي وقع موقعه وبينه بقوله انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة قال عطاء يريد صيحة جبريل صاح بهم في اليوم الرابع من عقر الناقة لانه كان في اليوم الثلثاء ونزول العذاب بهم كان في يوم السبت وقد مضى بيان هذا في سورة هود والاعراف فكانوا كهشيم المحتظر قرأ الجمهور بكسر الظاء والهشيم حطام الشجر ويابسه المحتظر صاحب الحظيرة وهو الذي يتخذ لغنمه حظيرة تمنعها عن برد الريح يقال احتظر على غنمه اذا جمع الشجر ووضع بعضه فوق بعض قال في الصحاح المحتظر الذي يعمل الحظيرة اي من يابس الشجر والشوك يحفظ الغنم من السباع والذئاب والحظيرة زريبة الغنم ونحوها قاله الشهاب وقرئ بفتح الظاء اي كهشيم الحظيرة فمن قرأ بالكسر اراد الفاعل للاحتظار ومن قرأ بالفتح اراد الحظيرة وهي فعيلة بمعنى مفعولة ومعنى الآية انهم صاروا كالشجر اذا يبس في الحظيرة وداسته الغنم بعد سقوطه وقال قتادة هو العظام النخرة المحترقة وقال سعيد بن جبير هو التراب المتناثر من الحيطان في يوم ريح وقال سفيان الثوري هو ما يتناثر من الحظيرة اذا ضربتها بالعصى قال ابن زيد العرب تسمي كل شيء كان رطبا فيبس هشيما والمتهشم المتكسر المحتظر الذي يعمل الحظيرة وما يحتظر به ييبس بطول الزمان وتتوطاه البهائم فيحتطم ويتهشم وقال ابن عباس كحظائر من الشجر محترقة وكالعظام المحترقة وكالحشيش تأكله الغنم ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر فائدة تكرير هذه الآية ان يجددوا عند استماع كل نبأ من انباء الاولين ادكارا واتعاظا وان يستأنفوا تيقظا وانتباها اذا سمعوا الحث على ذلك والبعث اليه وكذلك تكرير الانباء والقصص في انفسها لتكون تلك العبرة حاضرة للقلوب مصورة للاذهان مذكورة غير منسية في كل اوان ثم اخبر سبحانه عن قوم لوط بانهم كذبوا رسل الله كما كذبهم غيرهم فقال كذبت قوم لوط بالنذر اي بالامور المنذرة لهم على لسانه ثم بين سبحانه ما عذبهم به فقال انا ارسلنا عليهم حاصبا اي ريحا ترميهم بالحصباء بالمد وهي الحصا ومنه المحصب وهو موضع بالحجاز قال ابو عبيدة والنضر بن شميل الحاصب الحجارة في الريح قال في الصحاح الحاصب الريح الشديدة

التي تثير الحصباء والحصب بفتحتين ما تحصب به النار اي ترمي وكل ما القيته في النار فقد حصبتها به وبابه ضرب تذكيره مع كونه مسندا الى ضمير الريح وهي مؤنث سماعي لكونها في تاويل العذاب وقوله تعالى وامطرنا عليهم حجارة وكذا قوله لنرسل عليهم حجارة يدلان على ان الله ارسل عليهم نفس الحجارة لا الريح التي تحصبها الا انه قيل هنا ارسلنا عليهم حاصبا للدلالة على ان امطار الحجارة وارسالها عليهم كان بواسطة ارسال الريح لها إِلَّا آلَ لُوطٍ يعني لوطا وابنتيه ومن تبعه وفي الاستثناء وجهان احدهما انه متصل اي ارسل الحاصب على الجميع الا اهله فانه لم يرسل عليهم والثاني انه منقطع وبه قال ابو البقاء ولا ادري ما وجهه فان الانقطاع وعدمه عبارة عن عدم دخول المستثنى في المستثنى منه وهذا داخل ليس الا وهو كلام مشكل نَجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ اي اخر الليل وهو في كلام العرب اختلاط سواد الليل ببياض اول النهار فيكون فيه مخائل الليل ومخائل النهار وقيل هما سحران الاعلى قبل انصداع الفجر والاخر عند انصداعه وانصرف سحر لانه نكرة لم تقصد به سحر ليلة معينة ويوم معين ولو قصد معينا لامتنع كذا قال الزجاج والاخفش وغيرهما والباء بمعنى في او هي للملابسة اي حال كونهم متلبسين بسحر نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا النصب على العلة او على المصدرية اي انعاما منا على لوط ومن تبعه كَذَٰلِكَ اي مثل ذلك الجزاء نَجْزِي مَن شَكَرَ نعمتنا ولم يكفرها مع اصل الايمان او من ضم الى الايمان على الطاعات وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا اي انذر لوط قومه بطشة الله بهم وهي عذابه الشديد وعقوبته البالغة فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ اي شكوا في الانذار ولم يصدقوه وهو تفاعل من المرية وهي الشك او تجادلوا وكذبوا بالانذارة وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ اي ارادوا منه تمكينهم ممن اتاه من الملائكة ليفجروا بهم كما هو دأبهم يقال راودته عن كذا مراودة ورِوادا اي اردته وراد الكلام يروده روادا اي طلبه المرة بعد المرة ان يخلي بينهم وبينهم وقد تقدم تفسير المراودة في سورة هود فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ الطمس الدرس والانمحاء قاله في المختار اي صيرناها ممسوحة لا يرى لها شق كما تطمس الريح الاعلام بما تسفي عليها من التراب وقيل اذهب الله نور ابصارهم مع بقاء الاعين على صورتها قال الضحاك طمس الله على ابصارهم فلم يروا الرسل فرجعوا فَذُوقُوا اي فقلنا لهم ذوقوا على السنة الملائكة او ظاهر الحال والمراد بهذا الامر الخبر اي اذقتهم عَذَابِي وَنُذُرِ يعني ما انذركم به لوط من العذاب

وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً أي أتاهم صباحاً من يوم غير معين عَذَابٌ نازل عليهم مُّسْتَقِرٌّ دائم لا يفارقهم ولا ينفك عنهم الى ان يفضي بهم الى عذاب الآخرة فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ولعل وجه تكرير تيسير القرآن للذكر في هذه السورة الاشعار بانه منة عظيمة لا ينبغي لاحد ان يغفل عن شكرها ولان في كل قصة اشعاراً بان تكذيب كل رسول مقتض لنزول العذاب واستماع كل قصة مستدع للادكار والاتعاظ وهذا حكم التكرير في قوله فباي آلاء ربكما تكذبان عند كل نعمة عدها وقوله ويل يومئذ للمكذبين عند كل آية اوردها وكذلك تكرير الانباء والقصص في انفسها لتكون تلك العبرة حاضرة للقلوب مصورة للاذهان مذكورة غير منسية في كل اوان وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ جمع نذير او مصدر بمعنى الانذار كما تقدم وهي الآيات التسع التي انذرهم بها موسى وهذا اولى لقوله كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فانه بيان لذلك والمراد بها الآيات التسع التي تقدم ذكرها وقيل النذر موسى وهارون وغيرهما من الانبياء فَأَخَذْنَاهُم بالعذاب أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ اي اخذ غالب في انتقامه قادر على اهلاكهم لا يعجزه شيء ثم خوف سبحانه كفار مكة فقال أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ الاستفهام للانكار والمعنى النفي اي ليس كفاركم يا اهل مكة او يا معشر العرب خير من كفار من تقدمكم من الامم الذين اهلكوا بسبب الكفر فكيف تطمعون في السلامة من العذاب وانتم شر منهم قال ابن عباس يقول ليس كفاركم خيراً من قوم نوح وقوم لوط وقيل من قوم عاد وثمود وفرعون وقومه ثم اضرب سبحانه عن ذلك وانتقل الى تبكيتهم بوجه آخر هو اشد من التبكيت بالوجه الاول فقال أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ هي الكتب المنزلة على الانبياء والمعنى انكار ان تكون لهم براءة من عذاب الله في شيء من كتب الانبياء ثم اضرب عن هذا التبكيت وانتقل الى التبكيت لهم بوجه آخر فقال أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ اي جماعة لا تطاق لكثرة عددنا وقوتنا او امرنا مجتمع لا نغلب وافرد منتصراً اعتباراً بلفظ جميع وموافقة لرؤس الآي او نحن كل واحد منا منتصر قال الكلبي المعنى نحن جميع امرنا ننتصر من اعدائنا ولا نرام ولا نضام فرد الله سبحانه عليهم بقوله سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ اي جمع كفار مكة او كفار العرب على العموم قرأ الجمهور بالتحتية مبنياً للمفعول وقرئ بالنون وكسر الزاي ونصب الجمع وقرئ بالتحتية مبنياً للفاعل وبالفوقية على الخطاب مبنياً للفاعل وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ قرأ الجمهور بالتحتية وقرئ بالفوقية على الخطاب

والمراد بالدبر الجنس وهو في معنى الادبار وقيل وحد لاجل رؤس الآي وقيل في الافراد اشارة الى انهم في التولية والهزيمة كنفس واحدة فلا يتخلف احد عن الهزيمة ولا يثبت احد للزحف فهم في ذلك كرجل واحد وقد هزمهم الله يوم بدر وولوا الادبار وقتل رؤساء الشرك واساطين الكفر فلله الحمد وهذه من علامات النبوة قال ابن عباس كان ذلك يوم بدر قالوا نحن جميع منتصر فنزلت هذه الآية بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ اي موعد عذابهم الاخروي بعد بدر وليس هذا العذاب الكائن في الدنيا بالقتل والاسر والقهر هو تمام ما وعدوا به من العذاب وانما هو مقدمة من مقدماته وطليعة من طلائعه ولهذا قال وَالسَّاعَةُ أَدْهَى اي وعذاب الساعة اعظم في الضر وافظع واشد من موقف بدر يقال دهاه امر كذا اي اصابه دهوا ودهيا والداهية الامر المنكر الذي لا يهتدى لدوائه ماخوذ من الدهاء وهو النكر والفظاعة واظهار الساعة في مقام اضمارها لزيادة تهويلها وَأَمَرُّ اي اشد مرارة من عذاب الدنيا في البخاري وغيره عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وهو في قبة له يوم بدر انشدك عهدك ووعدك اللهم ان شئت لم تعبد بعد اليوم ابدا فاخذ ابو بكر بيده وقال حسبك يا رسول الله الححت على ربك فخرج وهو يثب في الدرع ويقول سيهزم الى قوله ادهى وامر إِنَّ الْمُجْرِمِينَ اي المشركين فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ اي في ذهاب عن الحق وبعد عنه وفي نار تسعر عليهم وقيل في ضلال في الدنيا وفي نار مسعرة في الآخرة وقيل في ضلال عن طريق الجنة وسعر اي عذاب الآخرة او في هلاك ونيران في الآخرة وقد تقدم في هذه السورة تفسير سعر فلا نعيده يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ اي كائنون في ضلال وسعر يوم يسحبون او يوم يسحبون يقال لهم ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ اي قاسوا حرها وشدة عذابها كقولهم وجد مس الحمى وذاق طعم الضرب قال الكرخي ان مس سقر مجاز عن اصابتها بعلاقة السببية والظاهر من تقرير الكشاف انه من الاستعارة بالكناية وسقر علم لجهنم غير منصرف للتانيث والتعريف من سقرته النار اذا لوحته اخرج احمد وعبد بن حميد ومسلم والترمذي وابن ماجة وغيرهم عن ابي هريرة قال جاء مشركو قريش الى النبي صلى الله عليه وسلم يخاصمونه في القدر فنزلت يوم يسحبون الخ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ اي كل شيء من الاشياء خلقه الله سبحانه متلبسا بقدره وقضاءه قضاه سبق في علمه مكتوب في اللوح المحفوظ قبل وقوعه والقدر التقدير والعامة على نصب كل بالاشتغال وقرئ بالرفع وقد رجح الناس النصب

بل اوجبه بعضهم قال لان الرفع يوهم ما لا يجوز على قواعد اهل السنة وقال ابو البقاء وانما كان النصب اولى لدلالته على عموم الخلق والرفع لا يدل على عمومه بل يفيد ان كل شيء مخلوق فهو بقدر وانما دل نصب كل على العموم لان التقدير انا خلقنا كل شيء بقدر فخلقناه تاكيد وتفسير لخلقنا المضمر الناصب لكل شيء فهذا لفظ عام يعم جميع المخلوقات وللسمين هنا كلام مبسوط لا نطول بذكره اخرج مسلم عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شيء بقدر حتى العجز والكيس وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله مقادير الخلائق كلها قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة اخرجه مسلم وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى يؤمن بالقدر اخرجه الترمذي واستغربه وفي الباب احاديث بين صحيح منها وضعيف قال الخطابي وقد يحسب كثير من الناس ان معنى القضاء والقدر اجبار الله العبد وقهره على ما قدره وقضاه وليس الامر كما يتوهمونه وانما معناه الاخبار عن تقدم علم الله تعالى بما يكون من اكساب العباد وصدورها عن تقدير منه وخلق لها خيرها وشرها والقدر اسم لما صدر مقدرا عن فعل القادر يقال قدرت الشيء وقدرته بالتخفيف والتثقيل بمعنى واحد والقضاء في هذا معناه الخلق كقوله فقضاهن سبع سموات اي خلقهن قال النووي ان مذهب اهل الحق اثبات القدر ومعناه ان الله تعالى قدر الاشياء في القدم وعلم سبحانه انها ستقع في اوقات معلومة عنده سبحانه على صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدرها الله وانكرت القدرية هذا وزعمت انه سبحانه لم يقدرها ولم يتقدم علمه بها وانها مستانفة العلم اي انما يعلمها سبحانه بعد وقوعها وكذبوا على الله سبحانه وتعالى عن اقوالهم الباطلة علوا كبيرا انتهى قد تظاهرت الادلة القطعية من الكتاب والسنة واجماع الصحابة واهل العقد والحل من السلف والخلف على اثبات قدر الله سبحانه وتعالى وقد قرر ذلك ائمة السنة احسن تقرير بدلائله القطعية السمعية والعقلية ليس هذا موضع بسطها والله تعالى اعلم وما امرنا لشيء نريد وجوده الا واحدة اي الا امرة واحدة او فعلة واحدة وهو الايجاد بلا معالجة ومعاناة او كلمة واحدة وهي قوله كن فيكون فهذا بيان الفرق بين الارادة والقول فالارادة قدر والقول قضاء وقيل المراد بالامر القيامة كلمح بالبصر في سرعته اللمح النظر على العجلة والسرعة وفي الصحاح لمحه والمحه اذا ابصره بنظر خفيف والاسم اللمحة اي فكما ان لمح احدكم ببصره لا كلفة عليه فيه

فكذلك الافعال كلها عندنا بل اليسر قال الكلبي وما امرنا بمجيئ الساعة في السرعة الا كطرف البصر
وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ اي اشباهكم ونظرائكم في الكفر من الامم وقيل اتباعكم واعوانكم والقدرة
عليكم كالقدرة عليهم فاحذروا ان يصيبكم ما اصابهم ولذلك تسبب عنه قوله فَهَلْ مِنْ
مُّدَّكِرٍ يتذكر ويتعظ بالمواعظ ويعلم ان ذلك حق فيخاف العقوبة وان يحل به ما حل بالامم السالفة
وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ اي جميع ما فعلته الامم من خير او شر مكتوب في اللوح المحفوظ وقيل في
كتب الحفظة ودواوينهم وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ يقال سطر يسطر سطرا كتب واسطر مثله
اي كل شيء من اعمال الخلق واقوالهم وافعالهم وما هو كائن مسطور في اللوح المحفوظ صغيره و
كبيره وجليله وحقيره قال ابن عمر مسطور في الكتاب ثم لما فرغ سبحانه من ذكر حال الاشقياء ذكر
حال السعداء فقال إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ اريد به الجنس لمناسبة جمع الجنات وانما افرد
في اللفظ لموافقة رؤس الآي بقرأ الجمهور وهو يشمل انهار الجنة من الماء والخمر واللبن والعسل وقرئ
بسكون الهاء وهما لغتان وقرئ بضم النون والهاء على الجمع شاذا والمعنى انهم في بساتين مختلفة و
جنان متنوعة وانهار متدفقة وقيل النهر السعة والضياء ومنه النهار والمعنى لا ليل عندهم
والاول اولى فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ من اضافة الموصوف الى الصفة اي في مجلس حق ومكان مرضي
لا لغو فيه ولا كذب ولا تاثيم وهو الجنة واريد به الجنس وقرئ مقاعد شاذا عِندَ مَلِيكٍ اي عزيز
الملك واسعه مُّقْتَدِرٍ اي قادر على ما يشاء لا يعجزه شيء وعند ههنا كناية عن الكرامة وشرف
المنزلة وتقريب الرتبة بحيث ابهم على ذوي الافهام وفائدة التنكير فيهما ان يعلم ان لا شيء الا و
هو تحت ملكه وقدرته وهو على كل شيء قدير

ع ١٥

سورة الرحمن هي ست اوثمان وسبعون آية وهي مكية

قال القرطبي كلها في قول الحسن وعروة بن الزبير وعكرمة وعطاء وجابر قال ابن عباس الا آية
منها وهي قوله يسأله من في السموات والارض الآية وصوابه الا آيتين كما صرح به الكازروني والآيتان
هما يسأله الى قوله كل يوم هو في شان هذه واحدة فبأي آلاء ربكما تكذبان هذه اخرى و قال ابن
مسعود ومقاتل هي مدنية كلها والاول اصح قال ابن الزبير انزلت بمكة وعن عايشة نزلت بمكة

وعن ابن عباس مثله وعن اسماء بنت ابي بكر قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ وهو يصلي نحو الركن قبل ان يصدع بما يؤمر والمشركون يسمعون فباي آلاء ربكما تكذبان اخرجه احمد وابن مردويه قال السيوطي بسند حسن وعن ابن عباس نزلت سورة الرحمن بالمدينة ويمكن الجمع بين القولين بانه نزل بعضها بمكة وبعضها بالمدينة وعن جابر بن عبد الله قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على اصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من اولها الى آخرها فسكتوا فقال مالي اراكم سكوتا لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا احسن مردودا منكم كلما اتيت على قوله فباي آلاء ربكما تكذبان قالوا لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد رواه الترمذي وابن المنذر والحاكم وصححه والبيهقي قال الترمذي هذا حديث غريب لا نعرفه الا من حديث الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد وحكي عن الامام احمد انه كان يستنكر روايته عن زهير وقال البزار لا نعرفه يروى الا من هذا الوجه اخرجه البزار وابن جرير والدارقطني في الافراد وغيرهم من حديث ابن عمر وصحح السيوطي اسناده وقال البزار لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم الا من هذا الوجه بهذا الاسناد وعن علي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لكل شيء عروس وعروس القرآن الرحمن

بسم الله الرحمن الرحيم

الرَّحْمٰنُ مبتدأ وما بعده من الافعال خبر له ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف اي الله الرحمن او الرحمن ربنا وهذان الوجهان عند من يرى ان الرحمن آية مع هذا المضمر وعلى الوجه الاول ليس بآية عَلَّمَ الْقُرْاٰنَ اي يسره للذكر ليحفظ ويتلى قاله الزجاج قال الكلبي علم القرآن محمدا صلى الله عليه وسلم وعلمه محمد صلى الله عليه وسلم امته وقيل علم جبريل القرآن وقيل علم الانسان وهذا اولى لعمومه ولان قوله خلق الانسان دال عليه وقيل جعله علامة لما يعبد الناس به وآية يعتبرون بها قيل نزلت هذه الآية جوابا لاهل مكة حين قالوا انما يعلمه بشر وقيل جواب لقولهم وما الرحمن ولما كانت هذه السورة لتعداد نعمه التي انعم بها على عباده قدم النعمة التي هي اجلها قدرا واكثرها نفعا واعلاها رتبة واتمها فائدة واعظمها عائدة وهي نعمة تعليم القرآن العزيز فانها مدار سعادة الدارين وقطب رحى الخيرين وعماد الامرين وسنام الكتب السماوية المنزلة على افضل البريه ثم امتن بعد هذه النعمة بنعمة الخلق

ف وذكر الرحمن آية ولا يعدون ذلك الا بانضمام خبر او مخبر عنه اليه اذ الآية لا بد ان تكون مفيدة م

سيد ذو الفقار احمد سلمه الله الاحد

النعمة لما كل الامور ومن جميع جميع الاشياء فقال خَلَقَ الْإِنسَانَ اي آدم قاله قتادة والحسن
وقال ابن كيسان المراد هنا محمد صلى الله عليه وسلم والاولى حمل الانسان على الجنس وقدم تعليم القرآن للانسان
على خلقه وهو متأخر عنه في الوجود لان التعليم هو السبب في ايجاده وخلقه افاده السمين ثم امتن ثالثا
بتعليمه البيان الذي يكون به التفاهم ويدور عليه التخاطب وتتوقف عليه مصالح المعاش والمعاد لانه
لا يمكن ابراز ما في الضمائر ولا اظهار ما يدور في الخلد الا به فقال عَلَّمَهُ الْبَيَانَ قال قتادة والحسن المراد
بالبيان اسماء كل شيء وقيل المراد به اللغات كلها فكان آدم يتكلم بسبعمائة لغة افضلها العربية
وقيل الانسان اسم جنس واراد به جميع الناس اي علمه النطق الذي يتميز به عن سائر الحيوانات
وقيل اراد بالانسان محمدا صلى الله عليه وسلم علمه بيان ما يكون وما كان لانه صلى الله عليه وسلم ينبئ عن خبر
الاولين والآخرين وعن يوم الدين وقال ابن كيسان المراد به بيان الحلال من الحرام والهدى من
الضلال وهو بعيد وقال الضحاك البيان الخير والشر والحدود والاحكام وقال الربيع بن انس
هو ما ينفعه مما يضره وقيل البيان الكتابة بالقلم والاولى حمل البيان على تعليم كل قوم لسانهم
الذي يتكلمون به الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ اي يجريان بحساب معلوم مقدر في بروج
ومنازل لا يعدوانها ولا يحيدان عنها ويدلان بذلك على عدد الشهور والسنين ويتسق
بذلك امور الكائنات السفلية وتختلف الفصول والاوقات وقال ابن زيد وابن كيسان يعني
ان بهما تحسب الاوقات والآجال والاعمار ولولا الليل والنهار والشمس والقمر لم يدر احد كيف
يحسب لان الدهر يكون كله ليلا او نهارا قال الضحاك معنى بحسبان بقدر وقال مجاهد بحسبان
كحسبان الرحى يعني قطبهما الذي يدوران عليه قال الاخفش الحسبان جماعة الحساب مثل
شهب وشهبان او مصدر مفرد بمعنى الحساب كالغفران والكفران واما الحسبان بالضم في سورة
الكهف فهو العذاب كما مضى وقال ابن عباس بحساب ومنازل يرسلان وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ
يَسْجُدَانِ النجم ما لا ساق له من النبات والشجر ما له ساق والمراد بسجودهما انقيادهما لامر الله تعالى انقياد
الساجدين من المكلفين طوعا وقال الفراء سجودهما انهما يستقبلان الشمس اذا طلعت ثم يميلان معها
حتى ينكسر الفيء وقال الزجاج سجودهما دوران الظل معهما كما في قوله يتفيأ ظلاله وقال الحسن ومجاهد
المراد بالنجم نجم السماء وسجوده طلوعه ورجح هذا ابن جرير وقيل سجوده افوله وسجود الشجر تمكينه من

الاجتناء لثماره، قال النحاس اصل السجود الاستسلام والانقياد لله وهذه الجملة والتي قبلها خبران آخران للرحمن وترك الرابط فيهما لظهوره كأنه قيل والشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا﴾ اي جعلها مرفوعة مسموكة فوق الارض ﴿وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ المراد به العدل اي وضع واثبت في الارض العدل الذي شرعه وامر به كذا قال مجاهد وقتادة والسدي وغيرهم قال الزجاج المعنى انه امرنا بالعدل ويدل عليه قوله ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾ اي لا تجاوزوا العدل وقال الحسن والضحاك المراد به آلة الوزن ليتوصل بها الى الانصاف والانتصاف اي لا تجوروا في ما يوزن به وقيل الميزان القرآن لان فيه بيان ما يحتاج اليه وبه قال الحسين بن الفضل والاول اولى ومعنى ان لا تطغوا لئلا تطغوا فلا نافية وتطغوا منصوب بان وقبلها لام العلة مقدرة وهذا اولى وقيل ان هي مفسرة لان في الوضع معنى القول ولا للنهي والطغيان مجاوزة الحد فمن قال الميزان العدل قال طغيانه الجور ومن قال الميزان الآلة التي يوزن بها قال طغيانه البخس وقيل الميزان كل ما توزن به الاشياء وتعرف مقاديرها من ميزان وقرسطون ومكيال ومقياس اي خلقه موضوعا على الارض حيث علق به احكام عباده من التسوية والتعديل في اخذهم واعطائهم وقيل المعنى انه وضع الميزان في الآخرة بوزن الاعمال ثم امر سبحانه باقامة العدل بعد اخباره للعباد بانه وضعه لهم فقال ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾ اي قوموا وزنكم بالعدل وقيل المعنى اقيموا لسان الميزان بالعدل وقيل الاقامة باليد والقسط بالقلب وقال مجاهد القسط العدل بالرومية قلت ومنه القسطاس بمعنى الميزان وقيل معناه لا تدعوا التعامل بالوزن بالعدل ﴿وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ اي لا تنقصوه ولا تبخسوا الكيل والوزن وهذا كقوله ولا تنقصوا المكيال والميزان وقيل معناه لا تخسروا ميزان حسناتكم يوم القيامة فيكون ذلك حسرة عليكم والاول اولى قال قتادة في هذه الآية اعدل ابن آدم كما تحب ان يعدل لك واوف كما تحب ان يوفى لك فان العدل صلاح الناس امر سبحانه اولا بالتسوية ثم نهى عن الطغيان الذي هو المجاوزة للحد بالزيادة ثم نهى عن الخسران الذي هو النقص والبخس وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية به وتقوية للامر باستعماله والحث عليه قرأ الجمهور تخسروا من اخسر وقرئ بفتح التاء والسين من خسر وهما لغتان يقال اخسرت الميزان وخسرته ثم لما ذكر سبحانه انه رفع السماء ذكر انه وضع الارض فقال ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ خفضها مدحوة وبسطها على الماء لجميع الخلق مما له روح وحياة

ولا وجه لتخصيص الانام بالانس والجن قال ابن عباس للانام للناس اي لاجل انتفاعهم بها وعنه قال
كل شيء فيه روح فِيهَا فَاكِهَةٌ اي كل ما يتفكه به الانسان من انواع الثمار والجملة حال مقدرة والاحسن
ان يكون الجار والمجرور هو الحال وفاكهة رفعت بالفاعلية ونكرت لان الانتفاع بها دون الانتفاع بما ذكر بعدها
فهو من باب الترقي من الادنى الى الاعلى ثم افرد النخل بالذكر لشرفه ومزيد فائدته على سائر الفواكه فقال وَالنَّخْلُ
المعهود ذَاتُ الْأَكْمَامِ جمع كم بالكسر وهو وعاء الثمر قال الجوهري الكم بالكسر والكمامة وعاء الطلع وغطاء
النور والجمع كمام واكمة واكمام واكاميم والكم ما ستر شيئا ومنه كم القميص بالضم والجمع كمام وكمة
والكمة القلنسوة المدورة لانها تغطي الراس قال الحسن ذات الاكمام اي ذات الليف فان النخلة تكمم
بالليف ح كمامها ليفها الذي في اعناقها وسعفها وكفرها وكله منتفع به كما ينتفع بالمكموم من
ثمره وجماره وجذوعه وقال ابن زيد ذات الطلع قبل ان يتفتق وقال عكرمة ذات الاحمال وقال
ابن عباس اوعية الطلع وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ الحب هو جميع ما يقتات من الحبوب
كالحنطة والشعير والذرة والارز والعصف قال السدي والفراء هو بقل الزرع وهو اول ما ينبت
منه قال ابن كيسان يبدو اولا ورقا وهو العصف ثم يبدو له ساق ثم يحدث الله فيه اكماما ثم يحدث
في الاكمام الحب قال الفراء والعرب تقول خرجنا نعصف الزرع اذا قطعوا منه قبل ان يدرك وكذا
قال في الصحاح وقال الحسن العصف التبن وقال مجاهد هو ورق الشجر والزرع وقيل هو ورق الزرع الاخضر
اذا قطع راسه ويبس ومنه قوله كعصف ماكول وقيل هو الزرع الكثير يقال قد اعصف الزرع ومكان
معصف اي كثير الزرع قال ابن عباس العصف التبن والريحان خضرة الزرع وقال العصف ورق الزرع
اذا يبس والريحان ما انبتت الارض من الريحان الذي يشم وعنه قال العصف الزرع اول ما يخرج
بقلا والريحان حين يستوي على سوقه ولم يسنبل والريحان الرزق في قول الاكثر وفي لغة حمير
قال الحسن وقتادة والضحاك وابن زيد انه الريحان الذي يشم وقال سعيد بن جبير هو ما قام على
ساق وقال الكلبي ان العصف هو الورق الذي لا يوكل والريحان هو الحب الماكول وقال الفراء ايضا
العصف الماكول من الزرع والريحان ما لا يوكل وقيل الريحان كل بقلة طيبة الريح قال ابن الاعرابي
يقال شيء ريحاني وروحاني اي له روح وقال في الصحاح الريحان نبت معروف والريحان الرزق تقول خرجت
ابتغي ريحان الله وقيل العصف رزق البهائم والريحان رزق الناس قال ابن عباس كل ريحان في

القرآن فهو رزق قرأ الجمهور والحب ذو العصف والريحان برفع الثلاث عطفا على فاكهة وقرئ بالنصب عطفا على الارض او على اضمار فعل اي وخلق الحب ذا العصف وقرئ الريحان بالجر عطفا على العصف

فَبِأَيِّ آلَاءِ اي فبأي فرد من افراد نعم رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ بتلك النعم المذكورة هنا ام بغيرها والمراد بالتكذيب الانكار والخطاب للجن والانس لان لفظ الانام يعمهما وغيرهما ثم خصص بهذا الخطاب من يعقل وبهذا قال الجمهور من المفسرين ويدل عليه قوله فيما سيأتي سنفرغ لكم ايه الثقلان ويدل على هذا ما قدمناه ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأها على الجن والانس وقيل الخطاب للانس وثناه على قاعدة العرب في خطاب الواحد بلفظ التثنية كما قدمنا في قوله القيا في جهنم والآلاء النعم قال القرطبي وهو قول جميع المفسرين واحدها إِلًى وأَلًى مثل مِعًى وعَصًى وإِلْيٌ وأَلْيٌ اربع لغات حكاها النحاس وزاد في القاموس أَلْوٌ وقال ابن زيد انها القدرة اي فبأي قدرة وبه قال الكلبي وقال ابن عباس فبأي نعمة الله وقال يعني الجن والانس وكرر سبحانه هذه الآية في هذه السورة في احد وثلاثين موضعا تقريرا للنعمة وتاكيدا للتذكير بها على عادة العرب في الاتساع ثمانية منها ذكرت عقب آيات فيها تعداد عجائب خلق الله وبدائع صنعه ومبدأ الخلق ومعادهم ثم سبعة منها عقب آيات فيها ذكر النار وشدائدها بعدد ابواب جهنم وحسن ذكر الآلاء عقبها لان من جملة الآلاء رفع البلاء وتاخير العقاب وبعد هذه السبعة ثمانية في وصف الجنتين واهلهما بعدد ابواب الجنة وثمانية اخرى بعدها في الجنتين اللتين هما دون الجنتين الاوليين اخذا من قوله ومن دونهما جنتان فمن اعتقد الثمانية الاولى وعمل بموجبها استحق هاتين الثمانيتين من الله ووقاه السبعة السابقة افاده شيخ الاسلام في متشابه القرآن قال القتيبي ان الله عدد في هذه السورة نعماءه وذكر خلقه آلاءه ثم اتبع كل خلة وضعها بهذه الآية وجعلها فاصلة بين كل نعمتين لينبههم على النعم ويقررهم بها كما تقول لمن تتابع له احسانك وهو يكفره الم تكن فقيرا فاغنيتك افتنكر هذا الم تكن خاملا فعززتك افتنكر هذا الم تكن راجلا فحملتك افتنكر هذا الم تكن عريانا فكسوتك والتكرير حسن في مثل هذا ومنه قول الشاعر ؎ لا تقتلي رجلا ان كنت مسلمة ؛ اياك من دمه اياك اياك ؛ ومثل هذا الكلام شائع في كلام العرب وذلك لان الله تعالى ذكر في هذه السورة ما يدل على وحدانيته من خلق الانسان وتعليمه البيان وخلق الشمس والقمر والسماء والارض الى غير ذلك

مما انعم به على خلقه وخاطب الجن والانس بالاشياء المذكورة لانها كلها منعم بها عليهم قال
الحسين بن الفضل التكرير طرد للغفلة وتاكيد للحجة وذهب جماعة منهم ابن قتيبة الى ان التكرير
لاختلاف النعم فلذلك كرر التوقيف مع كل واحدة وقال الرازي وذكره بلفظ الخطاب على سبيل الالتفات
والمراد به التقرير والزجر وذكر لفظ الرب لانه يشعر بالرحمة وكررت هذه اللفظة في هذه السورة اما
للتاكيد ولا يعقل لخصوص العدد معنى قال الجلال المحلي والاستفهام فيها للتقرير لما روى الحاكم عن جابر
قال قرء علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال ما لي اراكم سكوتا للجن كانوا احسن منكم
ردا ما قرأت عليهم هذه الآية الا قالوا ولا بشئ من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد قلت ويؤخذ من
هذا انه يسن لسامع القاري لهذه السورة ان يجيبه بالجواب المذكور كلما قرء الآية المذكورة كما
فعلت الجن واقرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك ولام على الصحابة في سكوتهم وصرح بالسنية الكازروني
في تفسيره وصنيع ابي السعود يقتضي ان الاستفهام للتوبيخ والانكار ولفظه الفاء لترتيب الانكار
والتوبيخ على ما فصل من فنون النعم وصنوف الآلاء الموجبة للشكر والايمان حتما والتعرض لعنوان
الربوبية المنبئة عن المالكية الكلية والتربية مع الاضافة الى ضميرهم لتاكيد النكير وتشديد التوبيخ
وقرئ الاء على اصله بالمد والتوسط والقصر في جميع هذه السورة ولما ذكر سبحانه خلق العالم الكبير و
هو السماء والارض وما فيهما ذكر خلق العالم الصغير وقال خَلَقَ الْإِنْسَانَ وهذا تمهيد للتوبيخ على
اخلالهم بواجب شكر النعم المتعلقة بذات كل واحد من الثقلين والمراد بالانسان هنا آدم قال القرطبي
بالاتفاق من اهل التاويل ولا يبعد ان يراد به الجنس لان بني آدم مخلوقون في ضمن خلق الله آدم مِنْ
صَلْصَالٍ اي من طين يابس يسمع له صلصلة اي صوت اذا نقر اي ليختبر هل فيه عيب او لا
قيل هو طين خلط برمل وقيل هو الطين المنتن يقال صل اللحم واصل اذا انتن وقد تقدم بيانه
في سورة الحجر كَالْفَخَّارِ اي الخزف الذي طبخ بالنار والمعنى انه خلق الانسان من طين يشبه في يبسه
الخزف فان قلت قد اختلف العبارات في صفة خلق الانسان الذي هو آدم فقال تعالى في آل عمران
من تراب وقال في الحجر من حمأ مسنون وقال في الصافات من طين لازب وزاد الخازن من ماء مهين
وقال هنا من صلصال كالفخار قلت ليس فيها اختلاف بل المعنى متفق وذلك ان الله تعالى خلقه
اولا من تراب ثم جعله طينا لازبا لما اختلط بالماء ثم حمأ مسنونا وهو الطين الاسود المنتن فلما يبس صار

صلصال كالفخار قال الخطيب المذكور هنا آخر تخليقه وهو انسب بالرحمانية وفي غيرها تارة مبدؤه وتارة انشاؤه فالارض امه والماء ابوه ممزوجان بالهواء الحامل للحرارة التي هي من فيح جهنم فمن التراب جسده ونفسه ومن الماء روحه وعقله ومن النار مطلب غوايته وحدته ومن الهواء حركته وتقلبه في محامده ومذامه والغالب في جبلته التراب فلذا نسب اليه وان كان خلقه من العناصر الاربع كما ان الجان من العناصر الاربع لكن الغالب في جبلته النار فنسب اليها كما قال تعالى وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ يعني خلق ابا الجن وقيل هو ابليس او جنس الجن ومن لابتداء الغاية والمارج اللهب الصافي من النار وقيل الخالص منها وقيل لسانها الذي يكون في طرفها اذا التهبت قال الليث المارج الشعلة الساطعة ذات اللهب الشديد قال المبرد المارج النار المرسلة التي لا تمنع وقال ابو عبيدة المارج خلط النار من مرج اذا اختلط واضطرب قال الجوهري مارج من نار نار لا دخان لها خلق منها الجان وقال ابن عباس من لهب النار وخالصها وقيل هو ما اختلط بعضه ببعض من اللهب الاحمر والاصفر والاخضر الذي يعلو النار اذا اوقدت مِنْ نَارٍ هو بيان للمارج او من للتبعيض لو اراد من نار مخصوصة كقوله فانذرتكم نارا تلظى او من صاف من نار او مختلط من النار كما تقدم فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فانه انعم عليكما في تضاعيف خلقكما من ذلك بنعم لا تحصى فهلا اعتبرتم بهذه الاصول فصدقتم بالآخرة لعلكم تنجون من عذاب الله تعالى رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ قرأ الجمهور بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي هو ربهما وقيل مبتدأ وخبره مرج البحرين بينهما اعتراض والاول اولى والمراد بالمشرقين مشرق الشتاء والصيف وبالمغربين مغرباهما قال ابن عباس للشمس مطلع في الشتاء ومغرب في الشتاء ومطلع في الصيف ومغرب في الصيف غير مطلعها في الشتاء وغير مغربها في الشتاء وعنه قال مشرق الفجر ومشرق الشفق ومغرب الشمس ومغرب الشفق فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فان في ذلك من النعم ما لا يحصى كاعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل فيه او بغير ذلك ولا يتيسر لمن انصف من نفسه تكذيب فرد من افراده مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ المرج التخلية والارسال يقال مرجت الدابة اذا ارسلتها واصله الاهمال كما تمرج الدابة في المرعى قال الحسن وقتادة هما بحر فارس والروم وقال ابن جريج هما البحر المالح والانهار العذبة وقيل بحر المشرق والمغرب وقيل بحر اللؤلؤ والمرجان وقيل بحر السماء وبحر الارض وقيل بحر الروم وبحر الهند وانتم الحاجزين بينهما والمعنى خلاهما

المصحف

وانه ارسل كل واحد منهما يتجاوران ويتماسان على وجه الارض لا فصل بينهما في مرأي العين قال
سعيد بن جبير يلتقيان في كل عام وقيل يلتقي طرفاهما ومع ذلك فلم يختلطا فلهذا قال بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ
اي حاجز يحجز بينهما وقيل البرزخ الحواجز لَا يَبْغِيَانِ اي لا يبغي احدهما على الاخر بان يدخل فيه و
يختلط به وقيل لا يتغيران وقيل لا يطغيان على الناس بالغرق قال ابن عباس ارسل البحرين بينهما
حاجز لا يختلطان بينهما من البعد لا يبغي كل واحد منهما على صاحبه وقال الخطيب لا يتجاوز كل واحد
منهما ما حدّه له خالقه لا في الظاهر ولا في الباطن حتى ان العذب الداخل في الملح باق على حاله لم
يمتزج بالملح فمتى حفرت في جنب الملح في بعض الاماكن وجدت الماء العذب قال البقاعي بل كل ما
قربت الحفرة من الملح كان الماء الخارج منها احلى فخلطهما الله تعالى في رأي العين وحجز بينهما في غيب
القدرة هذا وهما جمادان لا نطق لهما ولا ادراك فكيف يبغي بعضكم على بعض ايها العقلاء فَبِأَيِّ آلَاءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فان هذه الاية وامثالها لا يتيسر تكذيبها بحال يَخْرُجُ قرأ الجمهور على البناء للفاعل
وقرئ على البناء للمفعول وهما سبعيتان مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ اي الدر وَالْمَرْجَانُ الخرز الاحمر المعروف وقال الفراء
اللؤلؤ العظام والمرجان ما صغر قال الواحدي وهو قول جميع اهل اللغة وقال مقاتل والسدي ومجاهد
اللؤلؤ صغاره والمرجان كباره وقال ابن عباس اذا مطرت السماء فتحت الاصداف في البحر افواهها فما
وقع فيها من قطر السماء فهو اللؤلؤ وعن علي قال المرجان عظام اللؤلؤ وقال ابن عباس اللؤلؤ ما عظم
منه والمرجان اللؤلؤ الصغار وقال ابن مسعود المرجان الخرز الاحمر وقال منهما وانما يخرج ذلك من
المالح لا من العذب لانه اذا خرج من احدهما فقد خرج منهما كذا قال الزجاج وغيره وقال ابو علي الفارسي
هو من باب حذف المضاف اي من احدهما كقوله على رجل من القريتين عظيم وتقول خرجت من البلد
وانما خرجت من محلة من محاله وقال الاخفش زعم قوم انه يخرج اللؤلؤ من العذب وقيل هما بحران
يخرج من احدهما اللؤلؤ ومن الاخر المرجان وقيل لا يخرجان الا من ملتقى الملح والعذب وقيل هما بحر
السماء وبحر الارض فاذا وقع ماء السماء في صدف البحر انعقد لؤلؤ فصار خارجا عنهما وقال بعضهم كلام
الله اولى بالاعتبار من كلام بعض الناس فمن الجائز ان يسوقهما من البحر العذب الى الملح واتفق انهم لم
يخرجوهما الا من الملح واذا كان في البر اشياء تخفى على التجار المترددين القاطعين المفاوز فكيف بما في قعر البحر واجاب عنه
ابن عادل بان الله لا يخاطب الناس ولا يمتن عليهم الا بما يألفون ويشاهدون ولا يخلو هذا الجواب عن التعسف

فبأي آلاء ربكما تكذبان فان في ذلك الخروج من الآيات ما لا يستطيع احد تكذيبه ولا يقدر على
انكاره وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام المراد بالجوار السفن الجارية في البحر وسميت السفينة
جارية لان شأنها ذلك وان كانت واقفة في الساحل كما سماها في موضع آخر بالجارية كما قال تعالى
انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية وسماها بالفلك قبل ان لم تكن كذلك فقال تعالى لنوح واصنع الفلك
باعيننا ثم بعد ما عملها سماها سفينة فقال تعالى فانجيناه واصحاب السفينة قال الرازي الفلك
اولا ثم السفينة ثم الجارية والمرأة المملوكة تسمى ايضا جارية لان شأنها الجري والسعي في حوائج
سيدها بخلاف الزوجة فهي من الصفات الغالبة والعامة على كسر الراء من الجوار لانه منقوص على
مفاعل والياء محذوفة لفظا وقرئ برفع الراء تناسيا للمحذوف وقرئ باثبات الياء في الوقف
ولا تثبت في الرسم لانها من ياآت الزوائد والمنشآت المرفوعات التي رفع بعض خشبها على بعض
وركب حتى ارتفعت وطالت حتى صارت في البحر كالاعلام وهي الجبال والعلم الجبل الطويل شبه
السفن في البحر بالجبل في البر وقال قتادة المنشآت المخلوقات للجري وقال الاخفش المنشآت المجريات
وقيل المحدثات المسخرات وقيل الرافعات الشرع او اللاتي ينشئن الامواج بجريهن وقد مضى الكلام
على هذا في سورة الشورى وافراد البحر وجمع الاعلام اشارة الى عظمة البحر قرأ الجمهور المنشآت بفتح الشين
وقرئ بكسرها فبأي آلاء ربكما تكذبان فان ذلك من الوضوح والظهور بحيث لا يمكن تكذيبه
ولا انكاره كل من عليها فان اي كل من على الارض من الحيوانات هالك وعلى هذا لا يحتاج لتخصيص الآية
بغير الجنة والنار والحور والولدان والحجب والعرش والارواح وغلب العقلاء على غيرهم فعبر عن
الجميع بلفظ من وقيل اراد من عليها من الجن والانس ولا يقال ان هذه الآية الى قوله يطوفون
بينها وبين حميم آن ليست نعما فكيف قال عقب كل منها فبأي آلاء الآية والجواب ان ما وصف
من هول يوم القيامة وعقاب المجرمين فيه زجر عن المعاصي وترغيب في الطاعات وهذا من اعظم
المنن وقيل وجه النعمة في فناء الخلق ان الموت سبب النقلة الى دار الجزاء والثواب قال يحيى بن
معاذ حبذا الموت فهو الذي يقرب الحبيب الى الحبيب وقيل جسر يوصل الحبيب الى الحبيب وقال
مقاتل وجه النعمة في فناء الخلق التسوية بينهم في الموت ومع الموت تستوي الاقدام ويبقى
وجه ربك الوجه عبارة عن ذاته سبحانه ووجوده وقد تقدم في سورة البقرة بيان معنى هذا

ع ٢٥

وقيل المعنى وتبقى جهته التي يتقرب بها اليه والاول اولى والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم او لكل من يصلح له
وفي وصفه بالبقاء بعد ذكر فناء الخلق ايذان بانه تعالى يفيض عليهم بعد فنائهم آثار لطفه و
كرمه حسبما ينبئ عنه قوله فباي آلاء فان احياءهم بالحياة الابدية واثابتهم بالنعيم المقيم
من اجل النعم واعظم الآلاء وخاطب الاثنين في قوله فباي آلاء ربكما وخاطب هنا الواحد لان الاشارة
ههنا وقعت الى كل احد فقال ويبقى وجه ربك ايها السامع ليعلم كل احد ان غيره فان فلو قال ويبقى وجه ربكما لكان كل احد خرج
ورفيقه المخاطب عن الفناء ولم يقل ويبقى وجه الرحمن غير خطاب مع انه ادل على فناء الكل لان كاف الخطاب في الرب اشارة الى
اللطف والابقاء اشارة الى القهر والموضع موضع بيان اللطف وتعديد النعم فلهذا قال بلفظ الرب
وكاف الخطاب ذُو الْجَلَالِ اي ذو العظمة والكبرياء واستحقاق صفات المدح يقال جل الشيء
اي عظم واجللته اي اعظمته وهو اسم من جل قرأ الجمهور ذو على انه صفة لوجه وقرئ ذي
على انه صفة لرب وَالْإِكْرَامِ معناه انه يكرم عن كل شيء لا يليق به وقيل انه ذو الاكرام لاوليائه
عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الظوا بيا ذا الجلال والاكرام اخرجه الترمذي
وقال الحاكم حديث صحيح الاسناد ومعنى الظوا الزموا هذه الدعوة واكثروا منها فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ اتلك النعم من بقاء الرب وفناء الكل والحياة الدائمة والنعيم المقيم ام بغيرها وما
قلت في معنى الآية

تفنى السقاة وتفنى الكاس والنادي + ومن تلاقيه من خل ومن عادي
لا تركنن الى الدنيا وزهرتها يفنى الجميع ويبقى ربنا الهادي

يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
مستانف او حال من وجه والعامل فيه يبقى اي يبقى مسئولا من فيهما اي يسألونه جميعا لانهم
محتاجون اليه قال ابو صالح يساله اهل السموات المغفرة ولا يسألونه الرزق واهل الارض يسألونه
الامرين جميعا وقال مقاتل يساله اهل الارض المغفرة والرزق وتسأل لهم الملائكة ايضا
الرزق والمغفرة فكانت المسئلتان جميعا من اهل السماء واهل الارض لاهل الارض وكذا قال
ابن جريج وقيل يسألونه الرحمة قال قتادة لا يستغني عنه اهل السماء ولا اهل الارض اي في
ذواتهم وصفاتهم وسائر ما يهمهم ويعن لهم والحاصل انه يساله كل مخلوق من مخلوقاته
بلسان المقال او لسان الحال ما يطلبونه من خيري الدارين او من خير احدهما وقال ابن عباس
مسألة عباده اياه الرزق والموت والحياة كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ اي استقر سبحانه في شأن كل

وقت من الاوقات واليوم عبارة عن الوقت والشأن هو الامر ومن جملة شئونه سبحانه اعطاء
اهل السموات والارض ما يطلبونه منه على اختلاف حاجاتهم وتباين اغراضهم قال المفسرون
من شأنه انه يحيي ويميت ويرزق ويفقر ويعز ويذل ويمرض ويشفي ويعطي ويمنع ويغفر ويعاقب
ويرحم ويغضب الى غير ذلك مما لا يحصى قيل كل وقت وحين يحدث امورا ويجدد احوالا وقيل نزلت
في اليهود حين قالوا ان الله لا يقضي يوم السبت شأنا وشيئا وقيل المراد سوق المقادير الى المواقيت
وقال الحسين بن الفضل انها شئون يبديها لا شئون يبتديها وقال سليمان الداراني في كل
يوم الى العبد بر جديد وقيل يخرج في كل يوم وليلة ثلاثة عساكر عسكرا من اصلاب الآباء الى
ارحام الامهات وعسكرا من الارحام الى الدنيا وعسكرا من الدنيا الى القبور ثم يرتحلون جميعا
الى الله تعالى ولا وجه لتخصيص شأن دون شأن بل الآية تدل على انه سبحانه كل يوم في شأن من
الشئون اي شأن كان من غير تعيين وشئونه سبحانه لا تحصى ولا يعلمها الا هو فالعموم اولى وانسب
بمقام القدرة وكمالها وقيل المراد باليوم المذكور هو يوم الدنيا ويوم الآخرة وشأنه في الدنيا
الاختبار بالامر والنهي والاحياء والاماتة والاعطاء والمنع وغير ذلك وشأنه في الآخرة الجزاء
والحساب والثواب والعقاب وغير ذلك قال ابن بحر وسفيان بن عيينة الدهر كله عند الله يومان
احدهما مدة ايام الدنيا والآخر يوم القيامة وقيل المراد كل يوم من ايام الدنيا عن عبد الله بن
منيب قال تلى علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية فقلنا يا رسول الله وما ذلك الشأن قال ان
يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين اخرجه الحسن بن سفيان في مسنده والبزار وابن
جرير والطبراني وابو الشيخ في العظمة وابن منده وابن مردويه وابو نعيم وابن عساكر وعن ابي الدرداء عن
النبي صلى الله عليه وسلم في الآية مثله اخرجه البخاري في تاريخه وابن ماجة وابن ابي عاصم وغيرهم وزاد
البزار ويجيب داعيا وقد رواه البخاري تعليقا وجعله من كلام ابي الدرداء وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال يغفر ذنبا ويفرج كربا اخرجه البزار ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فان اختلاف شئونه سبحانه في
تدبير امر عباده نعمة لا يمكن جحدها ولا يتيسر لمكذب تكذيبها ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ هذا وعيد
شديد من الله سبحانه للجن والانس قال القرطبي يقال فرغت من الشغل افرغ فراغا وفروغا وتفرغت
لكذا واستفرغت مجهودي في كذا اي بذلته قال الزجاج والكسائي وابن الاعرابي وابو علي الفارسي

ان الفراغ هاهنا ليس هو الفراغ من شغل لان الله تعالى ليس له شغل يفرغ منه ولا يشغله شان عن
شان ولكن تاويله القصد اي سنقصد لحسابكم او مجازاتكم او محاسبتكم قال الواحدي حاكيا عن
المفسرين ومنهم ابن عباس ان هذا تهديد من الله سبحانه لعباده ومن هذا قول القائل لمن يريد
تهديده اذن اتفرغ لك اي اقصد قصدك وفرغ يجيء بمعنى قصد قال الزجاج ان الفراغ في اللغة على
ضربين احدهما الفراغ من الشغل والاخر القصد للشيء والاقبال عليه كما هنا ويكون الكلام على طريق
التمثيل والاستعارة وقد ارتضاه صاحب المفتاح ومضى اليه الزمخشري وقيل ان الله سبحانه وعد على
التقوى واوعد على المعصية ثم قال سنفرغ لكم مما وعدناكم ونوصل كلا الى ما وعدناه وبه قال
الحسن ومقاتل وابن زيد قرأ الجمهور سنفرغ بالنون وضم الراء وقرئ بالنون مع فتح الراء قال الكسائي
هي لغة تميم وقرئ بالياء التحتية مفتوحة مع ضم الراء اي سيفرغ الله وقرئ بضم الياء وفتح الراء وذلك
ايه بغير الف واما في النطق فقرأ ابو عمرو والكسائي ايها بالالف في الوقف ووقف الباقون على الرسم
ايه بتسكين الهاء وفي الوصل قرأ ابن عامر ايه برفع الهاء والباقون بنصبها وقرئ بكسر النون وفتح الراء
وسمي الجن والانس الثقلين لعظم شانهما بالنسبة الى غيرهما من حيوانات الارض وقيل سموا بذلك
لانهم ثقل على الارض احياء واموانا كما في قوله واخرجت الارض اثقالها وقال جعفر الصادق
سميا ثقلين لانهما مثقلان بالذنوب وقيل لانهما اثقلا وانعبا بالتكاليف وجمع في قوله لكم ثم قال
ايها الثقلان لانهما فريقان وكل فريق جمع فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فان من جملتها ما في هذا
التهديد من النعم فمن ذلك انه ينزجر به المسيئ عن اساءته ويزداد به المحسن احسانا فيكون ذلك
سببا للفوز بنعيم الدار الاخرة الذي هو النعيم في الحقيقة يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ هو كالترجمة لقوله ايها
الثقلان قدم الجن هنا لكون خلق ابيهم متقدما على خلق ادم ولوجود جنسهم قبل جنس الانس وهذا
الخطاب يقال لهما في الاخرة وقيل في الدنيا ويرجح كونه في الاخرة قوله يرسل عليكما فان هذا الارسال
انما هو في القيامة كما سياتي وكذا قوله فاذا انشقت السماء إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ اي ان قدرتم ان تخرجوا من جوانبهما ونواحيهما واطرافهما هربا من قضاء
الله وقدره فَانْفُذُوا منها وخلصوا انفسكم واهربوا واخرجوا فحيثما كنتم يدرككم الموت يقال نفذ
الشيء من الشيء اذا خلص منه كما يخلص السهم والامر بالنفوذ امر تعجيز لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ اي

حيث قال الفراغ الخلاص عن المهام والله عز وجل لا يشغله شان عن شان وهو مستعار للاخذ في الجزاء وحده وهو المراد من قول صاحب الكشاف وغيره في ذلك ان الكلام على طريق التمثيل ١٢ سيد عبد الغفار احمد سلمه ربه

اي لا تقدرون على النفوذ الا بقوة وقهر ولا قهر ولا قوة لكم على ذلك ولا قدرة والسلطان القوة التي يتسلط بها صاحبها على الامر قال الضحاك بينما الناس في اسواقهم اذا انفتحت السماء ونزلت الملائكة فهرب الجن والانس فتحدق بهم الملائكة فذلك قوله لا تنفذون الا بسلطان ذكره النحاس وعلى هذا يكون في الدنيا قال ابن المبارك ان ذلك يكون في الآخرة وقال الضحاك ايضا معنى الآية ان استطعتم ان تهربوا من الموت فاهربوا وقيل ان استطعتم ان تعلموا ما في السموات والارض فاعلموه ولن تعلموه الا بسلطان اي ببينة من الله وقال قتادة معناها لا تنفذون الا بملك وليس لكم ملك وقيل الباء بمعنى الى اي لا تنفذون الا الى سلطان وقال ابن عباس لا تخرجون من سلطاني

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ومن جملتها هذه النعمة الحاصلة بالتحذير والتهديد فانها تزيد المحسن احسانا وتكف المسيء عن اساءته مع ان من حذركم وانذركم قادر على الايقاع بكم من دون مهلة

يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ قرأ الجمهور يرسل بضم التحتية مبنيا للمفعول وقرئ بالنون ونصب شواظ وقرأ الجمهور شواظ بضم الشين وقرئ بكسرها وهما لغتان جمع واحد والشواظ اللهب الذي لا دخان معه قال مجاهد الشواظ اللهب الاخضر المنقطع من النار وقال الضحاك هو الدخان الذي يخرج من اللهب ليس بدخان الحطب قال الاخفش وابو عمرو هو النار والدخان جميعا وقال ابن عباس هو لهب النار وقيل هو اللهب الخالص وَنُحَاسٌ قرأ الجمهور بضم النون وقرئ بكسرها وقرئ نحس والنحاس الصفر المذاب يصب على رؤسهم قاله مجاهد وقتادة وغيرهما وقال سعيد بن جبير هو الدخان الذي لا لهب له وبه قال الخليل وقال الضحاك هو دردي الزيت المغلي وقال الكسائي هو النار التي لها ريح شديدة وقال ابن عباس هو دخان النار وعنه قال الصفر يعذبون به قيل يرسل عليهما هذا مرة وهذا مرة ويجوز ان يرسلا معا من غير ان يمتزج احدهما بالآخر وقرئ نحاس بالرفع عطفا على شواظ وبالجر عطفا على نار سبعيتان لكن قراءة الجر لا بد فيها من كسر شين شواظ واما نار فمن قرأ بالجر بدون احد الامرين فقد وقع في التلفيق لان هذا الوجه لم يقرأ به احد قال المهدوي من قال ان الشواظ النار والدخان جميعا فالجر في نحاس على هذا بين فاما الجر على قول من جعل الشواظ اللهب الذي لا دخان فيه فبعيد لا يسوغ الا على تقدير حذف موصوف فكانه قال يرسل عليكما شواظ من نار وشيء من نحاس فَلَا تَنْتَصِرَانِ اي لا تقدران على الامتناع من عذاب الله بل

يسوقكم الى المحشر فبأي آلاء ربكما تكذبان فان من جملتها هذا الوعيد الذي يكون به الانزجار
عن الشر والرغوب في الخير فاذا انشقت السماء اي انصدعت بنزول الملائكة يوم القيامة وانفك
بعضها من بعض لقيام الساعة وقيل انفجرت فصارت ابوابا لنزول الملائكة لتحيط بالعالم من سائر
جهات الارض لئلا يهرب بعضهم من المحشر وقيل المراد منه خراب السماء وفيه تهويل وتعظيم الامر
فكانت وردة اي كوردة حمراء او محمرة مثلها قال سعيد بن جبير وقتادة المعنى فكانت حمراء وقيل
فكانت كلون الفرس الورد قاله ابن عباس وهو الابيض الذي يضرب الى الحمرة والصفرة كالدهان قال
الفراء وابو عبيدة تصير السماء كالاديم لشدة حر النار وقال ابن عباس كالاديم الاحمر اي على خلاف
العهد بها وهو الزرقة وقال الفراء ايضا شبه تلون السماء بتلون الورد من الخيل وشبه الورد
في الوانه بالدهن واختلاف الوانه الدهان جمع دهن نحو قرط وقراط ورمح ورماح وقيل انه اسم مفرد
اي اسم لما يدهن به كالحزام والادام قاله الزمخشري وقيل المعنى تصير السماء مثل الدهن لذوبانها
وقال الحسن كالدهان اي كصبيب الدهن فانك اذا صببته ترى فيه الوانا وقال زيد بن اسلم انها
تصير كعصير الزيت قال الزجاج وقتادة انها اليوم خضراء وسيكون لها لون احمر حكاه الثعلبي قال
الماوردي زعم المتقدمون ان اصل لون السماء الحمرة وانها لكثرة الحوائل والحواجز وبعد المسافة واعتراض
الهواء بيننا وبينها ترى بهذا اللون الازرق كما يرى الدم في العروق ازرق ولا هواء هناك يمنع من
اللون الاصلي ذكره الكرخي والعمادي والكازروني فبأي آلاء ربكما تكذبان فان من جملتها ما في
هذا التهديد والتخويف من حسن العاقبة بالاقبال على الخير والاعراض عن الشر فيومئذ لا يسأل
عن ذنبه انس ولا جان اي يوم تنشق السماء لا يسأل احد من الانس ولا من الجن عن ذنبه لانهم
يعرفون عند خروجهم من قبورهم فالتنوين عوض عن الجملة والفاء جواب الشرط وقيل هو محذوف
اي فاذا انشقت السماء رايت امرا مهولا والهاء في ذنبه تعود على احد المذكورين وضمير الآخر مقدر
اي ولا يسأل عن ذنبه جان ايضا وناصب الظرف لا يسأل ولا غير مانعة والجمع بين مثل هذه الآية
وبين مثل قوله فوربك لنسألنهم اجمعين ان ما هنا يكون في موقف والسؤال في موقف آخر من
مواقف القيامة وقيل قد كانت مسئلة ثم ختم على افواه القوم وتكلمت ايديهم وارجلهم بما كانوا
يعملون وقيل انهم لا يسألون هنا سؤال استفهام عن ذنوبهم لان الله سبحانه قد احصى الاعمال

وحفظها على العباد ولكن يسألون سؤال توبيخ وتقريع ومثل هذه الآية قوله ولا يسأل عن ذنوبهم
المجرمون قال ابو العالية المعنى لا يسأل غير المجرم عن ذنب المجرم وقيل ان عدم السؤال هو عند البعث
والسؤال هو في موقف الحساب قال ابن عباس لا يسألهم هل عملتم كذا وكذا لانه اعلم بذلك منهم
ولكن يقول لهم لم عملتم كذا وكذا والجان والانس كل منهما اسم جنس يفرق بينه وبين واحده بالياء كزنج و
زنجي ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فان من جملتها هذا الوعيد الشديد لكثرة ما يترتب عليه من الفوائد
﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾ هذه الجملة جارية مجرى التعليل لعدم السؤال والسيما العلامة
قال الحسن سيماهم سواد الوجوه وزرقة الاعين كما في قوله ونحشر المجرمين يومئذ زرقا وقال يوم
تبيض وجوه وتسود وجوه وقيل سيماهم ما يعلوهم من الحزن والكآبة ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾
قال ابو حيان يؤخذ متعد ومع ذلك تعدى بالباء لانه ضمن معنى يسحب قلت يسحب انما يتعدى بعلى
قال تعالى يوم يسحبون في النار على وجوههم فكان ينبغي ان يقال ضمن معنى يدفع اي يدفعون وقال مكي
انما يقال اخذت الناصية واخذت بها ولو قلت اخذت الدابة بالناصية لم يجز وحكي عن العرب
اخذت الخطام واخذت بالخطام بمعنى قاله الكرخي والنواصي شعور مقدم الراس والمعنى انها تجعل
الاقدام مضمومة الى النواصي وتلقيهم الملائكة في النار قال الضحاك يجمع بين ناصيته وقدميه في
سلسلة من وراء ظهره وقيل تسحبهم الملائكة الى النار تارة تأخذ بنواصيهم وتجرهم على وجوههم
وتارة تاخذ باقدامهم وتجرهم على رؤسهم قال ابن عباس تاخذ الزبانية بناصيته وقدميه و
يجمع فيكسر كما يكسر الحطب في التنور ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فان من جملتها هذا الترهيب الشديد
والوعيد البالغ الذي ترجف له القلوب وتضطرب لهوله الاحشاء ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا
الْمُجْرِمُونَ﴾ الجملة مستأنفة جواب سؤال مقدر كأنه قيل فماذا يقال لهم عند الاخذ بالنواصي
والاقدام فقيل يقال لهم تقريعا وتوبيخا هذه جهنم التي تشاهدونها وتنظرون اليها مع انكم
كنتم تكذبون بها وتقولون انها لا تكون ﴿يَطُوفُونَ﴾ اي يترددون ويسعون ﴿بَيْنَهَا﴾ اي بين جهنم
فتحرقهم ﴿وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾ فيصيب وجوههم فيحرقون بها فيستغيثون منها فيسعى بهم الى الحميم
الماء الحار والآن الذي قد انتهى حره وبلغ غايته كذا قال الفراء وقال الزجاج آن يأني أنًا فهو آن اذا
انتهى في النضج الحرارة وقال ابن عباس هو الذي انتهى حره وقيل هو واد من اودية جهنم يجمع فيه صديد

اهل النار فيغمسون فيه باغلال لهم حتى تخلع اوصالهم قال قتادة يطوفون مرة في الحميم ومرة
بين الجحيم فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فان من جملتها النعمة الحاصلة بهذا التخويف وما يحصل به
من الترغيب في الخير والترهيب عن الشر ولما فرغ سبحانه من تعداد النعم الدنيوية على الثقلين ذكر نعمه
الاخروية التي انعم بها عليهم فقال وَلِمَنْ خَافَ اي لكل فرد من افراد الخائفين او لمجموعهم والاول
هو المعتمد مَقَامَ رَبِّهِ مقامه سبحانه هو الموقف الذي يقف فيه العباد للحساب كما في قوله يوم يقوم
الناس لرب العالمين وقيل المعنى خاف قيام ربه عليه وهو اشرافه على احواله واطلاعه على
افعاله واقواله كما في قوله افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت او قيام الخائف عند ربه للحساب
وحصله احتمالات ثلثة في تفسير المقام اولها انه اسم مكان والثاني انه مصدر تحته احتمالان
اما بمعنى قيام الله على الخلائق او بمعنى قيام الخلائق بين يديه قال مجاهد والنخعي هو الرجل الذي
يهم بالمعصية فيذكر الله فيدعها من خوفه وفيه اشارة الى سبب استحقاق الجنتين في نفس الامر
وهو انه ليس مجرد الخوف بل الخوف الناشي عنه ترك المعاصي جَنَّتَانِ اختلف فيهما فقال مقاتل
يعني جنة عدن وجنة النعيم وقيل احداهما التي خلقت له والاخرى ورثها وقيل احداهما منزله
والاخرى منزل ازواجه وقيل احداهما اسافل القصور والاخرى اعاليها وقيل جنة لفعل الطاعة
واخرى لترك المعصية وقيل جنة للعقيدة التي يعتقدها وجنة للعمل الذي يعمله وقيل جنة بالعمل
وجنة بالتفضل وقيل جنة روحانية وجنة جسمانية وقيل جنة لخوفه من ربه وجنة لتركه
شهوته وقال الفراء انما هي جنة واحدة والتثنية لاجل موافقة رؤس الاي قال النحاس وهذا
من اعظم الغلط على كتاب الله فان الله يقول جنتان ويصفهما بقوله فيهما فيهما الخ وقيل انما كانتا
اثنتين ليضاعف له السرور بالتنقل من جهة الى جهة قال ابن عباس وعد الله المؤمنين الذين
خافوا مقامه فادوا فرائضه الجنتين وعنه ايضا يقول خاف ثم اتقى والخائف من ركب طاعة الله و
ترك معصيته وعن عطاء انها نزلت في ابي بكر وعن ابن شوذب مثله وقال ابن مسعود في الاية
لمن خافه في الدنيا وعن ابي الدرداء ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الاية ولمن خاف مقام ربه جنتان
فقلت وان زنى وان سرق يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الثانية ولمن خاف مقام ربه جنتان
فقلت وان زنى وان سرق فقال الثالثة ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت وان زنى وان سرق قال نعم

قوله يعني ان الكلام على سبيل التوزيع فاحدى الجنتين للخائف الانسي والاخرى للخائف الجني او لكل خائف ليس لكل جنة واحدة والاول هو المتعين كما قاله المؤلف رحمه الله سيدنا ذو الفقار احمد

وان رغم انف ابي الدرداء اخرجه احمد والترمذي والنسائي والبزار وابو يعلى والطبراني وغيرهم
وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن خاف مقام ربه جنتان فقال ابو الدرداء وان زنى
وان سرق يا رسول الله قال وان زنى وان سرق وان رغم انف ابي الدرداء اخرجه ابن مردويه وعن
يسار مولى لآل معاوية عن ابي الدرداء في الآية قال قيل لابي الدرداء وان زنى وان سرق قال من خاف
مقام ربه لم يزن ولم يسرق وعن ابن شهاب قال كنت عند هشام بن عبد الملك فقال قال ابو هريرة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن خاف مقام ربه جنتان قال ابو هريرة وان زنى وان سرق فقلت انما كان
ذلك قبل ان تنزل الفرائض فلما نزلت الفرائض ذهب هذا اخرجه ابن مردويه وعن ابي موسى
الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جنان الفردوس اربع جنات جنتان من ذهب حليتهما و
آنيتهما وما فيهما وجنتان من فضة حليتهما وآنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا
ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن اخرجه البخاري ومسلم وغيرهما وعنه في الآية
قال جنتان من ذهب للسابقين وجنتان من فضة للتابعين قال القرطبي في هذه الآية دليل
على ان من قال لزوجته ان لم اكن من اهل الجنة فانت طالق انه لا يحنث ان كان هم بالمعصية و
تركها خوفا من الله وحياء منه وهو قول سفيان الثوري وبه افتى ومذهب الشافعي انه لا يحنث اذا كان
مسلما ومات على الاسلام ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فان من جملتها هذه النعمة العظيمة وهي
اعطاء الخائف من مقام ربه جنتين متصفتين بالصفات الجليلة العظيمة ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ اي جنتان
افنان هذه صفة للجنتين وما بينهما اعتراض او خبر مبتدأ محذوف اي هما ذواتا قال الخطيب
وفي تثنية ذات لغتان الاولى الرد الى الاصل فان اصلها ذوية فالعين واو واللام ياء لانها مؤنث
ذوي والثانية التثنية على اللفظ فيقال ذاتان انتهى ومثله قال السمين وعبارة الجلال المحلي
تثنية ذوات على الاصل ولامها ياء انتهى والافنان الاغصان وهي الدقيقة التي تتفرع من فروع الشجر
واحدها فنن كطلل وهو الغصن المستقيم طولا وبهذا قال مجاهد وعكرمة وعطية وغيرهم وخص
الافنان لانها هي التي تورق وتثمر فمنها تمتد الظلال ومنها تجتنى الاثمار وقال الزجاج الافنان
الالوان واحدها فن كدن وهو الضرب والنوع من كل شيء وبه قال عطاء وسعيد بن جبير وجمع
عطاء بين القولين فقال في كل غصن فنون من الفاكهة وقيل معناها ذواتا فضل وسعة على

ما سواهما قاله قتادة وقيل ذواتا انواع واشكال من الثمار وقيل الافنان ظل الاغصان على الحيطان روي عن مجاهد وعكرمة قال ابن عباس ذواتا الوان وقال فن غصونها يمس بعضها بعضا وقال الفن الغصن والمعنى ان له فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين قال قائلهم ه ومن كل افنان اللذة والصبا. لهوت به والعيش اخضر ناضر. فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فان كل واحد منهما ليس بمحل للتكذيب ولا موضع للانكار فِيهِمَا اي في كل واحدة منهما عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ حيث شاؤا في الاعالي والاسافل وهذا ايضا صفة اخرى للجنتين قال الحسن احداهما التسلسبيل والاخرى التسنيم وقال عطية احداهما من ماء غير آسن والاخرى من خمر لذة للشاربين قيل كل واحدة منهما مثل الدنيا اضعافا مضاعفة حصاهما الياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر وترابهما الكافور وحمأتهما المسك الاذفر وحافتاهما الزعفران وقال ابو بكر الوراق تجريان لمن كانت عيناه في الدنيا تجريان من مخافة الله عز وجل فتجريان في كل مكان شاء صاحبهما وان علا مكانه كما تصعد المياه في الاشجار في كل غصن منها وان زاد علوها فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فان من جملتها هذه النعمة الكائنة في الجنة لاهل السعادة فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ هذا صفة ثالثة للجنتان والزوجان الصنفان والنوعان والمعنى ان في الجنتين من كل نوع يتفكه به في الدنيا ضربين يستلذ بكل نوع من انواعه قيل احد الصنفين رطب والآخر يابس لا يقصر احدهما عن الآخر في الفضل والطيب وقيل صنفان صنف معروف وصنف غريب قيل ما في الدنيا شجرة حلوة ولا مرة الا وهي في الجنة حتى الحنظل الا انه حلو فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فان في مجرد تعداد هذه النعم ووصفها في هذا الكتاب العزيز من الترغيب الى فعل الخير والترهيب عن فعل الشر ما لا يخفى على من يفهم وذلك نعمة عظمى ومنة كبرى فكيف بالتنعم به عند الوصول اليه مُتَّكِئِينَ قال في القاموس توكأ عليه تحامل واعتمد واتكأ جعل له متكأ وقوله صلى الله عليه وسلم اما انا فلا آكل متكئا اي جالسا جلوس المتمكن المتربع ونحوه من الهيئات المستدعية لكثرة الاكل بل كان جلوسه للاكل مستوفزا مقعيا غير متربع ولا متمكن وليس المراد الميل على شق كما يظنه عوام الطلبة وذكر الاتكاء لانه حال الصحيح الفارغ القلب المتنعم البدن بخلاف المريض والمهموم وانتصابه على الحال من فاعل قوله ولمن خاف وانما جمع حملا على معنى من وقيل منصوب على المدح وقيل عاملها محذوف والتقدير يتنعمون متكئين اي مضطجعين او متربعين عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ

إستبرق والفرش جمع فراش والبطائن هي التي تحت الظهائر وهي جمع بطانة وقال الزجاج هي ما
يلي الارض والاستبرق ما غلظ من الديباج واذا كانت البطائن من استبرق فكيف تكون الظهائر
قيل لسعيد بن جبير البطائن من استبرق فما الظواهر قال هذا مما قال الله فيه فلا تعلم نفس ما
اخفي لهم من قرة اعين وبه قال ابن عباس قيل انما اقتصر على ذكر البطائن لانه لم يكن احد في
الارض يعرف ما في الظهائر وقال الحسن بطائنها من استبرق وظواهرها من نور جامد وقال
الحسن ايضا البطائن هي الظهائر وبه قال الفراء وقال قد تكون البطانة الظهارة والظهارة البطانة
لان كل واحد منهما يكون وجها والعرب تقول هذا ظهر السماء وهذا بطن السماء لظاهرها الذي
نراه وانكر ابن قتيبة هذا وقال لا يكون هذا الا في الوجهين المتساويين قال ابن مسعود رضي الله عنه
في الاية اخبر تم بالبطائن فكيف بالظهائر وقيل ظهائرها من سندس وهو الديباج الرقيق الناعم
وهذا يدل على نهاية شرف هذه الفرش لانه ذكر ان بطائنها من الاستبرق ولابد ان تكون الظهائر
خيرا من البطائن فهو مما لا يعلمه البشر وجنى الجنتين دان مبتدء وخبر ودان اصله دانو مثل غاز
فاعل اعلاله وجنى فعل بمعنى مفعول كالقبض بمعنى المقبوض والجنا ما يجتنى من الثمار قيل ان الشجرة
تدنو حتى يجتنيها من يريد جناها قال ابن عباس جناها ثمرها والداني القريب منك اي يناله القائم
والقاعد والمتكئ والنائم وهذا بخلاف ثمر الدنيا فانها لا تنال الا بكد وتعب وقيل لا يرد ايديهم عنها
بعد ولا شوك قال الرازي جنة الاخرة مخالفة لجنة الدنيا من ثلثة اوجه احدها ان الثمرة على رؤس الشجر
في الدنيا بعيدة عن الانسان المتكئ وفي الجنة يتكئ والثمرة تتدلى اليه وثانيها ان الانسان في الدنيا
يسعى الى الثمرة ويتحرك اليها وفي الاخرة تدنو منه وتدور عليه وثالثها ان الانسان في الدنيا
اذا قرب من ثمرة شجرة بعد عن غيرها وثمار الجنة كلها تدنو اليه في وقت واحد ومكان واحد
فبأي آلاء ربكما تكذبان فانها كلها بموضع لا يتيسر لمكذب ان يكذب بشئ منها لما يشتمل عليه من
الفوائد العاجلة والاجلة فيهن اي في الجنتين المذكورتين لان اقل الجمع اثنان او لاشتمالهما
على اماكن وعلالي وقصور ومجالس قال الزجاج وانما قال فيهن لانه عنى الجنتين وما اعد لصاحبهما
فيهما من النعيم او في هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش والجنا
وقيل وفيهن اي في الفرش التي بطائنها من استبرق قال ابو حيان وفيه بعد لان الاستعمال ان يقال

٤٧
انما يعتدل الى ان
الضمير يرجع الى
الجنتين وما فيهما
من القصور ونحوها
او يعود على الجنات
الدال عليه جنتان
لان لكل خائف من
ربه جنتين فتكون
جنات
فبأي آلاء ربكما تكذبان
فيهن قاصرات
ذو الفقار احمد
عفا الله عنه

على الفراش كذا او لا يقال في الفراش كذا الا بتكلف ولذلك جمع الزمخشري مع الفرش غيرها حتى صح
له ان يقول ذلك وقال الفراء كل موضع في الجنة جنة فلذلك صح ان يقال فيهن قاصرات الطرف
من اضافة اسم الفاعل لمنصوبه تخفيفا اذ يقال قصر طرفه على كذا وحذف متعلق القصر للعلم به
اي انهن يقصرن ابصارهن على ازواجهن المتكئين من الانس والجن لا ينظرن الى غيرهم ولا يرين سواهم
والاية دلت على الحياء لان الطرف حركة الجفن والحيية لا تحرك جفنها ولا ترفع راسها وقد تقدم هذا
في سورة الصافات قال ابن عباس قاصرات الطرف من غير ازواجهن قال الرازي وانظر الى حسن
هذا الترتيب فانه بين اولا المسكن وهو الجنة ثم بين ما يتنزه به وهو البستان والعيون الجارية ثم ذكر
الماكول ثم ذكر موضع الراحة بعد الاكل وهو الفراش ثم ذكر ما يكون في الفراش معه ولما كان الاختصاص
بالشيء من اعظم الملذذات قال لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ الضمير راجع الى الازواج المدلول عليهم
بقاصرات الطرف وقيل يعود الى المتكئين والجملة نعت لقاصرات لان اضافتها لفظية كقوله هذا
عارض ممطرنا او حال لتخصص النكرة بالاضافة قال الفراء الطمث الافتضاض وهو النكاح بالتدمية
يقال طمث الجارية اذا افتزعها وقيل الطمث المس اي لم يمسسهن قاله ابو عمرو وقال المبرد اي لم يذللهن
والطمث التذليل ومن استعمال الطمث فيما ذكره الفراء قول الفرزدق دفعن الي ولم يطمثن قبلي
وهن اصح من بيض النعام وفي السمين اصل الطمث الجماع المؤدي الى خروج دم البكر ثم اطلق على
كل جماع طمث وان لم يكن معه دم وقيل الطمث دم الحيض اودم الجماع قال الواحدي قال المفسرون
لم يطأهن ولم يغشهن لم يجامعهن قبلهم احد ولم يتسلط عليهن قال مقاتل لانهن خلقن في الجنة فعلى قوله
انهن من نساء الدنيا انشئن خلقا آخر ابكارا وقيل هن الادميات اللاتي متن ابكارا او لا اولى قرأ الجمهور يطمثهن بكسر الميم وقرئ
بضمها وبفتحها وفي هذه الاية بل في كثير من آيات هذه السورة دليل على ان الجن يدخلون
الجنة اذا آمنوا بالله سبحانه وعملوا بفرائضه وانتهوا عن مناهيه قال ابن عباس في الاية لم يطمثهن
لم يدن منهن او لم يدميهن وفي الاية دليل على ان الجن يطمثون كما يطمث الانس فان مقام الامتنان
يقتضي ذلك اذ لو لم يطمثوا لم يحصل طعم الامتنان فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فان في مجرد هذا الترغيب في
هذه النعم نعمة جليلة ومنة عظيمة لانه يحصل الحرص على الاعمال الصالحة والفرار من الاعمال الطالحة فكيف
بالوصول الى هذه النعم والتنعم بها في جنات النعيم بلا انقطاع ولا زوال كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ

هذا صفة لقاصرات او حال منهن ولم يذكر مكي غيره والياقوت جوهر نفيس يقال ان النار لم تؤثر فيه ومن المعلوم ان الياقوت احمر اللون فهذا التشبيه يقتضي ان لون اهل الجنة البياض المشرب بحمرة فينافي المقرر المعلوم من انه البياض المشرب بصفرة فالجواب ان التشبيه بالياقوت من حيث الصفاء لا من حيث الحمرة وهذا لا ينافي ان البياض مشرب بصفرة كما قال الحسن هن في صفاء الياقوت وبياض المرجان وانما خص المرجان على القول بانه صغار الدر لان صفاءها اشد من صفاء كبار الدر عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في الآية قال ينظر الى وجهها في خدرها اصفى من المرأة وان ادنى لؤلؤة عليها لتضيئ مابين المشرق والمغرب وانه يكون عليها سبعون ثوبا وينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك اخرجه احمد وابن حبان والحاكم وصححه والبيهقي في البعث وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان المرأة من نساء الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها وذلك ان الله يقول كانهن الياقوت والمرجان فاما الياقوت فانه حجر لو ادخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرأيته من ورائه اخرجه ابن ابي شيبة وهناد بن السري وابن ابي الدنيا وابن جرير وابن ابي حاتم وابن حبان وابو الشيخ وغيرهم وقد رواه الترمذي موقوفا وقال هو اصح

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فان نعمه كلها لا يتيسر تكذيب شيء منها كائنة ما كانت فكيف بهذه النعم الجليلة والمنن الجزيلة ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ هل ترد في الكلام على اربعة اوجه تكون بمعنى قد كقوله هل اتى على الانسان حين من الدهر وبمعنى الاستفهام كقوله فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا وبمعنى الامر كقوله فهل انتم منتهون وبمعنى الجحد كقوله فهل على الرسل الا البلاغ وكما في هذه الآية والجملة مقررة لمضمون ما قبلها والمعنى ما جزاء من احسن العمل في الدنيا الا الاحسان اليه في الآخرة كذا قال ابن زيد وغيره وقال الصادق في هل جزاء من احسنت اليه في الازل الا حفظ الاحسان عليه في الابد قال الرازي في هذه الآية وجوه كثيرة حتى قيل ان في القرآن ثلث آيات في كل واحدة منها مائة قول احدها قوله تعالى فاذكروني اذكركم وثانيها وان عدتم عدنا وثالثها هل جزاء الاحسان الا الاحسان قال محمد بن الحنفية هي للبر والفاجر البر في الآخرة والفاجر في الدنيا عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الآية ما جزاء من انعمت عليه بالتوحيد الا الجنة اخرجه ابن ابي حاتم وابن مردويه والبيهقي وضعفه واخرج البغوي في تفسيره وغيره في غيره عن انس مرفوعا مثله

وعن جابر مرفوعاً في الآية قال هل جزاء من انعمنا عليه بالاسلام الا ان ادخله الجنة واخرج ابن النجار عن علي مرفوعاً مثل حديث ابن عمر وقال ابن عباس هل جزاء من قال لا اله الا الله في الدنيا الا الجنة في الآخرة وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انزل الله علي هذه الآية في سورة الرحمن للكافر والمسلم هل جزاء الاحسان الا الاحسان اخرجه ابن عدي وابو الشيخ وابن مردويه والديلمي والبيهقي واخرجه ابن مردويه موقوفاً على ابن عباس قال ابراهيم الخواص في الآية هل جزاء الاسلام الا دار السلام وفي الآية اشارة الى رفع التكليف في الآخرة لان الله وعد المؤمن بالاحسان وهو الجنة فلو بقي التكليف في الآخرة وتركه العبد لاستحق العقاب على ترك العمل والعقاب ترك الاحسان اليه فلا تكليف فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فان من جملتها الاحسان اليكم في الدنيا والآخرة بالخلق والرزق والارشاد الى العمل الصالح والزجر عن العمل الذي لا يرضاه وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ اي من دون تينك الجنتين الموصوفتين بالصفات المتقدمة جنتان أخريان لمن دون اصحاب الجنتين السابقتين من اهل الجنة ومعنى من دونهما اي من امامهما ومن قبلهما اي هما اقرب منهما وادنى الى العرش فهما افضل من الاوليين والى هذا ذهب الحكيم الترمذي في نوادر الاصول وقيل دونهما في الدرج وقيل بالفضل وقيل الجنتان الاوليان جنة عدن وجنة النعيم والاخريان جنة الفردوس وجنة المأوى قال ابن جريج هي اربع جنات جنتان منها للسابقين المقربين فيهما من كل فاكهة زوجان وعينان تجريان وجنتان لاصحاب اليمين فيهما فاكهة ونخل ورمان وفيهما عينان نضاختان قال ابن زيد ان الاوليين من ذهب للمقربين والاخريين من ورق لاصحاب اليمين واخرج ابن جرير وابن ابي حاتم وابن مردويه عن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم في الآية قال جنتان من ذهب للمقربين وجنتان من ورق لاصحاب اليمين فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فان كلها حق ونعم لا يمكن جحدها ثم وصف سبحانه هاتين الجنتين الاخريين فقال مُدْهَامَّتَانِ وما بينهما اعتراض قال ابو عبيدة والزجاج من خضرتهما قد اسودتا من الري وكل ما علاه السواد ريا فهو مدهم عند العرب قال مجاهد مسودتان والدهمة في اللغة السواد يقال فرس ادهم وبعير ادهم اذا اشتدت ورقته حتى ذهب البياض الذي فيه وناقة دهماء وادهام ادهيماما اي اسواد وسميت قرى العراق سواد الكثرة خضرتها والشاة الدهماء الحمراء الخالصة الحمرة ويقال للقيد ادهم وفي المختار دهمهم الامر غشيهم وبابه فهم وكذا

دهمتهم الخيل ودهمهم بفتح الهاء لغة وقال ابن عباس هما خضراوان قد اسودتا من الخضرة من الري من الماء وعن ابن الزبير نحوه وعن ابي ايوب الانصاري قال سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله مدهامتان قال خضراوان اخرجه الطبراني وابن مردويه فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فان جميعها نعم ظاهرة وواضحة لا تجحد ولا تنكر فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ النضخ فوران الماء من العين والمعنى ان في الجنتين المذكورتين عينين فوارتين قال اهل اللغة والنضخ بالخاء المعجمة اكثر من النضح بالحاء المهملة لان بالحاء الرش وبالخاء المعجمة فوران الماء قاله السمين قال الحسن ومجاهد تنضخ على اولياء الله بالمسك والعنبر والكافور في دور اهل الجنة كما ينضح رش المطر وقال سعيد بن جبير انها تنضخ بانواع الفواكه والماء قال ابن عباس فائضتان تنضخان بالماء وقيل بالخير والبركة على اهل الجنة فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فانها ليست بموضع للتكذيب ولا بمكان للجحد فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ هذا من صفات الجنتين المذكورتين قريبا والنخل والرمان وان كانا من الفاكهة لكنهما خصصا بالذكر لمزيد حسنهما ولكثرة نفعهما بالنسبة الى سائر الفواكه كما حكاه الزجاج والازهري وغيرهما وقيل انما خصهما لكثرتهما في ارض العرب قال الخطيب كانا عندهم في ذلك الوقت بمنزلة البر عندنا لان النخل عامة قوتهم والرمان كالشراب فكان يكثر غرسهما عندهم لحاجتهم اليهما وكانت الفواكه عندهم الثمار التي يعجبون بها وقيل خصهما لان النخل فاكهة وطعام والرمان فاكهة ودواء وقد ذهب الى انهما من جملة الفاكهة جمهور اهل العلم وبه قال الشافعي فيحنث باكل احدهما من حلف لا ياكل فاكهة رح فعطفهما عليها من عطف الخاص على العام تفصيلا ولم يخالف في ذلك الا ابو حنيفة رح وقد خالفه صاحباه ابو يوسف ومحمد وهو قول خلاف قول اهل اللغة ولا حجة له في الاية فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فان من جملتها هذه النعم التي في جنات النعيم ومجرد الحكاية لها تؤثر في نفوس السامعين وتجذبهم الى طاعة رب العالمين فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ قرأ الجمهور خيرات بالتخفيف وقرئ بالتشديد فعلى الاولى هي جمع خيرة بزنة فعلة بسكون العين يقال امرأة خيرة واخرى شرة او جمع خيرة مخفف خيّرة وعلى الثانية جمع خيّرة بالتشديد قال الواحدي قال المفسرون الخيرات النساء خيرات الاخلاق حسان الوجوه قيل وهذه الصفة عائدة الى الجنان الاربع ولا وجه لهذا فانه قد وصف نساء الجنتين الاوليين بانهن قاصرات الطرف كانهن الياقوت والمرجان وبين الصفتين بون بعيد عن ابن مسعود في

الآية قال لكل مسلم خيرة ولكل خيرة خيمة ولكل خيمة اربعة ابواب يدخل عليها من الله كل يوم تحفة و
كرامة وهدية لم يكن قبل ذلك لا مراحات ولا طماحات ولا بخرات ولا ذفرات حور عين كانهن بيض
مكنون واخرج ابن مردويه من وجه آخر عنه مرفوعا واختلف ايهما اكثر حسنا وابهر جمالا اهل الحور
او الآدميات فقيل الحور لما ذكر من وصفهن في القرآن والسنة كقوله عليه السلام في دعائه على الميت
في الجنازة وابدله زوجا خيرا من زوجه وقيل الآدميات افضل من الحور العين بسبعين الف
ضعف وروي مرفوعا وقيل ان الحور العين المذكورات في القرآن هن المؤمنات من ازواج الانبياء والمؤمنين
يخلقن في الآخرة على احسن صورة قاله الحسن وفيه بعد بعيد والمشهور ان الحور العين لسن
من نساء اهل الدنيا وانما هن مخلوقات في الجنة لان الله قال لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان واكثر نساء
اهل الدنيا مطموثات ولان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اقل ساكني الجنة النساء فلا يصيب كل واحد منهم
امرأة ووعد الحور العين لجماعتهم فثبت انهن من غير نساء الدنيا ذكره القرطبي فبأي آلاء
ربكما تكذبان فان شيئا منها كائنا ما كان لا يقبل التكذيب حور مقصورات في الخيام اي محبوسات
فيها ومنه القصر لانه يحبس من فيه وقيل مخدرات مستورات لا يخرجن لكرامتهن وشرفهن يقال
امرأة قصيرة وقصورة ومقصورة اي مخدرة والحور جمع حوراء وهي شديدة بياض العين
شديدة سوادها وقد تقدم بيان معنى الحوراء والخلاف فيه وقيل معنى مقصورات انهن قصرن
على ازواجهن فلا يردن غيرهم وحكاه الواحدي عن المفسرين والاول اولى وبه قال ابو عبيدة
ومقاتل وغيرهما قال في الصحاح قصرت الشيء اقصره قصرا حبسته والمعنى انهن خدرن في الخيام
والخيام جمع خيمة وقيل جمع خيم والخيم جمع خيمة وهي اعواد تنصب وتظلل بالثياب فتكون ابرد
من الاخبية قيل الخيمة من خيام الجنة درة مجوفة فرسخ في فرسخ قال ابن عباس مقصورات محبوسات
في الخيام قال في بيوت اللؤلؤ وقال الحور سود الحدق وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الخيام
در مجوف اخرجه ابن جرير وابن ابي حاتم واخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابي موسى الاشعري
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الخيمة درة مجوفة طولها في السماء ستون ميلا في كل زاوية منها للمؤمن اهل
لا يراهم الآخرون يطوف عليهم المؤمن فبأي آلاء ربكما الذي صوركم فاحسن صوركم
وجعل لكم في الجنة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر تكذبان ابهذه النعم بغيرها

لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ اي قبل اصحاب الجنتين ودل عليهم ذكر الجنتين وَلَا جَانٌّ قد تقدم تفسيره في صفة الجنتين الاولين فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فانها كلها نعم لا تكفر ومن لا تجحد مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ قرأ الجمهور رفرف على الافراد وقرئ رفارف على الجمع وقرئ خضر بضم الخاء وسكون الضاد المعجمة وبضمها وهي لغة قليلة قال ابو عبيدة الرفارف البسط وبه قال الحسن ومقاتل والضحاك وغيرهم وقال ابن عيينة هي الزرابي وقال ابن كيسان هي المرافق وروي عن ابي عبيدة انه قال هي حاشية الثوب وقال الليث ضرب من الثياب الخضر وقيل الفرش المرتفعة وقيل كل ثوب عريض قال في الصحاح والرفرف ثياب خضر يتخذ منها المحابس الواحدة رفرفة اسم جمع او اسم جنس جمعي نقلهما مكي وقال الزجاج قالوا الرفرف هنا رياض الجنة وقالوا الرفرف الوسائد وقيل المحابس انتهى وقيل الطنافس ومن القائلين بانها رياض الجنة خضر مخصبة سعيد بن جبير واشتقاق الرفرف من رف يرف اذا ارتفع ومنه رفرفة الطائر وهي تحريك جناحيه في الهوى وقال ابن عباس رفرف فضول المحابس والفرش والبسط وعن علي قال هي فضول المحابس وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ اي الزرابي والطنافس الموشية قال ابن عباس العبقري الزرابي والرفرف الرياض قال ابو عبيدة كل وشي من البسط عبقري وهو منسوب الى ارض يعمل فيها الوشي قال الفراء العبقري الطنافس الثخان وقيل الرقاق وقيل البسط وقيل الديباج قال ابن الانباري الاصل فيه ان عبقر قرية تسكن فيها الجن ينسب اليها كل فائق قال الخليل العبقري عند العرب كل جليل فاضل فاخر من الرجال والنساء قال الجوهري العبقري موضع تزعم العرب انه من ارض الجن ثم نسبوا اليه كل شيء تعجبوا من حذقه وجودة صنعته وقوته فقالوا عبقري وهو واحد وجمع قرأ الجمهور عبقري وقرئ عباقري وعباقر وهما نسبة الى عباقر اسم بلد وقال قطرب ليس بمنسوب وهو مثل كرسي وكراسي وبختي وبخاتي فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فان كل واحد منها اجل من ان يتطرق اليه التكذيب واعظم من ان يجحده جاحد او ينكره منكر وقد قدمنا في اوائل هذه السورة وجه تكرير هذه الآية فلا نعيده

تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ قرأ الجمهور بالجر على انه صفة للرب سبحانه وقرئ بالرفع على انه صفة للاسم وتبارك تفاعل من البركة قال الرازي واصل التبارك من التبرك وهو الدوام والثبات ومنه برك البعير وبركة الماء فان الماء يكون دائما والمعنى دام اسمه وثبت او دام الخير

عنده لان البركة وان كانت من الثبات لكنها تستعمل في الخير او يكون معناه علا وارتفع شانه وقيل معناه تنزيه الله سبحانه وتقديسه واذا كان هذا التبارك منسوبا الى اسمه عز وجل فما ظنك بذاته سبحانه وقيل الاسم بمعنى الصفة وقيل هو مقحم عن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلم من الصلوة لم يقعد الا مقدار ما يقول اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام اخرجه ابوداؤد والنسائي غير قولها الامقدار ما يقول وعن ثوبان قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انصرف من صلوته استغفر ثلثا وقال اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام اخرجه مسلم وقد تقدم تفسير ذي الجلال والاكرام في هذه السورة وذكر سليمان الجمل هنا كلاما طويلا يتعلق بشرح هذه الآيات من تذكرة القرطبي وغالبه في تفسيره لا نطول بذكره لقلة الفائدة

سورة الواقعة هي ست او سبع او تسع وتسعون اية وهي مكية

في قول الحسن وعكرمة وجابر وعطاء وقال ابن عباس وقتادة الا اية منها نزلت بالمدينة وهي قوله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون وقال الكلبي انها مكية الا اربع آيات منها وهي افبهذا الحديث انتم مدهنون وتجعلون رزقكم انكم تكذبون نزلتا في سفره الى مكة وقوله ثلة من الاولين وقليل من الآخرين نزلتا في سفره الى المدينة قال ابن عباس نزلت الواقعة بمكة وعن ابن الزبير مثله وعن ابن مسعود سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه الفاقة ابدا اخرجه البيهقي في الشعب والحارث بن ابي اسامة وابويعلى وابن مردويه عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سورة الواقعة سورة الغناء فاقرؤها وعلموها اولادكم اخرجه ابن عساكر وعن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال علموا نساءكم سورة الواقعة فانها سورة الغناء اخرجه الديلمي وقد تقدم قوله صلى الله عليه وسلم شيبتني هود والواقعة قال مسروق من اراد ان يعلم نبأ الاولين والآخرين ونبأ اهل الجنة ونبأ اهل النار ونبأ اهل الدنيا ونبأ اهل الآخرة فليقرأ سورة الواقعة

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا وقعت الواقعة اي قامت القيامة وقيل اذا نزلت صيحة القيامة قال المفسرون وهي النفخة

الاخيرة الثانية وقيل هي اسم للقيامة كالآزفة وغيرها وسميت الواقعة لانها كائنة لا محالة
او لقرب وقوعها او لكثرة ما يقع فيها من الشدائد اي اذكر وقت وقوع الواقعة او اذا وقعت كان
كيت وكيت قاله مكي وقيل غير ذلك ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ الكاذبة مصدر كالعاقبة اي ليس لمجيئها
وظهورها كذب اصلا والمعنى انها اذا وقعت النفخة الآخرة عند البعث لم يكن هناك تكذيب لها اصلا
او لا تكون هناك نفس تكذب على الله وتكذب بما اخبر عنه من امور الآخرة ووقوع القيامة
لان كل نفس حينئذ مؤمنة صادقة مصدقة واكثر النفوس اليوم كواذب مكذبات واللام كقوله
تعالى يا ليتني قدمت لحياتي وقال الزجاج معناه لا يردها شيء وبه قال الحسن وقتادة وقال الثوري
ليس لوقعتها احد يكذب بها وقال الكسائي ليس لها تكذيب اي لا ينبغي ان يكذب بها احد وقال ابن
عباس ليس لها مرد ﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾ قرأ الجمهور برفعهما على اضمار مبتدأ اي هي خافضة وقرئ بنصبهما
على الحال والجملة تقرير لعظمتها وتهويل لامرها فان الوقائع العظام شأنها كذلك او بيان لما يكون
يومئذ من حط الاشقياء الى الدركات ورفع السعداء الى الدرجات ومن زلزلة الاشياء وازالة الاجرام
عن مقارها بنثر الكواكب واسقاط السماء كسفا وغير ذلك قال عكرمة والسدي ومقاتل خفضت الصوت
فاسمعت من دنى ورفعت الصوت فاسمعت من نأى وقال قتادة خفضت اقواما في عذاب الله ورفعت
اقواما الى طاعة الله وقال محمد بن كعب خفضت اقواما كانوا في الدنيا مرفوعين ورفعت اقواما كانوا
في الدنيا مخفوضين والعرب تستعمل الخفض والرفع في المكان والمكانة والعز والاهانة ونسبة
الخفض والرفع اليها على طريق المجاز والخافض والرافع في الحقيقة هو الله سبحانه قال ابن عباس خافضة
رافعة تخفض ناسا وترفع آخرين وعنه قال اسمعت القريب والبعيد وعن عمر بن الخطاب قال الساعة
خفضت اعداء الله الى النار ورفعت اولياء الله الى الجنة ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا﴾ اي حركت حركة
شديدة يقال رجه يرجه رجا اذا حركه والرجة الاضطراب وارتج البحر وغيره اضطرب قال المفسرون
ترتج كما يرتج الصبي في المهد حتى ينهدم كل ما عليها وينكسر كل شيء من الجبال وغيرها ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾
البس الفت يقال بس الشيء اذا فته حتى يصير فتاتا ويقال بس السويق اذا لته بالسمن او بالزيت قال
مجاهد ومقاتل المعنى ان الجبال فتت فتا وبه قال ابن عباس وقال السدي كسرت كسرا وقال الحسن قلعت
من اصلها وقال مجاهد ايضا بست كما يبس الدقيق بالسمن او بالزيت والمعنى انها خلطت فصارت كالدقيق

الملتوت وقال ابو زيد البس السوق والمعنى على هذا سيقت الجبال سوقا قال ابو عبيد بس الابل واسبها
لغتان اذا زجرها وقال عكرمة المعنى هدت هدا وقيل صارت كثيبا مهيلا بعد ان كانت شامخة
وقال قتادة ومقاتل وابن عباس ومجاهد معنى [illegible] اي تخفض وترفع وترتج الارض
بس الجبال الا عند ذلك يرتفع ما هو منخفض وينخفض ما هو مرتفع وقيل المعنى وقوع الواقعة هو رج الارض وبس الجبال
فكانت هباء منبثا اي غبارا متفرقا منتشرا بنفسه من غير حاجة الى هواء يفرقه وقال مجاهد
الهباء الشعاع الذي يكون في الكوة كهيئة الغبار وقيل هو الرهج الذي يسطع من حوافر الدواب ثم
يذهب وقيل ما تطاير من النار اذا اضطرمت يطير منها على صورة الشرر فاذا وقع لم يكن شيئا قاله ابن
عباس وعطية وقد تقدم بيانه في الفرقان عند تفسير قوله فجعلناه هباء منثورا وقرأ الجمهور منبثا
بالمثلثة وقرئ بالفوقية اي منقطعا من قولهم بته الله اي قطعه وقال ابن عباس شعاع الشمس وعنه
الهباء ما يثور مع شعاع الشمس وانبثاثه تفرقه وقال علي الهباء المنبث رهج الدواب والهباء المنثور
غبار الشمس الذي تراه في شعاع الكوة ثم ذكر سبحانه احوال الناس واختلافهم فقال وكنتم ازواجا
ثلاثة الخطاب للامة الحاضرة والامم السالفة تغليبا او للحاضرة فقط والمعنى وكنتم في ذلك اليوم
اصنافا ثلاثة اثنان في الجنة وواحد في النار كل صنف يشاكل ما هو منه كما يشاكل الزوج الزوجة
وكل صنف يكون او يذكر مع صنف آخر فهو زوج قال ابن عباس الازواج الاصناف وهي التي في سورة
الملائكة ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم
سابق بالخيرات ثم فسر سبحانه هذه الاصناف فقال فاصحاب الميمنة وهي ناحية اليمين اي اصحاب اليمين
وهم الذين يأخذون كتبهم بايمانهم او الذين تؤخذ بهم ذات اليمين الى الجنة واصحاب الميمنة
مبتدأ خبره ما اصحاب الميمنة اي اي شيء هم في حالهم وصفتهم وسعادتهم وتكرير المبتدأ هنا
بلفظه مغن عن الضمير الرابط كما في قوله الحاقة ما الحاقة والقارعة ما القارعة ولا يجوز مثل هذا
الا في مواضع التعظيم والتفخيم والكلام في قوله واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة كالكلام
فيما تقدم والمراد بهم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال الى النار او يأخذون صحائف اعمالهم بشمائلهم
والمراد تعجيب السامع من حال الفريقين في الفخامة والفظاعة كانه قيل فاصحاب الميمنة في نهاية
السعادة وغاية حسن الحال واصحاب المشأمة في نهاية الشقاوة وغاية سوء الحال فالاستفهام

في كلا الموضعين للتعجب وقال السدي اصحاب الميمنة هم الذين كانوا عن يمين آدم حين اخرجت
الذرية من صلبه واصحاب المشأمة هم الذين كانوا عن شماله وقال زيد بن اسلم اصحاب الميمنة هم
الذين اخذوا من شق آدم الايمن واصحاب المشأمة هم الذين اخذوا من شقه الايسر وقال ابن جريج
اصحاب الميمنة هم اهل الحسنات واصحاب المشأمة هم اهل السيئات وقال الحسن والربيع اصحاب
الميمنة هم الميامين على انفسهم بالاعمال الحسنة واصحاب المشأمة هم المشائيم على انفسهم
بالاعمال القبيحة وقال المبرد اصحاب الميمنة اصحاب التقدم واصحاب المشأمة اصحاب التاخر
والعرب تقول اجعلني في يمينك ولا تجعلني في شمالك اي اجعلني من المتقدمين ولا تجعلني
من المتاخرين وقيل المراد اصحاب المنزلة السنية الرفيعة واصحاب المنزلة الدنية الخسيسة
اخذا من تيامنهم بالميامن وتشأمهم بالشمائل اخرج احمد عن معاذ بن جبل ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم تلا هذه الآية واصحاب اليمين واصحاب الشمال فقبض بيديه قبضتين فقال هذه في الجنة
ولا ابالي وهذه في النار ولا ابالي وَالسَّابِقُونَ مبتدء وخبره قوله السَّابِقُونَ والتكرير فيه للتفخيم
والتعظيم كما مر في القسمين الاولين كما تقول انت انت وزيد زيد وفيه تاويلان احدهما بمعنى
السابقون هم الذين اشتهرت حالهم بذلك وعرفت محاسنهم والثاني ان متعلق السبقين
مختلف والتقدير السابقون الى الايمان السابقون الى الجنة والاول اولى لما فيه من الدلالة على
التفخيم والتعظيم وقال الحسن وقتادة هم السابقون الى الايمان من كل امة عند ظهور الحق من
غير تلعثم وتوان وقال محمد بن كعب هم الانبياء وقال ابن سيرين هم الذين صلوا الى القبلتين
وقيل هم الذين سبقوا في حيازة الفضائل والكمالات وقيل هم السابقون الى الصلوات الخمس
وقيل المسارعون في الخيرات وقال مجاهد هم الذين سبقوا الى الجهاد وبه قال الضحاك وقال سعيد بن جبير هم
السابقون الى التوبة واعمال البر وقال الزجاج المعنى والسابقون الى طاعة الله هم السابقون الى
رحمة الله قال ابن عباس السابقون يوشع بن نون سبق الى موسى ومؤمن آل يسين سبق الى عيسى
وعلي بن ابي طالب كرم الله وجهه سبق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنه قال نزلت في حزقيل مؤمن آل فرعون
وحبيب النجار الذي ذكر في يسين وعلي بن ابي طالب رضي الله عنه وكل رجل منهم سابق امة وعلي افضلهم
سبقة وعن عائشة رضي الله تعالى عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اتدرون من السابقون الى

ظل الله يوم القيامة قالوا الله ورسوله اعلم قال الذين اذا اعطوا الحق قبلوه واذا سئلوا بذلوه وحكموا للناس كحكمهم لانفسهم اخرجه احمد قيل ووجه تاخير هذا الصنف الثالث مع كونه اشرف من الصنفين الاولين واسبق الاقسام واقدمهم في الفضل هو ان يقترن به ما بعده وهو قوله **أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ** فالاشارة هي اليهم اي المقربون الى جزيل ثواب الله وعظيم كرامته او الذين قربت الى العرش العظيم درجاتهم واعليت مراتبهم ورقت الى حظائر القدس نفوسهم الزكية والجار حال من الضمير في مقربين وما في اولئك من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلتهم في الفضل ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده هذا اظهر ما ذكر في اعراب هذه الجملة واشهره وهو الذي يقتضيه جزالة التنزيل وجنات النعيم خبر ثان او حال من الضمير في المقربون او متعلق به اي قربوا الى رحمة الله فيها قرأ الجمهور جنات بالجمع وقرئ جنة بالافراد واضافة الجنات الى النعيم من اضافة المكان الى ما يكون فيه كما يقال دار الضيافة ودار الدعوة ودار العدل **ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ** اي هم ثلة وهي الجماعة التي لا يحصر عددها قال الزجاج معنى ثلة فرقة من ثللت الشيء اذا قطعته والمراد بالاولين هم الامم السابقة من لدن آدم الى نبينا صلى الله عليه وسلم وعلى من بينهما من الانبياء العظام **وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ** اي من هذه الامة وسموا قليلا بالنسبة الى من كان قبلهم وهم كثيرون لكثرة الانبياء فيهم وكثرة من اجابهم قال الحسن سابقوا من مضى اكثر سابقينا قال الزجاج الذين عاينوا جميع الانبياء وصدقوا بهم اكثر ممن عاين النبي صلى الله عليه وسلم ولا يخالف هذا ما ثبت في الصحيح من قوله صلى الله عليه وسلم اني لارجو ان تكونوا ربع اهل الجنة ثم قال ثلث اهل الجنة ثم قال نصف اهل الجنة لان قوله ثلة من الاولين وقليل من الآخرين انما هو تفصيل للسابقين فقط كما سياتي في ذكر اصحاب اليمين انهم ثلة من الاولين وثلة من الآخرين فلا يمتنع ان يكون في اصحاب اليمين من هذه الامة من هو اكثر من اصحاب اليمين من غيرهم فيجتمع من قليل سابقي هذه الامة ومن ثلة اصحاب اليمين منها من يكون نصف اهل الجنة والمقابلة بين الثلتين في اصحاب اليمين لا تستلزم استواءهما لجواز ان يقال هذه الثلة اكثر من هذه الثلة كما يقال هذه الجماعة اكثر من هذه الجماعة وهذه الفرقة اكثر من هذه الفرقة وهذه القطعة اكثر من هذه القطعة وبهذا تعرف انه لم يصب من قال ان هذه الآية منسوخة بالحديث المذكور عن ابي هريرة قال لما نزلت ثلة من الاولين وقليل من الآخرين شق

ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت ثلة من الاولين وثلة من الآخرين فقال النبي صلى الله
عليه وسلم اني لارجوان تكونوا ربع اهل الجنة ثلث اهل الجنة بل انتم نصف اهل الجنة او شطر اهل الجنة
وتقاسمونهم النصف الثاني اخرجه احمد وابن المنذر وابن ابي حاتم وابن مردويه ثم ذكر سبحانه حالا اخرى
للسابقين المقربين فقال عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ قرأ الجمهور بضم السين والراء الاولى وقرئ بفتح الراء وهو
لغة كما تقدم جمع سرير وهو ما يجلس الانسان من المقاعد العالية الموضوعة للراحة والكرامة
والموضونة المنسوجة والوضن النسج المضاعف يقال وضن الشيء يضنه فهو موضون ووضين
نسج بعضه على بعض وضاعفه والغزل نسجه والموضونة الدرع المنسوجة او المتقاربة النسج
او المنسوجة حلقتين حلقتين او بالجواهر كذا في القاموس قال الواحدي قال المفسرون منسوجة
بقضبان الذهب قيل مشبكة بالدر والياقوت والزبرجد وقيل ان الموضونة المصفوفة قاله ابن
عباس وقال مجاهد هي المرمولة بالذهب والمعنى مستقرين على سرر مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا اي على السرر
على الجنب او غيره كحال من يكون على كرسي فيوضع تحته شيء آخر للاتكاء عليه قال الكلبي طول كل سرير
ثلثمائة ذراع فاذا اراد العبد ان يجلس عليه تواضع وانخفض له فاذا جلس ارتفع مُتَقَابِلِينَ لا ينظر
بعضهم الى قفا بعض وصفوا بحسن العشرة وتهذيب الاخلاق وصفاء المودة وقال مجاهد وغيره
هذا في المؤمن وزوجته واهله يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ اي يدور حولهم للخدمة
غلمان شكلهم شكل الولدان دائما والجملة حالية او مستانفة لبيان بعض ما اعد الله لهم من
النعيم قال مجاهد المعنى لا يموتون وقال الحسن والكلبي لا يهرمون ولا يتغيرون ولا ينتقلون من حالة
الى حالة مبقون ابدا قال الفراء والعرب تقول للرجل اذا كبر ولم يشمط انه لمخلد وقال سعيد بن جبير
مخلدون مقرطون قال الفراء يقال خلد جاريته اذا حلاها بالخلدة وهي القرطة وهي الحلقة تعلق في
الاذن وقال عكرمة مخلدون منعمون وقيل مستورون بالحلية وروي نحوه عن الفراء وقيل مخلدون
ممنطقون قيل وهم ولدان المسلمين الذين يموتون صغارا لا حسنة لهم ولا سيئة وهو ضعيف وقيل هم
اطفال المشركين ماتوا قبل التكليف ولا يبعد ان يكونوا مخلوقين في الجنة ابتداء كالحور العين من غير
ولادة للقيام بهذه الخدمة ليسوا من اولاد الدنيا وهذا هو الصحيح واطلق عليهم اسم الولدان لان العرب
تسمي الغلام وليدا ما لم يحتلم والامة وليدة وان اسنت بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ الاكواب هي الاقداح

المستديرة الافواه التي لا اذان لها ولا عرى وقد مضى بيان معناها في سورة الزخرف والاباريق هي ذوات العرى والخراطيم واحدها ابريق وهو الذي يبرق لونه من صفائه ويرى باطنها كما يرى ظاهرها وكاس اناء من معين اي من خمر جارية او من ماء جار والمراد به هنا الخمر الجارية من منبع لا ينقطع ابدا وقد تقدم بيان معنى الكاس في سورة الصافات لا يصدعون عنها اي لا تتصدع رؤسهم من شربها كما تتصدع من شرب خمر الدنيا وعنها كناية عن الكاس اي بسببها والصداع هو الداء المعروف الذي يلحق الانسان في راسه والخمر تؤثر فيه وقيل المعنى لا يتفرقون كما يتفرق الشراب ويقوي هذا المعنى قراءة مجاهد يصدعون بفتح الياء وتشديد الصاد والاصل يتصدعون اي يتفرقون والجملة مستانفة لبيان ما اعد الله لهم من النعيم ولا ينزفون اي لا يسكرون فتذهب عقولهم قرئ بكسر الزاء وفتحها وهما سبعيتان من انزف الشارب اذا نفد عقله وشرابه اي لا يحصل لهم منها ذهاب عقل بخلاف خمر الدنيا وفاكهة مما يتخيرون اي يختارون يقال تخيرت الشيء اذا اخذت خيره ولحم طير مما يشتهون اي ما يتمنونه وتشتهيه انفسهم والمعنى يطوفون عليهم بهذه الاشياء الماكول والمشروب والمتفكه به قرأ الجمهور فاكهة ولحم طير بالجر وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر مقدر اي لهم فاكهة ولحم طير وفي تخصيص الفاكهة بالتخير واللحم بالاشتهاء بلاغة لان الجائع مشته والشبعان غير مشته بل هو مختار ولذا قدم الفاكهة على اللحم عن ابن مسعود قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتنظر الى الطير في الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشويا اخرجه ابن ابي الدنيا والبزار والبيهقي واخرج احمد والترمذي والضياء عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان طير الجنة كامثال البخت ترعى في شجر الجنة فقال ابو بكر يا رسول الله ان هذا الطير لناعمة قال اكلها انعم منها واني لارجو ان تكون ممن ياكل منها وفي الباب احاديث وحور عين قرأ الجمهور برفعهما عطفا على الولدان او على تقدير مبتدء اي ونساؤهم حور عين او على تقدير خبر اي لهم حور عين وقرئ بجرهما عطفا على اكواب قال الزجاج وجائز ان يكون معطوفا على جنات اي هم في جنات وفي حور على تقدير مضاف اي وفي معاشرة حور قال قطرب هو معطوف على الاكواب من غير حمل على المعنى قال ولا ينكر ان يطاف عليهم بالحور وتكون لهم في ذلك لذة وقرئ بنصبهما على تقدير اضمار فعل كانه قيل ويزوجون حورا عينا او ويعطون والحور شديدات بياض اجسادهن قال ابو عمرو وليس في بني آدم حور وانما قيل للنساء حور العيون تشبيها بالظباء والبقر والعين شديدات سواد العيون مع سعتها وقد تقدم تفسير الحور العين في سورة الطور وغيرها كامثال اللؤلؤ المكنون المصون في

الصفاء والنقاء شبههن باللؤلؤ المكنون وهو الذي لم تمسه الايدي ولا وقع عليه الغبار والشمس والهواء
فهو اشد ما يكون صفاء قال ابن عباس المكنون المخزون الذي في الصدف قال الزجاج كامثال
الدر حين يخرج من صدفه لم يغيره الزمان واختلاف احوال الاستعمال روي ان نورا سطع في الجنة
فقيل ما هذا قيل ثغر حوراء ضحكت جزاء بما كانوا يعملون اي يفعل بهم ذلك كله للجزاء باعمالهم
اي يجزون جزاء لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما اللغو الباطل من الكلام والتأثيم النسبة الى
الاثم قال محمد بن كعب لا يؤثم بعضهم بعضا وقال مجاهد لا يسمعون شتما ولا مأثما والمعنى انه لا يقول
بعضهم لبعض اثمت لانهم لا يتكلمون بما فيه اثم قال ابن عباس لغوا باطلا ولا تأثيما كذبا الا
قيلا سلاما سلاما القيل القول والاستثناء منقطع لان السلام لم يندرج تحت اللغو والتأثيم
اي لكن يقولون قيلا او يسمعون قيلا او الا ان يقولوا سلاما سلاما واختار هذا الزجاج
او الا قيلا اسلموا سلاما سلاما والمعنى انهم لا يسمعون الا تحية بعضهم لبعض قال عطاء يحيي
بعضهم بعضا بالسلام وقيل انهم يفشون السلام بينهم فيسلمون سلاما بعد سلام وقيل تسليم
عليهم او يرسل الرب بالسلام اليهم وقيل ان قولهم يسلم من اللغو والاول اولى وقيل ان الاستثناء
متصل وهو بعيد جدا وقرئ سلام سلام بالرفع وقيل يجوز الرفع على معنى سلام عليكم ولما فرغ
سبحانه من ذكر احوال السابقين وما اعده لهم من النعيم المقيم ذكر احوال اصحاب اليمين فقال
واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين قد قدمنا ما في هذه الجملة الاستفهامية من التفخيم والتعظيم في سدر
مخضود اي هم في سدر والظرفية للمبالغة في التنعم والانتفاع به والسدر نوع من الشجر قيل ثمرها
اعظم من القلال وهو النبق والمخضود الذي خضد شوكه اي قطع فلا شوك فيه وقال الضحاك ومجاهد
ومقاتل بن حيان ان السدر المخضود الموقر حملا وقد اخرج الحاكم وصححه والبيهقي عن ابي امامة قال كان
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون ان الله ينفعنا بالاعراب ومسائلهم اقبل اعرابي يوما فقال يا رسول
الله ذكر في القرآن شجرة مؤذية وما كنت ارى في الجنة شجرة تؤذي صاحبها قال وما هي قال السدر
فان لها شوكا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليس الله يقول في سدر مخضود يخضد الله شوكه فيجعل
مكان كل شوكة ثمرة فانها تنبت ثمرا يفتق الثمر منها عن اثنين وسبعين لونا من الطعام ما منها
لون يشبه الآخر قال ابن عباس خضده وقره من الحمل وعنه قال المخضود الذي لا شوك فيه وقال

ايضا الموقر الذي لا شوك فيه وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ قال اكثر المفسرين ان الطلح في الآية هو شجر الموز و
قال جماعة ليس هو شجر الموز ولكنه الطلح المعروف وهو اعظم اشجار العرب قال الفراء وابو عبيدة
هو شجر عظام لها شوك وقيل هو شجر له ظل بارد طيب قال الزجاج الطلح هو ام غيلان ولها نور
طيب فخوطبوا ووعدوا بمثل ما يحبون الا ان فضله على ما في الدنيا كفضل سائر ما في الجنة على ما في الدنيا
قال ويجوز ان يكون في الجنة وقد ازيل شوكه قال السدي طلح الجنة يشبه طلح الدنيا لكن له
ثمر احلى من العسل والمنضود المتراكب الذي قد نضد اوله وآخره واسفله واعلاه بالحمل ليس له
سوق بارزة قال مسروق اشجار الجنة من عروقها الى افنانها نضيد ثمر كله كلما اخذت ثمرة عاد مكانها
احسن منها وليس شيء من ثمر الجنة في غلاف كثمر الدنيا مثل الباقلا والجوز ونحوهما بل كلها ماكول
ومشروب ومشموم ومنظور اليه عن عتبة بن عبد السلمي قال كنت جالسا مع النبي صلى الله عليه وسلم فجاء اعرابي
فقال يا رسول الله اسمعك تذكر في الجنة شجرة لا اعلم شجرة اكثر منها شوكا يعني الطلح فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الله يجعل مكان كل شوكة منها ثمرة مثل خصية التيس الملبود يعني الخصي منها
فيها سبعون لونا من الطعام لا يشبه لون آخر اخرجه ابن ابي داود والطبراني وابو نعيم وابن مردويه
وعن علي في قوله طلح قال هو الموز وعن ابن عباس مثله وعن ابي هريرة مثله وعن ابي سعيد
الخدري مثله وقرأ علي طلع وقال ابن عباس منضود بعضه على بعض وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ اي دائم
باق لا يزول ولا تنسخه الشمس كظل اهل الدنيا ممتد منبسط كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس
قال ابو عبيدة والعرب تقول لكل شيء طويل لا ينقطع ممدود ومنه قوله الم تر الى ربك كيف مد
الظل والجنة كلها ظل لا شمس معه قال الربيع بن انس يعني ظل العرش واخرج البخاري ومسلم
وغيرهما من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة
عام لا يقطعها اقرؤا ان شئتم وظل ممدود واخرج البخاري وغيره نحوه من حديث انس واخرج
البخاري ومسلم وغيرهما نحوه من حديث ابي سعيد وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ اي منصب جار يجري بالليل
والنهار اينما شاؤا لا ينقطع عنهم فهو مسكوب يسكبه الله في مجاريه واصل السكب الصب يقال
سكبه سكبا اي صبه والمعنى جار بلا حد ولا اخدود اي في غير اخدود وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ اي الوان متنوعة
واجناس متكثرة لَّا مَقْطُوعَةٍ في وقت من الاوقات كما تنقطع فواكه الدنيا في بعض الاوقات

وهذا نعت لفاكهة لا للنفي كقولك مررت برجل لا طويل ولا قصير ولذلك لزم تكرارها ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾
اي لا يمتنع على من ارادها في اي وقت على اي صفة شاء بل هي معدة لمن ارادها لا يحول بينه وبينها
حائل من ثمن او حائط او باب او سلم او بعد قال تعالى وذللت قطوفها تذليلا قال ابن قتيبة يعني انها
غير محظورة عليها كما يحظر على البساتين في الدنيا ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ اي مرفوع بعضها فوق بعض
او مرفوعة على الاسرة وقيل ان الفرش هنا كناية عن النساء اللواتي في الجنة وارتفاعها كونها
على الارائك او كونها مرتفعات الاقدار في الحسن والكمال قال تعالى هم وازواجهم في ظلال
على الارائك متكئون عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وفرش مرفوعة قال
ارتفاعها كما بين السماء والارض ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام اخرجه احمد والنسائي والترمذي
وحسنه وغيرهم وقال الترمذي غريب لا نعرفه الا من حديث رشدين بن سعد انتهى وهو ضعيف
﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً﴾ قيل هن الحور العين انشأهن الله لم تقع عليهن الولادة ولم يسبقن بخلق
وانهن لسن من نسل آدم عليه السلام بل مخترعات وهو ما جرى عليه ابو عبيدة وغيره وقيل المراد
نساء بني آدم والمعنى ان الله سبحانه اعادهن بعد الموت الى حال الشباب في النساء وان لم يتقدم لهن
ذكر لكنهن قد دخلن في اصحاب اليمين فتلخص ان نساء الدنيا يخلقهن الله في القيامة خلقا جديدا
من غير توسط ولادة خلقا يناسب البقاء والدوام وذلك يستلزم كمال الخلق وتوفر القوى الجسمية
وانتفاء سمات النقص كما انه خلق الحور العين على ذلك الوجه واما على قول من قال ان الفرش المرفوعة
كناية عن النساء فمرجع الضمير ظاهر عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الآية ان المنشآت التي
كن في الدنيا عجائز عمشا رمصا اخرجه ابن جرير وابن المنذر والبيهقي والترمذي وعبد بن حميد
قال الترمذي غريب وموسى ويزيد ضعيفان وعن سلمة بن مريد الجعفي قال سمعت النبي صلى الله عليه
وسلم يقول الثيب والابكار اللاتي كن في الدنيا اخرجه الطبراني وابن قانع والبيهقي وابن ابي حاتم قال
ابن عباس خلقهن غير خلقهن الاول وقيل انهن فضلن على الحور العين بصلاتهن في الدنيا
﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا﴾ اي لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان قال ابن عباس ابكارا عذارى اي
كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن عذارى ولا يحصل لهن وجع في ازالة البكارة ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾
العرب جمع عروب وهي المتحببة الى زوجها الحسنة التبعل قال المبرد هي العاشقة لزوجها وقال زيد

بن اسلم هي الحسنة الكلام قرأ الجمهور بضم العين والراء وقرئ باسكان الراء وهما لغتان في جمع فعول وقراءتان سبعيتان قال ابن عباس عربا عواشق لازواجهن وازواجهن لهن عاشقون اترابا في سن واحد ثلثا وثلثين سنة وعنه قال العرب الملقة لزوجها وقال مجاهد اترابا امثالا واشكالا وقال السدي اترابا في الاخلاق لاتباغض بينهن ولاتحاسد وعن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخل اهل الجنة الجنة جردا مردا مكحلين ابناء ثلثين او قال ثلث وثلثين سنة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب والاتراب جمع ترب وهو المساوي لك في سنك لانه يمس جلدهما التراب في وقت واحد وهو آكد في الايتلاف وهو من الاسماء التي لاتتعرف بالاضافة لانه في معنى الصفة اذ معناه مساويك ومثله خدنك لانه في معنى صاحبك يقال في النساء اتراب وفي الرجال اقران لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ يعني ان الله انشأهن لاجلهم او خلقهن لاجلهم اوهن مساويات لاصحاب اليمين في السن اوهن لاصحاب اليمين اوهذا الذي ذكرنا لهم ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ هذا راجع الى قوله واصحاب اليمين اي هم ثلة الخ وقد تقدم تفسير الثلة عند ذكر السابقين والمعنى انهم جماعة اوامة اوفرقة اوقطعة من الاولين وهم من لدن آدم الى نبينا صلى الله عليه وسلم وجماعة اوامة اوفرقة اوقطعة من الآخرين وهم امة محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابو العالية ومجاهد وعطاء بن ابي رباح والضحاك ثلة من الاولين يعني من سابقي هذه الامة وثلة من الآخرين من هذه الامة من آخرها اخرج مسدد وابن المنذر والطبراني بسند حسن عن ابي بكرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في الآية قال جميعهما من هذه الامة وعنه قال هما جميعا من هذه الامة وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال هما جميعا من امتي اخرجه عبد بن حميد وابن عدي والفريابي وغيرهم قال السيوطي بسند ضعيف وعنه قال الثلتان جميعا من هذه الامة وبه قال ابو العالية ومجاهد وعطاء بن ابي رباح والضحاك وهو اختيار الزجاج فان قلت كيف قال قبل هذا وقليل من الآخرين ثم قال هنا وثلة من الآخرين قلت ذلك في السابقين الاولين وقليل من يلحق بهم من الآخرين وهذا في اصحاب اليمين وانهم يتكاثرون من الاولين والآخرين جميعا ثم لما فرغ سبحانه مما اعده لاصحاب اليمين شرع في ذكر اصحاب الشمال وما اعده لهم فقال وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ الكلام في هذا وما فيه من التفخيم كما سبق في اصحاب اليمين والشمال والمشأمة واحدة فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ السموم

حر النار والحميم الماء الحار الشديد الحرارة وقد سبق بيان معناه وقيل السموم الريح الحارة التي تدخل
في مسام البدن ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ اليحموم يفعول من الاحم والحميم وهو الاسود تقول اسود يحموم
اذا كان شديد السواد والمعنى انهم يفزعون الى الظل فيجدونه ظلا من دخان جهنم شديد السواد
وقيل هو ماخوذ من الحم وهو الشحم المسود باحتراق النار وقيل ماخوذ من الحمم وهو الفحم والرماد
وقال الضحاك النار سوداء واهلها سود كل ما فيها اسود قال ابن عباس يحموم دخان اسود وفي لفظ
دخان جهنم وقيل واد في جهنم وقيل اسم من اسمائها والاول اظهر ثم وصف الله سبحانه هذا الظل
بقوله ﴿لَّا بَارِدٍ﴾ اي ليس كغيره من الظلال التي تكون باردة بل هو حار ضار لانه من دخان نار جهنم
﴿وَلَا كَرِيمٍ﴾ قال سعيد بن المسيب اي ليس فيه حسن منظر وكل ما لا خير فيه فليس بكريم وقال الضحاك
ولا كريم ولا عذب قال الفراء العرب تجعل الكريم تابعا لكل شيء نفت عنه وصفا تنوي به الذم تقول
ما هو بسمين ولا كريم وما هذه الدار بواسعة ولا كريمة والنعتان المذكوران لقوله ظل لا ليحموم و
ما قيل من انه يلزم على ذلك تقديم غير الصريحة على الصريحة فلا يرد لان الترتيب غير واجب نص
عليه الرضي مع انه هنا يفضي الى عدم توازن الفاصلتين وجعلهما نعتين ليحموم لا يلائم البلاغة القرآنية
وكان من حق الظاهر ان يقال وظل حار ضار فعدل الى قوله وظل من يحموم ليتبادر منه الى الذهن
اولا الظل المتعارف فيطمع السامع فاذا انفى عنه ما هو المطلوب من الظل وهو البرد والاستراوح
جاءت السخرية والتهكم والتعريض بان الذين يستاهلون الظل الذي فيه برد واكرام غير هؤلاء
فيكون اشجى لحلوقهم واشد لتحسرهم قال الرازي وفي الامور الثلاثة اشارة الى كونهم في العذاب دائما
ثم ذكر سبحانه اعمالهم التي استحقوا بها هذا العذاب فقال ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ﴾ اي قبل هذا
العذاب النازل بهم ﴿مُتْرَفِينَ﴾ في الدنيا اي منعمين بما لا يحل لهم فمنعهم ذلك من الانزجار
وشغلهم عن الاعتبار وانما كان الترفه هنا ذما من حيث انهم جعلوا من جملته القعود عن
الطاعات وتركها فصح ذمهم بهذا الاعتبار مع انه في الواقع ليس ذما في حد ذاته والمترف المتنعم
وقال السدي مشركين وقيل متكبرين والاول اولى والجملة تعليل لاستحقاقهم هذه العقوبة قال الرازي
والحكمة في ذكره سبب عذابهم ولم يذكر في اصحاب اليمين سبب ثوابهم فلم يقل انهم كانوا قبل ذلك
شاكرين مذعنين وذلك للتنبيه على ان الثواب منه تعالى فضل والعقاب منه عدل والفضل

سواء ذكر سببه او لم يذكر لا يوهم بالمتفضل نقصا ولا ظلما
واما العدل فانه ان لم يذكر سببا العقاب يظن انه ظالم ويدل على ذلك انه تعالى لم يقل في
حق اصحاب اليمين جزاء بما كانوا يعملون كما قال في السابقين لان اصحاب اليمين نجوا بالفضل
العظيم لا بالعمل بخلاف من كثرت حسناته يحسن اطلاق الجزاء في حقه وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى
الْحِنْثِ الْعَظِيمِ الحنث الذنب اي يصرون على الذنب العظيم قال الواحدي قال اهل التفسير عني
به الشرك اي كانوا لا يتوبون عن الشرك وبه قال الحسن والضحاك وابن زيد وقال قتادة
ومجاهد هو الذنب العظيم الذي لا يتوبون عنه وقال الشعبي هو اليمين الغموس وذلك انهم كانوا
يحلفون انهم لا يبعثون والحنث نقض العهد المؤكد باليمين وكذبوا في ذلك يدل عليه قوله
وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ الاستفهام في الموضعين
للانكار والاستبعاد وقد تقدم الكلام على هذا في الصافات وفي سورة الرعد والمعنى انهم انكروا
واستبعدوا ان يبعثوا بعد الموت وقد صاروا عظاما وترابا والمراد انه صار لحمهم وجلودهم ترابا وصارت
عظامهم نخرة بالية والعامل في الظرف ما يدل عليه مبعوثون لان ما بعد الاستفهام لا يعمل فيما
قبله اي انبعث اذا متنا أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ معطوف على الضمير في لمبعوثون لوقوع الفصل
بينهما بالهمزة والمعنى ان بعث اباؤهم الاولين ابعد لتقدم موتهم ثم امر الله سبحانه رسوله صلى
الله عليه وسلم ان يجيب عليهم ويرد استبعادهم فقال قُلْ لهم يا محمد صلى الله عليه وسلم ردا لانكارهم وتحقيقا
للحق إِنَّ الْأَوَّلِينَ من الامم وَالْآخِرِينَ منهم الذين انتم من جملتهم لَمَجْمُوعُونَ بعد الموت
إِلَى مِيقَاتِ اي لوقت يَوْمٍ مَعْلُومٍ معين عند الله وهو يوم القيامة والميقات ما وقت به الشيء
اي حدّ ومنه مواقيت الاحرام والاضافة بمعنى من كخاتم فضة والمعنى انهم يحشرون الى ما وقتت به
الدنيا من يوم الحساب ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ هذا وما بعده من جملة ما هو
داخل تحت القول وهو معطوف على ان الاولين والمراد اهل مكة ومن في مثل حالهم ووصفهم
سبحانه بوصفين قبيحين وهما الضلال عن الحق والتكذيب للبعث وثم للتراخي زمانا اورتبة
لَآكِلُونَ في الآخرة مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ اي من شجر كريه المنظر كريه الطعم وهو من اخبث الشجر المر
ينبت في الدنيا بتهامة وفي الآخرة ينبته الله في الجحيم وهو في غاية الكراهة وبشاعة المنظر ونتن الريح

وقد تقدم تفسيره في سورة الصافات ومن الاولى لابتداء الغاية والثانية بيانية او الاولى
مزيدة والثانية بيانية او الثانية مزيدة والاولى للابتداء فَمَالِئُونَ مِنْهَا اي من شجر الزقوم
وتانيث الضمير لكون الشجر اسم جنس واسم الجنس يجوز تذكيره وتانيثه لغتان الْبُطُونَ اي بطونكم
لما يلحقكم من شدة الجوع فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ الضمير عائد الى الزقوم المأكول والحميم
الماء الحار الذي قد بلغ حره الى الغاية والمعنى فشاربون عقب اكله من الماء الحار او يعود الضمير
الى شجر لانه يذكر ويؤنث او يعود الى الاكل المدلول عليه بقوله لآكلون وقرئ من شجرة بالافراد
فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ قرأ الجمهور شرب الهيم بفتح الشين وقرئ بضمها وبكسرها وهي لغات قال
ابو زيد سمعت العرب تقول بضم الشين وفتحها وكسرها قال المبرد الفتح اصل المصدر والضم
المصدر والهيم الابل العطاش التي لا تروى لداء يصيبها وهذه الجملة بيان لما قبلها اي لا يكون
شربكم شربا معتادا بل يكون مثل شرب الهيم التي تعطش ولا تروى بشرب الماء ومفرد الهيم
اهيم والانثى هيماء وقال الضحاك وابن عيينة والاخفش وابن كيسان الهيم الارض السهلة ذات
الرمل والمعنى انهم يشربون كما تشرب هذه الارض الماء ولا يظهر له فيها اثر قال في الصحاح الهيام
بالضم اشد العطش والهيام كالجنون من العشق والهيام داء ياخذ الابل تهيم في الارض لا ترعى
يقال ناقة هيماء والهيماء ايضا المفازة لا ماء بها والهيام بالفتح الرمل الذي لا يتماسك في اليد للينه
والجمع هيم مثل قذال وقذل والهيام بالكسر الابل العطاش قال النسفي وانما صح عطف الشاربين
على الشاربين وهما لذوات متفقة وصفتان متفقتان لان كونهم شاربين للحميم على ما هو عليه من
تناهي الحرارة وقطع الامعاء امر عجيب وشربهم له على ذلك كما يشرب الهيم الماء امر عجيب ايضا فكانتا
صفتين مختلفتين هَذَا اي ما ذكر من الزقوم المأكول والحميم المشروب نُزُلُهُمْ اي رزقهم وغذاؤهم
قرأ الجمهور نزل بضمتين وقرئ بضمة وسكون يَوْمَ الدِّينِ اي يوم الجزاء وهو يوم القيامة والمعنى
ان ما ذكر من شجر الزقوم وشراب الحميم هو الذي يعد لهم ويأكلونه يوم القيامة وفي هذا تهكم بهم
لان النزل هو ما يعد للاضياف تكرمة لهم ومثل هذا قوله فبشرهم بعذاب اليم والجملة مسوقة
من جهته تعالى بطريق الفذلكة مقررة لمضمون الكلام غير داخلة تحت القول ثم التفت سبحانه
الى خطاب الكفرة تبكيتا لهم والزاما للحجة فقال نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا فهلا تُصَدِّقُونَ بالخلق

او بالبعث اذ القادر على الانشاء قادر على الاعادة قاله المحلي وقال مقاتل خلقناكم ولم تكونوا
شيئا وانتم تعلمون ذلك فهلا تصدقون بالبعث أَفَرَأَيْتُمْ اي اخبروني هل رأيتم بالبصر
او البصيرة مَا تُمْنُونَ اي ما تقذفون وتصبون في ارحام النساء من النطف قرأ الجمهور تمنون
بضم الفوقية من امنى يمني وقرئ بفتحها من منى يمني وهما لغتان وقيل معناهما مختلف يقال امنى
اذا انزل عن جماع ومنى اذا انزل من احتلام وسمي المني منيا لانه يمنى اي يراق ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ
اي اتقدرون المني وتصورونه انتم بشرا سويا وهذا من باب الاشتغال وانتم مبتدء والجملة بعده
خبره والاول ارجح لاجل اداة الاستفهام أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ اي المقدرون المصورون له وام
هي المتصلة وقيل هي المنقطعة والاول اولى نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ قرأ الجمهور قدرنا بالتشديد
وقرئ بالتخفيف وهما لغتان وقراءتان سبعيتان يقال قدرت الشيء وقدرته اي قسمناه عليكم
ووقتناه لكل فرد من افرادكم وقيل قضينا وقيل كتبنا وقيل اوجبنا والمعنى متقارب قال مقاتل
فمنكم من يموت كبيرا ومنكم من يموت صغيرا وقال الضحاك معناه انه جعل اهل السماء واهل الارض
فيه سواء وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ اي بمغلوبين وعاجزين بل قادرين عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ اي نأتي
بخلق مثلكم قال الزجاج ان اردنا ان نخلق خلقا غيركم لم يسبقنا سابق ولا يفوتنا وقال السمين
الامثال جمع مثل بكسر الميم وسكون الثاء اي نحن قادرون على ان نعدمكم ونخلق قوما آخرين
امثالكم ويؤيده ان يشأ يذهبكم ايها الناس ويأت بآخرين او جمع مثل بفتحتين وهو الصفة اي
نغير صفاتكم التي انتم عليها خلقا وخلقا قلت والاول اولى وقال ابن جرير المعنى نحن قدرنا بينكم
الموت على ان نبدل امثالكم بعد موتكم بآخرين من جنسكم وما نحن بمسبوقين في آجالكم اي
لا يتقدم متأخر ولا يتأخر متقدم وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ من الصور والهيئات قال الحسن
اي نجعلكم قردة وخنازير كما فعلنا باقوام قبلكم وقيل المعنى ننشئكم في البعث على غير صوركم
في الدنيا وقال سعيد بن المسيب يعني في حواصل طيور سود تكون ببرهوت كانها الخطاطيف
وبرهوت واد باليمن وقال مجاهد يعني في اي خلق شئنا ومن كان قادرا على هذا فهو قادر على
البعث وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ وهي ابتداء الخلق من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة
ولم تكونوا قبل ذلك شيئا او الترابية لابيكم آدم واللحمية لامكم حواء والنطفية لكل منكم وكل منها

تحويل من شيء الى غيره قال قتادة والضحاك يعني خلق ادم من تراب فلولا تذكرون اي فهلا
تذكرون قدرة الله سبحانه على النشأة الاخرى وتقيسونها على النشأة الاولى فان من قدر على الاولى
يقدر على الثانية فانها اقل كلفة من الاولى في العادة قرأ الجمهور النشأة بالقصر وقرئ بالمد وقد
مضى تفسير هذا في سورة العنكبوت وفيه دليل على صحة القياس حيث جهلهم في ترك قياس
النشأة الاخرى على الاولى افرأيتم اي اخبروني ما تحرثون من ارضكم تثيرون فتطرحون وتلقون
فيها البذر والمعنى أفرأيتم البذر الذي تلقونه في الطين أأنتم تزرعونه اي تنبتونه وتجعلونه
زرعا فيكون فيه السنبل والحب والزرع طرح البذر والزرع ايضا الانبات يقال زرعه الله اي انبته
أم نحن الزارعون اي المنبتون له الجاعلون له زرعا لا انتم قال المبرد زرعه الله اي انماه فاذا
اقررتم بهذا فكيف تنكرون البعث عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقولن احدكم
زرعت ولكن يقول حرثت قال ابو هريرة الم تسمعوا الله يقول افرأيتم ما تحرثون الآية اخرجه
البزار وابن جرير وابن مردويه وابو نعيم والبيهقي في الشعب وضعفه لو نشاء لجعلناه اي لجعلنا
ما تحرثون حطاما اي متحطما متفتتا متكسرا اي نباتا يابسا لا حب فيه والحطام الهشيم الذي
لا ينتفع به ولا يحصل منه حب ولا شيء مما يطلب من الحرث وقيل تبنا لا قمح فيه فظلتم تفكهون
اي فصرتم تعجبون قاله ابن عباس قال الفراء تفكهون تتعجبون فيما نزل بكم في زرعكم قال في الصحاح
تفكه تعجب ويقال تندم وقال الحسن وقتادة وغيرهما معنى الآية تعجبون من ذهابه وتندمون مما حل
بكم وقال عكرمة تلاومون وتندمون على ما سلف منكم من معصية الله وقال ابو عمرو والكسائي
هو التلهف على ما فات قرأ الجمهور فظلتم بفتح الظاء مع لام واحدة وقرئ بكسرها معها وقرئ ظللتم
بلامين اولاهما مكسورة على الاصل وروي فتحها وهي لغة وقرأ الجمهور تفكهون بالهاء وقرئ تفكنون
بالنون مكان الهاء اي تندمون قال ابن خالويه تفكه تعجب وتفكن تندم وفي الصحاح التفكن التندم
والتفكه التنقل بصنوف الفاكهة وقد استعير للتنقل في الحديث إنا لمغرمون قرأ الجمهور بهمزة واحدة
على الخبر وقرئ بهمزتين على الاستفهام اي اتقولون انا لملزمون غرما بما هلك من زرعنا والمغرم الذي
ذهب ماله بغير عوض قاله الضحاك وابن كيسان والكرخي وقال الزمخشري اي لملزمون غرامة ما
انفقنا وقيل المعنى انا لمعذبون قاله قتادة وغيره وقال مجاهد وعكرمة لمولع بنا يقال اغرم فلان بفلانة

اي اولع به وقال مقاتل مهلكون اي لهلاك رزقنا قال النحاس ماخوذ من الغرام وهو الهلاك والظاهر
من السياق المعنى الاول اي انا المغرمون بذهاب ما حرثناه ومصيره حطاما ثم اضربوا عن قولهم هذا و
انتقلوا فقالوا بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ اي حرمنا رزقنا بهلاك زرعنا والمحروم الممنوع من الرزق الذي لا
حظ له فيه وهو المحارف وقيل محارفون محدودون لا حظ. ودون أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ
فتسكنون به ما يلحقكم من العطش وتدفعون به ما ينزل بكم من الظماء واقتصر سبحانه على ذكر الشرب
مع كثرة فوائد الماء ومنافعه لانه اعظم فوائده واجل منافعه أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ اي السحاب
قاله ابن عباس وقال ابو زيد المزنة السحابة البيضاء والجمع مزن والمزنة المطر قاله في الصحاح أَمْ نَحْنُ
الْمُنْزِلُونَ دون غيرنا فاذا عرفتم ذلك فكيف لا تقرون بالتوحيد وتصدقون بالبعث ثم بين لهم سبحانه
انه لو يشاء لسلبهم هذه النعمة فقال لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا الاجاج الماء الشديد الملوحة
الذي لا يمكن شربه وقال الحسن هو الماء المر الذي لا ينتفعون به في شرب ولا زرع ولا غيرهما فَلَوْلَا اي
فهلا تَشْكُرُونَ نعمة الله الذي خلق لكم ماء عذبا تشربون منه وتنتفعون به أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي
تُورُونَ اي اخبروني عنها ومعنى تورون تستخرجونها بالقدح من الشجر الرطب يقال اوريت النار
اذا قدحتها والعرب تقدح بعودين تحك احدهما على الآخر ويسمون الاعلى الزند والاسفل الزندة
شبهوهما بالفحل والطروقة أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا التي تكون منها الزنود وهي المرخ والعفار تقول
العرب في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار وزاد الجلال المحلي الكلخ نقل سليمان الجمل عن شيخه انه قال
ولم نجده في القاموس ولا في المختار غير انه اخبر لبعض اهل المغرب والشام بانه موجود معروف عندهم
شبيه بالقصب تؤخذ منه قطعتان وتضرب احداهما بالاخرى فتخرج النار أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ لها بقدرتنا
دونكم ومعنى الانشاء الخلق وعبر عنه بالانشاء للدلالة على ما في ذلك من بديع الصنعة وعجيب القدرة
نَحْنُ جَعَلْنَاهَا اي النار التي في الدنيا تَذْكِرَةً لنار جهنم الكبرى حيث علقنا بها اسباب المعاش
وعممنا بالحاجة اليها البلوى لتكون حاضرة للناس ينظرون اليها ويذكرون ما اوعدوا به قال
مجاهد وقتادة تبصرة للناس في الظلام وقال عطاء موعظة ليتعظ بها المؤمن وقال ابن عباس
تذكرة للنار الكبرى عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ناركم هذه التي توقدون جزء من
سبعين جزء من نار جهنم قالوا والله ان كانت لكافية يا رسول الله قال فانها فضلت عليها بتسعة

و ستين جزءا كلها مثل حرها اخرجه البخاري ومسلم ﴿وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ﴾ اي للمسافرين قاله ابن عباس
يعني منفعة للذين ينزلون بالقواء وهي الارض القفر كالمسافرين واهل البوادي النازلين في الاراضي
المقفرة يقال ارض قواء بالمد والقصر اي مقفرة ويقال اقوى اذا سافر اي نزل القوى وخصوا بالذكر
لان منفعتهم بها اكثر من المقيمين فانهم يوقدونها بالليل لتهرب السباع ويهتدي الضال الى غير ذلك
من المنافع وقال مجاهد المقوين المستمتعين بها من الناس اجمعين في الطبخ والخبز والاصطلاء
والاستضاءة وتذكر نار جهنم وقال ابن زيد للجائعين في اصلاح طعامهم يقال اقويت منذ
كذا وكذا اي ما اكلت شيئا وبات فلان القوى اي جائعا وقال قطرب القوي من الاضداد يكون
بمعنى الفقر ويكون بمعنى الغنى يقال اقوى الرجل اذا لم يكن معه زاد واقوى اذا قويت دوابه وكثر ماله
والمعنى جعلناها متاعا ومنفعة للاغنياء والفقراء لا غنى لاحد عنها وقال المهدوي الآية تصلح للجميع
لان النار يحتاج اليها المسافر والمقيم والغني والفقير وحكى الثعلبي عن اكثر المفسرين القول الاول و
هو الظاهر ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ الفاء لترتيب ما بعدها من ذكر الله سبحانه وتنزيهه على
ما قبلها مما عدده من النعم التي انعم بها على عباده وجحود المشركين لها وتكذيبهم بها وقيل قل
سبحان ربي العظيم وجاء مرفوعا انه لما نزلت هذه الآية قال اجعلوها في ركوعكم ولفظ باسم زائدة
وسبح يتعدى بنفسه وبحرف الجر فالباء زائدة والاسم باق على معناه او بمعنى الذات او بمعنى الذكر
قال الكرخي قالوا كما يجب تنزيه ذاته وصفاته عن النقائص يجب تنزيه الالفاظ الموضوعة لها عن
سوء الادب وهذا ابلغ لما يلزم من ذلك بالطريق الاولى على سبيل الكناية الرمزية واثبتوا الف الوصل
هنا في اسم ربك لانه لم يكثر دوره كثرته في البسملة ﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾ ذهب الجمهور الى ان لا مزيدة للتوكيد
والمعنى فاقسم ويؤيد هذا قوله بعد وانه لقسم وقال جماعة من اهل التفسير انها للنفي والمنفي بها
محذوف وهو كلام الكفار الجاحدين قال الفراء هي نفي والمعنى ليس الامر كذلك ثم قال مستانفا
اقسم وضعف هذا بان حذف اسم لا وخبرها غير جائز كما قال ابو حيان وغيره وقيل انها لام الابتداء
والاصل فلاقسم فاشبعت الفتحة فتولد منها الالف وقد قرئ هكذا بدون الف وعلى هذا التقدير
فلانا اقسم بذلك وقيل ان لا هاهنا بمعنى الا التي للتنبيه وهو بعيد وقيل ان لا هنا على ظاهرها
وانها لنفي القسم اي فلا اقسم على هذا لان الامر اوضح من ذلك وهذا مدفوع بقوله وانه لقسم مع تعيين

ع ثلثة

المقسم والمقسم عليه بمواقع النجوم اي مساقطها وهي مغاربها كذا قال قتادة وغيره ولعل لله في
آخر الليل اذا انحطت النجوم الى المغرب افعالا مخصوصة عظيمة او للملائكة عبادات موصوفة او لانه
وقت قيام المتهجدين ونزول الرحمة والرضوان عليهم فلذلك اقسم بمواقعها وقال عطاء بن ابي رباح
منازلها وقال الحسن انكدارها وانتثارها يوم القيامة وقال الضحاك هي الانواء التي كان اهل الجاهلية
يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا قال الماوردي ويكون قوله فلا اقسم مستعملا في حقيقته من نفي القسم
وقال القشيري هو قسم ولله ان يقسم بما يريد وليس لنا ان نقسم بغير الله وصفاته القديمة وقيل
المراد نزول القرآن نجوما من اللوح المحفوظ وبه قال السدي وغيره وحكى الفراء عن ابن مسعود ان مواقع
النجوم هو محكم القرآن قال ابن عباس انزل القرآن في ليلة القدر من السماء العليا الى السماء الدنيا
جملة واحدة ثم فرق بين السنين وفي لفظ نزل من السماء الدنيا الى الارض نجوما ثم قرأ هذه الآية و
عنه قال نجوم القرآن حين ينزل قرأ الجمهور مواقع على الجمع وقرئ موقع على الافراد قال المبرد موقع
ههنا مصدر فهو يصلح للواحد والجمع ثم اخبر الله سبحانه عن تعظيم هذا القسم وتفخيمه فقال وانه
لقسم هذه الجملة معترضة بين المقسم به والمقسم عليه وقوله لو تعلمون جملة معترضة بين جزئي
الجملة المعترضة فهو اعتراض في اعتراض قال الفراء والزجاج هذا يدل على ان المراد بمواقع النجوم
نزول القرآن والضمير في انه يعود على القسم الذي يدل عليه اقسم والمعنى ان القسم بمواقع النجوم
لقسم عظيم لو تعلمون لما في المقسم به من الدلالة على عظم القدرة وكمال الحكمة وفرط الرحمة
ومن مقتضيات رحمته ان لا يترك عباده سدى ثم ذكر سبحانه المقسم عليه فقال انه لقرآن كريم
اي كرمه الله واعزه ورفع قدره على جميع الكتب وكرمه عن ان يكون سحرا او كهانة او كذبا وقيل انه كريم
لما فيه من كرم الاخلاق ومعالي الامور وقيل لانه يكرم حافظه ويعظم قاريه وحكى الواحدي عن
اهل المعاني انه وصف القرآن بالكريم لان من شانه ان يعطي الخير الكثير بالدلائل التي تؤدي الى الحق في الدين
قال الازهري الكريم اسم جامع لما يحمد والقرآن كريم يحمد لما فيه من الهدى والبيان والعلم والحكمة فالفقيه يستدل
به ويأخذ منه والحكيم يستمد منه ويحتج به والاديب يستفيد منه ويتقوى به فكل عالم يطلب
اصله منه وقيل حسن مرضي او نفاع جم المنافع او عزيز مكرم لا يهون بكثرة التلاوة ولا يخلق
بكثرة الرد ولا يمله السامعون ولا يثقل على الالسنة بل غض طري يبقى ابد الدهر في كتاب مكنون

اي مستور مصون من التغيير والتبديل على حد قوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقيل محفوظ عن الباطل وهو اللوح المحفوظ قاله جماعة وقيل هو كتاب مصون من غير المقربين من الملائكة لا يطلع عليه من سواهم وقال عكرمة هو التورية والانجيل فيهما ذكر القران ومن ينزل عليه وقال السدي هو الزبور وقال مجاهد وقتادة هو المصحف الذي في ايدينا لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ من جميع الادناس قال المحلي خبر بمعنى النهي اي لا يمسوه اي يحرم عليهم مسه بدون الطهارة ولم يبق صريحا على خبريته لئلا يلزم الخلف في خبره تعالى لانه كثيرا ما يمس بدون طهارة والخلف في خبره تعالى محال وقيل ان لا ناهية والفعل بعدها مجزوم لانه لو فك عن الادغام لظهر ذلك فيه كقوله تعالى لم يمسسهم سوء ولكنه ادغم ولما ادغم حرك اخره بالضم لاجل هاء ضمير المذكر الغائب وضعف ابن عطية النهي قال الواحدي اكثر المفسرين على ان الضمير عائد الى الكتاب المكنون اي لا يمس الكتاب المكنون الا المطهرون وهم الملائكة وقيل هم الملائكة والرسل من بني آدم والمعنى لا يمسه المس الحقيقي وقيل المعنى لا ينزل به الا المطهرون وعلى كون المراد بالكتاب المكنون هو القران فقيل لا يمسه الا المطهرون من الاحداث والانجاس كذا قال قتادة وغيره وقال الكلبي المطهرون من الشرك وقال الربيع بن انس المطهرون من الذنوب والخطايا وقال محمد بن فضيل وغيره المعنى لا يقرؤه الا الموحدون وقال الفراء لا يجد نفعه وبركته الا المؤمنون وقال الحسين بن الفضل لا يعرف تفسيره وتاويله الا من طهره الله من الشرك والنفاق وقد ذهب الجمهور الى منع المحدث من مس المصحف وبه قال علي وابن مسعود وسعد بن ابي وقاص وسعيد بن زيد وعطاء والزهري والنخعي والحكم وحماد وجماعة من الفقهاء منهم مالك والشافعي وروي عن ابن عباس والشعبي وجماعة منهم ابو حنيفة انه يجوز للمحدث مسه وقد اوضح الشوكاني ما هو الحق في هذا في شرحه للمنتقى فليرجع اليه قرأ الجمهور المطهرون اسم مفعول من التطهير وقرئ بكسر الهاء على انه اسم فاعل اي المطهرون انفسهم وقرئ على انه اسم مفعول من اطهر وقرئ بتشديد الطاء وكسر الهاء اصله المتطهرون قال ابن عباس في الاية الكتاب المنزل من السماء لا يمسه الا الملائكة وعن انس قال المطهرون الملائكة وعن علقمة قال اتينا سلمان الفارسي فخرج علينا من كنيف فقلنا له لو توضأت يا ابا عبد الله ثم قرأت علينا سورة كذا وكذا قال انما قال الله في كتاب مكنون لا يمسه



الا المطهرون وهو الذي في السماء لا يمسه الا الملائكة ثم قرأ علينا من القرآن ما شئنا اخرجه عبد
الرزاق وابن المنذر وعن عبد الله بن ابي بكر بن عمرو بن حزم عن ابيه قال في كتاب النبي صلى الله عليه وسلم
لعمرو بن حزم لا يمس القرآن الا على طهر اخرجه مالك في الموطا عن عبد الله بن ابي بكر واخرجه ابو داود
في المراسيل من حديث الزهري قال قرأت في صحيفة عبد الله المذكور ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ولا يمس القرآن الا طاهر وقد اسنده الدارقطني عن عمرو بن حزم وغيره وفي اسانيدها نظر وعن
ابن عمر انه كان لا يمس المصحف الا متوضيا وعن عبد الرحمن بن زيد قال كنا مع سلمان فانطلق الى حاجة
فتوارى عنا ثم خرج علينا فقلنا لو توضأت فسألناك عن اشياء من القرآن فقال سلوني فاني
لست امسه انما يمسه المطهرون ثم تلا هذه الآية اخرجه سعيد بن منصور وابن ابي شيبة في
المصنف وابن المنذر وغيرهم وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمس القرآن الا طاهر اخرجه
الطبراني وابن مردويه وعن معاذ بن جبل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما بعثه الى اليمن كتب له في عهده
ان لا يمس القرآن الا طاهر اخرجه ابن مردويه تَنزِيلٌ اي منزل وسمي المنزل تنزيلا على اتساع اللغة
يقال للمقدور قدر وللمخلوق خلق قرأ الجمهور بالرفع وقرئ بالنصب على الحال مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ صفة رابعة
للقرآن او خبر مبتدأ محذوف وفيه رد على من قال ان القرآن شعر او سحر او كهانة أَفَبِهَٰذَا
الْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ الاشارة الى القرآن المنعوت بالنعوت السابقة والمدهن والمداهن المنافق
كذا قال الزجاج وغيره وقال عطاء وغيره هو الكذاب وقال مقاتل بن سليمان وقتادة مدهنون
كافرون كما في قوله ودوا لو تدهن فيدهنون وقال ابن عباس مدهنون مكذبون وقال الضحاك
مدهنون معرضون وقال مجاهد ممالئون للكفار على الكفر وقال ابن كيسان المدهن الذي لا يعقل
حق الله عليه ويدفعه بالعلل والاول اولى لان اصل المدهن الذي ظاهره خلاف باطنه كانه يشبه
الدهن في سهولته قال المورج المدهن المنافق الذي يلين جانبه ليخفي كفره والادهان والمداهنة
التكذيب والكفر والنفاق واصله اللين وان يسر خلاف ما يظهر وقال في الكشاف مدهنون متهاونون
به كمن يدهن في الامر اي يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به انتهى قال الراغب والادهان في الاصل
مثل التدهين لكن جعل عبارة عن المداراة والملاينة وترك الجد كما جعل التقريد وهو نزع القراد
عبارة عن ذلك قلت سميت المداراة والملاينة مداهنة وهذا استعارة ومجاز معروف لشهرته

صار حقيقة عرفية فلا تجوز به هنا عن التهاون ايضا لان المتهاون بالامر لا يتصلب فيه وقال
بعض اللغويين تاركون للجزم في قبول القرآن وتجعلون رزقكم انكم تكذبون في الكلام مضاف محذوف
كما حكاه الواحدي عن المفسرين اي تجعلون شكر رزقكم انكم تكذبون بنعمة الله فتضعون التكذيب
موضع الشكر وقال الهيثم ان ازد شنوءة يقولون ما رزق فلان اي ما شكر وعلى هذه اللغة
لا يكون في الآية مضاف محذوف بل معنى الرزق الشكر ووجه التعبير بالرزق عن الشكر ان الشكر
يقتضي زيادة الرزق فيكون الشكر رزقا تعبيرا بالسبب عن المسبب ومما يدخل تحت هذه الآية
قول الكفار اذا سقاهم الله وانزل عليهم المطر سقينا بنوء كذا ومطرنا بنوء كذا قال الازهري معنى
الآية وتجعلون بدل شكركم رزقكم الذي رزقكم الله التكذيب بانه من عند الله الرزاق قرأ علي
وابن عباس تجعلون شكركم وقرأ الجمهور تكذبون بالتشديد من التكذيب وقرئ بالتخفيف
من الكذب اخرج مسلم وابن المنذر وابن مردويه عن ابن عباس قال مطر الناس على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اصبح من الناس شاكر ومنهم كافر قالوا هذه رحمة وضعها الله
وقال بعضهم لقد صدق نوء كذا وكذا فنزلت هذه الآية فلا اقسم الى قوله تكذبون واصل
الحديث بدون ذكر انه سبب نزول الآية ثابت في الصحيحين من حديث زيد بن خالد الجهني و
من حديث ابي سعيد الخدري وعن علي عنه صلى الله عليه وسلم في الآية قال شكركم تقولون مطرنا بنوء كذا
وكذا وبنجم كذا وكذا اخرجه احمد والترمذي والضياء في المختارة وغيرهم وفي الباب احاديث وعن
عائشة قالت ما فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن الا آيات يسيرة تجعلون رزقكم قال شكركم
رواه ابن عساكر وعن علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ وتجعلون شكركم اخرجه ابن مردويه فلولا
اذا بلغت الحلقوم اي فهلا اذا بلغت الروح او النفس الحلقوم عند الموت ولم يتقدم لها ذكر لان
المعنى مفهوم عندهم اذا جاؤا بمثل هذه العبارة والحلقوم ممر الطعام والشراب وانتم حينئذ التنوين
عوض من الجملة المضاف اليها اذ اي اذ بلغت الحلقوم خلافا للاخفش حيث زعم ان التنوين للصرف
والكسر للاعراب تنظرون اي الى ما هو فيه ذلك الذي بلغت نفسه او روحه الحلقوم قال الزجاج
وانتم يا اهل الميت في تلك الحال ترون الميت قد صار الى ان تخرج نفسه والمعنى انهم في تلك الحال
لا يمكنهم الدفع عنه ولا يستطيعون شيئا ينفعه او يخفف عنه ما هو فيه ونحن اقرب اليه منكم

اي بالعلم والقدرة والروية وقيل اراد ورسلنا الذين يتولون قبضه اقرب اليه منكم ولكن
لا تبصرون اي لا تدركون ذلك لجهلكم بان الله اقرب الى عبده من حبل الوريد اولا تبصرون
ملائكة الموت الذين يحضرون الميت ويتولون قبضه اولا تعلمون ما هو فيه من المشقة والكرب
فلولا ان كنتم غير مدينين يقال دان السلطان رعيته اذا ساسهم واستعبدهم قال الفراء
دنته ملكته ويقال دانه اذا اذله استعبده وقيل معنى مدينين محاسبين قاله ابن عباس و
قيل مجزيين والمعنى الاول الصق بمعنى الاية اي فهلا ان كنتم غير مربوبين ومملوكين ترجعونها
اي النفس التي قد بلغت الحلقوم الى مقرها الذي كانت فيه والعامل في اذا بلغت قوله ترجعونها
ولولا الثانية تاكيد لفظي للاولى قال الفراء وربما اعادت العرب الحرفين ومعناهما واحد ان كنتم
صادقين ولن ترجعوها فابطل زعمكم انكم غير مربوبين ولا مملوكين وقيل معناه ان صدقتم في نفي البعث فردوا
روح المحتضر الى جسده لينتفي عنه الموت فينتفي البعث ثم ذكر سبحانه طبقات الخلق عند الموت و
بعده فقال فاما ان كان الذي بين حاله من المقربين اي السابقين من الثلاثة الاصناف المتقدم
تفصيل حالهم فروح وريحان قرأ الجمهور روح بفتح الراء ومعناه الراحة من الدنيا والاستراحة
من احوالها قال مجاهد الروح الفرح وقرئ بضم الراء ومعناه الرحمة لانها كالحياة للمرحوم وبه قال
الحسن وفي القاموس الروح بالفتح الراحة والرحمة ونسيم الريح والريحان الرزق في الجنة قاله مجاهد
وسعيد بن جبير ومقاتل وقال هو الرزق بلغة حمير يقال خرجت اطلب ريحان الله اي رزقه وقال
قتادة انه الجنة وقال الضحاك هو الرحمة وقال الحسن هو الريحان المعروف الذي يشم قال قتادة والربيع
بن خيثم هذا عند الموت والجنة مخبوءة له الى ان يبعث وكذا قال ابو الجوزاء وابو العالية وجنت
نعيم يعني انها ذات تنعم قال ابن عباس اي مغفرة ورحمة وترسم جنت هنا مجرورة التاء ووقف
عليها بالهاء ابن كثير والكسائي وغيرهما والباقون بالتاء على الرسم وهل الجواب لاما اولان اولهما اقوال
ومعنى اما عند ابي اسحق الخروج من شيء الى شيء اي دع ما كنا فيه وخذ في غيره وعلى هذا الجواب لان فقط
لان اما ليست شرطا ورجح بعضهم ان الجواب لاما لان ان كثر حذف جوابها منفردة فادعاء ذلك مع شرط
اخر اولى واما ان كان ذلك المتوفى من اصحاب اليمين الذين ياخذون كتبهم بايمانهم وقد تقدم ذكرهم
وتفصيل احوالهم وما اعده الله لهم من الجزاء فسلام لك من اصحاب اليمين اي لست ترى فيهم

الا ما تحب من السلامة فلا تهتم بذلك فانهم يسلمون من عذاب الله وقيل المعنى سلام لك منهم اي انت سالم من الاغتمام بهم وقيل المعنى انهم يدعون لك ويسلمون عليك وقيل انه صلى الله عليه وسلم يحيى بالسلام اكراما وقيل هو اخبار من الله سبحانه بتسليم بعضهم على بعض وقيل المعنى وسلام لك يا صاحب اليمين من اخوانك اصحاب اليمين يعني انه التفات بتقدير القول ومن الابتداء كما يقال سلام من فلان على فلان وفسر المحلي السلام بمعنى السلامة قال القاري وهذا تفسير غريب قال ابن عباس تاتيه الملائكة بالسلام من قبل الله يسلم عليه وتخبره انه من اصحاب اليمين وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ بالبعث ٱلضَّآلِّينَ عن الهدى وهم اصحاب الشمال المتقدم ذكرهم وتفصيل احوالهم وانما وصفهم بافعالهم زجرا عنها واشعارا بما اوجب لهم هذا العذاب والا فمقتضى الظاهر ان يقال واما ان كان من اصحاب الشمال لكن عدل عنه لما ذكر تامل فَنُزُلٌ اي فله نزل يعد لنزوله مِّنْ حَمِيمٍ وهو الماء الذي قد تناهت حرارته وذلك بعد ان ياكل من الزقوم كما تقدم بيانه قال الربيع بن خيثم هذا عند الموت هذا اكثرهم وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ يقال اصلاه النار وصلاه اذا جعله في النار وهو من اضافة المصدر الى المفعول او الى المكان قال المبرد وجواب الشرط في هذه الثلاثة المواضع محذوف والتقدير مهما يكن من شيء فروح الخ وفي هذه الآيات اشارة الى ان الكفر كله ملة واحدة وان اصحاب الكبائر من اصحاب اليمين لانهم غير مكذبين إِنَّ هَٰذَا اي ان ما ذكر في هذه السورة من اولها الى آخرها او ان المذكور قريبا من احوال المحتضرين وقصتهم لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ اي محضه وخالصه واضافة حق الى اليقين من باب اضافة الشيء الى نفسه قال المبرد هو كقولك عين اليقين ومحض اليقين هذا عند الكوفيين وجوزوا ذلك لانه اضافة الموصوف الى الصفة لاختلاف اللفظ واما البصريون فيجعلون المضاف اليه محذوفا والتقدير حق الامر اليقين او الخبر اليقين قال ابن عباس لهو حق اليقين ما قصصنا عليك في هذه السورة فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها اي نزهه عما لا يليق بشانه اي فسبح متلبسا باسم ربك للتبرك به وقيل المعنى فصل بذكر ربك وقيل الباء زائدة وادعاء زيادتها خلاف الاصل والاسم بمعنى الذات وقيل هي للتعدية لان سبح يتعدى بنفسه تارة ويتعدى بالحرف اخرى والاول اولى عن عقبة بن عامر الجهني قال لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبح باسم ربك قال اجعلوها

في ركوعكم فلما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم اخرجه احمد وابو داود وابن حبان والحاكم وصححه والبيهقي

سورة الحديد هي تسع وعشرون آية وهي مدنية

قال القرطبي في قول الجميع قال ابن عباس نزلت بالمدينة وعن ابن الزبير مثله وعليه الجمهور وقال الزمخشري انها مكية ويؤيده ما نقل في سبب اسلام عمر بن الخطاب انه لما قرأ هذه الآيات الى قوله ان كنتم مؤمنين وكانت مكتوبة في صحيفة عند اخته اسلم فهذا يقتضي ان هذه الآيات مكية فعلى هذا تستثنى على القول بأن السورة مدنية تامل وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت سورة الحديد يوم الثلثاء وخلق الحديد يوم الثلثاء وقتل ابن آدم اخاه يوم الثلثاء ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحجامة يوم الثلثاء اخرجه الطبراني وابن مردويه قال السيوطي بسند ضعيف وعن جابر مرفوعا لا تحتجموا يوم الثلاثاء فان سورة الحديد انزلت علي يوم الثلاثاء اخرجه الديلمي وعن عرباض بن سارية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرء المسبحات قبل ان يرقد وقال ان فيهن آية افضل من الف آية اخرجه احمد والترمذي وحسنه والنسائي وغيرهم وفي اسناده بقية بن الوليد وفيه مقال معروف واخرجه النسائي عن خالد بن معدان قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يذكر العرباض بن سارية فهو مرسل واخرجه ابن الضريس عن يحيى بن ابي كثير قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرء المسبحات وكان يقول ان فيهن آية افضل من الف آية قال يحيى فنراها الآية التي في آخر الحشر وقال ابن كثير في تفسيره والآية المشار اليها والله اعلم هي قوله هو الاول والآخر والظاهر والباطن الآية والمسبحات هي الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن

بسم الله الرحمن الرحيم

سَبَّحَ لِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ اي نزهه ومجده قال المقاتلان يعني كل شيء من ذي روح وغيره وقد تقدم الكلام في تسبيح الجمادات عند تفسير قوله وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم والمراد بالتسبيح المسند الى ما في السموات والارض من العقلاء وغيرهم والحيوانات والجمادات هو ما يعم التسبيح بلسان المقال كتسبيح الملائكة والانس والجن وبلسان الحال كتسبيح غيرهم

فان كل موجود يدل على الصانع وقد انكر الزجاج ان يكون تسبيح غير العقلاء هو تسبيح الدلالة
وقال لو كان هذا التسبيح الدلالة وظهور آثار الصنعة لكانت مفهومة فلم قال ولكن لا تفقهون تسبيحهم
وانما هو تسبيح مقال واستدل بقوله وسخرنا مع داود الجبال يسبحن فلو كان هذا التسبيح من الجبال
تسبيح دلالة لم تكن لتخصيص داود فائدة وفعل التسبيح قد يتعدى بنفسه تارة كما في قوله و
سبحوه وباللام اخرى كهذه الآية واصله ان يكون متعديا بنفسه لان معنى سبحته بعدته عن السوء
فاذا استعمل باللام فهي اما زائدة للتاكيد كما في شكرته وشكرت له او هي للتعليل اي افعل التسبيح لاجل
الله سبحانه خالصا له وجاء هذا الفعل في بعض هذه الفواتح كالحشر والصف ماضيا كهذه الفاتحة
وفي بعضها كالجمعة والتغابن مضارعا وفي بعضها كالاعلى امرا وفي بني اسرائيل بلفظ المصدر
استيعابا واستيفاء لهذه الكلمة من جميع جهاتها وللاشارة الى ان هذه الاشياء مسبحة في كل
الاوقات لا يختص تسبيحها بوقت دون وقت بل هي مسبحة ابدا في الماضي وستكون مسبحة في
المستقبل ابدا وبدأ بالمصدر في الاسراء لانه الاصل وابلغ من حيث انه يشعر باطلاقه عن التعرض
للفاعل والزمان ثم بالماضي لسبق زمنه ثم بالمضارع لشموله الحال والاستقبال ثم بالامر لخصوصه
بالاستقبال مع تاخره في النطق به في قولهم فعل يفعل افعل ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ اي القادر الغالب الذي
لا ينازعه منازع ولا يمانعه ممانع كائنا ما كان قرأ قالون وابو عمرو بسكون الهاء والباقون
بضمها ﴿الْحَكِيمُ﴾ الذي يفعل افعال الحكمة والصواب ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ﴾ يتصرف فيه
وحده ولا ينفذ غير تصرفه وامره وقيل المراد خزائن المطر والنبات وسائر الارزاق ذكره مرتين
وليس بتكرار لان الاول في الدنيا كما اشار له في التقرير والثاني في العقبى لقوله عقبه والى الله
ترجع الامور والجملة مستانفة لا محل لها من الاعراب ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ الفعلان في محل رفع على انهما
خبران لمبتدء محذوف او كلام مستانف لبيان بعض احكام الملك او حال من الضمير في له و
العامل الاستقرار والمعنى انه يحيي بالانشاء في الدنيا ويميت بعده وقيل يحيي النطف وهي موات و
يميت الاحياء وقيل يحيي الاموات للبعث ﴿وَهُوَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ لا يعجزه شيء كائنا ما كان
﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾ قبل كل شيء بلا بداية السابق على جميع الموجودات من حيث انه موجدها ومحدثها
﴿وَالْآخِرُ﴾ بعد كل شيء بلا نهاية الباقي بعد فنائها ولو بالنظر الى ذاتها مع قطع النظر عن غيرها

اوالاول خارجا والآخر ذهنا والاول الذي تبتدئ منه الاسباب وتنتهي اليه المسببات والظاهر
العالي الغالب على كل شيء او الظاهر وجوده بالادلة الواضحة والباطن اي العالم بما بطن من قولهم
فلان يبطن امر فلان اي يعلم داخلة امره او المعنى المحتجب حقيقة ذاته عن ادراك الابصار والحواس
والعقول فلا تكتنهها الالباب والاحلام لا في الدنيا ولا في الآخرة فاضمحل ما في الكشاف من ان فيه
حجة على من جوز ادراكه في الآخرة بالحاسة وقد فسر هذه الاسماء الاربعة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فتعين المصير الى ذلك كما اخرج ابن ابي شيبة ومسلم والترمذي والبيهقي عن ابي هريرة قال جاءت
فاطمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأله خادما فقال قولي اللهم رب السموات السبع ورب العرش
العظيم ربنا ورب كل شيء منزل التوراة والانجيل والفرقان فالق الحب والنوى اعوذ بك من
شر كل شيء انت آخذ بناصيته انت الاول فليس قبلك شيء وانت الآخر فليس بعدك شيء وانت
الظاهر فليس فوقك شيء وانت الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين واغننا
من الفقر واخرج احمد ومسلم وغيرهما من حديث ابي هريرة من وجه آخر مرفوعا مثل هذا في
الاربعة الاسماء المذكورة وتفسيرها واخرج ابو الشيخ في العظمة عن ابن عمر وابي سعيد الخدري عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال لا يزال الناس يسألون عن كل شيء حتى يقولوا هذا الله كان قبل كل شيء فماذا كان قبل
الله فان قالوا لكم ذلك فقولوا هو الاول قبل كل شيء والآخر فليس بعده شيء وهو الظاهر فوق كل
شيء وهو الباطن دون كل شيء وهو بكل شيء عليم واخرج ابو داود عن ابي زميل قال سألت ابن
عباس فقلت ما شيء اجده في صدري قال ما هو قلت والله لا اتكلم به قال فقال لي أشيء من شك
قال وضحك قال ما نجى من ذلك احد قال حتى انزل الله فان كنت في شك مما انزلنا اليك فسأل الذين
يقرؤن الكتاب من قبلك الآية قال وقال لي اذا وجدت في نفسك شيئا فقل هو الاول والآخر و
الظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم لا يعزب عن علمه شيء من المعلومات عن ابي هريرة قال
بينما النبي صلى الله عليه وسلم جالس واصحابه اذ اتى عليهم سحاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتدرون ما هذا
قالوا الله ورسوله اعلم قال هذه العنان هذه روايا الارض يسوقها الله تعالى الى قوم لا يشكرونه
ولا يدعونه ثم قال هل تدرون ما فوقكم قالوا الله ورسوله اعلم قال فانها الرقيع سقف محفوظ و
موج مكفوف ثم قال هل تدرون كم بينكم وبينها قالوا الله ورسوله اعلم قال بينكم وبينها خمسمائة

سنة ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال سماءان بعد ما بينهما خمسمائة
سنة حتى عد سبع سموات ما بين كل سماء كما بين السماء والارض ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك
قالوا الله ورسوله اعلم قال فان فوق ذلك العرش وبينه وبين السماء بعد ما بين السماءين ثم قال
هل تدرون ما تحتكم قالوا الله ورسوله اعلم قال فانها الارض ثم قال هل تدرون ما الذي تحت
ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال فان تحتها ارض اخرى بينهما مسيرة خمسمائة سنة حتى عد سبع
ارضين بين كل ارضين مسيرة خمسمائة سنة ثم قال والذي نفس محمد بيده لو انكم دليتم بحبل الى الارض السابعة
السفلى لهبط على الله ثم قرأ هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم اخرجه الترمذي
وقال حديث غريب وقال بعض اهل العلم في تفسير هذا الحديث انما اراد لهبط على علم الله وقدرته و
سلطانه وعلم الله في كل مكان وهو على العرش كما وصف نفسه في كتابه والعنان اسم للسحاب ومعنى
روايا الارض الحوامل والرقيع اسم لسماء الدنيا هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ
من ايام الدنيا اولها الاحد وآخرها الجمعة ولو اراد ان يجعلها في طرفة عين لفعل ولكن جعل
الستة اصلا ليكون عليها المدار وهذا بيان لبعض ملكه للسموات والارض وقد تقدم تفسيره
في سورة الاعراف وفي غيرها مستوفى ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ اي الكرسي استواء يليق به قال المحلي
وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال كنت جالسا في البطحاء في عصابة ورسول الله صلى الله
عليه وسلم فيهم اذ مرت سحابة فنظروا اليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون ما اسم هذه قلنا
نعم هذا السحاب قال والمزن قالوا والمزن قال والعنان قالوا والعنان ثم قال لهم هل تدرون كم ما بين
السماء والارض قالوا لا والله ما ندري قال فان بعد ما بينهما اما قال واحدة واما قال اثنتان واما ثلاث
وسبعون سنة وبعد التي فوقها كذلك وكذلك حتى عدهن سبع سموات كذلك ثم فوق السماء
السابعة بحر اعلاه واسفله كما بين سماء الى سماء وفوق ذلك ثمانية اوعال بين اظلافهن وركبهن
كما بين سماء الى سماء ثم فوق ظهورهن العرش بين اسفله واعلاه مثل ما بين السماء الى السماء والله
عز وجل فوق ذلك اخرجه الترمذي وابو داود وزاد في رواية وليس يخفى عليه من اعمال بني آدم
شيء وقد تقدم الكلام على الاستواء مرارا في غير موضع وفي هذا الباب كتب ورسائل مستقلة وهي
معروفة عند اهل العلم يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ اي يدخل فيها من المطر والقطر والبذر والكنوز

والموتى وغيرها وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا من نبات ومعادن وغيرها وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ من الملائكة
والرحمة والعذاب والمطر وغيرها وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا اي يصعد اليها من الملائكة واعمال العباد والدعوات
قال المحلي كالاعمال الصالحة والسيئة واعترضه القاري بان الذي يرفع من الاعمال هو الصالح كما
في قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وقد تقدم تفسير هذا في سورة سبا وَهُوَ
مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ بقدرته وسلطانه وعلمه عموما وبفضله ورحمته خصوصا فليس ينفك احد
من تعليق علم الله تعالى وقدرته به اينما كان من ارض وسماء برا وبحرا وقيل هو معكم بالحفظ و
الحراسة قال ابن عباس عالم بكم وهذا تمثيل للاحاطة بما يصدر منهم اينما داروا في الارض من بر
وبحر وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ لا يخفى عليه من اعمالكم شيء لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ هذا
التكرير للتاكيد وذكره مع الاعادة كما ذكره مع الابداء لانه كالمقدمة لهما وَإِلَى اللَّهِ لا الى غيره تُرْجَعُ
الْأُمُورُ الاخوان وابن عامر يقرؤن بفتح التاء وكسر الجيم مبنيا للفاعل والباقون مبنيا للمفعول في
جميع القران ذكره السمين يُولِجُ اللَّيْلَ اي يدخله فِي النَّهَارِ بان ينقص من الليل ويزيد في النهار وَ
يُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ بعكس ذلك وقد تقدم تفسير هذا في سورة ال عمران وفي مواضع وَهُوَ عَلِيمٌ
بِذَاتِ الصُّدُورِ اي بضمائرها ومعتقداتها ومكنوناتها لا تخفى عليه من ذلك خافية آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
اي صدقوا بالتوحيد وصحة الرسالة وهذا خطاب لكفار العرب او للجميع ويكون المراد بالامر بالايمان في
حق المسلمين الاستمرار عليه او الازدياد عليه ثم لما امرهم بالايمان امرهم بالانفاق في سبيل الله فقال
وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ اي جعلكم خلفاء في التصرف فيه من غير ان تملكوه
حقيقة فان المال مال الله والعباد خلفاء الله في امواله فعليهم ان يصرفوها فيما يرضيه وقيل
جعلكم خلفاء من كان قبلكم ممن ترثونه وسينتقل الى غيركم ممن يرثكم فلا تبخلوا به كذا قال الحسن
وغيره وفيه الترغيب الى الانفاق في سبل الخير وتهوين له على النفس قبل ان ينتقل عنهم ويصير
الى غيرهم والظاهر ان معنى الاية الترغيب في الانفاق في الخير وما يرضاه الله على العموم وقيل هو خاص
بالزكوة المفروضة ولا وجه لهذا التخصيص قال المحلي نزل في غزوة العسرة وهي غزوة تبوك ويشكل هذا
على القول بان السورة مكية وكذا على القول بانها مدنية على استثناء هذه الايات وكانت في السنة
التاسعة بعد رجوعه صلى الله عليه وسلم من الطائف وهي اخر غزواته ولم يقع فيها قتال بل وقع الصلح على دفع

الجزية وايضاح هذه القصة مذكور في سورة براءة فراجعها ان شئت ثم ذكر سبحانه ثواب من انفق في سبيل الله فقال فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا اي الذين جمعوا بين الايمان بالله ورسوله وبين الانفاق في سبيل الله وفيه اشارة الى عثمان رضي الله تعالى عنه فانه جهز في غزوة العسرة ثلثمائة بعير باقتابها واحلاسها واحمالها وجاء بالف دينار ووضعها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ وهو الجنة وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ هذا الاستفهام للتوبيخ والتقريع والخطاب للكفار اي اي عذر لكم واي مانع من الايمان وقد ازيحت عنكم العلل وقيل المعنى اي شيء لكم من الثواب في الآخرة اذا لم تؤمنوا وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ اي يدعوكم للايمان والمعنى اي عذر لكم في ترك الايمان والحال ان الرسول يدعوكم اليه وينبهكم عليه ويتلو عليكم الكتاب الناطق بالبراهين والحجج والحال ان قَدْ أَخَذَ الله مِيثَاقَكُمْ حين اخرجكم من ظهر ابيكم آدم في عالم الذر حين اشهدكم على انفسكم الست بربكم قالوا بلى او بما نصب لكم من الادلة الدالة على التوحيد ووجوب الايمان وركب فيكم من العقول ومكنكم من النظر في الادلة فاذا لم تبق لكم علة بعد ادلة العقول وتنبيه الرسول فما لكم لا تؤمنون وهو اختيار القاضي كالكشاف والاول اولى قرأ الجمهور قد اخذ مبنيا للفاعل وهو الله سبحانه لتقدم ذكره وقرئ على البناء للمفعول وهما سبعيتان إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ بما اخذ عليكم من الميثاق او بالحجج والدلائل او ان كنتم مؤمنين بسبب من الاسباب فهذا من اعظم اسبابه واوضح موجباته لا مزيد عليه وقيل ان كنتم مؤمنين بموسى وعيسى فان شريعتهما تقتضي الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل مريدين للايمان به فبادروا اليه وقيل ان بمعنى اذ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ اي واضحات ظاهرات وهي الآيات القرآنية وقيل المعجزات والقرآن اعظمها لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ اي ليخرجكم الله بتلك الآيات من ظلمات الشرك الى نور الايمان او ليخرجكم الرسول بتلك الآيات او بالدعوة منها اليه وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ في اخراجكم من الكفر الى الايمان لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ اي كثير الرافة والرحمة بليغهما حيث انزل كتبه وبعث رسله لهداية عباده ولم يقتصر على ما نصب لكم من الحجج العقلية رافة ولا رحمة ابلغ من هذه وَمَا لَكُمْ أَلَّا والاصل في ان لا تُنفِقُوا اي شيء لكم او ما يمنعكم او فوضعه نصب او جر وليست ان زائدة كما يرى ابو الحسن زيادتها بل هي مصدرية والمعنى في عدم الانفاق فِي سَبِيلِ اللَّهِ اي في طاعته وما يكون قربة اليه فسبيله كل خير يوصلهم اليه فهو استعارة تصريحية

والاستفهام للتوبيخ والتقريع وفي هذه الاية دليل على ان الانفاق المامور به في قوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه هو الانفاق في سبيل الله كما بيناه ذلك والمعنى اي عذر لكم واي شيء يمنعكم من ذلك وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ اي والحال ان كل ما فيهما راجع الى الله سبحانه بانقراض العالم كرجوع الميراث الى الوارث ولا يبقى لهم منه شيء وهذا ادخل في التوبيخ واكمل في التقريع فان كون تلك الامور تخرج عن اهلها وتصير لله سبحانه ولا يبقى احد من مالكيها اقوى في ايجاب الانفاق عليهم من كونها لله في الحقيقة وهم خلفاؤه في التصرف فيها ثم بين سبحانه فضل من سبق بالانفاق في سبيل الله وتفاوت درجات المنفقين فقال لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ اي فتح مكة وبه قال اكثر المفسرين قال قتادة كان قتالان احدهما افضل من الاخر ونفقتان احدهما افضل من الاخرى كان القتال والنفقة من قبل فتح مكة افضل من النفقة والقتال بعد ذلك وكذا قال مقاتل وغيره وقال الشعبي والزهري فتح الحديبية وهو الراجح قاله الكرخي وذكر القتال للاستطراد وفي الكلام حذف والتقدير لا يستوي من انفق من قبل الفتح وقاتل ومن انفق من بعد الفتح وقاتل فحذف لظهوره ولدلالة ما سياتي عليه فان الاستواء يكون بين الشيئين ولا يتم الا بذكر اثنين وانما كانت النفقة والقتال قبل الفتح افضل من النفقة والقتال بعده لان حاجة الناس كانت اذ ذاك اكثر وهم اقل واضعف وتقديم الانفاق على القتال للايذان بفضيلة الانفاق لما كانوا عليه من الحاجة فانهم كانوا يجودون بانفسهم ولا يجدون ما يجودون به من الاموال ع والجود بالنفس اقصى غاية الجود

أُولَئِكَ اشارة الى من باعتبار معناه وهو مبتدء وخبره قوله أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا اي ارفع منزلة واعلى رتبة من الذين انفقوا اموالهم في سبيل الله من بعد الفتح وقاتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عطاء درجات الجنة تتفاضل فالذين انفقوا من قبل الفتح في افضلها قال الزجاج لان المتقدمين نالهم من المشقة اكثر مما نال من بعدهم وكانت بصائرهم ايضا انفذ وقد ارشد صلى الله عليه وسلم الى هذه الفضيلة بقوله فيما صح عنه لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وهذا الخطاب منه صلى الله عليه وسلم للمتاخرين صحبة كما يرشد الى ذلك السبب الذي ورد فيه هذا الحديث وقد اخرج ابن جرير وابن ابي حاتم وابن مردويه وابو نعيم عن ابي سعيد الخدري قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية حتى اذا كنا بعسفان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

يوشك ان ياتي قوم تحقرون اعمالكم مع اعمالهم قلنا من هم يا رسول الله اقريش قال لا ولكنهم اهل
اليمن هم ارق افئدة والين قلوبا فقلنا اهم خير منا يا رسول الله قال لو كان لاحدهم جبل من ذهب
ما ادرك مد احدكم ولا نصيفه الا ان هذا فصل ما بيننا وبين الناس لا يستوي منكم من انفق من
قبل الفتح وقاتل الآية وهذا الحديث قال ابن كثير غريب بهذا الاسناد وقد رواه ابن جرير ولم يذكر
فيه الحديبية واخرج احمد عن انس قال كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف كلام
فقال خالد لعبد الرحمن تستطيلون علينا بايام سبقتمونا بها فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال دعوا لي اصحابي
فوالذي نفسي بيده لو انفقتم مثل احد او مثل الجبال ذهبا ما بلغتم اعمالهم والذي في الصحيح عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم بلفظ لا تسبوا اصحابي فوالذي نفس محمد بيده لو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا
ما ادرك مد احدهم ولا نصيفه وفي لفظ ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه اخرج هذا الحديث البخاري
ومسلم وغيرهما من حديث ابي سعيد الخدري وعن ابن عمر قال لا تسبوا اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
فلمقام احدهم ساعة خير من عمل احدكم عمره اخرجه ابن ابي شيبة وَكُلًّا اي كل واحد من الفريقين
وَعَدَ اللَّهُ المثوبة الْحُسْنَى وهي الجنة مع تفاوت درجاتهم فيها قرأ الجمهور كلا على انه مفعول
مقدم وقرئ بالرفع على الابتداء او على انه خبر مبتدأ محذوف ومثل هذا قول الشاعر ؎ قد
اصبحت ام الخيار تدعي * علي ذنبا كله لم اصنع * قيل نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه
لانه اول من اسلم واول من انفق في سبيل الله وفيه دليل على فضله وتقدمه وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
خَبِيرٌ لا يخفى عليه من ذلك شيء ثم رغب سبحانه في الصدقة فقال مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ اي ينفق
ماله في سبيل الله فانه كمن يقرضه والعرب تقول لكل من فعل فعلا حسنا قد اقرض ومن
استفهامية مرفوعة المحل بالابتداء وذا خبره والموصول صفة له او بدل منه ويجوز ان يكون
من ذا مبتدء والموصول خبره وهذا منه تعالى في غاية اللطف بنا والاحسان الينا حيث اعطانا
الاموال من عنده وجعل رجوعها اليه منا قرضا مع انه المالك الحقيقي قال الكلبي قَرْضًا اي صدقة
حَسَنًا اي محتسبا من قلبه بلا من ولا اذى قال مقاتل حسنا طيبة به نفسه واستعير لفظ
القرض ليدل على التزام الجزاء وفيه استعارة تصريحية تبعية حيث شبه الانفاق بالاقراض
الجامع اعطاء شيء بعوض وسمي قرضا لان القرض اخراج المال لاسترداد البدل من حيث ان الله

وعد به الجنة تشبيها بالقرض وقيل القرض الحسن هو النفقة على الاهل قاله زيد بن اسلم وقال الحسن هو التطوع بالعبادات وقيل انه العمل الخير والعرب تقول لي عند فلان قرض صدق وقرض سوء والاول اولى وقال بعض العلماء القرض لا يكون حسنا حتى يجمع اوصافا عشرة وهي ان يكون المال من الحلال وان يكون من اجود المال وان تتصدق به وانت محتاج اليه وان تصرف صدقتك الى الاحوج اليها وان تكتم الصدقة ما امكنك وان لا تتبعها بالمن والاذى وان تقصد بها وجه الله ولا ترائي به الناس وان تستحقر ما تعطي وان كان كثيرا وان يكون من احب اموالك اليك وان لا ترى عز نفسك وذل الفقير فهذه عشر خصال اذا اجتمعت في الصدقة كانت قرضا حسنا وقد تقدم تفسير الاية في سورة البقرة ﴿فَيُضَاعِفَهُ لَهُ﴾ اي يعطيه اجره على انفاقه اضعافا مضاعفة من فضله قرأ اهل الكوفة والبصرة بالالف وتخفيف العين وقرئ فيضعفه وعلى كل من القراءتين فالفعل اما مرفوع او منصوب فالقراءات اربعة وكلها سبعية قال ابن عطية الرفع هنا على العطف او الاستيناف والنصب بالفاء على جواب الاستفهام ﴿وَلَهُ﴾ مع المضاعفة ﴿أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ وهو الجنة والمضاعفة هنا هي كون الحسنة بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف على اختلاف الاحوال والاشخاص والاوقات ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ اي اذكر او يوجرون يوم ترى او يسعى نور المؤمنين والمؤمنات يوم تريهم هذا اصله او العامل فيه فيضاعفه قاله ابو البقاء والخطاب لكل من يصلح له ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ﴾ اي نور التوحيد والطاعات والنور هو الضياء الذي يرى وقيل هو القران ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ ظرف للسعي او حال من نورهم ﴿وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ وذلك على الصراط يوم القيامة وهو دليلهم الى الجنة قال قتادة ان المؤمن يضيء له نور كما بين عدن الى صنعاء حتى ان من المؤمنين من لا يضيء له نوره الا موضع قدميه وقال الضحاك ومقاتل وبايمانهم كتبهم التي اعطوها فكتبهم بايمانهم ونورهم بين ايديهم وقال الضحاك ايضا نورهم هداهم وبايمانهم كتبهم واختار هذا ابن جرير الطبري اي يسعى ايمانهم وعملهم بين ايديهم وفي ايمانهم كتب اعمالهم قال ابن مسعود في الاية يؤتون نورهم على قدر اعمالهم يمرون على الصراط منهم من نوره مثل الجبل ومنهم من نوره مثل النخلة وادناهم نورا من نوره على ابهامه يطفي مرة ويقد اخرى قال الفراء الباء بمعنى في اي في جهة ايمانهم وهذا على قراءة العامة اعني بفتح الهمزة جمع يمين وقيل الباء بمعنى عن اي عن جميع جهاتهم وانما خص الايمان لانها اشرف الجهات وقرئ بكسرها

على ان المراد بالايمان ضد الكفر وهذا المصدر معطوف على الظرف قبله والباء سببية اي يسعى كائنا
بين ايديهم وكائنا بايمانهم وقال ابو البقاء تقديره وبايمانهم استحقوه او وبايمانهم يقال لهم اي تقول
لهم الملائكة الذين يتلقونهم بُشْرٰىكُمُ الْيَوْمَ اي بشارتكم العظيمة في جميع ما يستقبلكم من الزمان
جَنّٰتٌ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهٰرُ خٰلِدِيْنَ فِيْهَا اي دخول جنات لان البشارة تقع بالاحداث دون
الجثث ذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيْمُ لا يقادر قدره حتى كانه لا فوز غيره ولا اعتداد بما سواه والاشارة
الى ما تقدم من النور والبشرى بالجنات المخلدة هذا اذا كان قوله ذلك هو الفوز العظيم قول الله تعالى
لا من جملة مقول الملائكة والا فالاشارة حينئذ الى الجنة بتاويل ما ذكر او لكونها فوزا ذكره الكرخي
يَوْمَ اي اذكر يوم يَقُوْلُ الْمُنٰفِقُوْنَ وَالْمُنٰفِقٰتُ لِلَّذِيْنَ اٰمَنُوا واللام للتبليغ كنظائرها انْظُرُوْنَا
اي انتظرونا يقولون ذلك لما رأوا المؤمنين يسرع بهم الى الجنة قرأ الجمهور انظرونا امر بوصل
الهمزة وضم الظاء مشتق من النظر بمعنى الانتظار وقرئ من الانظار بقطع الهمزة
اي امهلونا واخرونا يقال انظرته واستنظرته اي امهلته واستمهلته قال الفراء تقول العرب انظرني
اي انتظرني وقيل معناه انظروا الينا لانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيئوا بنورهم
وهذا اليق بقوله نَقْتَبِسْ مِنْ نُّوْرِكُمْ اي نستضيئ منه الا ان الشيخ ابا حيان قال ان النظر بمعنى الابصار
لا يتعدى بنفسه الا في الشعر وانما يتعدى بالى والقبس الشعلة من النار والسراج فلما قالوا ذلك قِيْلَ
اي قال لهم المؤمنون او الملائكة الموكلون بهم زجرا وتهكما بهم ارْجِعُوْا وَرَآءَكُمْ اي الى الموضع الذي
اخذنا منه النور فَالْتَمِسُوْا اي اطلبوا هنالك نُوْرًا لانفسكم فانه من هنالك يقتبس وقيل المعنى
ارجعوا الى الدنيا فالتمسوا النور بما التمسناه به من الايمان والاعمال الصالحة وقيل ارادوا بالنور
ما وراءهم من الظلمة تهكما بهم وعن ابن عباس قال بينما الناس في ظلمة اذ بعث الله نورا فلما
رأى المؤمنون النور توجهوا نحوه وكان النور دليلهم من الله الى الجنة فلما رأى المنافقون المؤمنين
قد انطلقوا الى النور تبعوهم فاظلم الله على المنافقين فقالوا حينئذ انظرونا نقتبس من نوركم فانا
كنا معكم في الدنيا قال المؤمنون ارجعوا وراءكم من حيث جئتم من الظلمة فالتمسوا هنالك النور
اخرج الطبراني وابن مردويه عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يدعو الناس يوم
القيامة بامهاتهم سترا منه على عباده واما عند الصراط فان الله يعطي كل مؤمن نورا وكل منافق

نوراً فاذا استووا على الصراط سلب الله نور المنافقين والمنافقات فقال المنافقون انظرونا نقتبس من نوركم وقال المؤمنون ربنا اتمم لنا نورنا فلا يذكر عند ذلك احد احداً وفي الباب احاديث وآثار فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ معطوف على ما قبله متفرع عليه فان المؤمنين والملائكة لما منعوا المنافقين عن اللحوق بهم والاستضاءة بانوار معارفهم واعمالهم بقي المنافقون في ظلمة نفاقهم فصاروا بذلك كانه ضرب بينهم وبين النور الذي يؤديهم الى الجنة سور فعلى هذا يكون قوله فضرب الخ من قبيل الاستعارة التمثيلية والسور هو الحاجز بين الشيئين والمراد به هنا الحاجز بين الجنة والنار او بين اهل الجنة واهل النار وقيل هو الحائط بينهما وقيل هو الاعراف قال الكسائي الباء في بسور زائدة ثم وصف سبحانه السور المذكور فقال لَهُ اي لذلك السور بَابٌ بَاطِنُهُ اي باطن ذلك السور وهو الجانب الذي يلي اهل الجنة فِيهِ الرَّحْمَةُ وهي الجنة او النور وَظَاهِرُهُ وهو الجانب الذي يلي اهل النار وظهرهم مِنْ قِبَلِهِ اي من قبل ذلك الظاهر ومن عنده ومن جهته الْعَذَابُ اي الظلمة او نار جهنم وقيل ان المؤمنين يسبقونهم فيدخلون الجنة والمنافقون يحصلون في العذاب و بينهم السور وقيل ان الرحمة التي في باطنه نور المؤمنين والعذاب الذي في ظاهره ظلمة المنافقين عن عبادة بن الصامت انه كان على سور بيت المقدس فبكى فقيل ما يبكيك فقال ههنا اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم انه راى جهنم وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال ان السور الذي ذكره الله في القرآن فضرب بينهم بسور هو الذي ببيت المقدس الشرقي باطنه فيه الرحمة المسجد وظاهره من قبله العذاب يعني وادي جهنم وما يليه ولا يخفاك ان تفسير السور المذكور في هذه الآية بهذا السور الكائن ببيت المقدس فيه من الاشكال ما لا يدفعه مقال ولا سيما بعد زيادة قوله باطنه فيه الرحمة المسجد فان هذا غير ما سيقت له الآية وغير ما دلت عليه واين يقع بيت المقدس او سوره بالنسبة الى السور الحاجز بين فريقي المؤمنين والمنافقين واي معنى لذكر مسجد بيت المقدس ههنا فان كان المراد ان الله سبحانه ينزع سور بيت المقدس ويجعله في الدار الآخرة سوراً مضروباً بين المؤمنين و المنافقين فما معنى تفسير باطن السور وما فيه من الرحمة بالمسجد وان كان المراد ان الله يسوق فريقي المؤمنين والمنافقين الى بيت المقدس فيجعل المؤمنين داخل السور في المسجد ويجعل المنافقين خارجه فهم اذ ذاك على الصراط وفي طريق الجنة وليسوا ببيت المقدس فان كان مثل هذا التفسير ثابتاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قبلناه وامنا به والا فلا كرامة ولا قبول ولعله اخذ ذلك من الاسرائيليات فقد قال شريح
كان كعب يقول في الباب الذي يسمى باب الرحمة في بيت المقدس انه الباب الذي قال الله تعالى
فضرب بينهم بسور له باب وكعب وكذا وهب كثير الرواية عن بني اسرائيل وليس عند اهل السنة
الى قبوله سبيل ولما ضرب بالسور بين المؤمنين والمنافقين اخبر الله سبحانه عما قاله المنافقون
اذ ذاك فقال يُنَادُونَهُمْ اي ينادي المنافقون المؤمنين من وراء ذلك السور حين حجز بينهم
وبقوا في الظلمة والجملة حالية من الضمير في بينهم او استيناف وهو الظاهر أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ
اي موافقين لكم في الظاهر نصلي بصلاتكم في مساجدكم ونعمل باعمال الاسلام مثلكم ثم اخبر الله
سبحانه عما اجابهم به المؤمنون فقال قَالُوا بَلَى اي كنتم معنا في الظاهر وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ
بالنفاق وابطان الكفر قال مجاهد اهلكتموها بالنفاق وقيل بالشهوات واللذات قاله ابن عباس
وقيل استعملتموها في الفتنة وقيل بالمعاصي قاله ابو سنان وَتَرَبَّصْتُمْ بمحمد صلى الله عليه وسلم وبمن معه من
المؤمنين حوادث الدهر والدوائر وقيل تربصتم بالتوبة قاله ابن عباس والاول اولى وَارْتَبْتُمْ اي
شككتم في امر الدين ولم تصدقوا ما نزل من القرآن في التوحيد ولا بالمعجزات الظاهرة وَغَرَّتْكُمُ
الْأَمَانِيُّ الباطلة التي من جملتها ما كنتم فيه من التربص وقيل هي طول الامل والطمع في امتداد
الاعمار وقيل ما كانوا يتمنونه من ضعف المؤمنين وقال قتادة الاماني هنا غرور الشيطان و
قيل الدنيا وقيل هو طمعهم في المغفرة وكل هذه الاشياء تدخل في مسمى الاماني حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ
وهو الموت قاله ابن عباس وقيل نصره سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم وقال قتادة هو القاؤهم في النار
وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ بفتح الغين وهو صفة على فعول والمراد به الشيطان قاله ابن عباس
اي خدعكم بحلم الله وامهاله الشيطان وقرئ بضمها وهو مصدر وقيل غركم بان الله عفو كريم
لا يعذبكم وماذا عسى ان تكون ذنوبكم عنده وهو عظيم ومحسن وحليم وغفور رحيم فلا
يزال بالانسان حتى يوقعه او بانه لا بعث ولا حساب قال قتادة ما زالوا على خدعة من الشيطان
حتى قذفهم الله في النار فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ ايها المنافقون فِدْيَةٌ تفدون بها انفسكم من النار
وقيل عوض وبدل وقيل ايمان وتوبة والاول اولى وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بالله ظاهرا وباطنا
وانما عطف الكافر على المنافق وان كان المنافق كافرا في الحقيقة لان المنافق ابطن الكفر والكافر اظهره

فصار غير المنافق بهذا الاعتبار فحسن عطفه على المنافق مَأْوٰىكُمُ النَّارُ اي منزلكم الذي تأوون اليه النَّارُ هِيَ مَوْلٰىكُمْ اي هي اولى بكم والمولى في الاصل من يتولى مصالح الانسان ثم استعمل فيمن يلازمه وقيل مولاكم مكانكم عن قريب من الولي هو القرب والمعنى ذات ولايتكم وهذا على ان المولى مصدر قيل ان الله يركب في النار الحياة والعقل فهي تتميز غيظا على الكفار وقيل المعنى هي ناصركم على طريقة قول الشاعر ع تحية بينهم ضرب وجيع والمعنى لا ناصر لكم الا النار كما ان معنى البيت لا تحية لهم الا الضرب على التهكم والمراد نفي الناصر ونفي التحية وَبِئْسَ الْمَصِيْرُ الذي تصيرون اليه النار أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِيْنَ اٰمَنُوْا يقال انى لك يأني اذا حان اي جاء اناه اي وقته قرأ الجمهور الم يأن وقرئ الم يأن أَنْ تَخْشَعَ قُلُوْبُهُمْ لِذِكْرِ اللّٰهِ اي الم يحضر خشوع قلوبهم ويجيء وقته هذه الاية نزلت في المؤمنين قال الحسن يستبطئهم وهم احب خلقه اليه وقيل ان الخطاب لمن امن بموسى وعيسى عليهما الصلوة والسلام دون محمد صلى الله عليه وسلم قال الزجاج نزلت في طائفة من المؤمنين حثوا على الرقة والخشوع فاما من وصفهم الله بالرقة والخشوع فطبقة فوق هؤلاء وقال السدي وغيره المعنى الم يأن للذين امنوا في الظاهر واسروا الكفران تخشع وتلين وتسكن وتخضع وتذل وتطمئن قلوبهم لذكر الله وسيأتي ما يقوي قول من قال انها نزلت في المسلمين والخشوع لين القلب ورقته والمعنى انه ينبغي ان يورثهم الذكر خشوعا ورقة ولا يكونوا كمن لا يلين قلبه للذكر ولا يخشع له عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال استبطأ الله قلوب المهاجرين بعد سبع عشرة سنة من نزول القران فانزل الله الم يأن الاية اخرجه ابن مردويه واخرج ايضا عن عائشة قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفر من اصحابه في المسجد وهم يضحكون فسحب رداءه محمرا وجهه فقال اتضحكون ولم يأتكم امان من ربكم بانه قد غفر لكم ولقد انزل علي في ضحككم اية الم يأن للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله قالوا يا رسول الله فما كفارة ذلك قال تبكون بقدر ما ضحكتم واخرج مسلم والنسائي وابن ماجة وابن المنذر وغيرهم عن ابن مسعود قال ما كان بين اسلامنا وبين ان عاتبنا الله بهذه الاية الم يأن الخ الا اربع سنين وعنه قال لما نزلت هذه الاية اقبل بعضنا على بعض اي شيء احدثنا اي شيء صنعنا وعن ابن عباس قال ان الله استبطأ قلوب المهاجرين فعاتبهم على راس عشرة سنة من نزول القران الم يأن الاية وعن عبد العزيز بن ابي رواد ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ظهر فيهم المزاح والضحك فنزلت

هذه الاية المرية الخ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ المراد به القران محمل الذكر المعطوف عليه على ما عداه مما فيه
ذكر الله سبحانه باللسان او خطور بالقلب وقيل المراد بالذكر هو القران فيكون هذا العطف من باب
عطف التفسير او باعتبار تغاير المفهومين قرأ الجمهور نزل مشدد امبنيا للفاعل وقرئ على البناء
للمفعول وقرئ مخففا مبنيا للفاعل وقرئ انزل مبنيا للفاعل وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
مِنْ قَبْلُ قرأ الجمهور بالتحتية على الغيبة جريا على ما تقدم وقرئ على الخطاب التفاتا والمعنى
النهي لهم ان يسلكوا سبيل اليهود والنصارى الذين اوتوا التوراة والانجيل من قبل نزول القران
فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ اي طال عليهم الزمان بينهم وبين انبيائهم قرأ الجمهور الامد بتخفيف
الدال وقرئ بتشديدها اي الزمن الطويل وقيل المراد به على الاول الاجل والغاية يقال امد فلان
كذا اي غايته فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ بذلك السبب فلذلك حرفوا وبدلوا فنهى الله سبحانه امة محمد
صلى الله عليه وسلم ان يكونوا امثالهم وعن ابي بكر ان هذه الاية قرئت بين يديه وعنده قوم من اهل اليمامة
فبكوا بكاء شديدا فنظر اليهم فقال هكذا كنا حتى قست القلوب وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ اي خارجون
عن طاعة الله لانهم تركوا العمل بما انزل اليهم وحرفوا وبدلوا ولم يؤمنوا بما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم
وقيل هم الذين تركوا الايمان بعيسى ومحمد عليهما الصلوة والسلام وقيل هم الذين ابتدعوا الرهبانية
وهم اصحاب الصوامع اِعْلَمُوا خطاب للمؤمنين المذكورين وهم الصحابة الذين اكثروا المزاح فيكون
في الكلام التفات من الغيبة الى الخطاب أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وهذا تمثيل لاحياء القلوب
القاسية بالذكر والتلاوة او لاحياء الاموات ترغيبا في الخشوع وزجرا عن القساوة وهذه استعارة
تمثيلية والمعنى من قدر على ذلك فهو قادر على ان يبعث الاجسام بعد موتها ويلين القلوب بعد قسوتها
وانما حمل على التمثيل لترتبط هذه الاية بما قبلها قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ التي من جملتها هذه الايات
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ اي كي تعقلوا ما تضمنته من المواعظ وتعملوا بموجب ذلك ولكي تكمل عقولكم إِنَّ
الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ قرأ الجمهور بتشديد الصاد في الموضعين من الصدقة والاصل المتصدقين
والمتصدقات وقرئ على الاصل وقرئ بتخفيف الصاد في الموضعين من التصديق اي صدقوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاء به وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا معطوف على اسم الفاعل في المصدقين
والمصدقات لانه لما وقع صلة للالف واللام الموصولة حل محل الفعل فكانه قال ان الذين تصدقوا

واقرضوا كذا قال ابو علي الفارسي وغيره وقيل صلة لموصول محذوف اي والذين اقرضوا وقيل جملة معترضة بين اسم ان وخبرها والقرض الحسن عبارة عن التصدق والانفاق في سبيل الله مع خلوص نية وصحة قصد واحتساب اجر يُضٰعَفُ لَهُمْ قرأ الجمهور بفتح العين على البناء للمفعول والقائم مقام الفاعل اما الجار والمجرور او ضمير يرجع الى المصدقين على حذف مضاف اي ثوابهم وقرئ يضاعفه بكسر العين وزيادة الهاء وقرئ يضعف بتشديد العين وفتحها والمضاعفة هنا ان الحسنة بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف وَلَهُمْ اَجْرٌ كَرِيْمٌ وهو الجنة وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا بِاللّٰهِ وَرُسُلِهٖۤ جميعا اُولٰٓئِكَ هُمُ الصِّدِّيْقُوْنَ وَالشُّهَدَآءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ قال مجاهد كل من امن بالله ورسله فهو صديق وقال المقاتلان هم الذين لم يشكوا في الرسل حين اخبروهم ولم يكذبوهم وقال مجاهد هذه الاية للشهداء خاصة وهم الانبياء الذين يشهدون للامم وعليهم واختار هذا الفراء والزجاج وقال مقاتل بن سليمان هم الذين استشهدوا في سبيل الله وكذا قال ابن جرير وقيل هم امم الرسل يشهدون يوم القيامة لانبيائهم بالتبليغ والظاهر ان معنى الاية ان الذين امنوا بالله ورسله جميعا بمنزلة الصديقين والشهداء المشهورين بعلو الدرجة عند الله وقيل ان الصديقين هم المبالغون في الصدق حيث امنوا بالله وصدقوا جميع رسله والقائمون لله سبحانه بالتوحيد اخرج ابن جرير عن البراء بن عازب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مؤمنوا امتي شهداء ثم تلى هذه الاية وقال ابن مسعود كل مؤمن صديق وشهيد وعنه قال ان الرجل ليموت على فراشه وهو شهيد ثم تلى هذه الاية وعن ابي هريرة نحوه وقال ابن عباس في الاية هذه مفصولة والشهداء عند ربهم لهم اجرهم ونورهم واخرج ابن حبان عن عمرو بن مرة الجهني قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ارايت ان شهدت ان لا اله الا الله وانك رسول الله وصليت الصلوات الخمس واديت الزكوة وصمت رمضان وقمته فمن انا قال من الصديقين والشهداء ثم بين سبحانه ما لهم من الخير بسبب ما اتصفوا به من الايمان بالله ورسله فقال لَهُمْ اَجْرُهُمْ وَنُوْرُهُمْ الضمير الاول راجع الى الموصول والضميران الاخران راجعان الى الصديقين والشهداء اي لهم مثل اجرهم ونورهم واما على قول من قال ان الذين امنوا بالله ورسله هم نفس الصديقين والشهداء فالضمائر الثلثة كلها راجعة الى شيء واحد والمعنى لهم الاجر والنور الموعودان لهم ثم لما ذكر حال المؤمنين وثوابهم ذكر حال الكافرين وعقابهم فقال

وَالَّذِيْنَ كَفَرُوْا وَكَذَّبُوْا بِاٰيٰتِنَآ اي جمعوا بين الكفر والتكذيب اُولٰٓئِكَ اَصْحٰبُ الْجَحِيْمِ يعذبون بها
ولا اجر لهم ولا نور بل عذاب مقيم وظلمة دائمة ولما ذكر سبحانه حال الفريق الثاني وما وقع منهم
من الكفر والتكذيب وذلك بسبب ميلهم الى الدنيا وتاثيرها بين لهم حقارتها وانها احقر من
ان تؤثر على الدار الاخرة فقال اِعْلَمُوْٓا اَنَّمَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ كلعب الصبيان وَّلَهْوٌ كلهو
الفتيان واللعب هو الباطل واللهو كل شئ يتلهى به ثم يذهب قال قتادة لعب لهو اكل وشرب قال
مجاهد كل لعب لهو وقيل اللعب ما رغب في الدنيا واللهو ما الهى عن الاخرة وشغل عنها وقيل اللعب
الاقتناء واللهو النساء وقد تقدم تحقيق هذا في سورة الانعام وَّزِيْنَةٌ كزينة النسوان والزينة
التزين بمتاع الدنيا من اللباس والحلي ونحوهما من دون عمل للاخرة وَّتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ كتفاخر
الاقران قرأ الجمهور بتنوين تفاخر وقرئ بالاضافة اي يفتخر به بعضكم على بعض وقيل بتفاخرون
بالخلقة والقوة وقيل بالانساب والاحساب كما كانت عليه العرب وَتَكَاثُرٌ كتكاثر الدهقان والتكاثر
ادعاء الاستكثار فِي الْاَمْوَالِ وَالْاَوْلَادِ اي يتكاثرون باموالهم واولادهم ويتطاولون بذلك على
الفقراء والمعنى ان التشاغل وشغل البال بالحياة الدنيا دائر بين هذه الامور الخمسة قال القشيري
وهذه الدنيا المذمومة هي ما يشغل العبد عن الاخرة فكل ما يشغله عن الاخرة فهو الدنيا
واما الطاعات وما يعين عليها فمن امور الاخرة وقال علي كرم الله وجهه لعمار بن ياسر لا تحزن
على الدنيا فان الدنيا ستة اشياء ماكول ومشروب وملبوس ومشموم ومركوب ومنكوح
فاحسن طعامها العسل وهو بزقة ذبابة واكثر شرابها الماء وهو يستوي فيه جميع الحيوان
وافضل ملبوسها الديباج وهو نسج دودة وافضل مشمومها المسك وهو دم فارة وافضل المركوب
الفرس وعليها تقتل الرجال واما المنكوح فهو النساء وهن مبال في مبال ثم بين سبحانه لهذه
الحياة شبها وضرب لها مثلا فقال كَمَثَلِ غَيْثٍ اي مطر اَعْجَبَ الْكُفَّارَ اي الزراع لانهم يكفرون البذر
اي يغطونه بالتراب كما يستر الكافر حقيقة انوار الايمان بما يحصل منه من الجحد والطغيان نَبَاتُهٗ
الحاصل به ثُمَّ يَهِيْجُ اي يجف بعد نضارته وخضرته قاله ابو السعود وقيل ييبس وفيه تسامح
فان حقيقته ان يتحرك الى اقصى ما يتاتى له فالمعنى يطول جدا فَتَرٰىهُ مُصْفَرًّا اي متغيرا عما كان
عليه من الخضرة والرونق الى لون الصفرة والذبول وقرئ مصفارا ثُمَّ يَكُوْنُ حُطَامًا اي متفتتا

هشيما متكسرا متحطما بعد يبسه شبه حال الدنيا وسرعة تقضيها مع قلة جدواها بنبات ابنته الغيث فاستوى وقوي واعجب به الكفار الجاحدون لنعمة الله فيما رزقهم من الغيث والنبات فبعث الله عليه العاهة فهاج واصفر وصار حطاما عقوبة لهم على جمودهم كما فعل باصحاب الجنة وصاحب الجنتين وقد تقدم تفسير هذا المثل في سورة يونس والكهف وقيل المعنى ان الحياة الدنيا كالزرع يعجب الناظرين اليه لخضرته وكثرة نضارته ثم لا يلبث ان يصير هشيما تبنا كان لم يكن ثم لما ذكر سبحانه حقارة الدنيا وسرعة زوالها ذكر ما اعده للعصاة في الدار الآخرة وما اعده لاهل الطاعة فقال وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ اخبر بان في الآخرة عذابا شديدا ومغفرة منه ورضوانا وهذا معنى حسن وهو انه قابل العذاب بشيئين بالمغفرة والرضوان فهو من باب لن يغلب عسر يسرين والتنكير فيهما للتعظيم قال قتادة عذاب شديد لاعداء الله ومغفرة من الله ورضوان لاوليائه واهل طاعته قال الفراء التقدير في الآية اما عذاب شديد واما مغفرة فلا يوقف على شديد ثم ذكر سبحانه بعد الترهيب والترغيب حقارة الدنيا فقال وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ لمن اغتر بها وركن اليها واعتمد عليها وعمل لها ولم يعمل للآخرة اي هي في نفسها غرور لا حقيقة له وهذا يقتضي ان الاضافة بيانية والمعنى وما التمتع بالدنيا الا متاع اي تمتع هو الغرور اي الاغترار قال سعيد بن جبير متاع الغرور لمن لم يشتغل بطلب الآخرة ومن اشتغل بطلبها فله متاع بلاغ الى ما هو خير منه وهذه الجملة مقررة للمثل المتقدم ومؤكدة له قال ذو النون يا معشر المريدين لا تطلبوا الدنيا وان طلبتموها فلا تحبوها فان الزاد منها والمقيل في غيرها ثم ندب عباده الى المسابقة الى ما يوجب المغفرة من التوبة والعمل الصالح فان ذلك سبب الى الجنة فقال سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ اي سارعوا مسارعة السابقين بالاعمال الصالحة التي توجب لكم المغفرة من ربكم وتوبوا مما وقع منكم من المعاصي وقيل المراد بالآية التكبيرة الاولى مع الامام قاله مكحول وقيل المراد الصف الاول ولا وجه لتخصيص ما في الآية بمثل هذا بل هو من جملة ما تصدق عليه صدقا شموليا او بدليا وحاصل المعنى لتكن مفاخرتكم ومكاثرتكم في غير ما انتم عليه من امور الدنيا بل احرصوا على ان تكون مسابقتكم في طلب الآخرة وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ اي كعرضهما واذا كان هذا قدر عرضها فما ظنك بطولها قال الحسن

يعني جميع السموات السبع والارضين السبع مبسوطات كل واحدة الى صاحبتها وقيل المراد بالجنة
التي عرضها هذا العرض هي جنة كل واحد من اهل الجنة وقال ابن كيسان عنى به جنة واحدة
من الجنات والعرض اقل من الطول ومن عادة العرب انها تعبر عن الشيء بعرضه دون طوله
وقيل المراد بالعرض السعة لا ضد الطول كما في قوله تعالى فذو دعاء عريض وقيل ان هذا تمثيل
للعباد بما يعقلونه ويقع في نفوسهم وافكارهم والاول اولى وقد مضى تفسير هذا في سورة آل عمران
ثم وصف سبحانه تلك الجنة بصفة اخرى فقال أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ هذه الجملة مستأنفة
وفي هذا دليل على انها مخلوقة وعلى ان استحقاق الجنة يكون بمجرد الايمان بالله ورسله ولكن هذا
مقيد بالادلة الدالة على انه لا يستحقها الا من عمل بما فرض الله عليه واجتنب ما نهاه الله عنه
وهي ادلة كثيرة في الكتاب والسنة ذَلِكَ اي ما وعد به سبحانه من المغفرة والجنة فَضْلُ اللَّهِ
يُؤْتِيهِ اي يعطيه مَنْ يَشَاءُ اعطاءه اياه تفضلا واحسانا وفيه دليل على انه لا يدخل احد الجنة
الا بفضل الله لا بعمله وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ فهو يتفضل على من يشاء بما يشاء ولا مانع لما اعطى
ولا معطي لما منع والخير كله بيده وهو الكريم المطلق والجواد الذي لا يبخل فلا يبعد منه التفضل بذلك
وان عظم قدره ثم بين سبحانه ان ما يصاب به العباد من المصائب قد سبق بذلك قضاؤه وقدره
وثبت في ام الكتاب فقال مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ من زلزلة وقحط مطر وجدب و
ضعف نبات وقلته ونقص ثمار وعاهة زرع والمصيبة غلبت في الشر وقيل المراد بها جميع الحوادث
من خير وشر وعلى الاول انما خصت بالذكر دون الخير لانها اهم على البشر وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ قال قتادة بالاوصاب
والاسقام وقال مقاتل اقامة الحدود وقال ابن جريج ضيق المعاش وقيل موت الاولاد واللفظ اوسع من ذلك
إِلَّا فِي كِتَابٍ اي الا حال كونها مكتوبة في كتاب وهو اللوح المحفوظ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا اي نخلقها
والضمير عائد الى المصيبة او الى الانفس او الى الارض او الى جميع ذلك قاله المهدوي وهو حسن قال ابن عباس
في الاية هو شيء قد فرغ منه قبل ان تبرأ الانفس إِنَّ ذَلِكَ اي ان اثباتها في الكتاب على كثرتها عَلَى اللَّهِ
يَسِيرٌ غير عسير لِكَيْلَا تَأْسَوْا اي اخبرناكم بانا قد فرغنا من التقدير لكيلا تحزنوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ
من الدنيا وسعتها او من العافية وصحتها وَلَا تَفْرَحُوا اي لا تبطروا بطر المختال الفخور بِمَا آتَاكُمْ منها
اي اعطاكم قرأ الجمهور بالمد وقرئ بالقصر اي جاءكم فان ذلك يزول عن قريب لا يستحق ان يفرح بحصوله

ولا الحزن على فوته قيل والفرح والحزن المنهي عنهما هما اللذان يتعدى فيهما الى ما لا يجوز والا فليس
من احد الا وهو يحزن ويفرح ولكن ينبغي ان يكون الفرح شكرا والحزن صبرا وانما يلزم من الحزن
الجزع المنافي للصبر ومن الفرح الاشر المطغي الملهي عن الشكر كما قال ابن عباس ليس احد الا وهو
يحزن ويفرح ولكن من اصابته مصيبة جعلها صبرا ومن اصابه خير جعله شكرا وعنه قال
يريد مصائب المعاش ولا يريد مصائب الدين امرهم ان ياسوا على السيئة ويفرحوا بالحسنة
قال جعفر بن محمد الصادق رضي الله تعالى عنه يا ابن ادم ما لك تاسف على مفقود لا يرده اليك الفوت
وما لك تفرح بموجود لا يتركه في يديك الموت وَاللّٰهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ اي لا يحب من اتصف
بهاتين الصفتين وهما الاختيال والافتخار قيل هو ذم للفرح الذي يختال فيه صاحبه ويبطر وقيل
ان من فرح بالحظوظ الدنيوية وعظمت في نفسه اختال وافتخر بها وقيل المختال الذي ينظر الى نفسه
والفخور الذي ينظر الى الناس بعين الاستحقار والاولى تفسير هاتين الصفتين بمعناهما الشرعي ثم
اللغوي فمن حصلتا فيه فهو الذي لا يحبه الله الَّذِيْنَ يَبْخَلُوْنَ وَيَاْمُرُوْنَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ قرأ الجمهور
بضم الباء وسكون الخاء وقرئ بفتحتين وهي لغة الانصار وقرئ بفتح الباء واسكان الخاء وضمهما
كلها لغات وهو كلام مستانف لا تعلق له بما قبله والخبر مقدر اي الذين يبخلون بما يجب عليهم من
المال كزكوة وكفارة ومن تعليم العلم ونشره واذاعة اوصاف النبي صلعم فالله غني عنهم وقيل
الموصول في محل جر بدل من مختال وهو بعيد فان هذا البخل بما في اليد وامر الناس بالبخل ليس هو معنى
المختال الفخور لا لغة ولا شرعا وقيل نعت له وهو ايضا بعيد ويدل على الاول قوله وَمَنْ يَّتَوَلَّ فَاِنَّ
اللّٰهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيْدُ اي ومن يعرض عن الانفاق فان الله غني عنه محمود عند خلقه لا يضره ذلك قرأ
الجمهور باثبات ضمير الفصل وقرئ بحذفه قال سعيد بن جبير الذين يبخلون بالعلم ويأمرون الناس
بالبخل لئلا يعلموا الناس شيئا وقال زيد بن اسلم انه البخل باداء حق الله وقيل انه البخل بالصدقة
وقال طاؤس انه البخل بما في يديه وقيل اراد رؤساء اليهود الذين بخلوا ببيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم في
كتبهم لئلا يؤمن به الناس فتذهب ماكلهم قاله السدي والكلبي لَقَدْ لام قسم اَرْسَلْنَا رُسُلَنَا
اي الملائكة قاله الزمخشري والمحلي وفيه بعد وجمهور المفسرين على حمل الرسل على البشر بِالْبَيِّنٰتِ
اي بالمعجزات البينة والشرائع الظاهرة وَاَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتٰبَ المراد الجنس فيدخل فيه كتاب كل رسول

وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ قال قتادة ومقاتل بن حيان الميزان العدل والمعنى امرناهم بالعدل
كما في قوله والسماء رفعها ووضع الميزان وقوله الله الذي انزل الكتاب بالحق والميزان وقال ابن زيد
هو ما يوزن به ويتعامل به والمعنى ليتبعوا ما امروا به من العدل فيتعاملوا فيما بينهم بالنصفة والقسط
العدل وهو يدل على ان المراد بالميزان العدل ومعنى انزاله انزال اسبابه وموجباته وعلى القول بان
المراد به الآلة التي يوزن بها فيكون انزاله بمعنى ارشاد الناس اليه والهامهم الوزن به ويكون الكلام
من باب علفتها تبنا وماء باردا وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ اي خلقناه كما في قوله وانزل لكم من الانعام
ثمانية ازواج وهذا قول الحسن والمعنى انه خلقه واخرجه من المعادن وعلم الناس صنعته وقيل
انه نزل مع آدم فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ لانه تتخذ منه آلات الحرب قال الزجاج يمتنع به ويحارب
المعنى انه تتخذ منه آلة للدفع وآلة للضرب قال مجاهد فيه جنة وسلاح وقوة وشدة وَمَنَافِعُ
لِلنَّاسِ اي انهم ينتفعون به في كثير مما يحتاجون اليه مثل السكين والفاس والابرة وآلات الزراعة
والتجارة والعمارة قال البيضاوي ما من صنعة الا والحديد آلتها اي له دخل في آلتها وهذا الحصر كلي كما
هو مشاهد وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ معطوف على قوله ليقوم اي لقد ارسلنا رسلنا وفعلنا
كيت وكيت ليقوم الناس وليعلم علم مشاهدة او معطوف على علة مقدرة كانه قيل ليستعملوه وليعلم
الله والاول اولى والمعنى ان الله امر في الكتاب الذي انزل بنصرة دينه ورسله فمن نصر دينه
ورسله علمه ناصرا ومن عصى علمه بخلاف ذلك ومعنى بِالْغَيْبِ غائبا عنهم او غائبين عنه
إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ اي قادر على كل شيء غالب لكل شيء وليس له حاجة في ان ينصره احد من عباده
وينصر رسله بل كلفهم بذلك لينتفعوا به اذا امتثلوا ويحصل لهم ما وعد به عباده المطيعين
قال ابو نصر العتبي وقد كان يختلج في صدري معنى هذه الآية لجمعها بين الكتاب والميزان والحديد
على تنافر ظاهرها في المناسبة وبعدها قبل الروية والاستنباط وسألت عدة من اعيان العلماء
المذكورين بالتفسير والمشهورين من بينهم بالتذكير فلم احصل منهم على جواب حتى اعملت التفكر وامعنت
التدبر فوجدت الكتاب قانون الشريعة ودستور الاحكام الدينية يبين سبل المراشد ويفصل جمل
الفرائض فيه تضمن مصالح الابدان والنفوس ويتضمن جوامع الاحكام والحدود وقد حظر فيه التعادي
والتظالم ورفض التباغي والتخاصم وامر بالتناصف والتعادل في قسام الارزاق المخرجة لهم بين نجم السماء

وصدع الارض ليكون ما يصل منها الى اهل الخطاب بحسب الاستحقاق بالتكسب دون التغلب والتوثب واحتاجوا في استدامة حياتهم باقواتهم مع الصفة المندوب اليها الى استعمال آلة للعدل يقع بها التعامل ويتم معها التساوي والتعادل فالهمهم الله تعالى اتخاذ الآلة التي هي الميزان فيما ياخذونه ويعطونه لئلا يتظالموا بمخالفته فيهلكوا به اذ لم يكن ينتظم لهم العيش مع شيوع ظلم البعض منهم على البعض ويدل على هذا المعنى قوله تعالى والسماء رفعها ووضع الميزان الا تطغوا في الميزان واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان وذلك انه تعالى جعل السماء علة للارزاق والاقوات من انواع الحبوب والنبات فكان ما يخرج منها من اغذية العباد ومرافق حياتهم مضطرا الى ان يكون اقتسامه بينهم على الانصاف دون الجزاف ولم يكن يتم ذلك الا بهذه الآلة المذكورة فنبه الله تعالى على موقع الفائدة والعائدة بها بتكرير ذكره فكان ما تقدم ذكره معنى الكتاب والميزان ثم انه من المعلوم ان الكتاب الجامع للاوامر الالهية والآلة الموضوعة للعامل بالسوية انما يحفظ على اتباعهما ويضطر العالم الى التزام احكامها بالسيف الذي هو حجة الله تعالى على من يجحد وعند ونزع من صفقة الجماعة اليد وهو بارق سطوته وشهاب نقمته وجذوة عقابه وعذبة عذابه فهذا السيف هو الحديد الذي وصفه الله تعالى بالباس الشديد فجمع بالقول الوجيز معاني كثيرة الشعوب متدانية الجنوب محكمة المطالع مقومة المبادي والمقاطع فظهر بهذا التاويل معنى الآية وبان ان السلطان خليفة الله على خلقه وامينه على رعاية حقه بما قلده من سيفه ومكن له في ارضه انتهى المقصود منه ولما ذكر ارسال الرسل اجمالا اشار هنا الى نوع تفصيل فذكر رسالة نوح وابراهيم فقال وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ كرر القسم للتوكيد ولاظهار مزيد الاعتناء بالامر ونوح هو الاب الثاني لجميع البشر وابراهيم ابو العرب والروم وبني اسرائيل وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا اي نوح وابراهيم النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ اي الكتب الاربعة المنزلة على الانبياء منهم وقيل جعل بعضهم انبياء وبعضهم يتلون الكتاب وقيل الكتاب الخط بالقلم يقال كتب كتابة وكتابا فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ اي فمن الذرية مهتد الى الحق بهدي نوح وابراهيم وقيل المعنى فمن المرسل اليهم من قوم الانبياء مهتد بما جاء به الانبياء من الهدى والاول اولى لتقدم ذكرهم لفظا واما الثاني فلدلالة ارسلنا والمرسلين عليه وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ اي خارجون عن الطاعة وقيل المراد بالفاسق هنا الذي لم يرتكب الكبيرة سواء كان كافرا ولم يكن لاطلاق هذا الاسم وهو يشمل الكافر وغيره وقيل المراد به هنا الكافر لانه جعل الفساق ضد المهتدين ثُمَّ قَفَّيْنَا

عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم اي اتبعنا على آثار الذرية او على آثار نوح وابراهيم ومن ارسلنا اليهم او من عاصرهما
من الرسل بِرُسُلِنَا الذين ارسلناهم الى الامم كموسى والياس وداؤد وسليمان وغيرهم وَقَفَّيْنَا
بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ اي ارسلنا رسولا بعد رسول حتى انتهى الى عيسى بن مريم وهو من ذرية ابراهيم
من جهة امه وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وهو الكتاب الذي انزله الله عليه وقد تقدم ذكر اشتقاقه في سورة
آل عمران قرأ الجمهور الانجيل بكسر الهمزة وقرئ بفتحها وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ على دينه وهم الحواريون
واتباعهم رَأْفَةً اي مودة فكان يود بعضهم بعضا وَرَحْمَةً يتراحمون بها وقيل هذا اشارة الى انهم
امروا في الانجيل بالصلح وترك ايذاء الناس فالان الله قلوبهم لذلك بخلاف اليهود الذين قست قلوبهم
وحرفوا الكلم عن مواضعه واصل الرافة اللين والرحمة الشفقة وقيل الرافة اشد الرحمة وَرَهْبَانِيَّةً
ٱبْتَدَعُوهَا اي وابتدعوا رهبانية ابتدعوها فالنصب على الاشتغال وليس بمعطوفة على ما قبلها وقيل
معطوفة على ما قبلها اي جعلنا في قلوبهم رافة ورحمة ورهبانية مبتدعة من عند انفسهم والاول
اولى ورجحه ابو علي الفارسي والزمخشري وابو البقاء وجماعة الا ان هؤلاء يقولون انه اعراب المعتزلة
وذلك انهم يقولون ما كان من فعل الانسان فهو مخلوق له فالرافة والرحمة لما كانتا من فعل الله نسب
خلقهما اليه والرهبانية لما لم تكن من فعل الله تعالى بل من فعل العبد يستقل بفعلها نسب ابتداعها
اليه والرهبانية بفتح الراء وضمها وقد قرئ بهما وهي بالفتح الخوف من الرهب وبالضم منسوبة الى الرهبان و
ذلك لانهم غلوا في العبادة وحملوا على انفسهم المشقات في الامتناع من المطعم والمشرب والمنكح و
الملبس وتعلقوا بالكهوف والصوامع والغيران والديرة لان ملوكهم غيروا وبدلوا وبقي منهم نفر قليل
فترهبوا وتبتلوا ذكر معناه الضحاك وقتادة وغيرهما وانما خصت بذكر الابتداع لان الرافة والرحمة
في القلب امر غريزي لا تكسب للانسان فيه بخلاف الرهبانية فانها من افعال البدن وللانسان
فيها تكسب مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ صفة ثانية لرهبانية او مستانفة مقررة لكونها مبتدعة من جهة
انفسهم والمعنى ما فرضناها عليهم إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ الاستثناء منقطع اي ما كتبناها نحن
عليهم راسا ولكن ابتدعوها ابتغاء رضوان الله والى هذا ذهب قتادة وجماعة وقيل متصل
اي ما كتبناها عليهم لشيء من الاشياء الا لابتغاء مرضاة الله ويكون كتب بمعنى قضى وهذا قول
مجاهد وقال الزجاج معناه لم نكتب عليهم شيئا البتة قال ويكون الا ابتغاء رضوان الله بدلا من الهاء

والالف في كتبناها والمعنى ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا اي لم
يرعوا هذه الرهبانية التي ابتدعوها من جهة انفسهم وما قاموا بها حق القيام بل ضيعوها وكفروا
بدين عيسى وضموا اليها التثليث ودخلوا في دين الملوك الذين غيروا وبدلوا وتركوا الترهب ولم يبق على
دين عيسى الا قليل منهم وهم المرادون بقوله فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ الذي يستحقونه
بالايمان وذلك لانهم امنوا بعيسى وثبتوا على دينه حتى آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم لما بعثه الله وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ
فَاسِقُونَ اي خارجون عن الايمان بما امروا ان يؤمنوا به ووجه الذم لهم على تقدير ان الاستثناء
منقطع انهم قد كانوا الزموا انفسهم الرهبانية معتقدين انها طاعة وان الله يرضاها فكان تركها
وعدم رعايتها حق الرعاية يدل على عدم مبالاتهم بما يعتقدونه دينا واما على القول بان الاستثناء
متصل وان التقدير ما كتبناها عليهم لشيء من الاشياء الا ليبتغوا بها رضوان الله بعد ان وفقناهم
لابتداعها فوجه الذم ظاهر وعن ابن مسعود في الآية قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الله قلت
لبيك يارسول الله ثلاث مرات قال هل تدري اي عرى الاسلام اوثق قلت الله ورسوله اعلم قال افضل
الناس افضلهم عملا اذا فقهوا في دينهم يا عبد الله هل تدري اي الناس اعلم قلت الله ورسوله اعلم قال
فان اعلم الناس ابصرهم بالحق اذا اختلف الناس وان كان مقصرا بالعمل وان كان يزحف على استه واختلف
من كان قبلنا على ثنتين وسبعين فرقة نجى منها ثلث وهلك سائرها فرقة وازرت الملوك وقاتلتهم
على دين الله ودين عيسى بن مريم وفرقة لم تكن لهم طاقة على موازرة الملوك فاقاموا بين ظهراني قومهم فدعوهم
الى دين الله ودين عيسى فقتلتهم الملوك ونشرتهم بالمناشير وفرقة لم تكن لهم طاقة بموازرة الملوك ولا بالمقام
معهم فساحوا في الجبال وترهبوا فيها وهم الذين قال الله ورهبانية ابتدعوها الى قوله فآتينا الذين
آمنوا منهم اجرهم وهم الذين آمنوا بي وصدقوني وكثير منهم فاسقون هم الذين جحدوني وكفروا بي
اخرجه عبد بن حميد وابو يعلى وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب وغيرهم
عن ابن عباس قال كانت ملوك بعد عيسى بدلت التوراة والانجيل فكان منهم مؤمنون يقرؤن
التوراة والانجيل فقيل لملوكهم ما نجد شيئا اشد من شتم يشتمناه هؤلاء انهم يقرؤن ومن لم يحكم بما
انزل الله فاولئك هم الكافرون ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون ومن لم يحكم بما انزل
الله فاولئك هم الفاسقون مع ما يعيبوننا به من اعمالنا في قراءتهم فادعوهم فليقرؤا كما نقرأ وليؤمنوا

كما امنا فدعاهم فجمعهم وعرض عليهم القتل او ليتركوا قراءة التوراة والانجيل الاّ ما بدلوا منهما فقالوا ما تريدون الى ذلك دعونا فقالت طائفة منهم ابنوا لنا اسطوانة ثم ارفعونا اليها ثم اعطونا شيئاً نرفع به طعامنا وشرابنا ولا نرد عليكم وقالت طائفة دعونا نسيح في الارض ونهيم ونأكل مما تأكل الوحوش ونشرب مما تشرب فان قدرتم علينا في ارضكم فاقتلونا وقالت طائفة منهم ابنوا لنا دوراً في الفيافي ونحتفر الآبار ونحرث البقول فلا نرد عليكم ولا نمر بكم وليس احد من القبائل الاّ له حميم فيهم ففعلوا ذلك فانزل الله رهبانية ابتدعوها الآية وقال الآخرون ممن تعبد من اهل الشرك وفني من فني منهم قالوا نتعبد كما تعبد فلان ونسيح كما ساح فلان ونتخذ دوراً كما اتخذ فلان وهم على شركهم لا علم لهم بايمان الذين اقتدوا بهم فلما بعث الله النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبق منهم الا قليل انحط صاحب الصومعة من صومعته وجاء السياح من سياحته وصاحب الدير من ديره فآمنوا به وصدقوه فقال الله يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله الآية اخرجه النسائي وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه وغيرهم وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان لكل امة رهبانية ورهبانية هذه الامة الجهاد في سبيل الله اخرجه احمد وابو يعلى والبيهقي في الشعب ثم امر الله سبحانه المؤمنين بالرسل المتقدمين بالتقوى والايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فقال يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ بترك ما نهاكم عنه وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ محمد صلى الله عليه وسلم يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ اي نصيبين ضعفين بسبب ايمانكم برسوله بعد ايمانكم بمن قبله من الرسل قال ابن عباس اي اجرين بايمانهم بعيسى عليه السلام وتصديقهم والتوراة والانجيل وبايمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وتصديقهم ولا يبعد ان يثابوا على دينهم السابق وان كان منسوخاً ببركة الاسلام وقيل الخطاب للنصارى الذين كانوا في عصره صلى الله عليه وسلم واصل الكفل الحظ والنصيب وقد تقدم الكلام على تفسيره في سورة النساء قال ابو موسى الاشعري رضي الله عنه قال كفلين ضعفين وهي بلسان الحبشة وقال ابن عمر الكفل ثلثمائة جزء وخمسون جزءاً من رحمة الله وعن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثة لهم اجران رجل من اهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم والعبد المملوك الذي ادى حق مواليه وحق الله ورجل كانت عنده امة يطأها فأدبها فاحسن تاديبها وعلمها فاحسن تعليمها ثم اعتقها فتزوجها فله اجران اخرجه الشيخان وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ يعني على الصراط كما قال نورهم يسعى بين ايديهم وقيل النور هو القرآن وقيل هو الهدى والبيان اي يجعل لكم سبيلاً

واضحا في الذين يهتدون به ويغفر لكم ما سلف من ذنوبكم قبل الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم
والله غفور رحيم اي بليغ المغفرة والرحمة لئلا يعلم اهل الكتاب اي التوراة واللام متعلقة بما تقدم
من الامر بالايمان والتقوى اي اتقوا وآمنوا يؤتكم كذا لكي يعلم الذين لم يتقوا ولا آمنوا من اهل
الكتاب ولا في لئلا زائدة قاله الفراء والاخفش وغيرهما ان لا يقدرون على شيء اي ليعلم اهل الكتاب انهم لا يقدرون
على ان ينالوا شيئا من فضل الله الذي تفضل به على من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ولا يقدرون على دفع
ذلك الفضل الذي تفضل الله به على المستحقين له ولا يتمكنون من نيله لانهم لم يؤمنوا برسوله وهو مشروط
بالايمان به وقيل الضمير للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله تعالى عنهم ولا غير مزيدة والمعنى لئلا يعتقد
اهل الكتاب انه لا يقدر النبي والمؤمنون على شيء من فضل الله الذي هو عبارة عما اوتوه والاول اولى
وجملة وان الفضل بيد الله معطوفة على الجملة التي قبلها اي ليعلموا انهم لا يقدرون وليعلموا ان الفضل
يؤتيه من يشاء من عباده والظاهر انه مستانف وقيل هو خبر ثان عن الفضل والله ذو الفضل
العظيم جملة مقررة لمضمون ما قبلها والمراد بالفضل هنا ما تفضل به على الذين اتقوا وآمنوا برسوله
من الاجر المضاعف وقال الكلبي هو رزق الله وقيل نعم الله التي لا تحصى وقيل هو الاسلام

ع

سورة المجادلة ثنتان وعشرون آية وهي مدنية

قال القرطبي في قول الجميع الا رواية عن عطاء ان العشر الاول منها مدني وباقيها مكي وقال الكلبي نزلت
جميعها بالمدينة غير قوله ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم نزلت بمكة وقال ابن عباس نزلت بالمدينة
وعن ابن الزبير مثله والمجادلة بكسر الدال كما ذكره السعد في حواشي الكشاف وفي الشهاب بفتح الدال و
وكسرها والثاني هو المعروف كما في الكشف وهذه السورة اول النصف الثاني من القرآن باعتبار عدد السور
فهي الثامنة والخمسون منها وهي اول العشر الاخير من القرآن باعتبار عدد اجزائه وليس فيها آية الا و
فيها ذكر الجلالة مرة او مرتين او ثلاثا وجملة ما فيها من الجلالات خمس وثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها

اي تراجعك الكلام في شأنه اي باجاب قولها ومطلوبها بان انزل حكم الظهار على ما يوافق مطلوبها وعلى هذا فقد للتحقيق ومن قال انها للتقريب والتوقع فلم يلاق المعنى وقد سمع باظهار الدال وادغامها في السين قراءتان سبعيتان وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ اي تظهر ما بها من المكروه والفاقة والوحدة والمجادلة هذه الكائنة منها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان كلما قال لها قد حرمت عليه قالت والله ما ذكر طلاقا ثم تقول اشكو الى الله فاقتي ووحدتي وان لي صبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الي جاعوا وجعلت ترفع راسها الى السماء وتقول اللهم اني اشكو اليك فهذا معنى قوله وتشتكي الى الله قال الواحدي قال المفسرون نزلت هذه الاية في خولة بنت ثعلبة وزوجها اوس بن الصامت وكان به لمم فاشتد به لممه ذات يوم فظاهر منها ثم ندم على ذلك وكان الظهار طلاقا في الجاهلية وقيل هي خولة بنت حكيم وقيل اسمها جميلة والاول اصح وقيل هي بنت خويلد قال الماوردي انها نسبت تارة الى ابيها وتارة الى جدها واحدهما ابوها والاخر جدها فهي خولة بنت ثعلبة بن خويلد روي ان عمر بن الخطاب مر بها في زمن خلافته وهو على حمار والناس حوله فاستوقفته ووعظته فقيل له اتقف لهذه العجوز هذا الموقف فقال اتدرون من هذه العجوز هي خولة بنت ثعلبة سمع الله قولها من فوق سبع سموات ايسمع رب العالمين قولها ولا يسمعه عمر وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ مستانفة جارية مجرى التعليل لما قبلها اي والله يعلم تراجعكما في الكلام من حاور اذا راجع او حور اذا رجع او جملة حالية وهو بعيد وقد اخرج ابن ماجة والحاكم وصححه والبيهقي وغيرهم عن عايشة قالت تبارك الذي وسع سمعه كل شيء اني لاسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى علي بعضه وهي تشتكي زوجها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تقول يا رسول الله اكل شبابي ونثرت له بطني حتى اذا كبر سني وانقطع ولدي ظاهر مني اللهم اني اشكو اليك قالت فما برحت حتى نزل جبريل بهؤلاء الايات قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وهو اوس بن الصامت إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ يسمع كل مسموع ويبصر كل مبصر ومن جملة ذلك ما جادلتك به هذه المرأة اخرج احمد وابو داود وابن المنذر والطبراني والبيهقي من طريق يوسف بن عبد الله قال حدثتني خولة بنت ثعلبة قالت فيّ والله وفي اوس بن الصامت انزل الله صدر سورة المجادلة قالت كنت عنده وكان شيخا كبيرا قد ساء خلقه فدخل علي يوما فراجعته بشيء فغضب فقال انت علي كظهر امي ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعة ثم دخل علي فاذا هو يريدني عن نفسي قلت كلا والذي نفس خولة بيده

ف٥ من عدم النفقة لفقرها وسل النفقة الفروع لمن اذ ذاك واجبة على الاصول كما اشار اليه القاري ذكره الصنادوي ذو الفقار احمد سلمه الله الاحد

لا تصل الي وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فينا ثم جئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فما برحت حتى نزل القرآن فتغشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يتغشاه ثم سري عنه فقال لي يا خولة قد انزل الله فيك وفي صاحبك ثم قرأ علي قد سمع الى قوله عذاب اليم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مريه فليعتق رقبة قلت يا رسول الله ما عنده ما يعتق قال فليصم شهرين متتابعين قلت والله انه لشيخ كبير ما به من صيام قال فليطعم ستين مسكينا وسقا من تمر قلت والله ما ذاك عنده قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانا سأعينه بعرق من تمر فقلت وانا يا رسول الله سأعينه بعرق آخر فقال قد اصبت واحسنت فاذهبي فتصدقي به عنه ثم استوصي بابن عمك خيرا قالت ففعلت وفي الباب احاديث ثم بين سبحانه شأن الظهار في نفسه وذكر حكمه بطريق الاستيناف فقال ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ﴾ بضم الياء وتخفيف الظاء وكسر الهاء وقرأ الجمهور يظهرون بالتشديد مع فتح حرف المضارعة وقرئ يظّاهرون بفتح الياء وتشديد الظاء وزيادة الف وقد تقدم مثل هذا في سورة الاحزاب وقرئ يتظاهرون وكلها سبعيات ومعنى الظهار شرعا ان يقول لامرأته انت علي كظهر امي وانت مني او معي او عندي كظهر امي ولا خلاف في كون هذا ظهارا واختلفوا اذا قال انت علي كظهر ابنتي او اختي او غير ذلك من ذوات المحارم فذهب جماعة منهم ابو حنيفة ومالك الى انه ظهار وبه قال الحسن والنخعي والزهري والاوزاعي والثوري وقال جماعة منهم قتادة والشعبي انه لا يكون ظهارا بل يختص الظهار بالام وحدها واختلفت الرواية عن الشافعي فروي عنه كالقول الاول وكالقول الثاني واصل الظهار مشتق من الظهر وهو لغة العلو وليس هو من ظهر الانسان واختلفوا اذا قال لامرأته انت علي كرأس امي او يدها او رجلها او نحو ذلك هل يكون ظهارا ام لا وهكذا اذا قال انت علي كامي ولم يذكر الظهر والظاهر انه اذا قصد بذلك الظهار كان ظهارا وروي عن ابي حنيفة انه اذا شبهها بعضو من امه يحل له النظر اليه لم يكن ظهارا وروي عن الشافعي انه لا يكون الظهار الا في الظهر وحده واختلفوا اذا شبه امرأته باجنبية فقيل يكون ظهارا وقيل لا والكلام في هذا مبسوط في كتب الفروع منكم اي حال كونهم منكم ايها العرب وفي هذا توبيخ لهم وتهجين لعادتهم لان الظهار كان خاصا بالعرب ومن ايمان جاهليتهم دون سائر الامم ﴿مِّن نِّسَائِهِم﴾ يعني يحرمون زوجاتهم كتحريم الله عليهم ظهور امهاتهم يقولون لهن انتن كظهور امهاتنا ﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ﴾ ليس ما نساؤهم بامهاتهم فذلك كذب بحت منهم وانه منكر وزور وفي هذا توبيخ للمظاهرين وتبكيت لهم

قرأ الجمهور امهاتهم بالنصب على اللغة الحجازية في اعمال ما عمل ليس وقرئ بالرفع على عدم الاعمال وهي لغة
نجد وبني اسد ثم بين لهم سبحانه امهاتهم على الحقيقة فقال إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ
اي ما امهاتهم الا النساء اللاتي ولدنهم يريد ان الامهات على الحقيقة الوالدات والمرضعات ملحقات
بالوالدات بواسطة الرضاع وكذا ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيادة حرمتهن واما الزوجات فابعد
شيء من الامومة فلهذا اراد سبحانه في توبيخهم وتقريعهم فقال وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ
وَزُورًا اي وان المظاهرين ليقولون بقولهم هذا قطيعا من القول ينكره الشرع والزور الكذب
الباطل المحرف عن الحق وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ اي بليغ العفو والمغفرة اذ جعل الكفارة عليهم مخلصة
لهم عن هذا القول المنكر ولما ذكر سبحانه الظهار اجمالا ووبخ فاعليه شرع في تفصيل احكامه فقال
وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ اي والذين يقولون ذلك القول المنكر الزور ويمتنعون بهذا
اللفظ من جماعهن ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا اي الى ما قالوا بالتدارك والتلافي كما في قوله ان
تعودوا لمثله اي الى مثله قال الاخفش لما قالوا والى ما قالوا يتعاقبان قال الحمد لله الذي هدانا
لهذا وقال فاهدوهم الى صراط الجحيم وقال بان ربك اوحى لها وقال واوحي الى نوح وقال الفراء اللام
بمعنى عن والمعنى ثم يرجعون عما قالوا ويريدون الوطء وقال الزجاج المعنى ثم يعودون الى ارادة الجماع
من اجل ما قالوا واختلف اهل العلم في تفسير العود المذكور على اقوال الاول انه العزم على الوطء
وبه قال العراقيون ابو حنيفة واصحابه وروي عن مالك وقيل هو الوطء نفسه وبه قال الحسن وروي
ايضا عن مالك وقيل هو ان يمسكها زوجة بعد الظهار مع القدرة على الطلاق وبه قال الشافعي وقيل
هو الكفارة والمعنى انه لا يستبيح وطأها الا بكفارة وبه قال الليث بن سعد وروي عن ابي حنيفة وقيل
هو تكرير الظهار بلفظه وبه قال اهل الظاهر وروي عن بكير بن الاشج وابي العالية والفراء والمعنى ثم يعودون
الى قول ما قالوا وقيل المعنى يعودون اليه بالنقض والرفع والازالة والى هذا الاحتمال ذهب اكثر المجتهدين
وقيل معنى العود السكوت عن الطلاق بعد الظهار وقيل العود الندم اي يندمون فيرجعون الى الالفة
قال ابن عباس في الآية هو الرجل يقول لامرأته انت علي كظهر امي فاذا قال ذلك فليس يحل له ان يقربها بنكاح
ولا غيره حتى يكفر بعتق رقبة فان لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا والمس النكاح
فان لم يستطع فاطعام ستين مسكينا وان هو قال لها انت علي كظهر امي ان فعلت كذا فليس يقع في ذلك

عليها ارتجعي بعتق فان [illegible] فلا يقربها حتى يكفر ولا يقع في الظهار طلاق فتحرير رقبة اي فالواجب عليهم اعتاق رقبة يقال حررته اي جعلته حرا والظاهر انها تجزئ اي رقبة كانت وقيل يشترط ان تكون مؤمنة كالرقبة في كفارة القتل وبالاول قال ابو حنيفة واصحابه وبالثاني قال مالك والشافعي واشترط ايضا سلامتها من كل عيب ولم يجز المدبر وام الولد والمكاتب الذي ادى شيئا قال الاخفش الاية فيها تقديم وتاخير والمعنى والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما كانوا عليه من الجماع فتحرير رقبة لما قالوا اي فعليهم تحرير رقبة من اجل ما قالوا فالجار في قوله لما قالوا متعلق بالمحذوف الذي هو خبر المبتدء وهو فعليهم من قبل ان يتماسا المراد بالتماس هنا الجماع وبه قال الجمهور فلا يجوز للمظاهر الوطي حتى يكفر وقيل ان المراد به الاستمتاع بالجماع او اللمس والنظر الى الفرج بشهوة وبه قال مالك وهو احد قولي الشافعي ذلكم اي الحكم المذكور توعظون به اي تؤمرون او تنزجرون به عن ارتكاب الظهار فان الغرامات مزاجر عن تعاطي الجنايات وفيه بيان لما هو المقصود من شرع الكفارة قال الزجاج معنى الاية ذلكم التغليظ في الكفارة توعظون به اي ان غلظ الكفارة وعظ لكم حتى تتركوا الظهار لان الحكم بالكفارة دليل على ارتكاب الجناية فيجب ان تتعظوا بهذا الحكم حتى لا تعودوا الى الظهار وتخافوا عقاب الله عليه والله بما تعملون خبير لا يخفى عليه شيء من اعمالكم فهو مجازيكم عليها قال ابن عباس اتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني ظاهرت من امرأتي فرايت بياض خلخالها في ضوء القمر فوقعت عليها قبل ان اكفر فقال النبي صلى الله عليه وسلم الم يقل الله من قبل ان يتماسا قال قد فعلت يا رسول الله قال امسك عنها حتى تكفر واخرج ابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة والحاكم والبيهقي عن ابن عباس ان رجلا قال يا رسول الله اني ظاهرت من امراتي فوقعت عليها من قبل ان اكفر فقال وما حملك على ذلك قال رايت خلخالها في ضوء القمر قال فلا تقربها حتى تفعل ما امرك الله ثم ذكر سبحانه حكم العاجز عن الكفارة فقال فمن لم يجد الرقبة في ملكه ولا تمكن من قيمتها فصيام اي فعليه صيام شهرين متتابعين متواليين لا يفطر فيهما فان افطر استانف ان كان الافطار لغير عذر وان كان لعذر من مرض او سفر فقال سعيد بن المسيب والحسن وعطاء بن ابي رباح وعمرو بن دينار والشعبي والشافعي ومالك انه يبني ولا يستانف وقال ابو حنيفة انه يستانف وهو مروي عن الشافعي ومعنى من قبل ان يتماسا ما تقدم قريبا فلو وطئ ليلا او نهارا عمدا او خطأ استانف

وبه قال ابو حنيفة ومالك وقال الشافعي لا يستأنف اذا وطئ ليلا لانه ليس محلا للصوم والاول
اولى فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ صيام شهرين متتابعين فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا اي فعليه ان يطعم
ستين مسكينا لكل مسكين مدان وهما نصف صاع وبه قال ابو حنيفة واصحابه قال الشافعي وغيره
لكل مسكين مد واحد من غالب قوت البلد والظاهر من الآية ان يطعمهم حتى يشبعوا مرة
واحدة او يدفع اليهم ما يشبعهم ولا يلزمه ان يجمعهم مرة واحدة بل يجوز له ان يطعم بعض
الستين في يوم وبعضهم في يوم آخر عن ابي هريرة ثلاث فيه مد كفارة اليمين وكفارة الظهار وكفارة
الصيام ذَٰلِكَ اي ما تقدم من البيان وتعليم الاحكام والتنبيه عليها او قع او فعلنا ذلك لِتُؤْمِنُوا
بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وتعملوا بشرايعه التي شرعها لكم وتصدقوا ان الله امر بها او لتطيعوا الله ورسوله في
الاوامر والنواهي وتقفوا عند حدود الشرع ولا تتعدوها ولا تعودوا الى الظهار الذي هو منكر من
القول وزور اخرج احمد وابو داؤد والترمذي وحسنه وابن ماجة والحاكم وصححه وغيرهم
عن سلمة بن صخر الانصاري قال كنت رجلا قد اوتيت من جماع النساء ما لم يؤت غيري فلما دخل
رمضان ظاهرت من امرأتي حتى ينسلخ رمضان فرقا من ان اصيب منها في ليلي فاتتابع في ذلك
ولا استطيع ان انزع حتى يدركني الصبح فبينما هي تخدمني ذات ليلة اذا انكشف لي منها شيء فوثبت
عليها فلما اصبحت غدوت على قومي فاخبرتهم خبري فقلت انطلقوا معي الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاخبره بامري فقالوا لا والله لا نفعل نتخوف ان ينزل فينا القرآن او يقول فينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم مقالة يبقى علينا عارها ولكن اذهب انت فاصنع ما بدا لك قال فخرجت فاتيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاخبرته خبري فقال انت بذاك قلت انا بذاك قال انت بذاك قلت انا بذاك قال انت
بذاك قلت انا بذاك وها انا ذا فامض في حكم الله فاني صابر لذلك قال اعتق رقبة فضربت عنقي بيدي
فقلت لا والذي بعثك بالحق ما اصبح املك غيرها قال فصم شهرين متتابعين فقلت هل اصابني
ما اصابني الا في الصيام قال فاطعم ستين مسكينا قلت والذي بعثك بالحق لقد بتنا ليلتنا هذه
وحشا ما لنا عشاء قال اذهب الى صاحب صدقة بني زريق فقل له فليدفعها اليك فاطعم عنك منها
وسقا ستين مسكينا ثم استعن بسائرها عليك وعلى عيالك فرجعت الى قومي فقلت وجدت عندكم
الضيق وسوء الرأي ووجدت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم السعة والبركة امر لي بصدقتكم فادفعوها

الى ان فدفعوها اليه وتلك أي الاحكام المذكورة في الظهار والكفارة حدود الله فلا تجاوزوا حدوده
التي حدها لكم فانه قد بين لكم ان الظهار معصية وان كفارته المذكورة توجب العفو والمغفرة وللكافرين
الذين لا يقفون عند حدود الله ولا يعملون بما حده الله لعباده وسماه كفرا تغليظا وتشديدا عذاب
أليم وهو عذاب جهنم يوم القيامة ولما ذكر سبحانه المؤمنين الواقفين عند حدوده ذكر المحادين
فقال إن الذين يحادون الله ورسوله المحادة المشاقة والمعاداة والمخالفة ومثله قوله إن الذين
يشاقون الله ورسوله قال الزجاج المحادة ان تكون في حد يخالف صاحبك فهي كناية عن المعاداة لكونها
لازمة لها واصلها الممانعة ومنه الحديد ومنه الحداد للبواب والمحادون هم اهل مكة فان هذه
الآية وردت في غزوة الاحزاب وهي في السنة الرابعة وقيل في الخامسة والمقصود منها البشارة لرسول
الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بان اعداءهم المتحزبين القادمين عليهم كبتوا اي يكبتوا ويذلوا
ويتفرق جمعهم وعبر عن المستقبل بلفظ الماضي تنبيها على تحقق وقوعه وقيل المعنى على المضي
وذلك ما وقع للمشركين يوم بدر فان الله كبتهم بالقتل والاسر والقهر كما كبت الذين من قبلهم
اي اخذلوا واخزوا يقال كبت الله فلانا اذا اذله والمردود بالذل يقال له مكبوت قال المقاتل اخزوا
كما اخزي الذين من قبلهم من اهل الشرك وكذا قال قتادة وقال ابو عبيدة والاخفش اهلكوا وقال
ابن زيد عذبوا وقال السدي لعنوا وقال الفراء اغيظوا يوم الخندق والمراد بمن قبلهم كفار الامم الماضية
المعادين لرسل الله وقد أنزلنا آيات بينات اي والحال انا قد انزلنا آيات واضحات فيمن حاد الله و
رسله من الامم المتقدمة وقيل المراد الفرائض التي انزلها الله سبحانه وقيل هي المعجزات الدالة على صدق
الرسول وللكافرين بكل ما يجب الايمان به فتدخل الآيات المذكورة هنا دخولا اوليا عذاب مهين يهين
صاحبه ويذله ويذهب بعزه يوم يبعثهم الله جميعا اي اذكر يوم يبعثهم مجتمعين في حالة واحدة
او يبعثهم كلهم لا يبقى منهم احد غير مبعوث فينبئهم اي فيخبرهم بما عملوا في الدنيا من الاعمال
القبيحة اما ببيان صدورها عنهم توبيخا لهم وتكميلا للحجة عليهم او بتصويرها في صورة قبيحة هائلة على رؤس الاشهاد
تخجيلا لهم وتشهيرا لحالهم وتشديدا للعذاب بهم أحصاه الله مستأنفة جواب سؤال مقدر كانه قيل
كيف ينبئهم بذلك مع كثرته واختلاف انواعه فقيل احصاه الله جميعا ولم يفته منه شيء و
الحال انهم قد نسوه ولم يحفظوه والله على كل شيء شهيد تذييل مقرر لاحصائه تعالى اي لا يخفى على

شيء من الاشياء بل هو مطلع وناظر ثم اكد سبحانه بيان كونه عالما بكل شيء فقال أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ اي الم تعلم ان علمه محيط بما فيهما بحيث لا يخفى عليه شيء مما فيهما مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ ثَلٰثَةٍ مستانفة لتقرير شمول علمه وسعته واحاطته بكل المعلومات قرأ الجمهور يكون بالتحتية وقرئ بالفوقية وكان على القرائتين تامة ومن مزيدة للتاكيد والنجوى السرار يقال قوم نجوى اي ذو نجوى وهي مصدر والمعنى ما يوجد من تناجي ثلثة او من ذوي نجوى ويجوز ان تطلق النجوى على الاشخاص المتناجين قال الفراء ثلثة نعت للنجوى فانخفضت وان شئت اضفت نجوى اليها ولو نصبت على اضمار فعل جاز إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ اي بالعلم يعني يعلم نجواهم كانه حاضر معهم ومشاهدهم كما تكون نجواهم معلومة عند الرابع الذي يكون معهم كذا في الخازن والسعود والجمل التي بعد الا في موضع نصب على الحال يعني ما يوجد شيء من هذه الاشياء الا في حال من هذه الاحوال فالاستثناء مفرغ من اعم الاحوال وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ اي جاعلهم ستة من حيث انه يشاركهم في الاطلاع على تلك النجوى وتخصيص العددين بالذكر لان اغلب عادات المتناجين ان يكونوا ثلثة او خمسة او كانت الواقعة التي هي سبب النزول في متناجين كانوا ثلثة في موضع وخمسة في موضع او لان العدد الفرد اشرف من الزوج لان الله تعالى وتر يحب الوتر فخصهما بالذكر تنبيها على انه لابد من رعاية الامور الالهية في جميع الامور قال الفراء والعدد غير مقصود لانه سبحانه مع كل عدد قل او كثر يعلم السر والجهر لا تخفى عليه خافية وَلَا أَدْنَىٰ مِنْ ذٰلِكَ اي ولا اقل من العدد المذكور كالواحد والاثنين وَلَا أَكْثَرَ منه كالستة والسبعة إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ اي مصاحب لهم بعلمه يعلم ما يتناجون به لا يخفى عليه شيء منه قرأ الجمهور اكثر بالثاء وبالجر بالفتح عطفا على لفظ نجوى وقرئ بالباء الموحدة وبالرفع عطفا على محل نجوى قال الواحدي قال المفسرون ان المنافقين واليهود كانوا يتناجون فيما بينهم ويوهمون المؤمنين انهم يتناجون فيما يسوءهم فيحزنون لذلك فلما طال ذلك وكثر شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فامرهم ان لا يتناجوا دون المسلمين فلم ينتهوا وعادوا الى مناجاتهم فانزل الله هذه الايات أَيْنَ مَا كَانُوا اي معناه احاطة علمه بكل تناج يكون معهم في اي مكان من الامكنة ولو كانوا تحت الارض فان علمه بالاشياء ليس لقرب مكان حتى يتفاوت بقرب الامكنة وبعدها ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ اي يخبرهم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيٰمَةِ من قبيح اعمالهم تبكيتا والزاما للحجة

إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ لا يخفى عليه شيء كائنا ما كان أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ هؤلاء هم من تقدم ذكرهم من المنافقين واليهود وصيغة المضارع للدلالة على تمكن عودهم وتجدده واستحضار صورته العجيبة قال مقاتل كان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين اليهود موادعة فاذا مر بهم الرجل من المؤمنين تناجوا بينهم حتى يظن المؤمن شرا فنهاهم الله فلم ينتهوا فنزلت وقال ابن زيد كان الرجل يأتي النبي صلى الله عليه وسلم فيسأله الحاجة ويناجيه والارض يومئذ حرب فيتوهمون انه يناجيه في حرب او بلية او امر مهم فيفزعون لذلك وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ قرأ الجمهور يتناجون بوزن يتفاعلون لقوله فيما بعد اذا تناجيتم فلا تتناجوا وقرئ ينتجون بوزن يفتعلون وحكى سيبويه ان تفاعلوا وافتعلوا يأتيان بمعنى واحد نحو تخاصموا واختصموا وتقاتلوا واقتتلوا ومعنى الاثم ما هو اثم في نفسه كالكذب والظلم والعدوان ما فيه عدوان على المؤمنين وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ اي مخالفته وقرئ معصيات بالجمع وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهاهم عن النجوى فعصوه وعادوا اليها وقيل المعنى يوصي بعضهم بعضا بمعصية الرسول رسمت معصية هذه والتي بعدها بالتاء المجرورة واذا وقف عليها ابو عمرو وابن كثير والكسائي يقفون بالهاء غير ان الكسائي يقف بالامالة على اصله والباقون يقفون بالتاء على الرسم واتفقوا في الوصل على التاء وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ قال القرطبي ان المراد بها اليهود كانوا يأتون النبي صلى الله عليه وسلم فيقولون السام عليك يريدون بذلك السلام ظاهرا وهم يعنون الموت باطنا فيقول النبي صلى الله عليه وسلم عليكم وفي رواية وعليكم قال ابن عمر في الآية يريدون بذلك شتمه فنزلت هذه الآية اخرج احمد والبخاري والترمذي وصححه عن انس ان يهوديا اتى النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فقال السام عليكم فرد عليه القوم فقال هل تدرون ما قال هذا قالوا الله اعلم سلم يا نبي الله قال لا ولكنه قال كذا وكذا ردوه عليه فردوه قال قلت السام عليكم قال نعم قال النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك اذا سلم عليكم احد من اهل الكتاب فقولوا عليك قال عليك ما قلت واخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن عائشة قالت دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود فقالوا السام عليك يا ابا القاسم فقالت عائشة عليكم السام واللعنة فقال يا عائشة ان الله لا يحب الفحش ولا التفحش قلت الا تسمعهم يقولون السام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم او ما سمعتني اقول وعليكم فانزل الله هذه الآية وعن ابن عباس قال كان المنافقون يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حيوه سام عليك [illegible]

وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ اي فيما بينهم اذا خرجوا من عنده لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ اي هلا يعذبنا بذلك ولو كان محمد نبيا لعذبنا بما يتضمنه قولنا من الاستخفاف به وقيل المعنى لو كان نبيا لاستجيب له فينا حيث يقول وعليكم ووقع علينا الموت عند ذلك حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ عذابا يَصْلَوْنَهَا يدخلونها فَبِئْسَ الْمَصِيرُ اي المرجع وهو جهنم يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ لما فرغ سبحانه عن نهي اليهود والمنافقين عن النجوى ارشد المؤمنين اذا تناجوا فيما بينهم ان لا يتناجوا بما فيه اثم وعدوان ومعصية لرسول الله كما يفعله اليهود والمنافقون ظاهرا او بزعمهم واختار هذا الزجاج وقيل الخطاب لليهود والمعنى يا ايها الذين آمنوا بموسى والاول اولى قال ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا بعث سرية واغزاها التقى المنافقون فانغضوا رؤسهم الى المسلمين ويقولون قتل القوم واذا رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم تناجوا واظهروا الحزن فبلغ ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم ومن المسلمين فانزل الله هذه الآية واخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كنتم ثلثة فلا يتناجي اثنان دون الثالث فان ذلك يحزنه واخرج ابن ابي حاتم وابن مردويه عن ابي سعيد قال كنا نتناوب رسول الله صلى الله عليه وسلم يطرقه امر او يامر بشيء فكثر اهل النوب والمحتسبون ليلة حتى اذا كنا انداء نتحدث فخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل فقال ما هذه النجوى الم تنهوا عن النجوى قلنا انا كنا يا رسول الله في ذكر المسيح فرقا منه فقال الا اخبركم بما هو اخوف عليكم عندي منه قلنا بلى يا رسول الله قال الشرك الخفي ان يقوم الرجل يعمل لمكان رجل قال ابن كثير هذا اسناد غريب فيه بعض الضعفاء ثم بين لهم ما يتناجون به في انديتهم وخلواتهم فقال وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى اي بالطاعة وترك المعصية ثم خوفهم سبحانه فقال وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ فيجزيكم باعمالكم ثم بين سبحانه ان ما يفعله اليهود والمنافقون من التناجي هو من جهة الشيطان فقال إِنَّمَا النَّجْوَى يعني بالاثم والعدوان ومعصية الرسول صلى الله عليه وسلم مِنَ الشَّيْطَانِ لا من غيره اي من تزيينه وتسويله لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا اي لاجل ان يوقعهم في الحزن بما يحصل لهم من التوهم انها في مكيدة يكادون بها قرأ نافع بضم الياء وكسر الزاي من احزنه والباقون بفتح الياء وضم الزاي من حزن يقال حزنه واحزنه بمعنى قال في القاموس واحزنه جعله حزينا والقراءة الاولى اشد في المعنى على ما في القاموس وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ

شَيْئًا اي وليس الشيطان او التناجي الذي يزينه الشيطان او الحزن بضار المؤمنين شيئا من الضرر
إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ اي بمشيته وقيل بعلمه وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ اي يكلون امرهم اليه و
يفوضونه في جميع شئونهم ويستعيذون بالله من الشيطان ولا يبالون بما يزينه من النجوى يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا وقرئ تفاسحوا فِي الْمَجَالِسِ قرئ على الجمع لان لكل واحد منهم
مجلسا وقرئ على الافراد قال الواحدي والوجه التوحيد في المجلس لانه يعني به مجلس النبي صلى الله
عليه وسلم والتفسح التوسع يقال فسح له يفسح فسحا اي وسع له ومنه قولهم بلد فسيح امر الله سبحانه المؤمنين
بحسن الادب بعضهم مع بعض بالتوسعة في المجلس وعدم التضايق فيه قال قتادة ومجاهد و
الضحاك كانوا يتنافسون في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم فامروا ان يفسح بعضهم لبعض وقال ابن عباس والحسن
ويزيد بن ابي حبيب هو مجلس القتال اذا اصطفوا للحرب كانوا يتشاحون على الصف الاول ولا يوسع
بعضهم لبعض رغبة في القتال لتحصيل الشهادة وقال القرطبي الصحيح في الآية انها عامة في كل مجلس
اجتمع فيه المسلمون للخير والاجر سواء كان مجلس حرب او ذكر او يوم جمعة وان كل واحد احق بمكانه
الذي يسبق اليه ولكن يوسع لاخيه مالم يتأذى بذلك فيخرجه الضيق عن موضعه ويؤيد هذا حديث
ابن عمر عند مسلم والبخاري وغيرهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه
ولكن تفسحوا او توسعوا فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ اي فوسعوا يوسع الله لكم في الجنة او في كل ما تريدون
التفسح فيه من المكان والرزق وغيرهما عن مقاتل بن حيان قال انزلت هذه الآية يوم جمعة ورسول
الله صلى الله عليه وسلم يومئذ في الصفة وفي المكان ضيق وكان يكرم اهل بدر من المهاجرين والانصار فجاء
ناس من اهل بدر وقد سبقوا الى المجالس فقاموا حيال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السلام عليك
ايها النبي ورحمة الله وبركاته فرد النبي صلى الله عليه وسلم ثم سلموا على القوم بعد ذلك فردوا عليهم فقاموا
على ارجلهم ينتظرون ان يوسع لهم فعرف النبي صلى الله عليه وسلم ما يحملهم على القيام فلم يفسح لهم فشق ذلك عليه
فقال لمن حوله من المهاجرين والانصار من غير اهل بدر قم انت يا فلان فلم يزل يقيمهم بعدة النفر
الذين هم قيام من اهل بدر فشق ذلك على من اقيم من مجلسه فنزلت هذه الآية وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا
فَانْشُزُوا اقرأ الجمهور بكسر الشين فيهما وقرئ بضمها فيهما وهما لغتان بمعنى واحد وقراءتان سبعيتان
يقال نشز اي ارتفع ينشِز وينشُز كعكف يعكِف ويعكُف قال جمهور المفسرين اي انهضوا الى الصلوة

والجهاد وعمل الخير وبه قال ابن عباس وقال عكرمة ومجاهد والضحاك كان رجال يتثاقلون عن الصلوة فقيل لهم اذا نودي للصلوة فانهضوا وقال الحسن انهضوا الى الحرب وقال ابن زيد هذا في بيت النبي صلى الله عليه وسلم كان كل رجل منهم يحب ان يكون اٰخر عهده بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال الله تعالى واذا قيل انشزوا عن النبي فانشزوا فان له حوائج فلا تمكثوا وقال قتادة المعنى اجيبوا اذا دعيتم الى امر بمعروف والظاهر حمل الاٰية على العموم والمعنى اذا قيل لكم انهضوا الى امر من الامور الدينية فانهضوا ولا تتثاقلوا ولا يمنع من حملها على العموم كون السبب خاصا فان الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما هو الحق ويندرج ما هو سبب النزول فيها اندراجا اوليا وهكذا يندرج ما فيه السياق وهو التفسيح في المجلس اندراجا اوليا وقد قدمنا ان معنى نشز ينشز ارتفع وهكذا نشز ينشز اذا تنحى عن موضعه ومنه امرأة ناشزة اي متنحية عن زوجها واصله مأخوذ من النشز وهو ما ارتفع من الارض وتنحى ذكر معناه النحاس يَرْفَعِ اللّٰهُ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا مِنْكُمْ بطاعتهم لله ولرسوله وامتثال اوامره في قيامهم من مجالسهم وتوسعتهم لاخوانهم في الدنيا والاٰخرة بتوفير نصيبهم فيهما وَالَّذِيْنَ اُوْتُوا الْعِلْمَ اي ويرفع العالمين منهم خاصة دَرَجٰتٍ عالية في الكرامة في الدنيا والثواب في الاٰخرة ومعنى الاٰية انه يرفع الذين اٰمنوا على من لم يؤمن درجات ويرفع الذين اوتوا العلم على الذين اٰمنوا درجات فمن جمع بين الايمان والعلم رفعه الله بايمانه درجات ثم رفعه بعلمه درجات وقيل المراد بالذين اٰمنوا من الصحابة وكذلك بالذين اوتوا العلم وقيل المراد بالذين اوتوا العلم الذين قرؤا القراٰن والاولى حمل الاٰية على العموم في كل مؤمن وكل صاحب علم من علوم الدين من جميع اهل هذه الملة ولا دليل يدل على تخصيص الاٰية بالبعض دون البعض وقال ابن عباس في الاٰية يرفع الله الذين اوتوا العلم من المؤمنين على الذين لم يؤمنوا درجات وقال ابن مسعود على الذين اٰمنوا ولم يؤتوا العلم درجات وعنه قال ما خص الله العلماء في شيء من القراٰن ما خصهم في هذه الاٰية وعنه انه كان اذا قرأها قال يا ايها الناس افهموا هذه الاٰية لترغبكم في العلم والاحاديث والاخبار والاٰيات في فضيلة العلم والعلماء كثيرة جدا قد ذكرنا طرفا منها في كتابنا الحطة في ذكر الصحاح الستة وَاللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُوْنَ خَبِيْرٌ لا يخفى عليه شيء من اعمالكم من خير وشر فهو مجازيكم بالخير خيرا وبالشر شرا يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْۤا اِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُوْلَ المناجاة المسارة والمعنى اذا اردتم مسارة

الرسول في امر من امور كم فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ اي مسارتكم له صَدَقَةً في هذا الامر تعظيم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانتفاع الفقراء والنهي عن الافراط في السؤال والميز بين المخلص والمنافق ومحب الدنيا والآخرة واختلف في انه للندب او للوجوب قال الحسن نزلت بسبب ان قوما من المسلمين كانوا يستخلون النبي صلى الله عليه وسلم يناجونه فظن بهم قوم من المسلمين انهم ينتقصونهم في النجوى فشق عليهم ذلك فامرهم الله بالصدقة عند النجوى ليقطعهم عن استخلائه وقال زيد بن اسلم نزلت بسبب ان المنافقين واليهود كانوا يناجون النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون انه اذن يسمع كل ما قيل له وكان لا يمنع احدا من مناجاته وكان ذلك يشق على المؤمنين لان الشيطان كان يلقي في انفسهم انهم ناجوه بان جموعا اجتمعت لقتاله فانزل الله الآية الاولى فلم ينتهوا فانزل الله هذه الآية فانتهى اهل الباطل لانهم لم يقدموا بين يدي نجواهم صدقة وشق ذلك على اهل الايمان وامتنعوا عن النجوى لضعف كثير منهم عن الصدقة فخفف الله عنهم بالآية التي بعد هذه وقال ابن عباس ان المسلمين اكثروا المسائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شقوا عليه فاراد الله ان يخفف عن نبيه صلى الله عليه وسلم فلما قال ذلك ضن كثير من الناس وكفوا عن المسألة فانزل الله بعد هذا ءاشفقتم الآية فوسع الله عليهم ولم يضيق وعن علي بن ابي طالب قال لما نزلت هذه الآية قال لي النبي صلى الله عليه وسلم ما ترى دينارا قلت لا يطيقونه قال فنصف دينار قلت لا يطيقونه قال فكم قلت شعيرة قال انك لزهيد قال فنزلت ءاشفقتم الآية فبي خفف الله عن هذه الامة والمراد بالشعيرة هنا وزن شعيرة من ذهب وليس المراد الواحدة من حب الشعير اخرجه الترمذي وحسنه وابو يعلى وابن جرير وابن المنذر وغيرهم وعنه رضي الله تعالى عنه قال ما عمل بها احد غيري حتى نسخت وما كانت الا ساعة يعني آية النجوى وعنه رضي الله تعالى عنه قال ان في كتاب الله لآية ما عمل بها احد قبلي ولا يعمل بها احد بعدي آية النجوى كان عندي دينار فبعته بعشرة دراهم فكنت كلما ناجيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قدمت بين يدي نجواي درهما ثم نسخت فلم يعمل بها احد فنزلت ءاشفقتم الآية وعن سعد بن ابي وقاص قال نزلت آية النجوى فقدمت شعيرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انك لزهيد فنزلت الآية الاخرى ءاشفقتم الآية ذَٰلِكَ اي ما تقدم من تقديم الصدقة بين يدي النجوى خَيْرٌ لَّكُمْ لما فيه من طاعة الله وتقييد الامر يكون امتثاله خيرا لهم

من عدم الامتثال وَأَطْهَرُ لنفوسهم ويدل على انه امر ندب لا امر وجوب قوله فَإِنْ لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللّٰهَ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ يعني من كان منكم لا يجد تلك الصدقة المامور بها بين يدي النجوى فلا حرج عليه في النجوى بدون صدقة ءَاَشْفَقْتُمْ اَنْ تُقَدِّمُوْا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوٰىكُمْ صَدَقٰتٍ اي اخفتم الفقر والعيلة لان تقدموا ذلك والاشفاق الخوف من المكروه والاستفهام للتقرير وقيل المعنى ابخلتم وجمع الصدقات هنا باعتبار المخاطبين قال مقاتل بن حيان انما كان ذلك عشر ليال ثم نسخ وقال الكلبي ما كان ذلك الا ليلة واحدة وقيل انه لم يبق الا يوما واحدا وقال قتادة ما كان الا ساعة من نهار فَاِذْ لَمْ تَفْعَلُوْا ما امرتم به من الصدقة بين يدي النجوى وهذا خطاب لمن وجد ما يتصدق به ولم يفعل واما من لم يجد فقد تقدم الترخيص له بقوله فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم واذ على بابها في الدلالة على المضي وقيل هي بمعنى اذا وقيل بمعنى ان وَتَابَ اللّٰهُ عَلَيْكُمْ رجع بكم عنها بان رخص لكم في الترك فَاَقِيْمُوا الصَّلٰوةَ وَاٰتُوا الزَّكٰوةَ وَاَطِيْعُوا اللّٰهَ وَرَسُوْلَهٗ المعنى اذا وقع منكم التثاقل عن امتثال الامر بتقديم الصدقة بين يدي النجوى فاثبتوا على اقامة الصلوة المفروضة وايتاء الزكوة الواجبة وطاعة الله ورسوله فيما تؤمرون به وتنهون عنه وَاللّٰهُ خَبِيْرٌ بِمَا تَعْمَلُوْنَ لا يخفى عليه من ذلك شيء فهو مجازيكم وليس في الآية ما يدل على تقصير المؤمنين في الامتثال اما الفقراء منهم فالامر واضح واما من عداهم

ع

من المؤمنين فانهم لم يكلفوا بالمناجاة حتى تجب عليهم الصدقة بل امروا بالصدقة اذا ارادوا المناجاة فمن ترك المناجاة فلا يكون مقصرا في امتثال الامر بالصدقة على ان في الآية ما يدل على ان الامر للندب كما قدمنا وقد استدل بهذه الآية من قال بانه يجوز النسخ قبل امكان الفعل وليس هذا الاستدلال بصحيح فان النسخ لم يقع الا بعد امكان الفعل وايضا قد فعل ذلك البعض فتصدق بين يدي نجواه كما تقدم اَلَمْ تَرَ اِلَى الَّذِيْنَ تَوَلَّوْا قَوْمًا اي والوهم قال قتادة هم المنافقون تولوا اليهود وقال السدي ومقاتل هم اليهود تولوا المنافقين ويدل على الاول قوله غَضِبَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ فان المغضوب عليهم هم اليهود ويدل على الثاني قوله مَا هُمْ مِّنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ فان هذا صفة المنافقين كما قال الله فيهم مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء والجملة في محل نصب على الحال او هي مستانفة وَيَحْلِفُوْنَ عَلَى الْكَذِبِ اي انهم مسلمون او يحلفون انهم ما نقلوا الاخبار الى اليهود والجملة داخلة في حكم التعجيب من فعلهم وَالحال انَّهُمْ يَعْلَمُوْنَ بطلان ما حلفوا عليه انه كذب لا حقيقة له

فيمينهم يمين غموس لاعذر لهم فيها أَعَدَّ اللّٰهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا بسبب هذا التولي والحلف على
الباطل إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ من الاعمال القبيحة في الزمان الماضي وهي حكاية مايقال لهم في
الاخرة اِتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً قرأ الجمهور ايمانهم جمع يمين وهي ماكانوا يحلفون عليه من الكذب
بانهم من المسلمين توقيا من القتل فجعلوا هذه الايمان وقاية وسترة دون دمائهم كما يجعل
المقاتل الجنة وقاية له من ان يصاب بسهم او سيف او رمح وقرئ ايمانهم بكسر الهمزة اي جعلوا تصديقهم
جنة من القتل فامنت السنتهم من خوف القتل ولم تؤمن قلوبهم فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ اي منعوا
الناس عن الاسلام بسبب ما يصدر عنهم من التثبيط وتهوين امر المسلمين وتضعيف شوكتهم
وقيل المعنى فصدوا المسلمين عن قتالهم بسبب اظهارهم الاسلام فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ اي يهينهم
ويخزيهم قيل هو تكرير لقوله اعد الله لهم عذابا شديدا للتاكيد وقيل الاول عذاب القبر و
هذا عذاب الاخرة ولا وجه للقول بالتكرير فان العذاب الموصوف بالشدة غير العذاب الموصوف بالاهانة
لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِّنَ اللّٰهِ اي من عذابه شَيْئًا من الاغناء قال مقاتل
قال المنافقون ان محمدا صلى الله عليه وسلم يزعم انه ينصر يوم القيامة لقد شقينا اذا فوالله لننصرن يوم القيامة
بانفسنا واموالنا واولادنا ان كانت قيامة فنزلت الاية أُولٰئِكَ الموصوفون بما ذكر أَصْحٰبُ النَّارِ
لا يفارقونها هُمْ فِيهَا خٰلِدُونَ لا يخرجون منها يَوْمَ اي اذكر يوم يَبْعَثُهُمُ اللّٰهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ
لَهُ اي لله يوم القيامة على انهم مؤمنون كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ في الدنيا وهذا من شدة شقاوتهم ومزيد
الطبع على قلوبهم فان يوم القيامة قد انكشفت الحقائق وصارت الامور معلومة بضرورة المشاهدة
فكيف يجترون على ان يكذبوا في ذلك الموقف ويحلفون على الكذب عن ابن عباس قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم جالسا في ظل حجرة من حجره وعنده نفر من المسلمين فقال انه سياتيكم انسان فينظر
اليكم بعين شيطان فاذا جاءكم فلا تكلموه فلم يلبثوا ان طلع عليهم رجل ازرق فقال حين رآه
علام تشتمني انت واصحابك فقال ذرني آتيك بهم فحلفوا واعتذروا فانزل الله هذه الاية والتي بعدها
وَيَحْسَبُونَ في الاخرة أَنَّهُمْ بتلك الايمان الكاذبة عَلٰى شَيْءٍ مما يجلب نفعا او يدفع ضرا كما كانوا
يحسبون ذلك في الدنيا أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكٰذِبُونَ اي الكاملون في الكذب المتهالكون عليه البالغون
الى حد لم يبلغ اليه غيرهم باقدامهم عليه وعلى الايمان الفاجرة في موقف القيامة بين يدي الرحمن

اِسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ اي غلب عليهم واستعلى واستولى قال المبرد استحوذ على الشيء حواه و احاط به وقيل قوي عليهم وقيل جمعهم يقال احوذ الشيء اي جمعه وضم بعضه الى بعض والمعاني متقاربة لانه اذا جمعهم فقد قوي عليهم وغلبهم واستعلى عليهم واستولى واحاط بهم فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللّٰهِ اي اوامره والعمل بطاعاته فلم يذكروا شيئاً من ذلك وقيل زواجره في النهي عن معاصيه وقيل لم يذكروه بقلوبهم ولا بالسنتهم والاشارة بقوله أُولٰئِكَ الى المذكورين الموصوفين بتلك الصفات حِزْبُ الشَّيْطَانِ اي جنوده واتباعه ورهطه أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ اي الكاملون في الخسران حتى كان خسران غيرهم بالنسبة الى خسرانهم ليس بخسران لانهم باعوا الجنة بالنار والهدى بالضلال وكذبوا على الله وعلى نبيه وحلفوا الايمان الفاجرة في الدنيا و الآخرة وفوتوا على انفسهم النعيم المؤبد وعرضوها للعذاب المخلد إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ قد تقدم معنى المحادة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم في اول هذه السورة والجملة تعليل لما قبلها أُولٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ اي اولئك المحادون لله ولرسوله المتصفون بتلك الصفات المتقدمة من جملة من اذله الله من الامم السابقة واللاحقة لا ترى احدا اذل منهم لانهم لما حادوا الله ورسوله صاروا من الذل بهذا المكان قال عطاء يريد الذل في الدنيا والخزي في الآخرة كَتَبَ اللّٰهُ مستانفة لتقرير ما قبلها من كونهم في الاذلين اي كتب في اللوح المحفوظ وقضى في سابق علمه وقال الفراء كتب بمعنى قال لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي بالحجة والسيف او باحدهما قال الزجاج معنى غلبة الرسل على نوعين من بعث منهم بالحرب فهو غالب في الحرب ومن بعث منهم بغير الحرب فهو غالب بالحجة إِنَّ اللّٰهَ قَوِيٌّ على نصر اوليائه عَزِيزٌ غالب لاعدائه لا يغلبه احد لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ايمانا صحيحا بحيث يتوافق فيه الظاهر مع الباطن يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل من يصلح له اي يحبون ويوالون من عادى الله ورسوله وشاقهما اي من المتمنعان تجد قوما من المؤمنين يوالون المشركين والمراد انه لا ينبغي ان يكون ذلك وحقه ان يمتنع ولا يوجد بحال مبالغة في التوصية بالتصلب في مجانبة اعداء الله ومباعدتهم والاحتراز عن مخالطتهم ومعاشرتهم عن عبد الله بن شوذب قال جعل والد ابي عبيدة بن الجراح ينعت الاصنام لابي عبيدة يوم بدر وجعل ابو عبيدة يحيد عنه فلما اكثر قصده ابو عبيدة فقتله فنزلت هذه الآية اخرجه البيهقي في سننه

والحاكم والطبراني وغيرهم ثم زاد ذلك تاكيدا وتشديد بقوله وَلَوْ كَانُوْا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيْرَتَهُمْ اي ولو كانوا المحادون لله ورسوله آباء الموادين الخ فان الايمان يزجرعن ذلك ويمنع منه ورعايته اقوى من رعاية الابوة والبنوة والاخوة والعشيرة وقدم اولا الآباء لانهم يجب طاعتهم ثم ثنى بالابناء لانهم اعلق بالقلب ثم ثلث بالاخوان لانهم الناصرون بمنزلة العضد من الذراع ثم ربع بالعشيرة لان بها يستغاث وعليها يعتمد افاده السمين روي عن ابن مسعود في هذه الآية قال ولو كان آباءهم يعني ابا عبيدة قتل اباه عبد الله بن الجراح او ابناءهم يعني ابا بكر الصديق دعا ابنه يوم بدر للبراز وقال يا رسول الله دعني اكن في الرعلة الاولى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم متعنا بنفسك يا ابا بكر واخوانهم يعني مصعب بن عمير قتل اخاه عبيد بن عمير يوم احد او عشيرتهم يعني عمر بن الخطاب قتل خاله العاصي بن هشام بن المغيرة يوم بدر وعلي بن ابي طالب وحمزة و ابو عبيدة قتلوا بني عمهم عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر أُولَٰئِكَ يعني الذين لا يوادون من حاد الله ورسوله كَتَبَ اي خلق وقيل اثبت وقيل جعل وقيل حكم والمعاني متقاربة فِي قُلُوْبِهِمُ الْإِيْمَانَ وانما ذكر القلوب لانها موضعه وَأَيَّدَهُمْ بِرُوْحٍ مِّنْهُ اي قواهم بنصر منه على عدوهم في الدنيا وسمي نصره لهم روحا لان به يحيى امرهم وقيل هو نور القلب وقال الربيع بن انس بالقرآن والحجة وقيل بجبريل وقيل بالايمان وقيل برحمة وقيل بكتاب انزله فيه حياة لهم وقيل بروح من الايمان على انه في نفسه روح لحياة القلوب وعن الثوري انه قال كانوا يرون انها نزلت فيمن يصحب السلطان وعن عبد العزيز بن ر ولحانه لقيه المنصور فلما اعرفه هرب منه وتلاها وقيل هي في اهل البدع الاهواء وَيُدْخِلُهُمْ جَنّٰتٍ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰرُ خٰلِدِيْنَ فِيْهَا على الابد رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ اي قبل اعمالهم وافاض عليهم آثار رحمته العاجلة والآجلة وَرَضُوْا عَنْهُ اي فرحوا بما اعطاهم عاجلا وآجلا أُولٰٓئِكَ حِزْبُ اللّٰهِ اي جنده الذين يمتثلون اوامره و يقاتلون اعداءه وينصرون اولياءه وفي اضافتهم الى الله سبحانه تشريف لهم وتعظيم وتكريم وتفخيم أَلَآ إِنَّ حِزْبَ اللّٰهِ هُمُ الْمُفْلِحُوْنَ اي الفائزون بسعادة الدنيا والآخرة الكاملون في الفلاح الذين صار فلاحهم هو الفرد الكامل حتى كان فلاح غيرهم بالنسبة الى فلاحهم كلا فلاح

* * * * * * *

ع ٩

سورة الحشر اربع وعشرون اية وهي مدنية

قال القرطبي في قول الجميع قال ابن عباس نزلت بالمدينة وعن ابن الزبير مثله واخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس سورة الحشر قال سورة النضير يعني انها نزلت في بني النضير كما صرح بذلك في بعض الروايات

بسم الله الرحمن الرحيم

سَبَّحَ لِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ اي نزهه فاللام مزيدة وفي الاتيان بما تغليب للاكثر وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ في ملكه وصنعه هُوَ الَّذِيٓ اَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ اَهْلِ الْكِتٰبِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِاَوَّلِ الْحَشْرِ اللام متعلقة باخرج وهي لام التوقيت كقوله لدلوك الشمس اي عند اول الحشر قال الزمخشري وهي كاللام في قوله تعالى يا ليتني قدمت لحياتي وقولك جئت لوقت كذا والمراد من اهل الكتاب هم بنو النضير وهم رهط من اليهود من ذرية هارون نزلوا المدينة في فتن بني اسرائيل بانتظار امرهم لمحمد صلى الله عليه وسلم فغدروا بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد ان عاهدوه وصاروا عليه مع المشركين فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رضوا بالجلاء قال الكلبي كانوا اول من اجلي من اهل الذمة من جزيرة العرب ثم اجلي اخرهم في زمن عمر بن الخطاب وكان جلاؤهم اول حشر من المدينة واخر حشر اجلاء عمر لهم وقيل ان اول الحشر اخراجهم من حصونهم الى خيبر واخر الحشر اخراجهم من خيبر الى الشام وقيل اخر الحشر هو حشر جميع الناس الى ارض المحشر وهي الشام قال عكرمة من شك ان المحشر يوم القيامة في الشام فليقرأ هذه الاية وان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم اخرجوا قالوا الى اين قال الى ارض المحشر وعن ابن عباس مثله قال ابن العربي للحشر اول واوسط واخر فالاول اجلاء بني النضير والاوسط اجلاء اهل خيبر والاخر حشر يوم القيامة وقد اجمع المفسرون على ان هؤلاء المذكورين في الاية هم بنو النضير ولم يخالف في ذلك الا الحسن البصري فقال هم بنو قريظة وهو غلط فان بني قريظة ما حشروا بل قتلوا بحكم سعد بن معاذ لما رضوا بحكمه فحكم عليهم بان يقاتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم وتغنم اموالهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة ارقعة وقد اخرج الحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن عائشة قالت كانت

غزوة بني النضير وهم طائفة من اليهود على راس ستة اشهر من وقعة بدر وكان منزلهم ونخلهم
في ناحية المدينة فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على الجلاء وعلى ان لهم ما اقلت الابل من
الامتعة والاموال الا الحلقة يعني السلاح فانزل الله فيهم سبح لله الى قوله لاول الحشر فقاتلهم النبي صلى الله
عليه وسلم حتى صالحهم على الاجلاء واجلاهم الى الشام وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء فيما خلا وكان الله
قد كتب عليهم ذلك ولولا ذلك لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبا واما قوله لاول الحشر فكان اجلاؤهم
ذلك اول حشر في الدنيا الى الشام وعن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم قد حاصرهم حتى بلغ منهم كل
مبلغ فاعطوه ما اراد منهم فصالحهم على ان يحقن لهم دماءهم وان يخرجهم من ارضهم واوطانهم
وان يسيروا الى اذرعات الشام وجعل لكل ثلاثة منهم بعيرا وسقاء مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا هذا خطاب
للمسلمين اي ما ظننتم ايها المسلمون ان بني النضير يخرجون من ديارهم لعزتهم ومنعتهم وذلك
انهم كانوا اهل حصون مانعة وعقار ونخيل واسعة واهل عدد وعدة وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ
اللَّهِ اي ظن بنو النضير ان حصونهم تمنعهم من باس الله والفرق بين هذا التركيب وبين النظم الذي
جاء عليه ان في تقديم الخبر على المبتدء دليلا على فرط وثوقهم بحصانتها ومنعها اياهم وفي تصيير
ضميرهم اسما لان واسناد الجملة اليه دليل على اعتقادهم في انفسهم انهم في عزة ومنعة لا يبالى
معها باحد يتعرض لهم او يطمع في معازتهم وليس ذلك في قولك وظنوا ان حصونهم تمنعهم فَأَتَاهُمُ
اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا اي اتاهم امر الله من حيث لم يخطر ببالهم انه ياتيهم امره من تلك الجهة
وهو انه سبحانه امر نبيه صلى الله عليه وسلم بقتالهم واجلائهم وكانوا لا يظنون ذلك وقيل هو قتل
رئيسهم كعب بن الاشرف قاله ابن جريج والسدي وابو صالح فان قتله اضعف شوكتهم وقيل ان الضمير
في اتاهم ولم يحتسبوا للمؤمنين اي فاتاهم نصر الله من حيث لم يحتسبوا والاول اولى لقوله
وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فان قذف الرعب كان في قلوب بني النضير لا في قلوب المسلمين
قال اهل اللغة الرعب الخوف الذي يرعب الصدر اي يملأه وقذفه اثباته فيه قيل وكان قذف الرعب
في قلوبهم بقتل سيدهم كعب بن الاشرف والاولى عدم تقييده بذلك وتفسيره به بل المراد بالرعب
الذي قذفه الله في قلوبهم هو الذي ثبت في الصحيح من قوله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر
يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ وذلك انهم لما ايقنوا بالجلاء حسدوا المسلمين

ان يسكنوا منازلهم فجعلوا يخربونها من داخل والمسلمون من خارج قال قتادة والضحاك كان المؤمنون
يخربون من خارج ليدخلوا واليهود من داخل ليبنوا به ما خرب من حصنهم قال الزجاج معنى تخريبها
بايدي المؤمنين انهم عرضوها لذلك قرأ الجمهور يخربون بالتخفيف وقرئ بالتشديد قال ابو عمرو انما اخترت
القراءة بالتشديد لان الاخراب ترك الشيء خرابا وانما خربوها بالهدم وليس ما قاله بمسلم فان التخريب والاخراب
عند اهل اللغة بمعنى واحد قال سيبويه ان معنى فعلت وافعلت يتعاقبان نحو اخربته وخربته وافرحته وفرحته
واختار الاولى ابو عبيد وابو حاتم قال الزهري وابن زيد وعروة بن الزبير لما صالحهم النبي صلى الله عليه وسلم على ان لهم
ما اقلت الابل كانوا يستحسنون الخشبة او العمود فيهدمون بيوتهم ويحملون ذلك على ابلهم ويخرب
المؤمنون باقيها وقال الزهري ايضا يخربون بيوتهم بنقض المعاهدة وايدي المؤمنين بالمقاتلة
وقال ابو عمرو بايديهم في تركهم لها وبايدي المؤمنين في اجلائهم عنها والجملة مستانفة لبيان ما
فعلوه او في محل نصب على الحال **فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ** اي اتعظوا وتدبروا وانظروا فيما نزل بهم
يا اهل العقول والبصائر قال الواحدي ومعنى الاعتبار النظر في الامور ليعرف بها شيء آخر من جنسها
قال النسفي وهو دليل على جواز القياس انتهى والاعتبار ماخوذ من العبور والمجاوزة من شيء الى شيء
ولهذا سميت العَبرة عَبرة لانها تنتقل من العين الى الخد وسمي علم التعبير لان صاحبه ينقل من
المتخيل الى المعقول وسميت الالفاظ عبارات لانها تنقل المعاني من لسان القائل الى عقل المستمع ويقال
السعيد من اعتبر بغيره لانه ينقل بواسطة عقله من حال ذلك الغير الى حال نفسه ومن لم يعتبر
بغيره اعتبر به غيره ولهذا قال القشيري الاعتبار هو النظر في حقائق الاشياء وجهات دلالتها
ليعرف بالنظر فيها شيء آخر **وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ** اي الخروج من اوطانهم على ذلك الوجه
مع الاهل والولد وقضى به عليهم **لَعَذَّبَهُمْ** بالقتل والسبي **فِي الدُّنْيَا** كما فعل ببني قريظة والجلاء
مفارقة الوطن يقال جلا بنفسه جلاء واجلاه غيره اجلاء والفرق بين الجلاء والاخراج وان كان معناهما
في الابعاد واحدا من جهتين احداهما ان الجلاء ما كان مع الاهل والولد والاخراج قد يكون مع
بقاء الاهل والولد الثاني ان الجلاء لا يكون الا لجماعة والاخراج يكون لجماعة ولواحد كذا قال الماوردي
وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ مستانفة غير متعلقة بجواب لولا متضمنة لبيان ما يحصل لهم في الاخرة
من العذاب وان نجوا من عذاب الدنيا **ذَلِكَ** اي ما تقدم ذكره من الجلاء في الدنيا والعذاب في الاخرة **بِأَنَّهُمْ**

شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ اي بسبب المشاقة منهم لله ولرسوله بعدم الطاعة والميل مع الكفار ونقض العهد
وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ اقتصر ههنا على مشاقة الله لان مشاقته مشاقة لرسوله قرأ
الجمهور يشاق بالادغام وقرئ يشاقق بالفك مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ
اللَّهِ قال مجاهد ان بعض المهاجرين وقعوا في قطع النخل فنهاهم بعضهم وقالوا انما هي مغانم المسلمين
وقال الذين قطعوا بل هو غيظ للعدو فنزل القرآن بتصديق من نهى عن قطع النخل وتحليل من قطعه من
الاثم فقال ما قطعتم من لينة قال قتادة والضحاك انهم قطعوا من نخيلهم واحرقوا ست نخلات وقال محمد بن
اسحق انهم احرقوا نخلة وقطعوا نخلة فقال بنو النضير وهم اهل الكتاب يا محمد الست تزعم انك نبي تريد
الصلاح أفمن الصلاح قطع النخل وحرق الشجر وهل وجدت فيما انزل عليك اباحة الفساد في الارض
فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجد المسلمون في انفسهم فنزلت الآية ومعنى الآية اي شيء قطعتم
من ذلك او تركتم فباذن الله والضمير في تركتموها عائد الى ما لتفسيره باللينة وكذا في قوله قائمة على اصولها
ومعنى اصولها انها باقية على ما هي عليه وقد اختلف المفسرون في تفسير اللينة فقال الزهري ومالك وسعيد
بن جبير وعكرمة والخليل انها النخل كله الا العجوة وقال مجاهد انها النخل كله ولم يستثن عجوة ولا غيرها وقال الثوري
هي كرام النخل وقال ابو عبيدة انها جميع الوان التمر سوى العجوة والبرني وقال جعفر بن محمد انها العجوة خاصة
وقيل هي ضرب من النخل يقال لثمره اللون ثمره اجود التمر وقال الاصمعي هي الدقل واصل اللينة لونة
فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها وجمع اللينة لين وقيل ليان وقرأ ابن مسعود ولا تركتم قوما على اصولها
اي قائمة على سوقها وقرئ على اصلها وقائما على اصوله وفي البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عمر ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم حرق نخل بني النضير وقطع وهي البويرة ولها يقول حسان رضي الله تعالى عنه
وهان على سراة بني لؤي * حريق بالبويرة مستطير * فانزل الله ما قطعتم الآية واخرج الترمذي وحسنه
والنسائي وابن ابي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس في الآية قال اللينة النخلة قال استنزلوهم من حصونهم
وامروا بقطع النخل فحاك في صدورهم فقال المسلمون قد قطعنا بعضا وتركنا بعضا فلنسألن رسول
الله صلى الله عليه وسلم هل لنا فيما قطعنا من اجر وهل علينا فيما تركنا من وزر فانزل الله ما قطعتم من لينة
الآية وفي الباب احاديث والكلام في صلح بني النضير مبسوط في كتب السير وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ اي ليذل
الخارجين عن الطاعة وهم اليهود ويغيظهم في قطعها وتركها لانهم اذا رأوا المؤمنين يتحكمون في اموالهم

كيف شاؤا من القطع والترك ازدادوا غيظا قال الزجاج وليخزي الفاسقين بان يريهم اموالهم يتحكم
فيها المؤمنون كيف احبوا من قطع وترك والتقدير وليخزي الفاسقين اذن في ذلك يدل على المحذوف
قوله فباذن الله وقد استدل بهذه الاية على ان حصون الكفار وديارهم لا باس ان تهدم وتحرق
وترمى بالمجانيق وكذلك قطع اشجارهم ونحوها وعلى جواز الاجتهاد وعلى تصويب المجتهدين والبحث
مستوفى في كتب الاصول وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ اي ما رده عليه من اموال الكفار
يقال فاء يفيء اذا رجع والضمير في منهم راجع الى بني النضير فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَ
لَا رِكَابٍ يقال وجف الفرس والبعير يجف وجفا وهو سرعة السير واوجفه صاحبه اذا حمله على
السير السريع وما في ما اوجفتم نافية والفاء جواب الشرط ان كانت ما في ما افاء الله شرطية وان كانت
موصولة فالفاء زائدة ومن في من خيل زائدة للتاكيد والركاب ما يركب من الابل خاصة قال
الرازي العرب لا يطلقون لفظ الراكب الا على راكب البعير ويسمون راكب الفرس فارسا والمعنى ان ما رد
الله على رسوله من اموال بني النضير لم تركبوا لتحصيله خيلا ولا ابلا ولم تقطعوا اليها مسافة ولا تجشمتم
لها شقة ولا لقيتم بها حربا ولا مشقة وانما كانت من المدينة على ميلين قاله الفراء فجعل الله سبحانه
اموال بني النضير لرسوله صلى الله عليه وسلم خاصة لهذا السبب فانه افتتحها صلحا واخذ اموالها وقد كان
يسئله المسلمون ان يقسم لهم فنزلت الاية اخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن عمر بن الخطاب قال كانت
اموال بني النضير مما افاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم مما لم يوجف عليه المسلمون بخيل ولا ركاب وكانت
لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة فكان ينفق على اهله منها نفقة سنة ثم يجعل ما بقي في السلاح والكراع
عدة في سبيل الله وعن ابن عباس قال جعل ما اصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكم فيه ما اراد ولم
يكن يومئذ خيل ولا ركاب يوجف بها قال والايجاف ان يوضعوا السير وهي لرسول الله فكان من ذلك
خيبر وفدك وقرى عرينة وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعمد لينبع فاتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحتواها
كلها فقال ناس هلا قسمها فانزل الله عذره فقال ما افاء الله على رسوله من اهل القرى الاية
وفي الكرخي وهذا وان كان كالغنيمة لانهم خرجوا ابدانا وقاتلوا وصالحوا لكن لقلة تعبهم اجراه الله
تعالى مجرى الفيء وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ اي سنته تعالى جارية على ان يسلطهم
على من يشاء من اعدائه تسلطا غير معتاد من غير ان يقتحموا مضايق الخطوب ويقاسوا شدائد الحروب

وفي هذا بيان أن تلك الأموال كانت خاصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم دون أصحابه لكونهم لم يوجفوا عليها بخيل ولا ركاب بل مشوا إليها مشيا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يسلط من يشاء على من أراد ويعطي من يشاء ويمنع من يشاء لا يسأل عما يفعل وهم يسألون فلا حق لكم فيه ويختص به النبي صلى الله عليه وسلم ومن ذكر معه في الآية الثانية من الأصناف الأربعة على ما كان يقسمه مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى هذا بيان لمصارف الفيء بعد بيان أنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة والتكرير لقصد التقرير والتأكيد ووضع أهل القرى موضع منهم أي من بني النضير للإشعار بأن هذا الحكم لا يختص ببني النضير وحدهم بل هو حكم على كل قرية يفتحها رسول الله صلى الله عليه وسلم صلحا ولم يوجف عليها المسلمون بخيل ولا ركاب قيل والمراد بالقرى بنو النضير وقريظة وهما بالمدينة وفدك وهي على ثلاثة أميال من المدينة وخيبر وقرى عرينة وينبع وقد تكلم أهل العلم في هذه الآية والتي قبلها هل معناهما متفق أو مختلف فقيل متفق كما ذكرنا وقيل مختلف وفي ذلك كلام طويل لأهل العلم قال ابن العربي لا إشكال أنها ثلاثة معان في ثلاث آيات أما الآية الأولى وهي قوله وما أفاء الله على رسوله منهم فهي خاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم خالصة له وهي أموال بني النضير وما كان مثلها وأما الآية الثانية وهي ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فهذا كلام مبتدأ غير الأول المستحق غير الأول وإن اشتركت هي والأولى في أن كل واحدة منهما تضمنت شيئا أفاءه الله على رسوله واقتضت الآية الأولى أنه حاصل بغير قتال واقتضت آية الأنفال وهي الآية الثالثة أنه حاصل بقتال وعريت الآية الثانية وهي ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى عن ذكر حصوله بقتال أو بغير قتال فنشأ الخلاف من ههنا فطائفة قالت هي ملحقة بالأولى وهي مال الصلح وطائفة قالت هي ملحقة بالثالثة وهي آية الأنفال والذين قالوا إنها ملحقة بآية الأنفال اختلفوا هل هي منسوخة أو محكمة هذا حاصل كلامه وقال مالك إن الآية الأولى من هذه السورة خاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم والآية الثانية هي في بني قريظة ويعني أن معناها يعود إلى آية الأنفال ومذهب الشافعي أن سبيل خمس الفيء سبيل خمس الغنيمة وأن أربعة أخماسه كانت للنبي صلى الله عليه وسلم وهي بعده لمصالح المسلمين فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ المراد بقوله لله أنه يحكم فيه بما يشاء وللرسول يكون ملكا له ولذي القربى وهم بنو هاشم وبنو المطلب لأنهم قد منعوا من الصدقة فجعل لهم حقا في الفيء قيل يكون القسمة في هذا المال على أن يكون أربعة أخماسه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وخمسه يقسم أخماسا للرسول خمس ولكل صنف

من الاصناف الاربعة المذكورة خمس وقيل يقسم اسداسا السادس سهم الله سبحانه ويصرف الى وجوه
القرب كعمارة المساجد ونحو ذلك وعن ابن عباس قال كان ما افاء الله على رسوله من خيبر نصف
لله ورسوله والنصف الآخر للمسلمين فكان الذي لله ورسوله من ذلك الكتيبة والوطيح والسلالم
ووحدة وكان الذي للمسلمين الشق والشق ثلاثة عشر سهما ونطاة خمسة اسهم ولم يقسم
رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر لاحد من المسلمين الا لمن شهد الحديبية ولم ياذن رسول الله صلى الله
عليه وسلم لاحد من المسلمين تخلف عنه عند مخرجه الحديبية ان يشهد معه خيبر الا جابر بن عبد الله
بن عمرو بن حرام الانصاري واخرج ابو داود عن عمر بن الخطاب قال كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم صفايا في
النضير وخيبر وفدك فاما بنو النضير فكانت حبسا لنوائبه واما فدك فكان لابن السبيل واما
خيبر فجزأها ثلاثة اجزاء قسم منها جزئين بين المسلمين وحبس جزأ لنفسه ولنفقة اهله فما فضل
عن نفقة اهله رده على فقراء المهاجرين قال البقاعي ومن زعم ان شيئا مما في هذه السورة نسخ بشيء
مما في سورة الانفال فقد اخطأ لان الانفال نزلت في بدر وهي قبل هذه بمدة كي لا يكون الفيء دولة بين
الاغنياء منكم دون الفقراء والدولة اسم للشيء يتداوله القوم بينهم يكون لهذا مرة ولهذا مرة قال مقاتل
المعنى انه يغلب الاغنياء الفقراء فيقسمونه بينهم قرأ الجمهور يكون بالتحتية ودولة بالنصب وقرئ بالفوقية
ودولة بالرفع اي كيلا تقع او توجد دولة وكان تامة وقرأ الجمهور دولة بضم الدال وقرئ بفتحها قال
عيسى بن عمر ويونس والاصمعي هما لغتان بمعنى واحد وقال ابو عمرو بن العلاء الدولة بالفتح الذي يتداول
من الاموال وبالضم الفعل وكذا قال ابو عبيدة الجمع المفتوح دول مثل قصعة وقصع وجمع المضموم
دول مثل غرفة وغرف وقيل بالضم في المال وبالفتح في الحرب وقيل الدالة الايام تدول مثل دارت الايام تدور
وزنا ومعنى وقيل بالفتح من الملك بضم الميم وبالضم من الملك بكسر الميم قال عمر بن الخطاب ما على وجه
الارض مسلم الا وله حق في هذا الفيء الا ما ملكت ايمانكم ثم لما بين سبحانه مصارف هذا المال امرهم بالاقتداء
برسوله فقال وما آتاكم الرسول اي ما اعطاكم من مال الغنيمة والفيء فخذوه وما نهاكم عنه اي عن
اخذه فانتهوا عنه ولا تاخذوه قال الحسن والسدي ما اعطاكم من مال الفيء فاقبلوه وما
منعكم منه فلا تطلبوه وقال ابن جريج ما اعطاكم من طاعتي فافعلوه وما نهاكم من معصيتي فاجتنبوه
والحق ان هذه الآية عامة في كل شيء ياتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم من امر او نهي او قول او فعل

ان كان السبب خاصا فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وكل شيء اتانا به من الشرع فقد اعطانا اياه واوصله
الينا وما انفع هذه الآية واكثر فائدتها قال الماوردي انه محمول على العموم في جميع اوامره ونواهيه
لا يأمر الا باصلاح ولا ينهى الا عن فساد قال المهدوي هذا يوجب ان كل ما امر به النبي صلى الله عليه وسلم امر من
الله تعالى وان كانت الآية خاصة في الغنائم فجميع اوامره ونواهيه داخلة فيها ذكره القرطبي أخرج البخاري
ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود قال لعن الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات
لخلق الله فبلغ ذلك امرأة من بني اسد يقال لها ام يعقوب فجاءت اليه فقالت بلغني انك لعنت كيت
وكيت قال ومالي لا العن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في كتاب الله قالت لقد قرأت ما بين الدفتين
فما وجدت فيه شيئا من هذا قال لئن كنت قرأته لقد وجدته اما قرأت ما آتاكم الرسول فخذوه
وما نهاكم عنه فانتهوا قالت بلى قال فانه قد نهى عنه ثم لما امرهم باخذ ما امرهم باخذه الرسول وترك
ما نهاهم عنه امرهم بتقواه وخوفهم شدة عقوبته فقال وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ فهو معاقب من
لم ياخذ ما آتاه الرسول ولم يترك ما نهاه عنه عن ابي رافع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا الفين احدكم
متكئا على اريكته ياتيه امر مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه
اخرجه ابو داود والترمذي وقال هذا حديث حسن والاريكة كل ما اتكئ عليه من سرير او فراش او منصة
او نحو ذلك وفي الباب احاديث ثم بين من له الحق في الفيء فقال لِلْفُقَرَاءِ قيل بدل من لذي القربى
وما عطف عليه قاله ابو البقاء ومقتضاه اشتراط الفقر فيه وهو مذهب الامام ابي حنيفة ومن ثم جعله
الزمخشري كذلك واطال الكلام فيه ولا يصح ان يكون بدلا من الرسول وما بعده لئلا يستلزم وصف
الرسول صلى الله عليه وسلم بالفقر وقيل التقدير لكيلا يكون دولة ولكن يكون للفقراء وقيل التقدير اعجبوا
للفقراء وبه فسر المحلي وهو موافق لمذهب امامه الشافعي واصحابه من الاستحقاق بالقرابة ولم يشترط الحاجة
فاشتراطها وعدم اعتبار القرابة يضاده ويخالفه ولان الآية نص في ثبوت الاستحقاق تشريفا لهم
فمن علله بالحاجة فوت هذا المعنى والذي يؤيد تقدير فعل التعجب كما ذكره ابو البقاء وتبعه الكواشي
مجيء قوله الم تر الى الذين نافقوا يقولون الآيات مصدرا بالم تر وهي كلمة تعجيب لكون ذكرهم جاء مقابلا
لذكر اضدادهم وقيل التقدير والله شديد العقاب للفقراء اي للكفار بسبب الفقراء وقيل هو عطف
على ما مضى بتقدير الواو كما تقول المال لزيد لعمرو لبكر الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ هاجروا الى رسول الله

صلى الله عليه وسلم رغبة في الدين ونصرة له قال قتادة هؤلاء المهاجرون هم الذين تركوا الديار والاموال
والاهلين كما قال تعالى الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ اي حيث اخرجهم كفار مكة
منها واضطروهم الى الخروج وكانوا مائة رجل قال النسفي وفيه دليل على ان الكفار يملكون بالاستيلاء
اموال المسلمين لان الله سمى المهاجرين فقراء مع انه كانت لهم ديار واموال يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ
اللَّهِ وَرِضْوَانًا اي حال كونهم يطلبون منه ان يتفضل عليهم بالرزق في الدنيا وبالرضوان في الآخرة
وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ بالجهاد للكفار بانفسهم واموالهم والمراد نصر دينه واعلاء كلمته
هذا حال مقدرة اي ناوين نصرتهما اذ وقت خروجهم لم تكن نصرة بالفعل أُولَئِكَ المتصفون
بتلك الصفات هُمُ الصَّادِقُونَ اي الكاملون في الصدق الراسخون فيه قال قتادة هم المهاجرون
الذين تركوا الديار والاموال والعشائر وخرجوا حبا لله ولرسوله واختاروا الاسلام على ما كانوا فيه من
شدة حتى ذكر لنا ان الرجل كان يعصب الحجر على بطنه ليقيم به صلبه من الجوع وكان الرجل يتخذ الحفيرة
في الشتاء ماله دثار غيرها وعن سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشروا صعاليك المهاجرين بالنور
التام يوم القيامة يدخلون الجنة قبل اغنياء الناس بنصف يوم وذلك خمسمائة سنة اخرجه
ابو داود ثم لما فرغ من مدحهم مدح الانصار بخصال حميدة فقال وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ
وهو كلام مستأنف والمراد بالدار المدينة وهي دار الهجرة ومعنى تبوءهم الدار والايمان انهم اتخذوهما مباءة اي
تمكنوا منهما تمكنا شديدا والتبوء في الاصل انما يكون للمكان ولكنه جعل الايمان مثله لتمكنهم فيه
تنزيلا للحال منزلة المحل وقيل التقدير اعتقدوا الايمان او اخلصوا الايمان كذا قال ابو علي الفارسي
او تبوءوا الدار وموضع الايمان ويجوز ان يكون تبوءوا مضمنا معنى لزموا اي لزموا الدار والايمان ومعنى
مِنْ قَبْلِهِمْ من قبل هجرة المهاجرين فلا بد من تقدير مضاف لان الانصار انما آمنوا بعد ايمان المهاجرين
وقيل من قبل المهاجرين لانهم سبقوهم في تبوء الدار واسلموا في ديارهم وآثروا الايمان وابتنوا
المساجد قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين وقد اخرج البخاري عن عمر بن الخطاب انه قال اوصي
الخليفة بعدي بالمهاجرين الاولين ان يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم حرمتهم واوصيه بالانصار
الذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم ان يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم يُحِبُّونَ مَنْ
هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وذلك انهم احسنوا الى المهاجرين واشركوهم في اموالهم ومساكنهم وَلَا يَجِدُونَ

اي لا يجد الانصار في صدورهم حاجة اي حسدا وغيظا وحزازة فالمراد بالحاجة هذه المعاني واطلاق
لفظ الحاجة عليها من اطلاق الملزوم على اللازم على سبيل الكناية لان هذه المعاني لا تنفك عن
الحاجة غالبا وفي الكلام مضاف محذوف اي لا يجدون في صدورهم مس حاجة او اثر حاجة
وكل ما يجده الانسان في صدره مما يحتاج اليه فهو حاجة مما اوتوا اي مما اوتي المهاجرون دونهم
من الفيء بل طابت انفسهم بذلك وكان المهاجرون في دور الانصار فلما غنم النبي صلى الله عليه وسلم
بني النضير دعا الانصار وشكرهم فيما صنعوا مع المهاجرين من انزالهم اياهم في منازلهم واشراكهم في
اموالهم ثم قال ان احببتم قسمت ما افاء الله علي من بني النضير بينكم وبين المهاجرين وكان المهاجرون
على ما هم عليه من السكنى في مساكنكم والمشاركة لكم في اموالكم وان احببتم اعطيتهم ذلك
وخرجوا من دياركم فرضوا بقسمة ذلك في المهاجرين وطابت انفسهم ويؤثرون على انفسهم
اي في كل شيء من اسباب المعاش والايثار تقديم الغير على النفس في حظوظ الدنيا رغبة في حظوظ
الآخرة وذلك ينشأ عن قوة اليقين ووكيد المحبة والصبر على المشقة يقال اثرته بكذا اي خصصته به و
فضلته والمعنى ويقدمون المهاجرين على انفسهم في حظوظ الدنيا ولو كان بهم خصاصة اي حاجة و
فقر والخصاصة ماخوذة من خصاص البيت وهي الفروج التي تكون فيه وقيل ماخوذة من الاختصاص
وهو الانفراد بالامر فالخصاصة الانفراد بالحاجة اخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابي هريرة قال اتى
رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اصابني الجهد فارسل الى نسائه فلم يجد عندهن شيئا
فقال الا رجل يضيف هذا الليلة رحمه الله فقال رجل من الانصار وفي رواية فقال ابو طلحة الانصاري
انا يا رسول الله فذهب به الى اهله فقال لامرأته اكرمي ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدخري شيئا قالت
والله ما عندي الا قوت الصبية قال فاذا اراد الصبية العشاء فنوميهم وتعالي فاطفئي السراج ونطوي
بطوننا الليلة لضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعلت ثم غدا الضيف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لقد
عجب الله الليلة من فلان وفلانة وانزل الله فيهما هذه الآية واخرج الحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي
في الشعب عن ابن عمر قال اهدي الى رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم راس شاة فقال ان اخي فلانا
وعياله احوج الى هذا فبعث به اليه فلم يزل يبعث به واحد الى آخر حتى تداولها اهل سبعة ابيات
حتى رجعت الى الاول فنزلت فيهم هذه الآية ومن يوق شح نفسه قرأ الجمهور يوق بسكون الواو وتخفيف القاف

حزازة بفتح الحاء المهملة والزايين المعجمتين بينهما الف

من الوقاية وقرئ بفتح الواو وتشديد القاف وقرأوا شح بضم الشين وقرئ بكسرها وهذا الكلام عام و
من شرطية ويوق فعل الشرط والشح البخل مع الحرص كذا في الصحاح وقيل الشح اشد من البخل قال مقاتل شح
نفسه حرص نفسه قال سعيد بن جبير شح النفس هو اخذ الحرام ومنع الزكوة قال ابن زيد من لم ياخذ
شيئا نهاه الله عنه ولم يمنع شيئا امره الله باداءه فقد وقي شح نفسه قال طاؤس البخل ان يبخل الانسان
بما في يده والشح ان يشح بما في ايدي الناس يحب ان يكون له ما في ايديهم بالحلال والحرام لا يقنع وقال
ابن عيينة الشح الظلم وقال الليث ترك الفرائض وانتهاك المحارم فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ جزاء الشرط
المتقدم وفيه رعاية معنى من بعد رعاية لفظها والفلاح الفوز والظفر بكل مطلوب اي الفائزون بما
ارادوا والظاهر من الاية ان الفلاح مترتب على عدم شح النفس بشيء من الاشياء التي يقبح الشح بها شرعا
من زكوة او صدقة او صلة رحم او نحو ذلك كما تفيده اضافة الشح الى النفس وعن ابن مسعود ان رجلا
قال اني اخاف ان اكون قد هلكت قال وما ذاك قال اني سمعت الله يقول ومن يوق شح نفسه فاولئك
هم المفلحون وانا رجل شحيح لا يكاد يخرج مني شيء فقال له ابن مسعود ليس ذلك بالشح ولكنه البخل ولا خير في البخل
وان الشح الذي ذكره الله في القرآن ان تاكل مال اخيك ظلما وعن ابن عمر في الاية قال ليس الشح ان يمنع
الرجل ماله ولكنه البخل وانه لشر انما الشح ان تطمح عين الرجل الى ما ليس له وعن علي بن ابي طالب قال من
ادى زكوة ماله فقد وقي شح نفسه وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما محق الاسلام محق الشح
شيء قط اخرجه ابو يعلى وابن مردويه واخرج احمد والبخاري في الادب ومسلم والبيهقي عن جابر بن عبد الله
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فان الشح اهلك من
كان قبلكم حملهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يجتمع الشح والايمان في قلب عبد ابدا رواه النسائي وفي الجامع الصغير الشحيح لا يدخل الجنة رواه
الخطيب في كتاب البخلاء عن ابن عمر وقد وردت احاديث في ذم الشح كثيرة ثم لما فرغ سبحانه من
الثناء على المهاجرين والانصار ذكر ما ينبغي ان يقوله من جاء بعدهم فقال وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن
بَعْدِهِمْ وهم التابعون باحسان الى يوم القيامة وقيل هم الذين هاجروا بعد ما قوي الاسلام و
الظاهر شمول الاية لمن جاء بعد السابقين من الصحابة المتأخر اسلامهم في عصر النبوة ومن تبعهم من
المسلمين بعد عصر النبوة الى يوم القيامة لانه يصدق على الكل انهم جاؤا بعد المهاجرين الاولين

والانصار عن سعد بن ابي وقاص قال الناس على ثلث منازل قد مضت منزلتان وبقيت منزلة فاحسن
ما انتم كائنون عليه ان تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت ثم قرأ والذين جاؤا من بعدهم الاية يقولون
رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ المراد بالاخوة هنا اخوة الدين امرهم الله ان يستغفروا
لانفسهم ولمن تقدمهم من المهاجرين والانصار قال في المصباح الاخ لامه محذوفة وهي واو وترد في
التثنية على الاشهر فيقال اخوان وفي لغة يستعمل منقوصا فيقال اخان وجمعه اخوة واخوان بكسر
الهمزة فيهما وضمها لغة وقيل جمعه بالواو والنون وعلى اخاء وزان أباء اقل والانثى اخت وجمعها اخوات
وهو جمع مؤنث سالم وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا اي غشا وحقدا وبغضا وحسدا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ
رَءُوفٌ رَحِيمٌ اي كثير الرافة والرحمة بليغهما لمن يستحق ذلك من عبادك امر الله سبحانه
بعد الاستغفار للمهاجرين والانصار ان يطلبوا من الله سبحانه ان ينزع من قلوبهم الغل للذين امنوا على
الاطلاق فيدخل في ذلك الصحابة دخولا اوليا لكونهم اشرف المؤمنين ولكون السياق فيهم فمن لم يستغفر
للصحابة على العموم ويطلب رضوان الله لهم فقد خالف ما امره الله به في هذه الاية فان وجد في قلبه
غلا لهم فقد اصابه نزغ الشيطان وحل به نصيب وافر من عصيان الله بعداوة اوليائه وخير امة نبيه
صلى الله عليه وسلم وانفتح له باب من الخذلان يفد به على نار جهنم ان لم يتدارك نفسه باللجاء الى الله سبحانه و
الاستغاثة به بان ينزع عن قلبه ما طرقه من الغل لخير القرون واشرف هذه الامة فان جاوز ما يجده
من الغل الى شتم احد منهم فقد انقاد للشيطان بزمام ووقع في غضب الله وسخطه وهذا الداء
العضال انما يصاب به من ابتلي بمعلم من الرافضة او صاحب من اعداء خير الامة الذين تلاعب بهم
الشيطان وزين لهم الاكاذيب المختلقة والاقاصيص المفتراة والخرافات الموضوعة وصرفهم عن كتاب
الله الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وعن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم المنقولة الينا
بروايات الائمة الاكابر في كل عصر من العصور فاشتروا الضلالة بالهدى واستبدلوا الخسران العظيم
بالربح الوافر وما زال الشيطان الرجيم ينقلهم من منزلة الى منزلة ومن رتبة الى رتبة حتى صاروا اعداء
كتاب الله وسنة رسوله وخير امته وصالحي عباده وسائر المؤمنين واهملوا فرائض الله وهجروا شعائر
الدين وسعوا في كيد الاسلام واهله كل السعي ورموا الدين واهله بكل حجر ومدر والله من ورائهم
محيط قالت عايشة رضي الله عنها في الاية امروا ان يستغفروا لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فسبوهم ثم قرأت هذه الاية

وقيل لسعيد بن المسيب ما تقول في عثمان وطلحة والزبير قال اقول ما قولنيه الله وتلى هذه الآية
واخرج ابن مردويه عن ابن عمر انه سمع رجلا وهو يتناول بعض المهاجرين فقرأ عليه للفقراء المهاجرين
ثم قال هؤلاء المهاجرون افمنهم انت قال لا ثم قرأ عليه والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم الآية ثم قال
هؤلاء الانصار افانت منهم قال لا ثم قرأ عليه والذين جاؤا من بعدهم الآية ثم قال افمن هؤلاء انت قال
ارجو قال ليس من هؤلاء من سب هؤلاء ولما فرغ سبحانه من ذكر الطبقات الثلث من المؤمنين ذكر ما جرى
بين المنافقين واليهود من المقاولة لتعجيب المؤمنين من حالهم فقال الم تر الى الذين نافقوا هم عبد الله
بن ابي واصحابه وقال ابن عباس رفاعة بن تابوت وعبد الله بن نبتل واوس بن قيظي واخوانهم بنو النضير
والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل من يصلح له يقولون لاخوانهم اللام لام التبليغ الذين كفروا
من اهل الكتاب مستأنفة لبيان المتعجب منه والتعبير بالمضارع لاستحضار الصورة او للدلالة على
الاستمرار وجعلهم اخوانا لهم لكون الكفر قد جمعهم وان اختلف نوع كفرهم فهم اخوان في الكفر
وقيل هو من قول بني النضير لبني قريظة والاول اولى لان بني النضير وبني قريظة هم يهود والمنافقون
غيرهم لئن اخرجتم اللام هي الموطئة للقسم وتسمى المؤذنة ايضا اي والله لئن اخرجتم من دياركم
لنخرجن معكم من ديارنا في صحبتكم وهذا جواب القسم ولا نطيع فيكم اي في شأنكم ومن اجلكم
احدا ممن يريد ان يمنعنا من الخروج معكم وان طال الزمان وهو معنى قوله ابدا وهو ظرف للنفي
لا للمنفي ثم لما وعدوهم بالخروج معهم وعدوهم بالنصرة لهم فقالوا وان قوتلتم حذف منه اللام
الموطئة وهو قليل في كلام العرب والكثير اثباتها لننصرنكم على عدوكم ثم كذبهم الله سبحانه فقال
والله يشهد انهم لكاذبون فيما وعدوهم به من الخروج معهم والنصرة لهم وفيه دليل على
صحة النبوة لانه اخبار بالغيب وقع كما اخبر وهذا مبني على تقدم نزول الآية على الواقعة وعليه يدل النظم
فان كلمة ان للاستقبال واعجاز القرآن من حيث الاخبار عن الغيب عن ابن عباس قال ان رهطا من بني
عوف بن الحارث منهم عبد الله بن ابي بن سلول ووديعة بن مالك وسويد وداعس بعثوا الى بني
النضير ان اثبتوا وتمنعوا فانا لا نسلمكم وان قوتلتم قاتلنا معكم وان اخرجتم خرجنا معكم فتربصوا ذلك
من نصرهم فلم يفعلوا وقذف الله في قلوبهم الرعب فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجليهم ويكف عن
دمائهم على ان لهم ما حملت الابل الا الحلقة فجعل فكان الرجل منهم يهدم بيته فيضعه على ظهر بعيره

فينطلق به فخرجوا الى خيبر ومنهم من سار الى الشام ثم لما اجمل سبحانه كذبهم فيما وعدوا به فصل ما
كذبوا فيه فقال لئن أخرجوا لا يخرجون معهم وهذا تكذيب للمقالة الاولى وقوله ولئن قوتلوا لا
ينصرونهم تكذيب للمقالة الثالثة واما الثانية فلم يذكر لها تكذيب في التفصيل وقد كان الامر
كذلك فان المنافقين لم يخرجوا مع من اخرج من اليهود وهم بنو النضير ومن معهم ولم ينصروا
من قوتل من اليهود وهم بنو قريظة واهل خيبر ولئن نصروهم اي جاؤا لنصرهم قاله المحلي او
لو قدر وجود نصرهم اياهم لان ما نفاه الله لا يجوز وجوده قال الزجاج معناه لو قصدوا نصر
اليهود وهذا من تمام تكذيبهم في المقالة الثالثة ليولن الادبار منهزمين ثم لا ينصرون
يعني اليهود لا يصيرون منصورين اذا انهزم ناصرهم وهم المنافقون وقيل يعني لا يصير المنافقون
منصورين بعد ذلك بل يذلهم الله ولا ينفعهم نفاقهم وقيل معنى الآية لا ينصرونهم طائعين
ولئن نصروهم مكرهين ليولن الادبار وقيل معنى لا ينصرونهم لا يدومون على نصرهم والاول
اولى ويكون من باب قوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه لانتم اشد رهبة في صدورهم
اي لانتم يا معاشر المسلمين اشد خوفا وخشية في صدور المنافقين او صدور اليهود او صدور
الجميع من الله اي من رهبة الله والرهبة هنا بمعنى المرهوبية لانها مصدر من المبني للمفعول وفيه دلالة
على نفاقهم يعني انهم يظهرون لكم في العلانية خوف الله وانتم اهيب في صدورهم منه ذلك بانهم
قوم لا يفقهون اي ما ذكر من الرهبة الموصوفة بسبب عدم فقههم بشيء من الاشياء ولو كان لهم فقه
لعلموا ان الله سبحانه هو الذي سلطكم عليهم فهو احق بالرهبة منه دونكم ثم اخبر سبحانه بمزيد
فشلهم وضعف نكايتهم فقال لا يقاتلونكم جميعا يعني لا يبرز اليهود والمنافقون مجتمعين لقتالكم
ولا يقدرون على ذلك الا في قرى محصنة بالدروب والدور والخنادق او من وراء جدر اي من
خلف الحيطان التي يستترون بها لجبنهم ورهبتهم قرأ الجمهور جدر بالجمع وقرئ جدار بالافراد
واختار الاولى ابو عبيد وابو حاتم لانها موافقة لقوله قرى محصنة وهما سبعيتان وقرئ جدر بفتح
الجيم واسكان الدال وهي لغة في الجدار بأسهم بينهم شديد اي بعضهم فظ غليظ على بعض
وقلوبهم مختلفة ونياتهم متباينة قال السدي المراد اختلاف قلوبهم حتى لا يتفقوا على امر واحد وقال
مجاهد بأسهم بينهم شديد بالكلام والوعيد لنفعلن كذا والمعنى انهم اذا انفردوا نسبوا انفسهم الى الشدة والبأس

وإذا لاقوا عدواً ذلوا وخضعوا وانهزموا وقيل المعنى أن بأسهم بالنسبة إلى أقرانهم شديد وإنما
ضعفهم بالنسبة إليكم لما قذف الله في قلوبهم من الرعب والأول أولى لقوله تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ
شَتَّىٰ فإنه يدل على أن اجتماعهم إنما هو في الظاهر مع تخالف قلوبهم في الباطن وهذا التخالف هو
البأس الذي بينهم الموصوف بالشدة والجملة حالية أو مستأنفة للإخبار بذلك والعامة على شتى
بلا تنوين لأنها ألف تأنيث وفي معنى شتى متفرقة قال مجاهد يعني اليهود والمنافقين تحسبهم جميعاً
وقلوبهم شتى أي لافتراق عقائدهم واختلاف مقاصدهم وروي عنه أيضاً أنه قال المراد المنافقون
وقال الثوري هم المشركون وأهل الكتاب قال قتادة تحسبهم جميعاً أي مجتمعين على أمر ورأي وقلوبهم
متفرقة فأهل الباطل مختلفة آراؤهم مختلفة شهادتهم سواؤهم وهم مجتمعون في عداوة
أهل الحق وقرأ ابن مسعود وقلوبهم أشت أي أشد اختلافاً قال ابن عباس في الآية هم المشركون وهذا تجسير
للمؤمنين وتشجيع لقلوبهم على قتالهم ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ أي ذلك الاختلاف والتشتت بسبب أنهم قَوْمٌ لَّا
يَعْقِلُونَ شيئاً مما فيه صلاحهم فإن تشتيت القلوب يوهن قواهم ولو عقلوا لعرفوا الحق واتبعوه
كَمَثَلِ أي أن مثل المنافقين واليهود أي بني النضير كمثل الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ من كفار المشركين أهل مكة
قَرِيبًا يعني في زمان قريب قيل يشبهونهم في زمن قريب وقيل العامل فيه ذَاقُوا أي ذاقوا في زمن قريب
أي بين وقعة بدر ووقعة بني النضير نحو سنة ونصف لأنها كانت في ربيع الأول من الرابعة وبدر كانت في رمضان
من الثانية وَبَالَ أَمْرِهِمْ أي سوء عاقبة كفرهم في الدنيا بقتلهم يوم بدر وكان ذلك قبل غزوة بني النضير بستة
أشهر قاله مجاهد وغيره وقيل المراد بنو النضير حيث أمكن الله منهم قاله قتادة وقيل قتل بني قريظة
قاله الضحاك وقيل هو عام في كل من انتقم الله منه بسبب كفره والأول أولى وَلَهُمْ مع ذلك
عَذَابٌ أَلِيمٌ في الآخرة ثم ضرب لليهود والمنافقين مثلاً آخر فقال كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ أي مثلهم في إغراء
اليهود على القتال أو تخاذلهم وعدم تناصرهم كمثل الشيطان والمراد به حقيقته لا شيطان الإنس
قيل المثل الأول خاص باليهود والثاني خاص بالمنافقين وقيل الثاني بيان للأول ثم بين سبحانه وجه الشبه
فقال إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ أي أغراه بالكفر وزينه له وحمله عليه والمراد بالإنسان هنا جنس من أطاع
الشيطان من نوع الإنسان كما قال مجاهد وقيل المراد بالإنسان هنا جميع الناس في غرور الشيطان إياهم
وقيل هو أبو جهل وقيل هو عابد كان في بني إسرائيل حمله الشيطان على الكفر فأطاعه وهو برصيصا

ولا ولي اولى عن علي بن ابي طالب ان رجلا كان يتعبد في صومعة وان امرأة كان لها اخوة فعرض
لها شيء فاتوه بها فزينت له نفسه فوقع عليها فحملت فجاءه الشيطان فقال اقتلها فانهم ان ظهروا عليك
افتضحت فقتلها ودفنها فجاؤه فاخذوه فذهبوا به فبينما هم يمشون اذ جاءه الشيطان فقال اني انا
الذي زينت لك فاسجد لي سجدة انجيك فسجد له فذلك قوله كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر الآية
اخرجه احمد في الزهد والبخاري في تاريخه والحاكم وصححه والبيهقي وغيرهم قلت وهذا لا يدل على ان هذا
الانسان هو المقصود بالآية بل يدل على انه من جملة من تصدق عليه وقد اخرجه ابن ابي حاتم عن ابن
عباس باطول من هذا وليس فيه ما يدل على انه المقصود بالآية واخرجه بنحوه ابن جرير عن ابن مسعود
وعنه قال ضرب الله مثل الكفار والمنافقين الذين كانوا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم كمثل الشيطان اذ قال
للانسان اكفر فلما كفر اي الانسان مطاوعة للشيطان وقبولا لتزيينه قال الشيطان اني بريء
منك ان اريد بالانسان الجنس فهذا التبرء من الشيطان يكون يوم القيامة يتبرء منه مخافة ان يشاركه
في العذاب كما ينبئ عنه قوله اني اخاف الله رب العالمين وان اريد به ابو جهل فقوله اكفر عبارة عن
قول ابليس يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم وتبرؤه قوله يومئذ اني بريء منكم اني ارى ما لا
ترون اني اخاف الله الآية وهذا تعليل لبراءته من الانسان بعد كفره قيل وليس قول الشيطان اني اخاف
الله على حقيقته انما هو على وجه التبري من الانسان كذبا ورياء والا فهو لا يخاف الله فهو تاكيد لقوله
اني بريء منك قرئ اني باسكان الياء وبفتحها فكان عاقبتهما انهما في النار اي فكان عاقبة الشيطان
وذلك الانسان الذي كفر انهما صايران الى النار خالدين فيها وقرئ خالدان على انه خبر ان وذلك
اي الخلود في النار جزاء الظالمين ويدخل هؤلاء فيهم دخولا اوليا ثم رجع سبحانه الى خطاب المؤمنين
بالموعظة الحسنة لان الموعظة بعد المصيبة اوقع في النفس لرقة القلوب والحذر مما يوجب العقاب
فقال يا ايها الذين امنوا اتقوا الله اي اتقوا عقابه بفعل ما امركم به وترك ما نهاكم عنه ولتنظر نفس
ما قدمت لغد اي لتنظر اي شيء قدمت من الاعمال ليوم القيامة والعرب تكني عن الزمان المستقبل بالغد
وهو في الاصل عبارة عن يوم بينك وبينه ليلة وانما اطلق اسم الغد على يوم القيامة تقريبا له كقوله
تعالى وما امر الساعة الا كلمح البصر فكانه لقربه شبه بما ليس بينك وبينه الا ليلة واحدة او لان الدنيا
اي زمانها كيوم والآخرة كغده لاختصاص كل منهما باحكام واحوال متشابهة وتعقيب الثاني للاول فلفظ

ع

الغد حينئذ استعارة وفائدة تنكير النفس بيان ان الانفس الناظرة في معادها قليلة جدا كانه قيل ولتنظر نفس واحدة في ذلك واين تلك النفس وفائدة تنكير الغد تعظيمه وابهام امره كانه قيل لغد لا تعرف النفس كنه عظمته وهوله فالتنكير فيه للتعظيم وفي النفس للتقليل او للتعريض بغفلة كلهم عن هذا النظر الواجب افاده الكرخي وَاتَّقُوا اللّٰهَ كرر الامر بالتقوى للتاكيد او الاول في اداء الواجبات لانه مقرون بالعمل فان ما قدمت لغد عبارة عن اعمال الخير والثاني في ترك المحارم لاقترانه بقوله اِنَّ اللّٰهَ خَبِيْرٌۢ بِمَا تَعْمَلُوْنَ ورجح هذا الوجه بفضل التاسيس على التاكيد وانت خبير بان التقوى تشمل كليهما فانها على ما مر في اول البقرة هي التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك ولا وجه للتوزيع بل المقام مقام الاهتمام بامر التقوى فالتاكيد اولى واقوى ذكره الكرخي والمعنى لا تخفى عليه من ذلك خافية فهو مجازيكم باعمالكم ان خيرا فخير وان شرا فشر وَلَا تَكُوْنُوْا كَالَّذِيْنَ نَسُوا اللّٰهَ اي تركوا امره وطاعته او ما قدروه حق قدره اولم يخافوه او جميع ذلك فَاَنْسٰىهُمْ اَنْفُسَهُمْ اي جعلهم ناسين لها بسبب نسيانهم له فلم يشتغلوا بالاعمال التي تنجيهم من عذاب الله ولم يكفوا عن المعاصي التي توقعهم فيه ففي الكلام مضاف محذوف اي انساهم حظوظ انفسهم او تقديم خير لانفسهم قال سفيان نسوا حق الله فانساهم حق انفسهم وقيل نسوا الله في الرخاء فانساهم انفسهم في الشدائد وقيل نسوا الله بترك شكره وتعظيمه فانساهم انفسهم ان يذكر بعضهم بعضا حكاه ابن عيسى وقال سهل بن عبد الله نسوا الله عند الذنوب فانساهم انفسهم عند التوبة ونسب الله تعالى الفعل الى نفسه في انساهم ايذانا بان ذلك بسبب امره ونهيه كقوله احمدت الرجل اذا وجدته محمودا واصل نسوا نسيوا يقال نسي ينسى كرضي يرضى اُولٰٓئِكَ هُمُ الْفٰسِقُوْنَ اي الكاملون في الخروج عن طاعة الله لَا يَسْتَوِيْٓ اَصْحٰبُ النَّارِ وَاَصْحٰبُ الْجَنَّةِ في الفضل والرتبة والمراد الفريقان على العموم فيدخل في فريق اهل النار من نسي الله منهم دخولا اوليا ويدخل في فريق اهل الجنة الذين اتقوا دخولا اوليا لان السياق فيهم وقد تقدم الكلام في معنى مثل هذه الاية في سورة المائدة وفي سورة السجدة وفي سورة ص وفيه مزيد الترغيب فيما يزلفهم الى الله ويدخلهم دار كرامته ويجعلهم من اصحابها ومن ثم دق ولطف استدلال الشافعية بهذه الاية على ان المسلم لا يقتل بالكافر وان الكافر لا يملك مال المسلم بالاستيلاء وحسن كلام القاضي حيث قال لا يستوي الذين استكملوا نفوسهم فاستاهلوا الجنة والذين استمهنوا نفوسهم اي استعملوها في المهنة و

الشهوات فاستحقوا النار قال الكرخي ثم اخبر سبحانه وتعالى عن اصحاب الجنة بعد نفي التساوي بينهم وبين
اهل النار فقال اصحب الجنة هم الفائزون اي الظافرون بكل مطلوب الناجون من كل مكروه و
هذا تنبيه للناس وايذان بانهم لفرط غفلتهم وقلة فكرهم في العاقبة وتهالكهم على ايثار العاجلة
واتباع الشهوات كانهم لا يعرفون الفرق بين الجنة والنار والبون العظيم بين اصحابهما وان
الفوز العظيم مع اصحاب الجنة والعذاب الاليم مع اصحاب النار فمن حقهم ان يعلموا ذلك وينبهوا عليه
ولما فرغ سبحانه من ذكر اهل الجنة واهل النار وبين عدم التساوي بينهم في شيء من الاشياء
ذكر تعظيم كتابه الكريم واخبر عن جلالته وانه حقيق بان تخشع له القلوب وترق له الافئدة فقال
لو انزلنا هذا القرآن على جبل اي من شانه وعظمته وجودة الفاظه وقوة مبانيه وبلاغته واشتماله
على المواعظ التي تلين لها القلوب انه لو انزل على جبل من الجبال الكائنة في الارض وجعل فيه تمييز
كالانسان على قساوته ثم انزلنا عليه القرآن لرايته مع كونه في غاية القسوة وشدة الصلابة وضخامة
الجرم خاشعا متصدعا اي متشققا من خشية الله سبحانه حذرا من عقابه وخوفا من ان لا يؤدي
ما يجب عليه من تعظيم كلام الله وهذا تمثيل وتخييل يقتضي علو شان القرآن وقوة تاثيره في القلوب
قال ابن عباس في الآية يقول لو اني انزلت هذا القرآن على جبل فحملته اياه لتصدع وخشع من ثقله
ومن خشية الله فامر الله الناس اذا انزل عليهم القرآن ان ياخذوه بالخشية الشديدة والتخشع والخاشع
الذليل المتواضع وعن علي وابن مسعود مرفوعا في الآية قال هي رقية الصداع رواه الديلمي باسنادين لا ندري
كيف رجالهما واخرج الخطيب في تاريخه باسناده الى ادريس بن عبد الكريم الحداد مسلسلا الى ابن مسعود مرفوعا
قال الذهبي هو باطل قيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي لو انزلنا هذا القرآن يا محمد على جبل لما ثبت وتصدع
من نزوله عليه وقد انزلناه عليك وثبتناك له وقويناك عليه فيكون على هذا من باب الامتنان على النبي
صلى الله عليه وسلم لان الله سبحانه ثبته لما لا تثبت له الجبال الرواسي وقيل الخطاب للامة وتلك الامثال
نضربها للناس لعلهم يتفكرون فيما يجب عليهم التفكر فيه ليتعظوا بالمواعظ وينزجروا بالزواجر
فيه توبيخ وتقريع للكفار حيث لم يخشعوا للقرآن ولا اتعظوا بمواعظه ولا انزجروا بزواجره ثم اخبر سبحانه
بربوبيته وعظمته فقال هو الذي وجوده من ذاته فلا عدم له بوجه من الوجوه فلا شيء يستحق الوصف بهو
غيره لانه الموجود دائما ازلا وابدا فهو حاضر في كل ضمير غائب بعظمته عن كل حس فلذلك تصدع الجبل

من خشيته ولما عبر عنه بأخص اسمائه اخبر عنه لطفابنا وتنزيلا لنا باشهرها الذي هو مسمى الاسماء كلها بقوله الله اي المعبود الذي لا تنبغي العبادة والالوهية الا له الذي لا إله إلا هو فانه لا مجانس له ولا يليق ولا يصح ولا يتصور ان يكافيه او يدانيه شيء عالم الغيب والشهادة اي عالم ما غاب عن الاحساس وما حضر وقيل عالم السر والعلانية وقيل ما كان وما يكون وقيل الآخرة والدنيا وقيل للمعدوم والموجود وقدم الغيب على الشهادة لكونه متقدما وجودا هو الرحمن الرحيم قد تقدم تفسير هذين الاسمين هو الله الذي لا إله إلا هو كرره للتاكيد والتقرير لكون التوحيد حقيقا بذلك الملك الذي لا يزول ملكه المتصرف بالامر والنهي في جميع خلقه المالك لهم فهم تحت ملكه وقهره وارادته القدوس اي الطاهر من كل عيب المنزه عن كل نقص وقيل هو الذي كثرت بركته والقدس بالتحريك في لغة اهل الحجاز السطل لانه يتطهر به ومنه القادوس لواحد الاواني التي يستخرج بها الماء قرأ الجمهور القدوس بضم القاف وقرئ بفتحها وكان سيبويه يقول سبوح قدوس بفتح اولهما وحكى ابو حاتم عن يعقوب انه سمع عند الكسائي اعرابيا فصيحا يقرأ القدوس بفتح القاف قال ثعلب كل اسم على فعول فهو مفتوح الاول الا السبوح والقدوس فان الضم فيهما اكثر وقد يفتحان السلام قال ابن العربي اتفق العلماء على ان معنى قولنا في الله السلام النسبة تقديره ذو السلامة ثم اختلفوا في ترجمة النسبة على ثلاثة اقوال الاول معناه الذي سلم من كل عيب وبرئ من كل نقص الثاني معناه ذو السلام اي المسلم على عباده في الجنة كما قال سلام قولا من رب رحيم الثالث ان معناه الذي سلم الخلق من ظلمه وهذا قول الخطابي وبه قال الاكثر وعليه والذي قبله يكون صفة فعل وعلى انه البريء من العيوب والنقائص يكون صفة ذات وقيل السلام معناه المسلم لعباده وهو مصدر وصف به للمبالغة المؤمن اي الذي وهب لعباده الامن من عذابه وقيل المصدق لرسله باظهار المعجزات وقيل المصدق للمؤمنين بما وعدهم به من الثواب والمصدق للكافرين بما اوعدهم به من العذاب وقيل المؤمن الذي يأمن اولياؤه من عذابه ويأمن عباده من ظلمه يقال امنه من الامان الذي هو ضد الخوف كما قال تعالى وامنهم من خوف فهو مؤمن وقال مجاهد المؤمن الذي وحد نفسه بقوله شهد الله انه لا اله الا هو قرأ الجمهور المؤمن بكسر الميم اسم فاعل من امن بمعنى امن وقرئ بفتحها بمعنى المؤمن به على الحذف كقوله واختار موسى قومه وقال ابو حاتم لا تجوز هذه القراءة لان معناه انه كان خائفا فامنه غيره المهيمن من هيمن يهيمن اذا كان رقيبا على الشيء

بيمان ان كونه قدوسا اشارة الى براءته من جميع العيوب والنقائص في الماضي والحاضر و السلام اشارة الى انه لا يطرء عليه شيء من العيوب والنقائص في المستقبل فان الذي يطرء عليه شيء من ذلك تزول سلامته ولا يبقى سليما ذكره الخازن ١٢ سيد ذو الفقار احمد سلمه الله الصمد

اي الشهيد على عباده باعمالهم الرقيب عليهم كذا قال مجاهد وقتادة ومقاتل قال الواحدي وذهب كثير من المفسرين الى ان اصله مؤيمن من امن يؤمن فيكون بمعنى المؤمن والاول اولى وقيل القائم على خلقه برزقه وقيل هو الرقيب الحافظ وقيل هو المصدق وقيل هو القاضي وقيل هو الامين والمؤتمن وقيل هو العلي وقيل اسم من اسماء الله وهو اعلم بتاويله وقد قدمنا الكلام على المهيمن في سورة المائدة الْعَزِيزُ الذي لا يوجد له نظير وقيل القاهر وقيل الغالب غير المغلوب وقيل القوي الْجَبَّارُ جبروت الله عظمته فعلى هذا هو صفة ذات والعرب تسمي الملك الجبار ويجوز ان يكون من جبر اذا اغنى الفقير واصلح الكسير وعلى هذا هو صفة فعل او من جبره على كذا اذا اكرهه على ما اراد فهو الذي جبر خلقه على ما اراد منهم وبه قال السدي ومقاتل واختاره الزجاج والفراء قال هو من اجبره على الامر اي قهره قال ولم اسمع فعالا من افعل الا في جبار من اجبر ودراك من ادرك قلت فانه يستعمل ثلاثيا ايضا وقيل الجبار الذي لا تطاق سطوته وقيل هو القهار الذي اذا اراد امرا فعله لا يحجزه عنه حاجز وقيل الجبار هو الذي لا ينال ولا يدانى والجبر في صفة الله مدح وفي صفة الناس ذم الْمُتَكَبِّرُ اي الذي تكبر عن كل نقص وتعظم عما لا يليق به واصل التكبر الامتناع وعدم الانقياد والكبر في صفات الله مدح لان له جميع صفات العلو والعظمة والعز والكبرياء فان اظهر ذلك ضم كمالا الى كمال وفي صفات المخلوقين ذم لان المتكبر هو الذي يظهر من نفسه الكبر وذلك نقص في حقه لانه ليس له كبر ولا علو بل له الحقارة والذلة فاذا اظهر الكذب كان كاذبا في فعله فكان مذموما في حق الناس قال قتادة هو الذي تكبر عن كل سوء قال ابن الانباري المتكبر ذو الكبرياء وهو الملك وقيل هو الذي تكبر بربوبيته فلا شيء مثله وقيل هو المتعظم عما لا يليق بجلاله وجماله وقيل هو المتكبر عن ظلم عباده ثم نزه سبحانه نفسه الكريمة عن شرك المشركين فقال سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ اي عما يشركونه او عن اشراكهم به هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ اصل الخلق التقدير يقال خلقت الاديم للسقاء اذا قدرته له اي المقدر للاشياء ولما يوجده على مقتضى ارادته ومشيته وهذا يرجع الى صفة الارادة وتعلقها التنجيزي القديم الْبَارِئُ اي المنشئ المبدع المخترع للاشياء والاعيان الموجد لها والمبرز من العدم الى الوجود فيرجع لتاثير القدرة الحادث لكن في خصوص الاعيان قبل المميز لبعضها من بعض الْمُصَوِّرُ اي الموجد للصور المركب لها على هيئات مختلفة فالتصوير اخرا والتقدير اولا والبرء بينهما او تابع لهما ومعنى التصوير التخطيط والتشكيل وقرأ حاطب بن ابي بلتعة الصحابي المصور بفتح الواو ونصب الراء

على انه مفعول به للباري اي الذي يبرأ المصور اي مميزه لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى قد تقدم بيانها والكلام
فيها عند تفسير قوله ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها والحسنى مؤنث الاحسن الذي هو افعل تفضيل لا مؤنث
احسن المقابل لامرأة حسناء ففي القاموس ولا تقل رجل احسن في مقابلة امرأة حسناء وعكسه
غلام امرد ولا يقال جارية مرداء وانما يقال هو الاحسن على ارادة افعل التفضيل وجمعه احاسن
والحسنى بالضم ضد السوأى قال الزمخشري ولله الاسماء الحسنى التي هي احسن الاسماء لانها تدل على معان
حسنة من تحميد وتقديس وغير ذلك ووصف الجمع الذي لا يعقل بما توصف به الواحدة كقوله ولي فيها
مآرب اخرى وهو فصيح ولو جاء على المطابقة للجمع لكان التركيب الحسن على وزن الاخر كقوله فعدة من ايام اخر
لان جمع ما لا يعقل يخبر عنه ويوصف بجمع المؤنثات وان كان المفرد مذكرا يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ
الْأَرْضِ اي ينطق بتنزيهه بلسان الحال او المقال كل ما فيهما وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ اي الغالب لغيره الذي لا يغالبه
مغالب الحكيم في كل الامور التي يقضي بها عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر رجلا اذا اوى الى
فراشه ان يقرأ آخر سورة الحشر وقال ان مت مت شهيدا اخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة وابن
مردويه وعن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعوذ بالله من الشيطان ثلاث مرات ثم قرأ آخر سورة
الحشر بعث الله سبعين ملكا يطردون عنه شياطين الانس والجن ان كان ليلا حتى يصبح وان كان نهارا حتى
يمسي اخرجه ابن مردويه وعن معقل بن يسار عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يصبح ثلاث مرات اعوذ
بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قرأ الثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين الف
ملك يصلون عليه حتى يمسي وان مات ذلك اليوم مات شهيدا ومن قالها حين يمسي كان بتلك المنزلة
اخرجه البيهقي والدارمي واحمد والطبراني وابن الضريس والترمذي وقال غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه
وعن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ خواتيم الحشر في ليل او نهار فمات من يومه
او ليلته اوجب الله له الجنة اخرجه البيهقي في الشعب وابن عدي وابن مردويه والخطيب

سورة الممتحنة هي ثلاث عشرة آية وهي مدنية قال القرطبي في قول الجميع

قال ابن عباس نزلت بالمدينة وعن ابن الزبير مثله والممتحنة بكسر الحاء اسم فاعل اي المختبرة اضيف الفعل
اليها مجازا كما سميت سورة براءة المبعثرة والفاضحة لكشفها عن عيوب المنافقين

وعلى هذا فالاضافة بيانية اي السورة الممتحنة وقيل بفتح الحاء اسم مفعول اضافة الى المرأة التي نزلت فيها وهي ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط لقوله سبحانه فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن وهي امرأة عبد الرحمن بن عوف والدة ابراهيم بن عبد الرحمن وعلى هذا فليست الاضافة بيانية والمعنى سورة المرأة المهاجرة التي نزلت فيها آية الامتحان ﴿

بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ قال المفسرون نزلت في حاطب بن ابي بلتعة حين كتب الى مشركي قريش يخبرهم بمسير النبي صلى الله عليه وسلم اليهم وسيأتي ذكر القصة واضاف سبحانه العدو الى نفسه تعظيما لجرمهم وتغليظا فيه والعدو وصف يطلق على الواحد والاثنين والجماعة والآية تدل على النهي عن موالاة الكفار بوجه من الوجوه وفيه دليل على ان الكبيرة لا تسلب اسم الايمان تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ اي توصلون اليهم المودة على ان الباء زائدة او هي سببية والمعنى تلقون اليهم اخبار النبي صلى الله عليه وسلم بسبب المودة التي بينكم وبينهم وقال الزجاج تلقون اليهم اخبار النبي صلى الله عليه وسلم وسره بالمودة التي بينكم وبينهم والجملة في محل نصب على الحال من ضمير تتخذوا ويجوز ان تكون مستانفة لقصد الاخبار بما تضمنته او لتفسير موالاتهم اياهم او في محل نصب صفة لاولياء جملة وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ في محل نصب على الحال من فاعل تلقون او من فاعل لا تتخذوا ويجوز ان تكون مستانفة لبيان حال الكفار قرأ الجمهور بما جاءكم بالموحدة وقرئ لما جاءكم باللام اي لاجل ما جاءكم من الحق على حذف المكفور به اي كفروا بالله والرسول لاجل ما جاءكم من الحق او دين الاسلام والقرآن او على جعل ما هو سبب للايمان سببا للكفر توبيخا لهم يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ مستانفة لبيان كفرهم او حالية وقدم الرسول عليهم تشريفا له وقد استدل به من يجوز انفصال الضمير مع القدرة على اتصاله اذ كان يجوز ان يقال يخرجونكم والرسول أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ تعليل للاخراج اي يخرجونكم لاجل ايمانكم او كراهة ان تؤمنوا إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ من مكة جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي جواب الشرط محذوف اي ان كنتم كذلك فلا تلقوا اليهم بالمودة فلا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء وانتصاب جهادا وابتغاء على العلة اي ان كنتم خرجتم للجهاد في سبيلي ولاجل ابتغاء مرضاتي او حال كونكم مجاهدين ومبتغين تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ مستانفة للتقريع والتوبيخ اي تسرون اليهم الاخبار

بسبب المودة وقيل هي بدل من قوله تلقون ثم اخبر سبحانه بانه لا يخفى عليه من احوالهم شيء فقال
وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ اي بما اضمرتم في صدوركم وما اظهرتموا علنتم بالسنتكم
والجملة في محل نصب على الحال والباء في بما زائدة يقال علمت كذا وعلمت بكذا هذا على ان اعلم مضارع
وقيل هو افعل تفضيل اي اعلم من كل واحد بما تخفون وما تعلنون وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ
السَّبِيلِ اي من يفعل ذلك الاتخاذ لعدوي وعدوكم اولياء ويلقي اليهم بالمودة فقد اخطأ طريق الحق
والصواب وضل عن قصد السبيل إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً اي ان يلقوكم ويصادفوكم يظهروا
لكم ما في قلوبهم من العداوة ومنه المثاقفة وهي طلب مصادفة الغرة في المسابقة يقال ثقفت الشيء
ثقفا من باب تعب اخذته وثقفت الرجل في الحرب ادركته وثقفته ظفرت به وثقفت الحديث فهمته
بسرعة والفاعل ثقيف وقيل المعنى ان يظفروا بكم ويتمكنوا منكم والمعنيان متقاربان وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ
أَيْدِيَهُمْ بالضرب ونحوه وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ اي بالسب والشتم وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ معطوف على
جواب الشرط او على جملة الشرط والجزاء ورجحه ابو حيان على غيره من الاحتمالات والمعنى انهم تمنوا ارتدادهم
وودوا رجوعهم الى الكفر لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ اي لا ينفعكم القرابات على عمومها
ولا الاولاد وخصهم بالذكر مع دخولهم في الارحام لمزيد المحبة لهم والحنو عليهم والمعنى ان هؤلاء لا ينفعونكم
شيئا يوم القيامة حتى توالوا الكفار لاجلهم كما وقع في قصة حاطب بن ابي بلتعة بل الذي ينفعكم ما امركم
الله به من معاداة الكفار وترك موالاتهم وجملة يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ مستأنفة لبيان عدم نفع
الارحام والاولاد في ذلك اليوم والمعنى يفرق بينكم فيدخل اهل طاعته الجنة واهل معصيته النار
وقيل المراد بالفصل بينهم انه يفر كل واحد منهم من الآخر من شدة الهول كما في قوله يوم يفر المرء من
اخيه الآية قيل ويجوز ان يتعلق يوم القيامة بما قبله اي لن ينفعكم ارحامكم ولا اولادكم يوم القيامة فيوقف
على يوم القيامة ويبتدأ بقوله يفصل بينكم والاولى ان يتعلق يوم القيامة بما بعده كما ذكرنا قرأ الجمهور
يفصل بالتخفيف وبضم الياء وفتح الصاد مبنيا للمفعول واختار هذه القراءة ابو عبيد وقرئ بفتح الياء
وكسر الصاد مبنيا للفاعل وقرئ بضم الياء وفتح الفاء وكسر الصاد مشددة من التفصيل وقرئ بضم الياء
وكسر الصاد مخففة وقرئ بالنون وكلها سبعية وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ لا يخفى عليه شيء من اقوالكم وافعالكم
فهو مجازيكم على ذلك وقد اخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن علي بن ابي طالب قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم

انا وابن الزبير والمقداد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها
كتاب فخذوه منها فاتوني به فخرجنا حتى اتينا الروضة فاذا نحن بالظعينة قلنا اخرجي الكتاب قالت ما معي
من كتاب فقلنا لتخرجن الكتاب او لتلقين الثياب فاخرجته من عقاصها فاتينا به النبي صلى الله عليه وسلم
فاذا فيه من حاطب بن ابي بلتعة الى اناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض امر النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله
عليه وسلم ما هذا يا حاطب قال لا تعجل علي يا رسول الله اني كنت امرءا ملصقا في قريش ولم اكن من انفسها وكان من معك
من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها اهليهم واموالهم بمكة فاحببت اذ فاتني ذلك من النسب فيهم ان
اصطنع اليهم يدا يحمون بها قرابتي وما فعلت ذلك كفرا ولا ارتدادا عن ديني فقال النبي صلى الله عليه وسلم
صدق فقال عمر دعني اضرب عنق هذا المنافق فقال انه شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على اهل
بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ونزلت هذه الآية وفي الباب احاديث مسندة ومرسلة
متضمنة لبيان هذه القصة وان هذه الآيات الى قوله قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم نازلة في ذلك
ولما فرغ سبحانه من النهي عن موالاة المشركين والذم لمن وقع منه ذلك ضرب لهم ابراهيم مثلا حين
تبرأ من قومه فقال قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ اي خصلة حميدة تقتدون بها يقال لي في فلان اسوة في
هذا الامر اي اقتداء فارشدهم سبحانه الى الاقتداء بابراهيم في ذلك الا في استغفاره لابيه قرأ الجمهور
اسوة بكسر الهمزة وقرئ بضمها وهما لغتان وقراءتان سبعيتان واصل الاسوة بالضم والكسر القدوة ويقال
هو اسوتك اي مثلك وانت مثله فِي إِبْرَاهِيمَ اي في افعاله واقواله وفي متعلقة باسوة ومنعه ابو البقاء
او بحسنة او نعت ثان لاسوة او حال من الضمير المستتر في حسنة او خبر لكان ولكم تبيين وَالَّذِينَ
مَعَهُ هم اصحابه المؤمنون وقال ابن زيد هم الانبياء قال الفراء يقول افلا تاسيت يا حاطب بابراهيم
فتتبرأ من اهلك كما تبرأ ابراهيم من ابيه وقومه إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ خبر كان او متعلق بخبرها قاله
ابو البقاء وجوز في كان ان تعمل في الظرف متعلقة بها هذا ما في السمين وقال الحفناوي الظرف بدل اشتمال من
ابراهيم والذين معه وهذا احسن الاعاريب المذكورة هنا والمعنى وقت قولهم لقومهم الكفار وقد كانوا
اكثر من عددكم واقوى وقد كان لهم فيهم ارحام وقرابات ومع ذلك لم يبالوا بهم بل قالوا إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ اي من
دينكم جمع بريء مثل شركاء جمع شريك وظرفاء جمع ظريف قرأ الجمهور بضم الباء وفتح الراء والف بين
همزتين ككرماء في كريم وقرئ بكسر الباء وفتح الراء ككرام في كريم وبضم الباء وهمزة بعد الف وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ

مِن دُونِ اللهِ وهي الاصنام كَفَرْنَا بِكُمْ اي بما امنتم به من الاوثان او بدينكم او بافعالكم اي لا نعتد بشانكم ولا بشان الهتكم وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ بالافعال وَالْبَغْضَاءُ بالقلوب أَبَدًا اي هذا دابنا معكم وادامتم على كفركم حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ وتتركوا ما انتم عليه من الشرك فاذا فعلتم ذلك صارت تلك العداوة موالاة والبغضاء محبة إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ هو استثناء متصل من قوله في ابراهيم بتقدير مضاف محذوف ليصح الاستثناء اي قد كانت لكم اسوة حسنة في مقالات ابراهيم كلها الا قوله لابيه الخ او من اسوة حسنة وصح ذلك لان القول من جملة الاسوة كانه قيل قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم في جميع اقواله وافعاله الا قوله لابيه وهذا عندي واضح غير محوج الى تقدير مضاف وغير مخرج للاستثناء من الاتصال الذي هو اصله الى الانقطاع ولذلك لم يذكر الزمخشري غيره او من التبري والقطيعة التي ذكرت اي لم يواصله الا قوله ذكره ابن عطية او هو منقطع اي لكن قول ابراهيم لابيه لاستغفرن فلا تتاسوا به فتستغفرون للمشركين فانه كان عن موعدة وعدها اياه او ان ذلك انما وقع منه لانه ظن انه قد اسلم فلما تبين له انه عدو لله تبرء منه وقد تقدم تحقيق هذا في سورة براءة قال ابن عباس في الاية نهوا ان يتاسوا باستغفار ابراهيم لابيه وهو مشرك وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللهِ مِن شَيْءٍ هذا من تمام القول المستثنى يعني ما اغني عنك و ما ادفع عنك من عذاب الله وثوابه شيئا والجملة في محل نصب على الحال من فاعل لاستغفرن فالاستثنا متوجه الى الاستغفار لا الى هذا القيد فانه اظهار للعجز وتفويض للامر الى الله وذلك من خصال الخير رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ هذا من دعاء ابراهيم واصحابه ومما فيه اسوة حسنة يُقتدى به فيها وقيل هو تعليم للمؤمنين ان يقولوا هذا القول والتوكل هو تفويض الامور الى الله و الانابة الرجوع والمصير المرجع وتقديم الجار والمجرور للقصر التوكل والانابة والمصير على الله رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا الظاهر انه دعاء متعدد لا ارتباط لكل بسابقه كالجمل المعدودة وليس هو وما بعده بدلا مما قبله كما قيل لعدم اتحاد المعنيين لا كلا ولا جزءا ولا ملابسة بينهما سوى الدعاء قال الزجاج لا تظهرهم علينا فيظنوا انهم على حق فيفتنوا بذلك وقال مجاهد لا تعذبنا بايديهم ولا بعذاب من عندك فيقولوا لو كان هؤلاء على حق ما اصابهم ذلك وبه قال ابن عباس وقال ايضا لا تسلطهم علينا فيفتنونا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ اي الغالب الذي لا يغالب الْحَكِيمُ ذو الحكمة البالغة

في ملكه وصنعه لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ اي في ابراهيم والذين معه في التبري من الكفار أُسْوَةٌ اي قدوة حَسَنَةٌ كرر هذا للمبالغة في التحريض على الحكم والتاكيد على الائتساء بابراهيم وقومه ولهذا جاء به مصدرا بالقسم لانه الغاية في التاكيد وقيل ان هذا نزل بعد الاولى بمدة قال ابن عباس اي في صنيع ابراهيم كله الا في الاستغفار لابيه وهو مشرك لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ اي ان هذه الاسوة انما تكون لمن يخاف الله ويخاف عقاب الآخرة او يطمع في الخير من الله في الدنيا والآخرة بدل اشتمال من كم باعادة الجار قال المحلي تبعا للكواشي وقال ابو حيان وغيره بدل بعض من كل وَمَنْ يَتَوَلَّ اي يعرض عن التاسي بابراهيم وامته فَإِنَّ اللهَ هُوَ الْغَنِيُّ عن خلقه الْحَمِيدُ الى اوليائه لم يترك نوعا من التاكيد الا جاء به ولما نزلت هذه الآية وتشدد المؤمنون في عداوة آبائهم وابنائهم وجميع اقربائهم من المشركين اطمعهم في تحول الحال الى خلافه فقال عَسَى اللهُ عسى وعد من الله على عادات الملوك حيث يقولون في بعض الحوائج عسى او لعل فلا تبقى شبهة للمحتاج في تمام ذلك او اريد به اطماع المؤمنين أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وذلك بان يسلموا فيصيروا من اهل دينكم وقد اسلم قوم منهم بعد فتح مكة وحسن اسلامهم ووقعت بينهم وبين من تقدمهم في الاسلام مودة وجاهدوا وفعلوا الافعال المقربة الى الله وقيل المراد بالمودة هنا تزويج النبي صلى الله عليه وسلم بام حبيبة بنت ابي سفيان فصار معاوية خال المؤمنين قاله ابن عباس ولا وجه لهذا التخصيص وان كان من جملة ما صار سببا الى المودة فان ابا سفيان بعد ذلك ترك ما كان عليه من العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنها لم تحصل المودة الا باسلامه يوم الفتح وما بعده وعن ابي هريرة قال اول من قاتل اهل الردة على اقامة دين الله ابو سفيان بن حرب وفيه نزلت هذه الآية وعن الزهري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل ابا سفيان بن حرب على بعض اليمن فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبل فلقي ذا الخمار مرتدا فكان اول من قاتل في الردة وجاهد عن الدين قال وهو فيمن قال الله فيه عسى الله ان يجعل الآية وفي صحيح مسلم عن ابن عباس ان ابا سفيان قال يا رسول الله ثلاث اعطنيهن قال نعم قال تؤمرني حتى اقاتل الكفار كما كنت اقاتل المسلمين قال نعم قال ومعاوية تجعله كاتبا بين يديك قال نعم قال وعندي احسن العرب واجمله ام حبيبة بنت ابي سفيان ازوجكها الحديث قال محمد بن ابراهيم الوزير في التنقيح ما لفظه قال ابن حزم هذا موضوع لا شك في وضعه والآفة فيه عن عكرمة بن عمار قلت قد رد الحفاظ على

لان من اسم موصول يطلق على الذوات المتصفة بالرجاء من المخاطبين ولا شك ان ذلك بعض المخاطبين لكن لا بد من ضمير يرجع الى البعض وتقديره لمن كان يرجو الله واليوم الآخر منكم [illegible] بعضهم وكذا شرط في بدل الاشتمال ان لا يكون بعضا فانهم جعلوا ما بعد الاشتمال ان يكون بين البدل والمبدل منه ملابسة بغير الجزئية والكلية فحصل من ذلك [illegible] ع

[illegible]

ابن حزم ما ذكره وجمع ابن كثير الحافظ جزءا مفردا في بيان ضعف كلامه وفي الحديث غلط ووهم
في اسم المخطوب لها النبي صلى الله عليه وسلم وهي عزة اخت ام حبيبة خطب ابو سفيان رسول الله صلى الله عليه وسلم و
خطبته لها اختها ام حبيبة كما ثبت في الصحيحين فاخبرها النبي صلى الله عليه وسلم بتحريم الجمع بين الاختين
وقد ذكر له تاويلات كثيرة هذا اقربها والموجب للتاويل ما علم من تزويج النبي صلى الله عليه وسلم لام حبيبة قبل
اسلام ابي سفيان انتهى كلامه رحمه الله تعالى وَاللَّهُ قَدِيرٌ اي بليغ القدرة كثيرها على تقليب القلوب
وتحويل الاحوال وتسهيل اسباب المودة وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ اي بليغهما كثيرهما لمن اسلم من المشركين
ثم لما ذكر سبحانه ما ينبغي للمؤمنين من معاداة الكافرين وترك موادتهم فصل القول فيمن يجوز
بره منهم ومن لا يجوز فقال لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ
اي لا ينهاكم عن هؤلاء أَنْ تَبَرُّوهُمْ وتكرموهم وتحسنوا اليهم قولا وفعلا وهذا بدل من الموصول
بدل اشتمال عن عبد الله بن الزبير قال قدمت قتيلة بنت عبد العزى على ابنتها اسماء بنت ابي
بكر بهدايا ضباب واقط وسمن وهي مشركة فابت اسماء ان تقبل هديتها او تدخلها بيتها حتى ارسلت
الى عائشة ان سلي عن هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته فانزل الله هذه الآية فامرها ان تقبل
هديتها وتدخلها بيتها اخرجه احمد والبزار وابو يعلى وغيرهم وزاد ابن ابي حاتم في المدة التي كانت
بين قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البخاري ومسلم وغيرهما عن اسماء بنت ابي بكر قالت اتتني
امي راغبة وهي مشركة في عهد قريش اذ عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألت النبي صلى الله عليه وسلم أصلها
فانزل الله لا ينهاكم الآية فقال نعم صلي امك وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ اي تفضوا اليهم بالقسط وتعدلوا
فيهم بالاحسان اليهم والبر يقال اقسطت الى الرجل اذا عاملته بالعدل قال الزجاج المعنى وتعدلوا
فيما بينكم وبينهم من الوفاء بالعهد ولا تظلموهم واذا نهي عن الظلم في حق المشرك فكيف في حق المسلم
إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ اي العادلين ومعنى الآية ان الله سبحانه لا ينهى عن بر اهل العهد من
الكفار الذين عاهدوا المؤمنين على ترك القتال وعلى ان لا يظاهروا الكفار عليهم ولا ينهى عن معاملتهم
بالعدل قال ابن زيد كان هذا في اول الاسلام عند الموادعة وترك الامر بالقتال ثم نسخ قال قتادة
نسخها قوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقيل هذا الحكم كان ثابتا في الصلح بين النبي صلى الله عليه وسلم
وبين قريش فلما زال الصلح بفتح مكة نسخ الحكم وقيل هي خاصة في حلفاء النبي صلى الله عليه وسلم ومن بينه

وبينه عهد قاله الحسن وقال الكلبي هم خزاعة وبنو الحارث بن عبد مناف وقال مجاهد هي خاصة
في الذين آمنوا ولم يهاجروا وقيل هي خاصة بالنساء والصبيان وحكى القرطبي عن اكثر اهل التأويل
انها محكمة وهو الاولى لحديث اسماء المتقدم المتفق عليه ثم بين سبحانه من لا يحل بره ولا العدل في
معاملته فقال إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وهم
صناديد الكفر من قريش وعتاة اهل مكة وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ اي عاونوا الذين قاتلوكم واخرجوكم
على ذلك وهم سائر اهل مكة ومن دخل معهم في عهدهم أَنْ تَوَلَّوْهُمْ بدل اشتمال من الموصول كما سلف وَمَنْ
يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ اي الكاملون في الظلم لانهم تولوا من يستحق العداوة لكونه عدوا
لله ولرسوله ولكتابه وجعلوهم اولياء لهم وفيه مراعاة معنى من بعد مراعاة لفظها ولما ذكر سبحانه
حكم فريقي الكافرين في جواز البر والاقساط للفريق الاول دون الثاني ذكر حكم من يظهر الايمان فقال
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ سماهن مؤمنات لنطقهن بكلمة الشهادة او لانهن مشارفات
لثبات ايمانهن بالامتحان مُهَاجِرَاتٍ من بين الكفار وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما صالح قريشا
يوم الحديبية على ان يرد عليهم من جاءهم من المسلمين فلما هاجر اليه النساء ابى الله ان
يرددن الى المشركين وامر بامتحانهن فقال فَامْتَحِنُوهُنَّ اي فاختبروهن بالحلف اي هل هن مسلمات
حقيقة اولا وقد اخرج البخاري عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما عاهد كفار قريش يوم الحديبية جاءه نساء مسلمات فانزل الله يا ايها الذين آمنوا حتى بلغ
ولا تمسكوا بعصم الكوافر فطلق عمر يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك واخرجه ايضا من حديثهما
باطول من هذا وعنه وكانت ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط ممن خرج الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي
عاتق فجاء اهلها يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجعها اليهم حتى انزل الله في المؤمنات ما انزل وقد
اختلف فيما كان يمتحنهن به فقيل كان يستحلفن بالله ما خرجن من بغض زوج ولا رغبة من ارض الى
ارض ولا لالتماس دنيا بل حبا لله ولرسوله ورغبة في دينه فاذا حلفت كذلك اعطى النبي صلى الله عليه وسلم زوجها
مهرها وما انفق عليها ولم يردها اليه قال ابن عباس كان اذا جاءت المرأة النبي صلى الله عليه وسلم حلفها
عمر بن الخطاب بالله ما خرجت رغبة بارض عن ارض وبالله ما خرجت من بغض زوج وبالله ما خرجت لالتماس
دنيا وبالله ما خرجت الا حبا لله ورسوله اخرجه الطبراني وغيره بسند حسن وقيل الامتحان هو ان تشهد ان لا اله

ألا الله وأن محمداً رسول الله فإذا علموا أن ذلك حق منهن لم يرجعن إلى الكفار وأعطي بعلها في الكفار
الذين عقد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم صداقها الذي أصدقها وأحلهن للمؤمنين إذا آتوهن أجورهن قاله
ابن عباس وقيل ما كان الامتحان إلا بأن يتلو عليهن رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية وهي يا أيها النبي إذا
جاءك المؤمنات إلى آخرها واختلف أهل العلم هل دخل النساء في عهد الهدنة أم لا على قولين
فعلى القول بالدخول تكون هذه الآية مخصصة لذلك العهد وبه قال الأكثر وعلى القول بعدمه
لا نسخ ولا تخصيص ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ﴾ معترضة لبيان أن حقيقة حالهن لا يعلمها إلا الله سبحانه
ولم يتعبدكم بذلك وإنما تعبدكم بامتحانهن حتى يظهر لكم ما يدل على صدق دعواهن في الرغبة
في الإسلام ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾ أي علمتم ذلك بحسب الظاهر بعد الامتحان الذي أمرتم به
وهو الظن الغالب بظهور الأمارات وتسمية الظن علماً يؤذن بأن الظن الغالب وما يفضي إليه القياس
جار مجرى العلم وصاحبه غير داخل في قوله ولا تقف ما ليس لك به علم وقال الكرخي المراد بالعلم الظن
وسمي علماً إيذاناً بأنه كالعلم في وجوب العمل به ففي الكلام استعارة تبعية ﴿فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾
أي إلى أزواجهن الكافرين هذا ناسخ لشرط الرد بالنسبة للنساء على مذهب من يرى نسخ السنة بالقرآن
وقال بعضهم ليس من قبيل النسخ وإنما هو من قبيل التخصيص أو تقييد المطلق لأن العقد أطلق في رد من
أسلم فكان ظاهراً في عموم الرجال مع النساء فبين الله خروجهن عن عمومه وفرق بين الرجال والنساء بأن
الرجل لا يخشى عليه من الفتنة في الرد ما يخشى على المرأة من إصابة المشرك إياها وأنه لا يؤمن عليها الردة إذا
خوفت وأكرهت لضعف قلبها وقلة هدايتها إلى المخرج منه بإظهار كلمة الكفر مع التورية وإضمار كلمة
الإيمان أو طمأنينة القلب عليه ولا يخشى ذلك على الرجل لقوته وهدايته كذا في الخطيب ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ
لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ تعليل للنهي عن إرجاعهن والجملة الأولى لنفي الحل حالاً والثانية لنفيه فيما
يستقبل من الزمان وفيه دليل على أن المؤمنة لا تحل لكافر وأن إسلام المرأة يوجب فرقتها من زوجها
لا مجرد هجرتها والتكرير لتأكيد الحرمة أو الأول لبيان زوال النكاح والثاني لامتناع النكاح الجديد
﴿وَآتُوهُمْ﴾ خطاب لولاة الأمور والأمر للوجوب فيكون منسوخاً أو للندب كما هو مذهب الشافعي فليس منسوخاً
أي وأعطوا الأزواج هؤلاء اللاتي هاجرن وأسلمن ﴿مَا أَنْفَقُوا﴾ أي مثل ما أنفقوا عليهن من المهور قال الشافعي
وإذا طلبها غير الزوج من قراباتها منع منها بلا عوض عن ابن عباس قال نزلت سورة الممتحنة

بعد ذلك الصلح فكان من اسلم من نسائكم تسأل ما اخرجك. فان كانت خرجت فرارا من زوجها او رغبة عنه ردت وان كانت خرجت رغبة في الاسلام امسكت ورد على زوجها مثل ما انفق ووجوب الايتاء اوندبه انما هو في نساء اهل الذمة كما هو مورد الآية فانها وردت في شأن اهل مكة الذين هادنهم صلى الله عليه وسلم واما نساء الحربيين الذين لم يعقد لهم عهد فلا يجب ولا يسن رد مهورهن اتفاقا وبه قال قتادة ولا امر كما قال ثم نفى عنهم الجناح في تزوج هؤلاء المهاجرات فقال وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ بشرط وهو انقضاء العدة فيما اذا كانت المسلمة مدخولا بها والولي والشاهدان وبقية شروط الصحة في المدخول بها او غيرها لانهن قد صرن من اهل دينكم وان كان ازواجهن الكفار لم يطلقوهن لانفساخ العقد بالاسلام إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ اي مهورهن وذلك بعد انقضاء عدتهن كما تدل عليه ادلة وجوب العدة وقال ابو حنيفة رح المهر اجر البضع فلا عدة على المهاجرة والاول اولى وبه قال الاوزاعي والليث و الشافعي واحمد وفي الآية رد لما يتوهم من ان رد المهر الى ازواجهن الكفار يغني عن تجديد مهر لهن اذا تزوجهن المسلمون فالمهر المدفوع للكفار لا يقوم مقام المهر الذي يجب على المسلم اذا تزوجهن والمراد بايتاء المهر التزامه وان لم يدفع بالفعل وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ قرأ الجمهور تمسكوا بالتخفيف من الامساك واختارها ابو عبيد لقوله فامسكوهن بمعروف وقرئ بالتشديد من التمسك وهما سبعيتان والعصم جمع عصمة وهي ما يعتصم به من عقد وسبب والمراد هنا عصمة عقد النكاح والكوافر جمع كافرة وهي التي بقيت في دار الحرب او لحقت بدار الحرب مرتدة اي لا يكن بينكم وبينهن عصمة ولا علقة زوجية والمعنى ان من كانت له امرأة كافرة فليست له بامرأة لانقطاع عصمتها باختلاف الدين قال النخعي هي المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر وكان الكفار يزوجون المسلمين والمسلمون يزوجون المشركات ثم نسخ ذلك بهذه الآية وهذا خاص بالكوافر المشركات دون الكوافر من اهل الكتاب وقيل عامة في جميع الكوافر مخصصة باخراج الكتابيات منها وقد ذهب جمهور اهل العلم الى انه اذا اسلم وثني او كتابي لا يفرق بينهما الا بعد انقضاء العدة وقال بعض اهل العلم يفرق بينهما بمجرد اسلام الزوج وهذا انما هو اذا كانت المرأة مدخولا بها واما اذا كانت غير مدخول بها فلا خلاف بين اهل العلم في انقطاع العصمة بينهما بالاسلام اذ لا عدة عليها عن ابن عباس قال اسلم عمر بن الخطاب وتاخرت امرأته في المشركين فانزل الله ولا تمسكوا بعصم الكوافر وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ اي اطلبوا مهور نسائكم اللاحقات بالكفار ممن تزوجها وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا من

مهور نسائهم للمهاجرات ممن تزوجها منا قال المفسرون كان من ذهب من المسلمات مرتدة الى الكفار
من اهل العهد يقال للكفار هاتوا مهرها ويقال للمسلمين اذا جاءت امرأة من الكفار الى المسلمين
واسلمت ردوا مهرها على زوجها الكافر قال الخطيب وكان ذلك نصفا وعدلا بين الحالين واطال سليمان
الجمل في بيان ذلك ذٰلِكُمْ المذكور من ارجاع المهور من الجهتين حُكْمُ اللّٰهِ وقوله يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ مستانفة
اوحالية وَاللّٰهُ عَلِيْمٌ حَكِيْمٌ اي بليغ العلم لا تخفى عليه خافية بليغ الحكمة في اقواله وافعاله قال القرطبي
وكان هذا مخصوصا بذلك الزمان في تلك النازلة خاصة باجماع المسلمين ولما نزلت الاية المتقدمة
قال المسلمون رضينا بحكم الله وكتبوا الى المشركين فامتنعوا فنزل قوله وَاِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ اَزْوَاجِكُمْ
اِلَى الْكُفَّارِ بما دفعتم اليهم من مهور النساء المسلمات وقيل المعنى وان انفلت منكم احد من نسائكم
الى الكفار فارتدت المسلمة واليه نحا الزمخشري فَعَاقَبْتُمْ اي فاصبتموهم في القتال بعقوبة قال
الواحدي قال المفسرون اي فغنمتم قال الزجاج تاويله وكانت العقبى لكم اي كانت الغنيمة لكم حتى غنمتم
وقيل معناه ظهرتم وكانت العاقبة لكم فَاٰتُوا الَّذِيْنَ ذَهَبَتْ اَزْوَاجُهُمْ مِّثْلَ مَاۤ اَنْفَقُوْا من مهر المهاجرة
التي تزوجوها ودفعوه الى الكفار ولا تؤتوه زوجها الكافر سواء كانت الردة قبل الدخول او بعده
فكان الحكم انه يجب للزوج من الغنيمة جميع المهر قال قتادة ومجاهد انما امروا ان يعطوا الذين ذهبت
ازواجهم مثل ما انفقوا من الفيء والغنيمة وهذه الاية منسوخة قد انقطع حكمها وارتفع بعد الفتح
بشقيه فلا يجب دفع مهر من جاءت مسلمة للكفار ولا مهر من ارتدت لزوجها وبه قال عطاء ومجاهد
وقتادة وقال قوم الاية غير منسوخة ويرد عليهم ما انفقوا وحاصل معناها ان من ازواجكم يجوز ان يتعلق
بفاتكم اي من جهة ازواجكم ويراد بالشيء المهر الذي غرمه الزوج لان التفسير ورد ان الرجل المسلم
اذا فرت زوجته الى الكفار امر الله المؤمنين ان يعطوا ما غرمه وفعله النبي صلى الله عليه وسلم مع جمع من الصحابة
المذكورين في التفاسير ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انه صفة لشيء ثم يجوز في شيء ان يراد به المهر
ولكن لا بد على هذا من مضاف محذوف اي من مهر ازواجكم ليتطابق [illegible] وصفته ويجوز ان يراد
بشيء النساء اي نوع وصنف منهن وهو ظاهر قوله من ازواجكم [illegible] والذين ذهبت ازواجهم
والمعنى انهم يعطون من ذهبت زوجته الى المشركين فكفرت [illegible] عليه المشركون مهرها كما حكم الله مثل
ذلك المهر الذي انفقه عليها من الغنيمة وَاتَّقُوا اللّٰهَ الَّذِيْۤ اَنْتُمْ بِهٖ مُؤْمِنُوْنَ اي احذروا ان تتعرضوا

لشيء مما أوجب الله عليكم فإن الإيمان الذي أنتم متصفون به يوجب على صاحبه ذلك يا أيها النبي
إذا جاءك المؤمنات يبايعنك أي قاصدات لمبايعتك على الإسلام أخرج البخاري والترمذي وغيرهما
عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمتحن من هاجر إليه من المؤمنات بهذه الآية إلى قوله غفور رحيم
فمن أقر بهذا الشرط من المؤمنات قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بايعتك كلاما والله ما مست يده
يد امرأة قط من المبايعات ما بايعهن إلا بقوله قد بايعتك على ذلك وظاهر هذا التركيب أن النساء طالبات
المبايعة مع أن المقرر في السير أنه صلى الله عليه وسلم ابتدأهن بالمبايعة شارطا عليهن الشروط الآتية وبعد
أن بايعهن التزمنها ويمكن على بعد أن يقال التقدير في الآية إذا جاءك المؤمنات يبايعنك فبايعهن
على أن لا يشركن بالله شيئا من الأشياء كائنا ما كان وهذا كان يوم فتح مكة فإن نساء أهل مكة
أتين رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايعنه فأمره الله تعالى أن يأخذ عليهن أن لا يشركن به ولا يسرقن
ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن هو ما كانت تفعله الجاهلية من وأد البنات أي دفنهن أحياء لخوف
العار والفقر ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن أي لا يلحقن بأزواجهن ولدا ليس
منهم قال الفراء كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها هذا ولدي منك فذلك البهتان المفترى
بين أيديهن وأرجلهن وذلك أن الولد إذا وضعته الأم سقط بين يديها ورجليها وليس المراد
هنا أنها تنسب ولدها من الزنا إلى زوجها لأن ذلك قد دخل تحت النهي عن الزنا قال ابن عباس كانت
الحرة تولد لها الجارية فتجعل مكانها غلاما وعنه قال في الآية لا يلحقن بأزواجهن غير أولادهم ولا
يعصينك في معروف أي في كل أمر هو طاعة لله وإحسان إلى الناس وكل ما أمر به الشرع ونهى عنه
والمعروف ما عرف حسنه من قبل الشرع قال عطاء في كل بر وتقوى قال ابن عباس إنما هو شرط شرطه
الله للنساء وقال المقاتلان عنى بالمعروف النهي عن النوح وتمزيق الثياب وجز الشعر وشق الجيوب وخمش الوجوه
والدعاء بالويل وكذا قال قتادة وسعيد بن المسيب ومحمد بن السائب وزيد بن أسلم ومعنى
القرآن أوسع مما قالوه [illegible] نزول النوح [illegible] قيل ووجه التقييد بالمعروف مع كونه صلى الله عليه وسلم لا يأمر إلا به
التنبيه على أنه لا يجوز طاعة [illegible] في معصية الخالق أخرج أحمد والترمذي وصححه والنسائي وابن ماجه عن
أميمة بنت رقيقة قالت أتيت النبي صلى الله عليه [illegible] وسلم في نساء لنبايعه فأخذ علينا ما في القرآن أن لا نشرك بالله شيئا
حتى بلغ ولا يعصينك في معروف فقال فيما [illegible] استطعتن وأطقتن فقلنا الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا

يا رسول الله الا تصافحنا قال اني لا اصافح النساء انما قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة وفي الباب احاديث واخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن عبادة بن الصامت قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال بايعوني على ان لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا وقرأ اية النساء فمن وفى منكم فاجره على الله ومن اصاب من ذلك شيئا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له ومن اصاب من ذلك شيئا فستره الله فهو الى الله ان شاء عذبه وان شاء غفر له واخرج احمد والترمذي وحسنه وابن ماجة وغيرهم عن ام سلمة الانصارية قالت قالت امرأة من النسوة ما هذا المعروف الذي لا ينبغي لنا ان نعصيك فيه قال لا تنحن قلت يا رسول الله ان بني فلان اسعدوني على عمي لا بد لي من قضائهن فابى علي فعاودته مرارا فاذن لي بقضائهن فلم انح بعده ولم يبق من النسوة امرأة الا وقد ناحت غيري واخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ام عطية قالت بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ علينا ان لا نشرك بالله شيئا ونهانا عن النياحة فقبضت امرأة منا يدها فقالت يا رسول الله ان فلانة اسعدتني وانا اريد ان اجزيها فلم يقل لها شيئا فذهبت ثم رجعت فقالت ما وفت منا امرأة الا ام سليم وام العلاء وبنت ابي سبرة امرأة معاذ او بنت ابي سبرة وامرأة معاذ وقد وردت احاديث كثيرة في النهي عن النوح فبايعهن هذا جواب اذا والمعنى اذا بايعنك على هذه الامور فبايعهن اي التزم لهن ما وعدتهن على ذلك من اعطاء الثواب في نظير ما الزمن انفسهن من الطاعات فهو بيع لغوي والبيع في اللغة مقابلة شيء بشيء على وجه العوضية وسميت المعاهدة مبايعة تشبيها لها بها كأن كل واحد منهم باع ما عنده بما عند الآخر ذكر الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم في صفة البيعة خصالا ستا صرح فيهن باركان النهي في الدين ولم يذكر في بيعتهن اركان الامر وهي ستة ايضا الشهادتان والصلوة والزكوة والصيام والحج والاغتسال من الجنابة لوضوح كون هذه الامور ونحوها من اركان الدين وشعائر الاسلام ولان النهي دائم في كل الازمان وكل الاحوال فكان الاشتراط للتنبيه على الدائم آكد وقيل انما خص الامور المذكورة لكثرة وقوعها من النساء ولا يحجزهن عنها شرف النسب قال ابن الجوزي وجملة من احصي من المبايعات اذ ذاك اربعمائة وسبعة وخمسون امرأة ولم يصافح في البيعة امرأة وانما بايعهن بالكلام بهذه الاية انتهى وعن اسماء بنت يزيد بن السكن انها قالت كنت في النسوة المبايعات فقلت يا رسول الله ابسط يدك نبايعك فقال اني لا اصافح النساء ولكن آخذ عليهن ما اخذ الله عليهن رواه البخاري وقيل صافحهن بحائل ذي ثوب ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا بايع النساء دعا بقدح من ماء ثم غمس يده فيه

فغمسن ايديهن فيه والاول اولى واعم وهذا هو البيعة الثابتة بالسنة في دين الاسلام والتي احدثها
الصوفية والمشائخ وجهلة المتصوفة فلا تثبت بدليل شرعي ولا اعتداد بها بل هي مصادمة لما ثبت بالكتاب
والسنة كما ترى وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ اي اطلب المغفرة من الله لهن بعد هذه المبايعة لهن منك
عما سلف وعما يقع منهن إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ اي بليغ المغفرة بتمحيق ما سلف وكثير الرحمة لعباده
بتوفيق ما ائتنف يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لما افتتح السورة بالنهي عن اتخاذ الكفار اولياء ختمها بمثل
ذلك تاكيدا لعدم موالاتهم وتنفير المسلمين عنها قاله ابو حيان وهذا على منوال رد العجز على
الصدر من حيث المعنى لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ هم جميع طوائف الكفر وقيل اليهود
خاصة وقيل المنافقون خاصة وقال الحسن اليهود والنصارى والاول اولى لان جميع طوائف الكفر
تتصف بان الله سبحانه غضب عليها قال ابن عباس في الآية كان عبد الله بن عمرو زيد بن الحارث
يوادان رجالا من اليهود فانزل الله هذه الآية قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ يرد على هذا انهم طامعون
في ثواب الآخرة لانهم يعتقدون انهم على حق وان تمسكهم بشريعة موسى ينفعهم فلا يكونوا آيسين
ويمكن ان يقال ان المراد باليأس الحرمان اي قد حرموا من ثواب الآخرة ومن لابتداء الغاية اي انهم لا يوقنون
بالآخرة البتة بسبب كفرهم قال ابن مسعود اي لا يؤمنون بها ولا يرجونها كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ
الْقُبُورِ اي كيأسهم من بعث موتاهم لاعتقادهم عدم البعث وقيل كما يئس الكفار الذين قد ماتوا
منهم من خير الآخرة لانهم قد وقفوا على الحقيقة وعلموا انه لا نصيب لهم في الآخرة فيكون من
على الوجه الاول ابتدائية وعلى الثاني بيانية والاول اولى وقيل تبعيضية اي حال كونهم بعض
اصحاب القبور اذ المقبورون فيهم المؤمن والكافر قال ابن مسعود كما يئس الكافر اذا مات وعاين
ثوابه واطلع عليه وقال ابن عباس هم الكفار اصحاب القبور الذين يئسوا من الآخرة وعنه قال من
مات من الذين كفروا فقد يئس الاحياء من الذين كفروا ان يرجعوا اليهم او يبعثهم الله تعالى

ع ٧

سورة الصف هي اربع عشرة آية وهي مكية

وهو المختار ونسب الى الجمهور قال ابن عباس نزلت بالمدينة وعن ابن الزبير مثله وعن ابن عباس ايضا
نزلت بمكة ولعل هذا لا يصح عنه قال عكرمة والحسن وقتادة وجزم به الزمخشري ويؤيد كونها

مدنية ما أخرجه احمد عن عبد الله بن سلام قال تذاكرنا ايكم ياتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسأله اي الاعمال احب الى الله فلم يقم احد منا فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الينا رجلا فجمعنا فقرأ علينا هذه السورة يعني سورة الصف كلها واخرجه ابن ابي حاتم وقال في آخره فنزلت فيهم هذه السورة واخرجه ايضا الترمذي وابن حبان والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين والبيهقي في الشعب والسنن

بسم الله الرحمن الرحيم

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ قد تقدم الكلام على هذا ووجه التعبير في بعض السور بلفظ الماضي كهذه السورة وفي بعضها بلفظ المضارع وفي بعضها بلفظ الامر الارشاد الى مشروعية التسبيح في كل الاوقات ماضيها ومستقبلها وحالها وقد قدمنا نحو هذا في اول سورة الحديد وأعاد الموصول هنا وفي الحشر والجمعة والتغابن جريا على الاصل واسقط في الحديد موافقة لقوله فيها له ملك السموات والارض وقوله هو الذي خلق السموات والارض ولم يقل سبح لله السموات والارض وما فيهما فيكون اكثر مبالغة لان المراد بالسماء جهة العلو فيشمل السماء وما فيها وبالارض جهة السفل فيشمل الارض وما فيها وَهُوَ الْعَزِيزُ اي الغالب الذي لا يغالب الْحَكِيمُ في افعاله واقواله يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ هذا الاستفهام للتقريع والتوبيخ على جهة الانكار اي لم تقولون من الخير ما لا تفعلونه ولم مركبة من اللام الجارة وما الاستفهامية وحذفت الفها تخفيفا لكثرة استعمالها كما في نظائرها وهي لام الاضافة كقولك فيم وبم ومم وعم والى م وعلى م وانما حذفت الالف لان ما وحرف الجر كشيء واحد ووقع استعمالها كثيرا في كلام المستفهم محذوفة الالف وقد جاء استعمال الاصل قليلا كقولهم على ما قام يشتمني جرير عن ابن عباس قال كان ناس من المؤمنين قبل ان يفرض الجهاد يقولون وددنا لو ان الله اخبرنا باحب الاعمال فنعمل به فاخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بان احب الاعمال ايمان بالله لا شك فيه وجهاد اهل معصيته الذين خالفوا الايمان ولم يقروا به فلما نزل الجهاد كره ذلك اناس من المؤمنين وشق عليهم امره فقال الله لم تقولون ما لا تفعلون قال النخعي ثلاث آيات في كتاب الله منعتني ان اقضي على الناس أتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه وهذه الآية ثم ذمهم سبحانه على ذلك فقال كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ اي عظم ذلك في المقت وهو اشد البغض والمقت والمقاتة مصدران يقال مقيت وممقوت اذا لم يحبه الناس قال الكسائي ان تقولوا في موضع

رفع لان كبر فعل بمعنى بئس ومقتا منتصب على التمييز وعلى هذا فيكون في كبر ضمير مبهم مفسر بالنكرة وان تقولوا
هو المخصوص بالذم وقيل انه قصد بقوله كبر التعجب وقد عده ابن عصفور من افعال التعجب للمبوب في النحو
واليه نحا الزمخشري وقال هذا من افصح الكلام وابلغه ومعنى التعجب تعظيم الامر في قلوب السامعين لان
التعجب لا يكون الامن شئ خارج عن نظائره واشكاله قال السمين وهذه قاعدة مطردة وهي ان كل فعل
يجوز التعجب منه يجوز ان يبنى على فعل بضم العين ويجري مجرى نعم وبئس في جميع الاحكام وقيل انه ليس
من افعال الذم ولا من افعال التعجب بل هو مسند الى ان تقولوا ومقتا تمييز محول عن الفاعل قال ابن
عباس هذه الآية في القتال وحده وهم قوم كانوا ياتون النبي صلى الله عليه وسلم فيقول الرجل قاتلت وضربت
بسيفي ولم يفعل فنزلت إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا قال المفسرون ان المؤمنين
قالوا وددنا ان الله يخبرنا باحب الاعمال اليه حتى نعمله ولو ذهبت فيه اموالنا وانفسنا فانزل الله هذه
الآية وانتصاب صفا على المصدرية والمفعول محذوف اي يصفون انفسهم صفا وقيل هو مصدر في
موضع الحال اي صافين او مصفوفين قرأ الجمهور يقاتلون على البناء للفاعل وقرأ زيد بن علي على البناء
للمفعول وقرئ يقتلون بالتشديد وجملة كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ في محل نصب على الحال من فاعل
يقاتلون او من الضمير في صفا على تقدير انه مؤول بصافين او مصفوفين ومعنى مرصوص ملتزق بعضه
ببعض يقال رصصت البناء ارصه رصا اذا ضممت بعضه الى بعض وقال الفراء مرصوص بالرصاص قال
المبرد هو ماخوذ من رصصت البناء اذا لاءمت بينه وقاربت حتى يصير كقطعة واحدة وقيل هو من الرصيص
وهو ضم الاشياء بعضها الى بعض والتراص التلاصق وقيل المتلائم الاجزاء المستويها وقال ابن عباس في
الآية مثبت لا يزول ملصق بعضه على بعض وقيل اريد باستوا عنياتهم في حرب عدوهم حتى يكونوا في
اجتماع الكلمة كالبنيان الذي رص بعضه الى بعض والاول اولى ولما ذكر تعالى الجهاد المشتمل على المشاق وانه
يحب المقاتلين في سبيله ذكر قصتي موسى وعيسى تسلية لنبيه صلى الله عليه وسلم ليصبر على اذى قومه وبين
انهما امرا بالتوحيد وجاهدا في سبيل الله وحل العقاب لمن خالفهما مبتدئا بقصة موسى لتقدمه
في الزمان فقال وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اي اذكر يا محمد لهؤلاء المعرضين وقت قول موسى ويجوز ان يكون وجه
ذكر قصة موسى وعيسى بعد محبة المجاهدين في سبيل الله التحذير لامة محمد صلى الله عليه وسلم ان يفعلوا مع نبيهم
ما فعله قوم موسى وعيسى معهما يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي هذا مقول القول اي لم تؤذونني بمخالفة ما آمركم

به من الشرائع التي افترضها الله عليكم او بالشتم والانتقاص ومن ذلك رميه بالادرة وقد تقدم بيان
هذا في سورة الاحزاب وجملة وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ في محل نصب على الحال وقد لتحقيق
العلم او لتأكيده لا للتقريب ولا للتقليل وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار والمعنى كيف تؤذونني
مع علمكم بذلك والرسول يحترم ويعظم ولم يبق معكم شك في الرسالة لما قد شاهدتم من المعجزات
التي توجب عليكم الاعتراف برسالتي وتفيدكم العلم بها علما يقينيا فَلَمَّا زَاغُوا عن الايمان واصروا
على الزيغ واستمروا عليه أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ عن الهدى وصرفها عن قبول الحق وقيل صرفها عن الثواب
قال مقاتل لما عدلوا عن الحق اي بايذاء نبيهم امال الله قلوبهم عنه جزاء بما ارتكبوا والمعنى لما تركوا
اوامره نزع نور الايمان من قلوبهم او فلما اختاروا الزيغ ازاغ الله قلوبهم اي خذلهم وحرمهم توفيق اتباع
الحق وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ هذه الجملة مقررة لمضمون ما قبلها قال الزجاج لا يهدي
من سبق في علمه انه فاسق والمعنى انه لا يهدي كل متصف بالفسق وهؤلاء من جملتهم وان ظهر من اسلم
منهم لم يكن كافرا في علمه اي مختوما عليه بالكفر بحيث يموت عليه وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ معطوف
على واذ قال موسى معمول لعامله او معمول لعامل مقدر معطوف على عامل الظرف الاول يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ
ولم يقل يا قوم كما قال موسى لانه لا نسب له فيهم فيكونوا قومه وامه مريم من اشرفهم نسبا إِنِّي
رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ اي ارسلت اليكم بالوصف الذي وصفت به في التوراة حال كوني مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ
يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ لاني لم آتكم بشيء يخالف التوراة بل هي مشتملة على التبشير بي فكيف تنفرون عني و
تخالفونني وذكر اشهر الكتب الذي حكم به النبيون واشهر الرسل الذي هو خاتم المرسلين وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ
يَأْتِي مِنْ بَعْدِي واذا كنت كذلك في التصديق والتبشير فلا مقتضى لتكذيبي وقرئ بعدي بفتح الياء
وباسكانها اسْمُهُ أَحْمَدُ هو نبينا صلى الله عليه وسلم وهو علم منقول من الصفة وهي تحتمل ان تكون مبالغة من
الفاعل فيكون معناها انه اكثر حمدا لله من غيره او من المفعول فيكون معناها انه يحمد بما فيه من خصال
الخير اكثر مما يحمد غيره وبالاعتبار الاول قدم عيسى هذا الاسم على اسم محمد لان كونه حامدا لله سابق على
حمد الخلق له لانهم لم يحمدوه الا بعد وجوده في الخارج وحمده لربه كان قبل حمد الناس له وقال الكرخي
انه انما خصه بالذكر لانه في الانجيل مسمى بهذا الاسم ولانه في السماء احمد فذكر باسمه السماوي ولانه احمد الناس لربه
بما يفتحه الله عليه يوم القيامة من المحامد قبل شفاعته لامته سابق على حمدهم له تعالى اخرج البخاري ومسلم وغيرهما

عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لي اسماء انا محمد وانا احمد وانا الحاشر الذي يحشر الله الناس على قدمي وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا العاقب والعاقب الذي ليس بعده نبي وفي بعض حواشي البيضاوي ان له اربعة آلاف اسم وان نحو سبعين منها من اسمائه تعالى انتهى والحق ان اسماء الله واسماء رسوله صلى الله عليه وسلم توقيفية لا يزاد عليها ولا يدعى ولا يسمى بغيرها فَلَمَّا جَاءَهُمْ عيسى بِالْبَيِّنَاتِ اي بالمعجزات والآيات قَالُوا هَٰذَا الذي جاءنا به سِحْرٌ مُّبِينٌ اي واضح ظاهر وقيل المراد محمد صلى الله عليه وسلم لما جاءهم بذلك قالوا هذه المقالة والاول اولى بل هو المتبادر من السياق وهما قولان حكاهما المفسرون قرأ الجمهور سحر وقرئ ساحر وهما سبعيتان وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ اي لا احد اكثر ظلما منه حيث يفتري على الله الكذب بنسبة الشريك والولد اليه ووصف آياته بالسحر وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ اي والحال انه يدعى اي يدعوه ربه على لسان نبيه الى دين الاسلام الذي هو خير الاديان واشرفها وفيه سعادة الدارين لان من كان كذلك فحقه ان لا يفتري على غيره الكذب فكيف يفتريه على ربه قرأ الجمهور يدعى من الدعاء مبنيا للمفعول وقرئ يدّعي من الادعاء مبنيا للفاعل وانما عدي بالى لانه ضمن معنى الانتماء والانتساب وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ جملة مقررة لمضمون ما قبلها والمعنى لا يهدي من اتصف بالظلم والمذكورون من جملتهم يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ الاطفاء الاخماد واصله في النار واستعير لما يجري مجراها من الظهور والمراد بالنور القرآن اي يريدون ابطاله وتكذيبه بالقول قاله ابن زيد او المراد الاسلام قاله السدي او محمد صلى الله عليه وسلم يريدون هلاكه بالاراجيف قاله الضحاك او الحجج والدلائل قاله ابن بحر فنور الله استعارة تصريحية والاطفاء ترشيح وقوله بافواههم فيه تورية وكذا قوله نوره ولكن قوله متم تجريد لا ترشيح والمراد بالنور جميع ما ذكر ومعنى بافواههم باقوالهم الخارجة من افواههم التي لا منشأ لها غير الافواه دون الاعتقاد في القلوب المتضمنة للطعن مثلت حالهم بحال من ينفخ في نور الشمس بفيه ليطفئه تهكما بهم وسخرية قال ابن عطية اللام في ليطفئوا لام مؤكدة مزيدة دخلت على المفعول لان التقدير يريدون ان يطفئوا واكثر ما تلزم هذه اللام المفعول اذا تقدم كقولك لزيد ضربت ولرؤيتك قصدت وقيل هي لام العلة والمفعول محذوف اي يريدون ابطال القرآن او دفع الاسلام او هلاك الرسول ليطفئوا وقيل انها بمعنى ان الناصبة وانها ناصبة بنفسها قال الفراء العرب تجعل لام كي في موضع ان في اراد وامر واليه ذهب الكسائي ومثل هذا قوله يريد الله

ليبين لكم والله متم نوره باظهاره في الآفاق وسائر البلاد من المشارق الى المغارب واعلائه على غيره ومتم الحق ومبلغه غايته قرئ متم نوره بالاضافة سبعية وبتنوين ولو كره الكافرون ذلك فانه كائن لا محالة هو الذي ارسل رسوله بالهدى اي بالبيان الشافي بالقرآن او المعجزات ودين الحق اي الملة الحقة وهي ملة الاسلام ليظهره على الدين كله اي ليجعله ظاهرا على جميع الاديان المخالفة لها عاليا عليها غالبا لها. قال الخطيب فان قيل قال اولا ولو كره الكافرون وقال ثانيا ولو كره المشركون فما الحكمة في ذلك اجيب بانه تعالى ارسل رسوله وهو من نعم الله تعالى والكافرون كلهم في كفران النعم سواء فلهذا قال ولو كره الكافرون لان لفظ الكافر اعم من لفظ المشرك فالمراد من الكافرين هنا اليهود والنصارى والمشركون فلفظ الكافر اليق به واما قوله ولو كره المشركون فذلك عند انكارهم التوحيد واصرارهم عليه لانه صلى الله عليه وسلم في ابتداء الدعوة امر بالتوحيد بلا اله الا الله فلم يقولوا فلهذا قال ولو كره المشركون ذلك فانه كائن لا محالة ولعمري لقد فعل فما بقي دين من الاديان الا وهو مغلوب مقهور بدين الاسلام وقال مجاهد ذلك اذا نزل عيسى لم يكن في الارض دين الا دين الاسلام والدين مصدر يعبر به عن الاديان المتعددة وجواب لو في الموضعين محذوف ايمائه واظهره والجملة مستانفة مقررة لما قبلها يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم الاستفهام ايجاب واخبار في المعنى وذكر بلفظه تشريفا لكونه اوقع في النفس وقيل المعنى سادلكم وهذا خطاب لجميع المؤمنين وقيل لاهل الكتاب على تجارة تنجيكم من عذاب اليم جعل العمل المذكور بمنزلة التجارة لانهم يربحون فيه كما يربحون فيها وذلك بدخولهم الجنة ونجاتهم من النار قرأ الجمهور تنجيكم من الانجاء وقرئ من التنجية وهما سبعيتان عن ابي هريرة قال قالوا لو كنا نعلم اي الاعمال احب الى الله فنزلت هذه الآية فكرهوا فنزلت لم تقولون ما لا تفعلون الى قوله بنيان مرصوص اخرجه ابن مردويه قال مقاتل نزلت في عثمان بن مظعون قال وددت يا نبي الله اعلم اي التجارات احب الى الله فاتجر فيها ثم بين سبحانه هذه التجارة التي دل عليها فقال تؤمنون بالله ورسوله اي تدومون على الايمان لان الخطاب مع المؤمنين وتؤمنون خبر بمعنى الامر للايذان بوجوب الامتثال فكانه قد وقع فاخبر بوقوعه وقرأ ابن مسعود آمنوا وجاهدوا على الامر وقرئ تؤمنوا وتجاهدوا على اضمار لام الامر قال الاخفش تؤمنون عطف بيان للتجارة والاولى ان تكون الجملة مستانفة مبينة لما قبلها وتجاهدون في سبيل الله باموالكم

وانفسكم قدم ذكر الاموال على الانفس لانها هي التي يبدء بها في الانفاق والتجهز الى الجهاد اولعزتها في ذلك الوقت اولانها قوام النفس وهذا بمنزلة الثمن الذي يدفعه المشتري ذلكم اي ماذكر من الايمان و الجهاد خير لكم اي هذا الفعل خير لكم من اموالكم وانفسكم ومن كل شيء ان كنتم تعلمون اي ان كنتم ممن يعلم فانكم تعلمون انه خير لكم لا اذا كنتم من اهل الجهل فانكم لا تعلمون ذلك يغفر لكم ذنوبكم هذا بمنزلة المبيع الذي ياخذه المشتري من البائع في مقابلة الثمن المدفوع له وهذا جواب الامر المدلول عليه بلفظ الخبر ولهذا جزم وقال الزجاج والمبرد تؤمنون في معنى امنوا ولذلك جاء يغفر لكم مجزوما وقال الفراء هذا جواب الاستفهام فجعله مجزوما لكونه جوابه وقد غلطه بعض اهل العلم قال الزجاج ليسوا اذا دلهم على ماينفعهم يغفر لهم انما يغفر لهم اذا امنوا وجاهدوا وقال الرازي في توجيه قول الفراء ان هل ادلكم في معنى الامر عنده يقال هل انت ساكت اي اسكت وبيانه ان هل بمعنى الاستفهام ثم يتدرج الى ان يصير عرضا وحثا والحث كالاغراء والاغراء امر وقيل يغفر لكم مجزوم بشرط مقدر اي ان تؤمنوا يغفر لكم وقرئ بالادغام في يغفر لكم والاولى تركه لان الراء حرف متكرر فلا يحسن ادغامه في اللام ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار قد تقدم بيان كيفية جري الانهار من تحت الجنات مرارا والمعنى من تحت اشجارها وغرفها ومساكن طيبة اي قصورا من لؤلؤة في ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتا من زبرجدة خضراء في كل بيت سبعون سريرا في كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش سبعون امرأة من الحور العين في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من الطعام في كل بيت سبعون وصيفا ووصيفة فيعطي الله المؤمن من القوة في غداة واحدة مايأتي على ذلك كله رواه الحسن عن عمران بن حصين وابي هريرة مرفوعا ذكره الخطيب ولينظر في سنده وصحته في جنات عدن اي في جنات اقامة وخلود ذلك المذكور من المغفرة وادخال الجنات الموصوفة بما ذكر هو الفوز العظيم الذي لافوز بعده والظفر الذي لاظفر يماثله ويؤتكم نعمة أخرى تحبونها قال الاخفش والفراء معطوفة على تجارة فهي في محل خفض اي وهل ادلكم على خصلة اخرى تحبونها في العاجل مع ثواب الاخرة وقيل هي في محل رفع اي ولكم خصلة اخرى وقيل في محل نصب اي ويعطيكم خصلة اخرى وفي تحبونها شيء من التوبيخ على محبة العاجل ثم بين سبحانه هذه الاخرى فقال نصر من الله وفتح قريب اي هي نصر من الله لكم وفتح قريب

يفتحه عليكم وقيل نصر بدل من اخرى على تقدير كونها في محل رفع وقيل التقدير ولكم نصر وفتح
قريب قال الكلبي يعني النصر على قريش وفتح مكة وقال عطاء يريد فتح فارس والروم وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ
معطوف على محذوف اي قل يا ايها الذين آمنوا وبشر او على تؤمنون لانه في معنى الامر والمعنى وبشر
يا محمد المؤمنين بالنصر والفتح وهذا ما جرى عليه في الكشاف او وبشرهم بالنصر في الدنيا والفتح
وبالجنة في الاخرة او وبشرهم بالجنة في الآخرة ووضع الاظهار موضع الاضمار للاشعار بان صفة
الايمان هي التي تقتضي هذه البشارة ثم حض سبحانه المؤمنين على نصرة دينه فقال يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ اي دوموا على ما انتم عليه من نصرة الدين قرئ انصاراً لله بالتنوين
وبالاضافة والرسم يحتمل القراءتين معاً واختار ابو عبيد الاضافة لقوله نحن انصار الله بالاضافة
وهي سبعية واللام يحتمل ان تكون مزيدة في المفعول لزيادة التقوية او غير مزيدة والاول
اظهر قال قتادة قد كان ذلك بحمد الله جاءه سبعون رجلاً فبايعوه عند العقبة وآووه و
نصروه حتى اظهر الله دينه كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ اي
انصروا دين الله مثل نصرة الحواريين لما قال لهم عيسى من انصاري الى الله فقالوا نحن انصار الله
والكاف في كما نعت مصدر محذوف اي كونوا كوناً كما قال قاله مكي وفيه نظر اذ لا يؤمرون بان يكونوا
كوناً وقيل الكاف في محل نصب على اضمار القول اي قلنا لهم ذلك كما قال عيسى وقيل هو كلام محمول على
معناه دون لفظه واليه نحا الزمخشري والمعنى كونوا انصار الله كما كان الحواريون انصار عيسى حين
قال لهم من انصاري الى الله والى بمعنى مع اي مع الله وقيل التقدير من انصاري فيما يقرب الى الله وقيل
التقدير من انصاري متوجهاً الى نصرة الله وقد تقدم الكلام على هذا في سورة آل عمران قَالَ الْحَوَارِيُّونَ
هم انصار المسيح وخلص اصحابه واول من آمن به وكانوا اثني عشر رجلاً وحواري الرجل صفيه وخالصه
من الحور وهو البياض الخالص وقيل كانوا قصارين يحورون الثياب اي يبيضونها وفي المختار التحوير
تبييض الثياب نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ من اضافة الوصف الى مفعوله اي نحن الذين ننصر الله اي ننصر
دينه عن عبد الله بن ابي بكر بن عمرو بن حزم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للنفر الذين لقوه بالعقبة
اخرجوا الي اثني عشر منكم يكونون كفلاء على قومهم كما كفلت الحواريون بعيسى بن مريم اخرجه ابن سعد
وابن اسحق وعن محمود بن لبيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للنقباء انكم كفلاء على قومكم ككفالة

الحواريين لعيسى بن مريم وانا كفيل قومي قالوا نعم اخرجه ابن سعد فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ بعيسى عليه السلام وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ به وذلك لانهم لما اختلفوا بعد رفعه تفرقوا وتقاتلوا فرقة قالت كان الله فارتفع وفرقة قالت كان ابن الله فرفعه اليه وفرقة قالت كان عبد الله ورسوله فرفعه اليه وهم المؤمنون واتبع كل فرقة طائفة من الناس فاقتتلوا وظهرت الفرقتان الكافرتان حتى بعث الله محمدا صلعم فظهرت الفرقة المؤمنة على الكافرة فذلك قوله تعالى فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ اي قوينا المحقين منهم على المبطلين وقال ابن عباس اي ايدنا الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وامته على عدوهم وقيل المعنى فايدنا الآن المسلمين على الفرقتين جميعا فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ اي صاروا بعد ما كانوا فيه من الذل غالبين قاهرين في اقوالهم وافعالهم لا يخافون احدا ولا يستحيون منه

سورة الجمعة احدى عشرة آية بلا خلاف وهي مدنية

قال القرطبي في قول الجميع قال ابن عباس نزلت بالمدينة وعن ابن الزبير مثله واخرج مسلم واهل السنن عن ابي هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرء في الجمعة سورة الجمعة واذا جاءك المنافقون واخرجوا عن ابن عباس نحوه واخرج ابن حبان والبيهقي في سننه عن جابر بن سمرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرء في صلوة المغرب ليلة الجمعة قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد وكان يقرء في صلوة العشاء الآخرة ليلة الجمعة سورة الجمعة والمنافقون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ اي ينزهه فاللام زائدة وفي ذكر ما تغليب للاكثر وهو ما لا يعقل وقال النسفي التسبيح اما ان يكون تسبيح خلقة يعني اذا نظرت الى كل شيء دلتك خلقته على وحدانية الله وتنزيهه عن الاشياء او تسبيح معرفة بان يجعل الله بلطفه في كل شيء ما يعرف به الله تعالى وينزهه الا ترى الى قوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم او تسبيح ضرورة بان يجري الله التسبيح على كل جوهر من غير معرفة له بذلك الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ قرأ الجمهور بالجر في هذه الصفات الاربع على انها نعت لله وقيل على البدل والاول اولى وقرئ بالرفع على اضمار مبتدأ وقرأوا

القدوس بضم القاف وقرئ بفتحها وقد تقدم تفسيره عن ميسرة ان هذه الاية يعني اول سورة الجمعة مكتوبة في التوراة بسبعمائة اية هُوَ الَّذِي بَعَثَ ارسل فِي الْأُمِّيِّينَ اي اليهم والمراد بهم العرب من كان يحسن الكتابة منهم ومن لا يحسنها لانهم لم يكونوا اهل كتاب والامي في الاصل الذي لا يكتب ولا يقرأ المكتوب وكان غالب العرب كذلك وقال النسفي الامي منسوب الى امة العرب لانهم كانوا لا يكتبون ولا يقرؤن من بين الامم وقيل بدئت الكتابة بالطائف وهم اخذوها من اهل الحيرة واهل الحيرة من اهل الانبار انتهى وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انا امة امية لا نكتب ولا نحسب اخرجه البخاري ومسلم وغيرهما رَسُولًا مِنْهُمْ اي من انفسهم ومن جنسهم ومن جملتهم كما في قوله لقد جاءكم رسول من انفسكم وما كان حي من احياء العرب الا ولرسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم قرابة وقد ولدوه ووجه الامتنان بكونه منهم ان ذلك اقرب الى الموافقة لان الجنس اميل الى جنسه واقرب اليه وقيل اميا مثلهم وانما كان اميا لان نعته في كتب الانبياء النبي الامي وكونه بهذه الصفة ابعد من توهم الاستعانة بالكتابة على ما اتى به من الوحي والحكمة ولتكون حاله مشاكلة لحال امته الذين بعث فيهم وذلك اقرب الى صدقه والاقتصار هنا في المبعوث اليهم على الاميين لا ينافي انه مرسل الى غيرهم لان ذلك مستفاد من دليل اخر كقوله وما ارسلناك الا كافة للناس يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ يعني القران مع كونه اميا لا يقرء ولا يكتب ولا تعلم ذلك من احد والجملة حال او نعت لرسولا وكذا قوله وَيُزَكِّيهِمْ اي يطهرهم من دنس الكفر والذنوب قاله ابن جريج ومقاتل وقيل من الشرك وخبائث الجاهلية وقال السدي ياخذ زكوة اموالهم وقيل يجعلهم ازكياء القلوب بالايمان قال الكرخي يحملهم على ما يصيرون به ازكياء من خبث العقائد وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ الجملة صفة ثالثة لرسولا والمراد بالكتاب القران والحكمة السنة كذا قال الحسن وقيل الكتاب الخط بالقلم والحكمة الفقه في الدين كذا قال مالك بن انس وقيل المراد بالكتاب الفرائض وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ اي من قبل بعثته فيهم ومجيئه اليهم لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ اي في شرك وذهاب عن الحق وكفر وجهالة وان مخففة من الثقيلة واللام دليل عليها اي كانوا في ضلال واضح لا ترى ضلالا اعظم منه وَآخَرِينَ مِنْهُمْ مجرور عطفا على الاميين اي بعثه في الاميين الذين على عهده وبعثه في اخرين منهم او منصوب عطفا على الضمير المنصوب في يعلمهم اي ويعلم اخرين وكل من يعلم شريعة محمد صلى الله عليه وسلم الى اخر الزمان فرسول الله صلى الله عليه وسلم معلمه بالقوة لانه اصل ذلك الخير العظيم والفضل الجسيم او عطفا على مفعول يزكيهم اي يزكيهم

ويزكي آخرين والمراد بالآخرين من جاء بعد الصحابة الى يوم القيامة وقيل المراد بهم من اسلم من غير العرب
وقال عكرمة هم التابعون وقال مجاهد الناس كلهم وكذا قال ابن زيد والسدي لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ
ذلك الوقت وسيلحقون بهم من بعد وقيل في السبق الى الاسلام والشرف والدرجة وهذا النفي
مستمر دائما لان الصحابة لا يلحقهم ولا يساويهم في شانهم احد من التابعين ولا ممن بعدهم فالمنفي
هنا غير متوقع الحصول ولذلك لما ورد عليه ان لما تنفي ما هو متوقع الحصول والمنفي هنا ليس كذلك
فسرها المحلي بلم التي منفيها اعم من ان يكون متوقع الحصول او لا فلما هنا ليست على بابها والضمير في بهم
ومنهم راجع الى الاميين وهذا يؤيد ان المراد بالآخرين هم من ياتي بعد الصحابة من العرب خاصة
الى يوم القيامة وهو صلى الله عليه وسلم وان كان مرسلا الى جميع الثقلين فتخصيص العرب هنا لقصد الامتنان
عليهم وذلك لا ينافي عموم الرسالة ويجوز ان يراد بالآخرين العجم لانهم وان لم يكونوا من العرب فقد
صاروا بالاسلام مثلهم والمسلمون كلهم امة واحدة وان اختلفت اجناسهم وعن ابي هريرة قال كنا
جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم حين نزلت سورة الجمعة فتلاها فلما بلغ وآخرين منهم لما يلحقوا بهم
قال له رجل يا رسول الله من هؤلاء الذين لم يلحقوا بنا فوضع يده على سلمان الفارسي وقال والذي
نفسي بيده لو كان الايمان بالثريا لناله رجال من هؤلاء اخرجه البخاري وغيره واخرجه ايضا
مسلم من حديثه مرفوعا بلفظ لو كان الايمان عند الثريا لذهب به رجال من فارس او قال من ابناء فارس
وعن قيس بن سعد بن عبادة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو كان الايمان بالثريا لناله ناس من اهل
فارس اخرجه سعيد بن منصور وابن مردويه وعن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
في اصلاب اصلاب اصلاب رجال من اصحابي رجالا ونساء من امتي يدخلون الجنة بغير حساب ثم قرأ
وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ اي بليغ العزة والحكمة في تمكينه رجلا اميا من ذلك
الامر العظيم وتاييده عليه واختياره اياه من بين كافة البشر ذَلِكَ اي ما تقدم ذكره او الاسلام قاله الكلبي
او الوحي والنبوة قاله قتادة او الحاق العجم بالعرب او الدين قاله ابن عباس والفضل الذي اعطاه
محمد صلى الله عليه وسلم وهو ان يكون نبي ابناء عصره ونبي ابناء العصور الغوابر قاله النسفي فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ
اي يعطيه مَنْ يَشَاءُ اعطاءه وتقتضيه حكمته وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ الذي لا يساويه فضل
ولا يدانيه ولما ترك اليهود العمل بالتوراة ولم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ضرب الله لهم مثلا فقال

مثل الذين حملوا التوراة اي كلفوا القيام بها والعمل بما فيها وقال الجرجاني حملوا من الحمالة بمعنى
الكفالة لا من الحمل على الظهر والحميل هو الكفيل اي ضمنوا احكام التوراة ثم لم يحملوها اي لم يعملوا
بموجبها ولا اطاعوا ما امروا به فيها ولم يؤدوا حقها كمثل الحمار الذي هو ابلد الحيوان فخص بالذكر
لانه في غاية الغباوة يحمل اسفارا حال او صفة للحمار اذ ليس المراد به حمارا معينا فهو في حكم النكرة
اذ المراد به الجنس وقرأ المامون بن هارون الرشيد يحمل مشددا مبنيا للمفعول والاسفار جمع سفر
وهو الكتاب الكبير لانه يسفر عن المعنى اذا قرئ قال ابن عباس اسفارا كتبا اي كبارا من كتب العلم
قال ميمون بن مهران الحمار لا يدري اسفر على ظهره ام زبل فهكذا اليهود وكل من علم ولم يعمل بعلمه فهذا
مثله وهذا المثل يلحق من لم يفهم معاني القرآن ولم يعمل بما فيه واعرض عنه اعراض من لا يحتاج
اليه ولهذا قال ميمون بن مهران يا اهل القرآن اتبعوا القرآن قبل ان يتبعكم ثم تلا هذه الآية ثم ذم
هذا المثل والمراد منه ذمهم فقال بئس مثلا مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله على ان التمييز
محذوف والفاعل المفسر به مضمر ومثل القوم هو المخصوص بالذم او مثل القوم فاعل بئس والمخصوص بالذم
الموصول بعده على حذف المضاف اي مثل الذين كذبوا ويجوز ان يكون الموصول صفة للقوم فيكون
في محل جر والمخصوص بالذم محذوف والتقدير بئس مثل القوم المكذبين مثل هؤلاء والمراد بالآيات
محمد صلى الله عليه وسلم وما اتى به من آيات القرآن وقيل المراد آيات التوراة لانهم كذبوا بها حين تركوا
الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والله لا يهدي القوم الظالمين يعني الكافرين على العموم فيدخل فيهم اليهود
دخولا اوليا والمراد بهم الذين سبق في علمه انهم لا يؤمنون والا فقد هدى كثيرا من الكفار قل يا ايها
الذين هادوا المراد بهم الذين تهودوا او تدينوا باليهودية وهي ملة موسى عليه السلام وذلك ان اليهود
ادعوا الفضيلة على الناس وقالوا انهم اولياء الله من دونهم كما في قولهم نحن ابناء الله واحباؤه وقولهم لن
يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى فامر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم ان يقول لهم لما ادعوا
هذه الدعوى الباطلة ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس والولي يؤثر الآخرة ومبدؤها
وطريقها الموت فتمنوا الموت لتصيروا الى ما تصيرون اليه من الكرامة في زعمكم قرأ الجمهور بضم الواو
وقرئ بفتحها تخفيفا وحكى الكسائي ابدال الواو همزة ان كنتم صادقين في هذا الزعم فان من علم انه
من اهل الجنة احب الخلوص من هذه الدار ثم اخبر سبحانه بما سيكون منهم في المستقبل من انهم

لا يفعلون ذلك ابدا بسبب ذنوبهم فقال وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ اي بسبب ما عملوا من
الكفر والمعاصي الموجبة لدخول النار والتحريف في التبديل قال الزمخشري ولا فرق بين لا ولن في ان كل
واحدة منهما نفي للمستقبل الا ان في لن تاكيدا وتشديدا ليس في لا فاتى مرة بلفظ التاكيد في ولن يتمنوه و
مرة بغير لفظه في ولا يتمنونه قال ابو حيان وهذا رجوع منه عن مذهبه وهو ان لن تقتضي النفي
على التابيد الى مذهب الجماعة وهو انها لا تقتضيه قلت ليس فيه رجوع غاية ما فيه انه سكت عنه
وتشريكه بين لا ولن في نفي المستقبل لا ينفي اختصاص لن بمعنى آخر وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ يعني
على العموم وهؤلاء اليهود داخلون فيهم دخولا اوليا ثم امر الله سبحانه رسوله ان يقول لهم ان الفرار
من الموت لا ينجيهم وانه نازل بهم فقال قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ لا محالة
ونازل بكم بلا شك والفاء في فانه داخلة لتضمن الاسم معنى الشرط قال الزجاج لا يقال ان زيدا
فمنطلق وههنا قال فانه ملاقيكم لما في معنى الذي من الشرط والجزاء اي ان فررتم منه فانه ملاقيكم
ويكون مبالغة في الدلالة على انه لا ينفع الفرار منه وقيل انها مزيدة محضة لا للتضمن المذكور و
قيل ان الكلام قد تم عند قوله تفرون منه ثم ابتدى فقال فانه ملاقيكم ولما كان المقام في
البرزخ امرا مهولا لا بد منه نبه عليه وعلى طوله باداة التراخي فقال ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ
الْغَيْبِ السر وَالشَّهَادَةِ العلانية وذلك يوم القيامة فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ من الاعمال
القبيحة ويجازيكم عليها وفيه وعيد وتهديد يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ اي وقع
النداء لها والمراد به الاذان اذا جلس الامام والخطيب على المنبر يوم الجمعة لانه لم يكن على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم نداء سواه ثم كان ابو بكر وعمر وعلي بالكوفة على ذلك حتى كان عثمان وكثر الناس وتباعدت
المنازل زاد اذانا آخر فامر بالتاذين اولا على داره التي تسمى الزوراء فاذا سمعوا اقبلوا حتى اذا جلس
على المنبر اذن المؤذن ثانيا ولم يخالفه احد في ذلك الوقت لقوله صلى الله عليه وسلم عليكم بسنتي وسنة
الخلفاء الراشدين من بعدي مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ بيان لاذا وتفسير لها قاله الزمخشري وقال ابو البقاء
ان من بمعنى في كما في قوله اروني ماذا خلقوا من الارض اي في الارض وجمع الكواشي بينهما قرأ الجمهور
الجمعة بضم الميم وقرئ باسكانها تخفيفا وهما لغتان وجمعها جمع وجمعات قال الفراء يقال الجمعة
بسكون الميم وبفتحها وبضمها وهي صفة لليوم اي يوم يجمع الناس قال الفراء ايضا وابو عبيد التخفيف

ع ٨

الخف في اقيس نحو غرفة وغرف وطرفة وطرف وحجرة وحجر وفتح الميم لغة عقيل وقيل إنما سميت
جمعة لأن الله سبحانه جمع فيها خلق آدم وقيل لأن الله تعالى فرغ فيها من خلق كل شيء فاجتمعت فيها
جميع المخلوقات وقيل لاجتماع الناس فيها للصلوة عن أبي هريرة قال قلت يا رسول الله لأي شيء سمي يوم
الجمعة قال لأن فيها جمعت طينة أبيكم آدم وفيه الصعقة والبعثة وفي آخره ثلاث ساعات منها ساعة
من دعا الله فيها بدعوة استجاب له أخرجه سعيد بن منصور وابن مردويه وعن سلمان قال قال
لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدري ما يوم الجمعة قلت الله ورسوله أعلم قالها ثلاث مرات ثم قال في الثالثة
هو اليوم الذي جمع الله فيه أباكم آدم أفلا أحدثكم عن يوم الجمعة الحديث رواه أحمد والنسائي وسعيد
بن منصور وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير
يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها ولا تقوم
الساعة إلا في يوم الجمعة أخرجه أحمد ومسلم والترمذي وابن مردويه وفي الباب أحاديث مصرحة
بأنه خلق فيها آدم وورد في فضل يوم الجمعة أحاديث كثيرة وكذلك في فضل صلوة الجمعة وعظيم
أجرها وفي الساعة التي فيها وأنه يستجاب الدعاء فيها وقد أوضح شيخنا الشوكاني في شرحه للمنتقى بما لا يحتاج
الناظر فيه إلى غيره وأول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار بني سالم بن عوف وذلك أنه لما قدم المدينة
نزل بقباء وأقام بها إلى الجمعة ثم دخل المدينة وصلى الجمعة في تلك الدار والجمعة فريضة من فرائض الله
بهذا النص من كتاب الله وبما صح من السنة المطهرة وهي الكثير الطيب قد واظب عليها النبي صلى الله عليه وسلم من
الوقت الذي شرعها الله تعالى فيه إلى أن قبضه وحكى ابن المنذر الإجماع على أنها فرض عين وزاد ابن
العربي ——— ومن نازع في فرضية الجمعة فقد أخطأ ولم يصب وهي كسائر الصلوات لا يخالفها
إلا في مشروعية الخطبتين قبلها ومن تأمل فيما وقع في هذه العبادة الفاضلة من الأقوال الساقطة
والمذاهب الزائغة والاجتهادات الداحضة قضى من ذلك العجب ولا يوجد في كتاب الله ولا في سنة
رسوله حرف واحد يدل على ما ادعوه من كون تلك الأمور كالمصر الجامع والعدد المخصوص والإمام
الأعظم والحمام ونحوها شروطا لصحة الجمعة أو فرضا من فرائضها أو ركنا من أركانها فيا لله العجب ما يفعل
الرأي بأهله ومن يخرج من رؤوسهم هذه الخزعبيلات الشبيهة بالقصص والأحاديث الملفقة و
هي عن الشريعة المطهرة بمعزل لكل من ثبتت قدمه ولم يتزلزل عن طريق الحق بالقيل والقال يعرف هذا

احسن المعرفة ومن جاء بالغلط فغلطه رد عليه مضروب به في وجهه وتفصيل ذلك في النيل
والسيل للشوكاني هذا وقد قال الشيخ الرحماني في حاشيته على التحرير ان افضل الليالي ليلة المولد ثم
ليلة القدر ثم ليلة الاسراء فعرفة فالجمعة فنصف شعبان فالعيد وافضل الايام يوم عرفة ثم يوم نصف
شعبان ثم يوم الجمعة والليل افضل من النهار فاسعوا الى ذكر الله قال عطاء يعني الذهاب والمشي الى
الصلوة وقال الفراء المضي والسعي والذهاب في معنى واحد ويدل على ذلك قراءة عمر بن الخطاب وابن مسعود
رضي الله عنهما فامضوا الى ذكر الله كما سيجيء وقيل المراد القصد قال الحسن والله ما هو سعي على الاقدام ولكنه
قصد بالقلوب والنيات وقيل المراد به السعي على الاقدام وذلك فضيلة وليس بشرط والاول اولى وقيل
هو العمل قاله ابن عباس يعني ليس المراد به السرعة في المشي كقوله ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو
مؤمن وقوله ان سعيكم لشتى وقوله ان ليس للانسان الا ما سعى وقول الداعي واليك نسعى ونحفد
قال القرطبي وهذا قول الجمهور اي فاعملوا على المضي الى ذكر الله واشتغلوا باسبابه من الغسل والوضوء والتوجه
اليه وعن خرشة بن الحر قال رأى معي عمر بن الخطاب لوحا مكتوبا فيه فاسعوا الى ذكر الله فقال من املى عليك
هذا قلت ابي بن كعب قال ان ابيا اقرأنا للمنسوخ اقرأها فامضوا الى ذكر الله رواه ابن المنذر وابن الانباري
وابن ابي شيبة وابو عبيد في فضائله وسعيد بن منصور وروى هؤلاء غير ابي عبيد عن ابن عمر
قال لقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما نقرأ هذه الآية التي هي في سورة الجمعة الا فامضوا الى ذكر الله واخرجه
عنه ايضا الشافعي في الام وعبد الرزاق والفريابي وابن جرير وابن ابي حاتم واخرجوا كلهم ايضا عن ابن مسعود
انه كان يقرأ فامضوا الى ذكر الله قال ولو كان فاسعوا لسعيت حتى يسقط ردائي وعن ابي انه قرأ كذلك والمراد
من ذكر الله هنا صلوة الجمعة وقيل موعظة الامام والاول اولى وقال الجمهور الخطبة وبه استدل
ابو حنيفة على ان الخطيب اذا اقتصر على الحمد لله جاز وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سمعتم الاقامة
فامشوا الى الصلوة وعليكم السكينة والوقار ولا تسرعوا فما ادركتم فصلوا وما فاتكم فاتموا اخرجه البخاري
ومسلم وهذا الحديث يعم كل صلوة ويدخل فيه صلوة الجمعة فهو كالتفسير للآية وذروا البيع اي
اتركوا المعاملة به ويلحق به سائر المعاملات او اتركوا عقده بتمامه فالخطاب لكل من البائع والمشتري قال
الحسن اذا اذن المؤذن يوم الجمعة لم يحل الشراء والبيع وعن محمد بن كعب ان رجلين من اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم كانا يختلفان في تجارتهما الى الشام فربما قدما يوم الجمعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فيدعونه

ويقومون فنزلت الآية وذروا البيع فحرم عليهم ما كان قبل ذلك اخرجه عبد بن حميد قلت والمراد
بالآية ترك ما يذهل عن ذكر الله من شواغل الدنيا وانما خص البيع من بينها لان يوم الجمعة يتكاثر فيه
البيع والشراء عند الزوال فقيل لهم بادروا الى تجارة الآخرة واتركوا تجارة الدنيا واسعوا الى ذكر الله الذي لا
شيء انفع منه واربح وذروا البيع الذي نفعه يسير ذلكم اي السعي الى ذكر الله وترك البيع خير لكم
من البيع والتكسب في ذلك الوقت لما في الامتثال من الاجر والجزاء وفي عدمه من عدم ذلك اذا لم يكن موجبا
للعقوبة وقد تمسك بهذا الشافعية في ان البيع وقت اذان الخطبة الى انقضاء الصلوة صحيح مع الحرمة
قال في الكشاف عامة العلماء على ان ذلك لا يوجب الفساد لان البيع لم يحرم لعينه بل لما فيه من التشاغل
عن الصلوة فهو كالصلوة في الارض المغصوبة وقال مالك ما وقع في الوقت المذكور يفسخ وكذا سائر العقود
ان كنتم تعلمون اي ان كنتم من اهل العلم فانه لا يخفى عليكم ان ذلكم خير لكم من مصالح انفسكم فاذا
قضيت الصلوة اي اذا فعلتم الصلوة واديتموها وفرغتم منها فانتشروا في الارض للتجارة فيما تحتاجون
اليه من امر معاشكم والامر للاباحة وابتغوا اي اطلبوا من فضل الله اي من رزقه الذي يتفضل
به على عباده بما يحصل لهم من الارباح في المعاملات والمكاسب وقيل المراد به ابتغاء ما عند الله
من الاجر بعمل الطاعات واجتناب ما لا يحل وقيل هو طلب العلم عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الآية ليس بطلب دنيا ولكن عيادة مريض وحضور جنازة وزيارة اخ في الله اخرجه ابن جرير وعن
ابن عباس قال لم يؤمروا بشيء من طلب الدنيا انما هو عيادة مريض وحضور جنازة وزيارة اخ في
الله وعن عراك بن مالك انه كان اذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد وقال اللهم اجبت
دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما امرتني فارزقني من فضلك وانت خير الرازقين
واذكروا الله ذكرا كثيرا اي اشكروه على ما هداكم اليه من الخير الاخروي والدنيوي وكذا اذكروه بما
يقربكم اليه من الاذكار كالحمد والتسبيح والتكبير والاستغفار ونحو ذلك ولا تقصروا ذكره على
حالة الصلوة لعلكم تفلحون اي كي تفوزوا بخيري الدارين وتظفروا بهما واذا رأوا تجارة او لهوا
انفضوا اليها سبب نزول هذه الآية انه كان باهل المدينة فاقة وحاجة فاقبلت عير الشام وضرب
لقدومها الطبل والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فانفتل الناس اليها حتى لم يبق الا اثنا عشر رجلا
في المسجد كما سيجيء قال قتادة بلغنا انهم فعلوا ذلك ثلاث مرات كل مرة تقدم العير من الشام ويوافق

ح قال العيني وفي رواية ان الاثني عشر لقوله اربعون رجلا وفي اخرى انه لم يبق منهم ... وفي اخرى انهم احد عشر وفي اخرى ثلاثة عشر وفي اخرى انهم اربعة عشر منشأ الاختلاف في العدد الذي تنعقد به الجمعة ... والقفال ... سلمة

قد وهو يوم الجمعة وقت الخطبة وقيل ضرب به اهل المدينة على العادة في انهم كانوا يستقبلونها بالطبل
والتصفيق او ضرب به اهل القادم بها اقوال ثلثة حكاها الخطيب ومعنى انفضوا انفرقوا خارجين اليها و
قال المبرد مالوا اليها والضمير للتجارة وخصصت بارجاع الضمير اليها دون اللهو لانها كانت اهم عندهم
وقيل التقدير واذا رأوا تجارة انفضوا اليها او لهوا انفضوا اليه فحذف الثاني لدلالة الاول عليه
وقيل انه اقتصر على ضمير التجارة لان الانفضاض اليها اذا كان مذموما مع الحاجة اليها فكيف بالانفضاض
الى اللهو وقيل غير ذلك وَتَرَكُوكَ في الخطبة قَائِمًا على المنبر اخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن جابر بن
عبد الله قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة قائما اذ قدمت عير المدينة فابتدرها اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى لم يبق منهم الا اثني عشر رجلا انا فيهم وابو بكر وعمر فانزل الله واذا رأوا تجارة
الى اخر السورة وعن ابن عباس في الاية قال جاءت عير عبد الرحمن بن عوف تحمل الطعام فخرجوا من
الجمعة بعضهم يريد ان يشتري وبعضهم يريد ان ينظر الى دحية بن خليفة الكلبي وتركوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم قائما على المنبر وبقي في المسجد اثنا عشر رجلا وسبع نسوة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لو خرجوا كلهم لاضطرم عليهم المسجد نارا اخرجه عبد بن حميد وفي الباب روايات متضمنة لهذا المعنى
عن جماعة من الصحابة وغيرهم والذي سوغ لهم الخروج وترك رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب انهم ظنوا ان
الخروج بعد تمام الصلوة جائز لانقضاء المقصود وهو الصلوة لانه كان صلى الله عليه وسلم اول الاسلام يصلي
الجمعة قبل الخطبة كالعيدين فلما وقعت هذه الواقعة ونزلت الاية قدم الخطبة واخر الصلوة
وعن ابن عمر قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب خطبتين يقعد بينهما اخرجه الشيخان وفيه دليل على
ان الخطيب ينبغي ان يخطب قائما واتفقوا على ان هذا القيام كان في الخطبة للجمعة ثم امره الله سبحانه
ان يخبرهم بان العمل للاخرة خير من العمل للدنيا فقال قُلْ لهم تاديبا وزجرا لهم عن العود لمثل هذا
الفعل مَا عِنْدَ اللّٰهِ من الجزاء العظيم على الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الجنة خَيْرٌ مِّنَ
اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ الذين ذهبتم اليهما وتركتم البقاء في المسجد وسماع خطبة النبي صلى الله عليه وسلم
لاجلهما وانما كان خيرا لانه محقق مخلد بخلاف ما يتوهمونه من نفع التجارة واللهو اذ نفع اللهو ليس بمحقق
ونفع التجارة ليس بمخلد ومنه يعلم وجه تقديم اللهو فان الاعدام تقدم على الملكات وَاللّٰهُ خَيْرُ
الرّٰزِقِيْنَ فمنه اطلبوا الرزق واليه توسلوا بعمل الطاعة فان ذلك من اسباب تحصيل الرزق واعظم ما يجلبه

ع ٢

وتعديدهم انما هو على سبيل المجاز من حيث انه يقال كل انسان يرزق عائلته اي من رزق الله تعالى
والا فالرازق بالحقيقة هو الله وحده ؕ

سورة المنافقين هي احدى عشرة اية بلا خلاف وهي مدنية

قال القرطبي في قول الجميع قال ابن عباس نزلت بالمدينة وعن ابن الزبير مثله وعن ابي هريرة قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في صلوة الجمعة بسورة الجمعة فيحرض بها على المؤمنين وفي الثانية بسورة المنافقين
فيقرع بها المنافقين اخرجه سعيد بن منصور والطبراني في الاوسط قال السيوطي بسند حسن
واخرج البزار والطبراني عن ابي عنبة الخولاني مرفوعا نحوه

بِسۡمِ اللّٰهِ الرَّحۡمٰنِ الرَّحِيۡمِ ؕ

اِذَا جَآءَكَ الۡمُنٰفِقُوۡنَ اي اذا وصلوا اليك وحضروا مجلسك قال ابن عباس رضي الله عنه سموا منافقين
لانهم كتموا الشرك واظهروا الايمان والمراد بهم عبد الله بن ابي واصحابه قَالُوۡا هذا جواب الشرط وقيل
محذوف وقالوا حال اي جاؤك قائلين كيت وكيت فلا تقبل منهم وقيل الجواب اتخذوا ايمانهم جنة وهو بعيد
جدا كما لا يخفى نَشۡهَدُ اِنَّكَ لَرَسُوۡلُ اللّٰهِ اكدوا شهادتهم بان واللام للاشعار بانها صادرة من صميم قلوبهم
مع خلوص اعتقادهم ومعنى نشهد نحلف فهو يجري مجرى القسم ولذلك يتلقى بما يتلقى به القسم وانما عبر
عن الحلف بالشهادة لان كل واحد من الحلف والشهادة اثبات لامر معين ويحتمل ان يكون ذلك محمولا
على ظاهره نفيا للنفاق عن انفسهم وهو الاشبه ومثل نشهد نعلم فانه ايضا يجري مجرى القسم كما في
قول الشاعر ؎ ولقد علمت لتاتين منيتي + ان المنايا لا تطيش سهامها + وَاللّٰهُ يَعۡلَمُ اِنَّكَ لَرَسُوۡلُهٗ
جملة معترضة مقررة لمضمون ما قبلها وهو ما اظهروه من الشهادة وان كانت بواطنهم على خلاف
ذلك وَاللّٰهُ يَشۡهَدُ اِنَّ الۡمُنٰفِقِيۡنَ لَكٰذِبُوۡنَ اي في شهادتهم التي زعموا انها من صميم القلب وخلوص
الاعتقاد لا في منطوق كلامهم وهو الشهادة بالرسالة فانه حق يعني انهم لكاذبون فيما تضمنه كلامهم
من التاكيد الدال على ان شهادتهم بذلك صادرة عن خلوص الاعتقاد وطمانينة قلب وموافقة باطن
لظاهر او انهم كاذبون عند انفسهم لانهم كانوا يعتقدون ان قولهم انك لرسول الله كذب وخبر على خلاف

ما عليه حال المخبر عنه اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً اي جعلوا حلفهم الذي حلفوا لكم به انهم لمنكم وان
محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاية تقيهم منكم وسترة يستترون بها من القتل والاسر قال النسفي
وفيه دليل على ان اشهد يمين قال ابن عباس اجتنوا بايمانهم من القتل والحرب والجملة مستانفة
لبيان كذبهم وحلفهم عليه قرأ الجمهور ايمانهم بفتح الهمزة وقرئ بكسرها وقد تقدم تفسير هذا
في سورة المجادلة والجنة الترس ونحوه وكل ما يقيك سوءً ومن كلام الفصحاء جبة البرد جنة
البرد فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ اي منعوا الناس عن الايمان والجهاد واعمال الطاعة بسبب ما يصدر منهم
من التشكيك والقدح في النبوة هذا معنى الصد الذي بمعنى الصرف ويجوز ان يكون بمعنى الصدود
اي اعرضوا عن الدخول في سبيل الله واقامة احكامه إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ من النفاق و
الصد وساء هذه هي الجارية مجرى بئس في افادة الذم ومع ذلك ففيها معنى التعجيب وتعظيم امرهم عند
السامعين ذَلِكَ اي ما تقدم ذكره من الكذب والصد وقبح الاعمال بِأَنَّهُمْ اي بسبب انهم آمَنُوا باللسان
في الظاهر نفاقا ثُمَّ كَفَرُوا بالقلب في الباطن فثم للترتيب الاخباري لا الايجادي او اظهروا الايمان للمؤمنين
واظهروا الكفر للكافرين وهذا صريح في كفر المنافقين وقيل نزلت الآية في قوم آمنوا ثم ارتدوا والاول
اولى كما يفيده السياق فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ اي ختم عليها بسبب كفرهم قرأ الجمهور طبع مبنيا للمفعول
وقرئ مبنيا للفاعل والفاعل ضمير يعود الى الله سبحانه ويدل عليه قراءة الاعمش فطبع الله على قلوبهم
فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ما فيه صلاحهم ورشادهم وهو حقيقة الايمان ولا يعرفون صحته وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ
تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ اي هيآتهم ومناظرهم يعني ان لهم اجساما يعجب من يراها لما فيها من النضارة
والرونق قال ابن عباس كان ابن ابي جسيما صحيحا فصيحا ذلق اللسان وكان قوم من المنافقين مثله وهم
رؤساء المدينة وكانوا يحضرون مجلس النبي صلعم ويستندون فيه الى الجدر وكان النبي صلعم ومن
حضر يعجبون بهياكلهم وَإِنْ يَقُولُوا اي يتكلموا في مجلسك تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ اي تستمع وتصغي وتميل اليه فلذلك
عدي باللام والمعنى لتحسب ان قولهم حق وصدق لفصاحتهم وذلاقة السنتهم قال الكلبي المراد عبد الله
بن ابي وجد بن قيس ومعتب بن قيس كانت لهم اجسام ومنظر وفصاحة والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل لكل
من يصلح له ويدل عليه قراءة يسمع على البناء للمفعول وجملة كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ خبر مبتدأ مضمر
اي هم كانهم او مستانفة لتقرير ما تقدم من ان اجسامهم تعجب الرائي وتروق الناظر قالهما الزمخشري او في

محل نصب على الحال او صاحب الحال الضمير في قولهم قاله ابو البقاء او شبههم في جلوسهم في مجالس النبي
صلى الله عليه وسلم مستندين بها بالخشب المنصوبة المسندة الى الحائط التي لا تفهم ولا تعلم وهم كذلك لخلوهم عن
الفهم النافع والعلم الذي ينتفع به صاحبه قال الزجاج وصفهم بتمام الصور ثم اعلم انهم في ترك
الفهم والاستبصار وعظم الاجسام بمنزلة الخشب قرأ الجمهور خشب بضمتين وقرئ باسكان
الشين لان واحدها خشبة كبدنة وبدن وهما سبعيتان وقرئ بفتحتين ومعنى مسندة انها
اسندت الى غيرها من قولهم اسندت كذا الى كذا والتشديد للتكثير قال ابن عباس في الآية كانهم
نخل قيام وقيل انهم اشباح بلا ارواح واجسام بلا احلام وقد اخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن
زيد بن ارقم قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فاصاب الناس شدة فقال عبد الله بن ابي
لاصحابه لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن
الاعز منها الاذل فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته بذلك فارسل الى عبد الله بن ابي فسأله فاجتهد
يمينه ما فعل فقالوا كذب زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقع في نفسي مما قالوا شدة حتى انزل الله تصديقي
في اذا جاءك المنافقون فدعاهم النبي صلى الله عليه وسلم ليستغفر لهم فلووا رؤسهم وهو قوله كانهم خشب
مسندة قال كانوا رجالا اجمل شيء واخرجه عنه باطول من هذا ابن سعد وعبد بن حميد والترمذي
وصححه وابن المنذر والطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي ثم عابهم الله سبحانه بالجبن فقال
يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ يسمعونها واقعة عَلَيْهِمْ نازلة بهم لفرط جبنهم ورعب قلوبهم وفي المفعول
الثاني للحسبان وجهان اولهما انه عليهم ويكون جملة هُمُ الْعَدُوُّ مستأنفة لبيان انهم الكاملون في
العداوة لكونهم يظهرون غير ما يبطنون والوجه الثاني ان المفعول الثاني للحسبان هو قوله هم العدو
ويكون قوله عليهم متعلقا بصيحة وانما جاء بضمير الجماعة باعتبار الخبر وكان حقه ان يقال هو العدو
قال مقاتل والسدي اي اذا نادى مناد في العسكر او انفلتت دابة او انشدت ضالة ظنوا انهم المرادون
لما في قلوبهم من الرعب وقيل كان المنافقون على وجل من ان ينزل فيهم ما يهتك استارهم ويبيح
دماءهم واموالهم ثم امر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم بان ياخذ حذره منهم فقال فَاحْذَرْهُمْ
ان يتمكنوا من فرصة منك او يطلعوا على شيء من اسرارك لانهم عيون لاعدائك من الكفار قال ابو السعود
الفاء لترتيب الامر بالحذر على كونهم اعدى الاعداء وعلى هذا جعل قوله هم العدو مفعولا ثانيا مما لا يساعده

النظم الكريم اصلا ثم دعى عليهم بقوله قَاتَلَهُمُ اللّٰهُ اي لعنهم الله وقد تقول العرب هذه الكلمة
على طريق التعجب كقولهم قاتله الله من شاعر وما اشعره وليس بمراد هنا بل المراد ذمهم وتوبيخهم وهو طلب
من الله سبحانه طلبه من ذاته عزوجل ان يلعنهم ويخزيهم او هو تعليم للمؤمنين ان يقولوا ذلك وقيل
معناه اهلكهم وهذا ما جرى عليه ابو عيسى ومعنى اَنّٰى يُؤْفَكُوْنَ كيف يصرفون عن الحق ويميلون عنه
الى الكفر بعد قيام البرهان على حقية الايمان قال قتادة يعدلون عن الحق وقال الحسن معناه يصرفون
عن الرشد وَاِذَا قِيْلَ لَهُمْ تَعَالَوْا اي اذا قال لهم القائل من المؤمنين قد نزل فيكم ما نزل من القران فتوبوا
الى الله ورسوله وتعالوا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُوْلُ اللّٰهِ لَوَّوْا رُءُوْسَهُمْ اي حركوها استهزاء بذلك قال مقاتل
عطفوا رؤسهم رغبة عن الاستغفار وقيل اعراضا عنه واستكبارا قرأ الجمهور لووا بالتشديد وقرئ
بالتخفيف واختار الاولى ابو عبيد وهما سبعيتان وَرَاَيْتَهُمْ يَصُدُّوْنَ اي يعرضون عن قول من قال لهم
تعالوا الخ او يعرضون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجملة وَهُمْ مُّسْتَكْبِرُوْنَ في محل نصب على الحال من فاعل
الحال الاولى وهي يصدون لان الرؤية بصرية فيصدون في محل نصب على الحال والمعنى رايتهم
صادين مستكبرين عن الاعتذار والاستغفار ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب صلاحهم وان يستغفر لهم
وربما ندبه الى ذلك بعض اقاربهم قال تعالى منبها له على انهم ليسوا باهل للاستغفار لانهم لا يؤمنون
سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ اَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ اَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ اي الاستغفار وعدمه سواء لا ينفعهم ذلك
لاصرارهم على النفاق واستمرارهم على الكفر وهذا تيئيس له من ايمانهم لَنْ يَّغْفِرَ اللّٰهُ لَهُمْ اي ما داموا على
النفاق اِنَّ اللّٰهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفٰسِقِيْنَ اي الكاملين في الخروج عن الطاعة والانهماك في معاصي
الله ويدخل فيهم المنافقون دخولا اوليا ثم ذكر سبحانه بعض قبائحهم فقال هُمُ الَّذِيْنَ يَقُوْلُوْنَ استئنافا
جاريا مجرى التعليل لفسقهم او لعدم هداية الله لهم والمعنى يقولون لاصحابهم من الانصار المخلصين في
الايمان وصحبتهم للمنافقين بحسب ظاهر الحال لَا تُنْفِقُوْا عَلٰى مَنْ عِنْدَ رَسُوْلِ اللّٰهِ الظاهر انه حكاية
ما قالوه بعينه لانهم منافقون مقرون برسالته ظاهرا ولا حاجة الى انهم قالوه تهكما او لغلبته عليه
حتى صار كالعلم كما قيل ويحتمل انهم عبروا بغير هذه العبارة فغيرها الله اجلالا لنبيه صلى الله عليه وسلم حَتّٰى
يَنْفَضُّوْا اي لاجل ان يتفرقوا عنه بان يذهب كل واحد منهم الى اهله وشغله الذي كان له قبل ذلك
يعنون بذلك فقراء المهاجرين قرأ الجمهور ينفضوا من الانفضاض وهو التفرق وقرئ ينفضوا من النفض

القوم اذا فنيت ازوادهم يقال نفض الرجل وعاءه من الزاد فانفض قال ابن عباس نزلت هذه الآية
في عسيف لعمر بن الخطاب قال زيد بن ارقم وابن مسعود حتى ينفضوا من حوله ثم اخبر سبحانه بسعة
ملكه فقال وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ اي انه هو الرزاق لهؤلاء المهاجرين وغيرهم لان خزائن
الرزق له فيعطي من شاء ما شاء ويمنع من شاء ما شاء لا بايديهم وهذا رد وابطال لما زعموا من ان
عدم انفاقهم يودي الى انفضاض الفقراء من حوله والجملة حالية اي قالوا ما ذكر والحال ان الرزق
بيده تعالى لا يقدر احد على منع شيء من ذلك لا مما في يده ولا مما في يد غيره وَلٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ
ذلك ولا يعلمون ان خزائن الارزاق بيد الله عز وجل وانه الباسط القابض المعطي المانع ثم ذكر سبحانه
مقالة شنعاء قالوها فقال يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ القائل
لهذه المقالة هو عبد الله بن ابي رأس المنافقين وعنى بالاعز نفسه ومن معه وبالاذل رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومن معه والمراد بالرجوع رجوعهم من تلك الغزوة وانما اسند القول الى المنافقين
مع كون القائل فردا من افرادهم وهو ابن ابي لكونه رئيسهم وصاحب امرهم وهم راضون بما يقوله
سامعون له مطيعون اخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن جابر بن عبد الله قال كنا مع النبي صلى الله
عليه وسلم في غزاة قال سفيان يرون انها غزوة بني المصطلق فكسع رجل من المهاجرين رجلا
من الانصار فقال المهاجري يا للمهاجرين وقال الانصاري يا للانصار فسمع ذلك النبي صلى الله عليه وسلم
فقال ما بال دعوة الجاهلية قالوا رجل من المهاجرين كسع رجلا من الانصار فقال النبي صلى الله عليه وسلم
دعوها فانها منتنة فسمع ذلك عبد الله بن ابي فقال او قد فعلوها والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن
الاعز منها الاذل فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقام عمر فقال يا رسول الله دعني اضرب عنق هذا المنافق
فقال النبي صلى الله عليه وسلم دعه لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه زاد الترمذي فقال له ابنه عبد الله
والله لا تنفلت حتى تقر انك الذليل ورسول الله العزيز ففعل وكانت تلك الغزوة في السنة الرابعة و
قيل في السادسة ثم رد الله سبحانه على قائل تلك المقالة فقال وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ
الجملة حالية اي قالوا ما ذكر والحال ان كل من له نوع بصيرة يعلم ان القوة والغلبة لله وحده ولمن
افاضها عليه من رسله وصالحي عباده وعزة الله قهره وغلبته لاعدائه وعزة رسوله اظهار دينه
على الاديان كلها وعزة المؤمنين نصر الله اياهم على اعدائهم وعن بعض الصالحات وكانت في هيئة

رتبة الشرف على الاسلام وهو العز الذي لا ذل معه والغنى الذي لا فقر معه وعن الحسن بن علي ان رجلا
قال له ان الناس يزعمون ان فيك تيها قال ليس بتيه ولكنه عزة وتلا هذه الآية اللهم كما جعلت
العزة للمؤمنين على المنافقين فاجعل العزة للعادلين من عبادك وانزل الذلة على الجائرين الظالمين
ولكن المنافقين لا يعلمون بما فيه النفع فيفعلونه وبما فيه الضر فيجتنبونه بل هم كالانعام لفرط جهلهم
ومزيد حيرتهم والطبع على قلوبهم ختم هذه الآية بلا يعلمون وما قبلها بلا يفقهون لان الاول متصل
بقوله ولله خزائن السموات والارض لان في معرفتها غموضا يحتاج الى فطنة وفقه فناسب نفي الفقه
عنهم والثاني متصل بقوله ولله العزة الخ وفي معرفتها غموض زائد يحتاج الى علم فناسب نفي العلم عنهم
فالمعنى لا يعلمون ان الله معز اوليائه ومذل اعدائه قال الكرخي والحاصل انه لما اثبت المنافقون لفريقهم
اخراج المؤمنين من المدينة اثبت الله تعالى في الرد عليهم صفة العزة لغير فريقهم وهو الله ورسوله
والمؤمنون وفي شرح جمع الجوامع ومن قوادح العلة القول بالموجب بفتح الجيم وهو تسليم الدليل مع بقاء
النزاع بان يظهر المعترض من عدم استلزام الدليل لمحل النزاع وشاهده ولله العزة ولرسوله في جواب
ليخرجن الاعز منها الاذل ولما ذكر سبحانه قبائح المنافقين رجع الى خطاب المؤمنين مرغبا لهم في ذكره
فقال يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اي لا تشغلكم اموالكم بالتصرف فيها والسعي في تدبير امرها
بالنماء وطلب النتاج والاهتمام بها ولا اولادكم وسروركم بهم وشفقتكم عليهم والقيام بمؤنتهم حذرهم
عن التشبه بالمنافقين في الاغترار وعن اخلاق الذين الهتهم اموالهم واولادهم عن ذكر
الله والمراد بالذكر فرائض الاسلام قاله الحسن وقال الضحاك الصلوات الخمس وقيل قراءة القرآن
وقيل الحج والزكوة وقيل ادامة الذكر وقيل هو خطاب للمنافقين ووصفهم بالايمان
لكونهم آمنوا ظاهرا والاول اولى وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم في الآية قال هم عباد من
امتي الصالحون منهم لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وعن الصلوات الخمس المفروضة اخرجه
ابن مردويه ومن يفعل ذلك اي يلتهي بالدنيا عن الدين ويشتغل بها عما ذكر فاولئك هم الخاسرون
اي الكاملون في الخسران في تجارتهم حيث باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني وعن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا ملعونة وملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه وعالم ومتعلم اخرجه الترمذي
وانفقوا مما رزقناكم الظاهر ان المراد الانفاق في الخير على عمومه وقيل المراد الزكوة المفروضة ومن

للتبعيض اي انفقوا بعض ما رزقناكم في سبيل الخير وفي التبعيض باسناد الرزق منه تعالى الى نفسه زيادة ترغيب في الامتثال حيث كان الرزق له تعالى بالحقيقة ومع ذلك اكتفى منهم ببعضه مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ بان تنزل عليه مقدماته واسبابه اماراته ويشاهد حضور علاماته و دلائله ويتعذر عليه الانفاق وقدم المفعول على الفاعل للاهتمام فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي اي يقول عند نزول ما نزل به منادياً لربه هلا امهلتني واخرت موتي فلولا بمعنى هلا التي معناها التحضيض وتختص بالفعله ماض وهو في تاويل المضارع كما هنا اذ لا معنى لطلب التاخير في الزمن الماضي ولا زائدة ولو للتمني وقضية كلام الكشاف ان لولا بمعنى هل الاستفهامية ولا الاولى اولى إِلَىٰ أَجَلٍ اي زمن وامد قَرِيبٍ قصير قليل بقدر ما استدرك فيه ما فاتني فَأَصَّدَّقَ اي فاتصدق بمالي او بالزكوة قرأ الجمهور بادغام التاء في الصاد وانتصابه على انه جواب التمني وقيل ان لا في لولا زائدة والاصل لو اخرتني وقرئ فاتصدق بدون ادغام على الاصل وَأَكُنْ قرأ الجمهور بالجزم على محل فاتصدق كانه قيل ان اخرتني اتصدق واكن قال الزجاج معناه هلا اخرتني وجزم اكن على موضع فاصدق لانه على معنى ان اخرتني اصدق واكن وكذا قال ابو علي الفارسي وابن عطية وغيرهم وقال سيبويه حاكياً عن الخليل انه جزم على توهم الشرط الذي يدل عليه التمني وجعل سيبويه هذا نظير قول زهير شعر بدا لي لست مدرك ما مضى + ولا سابق شيئاً اذا كان جائياً + فخفض ولا سابق عطفاً على مدرك الذي هو خبر ليس على توهم زيادة الباء فيه وقرئ واكون بالنصب عطفاً على فاصدق ووجهها واضح ولكن قال ابو عبيد رايت في مصحف عثمان واكن بغير واو وقرئ بالرفع على الاستيناف اي وانا اكون مِّنَ الصَّالِحِينَ اي من المؤمنين قال ابن عباس لم يحج وقال الضحاك لا ينزل الموت باحد لم يحج ولم يؤد زكوة الا سأل الرجعة وقرأ هذه الآية وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان له مال يبلغه حج بيت الله او تجب عليه فيه الزكوة فلم يفعل سأل الرجعة عند الموت فقال له رجل يا ابن عباس اتق الله فانما يسأل الرجعة الكافر فقال سأتلو عليكم بذلك قرآناً يا ايها الذين آمنوا الى آخر السورة اخرجه الترمذي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن ابي حاتم والطبراني وابن مردويه والحسن بن ابي الحسن في كتاب منهاج الدين الى قوله الموت مرفوعاً ثم اجاب الله عن هذا المتمني فقال وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا اي نفس كانت عن الموت إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا اي آخر عمرها المكتوب في اللوح المحفوظ ومن جملة النفوس التي شملها

النفي نفس هذا القائل فلا يؤخر ايضا وَاللّٰهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ قرئ بالتاء والياء ولكل وجه يعني انه لو رد الى الدنيا واجيب الى ما يسال ما حج وما زكى وقيل هو خطاب شائع لكل عامل عملا من خير او شر وهو الاولى واستنبط بعضهم من هذه الآية عمر النبي صلى الله عليه وسلم لان السورة راس ثلاث وستين سورة وعقبت بالتغابن اشارة لظهور التغابن بوفاته صلى الله عليه وسلم ذكره الكرخي وليس هذا من تفسير الكتاب في شيء بل من لطائف الكلام وتفنن المرام

سُورَةُ التَّغَابُنِ هِيَ ثَمَانِي عَشْرَةَ آيَةً بِالاتِّفَاقِ وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ

في قول الاكثر وبه قال عكرمة وقال الضحاك هي مكية وقال الكلبي هي مدنية ومكية وقال ابن عباس نزلت بالمدينة وعن ابن الزبير مثله وعن ابن عباس ايضا قال نزلت بمكة الا آيات من آخرها نزلن بالمدينة في عوف بن مالك الاشجعي شكى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم جفاء اهله وولده فانزل الله يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم الى آخر السورة وعن عطاء بن يسار نحوه اخرج البخاري في تاريخه عن عبد الله بن عمرو قال ما من مولود يولد الا مكتوب في تشبيك راسه خمس آيات من اول سورة التغابن واخرجه ابن حبان في الضعفاء والطبراني وابن مردويه وابن عساكر مرفوعا عنه قال ابن كثير وهو غريب جدا بل منكر

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ اي ينزهه سبحانه جميع مخلوقاته التي في سمواته وارضه عن كل نقص وعيب وكررت ما هنا وفي قوله وما تعلنون تاكيدا وتعميما وللاختلاف ولان تسبيح ما في السموات مخالف لتسبيح ما في الارض كثرة وقلة واسرارنا مخالفة لعلانيتنا ولم تكرر في قوله يعلم ما في السموات والارض لعدم اختلاف علمه تعالى اذ علمه بما تحت الارض كعلمه بما فوقها وعلمه بما كان كعلمه بما يكون لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ اي يختصان به ليس لغيره منهما شيء وما كان لعباده منهما فهو من فيضه وراجع اليه وتقديم الظرف يفيد الاختصاص به تعالى من حيث الحقيقة لانه مبدئ كل شيء ومبدعه فكان الملك له حقيقة دون غيره ولان اصول النعم وفروعها منه تعالى

فالحمد لله الحقيقة وحمد غيره انما يقع من حيث ظاهر الحال في جريان النعم على يديه والملك هو الاستيلاء والتمكن من التصرف في كل شيء على حسب ما اراد في الازل قال الرازي الملك تمام القدرة واستحكامها يقال ملك بين الملك بالضم ومالك بين الملك بالكسر وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ لا يعجزه شيء هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ اي قدر خلقكم في الازل وكذا قوله فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ اي مقتضي بكفره وايمانه ازلا وقيل انه خلق الخلق ثم كفروا وآمنوا والتقدير هو الذي خلقكم ثم وصفكم فقال فمنكم كافر ومنكم مؤمن كقوله والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه الآية قالوا فالله خلقهم والمشي فعلهم وهذا اختيار الحسين بن الفضيل قال لو خلقهم مؤمنين وكافرين لما وصفهم بفعلهم في قوله فمنكم كافر الخ واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ذكره الخطيب قال الضحاك فمنكم كافر في السر مؤمن في العلانية كالمنافق ومنكم مؤمن في السر وكافر في العلانية كعمار بن ياسر ونحوه ممن اكره على الكفر وقال عطاء فمنكم كافر بالله مؤمن بالكواكب ومنكم مؤمن بالله كافر بالكواكب قال الزجاج ان الله خلق الكافر وكفره فعل له وكسب مع ان الله خالق الكفر وخلق المؤمن وايمانه فعل له وكسب مع ان الله خالق الايمان والكافر يكفر ويختار الكفر بعد خلق الله اياه لان الله تعالى قدر ذلك عليه وعلمه منه لان وجود خلاف المقدر عجز ووجود خلاف المعلوم جهل هذا طريق اهل السنة فمن سلك هذا اصاب الحق وسلم من مذهب الجبرية والقدرية قال القرطبي وهذا احسن الاقوال وهو الذي عليه جمهور الامة وقدم الكافر على المؤمن لانه الاغلب عند نزول القرآن وفيه رد لقول من يقول بالمنزلة بين المنزلتين وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ لا يخفى عليه من ذلك خافية فهو مجازيكم باعمالكم عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العبد يولد مؤمنا ويعيش مؤمنا ويموت مؤمنا والعبد يولد كافرا ويعيش كافرا ويموت كافرا وان العبد يعمل برهة من دهره بالسعادة ثم يدركه ما كتب له فيموت شقيا وان العبد يعمل برهة من دهره بالشقا ثم يدركه ما كتب له فيموت سعيدا اخرجه ابن مردويه ثم لما ذكر سبحانه خلق العالم الصغير اتبعه بخلق العالم الكبير فقال خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ خلقا متلبسا بِالْحَقِّ اي بالحكمة البالغة وقيل خلق ذلك خلقا يقينيا لاريب فيه وقيل الباء بمعنى اللام اي خلق ذلك لاظهار الحق وهو ان يجزي المحسن باحسانه والمسيء باساءته ثم رجع سبحانه الى خلق العالم الصغير فقال وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ قيل المراد آدم خلقه بيده كرامة له كذا قال مقاتل

وقيل المراد جميع الخلائق وهو الظاهر اي انه سبحانه خلقهم في اكمل صورة واحسن تقويم واجمل شكل
والبهاء لا يتمنى الانسان ان تكون صورته على خلاف ما يرى من سائر الصور قال بعض الحكماء شيئان لا غاية
لهما الجمال والبيان والتصوير التخطيط والتشكيل قرأ الجمهور صوركم بضم الصاد وقرئ بكسرها واليه
المصير في الدار الآخرة لا الى غيره عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مكث المني في الرحم اربعين
ليلة اتاه ملك النفوس فعرج به الى الرب فيقول يا رب اذكر ام انثى فيقضي الله ما هو قاض فيقول اشقي ام سعيد
فيكتب ما هو لاق وقرأ ابو ذر من فاتحة التغابن خمس آيات الى قوله واليه المصير اخرجه عبد بن حميد
وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم وابن مردويه يعلم ما في السموات والارض لا تخفى عليه من
ذلك خافية ويعلم ما تسرون وما تعلنون اي ما تخفونه وما تظهرونه والتصريح به مع اندراجه
فيما قبله لمزيد التاكيد في الوعد والوعيد والله عليم بذات الصدور جملة مقررة لما قبلها من شمول
علمه لكل معلوم وهي تذييلية وقال الخطيب كل واحدة من هذه الثلاث اخص مما قبلها وجمع بينها
اشارة الى ان علمه تعالى محيط بالجزئيات والكليات لا يعزب عنه شيء من الاشياء الم يأتكم استفهام توبيخ
او تقرير نبأ الذين كفروا من قبل اي من قبلكم وهم كفار الامم الماضية كقوم نوح وعاد وثمود و
الخطاب لكفار العرب وقوله فذاقوا وبال امرهم معطوف على كفروا عطف المسبب على السبب وعبر عن
العقوبة بالوبال اشارة الى انها كالشيء الثقيل المحسوس وذلك لان الوبال في الاصل الثقل والشدة و
منه الوبيل للطعام الذي يثقل على المعدة والوابل للمطر الثقيل القطر والمراد بامرهم هنا ما وقع
منهم من الكفر والمعاصي وبالوبال ما اصيبوا به من عذاب الدنيا ولهم عذاب اليم في الآخرة
وهو عذاب النار ذلك اي ما ذكر من العذاب في الدارين وهو مبتدء وخبره بانه اي بسبب انها
كانت تأتيهم رسلهم اي الرسل المرسلة اليهم بالبينات اي بالحجج الباهرة والمعجزات الظاهرة
فقالوا ابشر يهدوننا اي قال كل قوم منهم لرسولهم هذا القول منكرين ان يكون الرسول من جنس البشر
متعجبين من ذلك كما قالت ثمود ابشرا منا واحدا نتبعه ومن غباوتهم انهم انكروا ان يكون الرسول بشرا وسلموا واعتقدوا ان الاله
يكون حجرا واراد بالبشر الجنس ولهذا قال يهدوننا وقد اجمل في الحكاية فاسند القول الى جميع الاقوام كما اجمل الخطاب
والامر في قوله يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا فكفروا بالرسل وبما جاؤا به وقيل كفروا بسبب هذا القول
الذي قالوه للرسل فالفاء للسببية لا للتعقيب وتولوا اي اعرضوا عنهم ولم يتدبروا فيما جاؤا به واستغنى الله اي

اظهر غناه عن ايمانهم وعبادتهم حيث لم يلجئهم ولم يضطرهم اليه مع قدرته على ذلك وقال
مقاتل استغنى الله بما اظهره لهم من البرهان واوضحه من المعجزات وقيل استغنى بسلطانه عن
طاعة عباده وقال الزمخشري اي ظهر غناه فالسين ليست للطلب وَاللّٰهُ غَنِيٌّ حَمِيْدٌ اي غير محتاج
الى العالم ولا الى عبادتهم له محمود من كل مخلوقاته بلسان المقال والحال زَعَمَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْٓا
الزعم هو القول بالظن وادعاء العلم ويطلق على الكذب قال شريح لكل شيء كنية وكنية الكذب
زعموا وهو يتعدى الى مفعولين وقوله اَنْ لَّنْ يُّبْعَثُوْا ساد مسدهما والمعنى زعم كفار العرب
وهم اهل مكة كما قاله ابو حيان بان الشان لن يبعثوا ابدا عن ابن مسعود انه قيل له ما سمعت النبي
صلى الله عليه وسلم يقول في زعموا قال سمعته يقول بئس مطية الرجل اخرجه احمد والبيهقي وغيرهما وعنه
انه كره زعموا ثم امر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم بان يرد عليهم ويبطل زعمهم فقال قُلْ بَلٰى هي
لايجاب النفي فالمعنى بلى تبعثون ثم اقسم على ذلك بقوله وَرَبِّيْ وجواب القسم لَتُبْعَثُنَّ اي لتخرجن
من قبوركم احياء الا اخبار باليمين فان قلت ما معنى اليمين على شيء انكروه قلت هو جائز لان التهدد به
اعظم موقعا في القلب فكانه قيل لهم ما تنكرونه كائن لا محالة ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ اي لتخبرن
بذلك اقامة للحجة عليكم ثم تجزون به وَذٰلِكَ البعث والجزاء عَلَى اللّٰهِ يَسِيْرٌ اذ الاعادة ايسر
من الابتداء فَاٰمِنُوْا بِاللّٰهِ وَرَسُوْلِهٖ الفاء هي الفصيحة الدالة على شرط مقدر اي اذا كان الامر هكذا
فصدقوا يا كفار مكة بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ولم يقل وباليوم الآخر على ما هو المناسب لقوله
زعم الذين كفروا اكتفاء بقوله وَالنُّوْرِ الَّذِيْٓ اَنْزَلْنَا فانه مشتمل على البعث والحساب وهو القرآن
لانه نور يهتدى به من ظلمة الضلال وَاللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُوْنَ خَبِيْرٌ لا يخفى عليه شيء من اقوالكم
وافعالكم فهو مجازيكم على ذلك يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ العامل في الظرف لتنبؤن قاله النحاس وقال غيره هو
خبير وقيل محذوف هو اذكر وقال ابو البقاء هو ما دل عليه الكلام اي تتفاوتون يوم يجمعكم قرأ
الجمهور بفتح الياء وضم العين وروي اسكانها ولا وجه لذلك الا التخفيف وان لم يكن هذا موضعا
له كما في وما يشعركم بسكون الراء وقرئ نجمعكم بالنون ومعنى لِيَوْمِ الْجَمْعِ ليوم القيامة فانه يجمع
فيه اهل المحشر للجزاء ويجمع فيه بين كل عامل وعمله وبين كل نبي وامته وبين كل ظالم ومظلومه
وبين الاولين والآخرين من الانس والجن وجميع اهل السماء واهل الارض ذٰلِكَ يعني ان يوم

القيامة هو يوم التغابن وذلك انه يغبن فيه بعض اهل المحشر بعضا يغبن فيه اهل الحق اهل الباطل ويغبن فيه اهل الايمان اهل الكفر واهل الطاعة اهل المعصية ولا غبن اعظم من غبن اهل الجنة اهل النار عند دخول هؤلاء الجنة وهؤلاء النار فتركوا منازلهم التي كانوا يستنزلونها لو لم يفعلوا ما يوجب النار فكان اهل النار استبدلوا الخير بالشر والجيد بالردي والنعيم بالعذاب واهل الجنة على العكس من ذلك يقال غبنت فلانا اذا بايعته او شاركته فكان النقص عليه والغلبة والغبن فوت الحظ كذا قال المفسرون فالمغبون من غبن اهله ومنازله في الجنة فاطلاق التغابن على ما يكون فيها انما هو بطريق الاستعارة وان التفاعل ليس من اثنين ولكن المغابنة على سبيل التهويل قال ابن عباس يوم التغابن من اسماء يوم القيامة وعنه قال غبن اهل الجنة اهل النار وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللّٰهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ اي من وقع منه التصديق مع العمل الصالح استحق تكفير سيئاته وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ قرأ الجمهور يكفر ويدخله بالتحتية وقرئ بالنون وفيه التفات من الغيبة الى التكلم خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا حال مقدرة فيه مراعاة معنى من ذٰلِكَ اي ما ذكر من التكفير والادخال الْفَوْزُ الْعَظِيمُ اي الظفر الذي لا يساويه ظفر والعظيم على حالا من الكبير الذي ذكر في سورة البروج لان ما فيها قد رتب على ادخال الجنات فقط وما هنا قد رتب على الامرين المذكورين فهو جامع للمصالح من دفع المضار وجلب المنافع وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ المراد بالآيات اما التنزيلية او ما هو اعم منها ذكر سبحانه حال السعداء وحال الاشقياء هنا لبيان ما تقدم من التغابن وانه يكون بسبب التكفير وادخال الجنة للطائفة الاولى وبسبب ادخال الطائفة الثانية النار وخلودهم فيها مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ اي ما اصاب كل احد من مصيبة من المصائب إِلَّا بِإِذْنِ اللّٰهِ اي بقضائه وقدره قال الفراء اي بامر الله وقيل بعلم الله قيل وسبب نزولها ان الكفار قالوا لو كان ما عليه المسلمون حقا لصانهم الله عن المصائب في الدنيا قال ابن مسعود في الآية هي المصيبات تصيب الرجل فيعلم انها من عند الله فيسلم لها ويرضى وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللّٰهِ اي من يصدق ويعلم انه لا يصيبه الا ما قدره الله عليه يَهْدِ قَلْبَهُ للصبر والرضاء بالقضاء قال مقاتل بن حيان يهد قلبه عند المصيبة فيعلم انها من الله فيسلم لقضائه ويسترجع عند حلوله وقال سعيد بن جبير يهد قلبه

ثلث الرباع ع

عند المصيبة فيقول انا لله وانا اليه راجعون وقال الكلبي هو اذا ابتلي صبر واذا انعم عليه شكر واذا
ظلم غفر وقال ابن عباس في الآية يعني يهد قلبه لليقين فيعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطأه
لم يكن ليصيبه قرأ الجمهور يهد بفتح الياء وكسر الدال اي يهد الله وقرئ بضم الياء وفتح الدال على
البناء للمفعول ونهد بالنون ويهدأ بهمزة ساكنة ورفع قلبه اي يطمئن ويسكن وَاللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ
عَلِيْمٌ اي بليغ العلم لا تخفى عليه من ذلك خافية وَاَطِيْعُوا اللّٰهَ وَاَطِيْعُوا الرَّسُوْلَ اي هونوا على
انفسكم المصائب واشتغلوا بطاعة الله وطاعة رسوله في جميع الاوقات والعمل بكتابه العزيز وسنة
رسوله المطهرة فَاِنْ تَوَلَّيْتُمْ اي اعرضتم عن الطاعة فَاِنَّمَا عَلٰى رَسُوْلِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِيْنُ ليس
عليه غير ذلك وقد فعل وجواب الشرط محذوف والتقدير فلا باس او فلا ضير على الرسول وهذه
الجملة تعليل للجواب المحذوف ثم ارشد الى التوحيد والتوكل فقال اَللّٰهُ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ اي هو المستحق
للعبودية دون غيره فوحدوه ولا تشركوا به وَعَلَى اللّٰهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُوْنَ اي فليفوضوا امورهم
اليه ويعتمدوا عليه لا على غيره حث للرسول على التوكل على الله والتقوي به حتى ينصره على من
كذبه وتولى عنه يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْۤا اِنَّ مِنْ اَزْوَاجِكُمْ يدخل فيها الذكر والانثى وَاَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا
لَّكُمْ يعني انهم يعادونكم ويشغلونكم عن الخير وعن طاعة الله او يخاصمونكم في امر الدين والدنيا
ويدخل في ذلك سبب النزول دخولا اوليا فَاحْذَرُوْهُمْ ان تطيعوهم في التخلف عن الخير كالجهاد
والهجرة فان سبب نزول الآية الاطاعة في ذلك والضمير يعود الى العدو وانما جاز جمع الضمير لان العدو
يطلق على الواحد والاثنين والجماعة او الى الازواج والاولاد ولكن لا على العموم بل الى المتصفين بالعداوة
منهم قال مجاهد والله ما عادوهم في الدنيا ولكن حملتهم مودتهم على ان اتخذوا لهم الحرام فاعطوهم
اياه ثم ارشدهم الى التجاوز فقال وَاِنْ تَعْفُوْا عن ذنوبهم التي ارتكبوها بترك المعاقبة وَتَصْفَحُوْا بالاعراض
وترك التثريب عليها وَتَغْفِرُوْا باخفائها وتمهيد معذرتهم فيها ولسترها فَاِنَّ اللّٰهَ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ
بالغ المغفرة والرحمة لكم ولهم يعاملكم بمثل ما عملتم ويتفضل عليكم عن ابن عباس قال هؤلاء رجال
اسلموا من اهل مكة وارادوا ان ياتوا النبي صلى الله عليه وسلم فابى ازواجهم واولادهم ان يدعوهم الى ان
ياتوا النبي صلى الله عليه وسلم فلما اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم رأوا الناس قد فقهوا في الدين فهموا ان يعاقبوهم
فانزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا الآية اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ثم اخبر

سبحانه بان الاموال والاولاد فتنة فقال إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ اي بلاء واختبار وشغل عن
الآخرة ومحنة يحملونكم على كسب الحرام وتناوله ومنع حق الله والوقوع في العظائم وغصب مال الغير
واكل الباطل ونحو ذلك فلا تطيعوهم في معصية الله ثم لم يذكر من هنا كما ذكر في ان من ازواجكم لانهما
لا يخلوان من الفتنة واشتغال القلب بهما وقدم الاموال على الاولاد لان فتنة المال اكثر وترك ذكر
الازواج في الفتنة قال البقاعي لان منهن من يكن صلاحا وعونا على الآخرة وعن ابي بريدة قال كان
النبي صلى الله عليه وسلم يخطب فاقبل الحسن والحسين عليهما قميصان احمران يمشيان ويعثران فنزل رسول
الله صلى الله عليه وسلم من المنبر فحملهما واحدا من ذا الشق وواحدا من ذا الشق ثم صعد المنبر فقال صدق الله
انما اموالكم واولادكم فتنة اني لما نظرت الى هذين الغلامين يمشيان ويعثران لم اصبر ان قطعت
كلامي ونزلت اليهما اخرجه احمد وابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة والحاكم وصححه وابن مردويه
وابن ابي شيبة وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ اي الجنة وهي لمن آثر طاعة الله وترك معصيته في محبة
ماله وولده ثم امرهم سبحانه بالتقوى والطاعة فقال فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ اي ما اطقتم وبلغ
اليه جهدكم وقد ذهب جماعة من اهل العلم منهم قتادة والربيع بن انس والسدي وابن زيد الى ان
هذه الآية ناسخة لقوله سبحانه اتقوا الله حق تقاته لان معناه ان يطاع فلا يعصى وان يذكر
فلا ينسى وان يشكر فلا يكفر فخفف الله عنهم وانزل هذه الآية وقال ابن عباس هي محكمة ولا نسخ فيها
ولكن حق تقاته ان يجاهدوا فيه حق جهاده ولا تاخذهم في الله لومة لائم ويقوموا لله بالقسط
ولو على انفسهم وابنائهم وآبائهم وقد اوضحنا الكلام على هذا في قوله فاتقوا الله حق تقاته وَاسْمَعُوا
ما تؤمرون به سماع قبول لانه لا فائدة في مجرد السماع وَأَطِيعُوا الاوامر قال مقاتل اسمعوا اي اصغوا
الى ما ينزل عليكم واطيعوا الرسول فيما يامركم وينهاكم وَأَنْفِقُوا من اموالكم التي رزقكم الله اياها
في وجوه الخير والطاعة ولا تبخلوا بها وقوله خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ منتصب بفعل مضمر دل عليه انفقوا كانه
قال ائتوا في الانفاق خيرا لانفسكم وقدموا خيرا لها كذا قال سيبويه وقال الكسائي والفراء هو نعت
لمصدر محذوف اي انفاقا خيرا وقال ابو عبيدة هو خبر لكان المقدرة اي يكن الانفاق خيرا لكم وقال
اهل الكوفة نصبه على الحال وقيل هو مفعول به لانفقوا اي فانفقوا مالا خيرا والظاهر في الآية الانفاق
مطلقا من غير تقييد بالزكاة الواجبة وقيل المراد زكاة الفريضة وقيل النافلة وقيل النفقة في الجهاد

﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ﴾ فيفعل في ماله جميع ما امر به من الانفاق موقنا به مطمئنا اليه ولم يمنعه ذلك منه ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ اي الظافرون بكل خير الفائزون بكل مطلوب وقد تقدم تفسير هذه الاية مرارا ﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ فتصرفون اموالكم في وجوه الخير باخلاص نية وطيب نفس وسماه قرضا من حيث التزام الله المجازاة عليه وفي ذكر القرض ايضا تلطف في الاستدعاء وترغيب في الصدقة حيث جعلها قرضا لله مع ان العبد انما يقرض نفسه لان النفع عائد عليه قال القشيري ويتوجه الخطاب بهذا على الاغنياء في بذل اموالهم وعلى الفقراء في علم اخلاء اوقاتهم عن مرادالحق ومراقبته على مرادا نفسهم فالغني يقال له آثر حكمي على مرادك في مالك وغيره الفقير يقال له آثر حكمي في نفسك وقلبك ووقتك ذكره الخطيب ﴿يُضَاعِفْهُ لَكُمْ﴾ فيجعل الحسنة بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف وقد تقدم تفسير هذه الاية في البقرة والحديد عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله استقرضت عبدي فابى ان يقرضني وشتمني عبدي وهو لا يدري يقول وادهراه وادهراه وانا الدهر ثم تلا ابو هريرة هذه الاية اخرجه ابن جرير والحاكم وصححه ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ اي يضم الى تلك المضاعفة غفران ذنوبكم ﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ يثيب من اطاعه باضعاف مضاعفة ولا يعاجل من عصاه بالعقوبة ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ اي ما غاب وما حضر لا تخفى عليه منه خافية وقيل ما استتر من سرائر القلوب وما انتشر من ظواهر الخطوب ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ اي الغالب القاهر باظهار السيء ذو الحكمة الباهرة في الاخبار عن الغيوب وفي صنعه وقال ابن الانباري الحكيم هو المحكم لخلق الاشياء.

سورة الطلاق واحدى او ثنتا او ثلاث عشرة اية

وهي مدنية قال القرطبي في قول الجميع وعن ابن عباس قال نزلت بالمدينة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بلفظ الجمع تعظيما له او خطاب له ولامته والتقدير يا ايها النبي وامته فحذف المعطوف لدلالة ما بعده عليه او خطاب لامته فقط

بعد ندائه عليه الصلاة والسلام وهو من تلوين الخطاب خاطب امته بعد ان خاطبه او انه على
اضمار قول اي يا ايها النبي قل لامتك او خص النبي صلى الله عليه وسلم بالنداء وعم بالخطاب لان النبي امام امته
وقدوتهم كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم يا فلان افعلوا كيت وكيت اعتبارا لتقدمه واظهارا لترؤسه
بكلام حسن قاله الزمخشري قال السمين وهذا هو معنى القول الثالث الذي تقدم وقال المحلي المراد امته
بقرينة ما بعده قال الحفناوي فكانه قيل يا ايها الامة اذا طلقتم الخ وهذا الاسلوب سلكه
الكازروني وفي نسخة من تفسير المحلي المراد وامته بزيادة الواو يعني ان في الكلام اكتفاء على حد قوله
تعالى سرابيل تقيكم الحر فعلى هذا لفظ النبي لا تجوز فيه بل هو منادى مع امته وهذا الوجه قرره
السمين كما تقدم والمعنى اذا اردتم تطليقهن وعزمتم عليه على تنزيل المقبل على الامر المشارف له
منزلة الشارع فيه وانما احتيج لهذا التجوز ليصح قوله فطلقوهن لعدتهن لان الشيء لا يترتب على نفسه
ولا يؤمر احد بتحصيل الحاصل في المراد بالنساء المدخول بهن ذوات الاقراء اما غير المدخول بهن فلا عدة
عليهن بالكلية واما ذوات الاشهر فسياتي في قوله واللائي يئسن الخ ومعنى لعدتهن مستقبلات لعدتهن
او في قبل عدتهن او لقبل عدتهن اي لزمان عدتهن وهو الطهر وقال الجرجاني اللام بمعنى في اي في عدتهن وقال
ابو حيان اي لاستقبال عدتهن على حذف مضاف واللام للتوقيت نحو لقيته لليلة بقيت من شهر
كذا والمراد ان يطلقوهن في طهر لم يقع فيه جماع ثم يتركن حتى تنقضي عدتهن فاذا طلقتموهن
هكذا فقد طلقتموهن لعدتهن وسياتي بيان هذا من السنة عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قرا في قبل عدتهن رواه عبد الرزاق في المصنف وابن المنذر والحاكم وابن مردويه وقرا ابن عمر
لقبل عدتهن وعن مجاهد انه قرا كذلك وعن ابن عباس مثله وقال في الاية اي طاهرا من غير جماع
وعن ابن مسعود من اراد ان يطلق للسنة كما امره الله فليطلقها طاهرا في غير جماع وعن انس قال
طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة فاتت اهلها فانزل الله هذه الاية فقيل له راجعها فانها
صوامة قوامة وهي من ازواجك في الجنة اخرجه ابن ابي حاتم واخرجه ابن جرير عن قتادة مرسلا
وعن ابن عمر انه طلق امرأته وهي حائض فذكر ذلك عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتغيظ ثم قال ليراجعها
ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض وتطهر فان بدا له ان يطلقها فليطلقها طاهرا قبل ان يمسها فتلك
العدة التي امر الله ان تطلق لها النساء وقرا النبي صلى الله عليه وسلم يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن

في قبل عدتهن اخرجه البخاري ومسلم وغيرهما وروي عن ابن عباس انها نزلت في قصة
طلاق عبد يزيد وقد اخرجه ابن ابي حاتم اثرا طويلا قال الذهبي اسناده واه والخبر خطأ
فان عبد يزيد لم يدرك الاسلام وفي الباب احاديث وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ اي احفظوها و
احفظوا الوقت الذي وقع فيه الطلاق حتى تتم العدة وهي ثلثة قروء مستقبلات كوامل لا
نقصان فيهن والخطاب للازواج لغفلة النساء وقيل للزوجات وقيل للمسلمين على العموم
والاول اولى لان الضمائر كلها لهم ولكن الزوجات داخلات في هذا الخطاب بالالحاق بالازواج
لان الزوج يحصي ليراجع وينفق او يقطع ويسكن او يخرج ويلحق بنسبه او يقطع وهذه كلها امور
مشتركة بينه وبين المرأة وقيل امر باحصاء العدة لتفريق الطلاق على الاقراء اذا اراد ان يطلق
ثلاثا وقيل للعلم ببقاء زمان الرجعة ومراعاة امر النفقة والسكنى وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ في تطويل العدة
عليهن والاضرار بهن وفي وصفه تعالى بربوبيته لهم تاكيد للامر ومبالغة في ايجاب الاتقاء
لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ اي التي كن فيها عند الطلاق مادمن في العدة واضاف البيوت اليهن
وهي لازواجهن لتاكيد النهي وبيان كمال استحقاقهن للسكنى في مدة العدة ومثله قوله واذكرن ما يتلى
في بيوتكن وقوله وقرن في بيوتكن ثم لما نهى الازواج عن اخراجهن عن البيوت التي وقع الطلاق و
هن فيها نهى الزوجات عن الخروج ايضا فقال وَلَا يَخْرُجْنَ من تلك البيوت مادمن في العدة الا
لامر ضروري كما سياتي بيان ذلك قال ابو السعود ولو باذن من الازواج فان الاذن بالخروج
في حكم الاخراج وقال الخطيب لان في العدة حقا لله تعالى فلا يسقط بتراضيهما وقيل المراد لا يخرجن
من انفسهن الا اذا اذن لهن الازواج فلا باس والاول اولى وهذا كله عند عدم العذر اما اذا كان
لعذر كشراء من ليس لها على المفارق نفقة فيجوز لها الخروج نهارا قاله الخطيب واذا خرجت من غير
عذر فانها تعصي ولا تنقضي عدتها قاله القرطبي إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ بفتح الياء وكسرها
سبعيتان وهذا الاستثناء هو من الجملتين الاولى قال الواحدي اكثر المفسرين على ان المراد بالفاحشة
هنا الزناء وذلك ان تزني فتخرج لاقامة الحد عليها ثم ترد الى منزلها وقال الشافعي
وغيره هي البذاء في اللسان والاستطالة بها على من هو ساكن معها في ذلك البيت وعن ابن عباس
الفاحشة المبينة ان تبذو المرأة على اهل الرجل فاذا بذت عليهم بلسانها فقد حل لهم اخراجها

لسوء خلقها ويؤيد هذا ما قال عكرمة ان في مصحف ابي الا ان يفحشن عليكم وقيل الاستثناء من
الجملة الثانية للمبالغة في النهي عن الخروج ببيان ان خروجها فاحشة قال الشوكاني رح هو بعيد
وقال ابن عمر خروجها قبل انقضاء العدة من بيتها هي الفاحشة المبينة وقيل الفاحشة النشوز
وَتِلْكَ اي ما ذكر من الاحكام وما في اسم الاشارة من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان
بعلو درجتها وبعد منزلتها حُدُودُ اللّٰهِ يعني ان هذه الاحكام التي بينها لعباده هي حدوده التي
حدها لهم لا يحل لهم ان يتجاوزوها الى غيرها وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللّٰهِ اي يتجاوزها الى غيرها
او يخل بشيء منها فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ بايرادها موارد الهلاك واوقعها في مواقع الضرر بعقوبة
الله على مجاوزته لحدوده وتعديه لرسمه وقال البيضاوي اي بان عرضها للعقاب وقال
ابو السعود تفسير الظلم بتعريضها للعقاب ياباه قوله لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللّٰهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذٰلِكَ أَمْرًا
فانه استيناف مسوق لتعليل مضمون الشرطية وقد قالوا ان الامر الذي يحدثه الله تعالى ان يقلب
قلبه عما فعله بالتعدي الى خلافه فلابد ان يكون الظلم عبارة عن ضرر دنيوي يلحقه بسبب تعديه
ولا يمكن تداركه او عن مطلق الضرر الشامل للدنيوي والاخروي ويخص التعليل بالدنيوي لكون
احتراز الناس منه اشد واهتمامهم بدفعه اقوى والخطاب للمتعدي بطريق الالتفات لمزيد
الاهتمام بالزجر عن التعدي لا للنبي عليه الصلوة والسلام كما توهم فالمعنى ومن يتعد حدود الله
فقد اضر بنفسه فانك لا تدري ايها المتعدي عاقبة الامر لعل الله يحدث في قلبك بعد ذلك
الذي فعلت من التعدي امرا يقتضي خلاف ما فعلته فيبدل ببغضها محبة وبالاعراض عنها
اقبالا اليها ويتسنى تلافيه رجعة واستيناف نكاح قال القرطبي قال جميع المفسرين اراد بالامر
هنا الرغبة في الرجعة والمعنى التحريض على طلاق الواحدة والثنتين والنهي عن الثلاث فانه
اذا طلق ثلاثا اضر بنفسه عند الندم على الفراق والرغبة في الارتجاع فلا يجد الى المراجعة
سبيلا وقال مقاتل بعد ذلك اي بعد طلقة او طلقتين امرا بالمراجعة قال الواحدي الامر الذي
يحدث ان يوقع في قلب الرجل المحبة لرجعتها بعد الطلقة والطلقتين قال الزجاج واذا طلقها
ثلاثا في وقت واحد فلا معنى لقوله لعل الله يحدث بعد ذلك امرا قالت فاطمة بنت قيس
في الاية هي الرجعة عن محارب بن دثار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما احل الله شيئا ابغض اليه

من الطلاق أخرجه أبو داود مرسلاً وروى الثعلبي من حديث ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من أبغض
الحلال إلى الله الطلاق وعن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تزوجوا ولا تطلقوا فإن الطلاق يهتز منه العرش وعن أبي موسى قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تطلقوا النساء إلا من ريبة فإن الله عز وجل لا يحب الذواقين ولا الذواقات وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حلف بالطلاق
ولا استحلف به إلا منافق انتهى أقول أما حديث ابن عمر فقد رواه أبو داود وابن ماجة عن عبد الله بن عمر بن الخطاب موصولاً وصححه الحاكم
وغيره ورواه أبو داود أيضاً والبيهقي مرسلاً عن محارب بن دثار وليس فيه ابن عمر ورجح أبو حاتم والدارقطني والبيهقي إرساله وقال الخطابي
إنه المشهور ورواه الدارقطني عن معاذ بلفظ ما خلق الله شيئاً أبغض إليه من الطلاق قال الحافظ ابن حجر وإسناده ضعيف ومنقطع انتهى وأما حديث
علي فرواه ابن عدي في كتابه الكامل في معرفة الضعفاء عنه رضي الله عنه بإسناد ضعيف بل قيل موضوع ورواه الخطيب عن علي أيضاً مرفوعاً
وفي إسناده عمر بن جميع يروي الموضوعات عن الأثبات وأما حديث أبي موسى فقد رواه الطبراني عنه رضي الله عنه مرفوعاً وكذا الدارقطني
في الأفراد ورواه الطبراني في الكبير أيضاً عن عبادة بلفظ إن الله لا يحب الذواقين ولا الذواقات وفي سنده راو لم يسم وبقية رجال إسناده
ثقات وأما حديث أنس فرواه ابن عساكر في تاريخه عن أنس رضي الله عنه وسنده ضعيف جداً وعن ثوبان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير بأس به حرام عليها رائحة الجنة أخرجه أبو داود والترمذي ﴿فإذا بلغن أجلهن﴾ أي قاربن
انقضاء أجل العدة وشارفن آخرها ﴿فأمسكوهن بمعروف﴾ أي راجعوهن بحسن معاشرة وإنفاق مناسب ورغبة فيهن من غير قصد إلى
مضارة لهن بطلاق آخر لأجل إيجاب عدة أخرى أو غير ذلك ﴿أو فارقوهن بمعروف﴾ أي اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فيملكن نفوسهن مع إيفاء
بما هو لهن عليكم من الحقوق وترك المضارة لهن بالفعل والقول فقد تضمنت الآية بإفصاحها الحث على فعل الخيرات وبإفهامها اجتناب
المنكرات ﴿وأشهدوا ذوي عدل منكم﴾ أي صاحبي عدالة فإن العدل ضد الجور وهو يرجع إلى معنى العدالة وهذه شهادة على الرجعة
وقيل على الطلاق وقيل عليهما قطعاً للتنازع وحسماً لمادة الخصومة والأمر للندب لئلا يقع بينهما التجاحد كما في قوله وأشهدوا إذا
تبايعتم وقيل إنه للوجوب وإليه ذهب الشافعي قال الإشهاد واجب في الرجعة مندوب إليه في الفرقة وإليه ذهب أحمد بن حنبل وفي
قول للشافعي إن الرجعة لا تفتقر إلى الإشهاد كسائر الحقوق وروي نحو هذا عن أبي حنيفة وأحمد عن ابن سيرين أن رجلاً سأل
عمران بن حصين عن رجل طلق ولم يشهد قال بئسما صنع طلق في بدعة وارتجع في غير سنة فليشهد على طلاقه وعلى مراجعته
وليستغفر الله ﴿وأقيموا الشهادة لله﴾ هذا أمر للشهود بأن يأتوا بما شهدوا به تقرباً إلى الله وإنما حث على أداء الشهادة لما فيه من العسر على الشهود
لأنه ربما يؤدي إلى أن يترك الشاهد مهماته ولما فيه من عسر لقاء الحاكم الذي يؤدي عنده وربما بعد مكانه وكان للشاهد عوائق وقيل الأمر
للأزواج بأن يقيموا الشهادة أي الشهود عند الرجعة فيكون قوله وأشهدوا ذوي عدل منكم أمراً بنفس الإشهاد وقوله وأقيموا الشهادة
أمراً بأن تكون خالصة لله لا للمشهود عليه ولا له ولا لغرض من الأغراض سوى إقامة الحق ودفع الضرر ﴿ذلكم﴾ أي ما تقدم من الأمر بالإشهاد وإقامة الشهادة

لله وما ذكر اول السورة الى هنا ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ﴾ اي بما ذكر من قوله ﴿مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ خص المؤمن لانه المنتفع بذلك
دون غيره ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾ مما وقع فيه من الشدائد والمحن والجملة اعتراضية
مؤكدة لما سبق من اجراء امر الطلاق على السنة والمعنى ومن يتق الله فطلق للسنة ولم يضار المعتدة
ولم يخرجها من مسكنها واحتاط فاشهد يجعل الله له مخرجا مما في شان الازواج من الغموم والوقوع
في المضائق ويفرج عنه ويعطيه الخلاص قال ابن مسعود مخرجه ان يعلم انه من قبل الله وان
الله هو الذي يعطيه وهو يمنعه وهو يبتليه وهو يعافيه وهو يدفع عنه قال ابن عباس ينجيه
من كل كرب في الدنيا والآخرة وعن جابر قال نزلت هذه الآية في رجل من اشجع كان فقيرا خفيف ذات
اليد كثير العيال فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله فقال اتق الله واصبر فلم يلبث الا يسيرا حتى جاء
ابن له بغنم كان العدو اصابوه فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عنها واخبره خبرها فقال كلها
فنزلت ومن يتق الله الآية اخرجه الحاكم وصححه وضعفه الذهبي وعن ابن عباس قال جاء عوف بن
مالك الاشجعي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان ابني اسره العدو وجزعت امه فما تامرني قال
امرك واياها ان تستكثرا من قول لا حول ولا قوة الا بالله فقالت المرأة نعم ما امرك فجعلا يكثران
منها فتغفل عنه العدو فاستاق غنمهم فجاء بها الى ابيه فنزلت هذه الآية اخرجه ابن مردويه
من طريق الكلبي عن ابي صالح عنه وفي الباب روايات تشهد لهذا وعن عائشة في الآية قالت يكفيه
هم الدنيا وغمها وعن ابي ذر قال جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو هذه الآية فجعل يرددها حتى
نعست ثم قال يا ابا ذر لو ان الناس كلهم اخذوا بها لكفتهم وفي الباب احاديث وقال الكلبي ومن
يتق الله بالصبر عند المصيبة يجعل له مخرجا من النار الى الجنة وقال الحسن مخرجا مما نهى الله عنه
وقال ابو العالية مخرجا من كل شيء ضاق على الناس قال الشعبي والضحاك هذا في الطلاق خاصة
اي من طلق كما امره الله يكن له مخرجا في الرجعة في العدة وانه يكون كاحد الخطاب بعد العدة
﴿وَيَرْزُقْهُ﴾ فرجا وخلفا ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ قال ابن مسعود اي من حيث لا يدري يعني من وجه لا
لا يخطر بباله ولا يكون في حسابه وقال الحسين بن الفضل ومن يتق الله في اداء الفرائض يجعل
له مخرجا من العقوبة ويرزقه الثواب من حيث لا يحتسب اي يبارك له فيما آتاه وقال سهل بن عبد الله
ومن يتق الله في اتباع السنة يجعل له مخرجا من عقوبة اهل البدع ويرزقه الجنة من حيث لا يحتسب

وقيل غير ذلك وظاهر الآية العموم ولا وجه للتخصيص بنوع خاص ويدخل في ذلك ما فيه السياق دخولا أوليا فان قيل نرى كثيرا من الاتقياء مضيقا عليه في الرزق اجيب بانه لا يخلو عن رزق والآية لم تدل على ان المتقي يوسع له في الرزق بل دلت على انه يرزق من حيث لا يحتسب وهذا امر مطرد في الاتقياء افاده الكرخي ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ اي ومن وثق بالله فيما نابه كفاه ما اهمه قال ابن مسعود في الآية ليس المتوكل الذي يقول تقضى حاجتي وليس كل من يتوكل على الله كفاه ما اهمه ودفع عنه ما يكره وقضى حاجته ولكن الله جعل فضل من توكل على من لم يتوكل ان يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا ﴿إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾ فلابد من كونه ينفذه سواء حصل توكل اولا قال ابن مسعود قاضي امره على من توكل وعلى من لم يتوكل ولكن المتوكل يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا قرأ الجمهور بتنوين بالغ ونصب امره وقرئ بالاضافة وهي سبعية وقرئ بتنوين بالغ ورفع امره لانه فاعل بالغ او على ان امره مبتدأ مؤخر وبالغ خبر مقدم قال الفراء في توجيه هذه القراءة اي امره بالغ وقرئ بالغا بالنصب على الحال ويكون خبر ان قوله قد جعل الله لكل الخ والمعنى على الاولى والثانية ان الله سبحانه بالغ ما يريده من الامر لا يفوته شيء ولا يعجزه مطلوب وعلى الثالثة ان الله نافذ امره لا يرده شيء ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ اي تقديرا او توقيتا او مقدارا لا يتعداه وان اجتهد جميع الخلائق في ان يتعداه فقد جعل سبحانه للشدة اجلا تنتهي اليه وللرخاء اجلا ينتهي اليه وهذا بيان لوجوب التوكل على الله وتفويض الامر اليه لانه اذا علم ان كل شيء من الرزق ونحوه لا يكون الا بتقديره وتوقيته لم يبق الا التسليم للقدر والتوكل قال السدي هو قدر الحيض في العدة وقال ابن مسعود يعني اجلا ومنتهى ينتهي اليه وعن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو انكم توكلتم على الله حق توكله لرزقتم كما ترزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا اخرجه احمد والترمذي والنسائي وابن ماجة والحاكم وصححه وغيرهم ﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ﴾ وهن الكبار اللاتي قد انقطع حيضهن وايسن منه عن ابي بن كعب ان ناسا من اهل المدينة لما نزلت هذه الآية في البقرة في عدة النساء قالوا لقد بقي من عدة النساء عدد لم يذكر في القرآن الصغار والكبار اللاتي قد انقطع حيضهن وذوات الحمل فانزل الله هذه الآية ﴿إِنِ ارْتَبْتُمْ﴾ اي شككتم وجهلتم كيف عدتهن وما قدرها وقيل معناه ان تيقنتم ورجح ابن جرير انه بمعنى الشك

وهو الظاهر قال الكرخي صفة كاشفة لان عدتهن ذلك سواء وجد شك ام لا قال الزجاج ان ارتبتم في حيضها وقد انقطع عنها الحيض وكانت ممن تحيض مثلها وقال مجاهد ان ارتبتم يعني لم تعلموا عدة الآيسة والتي لم تحض ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ﴾ وقيل المعنى ان ارتبتم في الدم الذي يظهر منها هل هو حيض ام لا بل استحاضة فالعدة هذه وقيل ان ارتبتم في دم البالغات مبلغ اليأس وقد قدروه بستين سنة او بخمس وخمسين فعدتهن هذه وهذا قول عثمان وعلي وزيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود وبه قال عطاء واليه ذهب الشافعي واصحاب الرأي وقال عمر انها تتربص تسعة اشهر وقال الحسن سنة فان لم تحض فتعتد بثلاثة اشهر فاذا كانت هذه عدة المرتاب بها فغير المرتاب بها اولى بذلك ﴿وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ﴾ لصغرهن وعدم بلوغهن سن المحيض او لانهن لا حيض لهن اصلا وان كن بالغات قاله الخطيب ايضا فعدتهن ثلاثة اشهر ايضا وحذف هذا الدلالة ما قبله عليه والاولى ان يقدر مفردا اي فكذلك او مثلهن ولو قيل انه معطوف على اللائي يئسن عطف المفردات واخبر عن الجميع بقوله فعدتهن لكان وجها حسنا واكثر ما فيه توسط الخبر بين المبتدء وما عطف عليه هذا ظاهر قول الشيخ ابي حيان ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ اي انتهاء عدتهن وضع الحمل وظاهر الآية ان عدة الحوامل بالوضع سواء كن مطلقات او متوفى عنهن ازواجهن وعمومها باق فهي مخصصة لآية يتربصن بانفسهن من اجل ما الحوامل وانما لم يعكس لان المحافظة على عموم هذه الآية اولى من المحافظة على عموم تلك لان ازواجا في آية البقرة عمومه بدلي لا يصلح لجميع الافراد في حال واحد لانه جمع منكر في سياق الاثبات واما اولات الاحمال فعمومه شمولي لان الموصول من صيغ العموم وايضا الحكم هنا معلل بوصف الحملية بخلاف ما هنالك وايضا هذه الآية متأخرة في النزول عن آية البقرة فتقديمها على تلك تخصيص وتقديم تلك فيما لو عمل بعمومها رفع لما في الخاص من الحكم فهو نسخ والتخصيص اولى منه وقد تقدم الكلام على هذا في سورة البقرة مستوفى وحققنا البحث في هذه الآية وفي الآية الاخرى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا عن ابي بن كعب في الآية قال قلت للنبي صلى الله عليه وسلم اهي المطلقة ثلثا او المتوفى عنها قال هي المطلقة ثلثا والمتوفى عنها اخرجه عبد الله بن احمد في زوائد المسند وابو يعلى وغيرهما وروي بوجه

اخرمرفوعاعنه وعن ابن مسعود انه بلغه ان علياقال تعتد اخرالاجلين فقال من شاء لاعنته ان الاية التي في سورة النساء القصرى نزلت بعد سورة البقرة واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن بكذا وكذا اشهرا وكل مطلقة او متوفى عنها زوجها فاجلها ان تضع حملها وروي عنه نحو هذا من طرق وبعضها في صحيح البخاري وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث ام سلمة ان سبيعة الاسلمية توفي عنها زوجها وهي حبلى فوضعت بعد موته باربعين ليلة فخطبت فانكحها رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الباب احاديث وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا اي من يتقه في امتثال اوامره واجتناب نواهيه يسهل عليه امره في الدنيا والاخرة وقال الضحاك من يتق الله فليجتنب معاصيه يجعل له من امره يسرا في توفيقه للطاعة ذَلِكَ اي ماذكر من الاحكام وتفاصيل العدة أَمْرُ اللَّهِ اي حكمه الذي حكم به بين عباده وشرعه الذي شرعه لهم ومعنى أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ انزله في كتابه على رسوله وبينه لكم وفصل احكامه واوضح حلاله وحرامه وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ بترك مالا يرضاه يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ التي اقترفها لان التقوى من اسباب المغفرة للذنوب وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا اي يعطيه من الاجر في الاخرة اجرا عظيما وهو الجنة أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ هذا كلام مبتدأ يتضمن بيان مايجب للنساء المطلقات وغيرها من المفارقات من السكنى ومن للتبعيض اي بعض مكان سكناكم قاله الزمخشري وقال الكسائي والرازي من زائدة وقال الحوفي وابو البقاء انها لابتداء الغاية مِنْ وُجْدِكُمْ اي من سعتكم وطاقتكم وقال ابن عباس من سعيكم والوجد بالحركات الثلاث والمشهور باتفاق القراء بالضم بمعنى المقدرة قال الفراء يقول على من يجد فان كان موسعا وسع عليها في المسكن والنفقة وان كان فقيرا فعلى قدر ذلك قال قتادة ان لم تجد الا ناحية بيتك فاسكنها فيه وقد اختلف اهل العلم في المطلقة ثلثا هل لها سكنى ونفقة ام لا فذهب مالك والشافعي الى ان لها السكنى ولا نفقة لها وذهب ابوحنيفة واصحابه الى ان لها النفقة والسكنى وذهب احمد واسحق وابوثور الى انه لانفقة لها ولاسكنى وهذا هو الحق وقد قرره الشوكاني في شرحه للمنتقى بمالا يحتاج الناظر فيه الى غيره و اوضحناه في الروضة الندية شرح الدرر البهية وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ نهى سبحانه عن مضارتهن لتضييق عليهن في المسكن والنفقة وقال مجاهد في المسكن وبه قال ابن عباس وقال مقاتل في النفقة وقال ابو الضحى هو ان يطلقها فاذا بقي يومان من عدتها راجعها ثم طلقها

وَإِن كُنَّ أي المطلقات الرجعيات والبائنات دون الحوامل المتوفى عنهن أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ
حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ أي إلى غاية هي وضعهن للحمل ولا خلاف بين العلماء في وجوب النفقة والسكنى
للحامل المطلقة فأما الحامل المتوفى عنها زوجها فقال علي وابن عمر وابن مسعود وشريح والنخعي والشعبي
وحماد وابن أبي ليلى وسفيان وأصحابه ينفق عليها من جميع المال حتى تضع وقال ابن عباس و
ابن الزبير وجابر بن عبد الله ومالك والشافعي وأبو حنيفة وأصحابه لا ينفق عليها إلا من نصيبها و
هذا هو الحق للأدلة الواردة في ذلك من السنة المطهرة قال ابن عباس في الآية فهذه في المرأة يطلقها
زوجها وهي حامل فأمره الله أن يسكنها وينفق عليها حتى تضع وإن أرضعت حتى تفطم فإن أبان
طلاقها وليس بها حمل فلها السكنى حتى تنقضي عدتها ولا نفقة لها فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ أولادكم بعد
ذلك فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ أي أجور إرضاعهن والمعنى أن المطلقات إذا أرضعن أولاد الأزواج
المطلقين لهن منهن فلهن أجورهن على ذلك وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ هو خطاب للأزواج
والزوجات أي تشاوروا بينكم بما هو معروف غير منكر وليقبل بعضكم من بعض من المعروف والجميل
قال الكسائي ائتمروا تشاوروا وتلا قوله تعالى إن الملأ يأتمرون بك وأصل معناه ليأمر بعضكم بعضا
بما هو متعارف بين الناس غير منكر عندهم قال مقاتل المعنى ليتراض الأب والأم على أجر مسمى قيل
والمعروف الجميل من الزوج أن يوفر لها الأجر والمعروف الجميل منها أن لا تطلب ما يتعاسره الزوج
من الأجر وَإِن تَعَاسَرْتُمْ في حق الولد وأجر الرضاع فأبى الزوج أن يعطي الأم الأجر وأبت الأم أن ترضعه
إلا بما تريده من الأجر فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ أي يستأجر مرضعة أخرى ترضع ولده ولا يجب عليه أن
يسلم ما تطلبه الزوجة ولا يجوز له أن يكرهها على الإرضاع بما يريده من الأجر وقال الضحاك إن أبت
الأم أن ترضع استأجر لولده أخرى فإن لم تقبل أجبرت أمه على الرضاع بالأجر وهو خبر بمعنى الأمر و
الظاهر أنه على بابه وفيه معاتبة للأم على المعاسرة لأن المبذول من جهتها اللبن وهو غير متمول
ولا يضن به لاسيما على الولد بخلاف ما يبذل من الأب فإنه مال يضن به عادة لِيُنفِقْ
ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ فيه الأمر لأهل السعة بأن يوسعوا على المرضعات من نسائهم على قدر سعتهم
وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ أي كان رزقه بمقدار القوت أو مضيق ليس بموسع فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ
اللَّهُ أي مما أعطاه من الرزق ليس عليه غير ذلك وفي الخطيب يقدر القاضي النفقة بحسب حال

المنفق والحاجة من المنفق عليه بالاجتهاد على مجرى العادة قال تعالى وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن
بالمعروف لكن نفقة الزوجة مقدرة عند الشافعي محدودة فلا اجتهاد للحاكم ولا للمفتي فيها وتقديرها
هو بحسب حال الزوج وحده من عسره ويسره ولا اعتبار بحالها فيجب لابنة الخليفة ما يجب لابنة الحارس
فيلزم الزوج الموسر مدان والمتوسط مد ونصف والمعسر مد لظاهر قوله تعالى لينفق ذو سعة من سعته
فجعل الاعتبار بالزوج في العسر واليسر ولان الاعتبار بحالها يؤدي الى الخصومة لان الزوج يدعي انها
تطلب فوق كفايتها وهي تزعم انها تطلب قدر كفايتها فقدرت قطعا للخصومة انتهى والنقل المذكور
مسلم في نفقة الزوجة ونفقة المطلقة اذا كانت رجعية مطلقا او بائنا حاملا قاله سليمان الجمل
عن ابي سنان قال سأل عمر بن الخطاب عن ابي عبيدة فقيل انه يلبس الغليظ من الثياب و يأكل
اخشن الطعام فبعث اليه بالف دينار وقال للرسول انظر ما ذا يصنع بها اذا اخذها فما لبث ان لبس
الين الثياب واكل اطيب الطعام فجاء الرسول فاخبره فقال رحمه الله تأول هذه الاية لينفق ذو سعة
من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها اي ما اعطاها
من الرزق فلا يكلف الفقير بان ينفق ما ليس في وسعه بل عليه ما يقدر عليه وتبلغ اليه طاقته
مما اعطاه الله من الرزق سيجعل الله بعد عسر يسرا اي بعد ضيق و شدة سعة وغنى وهذا وعد
لذي العسر باليسر وقد صدق الله وعده فيمن كانوا موجودين عند نزول الاية ففتح عليهم جزيرة
العرب ثم فارس والروم حتى صاروا اغنى الناس وصدق الاية دائم غير انه في الصحابة تام لان ايمانهم
اقوى من غيرهم ولما ذكر سبحانه ما تقدم من الاحكام حذر من مخالفتها وذكر عتو قوم خالفوا امره
فحل بهم عذابه فقال وكأين من قرية عتت عن امر ربها ورسله يعني وكم من اهل قرية عصوا
امر الله ورسله واعرضوا عن امرهما على تضمين عتت معنى اعرضت او خرجت وقد قدمنا الكلام
في كاين في آل عمران وغيرها فحاسبناها حسابا شديدا اي شددنا على اهلها في الحساب بما عملوا
بالمناقشة والاستقصاء قال مقاتل حاسبها الله بعملها في الدنيا فجازاها بالعذاب وهو معنى قوله تعالى
وعذبناها عذابا نكرا اي عذبنا اهلها عذابا عظيما منكرا في الاخرة وقيل في الكلام تقديم وتاخير
اي عذبنا اهلها عذابا نكرا في الدنيا بالجوع والقحط والسيف والخسف والمسخ وحاسبناهم في الاخرة حسابا
شديدا قال ابن عباس يقول لم نرحم والنكر المنكر قرئ نكرا بسكون الكاف وضمها وهما سبعيتان

ع

فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا اي عاقبة كفرها وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا اي هلاكا في الدنيا وعذابا في الآخرة وجيء به على لفظ الماضي لان المنتظر من وعد الله ووعيده ملقى في الحقيقة وهو كائن فكان قد كان أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا في الآخرة وهو عذاب النار والتكرير للتاكيد فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ اي يا اصحاب العقول الراجحة وقوله الَّذِينَ آمَنُوا في محل نصب بتقدير اعني بيانا للمنادى او عطف بيان له او نعت قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَسُولًا فيه اوجه احدها واليه ذهب الزجاج والفارسي انه منصوب بالمصدر المنون قبله لانه ينحل بحرف مصدري وفعل كانه قيل ان ذكر رسولا الثاني انه جعل نفس الذكر مبالغة فابدل منه الثالث انه بدل منه على حذف مضاف من الاول تقديره انزل ذا ذكر رسولا الرابع كذلك الا ان رسولا نعت لذلك المحذوف الخامس انه بدل منه على حذف مضاف من الثاني اي ذكرا ذا رسول السادس ان يكون رسولا نعتا للذكر على حذف مضاف اي ذكرا ذا رسول فذا رسول نعت للذكر السابع ان يكون رسولا بمعنى رسالة فيكون رسولا بدلا صريحا من غير تاويل او بيانا عند من يرى جريانه في النكرات كالفارسي الا ان هذا يبعده قوله الآتي يتلو عليكم لان الرسالة لا تتلو الا بمجاز الثامن ان يكون رسولا منصوبا بفعل مقدر اي ارسل رسولا قال الزجاج انزال الذكر دليل على اضمار ارسل التاسع ان يكون منصوبا على الاغراء اي اتبعوا او الزموا رسولا ذكره السمين وقيل ان الذكر ههنا بمعنى الشرف كقوله لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم وقوله وانه لذكر لك ولقومك ثم بين هذا الشرف فقال رسولا واختلف الناس في رسولا هل هو النبي صلى الله عليه وسلم او القرآن نفسه او جبريل فقد ذهب الاكثر ومنهم ابن عباس الى ان المراد بالرسول هنا محمد صلى الله عليه وسلم وقال الكلبي هو جبريل وبه قال الزمخشري والمراد بالذكر القرآن ويختلف المعنى باختلاف وجوه الاعراب السابقة كما لا يخفى ثم نعت سبحانه الرسول المذكور بقوله يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ اي حال كونها واضحات ظاهرات قرأ الجمهور على صيغة اسم المفعول اي بينها الله واوضحها وقرئ على صيغة اسم الفاعل اي الآيات تبين للناس ما يحتاجون اليه من الاحكام ورجح الاولى ابو حاتم وابو عبيد لقوله قد بينا لكم الآيات لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بعد مجيء الذكر والرسول مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ اللام متعلقة بيتلو اي ليخرج الرسول الذي يتلو الآيات اياهم من ظلمات الضلالة الى نور الهداية او من الجهل الى العلم او من الكفر الى الايمان او متعلقة بانزل فيكون المخرج هو الله سبحانه وَمَنْ

يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا اي يجمع بين التصديق والعمل بما فرضه الله عليه مع اجتناب ما نهاه عنه يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ قرأ الجمهور يدخله بالتحتية وقرئ بالنون وهي سبعية وعليها ففي الكلام التفات من الغيبة الى التكلم وجمع الضمير في قوله خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا باعتبار معنى من ووحده في يدخله باعتبار لفظها قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا اي وسع له رزقه في الجنة التي لا ينقطع نعيمها وقيل يرزقون طاعة في الدنيا وثوابا في الآخرة وقال القشيري الحسن ما كان على حد الكفاية لا نقصان فيه يتعطل عن اموره بسببه ولا زيادة تشغله عن الاستمتاع بما رزق لحرصه كذلك ارزاق القلوب احسنها ان يكون له من الاحوال ما يستقل بها من غير نقصان ولا زيادة لا يقدر على الاستمرار عليها ذكره الخطيب اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ اي اوجد وحده من العدم بقدرته على وفي ما دبر بعلمه على هذا المنوال الغريب البديع سَبْعَ سَمَاوَاتٍ يعني بعضها فوق بعض قال النسفي اجمع المفسرون على ان السموات سبع وقال الخطيب لا خلاف فيه لحديث الاسراء وغيره وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ في العدد يعني سبعا قرأ الجمهور مثلهن بالنصب على انه عطف على سبع سموات قاله الزمخشري او على تقدير فعل اي وخلق من الارض مثلهن وقرئ بالرفع على الابتداء والجار والمجرور قبله خبره قيل ما في القرآن آية تدل على ان الارضين سبع الا هذه الآية واختلف الناس في المثلية وكيفية طبقات الارض على قولين احدهما وهو قول الجمهور انها سبع ارضين طباقا بعضها فوق بعض بين كل ارض وارض مسافة كما بين السماء والارض وفي كل ارض سكان من خلق الله وقال الضحاك انها مطبقة بعضها على بعض من غير فتوق بخلاف السموات قال القرطبي والاول اصح لان الاخبار دالة عليه في البخاري والترمذي وغيرهما وفي صحيح مسلم عن سعيد بن زيد قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من اخذ شبرا من الارض ظلما فانه يطوقه يوم القيامة من سبع ارضين الى آخر كلامه وفي الحديث لم ير قرية يريد دخولها الا قال حين يراها اللهم رب السموات السبع وما اظللن ورب الارضين السبع وما اقللن الحديث وقد مضى في سورة البقرة قول الماوردي وعلى انها سبع ارضين تختص دعوة الاسلام باهل الارض العليا ولا تلزم في غيرها من الارضين وان كان فيها من يعقل من خلق مميز وفي مشاهدتهم السماء واستمدادهم الضوء منها قولان احدهما انهم يشاهدون السماء من كل جانب من ارضهم ويستمدون الضياء منها قال ابن عادل وهذا قول من جعل الارض مبسوطة والثاني انهم لا يشاهدون السماء وان الله خلق لهم

ضياء يشاهدونه قال ابن عادل وهذا قول من جعل الارض كرية وعن ابن عباس انها سبع ارضين
منبسطة ليس بعضها فوق بعض تفرق بينها البحار وتظل جميعها السماء حكاه الكلبي عن ابي صالح عنه
فعلى هذا ان كان لقوم منهم وصول الى ارض اخرى احتمل ان تلزمهم دعوة الاسلام لامكان الوصول
اليهم واحتمل ان لا تلزمهم لانها لو لزمتهم لكان النص بها واردا ولكان النبي صلى الله عليه وسلم بها مامورا
ذكره الخطيب في تفسيره وقال قال بعض العلماء السماء في اللغة عبارة عما علاك فالاولى بالنسبة الى
السماء الثانية ارض وكذلك السماء الثانية بالنسبة الى السماء الثالثة ارض وكذا البقية بالنسبة
الى ما تحته سماء وبالنسبة الى ما فوقه ارض فعلى هذا تكون السموات السبع وهذه الارض الواحدة
سبع سموات وسبع ارضين انتهى وعن ابن عباس انه قال له رجل الله الذي خلق سبع سموات
ومن الارض مثلهن الى آخر السورة فقال ابن عباس ما يؤمنك ان اخبرك بها فتكفر اخرجه عبد بن
حميد وابن المنذر من طريق سعيد بن جبير وعنه في قوله ومن الارض مثلهن قال سبع ارضين في
كل ارض نبي كنبيكم وآدم كآدم ونوح كنوح وابراهيم كابراهيم وعيسى كعيسى اخرجه ابن جرير وابن ابي
حاتم والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب من طريق ابي الضحى قال البيهقي هذا اسناد صحيح وهو شاذ بمرة
لا اعلم لابي الضحى عليه متابعا وعنه قال في كل ارض مثل ابراهيم ونحو ما على الارض من الخلق اخرجه
ابن جرير الطبري من طريق شعبة عن عمرو بن مرة عن ابي الضحى قال الحافظ في الفتح هكذا اخرجه
مختصرا واسناده صحيح وقال ابن كثير هذا وامثاله اذا لم يصح سنده الى معصوم فهو مردود على قائله
انتهى وتصحيح الحاكم له ليس بشيء قال السيوطي ولم ازل اتعجب من تصحيح الحاكم له حتى رايت البيهقي قال اسناده
صحيح لكن شاذ بمرة انتهى ولا يلزم من صحة الاسناد صحة المتن فقد يصح الاسناد ويكون في المتن علة وشذوذ
تقدح في صحته قاله القسطلاني وقال في البداية هذا محمول ان صح نقله على ان ابن عباس اخذه من
الاسرائيليات انتهى نحوه قال السخاوي في المقاصد الحسنة ومثله في تفسير روح البيان وزاد نقلا
عن السيوطي انه قال يمكن ان يؤول على ان المراد بهم الذين كانوا يبلغون الجن عن انبياء البشر ولا يبعد ان
يسمى كل منهم باسم النبي الذي يبلغ عنه انتهى ونحوه في ارشاد الساري والحاصل ان الاثر المذكور ان صح فهو
موقوف شاذ والشاذ لا يحتج به كما قال الطيبي في الخلاصة وغيره في غيرها ولفظها والموقوف هو
مطلق ما روي عن الصحابي من قول او فعل متصلا كان او منقطعا وهو ليس بحجة على الصحيح وقال النووي في

شرح مسلم الموقوف ليس بحجة على المختار عند الغزالي وهو الصحيح انتهى قال الخفاجي الذي نعتقد ان الارض سبع ولها سكان من خلقه يعلمهم الله تعالى انتهى وهذا اعدل الاقوال واحوطها وقال النيسابوري ذكر الثعلبي في تفسيره فصلا في خلق السموات والارض واشكالهم واسمائهم اضربنا عن ايرادها لعدم الوثوق بمثل تلك الروايات انتهى وما جاء عن كعب ووهب وامثالهما في هذا الباب فكله لا يعتد به لانهم اخذوه من الاسرائيليات وعن جابر بن عبد الله في حديث طويل يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال يا محمد ما تحت هذه يعني الارض قال خلق قال فما تحت الارض قال الماء قال فما تحت الماء قال ظلمة قال فما تحت الظلمة قال الهوى قال فما تحت الهوى ففاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال انقطع علم الخلائق ايها السائل فقال صدقت اشهد انك رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتدرون من هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا جبريل الحديث مختصرا اخرجه الحافظ ابن كثير بسنده واخرجه ابن مردويه ايضا عنه بطوله وهذا الحديث يرد ما قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنه ان كان قد صح قوله وبسط الكلام على هذا الايات بفائدة يعتد بها ويكفي الاعتقاد بكون السموات سبعا والارضين سبعا كما ورد به الكتاب العزيز والسنة المطهرة ولا ينبغي الخوض في خلقهما وما فيهما فانه شيء استأثر الله سبحانه وتعالى بعلمه لا يحيط به احد سواه ولم يكلفنا الله تعالى بالخوض في امثال هذه المسائل والتفكر فيها والكلام عليها وبالله التوفيق واخرج ابن ابي حاتم والحاكم وصححه عن ابن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الارضين بين كل ارض والتي تليها مسيرة خمسمائة عام والعليا منها على ظهر حوت قد التقى طرفاه في السماء والحوت على صخرة والصخرة بيد ملك والثانية سجن الريح والثالثة فيها حجارة جهنم والرابعة فيها كبريت جهنم الحديث بطوله وتفصيله قال الذهبي متعقبا للحاكم هو حديث منكر قال بعض اهل العلم لا ينبغي لاحد ان يغتر بتصحيح الحاكم للاحاديث حتى ينظر في تعقبات الذهبي له او كما قال وعن ابن عباس قال سيد السموات السماء التي فيها العرش وسيد الارضين الارض التي نحن فيها يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ مستأنفة او صفة لما قبلها قرأ الجمهور يتنزل من التنزل ورفع الامر على الفاعلية وقرئ ينزل من الانزال ونصب الامر على المفعولية والفاعل الله سبحانه والامر الوحي وقيل القضاء والقدر والضمير عائد على السموات والارضين عند الجمهور وعلى السموات والارض عند من يقول انها ارض واحدة قاله السمين قال المحلي في تفسيره ينزل به جبريل من السماء السابعة الى الارض السابعة انتهى قال علي القاري لم يجد هذا القول لغيره من المفسرين اذ غاية من فسر الامر بالوحي قال في تفسير قوله بينهن

اي بين هذه الارض العليا التي هي اولاها وبين السماء السابعة التي هي اعلاها انتهى قال سليمان الجمل
وهذا التوقف من القاري مبني على ان المراد بالوحي وحي التكليف بالاحكام وليس بلازم لامكان حمله على
وحي التصرف في الكائنات وعبارة الخطيب والاكثرون على ان الامر هو القضاء والقدر فعلى هذا يكون
المراد بقوله بينهن اشارة الى ما بين الارض السفلى التي هي اقصاها وبين السماء السابعة التي هي اعلاها
فيجري امر الله وقضاؤه بينهن وينفذ حكمه فيهن انتهى وعن ابن عباس ان نافع بن الازرق سأله هل تحت
الارضين خلق قال نعم قال فما الخلق قال اما ملائكة او جن قال مجاهد يتنزل الامر من السموات السبع
الى الارضين السبع وقال الحسن بين كل سمائين ارض وامر وقال قتادة في كل ارض من ارضه وسماء من
سمائه خلق من خلقه وامر من امره وقضاء من قضائه وقيل يتنزل الامر بينهن بحياة بعض وموت
بعض وغنى قوم وفقر قوم وقيل هو ما يدبر فيهن من عجيب تدبيره فينزل المطر ويخرج النبات ويأتي بالليل
والنهار والصيف والشتاء ويخلق الحيوانات على اختلاف انواعها وهيأتها فينقلهم من حال الى حال
قال ابن كيسان وهذا على مجال اللغة واتساعها كما يقال للموت امر الله وللريح والسحاب ونحوهما لِتَعْلَمُوا
اللام متعلقة بخلق او بيتنزل او بمقدر اي فعل ذلك لتعلموا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ من غير هذا العالم
يمكن ان يدخل تحت المشية قَدِيرٌ اي بالغ القدرة فيأتي بعالم آخر مثل هذا العالم وابدع منه وابدع
من ذلك الى ما لا نهاية له بالاستدلال بهذا العالم فان من قدر على ايجاد ذرة من العدم قدر على
ايجاد ما هو دونها ومثلها وفوقها الى ما لا نهاية له لانه لا فرق في ذلك بين قليل وكثير وجليل وحقير
وما ترى في خلق الرحمن من تفاوت قاله الخطيب وفي حاشية سليمان الجمل هذا كله بالنظر للامكان العقلي
وهذا لا يخالف ما نقل عن الغزالي من قوله ليس في الامكان ابدع مما كان لان معناه انه قد تعلق علم الله
في الازل بانه لا يخلق عالما غير هذا العالم وان كان خلقه جائزا ممكنا فمن حيث تعلق العلم بعدمه صار
غير ممكن لانه لو وقع لخالف مقتضى العلم الازلي فيلزم انقلاب العلم جهلا فصار ايجاد عالم آخر محالا عرضيا
وان كان ممكنا ذاتيا فهذا معنى قول الشيخ ليس في الامكان ابدع مما كان اي لا يمكن ان يخلق الله عالما غير
هذا العالم ونفي الامكان هو الاستحالة فكانه قال هو محال ان يخلق عالما غير هذا العالم وقد عرفت ان
هذه الاستحالة عرضية لا ذاتية وبهذا تعرف سقوط ما نقل عن البقاعي هنا تامل انتهى اقول فهذا كله ليس
بالنظر للامكان العقلي فقط كما قال سليمان الجمل بل الكتاب العزيز والسنة المطهرة يدلان على عموم قدرته

وكمال قوته على ايجاد كل شيء فيدخل فيه ايجاد مثل هذا العالم دخولا اوليا وان لم يوجد على مقتضى العلم الازلي وقول الغزالي عبارة ساقطة ونفس فلسفية لا يليق التفوه بمثلها وان كان معناه صحيحا بالتاويل البعيد الفاسد والتوجيه البارد الكاسد ونظم الكتاب العزيز العالي يغني عن مثل عبارة كلام الغزالي وان الله قد احاط بكل شيء علما فلا يخرج عن علمه شيء منها كائنا ما كان وانتصاب علما على المصدرية لان احاط بمعنى علم او هو صفة لمصدر محذوف اي احاط احاطة علما ويجوز ان يكون تمييزا محولا عن الفاعل من غير لفظ الاول ؀

سورة التحريم وقال القرطبي وتسمى سورة النبي صلى الله عليه وسلم اثنتا عشرة آية

وهي مدنية قال القرطبي في قول الجميع قال ابن عباس نزلت بالمدينة وعن ابن الزبير نحوه

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك المراد بالتحريم هنا الامتناع من الاستمتاع لا اعتقاد كونه حراما بعد ما احله الله له فان هذا الاعتقاد لا يصدر منه صلى الله عليه وسلم لانه كفر قاله الخطيب تبتغي مرضات ازواجك استيناف او تفسير لقوله تحرم او حال والمرضاة اسم مصدر وهو الرضا واصله مرضوة وهو مضاف الى المفعول اي ان ترضي ازواجك او الى الفاعل اي ان يرضين هن والمعنى لا ينبغي لك ان تشتغل بما يرضي الخلق بل اللائق ان ازواجك وسائر الخلق تسعى في رضاك وتتفرغ انت لما يوحى اليك من ربك قال الخطيب وفيه تنبيه على ان ما صدر منه لم يكن على ما ينبغي وقيل كان ذلك ذنبا من الصغائر فلذا عاتبه الله عليه وقيل انها معاتبة على ترك الاولى وقال النسفي كان هذا زلة منه لانه ليس لاحد ان يحرم ما احل الله والله غفور رحيم اي بليغ المغفرة والرحمة لما فرط منك من تحريم ما احل الله لك وقد اختلف في سبب نزول هذه الآية على اقوال الاول قول اكثر المفسرين قال الواحدي قال المفسرون كان النبي صلى الله عليه وسلم في بيت حفصة فزارت اباها فلما رجعت ابصرت مارية القبطية في بيتها مع النبي صلى الله عليه وسلم فلم تدخل حتى خرجت مارية ثم دخلت فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم في وجه حفصة الغيرة والكآبة قال لها لا تخبري عائشة ولك علي ان لا اقربها ابدا فاخبرت

حفصة عايشة وكانتا متصافتين فغضبت عايشة ولم تزل بالنبي صلى الله عليه وسلم حتى حلف ان لا يقرب ماربة فانزل الله هذه السورة وبه قال المحلي وقال القرطبي اكثر المفسرين على ان الاية نزلت في حفصة وذكر القصة وقال ابو السعود والنسفي روي ان النبي صلى الله عليه وسلم خلى بمارية في يوم عائشة وعلمت بذلك حفصة فقال لها اكتمي علي فقد حرمت مارية على نفسي وابشرك ان ابابكر وعمر يملكان بعدي امر امتي فاخبرت به عايشة وكانتا متصافتين انتهى عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت له امة يطأها فلم تزل عايشة وحفصة حتى جعلها على نفسه حراما فانزل الله هذه الاية اخرجه النسائي والحاكم وصححه وابن مردويه وعن ابن عباس قال قلت لعمر بن الخطاب من المرأتان اللتان تظاهرتا قال عايشة وحفصة وكان بدؤ الحديث في شان مارية القبطية ام ابراهيم اصابها النبي صلى الله عليه وسلم في بيت حفصة في يومها فوجدت حفصة فقالت يا رسول الله لقد جئت الي بشي ما جئته الى احد من ازواجك في يومي وفي دوري على فراشي قال الا ترضين ان احرمها فلا اقربها ابدا قالت بلى فحرمها وقال لا تذكري ذلك لاحد فذكرته لعايشة فاظهره الله عليه فانزل الله يا ايها النبي لم تحرم الايات كلها فبلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كفر عن يمينه واصاب مارية اخرجه البزار والطبراني قال السيوطي بسند صحيح واخرجه ابن سعد وابن مردويه عنه باطول من هذا واخرجه ابن مردويه من وجه اخر عنه باخصر منه واخرجه ابن المنذر والطبراني وابن مردويه عنه مختصرا بلفظ قال حرم سريته وجعل ذلك سبب النزول في جميع ما روي من هذه الطرق وعن ابن عمر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لحفصة لا تحدثي احدا وان ام ابراهيم علي حرام قالت اتحرم ما احل الله لك قال فوالله لا اقربها فلم يقربها حتى اخبرت عايشة فانزل الله قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم اخرجه الهيثم بن كليب في مسنده والضياء المقدسي في المختارة من طريق نافع وعن ابي هريرة ان سبب النزول تحريم مارية كما سلف اخرجه الطبراني في الاوسط وابن مردويه وسنده ضعيف الثاني قيل السبب انه كان صلى الله عليه وسلم يشرب عسلا وهو الذي رواه الشيخان والتي شرب عندها هي زينب بنت جحش فتواطأت عايشة وحفصة ان يقولا له اذا دخل عليهما انا نجد منك ريح مغافير فحرم العسل فنزلت هذه الاية اخرج البخاري وغيره عن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش ويشرب عندها لبنا وعسلا فتواصيت انا وحفصة ان ايتنا دخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم

فلتقل اني اجد منك ريح مغافير فدخل على احداهما فقالت ذلك له فقال لا بل شربت عسلا عند زينب
بنت جحش ولن اعود فنزلت يا ايها النبي الى قوله ان تتوبا الى الله لعايشة وحفصة واذ اسر النبي
الى بعض ازواجه حديثا لقوله بل شربت عسلا وقيل هي سودة كما روي عن ابن عباس قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم شرب من شراب عند سودة من العسل فدخل على عايشة فقالت اني اجد
منك ريحا فدخل على حفصة فقالت اني اجد منك ريحا فقال اراه من شراب شربته عند سودة
والله لا اشربه ابدا فانزل الله هذه الآية اخرجه ابن المنذر وابن ابي حاتم والطبراني وابن مردويه
قال السيوطي بسند صحيح وقيل هي ام سلمة كما روي عن عبد الله بن رافع قال سألت ام سلمة عن هذه
الآية يا ايها النبي لم تحرم قالت كانت عندي عكة من عسل ابيض فكان النبي صلى الله عليه وسلم يلعق
منها وكان يحبه فقالت له عايشة نحلها تجرس عرفطا فنزلت هذه الآية اخرجه ابن سعد
وذكره الخطيب والخازن وقيل هي حفصة فواطأت عايشة وسودة وصفية فقلن له انا نشم
منك ريح المغافير فحرم العسل فنزلت الآية قاله البيضاوي الثالث قيل السبب المرأة التي وهبت
نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فالاولان سببان صحيحان لنزول الآية والجمع ممكن بوقوع القصتين قصة مارية
وقصة العسل وان القران نزل فيهما جميعا وفي كل واحد منهما انه اسر الحديث الى بعض ازواجه
واما الثالث فقال شيخنا الشوكاني انه ليس في ذلك الا ما روى ابن ابي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس
قال نزلت هذه الآية في المرأة التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم قال السيوطي وسنده ضعيف ويرده
ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقبل تلك الواهبة نفسها فكيف يصح ان يقال انه نزل في شأنها فان
من رد ما وهب له لم يصح ان يقال انه حرم على نفسه وايضا لا ينطبق على هذا السبب قوله واذ اسر
النبي الى بعض ازواجه حديثا الى آخر ما حكاه الله واما ما ثبت في الصحيحين وغيرهما ان ابن
عباس سأل عمر بن الخطاب عن المرأتين اللتين تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره انهما عايشة
وحفصة ثم ذكر قصة الايلاء كما في الحديث الطويل فليس في هذا نفي كون السبب هو ما قدمنا
من قصة العسل والسرية لانه انما اخبره بالمتظاهرتين وذكر فيه ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم يراجعنه وتهجره
احداهن من اليوم الى الليل وان ذلك سبب الاعتزال لا سبب نزول يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك
ويؤيد هذا ما قدمنا عن ابن عباس انه قال لعمر بن الخطاب من المرأتان اللتان تظاهرتا فاخبره انهما

قوله تجرس العرفط اي تأكل يقال سمعت جرس الطير اذا سمعت صوت مناقيرها على شيء تأكله وفي الحديث فيسمعون جرس طير الجنة قال الاصمعي كنت في مجلس شعبة قال فيسمعون جرش طير الجنة بالشين فقلت جرس فنظر الي فقال خذوا عنه فانه اعلم بهذا منا وقد يكون الجرس من الوحي ... والعرفط شجر ... من قبل ... كذا في الصحاح ١٢ منه سيد ذو الفقار احمد ... الناظم

حفصة وعايشة وبين له ان السبب قصة مارية هذا ما تيسر من تلخيص سبب نزول الآية ودفع الاختلاف
في شانه فاشدد عليه يديك لتنجو به من الخبط والخلط الذي وقع للمفسرين قد فرض الله
لكم تحلة ايمانكم اي شرع لكم تحليل ايمانكم وبين لكم الخروج والخلاص منها بالكفارة وقال النسفي
او شرع لكم الاستثناء في ايمانكم من قولك حلل فلان في يمينه اذا استثنى فيها وذلك ان يقول ان
شاء الله عقيبها حتى لا يحنث وتحريم الحلال يمين عندنا انتهى وتحلة اصلها تحللة فادغمت وهي من
مصادر التفعيل كالتوصية والتسمية فكان اليمين عقد والكفارة حل لانها تحل للحالف ما حرمه على
نفسه قال مقاتل المعنى قد بين الله كفارة ايمانكم في سورة المائدة امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يكفر
يمينه ويراجع وليدته فاعتق رقبة وعن الحسن انه لم يكفر لانه صلى الله عليه وسلم مغفور له ذكره المحلي
النسفي قال الزجاج وليس لاحد ان يحرم ما احل الله وهذا هو الحق ان تحريم ما احل الله لا ينعقد
ولا يلزم صاحبه فالتحليل والتحريم هو الى الله سبحانه لا الى غيره ومعاتبته لنبيه صلى الله عليه وسلم في هذه
السورة ابلغ دليل على ذلك والبحث طويل والمذاهب فيه كثيرة والمقالات فيه طويلة وقد حققه
الشوكاني في مؤلفاته بما يشفي وذكر رضي الله عنه في شرحه للمنتقى خمسة عشر قولا واختلف العلماء
هل مجرد التحريم يمين توجب الكفارة ام لا وفي ذلك خلاف وليس في الآية ما يدل على انه يمين
لان الله سبحانه عاتبه على تحريم ما احله له ثم قال قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم وقد ورد في القصة
التي ذهب اكثر المفسرين الى انها هي سبب نزول الآية انه حرم اولا ثم حلف ثانيا كما قدمنا عن ابن عباس
قال في الحرام يكفر وقال لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة وعنه انه جاءه رجل فقال
اني جعلت امرأتي علي حراما فقال كذبت ليست عليك بحرام ثم تلا لم تحرم ما احل الله لك قال عليك
اغلظ الكفارات عتق رقبة وعن عايشة قالت لما حلف ابو بكر ان لا ينفق على مسطح فانزل الله قد فرض
الله لكم تحلة ايمانكم فاحل يمينه وانفق عليه اخرجه الحارث بن اسامة والله مولاكم اي وليكم و
ناصركم والمتولي لاموركم وقيل مولاكم اولى بكم من انفسكم فكانت نصيحته انفع لكم من نصائحكم انفسكم
ذكره النسفي وهو العليم بما فيه صلاحكم وفلاحكم الحكيم في اقواله وافعاله واذ اسر النبي الى
بعض ازواجه حديثا قال اكثر المفسرين ومنهم النسفي والمحلي والخازن هي حفصة كما سبق والحديث
هو تحريم مارية او العسل او تحريم التي وهبت نفسها له والعامل في الظرف فعل مقدر اي واذكر

اذا سر وقال الكلبي اسر اليها ان اباك واباها يكونان خليفتي على امتي من بعدي واخرج ابن عدي وابن عساكر عن عايشة في الاية قالت اسر اليها ان ابابكر خليفتي من بعدي واخرج ابن عدي وابو نعيم في الصحابة و العشاري في فضائل الصديق وابن مردويه وابن عساكر من طرق عن علي وابن عباس قالا والله ان امارة ابي بكر وعمر لفي الكتاب واذ اسر النبي الى بعض ازواجه حديثا قال لحفصة ابوك وابو عايشة واليا الناس بعدي فاياك ان تخبري احدا بهذا قال الشوكاني وهذا ليس فيه انه سبب نزول قوله يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك بل فيه ان الحديث الذي اسره النبي هو هذا فلو فرض ان له اسنادا يصلح للاعتبار هو معارض بما سبق من تلك الروايات الصحيحة وهي مقدمة عليه ومرجحة بالنسبة اليه فلما نبأت به اي اخبرت به غيرها ظنا منها ان لا حرج في ذلك فهو باجتهاد منها وهي ماجورة فيه وذلك لان الاجتهاد جائز في عصره صلعم على الصحيح كما في جمع الجوامع واصل نبأ وانبأ وخبر واخبر وحدث ان تتعدى لاثنين الى الاول بنفسها والى الثاني بحرف الجر وقد يحذف الجار تخفيفا وقد يحذف الاول للدلالة عليه وقد جاءت الاستعمالات الثلث في هذه الاية فقوله فلما نبأت به تعدى لاثنين حذف اولهما والثاني مجرور بالباء وقوله فلما نبأها به ذكرهما وقوله من انبأك هذا ذكرهما وحذف الجار واظهره الله عليه اي اطلع الله نبيه على ذلك الواقع منها من الاخبار لغيرها على لسان جبريل عرف بعضه اي بعض ما اخبرت به وهو تحريم مارية او العسل قرأ الجمهور عرف مشددا من التعريف و معناه عرف حفصة بعض الحديث واخبرها ببعض ما كان منها وقرئ بالتخفيف اي عرف بعض الذي فعلته حفصة واختار ابو عبيد وابو حاتم الاولى لقوله واعرض عن بعض ولو كان مخففا لقال في ضده وانكر بعضا والمعنى لم يعرفها اياه ولم يخبرها به تكرما منه وحياء وحسن عشرة قال الحسن ما استقصى كريم قط وقال سفيان ما زال التغافل من فعل الكرام ومعنى اعرض عن تعريف بعض ذلك كراهة ان ينتشر في الناس وقيل الذي اعرض عنه هو حديث مارية وقيل هو ان اباها وابا بكر يكونان خليفتين بعده وللمفسرين ههنا خلط وخبط وكل جماعة منهم ذهبوا الى تفسير التعريف والاعراض بما يطابق بعض ما ورد في سبب النزول وقد اوضحنا ذلك من قبل فلما نبأها به اي اخبرها بما افشت من الحديث قالت من انبأك هذا اي من اخبرك به قال نبأني العليم الخبير اي الخبير الذي لا تخفى عليه خافية ان تتوبا الخطاب لعايشة وحفصة على طريقة الالتفات ليكون ابلغ في معاتبتهما

وجواب الشرط محذوف اي ان تتوبا الى الله فهو الواجب ودل على المحذوف قوله فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا اي زاغت واثمت ومالت عن الواجب من مخالصة رسول الله صلى الله عليه وسلم من حب ما يحبه وكراهة ما يكرهه ووجد منكما ما يوجب التوبة وهو انهما احبتا ما كره رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو افشاء الحديث وقيل المعنى فقد مالت قلوبكما الى التوبة وقال قلوبكما ولم يقل قلباكما لان العرب تستكره الجمع بين تثنيتين في لفظ واحد ومجموع المضاف والمضاف اليه كالشيء الواحد من اجل تمام العلقة والنسبة بينهما وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ قرأ الجمهور بحذف احدى التائين وقرئ على الاصل وقرئ تظهرا بتشديد الظاء والهاء بدون الف وهي سبعية والمراد بالتظاهر التعاضد والتعاون والمعنى وان تعاضدا وتعاونا عليه بما يسوءه من الافراط في الغيرة وافشاء سره وقيل كان التظاهر بين عائشة وحفصة في التحكم على النبي صلى الله عليه وسلم في النفقة فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ ضمير فصل مَوْلَاهُ تعليل لجواب الشرط المحذوف تقديره فلا يعدم ناصرا ولا معينا فان الله يتولى نصره بذاته وَجِبْرِيلُ ايضا وليه وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ اي من صلح من عباده المؤمنين وقيل من برئ من النفاق وقيل الصحابة وقيل واحد اريد به الجمع وقيل اصله صالحو المؤمنين فحذفت الواو من الخط موافقة للفظ قال بريدة ابو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما وعن ابن مسعود مثله وعن ابي امامة مرفوعا مثله اخرجه الحاكم وعن علي بسند ضعيف قال هو علي بن ابي طالب كرم الله وجهه وعن اسماء بنت عميس قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وصالح المؤمنين علي بن ابي طالب اخرجه ابن مردويه وَالْمَلَائِكَةُ على تكاثر عددهم بَعْدَ ذَلِكَ اي بعد نصر الله والمذكورين ظَهِيرٌ اي اعوان يظاهرونه قال ابو علي الفارسي قد جاء فعيل للكثرة كقوله ولا يسأل حميم حميما قال الواحدي وهذا من الواحد الذي يؤدي عن معنى الجمع كقوله وحسن اولئك رفيقا وقد تقرر في علم النحو ان مثل جريح وصبور وظهير يوصف به الواحد والمثنى والجمع وانما عدل عن عطف المفرد الى عطف الجملة ليؤذن بالفرق فان نصرة الله هي النصرة في الحقيقة وانه تعالى انما ضم اليها المظاهرة بجبريل وبصالح المؤمنين وبالملائكة للتتميم تطييبا للقلوب المؤمنين وتوقيرا لجانب الرسول واظهارا للآيات البينات كما في يوم بدر وحنين قال تعالى وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ بالتخفيف والتشديد سبعيتان اي يعطيه بدلكن أَزْوَاجًا

خيراً أي أفضل منكن وقد علم الله سبحانه انه لا يطلقهن ولكن اخبر عن قدرته على انه ان وقع
منه الطلاق ابدله خيرا منهن تخويفا لهن وهو كقوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم فانه اخبار
عن القدرة وتخويف لهم والممتنع بمقتضى الآية انما هو تطليق الكل فلا ينافي انه طلق واحدة وانه لم يبدل
لان التبديل انما هو للكل وانما هو مرتب على تطليق الكل وفي الخطيب قيل كل عسى في القران واجب
الوقوع الا هذه الآية وقيل هي من الواجب ايضا ولكن الله علقه بشرطه وهو التطليق الكل ولم يطلقهن
وفي الكرخي قال ابن عرفة عسى هنا للتخويف لا للوجوب ثم نعت سبحانه الازواج بقوله مسلمات اي
قائمات بفرائض الاسلام اما نعت او حال او منصوب على الاختصاص وقال سعيد بن جبير مسلمات
اي مخلصات مقرات وقيل معناه مسلمات لامر الله ورسوله مؤمنات اي مصدقات بالله وملائكته
وكتبه ورسله والقدر خيره وشره قانتات مطيعات لله والقنوت الطاعة وقيل مصليات بالليل
وقيل داعيات وقيل طائعات تائبات يعني كثيرات التوبة من الذنوب تاركات لها راجعات
الى الله والى امر رسوله صلى الله عليه وسلم عن الهفوات والزلات عابدات لله متذللات له قال الحسن وسعيد
بن جبير كثيرات العبادة سائحات اي صائمات قاله ابن عباس قال زيد بن اسلم والحسن مهاجرات
وليس في امة محمد صلى الله عليه وسلم سياحة الا الهجرة قال ابن قتيبة والفراء وغيرهما وسمي الصيام سياحة
لان السائح لا زاد معه وقيل المعنى ذاهبات في طاعة الله من ساح الماء اذا ذهب واصل السياحة الجولان
في الارض وقيل يسعين معه حيث ساح وقد مضى الكلام على السياحة في سورة براءة ثيبات و
ابكاراً اي بعضهن كذا وبعضهن كذا وتوسيط العاطف لتنافيهما دون سائر الصفات والثيبات
جمع ثيب لا ينقاس لانه اسم جنس مؤنث ووزنها فيعل من ثاب يثوب اي رجع وهي المرأة التي قد تزوجت
ثم ثابت عن زوجها فعادت كما كانت غير ذات زوج وقيل لانها ثابت الى بيت ابويها وهذا اصح لانه ليس كل
ثيب تعود الى زوجها والابكار جمع بكر وهي العذراء سميت بذلك لانها على اول حالها التي خلقت عليها وعن بريدة
في الآية قال وعد الله نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الآية ان يزوجه بالثيب آسية امرأة فرعون وبالبكر مريم
بنت عمران ولا يقال اي مدح في كونهن ثيبات لان الثيب قد تمدح من جهة انها اكثر تجربة وعقلا
واسرع حبلا غالبا والبكر تمدح من جهة انها اطهر واطيب واكثر مداعبة وملاعبة غالبا يا ايها الذين
آمنوا قوا انفسكم بفعل ما امركم به وترك ما نهاكم عنه اي اجعلوا لها وقاية بالتأسي به صلى الله عليه وسلم في ترك

المعاصي وفعل الطاعات وَأَهْلِيكُمْ من النساء والاولاد وكل من يدخل في هذا الاسم بامرهم بطاعة الله ونهيهم عن معاصيه وبان تاخذوهم بما تاخذون به انفسكم نصحا وتاديبا نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ اي نارا عظيمة تتوقد بالناس الكفار والحجارة كالاصنام منها كما يتوقد غيرها بالحطب وقيل الكبريت لانه اشد الاشياء حرا واسرع ايقادا وقد تقدم بيان هذا في سورة البقرة قال مقاتل بن سليمان قوا انفسكم واهليكم بالادب الصالح النار في الآخرة وقال قتادة ومجاهد قوا انفسكم بافعالكم وقوا اهليكم بوصيتكم قال ابن جرير فعلينا ان نعلم اولادنا الدين والخير وما لا يستغنى عنه من الادب ومن هذا قوله وأمر اهلك بالصلوة واصطبر عليها وقوله وانذر عشيرتك الاقربين وعن علي بن ابي طالب في الآية قال علموا انفسكم واهليكم الخير وادبوهم وعن ابن عباس قال اعملوا بطاعة الله واتقوا معاصي الله وأمروا اهليكم بالذكر ينجيكم الله من النار وعنه قال ادبوا اهليكم عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ اي على النار خزنة من الملائكة يلون امرها وتعذيب اهلها وهم الزبانية غِلَاظٌ على اهل النار شِدَادٌ عليهم لا يرحمونهم اذا استرحموهم لان الله سبحانه وتعالى خلقهم من غضبه وحبب اليهم تعذيب خلقه وقيل غلاظ الاقوال شداد الافعال وقيل الغلاظ ضخام الاجسام والشداد الاقوياء وقيل المراد غلاظ القلوب شداد الابدان من غلظ القلب اي قسوته لا من غلظ الجسم ولا من غلظ القول عن ابي عمران الجوني قال بلغنا ان خزنة النار تسعة عشر ما بين منكب احدهم مسيرة مائة خريف ليس في قلوبهم رحمة انما خلقوا للعذاب يضرب الملك منهم الرجل من اهل النار الضربة فيتركه طحنا من لدن قرنه الى قدمه اخرجه عبد الله بن احمد في زوائد الزهد لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ اي لا يخالفونه في امره وما موصولة والعائد محذوف اي لا يعصون الله الذي امرهم به او مصدرية اي لا يعصون الله امره على ان يكون ما امرهم بدل اشتمال من الاسم الشريف او على تقدير نزع الخافض اي لا يعصون الله في امره وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ به اي يؤدونه في وقته من غير تراخ لا يؤخرونه عنه ولا يقدمونه وليست الجملتان في معنى واحد اذ معنى الاولى انهم يتقبلون اوامره ويلتزمونها ومعنى الثانية انهم يؤدون ما يؤمرون به ولا يتثاقلون عنه ولا يتوانون فيه وقيل الثانية تاكيد للاولى وبه قال المحلي لان مفادها هو مفادها وقيل الاولى فيما مضى والثانية فيما يستقبل وصدر بهذا البيضاوي والآية تخويف للمؤمنين عن الارتداد وللمنافقين المؤمنين بالسنتهم دون قلوبهم يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ يقال لهم هذا القول عند

ف جواب عن سوال حاصله انه تعالى خاطب المشركين في قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا الآية فجعلها معدة للكافرين فما معنى تخويف المؤمنين بها وحاصل الجواب ان الآية امر بالتوقي عن الارتداد المؤدي للنار المعدة للكافرين او انها ايضا خطاب للمنافقين وهم من جملة الكافرين ١٢ سيد ذو الفقار احمد

ادخالهم النار تاييساً لهم وقطعاً لاطماعهم لانه يوم الجزاء وقد فات زمان الاعتذار وصار الامر الى ما صار اليه ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من الاعمال في الدنيا ومثل هذا قوله فاليوم لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ قرأ الجمهور بفتح النون على الوصف للتوبة اي توبة بالغة في النصح وقرئ بضمها اي توبة نصح لانفسكم ويجوز ان يكون جمع ناصح وان يكون مصدراً يقال نصح نصاحة ونصوحاً وقال المبرد اراد توبة ذات نصح اي تنصح صاحبها بترك العود الى ما تاب عنه ووصفت بذلك على الاسناد المجازي وهو في الاصل وصف للتائبين ان ينصحوا بالتوبة انفسهم بالعزم على الترك للذنب ترك المعاودة له قال قتادة التوبة النصوح الصادقة وقيل الخالصة وقال الحسن التوبة النصوح ان يبغض الذنب الذي احبه ويستغفر منه اذا ذكره وقال الكلبي التوبة النصوح الندم بالقلب والاستغفار باللسان والاقلاع بالبدن والاطمينان على ان لا يعود وقال سعيد بن جبير هي التوبة المقبولة وعن النعمان بن بشير ان عمر بن الخطاب سئل عن التوبة النصوح قال ان يتوب الرجل من العمل السيئ ثم لا يعود اليه ابداً وروي عن معاذ مرفوعاً هي ان لا يحتاج بعدها الى توبة اخرى وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم التوبة من الذنب ان يتوب منه ثم لا يعود اليه ابداً اخرجه احمد وابن مردويه والبيهقي وفي اسناده ابراهيم بن مسلم الهجري وهو ضعيف والصحيح الموقوف كما اخرجه موقوفاً عليه ابن ابي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير والبيهقي وابن المنذر وعن ابن مسعود قال التوبة النصوح تكفر كل سيئة وهو في القرآن ثم قرأ هذه الاية اخرجه الحاكم وصححه وقد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة واجماع الامة على وجوب التوبة وهي فرض على الاعيان في كل الاحوال وفي كل الازمان واختلف في معناها وذكروا في تفسيرها ثلاثة وعشرين قولاً متقاربة المعنى لا يسعها هذا الموضع وملاك الامر فيها ان يتوب ثم لا يعود الى الذنب كما لا يعود اللبن الى الضرع ولو حز بالسيف واحرق بالنار وهي واجبة من كل معصية كبيرة او صغيرة على الفور ولا يجوز تاخيرها وتجب من جميع الذنوب وان تاب من بعضها صحت توبته عما تاب منه وبقي الذي لم يتب منه هذا مذهب اهل السنة والجماعة وقد اخرج مسلم عن الاغر بن يسار المزني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس توبوا الى الله فاني اتوب في اليوم مائة مرة وعن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم اكثر من سبعين مرة

اخرجه البخاري واخرجا عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله افرح بتوبة عبده المؤمن من احدكم سقط على بعيره وقد اضله في ارض الفلاة الحديث وعن ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها رواه مسلم وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر اخرجه الترمذي وحسنه عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ بسبب تلك التوبة جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ معطوف على يكفر منصوب بناصبه بالنصب قرأ الجمهور وقرئ بالجزم عطفا على محل عسى كانه قال توبوا يوجب تكفير سيئاتكم ويدخلكم وعسى وان كان اصلها للاطماع فهي من الله واجبة تفضلا وتكرما لان التائب من الذنب كمن لا ذنب له وليس واجبا عقليا يَوْمَ اي يدخلكم يوم لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ او منصوب باذكر وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ اي صاحبوه في وصف الايمان معطوف على النبي وقيل الموصول مبتدأ وخبره قوله نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ والاول اولى وفيه تعريض بمن اخزاهم الله من اهل الكفر والجملة حالية او مستأنفة لبيان حالهم وقد تقدم في سورة الحديد ان النور يكون معهم حال مشيهم على الصراط والمراد بايمانهم جهاتهم كلها والتقييد بالامام والايمان لا ينفي ان لهم نورا على شمائلهم بل لهم نور لكن لا يلتفتون اليه لانهم اما من السابقين فيمشون فيما هو امامهم واما من اهل اليمين فيمشون فيما هو عن ايمانهم عن ابن عباس في الآية قال ليس احد من الموحدين الا يعطى نورا يوم القيامة فاما المنافق فيطفى نوره والمؤمن مشفق مما رأى من اطفاء نور المنافق قال ابن مسعود يمرون على الصراط على قدر اعمالهم يمرون على الصراط منهم من نوره مثل الجبل ومنهم من نوره مثل النخلة وادناهم نورا من نوره في ابهامه ذكره السيوطي في البدور السافرة يَقُولُونَ خبر ثان او حال رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ هذا دعاء المؤمنين حين اطفأ الله نور المنافقين كما تقدم بيانه وتفصيله يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ بالسيف والرمح وَالْمُنَافِقِينَ بالحجة والوعظ البليغ وقد تقدم الكلام على هذه الآية في سورة براءة وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ بالانتهار والزجر والمقت والبغض اي شدد عليهم في الدعوة والخطاب والقتال والمحاجة باللسان واستعمل الخشونة في امرهم بالشرائع ولا تعاملهم باللين وقال الحسن اي جاهدهم باقامة الحدود عليهم فانهم كانوا يرتكبون موجبات

الحدود ومأواهم جهنم أي مصير الكفار والمنافقين إليها وبئس المصير أي المرجع الذي يرجعون
إليه ضرب الله مثلا للذين كفروا قد تقدم غير مرة أن المثل قد يراد به إيراد حالة غريبة تعرف
بها حالة أخرى مماثلة لها في الغرابة أي جعل الله مثلا لحال هؤلاء الكفار في أنهم يعاقبون لكفرهم
وأنه لا يغني أحد عن أحد امرأة نوح واسمها واهلة وقيل والهة وامرأة لوط واسمها واعلة
وقيل والعة وهذا هو المفعول الأول ومثلا المفعول الثاني حسبما قدمنا تحقيقه وإنما أخر ليتصل
به ما هو تفسير له وإيضاح لمعناه وترسم امرأة في هذه المواضع الثلاثة وابنت بالتاء المجرورة و
يوقف عليهن بالهاء والتاء كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين وهما نوح ولوط عليهما السلام
أي كانتا في عصمة نكاحهما وهذه جملة مستأنفة كأنها مفسرة لضرب المثل ولم يؤت بضميرهما
فيقال تحتهما لما قصد من تشريفهما بهذه الإضافة الشريفة وفي ذلك مبالغة في المعنى المقصود و
هو أن الإنسان لا ينفعه عادة الإصلاح نفسه لا صلاح غيره وإن كان ذلك الغير في أعلى مراتب
الصلاح والقرب من الله تعالى فخانتاهما أي فوقعت منهما الخيانة لهما قال ابن عباس ما بغت امرأة
نبي قط ورواه ابن عساكر مرفوعا عنه قال ما زنتا أما خيانة امرأة نوح فكانت تقول للناس إنه مجنون
وأما خيانة امرأة لوط فكانت تدل على الضيف فتلك خيانتهما وقال عكرمة والضحاك بالكفر وقد وقعت
الأدلة الإجماعية على أنها ما زنت امرأة نبي قط وقيل كانت خيانتهما النفاق وقيل خانتاهما بالنميمة
فلم يغنيا عنهما من الله شيئا أي فلم ينفعهما نوح ولوط بسبب كونهما زوجين لهما شيئا من
النفع ولا دفعا عنهما من عذاب الله مع كرامتهما على الله ونبوتهما شيئا من الدفع وفيه تنبيه على أن
العذاب يدفع بالطاعة لا بالوسيلة وقيل أي يقال لهما في الآخرة أو عند موتهما ادخلا
النار مع الداخلين لها من أهل الكفر والمعاصي قال يحيى بن سلام ضرب الله مثلا الذين كفروا
يحذر به عائشة وحفصة من المخالفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين تظاهرتا عليه وما أحسن
ما قال فإن ذكر امرأتي النبيين بعد ذكر قصتهما ومظاهرتهما على رسول الله صلى الله عليه وسلم يرشد
أتم إرشاد ويلوح أبلغ تلويح إلى أن المراد تخويفهما مع سائر أمهات المؤمنين وبيان أنهما وإن كانتا
تحت عصمة خير خلق الله وخاتم رسله فإن ذلك لا يغني عنهما من الله شيئا وقد عصمهما الله سبحانه
عن ذنب تلك المظاهرة بما وقع منهما من التوبة الصحيحة الخالصة وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة

فرعون هي آسية بنت مزاحم قيل انها اسرائيلية وانها عمة موسى وقيل انها ابنة عم فرعون و
انها من العمالقة وكانت ذات فراسة صادقة آمنت بموسى عليه السلام فعذبها فرعون بالاوتاد الاربعة
والكلام في هذا كالكلام في المثل الذي قبله اي جعل الله حال امرأة فرعون مثلا لحال المؤمنين ترغيبا لهم
في الثبات على الطاعة والتمسك بالدين والصبر في الشدة وان صولة الكفر لا تضرهم كما لم تضر امرأة فرعون
وقد كانت تحت الكفر الكافرين وصارت بايمانها بالله في جنات النعيم وفيه دليل على ان صلة الكفرة لا تضر
مع الايمان اذ ظرف لمثلا او لضرب قالت رب ابن لي عندك حال من ضمير المتكلم او من بيتا لتقدمه
عليه قوله في الجنة بدل او عطف بيان لقوله عندك او متعلق بقوله ابن وقدم عندك هنا للاشارة
الى قولهم الجار قبل الدار ومعناه بيتا قريبا من رحمتك او في اعلى درجات المقربين منك او في مكان لا يتصرف
فيه الا باذنك وهو الجنة ونجني من فرعون وعمله اي من ذاته الخبيثة وشركه وما يصدر عنه
من اعمال الشر وقال ابن عباس عمله يعني جماعه وعن سلمان قال كانت امرأة فرعون تعذب
بالشمس فاذا انصرفوا عنها اظلتها الملائكة باجنحتها وكانت ترى بيتها في الجنة وعن ابي هريرة
ان فرعون وتد لامرأته اربعة اوتاد واضجعها وجعل على صدرها رحى واستقبل بها عين الشمس
فرفعت رأسها الى السماء فقالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة الى قوله ونجني من القوم الظالمين
ففرج الله لها عن بيتها في الجنة فرأته وقبض الله روحها قال الكلبي هم اهل مصر وقال مقاتل
هم القبط قال الحسن وابن كيسان نجاها الله اكرم نجاة ورفعها الى الجنة فهي تاكل وتشرب وفيه
دليل على ان الاستعاذة بالله والالتجاء اليه ومسئلة الخلاص منه عند المحن والنوازل من سير
الصالحين وديدن المؤمنين بيوم الدين وضرب الله مثلا للذين آمنوا مريم ابنت عمران
اي حالها وصفتها فمثل حال المؤمنين بامرأتين كما مثل حال الكفار بامرأتين وقيل التقدير واذكر
مريم والمقصود من ذكرها ان الله سبحانه جمع لها بين كرامتي الدنيا والآخرة واصطفاها على نساء
العالمين مع كونها بين قوم كافرين التي احصنت فرجها حفظت فرجها عن الفواحش وعن الرجال فلم
يصل اليها رجل لا بنكاح ولا بزنا والمحصنة العفيفة وقد تقدم تفسير هذا في سورة النساء قال
المفسرون المراد بالفرج هنا الجيب لقوله فنفخنا فيه من روحنا المخلوقة لنا وذلك ان جبريل نفخ
في جيب درعها اي طوق قميصها فحملت بعيسى عقب النفخ فالنفخ والحمل والوضع في ساعة واحدة

والاسناد في نفخنا مجازي اي فاسند الى الله من حيث انه الخالق والموجد وقيل المراد بالروح روح عيسى التي صارت احيا فوصلت الى فرجها بواسطة نفخ جبريل واضاف الروح الى الله اضافة مخلوق لخالقه للتشريف وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا يعني بشرائعه التي شرعها الله لعباده وقيل المراد بالكلمات عيسى وقيل صحفه التي انزلها على ادريس وغيره قرأ الجمهور صدقت بالتشديد وقرئ بالتخفيف وقرأوا بكلمات بالجمع وقرئ بكلمة بالافراد وَكُتُبِهِ قرأ الجمهور بالافراد وقرئ بالجمع والمراد على الاولى الجنس فيكون في معنى الجمع وهي الكتب المنزلة على الانبياء كابراهيم وموسى وابنها عيسى وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ قال قتادة من القوم المطيعين لربهم وقال عطاء من المصلين كانت تصلي بين المغرب والعشاء ويجوز ان يراد بالقانتين رهطها وعشيرتها الذين كانت منهم وكانوا مطيعين اهل بيت صلاح وطاعة ولما كان القنوت صفة تشمل من قنت من القبيلين غلب ذكوره على اناثه وفيه اشعار بان طاعتها لم تقصر عن طاعة الرجال الكاملين حتى عدت من جملتهم ومن للتبعيض ويجوز ان تكون لابتداء الغاية على انها ولدت من القانتين لانها من اعقاب هارون اخي موسى عليهما السلام عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل نساء اهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم ومريم بنت عمران واسية بنت مزاحم امرأة فرعون مع ما قص الله علينا من خبرها في القرآن قالت رب ابن لي عندك الآية اخرجه احمد والطبراني والحاكم وفي الصحيحين وغيرهما من حديث ابي موسى الاشعري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا اسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وان فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام

ع ٢

سورة الملك وتسمى سورة تبارك والواقية والمنجية وتدعى في التوراة المانعة

الجزء التاسع والعشرون ٢٩

وهي ثلاثون اية وهي مكية قال القرطبي في قول الجميع وعن ابن عباس قال نزلت بمكة وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سورة من كتاب الله ما هي الا ثلاثون اية شفعت لرجل حتى غفر له تبارك الذي بيده الملك اخرجه احمد وابو داود والنسائي وابن ماجة وابن الضريس والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الشعب والترمذي وقال هذا حديث حسن وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة في القرآن خاصمت عن صاحبها حتى ادخلته الجنة تبارك الآية اخرجه الطبراني في الاوسط وابن مردويه والضياء في المختار وعن ابن عباس قال ضرب بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خباءه على قبر

وهو لا يحسب انه قبر فاذا قبر انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي المانعة هي المنجية من عذاب القبر اخرجه الحاكم وابن مردويه وابن نصر والبيهقي في الدلائل والترمذي وقال هذا حديث غريب من هذا الوجه وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبارك هي المانعة من عذاب القبر اخرجه ابن مردويه والنسائي وصححه الحاكم وعن رافع بن خديج وابي هريرة انهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انزلت علي سورة تبارك وهي ثلاثون آية جملة واحدة وهي المانعة في القبور اخرجه ابن مردويه وعن ابن عباس انه قال لرجل الا اتحفك بحديث تفرح به قال بلى قال اقرأ تبارك الذي بيده الملك وعلمها اهلك وجميع ولدك وصبيان بيتك وجيرانك فانها المنجية والمجادلة تجادل يوم القيامة عند ربها لقارئها وتطلب له ان ينجيه الله من عذاب النار وينجو بها صاحبها من عذاب القبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوددت انها في قلب كل انسان من امتي اخرجه عبد بن حميد في مسنده والطبراني والحاكم وابن مردويه

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك الذي بيده الملك

تبارك تفاعل من البركة والبركة النماء والزيادة وقيل تعالى وتعاظم عن صفات المخلوقين وقيل دام فهو الدائم الذي لا اول لوجوده ولا اخر لدوامه وقال الحسن تبارك تقدس وصيغة تفاعل للمبالغة واليد مجاز عن القدرة والاستيلاء عند المتكلمين وصفة من صفاته عند المحدثين وهو الاولى والملك هو ملك السموات والارض في الدنيا والآخرة فهو يعز من يشاء ويذل من يشاء ويرفع من يشاء ويضع من يشاء وقيل المراد بالملك ملك النبوة وقيل الملك الامر والنهي والسلطان اي التمكن من سائر الموجودات يتصرف فيها كيف اراد قال الرازي الملك تمام القدرة واستحكامها والاول اولى لان الحمل على العموم اكثر مدحا وابلغ ثناء ولا وجه للتخصيص وهو على كل شيء قدير اي بليغ القدرة لا يعجزه شيء من الاشياء يتصرف في ملكه كيف يريد من انعام وانتقام ورفع ووضع واعطاء ومنع قال ابو السعود الجملة معطوفة على الصلة مقررة لمضمونها مفيدة لجريان احكام ملكه تعالى في جلائل الامور ودقائقها وفي الكرخي لما اقترن الشيء بقوله قدير علم ان المراد منه المعدوم الذي يدخل تحت القدرة دون غيره

الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ الموت انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته له والحياة تعلق الروح بالبدن واتصاله به وقيل ما يوجب كون الشيء حيا وقيل الموت صفة وجودية مضادة للحياة وقيل المراد الموت في الدنيا والحياة في الآخرة وفيه بعد وقدم الموت على الحياة لان اصل الاشياء عدم الحياة والحياة عارضة لها وقيل لان الموت اقرب الى القهر وقال مقاتل خلق الموت يعني النطفة والمضغة والعلقة والحياة يعني خلقه انسانا وخلق فيه الروح وقيل خلق الموت على صورة كبش لا يمر على شيء الا مات وخلق الحياة على صورة فرس لا يمر بشيء الا حيي قاله مقاتل والكلبي وقد ورد في التنزيل قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم وقوله اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة وقوله توفته رسلنا وقوله الله يتوفى الانفس حين موتها وغير ذلك من الآيات وقال النسفي الحياة ما يصح بوجوده الاحساس والموت ضده ومعنى خلقهما ايجاد ذلك المصحح واعدامه اي خلق موتكم وحياتكم ايها المكلفون لِيَبْلُوَكُمْ اي ليعاملكم معاملة من يختبركم والا فعلمه محيط بكل شيء قال الشهاب الاختبار يقتضي عدم علم المختبر بالكسر بحال المختبر بالفتح فلهذا جعلوه استعارة تمثيلية او تبعية على تشبيه حالهم في تكليفه تعالى لهم بتكاليفه وخلق الموت والحياة لهم واثابته لهم وعقوبته بحال المختبر مع من اختبره وجربه لينظر طاعته وعصيانه فيكرمه او يهينه أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا فيجازيكم على ذلك وقيل المعنى ليبلوكم ربكم ايكم اكثر ذكرا للموت واحسن استعدادا له واشد منه خوفا وقيل ايكم احسن عقلا واسرع الى طاعة الله واورع عن محارم الله وقيل اخلص عملا واصوبه والخالص اذا كان لله والصواب اذا كان على السنة وقيل ازهد في الدنيا واترك لها والعموم اولى قال الزجاج اللام متعلقة بخلق الحياة لا بخلق الموت وقال الفراء ان قوله ليبلوكم لم يقع على اي لان فيما بين البلوى واي اضمار فعل كما تقول بلوتكم لانظر ايكم اطوع ومثله قوله سلهم ايهم بذلك زعيم اي سلهم ثم انظر ايهم فايكم في الآية مبتدأ وخبره احسن لان الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله وايراد صيغة التفضيل مع ان الابتلاء شامل لجميع اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح لا الى الحسن والاحسن فقط للايذان بان المراد بالذات والمقصد الاصلي من الابتلاء هو ظهور كمال احسان المحسنين وَهُوَ الْعَزِيزُ اي الغالب الذي لا يغالب ولا يعجزه من اساء العمل الْغَفُورُ لمن تاب واناب والستور الذي لا ييأس منه اهل الاساءة والزلل الَّذِي نعت لما قبله او بيان له او بدل منه او خبر مبتدأ محذوف او نصب على المدح خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ قيل الاولى

من كذا والثانية من كذا الى السابعة ولم اقف على دليله من الكتاب العزيز والسنة المطهرة طباقا اي
مطبقا بعضها فوق بعض كل سماء مقببة على الاخرى وسماء الدنيا كالقبة على الارض وهو جمع طبق نحو جبل وجبال
او جمع طبقة نحو رحبة ورحاب ومصدر طابق يقال طابق مطابقة وطباقا وعلى هذا الوصف بالمصدر
للمبالغة او على حذف مضاف اي ذات طباق او طوبقت طباقا قال البقاعي طباقا بحيث يكون كل جزء
منها مطابقا للجزء من الاخرى ولا يكون جزء منها خارجا عن ذلك ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت
صفة ثانية لسبع سموات او مستانفة لتقرير ما قبلها والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل من يصلح
له ومن مزيدة لتاكيد النفي واضافة خلق الرحمن من اضافة المصدر الى فاعله والمفعول محذوف تقديره لهن
او لغيرهن قرأ الجمهور من تفاوت وقرئ تفوت مشددا بدون الف وهما لغتان كالتعاهد والتعهد
والتحامل والتحمل والمعنى من تناقض ولا تباين ولا اعوجاج ولا تخالف بل هي مستقيمة دالة على خالقها
وان اختلفت صورها وصفاتها فقد اتفقت من هذه الحيثية وقال ابن عباس من تشقق وقيل من
اضطراب وقيل من عيب وحقيقة التفاوت عدم التناسب كان بعض الشيء يفوت بعضا فارجع
البصر اي اردد طرفك حتى يتضح لك ذلك بالمعاينة اخبر اولا بانه لا تفاوت في خلقه ثم امر ثانيا بترديد
البصر في ذلك لزيادة التاكيد وحصول الطمانينة هل ترى من فطور قال مجاهد والضحاك الفطور
الصدوع والشقوق جمع فطر وهو الشق وقال قتادة هل ترى من خلل وقال السدي من خروق واصله
من التفطر والانفطار وهو التشقق والانشقاق وعن ابن عباس قال الفطور الوهي وعنه قال من تشقق
وخلل ثم ارجع البصر كرتين اي رجعتين مرة بعد مرة وانتصابه على المصدر والمراد بالتثنية التكثير
كما في لبيك وسعديك وحنانيك وهذاذيك لا يريدون بهذه التثنية شفع الواحد انما يريدون التكثير
اي رجعة بعد رجعة وان كثرت واجابة لك بعد اخرى ولا تناقض الغرض ووجه الامر بتكرير النظر
على هذه انه قد لا يرى ما يظنه من العيب في النظرة الاولى ولا في الثانية ولهذا قال اولا ما ترى في خلق
الرحمن من تفاوت ثم قال ثانيا ثم ارجع البصر كرتين فيكون ذلك ابلغ في اقامة الحجة واقطع للمعذرة
وقيل الاولى ليرى حسنها واستواءها والثانية ليبصر كواكبها في سيرها وانتهائها ينقلب اليك البصر
خاسئا اي يرجع اليك البصر خاشعا متباعدا عن ان يرى شيئا من ذلك وقيل معنى خاسئا
مبعدا مطرودا عن ان يبصر ما التمسه من العيب يقال خسأت الكلب اي ابعدته وطردته وقال

ابن عباس خاسئا صاغرا اذليلا وقرأ الجمهور ينقلب بالجزم جوابا للامر وقرئ بالرفع على الاستيناف
وَهُوَ حَسِيرٌ اي كليل لا يرى شيئا قاله ابن عباس اي منقطع وعنه قال هي مرتجع قال الزجاج اي وقد
اعيا من قبل ان يرى في السماء خللا وهو فعيل بمعنى فاعل من الحسور وهو الاعياء يقال حسر بصره يحسر
حسورا اي كل وانقطع وبلغ الغاية في الاعياء ولما فرغ سبحانه من تفاصيل بعض احكام الملك واثار
القدرة وبيان ابتنائها على قوانين الحكم والمصالح شرع في ذكر دلائل اخرى على تمام قدرته بعد تلك الدلائل
فقال وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا اي القربى الى الارض من بقية السموات وهي التي يراها الناس بِمَصَابِيحَ
اي بنجوم فصارت بهذه الزينة في احسن خلق واكمل صورة وابهج شكل والمجيئ بالقسم لابراز كمال
العناية والمصابيح جمع مصباح وسميت الكواكب مصابيح لانها تضيئ كاضاءة السراج ففي الكلام استعارة
تصريحية لان حقيقة المصباح كما في المختار السراج وبعض الكواكب وان كان في غير سماء الدنيا من
السموات التي فوقها فهي تترأى كانها كلها في السماء الدنيا لان اجرام السموات لا تمنع من رؤية ما فوقها
مما له اضاءة لكونها اجراما صقيلة شفافة وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ هذه فائدة اخرى غير
الفائدة الاولى وهي كونها زينة للسماء الدنيا والمعنى انها ترجم بها الشياطين الذين يسترقون السمع و
الرجوم جمع رجم بالفتح وهو في الاصل مصدر اطلق على المرجوم به كما في قولهم الدرهم ضرب الامير اي مضروبه
او المعنى ذات رجوم وجمع المصدر باعتبار انواعه وقيل ان الضمير في جعلناها الى المصابيح على حذف مضاف
اي جعلنا شهبها وهي نارها المقتبسة منها لاهي نفسها لقوله الامن خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب
ووجه هذا ان المصابيح التي زين الله بها السماء الدنيا لا تزول عن مكانها ولا يرجم بها بل ينفصل شهابها
عن الكوكب فيقتل الجني او يخبله كذا قال ابو علي الفارسي جوابا لمن ساله كيف تكون المصابيح زينة
وهي رجوم قال القشيري وامثل من قوله هذا ان نقول هي زينة قبل ان ترجم بها الشياطين قال قتادة
خلق الله النجوم لثلاث زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها في البر والبحر فمن تكلم
فيها بغير ذلك فقد تكلم فيما لا يعلم وتعدى وظلم وقيل معنى الآية وجعلناها ظنونا ورجوما بالغيب لشياطين الانس وهم
المنجمون قال ابو السعود ولا يساعده المقام وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ اي للشياطين في الآخرة بعد الاحراق في الدنيا
بالشهب عَذَابَ السَّعِيرِ هو النار الموقدة واشد الحريق يقال سعرت النار فهي سعورة وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ
من كفار بني آدم او من كفار الفريقين عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ اي ما يصيرون اليه وهو جهنم

إِذَآ أُلْقُوا اي طرحوا فيها كما يطرح الحطب في النار سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا اي صوتا منكرا كصوت الحمير عند اول نهيقها وهو افبح الاصوات وتشهق اليهم شهقة البغل للشعير ثم تزفر زفرة لايبقى احد الاخاف وقوله لها في محل نصب على الحال اي كائنا لها لانه في الاصل صفة فلما قدمت صارت حالا وقال عطاء الشهيق هو من الكفار عند القائهم في النار وَهِيَ تَفُورُ اي والحال انها تغلي بهم غليان المرجل بما فيه تَكَادُ تَمَيَّزُ اي تتميز يعني تتقطع مِنَ الْغَيْظِ على الكفار فجعلت كالمغتاظة استعارة لشدة غليانها بهم قال ابن قتيبة تكاد تنشق غيظا على الكفار و قال ابن عباس تميز اي تتفرق و يفارق بعضها بعضا قرأ الجمهور تميز بتاء واحدة مخففة وقرئ بتائين على الاصل و بتشديدها بادغام احديهما في الاخرى وقرئ تمايز والاصل تتمايز وتميز من مازيميز كُلَّمَآ أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ مستانفة لبيان حال اهلها والفوج الجماعة من الناس اي كلما القي في جهنم جماعة من الكفار سَأَلَهُمْ اي الفوج والجمع باعتبار معناه خَزَنَتُهَآ من الملائكة سؤال توبيخ و تقريع أَلَمْ يَأْتِكُمْ في الدنيا نَذِيرٌ ينذركم هذا اليوم ويحذركم منه قَالُوا بَلَى مستانفة جواب سؤال مقدر كانه قيل فما ذا قالوا بعد هذا السؤال فقال قالوا بلى قَدْ جَآءَنَا اي جاء كل منا نَذِيرٌ فانذرنا وخوفنا واخبرنا بهذا اليوم او وهذا من كلام الفوج وكل فوج له نذير فلا يحتاج الى التاويل و هذا اعتراف منهم بعدل الله و اقرار بانه تعالى ازاح عللهم ببعثة الرسل و انذارهم ما وقعوا فيه وجمعوا بين حرف الجواب و نفس الجملة المفادة به تاكيدا اذ لو اقتصروا على بلى لفهم المعنى ولكنهم صرحوا بالمفاد ببلى تحسرا وزيادة ندم في تفريطهم وليعطفوا عليه قولهم فَكَذَّبْنَا ذلك النذير في كونه نذيرا من جهته تعالى وَقُلْنَا في حق ما تلاه علينا من الآيات افراطا في التكذيب مَا نَزَّلَ اللَّهُ على احد مِن شَيْءٍ من الاشياء فضلا عن تنزيل الآيات على السنتكم من الوعد والوعيد وغيرهما إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ اي في ذهاب عن الحق وبعد عن الصواب و خطأ عظيم لايقادر قدره و هذا يحتمل ان يكون من كلام الكفار للنذر وان يكون من كلام الخزنة للكفار على ارادة القول ومرادهم بالضلال الهلاك اوسموا جزاء الضلال باسمه كما يسمى جزاء السيئة و الاعتداء سيئة و هذا يسمى المشاكلة في علم البيان وان يكون من كلام الرسل للكفرة وقد حكوه للخزنة والاحتمال الاول هو الذي استظهره جمهور المفسرين ثم حكى الله عنهم مقالة اخرى قالوها بعد تلك المقالة فقال وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ ما خاطبنا به الرسل أَوْ نَعْقِلُ شيئا من ذلك مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ السَّعِيرِ اي في عداد اهل النار ومن جملة من يعذب بالسعير وهم الشياطين كما سلف قال الزجاج لو كنا نسمع سماع من يعي

او نعقل عقل من يميز وينظر ما كنا من اهل النار وفيه دليل على ان مدار التكليف على ادلة السمع والعقل وانهما حجتان ملتزمتان فلما اعترفوا هذا الاعتراف قال الله سبحانه فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ الذي استحقوا به عذاب النار وهو الكفر وتكذيب الانبياء فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ اي فبعدا لهم من الله ورحمته قال ابن عباس سحقا بعدا وقال سعيد بن جبير وابو صالح هو واد في جهنم يقال له السحق قرأ الجمهور سحقا باسكان الحاء وقرئ بضمها وهما لغتان مثل السحت والرعب سحقا منصوب على المفعول به اي الزمهم الله سحقا وقال الزجاج وابو علي الفارسي منصوب على المصدر اي اسحقهم الله سحقا وقال ابو علي الفارسي كان القياس اسحاقا فجاء المصدر على الحذف واللام في لاصحاب السعير للبيان كما في هيت لك ولما فرغ سبحانه من ذكر احوال النار شرع في ذكر اهل الجنة فقال إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ حال من الفاعل او من المفعول اي غائبين عنه او غائبا عنهم والمعنى انهم يخشون عذابه ولم يروه فيؤمنون به خوفا من عذابه ويجوز ان يكون المعنى يخشون ربهم حال كونهم غائبين عن اعين الناس وذلك في خلواتهم فيطيعونه سرا فيكون علانية اولى والمراد بالغيب كون العذاب غائبا عنهم لانهم في الدنيا وهو انما يكون يوم القيامة والباء على هذا سببية قال ابن عباس في الاية هم ابو بكر وعمر وعلي وابو عبيدة بن الجراح اخرجه ابن مردويه لَهُمْ مَغْفِرَةٌ عظيمة يغفر الله بها ذنوبهم وَأَجْرٌ كَبِيرٌ لا يقادر قدره وهو الجنة ومثل هذه الاية قوله من خشي الرحمن بالغيب ظاهر الاية العموم ثم عاد سبحانه الى خطاب الكفار فقال وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ مستانفة مسوقة لبيان تساوي الاسرار والجهر بالنسبة الى علم الله سبحانه والمعنى ان اخفيتم كلامكم او جهرتم به في امر رسول الله صلى الله عليه فكل ذلك يعلمه الله لا تخفى عليه منه خافية وتقديم السر على الجهر للايذان بافتضاح ما يحذرونه من اول الامر والمبالغة في بيان شمول علمه المحيط بجميع المعلومات كان علمه تعالى بما يسرونه اقدم منه بما يجهرون به مع كونهما في الحقيقة على السوية فان علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى ولان مرتبة السر متقدمة على مرتبة الجهر اذ ما من شيء يجهر به الا وهو او مباديه مضمر في القلب ليتعلق به الاسرار غالبا فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية وقوله إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ تعليل للاستواء المذكور وتقرير له وفي صيغة الفعيل وتحلية الصدور بلام الاستغراق ووصف الضمائر بصاحبيتها من الجزالة ما لا غاية

ويراد به كأنه ... مبالغة في الاحاطة بمضمرات جميع الناس واسرارهم الخفية المستكنة في صدورهم بحيث لا تكاد تفارقها اصلا فكيف يخفى عليه ما تسرونه وتجهرون به ويجوز ان يراد بذات الصدور القلوب التي في الصدور والمعنى انه عليم بالقلوب واحوالها فلا يخفى عليه سر من اسرارها ﴿أَلَا يَعْلَمُ﴾ الاستفهام للانكار والمقصود نفي عدم احاطة علمه تعالى بالمضمر والمظهر والمعنى الا يعلم السر ومضمرات القلوب ﴿مَنْ خَلَقَ﴾ ذلك واوجده فالموصول عبارة عن الخالق ويجوز ان يكون عبارة عن المخلوق وفي يعلم ضمير يعود الى الله اي الا يعلم الله المخلوق الذي هو من جملة خلقه فان الاسرار والجهر ومضمرات القلوب من جملة خلقه وفيه اثبات خلق الاقوال فيكون دليلا على خلق افعال العباد وقال ابو بكر بن الاصم وجعفر بن حرب من مفعول والفاعل مضمر وهو الله تعالى فاحتالا بهذا النفي خلق الافعال ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ اي الذي لطف علمه بما في القلوب الخبير بما تسره وتضمره من الامور لا تخفى عليه من ذلك خافية ثم امتن سبحانه على عباده فقال ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا﴾ اي سهلة لينة مذللة تستقرون عليها منقادة لما تريدون منها من مشي عليها وزرع وحبوب وغرس وغير ذلك ولم يجعلها خشنة بحيث يمتنع عليكم السكون والمشي عليها والذلول في الاصل هو المنقاد الذي يذل لك ولا يستصعب عليك والمصدر الذل وتقديم لكم على مفعولي الجعل مع ان حقه التاخر عنهما للاهتمام بما قدم والتشويق الى ما اخر فان ما حقه التقديم اذا اخر لاسيما عند كون المقدم مما يدل على كون المؤخر من منافع المخاطبين تبقى النفس مترقبة لوروده فيتمكن لديها عند ذكره فضل تمكن ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ استدلالا واسترزاقا والفاء لترتيب الامر بالمشي على الجعل المذكور والامر للاباحة قال مجاهد والكلبي ومقاتل مناكبها طرقها واطرافها ونواحيها وجوانبها وقال قتادة وشهر بن حوشب مناكبها جبالها وقيل فجاجها وبه قال ابن عباس وقال ايضا اطرافها واصل المنكب الجانب ومنه منكب الرجل ومنه الريح النكباء لانها تاتي من جانب دون جانب ﴿وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ اي مما رزقكم وخلقه لكم ولا تنسوا من نعم الله تعالى عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب العبد المؤمن المحترف اخرجه الطبراني وابن عدي والبيهقي في الشعب والحكيم الترمذي ﴿وَإِلَيْهِ﴾ لا الى غيره ﴿النُّشُورُ﴾ من قبوركم للجزاء فيسالكم عن شكر ما انعم عليكم فبالغوا في شكر نعمه وآلائه وفي هذا وعيد شديد ثم خوف سبحانه الكفار فقال ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ قال الواحدي قال المفسرون يعني عقوبة من في السماء وقيل من في السماء عرشه وقدرته وسلطانه اي محل سلطانه ومحل قدرته

ع ١٤

وهو العالم العلوي وخص بالذكر وان كان كل موجود محلا للتصرف فيه ومقدورا له تعالى لان العالم العلوي اعجب واغرب فالتخويف به اشد من التخويف بغيره وقيل الملائكة وقيل المراد جبريل وقيل هو الله سبحانه وهو الحق لان ظاهر النظم القراني يقتضي ان الباري تعالى فوق السماء وفي بمعنى على والمعنى من ثبت واستقر في السماء اي على العلو هو العرش قرأ الجمهور أأمنتم بهمزتين وقرئ بالتخفيف وبقلب الاولى واوا وقوله أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ بدل اشتمال من الموصول اي أأمنتم خسفه او على حذف من اي من ان يخسف والمعنى يقلبها متلبسة بكم كما فعل بقارون بعد ما جعلها لكم ذلولا تمشون في مناكبها فَإِذَا هِيَ تَمُورُ اي تضطرب وتتحرك بكم على خلاف ما كانت عليه من السكون والاطمينان وقيل تهوي بهم وقيل تجيء وتذهب والاول اولى قال الرازي ان الله يحرك الارض عند الخسف بهم حتى تتحرك فتعلو عليهم وهم يخسفون فيها فتنقلب فوقهم وتخسفهم الى اسفل سافلين ثم كرر سبحانه التهديد لهم بوجه آخر فقال أَمْ أَمِنْتُمْ اضراب عن التهديد بما ذكر وانتقال الى التهديد بوجه آخر اي بل أأمنتم مَنْ فِي السَّمَاءِ وهو الله سبحانه وتعالى وفيه دليل على علوه ومباينته عن خلقه باستوائه على عرشه أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا اي حجارة من السماء كما ارسلها على قرية قوم لوط واصحاب الفيل وقيل سحاب فيها حجارة وقيل ريح فيها حجارة وحصباء كانها تقلع الحصباء لشدتها وقوتها والكلام فيه كالكلام في ان يخسف بكم الارض فهو اما بدل اشتمال او بتقدير من فَسَتَعْلَمُونَ عند معاينة العذاب كَيْفَ نَذِيرِ اي انذاري بالعذاب اي انه حق قاله المحلي وقيل النذير هنا محمد صلى الله عليه وسلم قاله عطاء والضحاك والمعنى ستعلمون رسولي وصدقه والاول اولى وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ اي من قبل كفار مكة من كفار الامم الماضية كقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة واصحاب الرس وقوم فرعون والالتفات الى الغيبة لابراز الاعراض عنهم فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ اي انكاري عليهم بما اصبتهم به من العذاب الفظيع وهذا هو مورد التاكيد القسمي لا تكذيبهم فقط وفيه من المبالغة في تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتشديد التهديد لقومه ما لا يخفى أَوَلَمْ يَرَوْا والهمزة للاستفهام والواو للعطف على مقدر اي اغفلوا ولم ينظروا ولم يروا واجمع القراء على قراءته بياء الغيبة لان السياق للرد على المكذبين بخلاف ما في النحل ففيه الغيبة والخطاب إِلَى الطَّيْرِ جمع طائر ويقع على الواحد والجمع وقال ابن الانباري الطير جماعة وتانيثها اكثر من تذكيرها ولا يقال للواحد طير بل طائر وقلما يقال للانثى طائرة فَوْقَهُمْ في الهواء صَافَّاتٍ حال اي صافة لاجنحتها في الهوى والجو وتبسطها عند طيرانها

وَيَقْبِضْنَ اي يضممن اجنحتهن الى جنوبهن اذا ضربن بها حينا فحينا للاستظهار والاستعانة على التحرك في الطيران قال النحاس يقال للطائر اذا بسط جناحه صاف واذا ضمها قابض كانه يقبضها وهذا معنى الطيران وهو بسط الجناح وقبضه بعد البسط وانما قال ويقبضن ولم يقل قابضات كما قال صافات لان القبض يتجدد تارة فتارة واما البسط فهو الاصل كذا قيل وقيل المعنى قبضهن لاجنحتهن عند الوقوف من الطيران لا قبضها في حال الطيران مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ حالية او مستانفة لبيان كمال قدرة الله سبحانه والثاني اظهر والمعنى انه ما يمسكهن في الهواء عن الوقوع عند الطيران الا الرحمن القادر على كل شيء والا فالثقيل يتسفل طبعا ولا يعلو وكذا لو امسك حفظه وتدبيره عن العالم لتهافتت الافلاك إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ لا يخفى عليه شيء كائنا ما كان يعلم كيف يخلق الغرائب وكيف يدبر العجائب فبصير بمعنى العالم بالاشياء الدقيقة الغريبة أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَٰنِ الاستفهام للتقريع والتوبيخ في الالتفات عن الغيبة الى الخطاب للتشديد في ذلك التبكيت والمعنى انه لا جند لكم يمنعكم من عذاب الله والجند الحزب والمنعة قرأ الجمهور امن بتشديد الميم على ادغام ميم ام في ميم من وام بمعنى بل ولا سبيل الى تقدير الهمزة بعدها كما هو الغالب في تقدير ام المنقطعة ببل والهمزة لان ما بعدها ههنا من الاستفهامية فاغنت عن ذلك التقدير ومن الاستفهامية مبتدأ واسم الاشارة خبره والموصول مع صلته صفة اسم الاشارة وينصركم صفة لجند ومن دون الرحمن في محل نصب على الحال من فاعل ينصركم والمعنى بل من هذا الحقير الذي هو في زعمكم جند لكم متجاوز انصر الرحمن إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ معترضة مقررة لما قبلها ناعية عليهم ما هم فيه من غاية الضلال والالتفات عن الخطاب الى الغيبة للايذان باقتضاء حالهم الاعراض عنهم والاظهار في موضع الاضمار لذمهم بالكفر وتعليل غرورهم به والمعنى ما الكافرون الا في غرور عظيم من جهة الشيطان يغرهم به أَمَّنْ تكتب موصولة في من وكذا يقال فيما تقدم هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ الكلام في هذا كالكلام في الذي قبله اي من الذي يدر عليكم الرزق من المطر وغيره إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ اي سبب رزقه التي ينشأ عنها كالمطر بل لو كان الرزق موجودا كثيرا سهل التناول فوضع الاكل لقمة في فيه فامسك الله تعالى عنه قوة الازدراد لعجز اهل السموات والارض عن ان يسوغوا تلك اللقمة وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه اي ان امسك رزقه فمن يرزقكم غيره وقوله بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ينبئ عن مقدر يستدعيه المقام كانه قيل اثر تمام التبكيت والتعجيز لم يتأثروا

لذلك ولم يذعنوا للحق بل تمادوا في عناد واستكبار عن الحق ونفور عنه ولم يعتبروا ولا تفكروا قال الرازي
واللجاج تقحم الامر مع كثرة الصوارف عنه والعتو العناد والطغيان والنفور الشرود قال ابن عباس في عتو ونفور
اي في ضلال أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ مثل ضرب للمشرك والموحد توضيحا لحالهما وتحقيقا
لشان مذهبيهما والفاء لترتيب ذلك على ما ظهر من سوء حالهم وخرورهم في مهاوي الغرور وركوبهم
متن عشواء العتو والنفور وعدم اهتدائهم في مسالك المحاجة الى جهة يتوهم فيها رشد في الجملة
فان تقدم الهمزة عليها صورة انما هو لاقتضائها الصدارة واما بحسب المعنى فالامر بالعكس كما هو المشهور
حتى لو كان مكان الهمزة هل لقيل فهل من يمشي مكبا الخ والمكب والمنكب الساقط على وجهه يقال
كببته فاكب وانكب وقيل هو الذي يكب راسه فلا ينظر يمينا ولا شمالا ولا اماما فهو لا يامن العثور والانكباب
على وجهه وقيل اراد به الاعمى الذي لا يهتدي الى الطريق فلا يزال مشيه ينكسه على وجهه والمكب اسم
فاعل من اكب اللازم المطاوع لكبه يقال كبه الله على وجهه في النار فاكب اي سقط وهذا على خلاف
القاعدة من ان الهمزة اذا دخلت على اللازم تصيره متعديا وهنا قد دخلت على المتعدي فصيرته لازما
قال قتادة هو الكافر يكب على معاصي الله سبحانه في الدنيا فيحشره الله يوم القيامة على وجهه والهمزة للاستفهام
الانكاري في المعنى هل هذا الذي يمشي على وجهه اهدى الى المقصد الذي يريده أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا قائما
معتدلا ناظرا الى ما بين يديه سالما من الخبط والعثار عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ اي على طريق مستوي لا عوج
به ولا انحراف فيه قال ابن عباس مكبا في الضلالة وسويا مهتديا وقيل يعني بالمكب ابا جهل وبالسوي
النبي صلى الله عليه وسلم وقيل اراد بمن يمشي مكبا من يحشر على وجهه الى النار ومن يمشي سويا من يحشر على قدميه
الى الجنة وهو كقول قتادة الذي ذكرناه ومثله قوله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم وخبر من محذوف
لدلالة خبر من الاولى وهو اهدى عليه وقيل لا حاجة الى ذلك لان من الثانية معطوف على من الاولى
عطف المفرد على المفرد كقولك ازيد قائم ام عمرو وحد الخبر لان ام لاحد الشيئين قُلْ لهم يا اشرف
الخلق مذكرا لهم بما دفع عنهم المولى من المفاسد وجمع لهم من المصالح ليرجعوا اليه ولا يعولوا في حال
من الاحوال الا عليه هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ انشاء بديعا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ لتسمعوا به آيات الله وتتمسكوا
بما فيها من الاوامر والنواهي وتتعظوا بمواعظها وَالْأَبْصَارَ لتبصروا بها الى الآيات التكوينية الشاهدة
بشئون الله عز وجل ووجه افراد السمع مع جمع الابصار انه مصدر يطلق على الكثير والقليل وقد قدمنا

بيان هذا في مواضع مع زيادة البيان والافئدة لتتفكروا بها في مخلوقات الله وآياته التنزيلية والتكوينية
وترتقوا في معارج الايمان والطاعة وخصها بالذكر لانها آلات العلم ذكر الله سبحانه ههنا انه قد جعل لهم
ما يدركون به المسموعات والمبصرات والمعقولات ايضاحا للحجة وقطعا للمعذرة وذما لهم على عدم شكر
نعم الله ولهذا قال قليلا ما تشكرون اي باستعمال هذه الحواس فيما خلقت لاجله من الامور المذكورة
وقليلا نعت لمحذوف وما مزيدة لتأكيد التقليل اي شكرا قليلا او زمانا قليلا قيل القلة على ظاهرها وقيل
اراد بقلة الشكر عدم وجوده منهم ان كان الخطاب للكفرة قال مقاتل يعني انكم لا تشكرون رب هذه
النعم فتوحدونه عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اشتكى ضرسه فليضع اصبعه عليه
وليقرء هذه الآية هو الذي انشأكم الى قوله تشكرون اخرجه الخطيب في تاريخه وابن النجار وعنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من اشتكى ضرسه فليضع اصبعه عليه وليقرء هاتين الآيتين سبع مرات هو الذي
انشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع الى قوله يفقهون وهو الذي انشأكم الى تشكرون فانه يبرأ باذن
الله اخرجه الدارقطني في الافراد قل هو الذي ذرأكم في الارض واليه تحشرون امر الله سبحانه رسوله
صلى الله عليه وسلم بان يخبرهم ان الله هو الذي خلقهم في الارض نشرهم فيها وفرقهم على ظهرها وبثهم وانشأهم
بعدما كانوا كالذر وان حشرهم اليه للجزاء لا الى غيره اشتراكا واستقلالا فليبنوا امورهم على ذلك ثم ذكر
سبحانه انهم يستعجلون العذاب فقال ويقولون من فرط عتوهم استهزاء وسخرية وتكذيبا متى
هذا الوعد الذي تذكرون من الحشر والقيامة والنار والعذاب ان كنتم صادقين في ذلك
والخطاب منهم للنبي صلى الله عليه وسلم ولمن معه من المؤمنين لانهم كانوا مشاركين له في الوعد وتلاوة
الآيات المتضمنة له وجواب الشرط محذوف والتقدير ان كنتم صادقين فاخبرونا به او فبينوا
وقته لنا ثم لما قالوا هذا القول امر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم ان يجيب عليهم فقال قل انما العلم
اي ان وقت قيام الساعة علمه عند الله لا يعلمه غيره ومثله قوله انما علمها عند ربي ثم اخبرهم انه
مبعوث للانذار لا للاخبار بالغيب فقال وانما انا نذير مبين اي انذركم واخوفكم عاقبة كفركم و
ابين لكم ما امرني الله ببيانه باقامة الادلة حتى يصير ذلك كانه مشاهد والانذار يكفي له العلم
بل الظن بوقوع المحذر منه ثم ذكر سبحانه حالهم عند معاينة العذاب فقال فلما رأوه زلفة الفاء فصيحة
معربة عن تقدير جملتين وترتيب الشرطية عليهما كانه قيل قد اتاهم الموعود به فرأوه فلما رأوه

دفع وجع الضروس

وزلفة مصدر بمعنى الفاعل اي مزدلفا او حال من مفعول او ذا زلفة وقرب او رأوه في مكان ذا زلفة قال مجاهد اي قريبا وقال الحسن عيانا واكثر المفسرين على ان المراد عذاب الآخرة يوم القيامة وقال مجاهد المراد عذاب بدر وقيل رأوا ما وعدوا به من الحشر قريبا منهم كما يدل عليه قوله واليه تحشرون وقيل لما رأوا عملهم السيء قريبا ﴿سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ اي اسودت وعلتها الكآبة والقترة وغشيتها الذلة والسواد يقال ساء الشيء يسوء فهو سيء اذا قبح والاصل ساء وجوههم العذاب ورؤيته اي احزنها وساءت هنا ليست هي المرادفة لبئس والمقام للضمير واتى بالمظهر توصلا لذمهم بالكفر وتعليل المساءة به قال الزجاج المعنى تبين فيها السوء اي ساءهم ذلك العذاب فظهر عليهم بسببه في وجوههم ما يدل على كفرهم كقوله يوم تبيض وجوه وتسود وجوه قرأ الجمهور سيئت بكسر السين بدون اشمام وقرئ بالاشمام ﴿وَقِيلَ﴾ لهم توبيخا وتقريعا ﴿هَذَا﴾ المشاهد الحاضر من العذاب هو العذاب ﴿الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ﴾ في الدنيا اي تطلبونه وتستعجلون به استهزاء على ان معنى تدعون الدعاء قال الفراء تدعون تفتعلون من الدعاء اي تتمنون وتسألون وبهذا قال الاكثر من المفسرين قال الزجاج تدعون الاباطيل والاحاديث وقيل معنى تدعون تكذبون هذا على قراءة الجمهور تدعون بالتشديد فهو اما من الدعاء كما قال الاكثر او من الدعوى كما قال الزجاج ومن وافقه والمعنى انهم كانوا يدعون انه لا بعث ولا حشر ولا جنة ولا نار وقرئ تدعون مخففا ومعناها ظاهر وهي مؤيدة للقول بانها من الدعاء قال قتادة هو قولهم ربنا عجل لنا قطنا وقال الضحاك هو قولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء الآية قال النحاس تدعون وتدعون بمعنى واحد كما تقول قدر واقتدر وغدى واغتدى الا ان افتعل معناه مضى شيئا بعد شيء وفعل يقع على القليل والكثير ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ﴾ بموت او قتل كقوله وان امرؤ هلك او بالعذاب ﴿وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَوْ رَحِمَنَا﴾ بتأخير ذلك الى اجل او لم يعذبنا ﴿فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ اي فمن يمنعهم ويؤمنهم من العذاب والمعنى انه لا ينجيهم من ذلك احد سواء اهلك الله رسوله والمؤمنين معه كما كان الكفار يتمنونه او امهلهم وقيل المعنى انا مع ايماننا بين الخوف والرجاء فمن يجيركم مع كفركم من العذاب وفي وضع الظاهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالكفر وبيان انه السبب في عدم نجاتهم وتعليل نفي الاجارة به وأرأيتم بمعنى اخبروني كما ذكره بعض المفسرين وانها اذا كانت كذلك تنصب مفعولين الاول مفرد والثاني جملة استفهامية ولا شيء منهما هنا فكان الجملة الشرطية

سد مسد المفعولين وقوله فمن يجير الخ جواب الشرط في تسببه على الشرط بعد ويمكن ان يقال الجواب محذوف تقديره فلا فائدة لكم في ذلك ولا نفع يعود عليكم لانكم لا مجير لكم من عذاب الله قُلْ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الذي ادعوكم الى عبادته مولى النعم كلها آمَنَّا بِهِ وحده لا نشرك به شيئا لما علمنا ان كل ما سواه اما نعمة او منعم عليه وَعَلَيْهِ لا على غيره تَوَكَّلْنَا اي فوضنا الامور اليه عز وجل لعلمنا بان ما عداه كائنا ما كان بمعزل من النفع والضر فَسَتَعْلَمُونَ اذا نزل بكم العذاب مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ منا ومنكم وفي هذا تهديد شديد مع اخراج الكلام مخرج الانصاف قرأ الجمهور فستعلمون بالفوقية على الخطاب وقرئ بالتحتية على الخبر ثم احتج سبحانه عليهم ببعض نعمه وخوفهم سلب تلك النعمة عنهم فقال قُلْ أَرَأَيْتُمْ اي اخبروني إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ الذي تعدونه في ايديكم كما نبهت عليه الاضافة غَوْرًا اي غائرا في الارض بحيث لا يبقى له وجود فيها او صار ذاهبا في الارض الى مكان بعيد بحيث لا تناله الدلاء يقال غار الماء غورا اي نضب والغور الغائر وصف بالمصدر للمبالغة كما يقال رجل عدل وقد تقدم مثل هذا في سورة الكهف وكان ماؤهم من بئر زمزم وبئر ميمون قال ابن عباس غورا داخلا في الارض وعنه يرجع في الارض فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ اي ظاهر تراه العيون وتناله الدلاء وقيل هو من معن الماء اذا كثر وقال قتادة والضحاك اي جار وقد تقدم معنى المعين في سورة المؤمنون وقرأ ابن عباس بماء عذب وعنه قال بماء معين اي الجاري وعنه قال معين ظاهر وعنه قال عذب والمقصود من الاية ان يجعلهم مقرين ببعض نعمه عليهم ويريهم قبح ما هم عليه من الكفر والعناد والكبر قال المحلي ويستحب ان يقول القاري عقب معين الله رب العالمين كما ورد في الحديث وتليت هذه الاية عند بعض المتجبرين فقال تاتي به الفؤس والمعاول فذهب ماء عينه وعمي نعوذ بالله من الجرأة على الله وعلى آياته ١٦ ع ٢

سورة ن وتسمى سورة القلم ثنتان وخمسون آية وهي مكية

في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر وعن ابن عباس وقتادة ان من اولها الى قوله على الخرطوم مكي ومن بعد ذلك الى قوله اكبر لو كانوا يعلمون مدني ومن بعد ذلك الى قوله فهم يكتبون مكي ومن بعد ذلك الى قوله من الصالحين مدني وباقيها مكي كذا قال الماوردي وعن ابن عباس قال كانت

اذا نزلت فاتحة سورة بمكة كتبت بمكة ثم يزيد الله فيها ما شاء وكان اول ما نزل من القرآن
اقرأ باسم ربك ثم ن ثم المزمل ثم المدثر وعنه نزلت ن بمكة وعن عايشة مثله ٥٢

بسم الله الرحمن الرحيم

ن قرئ بادغام النون الثانية من هجائها في الواو وقرئ بالاظهار وبالفتح على اضمار فعل وبكسرها
على اضمار القسم او لاجل التقاء الساكنين وبضمها على البناء عن ابن عباس انه قال نون الدواة اخرجه ابن
المنذر وعبد بن حميد واخرج ابن مردويه عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النون السمكة التي عليها
قرار الارضين وقال مجاهد والسدي ومقاتل هو الحوت الذي يحمل الارض وبه قال مرة الهمداني وعطاء
الخراساني والكلبي وقيل ان نون آخر حرف من حروف الرحمن وقال ابن زيد هو قسم اقسم الله به
وقال ابن كيسان هو فاتحة السورة وقال عطاء وابو العالية هي النون من نصر وناصر وقال محمد
بن كعب اقسم الله بنصرة المؤمنين وقيل اسم للسورة وقيل اسم القرآن وقيل هو حرف من حروف
الهجاء كالفواتح الواقعة في اوائل السور المفتتحة بذلك وقد اختاره المحلي حيث قال احد حروف الهجاء
واراد بذلك الرد على من قال انه مقتطع من اسمه تعالى الرحمن او النصير او الناصر او النور وقال النسفي
الظاهر ان المراد به هذا الحرف من حروف المعجم واما قول الحسن انه الدواة وقول ابن عباس انه الحوت
الذي عليه الارض واسمه بهموت فمشكل سواء كان اسم جنس او اسم علم فالسكون دليل على انه من حروف
المعجم انتهى وقد عرفناك ما هو الحق في مثل هذه الفواتح في اول سورة البقرة والقلم الواو واو القسم اقسم الله
بالقلم لما فيه من البيان وهو واقع على كل قلم يكتب به في الارض والسماء وقال جماعة من المفسرين
ومنهم المحلي المراد به القلم الذي كتب به الكائنات في اللوح المحفوظ اقسم الله به تعظيما له قال قتادة
القلم من نعمة الله على عباده وعن عبادة بن الصامت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اول ما خلق
الله القلم فقال له اكتب فجرى بما هو كائن الى الابد اخرجه الترمذي وصححه وابن ابي شيبة وعبد بن
حميد وابن مردويه واخرج ابن جرير من حديث معاوية بن قرة عن ابيه مرفوعا نحوه وعن ابن عباس
قال ان الله خلق النون وهي الدواة وخلق القلم فقال اكتب قال وما اكتب قال اكتب ما هو كائن الى يوم
القيامة اخرجه ابن جرير وابن المنذر واخرج الحكيم الترمذي عن ابي هريرة مرفوعا نحوه وعن ابن عباس

ان اول شيء خلقه الله القلم فقال الله له اكتب فقال يا رب ما اكتب فقال اكتب القدر فجرى من ذلك اليوم بما هو كائن الى ان تقوم الساعة ثم طوي الكتاب ورفع القلم وكان عرشه على الماء فارتفع بخار الماء ففتقت منه السموات ثم خلق النون فبسطت الارض عليه والارض على ظهر النون فاضطرب النون فمادت الارض فاثبتت بالجبال فان الجبال لتفخر على الارض الى يوم القيامة ثم قرأ ن والقلم وما يسطرون اخرجه الحاكم وصححه والبيهقي في الاسماء والصفات وابو الشيخ وغيرهم ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ ما موصولة والضمير عائد الى اصحاب القلم المدلول عليهم بذكره لان ذكر آلة الكتابة تدل على الكاتب والمعنى والذي يكتبون كلما يكتب او الحفظة الكاتبون على بني آدم قال ابن عباس يسطرون يكتبون ويجوز ان تكون ما مصدرية اي وسطرهم وقيل الضمير راجع الى القلم خاصة من باب اسناد الفعل الى الآلة واجراها مجرى العقلاء وعن ابن عباس ايضا قال وما يسطرون ما يعلمون ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ جواب القسم وما نافية اي انتفى عنك الجنون بنعمة ربك كما يقال انت بحمد الله عاقل قيل الباء متعلقة بمضمر هو حال كانه قيل انت بريء من الجنون متلبسا بنعمة الله التي هي النبوة والرسالة العامة وقيل الباء للقسم اي ما انت ونعمة ربك بمجنون وقيل النعمة هنا الرحمة والآية رد على الكفار حيث قالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا﴾ اي ثوابا على ما تحملت من اثقال النبوة وقاسيت من انواع الشدائد ﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ اي غير مقطوع يقال مننت الحبل اذا قطعته وقال مجاهد غير محسوب وقال الحسن غير مكدر بالمن وقال الضحاك اجرا بغير عمل وقيل غير مقدر وقيل غير ممنون به عليك من جهة الناس وقيل غير منقوص ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ قيل هو الاسلام والدين حكاه الواحدي عن الاكثرين. قال الحفناوي اقسم اولا بالقلم ثم بسطر الملائكة او بمسطورهم فالمقسم به شيئان على ثلاثة اشياء نفي الجنون عنه وثبوت الاجر له وكونه على دين الاسلام وقيل هو القرآن روي هذا عن الحسن والعوفي وقال قتادة هو ما كان يأتمر به من امر الله وينتهي عنه من نهي الله قال الزجاج المعنى انك على الخلق الذي امرك الله به في القرآن وقيل هو رفقه بامته واكرامه اياهم وقيل المعنى انك على طبع كريم قال الماوردي وهذا هو الظاهر وحقيقة الخلق في اللغة ما ياخذ الانسان نفسه به من الادب عن سعد بن هشام قال اتيت عائشة فقلت يا ام المؤمنين اخبريني بخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان خلقه القرآن اما تقرء القرآن انك لعلى خلق عظيم اخرجه مسلم وابن المنذر والحاكم وغيرهم وعنها قالت ما كان احد

احسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعاه احد من اصحابه ولا من اهل بيته الا قال لبيك فلذلك انزل الله وانك لعلى خلق عظيم اخرجه ابن مردويه وابو نعيم في الدلائل والواحدي وعن ابي الدرداء قال سئلت عائشة عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن يرضى لرضاه ويسخط لسخطه اخرجه البيهقي في الدلائل وابن مردويه وابن المنذر وعن ابي عبد الله الجدلي قال قلت لعائشة كيف خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لم يكن فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا في الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح اخرجه ابن ابي شيبة والترمذي وصححه وابن مردويه وقيل غير ذلك مما يطول ذكره وهو في كتب الشمائل والسير مستوفى فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ اي ستبصر يا محمد ويبصر الكفار اذا تبين الحق وانكشف الغطاء وذلك يوم القيامة قال ابن عباس اي ستعلم ويعلمون يوم القيامة حين يتميز الحق من الباطل وقيل في الدنيا بظهور عاقبة امرك بغلبة الاسلام واستيلائك عليهم بالقتل والنهب وهذا وعد له ووعيد لهم بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ قال الخطيب ثم بايكم ههنا بيانية انتهى والباء زائدة للتاكيد اي ايكم المفتون بالجنون كذا قال الاخفش وابو عبيدة وغيرهما الا انه ضعيف من حيث ان الباء لا تزاد في المبتدأ الا في بحسبك فقط وقيل ليست الباء زائدة والمفتون مصدر جاء على مفعول كالمعقول والميسور والتقدير بايكم الفتون او الفتنة وقال الفراء ومجاهد ان الباء بمعنى في فهي ظرفية اي في ايكم المفتون اي في الفريق الذي انت فيه ام في الفريق الآخر ويؤيد هذا قراءة ابن ابي عبلة بفي وقيل في الكلام حذف مضاف اي بايكم فتن المفتون فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه روي هذا عن الاخفش ايضا وتكون الباء سببية وقيل المفتون المعذب من قول العرب فتنت الذهب بالنار اذا احميته ومنه قوله تعالى يوم هم على النار يفتنون وقيل المفتون هو الشيطان لانه مفتون في دينه والمعنى بايكم الشيطان قال ابن عباس كانوا يقولون انه شيطان وانه مجنون وعنه قال المفتون المجنون وقال قتادة ومقاتل هذا وعيد لهم بعذاب يوم بدر والمعنى سترى ويرى اهل مكة اذا نزل بهم العذاب بايكم المفتون إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ تعليل للجملة التي قبلها فانها تتضمن الحكم عليهم بالجنون لمخالفتهم لما فيه نفعهم في العاجل والآجل واختيارهم ما فيه ضرهم فيهما وتاكيد لما فيه من الوعد والوعيد والمعنى هو اعلم بمن ضل عن سبيله الموصل الى سعادة الدارين وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ الى سبيله الموصل الى تلك السعادة الآجلة والعاجلة فهو مجاز

كل عامل بعمله ان خير فخير وان شر فشر ﴿فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾ الفاء لترتيب النهي على ما ينبئ عنه ما قبله
من اهتدائه صلى الله عليه وسلم وضلالهم او على جميع ما فصل من اول السورة وهذا تهييج للتصميم على مباينتهم نهاه
سبحانه عن ممايلة المشركين وهم رؤساء كفار مكة لانهم كانوا يدعونه الى دين ابائه فنهاه الله عن طاعتهم
او هو تعريض لغيره عن ان يطيع الكفار او المراد بالطاعة مجرد المداراة باظهار خلاف ما في الضمير فنهاه الله
عن ذلك كما يدل عليه قوله ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ فان الادهان هو الملاينة والمسامحة والمداراة
قال الفراء المعنى لو تلين فيلينون لك وكذا قال الكلبي وقال الضحاك والسدي ودوا لو تكفر فيتمادوا على
الكفر وقال الربيع بن انس ودوا لو تكذب فيكذبون وقال قتادة لو تذهب عن هذا الامر فيذهبون
معك وقال الحسن لو تصانعهم في دينك فيصانعونك وقال مجاهد لو تركن اليهم وتترك ما انت عليه
من الحق فيمايلونك قال ابن قتيبة كانوا ارادوه على ان يعبد الهتهم مدة ويعبدون الله مدة وقال ابن عباس
لو ترخص لهم فيرخصون لك وقوله فيدهنون عطف على تدهن داخل في حيز لو او هو خبر مبتدء محذوف
اي فهم يدهنون قال سيبويه وزعم قالون انها في بعض المصاحف ودوا لو تدهن فيدهنوا بغير نون
والنصب على جواب التمني المفهوم من ودوا والظاهر من اللغة في معنى الادهان هو ما ذكرناه اولا ﴿وَلَا تُطِعْ
كُلَّ حَلَّافٍ﴾ اي كثير الحلف بالباطل وكفى به مزجرة لمن اعتاد الحلف ﴿مَهِينٍ﴾ فعيل من المهانة وهي القلة
في الراي والتمييز وقال مجاهد هو الكذاب وقال قتادة المكثار في الشر وكذا قال الحسن وقيل هو الفاجر
العاجز وقيل هو الحقير عند الله وقيل هو الذليل وقيل هو الوضيع واخرج ابن مردويه عن ابي عثمان
النهدي قال قال مروان لما بايع الناس ليزيد سنة ابي بكر وعمر فقال عبد الرحمن بن ابي بكر انها ليست بسنة
ابي بكر وعمر لكنها سنة هرقل فقال مروان هذا الذي انزل فيه والذي قال لوالديه اف لكما الاية قال
فسمعت ذلك عايشة فقالت انها لم تنزل في عبد الرحمن ولكن نزل في ابيك ولا تطع كل حلاف مهين
﴿هَمَّازٍ﴾ هو المغتاب للناس قال ابن زيد هو الذي يهمز باخيه وقيل الهماز العياب وقيل الهماز الذي يذكر
الناس في وجوههم واللماز الذي يذكرهم في مغيبهم كذا قال ابو العالية والحسن وعطاء بن ابي رباح
وقال مقاتل عكس هذا وقيل الهماز الذي يهمز الناس بيده ويضربهم واللماز باللسان وقيل الهمز كاللمز
وزنا ومعنى وبابه ضرب وهمزات الشيطان خطراته التي يخطرها بقلب الانسان ﴿مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ هو الذي
يمشي بالنميمة بين الناس ليفسد بينهم يقال نم ينم اذا سعى بالفساد بين الناس وقيل النميم جمع نميمة اي نقالة

للحديث من قوم الى قوم على وجه السعاية والافساد بينهم مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ اي بخيل بالمال لا ينفقه في وجهه
وقيل هو الذي يمنع اهله وعشيرته عن الاسلام قال الحسن يقول لهم من دخل منكم في دين محمد صلعم
لا انفعه بشيء ابدا مُعْتَدٍ اي متجاوز الحد في الظلم أَثِيمٍ كثير الآثام عُتُلٍّ قال الواحدي المفسرون يقولون
هو الشديد الخلق الفاحش الخلق وقال الفراء هو الشديد الخصومة في الباطل وقال الزجاج هو الغليظ
الجافي في الطبع من عتله اذا قاده بعنف وغلظة وقال الليث هو الاكول المنوع وقيل قاسي القلب وقيل
الذي يعتل الناس اي يحملهم ويجرهم الى ما يكرهون من حبس وضرب ومنه خذوه فاعتلوه وقيل هو
الفاحش اللئيم بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ اي هو بعد ما عد من معائبه ومثالبه الثمانية دعي ملصق مستلحق
بالقوم وليس هو منهم ماخوذ من الزنمة المتدلية في حلق الشاة او الماعز وقال سعيد بن جبير الزنيم
المعروف بالشر وقيل هو رجل من قريش كان له زنمة كزنمة الشاة وقيل هو الظلوم وقال ابن عباس له
زنمة كزنمة الشاة والعتل هو الدعي والزنيم هو المريب الذي يعرف بالشر وعنه قال الزنيم الدعي وعنه الزنيم
الذي يعرف بالشر كما تعرف الشاة بزنمتها وعنه قال هو الرجل يمر على القوم فيقولون رجل سوء وقال ايضا
الزنيم الظلوم وهذه البعدية في الرتبة لا في الخارج قال الشهاب فبعد هنا كثم للتراخي في الرتبة قال
ابو السعود وفيه دلالة على ان دعوته اشد معائبه واقبح قبائحه وقد قيل ان هذه الآيات نزلت
في الاخنس بن شريق لانه حليف ملحق في بني زهرة وقيل في الوليد بن المغيرة وبه قال الجمهور وقيل في
ابي جهل بن هشام وقيل في الاسود بن يغوث قاله ابن عباس أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ متعلق بقوله
تعالى ولا تطع اي لا تطع من هذه مثالبه لان كان متمولا مستظهرا بالبنين قاله الفراء والزجاج قرئ
ان كان بهمزة واحدة على الخبر وقرئ بهمزة واحدة ممدودة على الاستفهام والمراد به التوبيخ والتقريع
حيث جعل مجازاة النعم التي خوله الله من المال والبنين ان كفر به وبرسوله وقرئ بهمزتين مخففتين
وقرأ نافع في رواية عنه بكسر الهمزة على الشرط وجوابه مقدر اي ان كان كذا يكفر ويجحد دل عليه ما بعده
إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا اي القرآن قَالَ هي أَسَاطِيرُ اي اكذوبة الْأَوَّلِينَ والجملة مستأنفة جارية مجرى
التعليل للنهي وقيل متعلق بما دل عليه الجملة الشرطية من معنى الجحود والتكذيب لا بجواب الشرط لان
ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله كانه قيل لكونه مستظهرا بالمال والبنين كذب باياتنا وفيه انه يدل
على ان مدار تكذيبه كونه ذا مال وبنين من غير ان يكون لسائر قبائحه دخل في ذلك سَنَسِمُهُ عَلَى

الخرطوم اي سنكويه بالكي على انفه مهانة له وعلامة يعير بها ما عاش قال ابو عبيدة وابو زيد والمبرد
الخرطوم الانف وتخصيص الانف بالذكر لان الوسم عليه ابشع وفي التعبير عن الانف بالخرطوم
استهجان واستهزاء باللعين لان الخرطوم انف السباع وغالب ما يستعمل في انف الفيل والخنزير
وفي القاموس الخرطوم كزنبور الانف او مقدمه او ما ضممت عليه الحنكين كالخرطم كقنفذ وفي
السمين هو هنا عبارة عن الوجه كله من التعبير عن الكل باسم الجزء لانه اظهر ما فيه واعلاه والاول
اولى فقد جرح انف هذا اللعين يوم بدر فبقي اثر الجرح في انفه بقية عمره وقال مقاتل سنسمه بالسواد
على الانف وذلك انه يسود وجهه قبل دخول النار وقال الزجاج سنجعل له في الآخرة العلم الذي يعرف
به اهل النار من اسوداد وجوههم وقال قتادة سنلحق به شيئا لا يفارقه واختار هذا ابن قتيبة قال
والعرب تقول قد وسمه ميسم سوء يريدون الصق به عارا لا يفارقه فالمعنى ان الله الحق به عارا لا يفارقه
كالوسم على الخرطوم وقيل معنى سنسمه سنخطمه بالسيف وقال النضر بن شميل المعنى سنحده على شرب الخمر
وقد يسمى الخمر بالخرطوم ومنه قول الشاعر ⁂ تظل يومك في لهو وفي طرب • وانت بالليل شراب
الخراطيم ﴿إنا بلوناهم﴾ يعني كفار مكة فان الله ابتلاهم بالجوع والقحط بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى اكلوا الجيف والرمم والابتلاء الاختبار والمعنى اعطيناهم الاموال ليشكروا لا ليبطروا فلما بطروا
وعادوا محمدا صلى الله عليه وسلم ابتليناهم ابتلاء ﴿كما بلونا أصحاب الجنة﴾ المعروف خبرهم عندهم وذلك
انها كانت بارض اليمن على فرسخين من صنعاء لرجل يؤدي حق الله منها فمات فصارت الى اولاده
فمنعوا الناس خيرها وبخلوا بحق الله فيها قال الواحدي هم قوم من ثقيف كانوا باليمن مسلمين ورثوا
من ابيهم ضيعة فيها جنات وزرع ونخيل وكان ابوهم يجعل مما فيها من كل شيء حظا للمساكين
عند الحصاد والصرام فقالت بنوه المال قليل والعيال كثير ولا يسعنا ان نفعل كما كان يفعل ابونا
وعزموا على حرمان المساكين فصارت عاقبتهم الى ما قص الله في كتابه وقال الحسن كانوا كفارا
قال النسفي والجمهور على الاول قال الكلبي كان بينهم وبين صنعاء فرسخان ابتلاهم الله بان حرق جنتهم
وقيل هي جنة كانت بصروان وصروان بالصاد المهملة على فراسخ من صنعاء وكان اصحاب هذه الجنة
بعد رفع عيسى بزمن يسير قاله الزرقاني في شرح المواهب وذكره القرطبي ايضا ومثله في حواشي البيضاوي
وقال ابن عباس هم ناس من اهل الحبشة كان لابيهم جنة وكان يطعم منها المساكين فمات ابوهم

فقال بنوه وان كان ابونا لاحمق كان يطعم المساكين إذ أقسموا حلف معظمهم والا فالا وسط قال لهم لا تفعلوا واصنعوا من الاحسان ما كان يصنعه ابوكم قال البقاعي وكانه تعالى طواه لانه مع الدلالة عليه بما ياتي لم يؤثر شيئا ليصرمنها مصبحين اي ليقطعنها داخلين في وقت الصباح قبل انتشار الفقراء والصرام القطع للثمر والزرع يقال صرم العذق عن النخلة واصرم النخل اي حان وقت صرامه والانصرام الانقطاع والتصارم التقاطع والتصرم التقطع واذ تعليلية او ظرفية بنوع تسمح لان الاقسام كان قبل ابتلائهم وليصرمنها جواب القسم ولا يستثنون يعني ولا يقولون ان شاء الله وهذه الجملة مستانفة لبيان ما وقع منهم او حال وقيل المعنى ولا يستثنون للمساكين من جملة ذلك القدر الذي كان يدفعه ابوهم اليهم قاله عكرمة وقيل المعنى لا يثنون عزمهم عن الحرمان وسمي استثناء وهو شرط لان معنى لاخرجن ان شاء الله ولا اخرج الا ان يشاء الله واحد قاله الزمخشري فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون اي فنزل على تلك الجنة طائف من جهة الله سبحانه اي هلاك او بلاء في حال نومهم والطائف غلب في الشر قال الفراء هو الامر الذي ياتي ليلا ورد عليه بقوله تعالى اذا مسهم طائف من الشيطان وذلك لا يختص بليل ولا نهار وقرئ طيف والطائف قيل هو نار احرقتها حتى صارت سوداء كذا قال مقاتل وقيل الطائف جبريل اقتلعها وقال ابن عباس طائف اي امر من الله واخرج عبد بن حميد وابن ابي حاتم وابن مردويه عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والمعصية فان العبد ليذنب الذنب الواحد فينسى به الباب من العلم وان العبد ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل وان العبد ليذنب الذنب فيحرم به رزقا قد كان هيئ له ثم تلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فطاف عليها الآية قد حرموا خير جنتهم بذنبهم وفي هذه الآية دليل على ان العزم مما يؤاخذ به الانسان لانهم عزموا على ان يفعلوا فعوقبوا قبل فعلهم ونظيره قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصا على قتل صاحبه وهذا محمول على العزم المصمم واما يخطر بالبال من غير عزم فلا يؤاخذ به قاله القرطبي فاصبحت كالصريم فعيل بمعنى مفعول اي صارت كالشيء الذي صرمت ثماره اي قطعت وقال الفراء كالصريم كالليل المظلم والمعنى انها حرقت فصارت كالليل الاسود قال الصريم الرماد الاسود بلغة خزيمة وقال الاخفش اي كالصبح انصرم من الليل يعني انها يبست وابيضت بالثلج وقال المبرد الصريم الليل والصريم

النهار اي ينصرم هذا عن هذا او ذاك عن هذا وقيل هي الليل ومنها لانه يقطع بظلمته عن التصرف وقال المورج الصريم الرملة لانها لا ينبت عليها شيء ينتفع به وقال الحسن صرم منها الخير اي قطع فتنادوا مصبحين اي نادى بعضهم بعضا داخلين في الصباح معطوف على اقسموا وما بينهما اعتراض لبيان ما نزل بتلك الجنة قال مقاتل لما اصبحوا قال بعضهم لبعض ان اغدوا ان هي المفسرة لان في التنادي معنى القول او هي المصدرية اي بان اغدوا والمراد اخرجوا غدوة على حرثكم واقبلوا عليه باكرين والغدو يتعدى بالى وعلى فلا حاجة الى تضمينه معنى الاقبال كما قيل والمراد بالحرث الثمار والزرع والعنب ان كنتم صارمين اي قاصدين للصرم وجواب الشرط محذوف اي ان كنتم مريدين صرامه فاغدوا وقيل معنى صارمين ماضين في العزم من قولك سيف صارم فانطلقوا اي ذهبوا الى جنتهم وهم يتخافتون اي يسرون الكلام بينهم لئلا يعلم احد بهم يقال خفت يخفت اذا سكن ولم يبن قال ابن عباس الخفت الاسرار والكلام الخفي وقيل المعنى يخفون انفسهم من الناس حتى لا يروهم فيقصدوهم كما كانوا يقصدون اباهم وقت الحصاد والاول اولى لقوله ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين فان ان هي المفسرة للتخافت المذكور لما فيه من معنى القول والمعنى يسر بعضهم الى بعض هذا القول وهو لا يدخل هذه الجنة اليوم عليكم مسكين فيطلب منكم ان تعطوه منها ما كان يعطيه ابوكم واوقع النهي على دخول المساكين لانه ابلغ لان دخولهم عمن ان يكون باذنهم او بدونه وغدوا اي ساروا اليها غدوة على حرد الحرد يكون بمعنى المنع والغضب والقصد قال قتادة ومقاتل والكلبي والحسن ومجاهد الحرد هنا بمعنى القصد لان القاصد الى الشيء حارد يقال حرد يحرد اذا قصد تقول حردت حردك اي قصدت قصدك وبابه ضرب وقال ابو نصر صاحب الاصمعي هو مخفف علي هذا بابه فهم وقال ابن السكيت وقد يحرك فعلى هذا بابه طرب فهو حارد وحردان انتهى وقال ابو عبيدة والمبرد والقتيبي على حرد على منع من قولهم حردت الابل حردا اذا قلت البانها والحرود من النوق هي القليلة اللبن وقال السدي وسفيان والشعبي على حرد على غضب وعن قتادة ومجاهد ايضا على حرد على حسد وقال الحسن ايضا على حاجة وفاقة وقيل على حرد على انفراد يقال حرد يحرد حردا وحرودا اذا تنحى عن قومه ونزل منفردا عنهم ولم يخالطهم وبه قال الاصمعي وغيره وقد فسرت الآية الكريمة بجميع ما ذكرت وقال الازهري حرد اسم قريتهم وقال السدي اسم جنتهم قرأ الجمهور حرد بسكون الراء وقرئ بفتحها قال الفراء ومعنى قادرين قد قدروا امرهم وبنوا عليه في ظنهم واما في الواقع فليس كذلك لهلاك الثمر عليهم وعلى

الفقراء في نفس الامر لم يمنعوهم منه وقال قتادة قادرين على جنتهم عند انفسهم وقال الشعبي يعني قادرين على المساكين وقال ابن عباس وعبادة ووبرة
او من التقدير وهو التضييق اي مضيقين على المساكين فلما راوها اي جنتهم وشاهدوا ما قد حل بها
من الافة التي اذهبت ما فيها قالوا انا لضالون اي قال بعضهم لبعض بديهة وصولهم قبل التامل قد
ضللنا طريق جنتنا وليست هذه قال ابن عباس اي اضللنا مكان جنتنا وقيل معنى قولهم انا لضالون
انهم ضلوا عن الصواب في ما وقع منهم ثم لما تاملوا وعلموا انها جنتهم وان الله سبحانه قد عاقبهم
باذهاب ما فيها من الثمر والزرع قالوا مضربين اضرابا ابطاليا لكونهم ضالين بل نحن محرومون
اي حرمنا جنتنا بسبب ما وقع منا من العزم على منع المساكين من خيرها فاضربوا عن قولهم الاول الى
هذا القول قيل ان الحق الذي منعه اصحاب الجنة المساكين يحتمل انه كان واجبا عليهم ويحتمل انه
كان تطوعا والاول اظهر والله اعلم قال اوسطهم اي امثلهم واعقلهم وخيرهم رايا وعقلا ونفسا
وقال ابن عباس اعدلهم وقيل افضلهم فانكر عليهم بقوله الم اقل لكم ان ما فعلتموه لا ينبغي وان الله
لبالمرصاد لمن حاد وغير ما في نفسه لولا تسبحون اي هلا تستثنون وسمي الاستثناء تسبيحا لانه
تعظيم لله واقرار به وهذا يدل على ان اوسطهم كان امرهم بالاستثناء فلم يطيعوه وقال مجاهد
وابو صالح وغيرهما كان استثناؤهم تسبيحا قال النحاس اصل التسبيح التنزيه لله عز وجل فجعل التسبيح
في موضع ان شاء الله لانه ينزه عن ان يجري في ملكه ما لا يريده وقيل المعنى هلا تستغفرون الله من فعلكم
وتتوبون اليه من هذه النية التي عزمتم عليها وكان اوسطهم قد قال لهم ذلك وقيل المعنى هلا تتركون
شيئا للمساكين من ثمر جنتكم والاول اولى فلما قال لهم ذلك بعد مشاهدتهم للجنة على تلك الحالة
قالوا سبحان ربنا اي تنزيها له عن ان يكون ظالما فيما صنع بجنتنا ثم ارادوا اقباحة فعلهم هضما لانفسهم
وتحقيقا لتوبتهم بقولهم انا كنا ظالمين اي ان ذلك بسبب ذنبنا الذي فعلناه وقيل معنى تسبيحهم الاستغفار
اي نستغفر ربنا من ذنبنا انا كنا ظالمين لانفسنا في منعنا المساكين فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون
اي يلوم بعضهم بعضا في منعهم المساكين وحرمهم على ذلك يقول هذا لهذا انت اشرت علينا بهذا
الرأي ويقول ذاك لهذا انت خوفتنا الفقر ويقول الثالث لغيره انت رغبتني في جمع المال ثم نادوا على انفسهم
بالويل حيث قالوا يا ويلنا هذا وقت حضورك الينا ومنادمتك لنا فانه لا نديم لنا الان غيرك انا كنا
طاغين اي عاصين متجاوزين حدود الله بمنع الفقراء وترك الاستثناء قال ابن كيسان اي طغينا نعم الله

فلم نشكرها كما شكرها ابونا من قبل ثم رجعوا الى الله وسألوه ان يعوضهم بخير منها فقالوا عسى ربنا ان
يبدلنا خيرا منها قيل انهم تعاقدوا فيما بينهم وقالوا ان ابدلنا الله خيرا منها لنصنعن كما صنع ابونا
فدعوا الله وتضرعوا فابدلهم من ليلتهم ما هو خير منها بان امر الله جبريل ان يقتلع تلك الجنة المحترقة
فيجعلها بزغر من ارض الشام ويأخذ من الشام جنة فيجعلها مكانها قرأ الجمهور يبدلنا بالتخفيف وقرئ
بالتشديد وهما لغتان وقراءتان سبعيتان والتبديل تغيير ذات الشيء او تغيير صفته والابدال رفع
الشيء جملة ووضع آخر مكانه كما مضى في سورة سبأ انا الى ربنا راغبون اي طالبون منه الخير راجون
لعفوه راجعون اليه وعدي بالى وهو انما يتعدى بعن او بفي لتضمينه معنى الرجوع عن ابن مسعود
بلغني انهم اخلصوا وعرف الله منهم الصدق فابدلهم بها جنة تسمى الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا
واحدا وقال اليماني ابو خالد دخلت تلك الجنة فرأيت فيها كل عنقود منها كالرجل القائم الاسود قال الحسن
قول اهل الجنة انا الى ربنا راغبون لا ادري اكان ايمانا منهم او على حد ما يكون من المشركين اذا اصابتهم
الشدة فتوقف في كونهم مؤمنين وسئل قتادة عن اصحاب الجنة اهم من اهل الجنة ام من اهل النار
قال لقد كلفتني تعبا والمعظم يقولون انهم تابوا واخلصوا حكاه القشيري كذلك العذاب اي مثل
ذلك العذاب الذي بلوناهم به وبلونا اهل مكة عذاب الدنيا لمن سلك سبيلهم ولعذاب الآخرة
اكبر اي اشد واعظم من عذاب الدنيا لو كانوا اي المشركون يعلمون انه كذلك ولكنهم لا يعلمون
ولما فرغ سبحانه من ذكر حال الكفار وتشبيه ابتلائهم بابتلاء اصحاب الجنة المذكورة ذكر حال المتقين
وما اعده لهم من الخير فقال ان للمتقين ما يوجب سخطه من الكفر والمعاصي عند ربهم عز وجل في الدار
الآخرة جنات النعيم الخالص الذي لا يشوبه كدر ولا ينغصه خوف زوال كما يشوب جنات الدنيا
أفنجعل المسلمين كالمجرمين الاستفهام للتقريع والتوبيخ للكفار على هذا القول الذي قالوه وقد
وبخوا وقرعوا باستفهامات سبعة اولها هذا والسابع ام لهم شركاء والفاء للعطف على مقدر يقتضيه
المقام اي انحيف في الحكم فنجعل المسلمين كالكافرين وكان العبارة مقلوبة والاصل افنجعل المجرمين كالمسلمين
لانهم جعلوا انفسهم كالمسلمين بل افضل لانه كان صناديد كفار قريش يرون وفور حظهم في الدنيا
وقلة حظوظ المسلمين فيها فلما سمعوا بذكر الآخرة وما يعطي الله المسلمين فيها قالوا ان صح ما يزعمه
محمد لم يكن حالنا وحالهم الا مثل ما هي في الدنيا فقال الله مكذبا لهم رادا عليهم ما افنجعل الآية والمعنى

افنجعل المجرمين مساوين للمسلمين في العطاء كما ذكر في آية اخرى لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة قاله علي القاري وبعد ذلك ليس في الآية الا نفي المساواة والكفار ادعوا الافضلية او المساواة الا ان يقال اذا انتفت المساواة انتفت الافضلية بالاولى ثم قال سبحانه على طريقة الالتفات مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ هذا الحكم الاعوج كان امر الجزاء مفوض اليكم تحكمون فيه بما شئتم أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ اي تقرؤن فيه فتجدون المطيع كالعاصي ومثل هذا قوله تعالى ام لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم ثم قال سبحانه إِنَّ قرأ الجمهور بالكسر على انها معمولة لتدرسون اي تدرسون في الكتاب إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ فلما دخلت اللام كسرت الهمزة او على الحكاية للمدروس وقيل قد تم الكلام عند قوله تدرسون ثم ابتدأ فقال ان لكم الخ اي ليس لكم ذلك وقرئ بفتحها على ان العامل فيه تدرسون مع زيادة لام التاكيد ومعنى تخيرون تختارون وتشتهون ثم زاد سبحانه في التوبيخ فقال أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ اي عهود مؤكدة بالايمان موثقة متناهية اذ العهد كلام مؤكد بالقسم فاطلق الجزء واريد الكل والمعنى ام لكم ايمان على الله استوثقتم بها في ان يدخلكم الجنة ثابتة لكم إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا يخرج عن عهدتها حتى يحكمكم يومئذ قرأ الجمهور بالغة بالرفع على النعت لايمان وقرئ بنصبها على الحال من ايمان لانها قد تخصصت بالعمل او بالوصف او من الضمير في لكم او في علينا وجواب القسم قوله إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ به لانفسكم لان معنى ام لكم ايمان ام اقسمنا لكم وقيل قد تم الكلام عند قوله الى يوم القيامة ثم ابتدأ فقال ان لكم الخ اي ليس الامر كذلك سَلْهُمْ موبخا لهم ومقرعا أَيُّهُمْ بِذَلِكَ الحكم الخارج عن الصواب زَعِيمٌ اي كفيل لهم بان لهم في الآخرة ما للمسلمين فيها وقال ابن كيسان الزعيم هنا القائم بالحجة والدعوى وقال الحسن الزعيم الرسول أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ غيرهم يشاركونهم في هذا القول ويوافقونهم فيه ويذهبون مذهبهم فيه وقيل معناه شهداء يشهدون بصدق ما ادعوه وقيل المراد بهم الاصنام والاول اولى واظهر وقيل المعنى ام لهم شركاء يجعلونهم مثل المسلمين في الآخرة فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ فيما يقولون اذ لا اقل من التقليد وهو امر تعجيز وجواب الشرط محذوف قال القاضي وقد نبه سبحانه في هذه الآيات على نفي جميع ما يمكن ان يتشبثوا به لدعواهم من عقل او نقل او وعد او محض تقليد على الترتيب تنبيها على مراتب النظر وتزييفا لما لا سند له يَوْمَ ظرف لقوله فليأتوا اي فليأتوا بها يوم يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ويجوز ان يكون ظرفا لفعل مقدر اي اذكر يوم يكشف قال



الواحدي قال المفسرون في قوله عن ساق عن شدة من الامر وصعوبة الخطب قال ابن قتيبة اصل هذا ان الرجل اذا وقع في امر عظيم يحتاج الى الجد فيه شمر عن ساقه فيستعار الكشف عن الساق في موضع الشدة قال وتاويل الآية يوم يشتد الامر كما يشتد ما يحتاج فيه الى ان يكشف عن ساق قال ابو عبيدة اذا اشتد الحرب والامر قيل كشف الامر عن ساقه والاصل فيه من وقع في شيء يحتاج فيه الى الجد شمر عن ساقه فاستعير الساق والكشف عن موضع الشدة وهكذا قال غيره من اهل اللغة وقد استعملت ذلك العرب في اشعارها واكثر في كلامهم حتى صار كالمثل للامر العظيم الشديد فهذا التركيب من قبيل الكناية او الاستعارة التمثيلية قال الزمخشري الكشف عن الساق والابداء عن الحزام مثل في شدة الامر وصعوبة الخطب وقيل ساق الشيء اصله وقوامه كساق الشجرة وساق الانسان اي يوم يكشف عن ساق الامر فتظهر حقائقه وقيل يكشف عن ساق جهنم وقيل عن ساق العرش وقيل هو عبارة عن القرب وقيل يكشف عن ساق الرب سبحانه عن نوره وقال النسفي لا كشف ثمه ولا ساق ولكن كنى به عن الشدة لانهم اذا ابتلوا بشدة كشفوا عن الساق واما من شبه فلضيق عطنه وقلة نظره في علم البيان ولو كان الامر كما زعم المشبه لكان من حق الساق ان تعرف لانها ساق معهودة عنده انتهى وسيأتي ما هو الحق قرأ الجمهور يكشف بالتحتية مبنيا للمفعول وقرء ابن مسعود وابن عباس وغيرهما بالفوقية مبنيا للفاعل اي الشدة او الساعة وقرئ بالفوقية مبنيا للمفعول وقرئ بالنون وقرئ بالفوقية المضمومة وكسر الشين من اكشف الامر اي دخل في الكشف عن ابي هريرة في الآية قال يكشف الله عز وجل عن ساقه وعن ابن مسعود قال يكشف عن ساقه تبارك وتعالى وعن ابن عباس قال يكشف عن امر عظيم قال قال ابن مسعود يكشف عن ساقه فيسجد كل مؤمن ويقسو ظهر الكافر فيصير عظما واحدا وعن ابن عباس انه سئل عن قوله يوم يكشف عن ساق قال اذا خفي عليكم شيء من القرآن فابتغوه في الشعر فانه ديوان العرب اما سمعتم قول الشاعر ع وقامت الحرب بنا على ساق + قال ابن عباس هذا يوم كرب شديد قد روي عنه نحو هذا من طرق اخرى وعنه هو اشد ساعة يوم القيامة وقد اغنانا الله سبحانه في تفسير هذه الآية بما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد اخرج البخاري وغيره عن ابي سعيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقا واحدا وهذا الحديث ثابت من

طرق في الصحيحين وغيرهما وله الفاظ في بعضها طول وهو حديث مشهور معروف وعن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم في الاية قال عن نور عظيم فيخرون له سجدا اخرجه ابو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الاسماء والصفات وضعفه واذا جاء نهر الله بطل نهر معقل هذا لا يستلزم تجسيما ولا تشبيها فليس كمثله شيء سبحانه دعوا كل قول عند قول محمد فما امن في دينه كمخاطر وهكذا تمذيب القول فيه شيوخ الاسلام فاجروه على ظاهر لفظه ولم يكشفوا عن باطن معناه والتاويل هو مذهب معظم المتكلمين ومنهم النسفي في المدارك والبيضاوي في انوار التنزيل قال الشيخ احمد ولي الله المحدث الدهلوي في كتابه حجة الله البالغة واستطال هؤلاء الخائضون على معشر اهل الحديث وسموهم مجسمة ومشبهة وقالوا هم المستترون بالبلكفة وقد وضح على وضوحا بينا ان استطالتهم هذه ليست بشيء وانهم مخطئون في مقالتهم رواية ودراية وخاطئون في طعنهم ائمة الهدى ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ﴾ قال الواحدي قال المفسرون يسجد الخلق كلهم لله سجدة واحدة ويبقى الكفار والمنافقون يريدون ان يسجدوا ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ لان اصلابهم تيبس فلا تلين للسجود وقال الربيع بن انس يكشف عن الغطاء فيقع من كان امن بالله في الدنيا فيسجدون له ويدعى الاخرون الى السجود فلا يستطيعون لانهم لم يكونوا امنوا بالله في الدنيا والدعاء الى السجود يكون امتحانا لايمانهم لا تكليفا بالسجود اذ تلك الدار ليست دار تكليف ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ﴾ حال من ضمير يدعون ونسبة الخشوع الى الابصار وهو الخضوع والذلة لظهور اثره فيها ﴿تَرْهَقُهُمْ﴾ اي تغشاهم ﴿ذِلَّةٌ﴾ شديدة وحسرة وندامة وصغار ﴿وَقَدْ كَانُوا﴾ في الدنيا ﴿يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ﴾ تكليفا ﴿وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ اي معافون عن العلل متمكنون من الفعل فلا يجيبون قال ابراهيم التيمي يدعون بالاذان والاقامة فيابون وقال سعيد بن جبير يسمعون حي على الفلاح فلا يجيبون قال كعب الاحبار والله ما نزلت هذه الاية الا في الذين يتخلفون عن الجماعات وقال ابن عباس هم الكفار يدعون في الدنيا وهم امنون فاليوم يدعون وهم خائفون وعنه قال الرجل يسمع الاذان فلا يجيب الصلوة اخرجه البيهقي في الشعب ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم اي خل بيني وبينه وكل امره الي فانا اكفيكه قال الزجاج معناه لا تشغل به قلبك بل كله الي فانا اكفيك امره والفاء لترتيب ما بعدها من الامر على ما قبلها من احوالهم الحكية والمراد بالحديث القرآن قاله السدي وقيل يوم القيامة ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾ مستانفة لبيان كيفية التعذيب المستفاد من قوله فذرني الخ والضمير عائد الى من باعتبار



معناها والمعنى سنأخذهم بالعذاب على غفلة ونسوقهم اليه درجة فدرجة حتى نوقعهم فيه مِنْ حَيْثُ
لَا يَعْلَمُونَ ان ذلك استدراج لانهم يظنونه انعاما ولا يفكرون في عاقبته وما سيلقون في نهايته
قال سفيان الثوري نسبغ عليهم النعم وننسيهم الشكر وقال الحسن كم من مستدرج بالاحسان اليه
وكم من مفتون بالثناء عليه وكم من مغرور بالستر عليه والاستدراج ترك المعاجلة واصله النقل
من حال الى حال ويقال استدرج فلان فلانا اي استخرج ما عنده قليلا قليلا ويقال درّجه الى كذا
واستدرجه يعني ادناه الى التدريج فتدرج هو ومعنى الكيد والمكر والاستدراج هو الاخذ من جهة
الامن ولا يجوز ان يسمى الله سبحانه كائدا او ماكرا او مستدرجا ثم ذكر سبحانه انه يمهل الظالمين فقال وَأُمْلِي
لَهُمْ اي امهلهم ليزدادوا اثما وقد مضى تفسير هذا في سورة الاعراف والطور واصل الملاوة المدة
من الدهر يقال املى الله له اي اطال له المدة والملا مقصورا الارض الواسعة سميت به لامتدادها
إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ اي قوي شديد فلا يفوتني شيء وسمى سبحانه احسانه كيدا كما سماه استدراجا لكونه
في صورة الكيد باعتبار عاقبته ووصفه بالمتانة لقوة اثره في التسبب للهلاك أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا اعاد
سبحانه الكلام الى ما تقدم من قوله ام لهم شركاء اي ام تلتمس منهم ثوابا على ما تدعوهم اليه من الايمان بالله
فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ المغرم الغرامة اي فهم من غرامة ذلك الاجر مُثْقَلُونَ اي يثقل عليهم حمله لشحهم ببذل
المال فاعرضوا عن اجابتك لهذا السبب والاستفهام للتقريع والتوبيخ لهم والمعنى انك لم تسألهم ذلك ولم تطلبه
منهم أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ اي اللوح المحفوظ عند الجمهور او كلما غاب عنهم فَهُمْ من ذلك الغيب يَكْتُبُونَ
ما يريدون من الحجج التي يزعمون انها تدل على قولهم ويخاصمونك بما يكتبونه من ذلك ويحكمون لانفسهم بما
يريدون ويستغنون بذلك عن الاجابة لك والامتثال لما تقوله فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ اي لقضائه الذي قد
قضاه في سابق علمه وقيل الحكم هنا هو امهالهم وتاخير نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم لانهم ان امهلوا لم
يهملوا وقيل هو ما ... ليه من تبليغ الرسالة قيل وهذا منسوخ باية السيف وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ
يعني يونس عليه ... ه في الغضب والضجر والعجلة حتى لا تبتلي ببلائه إِذْ نَادَى اي لا يكن حالك كحاله
او قصته ... ه ويدل على المحذوف ان الذوات لا ينصب عليها النهي وانما ينصب على احوالها
وصف ... يظ او كربا وقيل غما قال الماوردي والفرق بينهما ان الغم في القلب والكرب في الانفاس
قال قتادة ان الله ... بيه صلى الله عليه وسلم ويأمره بالصبر وان لا يعجل كما عجل صاحب الحوت وقد تقدم

بيان قصته في سورة الانبياء و يونس و الصافات وكان النداء منه بقوله لا اله الا انت سبحانك اني كنت
من الظالمين وقيل ان المكظوم المأخوذ بكظمه وهو مجرى النفس قاله المبرد وقيل هو المحبوس والكظم
الحبس ومنه قولهم فلان يكظم غيظه اي يحبس غضبه قاله ابن بحر والاول اولى والجملة حال من ضمير نادى
وعليها يدور النهي لا على النداء لانه امر مستحسن لولا ان تداركه اي صاحب الحوت نعمة من ربه
وهي توفيقه للتوبة فتاب الله عليه قال الضحاك ان النعمة هنا النبوة وقال سعيد بن جبير عبادته التي
سلفت وقال ابن زيد هي نداؤه بقوله لا اله الا انت وقيل اخراجه من بطن الحوت قاله ابن بحر وقيل
الرحمة قرأ الجمهور تداركه على صيغة الماضي وقرئ بتشديد الدال وهو مضارع ادغمت التاء في الدال
والاصل تتداركه بتاءين وهذه على حكاية الحال الماضية وقرئ تداركته بتاء التانيث وهو خلاف
المرسوم وتداركه فعل ماض مذكر حمل على معنى النعمة لان تانيث النعمة غير حقيقي وتداركته على لفظها
لنبذ بالعراء اي لألقي من بطن الحوت على وجه الارض الخالية من النبات والاشجار والجبال وهو مذموم
اي يذم ويلام بالذنب الذي اذنبه ويطرد من الرحمة وقيل مذموم مبعد من كل خير وقيل مذنب وقيل
معاتب قال الرازي مذموم على كونه فاعلا للذنب قال والجواب ان كلمة لولا دالة على ان هذه المذمومية
لم تحصل والمراد منه ترك الافضل فان حسنات الابرار سيئات المقربين او هذه الواقعة كانت قبل النبوة
لقوله تعالى فاجتباه ربه اي استخلصه واصطفاه لدعائه وعذره واختاره للنبوة وهذا مبني على انه
وقت هذه الواقعة لم يكن نبيا وانما نبئ بعدها وهو احد قولين للمفسرين والثاني انه كان نبيا ومعنى
اجتباه انه رد عليه الوحي بعد ان كان قد انقطع عنه فجعله من الصالحين اي من الكاملين في الصلاح
وعصمه من الذنب وقيل رد اليه النبوة وشفعه في نفسه وفي قومه وقبل توبته وارسله الى مائة الف او يزيدون
بسبب صبره كما تقدم وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك اي ينفذونك قال ابن عباس وان هي
المخففة من الثقيلة قرأ الجمهور بضم الياء من ازلقه اي ازل رجله يقال ازلقه عن موضعه اذا نحاه وقرأ
نافع واهل المدينة بفتحها من زلق عن موضعه اذا تنحى وهما سبعيتان قال الهروي اي يغتالونك بعيونهم
فيزلقونك عن مكانك الذي اقامك الله فيه عداوة لك وقرأ ابن عباس وابن مسعود وغيرهما ليزهقونك
اي يهلكونك وقال الكلبي يزلقونك اي يصرفونك عما انت عليه من تبليغ الرسالة وكذا قال السدي وسعيد
بن جبير وقال النضر بن شميل والاخفش يفتنونك وقال الحسن وابن كيسان ليقتلونك بأبصارهم

اي ينظرون اليك نظراً شديداً يكادان يصرعك ويسقطك عن مكانك والباء اما للتعدية كالداخلة على الآلة اي جعلوا ابصارهم كالآلة المزلقة لك كما تقول عملت بالقدوم واما للسببية اي بسبب عيونهم قال الزجاج في الآية مذهب اهل اللغة والتاويل انهم من شدة ابغاضهم وعداوتهم يكادون بنظرهم نظر البغضاء ان يصرعوك وهذا مستعمل في الكلام يقول القائل نظر الي نظراً يكاد يصرعني ونظراً يكاد يأكلني قال ابن قتيبة ليس يريد الله انهم يصيبونك باعينهم كما يصيب العاين بعينه ما يعجبه وانما اراد انهم ينظرون اليك اذا قرأت القرآن نظراً شديداً بالعداوة والبغضاء يكاد يسقطك كما قال الشاعر

يتقارضون اذا التقوا في مجلس نظراً يزيل مواطي الاقدام

وقيل ارادوا ان يصيبوه بالعين فنظر اليه قوم من قريش للجربة اصابتهم فعصمه الله وحماه من اعينهم فلم تؤثر فيه فنزلت هذه الآية وذكر الماوردي ان العين كانت في بني اسد من العرب وفيه دليل على ان العين حق وقد رواه ابو هريرة عنه صلى الله عليه وسلم بهذا اللفظ والحديث متفق عليه واخذ بظاهر الحديث جماهير العلماء وقالوا انه حق وانه ليدخل الرجل القبر والجمل القدر وانكره طوائف من المبتدعة ولا اعتداد بهم بعدما ورد في كلام النبوة وصح قال الحسن رقية العين هذه الآية **لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ** اي وقت سماعهم القرآن لكراهتهم لذلك اشد كراهة ولما ظرفية منصوبة بيزلقونك وقيل هي حرف وجوابها محذوف لدلالة ما قبلها عليه اي لما سمعوا الذكر كادوا يزلقونك **وَيَقُولُونَ** حسداً وتنفيراً عنه **إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ** اي ينسبونه الى الجنون اذا سمعوه يقرأ القرآن فرد الله عليهم بقوله **وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ** لا يدركه ولا يتعاطاه الا من كان اكمل الناس عقلاً وامتنهم رأياً والجملة مستأنفة او في محل نصب على الحال من فاعل يقولون اي والحال انه تذكير وبيان لجميع ما يحتاجون اليه او شرف لهم كما قال سبحانه وانه لذكر لك ولقومك وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانه مذكر للعالمين او شرف لهم

ثقل الابعين · وقف لازم · ربع ع ١٤

سورة الحاقة هي احدى او اثنتان وخمسون آية وهي مكية

قال القرطبي في قول الجميع قال ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرأ في الفجر بالحاقة ونحوها اخرجه الطبراني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحاقة هي القيامة لان الامر يحق فيها وهي تحق في نفسها من غير شك قال الطبري كانه جعلها من باب
ليله قائم ونهاره صائم فالاسناد مجازي قال الازهري يقال حاققته فحققته احقه غالبته فغلبته اغلبه
فالقيامة حاقة لانها تحاق كل محاق في دين الله بالباطل اي تخصم كل مخاصم وقال في الصحاح حاقه اي خاصمه
في صغار الاشياء ويقال ماله فيها حق ولا حقاق ولا خصومة والتحاق التخاصم والحاقة والحقة والحق ثلاث
لغات بمعنى قال الواحدي هي القيامة في قول كل المفسرين وسميت بذلك لانها ذات الحواق من الامور وهي
الصادقة الواجبة الصدق وجميع احكام القيامة صادقة واجبة الوقوع والوجود قال الكسائي والمورج
الحاقة يوم الحق وقيل سميت بذلك لان كل انسان فيها حقيق بان يجزى بعمله وقيل سميت بذلك لانها
احقت لقوم النار واحقت لقوم الجنة وقال ابن عباس الحاقة من اسماء يوم القيامة وهي مبتدء وخبرها
قوله ما الحاقة على ان ما الاستفهامية مبتدء ثان وخبره الحاقة والجملة خبر المبتدء الاول والمعنى اي شيء
هي في حالها او صفاتها لا تحيط بها العبارة وما يسأل بها عن الصفة والحال والمقام للضمير اي ما هي فوضع
الظاهر موضعه لتاكيد هولها او زيادة تعظيمه وقيل هذه الجملة وان كان لفظها لفظ الاستفهام فمعناها
التعظيم والتفخيم لشانها كما تقول زيد ما زيد وقد قدمنا تحقيق هذا المعنى في سورة الواقعة ثم زاد سبحانه
في تفظيع شانها وتفخيم امرها وتهويل حالها فقال وما ادراك ما الحاقة اي اي شيء اعلمك ما هي اي
كانك لست تعلمها اذ لم تعاينها وتشاهد ما فيها من الاهوال فكانها خارجة عن دائرة علم المخلوقين
لا تبلغها دراية احد منهم ولا وهمه والنبي صلى الله عليه وسلم كان عالما بالقيامة ولكن لا علم له بكنهها وصفتها
فقيل له ذلك كانه ليس عالما بها راسا قال يحيى بن سلام بلغني ان كل شيء في القران وما ادراك فقد ادراه
اياه وعلمه صلعم وكل شيء قال فيه وما يدريك فانه اخبره به وقال سفيان بن عيينة كل ما في القران قال
فيه وما ادراك فانه صلى الله عليه وسلم اخبر به وكل شيء قال فيه وما يدريك فانه لم يخبر به ذكره الخطيب وما مبتدء
وخبره ادراك وما الحاقة جملة من مبتدء وخبر محلها النصب باسقاط الخافض لان ادرى يتعدى الى
المفعول الثاني بالباء كما في قوله ولا ادراكم به فلما وقعت جملة الاستفهام معلقة له كانت في موضع المفعول
الثاني وبدون الهمزة يتعدى الى مفعول واحد بالباء نحو دريت بكذا وان كان بمعنى العلم تعدى الى
مفعولين والجملة معطوفة على جملة ما الحاقة كذبت ثمود وعاد بالقارعة اي بالقيامة وسميت بذلك
لانها تقرع قلوب الناس بشدة اهوالها وتؤثر فيها خوفا وفزعا كتاثير القرع المحسوس فان القرع في اللغة نوع

من الفقر به وهو امساس جسم بجسم بعنف وفي المصباح وقرعت الباب من باب نفع طرقته ونقرت عليه وقال المبرد عنى بالقارعة القران الذي نزل في الدنيا على انبيائهم وكانوا يخوفونهم بذلك فيكذبونهم وقيل القارعة ماخوذة من القرعة لانها ترفع اقواما وتحط آخرين والاول اولى ويكون وضع القارعة موضع ضمير الحاقة للدلالة على عظيم هولها وفظاعة حالها والجملة مستانفة لبيان بعض احوال الحاقة فَأَمَّا ثَمُودُ هم قوم صالح وكانت منازلهم بالحجر بين الشام والحجاز وقال ابن اسحق هو وادي القرى والمقصود من ذكر هذه القصص زجر هذه الامة عن الاقتداء بهؤلاء الامم في المعاصي لئلا يحل بها ما حل بهم فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ هي الصيحة التي جاوزت الحد وهي صيحة جبريل وقيل الرجفة اي الزلزلة وقيل هي الفرقة التي عقرت الناقة فاهلك قوم ثمود بسببهم وقال ابن زيد الطاغية عاقر الناقة اي اهلكوا بما اقدم عليه طاغيتهم من عقر الناقة وكان واحدا وانما اهلكوا جميعا لانهم علموا بفعله ورضوا به وقيل له طاغية كما يقال فلان راوية الشعر وداهية وعلامة ونسابة وقيل الطاغية مصدر كالعافية اي بطغيانهم وكفرهم ولكن هذا لا يطابق قوله وَأَمَّا عَادٌ هم قوم هود وقد تقدم بيان هذا وذكر منازلهم واين كانت في غير موضع وهي الاحقاف وهو رمل بين عمان وحضرموت باليمن فقدم ذكر ثمود لان بلادهم اقرب الى قريش وواعظ القريب اكبر ولان اهلاكهم بالصيحة وهي اشبه بصيحة النفخ في الصور فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ اي بالدبور صَرْصَرٍ هي الشديدة البرد ماخوذ من الصر وهو البرد وقيل الشديدة الصوت وقال مجاهد الشديدة السموم عَاتِيَةٍ عن الطاعة فكانها عتت على خزانها فلم تطعهم ولم يقدروا على ردها لشدة هبوبها او عتت على عاد فلم يقدروا على ردها بل اهلكتهم قال ابن عباس ما ارسل الله شيئا من ريح الا بمكيال ولا قطرة من ماء الا بمكيال الا يوم عاد ويوم قوم نوح فاما يوم نوح فان الماء طغى على خزانه فلم يكن لهم عليه سبيل ثم قرأ انا لما طغى الماء واما يوم عاد فان الريح عتت على خزانها فلم يكن لهم عليها سبيل ثم قرأ بريح صرصر عاتية وعنه قال عاتية غالبة وعن علي بن ابي طالب نحوه واخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وعن ابن عمر مرفوعا قال ما امر الخزان على عاد الا مثل موضع الخاتم من الريح فعتت على الخزان فخرجت من نواحي الابواب فذلك قوله بريح صرصر عاتية قال عتوها عتت على الخزان اخرجه ابن ابي حاتم سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ اي سلطها كذا قال مقاتل وقيل ارسلها وقال الزجاج اقامها عليهم كما شاء والتسخير استعمال الشيء بالاقتدار وفيه رد على من قال

ان سبب ذلك كان باتصال الكواكب فنفى هذا المذهب بقوله سخرها عليهم وبين ان الله تعالى ان ذلك بقضائه
وقدره ومشيته لا باتصال الكواكب ذكره الخازن والجملة مستانفة لبيان كيفية اهلاكهم ويجوز ان تكون صفة
لريح وان تكون حالا منها لتخصيصها بالصفة او من الضمير في عاتية وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا معطوف على
سبع ليال وانتصاب حسوما على الحال اي ذات حسوم او على المصدر لفعل مقدر اي تحسمهم حسوما
او على انه مفعول له او على انه نعت لسبع ليال الخ ويتضح ذلك بقول الزمخشري الحسوم لا يخلو من ان يكون
جمع حاسم كشاهد وشهود او مصدرا كالشكور والكفور فان كان جمعا فمعنى قوله حسوما نحسات حسمت
كل خير واستاصلت كل بركة او متتابعة هبوب الريح ما خفت ساعة تمثيلا لتتابعها بتتابع فعل الحاسم
في اعادة الكي على الداء كرة بعد اخرى حتى ينحسم الى اخرها قال فهو مجاز مرسل من استعمال المقيد وهو الحسم
الذي هو تتابع الكي لمطلق التتابع او استعارة بتشبيه تتابع الريح المستاصلة بتتابع الكي القاطع للداء افاده
الشهاب وفي الحسوم التتابع فاذا تتابع الشيء ولم ينقطع اوله عن اخره قيل له الحسوم قال الزجاج الذي توجبه
اللغة في معنا قوله حسوما اي تحسمهم حسوما تفنيهم وتذهبهم قال النضر بن شميل حسمتهم قطعتهم
واهلكتهم وقال الفراء الحسوم الاتباع من حسم الداء وهو الكي لان صاحبه يكوى بالمكواة ثم يتابع ذلك
عليه وقال المبرد هو من قولك حسمت الشيء اذا قطعته وفصلته عن غيره وبه قال عبد العزيز بن زرارة
الكلابي وقيل الحسم الاستيصال ويقال للسيف حسام لانه يحسم العدو عما يريده من بلوغ عداوته وقال
ابن زيد حسمتهم فلم يبق منهم احد وروي عنه انه قال حسمت الايام والليالي حتى استوفتها لانها بدأت
بطلوع الشمس من اول يوم وانقطعت بغروب الشمس من اخر يوم وقال الليث الحسوم هي الشوم اي تحسم الخير
عن اهلها كقوله في ايام نحسات وقال ابن مسعود حسوما متتابعات وقال ابن عباس تباعا وفي لفظ متتابعات
واختلف في اولها فقيل غداة الاحد وقيل غداة الجمعة وقيل غداة الاربعاء قال وهب وهذه الايام هي
التي تسميها العرب ايام العجوز كان فيها برد شديد وريح شديدة وكان اولها يوم الاربعاء واخرها يوم الاربعاء
وكان الشهر كاملا فكان اخرها هو اليوم الاخير منه فَتَرَى الخطاب لكل من يصلح له او لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فالكلام على سبيل الفرض والتقدير اي انه لو كان حاضرا حينئذ لرأى الْقَوْمَ والضمير في فِيهَا يعود الى الليالي
والايام وقيل الى مهاب الريح او الى البيوت والاول اولى واظهر صَرْعَىٰ جمع صريع يعني موتى وهو حال وقوله
كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ حال من القوم او مستانفة اي اصول نخل بلا رؤس ساقطة او بالية وقيل

خالية لا جوف فيها قال ابن عباس اعجاز نخل هي اصولها والنخل يذكر ويؤنث ومثله كانهم اعجاز نخل منقعر وقد تقدم تفسيره وهو اخبار عن عظم اجسامهم قال يحيى بن سلام انما قال خاوية لان ابدانهم خلت من ارواحهم مثل النخل الخاوية او ان الريح كانت تدخل من افواههم فتخرج ما في اجوافهم من الحشو من ادبارهم فهل ترى لهم من باقية اي من فرقة باقية او نفس باقية او من بقية على ان باقية مصدر كالعاقبة والعافية ومن زائدة في المفعول قال ابن جريج اقاموا سبع ليال وثمانية ايام احياء في عذاب الريح فلما امسوا في اليوم الثامن ماتوا فاحتملتهم الريح فالقتهم في البحر وجاء فرعون ومن قبله قرأ الجمهور بفتح القاف وسكون الباء اي ومن تقدمه من القرون الماضية والامم الخالية وقرئ بكسر القاف وفتح الباء اي ومن هو في جهته من اتباعه واختار ابو حاتم وابو عبيد الثانية لقراءة ابن مسعود وابي ومن معه ولقراءة ابي موسى ومن تلقاءه والمؤتفكات قرأ الجمهور بالجمع وقرئ بالافراد واللام للجنس فهي في معنى الجمع وهي قرى قوم لوط وكانت خمسة صنعة وصعرة وعمرة ودوما وسدوم وهي القرية العظمى قاله القرطبي وقيل يريد الامم الذين ائتفكوا والمعنى وجاءت المؤتفكات اي المنقلبات من ائتفك اي انقلب التي اقتلعها جبريل على جناحه رفعها الى اقرب السماء ثم قلبها اي اهلها بالخاطئة اي بالفعلة الخاطئة او الخطأ على انها مصدر او ذات الخطأ والمراد انها جاءت بالشرك والمعاصي قال مجاهد بالخطايا وقال الجرجاني بالخطأ العظيم فعصوا رسول ربهم اي فعصت كل امة رسولها المرسل اليها قال الكلبي هو موسى وقيل لوط لانه اقرب قيل ورسول هنا بمعنى رسالة فاخذهم الله سبحانه اخذة رابية اي نامية زائدة على اخذات الامم كما قاله الزجاج وقال مجاهد شديدة والمعنى انها بالغة في الشدة الى الغاية يقال ربا الشيء يربو اذا زاد وتضاعف ومنه الربا اذا اخذ في الذهب او الفضة اكثر مما اعطى انا لما طغى الماء اي تجاوز حده في الارتفاع والعلو على اعلى جبل في الدنيا خمسة عشر ذراعا وذلك في زمن نوح لما اصر قومه على الكفر وكذبوه وقيل طغى على خزانه من الملائكة غضبا لربه فلم يقدروا على حبسه قاله علي قال قتادة زاد على كل شيء خمسة عشر ذراعا قال ابن عباس طغى على خزانه فنزل ولم ينزل من السماء ماء الا بمكيال او ميزان الا زمن نوح فانه طغى فنزل بغير كيل ولا وزن حملناكم في الجارية اي في اصلاب ابائكم او حملناهم وحملناكم في اصلابهم تغليبا للمخاطبين على الغائبين والجارية سفينة نوح وسميت جارية لانها تجري في الماء وهو اول من صنع السفن وكان يعلمه جبريل صنعتها فاتخذها على هيئة

صد الطائر ليكون ما يجري في الماء مقاربا لما يجري في الهواء ومحل في الجارية النصب على الحال اي رفعناكم
فوق الماء حال كونكم في السفينة ولما كان المقصود من ذكر قصص هذه الامم وذكر ما حل بهم من العذاب زجر
هذه الامة عن الاقتداء بهم في معصية الرسول قال لِنَجْعَلَهَا اي هذه الامور المذكورة لَكُمْ يا امة محمد صلى
الله عليه وسلم تَذْكِرَةً اي عبرة وموعظة تستدلون بها على عظيم قدرة الله سبحانه وبديع صنعه او
لنجعل هذه الفعلة التي هي عبارة عن انجاء المؤمنين واغراق الكافرين لكم تذكرة او هذه السفينة حتى
ادركها اوائل هذه الامة قال ابن جريج كانت الواحها على الجودي والمعنى ابقيت لكم تلك الخشبات حتى
تذكروا وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ اي تحفظها بعد سماعها اذن حافظة لما سمعت قال الزجاج يقال
اوعيت كذا اي حفظته في نفسي اعيه وعيا ووعيت العلم ووعيت ما قلته كله بمعنى واوعيت المتاع في
الوعاء ويقال لكل ما وعيته في غير نفسك اوعيته بالالف ولما حفظته في نفسك وعيته بغير الف
قال قتادة في تفسير هذه الآية اذن سمعت وعقلت ما سمعت قال الفراء المعنى لتحفظها كل اذن عظة لمن
ياتي بعد وتعيها بكسر العين باتفاق القراء السبعة وقرئ باسكانها تشبيها لهذه الكلمة برحم وشهد وان
لم تكن من ذلك وجعل الاذن حافظة ومستمعة ومتذكرة ومتفكرة وعاملة تجوز لان الفاعل لذلك صاحبها لا
بنسبتها غير السمع وانما اتى به مشاكلة لقوله واعية عن علي في الآية قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت الله
ان يجعلها اذنك يا علي فقال علي ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فنسيته اخرجه سعيد بن منصور و
ابو نعيم وغيرهما قال ابن كثير وهو حديث مرسل وعن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي ان الله امرني ان
ادنيك ولا اقصيك وان اعلمك وان تعي وحق لك ان تعي فنزلت هذه الآية وتعيها اذن واعية فانت اذن
واعية لعلي اخرجه ابن جرير وغيره قال ابن كثير ولا يصح وعن ابن عمر قال اذن عقلت عن الله ولما ذكر الله سبحانه
القيامة وهول امرها بالتعبير بالحاقة وغيرها شرع في تفاصيل احوالها وبدأ بذكر مقدماتها فقال فَإِذَا نُفِخَ فِي
الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ قال عطاء يريد النفخة الاولى به قال القاضي كالكشاف التي عندها خراب العالم وقال
الكلبي ومقاتل يريد النفخة الاخيرة ولم يؤنث الفعل وهو نفخ لان التانيث مجازي وحسنه الفصل قرأ
الجمهور بالرفع فيهما على ان نفخة مرتفعة على النيابة وواحدة تاكيد لها وقرئ بنصبهما على ان النائب
هو الجار والمجرور قال الزجاج قوله في الصور يقوم مقام ما لم يسم فاعله وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ اي رفعت من
اماكنها وقلعت عن مقارها بمجرد القدرة الالهية او بتوسط الزلزلة او الريح العاصفة او الملائكة وهذا الرفع

بعد خروج الناس من قبورهم قرأ الجمهور بالتخفيف وقرئ بتشديد الميم للتكثير او للتعدية فَدُكَّتَا دَكَّةً وَّاحِدَةً اي فكسرتا كسرة واحدة لا زيادة عليها او ضربتا ضربة واحدة بعضهما ببعض حتى صارتا كثيبا مهيلا وهباء منبثا فلم يتميز شيء من اجزائهما عن الآخر وقيل بسطتا بسطة واحدة فصارتا قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا من قولهم اندك سنام البعير اذا انفرش على ظهره وبعير ادك وناقة دكاء ومنه الدكان وهذه الدكة كالزلزلة قال ابي بن كعب في الآية تصيران غبرة على وجوه الكفار لا على وجوه المؤمنين وذلك قوله وجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة قال الفراء ولم يقل فدككن لانه جعل الجبال كلها كالجملة الواحدة ومثله قوله تعالى ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما فَيَوْمَئِذٍ وَّقَعَتِ الْوَاقِعَةُ اي قامت القيامة وَانْشَقَّتِ السَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَّاهِيَةٌ اي انشقت جنسها وانصدعت وتفطرت بنزول ما فيها من الملائكة فهي في ذلك اليوم ضعيفة مسترخية ساقطة القوة من هول ذلك اليوم بعد ما كانت محكمة قال الزجاج يقال لكل ما ضعف جدا قد وهى فهو واه وقال الفراء وهيها تشققها وقال ابن عباس واهية متمزقة اي متساقطة خفيفة لا تتماسك كالعهن المنفوش وَّالْمَلَكُ عَلٰٓى اَرْجَآئِهَا اي جنس الملك واقفون على اطرافها وجوانبها التي لم تسقط وهؤلاء من جملة المستثنى بقوله الا من شاء الله وقال القاضي لعله هلاك الملائكة اثر ذلك وقيل يحيون بالنفخة الثانية ويقفون على ارجائها الباقية وهي جمع رجى مقصور وتثنيته رجوان مثل قفى وقفوان والمعنى انها لما تشققت السماء وهي مساكنهم لجأوا الى اطرافها قال الضحاك اذا كان يوم القيامة امر الله السماء الدنيا فتشققت وتكون الملائكة على حافاتها حتى يأمرهم الرب فينزلون الى الارض ويحيطون بها ومن عليها وقال سعيد بن جبير المعنى والملك على حافات الدنيا اي ينزلون الى الارض وقيل اذا صارت السماء قطعا يقف الملائكة على تلك القطع التي ليست متشققة في انفسها.

وقال ابن عباس على حافاتها على ما لم يهي منها وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ اي فوق رؤسهم يَوْمَئِذٍ اي يوم القيامة ثَمٰنِيَةٌ اي ثمانية املاك وقيل ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عددهم الا الله عز وجل قاله ابن عباس وقيل ثمانية اجزاء من تسعة اجزاء من الملائكة قاله الكلبي وغيره وقال ابن عباس ايضا ثمانية املاك على صورة الاوعال رؤسهم عند العرش في السماء السابعة واقدامهم في الارض السفلى ولهم قرون كقرون الوعلة ما بين اصل قرن احدهم الى منتهاه خمسمائة عام واليوم تحمله اربعة وعن ابن مسعود ان ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام وما بين كل سماء وارض خمسمائة عام وفضل كل

٥ اشار المؤلف ولم يجره بعد الى ان قوله وقعت الواقعة كقولك قام القائم في عدم الافادة فلا بد من تاويل حتى يفيد وتاويله ان الواقعة صارت علما بالغلبة على القيامة فلم يلاحظ فيها معنى الاشتقاق ١٢ سيد ذو الفقار احمد غفرله

سماء وارض خمسمائة عام وما بين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام وما بين الكرسي والماء خمسمائة عام والعرش على الماء والله على العرش لا يخفى عليه شيء من اعمالكم اخرجه ابو سعيد الدارمي وابن خزيمة وغيرهما موقوفا على ابن مسعود وفي الباب احاديث كثيرة صحيحة يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ اي تعرض العباد على الله لحسابهم ومثله وعرضوا على ربك صفا وليس ذلك العرض عليه سبحانه ليعلم به ما لم يكن عالما به وانما هو عرض الاختبار والتوبيخ بالاعمال عن ابي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذير واما الثالثة فعند ذلك تطاير الصحف في الايدي فاخذ بيمينه واخذ بشماله اخرجه احمد والترمذي وابن ماجة وغيرهم واخرج ابن جرير والبيهقي في البعث عن ابن مسعود نحوه وجملة لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ في محل نصب على الحال من ضمير تعرضون اي تعرضون حال كونكم لا يخفى على الله سبحانه من ذواتكم او اقوالكم وافعالكم وسرائركم التي كنتم تخفونها في الدنيا خافية كائنة ما كانت والتقدير اي نفس خافية او فعلة خافية قرئ بالتاء والياء وهما سبعيتان ولما ذكر سبحانه العرض ذكر تفصيل ما يكون فيه فقال فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ اي اعطي كتابه الذي كتبه الحفظة عليه من اعماله فَيَقُولُ خطابا لجماعته لما سره او لاهله واقربائه هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ قال ابن السكيت والكسائي العرب تقول هايا رجل وللاثنين هاؤما يا رجلان وللجمع هاؤم يا رجال قيل والاصل هاؤكم فابدلت الهمزة من الكاف قال ابن زيد ومعنى هاؤم تعالوا وقال مقاتل هلم وقيل خذ وهو الذي صرح به النحاة انها بمعنى خذ تقول ها بمعنى خذ وهاؤما بمعنى خذا وهاؤم بمعنى خذوا وهي اسم فعل وقد يكون فعلا صريحا لاتصال الضمائر البارزة المرفوعة بها وفيها ثلاث لغات كما هو معروف في علم الاعراب والهاء في كتابيه وحسابيه وسلطانيه وماليه هي هاء السكت وقرأ الجمهور في هذه باثبات الهاء وقفا ووصلا مطابقة لرسم المصحف ولولا ذلك لحذفت في الوصل كما هو شأن هاء السكت واختار ابو عبيد ان يتعمد الوقف عليها ليوافق اللغة في الحاق الهاء في السكت ويوافق الخط يعني خط المصحف وقرأ جماعة بحذفها وصلا واثباتها وقفا في جميع هذه الالفاظ واختار ابو حاتم هذه اتباعا للغة وقرئ بحذفها وصلا ووقفا تنازع في كتابيه هاؤم واقرؤا فاعمل الاول عند الكوفيين والثاني عند البصريين واضمر في الآخر اي هاؤم اقرؤا كتابيه او هاؤم اقرؤه كتابيه إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ اي علمت وايقنت في الدنيا اني احاسب في الآخرة وقيل المعنى اني ظننت ان يؤاخذني الله بسيئاتي فقد تفضل علي بعفوه ولم يؤاخذني قال الضحاك كل ظن في القرآن من المؤمن فهو يقين ومن الكافر فهو شك قال

مجاهد ظن الآخرة يقين وظن الدنيا شك قال الحسن في هذه الآية ان المؤمن احسن الظن بربه فاحسن العمل للآخرة
وان الكافر اساء الظن بربه فاساء العمل قيل والتعبير بالظن هنا للاشعار بانه لا يقدح في الاعتقاد ما يهجس في
النفس من الخطرات التي لا تنفك عنها العلوم النظرية غالبا قال ابن عباس ظننت اي ايقنت قال النسفي وانما
اجرى الظن مجرى العلم لان الظن الغالب يقوم مقام العلم في العادات والاحكام ولان ما يدرك بالاجتهاد قلما يخلو
عن الوسواس والخواطر وهي تفضي الى الظنون فجاز اطلاق لفظ الظن عليها لما لا يخلو عنه ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾
اي مرضية لا مكروهة او ذات رضى يرضى بها صاحبها لا يضجر منها ولا يملها ولا يسأمها قال ابو عبيدة و
الفراء راضية اي مرضية كقوله ماء دافق اي مدفوق فقد اسند الى العيشة ما هو لصاحبها فكان ذلك
من المجاز في الاسناد والعرب لا تعبر عن اكثر السعادات باكثر من العيشة الراضية والمعتبر في كمال اللذة الرضا
وقيل المعنى انه لو كان للمعيشة عقل لرضيت لنفسها بحالتها ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ اي مرتفعة المكان لانها في السماء
السابعة او مرتفعة المنازل والمباني او عظيمة في النفوس وهو خبر بعد خبر ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ القطوف جمع
قطف بكسر القاف ما يقطف من الثمار والقطف بالفتح مصدر والقطاف بالفتح والكسر وقت القطف
والمعنى ان ثمارها قريبة ممن يتناولها من قائم او قاعد او مضطجع او متكئ عن البراء بن عازب دانية
قريبة يتناول الرجل من فواكهها وهو قائم ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ اي يقال لهم كلوا واشربوا في الجنة وجمع
الضمير مراعاة للمعنى وهذا امر امتنان لا امر تكليف ﴿هَنِيئًا﴾ اي كلا طيبا لذيذا وشربا هنيئا شهيا مريا لا تكدير فيه
ولا تنغيص ﴿بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ اي بسبب ما قدمتم من الاعمال الصالحة في الدنيا وقال مجاهد هي ايام الصيام ﴿وَأَمَّا
مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾ قيل تكون يده اليسرى خلف ظهره ثم يعطى كتابه بها وقيل تنزع يده اليسرى من صدره
الى خلف ظهره ﴿فَيَقُولُ﴾ حزنا وكربا لما رأى فيه من سيئاته وسوء عاقبته التي كشف له عنها الغطاء ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ
أُوتَ﴾ اي لم اعط ﴿كِتَابِيَهْ﴾ لما يرى فيه من الفضائح ﴿وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾ اي لم ادر اي شيء حسابي لان كله
عليه والاستفهام للتعظيم والتهويل اي بل استمريت جاهلا لا كذلك كما كنت في الدنيا ﴿يَا لَيْتَهَا﴾ اي ليت الموتة
التي متها ﴿كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾ ولم احي بعدها ومعنى القاضية القاطعة للحيوة والمعنى انه تمنى دوام الموت وعدم
البعث لما شاهد من سوء عمله وما يصير اليه من العذاب فالضمير في ليتها يعود الى الموتة التي قد كان ماتها
وان لم تكن مذكورة لانها لظهورها كانت كالمذكورة قال قتادة تمنى الموت ولم يكن في الدنيا شيء عنده اكره
من الموت وشر من الموت ما يطلب منه الموت وقيل الضمير يعود الى الحالة التي شاهدها عند مطالعة الكتاب

والمعنى ياليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضيت علي لانه رأى تلك الحالة اشنع وامر مما ذاقه من مرارة الموت ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ﴾ اي لم يدفع عني من عذاب الله شيئا على ان ما نافية او استفهامية والمعنى اي شيء اغنى عني مالي الذي منعت منه حق الفقراء وتعظمت به على عباد الله وصنيع الخطيب يقتضي ان مالي كلمة واحدة بمعنى المال وفي ابي السعود ماكان لي من اليسار ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ﴾ اي هلكت وضلت وغابت عني حجتي كذا قال مجاهد وعكرمة والسدي والضحاك وقال ابن زيد يعني سلطاني الذي في الدنيا وهو الملك لم اجد له الآن نفعا وبقيت حقيرا ذليلا وقيل تسلطي على جوارحي قال مقاتل يعني حين شهدت عليه الجوارح بالشرك وحينئذ يقول الله عز وجل ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ اي اجمعوا يديه الى عنقه بالاغلال والخطاب لخزنة جهنم اي زبانيتها وسياتي في سورة المدثر ان عدتهم تسعة عشر قيل ملكا وقيل صفا وقيل صنفا حكى الثلاثة الرازي ﴿ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ اي ادخلوه الجحيم والمعنى لا تصلوه الا الجحيم وهي النار العظيمة والترتيب بثم في الزمان فان ادخاله النار بعد غله وكذلك ادخاله في السلسلة كما ياتي بعد ادخاله النار والتراخي لافادتها التفاوت في الرتب فكل واحد من المعطوفين بها اشد في العذاب واعلى مما قبله وفي الخطيب صلوه اي بالغوا في تصليته اياها وكرروها بغمسه في النار كالشاة المصلية مرة بعد مرة لانه كان يتعاظم على الناس فناسب ان يصلى اعظم النيران ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ﴾ عظيمة جدا والسلسلة حلق منتظمة كل حلقة منها في حلقة ﴿ذَرْعُهَا﴾ اي طولها ﴿سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ قال الحسن الله اعلم باي ذراع هو وقيل بذراع الملك قال نوف الشامي كل ذراع سبعون باعا كل باع ابعد مابينك وبين مكة وكان نوف في رحبة الكوفة قال مقاتل لو ان حلقة منها وضعت على ذروة جبل لذاب كما يذوب الرصاص وقال ابن جريج لا يعرف قدرها الا الله وهذا العدد حقيقة او مبالغة ومعنى ﴿فَٱسْلُكُوهُ﴾ فاجعلوه فيها بحيث يكون كانه السلك اي الحبل الذي يدخل في ثقب الخرزات بعسر لضيق ذلك الثقب اما باحاطتها بعنقه او بجميع بدنه بان تلف عليه يقال سلكته الطريق اذا ادخلته فيه ولم تمنع الفاء من تعلق الفعل اي الداخلة عليه بالظرف المتقدم وهو في سلسلة وتقديمها كتقديم الجحيم للدلالة على التخصيص والاهتمام بذكر انواع مايعذبون به وثم لتفاوت مابينها في الشدة لا للدلالة على تراخي المدة قال سفيان بلغنا انها تدخل في دبره حتى تخرج من فيه قال الكلبي تسلك سلك الخيط في اللؤلؤ وقال سويد بن ابي نجيح بلغني ان جميع اهل النار في تلك السلسلة قال ابن عباس السلسلة تدخل في استه ثم تخرج من فيه ثم ينظمون فيها كما ينظم الجراد في العود ثم يشوى

وجملة إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ تعليل لما قبلها على طريق الاستيناف وذكر العظيم للاشعار بانه هو
المستحق للعظمة فمن لا يعظمه فقد استوجب ذلك وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ اي لا يحث ولا يحرض نفسه
على اطعامه من ماله او لا يحث الغير على اطعامه ووضع الطعام موضع الاطعام كما وضع العطاء موضع
الاعطاء والاضافة للمفعول ويجوز ان يكون في الكلام حذف المضاف اي على بذل طعام المسكين والاضافة
له لكونه مستحقه واخذه فهي لادنى ملابسة فالحض البعث والحث على الفعل والحرص على وقوعه ومنه حروف
التحضيض المبوب له في النحو لانه يطلب به وقوع الفعل وايجاده وفيه اشارة الى انه كان لا يؤمن بالبعث لان
الناس لا يطلبون على المساكين الجزاء فيما يطعمونهم وانما يطعمونهم لوجه الله ورجاء الثواب في الآخرة فاذا لم يؤمن
بالبعث لم يكن له ما يحمله على اطعامهم وفي جعل هذا قرينا لترك الايمان بالله من الترغيب في التصدق
على المساكين وسد فاقتهم وحث النفس والناس على ذلك ما يدل ابلغ دلالة ويفيد اكمل فائدة على ان منعهم
من اعظم الجرائم واشد المآثم وعن ابي الدرداء قال ان لله سلسلة لم تزل تغلي منها مراجل النار منذ خلق
الله جهنم الى يوم تلقى في اعناق الناس وقد نجانا الله من نصفها بايماننا بالله العظيم فحضي على طعام المسكين
يا ام الدرداء اخرجه ابو عبيد وعبد بن حميد وابن المنذر وقال الحسن ادركت اقواما يعزمون على اهليهم
ان لا يردوا سائلا وكان بعضهم يامر اهله بتكثير المرقة لاجل المساكين ويقول خلعنا نصف السلسلة
بالايمان افلا نخلع النصف الثاني بالاطعام وقيل لعل وجه التخصيص لهذين الامرين بالذكر ان اقبح العقائد
الكفر بالله تعالى واشنع الرذائل البخل وقسوة القلب فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا اي يوم القيامة في الآخرة حَمِيمٌ
اي قريب ينفعه او يشفع له ويحترق له قلبه لانه يوم يفر فيه القريب من قريبه ويهرب عنه الحبيب من حبيبه
وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ اي وليس له طعام يأكله الا من صديد اهل النار وما ينغسل من ابدانهم
من القيح والصديد وغسلين فعلين من الغسل او الغسالة فنونه وياؤه زائدتان قال اهل اللغة هو ما
يجري من الجراح اذا ما غسلت وقال الضحاك والربيع بن انس هو شجر يأكله اهل النار وقال قتادة هو شر
الطعام وقال ابن زيد لا يعلم ما هو ولا ما الزقوم الا الله تعالى وعن ابن عباس قال الغسلين الدم والماء
والصديد الذي يسيل من لحومهم وعن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو ان دلوا
من غسلين يهراق في الدنيا لانتن اهل الدنيا اخرجه الحاكم وصححه وعن ابن عباس ايضا
قال الغسلين اسم طعام من اطعمة اهل النار وقال سبحانه في موضع آخر ليس لهم طعام الا من

ضريع فيجوز ان يكون الضريع هو الغسلين وقيل في الكلام تقديم وتاخير والمعنى فليس له اليوم ههنا حميم
الا من غسلين على ان الحميم هو الماء الحار ولا طعام اي ليس لهم طعام ياكلونه قاله ابو البقاء ولا ملجئ لهذا
التقديم والتاخير والتوفيق بين ما ههنا وبين قوله في محل اخر الا من ضريع وفي موضع اخر ان شجرت
الزقوم طعام الاثيم وفي موضع اخر ما ياكلون في بطونهم الا النار انه يجوز ان يكون طعامهم جميع ذلك
او ان العذاب انواع والمعذبين طبقات فمنهم اكلة الغسلين ومنهم اكلة الضريع ومنهم
اكلة الزقوم ومنهم اكلة النار لكل باب منهم جزء مقسوم لَّا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ المراد بهم
اصحاب الخطايا وارباب الذنوب قال الكلبي المراد الشرك (اهل) قرأ الجمهور الخاطئون مهموزا وهو اسم
فاعل من خطئ يخطأ من باب علم اذا فعل غير الصواب متعمدا والمخطي من يفعله غير متعمد
وقرئ الخاطيون بالياء المضمومة بدل الهمزة وقرئ بالطاء المضمومة بدون همزة فَلَا أُقْسِمُ
بِمَا تُبْصِرُونَ من المخلوقات وَمَا لَا تُبْصِرُونَ منها قال قتادة اقسم بالاشياء كلها ما يبصر منها
وما لا يبصر فيدخل في هذا جميع المخلوقات والاقسام بغير الله انما نهي عنه في حقنا واما هو تعالى
فيقسم بما شاء على ما شاء وهذا رد لكلام المشركين كانه قال ليس الامر كما تقولون ولا زائدة والتقدير
فاقسم بما يشاهدونه وما لا يشاهدونه وقيل ان لا ليست بزائدة بل هي اصلية لنفي القسم اي
لا احتاج الى قسم لوضوح الحق في ذلك والاول اولى وقال البيضاوي فلا اقسم لظهور الامر واستغنائه
عن التحقيق بالقسم او فلا رد لانكارهم البعث واقسم مستانف قال الكرخي واما حمله على معنى نفي
الاقسام لظهور الامر فيرده تعيين المقسم به بقوله بما تبصرون الخ انتهى إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ
اي ان القرآن لتلاوة رسول كريم على الله فهو في غاية الكرم الذي هو البعد عن مساوي الاخلاق
على ان المراد بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم او انه لقول يبلغه رسول كريم قال الحسن والكلبي ومقاتل
يريد به جبريل دليله قوله انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين وعلى كل حال
فالقرآن ليس من قول محمد صلى الله عليه وسلم ولا من قول جبريل عليه السلام بل هو من قول الله عز وجل
فلا بد من تقدير التلاوة او التبليغ وفي لفظ الرسول ما يدل على ذلك فاكتفى به عن ان يقول عن الله
تعالى وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ كما تزعمون لانه ليس من اصناف الشعر ولا مشابها لها والشاعر هو الذي
ياتي بكلام مقفى موزون بقصد الوزن قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ اي ايمانا قليلا تؤمنون وتصديقا يسيرا

ع ٢٧

تصدقون وقال البغوي اراد بالقليل نفي ايمانهم وتذكرهم اصلا كقولك لمن لا يزورك قلما تاتينا وانت تريد لا تاتينا اصلا وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ كما تزعمون فان الكهانة امر اخر لا جامع بينها وبين هذا قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ قرئ بالتاء وقرئ بالياء التفاتا عن الخطاب الى الغيبة اي تذكرا قليلا او زمانا قليلا تتذكرون وما زائدة في الموضعين وذكر الايمان مع نفي الشعر والتذكر مع نفي الكهانة لان عدم مشابهة القرآن للشعر امر بين لا ينكره الا معاند كافر بخلاف مباينته لكهانة فانها تتوقف على تذكر احوال الرسول وتذكر معاني القرآن المنافية لطريقة الكهانة ومعاني اقوالهم قال ابو جهل ان محمد صلى الله عليه وسلم شاعر وقال الوليد بن المغيرة ساحر وقال عقبة كاهن فنزلت هذه الاية كذا قال مقاتل تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ اي هو تنزيل منه على لسانه وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ قرأ الجمهور تقول مبنيا للفاعل وقرئ مبنيا للمفعول مع رفع بعض وقرئ ولو يقول على صيغة المضارع والتقول تكلف القول وسمي الافتراء تقولا لانه قول متكلف وكل كاذب يتكلف ما يكذب به والاقاويل جمع اقوال جمع قول فهو نظير اباييت جمع ابيات جمع بيت وسميت الاقوال المنقولة اقاويل تصغير الها وتحقيرا كقولك الاعاجيب والاضاحيك كانها جمع اقوولة من القول والمعنى ولو تقول ذلك الرسول وهو محمد صلى الله عليه وسلم او جبريل عليه السلام على ما تقدم وجاء به من جهة نفسه وادعى علينا شيئا لم نقله لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ اي بيده اليمين قال ابن جرير ان هذا الكلام خرج مخرج الاذلال على عادة الناس في الاخذ بيد من يعاقب وقال الفراء والمبرد والزجاج وابن قتيبة باليمين اي بالقوة والقدرة وبه قال ابن عباس وقال ابن قتيبة انما اقام اليمين مقام القوة لان قوة كل شيء في ميامنه وقيل المعنى لقتلناه صبرا كما يفعل الملوك بمن يتكذب عليهم معاجلة بالسخط والانتقام وقيل المعنى لاذللناه واهناه ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ هو عرق يجري في الظهر حتى يتصل بالقلب وهو نياطه اذا قطع مات صاحبه قال الواحدي والمفسرون يقولون انه نياط القلب وقال ابن عباس عرق القلب وعنه قال نياط القلب وعن مجاهد هو حبل القلب الذي في الظهر وهو النخاع وقال محمد بن كعب انه القلب ومراقه وما يليه وقال الكلبي انه عرق بين العلباء والحلقوم والعلباء عصب العنق وهما علباوان بينهما العرق قال ابن قتيبة لم يرد انا نقطعه بعينه بل المراد منه انه لو كذب علينا لامتناه فكان كمن قطع وتينه فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ اي ليس منكم احد يحجزنا عنه ويدفعنا منه

فكيف يتكلف الكذب على الله لاجلكم مع علمه انه لو تكلف ذلك لعاقبناه ولا يقدرون على الدفع عنه وانما قال حاجزين بلفظ الجمع وهو وصف احد رداً على معناه ﴿وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ اي ان القران لتذكرة لاهل التقوى لانهم المنتفعون به لاقبالهم عليه اقبال مستفيد والظاهر ان هذا وما بعده معطوف على جواب القسم السابق فهو من جملة المقسم عليه وما بينهما اعتراض ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ﴾ اي ان بعضكم يكذب بالقران فنحن نجازيهم على ذلك بما يليق به اظهار العدل وفي هذا وعيد شديد ﴿وَإِنَّهُ﴾ اي القران ﴿لَحَسْرَةٌ﴾ وندامة ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ يوم القيامة عند مشاهدتهم لثواب المؤمنين وقيل هي حسرتهم في الدنيا حين لم يقدروا على معارضته عند تحديهم بان ياتوا بسورة من مثله ﴿وَإِنَّهُ﴾ اي القران ﴿لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ اي عينه ومحضه لكونه من عند الله فلا يحول حوله ريب ولا ينطرق اليه شك وهو من اضافة الصفة للموصوف اي لليقين الحق وحق اليقين فوق علم اليقين وقيل هو كقولك عين اليقين ومحض اليقين ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ اي نزهه عما لا يليق به وقيل فصل لربك والاول اولى وقيل هو قوله سبحان الله ﴿﴾ ﴿﴾ ﴿﴾

سورة سال ويقال سورة المعارج هي اربع واربعون اية وهي مكية

قال القرطبي بالاتفاق عن ابن عباس قال نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ قرأ الجمهور سأل بالهمزة من السؤال وهي اللغة الفاشية وهو اما مضمن معنى الدعاء فلذلك عدي بالباء كما تقول دعوت بكذا والمعنى دعا داع على نفسه ﴿بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ ويجوز ان يكون على اصله والباء بمعنى عن كقوله فاسأل به خبيرا وقرئ بغير همزة وهو اما من باب التخفيف بقلب الهمزة الفا فيكون معناها معنى قراءة من همز او يكون من السيلان والمعنى سال واد في جهنم يقال له سائل كما قال زيد بن ثابت ويؤيده قراءة ابن عباس سال سيل وقيل ان سأل بمعنى التمس والمعنى التمس ملتمس عذابا للكافرين فتكون الباء زائدة كقوله تنبت بالدهن والوجه الاول هو الظاهر قال الاخفش يقال خرجنا نسأل عن فلان وبفلان قال ابو علي الفارسي واذا كان من السؤال فاصله ان يتعدى الى مفعولين ويجوز الاقتصار على احدهما

ويتعدى اليه بحرف الجر فيكون التقدير سأل سائل الله او النبي صلى الله عليه وسلم او المسلمين بعذاب او عن
عذاب وهذا السائل هو النضر بن الحارث حين قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا
حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم وهو ممن قتل يوم بدر صبرا وعن ابن عباس مثله وقال الربيع هو
ابو جهل وقيل هو الحارث بن النعمان الفهري وقيل انها نزلت في جماعة من كفار قريش والاول اولى
وقرئ وسال سايل مثل مال مايل على ان الاصل سائل فحذفت العين تخفيفا كما قيل شاك في شائك
السلاح وقيل السائل هو نوح عليه السلام سأل العذاب للكافرين وقيل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعى
بالعقاب عليهم والمراد بالعذاب الواقع اما في الدنيا كيوم بدر او في الآخرة وهو عذاب النار وصيغة
الماضي للدلالة على تحقق وقوعه وقوله للكافرين صفة اخرى لعذاب اي كائن لهم او متعلق بواقع واللام
للعلة او بسأل على تضمينه معنى دعا او في محل رفع على تقدير هو للكافرين او اللام بمعنى على ويؤيده قراءة أبي
على الكافرين قال الفراء التقدير بعذاب للكافرين واقع بهم فالواقع من نعت العذاب وجملة ليس له دافع
صفة اخرى لعذاب او حال منه او مستأنفة والمعنى انه لا يدفع ذلك العذاب الواقع به احد وقوله من الله
متعلق بواقع اي واقع من جهته سبحانه ولم يمنع النفي من ذلك لان ليس فعل لا حرف فصح ان يعمل ما قبلها
فيما بعدها او متعلق بدافع اي ليس له دافع من جهته تعالى اذا جاء وقته ذي المعارج اي ذي الدرجات
التي تصعد فيها الملائكة وقال ابن عباس ذي العلو والفواضل وقال الكلبي هي السموات وسماها معارج لان
الملائكة تعرج فيها وقيل المعارج مراتب نعم الله سبحانه على الخلق وقيل المعارج العظمة وقيل هي الغرف
وقيل الاعمال الصالحة فانها تتفاوت بحسب اجتماع الآداب والسنن وخلوص النية وحضور القلب وقرأ
ابن مسعود ذي المعاريج يقال معارج ومعاريج مثل مفاتح ومفاتيح جمع معرج بفتح الميم وهو موضع الصعود
لا بكسرها لانه آلة الصعود وهو غير مناسب لهذا المقام تعرج الملائكة والروح اليه اي تصعد في
تلك المعارج التي جعلها الله لهم قرأ الجمهور تعرج بالفوقية وقرئ بالتحتية والروح جبريل افرد بالذكر بعد
الملائكة لشرفه ويؤيد هذا قوله نزل به الروح الامين وقيل الروح هنا ملك آخر عظيم غير جبريل
وقال ابو صالح انه خلق من خلق الله سبحانه كهيئة الناس وليسوا من الناس وقال قبيصة بن ذؤيب
انه روح الميت حين يقبض والاول اولى ومعنى اليه الى المكان الذي ينتهون اليه وقيل الى عرشه وقيل
الى مهبط امره من السماء وقيل هو كقول ابراهيم اني ذاهب الى ربي اي الى حيث امرني ربي في يوم كان

مقداره خمسين الف سنة قال ابن اسحاق والكلبي ووهب بن منبه عليه تعرج الملائكة الى المكان الذي
هو محلها في وقت كان مقداره على غيرهم لو صعد خمسين الف سنة وبه قال مجاهد وقال عكرمة وروي
عن مجاهد ان مدة عمر الدنيا هذا المقدار لا يدري احدكم مضى وكم بقي ولا يعلم ذلك الا الله والكلام على
مدة عمر الدنيا ماضيها وباقيها مبسوط في كتابنا لقطة العجلان مما تمس اليه حاجة الانسان وقال قتادة
والكلبي ومحمد بن كعب المراد يوم القيامة يعني ان مقدار الامر فيه لو تولاه غيره سبحانه خمسون الف سنة
وهو سبحانه يفرغ منه في ساعة وقيل ان مدة موقف العباد للحساب هي هذا المقدار ثم يستقر بعد ذلك
اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار وقيل ان مقدار يوم القيامة على الكافرين خمسون الف سنة
وعلى المؤمنين مقدار ما بين الظهر والعصر وقيل ذكر هذا المقدار لمجرد التمثيل والتخييل لغاية ارتفاع تلك
المعارج وبعد مداها او لطول يوم القيامة باعتبار ما فيه من الشدائد والمكاره كما تصف العرب ايام
الشدة بالطول وايام الفرح بالقصر ويشبهون اليوم القصير بابهام القطاة والطويل بظل الرمح وحينئذ
لا تنافي بين هذه الاية وبين اية السجدة في يوم كان مقداره الف سنة لانه ايضا مسوق على سبيل
التشديد على الكافرين وقيل في الكلام تقديم وتاخير اي ليس له دافع من الله ذي المعارج في يوم كان مقداره
خمسين الف سنة تعرج الملائكة والروح اليه وقال ابن عباس في الاية منتهى امره من اسفل الارضين
الى منتهى امره من فوق سبع سموات مقدار خمسين الف سنة ويوم كان مقداره الف سنة قال يعني بذلك
ينزل الامر من السماء الى الارض ومن الارض الى السماء في يوم واحد فذلك مقدار الف سنة لان ما بين
السماء والارض مسيرة خمسمائة عام وعنه قال غلظ كل ارض خمسمائة عام وغلظ كل سماء خمسمائة عام
وبين كل ارض الى ارض خمسمائة عام ومن السماء الى السماء خمسمائة عام فذلك اربعة عشر الف عام
وبين السماء السابعة وبين العرش مسيرة ستة وثلاثين الف عام فذلك قوله في يوم كان مقداره خمسين
الف سنة وعنه في قوله في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون قال هذا في الدنيا تعرج الملائكة
في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون وفي قوله مقداره خمسين الف سنة فهذا يوم القيامة
جعله الله سبحانه على الكافرين مقدار خمسين الف سنة وعنه قال لو قدرتموه لكان خمسين الف
سنة من ايامكم يعني يوم القيامة وعن ابي سعيد الخدري قال قيل يا رسول الله يوم كان مقداره
خمسين الف سنة ما اطول هذا اليوم فقال والذي نفسي بيده انه ليخفف عن المؤمن حتى يكون

اهون عليه من صلوة مكتوبة يصليها في الدنيا اخرجه احمد وابو يعلى وابن جرير وابن ابي حاتم والبيهقي في البعث وفي اسناده دراج عن ابي الهيثم وهما ضعيفان وعن ابي هريرة مرفوعا قال ما قدر طول يوم القيامة على المؤمنين الا كقدر ما بين الظهر الى العصر اخرجه ابن ابي حاتم والحاكم والبيهقي في البعث ولو كان المراد حقيقة العدد لم يعقل ان الزمان الواحد يكون مقداره خمسين الف سنة ويكون مقداره الف سنة ويكون مقداره قدر صلوة ركعتين وقيل العدد على حقيقته فان يوم القيامة خمسون موطنا كل موطن الف سنة والله اعلم بمراده بذلك وقد قيل في الجمع ان من اسفل العالم الى العرش خمسين الف سنة ومن اعلى سماء الدنيا الى الارض الف سنة لان غلظ كل سماء خمسمائة عام وما بين اسفل السماء الى قرار الارض خمسمائة عام كما تقدم فالمعنى ان الملائكة اذا عرجت من اسفل العالم الى العرش كان مسافة ذلك خمسين الف سنة وان عرجوا من هذه الارض التي نحن فيها الى باطن هذه السماء التي هي سماء الدنيا كان مسافة ذلك الف سنة وقد تقدم ما يؤيد هذا عن ابن عباس وقد قدمنا الجمع بين هذه الآية وآية السجدة في سورة السجدة فتذكر ثم امر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم بالصبر فقال فَاصْبِرْ يا محمد على تكذيبهم لك وكفرهم بما جئت به صَبْرًا جَمِيلًا لا جزع فيه ولا شكوى الى غير الله وهذا معنى الصبر الجميل وقيل هو ان يكون صاحب المصيبة في القوم لا يدرى بانه مصاب قال ابن زيد وغيره هي منسوخة بآية السيف قال ابن عباس في الآية لا تشكو الى احد غيري إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ اي يرون العذاب الواقع بهم ويعتقدونه او يرون يوم القيامة او يرون يوما كان مقداره خمسين الف سنة بَعِيدًا اي غير كائن لانهم لا يؤمنون به فمعنى بعيدا اي مستبعدا محالا وليس المراد انهم يرونه بعيدا غير قريب قال الاعمش يرون البعث بعيدا لانهم لا يؤمنون به كانهم يستبعدونه على جهة الاستحالة كما تقول لمن تناظره هذا بعيد اي لا يكون وَنَرَاهُ قَرِيبًا اي نعلمه كائنا قريبا لان ما هو آت قريب وقيل المعنى نريه هينا في قدرتنا غير متعسر ولا متعذر والجملة تعليل للامر بالصبر ثم اخبر سبحانه متى يقع بهم العذاب فقال يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ اي يقع بهم العذاب يوم كذا والمهل ما اذيب من النحاس والرصاص والفضة وقال مجاهد هو القيح من الصديد والدم وقال عكرمة وغيره هو دردي الزيت ونحوه قال ابن عباس وقد تقدم تفسيره في سورة الكهف والدخان وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ اي كالصوف المصبوغ ولا يقال للصوف عهن الا اذا كان مصبوغا قال الحسن تكون الجبال كالصوف الاحمر وهو اضعف

الصوف وقيل العهن الصوف ذو الالوان فشبه الجبال به في تكونها الوانا كما في قوله جدد بيض وحمر وغرابيب سود فاذا بست وطيرت في الهواء اشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح وهذه الاقوال في معنى العهن في اللغة واول ما تتغير الجبال تصير رملا مهيلا ثم عهنا منفوشا ثم هباء منثورا ﴿ولا يسأل حميم حميما﴾ اي لا يسأل قريب قريبه عن شانه في ذلك اليوم لما نزل بهم من شدة الاهوال التي اذهلت القريب عن قريبه والخليل عن خليله كما قال سبحانه لكل امرء منهم يومئذ شان يغنيه وقيل المعنى لا يسأل حميم عن حميم لشغله عنه فحذف الحرف ووصل الفعل قرأ العامة يسأل مبنيا للفاعل والمفعول الثاني محذوف والمعنى لا يسأله نصره ولا شفاعته لعلمه ان ذلك مفقود فيه او لا يسأل شيئا من حمل اوزاره وقرئ على البناء للمفعول والمعنى لا يسال حميم احضار حميمه وقيل هذه القراءة على اسقاط حرف الجر اي لا يسأل حميم عن حميم بل كل انسان يسأل عن نفسه وعن عمله وقيل لا يطالب به ولا يؤخذ بذنبه وجملة ﴿يبصرونهم﴾ مستانفة اوصفة لقوله حميما اي يبصر كل حميم حميمه لا يخفى منهم احد عن احد وليس في القيامة مخلوق الا وهو نصب عين صاحبه ولا يتساءلون ولا يكلم بعضهم بعضا لاشتغال كل احد منهم بنفسه وقال ابن زيد يبصر الله الكفار في النار الذين اضلوهم في الدنيا وهم الرؤساء المتبوعون وقيل ان قوله يبصرونهم يرجع الى الملائكة اي يعرفون احوال الناس لا يخفون عليهم وانما جمع الضميرين في يبصرونهم وهما للحميمين حملا على معنى العموم لانهما نكرتان في سياق النفي قاله السمين والزمخشري قال الطيبي وفيه دليل على ان الفاعل والمفعول الواقعين في سياق النفي يعمان كما التزم في قوله والله لا اشرب ماء من اداوة انه يعم المياه والاداوة خلافا لبعضهم في الاداوة قال ابن عباس يبصرونهم يعرف بعضهم بعضا ويتعارفون ثم يفر بعضهم من بعض قرأ الجمهور يبصرونهم بالتشديد وقرئ بالتخفيف ﴿يود المجرم﴾ اي الكافر او كل مذنب يذنب ذنبا يستحق به النار ﴿لو﴾ بمعنى ان ﴿يفتدي من عذاب يومئذ﴾ اي العذاب الذي ابتلوا به يومئذ قرأ الجمهور باضافة العذاب وكسر الميم من يومئذ وقرئ بالتنوين وقطع الاضافة وبفتح الميم ﴿ببنيه وصاحبته﴾ زوجته ﴿واخيه﴾ فان هؤلاء اعز الناس عليه واكرمهم لديه فلو قبل منه الفداء لفدى بهم نفسه وخلص مما نزل به من العذاب والجملة مستانفة لبيان ان اشتغال كل مجرم بنفسه بلغ بحيث يود الافتداء من العذاب بمن ذكر وقيل حال من الضمير المرفوع او المنصوب في يبصرونهم ﴿وفصيلته التي تؤويه﴾ اي عشيرته الاقربين الذين يضمونه في النسب او عند الشدائد ويأوي اليهم قال ابو عبيدة الفصيلة دون القبيلة

وقال ثعلب هم اباؤهم الادنون قال المبرد الفصيلة القطيعة من اعضاء الجسد وسميت عشيرة الرجل
فصيلة تشبيها لها بالبعض منه وقال مالك ان الفصيلة هي التي تربيه ومن اي وود المجرم لو افتدى
بمن في الارض جميعا من الثقلين وغيرهم من الخلائق وقوله ثم ينجيه معطوف على يفتدي اي يود
لو يفتدي ثم ينجيه الافتداء وكان العطف بثم لدلالتها على استبعاد النجاة وقيل ثم ينجيه جواب يود والاول
اولى كلا ردع للمجرم عن تلك الودادة وبيان امتناع ما وده من الافتداء وكلا ياتي بمعنى حقا وبمعنى لا النافية
مع تضمنها لمعنى الزجر والردع وهي هنا تحتمل الامرين انها لظى الضمير عائد الى النار المدلول عليها بذكر العذاب
او هو ضمير مبهم يفسره ما بعده ويترجم عنه الخبر قاله الزمخشري او ضمير القصة ولظى علم لجهنم واشتقاقها
من التلظي في النار وهو التلهب وبذلك منع من الصرف للعلمية والتانيث وقيل اصله لظظ بمعنى دوام العذاب
فقلبت احدى الظائين الفا وقيل لظى هي الدركة الثانية من طباق جهنم نزاعة للشوى قرا الجمهور
نزاعة بالرفع على انه خبر ثان لان او خبر مبتدا محذوف او تكون لظى بدلا من الضمير المنصوب ونزاعة
خبر ان او على ان نزاعة صفة للظى على تقدير عدم كونها علما او يكون الضمير في انها للقصة ويكون
لظى مبتدا ونزاعة خبره والجملة خبر ان وقرئ بالنصب على الحال وقال ابو علي الفارسي حمله على الحال
بعيد لانه ليس في الكلام ما يعمل في الحال وقيل العامل فيها ما دل عليه الكلام من معنى التلظي والنصب
على الاختصاص والشوى الاطراف جمع شواة كنوى ونواة وهي جلدة الراس وقال الحسن وثابت البناني
الشوى اي مكارم الوجه وحسنه وكذا قال ابو العالية وقتادة وقال قتادة تبري اللحم والجلد عن العظم حتى
لا تترك فيه شيئا وقال الكسائي هي المفاصل وقال ابو صالح هي اطراف اليدين والرجلين وقال ابن عباس
تنزع ام الراس وقيل الشوى الاعضاء التي ليست بمقتل وقيل هو جلد الانسان تدعو لظى من ادبر
عن الحق في الدنيا وتولى اي اعرض عنه قيل انها تقول الي يا مشرك الي يا منافق ثم تلتقطهم التقاط
الطير الحب وقيل معنى تدعو تهلك تقول العرب دعاك الله اي اهلكك وقيل ليس هو الدعاء باللسان
ولكن دعاؤها اياهم تمكنها من عذابهم وقيل المراد ان خزنة جهنم تدعو الكافرين والمنافقين فاسند
الدعاء الى النار من باب اسناد ما هو للحال الى المحل وقيل هو تمثيل وتخييل ولا دعاء في الحقيقة
والمعنى ان مصيرهم اليها والاول اولى لقوله وتقول هل من مزيد ولا موجب للصرف عن الظاهر والله على كل
شيء قدير وجمع فاوعى اي جمع المال فجعله في وعاء ولم يؤد حق الله منه وفي هذا ذم لمن جمع المال

فأوعاه وكنزه ولم ينفقه في سبيل الخير او لم يؤد زكوته إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ اي الجنس عبر به لما له من الانس بنفسه
والرؤية لمحاسنها والنسيان لربه ولدينه خُلِقَ هَلُوعًا قال في الصحاح الهلع في اللغة اشد الحرص و
اسوء الجزع والفحشه يقال هلع بالكسر فهو هلع وهلوع على التكثير وقال عكرمة هو الضجور وقال ابن عباس هو الشره قال
الواحدي والمفسرون يقولون تفسير الهلع ما بعده يعني قوله إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا
وبه قال ابن عباس اي اذا اصابه الفقر والحاجة او المرض او نحو ذلك فهو كثير الجزع واذا اصابه الخير من الغنى
والخصب والسعة ونحو ذلك فهو كثير للمنع والامساك وسأل محمد بن عبد الله بن طاهر ثعلبا عن الهلع فقال
قد فسره الله ولا يكون تفسيرا ابين من تفسيره وهو الذي اذا اصابه شر اظهر شدة الجزع واذا مسه الخير
بخل به ومنعه الناس والعرب تقول ناقة هلوع وهلواع اذا كانت سريعة السير خفيفته وقال ابو عبيدة الهلوع
هو الذي اذا مسه الخير لم يشكر واذا مسه الشر لم يصبر وانتصاب هلوعا وجزوعا ومنوعا على الحال وهي
مقدرة لانه ليس متصفا بالصفات المذكورة وقت خلقه ولا وقت ولادته او محققة لكونها طبائع جبل الانسان
عليها والظرفان معمولان لجزوعا ومنوعا وقوله إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ من قبيل استثناء الجمع من الواحد لان الانسان
واحد وفيه معنى الجمع اي المؤمنين المقيمين للصلوة لان الصلوة الشرعية تستلزم الايمان يعني انهم ليسوا على
تلك الصفات من الهلع والجزع والمنع وانهم على صفات محمودة وخلال مرضية لان ايمانهم وما تمسكوا به من
التوحيد ودين الحق يزجرهم عن الاتصاف بتلك الصفات ويحملهم على الاتصاف بصفات الخير ثم بينهم سبحانه
فقال ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ اي مواظبون اي لا يشغلهم عنها شاغل ولا يصرفهم عنها صارف و
لا يتركونها اداء ولا قضاء اي يفعلونها ولو قضاء وليس المراد بالدوام انهم يصلون ابدا قال الزجاج هم الذين
لا يزيلون وجوههم عن سمت القبلة وقال الحسن وابن جريج هو التطوع منها قال النخعي المراد بالمصلين الذين
يؤدون الصلوة المكتوبة وقال ابن مسعود الذين يصلونها لوقتها وعن عمران بن حصين قال الذي لا يلتفت
في صلوته وعن عقبة بن عامر قال هم الذين اذا صلوا لم يلتفتوا والمراد بالآية جميع المؤمنين وقيل الصحابة
خاصة ولا وجه لهذا التخصيص لاتصاف كل مؤمن بانه من المصلين وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقٌّ مَّعۡلُومٌ قال
قتادة ومحمد بن سيرين المراد الزكوة المفروضة وقال مجاهد سوى الزكوة وقيل صلة الرحم وحمل الكل والظاهر
انه الزكوة المفروضة لوصفه بكونه معلوما ولجعله قرينا للصلوة لِّلسَّآئِلِ اي الذي يسئل الناس وَٱلۡمَحۡرُومِ
اي الذي يتعفف عن السؤال فيحسب غنيا فيحرم على حد يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف وقد تقدم تفسير

السائل والمحروم في سورة الذاريات وفي سورة المؤمنين مستوفى والذين يصدقون بيوم الدين اي يوم
الجزاء وهو يوم القيامة لا يشكون فيه ولا يجحدونه وقيل يصدقونه باعمالهم فيتعبون انفسهم في الطاعات
لان التصديق به يستلزم الاستعداد له بالاعمال الصالحة والذين هم من عذاب ربهم مشفقون
اي خائفون وجلون مع ما لهم من اعمال الطاعة استحقارا لاعمالهم واعترافا بما يجب لله سبحانه عليهم
وجملة ان عذاب ربهم غير مأمون مقررة لمضمون ما قبلها مبينة ان ذلك مما لا ينبغي ان يأمنه
احد وان الجائز ان يحل به وان بلغ في الطاعة ما بلغ وان حق كل احد ان يخافه ويكون مترجحا بين الخوف والرجاء
والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم من الاماء ولشبههن في
جريان التصرف عليهن عبر عنهن بما التي لغير العاقل فانهم غير ملومين على ترك الحفظ فمن ابتغى اي
طلب منكحا وراء ذلك اي غير الزوجات والمملوكات فاولئك هم العادون اي المتجاوزون عن الحلال الى
الحرام والمتعدون ما حد لهم وهذه الآية تدل على حرمة المتعة ووطي الذكران والبهائم والزنا والاستمناء
بالكف وقد تقدم تفسيرها في سورة المؤمنين مستوفى والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون
اي لا يخلون بشيء من الامانات التي يؤتمنون عليها ولا ينقضون شيئا من العهود التي يعقدونها على
انفسهم قرأ الجمهور لاماناتهم بالجمع وقرئ بالافراد وهما سبعيتان والمراد الجنس وهي تتناول امانات الشرع و
امانات العباد ويدخل فيها عهود الخلق والنذور والايمان وقيل الامانات ما تدل عليه العقول والعهود
ما اتى بها الرسول والذين هم بشهاداتهم قائمون اي يحملونها ويؤدونها على غاية التمام وحسن الاداء
ويقيمونها عند الحكام على من كانت عليه من قريب او بعيد او رفيع او وضيع بلا ترجيح للقوي على الضعيف
ولا يكتمونها ولا يغيرونها اظهارا للصلابة في الدين ورغبة في احياء حقوق المسلمين وقد تقدم القول
على الشهادة في سورة البقرة قرأ الجمهور بشهادتهم بالافراد وقرئ بالجمع قال الواحدي والافراد اولى لانه
مصدر ومن جمع ذهب الى اختلاف الشهادات قال الفراء ويدل على قراءة التوحيد قوله تعالى واقيموا
الشهادة لله وقيل اراد بالشهادة الشهادة بكلمة التوحيد والاول اولى والذين هم على صلاتهم
يحافظون اي على اذكارها واركانها وشرائطها لا يخلون بشيء من ذلك قال قتادة على وضوئها وركوعها
وسجودها وقال ابن جريج المراد التطوع وكرر ذكر الصلوة للدلالة على فضلها وانافتها على غيرها ولاختلاف
ما وصفهم به اولا وما وصفهم به ثانيا فان معنى الدوام هو ان لا يشتغل عنها بشيء من الشواغل كما سلف

ومعنى المحافظات يراعي الامور التي تكون صلوة بدونها وقيل المراد يحافظون عليها بعد فعلها من ان يفعلوا ما يحبطها ويبطل ثوابها وكرر الموصولات للدلالة على ان كل وصف من تلك الاوصاف لجلالته يستحق ان يستقل بموصوف منفرد وقال الكرخي وفي هذه الصلات مبالغات لا تخفى وهي تقديم الضماير وبناء الجملة عليه وتقديم الجار والمجرور على الفعل وجعل بعض الجمل اسمية مفيدة للدوام والثبات وبعضها فعلية مفيدة للاستمرار التجددي اولئك الموصوفون بتلك الصفات مستقرون في جنات مكرمون بانواع الكرامات وهما خبران فمال الذين كفروا قبلك مهطعين اي اي شيء ثبت لهم حوليك مسرعين قال الاخفش مهطعين مسرعين وقيل المعنى ما بالهم يسرعون اليك يجلسون حوليك ولا يعملون بما تامرهم وقيل ما بالهم مسرعين الى التكذيب وقيل ما بال الذين كفروا يسرعون الى السماع اليك فيكذبونك ويستهزؤن بك وقال الكلبي ان معنى مهطعين ناظرين اليك وقال قتادة عامدين وقيل مسرعين اليك مادي اعناقهم مديمي النظر اليك عن اليمين وعن الشمال عزين اي عن يمين النبي صلى الله عليه وسلم وعن شماله جماعات متفرقة وعزين جمع عزة وهي العصبة من الناس وقيل اصلها عزوة من العزو وكان كل فرقة تعتزي الى غير من تعتزي اليه الفرقة الاخرى قال في الصحاح العزة الفرقة من الناس والهاء عوض عن التاء والجمع عزى وعزون قال ابن عباس عزين العصب من الناس عرضين يستهزؤن به واخرج مسلم وغيره عن جابر قال دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد ونحن حلق متفرقون فقال ما لكم اراكم عزين ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم كالمؤمنين المسلمين قال المفسرون كان المشركون يقولون لئن دخل هؤلاء الجنة لندخلن قبلهم فانزلت الاية قرأ الجمهور يدخل مبنيا للمفعول وقرئ مبنيا للفاعل ثم رد الله سبحانه عليهم فقال كلا انا خلقناهم مما يعلمون اي من القذر الذي يعلمون به يعني من النطفة المذرة وابهم اشعارا بانه منصب يستحيي من ذكره فلا ينبغي لهم هذا التكبر وهذا استدلال بالنشاة الاولى على امكان النشاة الثانية التي بنوا الطمع على فرضها فرضا محالا عندهم بعد ردعهم عنه وقيل المعنى انا خلقناهم من اجل ما يعلمون وهو امتثال الامر والنهي وتكميل النفس بالعلم والعمل وتعريضهم للثواب والعقاب كما في قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اخرج احمد وابن ماجة وابن سعد وابن ابي عاصم والباوردي وابن قانع والحاكم والبيهقي في الشعب والضياء عن بشر بن جحاش قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فما للذين كفروا الى قوله مما يعلمون ثم بزق رسول الله صلى الله عليه وسلم على كفه ووضع عليها اصبعه وقال يقول الله ابن آدم انى تعجزني وقد خلقتك من

مثل هذه حتى اذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللارض منك وئيد فجمعت ومنعت حتى اذا بلغت التراقي
قلت أتصدق وانى اوان الصدقة قال ابن العربي في الفتوحات خلق الله تعالى الناس على اربعة اقسام قسم
لا من ذكر ولا من انثى وهو آدم عليه السلام وقسم من ذكر فقط وهو حواء وقسم من انثى فقط وهو عيسى
عليه السلام وقسم من ذكر وانثى وهو بقية الناس فَلَآ أُقْسِمُ لا زائدة كما تقدم قريبا والمعنى فاقسم بِرَبِّ
الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ قرأها الجمهور بالجمع يعني مشرق كل يوم من ايام السنة ومغربه وقال ابن عباس للشمس كل
يوم مطلع تطلع فيه وكل يوم مغرب تغرب فيه غير مطلعها بالامس وغير مغربها بالامس وقيل مشرق كل نجم
ومغربه وقرئ بالافراد وقوله إِنَّا لَقَادِرُونَ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ جواب القسم والمعنى انا لقادرون على
ان نخلق امثل منهم واطوع لله ممن عصوه ونهلك هؤلاء او نبدلهم بتحويل الوصف فيكونوا اشد بطشا
في الدنيا واكثر اموالا واولادا واعلى قدرا واكثر حشما وجاها وخدما فيكونوا عندك على قلب واحد في سماع
قولك وتوقيرك وتعظيمك والسعي في كل ما يشرح صدرك بدل ما يعمل هؤلاء من الهزء والتصفيق والتصفير
وكل ما يضيق به صدرك وقد فعل سبحانه ما ذكر من هذه الاوصاف بالمهاجرين والانصار والتابعين
لهم باحسان مع السعة في الرزق باخذ اموال الجبابرة من كسرى وقيصر والتمكن في الارض حتى
كانوا ملوك الدنيا مع العمل بما يوجب لهم ملك الآخرة ففرجوا الكرب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلوا في مرضاته الانفس
والاموال ومن جملة المقسم عليه قوله وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ اي بمغلوبين ان اردنا ذلك بل نفعل ما اردنا
لا يفوتنا شيء ولا يعجزنا امر ولكن مشيئتنا وسابق علمنا اقتضيا تاخير عقوبة هؤلاء وعدم تبديلهم بخلق
آخر فَذَرْهُمْ اي دعهم واتركهم يَخُوضُوا في باطلهم وَيَلْعَبُوا في دنياهم واشتغل بما امرت به ولا يعظمن عليك
ما هم فيه فليس عليك الا البلاغ وهذا تهديد لهم وتسلية له صلى الله عليه وسلم حَتَّىٰ يُلَٰقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ
وهو يوم كشف الغطاء الذي اوله عند الغرغرة وتناهيه النفخة الثانية ودخول كل من الفريقين في داره
ومحل استقراره وقيل هو يوم القيامة وهذه الآية منسوخة بآية السيف كما قال البقاعي وابن عادل قرأ الجمهور
يلاقوا وقرئ يلقوا وفيه اشارة الى ان التفاعل ليس على بابه يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا يوم بدل من
يومهم بدل بعض من كل على ما يقتضيه تفسير يومهم بما ذكر قرأ الجمهور يخرجون على البناء للفاعل و
قرئ على البناء للمفعول والاجداث جمع جدث وهو القبر والسراع جمع سريع وانتصابه على الحال من ضمير يخرجون كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ
يُوفِضُونَ قرأ الجمهور نصب بفتح النون وسكون الصاد وهو ما نصب فعبد من دون الله وقرئ بضم النون والصاد ... قال ابو عمرو هو شبكة الصائد يسرع اليها عند وقوع

الصيد فيها مخافة انفلاته وقرئ بضمهما وفيه ثلاثة اوجه احدها انه اسم مفرد بمعنى الصنم المنصوب
للعبادة وثانيها انه جمع نصاب ككتب في كتاب وثالثها انه جمع نصب كرهن في رهن وسقف في سقف وجمع الجمع
انصاب وقرئ بفتحتين فعل بمعنى مفعول اي منصوب كالقبض وقرئ بضم فسكون وهي تخفيف من الثانية
وقال النحاس نصب ونصب بمعنى واحد قيل معنى الى نصب الى غاية وهي التي تنصب اليها بصرك وقال الكلبي الى شيء
منصوب كعلم او راية اي كأنهم الى علم يدعون اليه او راية تنصب لهم يوفضون قال الحسن كانوا يبتدرون
اذا طلعت الشمس الى نصبهم التي كانوا يعبدونها من دون الله لا يلوي اولهم على آخرهم قيل معنى يوفضون
يسرعون اسراع من ضل عن الطريق الى اعلامها والايفاض الاسراع يقال اوفض ايفاضا اي اسرع
في القاموس وفض يفض وفضا بالسكون وبالتحريك عدا واسرع كاوفض واستوفض والاوفاض الفرق
من الناس والاخلاط والجماعة من قبائل شتى كاصحاب الصفة قال ابن عباس في الآية الى علم يستبقون وقيل
يسعون وقيل ينطلقون والمعاني متقاربة وانتصاب خاشعة على الحال من ضمير يوفضون وهو الاقرب
او من فاعل يخرجون وفيه بعد والخشوع الذلة والخضوع وابصارهم مرتفعة به والمعنى لا يرفعونها لما
يتوقعونه من العذاب ترهقهم ذلة اي تغشاهم ذلة شديدة ضد ما كانوا عليه في الدنيا لان من تعزز فيها
عن الحق ذل في الآخرة ومن ذل للحق في الدنيا عز في الآخرة قال قتادة هي سواد الوجوه ومنه غلام مراهق
اذا غشيه الاحتلام يقال رهقه بالكسر يرهقه رهقا غشيه ومثل هذا قوله ولا يرهق وجوههم
قتر ولا ذلة والجملة مستأنفة او حال من فاعل يوفضون او يخرجون ذلك الذي تقدم ذكره اليوم الذي
كانوا يوعدون اي يوعدونه في الدنيا على السنة الرسل قد حاق وحضر ووقع بهم من عذابه ما وعدهم
الله به وان كان مستقبلا فهو في حكم الذي قد وقع لتحقق وقوعه قال الخطيب وهذا هو العذاب
الذي سألوا عنه اول السورة فقد رجع آخرها على اولها

سورة نوح هي تسع او ثمان وعشرون آية وهي مكية عن ابن الزبير قال نزلت بمكة

بسم الله الرحمن الرحيم

انا ارسلنا نوحا الى قومه وكانوا جميع اهل الارض من الآدميين اهل عصره ولذلك لما كفروا اغرق الله اهل

الارض جميعا وقد تقدم ان نوحا اول رسول ارسله الله بالنهي عن عبادة غير الله لان عبادة غيره
انما حدثت في زمن نوح والا فمن المعلوم ان قبله رسلا آدم وشيث وادريس وهو نوح بن لامك بن متوشلخ
بن اخنوخ بن قينان بن شيث بن آدم وكان اطول الانبياء عمرا بل اطول الناس وهو اول من شرعت له
الشرائع واول رسول انذر من الشرك وقد تقدم مدة لبثه في قومه وبيان جميع عمره وبيان السن التي
ارسل هو فيها في سورة العنكبوت قيل النوح معناه بالسريانية الساكن أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ اي بان انذر
على انها مصدرية او هي المفسرة لان في الارسال معنى القول وقرأ ابن مسعود انذر بدون ان اي
فقلنا له انذر مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ اي شديد الالم وهو عذاب النار على ما هم عليه من
الاعمال الخبيثة وقال الكلبي هو ما نزل بهم من الطوفان قَالَ يَا قَوْمِ اضافهم الى نفسه اظهارا
للشفقة والجملة مستأنفة استئنافا بيانيا على تقدير سؤال إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ من عقاب الله ومخوف
لكم مُبِينٌ اي بين الانذار او مبين لما فيه نجاتكم بلغة تعرفونها او امري بين في نفسه بحيث صار
في شدة وضوحه كانه مظهر لما يتضمنه مناد بذلك للقريب والبعيد والفطن والغبي أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ
وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ان هي التفسيرية لنذير او هي المصدرية كاختها السابقة اي بان اعبدوا الله ولا تشركوا
به غيره واجتنبوا ما يوقعكم في عذابه واطيعوني فيما آمركم به فاني رسول اليكم من عند الله وانما اضاف
الاطاعة الى نفسه لان الطاعة قد تكون لغير الله بخلاف العبادة يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ هذا جواب الاوامر
الثلاثة ومن للتبعيض اي بعض ذنوبكم وهو ما سلف منها قبل طاعة الرسول واجابة دعوته
وقيل المراد بالبعض ما لا يتعلق بحقوق العباد فانها لا تغفر الا بالاسلام وهذا كلام ظاهري اذ الحق
انها تغفر من حيث المؤاخذة الاخروية بمعنى انهم لا يعاقبون عليها في الآخرة وان كانت من حيث المؤاخذة
عليها في الدنيا لا تغفر فيطالب الكافر اذا اسلم بالحدود كحد القذف وبالمال الذي ظلم به في الكفر تامل
وقيل هي لبيان الجنس وقيل زائدة قاله السدي فان الاسلام يغفر ما قبله وهذا على رأي الاخفش
الذي لا يشترط في زيادتها تقدم نفي ولا تنكير المجرور بها والاولى هو الوجه الاول وقيل يغفر لكم من ذنوبكم
ما استغفرتموه منها وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى اي يؤخر موتكم الى الامد الاقصى المعلوم المعين
الذي قدره الله لكم لا يزيد ولا ينقص بشرط الايمان والطاعة فوق ما قدره لكم على تقدير بقائكم على
الكفر والعصيان وقيل التأخير بمعنى البركة في اعمارهم ان آمنوا وعدم البركة فيها ان لم يؤمنوا قال مقاتل

يؤخركم الى منتهى آجالكم وقال الزجاج اي يؤخركم عن العذاب فتموتوا غير ميتة المستأصلين بالعذاب
ولا يخالف هذا قوله ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر لان المنفي تأخيره فيه هو الاجل نفسه فلا تخالف بين هذين
المحلين وقال الفراء المعنى لا يميتكم غرقا ولا حرقا ولا قتلا إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ اي ما قدر لكم على تقدير بقائكم
على الكفر من العذاب إِذَا جَاءَ وانتم باقون على الكفر لَا يُؤَخَّرُ بل يقع لا محالة فبادروا الى الايمان والطاعة
وقيل المعنى ان اجل الله وهو الموت اذا جاء لا يمكنكم الايمان وقيل المعنى اذا جاء الموت لا يؤخر سواء كان بعذاب
او بغير عذاب واضافة الاجل اليه سبحانه لانه هو الذي اثبته وقد يضاف الى القوم كقوله اذا جاء اجلهم
لانه مضروب لهم لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ شيئا من العلم لسارعتم الى ما امرتكم به ولعلمتم ان اجل الله
اذا جاء لا يؤخر قَالَ رَبِّ اي قال نوح مناجيا لربه وحاكيا له ما جرى بينه وبين قومه وهو اعلم به منه
إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي الى ما امرتني بان ادعوهم اليه من الايمان لَيْلًا وَنَهَارًا اي دعاء دائما دائبا بلا فتور
في الليل والنهار من غير تقصير فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي شيئا من احوالهم التي كانوا عليها إِلَّا فِرَارًا اعراضا
عما ادعوهم اليه وبعدا عنه قال مقاتل يعني تباعدا من الايمان كانهم حمر مستنفرة واسناد الزيادة
الى الدعاء لكونه سببها كما في قوله زادتهم ايمانا قرأ الجمهور دعائي بفتح الياء وقرئ باسكانها والاستثناء
مفرغ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ الى سبب المغفرة وهو الايمان بك والطاعة لك لِتَغْفِرَ لَهُمْ اي لاجل مغفرتك
لهم واللام للتعدية ويكون قد عبر عن السبب بالمسبب والاصل دعوتهم للتوبة التي هي سبب الغفران فاطلق
الغفران واريد به التوبة جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ لئلا يسمعوا صوتي وقال ابن عباس لئلا يسمعوا ما
يقول وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ اي غطوا بها وجوههم لئلا يروني وقيل جعلوا ثيابهم على رؤسهم لئلا
يسمعوا كلامي فيكون استغشاء الثياب على هذا زيادة في سد الاذان وقيل هو كناية عن العداوة
يقال لبس فلان ثياب العداوة وقيل استغشوا ثيابهم لئلا يعرفهم فيدعوهم وقال ابن عباس تنكروا
فلا يعرفهم وعنه قال غطوا وجوههم لئلا يروا نوحا ولا يسمعوا كلامه وقد افادت هذه الآية بالتصريح
انهم عصوا نوحا وخالفوه مخالفة لا اقبح منها ظاهرا بتعطيل الاسماع والابصار وباطنا بالاصرار والاستكبار
كما قال تعالى وَأَصَرُّوا اي استمروا على الكفر ولم يقلعوا عنه ولا تابوا عنه وَاسْتَكْبَرُوا عن قبول الحق
عن امتثال ما امرهم به اسْتِكْبَارًا شديدا وذكر المصدر دليل على فرط استكبارهم قال ابن عباس
تركوا التوبة ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا اي مظهرا لهم الدعوة مجاهرا لهم بها وانتصاب جهارا على المصدرية

لان الدعاء يكون جهارا ويكون غير جهار فالجهار نوع من الدعاء كقولهم قعد القرفصاء ويجوز ان يكون نعت
مصدر محذوف اي دعاء جهارا وان يكون مصدرا في موضع الحال اي مجاهرا او ذا جهار او جعل نفس المصدر
مبالغة ومعنى ثم الدلالة على تباعد الاحوال لان الجهار اغلظ من السر والجمع بين الامرين اغلظ من احدهما
قرأ الجمهور اني بسكون الياء وقرئ بفتحها ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ اي دعوتهم معلنا لهم بالدعاء وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ الدعاء
إِسْرَارًا كثيرا قيل المعنى انه يدعو الرجل بعد الرجل يكلمه سرا فيما بينه وبينه والمقصود انه دعاهم على
وجوه متخالفة واساليب متفاوتة فلم ينجح ذلك فيهم وهكذا يفعل الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر يبتدئ
بالاهون ثم بالاشد فالاشد قال مجاهد معنى اعلنت صحت وقيل معنى اسررت اتيتهم في منازلهم فدعوتهم
فيها فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ اي سلوه المغفرة من ذنوبكم السالفة اعيانها وآثارها باخلاص النية
إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا اي كثير المغفرة للمذنبين وقيل المعنى توبوا عن الكفر انه كان غفارا للتائبين يُرْسِلِ
السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا اي يرسل ماء السماء عليكم ففيه اضمار وقيل المراد بالسماء المطر والمدرار الدرور
وهو التحلب بالمطر وانتصابه اما على الحال من السماء ولم يؤنث لان مفعالا لا يؤنث بل يستوي فيه المذكر
والمؤنث تقول امرأة ميناث ومذكار او على انه نعت لمصدر محذوف اي ارسالا مدرارا وقد تقدم الكلام
عليه في سورة الانعام وجزم يرسل لكونه جواب الامر وفي هذه الآية دليل على ان الاستغفار من اعظم
اسباب المطر وحصول انواع الارزاق ومن لازم الاستغفار جعل الله من كل هم فرجا ومن كل ضيق
مخرجا ولهذا قال وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ اي بساتين الدنيا ليكون مما وعد
به عاجلا وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا جارية قال عطاء المعنى يكثر اموالكم واولادكم وكانوا يحبونهما فحركوا بهذا
على الايمان واعلمهم نوح عليه السلام ان ايمانهم بالله يجمع لهم مع الحظ الوافر في الآخرة الخصب والغنى في
الدنيا واعاد فعل الجعل ولم يقل انهارا لتغايرهما فان الاول مما لفعلهم فيه مدخل بخلاف الثاني وعن
الحسن ان رجلا شكى اليه الجدب فقال استغفر الله وشكى اليه آخر الفقر وآخر قلة النسل وآخر قلة ريع
ارضه فامرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع بن صبيح اتاك رجال يشكون ابوابا ويسألونك انواعا فامرتهم
كلهم بالاستغفار فتلا هذه الآية ولله دره ما افقهه قال القشيري من وقعت له حاجة الى الله لم
يصل الى مراده الا بتقديم الاستغفار قال الشهاب وليس المراد بالاستغفار مجرد قول استغفر الله بل الرجوع
عن الذنوب وتطهير الالسنة والقلوب مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا اي اي عذر لكم في ترك الرجاء

والرجاء هنا الخوف اي ما لكم لا تخافون الله والوقار العظمة من التوقير وهو التعظيم والمعنى لا تخافون حق عظمته فتوحدونه وتطيعونه وقيل المعنى ما لكم لا تؤملون من الله توقيرا اي لكم بان تؤمنوا به فتصيروا موقرين عنده وهذا المعنى هو ما سلكه البيضاوي اولا وقال ابو السعود انكار لان يكون لهم سببا في عدم رجائهم الله تعالى وقارا على ان الرجاء بمعنى الاعتقاد انتهى وهذا حث على رجاء الوقار لله والمراد الحث على الايمان والطاعة الموجبين لرجاء ثواب الله فهو من الكناية التلويحية لان من اراد رجاء تعظيم الله وتوقيره اياه آمن بالله وحده وعمل صالحا ومن عمل الصالحات رجاء ثواب الله وتعظيمه اياه في دار الثواب فان الحث على تحصيل الرجاء مسبوق بالحث على تحصيل الايمان فهو من باب مقدمة الواجب قال الكرخي اي انكم اذا وقرتم نوحا وتركتم استخفافه كان ذلك لاجل الله فما لكم لا ترجون لله وقارا وقال سعيد بن جبير وابو العالية وعطاء بن ابي رباح ما لكم لا ترجون لله ثوابا ولا تخافون منه عقابا وقال مجاهد والضحاك ما لكم لا تبالون لله عظمة قال قطرب هذه لغة حجازية وهذيل وخزاعة ومضر يقولون لم ارج لم ابل وقال قتادة ما لكم لا ترجون لله عاقبة الايمان وقال ابن كيسان ما لكم لا ترجون في عبادة الله وطاعته ان يثيبكم على توقيركم خيرا وقال ابن زيد ما لكم لا تؤدون لله طاعة وقال الحسن ما لكم لا تعرفون لله حقا ولا تشكرون له نعمة وقال ابن عباس لا تعلمون لله عظمة وعنه قال لا تخافون لله عظمة ولا تخشون له عقابا ولا ترجون له ثوابا وعن علي بن ابي طالب ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى ناسا يغتسلون عراة ليس عليهم ازر فوقف فنادى باعلى صوته ما لكم لا ترجون لله وقارا اخرجه عبد الرزاق في المصنف وقد خلقكم اطوارا اي والحال انه سبحانه قد خلقكم على اطوار مختلفة واحوال متنافية لما انتم عليه بالكلية فخلقكم تارة عناصر ثم اغذية ثم اخلاطا ثم نطفا ثم مضغا ثم علقا ثم عظاما ولحوما ثم انشأكم خلقا آخر والطور في اللغة المرة وقال ابن الانباري الطور الحال والهيئة وجمعه اطوار وقيل اطوارا صبيانا ثم شبانا ثم شيوخا وقيل الاطوار اختلافهم في الافعال والاقوال والاخلاق والمعنى كيف تقصرون في توقير من خلقكم على هذه الاطوار البديعة تارات وكرات فهذا مما لا يكاد يصدر عن العاقل ثم لما نبههم سبحانه وتعالى اولا على النظر في انفسهم لانها اقرب نبههم ثانيا على النظر في العالم وما سوى فيه من العجائب الدالة على الصانع الحكيم فقال ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا الخطاب لمن يصلح له والمراد الاستدلال بخلق السموات على كمال قدرته وبديع صنعه وانه الحقيق بالعبادة والطباق المتطابقة بعضها فوق بعض كل سماء مطبقة على الاخرى كالقباب من غير مماسة قال الحسن خلق الله سبع سموات على سبع ارضين بين كل سماء

وسماء وارض وارض خلق وامر وقد تقدم تحقيق هذا في قوله ومن الارض مثلهن وانتصاب طباقا على المصدرية
تقول طابقه طباقا ومطابقة او حال بمعنى ذات طباق فحذف ذات واقام طباقا مقامه واجاز الفراء في غير القرآن
جر طباقا على النعت وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا اي منورا لوجه الارض وجعل القمر في السموات مع كونه في سماء
الدنيا لانه اذا كان في احداهن فهو فيهن كذا قال ابن كيسان وابو السعود وقال الاخفش كما تقول اتاني بنو تميم
والمراد بعضهم او لان كل واحدة منها شفافة لا تحجب ما وراءها فيرى الكل كانه سماء واحدة ومن ضرورة
ذلك ان يكون ما في كل واحدة منها كانه في الكل وقال قطرب فيهن بمعنى معهن اي خلق الشمس والقمر مع خلق
السموات والارض قال ابن عباس وجهه في السماء الى العرش وقفاه الى الارض وعنه قال خلق فيهن حين
خلقهن ضياء لاهل الارض وليس من ضوءه في السماء شيء وَجَعَلَ الشَّمْسَ فِيهِنَّ سِرَاجًا اي كالمصباح
لاهل الارض ليتوصلوا بذلك الى التصرف فيما يحتاجون اليه من المعاش عن ابن عمر قال الشمس والقمر
وجوههما قبل السماء واقفيتهما قبل الارض وانا اقرء بذلك عليكم آية من كتاب الله يعني هذه الآية
وعن ابن عمر قال في الآية تضيء لاهل السموات كما تضيء لاهل الارض وعن شهر بن حوشب قال اجتمع عبد الله
بن عمرو بن العاص وكعب الاحبار وكان بينهما بعض العتب فتعاتبا فذهب ذلك فقال ابن عمر لكعب سلني
عما شئت فلا تسألني عن شيء الا اخبرتك بتصديق قولي من القرآن فقال له ارأيت ضوء الشمس والقمر أهو
في السموات السبع كما هو في الارض قال نعم الم تر الى قول الله يعني هذه الآية قال النسفي واجمعوا على ان الشمس
في السماء الرابعة وضوءها اقوى من نور القمر وقال الخطيب وقيل في الخامسة وقيل في الشتاء في الرابعة
وفي الصيف في السابعة وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا يعني آدم خلقه الله من اديم الارض والمعنى
انشأكم منها انشاء فاستعير الانبات للانشاء لكونه ادل على الحدوث والتكوين من الارض ونباتا
اما مصدر لانبت على حذف الزوائد ويسمى اسم مصدر ويجوز ان يكون مصدرا لنبتم مقدرا اي انبتكم
فنبتم نباتا فيكون منصوبا بالمطاوع المقدر وقال الخليل والزجاج هو مصدر محمول على المعنى لان معنى
انبتكم جعلكم تنبتون نباتا وقيل المعنى والله انبت لكم من الارض النبات فنباتا على هذا مفعول به قال
ابن بحر انبتهم في الارض بالكبر بعد الصغر وبالطول بعد القصر ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِي الْأَرْضِ بعد الموت مقبورين
فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ منها بالبعث يوم القيامة إِخْرَاجًا حقا لا محالة وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا اي فرشها
وبسطها لكم تتقلبون عليها تقلبكم على بسطكم في بيوتكم ولم يجعلها مسنمة لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا

كانت اسماء اولاد آدم وكان ود اكبرهم وكانوا عبادا فمات رجل منهم فحزنوا عليه فقال الشيطان انا
اصور لكم مثله اذا نظرتم اليه ذكرتموه قالوا افعل فصوره في المسجد من صفر ورصاص ثم مات آخر فصوره
حتى ماتوا كلهم وصورهم فلما تقدم الزمان تركت الناس عبادة الله فقال لهم الشيطان ما لكم لا تعبدون
شيئا قالوا وما نعبد قال آلهتكم والهة آباءكم الا ترون انها في مصلاكم فعبدوها من دون الله حتى بعث
الله نوحا عليه السلام فقالوا لا تذرن آلهتكم الآية قال الماوردي فاما ود فهو اول صنم معبود سمي ودا
لودهم له وكان بعد قوم نوح لكلب بدومة الجندل في قول ابن عباس وعطاء ومقاتل وفيه يقول شاعرهم
شعر حياك ود فانا لا يحل لنا * لهو النساء وان الدين قد عزما * واما سواع فكان لهذيل بساحل البحر واما
يغوث فكان لغطيف من مراد بالجرف من سبا في قول قتادة وقال المهدوي لمراد ثم لغطفان واما يعوق فكان
لهمدان في قول قتادة وعكرمة وعطاء وقال الثعلبي كان لكهلان بن سبا ثم توارثوه حتى صار في همدان
وفيه يقول مالك بن نمط الهمداني شعر يريش الله في الدنيا ويبري * ولا يبري يعوق ولا يريش * واما
نسر فكان بذي الكلاع من حمير في قول قتادة ومقاتل قال ابن عباس هذه الاصنام كانت تعبد في زمن
نوح قال الواقدي كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة اسد ويعوق على صورة فرس
ونسر على صورة النسر الطائر قال البقاعي ولا يعارض هذا انهم صور لناس صالحين لان تصويرهم لهم يمكن ان يكون منتزعا
من معانيهم فكان ود كاملا في الرجولية وكان سواع امرأة كاملة في العبادة وكان يغوث شجاعا وكان
يعوق سابقا قويا وكان نسر عظيما طويل العمر ومثله في القرطبي اخرج البخاري وابن المنذر وابن مردويه
عن ابن عباس قال صارت الاوثان التي كانت تعبد في قوم نوح في العرب اما ود فكانت لكلب بدومة الجندل
واما سواع فكانت لهذيل واما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف واما يعوق فكانت لهمدان واما نسر فكانت لحمير
لآل ذي الكلاع اسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا اوحى الشيطان الى قومهم ان انصبوا الى
مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها انصابا وسموها باسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى هلك اولئك ونسخ العلم
فعبدت وفي الصحيحين من حديث عائشة ان ام حبيبة وام سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بارض الحبشة
تسمى مارية فيها تصاوير لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اولئك كان اذا مات الرجل الصالح
منهم بنوا على قبره مسجدا ثم صوروا فيه تلك الصور اولئك شر الخلق عند الله يوم القيامة قرأ الجمهور ودا
بفتح الواو وقرئ بضمها قال الليث ود بضم الواو صنم لقريش وبفتحها صنم كان لقوم نوح وبه سمي عمرو بن ود آل

في الصحاح والود بالفتح الوتد في لغة اهل نجد كأنهم سكنوا التاء وادغموها في الدال وقرأ الجمهور يغوث و
يعوق بغير تنوين فإن كانا عربيين فالمنع من الصرف للعلمية ووزن الفعل وان كانا عجميين فللعجمة
والعلمية وقرئ يغوثا ويعوقا بالنصب مصروفين لأمرين احدهما انه صرفهما للتناسب اذ قبلهما اسماء
منصرفان وبعدهما اسم منصرف كما صرف سلاسلا والثاني انه جاء على لغة من يصرف غير المنصرف مطلقا
وهي لغة حكاها الكسائي ذكره السمين وقال ابن عطية وذلك وهم ووجه تخصيص هذه الاصنام بالذكر
مع دخولها تحت الآلهة انها كانت اكبر اصنامهم واعظمها ولم يذكر النفي مع يعوق ونسر لكثرة التكرار و
عدم اللبس وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا اي وقال نوح قد اضل كبراؤهم ورؤساؤهم كثيرا من الناس وقيل الضمير
راجع الى الاصنام اي ضل بسببها كثير من الناس كقول ابراهيم رب انهن اضللن كثيرا من الناس واجرى
عليهم صيغة من يعقل لاعتقاد الكفار الذين يعبدونها انها تعقل وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا عطف
على رب انهم عصوني ووضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالظلم وقال ابو حيان انه معطوف على قد
اضلوا ومعنى الا ضلالا الا عذابا كذا قال ابن بحر واستدل على ذلك بقوله ان المجرمين في ضلال وسعر
وقيل الا خسرانا وقيل الا فتنة بالمال والولد وقيل الضياع وقيل ضلالا في مكرهم وهذا دعاء عليهم من نوح بعد ان
اعلمه الله انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن مِمَّا ما مزيدة للتاكيد والمعنى من خَطِيئَاتِهِمْ قرأ الجمهور
على جمع السلامة وهي سبعية وقرئ خطاياهم على جمع التكسير وخطيئتهم على الافراد والمعنى من اجلها وبسببها
أُغْرِقُوا بالطوفان قرأ الجمهور من اغرق وقرئ غرقوا بالتشديد فَأُدْخِلُوا عقب الاغراق نَارًا وهي نار الآخرة
وهذا من التعبير عن المستقبل بالماضي لتحقق وقوعه نحو أتى امر الله وقيل عذاب القبر وعلى هذا هو على
بابه كقوله في آل فرعون النار يعرضون عليها غدوا وعشيا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا اي لم يجدوا
احدا يمنعهم من عذاب الله ويدفعه عنهم وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا
يعني لما ايس نوح عليه السلام من ايمانهم واقلاعهم عن الكفر دعا عليهم بالهلاك قال قتادة دعا عليهم بعد
ان اوحي اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فاجاب الله دعوته واغرقهم وقال محمد بن كعب ومقاتل
والربيع بن انس وابن زيد وعطية انما قال هذا حين اخرج الله كل مؤمن من اصلابهم وارحام نسائهم و
اعقم ارحام النساء واصلاب الآباء قبل العذاب بسبعين سنة وقيل باربعين قال قتادة لم يكن فيهم صبي
وقت العذاب فقال الحسن وابو العالية لو اهلك الله اطفالهم معهم كان عذابا من الله لهم وعدلا فيهم ولكن

اهلك ذريتهم واطفالهم بغير عذاب ثم اهلكهم بالعذاب ومعنى ديارا من يسكن الديار وقيل ورفى الارض واصله ديوار على فيعال من دار يدور فقلبت الواو ياء وادغمت احداهما فى الاخرى مثل القيام اصله قيوام وقال القتيبي اصله من الدار اي نازل بالدار يقال ما بالدار ديار وديور اي احد كقيام وقيوم وهو من الاسماء المستعملة في النفي العام وقيل الديار صاحب الدار والمعنى لا تدع احدا منهم الا اهلكته وقيل هو ماخوذ من الدوران وهو التحرك قال سليمان الجمل انظر ما الحكمة في تاخيره عن قوله مما خطيئاتهم اغرقوا مع ان مقتضى الظاهر تقديمه عليه لكونه سببا لاغراقهم تامل ثم رايت ابا السعود قال هذا عطف على نظيره السابق وقوله مما خطيئاتهم اعتراض وسط بين دعائه عليه السلام للايذان من اول الامر بان ما اصابهم من الاغراق والاحراق لم يصبهم الا لاجل خطاياهم التي عددها نوح واشارة الى ان استحقاقهم للاهلاك لاجلها انتهى كلام الجمل ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ﴾ اي ان تركتهم على الارض ﴿يُضِلُّوا عِبَادَكَ﴾ عن طريق الحق ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا﴾ بترك طاعتك ﴿كَفَّارًا﴾ لنعمتك اي كثير الكفران لها والمعنى الا من سيفجر ويكفر ففي الكلام مجاز الاول لانهم لم يفجروا وقت الولادة بل بعدها بزمان طويل وقال عليه السلام هذا القول لعلمه بالتجربة من احوالهم ان اولادهم يكونون مثلهم ثم لما دعا على الكافرين اتبعه بالدعاء لنفسه ولوالديه وللمؤمنين فقال ﴿رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ قرأ العامة بكسر اللام وفتح الدال على انه تثنية والد يريد ابويه وكانا مؤمنين وابوه لامك او لمك بفتحتين او بفتح فسكون ابن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس وامه شمخا بنت انوش وقيل اراد آدم وحواء والاول اولى وقال سعيد بن جبير اراد بوالديه اباه وجده وقرئ ولولدي بكسر الدال على الافراد وعلى التثنية يعني ابنيه ساما وحاما وقرئ ولوالدي بكسر الدال يعني اباه فيجوز ان يكون اراد اباه الاقرب الذي ولده وخصه بالذكر لانه اشرف من الام وان يريد جميع من ولده من لدن آدم الى من ولده ﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ﴾ قال الضحاك والكلبي يعني مسجده وقيل منزله الذي هو ساكن فيه وقيل سفينته وقيل لمن دخل في دينه وانتصاب ﴿مُؤْمِنًا﴾ على الحال اي لمن دخل بيتي متصفا بصفة الايمان فيخرج من دخله غير متصف بهذه الصفة كامرأته وولده الذي قال ساوي الى جبل يعصمني من الماء ثم عمم الدعوة فقال ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ اي واغفر لكل متصف بالايمان من الذكور والاناث ثم عاد الى الدعاء على الكافرين فقال ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ مفعول ثان والاستثناء مفرغ اي لا تزد المتصفين بالظلم الا هلاكا وخسرانا ودمارا فاهلكوا وغرق معهم صبيانهم

ايضا لكن لا على وجه العقاب لهم بل لتشديد عذاب آبائهم وامهاتهم باراءة هلاك اطفالهم الذين كانوا اعز عليهم من انفسهم وفي الحديث يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون مصادر شتى وعن الحسن انه سئل عن ذلك فقال علم الله براءتهم فاهلكهم بغير عذاب وقد يشمل دعاؤه هذا كل ظالم الى يوم القيامة كما شمل دعاؤه للمؤمنين والمؤمنات كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيامة

سورة الجن ثمان وعشرون آية وهي مكية قال القرطبي في قول الجميع

عن ابن عباس قال نزلت بمكة وعن عائشة وابن الزبير مثله وتسمى سورة قل اوحي

بسم الله الرحمن الرحيم

قُل يا محمد للناس أُوحِيَ إِلَيَّ ليعرفوا بذلك انك مبعوث الى الجن كالانس ولتعلم قريش ان الجن مع تمردهم لما سمعوا القرآن وعرفوا اعجازه امنوا قرأ الجمهور اوحي رباعيا وقرئ وحي ثلاثيا وهما لغتان والمعنى اخبرت بالوحي من الله أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ واختلف هل رآهم النبي صلى الله عليه وسلم ام لم يرهم فظاهر القرآن انه لم يرهم لان المعنى قل يا محمد لامتك اوحي الي على لسان جبريل انه استمع نفر من الجن ومثله قوله واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن ويؤيد هذا ما ثبت في الصحيح قال ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن وما رآهم وروى ابن مسعود انه رآهم ورجحه العلماء والحق صحتهما وان الاول وقع اولا ثم نزلت السورة ثم امر بالخروج اليهم قال عكرمة والسورة التي كان يقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم هي اقرأ باسم ربك الذي خلق وقد تقدم في سورة الاحقاف ذكر ما يفيد زيادة في هذا والنفر اسم للجماعة ما بين الثلاثة الى العشرة قال البغوي كانوا تسعة وقيل سبعة وقد اختلف الناس قديما وحديثا في ثبوت وجود الجن فانكر وجودهم معظم الفلاسفة واعترف به جمع منهم وسموهم بالارواح السفلية وزعموا انهم اسرع اجابة من الارواح الفلكية الا انهم اضعف واما جمهور ارباب الملل وهم اتباع الرسل والشرائع فقد اعترفوا بوجودهم لكن اختلفوا في ماهيتهم وقد نطق الكتاب العزيز والسنة المطهرة بوجودهم فلا اعتداد بمنكريهم واذا جاء نهر الله بطل نهر معقل قال الضحاك والجن ولد الجان وليسوا بشياطين وقال الحسن انهم ولد ابليس وقيل هم اجسام عاقلة خفية تغلب عليهم النارية والهوائية وقيل نوع من

الارواح المجردة وقيل هي النفوس البشرية المفارقة لابدانها وقد اختلف اهل العلم في دخول مؤمني
الجن الجنة كما تدخل عصاتهم النار لقوله في سورة تبارك وجعلناها رجوما للشياطين واعتدنا لهم
عذاب السعير وقول الجن فيما سياتي في هذه السورة واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا وغير ذلك من
الايات فقال الحسن يدخلون الجنة وقال مجاهد لا يدخلونها وان صرفوا عن النار والاول اولى لقوله
في سورة الرحمن لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان وفي سورة الرحمن ايات غير هذه تدل على ذلك
فراجعها وقد قدمنا ان الحق انه لم يرسل الله اليهم رسلا منهم بل الرسل جميعا من الانس وان اشعر
قوله قد ارسلنا اليكم رسلا منكم بخلاف هذا فهو مدفوع الظاهر بايات كثيرة في الكتاب العزيز
دالة على ان الله سبحانه لم يرسل الرسل الا من بني آدم وهذه الابحاث الكلام فيها يطول والمراد الاشارة
باخصر عبارة قال ابن مسعود في الاية كانوا من جن نصيبين وقد اخرج احمد والبخاري ومسلم و
الترمذي وغيرهم عن ابن عباس قال انطلق النبي صلى الله عليه وسلم في طائفة من اصحابه عامدين الى سوق
عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وارسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين الى
قومهم فقالوا ما لكم فقيل حيل بيننا وبين خبر السماء وارسلت علينا الشهب قالوا ما حال بينكم وبين
خبر السماء الا شيء حدث فاضربوا مشارق الارض ومغاربها لتعرفوا ما هذا الامر الذي حال بينكم
وبين خبر السماء فانصرف اولئك الذين توجهوا نحو تهامة الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو بنخلة عامدين الى
سوق عكاظ وهو يصلي باصحابه صلوة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له قالوا هذا والله الذي حال
بينكم وبين خبر السماء فهنالك رجعوا الى قومهم فقالوا يا قومنا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى
الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا احدا فانزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم قل اوحي الي انه استمع نفر من
الجن وانما اوحي اليه قول الجن فقالوا لقومهم لما رجعوا اليهم انا سمعنا قرآنا اي كلاما مقروا عجبا
في فصاحته وبلاغته وغزارة معانيه وغير ذلك وقيل عجبا في مواعظه وقيل في بركته وعجبا مصدر
وصف به للمبالغة او على حذف المضاف اي ذا عجب او المصدر بمعنى اسم الفاعل اي معجبا يهدي الى الرشد
اي الى مراشد الامور وهي الحق والصواب والايمان وقيل الى معرفة الله والتوحيد والجملة صفة اخرى
للقرآن فآمنا به اي صدقنا بانه من عند الله ولن نشرك بعد اليوم بربنا احدا من خلقه ولا نتخذ
معه الها آخر لانه المتفرد بالربوبية وفيه دليل على اولئك النفر كانوا مشركين قيل كانوا يهودا وقيل

نصارى وقيل مجوساً ومشركين وفي هذا توبيخ للكفار من بني آدم حيث آمنت الجن بسماع القرآن مرة واحدة وانتفعوا بسماع آيات يسيرة منه وادركوا بعقولهم انه كلام الله وآمنوا به ولم ينتفع كفار الانس لا سيما رؤساؤهم وعظماؤهم بسماعه مراراً متعددة وتلاوته عليهم في اوقات مختلفة مع كون الرسول منهم يتلوه عليهم بلسانهم لا جرم صرعهم الله اذل مصرع وقتلهم اقبح مقتل ولعذاب الآخرة اشد لو كانوا يعلمون وانه تعالى جد ربنا قرئ بفتح ان وكذا فيما بعدها وذلك احد عشر موضعا الى قوله وانه لما قام عبد الله وقرئ بالكسر في هذه المواضع كلها الا في قوله وان المساجد لله فانهم اتفقوا على الفتح اما من قرأ بالفتح في هذه المواضع فعلى العطف على محل الجار والمجرور في فآمنا به كانه قيل فصدقناه وصدقنا انه تعالى جد ربنا الخ واما من قرأ بالكسر في هذه المواضع فعلى العطف على انا سمعنا اي فقالوا انا سمعنا قرآنا وقالوا انه تعالى جد ربنا الخ واختار ابو حاتم وابو عبيدة قراءة الكسر لانه كله من كلام الجن ومما هو محكي عنهم بقوله فقالوا انا سمعنا وقرئ بالفتح في ثلاثة مواضع وهي انه تعالى جد ربنا وانه كان يقول سفيهنا وانه كان رجال من الانس لانه من الوحي وكسر ما بقي لانه من كلام الجن وقرأ الجمهور وانه لما قام عبد الله بالفتح لانه معطوف على قوله انه استمع وقرئ بالكسر في هذا الموضع عطفا على فآمنا به بذلك التقدير السابق واتفقوا على الفتح في انه استمع كما اتفقوا على الفتح في ان المساجد وفي وان لو استقاموا واتفقوا على الكسر في فقالوا انا سمعنا وقال انما ادعو ربي وقل ان ادري وقل اني لا املك لكم والجد عند اهل اللغة العظمة والجلال يقال جد في عيني اي عظم فالمعنى ارتفع عظمة ربنا وجلاله وبه قال عكرمة ومجاهد وقال الحسن المراد تعالى غناؤه ومنه قيل للحظ جد ورجل مجدود اي محظوظ وفي الحديث ولا ينفع ذا الجد منك الجد قال ابو عبيد والخليل انه لا ينفع ذا الغنا منك الغنا اي انما ينفعه الطاعة وقال القرطبي والضحاك جده آلاؤه ونعمه على خلقه وقال ابن عباس آلاؤه وعظمته وامره وقدرته وقال ابو عبيدة والاخفش ملكه وسلطانه وقال السدي امره وقال سعيد بن جبير وانه تعالى جد ربنا اي تعالى ربنا وقيل جده قدرته وقال محمد بن علي بن الحسين وابنه جعفر الصادق والربيع بن انس ليس لله جد وانما قالته الجن للجهالة والجد ايضا ابو الاب قرأ الجمهور جد بفتح الجيم وقرئ بكسرها وهو ضد الهزل وقرئ جدى ربنا اي جدواه ومنفعته وقرئ بتنوين جد ورفع ربنا على انه بدل من جد ما اتخذ صاحبة ولا ولداً هذا بيان لتعالي جده سبحانه قال الزجاج تعالى جلال

ربنا وعظمته عن ان يتخذ صاحبة او ولدا لان الصاحبة تتخذ للحاجة والولد للاستيناس به والله تعالى منزه عن كل نقص وكان الجن نبهوا بهذا على خطأ الكفار الذين ينسبون الى الله الصاحبة والولد ونزهوا الله سبحانه عنهما ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾ اي جاهلنا ﴿عَلَى اللّٰهِ شَطَطًا﴾ اي غلوا في الكذب بوصفه بالصاحبة والولد والضمير في انه للحديث او الامر وسفيهنا يجوز ان يكون اسم كان ويقول الخبر ويجوز ان يكون سفيهنا فاعل يقول والجملة خبر كان واسمها ضمير يرجع الى الحديث او الامر ويجوز ان تكون كان زائدة ومرادهم بسفيههم عصاتهم ومشركوهم وقال مجاهد وابن جريج وقتادة اراد وابه ابليس عن ابي موسى الاشعري مرفوعا قال ابليس اخرجه ابن مردويه والديلمي قال السيوطي بسند واه والشطط الغلو في الكفر وقال ابو مالك هو الجور وقال الكلبي الكذب واصله البعد عن القصد ومجاوزة الحد ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللّٰهِ كَذِبًا﴾ اي انا حسبنا ان الانس والجن كانوا لا يكذبون على الله بان له شريكا وصاحبة وولدا فلذلك صدقناهم في ذلك حتى سمعنا القران فعلمنا بطلان قولهم وبطلان ما كنا نظنه بهم من الصدق وانتصاب كذبا على انه مصدر مؤكد ليقول لان الكذب نوع من القول او صفة لمصدر محذوف اي قولا كذبا وقرئ ان لن تقول من التقول فعلى هذا كذبا مفعول به ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ﴾ في الجاهلية ﴿مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ﴾ اي يستعيذون ﴿بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ﴾ حين ينزلون في سفرهم بمخوف قال الحسن وابن زيد وغيرهما كان العرب اذا نزل الرجل بواد قال اعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه فيبيت في جواره حتى يصبح فنزلت هذه الاية قال مقاتل كان اول من تعوذ بالجن قوم من اهل اليمن ثم من بني حنيفة ثم فشا ذلك في العرب فلما جاء الاسلام عاذوا بالله وتركوهم وعن عكرمة بن ابي السائب الانصاري قال خرجت مع ابي الى المدينة في حاجة وذلك اول ما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فاوانا المبيت الى راعي غنم فلما انتصف الليل جاء ذئب فاخذ حملا من الغنم فوثب الراعي فقال يا عامر الوادي انا جارك فنادى مناد يا سرحان ارسله فاتى الحمل يشتد حتى دخل في الغنم وانزل الله على رسوله بمكة وانه كان رجال الاية وذكره ابن الجوزي في تفسيره بغير سند ﴿فَزَادُوهُمْ﴾ اي زاد رجال الجن من يعوذ بهم من رجال الانس او زاد المستعيذون من رجال الانس من استعاذوا بهم من رجال الجن ﴿رَهَقًا﴾ لان المستعاذ بهم كانوا يقولون سدنا الجن والانس وبالاول قال مجاهد وقتادة وبالثاني قال ابو العالية وقتادة والربيع بن انس وابن زيد والرهق في كلام العرب الاثم وغشيان المحارم ورجل رهق اذا كان كذلك

ومنه قوله ترهقهم ذلة اي تغشاهم وقيل الرهق الخوف اي ان الجن زادت الانس بهذا التعوذ رهم
خوفا منهم وقيل كان الرجل من الانس يقول اعوذ بفلان من سادات العرب من جن هذا الوادي ويؤيد
هذا ما قيل من ان لفظ رجال لا يطلق على الجن فيكون قوله برجال وصفا لمن يستعيذون به من رجال
الانس اي يعوذون بهم من شر الجن وهذا فيه بعد واطلاق لفظ رجال على الجن على تسليم عدم صحته لغة لا مانع
من اطلاقه عليهم هنا من باب المشاكلة قال ابن عباس كان القوم في الجاهلية اذا نزلوا بالوادي قالوا نعوذ
بسيد هذا الوادي من شر ما فيه فلا يكون شيء اشد ولعا منهم بهم فذلك قوله فزادوهم رهقا وَأَنَّهُمْ
ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا هذا من قول الجن للانس اي وان الجن ظنوا كما ظننتم ايها الناس انه
لا بعث بعد الموت وقيل المعنى وان الانس ظنوا كما ظننتم ايها الجن والمعنى انهم لا يؤمنون بالبعث كما انكم
لا تؤمنون به وهذان القولان من كلام الله تعالى معترضان في خلال كلام الجن المحكي عنهم عند بعض
المفسرين وعند بعضهم هما من جملة كلام الجن وعليه فلا اعتراض في الكلام تامل وَأَنَّا لَمَسْنَا
السَّمَاءَ هذا من قول الجن ايضا اي طلبنا خبرها كما جرت به عادتنا واللمس المس فاستعير للطلب لان
الماس طالب متعرف فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا اي جمعا اقوياء من الملائكة يحرسونها عن استراق
السمع والحرس جمع حارس وهو الرقيب والمصدر الحراسة وقيل اسم مفرد في معنى الحراس كالخدم في معنى
الخدام ولذا وصف بشديد ولو نظر الى معناه لقيل شدادا وَشُهُبًا جمع شهاب وهو الشعلة المقتبسة
من نار الكوكب كما تقدم بيانه في تفسير قوله وجعلناها رجوما للشياطين وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ
لِلسَّمْعِ اي وانا كنا معشر الجن قبل هذا نقعد من السماء مواضع نقعد في مثلها لاستماع الاخبار من السماء
والسمع متعلق بنقعد اي لاجل السمع او بمضمر هو صفة لمقاعد اي مقاعد كائنة للسمع والمقاعد جمع مقعد
اسم مكان وذلك ان مردة الجن كانوا يفعلون ذلك ليسمعوا من الملائكة اخبار السماء فيلقونها الى
الكهنة فحرسها الله سبحانه ببعثة رسوله صلى الله عليه وسلم بالشهب المحرقة عن ابن عباس قال كانت الشياطين
لهم مقاعد في السماء يسمعون فيها الوحي فاذا سمعوا الكلمة زادوا فيها تسعا فاما الكلمة فتكون حقا واما
ما زادوا فيكون باطلا فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم منعوا مقاعدهم فذكروا ذلك لابليس ولم تكن
النجوم يرمى بها قبل ذلك فقال لهم ما هذا الا من امر قد حدث في الارض فبعث جنوده فوجدوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم قائما يصلي بين جبلين بمكة فاتوه فاخبروه فقال هذا الحدث الذي حدث في الارض اخرجه

احمد والترمذي وصححه النسائي وغيرهم فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا اي ارصد له ليرمى به
او لاجله لمنعه من الاستماع وقوله الآن هو ظرف للحال واستعير هنا للاستقبال لانهم لا يريدون به
وقت قولهم فقط وانتصاب رصدا على انه صفة لشهابا او مفعول له وهو مفرد ويجوز ان يكون اسم جمع
كالحرس وقد اختلف اهل العلم هل كانت الشياطين ترمى بالشهب قبل المبعث ام لا فقال قوم لم يكن
ذلك وحكى الواحدي عن معمر قال قلت للزهري اكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت افرايت قوله
وانا كنا نقعد منها الآية قال غلظ وشدد امرها حين بعث محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن قتيبة ان الرجم
قد كان قبل مبعثه ولكنه لم يكن مثله في شدة الحراسة بعد مبعثه وكانوا يسترقون السمع في بعض الاحوال
فلما بعث منعوا من ذلك اصلا وقال عبد الملك بن سابور لم تكن السماء تحرس في الفترة بين عيسى
ومحمد عليهما الصلوة والسلام فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم حرست السماء ورميت الشياطين بالشهب
ومنعت من الدنو الى السماء وقال نافع بن جبير كانت الشياطين في الفترة تسمع فلا ترمى فلما بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم رميت بالشهب قال الزمخشري والصحيح انه كان قبل البعث فلما بعث صلى الله عليه وسلم كثر الرجم وازداد زيادة
ظاهرة حتى تنبه لها الانس والجن ومنع الاستراق اصلا وقد تقدم البحث عن هذا وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ
أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ بسبب هذه الحراسة للسماء وارتفاع الشر على الاشتغال او على الابتداء وخبره ما
بعده والاول اولى لتقدم طالب الفعل وهو اداة الاستفهام واطال السمين في بيان ذلك أَمْ أَرَادَ بِهِمْ
رَبُّهُمْ رَشَدًا اي خيرا قال ابن زيد قال ابليس لا ندري اراد الله بهذا المنع ان ينزل على اهل الارض عذابا
او يرسل اليهم رسولا والجملة سادة مسد مفعولي ندري والاولى ان هذا من قول الجن فيما بينهم وليس من قول
ابليس كما قال ابن زيد وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ اي قال بعض لبعض لما دعوا اصحابهم الى الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم
وانا كنا قبل استماع القرآن منا الموصوفون بالصلاح وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ اي قوم دون الموصوفين بالصلاح
وقيل المراد باهل الصلاح المؤمنين وبمن هم دون ذلك الكافرين والاول اولى وقال ابن عباس يقول
منا المسلم ومنا المشرك كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا اي جماعات متفرقة وفرقا شتى واصنافا مختلفة وذوي مذاهب
متفاوتة والقدة القطعة من الشيء وصار القوم قددا اذا تفرقت احوالهم والمراد بها الطريقة واصلها
السيرة واستعيرت للسيرة المعتدلة واستعمال القدد في الفرق مجاز والمعنى كنا ذوي طرائق قددا او
كانت طرائقنا طرقا قددا او كنا مثل طرائق قددا او كنا في اختلاف احوالنا مثل الطرائق المختلفة وقال

السدي والضحاك اديانا مختلفة وقال قتادة اهواء متباينة وقال ابن عباس اهواء شتى وقال سعيد ابن المسيب
كانوا مسلمين ويهود ونصارى ومجوسا وكذا قال مجاهد قال الحسن الجن امثالكم قدرية ومرجية وخوارج
ورافضة وشيعة وسنية وكذا قال السدي وَأَنَّا ظَنَنَّا الظن هنا بمعنى العلم واليقين اي وانا علمنا و
تيقنا بالتفكر والاستدلال في ايات الله أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ اينما كنا فيها ولن نفوته بهرب ولا غيره ان
اراد بنا امرا وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا مصدر في موضع الحال اي ولن نعجزه هاربين منها الى السماء وهذه صفة
الجن وما هم عليه من احوالهم وعقائدهم وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ يعنون القرآن آمَنَّا بِهِ وصدقنا
انه من عند الله ولم نكذب به كما كذبت به كفرة الانس فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا
اي لا يخاف نقصا في عمله وثوابه ولا ظلما ومكروها يغشاه والبخس النقصان والرهق العدوان والطغيان
والمعنى لا يخاف ان ينقص من حسناته ولا ان يزاد في سيئاته وقد تقدم تحقيق الرهق فيما قرأ الجمهور
بخسا بسكون الخاء وقرئ بفتحها وقرئ فلا يخف جزما على جواب الشرط ولا وجه لهذا بعد دخول الفاء والتقدير
فهو لا يخاف والامر ظاهر وفي الآية دليل على ان العمل ليس من الايمان قاله النسفي وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ
وهم الذين آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ اي الجائرون الكافرون الظالمون الذين حادوا
عن طريق الحق ومالوا الى طريق الباطل يقال قسط اذا جار واقسط اذا عدل قال ابن عباس القاسطون
العادلون عن الحق وعن سعيد بن جبير ان الحجاج قال له حين اراد قتله ما تقول فيّ قال قاسط
عادل فقال القوم ما احسن ما قال حسبوا انه يصفه بالقسط والعدل فقال الحجاج يا جهلة انه سماني
ظالما مشركا وتلا لهم قوله تعالى واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا وقوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ذكره
الخطيب فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا اي قصدوا طريق الحق وتوخوه باجتهاد ومنه التحري
في الشيء قال الراغب حرى الشيء يحريه اي قصد حراه اي جانبه وتحراه كذلك وقال الفراء اموا الهدى
قال النسفي طلب الاحرى اي الاولى وفيه دليل على ان الجن يثاب بالجنة وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا في
علم الله لِجَهَنَّمَ حَطَبًا اي وقودا للنار يوقد بهم كما يوقد بكفرة الانس وفيه دليل على ان الجني الكافر يعذب
في النار وانهم وان خلقوا منها لكنهم تغيروا عن تلك الكيفية فصاروا لحما ودما هكذا قيل وايضا النار
قويها قد ياكل ضعيفها فيكون الضعيف حطبا للقوي وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ قرأ الجمهور بكسر
الواو من لو لالتقاء الساكنين وقرئ بضمها تشبيها بواو الضمير وهذا ليس من قول الجن بل هو معطوف على

انه استمع نفر من الجن والمعنى واوحي الي ان الشأن لو استقام الجن والانس وكلاهما على الطريقة
وهي طريقة الاسلام وقد قدمنا ان القراء اتفقوا على فتح ان ههنا قال ابن الانباري والفتح ههنا على
اضمار يمين تاويلها والله ان لو استقاموا على الطريقة كما يقال في الكلام والله لو قمت قمت قال او
على اوحي انه استمع وان لو استقاموا او على الهاء في لنفتنهم اي لمنا بان لو استقاموا وعلى هذا يكون جميع ما تقدم
معترضا بين المعطوف والمعطوف عليه قال ابن عباس لو اقاموا على ما امروا به لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً
غَدَقًا وليس المراد خصوص السقيا بل المراد لو سعنا عليهم في الدنيا وبسطنا لهم في الرزق وقال ابن
عباس معينا وقال مقاتل ماء كثيرا من السماء وذلك بعد ما رفع عنهم المطر سبع سنين وقال ابن قتيبة
المعنى لو آمنوا جميعا لوسعنا عليهم في الدنيا وضرب الماء الغدق مثلا لان الخير والرزق كله بالمطر وهذا
كقوله ولو ان اهل الكتاب آمنوا واتقوا الآية وقوله ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث
لا يحتسب وقوله استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين
الآية وقيل المعنى وان لو استقام ابوهم على عبادته وسجد لآدم ولم يكفر وتبعه ولده على الاسلام لانعمنا
عليهم واختار هذا الزجاج والماء الغدق هو الكثير في لغة العرب قرأ العامة غدقا بفتحتين وقرئ
بفتح الغين وكسر الدال وهما لغتان في الماء الغزير ومنه الغيداق للماء الكثير وللرجل الكثير العدو والكثير
النطق ويقال غدقت عينه تغدق اي هطل دمعها وفي المصباح غدقت العين غدقا من باب تعب كثر
ماؤها فهي غدقة واغدقت اغداقا كذلك لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ اي لنختبرهم فنعلم كيف شكرهم على تلك النعم
على ظهور للخلائق والا فهو تعالى لا يخفى عليه شيء وقال الكلبي المعنى وان لو استقاموا على الطريقة التي هم عليها
من الكفر فكانوا كلهم كفارا لاوسعنا ارزاقهم مكرا بهم واستدراجا حتى يفتنوا بها فنعذبهم في الدنيا والآخرة
وبه قال الربيع بن انس وزيد بن اسلم وابنه عبد الرحمن والثمالي ويمان بن ريان وابن كيسان وابو مجلز
واستدلوا بقوله فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء وقوله ولولا ان يكون الناس امة
واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة الآية والاول اولى وقال عمر في الآية حيثما
كان الماء كان المال وحيثما كان المال كانت الفتنة وقال ابن عباس لنبتليهم به وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ
ذِكْرِ رَبِّهِ اي ومن يعرض عن القرآن او عن العبادة او عن الموعظة او عن التوحيد او عن جميع
ذلك يَسْلُكْهُ اي يدخله عَذَابًا صَعَدًا اي شاقا صعبا قرأ الجمهور نسلكه بالنون مفتوحة من سلكه

وقرئ بالياء التحتية واختار هذه القراءة ابو عبيد وابو حاتم لقوله عن ذكر ربه ولم يقل عن ذكرنا وقرئ بضم النون وكسر اللام من اسلكه والصعد في اللغة المشقة تقول تصعد بي الامر اذا شق عليك وهو مصدر صعد يقال صعد صعدا وصعودا فوصف به العذاب مبالغة لانه يتصعد المعذب اي يعلوه ويغمره ويغلبه فلا يطيقه قال ابو عبيد الصعد مصدر اي عذابا ذا صعد وقال عكرمة الصعد هو صخرة ملساء في جهنم يكلف صعودها فاذا انتهى الى اعلاها حدر الى جهنم كما في قوله سارهقه صعودا والصعود العقبة الكؤد وقال ابن عباس عذابا صعدا اشقة من العذاب يصعد فيها وعنه قال جبلا في جهنم وعنه قال لا راحة فيه وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ اي واوحي الي ان المساجد مختصة بالله وقال الخليل التقدير ولان المساجد والمساجد المواضع التي بنيت للصلوة فيها جمع مسجد بكسر الجيم وهو موضع السجود قال سعيد بن جبير قالت الجن كيف لنا ان نأتي المساجد ونشهد معك الصلوة ونحن ناؤن فنزلت وقال الحسن اراد بها كل البقاع لان الارض جعلت كلها مسجدا للنبي صلى الله عليه وسلم وقال سعيد بن المسيب وطلق بن حبيب اراد بالمساجد الاعضاء التي يسجد عليها العبد وهي القدمان والركبتان واليدان والجبهة والانف وهو على هذا جمع مسجد بالفتح يقول هذه اعضاء انعم الله بها عليك فلا تسجد بها لغيره فتجحد نعمة الله وكذا قال عطاء وقيل المساجد هي الصلوة لان السجود من جملة اركانها قاله الحسن قال ابن عباس لم يكن يوم نزلت هذه الاية في الارض مسجد الا مسجد الحرام ومسجد ايليا بيت المقدس وقيل المراد بها البيوت التي تبنيها اهل الملل للعبادة والقول بانها البيوت المبنية للعبادة اظهر الاقوال ان شاء الله تعالى وهو مروي عن ابن عباس واضافة المساجد الى الله اضافة تشريف وتكريم وقد تنسب الى غيره تعريفا قال صلعم صلوة في مسجدي هذا خير من الف صلوة فيما سواه الا المسجد الحرام ذكره القرطبي فَلَا تَدْعُوا اي فلا تعبدوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا من خلقه كائنا من كان هذا توبيخ للمشركين في دعائهم مع الله غيره في المسجد الحرام قال مجاهد كانت اليهود والنصارى اذا دخلوا كنائسهم وبيعهم اشركوا بالله فامر الله نبيه والمؤمنين ان يخلصوا لله الدعوة اذا دخلوا المساجد كلها يقول فلا تشركوا فيها صنما اوغيره مما يعبد وقيل المعنى افردوا المساجد بذكر الله تعالى ولا تجعلوا لغير الله تعالى فيها نصيبا وفي الصحيح من نشد ضالة في المسجد فقولوا لا ردها الله عليك فان المساجد لم تبن لهذا وَأَنَّهُ اي واوحي الي ان الشان لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ وهو النبي صلى الله عليه وسلم ولم يقل نبي الله او رسول الله لانه من احب الاسماء الى النبي صلى الله عليه وسلم ولانه لما كان واقعا في كلامه صلى الله عليه وسلم عن نفسه

جيء به على ما يقتضيه التواضع أو لأن عبادة عبد الله المستفادة من قوله يدعوه ليست
مستبعدة حتى تنكر كان وقوع هذا الأمر ببطن نخل على ما قاله الحلبي وقال الحفناوي سياق هذه الآية
إنما يظهر في المرة الثانية من مرتي الجن وهي التي كانت بحجون مكة وكان معه فيها ابن مسعود وكان الجن اثني
عشر ألفا أو أكثر وأما المرة الأولى التي تقدم الكلام فيها التي كانت ببطن نخل فكانوا فيها تسعة أو سبعة والظاهر
في حقهم أن يقال كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا كما لا يخفى فليتأمل انتهى ومعنى الآية أنه لما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي ويتلو
القرآن كاد الجن أن يكونوا عليه صلى الله عليه وسلم متراكمين من ازدحامهم عليه لسماع القرآن منه قال الزجاج ومعنى لبدا يركب بعضهم بعضا ومن هذا
اشتقاق هذه اللبود التي تفرش قرأ الجمهور لبدا بكسر اللام وفتح الباء وقرئ بضم اللام وفتح الباء وبضم الباء واللام
وبضم اللام وتشديد الباء مفتوحة فعلى القراءة الأولى المعنى ما ذكرناه وعلى الثانية المعنى كثيرا كما في
قوله أهلكت مالا لبدا وقيل المعنى كاد المشركون يركب بعضهم بعضا حردا على النبي صلى الله عليه وسلم وقال
الحسن وقتادة وابن زيد لما قام عبد الله محمد بالدعوة تلبدت الجن والإنس على هذا الأمر ليطفئوه فأبى
الله إلا أن ينصره ويتم نوره واختار هذا ابن جرير قال مجاهد لبدا أي جماعات وهو من تلبد الشيء
على الشيء أي اجتمع ومنه اللبد الذي يفرش لتراكم صوفه وكل شيء ألصقته إلصاقا شديدا فقد لبدته
ويقال للشعر الذي على ظهر الأسد لبدة وجمعها لبد ويقال للجراد الكثير لبد ويطلق اللبد بضم اللام وفتح
الباء على الشيء الدائم ومنه قيل لنسر لقمان لبد لطول بقائه عن ابن مسعود قال خرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم قبل الهجرة إلى نواحي مكة فخط لي خطا وقال لا تحدثن شيئا حتى آتيك ثم قال لا يهولنك شيء تراه فتقدم
شيئا ثم جلس فإذا رجال سود كأنهم رجال الزط وكانوا كما قال الله تعالى كادوا يكونون عليه لبدا أخرجه
ابن مردويه وأبو نعيم في الدلائل وعن ابن عباس في الآية قال لما سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يتلو القرآن
كادوا يركبونه من الحرص لما سمعوه ودنوا منه فلم يعلم بهم حتى أتاه الرسول فجعل يقرئه قل أوحي إلي أنه
استمع نفر من الجن أخرجه ابن جرير وابن مردويه وعنه في الآية قال لما أتى الجن إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو يصلي بأصحابه يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده فعجبوا من طواعية أصحابه له فقالوا لقومهم لما
قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا أخرجه عبد بن حميد والحاكم والترمذي وصححاه وغيرهم وعنه
قال لبدا أي أعوانا قل يا رسول الله صلى الله عليه وسلم مجيبا للكفار إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وحده وأعبده وَلَا أُشْرِكُ بِهِ
في العبادة أَحَدًا من خلقه قرأ الجمهور قال وقرئ قل على الأمر وهي سبعية ففي الكلام التفات من الغيبة إلى الخطاب

وسبب نزولها ان كفار قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انك جئت بامر عظيم وقد عاديت الناس كلهم فارجع عن هذا فنحن نجيرك **قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا** اي لا اقدر ان ادفع عنكم غيًّا ولا اسوق اليكم خيرا لان الضار والنافع هو الله سبحانه وقيل الضر الكفر والرشد الهدى والاول اولى لوقوع النكرتين في سياق النفي فهما يعمان كل ضرر وكل رشد في الدنيا والدين **قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ** اي لا يدفع عني احد عذابه ان انزله بي كقول صالح فمن ينصرني من الله ان عصيته وهذا بيان لعجزه عن شؤون نفسه بعد بيان عجزه عن شؤون غيره **وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا** اي ملجأ ومعدلا وحرزا الجأ اليه واحترز به والملتحد معناه في اللغة الممال اي موضعا اميل اليه في القاموس الحد اليه مال كالتحد والملتحد الملجأ انتهى وفي المصباح الملتحد بالفتح اسم الموضع وهو الملجأ انتهى قال قتادة مولى وقال السدي حرزا وقال الكلبي مدخلا في الارض مثل السرب وقيل مذهبا ومسلكا والمعنى متقارب والاستثناء في قوله **إِلَّا بَلَاغًا** هو من قوله لا املك لكم اي لا املك لكم ضرا ولا رشدا الا التبليغ **مِنَ اللَّهِ** فان فيه اعظم الرشد او من ملتحدا اي لن اجد من دونه ملجأ الا التبليغ وقال مقاتل ذلك الذي يجيرني من عذابه وقال قتادة الا بلاغا من الله فذلك الذي املكه بتوفيق الله فاما الكفر والايمان فلا املكهما قال الفراء لكن ابلغكم ما ارسلت به فهو على هذا منقطع وقال الزجاج هو منصوب على البدل من ملتحدا اي لن اجد من دونه ملتحدا الا ان ابلغ ما ياتي من الله **وَرِسَالَاتِهِ** معطوف على بلاغا اي الا بلاغا من الله والا رسالاته التي ارسلني بها اليكم او الا ان ابلغ عن الله واعمل برسالاته فآخذ نفسي بما امره غيري وقيل معطوف على الاسم الشريف اي الا بلاغا عن الله او رسالاته كذا قال ابو حيان ورجحه واستظهره الكرخي **وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ** في الامر بالتوحيد ولم يؤمن لان السياق فيه **فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ** قرأ الجمهور بكسران على انها جملة مستأنفة مستقلة وقرئ بفتحها لان ما بعد فاء الجزاء موضع ابتداء والتقدير فجزاؤه او فحكمه ان له نار جهنم **خَالِدِينَ فِيهَا** اي يدخلون في النار او في جهنم مقدرا خلودهم والجمع باعتبار معنى من كما ان التوحيد في قوله فان له باعتبار لفظها **أَبَدًا** تاكيد لمعنى الخلود اي خالدين فيها بلا نهاية **حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ** من العذاب في الدنيا او في الآخرة والمعنى لا يزالون على ما هم عليه من الاصرار على الكفر وعداوة النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الى ان يروا الذي يوعدون به من العذاب وحتى ابتدائية فيها معنى الغاية لمقدر قبلها اي يدل عليه الحال وهي قوله خالدين فان الخلود في النار يستلزم استمرارهم على كفرهم وعدم انقطاعه بالايمان اذ لو آمنوا لم يخلدوا في النار ولو جعلت لمجرد الابتداء

من غير ملاحظة معنى الغاية كما اشار اليه القرطبي لكان اسهل واوضح فتكون جملة مستقلة بالاستفادة
فَسَيَعْلَمُونَ عند حلوله بهم يوم بدر او يوم القيامة مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا من موصولة
اي هو اضعف جندا ينتصر به او استفهامية والاول اولى وَأَقَلُّ عَدَدًا اي اعوانا اهم ام المؤمنون قال
الخطيب اي انا وان كنت في هذا الوقت وحيدا مستضعفا وهم اقل عددا وان كانوا الآن بحيث لا
يحصيهم عدد الا الله تعالى فيا لله ما اعظم كلام الرسل حيث يستضعفون انفسهم ويذكرون
قوتهم من جهة مولاهم الذي بيده الملك وله جنود السموات والارض بخلاف الجبابرة فانهم لا كلام
لهم الا في تعظيم انفسهم وازدراء غيرهم والظاهر ان اذا شرطية وان قوله فسيعلمون جوابها
لكن يشكل عليه الاستقبال المفاد بالسين وذلك لان وقت رؤية العذاب يحصل علم الضعيف من القوي
والسين تقتضي انه يتأخر عنه فليتأمل هذا المحل فانه لم ينبه عليه احد من المفسرين ويمكن الجواب عنه بان يجعل
السين لمجرد التاكيد لا للاستقبال وله نظائر كثيرة قاله الحفناوي قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ اي حاصل
مَا تُوعَدُونَ من العذاب او يوم القيامة فيكون واقعا الآن او قريبا من هذا الاوان بحيث يتوقع عن قريب
أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا اي غاية ومدة امره الله سبحانه ان يقول لهم هذا القول لما قالوا له متى يكون هذا
الذي توعدنا به ولا يقال انه صلعم قال بعثت انا والساعة كهاتين فكان عالما بقرب وقوع القيامة فكيف
قال ههنا لا ادري اقريب الخ لان المراد بقرب وقوعه الذي علمه هو ان ما بقي من الدنيا اقل مما انقضى فهذا
القدر معلوم واما معرفة مقدار القرب فغير معلوم لا يعلمه الا الله وهو على كل حال متوقع لا كلام فيه وانما
الكلام في تعيين وقته قال ليس الي قال عطاء يريد انه لا يعرف يوم القيامة الا الله سبحانه وحده والمعنى ان
علم وقت العذاب علم غيب لا يعلمه الا الله عَالِمُ الْغَيْبِ قرأ الجمهور بالرفع على انه بدل من ربي او بيان له او خبر
مبتدأ محذوف والجملة مستانفة مقررة لما قبلها من عدم الدراية وقرئ بالنصب على المدح وقرأ السدي علم
الغيب بصيغة الماضي ونصب الغيب والفاء في قوله فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا لترتيب عدم الاظهار على تفرده سبحانه
بعلم الغيب اي لا يطلع على الغيب الذي يعلمه وهو ما غاب عن العباد احدا منهم ثم استثنى فقال إِلَّا مَنِ ارْتَضَى
مِنْ رَسُولٍ اي الا من اصطفاه من الرسل او من ارتضاه منهم لاظهاره على بعض غيبه ليكون ذلك
دالا على نبوته قال القرطبي قال العلماء لما تمدح سبحانه بعلم الغيب واستأثر به دون خلقه كان فيه دليل
على انه لا يعلم الغيب احد سواه ثم استثنى من ارتضى من الرسل فاودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي اليهم

وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوتهم وليس المنجم ومن ضاهاه ممن يضرب بالحصى وينظر في الكتف
ويزجر بالطير ممن ارتضاه من رسول فيطلعه على مايشاء من غيبه فهو كافر بالله مفتر عليه بحدسه
وتخمينه وكذبه وقال سعيد بن جبير الا من ارتضى من رسول هو جبريل وفيه بعد وقيل المراد انه
يطلعه على بعض غيبه وهو ما يتعلق برسالته كالمعجزة واحكام التكاليف وجزاء الاعمال وما يبينه
من احوال الاخرة لاما لا يتعلق برسالته من الغيوب كوقت قيام الساعة ونحوه قال الواحدي وفي هذا
دليل على ان من ادعى ان النجوم تدل له على ما يكون من حادث فقد كفر بما في القران قال في الكشاف
وفي هذا ابطال للكرامات لان الذين تضاف اليهم الكرامات وان كانوا اولياء مرتضين فليسوا برسل وقد خص الله الرسل من بين
المرتضين بالاطلاع على الغيب وفيه ايضا ابطال للكهانة والسحر والتنجيم لان اصحابها ابعد شيء من الارتضاء
وادخله في السخط قال الرازي وعندي ان الاية لا دلالة فيها على شيء مما قالوه اذ لا صيغة عموم في غيبه
فيحمل على غيب واحد وهو وقت القيامة لانه واقع بعد قوله اقريب ما توعدون الاية فان قيل فما معنى
الاستثناء حينئذ قلنا لعله اذا قربت القيامة يظهره وكيف لا وقد قال يوم تشقق السماء بالغمام ونزل
الملائكة تنزيلا فتعلم الملائكة حينئذ قيام الساعة او هو استثناء منقطع اي من ارتضاه من رسول
يجعل من بين يديه ومن خلفه حفظة يحفظونه من شر مردة الجن والانس ويدل على انه ليس
المراد انه لا يطلع احدا على شيء من المغيبات الا الرسل انه ثبت كما يقارب التواتر ان شقا وسطيحا كانا كاهنين
وقد عرفا حديث النبي صلى الله عليه وسلم قبل ظهوره وكانا مشهورين بهذا العلم عند العرب حتى رجع اليهما كسرى
فثبت ان الله قد يطلع غير الرسل على شيء من المغيبات وايضا اطبق اهل الملل على ان معبر الرؤيا
يخبر عن امور مستقبلة ويكون صادقا فيها وايضا قد نقل السلطان سنجر بن ملك شاه كاهنة من
بغداد الى خراسان وسألها عن امور مستقبلة فاخبرته بها فوقعت على وفق كلامها قال واخبرني
ناس محققون في علم الكلام والحكمة انها اخبرت عن امور غائبة بالتفصيل فكانت على وفق خبرها
وبالغ ابو البركات في كتاب التعبير في شرح حالها وقال فحصت عن حالها ثلاثين سنة فتحققت انها
كانت تخبر عن المغيبات اخبارا مطابقا وايضا فانا نشاهد ذلك في اصحاب الالهامات الصادقة و
قد يوجد ذلك في السحرة ايضا وقد نرى الاحكام النجومية مطابقة وان كانت قد تتخلف فلو قلنا
ان القران يدل على خلاف هذه الامور المحسوسة لتطرق الطعن الى القران فيكون التاويل ما ذكرنا انتهى كلامه بمعناه

قال محمد بن علي الشوكاني اما قوله اذ لا صيغة عموم في غيبه فباطل فان اضافة المصدر واسم الجنس من صيغ
العموم كما صرح به ائمة الاصول وغيرهم واما قوله او هو استثناء منقطع فمجرد دعوى يأباه النظم القرآني
واما قوله ان شقا وسطيحا الخ فقد كانا في زمن تسترق فيه الشياطين السمع ويلقون ما يسمعونه الى
الكهان فيخلطون الصدق بالكذب كما ثبت في الحديث الصحيح وفي قوله الا من خطف الخطفة ونحوها من الآيات
فباب الكهانة قد ورد بيانه في هذه الشريعة وانه كان طريقا لبعض الغيب بواسطة استراق الشياطين حتى منعوا
ذلك بالبعثة المحمدية على صاحبها الصلوة والسلام والتحية وقالوا انا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا
شديدا وشهبا وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا فباب الكهانة
في الوقت الذي كانت فيه مخصوص بادلته فهو من جملة ما يخصص به هذا العموم فلا يرد ما زعمه من ايراد الكهانة
على هذه الآية واما حديث المرأة الذي اورده فحديث خرافة ولو سلم وقوع شيء مما حكاه عنها من الاخبار
لكان من باب ما ورد في الحديث ان في هذه الامة محدثين وان منهم عمر فيكون كالتخصيص لعموم هذه
الآية لا نقضا لها واما ما اجترى به على الله وعلى كتابه من قوله في آخر كلامه فلو قلنا ان القرآن يدل على
خلاف هذه الامور المحسوسة لتطرق الطعن الى القرآن فيقال له ما هذه باول زلة من زلاتك و
سقطة من سقطاتك وكم لها لديك من اشباه وامثال نبض بها عرق فلسفتك وركض بها الشيطان
الذي صار يتخبطك في مباحث تفسيرك يا عجبا لك ايكون ما بلغك من خبر هذه المرأة ونحوه موجبا
لتطرق الطعن الى القرآن وما احسن ما قاله بعض ادباء عصرنا: واذا رامت الذبابة للشمس
غطاء مدت عليها جناحا + وقلت من ابيات منها: مهب رياح سده بجناح + وقابل بالمصباح
ضوء صباح + فان قلت اذا تقرر هذا الدليل القرآني ان الله يظهر من ارتضى من رسله على ما شاء
من غيبه فهل للرسول الذي اظهره الله على ما شاء من غيبه ان يخبر به بعض امته قلت نعم ولا مانع
من ذلك وقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا ما لا يخفى على عارف بالسنة المطهرة فمن ذلك ما
صح انه قام مقاما اخبر فيه بما سيكون الى يوم القيامة وما ترك شيئا مما يتعلق بالفتن ونحوها حفظ ذلك
من حفظه ونسيه من نسيه وكذلك ما ثبت من ان حذيفة بن اليمان كان قد اخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم
بما يحدث من الفتن بعده حتى سأله عن ذلك اكابر الصحابة ورجعوا اليه وثبت في الصحيح وغيره ان عمر بن
الخطاب سأله عن الفتنة التي تموج كموج البحر فقال ان بينك وبينها بابا فقال عمر هل يفتح او يكسر فقال بل يكسر فعلم

عمر انه الباب وان كسره قتله كما في الحديث الصحيح المعروف انه قيل لحذيفة هل كان عمر يعلم ذلك فقال نعم كما يعلم ان دون غد الليلة وكذلك ما ثبت من اخباره لابي ذر بما يحدث له وما حدث له واخباره لعلي بن ابي طالب بخبر ذي الثدية ونحو هذا مما يكثر تعداده ولو جمع لجاء منه مصنف مستقل واذا تقرر هذا فلا مانع من ان يختص بعض صلحاء هذه الامة بشيء من اخبار الغيب التي اظهرها الله لرسوله صلى الله عليه وسلم واظهرها رسوله صلى الله عليه وسلم لبعض امته واظهرها هذا البعض من الامة لمن بعدهم فتكون كرامات الصالحين من هذا القبيل والكل من الفيض الرباني بواسطة الجناب النبوي انتهى كلامه رحمه الله تعالى عليه قال ابن عباس في الآية اعلم الله الرسول من الغيب الوحي واظهره عليه مما اوحى اليه من غيبه وما يحكم الله فانه لا يعلم ذلك غيره اخرجه ابن المنذر وابن مردويه ثم ذكر سبحانه انه يحفظ ذلك الغيب الذي يطلع عليه الرسول فقال فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا والجملة تقرير للاظهار المستفاد من الاستثناء والمعنى انه يجعل سبحانه بين يدي الرسول ومن خلفه حرسا من الملائكة يحرسونه من تعرض الشياطين لما اظهره عليه من الغيب ويجعل بين يدي الوحي وخلفه حرسا من الملائكة يحوطونه من ان يسترقه الشياطين فتلقيه الى الكهنة والمراد من جميع الجوانب قال الضحاك ما بعث الله نبيا الا ومعه ملائكة يحفظونه من الشياطين ان يتشبهوا بصورة الملك فاذا جاءه شيطان في صورة الملك قالوا هذا شيطان فاحذره وان جاءه الملك قالوا هذا رسول ربك قال ابن زيد رصدا اي حفظة يحفظون النبي صلى الله عليه وسلم من امامه وورائه من الجن والشياطين قال قتادة وسعيد بن المسيب هم اربعة من الملائكة حفظة وقال الفراء المراد جبريل قال في الصحاح الرصد القوم يرصدون كالحرس يستوي فيه الواحد والجمع والمؤنث والمذكر والراصد للشيء الراقب له يقال رصده يرصده رصدا ورصدا والترصد الترقب والمرصد موضع الرصد قال ابن عباس في قوله رصدا هي معقبات من الملائكة يحفظون رسول الله من الشياطين حتى يبين الذي ارسل اليهم به وذلك حتى يقول اهل الشرك قد ابلغوا رسالات ربهم وعنه قال ما انزل الله على نبيه آية من القرآن الا ومعها اربعة من الملائكة يحفظونها حتى يؤدوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قرأ الآية لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ اللام متعلقة بيسلك والمراد به العلم المتعلق بالابلاغ الموجود بالفعل وان هي المخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان والخبر الجملة والرسالات عبارة عن الغيب الذي اريد اظهاره

لمن ارتضاه الله من رسول وضمير ابلغوا يعود الى الرصد وقال قتادة ومقاتل ليعلم محمد ان الرسل قبله
قد ابلغوا الرسالة كما بلغ هو الرسالة وفيه حذف ويتعلق به اللام اي اخبرناه بحفظنا الوحي ليعلم ان الرسل
قبله كانوا على حالته من التبليغ وقيل ليعلم محمد ان جبريل ومن معه قد ابلغوا اليه رسالات ربه قاله
سعيد بن جبير وقيل ليعلم الرسل ان الملائكة قد بلغوا رسالات ربهم وقيل ليعلم ابليس ان الرسل
قد ابلغوا رسالات ربهم من غير تخليط وقال ابن قتيبة ليعلم الجن ان الرسل قد ابلغوا ما انزل اليهم ولم
يكونوا هم المبلغين باستراق السمع عليهم وقال مجاهد ليعلم من كذب ان الرسل قد ابلغوا رسالات ربهم
قرأ الجمهور ليعلم بفتح التحتية على البناء للفاعل اي ليعلم الناس ان الرسل قد ابلغوا وقال الزجاج ليعلم
الله ان رسله قد ابلغوا رسالاته اي ليعلم ذلك عن مشاهدة كما علمه غيبا وقرئ بضم الياء على البناء
للمفعول وقرئ بضم الياء وكسر اللام واحاط بما لديهم اي بما عند الرصد من الملائكة او بما عند
الرسل المبلغين لرسالاته والجملة في محل نصب على الحال من فاعل يسلك باضمار قد اي الحال انه
تعالى قد احاط بما لديهم من الاحوال قال سعيد بن جبير ليعلم ان ربهم قد احاط بما لديهم فبلغوا
رسالاته واحصى كل شيء عددا معطوف على احاط وعددا يجوز ان يكون منتصبا على التمييز محولا
من المفعول به اي واحصى عدد كل شيء كما في قوله وفجرنا الارض عيونا ويجوز ان يكون منصوبا
على المصدرية او في موضع الحال اي معدودا والمعنى ان علمه سبحانه بالاشياء ليس على وجه الاجمال
بل على وجه التفصيل اي احصى كل فرد من مخلوقاته التي كانت والتي ستكون على حدة فلم يخف
عليه منها شيء على حدة

سورة المزمل هي تسع عشرة اية وقيل عشرون اية وهي مكية

قال الماوردي كلها في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر قال وقال ابن عباس وقتادة الا ايتين
منها واصبر على ما يقولون والتي تليها وقال الثعلبي الا قوله ان ربك يعلم انك تقوم الى اخر السورة
فانه نزل بالمدينة واخرج النحاس عن ابن عباس انه قال نزلت بمكة الا ايتين ان ربك يعلم الخ
اخرج ابن الضريس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال نزلت يا ايها المزمل بمكة واخرج ابن مردويه
عن ابن الزبير مثله وعن جابر قال اجتمعت قريش في دار الندوة فقالوا سموا هذا الرجل اسما تصدر

الناس عنه فتقالوا كاهن قالوا ليس بكاهن قالوا مجنون قالوا ليس بمجنون قالوا ساحر قالوا ليس بساحر فتفرق المشركون على ذلك فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فتزمل في ثيابه وتدثر فيها فاتاه جبريل فقال يا ايها المزمل يا ايها المدثر اخرجه البزار والطبراني في الاوسط وابو نعيم في الدلائل وقال البزار بعد اخراجه من طريق معلى بن عبد الرحمن ان معلى قد حدث عنه جماعة من اهل العلم واحتملوا احاديثه لكنه اذا تفرد بالاحاديث لا يتابع عليها وعن ابن عباس قال بت عند خالتي ميمونة فقام النبي صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل فصلى ثلث عشرة ركعة منها ركعتا الفجر فحزرت قيامه في كل ركعة بقدر يا ايها المزمل اخرجه ابو داود والبيهقي في السنن

بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ اصله المتزمل فادغمت التاء في الزاي والتزمل التلفف في الثوب وفي المصباح زملته بثوبه تزميلا فتزمل مثل لففته فتلفف وزملت الشيء حملته ومنه قيل للبعير زاملة بالهاء للمبالغة لانه يحمل متاع المسافر وقرأ الجمهور بالادغام وقرأ ابي المتزمل على الاصل وقرأ عكرمة بتخفيف الزاي وهذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وقد اختلف في معناه فقال جماعة انه كان يتزمل صلى الله عليه وسلم بثيابه في اول ما جاءه جبريل بالوحي فرقا منه حتى انس به وقيل المعنى يا ايها المزمل بالنبوة والملتزم للرسالة وبهذا قال عكرمة وكان يقرأ يا ايها المزمل بتخفيف الزاي وفتح الميم المشددة اسم مفعول وعنه ايضا يا ايها الذي زمل هذا الامر اي حمله ثم فتر وقيل المعنى يا ايها المزمل بالقرآن وقال الضحاك تزمل بثيابه لمنامه ونحوه عن قتادة وقيل بلغه من المشركين سوء قول فتزمل في ثيابه وتدثر فنزلت يا ايها المزمل ويا ايها المدثر وقد ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم لما سمع صوت الملك ونظر اليه اخذته الرعدة فاتى اهله وقال زملوني دثروني وكان خطابه صلى الله عليه وسلم بهذا الخطاب في اول نزول الوحي ثم بعد ذلك خوطب بالنبوة والرسالة وقال ابن عباس زملت هذا الامر فقم به وعنه قال يتزمل بالثياب قال السهيلي ليس المزمل من اسماء النبي صلى الله عليه وسلم كما ذهب اليه بعض الناس وعدوه في اسمائه صلى الله عليه وسلم وانما المزمل اسم مشتق من حالته التي كان عليها حين الخطاب وكذلك المدثر وفي خطابه صلى الله عليه وسلم بهذا الاسم فائدتان احداهما الملاطفة فان العرب اذا قصدت ملاطفة المخاطب وترك المعاتبة سموه باسم مشتق من حالته التي هو عليها كقول النبي صلى الله عليه وسلم لعلي حين غاضب فاطمة رضي الله عنها فاتاه وهو نائم وقد لصق بجنبه التراب

فقال له قم ابا تراب اشعارا له بانه غير عاتب عليه وملاطفا له وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم لحذيفة قم يا نومان وكان نائما ملاطفة له واشعارا بترك العتب فقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم يا ايها المزمل فيه تانيس له وملاطفة ليستشعر انه غير عاتب عليه والفائدة الثانية التنبيه لكل متزمل راقد ليله ان يتنبه الى قيام الليل وذكر الله تعالى لان الاسم المشتق من الفعل يشترك فيه مع المخاطب كل من عمل ذلك العمل واتصف بتلك الصفة ذكره الخطيب قم الليل اي قم للصلوة في الليل الذي هو وقت الخلوة والخفية والستر وقيل ان معنى قم صل عبر به عنه واستعير له واختلف هل كان هذا القيام الذي امر به فرضا عليه او نفلا فقيل الامر للوجوب وكان واجبا عليه وعلى امته بل وعلى سائر الانبياء قبله واول ما فرض عليه صلى الله عليه وسلم بعد الدعاء والانذار قيام الليل قال القرطبي والدلائل تقوي ان قيامه كان فرضا عليه صلى الله عليه وآله وسلم وحده او عليه وعلى من كان قبله من الانبياء او عليه وعلى امته ثلثة اقوال الاول قول سعيد بن جبير لتوجه الخطاب له والثاني قول ابن عباس والثالث قول عايشة وابن عباس ايضا كذا في الخطيب والخازن وغيرهما والعامة على كسر الميم لالتقاء الساكنين وابو السماك يضمها اتباعا لحركة القاف وقرئ بفتحها طلبا للخفة قال ابو الفتح والغرض الهرب من التقاء الساكنين فباي حركة حرك الاول حصل الغرض قلت الا ان الاصل الكسر لدليل ذكره النحويون والليل ظرف للقيام وان استغرقه الحدث الواقع فيه هذا قول البصريين واما الكوفيون فيجعلون هذا النوع مفعولا به اخرج احمد ومسلم وابو داود والنسائي والبيهقي وغيرهم عن سعد بن هشام قال قلت لعايشة انبئيني عن قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الست تقرأ هذه السورة يا ايها المزمل قلت بلى قالت فان الله افترض قيام الليل في اول هذه السورة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه حولا حتى انتفخت اقدامهم وامسك الله خاتمتها في السماء اثني عشر شهرا ثم انزل التخفيف في اخر هذه السورة وصار قيام الليل تطوعا من بعد فرضه وقد روي هذا الحديث عنها من طرق وعن ابن عباس قال لما نزل اول المزمل كانوا يقومون نحوا من قيامهم في شهر رمضان حتى نزل اخرها وكان بين اولها واخرها نحو من سنة اخرجه البيهقي والحاكم وصححه والطبراني وغيرهم وعن ابي عبد الرحمن السلمي قال لما نزلت يا ايها المزمل قاموا حولا حتى ورمت اقدامهم وسوقهم حتى نزلت فاقرؤا ما تيسر منه فاستراح الناس واخرج ابو داود في ناسخه وابن نصر وابن مردويه والبيهقي في سننه

من طريق عكرمة عن ابن عباس في الآية قال نسختها الآية التي فيها علم ان لن تحصوه فتاب عليكم
فاقرؤا ما تيسر من القرآن وقوله إِلَّا قَلِيلًا استثناء من الليل اي صل الليل كله الا يسيرا منه والقليل
من الشيء هو ما دون النصف وقيل ما دون السدس وقيل ما دون العشر وقال مقاتل والكلبي المراد
بالقليل هنا الثلث وقد اغنانا عن هذا الاختلاف قوله نِصْفَهُ قال الزجاج هو بدل من الليل والاستثناء
هو من النصف قال المحلي بدل من قليلا وقلته بالنظر الى الكل انتهى قال الحفناوي قوله وقلته الخ جواب
عما يقال ان النصف مساو للنصف الآخر فكيف يوصف بالقلة ومحصل الجواب انه يوصف بها بالنظر
لكل الليل لا بالنظر للنصف الآخر منه أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا الضمير في منه وعليه عائد الى النصف والمعنى
قم نصف الليل او انقص من النصف قليلا الى الثلث أَوْ زِدْ عَلَيْهِ قليلا الى الثلثين فكأنه قال قم
ثلثي الليل او نصفه او ثلثه واو للتخيير بين قيام النصف وقيام الثلثين الذي هو مفاد قوله او انقص
منه قليلا وقيام الثلث الذي هو مفاد او زد عليه وقيل ان نصفه بدل من قوله قليلا فيكون
المعنى قم الليل الا نصفه او اقل من نصفه او اكثر من نصفه قال الاخفش نصفه اي او نصفه كما
يقال اعطه درهما درهمين ثلاثة يريد او درهمين او ثلاثة قال الواحدي قال المفسرون او انقص من
النصف قليلا الى الثلث او زد على النصف الى الثلثين جعل له سعة في مدة قيامه في الليل وخيره
في هذه الساعات للقيام فكان النبي صلى الله عليه وسلم وطائفة معه يقومون على هذه المقادير وشق ذلك
عليهم فكان الرجل لا يدري كم صلى او كم بقي من الليل فكان يقوم الليل كله حتى خفف الله عنهم ورحمهم
ونسخ وجوب قيام الليل في حقه وحقنا وقيل الضميران في منه وعليه راجعان للاقل من النصف
كأنه قال قم اقل من نصفه او قم انقص من ذلك الاقل او ازيد منه قليلا وهو بعيد جدا والظاهر
ان نصفه بدل من قليلا والضميران راجعان الى النصف المبدل من قليلا واختلف في الناسخ
لهذا الامر فقيل هو قوله ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه الى آخر السورة كما تقدم
وقيل هو قوله علم ان لن تحصوه الخ وقيل هو قوله علم ان سيكون منكم مرضى الخ وقيل هو منسوخ بالصلوات
الخمس وبهذا قال مقاتل والشافعي وابن كيسان وقيل هو قوله فاقرؤا ما تيسر منه وليس في القرآن سورة
نسخ آخرها اولها الا هذه السورة وكان بين نزول اولها المنسوخ وآخرها الناسخ سنة وقيل ستة عشر شهرا
وهذا على القول بان السورة كلها مكية واما على القول بان قوله ان ربك يعلم الخ فبين الناسخ والمنسوخ عشر

سنين لما علمنا ان نزول المنسوخ كان في اول الوحي بمكة ونزول الناسخ كان بالمدينة واقل ما يتحقق بينهما عشر سنين وقد قال به سعيد بن جبير وقيل نسخ التقدير بمكة وبقي التهجد حتى نسخ بالمدينة وقيل نسخ اوله باخرها ثم نسخ اخرها بايجاب الصلوات الخمس وذهب الحسن وابن سيرين الى ان صلوة الليل فريضة على كل مسلم ولو قدر حلب شاة ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ اي اقرأه على مهل مع تدبر وقيل بين وفصل من الثغر المرتل اي المفلج الاسنان وكلام رتل بالتحريك اي مرتل وثغر رتل ايضا اذا كان مستوي البنيات او اقرأه على تؤدة بتبيين الحروف وحفظ الوقوف واشباع الحركات بحيث يتمكن السامع من عدها وقال الضحاك اقرأه حرفا حرفا وقال الزجاج هو ان يبين جميع الحروف ويوفي حقها من الاشباع واصل الترتيل التنضيد والتنسيق وحسن النظام وقال ابن عباس بينه تبيينا وتاكيد الفعل بالمصدر يدل على المبالغة وايجاب الامر على وجه لا يلتبس فيه بعض الحروف ببعض ولا ينقص من النطق بالحرف من مخرجه المعلوم مع استيفاء حركته المعتبرة وانه لابد منه للقارئ عن قتادة قال سئل انس كيف كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كانت مدا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد بسم الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم اخرجه البخاري وعن ام سلمة وقد سألها يعلى بن مالك عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلوته فقالت ما لكم وصلاته ثم نعتت قراءته فاذا هي تنعت قراءة مفسرة حرفا حرفا اخرجه النسائي وللترمذي قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع قراءته يقول الحمد لله رب العالمين ثم يقف الرحمن الرحيم ثم يقف وكان يقول مالك يوم الدين ثم يقف وفي رواية ابي داود قالت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين يقطع قراءته اية اية وعن عبد الله بن مغفل قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة على ناقته يقرأ سورة الفتح فرجع في قراءته اخرجه الشيخان وعن جابر قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نقرأ القران وفينا العربي والعجمي فقال اقرأوا فكل حسن وسيجيء اقوام يقيمونه كما يقام القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه اخرجه ابو داود وزاد غيره في رواية لا يجاوز تراقيهم وعن ابن مسعود قال لا تنثروه نثر الدقل ولا تهذوه هذ الشعر قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب ولا يكن هم احدكم اخر السورة وفي الباب احاديث والمقصود من الترتيل انما هو حضور القلب عند القراءة لا مجرد اخراج الحروف من الحلقوم بتعويج الوجه والفم والحان الغناء كما يعتاده قراء هذا الزمان من اهل مصر وغيره في مكة المكرمة وغيرها بل هو بدعة احدثها البطالون الاكالون والحمقاء الجاهلون بالشرائع واحلتها

الصادقة وليس هذا باول قارورة كسرت في الاسلام وقوله إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا اعتراض
بين الامر بقيام الليل وبين تعليله بقوله الآتي ان ناشئة الليل والقصد بهذا الاعتراض تسهيل
ما كلفه من القيام كانه يقول ان قيام الليل وان كان عليك فيه مشقة لكنه اسهل من غيره
من التكاليف فانا سنلقي الخ وقال السمين هذه الجملة مستانفة وقال الزمخشري هذه الآية اعتراض
ويعني بالاعتراض من حيث المعنى لا من حيث الصناعة والمعنى سنوحي وسننزل اليك القرآن وهو قول
ثقيل وكلام عظيم ذو خطر وعظمة لانه كلام رب العالمين وكل شيء له خطر ومقدار فهو ثقيل
قال قتادة ثقيل والله فرائضه وحدوده قال مجاهد حلاله وحرامه وقال الحسن العمل به وقال
ابو العالية ثقيلا بالوعد والوعيد والحلال والحرام وقال محمد بن كعب ثقيل على المنافقين والكفار
بما فيه من الاحتجاج عليهم والبيان لضلالهم وهتك اسرارهم وبطلان اديانهم وسب آلهتهم وقال السدي
ثقيل بمعنى كريم من قولهم فلان ثقيل علي اي كريم علي قال الفراء ثقيلا اي رزينا ليس بالخفيف السفساف
لانه كلام ربنا وقال الحسين بن الفضل ثقيلا لا يحمله الا قلب مؤيد بالتوفيق ونفس مزينة بالتوحيد
وقيل هو خفيف على اللسان بالتلاوة ثقيل في الميزان بالثواب يوم القيامة وقيل ثقيل اي ثابت
كثبوت الثقيل في محله ومعناه انه ثابت الاعجاز لا يزول اعجازه ابدا وقيل وصفه بكونه ثقيلا
حقيقة لما ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اوحي اليه وهو على ناقته وضعت جرانها على الارض فما
تستطيع ان تتحرك حتى يسرى عنه اخرجه احمد وعبد بن حميد والحاكم وصححه عن عايشة وقيل
ثقيلا يعني ان العقل الواحد لا يفي بادراك فوائده ومعانيه بالكلية فالمتكلمون غاصوا في بحار
معقولاته والفقهاء بحثوا عن احكامه وكذا اهل اللغة والنحو والمعاني والبيان ثم لا يزال كل متاخر يفوز
منه بفوائد ما وصل اليها المتقدمون فعلمنا ان الانسان الواحد لا يقوى على الاستقلال بحمله فصار
كالجبل الثقيل الذي يعجز الخلق عن حمله والاولى ان جميع هذه المعاني فيه وقال القشيري القول الثقيل
هو قول لا اله الا الله لانه ورد في الخبر لا اله الا الله خفيفة على اللسان ثقيلة في الميزان انتهى
إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ اي ساعاته واوقاته لانها تنشأ اولا فاولا يقال نشأ الشيء ينشأ اذا ابتدأ واقبل شيئا
بعد شيء فهو ناشئ وانشأه الله فنشأ ومنه نشأت السحاب اذا بدأت فناشئة فاعلة من نشأت تنشئ فهي
ناشئة قال الزجاج ناشئة الليل كل ما نشأ منه اي حدث فهو ناشئة قال الواحدي قال المفسرون

الليل كله ناشئة — والمراد ان ساعات الليل الناشئة فاكتفى بالوصف عن الاسم الموصوف وقيل ان ناشئة الليل هي النفس التي تنشأ من مضجعها للعبادة اي تنهض من نشأ من مكانه اذا نهض وقيل انما يقال لقيام الليل ناشئة اذا كان بعد نوم فلو لم يتقدمه نوم لم يكن ناشئة وقيل ما ينشأ فيه من الطاعات قال ابن الاعرابي اذا نمت من اول الليل ثم قمت فتلك المنشأة والنشأة ومنه ناشئة الليل قيل وناشئة الليل هي ما بين المغرب والعشاء لان معنى نشأ ابتدأ وكان زين العابدين علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهما يصلي بين المغرب والعشاء ويقول هذه ناشئة الليل وقال عكرمة وعطاء هي بدو الليل وقال مجاهد وغيره هي في الليل كله لانه ينشأ بعد النهار واختار هذا مالك وقال ابن كيسان هي القيام من اخر الليل قال في الصحاح ناشئة الليل اول ساعاته وقال الحسن هي ما بعد العشاء الآخرة الى الصبح وقال ابن عباس هي قيام الليل بلسان الحبشة اذا قام الرجل قالوا نشأ قال الشيخ فعلى هذا هي جمع ناشئ اي قائم قلت يعني انها صفة لشيء يفهم الجمع اي طائفة او فرقة ناشئة والا ففاعل لا يجمع على فاعلة واخرج البيهقي عن ابن عباس قال هي اوله وعنه قال الليل كله ناشئة وعن ابن مسعود قال ناشئة الليل بالحبشية قيام الليل وعن انس بن مالك قال هي ما بين المغرب والعشاء هي اشد وطأ قرأ الجمهور بفتح الواو وسكون الطاء مقصورة واختارها ابو حاتم وقرئ بكسر الواو وفتح الطاء ممدودة واختار هذه الفراء وابو عبيدة فالمعنى على الاولى ان الصلوة في ناشئة الليل اثقل على المصلي من صلوة النهار لان الليل للنوم قال ابن قتيبة المعنى انها اثقل على المصلي من ساعات النهار من قول العرب اشتدت على القوم وطأة السلطان اذا ثقل عليهم ما يلزمهم منه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد وطأتك على مضر والمعنى على القراءة الثانية انها اشد مواطاة اي موافقة السمع للقلب على تفهم القران من قولهم واطأت فلانا على كذا مواطاة ووطأ اذا وافقته عليه قال مجاهد وابن ابي مليكة اي اشد موافقة بين القلب والسمع والبصر واللسان لانقطاع الاصوات والحركات فيها ومنه ليواطئوا عدة ما حرم الله اي ليوافقوا وقال الاخفش اشد قياما وقال الفراء اي اثبت للعمل وادوم لمن اراد الاستكثار من العبادة والليل وقت الفراغ عن الاشتغال بالمعاش فعبادته تدوم ولا تنقطع وقال الكلبي اشد نشاطا واقوم قيلا اي ابين قولا واسد مقالا واثبت قراءة واصح قولا من النهار لحضور القلب فيها وهدوء الاصوات وسكونها واشد استقامة واستمرارا على الصواب لان الاصوات فيها هادئة والدنيا ساكنة فلا يضطرب على المصلي ما يقرأه قال قتادة ومجاهد اي اصوب

للقراءة واثبت للقول لانه زمان التفهم قال ابو علي الفارسي اقوم قيلا اي اشد استقامة لفراغ
البال بالليل قال الكلبي اي بين قولا بالقران وقال عكرمة اي اتم نشاطا واخلاصا واكثر بركة وقال
ابن زيد اجدر ان يتفقه في القران وقيل اعجل اجابة للدعاء إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا
قرأ الجمهور بالحاء المهملة اي تصرفا في حوائجك واشتغالك واقبالا وادبارا وذهابا ومجيئا والسبح الجري والدوران
ومنه السباحة في الماء لتقلبه بيديه ورجليه وفرس سابح اي شديد الجري وقد استعير من السباحة
في الماء للتصرف في الحوائج وقيل السبح الفراغ اي ان لك فراغا بالنهار للحاجات فصل بالليل وقال ابن عباس
السبح الفراغ للحاجة والنوم قال ابن قتيبة اي تصرفا واقبالا وادبارا في حوائجك واشتغالك وقيل
فراغا وسعة لنومك وراحتك قال الخليل سبحا اي نوما والسبح التمدد وقال الزجاج المعنى ان
فاتك في الليل شيء فلك في النهار فراغ للاستدراك وقرئ سبخا بالخاء المعجمة قيل ومعنى هذه القراءة
الخفة والسعة والاستراحة قال الاصمعي يقال سبخ الله عنك الحمى اي خففها وسبخ الحر فتر وخف
ومنه قول الشاعر فسبخ عليك الهم واعلم بانه + اذا قدر الرحمن شيئا فكائن + اي خفف عنك الهم
والتسبيخ من القطن ما ينسبخ بعد الندف قال ثعلب السبخ بالخاء المعجمة التردد والاضطراب والسبخ
السكون وقال ابو عمرو السبخ النوم والفراغ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ اي ادعه باسمائه الحسنى وقيل اقرأ
باسم ربك في ابتداء صلوتك وقيل اذكر اسم ربك في وعده ووعيده لتوفر على طاعته وتبعد عن
معصيته وقيل المعنى دم على ذكر ربك وتلاوة القران ودراسة العلم ليلا ونهارا واستكثر من ذلك
على اي وجه كان من تسبيح وتهليل وتحميد وصلوة وقراءة قران قاله القاضي كالكشاف وقال الكلبي
المعنى صل لربك وقال المحلي اي قل بسم الله الرحمن الرحيم في ابتداء قراءتك انتهى تبع فيه سهلا وزاد
عليه سهل توصلك ببركة قراءتها الى ربك وتقطعك عما سواه ذكره الكرخي ومعنى في ابتداء قراءتك
سواء قرأت في الصلوة او في خارجها وهذا اذا قرأ من اول سورة واما اذا قرأ من اثناء سورة فانه ان
كان في غير الصلوة سن له ان يبسمل وان كان فيها لم تسن له البسملة لان قراءة السورة بعد الفاتحة
تعد قراءة واحدة فتأمل وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا اي انقطع اليه انقطاعا بالاشتغال بعبادته والتبتل
الانقطاع يقال بتلت الشيء اي قطعته وميزته عن غيره وصدقة بتلة اي منقطعة من مال صاحبها
ويقال للراهب متبتل لانقطاعه عن الناس ووضع تبتيلا مكان تبتلا لرعاية الفواصل قال الواحدي

والتبتل رفض الدنيا وما فيها والتماس ما عند الله وقيل المعنى اخلص اليه اخلاصا وقيل توكل
عليه توكلا رب المشرق والمغرب قرأ حمزة والكسائي وابو بكر وابن عامر بجر رب على النعت لربك او
البدل منه او البيان له وقرأ الباقون برفعه على انه مبتدأ وخبره لا اله الا هو او على انه خبر
مبتدأ محذوف اي هو رب الخ وقرأ زيد بن علي بنصبه على المدح وقرأ الجمهور المشرق والمغرب مفردين و
قرأ ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم المشارق والمغارب على الجمع وقد قدمنا تفسير المشرق و
المغرب والمشرقين والمغربين والمشارق والمغارب فاتخذه وكيلا اي اذا عرفت انه المختص بالربوبية
فاتخذه قائما بامورك وعول عليه في جميعها وقيل كفيلا بما وعدك من الجزاء والنصر وفائدة الفاء ان
لا تلبث بعد ان عرفت في تفويض الامور الى الواحد القهار اذ لا عذر لك في الانتظار بعد الاقرار
قال البقاعي وليس ذلك بان يترك الانسان كل عمل فان ذلك طمع فارغ بل بالاجمال في طلب كل ما ندب
الانسان الى طلبه ليكون متوكلا في السبب منتظرا للمسبب فلا يهمل الاسباب ويتركها طامعا في المسببات
لانه حينئذ يكون كمن يطلب الولد من غير زوجة وهو مخالف لحكمة هذه الدار المبنية على الاسباب
واصبر على ما يقولون في من الصاحبة والولد وفيك من الساحر والشاعر والاذى والسب والاستهزاء
ولا تجزع من ذلك واهجرهم هجرا جميلا اي لا تتعرض لهم ولا تشتغل بمكافاتهم وتجانبهم وتدع
وتكل امرهم الى الله فالله يكفيكهم وقيل الهجر الجميل الذي لا جزع فيه وهذا كان قبل الامر بالقتال
وذرني والمكذبين اي دعني واياهم ولا تهتم بهم فاني اكفيك امرهم وانتقم لك منهم قيل نزلت في
المطعمين يوم بدر وهم عشرة وقد تقدم ذكرهم وقال يحيى بن سلام هم بنو المغيرة وقال سعيد
بن جبير اخبرت انهم اثنا عشر اولي النعمة اي ارباب الغناء والسعة والترفه واللذة في الدنيا و
النعمة بالفتح التنعم وبالكسر الانعام وبالضم المسرة ومهلهم قليلا اي تمهيلا قليلا على انه نعت لمصدر
محذوف او زمانا قليلا على انه صفة لزمان محذوف والمعنى امهلهم الى انقضاء آجالهم وقيل الى نزول
عقوبة الدنيا بهم كيوم بدر قالت عائشة لما نزلت هذه الآية لم يكن الا يسيرا حتى كانت وقعة بدر
وقيل الى يوم القيامة والاول اولى لقوله ان لدينا انكالا وما بعده فانه وعيد لهم بعذاب الآخرة و
الانكال جمع نكل وهو القيد كما قال الحسن ومجاهد وغيرهما قال ابن مسعود انكالا قيودا وقال الكلبي
الانكال الاغلال من حديد والاول اعرف في اللغة وقال مقاتل هي انواع العذاب الشديد وقال ابو عمران

الجوفي هي قيود لا تحل وَجَحِيمًا اي نارا موججة محرقة وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ اي لا يسوغ في الحلق بل ينشب فيه فلا ينزل ولا يخرج قال ابن عباس هو شجرة الزقوم وبه قال مجاهد وقال الزجاج هو الضريع كما قال تعالى ليس لهم طعام الا من ضريع قال وهو شوك العوسج قال عكرمة هو شوك يأخذ بالحلق لا يدخل ولا يخرج والغصة الشجى في الحلق وهو ما ينشب فيه من عظم او غيره وجمعها غصص وَعَذَابًا أَلِيمًا اي ونوعا آخر من العذاب غير ما ذكر وجيعا يخلص وجعه الى القلب يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ انتصاب الظرف اما بذلك او بالاستقرار المتعلق به لدينا او هو صفة لعذاب فيتعلق بمحذوف اي عذابا واقعا يوم ترجف او متعلق بأليم قرأ الجمهور ترجف بفتح التاء وضم الجيم مبنيا للفاعل وقرئ مبنيا للمفعول مأخوذ من رجفها والمعنى تتحرك وتتزلزل وتضطرب بمن عليها وهو يوم القيامة والرجفة الزلزلة والرعدة الشديدة وَكَانَتِ الْجِبَالُ اي وتكون الجبال التي هي مراسي الارض واوتادها كَثِيبًا مَهِيلًا وانما عبر عنه بالماضي لتحقق وقوعه والكثيب الرمل المجتمع من كثب الشيء اذا جمعه كأنه فعيل بمعنى مفعول والمهيل الذي يمر تحت الارجل قال الواحدي اي رملا سائلا يقال لكل شيء ارسلته ارسالا من تراب او طعام اهلته هيلا قال الضحاك والكلبي المهيل الذي اذا وطئته بالقدم زل من تحتها واذا اخذت اسفله انهال وقال ابن عباس المهيل الذي اذا اخذت منه شيئا تبعك آخره وعنه قال المهيل الرمل السائل إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ الخطاب لاهل مكة او لكفار قريش او لجميع الكفار وفيه التفات من الغيبة في قوله واصبر على ما يقولون وقوله والمكذبين والرسول محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى يشهد عليكم يوم القيامة باعمالكم كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا يعني موسى فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ الذي ارسلناه اليه وكذبه ولم يؤمن بما جاء به والنكرة اذا اعيدت معرفة كان الثاني عين الاول وانما خص موسى وفرعون بالذكر لان خبرهما كان منتشرا بين اهل مكة لانهم كانوا جيران اليهود والمعنى انا ارسلنا اليكم رسولا فعصيتموه كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصاه فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا اي شديدا ثقيلا غليظا ومنه قيل للمطر وابل وقال الاخفش شديدا وبه قال ابن عباس والمعنى متقارب ومنه طعام وبيل اذا كان لا يستمرأ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ اي فكيف تقون انفسكم وتوجدون الوقاية التي تقي انفسكم والمعنى لا سبيل لكم الى التقوى اذا رأيتم القيامة وقيل معناه فكيف تتقون العذاب يوم القيامة إِنْ كَفَرْتُمْ اي اذا بقيتم على كفركم في الدنيا يَوْمًا اي عذاب يوم يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا

لشدة هوله اي يصير الولدان شيوخا شمطا والشيب جمع اشيب وهذا يجوز ان يكون حقيقة وانهم يصيرون
كذلك او تمثيلا لان من شاهد الهول العظيم تقاصرت قواه وضعفت اعضاؤه وصار كالشيخ في
الضعف وسقوط القوة قال الشاعر ع والهم يخترم الجسيم نحافة + ويشيب ناصية الصبي ويهرم
قال في المصباح والشيب ابيضاض الشعر المسود وشيب الحزن راسه وبراسه بالتشديد واشابه بالالف
واشاب به فشاب في المطاوع انتهى وفي القاموس الشيب الشعر وبياضه كالمشيب وهو اشيب ولا
فعلاء له اي لا يقال امرأة شيباء كما في المصباح وقوم شيب وشيب بضمتين وقيل يحتمل ان يكون المراد
وصف ذلك اليوم بالطول وان الاطفال يبلغون منه الشيخوخة والشيب والاول اولى وفي هذا توبيخ لهم
شديد وتقريع عظيم قال الحسن اي كيف تتقون يوما يجعل الولدان شيبا ان كفرتم وكذا قرأ ابن مسعود
وعطية ويوما مفعول به لتتقون قال ابن الانباري ومنهم من نصب اليوم بكفرتم وهذا قبيح لان الولدان
الصبيان وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ يجعل الولدان شيبا قال ذلك يوم القيامة
وذلك يوم يقول الله لآدم قم فابعث من ذريتك بعثا الى النار قال من كم يارب قال من كل الف تسعمائة
وتسعة وتسعين وينجو واحد فاشتد ذلك على المسلمين فقال حين ابصر ذلك في وجوههم ان بني
آدم كثير وان ياجوج وماجوج من ولد آدم انه لا يموت رجل منهم حتى يرثه لصلبه الف رجل ففيهم
وفي اشباههم جنة لكم اخرجه الطبراني وابن مردويه واخرج ابن المنذر عن ابن مسعود نحوه
باخصر منه ثم زاد سبحانه في وصف ذلك اليوم بالشدة فقال السماء منفطر به اي منشقة به
لشدته وعظيم هوله فما ظنك بغيرها من الخلائق والجملة صفة اخرى ليوما والباء سببية وجوز الزمخشري
ان تكون للاستعانة فانه قال والباء في به مثلها في قولك فطرت العود بالقدوم فانفطر به وقال
القرطبي انها بمعنى في اي منفطر فيه وهو ظاهر وقيل بمعنى اللام اي منفطر له وانما قال منفطر ولم
يقل منفطرة لتنزيل السماء منزلة شيء لكونها قد تغيرت ولم يبق منها الا ما يعبر عنه بالشيء وقال
ابو عمرو بن العلاء لم يقل منفطرة لان مجازها السقف فيكون هذا كما في قوله وجعلنا السماء
سقفا محفوظا وقال الفراء السماء تذكر وتؤنث وقال ابو علي الفارسي هو من باب الجراد المنتشر والشجر
الاخضر واعجاز نخل منقعر وقال ايضا اي السماء ذات انفطار كقولهم امرأة مرضع اي ذات ارضاع
على طريق النسب وانفطارها لنزول الملائكة كما قال اذا السماء انفطرت وقوله تكاد السموات يتفطرن من فوقهن

وقيل منفطر به اي بالله والمراد بامره والاول اولى وقال ابن عباس منفطر به ممتلية به بلسان الحبشة وعنه قال مثقلة موقرة وعنه قال يعني تشقق السماء كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا اي كان وعد الله ما وعد به من البعث والحساب وغير ذلك كائنا لا محالة والمصدر مضاف الى فاعله او وكان وعد اليوم مفعولا فالمصدر مضاف الى مفعوله ومعنى مفعولا انه مقضي نافذ لا يرد على احد من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله قال مقاتل كان وعده ان يظهر دينه على الدين كله إِنَّ هَذِهِ اي ما تقدم من الآيات القرآنية تَذْكِرَةٌ اي موعظة وقيل الاشارة الى جميع آيات القرآن لا الى ما في هذه السورة فقط فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ بالطاعة التي اهم انواعها التوحيد إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا اي طريقا توصله الى الجنة وقال القرطبي اي من اراد ان يؤمن ويتخذ بذلك الى ربه سبيلا اي طريقا الى رضاه ورحمته فليرغب فقد امكن له لانه اظهر له الحجج والدلائل إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى اي اقل استعير له الادنى لان المسافة بين الشيئين اذا دنت قل ما بينهما من الاحياز واذا بعدت كثر ذلك مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ معطوف على ادنى وقوله وَثُلُثَهُ معطوف على نصفه والمعنى ان الله يعلم ان رسوله صلى الله عليه وسلم يقوم اقل من ثلثي الليل ويقوم نصفه ويقوم ثلثه وبالنصب قرأ ابن كثير والكوفيون وقرأ الجمهور ونصفه وثلثه بالجر عطفا على ثلثي الليل والمعنى ان الله يعلم ان رسوله يقوم اقل من ثلثي الليل واقل من نصفه واقل من ثلثه واختار قراءة الجمهور ابو عبيد وابو حاتم لقوله الآتي علم ان لن تحصوه فكيف يقومون نصفه وثلثه وهم لا يحصونه وقال الفراء النصب اشبه بالصواب لانه قال اقل من ثلثي الليل ثم فسر نفس القلة وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ معطوف على الضمير في تقوم وجاز من غير تاكيد للفصل اي وتقوم ذلك القدر معك طائفة من اصحابك وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ اي يعلم مقاديرهما على حقائقهما ويختص بذلك دون غيره وانتم لا تعلمون ذلك على الحقيقة قال عطاء يريد لا يفوته علم ما يفعلون اي انه يعلم مقادير الليل والنهار فيعلم قدر الذي يقومونه من الليل والذي ينامون منه عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ اي لن تطيقوا علم مقاديرهما على الحقيقة وفي ان ضمير شان محذوف اي انه وقيل المعنى لن تطيقوا قيام الليل قال القرطبي والاول اصح فان قيام الليل ما فرض كله قط قال مقاتل وغيره لما نزل قم الليل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه شق ذلك عليهم وكان الرجل لا يدري متى نصف الليل من ثلثه فيقوم حتى يصبح مخافة ان يخطئ فانتفخت اقدامهم وانتقعت الوانهم فرحمهم الله وخفف عنهم فقال علم ان

ع ١٩

لن تحصوه لانكم ان زدتم ثقل عليكم واحتجتم الى تكلف ما ليس فرضا وان نقصتم شق ذلك عليكم فتاب عليكم اي فعاد عليكم بالعفو ورخص لكم في ترك القيام وقيل اسقط عنكم فرض القيام اذ عجزتم و اصل التوبة الرجوع كما تقدم فالمعنى رجع بكم من التثقيل الى التخفيف ومن العسر الى اليسر قال الحفناوي المراد بالتوبة اللغوية لا التوبة من الذنب والمراد بالتخفيف الذي رجع بهم اليه ما كان قبل وجوب القيام لكن الرجوع في الجملة لانه قبل وجوب قيام الليل لم يكن عليهم قيام شيء منه وفي هذا الرجوع والتخفيف وجوب جزء مطلق يصدق بركعتين فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ بيان للبدل الذي وقع النسخ اليه اي فنسخ التقدير بالاجزاء الثلثة الى جزء مطلق من الليل وسياتي ان هذا الجزء نسخ ايضا بوجوب الصلوات الخمس والمعنى فاقرؤا في الصلوة بالليل ما خف عليكم وتيسر لكم منه من غير ان ترقبوا وقتا قاله القرطبي ونحوه قال الحسن هو ما يقرأ في صلوة المغرب والعشاء وقال السدي ما تيسر منه هو مائة اية وقال الحسن ايضا من قرأ مائة اية في ليلة لم يحاجه القران وقال كعب من قرأ في ليلة مائة اية كتب من القانتين وقال سعيد خمسون اية وعن ابن عباس مرفوعا قال مائة اية اخرجه الطبراني وابن ابي حاتم وابن مردويه وعن قيس بن ابي حازم قال صليت خلف ابن عباس فقرأ في اول ركعة بالحمد لله رب العالمين واول اية من البقرة ثم ركع فلما انصرفنا اقبل علينا فقال ان الله يقول فاقرؤا ما تيسر منه اخرجه الدارقطني والبيهقي في سننه وحسناه قال ابن كثير هذا حديث غريب جدا لم اره الا في معجم الطبراني وعن ابي سعيد عند احمد والبيهقي في سننه قال امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نقرأ بفاتحة الكتاب وما تيسر وقد قدمنا في اول هذه السورة ما روي ان هذه الايات المذكورة هنا هي الناسخة لوجوب قيام الليل وقيل المعنى فصلوا ما تيسر لكم من صلوة الليل والصلوة تسمى قرانا كقوله وقران الفجر قيل ان هذه الاية نسخت قيام الليل ونصفه والنقصان من النصف والزيادة عليه فيحتمل ان يكون ما تضمنته هذه الاية فرضا ثابتا ويحتمل ان يكون منسوخا لقوله ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا قال الشافعي الواجب طلب الاستدلال بالسنة على احد المعنيين فوجدنا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تدل على ان لا واجب من الصلوة الا الخمس وقد ذهب قوم الى ان قيام الليل نسخ في حقه صلى الله عليه وسلم وفي حق امته وقيل نسخ التقدير بمقدار وبقي اصل الوجوب وقيل انه نسخ في حق الامة وبقي فرضا في حقه صلى الله عليه وسلم والاولى القول بنسخ قيام الليل على العموم في حقه صلى الله عليه وسلم وفي حق امته وليس في قوله

فاقرؤا ما تيسر منه ما يدل على بقاء شيء من الوجوب لانه ان كان المراد به القراءة من القران فقد وجدت في المغرب والعشاء وما يتبعهما من النوافل المؤكدة وان كان المراد به الصلوة من الليل فقد وجدت صلوة الليل بصلوة المغرب والعشاء وما يتبعهما من التطوع وايضا الاحاديث الصحيحة المصرحة بقول السائل لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل علي غيرها يعني الصلوات الخمس فقال لا الا ان تطوع تدل على عدم وجوب غيرها فارتفع بهذا وجوب قيام الليل وصلوته على الامة كما ارتفع وجوب ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ومن الليل فتهجد به نافلة لك قال الواحدي قال المفسرون في قوله فاقرؤا ما تيسر منه كان هذا في صدر الاسلام ثم نسخ بالصلوات الخمس عن المؤمنين وثبت على النبي صلى الله عليه وسلم خاصة وذلك قوله واقيموا الصلوة قلت فيه نظر لان وجوب الصلوات الخمس لا ينافي وجوب قيام الليل شرط الناسخ ان يكون حكمه منافيا ومعارضا لحكم المنسوخ كوجوب العدة بحول مع وجوبها باربعة اشهر وعشر فالصواب ان يكون النسخ بغير ذلك كالحديث الذي قدمنا ثم ذكر سبحانه عذرهم فقال عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى فلا يطيقون قيام الليل ويشق عليهم ذلك قال الحفناوي هذا استيناف مبين لحكمة اخرى فالحكمة الاولى هي قوله علم ان لن تحصوه والثانية هي قوله علم ان سيكون الخ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ اي يسافرون فيها للتجارة والارباح يطلبون من رزق الله ما يحتاجون اليه في معاشهم فلا يطيقون قيام الليل وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يعني الغزاة والمجاهدين فلا يطيقون قيام الليل قال النسفي سوى سبحانه وتعالى في هذه الاية بين درجة المجاهد والمكتسب لان كسب الحلال جهاد قال ابن مسعود ايما رجل جلب شيئا الى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله من الشهداء ثم قرأ هذه الاية وقال ابن عمر ما خلق الله موتة اموتها بعد القتل في سبيل الله احب الي من ان اموت بين شعبتي رحل اضرب في الارض ابتغي من فضل الله وقال طاوس الساعي على الارملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله ثم لما ذكر سبحانه ههنا ثلثة اسباب مقتضية للترخيص ورفع وجوب القيام فرفعه عن جميع الامة لاجل هذه الاعذار التي تنوب بعضهم ذكر ما يفعلونه بعد هذا الترخيص فقال فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وقد تقدم تفسيره قريبا والتكرير للتاكيد وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ يعني المفروضة وهي الخمس لوقتها وَآتُوا الزَّكَوٰةَ يعني الواجبة في الاموال وقال الحارث العكلي صدقة الفطر لان زكوة الاموال وجبت

بعد ذلك وقيل صدقة التطوع وقيل كل افعال الخير وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا اي انفقوا ماسوى المفروض في سبيل الخير من اموالكم انفاقا حسنا عن طيب قلب فانما اضافه الى نفسه لئلا يمن على الفقير فيما يتصدق به عليه وهذا لان الفقير معاون له في تلك القربة فلا تكون له عليه منة بل المنة للفقير عليه وقد مضى تفسيره في سورة الحديد قال زيد بن اسلم القرض الحسن الانفاق على الاهل وقيل الانفاق من الحلال بالاخلاص والصرف الى المستحق وقيل النفقة في الجهاد وقيل هو اخراج الزكوة المفترضة على وجه حسن فيكون تفسير القوله واتوا الزكوة و والاول اولى لقوله وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ فان ظاهره العموم اي اي خير كان مما ذكر ومما لم يذكر هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا اي اجزل ثوابا مما تؤخرونه الى عند الموت او توصون به ليخرج بعد موتكم وانتصاب خير اعلى انه ثاني مفعولي تجدوه وضمير هو ضمير فصل وبالنصب قرأ الجمهور وقرئ بالرفع على انه خبر هو والجملة في محل نصب على انها ثاني مفعولي تجدوه قال ابو زيد وهي لغة تميم يرفعون ما بعد ضمير الفصل وقرأ الجمهور ايضا اعظم بالنصب عطفا على خيرا وقرئ بالرفع مثل خير وانتصاب اجرا على التمييز وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ اي اطلبوا منه المغفرة لذنوبكم في مجامع احوالكم فانكم لا تخلون من ذنوب تقترفونها إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ اي كثير المغفرة لمن استغفره كثير الرحمة لمن استرحمه ويستر على اهل الذنب والتقصير ويخفف عن اهل الجهد والتوفير وهو على ما يشاء قدير ★

ع ١

سورة المدثر هي خمس او ست وخمسون اية وهي مكية

في قول الجميع قال ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الواحدي قال المفسرون لما بدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالوحي اتاه جبريل فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم على سرير بين السماء والارض كالنور المتلالي ففزع ووقع مغشيا عليه فلما افاق دخل على خديجة ودعا بماء فصبه عليه وقال دثروني دثروني فدثروه بقطيفة فقال يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ اي يا ايها الذي قد تدثر بثيابه اي تغشى بها من الرعب الذي حصل له

من روية الملك عند نزول الوحي واصله المتدثر فادغمت التاء في الدال لتجانسهما وقد قرأ الجمهور
بالادغام وقرأ ابي على الاصل والدثار هو ما يلبس فوق الشعار والشعار هو الذي يلي الجسد وفي الحديث
الانصار شعار والناس دثار وسيف داثر بعيد العهد بالصقال ومنه قيل للمنزل الدارس داثر
لذهاب اعلامه وقال عكرمة المعنى يا ايها المدثر بالنبوة واثقالها قال ابن العربي وهذا مجاز بعيد لانه
لم يكن نبيا اذ ذاك اخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن جابر بن عبد الله ان ابا سلمة بن عبد الرحمن قال
ان اول ما نزل من القرآن يا ايها المدثر فقال له يحيى بن ابي كثير يقولون ان اول ما نزل من القرآن اقرأ
باسم ربك الذي خلق فقال ابو سلمة سالت جابر بن عبد الله عن ذلك وقلت له مثل ما قلت فقال
جابر لا احدثك الا ما حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحراء فلما قضيت جواري هبطت
فنوديت فنظرت عن يميني فلم ار شيئا ونظرت عن شمالي فلم ار شيئا ونظرت خلفي فلم ار شيئا فرفعت راسي
فاذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والارض فجثثت منه رعبا فرجعت فقلت
دثروني فدثروني فنزلت يا ايها المدثر الى قوله والرجز فاهجر وعن ابن عباس قال دثر هذا الامر فقم
به وعنه قال المدثر النائم وسياتي في سورة اقرأ ما يدل على انها اول سورة انزلت والجمع ممكن قال الخطيب
اختلف في اول ما نزل من القرآن اختلافا طويلا وتحقيق المعتمد منه وطريق الجمع بين الاحاديث
المتناقضة فيه ان اول ما نزل على الاطلاق اقرأ باسم ربك الى ما لم يعلم واول ما نزل بعد فترة الوحي يا
ايها المدثر الى فاهجر وفي صدر حاشية سليمان الجمل استيفاء الكلام على ترتيب القرآن نزولا نقلا عن
الخازن فراجعه ان شئت ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ اي انهض فخوف اهل مكة وحذرهم العذاب ان لم يسلموا
او قم من مضجعك واترك التدثر بالثياب واشتغل بهذا المنصب الذي نصبك الله له وهو الانذار
او قم قيام عزم وتصميم وقيل الانذار هنا هو اعلامهم بنبوته وقيل اعلامهم بالتوحيد وقال الفراء
المعنى قم فصل وأمر بالصلوة ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ اي واختص سيدك ومالكك ومصلح امورك بالتكبير وهو
وصفه سبحانه بالكبرياء والعظمة عقدا وقولا وانه اكبر من ان يكون له شريك كما يعتقده الكفار و
اعظم من ان تكون له صاحبة او ولد قال ابن العربي المراد به تكبير التقديس والتنزيه لخلع الاضداد
والانداد والاصنام ولا تتخذ وليا غيره ولا تعبد سواه ولا ترى لغيره فعلا الا له ولا نعمة الا منه قال
الزجاج ان الفاء في فكبر دخلت على معنى الجزاء كما دخلت في قوله فانذر وقال ابن جني هو كقولك زيدا

فاضرب اي زيدا اضرب فالفاء زائدة وعبارة الكرخي دخلت الفاء لمعنى الشرط كانه قيل وايا ما كان فلا
تدع تكبيره وثيابك فطهر المراد بها الثياب الملبوسة على ما هو المعنى اللغوي امره الله سبحانه بتطهير
ثيابه وحفظها عن النجاسات وازالة ما وقع فيها منها وقال مجاهد وابن زيد وابو رزين اي عملك فاصلح
وقال قتادة نفسك فطهر من الذنب والثياب عبارة عن النفس وقال سعيد بن جبير قلبك فطهر وقال
الحسن والقرطبي اخلاقك فطهر لان خلق الانسان مشتمل على احواله اشتمال ثيابه على نفسه وقال
الزجاج المعنى وثيابك فقصر لان تقصير الثوب ابعد من النجاسات اذا انجر على الارض وبه قال
طاوس وذلك لان العرب كانت عادتهم تطويل الثياب وجر الذيول ولا يؤمن معه اصابة النجاسة
وفي الثوب الطويل من الخيلاء والكبر والفخر ما ليس في الثوب القصير فنهي عن تطويل الثوب وامر
بتقصيره لذلك وقال ابي بن كعب معناه لا تلبسها على غدر ولا على ظلم ولا على اثم البسها وانت بر طاهر
وقال ابن عباس اي لا تكن ثيابك التي تلبس من مكسب باطل وعنه قال فطهر من الاثم قال وهي في
كلام العرب نقي الثياب وعنه قال من الغدر لا تكن غدارا وفي لفظ لا تلبسها على غدرة والاول اولى
لانه المعنى الحقيقي وليس في استعمال الثياب مجازا عن غيرها العلاقة مع قرينة ما يدل على انه المراد عند الاطلاق
وليس في مثل هذا الاصل اعني الحمل على الحقيقة عند الاطلاق خلاف وفي الاية دليل على وجوب طهارة الثياب
في الصلوة قال الرازي اذا حملنا التطهير على حقيقته ففي الاية ثلث احتمالات الاول قال الشافعي المقصود
من الاية الاعلام بان الصلوة لا تجوز الا في ثياب طاهرة من الانجاس وثانيها قال عبد الرحمن بن زيد
بن اسلم كان المشركون لا يصونون ثيابهم عن النجاسات فامره الله ان يصون ثيابه عنها وثالثها
روي انهم القوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قذرا فقيل له وثيابك فطهر عن تلك النجاسات والقاذورات
والرجز فاهجر الرجز معناه في اللغة العذاب وفيه لغتان كسر الراء وضمها وهما قراءتان سبعيتان و
الزاي منقلبة عن السين والعرب تعاقب بين السين والزاي ومعناهما واحد وانما سمي الشرك وعبادة
الاوثان رجزا لانها سبب الرجز وقال مجاهد وعكرمة الرجز الاوثان كما في قوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان
وبه قال ابن زيد وقال ابراهيم النخعي الرجز المأثم والهجر الترك وقال قتادة الرجز اساف ونائلة وهما صنمان
كانا عند البيت وقال ابو العالية والربيع والكسائي الرجز بالضم الوثن وبالكسر العذاب وقال السدي الرجز
بنصب الراء الوعيد والاول اولى وقال ابن عباس الرجز الاصنام ولا تمنن تستكثر قرئ لا تمنن بالادغام وقرأ

الجمهور بفك الادغام وتستكثر بالرفع على انه حال اي لا تمنن حال كونك مستكثرا وقيل على حذف
ان والاصل ولا تمنن ان تستكثر فلما حذفت رفع قال الكسائي فاذا حذف ان رفع الفعل وقرئ تستكثر
بالنصب على تقدير ان وبقاء عملها ويؤيدها قراءة ابن مسعود ان تستكثر بزيادة ان وقرئ بالجزم على انه
بدل من تمنن كما في قوله يلق اثاما يضاعف له العذاب او الجزم لاجراء الوصل مجرى الوقف وقد اعترض
على قراءة الجزم لان قوله تستكثر لا يصح ان يكون بدلا من تمنن لان المن غير الاستكثار ولا يصح ان يكون
جوابا للنهي والمن الانعام وبابه رد اي لا تنعم بشيء مستكثرا اي طالبا للكثرة كارها ان ينقص المال
بسبب العطاء فيكون الاستكثار هنا عبارة عن طلب العوض كيف كان واختلف السلف في معنى الاية
فقيل المعنى لا تمنن على ربك بما تحمله من اعباء الرسالة والنبوة كالذي يستكثر ما يتحمله بسبب الغير وقيل
لا تعط عطية تلتمس فيها اكثر منها قاله عكرمة وقتادة وقال ابن عباس لا تعط تلتمس بها افضل منها
وعنه قال لا تعط الرجل عطاء رجاء ان يعطيك اكثر منه قال الضحاك هذا حرمه الله على رسوله لانه
مامور باشرف الاداب واجل الاخلاق واباحه لامته وقال مجاهد لا تضعف ان تستكثر من الخير من
قولك حبل منين اذا كان ضعيفا وقال الربيع بن انس لا يعظم عملك في عينك ان تستكثر من الخير
وقال ابن كيسان لا تستكثر عملا فتراه من نفسك انما عملك منة من الله عليك اذ جعل لك سبيلا
الى عبادته وقيل لا تمنن بالنبوة والقران على الناس فتاخذ منهم اجرا تستكثره وقال محمد بن كعب لا
تعط مالك مصانعة وقال زيد بن اسلم اذا اعطيت عطية فاعطها لربك **وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ** على طاعته
وفرائضه والمعنى لاجل ربك وثوابه وقال مقاتل ومجاهد اصبر على الاذى والتكذيب قال ابن زيد
حملت امرا عظيما محاربتك العرب والعجم فاصبر عليه لله وقيل اصبر تحت موارد القضاء لله وقيل
فاصبر على البلوى وقيل على الاوامر والنواهي **فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ** فاعول من النقر كانه من شانه ان
ينقر فيه للتصويت والنقر في كلام العرب الصوت ويقولون نقر باسم الرجل اذا دعاه والمراد هنا النفخ في الصور
والمراد النفخة الثانية وقيل الاولى وقد تقدم الكلام على هذا في سورة الانعام وسورة النمل والفاء
للسببية كانه قيل اصبر على اذاهم فبين ايديهم يوم هائل يلقون فيه عاقبة امرهم قال ابن عباس
الناقور الصور اي القرن الذي هو مستطيل وفيه ثقب بعدد الارواح كلها وتجمع الارواح في تلك
الثقب فيخرج من كل ثقبة روح الى الجسد الذي نزعت منه فيعود الجسد حيا باذن الله تعالى كما مر

غير مرة والعامل في اذا مادل عليه قوله الآتي فذلك يومئذ الخ فان معناه عسر الامر عليهم وقيل
العامل فيه مادل عليه قوله فذلك لانه اشارة الى النقر اي وقت النقر وهو النفخة يوم القيامة يومئذ
بدل مما قبله وهو اسم الاشارة و بني يوم لاضافته الى غير متمكن وهو اذ وتنوينها عوض عن الجملة
اي يوم اذ نقر في الصور وخبر ذلك يوم عسير اي شديد على الكافرين غير يسير تاكيد للعسر عليهم
لان كونه غير يسير قد فهم من قوله يوم عسير وفيه ايذان بانه يسير على المؤمنين وقال الرازي
يحتمل انه عسير على المؤمنين والكافرين الا انه على الكافرين اشد انتهى وماقاله الرازي يفهمه التقييد
بالجار والمجرور ان جعل متعلقا بيسير وان كان مضافا اليه لانه قد اجازه بعضهم كما ذكره السمين
ذرني ومن خلقت وحيدا اي دعني واتركني وهي كلمة توعد ووعيد والمعنى دعني والذي خلقته
حال كونه وحيدا في بطن امه لامال له ولاولد هذا على ان وحيدا منتصب على الحال من الموصول او من
الضمير العائد المحذوف ويجوز ان يكون حالا من الياء في ذرني اي دعني وحدي معه فاني اكفيك
في الانتقام منه والاول اولى قال المفسرون وهو الوليد بن المغيرة وبه قال ابن عباس قال مقاتل خل
بيني وبينه فانا انفرد بهلكته وانما خص بالذكر لمزيد كفره وعظيم جحوده لنعم الله عليه وقيل اراد بالوحيد
الذي لايعرف ابوه وكان يقال في الوليد انه دعي وعن ابن عباس قال ان الوليد بن المغيرة جاء الى
النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن فكانه رق له فبلغ ذلك ابا جهل فاتاه فقال ياعم ان قومك يريدون
ان يجمعوا لك مالا ليعطوكه فانك اتيت محمدا لتعرض لما قبله قال قد علمت قريش اني من اكثرها مالا
قال فقل فيه قولا يبلغ قومك انك منكر له وانك كاره له قال وماذا اقول فوالله مافيكم رجل اعلم بالشعر
مني لابرجزه ولابقصيده ولاباشعار الجن والله مايشبه هذا الذي يقول شيئا من هذا والله ان لقوله
الذي يقول لحلاوة وان عليه لطلاوة وانه لمثمر اعلاه مغدق اسفله وانه ليعلو ومايعلى وانه
ليحطم ماتحته قال والله لايرضى قومك حتى تقول فيه قال فدعني حتى افكر فلما فكر قال هذا سحر يؤثر يأثره
عن غيره فنزلت ذرني ومن خلقت وحيدا اخرجه الحاكم وصححه والبيهقي في الدلائل وقد اخرجه
عبد الرزاق عن عكرمة مرسلا وكذا غير واحد وجعلت له مالا ممدودا اي كثيرا او ممدا بالزيادة
والنماء شيئا بعد شيء قال الزجاج مال غير منقطع عنه وقد كان الوليد بن المغيرة مشهورا بكثرة المال
على اختلاف انواعه كالزرع والضرع والتجارة قيل كان يحصل له من غلة امواله الف الف دينار

وقيل اربعة آلاف دينار وقيل الف دينار قاله ابن عباس وعن عمر بن الخطاب انه سئل
عن هذه الآية فقال غلة شهر بشهر فيل كان له بستان بالطائف لا ينقطع ثماره شتاء ولا صيفاً
وكان له عبيد وجوار كثيرة ﴿وَبَنِينَ شُهُودًا﴾ اي وجعلت له بنين حضورا معه لا يسافرون
ولا يحتاجون الى التفرق في طلب الرزق لكثرة مال ابيهم قال الضحاك كانوا سبعة ولد بمكة
وخمسة ولدوا بالطائف وقال سعيد بن جبير كانوا ثلثة عشر ولدا وقال مقاتل كانوا
سبعة كلهم رجال اسلم منهم ثلثة خالد وهشام والوليد بن الوليد وقيل عمارة وفيه
نظر لان ابن حجر قال في الاصابة ان عمارة مات كافرا وقيل معنى شهودا انه اذا ذكر ذكروا معه
وقيل كانوا يشهدون ما كان يشهده من المحافل والمجامع ويقومون بما كان يباشره ﴿وَمَهَّدتُّ
لَهُ تَمْهِيدًا﴾ اي بسطت له في العيش الرغيد وطول العمر والجاه العريض والرياسة في قريش حتى
كان يلقب ريحانة قريش وهو الكمال عند اهل الدنيا والتمهيد عند العرب التوطية ومنه
مهد الصبي واصله التسوية والتهيئة وتجوز به عن بسط المال والجاه وهو المراد هنا وقال
مجاهد انه المال بعضه فوق بعض كما يمهد الفراش ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾ اي يطمع بعد هذا
كله في الزيادة لكثرة حرصه وشدة طمعه مع كفرانه بالنعم واشراكه بالله قال الحسن ثم يطمع ان
ادخله الجنة وكان يقول ان كان محمد صادقا فما خلقت الجنة الا لي فردعه الله سبحانه و
زجره فقال ﴿كَلَّا﴾ اي لست ازيده بل انقصه فقد ورد انه بعد نزول هذه الآية ما زال في نقصان
ماله وولده حتى هلك فقير اثم علل ذلك على وجه الاستيناف التحقيقي بقوله ﴿إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا
عَنِيدًا﴾ اي معاندا لها كافرا بما انزلناه منها على رسولنا فان معاندة آيات المنعم مع وضوحها و
كفرانها مع شيوعها مما يوجب الحرمان بالكلية وانما اوتي ما اوتي استدراجا يقال عند يعند
بالكسر اذا خالف الحق ورده وهو يعرفه فهو عنيد وعاند والعاند الذي يجوز عن الطريق ويعدل
عن القصد قال ابو صالح عنيدا معناه مباعدا وقال قتادة جاحدا وقال مقاتل معرضا وقال
ابن عباس جحودا ﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾ اي ساكلفه مشقة من العذاب لا راحة فيها وهو مثل
لما يلقاه من العذاب الصعب الذي لا يطاق وقيل المعنى انه يكلف ان يصعد جبلا من نار كالارهاق
في كلام العرب ان يحمل الانسان الشيء قال ابو سعيد الخدري في قوله صعودا هو جبل في النار يكلفون

أن يصعد وافيه فكلما وضعوا أيديهم عليه ذابت فاذا رفعوها عادت كما كانت وعنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الصعود جبل في النار يصعد فيه الكافر سبعين خريفا ثم يهوي
وهو كذلك فيه أبدا أخرجه أحمد والترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن حبان
والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي قال الترمذي غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة
عن دراج قال ابن كثير وفيه غرابة ونكارة انتهى وقد أخرجه جماعة من قول أبي سعيد
وقال ابن عباس صعود صخرة في جهنم يسحب عليها الكافر على وجهه وعنه قال جبل في النار
وجملة إنه فكر تعليل لما تقدم من الوعيد أي انه فكر في شأن النبي صلى الله عليه وسلم وما أنزل عليه من
القرآن وقدر أي هيأ الكلام في نفسه والعرب تقول هيأت الشيء اذا قدرته وقدرت الشيء
اذا هيأته وذلك انه لما سمع القرآن لم يزل يفكر ماذا يقول فيه وقدر في نفسه ما يقول فذمه
الله وقال فقتل أي لعن وعذب كيف قدر أي على أي حال قدر ما قدر من الكلام كما يقال في
الكلام لأضربنه كيف صنع أي على أي حال كانت منه وقيل المعنى قهر وغلب كيف قدر وقال الزهري
عذب وهو من باب الدعاء عليه والتكرير في قوله ثم قتل كيف قدر للمبالغة والتأكيد وقيل
فقتل في الدنيا ثم قتل فيما بعد الموت في البرزخ والقيامة وثم يشعر بأن الدعاء الثاني أبلغ من
الأول فهي للتفاوت في الرتبة وقيل بل للتراخي في الزمان أيضا ثم نظر بأي شيء يدفع القرآن
ويقدح فيه فالنظر بمعنى التأمل وعلى هذا فتتكرر هذه الجملة مع قوله انه فكر وقدر أو فكر في القرآن
وتدبر ما هو ثم عبس أي قطب وجهه لما لم يجد مطعنا يطعن به في القرآن والعبس مصدر عبس
مخففا يعبس عبسا وعبوسا اذا قطب وقيل عبس في وجوه المؤمنين وقيل عبس في وجه النبي صلى الله
عليه وسلم وبسر أي كلح وجهه وتغير وقيل ان ظهور العبس في الوجه يكون بعد المحاورة وظهور البسور
في الوجه قبلها والعرب تقول وجه باسر اذا تغير واسود وقال الراغب البسر استعجال الشيء قبل أوانه نحو بسر
الرجل حاجته أي طلبها في غير أوانها قال ومنه قوله عبس وبسر أي أظهر العبوس قبل أوانه
وقيل وقته وأهل اليمن يقولون بسر المركب وأبسر أي وقف لا يتقدم ولا يتأخر وقد أبسرنا أي صرنا
الى البسور ثم أدبر واستكبر أي أعرض عن الحق وذهب الى أهله وتعظم عن أن يؤمن فقال عقب
ما جره إليه طبعه الخبيث من الكفر القائم به إن هذا إلا سحر يؤثر أي يأثره عن غيره ويرويه عن السحرة

كمسيلمة واهل بابل والسحر اظهار الباطل في صورة الحق والخديعة على ما تقدم بيانه في سورة البقرة يقال اثرت الحديث تأثره اذا ذكرته عن غيرك اي امور تخييلية لا حقائق لها وهي لدقتها بحيث تخفى اسبابها شبيهة بتمويهية إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ يعني انه كلام الانس وليس بكلام الله وهو تأكيد لما قبله وقد تقدم ان الوليد بن المغيرة انما قال هذا القول ارضاء لقومه بعد اعترافه ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة الى آخر كلامه ولما قال هذا القول الذي حكاه الله عنه قال الله عز وجل سَأُصْلِيهِ سَقَرَ اي سأدخله النار وسقر من اسماء النار ومن دركات جهنم ولم تنصرف للتعريف والتأنيث قال السمين هذا بدل من قوله سأرهقه صعودا قاله الزمخشري فان كان المراد بالصعود المشقة فالبدل واضح وان كان المراد صخرة في جهنم كما جاء في بعض التفاسير فيعسر البدل ويكون فيه شبه من بدل الاشتمال لان جهنم مشتملة على تلك الصخرة ثم بالغ في وصف النار وشدة امرها فقال وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ اي وما اعلمك اي شيء هي والعرب تقول وما ادراك ما كذا اذا ارادوا المبالغة في امره وتعظيم شأنه وتهويل خطبه وما الاولى مبتدأ وجملة ما سقر خبر المبتدأ ثم فسر حالها فقال لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ والجملة مستأنفة لبيان حال سقر والكشف عن وصفها وقيل هي في محل نصب على الحال والعامل فيها معنى التعظيم لان قوله وما ادراك ما سقر يدل على التعظيم فكانه قال استعظموا سقر في هذه الحال والاول اولى ومفعول الفعلين محذوف قال السدي لا تبقي لهم لحما ولا تذر لهم عظما وقال عطاء لا تبقي من فيها حيا ولا تذره ميتا وقيل هما لفظان بمعنى واحد كررا للتأكيد كقولك صد عني واعرض عني وقال ابن عباس لا تبقي منهم شيئا واذا بدلوا خلقا آخر لم تذر ان تعاودهم سبيل العذاب الاول لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ قرأ الجمهور بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وقيل على انه نعت لسقر والاول اولى وقرئ بالنصب على الحال او الاختصاص للتهويل يقال لاح يلوح اي ظهر والمعنى انها تظهر للبشر قال الحسن تلوح لهم جهنم حتى يرونها عيانا كقوله وبرزت الجحيم لمن يرى وقيل معنى لواحة للبشر مغيرة لهم ومسودة قال مجاهد والعرب تقول لاحه الحر والبرد والحزن والسقم اذا غيره وهذا ارجح من الاول واليه ذهب جمهور المفسرين وقال الاخفش المعنى انها معطشة للبشر قال ابن عباس تلوح الجلد فتحرقه وتغير لونه فيصير اسود من الليل وعنه قال لواحة محرقة والمراد بالبشر اما جلدة الانسان الظاهرة كما قاله الاكثر او المراد به اهل النار من الانس كما قال الاخفش عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ قال المفسرون يقول سبحانه على النار تسعة عشر من الملائكة

هم خزنتها وقيل تسعة عشر صنفا من اصناف الملائكة وقيل تسعة عشر صفا من صفوفهم وقيل تسعة عشر نقيبا مع كل نقيب جماعة من الملائكة والاول اولى قال الثعلبي ولا ينكر هذا فاذا كان ملك واحد يقبض ارواح الخلائق كان احرى ان يكونوا تسعة عشر على عذاب بعض الخلق قرأ الجمهور عشر بفتح الشين وقرئ باسكانها عن البراء ان رهطا من اليهود سألوا بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن خزنة جهنم فقال الله ورسوله اعلم فجاء جبريل فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم فنزل عليه ساعتئذ عليها تسعة عشر رواه البيهقي في البعث وابن ابي حاتم وابن مردويه قال الكرخي وخص هذا العدد بالذكر لكونه موافقا لعدد اسباب فساد النفس الانسانية وهي القوى الانسانية والطبيعية اذ القوى الانسانية ثنتا عشرة الخمسة الظاهرة والخمسة الباطنة والشهوة والغضب والقوى الطبيعية سبعة الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والمولدة والمجموع تسعة عشر انتهى قلت وهذا ليس بتفسير للاية بل الحكمة المودعة في هذا العدد مفوضة الى علم الله تعالى قال الرازي وتخصيص هذا العدد لحكمة اختص الله بها ولما نزل هذا قال ابو جهل اما لمحمد من الاعوان الا تسعة عشر يخوفكم محمد بتسعة عشر وانتم الدهم ايعجز كل مائة رجل منكم ان يبطشوا بواحد منهم ثم يخرجون من النار فقال ابو الاشدين وهو رجل من بني جمح يا معشر قريش اذا كان يوم القيامة فانا امشي بين ايديكم فادفع عشرة بمنكبي الايمن وتسعة بمنكبي الايسر ونمضي ندخل الجنة فانزل الله سبحانه وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحٰبَ النَّارِ يعني ما جعلنا المدبرين لامر النار القائمين بعذاب من فيها اِلَّا مَلٰٓئِكَةً فمن يطيق الملائكة ومن يغلبهم فكيف تتعاطون ايها الكفار مغالبتهم قال ابن عباس لما سمع ابو جهل عليها تسعة عشر قال لقريش ثكلتكم امهاتكم اسمع ابن ابي كبشة يخبركم ان خزنة جهنم تسعة عشر وانتم الدهم افيعجز كل عشرة منكم ان يبطش برجل من خزنة جهنم اخرجه ابن جرير وابن مردويه قيل جعلهم ملائكة لانهم خلاف جنس المخلوقين من الجن والانس فلا يأخذهم ما يأخذ المجانس من الرقة والرأفة وقيل لانهم اقوم خلق الله بحقه والغضب له اشدهم بأسا واقواهم بطشا وَّمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ اِلَّا فِتْنَةً اي سبب ضلالة لِّلَّذِيْنَ كَفَرُوْا اي للذين استقلوا عددهم والمعنى ما جعلنا عددهم هذا العدد المذكور في القرآن الا ضلالة ومحنة لهم حتى قالوا ما قالوا ليتضاعف عذابهم ويكثر غضب الله عليهم وقيل المعنى الا عذابا كما في قوله يوم هم على النار يفتنون اي يعذبون قال ابن عباس في الاية قال ابو الاشدين خلوا

بيني وبين خزنة جهنم انا اكفيكم مؤنتهم قال وحدثت ان النبي صلى الله عليه وسلم وصف خزان جهنم
فقال كان اعينهم البرق وكان افواههم الصياصي يجرون اشعارهم لهم مثل قوة الثقلين يقبل
احدهم بالامة من الناس يسوقهم على رقبته جبل حتى يرمي بهم في النار فيرمي بالجبل عليهم
اخرجه ابن مردويه ليستيقن الذين اوتوا الكتاب المراد بهم اليهود والنصارى لموافقة ما نزل
من القرآن بان عدة خزنة جهنم تسعة عشر لما عندهم قاله الضحاك وقتادة ومجاهد وغيرهم
والمعنى ان الله سبحانه جعل عدة خزنة جهنم هذه العدة ليحصل اليقين لليهود والنصارى بنبوة محمد
صلى الله عليه وسلم لموافقة ما في القرآن لما في كتبهم ويزداد الذين آمنوا من اهل الكتاب كعبد الله بن
سلام وقيل اراد المؤمنين من امة محمد صلى الله عليه وسلم ايماناً اي ليزدادوا يقيناً الى يقينهم لما
رأوا من موافقة اهل الكتاب لهم وجملة ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون مقررة
لما تقدم من الاستيقان وازدياد الايمان والمعنى نفي الارتياب عنهم في الدين او في ان عدة خزنة
جهنم تسعة عشر ولا ارتياب في الحقيقة من المؤمنين ولكنه من باب التعريض لغيرهم ممن في
قلبه شك من المنافقين وليقول الذين في قلوبهم مرض المراد باهل المرض المنافقون والسورة
وان كانت مكية ولم يكن اذ ذاك نفاق فهو اخبار عما سيكون في المدينة فهو معجزة له صلى الله عليه وسلم
حيث اخبر وهو بمكة عما سيكون بالمدينة بعد الهجرة او المراد بالمرض مجرد حصول الشك والريب وهو
كائن في الكفار قال الحسين بن الفضل السورة مكية ولم يكن بمكة نفاق فالمرض في هذه الآية الخلاف
والمراد بقوله والكافرون كفار مكة من العرب وغيرهم ماذا مجموع الكلمتين اسم استفهام فذا ملغاة
اي اي شيء اراد الله بهذا العدد المستغرب استغراب المثل مثلاً تسير به الركبان سيرها بالامثال
قال الليث المثل الحديث ومنه قوله مثل الجنة التي وعد المتقون اي حديثها والخبر عنها كذلك
اي مثل ذلك الاضلال المتقدم ذكره وهو قوله وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا يضل الله
من يشاء من عباده ويهدي من يشاء منهم والمعنى مثل ذلك الاضلال للكافرين والهداية للمؤمنين
يضل الله من يشاء اضلاله ويهدي من يشاء هدايته وهو الذي علم منه اختيار الاهتداء
وفيه دليل على خلق الافعال وقيل المعنى كذلك يضل الله عن الجنة من يشاء ويهدي اليها من يشاء
وما يعلم جنود ربك اي ما يعلم عدد خلقه ومقدار جموعه من الملائكة وغيرهم الا هو وحده

لا يقدر على علم ذلك احد قال عطاء يعني من الملائكة الذين خلقهم لتعذيب اهل النار لا يعلم عدتهم الا الله وحده والمعنى ان خزنة النار وان كانوا تسعة عشر فلهم من الاعوان والجنود من الملائكة ما لا يعلمه الا الله سبحانه عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة اسري به قال فصعدت انا وجبريل الى السماء الدنيا فاذا انا بملك يقال له اسمعيل وهو صاحب سماء الدنيا وبين يديه سبعون الف ملك مع كل ملك جنده مائة الف وتلى هذه الاية اخرجه الطبراني في الاوسط وابو الشيخ وعن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع اصبع الا عليه ملك ساجد اخرجه احمد والترمذي وابن ماجة قال الترمذي حسن غريب ويروى عن ابي ذر موقوفا ثم رجع سبحانه الى ذكر سقر فقال وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ اي وما سقر وما ذكر من عدد خزنتها الا تذكرة وموعظة للعالم يتذكرون بها ويعلمون كمال قدرته تعالى وانه لا يحتاج الى اعوان وانصار وقيل ما هي اي الدلائل والحجج والقران الا تذكرة للبشر وقال الزجاج نار الدنيا تذكرة لنار الاخرة وهو بعيد وقيل الضمير في وما هي يرجع الى الجنود ثم ردع سبحانه المكذبين وزجرهم فقال كَلَّا وَالْقَمَرِ قال الفراء كلا صلة للقسم والتقدير اي والقمر وقيل المعنى حقا والقمر قال الكرخي كلا استفتاح بمعنى الا بفتح الهمزة وتخفيف اللام المفيدة للتنبيه على تحقق ما بعدها وقال النضر بن شميل حرف جواب بمعنى اي ونعم وهو مذهب البصريين وجعلها الزمخشري في الاية للانكار والردع قال الكافيجي ولا منافاة بينه وبين كلام البصريين فان مدار كلامهم على ما يتبادر من ظاهر القول ومدار كلامه على اساس البلاغة والاعجاز وهو احسن وقال ابن جرير الطبري المعنى رد زعم من زعم انه يقاوم خزنة جهنم اي ليس الامر كما يقول ثم اقسم على ذلك بالقمر وبما بعده وهذا هو الظاهر من معنى الاية وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ اي ولى قرأ الجمهور اذا بزيادة الالف ودبر بزنة ضرب على انه ظرف لما يستقبل من الزمان وقرئ اذ ادبر بزنة اكرم ظرفا لما مضى من الزمان ودبر وادبر لغتان كما يقال اقبل الزمان وقبل الزمان ويقال دبر الليل وادبر الليل اذا تولى ذاهبا عن مجاهد قال سألت ابن عباس عن قوله اذا دبر فسكت عني حتى اذا كان من اخر الليل وسمع الاذان ناداني يا مجاهد هذا حين دبر الليل وعن ابن عباس قال دبر بعد ظلامه وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ اي اضاء وتبين وظهر إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ قرأ الجمهور لاحدى بالهمزة وقرئ لحدى بدونها وهذا جواب القسم والضمير راجع الى سقر

اي ان سقر لاحدى الدواهي او البلايا الكبر والكبر جمع كبرى وقال مقاتل ان الكبر اسم من اسماء
النار وقيل انها اي تكذيبهم لمحمد صلى الله عليه وسلم لاحدى الكبر وقيل ان قيام الساعة لاحدى الكبر
والاول اولى وقال الكلبي اراد بالكبر دركات جهنم وابوابها نَذِيرًا لِلْبَشَرِ حال من ضمير في انها قاله
الزجاج وروي عنه وعن الكسائي وابي علي الفارسي انه حال من قوله قم فانذر اي قم يا محمد فانذر حال
كونك نذيرا للبشر وقال الفراء هو مصدر بمعنى الانذار منصوب بفعل مقدر وقيل انه منتصب على
التمييز لاحدى لتضمنها معنى التعظيم كانه قيل اعظم الكبر انذارا وقيل لتقدير لاجل انذار
البشر وقيل غير ذلك قرأ الجمهور بالنصب وقرئ بالرفع اي هي نذير او هو نذير وقد اختلف في
النذير فقال الحسن هي النار وقيل محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابو رزين المعنى انا نذير لكم منها وقيل
القران نذير للبشر لما تضمنه من الوعد والوعيد لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ بدل من قوله للبشر أَنْ يَتَقَدَّمَ
يسبق الى الطاعة أَوْ يَتَأَخَّرَ يتخلف عنها والمعنى ان الانذار قد حصل لكل من امن وكفر وقيل
فاعل المشية هو الله سبحانه اي لمن شاء الله ان يتقدم منكم بالايمان او يتاخر بالكفر والاول
اولى وقال السدي لمن شاء ان يتقدم الى النار المتقدم ذكرها او يتاخر الى الجنة وقال ابن عباس
من شاء اتبع طاعة الله ومن شاء تاخر عنها قال الحسن هذا وعيد وتهديد وان خرج مخرج الخبر
كقوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ اي ماخوذة بعملها مرتهنة
به اما خلصها واما اوبقها والرهينة اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم وليست صفة ولو كانت
صفة لقيل رهين لان فعيلا يستوي فيه المذكر والمؤنث والمعنى كل نفس رهينة بكسبها غير مفكوكة
كافرة كانت او مؤمنة عاصية او غير عاصية إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ فانهم لا يرتهنون بذنوبهم بل
يفكون بما احسنوا من اعمالهم والاستثناء متصل لان المستثنى هو المؤمنون الخالصون من الذنوب
وقوله رهينة اي على الدوام بالنسبة للكفار وعلى وجه الانقطاع بالنسبة لعصاة المؤمنين واختلف في
تعيينهم فقيل هم الملائكة وقيل المؤمنون وقيل اولاد المسلمين واطفالهم وقيل الذين كانوا
عن يمين ادم وقيل اصحاب الحق وقيل هم المعتمدون على الفضل دون العمل وقيل هم الذين اختارهم
الله لخدمته وقال ابن عباس هم المسلمون وقال علي هم اطفال المسلمين قيل هو اشبه بالصواب لان
الاطفال لم يكتسبوا اثما يرتهنون به فِي جَنَّاتٍ هو في محل رفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي هم في جنات

لا يكتنه وصفها والجملة استيناف جوابا عن سؤال نشأ مما قبله او حال من اصحاب اليمين او من فاعل قوله يَتَسَاءَلُونَ ويجوز ان يكون ظرفا له اي يسأل بعضهم بعضا ويجوز ان يكون بمعنى يسألون اي يسألون غيرهم نحو دعيته وتداعينه فعلى الوجه الاول يكون عَنِ الْمُجْرِمِينَ متعلقا بيتساءلون اي يسأل بعضهم بعضا عن احوالهم وعلى الوجه الثاني تكون عن زائدة اي يسألون المجرمين ثم المراد بهم الكافرون وهذا التساؤل فيما بينهم قبل ان يروا المجرمين فلما يرونهم يسألونهم ويقولون في سؤالهم مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ اي ما ادخلكم فيها تقول سلكت الخيط في كذا اذا ادخلته فيه قال الكلبي يسأل الرجل من اهل الجنة الرجل من اهل النار باسمه فيقول له يا فلان ما سلكك في النار وقيل ان الملائكة يسألون الملائكة عن اقربائهم فتسأل الملائكة المشركين يقولون لهم ما سلككم في سقر قال الفراء في هذا ما يقوي ان اصحاب اليمين هم الولدان لانهم لا يعرفون الذنوب وهذا سؤال توبيخ وتقريع ثم ذكر سبحانه ما اجاب به اهل النار فقال قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ اي من المؤمنين الذين يصلون لله في الدنيا ولم نعتقد فرضيتها وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ اي لم نتصدق على المساكين وقيل وهذا محمولان على الصلوة الواجبة والصدقة الواجبة لانه لا تعذيب على غير الواجب وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالشرعيات والفروع فقول صاحب الكشاف يحتمل ان يدخل بعضهم النار بمجموع ذلك وهو ترك الصلوة وترك الاطعام والخوض في الباطل مع الخائضين والتكذيب بيوم القيامة وبعضهم بمجرد ترك الصلوة او ترك الطعام تخيل منه كما قال صاحب الانتصاف ان تارك الصلوة يخلد في النار وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ اي نخالط اهل الباطل في باطلهم قال قتادة كلما غوى غاو غوينا معه وقال السدي كنا نكذب مع المكذبين وقال ابن زيد نخوض مع الخائضين في امر محمد صلى الله عليه وسلم وهو قولهم كاذب ساحر مجنون شاعر وعبارة الخطيب اي نشرع في الباطل مع الخائضين فنقول في القرآن انه سحر وشعر وكهانة وغير ذلك من الاباطيل لا نتورع عن شيء من ذلك ولا ننقمع مع صريح عقل ولا نرجع الى صحيح نقل فمن هذا يحذر الذين يبادرون بالجواب في كل ما يسألون عنه من انواع العلم من غير تثبت وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ اي بيوم الجزاء والحساب اخره لتعظيمه وهذا تخصيص بعد تعميم لان الخوض في الباطل عام شامل للتكذيب بيوم الدين وغيره اي وكنا بعد ذلك كله مكذبين بيوم القيامة والصحيح ان الآية

في الكفار اي لم نكن من اهل الصلوة وكذلك البقية ولا تصح منهم هذه الطاعات وانما يتاسفون على فوات
ما ينفع ذكره سليمان الجمل حَتّٰٓى اَتٰىنَا الْيَقِيْنُ وهو الموت كما في قوله واعبد ربك حتى ياتيك اليقين
وبه قال ابن عباس وهذا غاية في الامور الاربعة فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشّٰفِعِيْنَ اي شفاعة الملائكة
والنبيين كما تنفع الصالحين والمعنى لا شفاعة لهم قال الحفناوي فالنفي مسلط على المقيد وقيده وليس
المراد ان ثم شفاعة غير نافعة كما يتوهم من ظاهر اللفظ من حيث ان الغالب في النفي اذا دخل على
مقيد بقيد ان يتسلط على القيد فقط وفيه دليل على ثبوت الشفاعة للمؤمنين وفي الحديث
ان من امتي من يدخل الجنة بشفاعته اكثر من ربيعة ومضر قال ابن مسعود تشفع الملائكة والنبيون
والشهداء والصالحون وجميع المؤمنين فلا يبقى في النار الا اربعة ثم تلى قالوا لم نك من المصلين
الآيات وقال عمران بن حصين الشفاعة نافعة لكل احد دون هؤلاء الذين تسمعون فَمَا لَهُمْ عَنِ
التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِيْنَ التذكرة التذكير بمواعظ القرآن والفاء لترتيب انكار اعراضهم عن التذكرة
على ما قبله من موجبات الاقبال عليها وانتصاب معرضين على الحال من الضمير في متعلق الجار والمجرور
اي اي شيء حصل لهم حال كونهم معرضين عن القرآن الذي هو مشتمل على التذكرة الكبرى والموعظة
العظمى ثم شبههم في نفورهم عن القرآن بالحمر فقال كَاَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنْفِرَةٌ اي نافرة يقال نفر واستنفر
مثل عجب واستعجب والمراد الحمر الوحشية والجملة حال من الضمير في معرضين على التداخل قرئ في
السبع بكسر الفاء بمعنى نافرة وقرئ بفتحها اي منفرة مذعورة واختار هذا ابو حاتم وابو عبيد قال في
الكشاف المستنفرة الشديدة النفار كانها تطلب النفار من نفوسها في جمعها له وحملها عليه فَرَّتْ
مِنْ قَسْوَرَةٍ حال بتقدير قد اي قد فرت من رماة يرمونها والقسور الرامي وجمعه قسورة قاله سعيد
بن جبير وعكرمة ومجاهد وقتادة وابن كيسان وقيل هو الاسد قاله عطاء والكلبي قال ابن عرفة هو
من القسر وهو القهر لانه يقهر السباع وقيل القسورة اصوات الناس وقيل القسورة بلسان العرب
الاسد وبلسان الحبشة جماعة الرماة ولا واحد له من لفظه وقال ابن الاعرابي القسورة اول الليل اي
فرت من ظلمة الليل وبه قال عكرمة والاول اولى وكل شديد عند العرب فهو قسورة قال ابو موسى الاشعري
القسورة الرماة رجال القنص وقال ابن عباس القسورة الرجال الرماة القنص وقيل هي حبال الصيادين
وعن ابي حمزة قال قلت لابن عباس القسورة الاسد فقال ما اعلمه بلغة احد من العرب الاسد هم عصبة الرجال

وعن ابن عباس قال هو ركز الناس يعني اصواتهم شبههم في اعراضهم عن القرآن واستماع الذكر
بحمر جدت في نفارها بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً عطف على مقدر يقتضيه
المقام كانه قيل لا يكتفون بتلك التذكرة بل يريد الخ فهو اضراب انتقالي عن محذوف هو جواب
الاستفهام السابق كانه قيل فلا جواب لهم عن هذا السؤال اي لا سبب لهم في الاعراض بل يريد الخ
قال المفسرون ان كفار قريش قالوا لمحمد صلى الله عليه وسلم ليصبح عند راس كل رجل منا كتاب منشور من الله
انك لرسول الله والصحف الكتب واحدتها صحيفة والمنشرة المنشورة المبسوطة المفتوحة اي غير
مطوية اي طرية لم تطو بل تاتينا وقت كتابتها وهذا من زيادة تعنتهم ومثل هذه الآية قوله
سبحانه حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قرأ الجمهور منشرة بالتشديد وقرأ سعيد بن جبير بالتخفيف
وقرأ الجمهور ايضا بضم الحاء من صحف وقرأ سعيد باسكانها ثم ردعهم الله سبحانه عن هذه المقالة
وزجرهم فقال كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ يعني عذابها لانهم لو خافوا النار لما اقترحوا الآيات وهذا
اضراب انتقالي لبيان سبب هذا التعنت والاقتراح وقيل كلا بمعنى حقا ثم كرر الردع والزجر لهم فقال
كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ او بمعنى الاستفتاحية او حقا ان القرآن تذكرة بليغة كافية والمعنى انه يتذكر به
ويتعظ بمواعظه او انكار ان يتذكروا بها قاله القاضي كالكشاف فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ اي فمن شاء ان
يذكره ولا ينساه فعل واتعظ فان نفع ذلك عائد اليه ثم رد سبحانه المشية الى نفسه فقال وَمَا يَذْكُرُونَ
إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ قرأ الجمهور يذكرون بالياء التحتية وقرأ نافع ويعقوب بالفوقية وهما سبعيتان واتفقوا
على التخفيف والاستثناء مفرغ من اعم الاحوال قال مقاتل الا ان يشاء الله لهم الهدى وقال في الكشاف
يعني الا ان يقسرهم على الذكر قال الامام انه تعالى نفى الذكر مطلقا واستثنى منه حال المشية المطلقة
فيلزم انه متى حصلت المشية يحصل الذكر فحيث لم يحصل الذكر علمنا انه لم تحصل المشية وتخصيص
المشية بالمشية القسرية ترك للظاهر وقال وهو تصريح بان فعل العبد بمشية الله تعالى ذكره الكرخي
هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى اي هو الحقيق بان يتقيه المتقون بترك معاصيه والعمل بطاعاته وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ اي هو الحقيق بان
يغفر للمؤمنين ما فرط منهم من الذنوب والحقيق بان يقبل توبة التائبين من العصاة فيغفر ذنوبهم عن
انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فقال قال ربكم انا اهل ان اتقى فلا يجعل معي اله فمن اتقاني
فلم يجعل معي الها فانا اهل ان اغفر له اخرجه احمد والدارمي والترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجة

والبزار وابو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم وابن عدي وصححه وابن مردويه
واخرج ابن مردويه عن ابي هريرة وابن عمر وابن عباس مرفوعا نحوه

سورة القيامة هي تسع وثلثون او اربعون اية وهي مكية بلا خلاف

عن ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله

بسم الله الرحمن الرحيم

لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ قال ابو عبيدة وجماعة من المفسرين ان لا زائدة والتقدير اقسم قال السمرقندي اجمع المفسرون ان معنى لا اقسم اقسم واختلفوا في تفسير لا فقال بعضهم هي زائدة وزيادتها جارية في كلام العرب كقوله ما منعك ان لا تسجد يعني ان تسجد ولئلا يعلم اهل الكتاب واعترضوا هذا بانها انما تزاد في وسط الكلام لا في اوله واجيب بان القران في حكم سورة واحدة متصل بعضه ببعض يدل على ذلك انه قد يجيء ذكر الشيء في سورة ويذكر جوابه في سورة اخرى كقوله تعالى يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون وجوابه في سورة اخرى ما انت بنعمة ربك بمجنون واذا كان كذلك كان اول هذه السورة جاريا مجرى الوسط ورد هذا بان القران في حكم السورة الواحدة في عدم التناقض لا في ان تقرن سورة بما بعدها فذلك غير جائز وقال الزمخشري ادخال لا النافية على فعل القسم مستفيض في كلامهم واشعارهم وفائدتها توكيد القسم وقال بعضهم هي رد لكلامهم حيث انكروا البعث كانه قال ليس الامر كما ذكرتم اقسم بيوم القيامة وهذا قول الفراء وكثير من النحويين كقول القائل لا والله فلا رد لكلام قد تقدمها وقيل هي للنفي لكن لا لنفي الاقسام بل لنفي ما ينبئ عنه من اعظام المقسم به وتفخيمه كان معنى لا اقسم بكذا لا اعظمه باقسامي به حق اعظامه فانه حقيق باكثر من ذلك وقيل انها لنفي الاقسام لوضوح الامر وقد تقدم الكلام على هذا في تفسير قوله فلا اقسم بمواقع النجوم وقرأ الحسن وابن كثير في رواية عنه والزهري وابن هرمز لاقسم بدون الف على ان اللام لام الابتداء والقول الاول هو ارجح الاقوال وقد اعترض عليه الرازي بما لا يقدح في قوته ولا يفت في عضد رجحانه واقسامه سبحانه بيوم القيامة لتعظيمه وتفخيمه ولله ان يقسم بما شاء من مخلوقاته قال سعيد بن جبير سألت ابن عباس عن قوله لا اقسم بيوم القيمة

قال يقسم ربك بما شاء من خلقه ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ ذهب قوم الى انه سبحانه اقسم بالنفس اللوامة كما اقسم بيوم القيامة فيكون الكلام في لا هذه كالكلام في الاولى وهذا قول الجمهور وقال الحسن اقسم بيوم القيامة ولم يقسم بالنفس اللوامة قال الثعلبي والصحيح انه اقسم بهما جميعا وجرى الجلال المحلي على زيادتها في الموضعين وهو الصواب في معنى النفس اللوامة النفس التي تلوم صاحبها على تقصيره او تلوم جميع النفوس على تقصيرها في الدنيا او في القيامة قال الحسن هي والله نفس المؤمن لا ترى المؤمن الا يلوم نفسه ما اردت بكذا ما اردت بكذا والفاجر لا يعاتب نفسه وقال مجاهد هي التي تلوم على ما فات وتندم فتلوم نفسها على الشر لم عملته وعلى الخير لم لم يستكثر منه قال ابن عباس انها تلوم على الخير والشر يقول لو فعلت كذا وكذا وعنه تندم على ما فات وتلوم عليه قال الفراء ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وهي تلوم نفسها ان كانت عملت خيرا قالت هلا ازددت وان كانت عملت سوء قالت ليتني لم افعل وعلى هذا فالكلام خارج مخرج المدح للنفس فيكون الاقسام بها حسنا سائغا وقيل اللوامة هي الملومة المذمومة قاله ابن عباس فهي صفة ذم وبهذا احتج من نفى ان يكون قسما اذ ليس للنفس العاصي خطر يقسم به وقال مقاتل هي نفس الكافر تلوم نفسه وتتحسر في الآخرة على ما فرط في جنب الله والاول اولى وقيل هي نفس آدم لم تزل تلوم على فعلها التي خرجت به من الجنة وما بعده وقال ابن عباس اللوامة اللؤم قال القاضي ضمها بيوم القيامة في القسم بهما لان المقصود من اقامة القيامة مجازاة النفوس انتهى فهو من بديع القسم لتناسب الامرين المقسم بهما حيث اقسم بيوم البعث وبالنفوس المجزية فيه على حقية البعث والجزاء ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ المراد بالانسان الجنس وقيل الانسان الكافر والهمزة للانكار وان هي المخففة من الثقيلة واسمها ضمير شان محذوف والمعنى ايحسب الانسان ان الشان لن نجمع عظامه بعد ان صارت رفاتا مختلطة بالتراب وبعد ما نسفتها الرياح فطيرتها في اباعد الارض فنعيدها خلقا جديدا وذلك الحسبان باطل فانا نجمعها وما يدل عليه هذا الكلام هو جواب القسم قال الزجاج اقسم ليجمعن العظام للبعث فهذا جواب القسم وقال النحاس جوابه محذوف اي لتبعثن والمعنى ان الله سبحانه يبعث جميع اجزاء الانسان وانما خص العظام لانها قالب الخلق ﴿بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ بلى ايجاب لما بعد النفي المنسحب اليه الاستفهام والوقف على هذا اللفظ وقف حسن ثم يبتدئ الكلام

بقوله قادرين وانتصابه على الحال اي بلى نجمعها قادرين فالحال من ضمير الفعل المقدر وقيل
المعنى بل نجمعها نقدر قادرين قال الفراء اي نقدر ونقوى قادرين على اكثر من ذلك وقال ايضا انه
يصلح نصبه على التكرير اي بلى فليحسبنا قادرين وقيل التقدير بلى كنا قادرين وهذا ليس بواضح
وقرأ ابن ابي عبلة وابن السميفع بلى قادرون على تقدير مبتدأ اي بلى نحن قادرون ومعنى تسوية
البنان نقدر على ان نجمع بعضها الى بعض فنردها كما كانت مع لطافتها وصغرها فكيف بكبار
الاعضاء فنبه سبحانه بالبنان وهي الاصابع على بقية الاعضاء وان الاقتدار على بعثها وارجاعها
كما كانت اولى في القدرة من ارجاع الاصابع الصغيرة اللطيفة المشتملة على المفاصل والاظفار و
للعروق اللطاف والعظام الدقاق فهذا وجه تخصيصها بالذكر وبهذا قال الزجاج وابن قتيبة
وقال جمهور المفسرين ان معنى الآية ان نجعل اصابع يديه ورجليه شيئا واحدا كخف البعير وحافر
الحمار صفحة واحدة لا شقوق فيها فلا يقدر على ان ينتفع بها في الاعمال اللطيفة كالكتابة والخياطة ونحوهما
ولكنا فرقنا اصابعه لينتفع بها وقيل المعنى بل نقدر على ان نعيد الانسان في هيئة البهائم فكيف في صورته
التي كان عليها والاول اولى قال ابن عباس لو شاء لجعله خفا او حافرا والبنان جمع واسم جمع لبنانة
قولان وفي المختار البنانة واحد البنان وهي اطراف الاصابع ويقال بنان مخضب لان كل جمع ليس
بينه وبين واحده الا الهاء فانه يؤنث ويذكر بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ عطف على ايحسب
على انه استفهام مثله واضرب عن التوبيخ بذلك الى التوبيخ بهذا او على انه ايجاب انتقل اليه من
الاستفهام والمعنى بل يريد الانسان ان يقدم فجوره فيما بين يديه من الاوقات وما يستقبله من
الزمان فيقدم الذنب ويؤخر التوبة قال ابن الانباري يريد ان يفجر ما امتد عمره وليس في نيته ان يرجع
عن ذنب يرتكبه قال مجاهد والحسن وعكرمة والسدي وسعيد بن جبير يقول سوف اتوب ولا يتوب
حتى يأتيه الموت وهو على اشر احواله قال الضحاك هو الامل يقول سوف اعيش واصيب من الدنيا ولا يذكر
الموت وقال ابن عباس يمضي قدما وعنه قال هو الكافر الذي يكذب بالحساب وعنه قال يعني الامل
يقول اعمل ثم اتوب وعنه قال يقدم الذنب ويؤخر التوبة وعنه قال يقول سوف اتوب والفجور اصله
الميل عن الحق فيصدق على كل من مال عن الحق بقول او فعل يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مستأنفة
وقال ابو البقاء تفسير لبيان معنى يفجر فتكون مفسرة مستأنفة او بدلا من الجملة قبلها لان التفسير يكون بالاستفهام

وبالبدن دايان خبر مقدم ويوم القيامة مبتدأ موخر والمعنى يسأل متى يقوم يوم القيامة سؤال استبعاد واستهزاء قال ابن عباس اي يقول متى يوم القيامة فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ اي فزع وتحير من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره قرأ الجمهور برق بكسر الراء قال ابو عمرو بن العلاء والزجاج وغيرهما المعنى تحير فلم يطرف وقال الخليل والفراء برق بالكسر فزع وبهت وتحير والعرب تقول للانسان المبهوت قد برق فهو برق وقرئ بفتح الراء اي لمع بصره من شدة شخوصه للموت قال مجاهد وغيره هذا عند الموت وقيل برق يبرق شق عينيه وفتحهما وقال ابو عبيدة فتح الراء وكسرها لغتان بمعنى قال ابن عباس يعني الموت وَخَسَفَ الْقَمَرُ قرأ الجمهور بفتح الخاء والسين مبنيا للفاعل وقرئ بضم الخاء وكسر السين مبنيا للمفعول والمعنى ذهب ضوءه واظلم ولا يعود كما يعود اذا خسف في الدنيا ويقال خسف اذا ذهب جميع ضوئه وكسف اذا ذهب بعض ضوئه وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ اي ذهب ضوءهما جميعا ولم يقل جمعت لان التانيث مجازي قاله المبرد وقال ابو عبيدة هو لتغليب المذكر على المؤنث وقال الكسائي حمل على معنى جمع النيران وقال الزجاج والفراء ولم يقل جمعت لان المعنى جمع بينهما في ذهاب نورهما وقيل جمع بينهما في طلوعهما من المغرب اسودين مكورين مظلمين قال عطاء يجمع بينهما يوم القيامة ثم يقذفان في البحر فيكونان نار الله الكبرى وقيل يجمع الشمس والقمر فلا يكون هناك تعاقب ليل ونهار وقرأ ابن مسعود وجمع بين الشمس والقمر يَقُولُ الْإِنْسَانُ جواب اذا يَوْمَئِذٍ اي يوم اذ برق البصر الخ أَيْنَ الْمَفَرُّ اي يقول عند وقوع هذه الامور اين الفرار والمراد بالانسان الكافر او المؤمن ايضا يقول ذلك من الهول والمفر مصدر بمعنى الفرار قال الفراء يجوز ان يكون موضع الفرار قال الماوردي يحتمل وجهين احدهما اين المفر من الله سبحانه استحياء منه والثاني اين المفر من جهنم حذرا منها قرأ الجمهور بفتح الميم والفاء مصدرا كما تقدم وقرئ بضم الميم على انه اسم مكان اي اين مكان الفرار وقال الكسائي هما لغتان مثل مدب ومدب ومصح ومصح وقرأ الزهري بكسر الميم وفتح الفاء على ان المراد به الانسان الجيد الفرار كَلَّا للردع عن طلب الفرار او لنفي ما قبلها او بمعنى حقا لَا وَزَرَ اي لا سلاح ولا جبل ولا حصن ولا ملجأ يتحصن به من الله وقال ابن جبير لا محيص ولا منعة والوزر في اللغة ما يلجأ اليه الانسان من حصن او جبل او غيرهما قال السدي كانوا اذا فزعوا في الدنيا تحصنوا بالجبال فقال لهم الله لا وزر يعصمكم مني يومئذ قال ابن مسعود لا وزر لا حصن وقال ابن عباس لا ملجأ وفي لفظ لا حرز وفي لفظ لا جبل ولا حصن

وخبر لا محذوف اي لا وزر له إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ اي اليه المرجع والمنتهى والمصير لا الى غيره
وقيل اليه الحكم بين العباد لا الى غيره وقيل المستقر الاستقرار حيث يقره الله من جنة او نار
يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ اي يخبر يوم القيامة بما عمل من خير وشر وقال قتادة بما عمل
من طاعة الله وما اخر من طاعته فلم يعمل بها وقال زيد بن اسلم بما قدم من امواله وما خلف
للورثة وقال مجاهد باول عمله وآخره وقال الضحاك بما قدم من فرض واخر من فرض قال القشيري
هذا الانباء يكون يوم القيامة عند وزن الاعمال ويجوز ان يكون عند الموت قال القرطبي والاول
اظهر قال ابن مسعود بما قدم من عمل واخر من سنة عمل بها من بعده من خير او شر وعن
ابن عباس نحوه وعنه قال بما قدم من معصية واخر من طاعة فينبأ بذلك بَلِ الْإِنسَانُ
عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ قال الاخفش جعله هو البصيرة كما تقول للرجل انت حجة على نفسك وقيل
المعنى ان جوارحه تشهد عليه بما عمل كما في قوله يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم
بما كانوا يكسبون فيكون المعنى بل جوارح الانسان عليه شاهدة قال ابو عبيدة والقتيبي ان هذه
الهاء في البصيرة هي التي يسميها اهل الاعراب هاء المبالغة كما في قولهم علامة وقيل المراد بالبصيرة الكاتبان
اللذان يكتبان ما يكون منه من خير وشر والتاء على هذا للتانيث وقال الحسن اي بصير
بعيوب نفسه وقال ابن عباس شهيد على نفسه وحده وعنه قال سمعه وبصره ويديه و
رجليه وجوارحه وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ اي ولو اعتذر وتجرد من ثيابه وجادل عن نفسه لم ينفعه
ذلك يقال معذرة ومعاذير على غير قياس كملاقيح ومذاكير جمع لقحة وذكر قال الفراء اي وان
اعتذر فعليه من يكذب عذره وقال الزجاج المعاذير الستور والواحد معذار اي وان ارخى
الستور واغلق الابواب يريد ان يخفي نفسه فنفسه شاهدة عليه وكذا قال الضحاك والسدي
والستر بلغة اليمن يقال له معذار كذا قال المبرد والاول اولى وبه قال مجاهد وقتادة وسعيد
بن جبير وابن زيد وابو العالية ومقاتل ومثله قوله يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم وقوله
ولا يؤذن لهم فيعتذرون وقول الشاعر: فما حسن ان يعذر المرء نفسه + وليس له من
سائر الناس عاذر + وقال النسفي المعاذير ليس بجمع معذرة لان جمعها معاذر بل هي اسم جمع
لها ونحوه المناكير في المنكر قال الشيخ وليس هذا البناء من ابنية اسماء الجموع وانما هو من ابنية

جموع المكسير وهو الصحيح لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ اي لا تحرك بالقران لسانك عند القاء الوحي لتاخذه على عجل مخافة ان تيفلت منك ومثل هذا قوله ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه الاية إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ في صدرك حتى لا يذهب عليك منه شي وَقُرْآنَهُ اي اثبات قراءته في لسانك وهو تعليل للنهي قال الفراء القراءة والقران مصدران فَإِذَا قَرَأْنَاهُ اي اتممنا قراءته عليك بلسان جبريل عليه السلام وبيناه فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ اي فاستمع قراءته وكررها حتى يرسخ في ذهنك وقال ابن عباس يقول اعمل به وقال قتادة فاتبع قرانه اي شرائعه واحكامه ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ اي تفسير ما فيه من الحلال والحرام وبيان ما اشكل من معانيه قال الزجاج المعنى ان علينا ان ننزله عليك قرانا عربيا فيه بيان للناس وقيل المعنى ان علينا ان نبينه بلسانك وهو دليل على جواز تاخير البيان عن وقت الخطاب وهو اعتراض بما يؤكد التوبيخ على حب العجلة لان العجلة اذا كانت مذمومة فيما هو اهم الامور واصل الدين فكيف بها في غيره والمناسبة بين هذه الاية وما قبلها ان تلك تضمنت الاعراض عن ايات الله وهذه تضمنت المبادرة اليها بحفظها اخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة فكان يحرك به لسانه وشفتيه مخافة ان يتفلت منه يريد ان يحفظه فانزل الله لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرانه يقول ان علينا ان نجمعه في صدرك ثم نقرأه فاذا قرأناه يقول اذا انزلناه عليك فاتبع قرانه فاستمع له وانصت ثم ان علينا بيانه ان نبينه بلسانك وفي لفظ علينا ان نقرأه فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك اذا اتاه جبريل اطرق وفي لفظ استمع فاذا ذهب قرأه كما وعده الله كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ كلا للردع عن العجلة والترغيب في الاناءة وقيل هي ردع لمن لا يؤمن بالقران وبكونه بينا من الكفار قال عطاء اي لا يؤمن ابو جهل بالقران وبيانه قرأ اهل المدينة والكوفيون تحبون وتذرون بالفوقية في الفعلين جميعا وقرأ الباقون بالتحتية فيهما وهما سبعيتان فعلى الاولى يكون الخطاب لهم تقريعا وتوبيخا وعلى الثانية يكون الكلام عائدا الى الانسان لانه بمعنى الناس والمعنى تحبون الدنيا وتختارونها وتتركون الاخرة ونعيمها فلا تعملون لها قال ابن مسعود عجلت لهم الدنيا خيرها وشرها وغيبت الاخرة

اخرجه عبدالله بن احمد في زوائد الزهد وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ اي ناعمة غضة حسنة
يقال شجر ناضر وروض ناضر اي حسن ناعم ونضارة العيش حسنه وبهجته قال الواحدي قال
المفسرون مضيئة مسفرة مشرقة وقال ابن عباس ناعمة وقيل مسرورة بالنعيم وقيل بيض
يعلوها نور والاول اولى وسوغ الابتداء بالنكرة هنا العطف عليها وكون الموضع موضع تفصيل
ولو لم يكن المقام مقام تفصيل لكان وصف النكرة بقوله ناضرة مسوغا للابتداء بها ولكن مقام
التفصيل بمجرده مسوغ للابتداء بالنكرة إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ اي تنظر اليه عيانا بلا حجاب هكذا قال جمهور
اهل العلم والمراد به ما تواترت به الاحاديث الصحيحة من ان العباد ينظرون الى ربهم يوم القيامة كما
ينظرون الى القمر ليلة البدر قال ابن كثير وهذا بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف
هذه الامة كما هو متفق عليه بين ائمة الاسلام وهداة الانام وقال مجاهد ان النظر هنا انتظار ما لهم
عند الله من الثواب وروي نحوه عن عكرمة وقيل لا يصح هذا الا عن مجاهد وحده قال الازهري
وقول مجاهد خطأ لانه لا يقال نظر الى كذا بمعنى الانتظار وان قول القائل نظرت الى فلان ليس
الا رؤية عين فاذا ارادوا الانتظار قالوا نظرته فاذا ارادوا نظر العين قالوا نظرت اليه واشعار العرب
وكلماتهم في هذا كثيرة جدا وتشهد لصحة هذا ان النظر الوارد في التنزيل بمعنى الانتظار كثير
ولم يوصل في موضع بالى كقوله انظرونا نقتبس من نوركم وقوله هل ينظرون الا تاويله وقوله
هل ينظرون الا ان ياتيهم الله والوجه اذا وصف بالنظر وعدي بالى لم يحتمل غير الرؤية والاحاديث
الصحيحة تعضد قول من فسر النظر في هذه الآية بالرؤية وسيأتي بعضها قال ابن عباس في الآية نظرت الى الخالق
وعنه قال تنظر الى وجه ربها وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الآية ينظرون
الى ربهم بلا كيفية ولا حد محدود ولا صفة معلومة اخرجه ابن مردويه وعن ابي هريرة قال
قال الناس يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب
قالوا لا يا رسول الله قال فهل تضارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب قالوا لا يا رسول الله قال
فانكم ترونه يوم القيامة كذلك اخرجه البخاري ومسلم وغيرهما واخرج الشيخان وغيرهما من
حديث ابي هريرة نحوه وقد اخرج ابن ابي شيبة وعبد بن حميد والترمذي وابن جرير وابن المنذر
والدارقطني والحاكم وابن مردويه والبيهقي عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ادنى اهل

الجنة منزلة لمن ينظر إلى جنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة وأكرمهم
على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى
ربها ناظرة﴾ وأخرجه أحمد في المسند من حديثه بلفظ وإن أفضلهم منزلة لينظر في وجه الله
كل يوم مرتين وأخرج النسائي والدارقطني وصححه وأبو نعيم عن أبي هريرة قال قلنا يا رسول الله
هل نرى ربنا قال هل ترون الشمس في يوم لا غيم فيه وترون القمر في ليلة لا غيم فيها قلنا نعم قال
فإنكم سترون ربكم عز وجل حتى إن أحدكم ليحاضر ربه محاضرة فيقول عبدي هل تعرف
ذنب كذا وكذا فيقول ألم تغفر لي فيقول بمغفرتي صرت إلى هذا وقد تظافرت أدلة الكتاب
والسنة وإجماع الصحابة ومن بعدهم من سلف الأمة على إثبات رؤية الله تعالى وقد رواها نحو
من عشرين صحابيا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآيات القرآن فيها مشهورة واعتراضات المبتدعة
من المعتزلة والخوارج وبعض المرجئة عليها أجوبة معروفة في كتب الكلام من أهل السنة وكذلك
باقي شبههم وأجوبتها مستفاضة في كتب أهل الحق وليس هذا موضع ذكرها وقد قدمنا أن
أحاديث الرؤية متواترة فلا نطيل بذكرها وهي تأتي في مصنف مستقل ولم يتمسك من نفاها و
استبعدها بشيء يصلح للتمسك به لا من كتاب الله ولا من سنة رسوله وقد أطال الحافظ الواحد
المتكلم محمد بن أبي بكر القيم الجوزي رحمه الله تعالى في إثبات رؤيته تعالى يوم القيامة في كتابه
حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ومن أحب النظر في أدلة الفريقين فعليه برسالة الشوكاني
المسماة بالبغية في مسألة الرؤية جمع فيها جميع ما استدل به النافون والمثبتون من الأدلة العقلية
والنقلية ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ أي كالحة عابسة كئيبة قال في الصحاح بسر الرجل وجهه بسورا
أي كلح قال السدي باسرة أي متغيرة وقيل مصفرة والمراد بالوجوه هنا وجوه الكفار ﴿تَظُنُّ﴾ أي توقن
﴿أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ الفاقرة الداهية العظيمة يقال فقرته الفاقرة أي كسرت فقار ظهره قال
قتادة الفاقرة الشر وقال السدي الهلاك وقال ابن زيد دخول النار وقيل الحجاب عن رؤية الله تعالى
والأول أولى وأصل الفاقرة الوسم على أنف البعير بحديدة أو نار حتى تخلص إلى العظم كذا قال الأصمعي
ومن هذا قولهم قد عمل به الفاقرة ﴿كَلَّا﴾ ردع وزجر أي بعيد أن يؤمن الكافر بيوم القيامة ثم استأنف
فقال ﴿إِذَا بَلَغَتِ﴾ النفس أو الروح أي نفس المحتضر مؤمنا كان أو كافرا وإنما أضمرت وإن لم يجر لها ذكر لأن

السياق يدل عليها التراقي جمع ترقوة وهي عظم بين ثغرة النحر والعاتق يمينا وشمالا ولكل انسان ترقوتان
ويكنى ببلوغ النفس التراقي عن الاشفاء على الموت ومثله قوله تعالى فلولا اذا بلغت الحلقوم قيل
معنى كلا حقا اي حقا ان المساق الى الله اذا بلغت التراقي والمقصود تذكيرهم بشدة الحال عند نزول
الموت قال دريد بن الصمة شعر ورب كريهة دافعت عنها + وقد بلغت نفوسهم التراقي + وقيل
هذا الفعل وما بعده من الفعلين معطوف على بلغت من راق اي قال من حضر صاحبها من
يرقيه ويشفي برقيته قال قتادة التمسوا له الاطباء فلم يغنوا عنه من قضاء الله شيئا وبه قال
ابو قلابة ومنه قول الشاعر شعر هل للفتى من بنات الموت من واقي + ام هل له من حمام الموت من
راقي + وقال ابو الجوزاء هو من رقي يرقى اذا صعد والمعنى من يرقى بروحه الى السماء ملائكة الرحمة
ام ملائكة العذاب وقيل انه يقول ذلك ملك الموت وذلك ان نفس الكافر تكره الملائكة قربها
وقال ابن عباس في قوله وقيل من راق قال تنتزع نفسه حتى اذا كانت في تراقيه قيل من يرقى
بروحه ملائكة الرحمة او ملائكة العذاب فهذا الاستفهام يجوز ان يكون على بابه وان يكون
استبعادا وانكارا وراق اسم فاعل اما من رقى يرقي بالفتح في الماضي والكسر في المضارع من الرقية
وهي كلام معد للاستشفاء يرقى به المريض ليشفى وفي الحديث وما ادراك انها رقية يعني الفاتحة
وهي من اسمائها واما من رقي يرقى بالكسر في الماضي والفتح في المضارع من الرقي وهو الصعود يقال
رقى بالفتح من الرقية وبالكسر من الرقي وظن اي ايقن الذي بلغت روحه التراقي وسمي اليقين ظنا
لان الانسان ما دامت روحه متعلقة ببدنه فانه يطمع في الحياة لشدة حبه لها ولا ينقطع رجاؤه
منها انه اي ما نزل به الفراق من الدنيا ومن الاهل والمال والولد والتفت الساق بالساق اي التفت
ساقه بساقه عند نزول الموت به وقال جمهور المفسرين المعنى تتابعت عليه الشدائد وقال الحسن هما
ساقاه اذا التفتا في الكفن وقال زيد بن اسلم التفت ساق الكفن بساق الميت وقيل ماتت رجلاه و
يبست ساقاه ولم تحملاه وقد كان جوالا عليهما وقال الضحاك اجتمع عليه امران شديدان الناس
يجهزون جسده والملائكة يجهزون روحه وبه قال ابن زيد والعرب لا تذكر الساق الا في الشدائد
الكبار والمحن العظام ومنه قولهم قامت الحرب على ساق وقيل الساق الاول تعذيب روحه عند خروج
نفسه والساق الاخر شدة البعث وما بعده وقال ابن عباس التفت عليه الدنيا والآخرة فهذه

قال يقول آخر يوم من ايام الدنيا واول يوم من ايام الآخرة فيلتقي الشدة بالشدة الا من رحم الله وقال الشعبي وغيره المعنى التفت ساق الانسان عند الموت من شدة الكرب وقال قتادة اما رايته اذا اشرف على الموت يضرب احدى رجليه على الاخرى قال النحاس القول الاول احسن اِلٰى رَبِّكَ يَوْمَئِذِنِ الْمَسَاقُ اي الى خالقك يوم القيامة المرجع وذلك جمع العباد الى الله يساقون اليه والتنوين عوض عن جمل اربع اي اذا بلغت الروح التراقي الخ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلّٰى اي لم يصدق الانسان المذكور في اول هذه السورة بالرسالة ولا بالقرآن ولا صلى لربه اي الصلوة الشرعية فهو ذم له بترك العقائد والفروع قال قتادة فلا صدق بالكتاب ولا صلى لله وقيل فلا آمن بقلبه ولا عمل ببدنه وقيل صدق من التصدق اي فلا صدق بشيئ يدخره عند الله تعالى قاله القرطبي قال الكسائي لا بمعنى لم وكذا قال الاخفش والعرب تقول لا ذهب اي لم يذهب وهذا مستفيض في كلام العرب ومنه ؎ ان تغفر اللهم فاغفر جما، واي عبد لك لا الما، ولما كان عدم التصديق يصدق بالشك والسكوت والتكذيب استدرك على عموم وبين ان المراد منه خصوص التكذيب فقال وَلٰكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلّٰى اي كذب بالرسول وبما جاء به وتولى عن الطاعة والايمان ولم يستدرك على نفي الصلوة لانه لا يصدق الا بصورة واحدة فلم يحتج للاستدراك عليه ثُمَّ ذَهَبَ اِلٰى اَهْلِهٖ يَتَمَطّٰى اي يتبختر ويختال في مشيه افتخارا بذلك وقيل هو ماخوذ من المطا وهو الظهر والمعنى يلوي مطاه وقيل اصله يتمطط وهو التمدد والتثاقل اي يتثاقل ويتكاسل عن الداعي الى الحق قال الامام هذا ذكر لما يتعلق بدنياه بعد ذكر ما يتعلق بدينه وثم للاستبعاد لان من صدر عنه مثل ذلك ينبغي ان يخاف من حلول غضب الله به فيمشي خائفا منه متطامنا لا فرحا متبخترا ذكره الشهاب اَوْلٰى لَكَ فيه التفات عن الغيبة والكلمة اسم فعل مبنية على السكون لا محل لها من الاعراب والفاعل ضمير مستتر يعود على ما يفهم من السياق وهو كون هذه الكلمة تستعمل في الدعاء بالمكروه فَاَوْلٰى اي فهو اولى بك من غيرك فدلت الاولى على الدعاء عليه بقرب المكروه منه ودلت الثانية على الدعاء عليه بان يكون اقرب اليه من غيره هذا ما سلكه الجلال المحلي في تقرير هذا المقام وانفرد به عن غيره من المفسرين وهو حسن جدا ثُمَّ اَوْلٰى لَكَ فَاَوْلٰى الاولى تاكيد للاولى والثانية تاكيد للثانية اي وليك الويل واصله اولاك الله ما تكرهه واللام مزيدة كما في ردف لكم وهذا تهديد شديد ووعيد بعد وعيد

والتكرير للتأكيد اي يتكرر عليك ذلك مرة بعد مرة قال الواحدي قال المفسرون اخذ رسول
الله صلى الله عليه وسلم بيد ابي جهل فقال اولى لك فاولى فقال ابو جهل باي شيء تهددني لا تستطيع
انت ولا ربك ان تفعلا بي شيئا واني لاعز اهل هذا الوادي فنزلت هذه الآية وقيل معناه
الويل لك وعلى هذا القول قيل هو من المقلوب كانه قيل اويل لك ثم اخر الحرف المعتل
قيل ومعنى التكرير لهذا اللفظ اربع مرات الويل لك حيا والويل لك ميتا والويل لك يوم البعث
والويل لك يوم تدخل النار وقيل المعنى ان الذم لك اولى لك من تركه وقيل المعنى انت اولى
واحق واجدر بهذا العذاب قاله محي السنة وقال الاصمعي اولى في كلام العرب معناه مقاربة
الهلاك قال المبرد كانه يقول قد وليت الهلاك وقد دانيته واصله من الولي وهو القرب
قال ثعلب لم يقل احد في اولى احسن واصح مما قاله الاصمعي وعن سعيد بن جبير قال سألت ابن
عباس عن قوله اولى لك فاولى اشيء قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي جهل من قبل نفسه ام امره
الله به قال بل قاله من قبل نفسه ثم انزله الله اخرجه النسائي والحاكم وصححه والطبراني وغيرهم
ايحسب الانسان ان يترك سدى اي مهملا لا يؤمر ولا ينهى ولا يحاسب ولا يعاقب ولا يكلف في الدنيا
ولا يبعث ولا يجازى وقال السدي معناه المهمل ومنه ابل سدى اي ترعى بلا راع وقيل المعنى ايحسب
ان يترك في قبره كذلك ابدا لا يبعث وهو يتضمن تكرير انكاره للحشر والدلالة عليه من حيث
ان الحكمة تقتضي الامر بالمحاسن والنهي عن القبائح والتكليف لا يتحقق الا بالمجازاة وهي قد لا تكون
في الدنيا فتكون في الآخرة الم يك نطفة من مني يمنى مستانفة اي الم يك ذلك الانسان قطرة
من مني تراق وتصب في الرحم وسمي المني منيا لاراقته والنطفة الماء القليل يقال نطف الماء اذا
قطر قرأ الجمهور الم يك بالتحتية على ارجاع الضمير الى الانسان وقرأ الحسن بالفوقية على الالتفات اليه
توبيخا له وقرأ الجمهور تمنى ايضا بالفوقية على ان الضمير للنطفة وقرئ بالتحتية على ان الضمير
للمني ورويت هذه القراءة عن ابي عمرو واختارها ابو حاتم وفائدته بعد قوله من مني الاشارة الى
حقارة حاله كانه قيل انه مخلوق من المني الذي يجري على مخرج النجاسة ثم كان علقة اي كان
بعد النطفة دما احمر شديد الحمرة فخلق فسوى اي فقدر الله منها الانسان بان جعلها مضغة مخلقة
فسواه اي فعدله وكمل نشأته ونفخ فيه الروح وجعله بشرا سويا فجعل منه اي حصل من الانسان

وقيل من المني الزَّوْجَيْنِ اي الصنفين من نوع الانسان قال الكرخي اي لا خصوص الفردين والا فقد تحمل المرأة بذكرين وانثى وبالعكس ثم بين ذلك فقال الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ اي الرجل و المرأة يجتمعان تارة وينفرد كل منهما عن الاخر اخرى أَلَيْسَ ذَٰلِكَ الفعال الذي انشأ هذا الخلق البديع وقدر عليه بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ اي يعيد الاجسام بالبعث كما كانت عليه في الدنيا فان الاعادة اهون من الابتداء وايسر مؤنة منه قرأ الجمهور بقادر وقرأ زيد بن علي يقدر فعلا مضارعا وقرأ الجمهور ايضا يحيي بنصبه بان وقرئ بسكونها تخفيفا وعلى اجراء الوصل مجرى الوقف كما مر في مواضع عن صالح ابي الخليل قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأ هذه الاية قال سبحانك اللهم وبلى اخرجه عبد بن حميد وابن الانباري وعن البراء بن عازب قال لما نزلت هذه الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحانك ربي وبلى اخرجه ابن مردويه وعن ابي امامة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عند قراءته لهذه الاية بلى وانا على ذلك من الشاهدين اخرجه ابن النجار في تاريخه وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ منكم والتين والزيتون فانتهى الى اخرها اليس الله باحكم الحاكمين فليقل بلى وانا على ذلك من الشاهدين ومن قرأ لا اقسم بيوم القيامة فانتهى الى قوله اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى فليقل بلى ومن قرأ والمرسلات عرفا فبلغ فباي حديث بعده يؤمنون فليقل امنا بالله اخرجه احمد وابو داود والترمذي وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي وفي اسناده رجل مجهول وعن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأت لا اقسم بيوم القيامة فبلغت اليس ذلك بقادر الخ فقل بلى اخرجه ابن المنذر وابن مردويه قال ابن عباس من قرأ سبح اسم ربك الاعلى اماما كان او غيره فليقل سبحان ربي الاعلى ومن قرأ لا اقسم بيوم القيامة الى اخرها فليقل سبحانك اللهم بلى اماما كان او غيره ذكره الخطيب قال الحفناوي قوله اماما كان او غيره يقتضي ان هذه الكلمة وهي بلى لا تبطل الصلوة وهو كذلك لانها ذكر وتقديس وتنزيه لله تعالى

سورة الانسان وتسمى سورة هل اتى وسورة الامشاج وسورة الدهر وهي احدى وثلثون اية

قال الجمهور هي مدنية وقال مقاتل والكلبي هي مكية وجرى عليه البيضاوي والزمخشري وقال الخطيب مكية

او مدنية ولم يحرم بشيء قال ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله وقيل فيها مكي من
قوله انا نحن نزلنا عليك القران الى اخر السورة وما قبله مدني وقال الحسن وعكرمة هي مدنية
الا اية وهي فاصبر لحكم ربك الى كفورا واخرج الطبراني وابن مردويه وابن عساكر عن ابن عمر
قال جاء رجل من الحبشة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم سل واستفهم
فقال يا رسول الله فضلتم علينا بالالوان والصور والنبوة افرايت ان امنت بما امنت به وعملت
بما عملت به اني كائن معك في الجنة قال نعم والذي نفسي بيده انه ليرى بياض الاسود في الجنة
من مسيرة الف عام ثم قال من قال لا اله الا الله كان له عهد عند الله ومن قال سبحان الله
وبحمده كتب له مائة الف حسنة واربعة وعشرون الف حسنة ونزلت هذه السورة الى قوله
ملكا كبيرا فقال الحبشي وان عيني لترى ما ترى عيناك في الجنة قال نعم فاشتكى حتى فاضت
نفسه قال ابن عمر فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدليه في حفرته بيده واخرج احمد
في الزهد عن محمد بن مطرف قال حدثني الثقة ان رجلا اسود كان يسأل رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن التسبيح والتهليل فقال له عمر بن الخطاب اكثرت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال مه يا عمر وانزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم هل اتى على الانسان حين من الدهر حتى
اذا اتى على ذكر الجنة زفر الاسود زفرة خرجت نفسه فقال النبي صلى الله عليه وسلم مات شوقا الى
الجنة واخرج نحوه ابن وهب عن ابن زيد مرفوعا مرسلا واخرج احمد والترمذي و
حسنه وابن ماجة وغيرهم عن ابي ذر قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هل اتى على الانسان حتى
ختمها ثم قال اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع
اربع اصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا لله والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم
كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله عز وجل

بسم الله الرحمن الرحيم

هل اتى حكى الواحدي عن المفسرين واهل المعاني ان هل هنا بمعنى قد وليس باستفهام
لان الاستفهام محال على الله تعالى وقد قال بهذا سيبويه والكسائي والفراء وابو عبيدة قال

الفراء هل يكون بجحد او يكون خبرا فهذا من الخبر لانك تقول هل اعطيتك تقرره بانك اعطيته والجحد ان تقول هل يقدر احد على مثل هذا وقيل هي وان كانت بمعنى قد ففيها معنى الاستفهام والاصل أهل اتى فالمعنى اقد اتى والاستفهام للتقرير والتقريب فيه قال مكي وهو تقرير لمن انكر البعث ان يقول نعم قد مضى دهر طويل لا انسان فيه قال السمين جعلها للاستفهام التقريري لا للاستفهام المحض وهذا هو الذي يجب ان يكون لان الاستفهام لا يرد من الله الا على هذا النحو وما اشبهه انتهى والاول انسب ﴿عَلَى الْإِنسَانِ﴾ المراد بالانسان هنا آدم قاله قتادة والثوري وعكرمة والسدي وغيرهم وقال ابن عباس كل انسان ﴿حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾ اي طائفة محدودة من الزمان الممتد الغير المحدود فانه عند الجمهور يقع على مدة العالم جميعها وعلى كل زمان طويل غير معين قيل اربعون سنة قبل ان ينفخ فيه الروح وهو ملقى بين مكة والطائف وقيل انه خلق من طين اربعين سنة ثم من حمأ مسنون اربعين سنة ثم من صلصال اربعين سنة فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة ثم نفخ فيه الروح وقيل الحين المذكور هنا لا يعرف مقداره وجملة ﴿لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ في محل نصب على الحال من الانسان او في محل رفع صفة لحين قال الفراء وقطرب وثعلب المعنى انه كان جسدا مصورا ترابا وطينا لا يذكر في السماء ولا في الارض ولا يعرف ولا يدرى ما اسمه ولا ما المراد به ثم نفخ فيه الروح فصار مذكورا وقال يحيى بن سلام لم يكن شيئا مذكورا في الخلق وان كان عند الله شيئا مذكورا وقيل ليس المراد بالذكر هنا الاخبار فان اخبار الرب عن الكائنات قديم بل هو الذكر بمعنى الخطر والشرف كما في قوله وانه لذكر لك ولقومك قال القشيري ما كان مذكورا للخلق وان كان مذكورا لله سبحانه قال الفراء كان شيئا ولم يكن مذكورا فجعل النفي متوجها الى القيد وقيل المعنى قد مضت ازمنة وما كان آدم شيئا ولا مخلوقا ولا مذكورا لاحد من الخليقة وقال مقاتل في الكلام تقديم وتاخير تقديره هل اتى حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا لانه خلقه بعد خلق الحيوان كله ولم يخلق بعده حيوان وعن عمر انه سمع رجلا يقرأ هذه الآية لم يكن شيئا مذكورا فقال عمر ليتها تمت يعني ليته بقي على ما كان عليه ويروى نحوه عن ابي بكر وابن مسعود وقيل المراد بالانسان جنس الانسان وهو بنو آدم بدليل قوله ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ﴾ فان المراد بالانسان هنا بنو آدم قال القرطبي من غير خلاف والنطفة الماء الذي يقطر وهو المني وكل ماء قليل في وعاء فهو نطفة

وجمعها نطف اي خلقناه من مادة هي شيء يسير جدا من الرجل والمرأة والنطفة ماء الرجل و
المرأة وايضا الماء الصافي قل او كثر ولا فعل للنطفة اي لا يستعمل لها فعل من لفظها أمشاج
صفة لنطفة وهي جمع مشج بفتحتين او مشج كعدل واعدال او مشيج كشريف واشراف وهي الاخلاط
ووقع الجمع صفة لمفرد لانه في معنى الجمع او جعل كل جزء من النطفة نطفة فاعتبر ذلك فوصف
بالجمع والمراد نطفة الرجل ونطفة المرأة واختلاطهما يقال مشج هذا بهذا فهو ممشوج اي خلط
هذا بهذا فهو مخلوط قال المبرد مشج يمشج اذا اختلط وهو هنا اختلاط النطفة بالدم قال الفراء
امشاج اختلاط ماء الرجل وماء المرأة والدم والعلقة ويقال مشج هذا اذا خلط وقيل الامشاج
الحمرة في البياض والبياض في الحمرة قال القرطبي وهذا قول يختاره كثير من اهل اللغة وذلك لان ماء
الرجل ابيض غليظ وماء المرأة اصفر رقيق فيخلق منهما الولد قيل وما كان من عصب وعظم
فمن نطفة الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فمن ماء المرأة حتى لو زنت المرأة مرأة واجتمع الماء
في رحم احدهما خلق الولد بلا عظم قد وقع ذلك في عصر السلطان غياث الدين فلم يدر
السلطان فجمع الاطباء والعلماء فلم يدركوا شيئا من شانه فارسل الاستفتاء الى علماء ظفر اباد
فقال محمد بن الحاج انه خلق من ماء امرأتين فتفحص السلطان فظهر انه كذلك وقيل الامشاج
اطوار الخلق نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظما ثم يكسوه لحما ثم ينشئه خلقا آخر قال ابن السكيت
الامشاج الاخلاط لانها ممتزجة من انواع يخلق الانسان منها وطباع مختلفة وقيل الامشاج
لفظ مفرد كبرمة اعشار ويؤيد هذا وقوعه نعتا للنطفة قال ابن مسعود امشاجها عروقها
وعن ابن عباس قال ماء الرجل وماء المرأة حين يختلطان وعنه قال نطفة الرجل بيضاء
وحمراء ونطفة المرأة خضراء وحمراء وعنه قال الامشاج الذي يخرج على اثر البول كقطع الاوتار
ومنه يكون الولد وجملة نبتليه في محل نصب على الحال من فاعل خلقنا اي مريدين ابتلاءه
حين تأهله ويجوز ان يكون حالا من الانسان والمعنى نبتليه بالخير والشر والتكاليف قال الفراء
معناه والله اعلم فجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه وهي مقدمة معناها التاخير لان الابتلاء
لا يقع الا بعد تمام الخلقة وعلى هذا هذه حال مقدرة وقيل مقارنة وقال الكرخي لا حاجة الى
دعوى التقديم والتاخير مع صحة المعنى بدونه وقيل معنى الابتلاء نقله من حال الى حال على



طريقة الاستعارة والاول اولى والمراد بالسمع والبصر الحاستان المعروفتان وخصهما بالذكر لانهما اعظم الحواس واشرفها قال الخطيب اي جعلناه عظيم السمع والبصر والبصيرة ليتمكن من مشاهدة الدلائل ببصره وسماع الآيات بسمعه ومعرفة الحجج ببصيرته فيصح تكليفه وابتلاؤه وقدم السمع لانه انفع في المخاطبات ولان الآيات المسموعة ابين من الآيات المرئية وقيل المراد بالسميع المطيع كقولهم سمعا وطاعة وبالبصير العالم يقال لفلان بصر في هذا الامر اي علم والاول اولى ثم ذكر سبحانه انه اعطاه ما يصح معه الابتلاء فقال ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ اي بينا له وعرفناه طريق الهدى والضلال والخير والشر بادلة السمع والعقل كما في قوله وهديناه النجدين قال مجاهد اي بينا السبيل الى الشقاوة والى السعادة وقال الضحاك والسدي وابو صالح السبيل هنا خروجه من الرحم وقيل منافعه ومضاره التي يهتدي اليها بطبعه وكمال عقله وانتصاب شاكرا وكفورا على الحال من مفعول هديناه اي مكناه من سلوك الطريق في حالتيه جميعا وقيل على الحال من السبيل على المجاز اي عرفناه السبيل اما سبيلا شاكرا واما سبيلا كفورا وحكى مكي عن الكوفيين ان قوله اما هي ان الشرطية زيدت بعدها ما اي بينا له الطريق ان شكر وان كفر واختار هذا الفراء ولا يجيزه البصريون لان ان الشرطية لا تدخل على الاسماء الا ان يضمر بعدها فعل ولا يصح هنا اضمار الفعل لانه كان يلزم رفع شاكرا وكفورا ويمكن ان يضمر فعل ينصب شاكرا وكفورا وتقديره ان خلقناه شاكرا فشكور وان خلقناه كافرا فكفور وهذا على قراءة الجمهور اما بكسر الهمزة وقرأ ابو السمال وابو العجاج بفتحها وعلى الفتح هي اما العاطفة في لغة بعض العرب او هي التفصيلية وجوابها مقدر وقيل انتصب شاكرا وكفورا باضمار كان والتقدير سواء كان شاكرا او كان كفورا ولما كان الشكر قل من يتصف به قال شاكرا ولما كان الكفر كثيرا من يتصف به ويكثر وقوعه من الانسان بخلاف الشكر قال كفورا بصيغة المبالغة كذا في النهر او هو مراعاة لرؤوس الآي ثم بين سبحانه ما اعد للكافرين فقال ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا﴾ قرأ نافع والكسائي وابو بكر عن عاصم وهشام عن ابن عامر سلاسلا بالتنوين ووقف قنبل عن ابن كثير وحمزة بغير الف والباقون وقفوا بالالف ووجه من قرأ بالتنوين في سلاسل مع كونه صيغة منتهى الجموع انه قصد بذلك التناسب لان ما قبله وهو اما شاكرا واما كفورا وما بعده وهو اغلالا وسعيرا منون

او على لغة من يصرف جميع ما لا ينصرف كما حكاه الكسائي وغيره من الكوفيين عن
بعض العرب قال الاخفش سمعنا من العرب من يصرف كل ما لا ينصرف لان الاصل في الاسماء
الصرف وترك الصرف لعارض فيها قال الفراء هو على لغة من يجر الاسماء كلها الا قولهم هو اظرف
منك فانهم لا يجرونه وقيل ان التنوين لموافقة رسم المصاحف المكية والمدنية والكوفية فانها
فيها بالالف وقيل ان هذا التنوين بدل من حرف الاطلاق ويجري الوصل مجرى الوقف والسلاسل
قد تقدم تفسيرها والخلاف فيها هل هي القيود او ما يجعل في الاعناق كما في قول الشاعر ع
ولكن احاطت بالرقاب السلاسل والسلاسل جمع سلسلة اي يشدون ويسحبون بها
في النار والاغلال جمع غل تغل به الايدي الى الاعناق وقد تقدم تفسير السعير وهي نار مهيجة
يعذبون بها ولما اوجز في جزاء الكافرين ذكر ما اعده للشاكرين واطنب تاكيدا للترغيب فقال
إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ الابرار اهل الطاعة والاخلاص والصدق جمع بر او بار قال
في الصحاح جمع البر الابرار وجمع البار البررة وفلان يبر خالقه ويبرره اي يطيعه وقال
الحسن البر الذي لا يؤذي الذر وقال قتادة الابرار الذين يؤدون حق الله ويوفون بالنذر
وقيل هم الصادقون في ايمانهم المطيعون لربهم الذين سمت همتهم عن المحقرات فظهرت في
قلوبهم ينابيع الحكمة وقيل سماهم الابرار لانهم بروا الآباء والابناء والكاس في اللغة هو الاناء الذي
فيه الشراب واذا لم يكن فيه الشراب لم يسم كاسا بل هو اناء ولا وجه لتخصيصه بالزجاجة بل
يكون من الزجاج ومن الذهب والفضة والصيني وغير ذلك وقد كانت كاسات العرب من
اجناس مختلفة وقد يطلق الكاس على نفس الخمر كما في قول الشاعر ؎ وكاس شربت على
لذة + واخرى تداويت منها بها + كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا اي ما يخالطها وتمزج به يقال مزجه
يمزجه مزجا اي خلطه يخلطه خلطا ومنه مزاج البدن وهو ما يمازجه من الاخلاط و
الكافور قيل هو اسم عين في الجنة يقال لها الكافور اي تمزج خمر الجنة بماء هذه العين وقال
قتادة ومجاهد تمزج لهم بالكافور وتختم لهم بالمسك وقال عكرمة مزاجها طعمها وقيل انما الكافور
في ريحها لا في طعمها وقيل انما اراد الكافور في بياضه وطيب رائحته وبرده لان الكافور لا يشرب
كما في قوله حتى اذا جعله نارا اي كنار وقال ابن كيسان طيبها المسك والكافور والزنجبيل

وقال مقاتل ليس هو كافور الدنيا وانما سمے الله ما عنده بما عندكم حتى تهتدي له القلوب والجملة في محل جر صفة لكاس وقيل ان كان فهنا زائدة اي من كاس مزاجها كافورا وقرأ عبد الله قافورا بالقاف بدل الكاف قال السمين وهذا من التعاقب بين الحرفين وقوله عَيْنًا بدل من كافورا لان ماءها في بياض الكافور وقال مكي انها بدل من محل من كاس على حذف مضاف كانه قيل يشربون خمرا خمر عين وقيل انها منصوبة على انها مفعول يشربون اي عينا من كاس وقيل هي منصوبة على الاختصاص قاله الاخفش وقيل باضمار فعل يفسره ما بعده اي يشربون عينا وذكر السمين في نصبها اوجها والاول اولى يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللّٰهِ اي اولياءه او المؤمنون والجملة صفة لعينا وقيل الباء في بها زائدة وقيل بمعنى من قاله الزجاج ويؤيده قراءة ابن ابي عبلة يشربها وقيل ان يشرب مضمن معنى يلتذ وقيل هي متعلقة بيشرب والضمير يعود على الكاس وقيل انها حالية اي ممزوجة بها وقال الفراء يشربها ويشرب بها سواء في المعنى وكان يشرب بها يروي بها وينتفع يُفَجِّرُوْنَهَا تَفْجِيْرًا اي يجرونها الى حيث يريدون وينتفعون بها كما يشاؤن ويتبعهم ماؤها الى كل مكان يريدون وصوله اليه فهم يشقونها شقا كما يشق النهر ويفجر الى هنا وهنا قال مجاهد يقودونها حيث شاؤا ويتبعهم حيث مالوا مالت معهم اي فهي سهلة لا تمتنع عليهم والجملة صفة اخرى لعينا وجملة يُوْفُوْنَ بِالنَّذْرِ مستانفة مسوقة لبيان ما لاجله رزقوا ما ذكر وكذا ما عطف عليها ومعنى النذر في اللغة الايجاب والمعنى يوفون بما اوجبه الله عليهم من الطاعات قال قتادة ومجاهد يوفون بطاعة الله من الصلوة والحج ونحوهما وفيه مبالغة في وصفهم بالتوفيق على اداء الواجبات لان من وفى بما اوجبه هو على نفسه لوجه الله تعالى كان بما اوجب الله عليه اوفى وقال عكرمة يوفون اذا نذروا في حق الله سبحانه قال الفراء في الكلام اضمار اي كانوا يوفون بالنذر في الدنيا وقال الكلبي يوفون بالنذر اي يتمون العهود لقوله تعالى واوفوا بعهد الله وقوله اوفوا بالعقود امروا بالوفاء بها لانهم عقدوها على انفسهم باعتقادهم الايمان والاولى حمل النذر هنا على ما اوجبه العبد على نفسه من غير تخصيص وَيَخَافُوْنَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهٗ مُسْتَطِيْرًا المراد يوم القيامة ومعنى استطارة شره فشوه وانتشاره غاية الانتشار يقال استطار يستطير استطارة فهو مستطير

وهو استفعل من الطيران والعرب تقول استطار الصدع في القارورة والزجاجة اذا امتد ويقال
استطار الحريق اذا انتشر وهو ابلغ من طار قال الفراء المستطير المستطيل قال قتادة استطار شر ذلك
اليوم حتى ملأ السموات والارض قال مقاتل كان شره فاشيا في السموات فانشقت وتناثرت الكواكب
وكورت الشمس والقمر وفزعت الملائكة وفي الارض نسفت الجبال وغارت المياه وفي الآية اشارة
لحسن عقيدتهم واجتنابهم المعاصي ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾
اي يطعمون هؤلاء الثلاثة الاصناف الطعام مع حبه لديهم وقلته عندهم قال مجاهد
على قلته وحبهم اياه وشهوتهم له فقوله على حبه في محل نصب على الحال اي كائنين على حبه
ومثله قوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وقيل على حب الاطعام لرغبتهم في الخير
قال الفضيل بن عياض على حب اطعام الطعام وقيل الضمير يرجع الى الله اي يطعمون الطعام
كائنا على حب الله ويؤيد هذا قوله الآتي انما نطعمكم لوجه الله والاول امدح لان فيه الايثار
على النفس والطعام محبوب للفقراء والاغنياء وهذا الوصف من باب التكميل فقد وصفهم
اولا بالجود والبذل وكمله بان ذلك عن اخلاص لا رياء فيه والمسكين ذو المسكنة وهو
الفقير او من هو افقر من الفقير والمراد باليتيم يتامى المسلمين والاسير الذي يؤسر فيحبس
قال قتادة ومجاهد الاسير المحبوس وقال عكرمة الاسير العبد وقال ابو حمزة الثمالي الاسير
المرأة قال سعيد بن جبير نسخ هذا الاطعام اية الصدقات واية السيف في حق الاسير الكافر و
قال غيره بل هي محكمة واطعام المسكين واليتيم على التطوع واطعام الاسير لحفظ نفسه
الى ان يتخير فيه الامام قال ابن عباس اسيرا هو المشرك وعن ابي سعيد الخدري عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم في قوله مسكينا قال فقيرا ويتيما قال لا اب له واسيرا قال المملوك والمسجون اخرجه
ابن مردويه وابو نعيم وعن ابن عباس قال نزلت هذه الآية في علي بن ابي طالب وفاطمة بنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجه ابن مردويه وقيل عامة في كل من اطعم هؤلاء لله واثر على نفسه
وجملة ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ في محل نصب على الحال بتقدير القول اي يقولون بلسان المقال او بلسان
الحال او قائلين انما نطعمكم يعني انهم لا يتوقعون المكافأة ولا يريدون ثناء الناس عليهم بذلك
قال الواحدي قال المفسرون لم يتكلموا بهذا ولكن علمه الله من قلوبهم فاثنى عليهم وعلم من ثنائه

انهم فعلوا ذلك خوفا من الله ورجاء ثوابه لا نريد منكم جزاء ولا شكورا اي لا نطلب منكم المجازاة
على هذا الاطعام ولا نريد منكم الشكر لنا بل هو خالص لوجه الله وهذه الجملة مقررة لما قبلها لان
من اطعم لوجه الله لا يريد المكافاة ولا يطلب الشكر له ممن اطعمه انا نخاف من ربنا يوما عبوسا
قمطريرا اي نخاف عذاب يوم متصف بهاتين الصفتين ومعنى عبوسا انه يوم تعبس وتكلح فيه
الوجوه من هوله وشدته فالمعنى انه ذو عبوس قال الفراء وابو عبيدة والمبرد يوم قمطرير وقماطر
اذا كان صعبا شديدا قال الاخفش القمطرير اشد ما يكون من الايام واطوله في البلاء قال الكسائي
اقمطر اليوم وازمهر اذا كان شديدا صعبا وقال مجاهد ان العبوس بالشفتين والقمطرير بالجبهة
والحاجبين فجعلهما من صفات المتغير في ذلك اليوم بما يراه من الشدائد قال ابو عبيدة يقال
قمطرير اي منقبض ما بين العينين والحاجبين قال الزجاج يقال اقمطرت الناقة اذا رفعت ذنبها
وجمعت قطريها ورمت بانفها ما سبقها من القطر وجعل الميم مزيدة وقال ابن عباس عبوسا
ضيقا قمطريرا طويلا وعن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله عبوسا قمطريرا قال يقبض
ما بين الابصار وقال ابن عباس القمطرير الرجل المنقبض ما بين عينيه ووجهه فوقاهم الله شر
ذلك اليوم اي دفع عنهم شره بسبب خوفهم منه واطعامهم لوجهه والفاء سببية ولقاهم نضرة
وسرورا اي اعطاهم بدل العبوس في الكفار نضرة في الوجوه وسرورا في القلوب بدل الخوف
قال الضحاك النضرة البياض والنقاء في وجوههم وقال سعيد بن جبير الحسن والبهاء وقيل
النضرة اثر النعمة وعن ابن عباس قال نضرة في وجوههم وسرورا في صدورهم وجزاهم بما
صبروا اي بسبب صبرهم على التكاليف وقيل على الفقر وقيل على الجوع وقيل على الصوم والاولى
حمل الاية على الصبر على كل شيء يكون الصبر عليه طاعة لله سبحانه جنة وحريرا اي ادخلهم
الجنة والبسهم الحرير وهو لباس اهل الجنة عوضا عن تركه في الدنيا امتثالا لما ورد في الشرع من
تحريمه والمراد بالجنة هنا بستان المأكولات لا ما يقابل النار وهي دار الكرامة حتى يقال اي حاجة
الى ذكر الحرير بعد ذكر الجنة مع انها مشتملة عليه في جملة ما اعد فيها للمؤمنين وظاهر هذه
الآيات العموم في كل من خاف من يوم القيامة واطعم لوجه الله وخاف من عذابه و
السبب وان كان خاصا كما تقدم فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ويدخل سبب

النزول تحت عمومها دخولا اوليا وقوله مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ منصوب على الحال من مفعول
جزاهم والعامل فيها جزى ولا يعمل فيها صبر والا الصبر انما كان في الدنيا قال الفراء وان شئت
جعلت متكئين تابعا كانه قال وجزاهم جنة متكئين فيها وقال الاخفش يجوز ان يكون منصوبا
على المدح والضمير في فيها يعود الى الجنة وجوز ابو البقاء والزمخشري ان يكون متكئين صفة لجنة
وهذا لا يجوز عند البصريين لانه كان يلزم بروز الضمير فيقال متكئين هم فيها لجريان الصفة على
غير من هي له وقد منعه مكي لما ذكر من عدم بروز الضمير ولا يجوز كونه حالا من فاعل صبروا لان
الصبر كان في الدنيا واتكاؤهم انما هو في الاخرة والارائك جمع اريكة وهي السرر في الحجال
وهي بيت يزين بالثياب والاسرة والستور وقد تقدم تفسيرها في سورة الكهف لَا يَرَوْنَ
فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا الجملة في محل نصب على الحال من مفعول جزاهم فتكون من الحال المترادفة
او من الضمير في متكئين فتكون من الحال المتداخلة او صفة اخرى لجنة قال ابن مسعود الزمهرير
هو البرد الشديد والمعنى انهم لا يرون في الجنة حر الشمس ولا برد الزمهرير ومنه قول الاعشى
شعر منعمة طفلة كالمها ۞ لم تر شمسا ولا زمهريرا ۞ وفي الحديث هواء الجنة سجسج لا حر ولا قر قاله
النسفي وقال ثعلب الزمهرير القمر بلغة طي وانشد لشاعرهم شعر وليلة ظلامها قد
اعتكر ۞ قطعتها والزمهرير ما زهر ۞ ويروى ما ظهر اي ما طلع القمر وقد تقدم تفسير
هذا في سورة مريم اخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اشتكت النار الى ربها فقالت رب اكل بعضي بعضا فجعل لها نفسين نفسا
في الصيف ونفسا في الشتاء فشدة ما تجدون من البرد من زمهريرها وشدة ما تجدون
في الصيف من الحر من سمومها وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا قرا الجمهور دانية بالنصب
عطفا على محل لا يرون او على متكئين او صفة لمحذوف اي وجنة دانية كانه قال وجزاهم
جنة دانية وقال الزجاج هو صفة لجنة المتقدم ذكرها وقال الفراء منصوب على
المدح وقرئ بالرفع على انه خبر مقدم وظلالها مبتدأ مؤخر والجملة في محل نصب على
الحال والمعنى ان ظلال الاشجار قريبة منهم مظلة عليهم زيادة في نعيمهم وان
كان لا شمس هنالك قال مقاتل يعني شجرها قريب منهم وقرا ابن مسعود ودانيا عليهم

قال البراء بن عازب دانية قريبة وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا معطوف على دانية كانه قال ومذللة
ويجوز ان تكون الجملة في محل نصب على الحال من الضمير في عليهم ويجوز ان تكون مستانفة والقطوف
الثمار جمع قطف بالكسر وهو العنقود والمعنى انها سخرت ثمارها لمتناولها تسخيرا كثيرا بحيث يتناولها
القائم والقاعد والمضطجع والمتكئ ولا يرد ايديهم عنها بعد ولا شوك قال النحاس المذلل القريب المتناول
ومنه قولهم حائط ذليل اي قصير قال ابن قتيبة ذللت ادنيت من قولهم حائط ذليل اذا كان قصير
السمك وقيل ذللت اي جعلت منقادة لا تمتنع على قطافها كيف شاؤا وعن البراء بن عازب قال
ان اهل الجنة ياكلون من ثمار الجنة قياما وقعودا ومضطجعين وعلى اي حال شاؤا وفي لفظ
قال ذللت فيتناولون منها كيف شاؤا ولما وصف تعالى طعامهم ولباسهم ومسكنهم وصف
شرابهم بقوله وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ وقال هنا يطاف وفيما بعد يطوف لان المقصود في الاول ما يطاف
به لا الطائفون بقرينة قوله بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ والمقصود في الثاني الطائفون
فذكر في كل منهما ما يناسبه كما اشار اليه في التقرير والمعنى يدور عليهم الخدم اذا ارادوا الشراب بآنية
الفضة والآنية جمع اناء والاصل أأنية بهمزتين الاولى مزيدة للجمع والثانية فاء الكلمة فقلبت الثانية
الفا وجوبا وهذا نظير كساء واكسية وغطاء واغطية ونظيره في الصحيح اللام حمار واحمرة قاله السمين
وهو وعاء الماء والاكواب جمع كوب وهو الكوز العظيم والابريق الذي لا اذن له ولا عروة وهو من
عطف الخاص على العام ولم تنف الآية آنية الذهب بل نبه سبحانه بذكر احدهما على الآخر كقوله
تقيكم الحر والمعنى قد يسقون في اواني الفضة وقد يسقون في اواني الذهب وقد مضى تفسيره في سورة
الزخرف كَانَتْ قَوَارِيرَا بتكوين الله تعالى تفخيما لتلك الخلقة العجيبة الشان الجامعة بين صفتي الجوهرين
المتباينين وكذا كان مزاجها كافورا قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ اي في صفة القوارير في الصفاء وفي بياض الفضة
فصفاؤها صفاء الزجاج ولونها لون الفضة قال ابن عباس آنية من فضة وصفاؤها كصفاء القوارير وعنه
قال ليس في الدنيا شيء مما في الجنة الا الاسماء اذ الذي في الجنة اشرف واعلى قرأ نافع والكسائي وابو بكر قواريرا
بالتنوين فيهما مع الوصل وبالوقف عليهما بالالف وقد تقدم وجه هذه القراءة في تفسير قوله سلاسلا من هذه السورة وبينا هنالك
وجه صرف ما فيه صيغة منتهى الجموع وقرأ حمزة بعدم التنوين فيهما وعدم الوقف بالالف ووجه هذه القراءة ظاهر
لانهما ممتنعان لصيغة منتهى الجموع وقرأ هشام بعدم التنوين فيهما مع الوقف عليهما بالالف وقرأ ابن كثير

بتنوين الاول دون الثاني والوقف على الاول بالالف دون الثاني وقرأ ابو عمرو وحفص وابن ذكوان
بعدم التنوين فيهما والوقف على الاول بالالف دون الثاني وبسط السمين في ذكر هذه الوجوه الخمسة
في القراءة والجملة في محل جر صفة لاكواب وقوارير جمع قارورة وهي ما اقر فيه الشراب ونحوه من كل اناء
رقيق صاف وقيل هو خاص بالزجاج قال ابو البقاء وحسن التكرير لما اتصل به من بيان اصلها ولولا
التكرير لم يحسن ان يكون الاول رأس اية لشدة اتصال الصفة بالموصوف قال الواحدي قال المفسرون
جعل الله قوارير اهل الجنة من فضة فاجتمع لها بياض الفضة وصفاء القوارير قال الزجاج
القوارير التي في الدنيا من الرمل فاعلم الله فضل تلك القوارير ان اصلها من فضة يرى من خارجها
ما في داخلها قال ابن عباس لو اخذت فضة من فضة الدنيا فضربتها حتى جعلتها
مثل جناح الذباب لم ير الماء من ورائها ولكن قوارير الجنة ببياض الفضة في صفاء القوارير
وعنه قال ليس في الجنة شيء الا وقد اعطيتم في الدنيا شبهه الا قوارير من فضة وجملة قدروها
تقديرا صفة لقوارير قرأ الجمهور قدروها بفتح القاف على البناء للفاعل اي قدرها السقاة من الخدم
الذين يطوفون عليهم على قدر ما يحتاج اليه الشاربون من اهل الجنة من دون زيادة ولا نقصان
وذلك الذ الشراب لكونه على مقدار الحاجة لا يفضل عنه ولا يعجز قال مجاهد وغيره اتوا بها
على قدر ريهم اي شهوتهم بغير زيادة ولا نقصان اذ لا عطش في الجنة قال الكلبي وذلك الذ واشهى
وقيل قدرها الملائكة وقيل قدرها اهل الجنة الشاربون على مقدار شهوتهم وحاجتهم فجاءت
كما يريدون في الشكل لا تزيد ولا تنقص وقرئ قُدِروها بضم القاف وكسر الدال مبنيا للمفعول اي جعلت
لهم على قدر ارادتهم قال ابو علي الفارسي هو من باب القلب قال لان حقيقة المعنى ان يقال قدرت عليهم
لا قدروها لانه في معنى قدروا عليها وقال ابو حاتم التقدير قدرت الاواني على قدر ريهم فمفعول
ما لم يسم محذوف قال ابو حيان والاقرب في تخريج هذه الاية الشاذة ان يقال قدر ريهم منها تقديرا
فحذف المضاف فصار قدروها وقال المهدوي هذه القراءة يرجع معناها الى القراءة الاولى وكان
الاصل قدروا عليها فحذف حرف الجر وقال ابن عباس قدرت للكف وقال ايضا اتوا بها على قدر الفم
لا يفضلون شيئا ولا يشتهون بعدها شيئا وعنه قال قدرتها السقاة ويُسقَون اي يسقيهم من
الاجوه من خدمهم الذين لا يحصون كثرة فيها اي في الجنة او الاكواب كأسا كان مزاجها زنجبيلا

قد تقدم ان الكاس هو الاناء الذي فيه الخمر واذا كان خاليا عن الخمر فلا يقال له كاس والمعنى
ان اهل الجنة يسقون في الجنة كاسا من الخمر ممزوجة بالزنجبيل وقد كانت العرب تستلذ مزج الشراب
بالزنجبيل لطيب رائحته وقال مجاهد وقتادة الزنجبيل اسم للعين التي يشرب بها المقربون وقال مقاتل هو زنجبيل
لا يشبه زنجبيل الدنيا اي يلذع الحلق فتصعب اساغته قلت وكذلك سائر ما في الجنان من الاشجار والثمار
والقصور والنساء الحور والماكولات والمشروبات والملبوسات لا يشبه ما في الدنيا الا في مجرد الاسم لكن
الله سبحانه يرغب الناس ويطمعهم بان يذكر لهم احسن شيء والذه واطيبه مما يعرفونه في الدنيا
لاجل ان يرغبوا ويسعوا فيما يوصلهم الى هذا النعيم المقيم عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا انتصاب
عينا على انها بدل من كاسا ويجوز ان تكون منصوبة بفعل مقدر اي يسقون عينا ويجوز ان
تكون منصوبة بنزع الخافض اي من عين والسلسبيل الشراب اللذيذ ماخوذ من السلاسة
تقول العرب هذا شراب سلس وسلسال وسلسبيل اي طيب لذيذ قال الزمخشري وقد زيدت
الباء في التركيب حتى صارت الكلمة خماسية ودلت على غاية السلاسة قال الزجاج السلسبيل في اللغة
اسم لماء في غاية السلاسة حديد الجرية يسوغ في حلوقهم ومنه قول حسان بن ثابت شعر
يسقون من ورد البريص عليهم + كأسا يصفق بالرحيق السلسل + وقال ابن الاعرابي لم اسمع
السلسبيل الا في القران وقال مكي هو اسم عجمي نكرة فلذلك صرف ووزنه مثل دردبيس وقيل
فعفليل لان الفاء مكررة وقيل سلسة منقادة لهم يصرفونها حيث شاؤا والاول اولى وقال الخازن
معنى تسمى توصف لان اكثر العلماء على ان سلسبيلا صفة لا اسم انتهى قال مقاتل وابن حبان
سميت سلسبيلا لانها تسيل عليهم في الطرق وفي منازلهم تنبع من اصل العرش من جنة عدن
الى اهل الجنان قال البغوي وشراب الجنة في برد الكافور وطعم الزنجبيل وريح المسك من غير لذع
قال مقاتل يشربها المقربون صرفا وتمزج لسائر اهل الجنة ولما فرغ سبحانه من وصف شرابهم
وصف انيته وصف السقاة الذين يسقونهم ذلك الشراب فقال وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ بالشراب وِلْدَانٌ
بكسر الواو باتفاق السبعة اي غلمان هم في سن من هو دون البلوغ قال بعض المفسرين هم غلمان
ينشئهم الله تعالى لخدمة المؤمنين وقال بعضهم اطفال المؤمنين لانهم ماتوا على الفطرة وقال
ابن برهان هو الذي اراه الله اعلم انهم من علم الله تعالى ايمانه من اولاد الكفار ويكون خدما لاهل الجنة

كما كانوا في الدنيا لنا سببا وخدما وأما أولاد المؤمنين فيلحقون بآبائهم قال النسابوري وراجع في
الخازن في سورة الواقعة والصحيح الذي لا معدل عنه إن شاء الله تعالى أنهم ولدان خلقوا في
الجنة لخدمة أهل الجنة كالحور ولم يولدوا ولم يخلقوا عن ولادة انتهى قلت الله أعلم بهم ولا أقول
فيهم بشيء ظنا وتخمينا إذ لم يرد نص صريح صحيح في كتاب الله ولا في سنة رسوله فالوقف أولى وأحوط
مُخَلَّدُونَ أي باقون على ما هم عليه من الشباب والطراوة والنضارة لا يهرمون ولا يتغيرون وقيل
المعنى لا يموتون وقيل التخليد التحلية أي محلون **إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا** أي إذا
نظرت إليهم ظننتهم لمزيد حسنهم وصفاء ألوانهم ونضارة وجوههم وانبثاثهم في مجالسهم لؤلؤا
مفرقا قال عطاء يريد في بياض اللون وحسنه واللؤلؤ إذا انتثر من الخيط على البساط كان أحسن منه
منظوما قال أهل المعاني إنما شبهوا بالمنثور لانتشارهم في الخدمة ولو كانوا صفا لشبهوا بالمنظوم قيل إنما
شبههم بالمنثور لأنهم سراع في الخدمة بخلاف الحور العين فإنه شبههن باللؤلؤ المكنون لأنهن لا
يمتهن بالخدمة عن أبي عمرو قال إن أدنى أهل الجنة منزلا من يسعى عليه ألف خادم كل خادم على
عمل ليس عليه صاحبه وتلا إذا رأيتهم حسبتهم الخ أخرجه ابن المبارك وهناد وعبد بن حميد
والبيهقي في البعث **وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ** أي وإذا رميت ببصرك هناك يعني في الجنة والخطاب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم أو لكل من يدخل الجنة ولم ظرف مكان مختص بالبعد والعامل فيه رأيت قال الفراء في
الكلام ما مضمرة أي وإذا ما رأيت ثم كقوله لقد تقطع بينكم أي ما بينكم قال الزجاج معترضا على الفراء إنه
لا يجوز إسقاط الموصول وترك الصلة ولكن رأيت يتعدى في المعنى إلى ثم والمعنى إذا رأيت ببصرك ثم
ويعني بثم الجنة **رَأَيْتَ نَعِيمًا** لا يوصف والنعيم سائر ما يتنعم به **وَمُلْكًا كَبِيرًا** لا يقادر قدره قال السدي
الملك الكبير استئذان الملائكة عليهم وكذا قال مقاتل والكلبي وقيل واسعا لا غاية له وقيل كون
التيجان على رؤسهم كما تكون على رؤس الملوك وأعظمهم منزلة من ينظر إلى وجه ربه كل يوم
وقيل إن رأيت ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر ولا منوي بل معناه أن بصرك أينما وقع في الجنة رأيت
نعيما وملكا كبيرا **عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ** قرأ نافع وحمزة وابن محيصن عاليهم بسكون الياء وكسر الهاء
فهي سبعية على أنه خبر مقدم وثياب مبتدأ مؤخر أو على أن عاليهم مبتدأ وثياب مرتفع بالفاعلية
وإن لم يعتمد الوصف كما هو مذهب الأخفش وقال الفراء هو مرفوع بالابتداء وخبره ثياب واسم الفاعل

مراد به الجمع وقرأ الباقون بفتح الياء وضم الهاء لتحرك ما قبلها على انه ظرف كأنه قيل فوقهم ثياب قال الفراء
ان عاليهم بمعنى فوقهم وكذا قال ابن عطية قال ابو حيان حال وعالية اسم فاعل فيحتاج في كونهما ظرفين
الى ان يكون منقولا من كلام العرب وقد تقدمه الى هذا الزجاج وقال هذا مما لا نعرفه في الظروف ولو كان
ظرفا لم يجز اسكان الياء ولكنه نصب على الحال من شيئين احدهما الهاء والميم في قوله يطوف عليهم اي
على الابرار والثاني ان عاليا الابرار ثياب سندس اي يطوف عليهم في هذه الحال والثاني ان يكون حالا
من الولدان اي اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا في حال علو الثياب ابدانهم قلت قد وردت الفاظ
من صيغ اسماء الفاعلين ظروفا نحو خارج الدار وداخلها وباطنها وظاهرها فكذلك هذا فلا وجه
للانكار وقال ابو علي الفارسي العامل في الحال اما لقاهم نضرة واما جزاهم بما صبروا قال ويجوز ان يكون
ظرفا وقرئ عليهم وهي قراءة واضحة المعنى ظاهرة الدلالة واختار ابو عبيد الاولى لقراءة ابن مسعود
عاليتهم وقرأ الجمهور ثياب سندس بالاضافة على معنى من وقرأ ابو حيوة وابن ابي عبلة بفكها ورفع سندس
وخضر واستبرق على ان السندس نعت للثياب لان السندس نوع منها وعلى ان خضر نعت لسندس
لانه يكون اخضر وغير اخضر وعلى ان استبرق معطوف على سندس اي وثياب استبرق والجمهور من
القراء اختلفوا في خضر واستبرق مع اتفاقهم على جر سندس باضافة ثياب اليه فقرأ ابن كثير و
ابو بكر عن عاصم وابن محيصن بجر خضر نعتا للسندس ورفع استبرق عطفا على ثياب اي عليهم ثياب
سندس وعليهم استبرق وقرأ ابو عمرو وابن عامر برفع خضر نعتا للثياب وجر استبرق نعتا للسندس
واختار هذه القراءة ابو حاتم وابو عبيد لان الخضر احسن ما كانت نعتا للثياب فهي مرفوعة والاستبرق
من جنس السندس وقرأ نافع وحفص برفع خضر واستبرق لان خضرا نعت للثياب واستبرق عطف
على الثياب وقرأ الاعمش وحمزة والكسائي بجر خضر واستبرق على ان خضرا نعت للسندس واستبرق
معطوف على سندس وقرأوا كلهم بصرف استبرق الا ابن محيصن فانه قرأ بعدم صرفه قال لانه اعجمي
ولا وجه لهذا لانه نكرة الا ان يقول انه علم لهذا الجنس من الثياب ووصف اسم الجنس بالجمع شائع
فصيح على حد وينشئ السحاب الثقال والسندس ما رق من الديباج والاستبرق ما غلظ منه وقد
تقدم تفسيرهما في سورة الكهف وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ عطف على يطوف عليهم ماض لفظا مستقبل
معنى وابرزه بالماضي لتحققه ذكر سبحانه هنا انهم يحلون باساور الفضة وفي سورة الفاطر يحلون فيها

من اساور من ذهب وفي سورة الحج يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولا تعارض
بين هذه الآيات لامكان الجمع بان تجعل لهم سوارات من ذهب وفضة ولؤلؤ لتجتمع لهم محاسن
الجنة او بان المراد انهم يلبسون سوارات الذهب تارة وسوارات الفضة تارة وسوارات اللؤلؤ تارة
وانه يلبس كل احد منه ما تميل اليه نفسه من ذلك او حلي الرجال الفضة وحلي النساء الذهب
وقيل اسورة الفضة انما تكون للولدان واسورة الذهب للنسوان وقيل هذا بحسب الاوقات والاعمال
وَسَقٰىهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُوْرًا هذا نوع آخر من الشراب الذي يمن الله عليهم به يفوق على النوعين
المتقدمين ولذلك اسند سقيه الى الله ووصفه بالطهورية فانه يطهر شاربه عن الميل الى
اللذات الحسية والركون الى ما سوى الحق فيتجرد لمطالعة جماله متلذذا بلقائه باقيا ببقائه وهو
منتهى درجات الصديقين قال الفراء يقول هو طهور ليس بنجس كما كان في الدنيا موصوفا بالنجاسة
اي لم تمسه الايدي ولم تدنسه الارجل وقيل لا يستحيل بولا وطهور صيغة مبالغة في الطهارة
والنظافة والمعنى ان ذلك الشراب طاهر ليس كخمر الدنيا فشتان ما بين الشرابين والآنيتين والمنزلتين
قال مقاتل هو عين ماء على باب الجنة من شرب منها نزع الله ما كان في قلبه من غش وغل وحسد
قال ابو قلابة وابراهيم النخعي يؤتون بالطعام فاذا كان آخره أتوا بالشراب الطهور فيشربون فتضمر بطونهم
من ذلك ويفيض عرق من ابدانهم مثل ريح المسك ثم يقال لهم بعد دخولهم في الجنة ومشاهدتهم
نعيمها اِنَّ هٰذَا الذي ذكر من انواع النعم كَانَ في علم الله لَكُمْ جَزَآءً باعمالكم اي ثوابا لها اعده لكم
الى هذا الوقت وَّكَانَ سَعْيُكُمْ مَّشْكُوْرًا اي كان عملكم في الدنيا بطاعة الله مرضيا مقبولا مقابلا
بالثواب فشكر الله سبحانه لعمل عبده هو قبوله لطاعته اِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْاٰنَ تَنْزِيْلًا
اي فرقناه في الانزال ولم ننزله جملة واحدة لحكمة بالغة تقتضي تخصيص كل شيء بوقت معين
قيل المعنى نزلناه عليك ولم تأت به من عندك كما يدعيه المشركون والمقصود من ذلك
تثبيت قلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشرح صدره وان الذي انزل عليه وحي ليس بكهانة ولا
سحر لتزول الوحشة الحاصلة له من قول الكفار انه كهانة او سحر فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ اي لقضائه
ومن حكمه وقضائه تاخير نصرك الى اجل اقتضته حكمته قيل هذا منسوخ باية السيف وَلَا
تُطِعْ مِنْهُمْ اٰثِمًا اَوْ كَفُوْرًا اي لا تطع كل واحد من مرتكب لاثم وغال في كفر فنهاه الله سبحانه عن ذلك

ع ٣٢

قال الزجاج ان الالف هنا أكد من الواو وحدها لانك اذا قلت لا تطع زيدا وعمرا فاطاع احدهما
كان غير عاص لانك امرته ان لا يطيع الاثنين فاذا قال منهم آثما او كفورا دل ذلك على ان كل واحد
منهما اهل ان يعصى كما انك اذا قلت لا تخالف الحسن او ابن سيرين فقد قلت انهما اهل ان يتبعا
وكل واحد منهما اهل ان يتبع وقال الفراء او هنا بمنزلة لا كانه قال ولا كفورا وقيل المراد بقوله آثما
عتبة بن ربيعة وبقوله او كفورا الوليد بن المغيرة لانهما قالا للنبي صلى الله عليه وسلم ارجع عن هذا الامر
ونحن نرضيك بالمال والتزويج وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا اي دم على ذكره في جميع الاوقات
وقيل المعنى صل لربك اول النهار واخره فاول النهار صلوة الصبح واخره صلوة العصر وفي الشهاب
تناول الاصيل للعصر ظاهر واما تناوله للظهر فباعتبار اخره اذ الزوال وما يقرب منه لا يسمى اصيلا
وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ اي صل المغرب والعشاء وقيل المراد الصلوة في بعضه من غير تعيين و
من للتبعيض على كل تقدير والفاء دالة على معنى الشرطية والتقديم مهما يكن من شيء فصل
من الليل وهو يفيد ايضا بتاكيده الاعتناء التام وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا اي نزهه عما لا يليق به فيكون
المراد الذكر بالتسبيح سواء كان في الصلوة او في غيرها وقيل المراد التطوع في الليل قال ابن زيد
وغيره ان هذه الاية منسوخة بالصلوات الخمس وقيل الامر للندب وقيل هو مخصوص بالنبي صلعم
وفيه دليل على عدم ما قاله بعض اهل علم المعاني والبيان ان الجمع بين الحاء والهاء مثلا يخرج
الكلمة عن فصاحتها وجعلوا من ذلك قول ابي تمام ؎ كريم متى امدحه امدحه والورى
معي واذا ما لمته لمته وحدى + ويمكن ان يفرق بين ما انشدوه وبين الاية الكريمة بان التكرار في
البيت هو المخرج له عن الفصاحة بخلاف الاية فانه لا تكرار فيها ذكره السمين إِنَّ هَؤُلَاءِ يعني كفار
مكة ومن هو موافق لهم يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ الدار العاجلة وهي دار الدنيا وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا
اي يتركون ويدعون خلفهم او بين ايديهم وامامهم يوما شديدا عسيرا وهو يوم القيامة وسمي
ثقيلا لما فيه من الشدائد والاهوال ووصفه بالثقل على المجاز لانه من صفات الاعيان لا المعاني
ومعنى كونهم يذرونه وراء ظهورهم انهم لا يستعدون له ولا يعبؤن به فهم كمن ينبذ الشيء وراء ظهره
تهاونا به واستخفافا بشانه وان كانوا في الحقيقة مستقبلين له وهو امامهم نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ اي
ابتدانا خلقهم من تراب ثم من نطفة ثم من مضغة ثم من علقة الى ان كمل خلقهم ولم يكن لغيرنا في ذلك

عمل ولا سعي كالشتراكا ولا استقلالا وشددنا أسرهم الاسر شدة الخلق يقال شد الله اسر فلان
اي قوى خلقه قال مجاهد وقتادة ومقاتل وغيرهم شددنا خلقهم قال الحسن شددنا اوربطنا اوصالهم
بعضا الى بعض بالعروق والعصب قال ابوعبيدة يقال فرس شديد الاسر اي الخلق وقال ابن زيد الاسر
القوة واشتقاقه من الاسار وهو القد الذي يشد به الاقتاب قال ابن عباس اسرهم خلقهم وقال
ابوهريرة هي المفاصل وقيل المراد بالاسر عجب الذنب لانه لا يتفتت في القبر والاسر بالضم احتباس البول
كالحصر في الغائط وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا اي لو شئنا لاهلكناهم وجئنا باطوع لله منهم
وقيل المعنى مسخناهم الى اسمج صورة واقبح خلقة إن هذه تذكرة يعني ان هذه السورة تذكير وموعظة
للخلق لان في تصفحها تنبيهات للغافلين وفي تدبرها وتذكرها فوائد جمة للطالبين السالكين
ممن القى سمعه واحضر قلبه وكانت نفسه مقبلة على ما القي اليه سمعه فمن شاء اتخذ إلى ربه
سبيلا اي طريقا يتوصل به اليه وذلك بالايمان والطاعة والمراد الى ثوابه او الى جنته لانا
بينا الامور غاية البيان وكشفنا اللبس وازلنا جميع موانع الفهم فلم يبق مانع من استطراق الطريق
غير مشية العبد وما تشاؤن ان تتخذ والى الله سبيلا وفيه التفات عن الغيبة في خلقناهم
الى الخطاب وقرئ بالياء التحتية لمناسبة قوله خلقناهم وقوله إلا أن يشاء الله منصوب على الظرفية
واصله الا وقت مشية الله تعالى الامر اليه سبحانه ليس اليكم والخير والشر بيده لا مانع لما اعطى ولا معطي
لما منع فمشية العبد مجردة لا تأتي بخير ولا تدفع شرا وان كان يثاب على المشية الصالحة ويوجر على
قصد الخير كما في حديث انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى قال الزجاج اي لستم تشاؤن
الا بمشية الله والاية حجة على المعتزلة والقدرية إن الله كان عليما اي بليغ العلم بما يكون من الاحوال
حكيما بليغ الحكمة في امره ونهيه مصيبا في جميع الاقوال والاحوال يدخل من يشاء في رحمته اي
يدخل في رحمته من يشاء ان يدخله فيها او يدخل في جنته من يشاء من عباده لانها برحمته
تعالى وهو حجة على المعتزلة قال عطاء من صدقت نيته ادخله الله تعالى جنته والظالمين
أعد لهم عذابا أليما انتصاب الظالمين بفعل مقدر يدل عليه ما قبله اي يعذب الظالمين نصب
الظالمين لان ما قبله منصوب اي يدخل من يشاء في رحمته ويعذب الظالمين اي المشركين ويكون
اعد لهم تفسيرا لهذا المضمر والاختيار النصب وان جاز الرفع وبالنصب قرأ الجمهور وقرأ ابان بن عثمان

ع ٢٠

بالرفع على الابتداء ووجهه انه لم يكن بعده فعل يقع عليه ۞

سورة المرسلات وهي خمسون آية وهي مكية في قول الحسن وعكرمة

وعطاء وجابر قال قتادة الا آية منها وهي قوله واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون فانها مدنية وروي هذا عن ابن عباس اخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود قال بينما نحن مع النبي صلى الله عليه وسلم في غار بمنى اذ نزلت سورة والمرسلات عرفا فانه ليتلوها واني لاتلقاها من فيه وان فاه لرطب بها اذ وثبت علينا حية فقال النبي صلى الله عليه وسلم اقتلوها فابتدرناها فذهبت فقال النبي صلى الله عليه وسلم وقيت شركم كما وقيتم شرها واخرج الشيخان وغيرهما عن ابن عباس ان ام الفضل سمعته وهو يقرأ والمرسلات عرفا فقالت يا بني لقد ذكرتني بقراءتك هذه السورة انها آخر ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها في المغرب ۞

بسم الله الرحمن الرحيم ۞

والمرسلات عرفا قال جمهور المفسرين هي الرياح روي عن ابن مسعود قال انه الريح وقيل هي الملائكة وبه قال مقاتل وابو صالح والكلبي وقال ابو هريرة هي الملائكة ارسلت بالعرف وعن ابن مسعود مثله وقيل هم الانبياء فعلى الاول اقسم سبحانه بالرياح المرسلة لما يأمرها به كما في قوله وارسلنا الرياح لواقح وقوله ويرسل الرياح وغير ذلك وعلى الثاني اقسم سبحانه بالملائكة المرسلة لوحيه وامره ونهيه وعلى الثالث اقسم برسله المرسلة الى عباده لتبليغ شرائعه وقيل المراد بالمرسلات السحاب لما فيها من نقمة ونعمة وانتصاب عرفا اما على انه مفعول لاجله اي المرسلات لاجل العرف وهو ضد النكر او على انه حال بمعنى متتابعة يتبع بعضها بعضا كعرف الفرس تقول العرب سار الناس الى فلان عرفا واحدا اذا توجهوا اليه وهم على فلان كعرف الضبع اذا تألبوا عليه او على انه مصدر كانه قال والمرسلات ارسالا اي متتابعة او على انه منصوب بنزع الخافض اي والمرسلات بالعرف قرأ الجمهور عرفا بسكون الراء وقرأ عيسى بن عمر بضمها فالعاصفات عصفا وهي الرياح الشديدة الهبوب قال القرطبي بغير اختلاف يقال عصف بالشيء اذا اباده واهلكه قال

عصوف اي تعصف براكبها فتمضي كانها ريح في السرعة ويقال عصفت الحرب بالقوم اذا ذهبت بهم وقيل هي الملائكة الموكلون بالريح يعصفون بها وقيل يعصفون بروح الكافر وقيل هي الآيات المهلكة كالزلازل ونحوها وقال ابن مسعود هي الريح وعن علي قال هي الرياح وبه قال ابن عباس وَّالنّٰشِرٰتِ نَشْرًا يعني الرياح تاتي بالمطر وهي تنشر السحاب نشرا قال ابن مسعود هي الريح او الملائكة الموكلون بالسحاب ينشرونها او ينشرون اجنحتهم في الجو عند النزول بالوحي او هي الامطار لانها تنشر النبات وقال الضحاك يريد ما ينشر من الكتب واعمال بني ادم وقال الربيع انه البعث للقيامة ينشر الارواح وجاء بالواو هنا لانه استيناف قسم آخر فَالْفٰرِقٰتِ فَرْقًا يعني الملائكة تاتي بما يفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام وقال مجاهد هي الريح تفرق بين السحاب فتبدده وروي عنه انها آيات القرآن تفرق بين الحق والباطل وقيل هي الرسل فرقوا بين ما امر الله به ونهى عنه وبه قال الحسن قال ابن عباس هي الملائكة فرقت بين الحق والباطل فَالْمُلْقِيٰتِ ذِكْرًا هي الملائكة قال القرطبي باجماع اي تلقي الوحي الى الانبياء وقيل هو جبريل وسمي باسم الجمع تعظيما له وقيل هي الرسل يلقون الى امهم ما انزل الله عليهم قاله قطرب قال ابن عباس فالملقيات ذكرا قال بالتنزيل قرأ الجمهور ملقيات بسكون اللام وتخفيف القاف اسم فاعل وقرأ ابن عباس بفتح اللام وتشديد القاف من التلقية وهي ايصال الكلام الى المخاطب اقسم سبحانه بصفات خمسة موصوفها محذوف فجعله بعضهم الرياح في الكل وبعضهم جعله الملائكة في الكل وبعضهم غاير فجعله تارة الرياح وتارة الملائكة وجعل الجلال المحلي الصفات الثلث الاول لموصوف واحد وهو الرياح وجعل الرابعة لموصوف ثان وهو الآيات وجعل الخامسة لموصوف ثالث وهو الملائكة ولم يسلك هذه الطريق غيره من المفسرين وعبارة النهر ولما كان المقسم به موصوفات قد حذفت واقيمت صفاتها مقامها وقع الخلاف في تلك الموصوفات والذي يظهر ان المقسم به شيئان ولذلك جاء العطف بالواو في والناشرات والعطف بالواو يشعر بالتغاير واما العطف بالفاء اذا كان في الصفات فيدل على انها راجعة لموصوف واحد واذا تقرر هذا فالظاهر انه اقسم اولا بالرياح ويدل عليه عطف الصفة بالفاء والقسم الثاني فيه ترق الى اشرف من المقسم به الاول وهم الملائكة ويكون قوله فالفارقات فالملقيات من صفاتهم والقاؤهم الذكر وهو ما انزل الله تعالى صحيح اسناده اليهم وما ذكر من اختلاف المفسرين في المراد بهذه الاوصاف ينبغي ان يحمل على التمثيل لا على

التعيين والرابع ان الاوصاف الثلثة الاول للرياح والرابع والخامس للملائكة وهو الذي اختاره الزجاج والقاضي وغيرهما عُذْرًا اَوْ نُذْرًا انتصابهما على البدل من ذكرا او على المفعولية والعامل فيهما المصدر المنون كما في قوله تعالى اواطعام في يوم ذي مسغبة يتيما او على المفعول لاجله اي للاعذار والانذار او على الحال بالتاويل المعروف اي معذرين او منذرين قرأ الجمهور باسكان الذال فيهما وقرئ بضمهما او بسكونها في عذرا وضمها في نذرا وقرأ الجمهور عذرا او نذرا على العطف باو وقرئ بالواو والمعنى ان الملائكة تلقي الوحي اعذارا من الله الى خلقه وانذارا من عذابه كذا قال الفراء وقيل عذرا للمحقين ونذرا للمبطلين قال ابو علي الفارسي يجوز ان يكون العذر والنذر بالتثقيل جمع عاذر وناذر كقوله هذا نذير من النذر الاولى فيكون نصبا على الحال من الالقاء اي يلقون الذكر في حال العذر والانذار قال المبرد هما بالتثقيل جمع والواحد عذير ونذير وقيل الاعذار محو الاساءة والانذار التخويف والاول اظهر ثم ذكر سبحانه جواب القسم فقال اِنَّمَا تُوْعَدُوْنَ لَوَاقِعٌ اي ان الذي توعدونه من مجيئ الساعة والبعث كائن لامحالة ما اسم موصول والقاعدة انها اذا كانت كذلك ترسم مفصولة من ان ورسمت هنا موصولة بها اتباعا لرسم المصحف الامام ثم بين سبحانه متى يقع ذلك فقال فَاِذَا النُّجُوْمُ طُمِسَتْ اي محي نورها وذهب ضوءها يقال طمس الشيئ اذا درس وذهب اثره وَاِذَا السَّمَاۤءُ فُرِجَتْ اي فتحت وشقت ومثله قوله وفتحت السماء فكانت ابوابا وَاِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ اي قلعت من مكانها بسرعة يقال نسفت الشيئ وانسفته اذا اخذته بسرعة وقال الكلبي سويت بالارض والعرب تقول نسفت الناقة الكلاء اذا رعته وقيل جعلت كالحب الذي ينسف بالمنسف ومنه قوله وبست الجبال بسا والاول اولى قال المبرد نسفت قلعت من مواضعها وَاِذَا الرُّسُلُ اُقِّتَتْ الهمزة بدل من الواو المضمومة وكل واو انضمت وكانت ضمتها لازمة يجوز ابدالها بالهمزة وقد قرئ بالواو والوقت الاجل الذي يكون عنده الشيئ المؤخر اليه والمعنى جعل لها وقت للفصل والقضاء بينهم وبين الامم كما في قوله سبحانه يوم يجمع الله الرسل وقيل هذا في الدنيا اي جمعت الرسل لميقاتها الذي ضرب لها في انزال العذاب بمن كذبها والاول اولى قال ابو علي الفارسي اي جعل يوم الدين والفصل لها وقتا وقيل اقتت ارسلت لاوقات معلومة على ما علم الله به لِاَيِّ يَوْمٍ اُجِّلَتْ هذا الاستفهام للتعظيم والتعجيب اي لاي يوم عظيم تعجب العباد منه

لشدته ومزيد اهواله ضرب لهم الاجل لجمعهم والجملة مقول قول مقدر وهو جواب لاذا او في محل
نصب على الحال من الضمير في اقتت قال الزجاج المراد بهذا التأقيت تبيين الوقت الذي يحضرون
فيه للشهادة على اممهم ثم بين هذا اليوم فقال لِيَوْمِ الْفَصْلِ قال قتادة يفصل فيه بين الناس
باعمالهم الى الجنة والنار ثم اتبع ذلك تعظيما وتهويلا فقال وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ اي
وما اعلمك بيوم الفصل يعني انه امر بديع هائل لا يقادر قدره وما مبتدأ وادراك خبره
او العكس كما اختاره سيبويه ثم ذكر حال الذين كذبوا بذلك اليوم فقال وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ
اي ويل لهم في ذلك اليوم الهائل قال الزمخشري ويل اصله مصدر ساد مسد فعله لكنه
عدل به الى الرفع للدلالة على الثبات قلت سوغ الابتداء به كونه دعاء لا ما ذكره الزمخشري ويجوز
ويلا بالنصب ولكنه لم يقرأ به والويل الهلاك او هو اسم واد في جهنم قال ابن مسعود يسيل فيه
صديد اهل النار فجعل للمكذبين وكررت هذه الآية في هذه السورة عشر مرات لانه
قسم الويل بينهم على قدر تكذيبهم فان لكل مكذب بشيء عذابا سوى تكذيبه بشيء آخر ورب
شيء كذب به هو اعظم جرما من التكذيب بغيره فيقسم له من الويل على قدر ذلك التكذيب
وقال الكرخي التكرار في مقام الترغيب والترهيب مستحسن لا سيما اذا تغايرت الآيات السابقة على
المرات المكررة كما هنا ثم ذكر سبحانه ما فعل بالكفار من الامم الخالية فقال أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ اخبر
سبحانه باهلاك الكفار من الامم الماضية من لدن آدم الى محمد صلى الله عليه وسلم كقوم نوح وعاد وثمود
قال مقاتل يعني بالعذاب في الدنيا حين كذبوا رسلهم والاستفهام انكاري وهو داخل على نفي
ونفي النفي اثبات ويعبر عنه بالاستفهام التقريري والمراد به طلب الاقرار بما بعد النفي ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ
الْآخِرِينَ يعني كفار مكة ومن وافقهم حين كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم قرأ الجمهور نتبعهم بالرفع على الاستئناف
اي ثم نحن نتبعهم كذا قدره ابو البقاء وقال ليس بمعطوف لان العطف يوجب ان يكون المعنى اهلكنا
الاولين ثم اتبعناهم الآخرين في الهلاك وليس كذلك لان اهلاك الآخرين لم يقع بعد ويدل
على الرفع قراءة ابن مسعود ثم سنتبعهم الآخرين بسين التنفيس وقرئ بالجزم عطفا على نهلك
قال شهاب الدين على جعل الفعل معطوفا على مجموع الجملة من قوله الم نهلك والمراد بالآخرين
حينئذ قوم شعيب ولوط وموسى وبالاولين قوم نوح وعاد وثمود كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ اي مثل

ذلك الفعل الفظيع نفعل بهم بريد من يهلكه فيما بعد والكاف في موضع نصب على النعت لمصدر محذوف
اي مثل ذلك الاهلاك نفعل بكل مشرك اما في الدنيا او في الآخرة وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ اي ويل
يوم ذلك الاهلاك للمكذبين بكتب الله ورسله قيل الويل الاول لعذاب الآخرة وهذا لعذاب الدنيا
والتكرير للتوكيد شائع في كلام العرب أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ اي ضعيف حقير قليل منتن
ذليل وهو النطفة قال ابن عباس مهين ضعيف هذا نوع آخر من تخويف الكفار ونظيره قوله
سبحانه ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ اي مكان حريز وهو
الرحم يحفظ فيه المني من الآفات المفسدة له كالهواء إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ اي الى مقدار قدره الله تعالى
للولادة وهو مدة الحمل وهو تسعة اشهر او ما فوقها او ما دونها وقيل الى ان يصور فَقَدَرْنَا
قرأ الجمهور بالتخفيف من القدرة ويدل عليه فنعم القادرون وقرئ بالتشديد من التقدير وهو موافق
لقوله من نطفة خلقه فقدره قال الكسائي والفراء وهما لغتان بمعنى قدرت كذا وقدرته فَنِعْمَ
الْقَادِرُونَ اي نعم المقدرون نحن قيل المعنى قدرناه قصيرا او طويلا وقيل قدرنا اي ملكنا
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ بقدرتنا على ذلك او على الاعادة وبنعمة الفطرة ثم ذكر لهم بديع صنعه
وعظيم قدرته ليعتبروا فقال أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا معنى الكفت في اللغة الضم والجمع يقال
كفت الشيء اذا ضمه وجمعه ومن هذا يقال للجراب والقدر كفت والكفات بالكسر الموضع الذي
يكفت فيه شيء اي يضم ذكره المختار والقاموس قال المحلي مصدر كفت وفيه نظر لان كفت من
باب ضرب فالحق انه اسم مكان وقيل جمع كافت كصيام وقيام وقيل مصدر كالكتاب و
الحساب وقال الاخفش كفاتا جمع كافتة والارض يراد بها الجمع فنعتت بالجمع وقال الخليل
التكفيت تقليب الشيء ظهرا لبطن او بطنا لظهر ويقال انكفت القوم الى منازلهم اي ذهبوا والمعنى
الم نجعل الارض ضامة للاحياء على ظهرها والاموات في بطنها تضمهم وتجمعهم قال الفراء
يريد تكفتهم احياء على ظهرها في دورهم ومنازلهم وتكفتهم امواتا في بطنها اي تحوزهم
وهو معنى قوله أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا والتنكير فيهما للتفخيم اي تكفت احياء لا يعدون وامواتا
لا يحصرون وقال ابو عبيدة كفاتا اوعية وقيل معنى جعلها كفاتا انه يدفن فيها ما يخرج
من الانسان من الفضلات وقال ابن عباس كفاتا كنا وقال الاخفش وابو عبيدة الاحياء والاموات

وصفان للأرض اي الارض منقسمة الى الحي وهو الذي ينبت والى ميت وهو الذي لا ينبت
قال الفراء انتصاب احياء وامواتا لوقوع الكفات عليه اي الم نجعل الارض كفات احياء واموات فاذا
نونت نصبت ما بعده وقيل نصبا على الحال من الارض اي منها كذا ومنها كذا وقيل هو مصدر
نعت به للمبالغة وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ اي جبالا مرتفعات طوالا والرواسي الثوابت
والشامخات الطوال وكل عال فهو شامخ وقال ابن عباس جبالا مشرفات وقيل ثوابت عاليات
وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا اي عذبا قاله ابن عباس والفرات الماء العذب يشرب منه ويسقى به
قال مقاتل وهذا كله اعجب من البعث روي ان في الارض من الجنة سيحان وجيحان والفرات
والنيل كلها من انهار الجنة وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ بما انعمنا عليهم من نعمنا التي هذه
من جملتها انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ في الدنيا يقول لهم ذلك خزنة جهنم توبيخا
وتقريعا اي سيروا اليه من العذاب وهو عذاب النار انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ
اي الى ظل من دخان جهنم قد سطع ثم افترق ثلاث فرق يكونون فيه حتى يفرغ من الحساب
وهذا شأن الدخان العظيم اذا ارتفع تشعب شعبا قرأ الجمهور انطلقوا في الموضعين على صيغة
الامر على التأكيد وقرئ بصيغة الماضي في الثاني اي لما امروا بالانطلاق امتثلوا ذلك فانطلقوا
وهو توكيد لانطلقوا الاول وقيل المراد بالظل هنا هو السرادق وهو لسان من النار يحيط بهم ثم
تتشعب ثلاث شعب فتظلهم حتى يفرغ من حسابهم ثم يصيرون الى النار وقيل هو الظل من
يحموم كما في قوله في سموم وحميم وظل من يحموم على ما تقدم وقيل ان الشعب الثلاث هي
الضريع والزقوم والغسلين لانها اوصاف النار ثم وصف سبحانه هذا الظل تهكما بهم فقال
لَا ظَلِيلٍ اي لا يظلهم من حر ذلك اليوم وهذا تهكم بهم ورد لما اوهمه لفظ الظل وَلَا يُغْنِي
اي لا يرد عنهم شيئا مِنَ اللَّهَبِ اي النار قال الكلبي لا يرد حر جهنم عنكم ثم وصف سبحانه
النار فقال إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ العظيم اي كل شررة من شررها التي ترمي بها كالقصر
من القصور في عظمها والشرر ما تطاير من النار متفرقا والقصر البناء العظيم وقيل القصر
جمع قصرة ساكنة الصاد مثل جمر وجمرة وتمر وتمرة وهي الواحدة من جزل الحطب الغليظ
قال سعيد بن جبير والضحاك وهي اصول الشجر العظام وقيل اعناقه قرأ الجمهور كالقصر باسكان

الصاد وهو واحد القصور كما تقدم وقرئ بفتحها اي اعناق النخل والقصرة العنق جمعه قصر
وقصرات وقال قتادة اعناق الابل وقرأ سعيد بن جبير بكسر القاف وفتح الصاد وهي جمع
ايضا القصرة مثل بدر وبدرة وقصع وقصعة وقرأ الجمهور بشرر بفتح الشين وقرأ ابن عباس وابن
مقسم شرار بكسرها مع الف بين الرائين وقرأ عيسى كذلك الا انه بفتح الشين وهي لغات قال
ابن عباس قصر النخل يعني الاعناق وعنه قال كانت العرب في الجاهلية تقول اقصروا لنا الحطب
فيقطع على قدر الذراع والذراعين وقال ابن مسعود انها ليست كالشجر والجبال ولكنها
مثل المدائن والحصون ثم شبه الشرر باعتبار لونه فقال كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ قرأ حمزة والكسائي
وحفص جمالة جمع جمل وقرأ الجمهور جمالات بكسر الجيم وهي جمع جمال وهي الابل او جمع جمالة
وقرئ بضم الجيم وهي حبال السفن قال ابن عباس جمالات صفر قطع النحاس عن عبد الرحمن
بن عابس قال سمعت ابن عباس يسأل عن قوله بشرر كالقصر قال كنا نرفع الخشب بقدر ثلثة
اذرع او اقل فنرفعه للشتاء فنسميه القصر قال وسمعته يسأل عن قوله كأنه جمالات صفر قال
حبال السفن يجمع بعضها الى بعض حتى تكون كاوساط الرجال ولفظ البخاري كنا نعمد الى
الخشبة ثلثة اذرع وفوق ذلك فنرفعه للشتاء فنسميه القصر كأنه جمالات صفر حبال
السفن تجمع حتى تكون كاوساط الرجال وعنه قال هي الابل قال الواحدي الصفر معناها
السود في قول المفسرين قال الفراء الصفر سود الابل لا يرى اسود من الابل الا وهو مشرب صفرة
لذلك سمت العرب سود الابل صفرا قيل والشرر اذا تطاير وسقط وفيه بقية من لون النار
اشبه شيء بالابل السود قيل وهذا القول محال في اللغة ان يكون شيء يشوبه شيء قليل فينسب
كله الى ذلك الشائب فالعجب لمن قال بهذا وقد قال تعالى جمالات صفر واجيب بان وجهه ان
النار خلقت من النور فهي مضيئة فلما خلق الله جهنم وهي موضع النار حشي ذلك الموضع
بتلك النار وبعث اليها سلطانه وغضبه فاسودت من سلطانه وازدادت سوادا وصارت
اشد سوادا من كل شيء فيكون شررها اسود لانه من نار سوداء قلت وهذا الجواب البارد لا يدفع
ما قاله القائل لان كلامه باعتبار ما وقع في الكتاب العزيز هنا من وصفها بكونها صفرا فلو كان الامر كما
ذكره المجيب من اسوداد النار واسوداد شررها لقال الله تعالى كأنها جمالات سود ولكن اذا كانت العرب تسمي

الاسود اصفر لم يبق اشكال لان القرآن نزل بلغتهم وقد نقل الثقات عنهم ذلك ويدل عليه الحديث في صفة جهنم وفي آخره فهي سوداء مظلمة فكان ما في القرآن هنا واردا على اهل الاستعمال العربي ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ لرسل الله وآياته ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ﴾ اي لا يتكلمون قرأ الجمهور برفع يوم على انه خبر لاسم الاشارة وقرأ زيد بن علي والاعرج والاعمش وغيرهم بالفتح على البناء لاضافته الى الفعل ومحله الرفع على الخبرية وقيل هو منصوب على الظرفية قال الواحدي قال المفسرون في يوم القيامة مواقف ففي بعضها يتكلمون وفي بعضها يختم على افواههم فلا يتكلمون وقد قدمنا الجمع بهذا في غير موضع وقيل ان هذا اشارة الى وقت دخولهم النار وهم عند ذلك لا ينطقون لان مواقف السؤال والحساب قد انقضت قال الحسن لا ينطقون بحجة وان كانوا ينطقون وقيل الاشارة بهذا الى ما تقدم من الوعيد كأنه قيل هذا العقاب المذكور كائن يوم لا ينطقون وعن عكرمة قال سأل نافع بن الازرق ابن عباس عن قوله هذا يوم لا ينطقون ولا تسمع الا همسا واقبل بعضهم على بعض يتساءلون وهاؤم اقرؤا كتابيه فقال له ويحك هل سألت عن هذا احدا قبلي قال لا قال اما انك لو كنت سألت هلكت اليس قال الله وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون قال بلى قال فان لكل مقدار يوم من هذه الايام لونا من الالوان ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ قرأ الجمهور يؤذن على البناء للمفعول وقرأ زيد بن علي لا يأذن على البناء للفاعل اي لا يأذن الله لهم اي لا يكون لهم اذن من الله فيكون لهم اعتذار من غير ان يجعل الاعتذار مسببا عن الاذن كما لو نصب قال الفراء الفاء في فيعتذرون نسق على يؤذن واجيز ذلك لان اواخر الكلام بالنون ولو قال فيعتذروا لم يوافق الآيات وقد قال لا يقضى عليهم فيموتوا بالنصب والكل صواب ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ بما دعتهم اليه الرسل وانذرتهم عاقبته ﴿هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾ اي يقال لهم هذا يوم الفصل الذي يفصل فيه بين الخلائق ويتميز فيه الحق من الباطل والخطاب في جمعناكم للكفار في زمن نبينا صلى الله عليه وسلم والمراد بالاولين كفار الامم الماضية ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ﴾ اي ان قدرتم على حيلة في دفع العذاب عنكم الآن ﴿فَكِيدُونِ﴾ اي فافعلوها وهذا تقريع لهم وتهكم وتوبيخ قال مقاتل يقول ان كان لكم حيلة فاحتالوا لانفسكم وقيل المعنى فان قدرتم على حرب فحاربون وقيل ان هذا من قول النبي صلى الله عليه وسلم فيكون كقول هود فكيدوني

جميعا ثم لا ينظرون ﴿وَيْلٌ يَّوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِيْنَ﴾ بالبعث لانه قد ظهر لهم عجزهم وبطلان ما كانوا عليه في الدنيا ثم لما ذكر سبحانه في سورة الدهر احوال الكفار في الاخرة على سبيل الاختصار واطنب في الحال المؤمنين فيها ذكر في هذه السورة احوال الكفار على سبيل الاطناب واحوال المؤمنين على سبيل الايجاز فوقع بذلك التعادل بين السورتين فقال ﴿اِنَّ الْمُتَّقِيْنَ فِيْ ظِلٰلٍ وَّعُيُوْنٍ﴾ اي في ظلال الاشجار وظلال القصور لا كالظل الذي للكفار من الدخان ومن النار كما تقدم قال المحلي اي تكاثف اشجار وعبارة الكازروني اي تحت اشجار قرأ الجمهور في ظلال وقرئ في ظل جمع ظلة قال مقاتل والكلبي المراد بالمتقين الذين يتقون الشرك بالله لان السورة من اولها الى اخرها في تقريع الكفار على كفرهم قال الرازي فيجب ان تكون هذه الاية مذكورة لهذا الغرض والا لتفككت السورة في نظمها وترتيبها وانما يتم النظم بان يكون الوعد للمؤمنين بسبب ايمانهم فاما جعله سببا للطاعة فلا يليق بالنظم كذا قال والمراد بالعيون الانهار اي نابعة من ماء وعسل ولبن وخمر كما قال تعالى فيها انهار من ماء غير اسن الخ ﴿وَّفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُوْنَ﴾ المراد بالفواكه ما يتفكه به مما تطلبه انفسهم وتستدعيه شهواتهم فمتى اشتهوا فاكهة وجدوها حاضرة فليست فاكهة الجنة مقيدة بوقت دون وقت كما في انواع فاكهة الدنيا ﴿كُلُوْا وَاشْرَبُوْا هَنِيْٓـئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَ﴾ اي يقال لهم ذلك والقائل لهم الملائكة اكراما لهم او يقال لهم من قبل الله فالجملة مقدرة بالقول والباء للسببية اي بسبب ما كنتم تعملونه في الدنيا من الاعمال الصالحة ﴿اِنَّا كَذٰلِكَ﴾ اي مثل ذلك الجزاء العظيم ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِيْنَ﴾ في اعمالهم وعقائدهم ﴿وَيْلٌ يَّوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِيْنَ﴾ حيث صاروا في شقاء عظيم وصار المؤمنون في نعيم مقيم ﴿كُلُوْا وَتَمَتَّعُوْا﴾ خطاب للكفار اي الويل ثابت لهم في حال ما يقال لهم ذلك تذكيرا لهم بحالهم في الدنيا او يقال لهم هذا في الدنيا وانما قال ﴿قَلِيْلًا﴾ لان متاع الدنيا وزمانه قليل لانه زائل مع قصر مدته في مقابلة مدة الاخرة وذلك الى منتهى اجالهم قال بعض العلماء التمتع بالدنيا من افعال الكافرين والسعي لها من افعال الظالمين والاطمينان اليها من افعال الكاذبين والسكون فيها على حد الاذن والاخذ منها على قدر الحاجة من افعال عوام المؤمنين والاعراض عنها من افعال الزاهدين واهل الحقيقة اجل خطرا من ان يؤثر فيهم حب الدنيا وبغضها وجمعها وتركها ﴿اِنَّكُمْ مُّجْرِمُوْنَ﴾ اي المشركون بالله هذا وان كان في اللفظ امرا فهو في المعنى تهديد وزجر عظيم ﴿وَيْلٌ يَّوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِيْنَ﴾ حيث عرضوا انفسهم للعذاب الدائم بالتمتع القليل ﴿وَاِذَا قِيْلَ لَهُمُ﴾ اي لهؤلاء المجرمين من اي

قائل كان اركعوا لا يركعون اي اذا امروا بالصلوة لا يصلون قال مقاتل نزلت في ثقيف امتنعوا من الصلوة بعد ان امرهم النبي صلى الله عليه وسلم بها فقالوا لا نحني فانها مسبة علينا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود وقيل انما يقال لهم ذلك في الاخرة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون من اجل انهم لم يكونوا يسجدون في الدنيا لله سبحانه قاله ابن عباس وفي هذه الاية دليل على ان الكفار مخاطبون بفروع الشريعة وسميت الصلوة باسم جزئها وهو الركوع وخص هذا الجزء لانه يقال على الخضوع والطاعة ولانه خاص بصلوة المسلمين وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ باوامر الله سبحانه ونواهيه فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ اي بعد القرآن يُؤْمِنُونَ اي يصدقون اذا لم يؤمنوا به مع انه اية مبصرة ومعجزة باهرة من بين الكتب السماوية قال الجمهور يؤمنون بالتحتية على الغيبة وقرأ ابن عامر في رواية عنه ويعقوب بالفوقية على الخطاب

سورة عم كذا في الخازن وفي الخطيب وتسمى سورة التساؤل وسورة النبأ وهي اربعون اية

وقيل احدى واربعون اية وهي مكية عند الجميع وقال ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ

اصله عن ما فادغمت النون في الميم لان الميم تشاركها في الغنة كذا قال الزجاج وحذفت الالف ليتميز الخبر عن الاستفهام وكذلك فيم وبم ونحو ذلك والمعنى عن اي شيء يسأل بعضهم بعضا قرأ الجمهور عم بحذف الالف لما ذكرنا وقرئ باثباتها ولكنه قليل لا يجوز الا للضرورة وقرئ بهاء السكت عوضا عن الالف قال الزجاج اللفظ لفظ الاستفهام والمعنى تفخيم القصة كما تقول اي شيء تريد اذا عظمت شأنه قال الشهاب وهذا الاستفهام لا يمكن حمله على حقيقته لان المطلوب به لا بد ان يكون مجهولا عند الطالب ولذا جعل مجازا عن الفخامة لانه ورد على طريق مخاطبات العرب فالاستفهام بالنسبة الى الناس وقال في النهر هذا الاستفهام فيه تفخيم وتهويل وتقرير وتعجيب قال الواحدي قال المفسرون لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبرهم بتوحيد الله

ع ١٠

الثلث سبعة ١٠

والبعث بعد الموت وتلى عليهم القرآن جعلوا يتساءلون بينهم يقولون ماذا جاء به محمد وما الذي
اتى به فانزل الله عم يتساءلون قال الفراء التساؤل هو ان يسأل بعضهم بعضا كالتقابل وقد يستعمل
ايضا في ان يتحدثوا به وان لم يكن بينهم سؤال قال تعالى واقبل بعضهم على بعض يتساءلون الآية
وهذا يدل على انه التحدث ومناسبتها لما قبلها ظاهرة لما ذكر في قوله فبأي حديث بعده اي
بعد هذا الحديث وهو القرآن وكانوا يتجادلون فيه ويتساءلون عنه فقال عم يتساءلون ثم ذكر
سبحانه تساؤلهم عماذا وبينه فقال عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ اورده سبحانه اولا على طريقة الاستفهام
مبهما لتتوجه اليه اذهانهم وتلتفت اليه افهامهم ثم بينه بما يفيد تعظيمه وتفخيمه كانه قيل
عن اي شئ يتساءلون هل اخبركم به ثم قيل بطريق الجواب عن النبأ العظيم على منهاج قوله
لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وانما كان ذلك النبأ اي القرآن عظيما لانه ينبئ عن التوحيد
وتصديق الرسول ووقوع البعث والنشور قال الضحاك يعني نبأ يوم القيامة وكذا قال قتادة وقد
استدل على ان النبأ هو القرآن بقوله الآتي الذي هم فيه مختلفون فانهم اختلفوا في القرآن فجعله
بعضهم سحرا وبعضهم شعرا وبعضهم كهانة وبعضهم قال هو اساطير الاولين واما البعث
فقد اتفق الكفار اذ ذاك على انكاره ويمكن ان يقال انه قد وقع الاختلاف في البعث في الجملة
فصدق به المؤمنون وكذب به الكافرون فقد وقع الخلاف فيه من هذه الحيثية وان لم يقع
الاختلاف فيه بين الكفار انفسهم على التسليم والتنزل ومما يدل على انه القرآن قوله سبحانه قل
هو نبأ عظيم انتم عنه معرضون ومما يدل على انه البعث انه اكثر ما كان يستنكره المشركون وتأباه
عقولهم السخيفة وايضا فطوائف الكفار قد وقع الاختلاف بينهم في البعث فاثبتت النصارى المعاد
الروحاني واثبتت طائفة من اليهود المعاد الجسماني وفي التوراة التصريح بلفظ الجنة باللغة
العبرانية بلفظ جنعيذا بالجيم مفتوحة ثم نون ساكنة ثم عين مهملة مكسورة ثم تحتية ساكنة
ثم ذال معجمة بعدها الف وفي الانجيل في مواضع كثيرة التصريح بالمعاد وانه يكون فيه النعيم
للمطيعين والعذاب للعاصين وقد كان بعض طوائف كفار العرب ينكر المعاد كما حكى الله
عنهم بقوله ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر وما نحن بمبعوثين وكان
طائفة منهم غير جازمة بنفيه بل شاكة فيه كما حكى الله عنهم بقوله ان نظن الا ظنا وما نحن

بمستيقنين وما حكاه الله عنهم بقوله وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى. فقد حصل الاختلاف بين طوائف الكفر على هذه الصفة وقد قيل ان الضمير في قوله يتساءلون يرجع الى المؤمنين والكفار لانهم جميعا كانوا يتساءلون عنه فاما المسلم فيزداد يقينا واستعدادا وبصيرة في دينه واما الكافر فاستهزاء وسخرية قال الرازي ويحتمل انهم يسألون الرسول ويقولون ما هذا الذي تعدنا به من امر الآخرة قال ابن عباس النبأ العظيم القرآن وهذا مروي عن جماعة من التابعين ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ الموصول صفة للنبأ بعد وصفه بكونه عظيما فهو متصف بالعظم ومتصف بوقوع الاختلاف فيه ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ ردع لهم وزجر وهذا يدل على ان المختلفين فيه هم الكفار وبه يندفع ما قيل ان الخلاف بينهم وبين المؤمنين فانه انما يتوجه الردع والوعيد الى الكفار فقط وقيل كلا بمعنى حقا ثم كرر الردع والزجر فقال ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ للمبالغة في التاكيد والتشديد في الوعيد قرأ الجمهور بالياء التحتية في الفعلين على الغيبة وقرئ بالفوقية على الخطاب وقرأ الضحاك الاول بالفوقية وقرأ الثانية بالتحتية قال الضحاك ايضا كلا سيعلمون يعني الكافرين عاقبة تكذيبهم ثم كلا سيعلمون يعني المؤمنين عاقبة تصديقهم وقيل بالعكس وقيل هو وعيد بعد وعيد وقيل المعنى كلا سيعلمون عند النزع ما يحل بهم ثم كلا سيعلمون عند البعث لانه يكشف لهم الغطاء حينئذ وقيل الاول للبعث والثاني للجزاء وقال ابن مالك تاكيد لفظي ولا يضر توسط حرف العطف قال السمين والنحويون يابون هذا ولايسمونه الا عطفا وان افاد التاكيد قال نحاة ثم موضوعة للتراخي الزماني وقد تستعمل في التراخي الرتبي كما هنا تشبيها للتباعد الرتبة بتباعد الزمان ثم ذكر سبحانه بديع صنعه وعظيم قدرته على البعث واشار الى الادلة الدالة عليها وذكر منها تسعة ليعرفوا توحيده ويؤمنوا بما جاء به رسوله فقال ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ اي قدرتنا على هذه الامور المذكورة اعظم من قدرتنا على الاعادة بالبعث فما وجه انكاركم لانه قد تقرر ان الاجسام متساوية الاقدام في قبول الصفات والاعراض وهذا الجعل بمعنى الانشاء والابداع كالخلق خلا انه مختص بالانشاء التكويني وفيه معنى التقدير والتسوية وهذا عام له كما في الآية الكريمة وقيل الجعل بمعنى التصيير والمهاد الوطاء والفراش كما في قوله الذي جعل لكم الارض فراشا قرأ الجمهور بالجمع وقرئ مهدا والمعنى انها كالمهد

للصبي وهو ما يمهد له فينوم عليه وسمي الممهود بالمهد تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الامير والاوتاد
جمع وتد اي جعلنا الجبال اوتادا للارض لتسكن ولا تتحرك كما ترسى الخيام بالاوتاد وفي هذا دليل على
ان التساؤل الكائن بينهم هو عن امر البعث لا عن القرآن ولا عن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كما قيل لان هذا
الدليل انما يصلح للاستدلال به على البعث وخلقناكم ازواجا معطوف على المضارع المنفي داخل في حكمه
فهو في قوة اما خلقناكم والمراد بالازواج هنا الاصناف اي الذكور والاناث وقيل المراد بها الالوان
وقيل يدخل في هذا كل زوج من المخلوقات من قبيح وحسن وطويل وقصير وجعلنا نومكم سباتا
قال الزجاج السبات ان ينقطع عن الحركة والروح في بدنه اي جعلنا نومكم راحة لكم قال ابن الانباري
جعلنا نومكم قطعا لاعمالكم لان اصل السبت القطع قيل اصله التمدد يقال سبتت المرأة شعرها
اذا حلته وارسلته ورجل مسبوت الخلق اي ممدوده والرجل اذا اراد ان يستريح تمدد فسمي النوم سباتا
وفي المختار السبات النوم واصله الراحة وبابه نصر وفي المصباح السبات كغراب النوم الثقيل واصله الراحة
يقال سبت يسبت من باب قتل وسبت بالبناء للمفعول غشي عليه او مات ومن هنا قيل المعنى و
جعلنا نومكم موتا والنوم احد الموتتين فالمسبوت يشبه الميت ولكنه لم يفارقه الروح ومن هذا قوله
الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها الآية وقوله وهو الذي يتوفاكم بالليل وجعلنا
الليل لباسا اي نلبسكم ظلمته ونغشيكم بها كما يغشيكم اللباس فشبه الليل باللباس لان في كل
منهما استرا فهو استعارة وقال سعيد بن جبير والسدي اي سكنا لكم وقيل المراد ما يستتر عند النوم
من اللحاف ونحوه وهو بعيد لان الجعل وقع على الليل لا على ما يستتر به النائم عند نومه وجعلنا
النهار معاشا اي وقت معاش والمعاش مصدر ميمي بمعنى المعيشة وقع هنا ظرفا وكل شيء يعاش به فهو
معاش والمعنى ان الله جعل لهم النهار مضيئا ليسعوا فيما يقوم به معاشهم وما قسمه الله لهم من الرزق
وبنينا فوقكم سبعا شدادا يريد سبع سموات قوية الخلق محكمة البناء لا يؤثر فيها مرور الزمان
ولهذا وصفها بالشدة وغلظ كل واحدة منها مسيرة خمسمائة عام كما ورد ذلك وجعلنا سراجا
منيرا وهاجا وقادا يعني الشمس والوهاج المضيء المتلألئ من قولهم وهج الجوهر اي تلألأ ويقال وهج
يوهج كوجل يوجل وكوعد يعد قال الزجاج الوهاج الوقاد وهو الذي وهج يقال وهجت النار تهج وهجا
ووهجانا قال مقاتل جعل فيه نورا وحرا والوهج يجمع النور والحرارة وقال ابن عباس وهاجا مضيئا

وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا المعصرات هي السحاب التي تنعصر بالماء ولم تمطر بعد كالمرأة المعصرة التي قد دنى حيضها ولم تحض قاله سفيان والربيع وابو العالية والضحاك وقال مجاهد ومقاتل وقتادة والكلبي هي الرياح والرياح تسمى معصرات يقال اعصرت الريح تعصر اعصارا اذا اثارت العجاج قال الازهري هي الرياح ذوات الاعاصير وذلك ان الرياح تستدر المطر وقال الفراء المعصرات السحاب التي يتحلب منها المطر قال النحاس وهذه الاقوال صحاح يقال للريح التي تاتي بالمطر معصرات والرياح تلقح السحاب فيكون المطر ويجوز ان تكون هذه الاقوال قولا واحدا ويكون المعنى وانزلنا من ذوات المعصرات قال في الصحاح والمعصرات السحاب تعتصر بالمطر وعصر القوم اي مطروا قال المبرد يقال سحاب معصر اي ممسك للماء ويعتصر منه شيء بعد شيء وقال ابي بن كعب والحسن وابن جبير وزيد بن اسلم ومقاتل بن حيان المعصرات السموات وقال ابن عباس السحاب وقال ابن مسعود يبعث الله الريح فتحمل الماء فتمر به السحاب فتدر كما تدر اللقحة وقرا ابن عباس وانزلنا من المعصرات بالرياح وقيل المعصرات المغيثات والعاصر هو الغيث والثجاج هو المنصب بكثرة على وجه التتابع يقال ثج الماء اي سال بكثرة وثجه اي اساله فيكون لازما ومتعديا وبابه رد ومطر ثجاج اي منصب جدا والثج ايضا سيلان دماء الهدي وفي الحديث احب العمل الى الله العج والثج فالعج رفع الصوت بالتلبية والثج اراقة دماء الهدي قال الزجاج الثجاج الصباب وقال ابن زيد ثجاجا كثيرا وقال ابن عباس منصبا وقيل مدرارا متتابعا يتلو بعضه بعضا وقال ابن مسعود الثجاج ينزل من السماء امثال العزالي فتصرفه الرياح فينزل متفرقا لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا اي لنخرج بذلك الماء حبا يقتات به كالحنطة والشعير ونحوهما والنبات ما تاكله الدواب من الحشيش والتبن وسائر النبات والكلاء وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا اي بساتين ملتف بعضها ببعض تتشعب اغصانها ولا واحد للالفاف كالاوزاع والاخياف وقيل واحدها لِف بكسر اللام وضمها ذكره الكسائي وقال ابو عبيدة واحدها لفيف كشريف واشراف وروي عن الكسائي انها جمع الجمع يقال جنة لفاء ونبت لف والجمع لُف بالضم مثل حمر ثم يجمع هذا الجمع على الفاف وقيل هو جمع ملتفة بحذف الزوائد وقال ابن عباس الفافا ملتفة وقال يقول التف بعضها ببعض قال الفراء الجنة ما فيه النخيل والفردوس ما فيه الكرم ولما اثبت الله البعث بالادلة التسعة المتقدمة كان سائلا سال عن وقته ما هو فقال إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ بين المحسن والمسيء والمحق والمبطل

والدة بأن لأنه مما ارتابوا فيه كان في علمه وحكمه ميقاتا أي وقتا ومجمعا وميعادا للأولين والآخرين
يصلون فيه إلى ما وعدوا من البعث وقيل معنى ميعادا أنه حد توقت به الدنيا وتنتهي عنده وقيل
حد للخلائق ينتهون إليه أو منتهى معلوما لوقوع الجزاء أو ميعادا للثواب والعقاب يوم ينفخ بدل من
يوم الفصل أو بيان له مفيد لزيادة تفخيمه وتهويله وإن كان الفصل متأخرا عن النفخ في الصور
هو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل والمراد هنا النفخة الثانية التي تكون للبعث فتأتون من قبوركم إلى
الموقف أفواجا أي زمرا زمرا وجماعات جماعات وهي جمع فوج والفاء في فتأتون فصيحة تدل
على محذوف أي فتأتون إلى موضع العرض عقيب ذلك أفواجا أي أمما مع كل أمة إمامهم وفتحت السماء
معطوف على ينفخ وصيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع أي فتحت لنزول الملائكة وقال على القاري
عطف على فتأتون أو حال أي والحال أنها قد فتحت وقرئ بالتخفيف والتشديد وهما سبعيتان قال
الشهاب المراد بالفتح ليس ما عرف من فتح الأبواب وهو موافق لقوله إذا السماء انشقت وإذا السماء انفطرت
فإن القرآن يفسر بعضه بعضا وعبر عن التشقيق بالفتح إشارة إلى كمال قدرته حتى كأن تشقيق
هذا الجرم العظيم كفتح الباب بسهولة وسرعة فكانت أبوابا كما في قوله ويوم تشقق السماء بالغمام
ونزل الملائكة تنزيلا وقيل معنى فتحت قطعت فصارت قطعا كالأبواب وقيل أبوابها طرقها
وقيل تنحل وتتناثر حتى تصير فيها أبواب طرق وقيل إن لكل عبد بابين في السماء باب لرزقه وباب
لعمله فإذا قامت القيامة انفتحت الأبواب وظاهر قوله فكانت أبوابا أنها صارت كلها أبوابا وليس المراد
ذلك بل المراد أنها صارت ذات أبواب كثيرة وسيرت الجبال عن أماكنها في الهوى كالهباء الذي
هو الغبار وقلعت عن مقارها وقيل معنى سيرت أنها نسفت من أصولها ومثل هذا قوله وترى
الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب فكانت سرابا أي هباء منبثا يظن الناظر أنها سراب وقيل
الشمس أنها ماء والمعنى أن الجبال صارت كلا شيء كما أن السراب يظن الناظر أنه ماء وليس بماء
ذكر سبحانه أحوال الجبال بوجوه مختلفة ويمكن الجمع بينها بأن نقول أول أحوالها الاندكاك وهو قوله وحملت
الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة وثانيها حولها أن تصير كالعهن المنفوش كما في قوله وتكون الجبال
كالعهن المنفوش وثالثها حولها أن تصير كالهباء وهو قوله وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا
ورابع أحوالها أن تنسف وتحملها الرياح كما في قوله وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب وخامس أحوالها

ان تصير سرابا اي لا شيء كما في هذه الآية ثم شرع سبحانه في تفصيل احكام الفصل فقال إِنَّ جَهَنَّمَ
كَانَتْ مِرْصَادًا قال الازهري المرصاد المكان الذي يرصد الراصد فيه العدو وقال المبرد مرصادا
يرصدون به اي هو معد لهم يرصد به خزنتها الكفار قال الحسن ان على الباب رصدا لا يدخل احد
الجنة حتى يجتاز عليهم فمن جاء بجواز جاز ومن لم يجئ بجواز حبس وقال مقاتل محبسا وقيل طريقا وممرا قال
في الصحاح الراصد للشيء الراقب له يقال رصده يرصده رصدا والرصد الترقب والمرصد موضع الرصد
قال الاصمعي رصدته ارصده ترقبته ومعنى الآية ان جهنم كانت في حكم الله وقضائه موضع رصد
يرصد فيه خزنة النار الكفار ليعذبوهم فيها وهي في نفسها متطلعة لما يأتي اليها من الكفار كما
يتطلع الرصد لمن يمر بهم ويأتي اليهم والمرصاد مفعال من ابنية المبالغة كالمعطار والمعمار فكأنه يكثر
من جهنم انتظار الكفار ثم ذكر من هي مرصد له فقال لِلطَّاغِينَ مَآبًا اي مرجعا يرجعون اليه
والمآب المرجع يقال آب يؤب اذا رجع والطاغي من طغى بالكفر وللطاغين نعت لمرصادا متعلق
بمحذوف ومآبا بدل من مرصادا ويجوز ان يكون للطاغين في محل نصب على الحال من مآبا قدمت
عليه لكونه نكرة وانتصاب لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا على الحال المقدرة من الضمير المستكن في الطاغين
قرأ الجمهور لابثين بالالف وقرئ لبثين بدون الف وانتصاب احقابا على الظرفية اي ماكثين في النار ما دامت
الاحقاب وهي لا تنقطع وكلما مضى حقب جاء حقب وهي جمع حقب بضمتين وهو الدهر والاحقاب
الدهور والحقب بضم الحاء وسكون القاف قيل هو ثمانون سنة وحكى الواحدي عن المفسرين انه
بضع وثمانون سنة السنة ثلثمائة وستون يوما اليوم الف سنة من ايام الدنيا وقال السدي
الحقب سبعون سنة وقال بشير بن كعب ثلثمائة سنة وقال ابن عمر اربعون سنة وقيل ثلثون الف
سنة قال الحسن الاحقاب لا يدري احدكم هي ولكن ذكروا انها مائة حقب والحقب الواحد منها سبعون الف سنة اليوم منها
كالف سنة قال ابن عباس احقابا سنين وعن سالم بن ابي الجعد قال سأل علي بن ابي طالب هلالا
الهجري ما تجدون الحقب في كتاب الله قال نجده ثمانين سنة كل سنة منها اثني عشر شهرا كل شهر ثلثون
يوما كل يوم الف سنة وعن ابن مسعود في الآية قال الحقب الواحد ثمانون سنة وعن ابي هريرة رفعه
قال الحقب ثمانون سنة والسنة ثلثمائة وستون يوما كل يوم منها الف سنة مما تعدون فالحقب
ثلثون الف سنة اخرجه ابن ابي حاتم والطبراني وابن مردويه قال السيوطي بسند ضعيف وعن

ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال والله لا يخرج من النار من دخلها حتى يمكث فيها احقابا والحقب بضع وثمانون
سنة كل سنة ثلثمائة وستون يوما واليوم الف سنة مما تعدون قال ابن عمر فلا يتكلن احد انه يخرج من
النار اخرجه البزار وابن مردويه والبيهقي وعن ابن عمرو قال الحقب الواحد ثمانون سنة وعن ابن عباس مثله
وعن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحقب اربعون سنة اخرجه ابن مردويه وقيل
الاحقاب وقت شربهم الحميم والغساق فاذا انقضت فيكون لهم نوع اخر من العذاب وعن خالد بن معدان
في الاية وفي قوله الا ما شاء ربك انهما في اهل التوحيد من اهل القبلة وقيل ان الاية منسوخة بقوله فلن نزيدكم الا عذابا
يعني ان العدد قد ارتفع والخلود قد حصل والاول اولى وقيل الاية محمولة على العصاة الذين يخرجون من النار والاولى ما ذكرنا
اولا من ان المقصود بالاية التابيد لا التقييد وحكى الواحدي عن الحسن انه قال والله ما هي الا انه اذا مضى حقب دخل اخر كذلك الى الابد
لا يذوقون فيها حال من الضمير في لابثين او صفة لاحقابا او مستانفة لبيان ما اشتملت عليه مدة لبثهم لا يذوقون في جهنم او في
الاحقاب بردا ينفعهم من حرها ولا شرابا ينفعهم من عطشها الا حميما هو الماء الحار وغساقا هو صديد اهل النار وقيل هو ما يسيل
من صديد اهل النار والاستثناء منقطع عند من جعل البرد النوم وبه قال الزمخشري ويجوز ان يكون متصلا من قوله
ولا شرابا وبه قال ابو حيان وقضية كلام الكواشي تجويز الامرين وقيل انه بدل من شرابا وهو الاحسن لان الكلام غير موجب
وقال مجاهد والسدي وابو عبيدة والكسائي والفضل بن خالد وابو معاذ النحوي البرد المذكور في هذه الاية هو النوم
قال الزجاج اي لا يذوقون فيها برد ريح ولا ظل ولا نوم فجعل البرد يشمل هذه الامور واطلاق البرد على النوم لغة هذيل وسمي
بذلك لانه يقطع سورة العطش الا ترى ان العطشان اذا نام سكن عطشه ولانه يبرد صاحبه والعرب
تقول منع البرد البرد يعني اذهب البرد النوم وفي الحديث انه صلى الله عليه وسلم سئل هل في الجنة نوم فقال لا
النوم اخو الموت والجنة لا موت فيها وكذلك النار وقد قال تعالى لا يقضى عليهم فيموتوا وقيل البرد برد
الشراب والشراب الماء وجعل الزجاج البرد برد كل شيء له راحة وهذا ينفعهم فاما الزمهرير فهو برد
يتاذون به فلا ينفعهم فلهم منه من العذاب ما الله اعلم به وقال الحسن وعطاء وابن زيد بردا
اي روحا وراحة قرأ الجمهور غساقا بالتخفيف وقرأ حمزة والكسائي بتشديد السين وهما سبعيتان وقد تقدم
تفسيره وتفسير الحميم والخلاف فيهما في سورة ص وعن ابن مسعود قال الزمهرير من جهنم يكون لهم من العذاب لان الله
يقول لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما قال قد انتهى حره وغساقا قد انتهى حره وان الرجل اذا ادنى الاناء من فيه
سقط فروة وجهه حتى يبقى عظاما تقعقع جزاء وفاقا اي موافقا لاعمالهم على ان وفاقا صفة لجزاء بتاويله

باسم الفاعل ويصح ان يكون على حذف مضاف اي ذا وفاق او باق على المصدرية لقصد المبالغة قال الفراء
والاخفش جازيناهم جزاء وافق اعمالهم وقال الزجاج جوزوا جزاء وافق اعمالهم قال الفراء الوفاق جمع الوفق والوفق
والموافق واحد قال مقاتل وافق العذاب الذنب فلا ذنب اعظم من الشرك ولا عذاب اعظم من النار وقال
الحسن وعكرمة كانت اعمالهم سيئة فاتاهم الله بما يسوءهم إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا اي ثواب حساب
قال الزجاج كانوا لا يؤمنون بالبعث فيرجون حسابهم والجملة مستانفة وتعليل لاستحقاقهم الجزاء
المذكور وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا اي كذبوا بالآيات القرآنية او كذبوا بما هو اعم منها تكذيبا شديدا وفعال من
مصادر التفعل قال الفراء هي لغة فصيحة يمانية تقول كذبت كذابا وخرقت القميص خراقا قال في
الصحاح هو احد مصادر المشدد لان مصدره قد يجيء على تفعيل مثل التكليم وعلى فعال مثل كذاب
وعلى تفعلة مثل توصية وعلى مفعل مثل ومزقناهم كل ممزق قرأ الجمهور كذابا بالتشديد وقرأ علي
بن ابي طالب كرم الله وجهه بالتخفيف قال ابو علي الفارسي التخفيف والتشديد جميعا مصدر المكاذبة
وقرأ ابن عمر كذابا بضم الكاف والتشديد جمع كاذب قال ابو حاتم ونصبه على الحال قال الزمخشري وقد يكون
يعني على هذه القراءة بمعنى الواحد البليغ في الكذب تقول رجل كذاب كقولك حسان وبخال قرأ الجمهور
وَكُلَّ شَيْءٍ بالنصب على الاشتغال اي واحصينا كل شيء أَحْصَيْنَاهُ وقرأ ابو السمال برفعه على الابتداء وما
بعده خبره وهذه الجملة معترضة بين السبب والمسبب وفائدة الاعتراض تقرير ما ادعاه من قوله جزاء وفاقا
وفي انتصاب قوله كِتَابًا اوجه احدها انه مصدر من معنى احصيناه اي احصاء فالتجوز في نفس المصدر و
الثاني انه مصدر لاحصينا لانه في معنى كتبنا فالتجوز في نفس الفعل اي لالتقاء الاحصاء والكتب في معنى
الضبط والتحصيل والثالث ان يكون منصوبا على الحال اي مكتوبا في اللوح لتعرفه الملائكة وقيل اراد ما
كتبته الحفظة على العباد من اعمالهم وقيل المراد به العلم لان ما كتب كان ابعد من النسيان والاول اولى
لقوله وكل شيء احصيناه في امام مبين فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا هذه الجملة مسببة عن كفرهم
وتكذيبهم بالآيات والامر امر اهانة وتحقير قال الرازي هذه الفاء للجزاء فنبه على ان الامر بالذوق معلل
بما تقدم شرحه من قبائح افعالهم ومن الزيادة في عذابهم انها كلما نضجت جلودهم بدلهم الله جلودا غيرها
وكلما خبت النار زادهم الله سعيرا قيل هذه اشد آية في القرآن على اهل النار كلما استغاثوا من نوع
من العذاب اغيثوا باشد منه قال الرازي وفي هذه الآية مبالغات منها التاكيد بلن ومنها الالتفات وفيها

اعادة قوله فذوقوا بعد ذكر العذاب إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا هذا شروع في بيان حال المؤمنين وما اعد الله
لهم من الخير بعد بيان حال الكافرين وما اعد الله لهم من الشر والمفاز مصدر بمعنى الفوز والظفر بالنعمة والظفر بالمطلوب
والنجاة من النار ومنه قيل للفلاة مفازة تفاؤلا بالخلاص منها ويصلح ان يراد به الجنة على انه مصدر
ميمي بمعنى المكان او بمعنى الحدث ويحتمل ان يفسر الفوز بالامرين جميعا لانهم فازوا بمعنى نجوا من العذاب وفازوا
بما حصل لهم من النعيم وفي المختار الفوز النجاة وهو الهلاك ايضا وعلى هذا فاطلاق المفازة على الفلاة لكنها
من الماء حقيقي لانها مهلكة ومن معاني الفوز الهلاك كما رايت في بابهما قال ثم فسر سبحانه هذا المفاز فقال
حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا وانتصابهما على انهما بدل اشتمال من مفازا او بدل كل من كل على طريق المبالغة بجعل نفس
هذه الاشياء مفازا ويجوز ان يكون النصب باضمار اعني واذا كان مفازا بمعنى الفوز فيقدر مضاف اي فوز
حدائق وهي جمع حديقة وهي البستان المحوط عليه فيه انواع الشجر المثمر والاعناب جمع عنب اي كروم اعناب
والتنكير يدل على تعظيم ذلك العنب قال الخطيب واعنابا عطف على مفازا اي كرر بعد الحدائق تنويها بعظم شانها والا فهي من جملة الحدائق قال القاري
وهذا بعيد جدا والظاهر عطفه على حدائق وكذا كواعب وكاسا انتهى وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا الكواعب جمع كاعبة
وهي الناهدة قال ابن عباس اي نواهد يقال كعبت الجارية تكعب تكعيبا وكعوبا ونهدت تنهد نهودا
والمراد انهم نساء كواعب تكعبت ثديهن وتفلكت حتى صارت كالكعب في صدورهن اي استدارت
مع ارتفاع يسير قال الضحاك الكواعب العذارى والاتراب الاقران في السن وقد تقدم تحقيقه في سورة البقرة
وقال ابن عباس اي لدات مستويات وَكَأْسًا دِهَاقًا قال الحسن وقتادة وابن زيد اي مترعة مملوءة يقال
ادهقت الكاس اي ملأتها وقال سعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد دهاقا متتابعة يتبع بعضها بعضا
وقال زيد بن اسلم دهاقا صافية قال ابن عباس دهاقا ممتليا وعنه قال هي الممتلية المترعة
المتتابعة وربما سمعت العباس يقول يا غلام اسقنا وادهق لنا وعنه قال دهاقا دراكا وعنه قال
اذا كان فيها خمر فهي كاس واذا لم تكن فيها خمر فليس بكاس لَا يَسْمَعُونَ حال من المتقين فِيهَا اي في الجنة
عند شرب الخمر وغيره من الاحوال لَغْوًا وهو الباطل من الكلام وَلَا كِذَّابًا اي لا يكذب بعضهم بعضا
قرا الجمهور كذابا بالتشديد وقرا الكسائي هنا مخففا ووافق الجماعة على التشديد في الاية المتقدمة للتصريح
بفعله المشدد هناك وقد قدمنا الخلاف في كذابا هل هو من مصادر التفعيل او من مصادر المفاعلة
جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ اي جازاهم بما تقدم ذكره جزاء قال الزجاج المعنى جزاهم جزاء اي بمقتضى وعده

وكذا عطاءً اي اعطاهم عطاء تفضلا منه اذ لا يجب عليه شيء بدل من جزاء اي بدل كل من كل وفي ابدا له منه نكتة لطيفة وهي الدلالة على ان بيان كونه عطاء وتفضلا منه هو المقصود وبيان كونه جزاء وسيلة له حساباً قال ابو عبيدة كافيا فهو مصدر اقيم مقام الوصف او باق على مصدريته مبالغة اوهو على حذف مضاف وقال ابن قتيبة كثيرا يقال احسبت فلانا اي اكثرت له العطاء قال الزجاج حسابا اي ما يكفيهم قال الاخفش يقال حسبني كذا اي كفاني قال الكلبي حاسبهم فاعطاهم بالحسنة عشرا وقال مجاهد حسابا لما عملوا فالحساب بمعنى القدر اي بقدر ما وجب له في وعد الرب سبحانه فانه وعد للحسنة عشرا ووعد لقوم سبعمائة ضعف وقد وعد لقوم جزاء لا نهاية له ولا مقدار كقوله انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وقرأ ابو هاشم حسابا بفتح الحاء وتشديد السين اي كافيا قال الاصمعي تقول العرب حسبت الرجل بالتشديد اذا اكرمته وفي القاموس حسبك درهم كفاك وشيء حساب كاف ومنه عطاء حسابا واحسبه ارضاه وعبارة المصباح واحسبه كفاه وقرأ ابن عباس حسانا بالنون رَّبِّ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمٰنِ قرئ بخفض رب والرحمن على ان رب بدل من ربك والرحمن صفة له وقرئ برفعهما على ان رب مبتدأ والرحمن خبره او على ان رب خبر مبتدأ مقدر اي هو رب والرحمن صفته ولا يملكون خبر رب او على ان رب مبتدأ والرحمن مبتدأ ثان ولا يملكون خبر المبتدأ الثاني والجملة خبر المبتدأ الاول وقرأ ابن عباس وحمزة والكسائي بخفض الاول ورفع الثاني على انه خبر مبتدأ محذوف اي هو الرحمن واختار هذه القراءة ابو عبيد وقال هذه اعدلها فخفض رب لقربه من ربك فيكون نعتا له ورفع الرحمن لبعده منه على الاستيناف وخبره قوله لَا يَمْلِكُونَ اي الخلق مِنْهُ تعالى ان يسألوا الا فيما اذن لهم فيه خِطَابًا بالشفاعة الا باذنه وقيل الخطاب الكلام اي لا يملكون ان يخاطبوا الرب سبحانه خوفا الا باذنه دليله لا تكلم نفس الا باذنه وقيل اراد الكفار واما المؤمنون فيشفعون والجملة مستأنفة مقررة لما تفيده الربوبية العامة من العظمة والكبرياء يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلٰٓئِكَةُ الظرف منتصب بلا يملكون او بلا يتكلمون وقوله صَفًّا منتصب على الحال اي مصطفين او على المصدرية اي يصفون صفا والجملة حالية او مستأنفة لتقرير ما قبله واختلف في الروح على اقوال ثمانية فقيل انه ملك من الملائكة اعظم من السموات السبع ومن الارضين السبع ومن الجبال وقيل هو جبريل قاله الشعبي والضحاك وسعيد بن جبير وقيل الروح جند من جنود الله ليسوا ملائكة قاله ابو صالح ومجاهد عن ابن عباس مثله مرفوعا وزاد لهم

ولا مكان لهم في ذلك الوقت ذكره ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ اي اقبل بظلامه او ادبر قال اهل اللغة هو من الاضداد
يقال عسعس الليل اذا اقبل وعسعس اذا ادبر ويدل على ان المراد هنا ادبر قوله الآتي والصبح اذا تنفس قال
الفراء اجمع المفسرون على ان معنى عسعس ادبر كذا حكاه عنه الجوهري وقال الحسن اقبل ظلامه قال الفراء العرب
تقول عسعس الليل اذا اقبل واذا ادبر وهذا لاينافي ما تقدم عنه لانه حكى عن المفسرين انهم اجمعوا على
حمل معناه في هذه الآية على ادبر وان كان في الاصل مشتركا بين الاقبال والادبار قال المبرد هو من الاضداد
قال والمعنيان يرجعان الى شيء واحد وهو ابتداء الظلام في اوله وادباره في اخره قال ابن عباس عسعس ادبر
وعنه قال اقبال سواده ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ اي امتد حتى يصير نهارا بينا والتنفس في الاصل خروج النسيم
من الجوف وتنفس الصبح اقباله لانه يقبل بروح ونسيم فجعل ذلك تنفسا له مجازا وشبه الليل المظلم بالمكروب
المحزون الذي حبس بحيث لا يتحرك فاذا تنفس وجد راحة وههنا لما طلع الصبح فكانه تخلص من ذلك الحزن
فعبر عنه بالتنفس قال الواحدي تنفس اي امتد ضوءه حتى يصير نهارا ومنه يقال للنهار اذا زاد تنفس
وقيل المعنى اذا انشق وانفلق ومنه تنفست القوس اي تصدعت قال ابن عباس اذا تنفس اذا بدا النهار
حين طلوع الفجر قال الشهاب مناسبته لقرينه ظاهرة على التفسيرين لان ما قبله ان كان للاقبال فهو
اول الليل وهذا اول النهار وان كان للادبار فهذا ملاصق له فبينهما مناسبة الجوار فلا وجه لما قيل من
انه على الاول انسب انتهى ثم ذكر سبحانه جواب القسم فقال ﴿إِنَّهُ﴾ اي القران ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ على الله تعالى
يعني جبريل وبه قال ابن عباس لكونه نزل به من جهة الله سبحانه الى رسوله صلى الله عليه وسلم واضاف القول
الى جبريل لكونه مرسلا به وقيل المراد بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم والاول اولى ثم وصف الرسول المذكور
باوصاف محمودة فقال ﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ اي ذي قوة شديدة في القيام بما كلف به كما في
قوله شديد القوى ومن قوته انه اقتلع قرى قوم لوط الاربع من الماء الاسود وحملها على جناحه فرفعها
الى السماء ثم قلبها وانه صاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين وانه يهبط من السماء الى الارض ثم يصعد
في اسرع من رد الطرف والمعنى انه ذو رفعة عالية ومكانة مكينة عند الله سبحانه وهو في محل نصب على الحال من
مكين واصله الوصف فلما تقدم صار حالا ويجوز ان يكون نعتا لرسول يقال مكن فلان عند فلان مكانة
اي صار ذا منزلة عنده ومكانة قال ابو صالح من مكانته عند ذي العرش انه يدخل سبعين سرادقا
بغير اذن ومعنى قوله ﴿مُطَاعٍ﴾ انه مطاع بين الملائكة يرجعون اليه ويطيعونه ومن طاعتهم له

انهم فتحوا ابواب السموات ليلة المعراج بقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفتح خزنة الجنة ابوابها بقوله قال الحسن فرض الله على اهل السموات طاعة جبريل كما فرض على اهل الارض طاعة محمد صلى الله عليه وسلم ثَمَّ اَمِيْنٍ قرأ الجمهور بفتح ثم على انها ظرف مكان للبعيد والعامل فيه مطاع او ما بعده والمعنى انه مطاع في السموات او امين فيها اي مؤتمن على الوحي وغيره وقرئ بضمها على انها عاطفة وكان العطف بها للتراخي في الرتبة لان ما بعدها اعظم مما قبلها ومن قال ان المراد بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم فالمعنى انه ذو قوة على تبليغ الرسالة الى الامة مطاع يطيعه من اطاع الله امين على الوحي وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُوْنٍ الخطاب لاهل مكة والمراد بصاحبكم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى وما محمد يا اهل مكة بمجنون وذكره بوصف الصحبة للاشعار بانهم عالمون بامره وانه ليس مما يرمونه به من الجنون وغيره في شيء وانهم افتروا عليه ذلك عن علم منهم بانه اعقل الناس واكملهم وهذه الجملة داخلة في جواب القسم فاقسم سبحانه بان القرآن نزل به جبريل وان محمدا صلى الله عليه وسلم ليس كما يقولون من انه مجنون وانه ياتي بالقرآن من جهة نفسه والمقصود رد قولهم انما يعلمه بشر افترى على الله كذبا ام به جنة لا تعداد فضلهما والموازنة بينهما ثم انك اذا امعنت النظر وقفت على ان اجراء تلك الصفات على جبريل في هذا المقام ادماج لتعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه بلغ من المكانة وعلو المنزلة عند ذي العرش بان جعل السفير بينه وبينه مثل هذا الملك المقرب المطاع الامين فالقول في هذه الصفات بالنسبة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رفعة منزلة له كالقول في قوله ذي العرش بالنسبة الى رفعة منزلة جبريل عليه السلام كذا ذكره الكرخي وَلَقَدْ رَاٰهُ بِالْاُفُقِ الْمُبِيْنِ اللام جواب قسم محذوف اي تالله لقد رأى محمد صلى الله عليه وسلم جبريل بمطلع الشمس من قبل المشرق لان هذا الافق اذا كانت الشمس تطلع منه فهو مبين لان من جهته ترى الاشياء وهذه الرؤية هي الواقعة في غار حراء حين رآه على كرسي بين السماء والارض وقيل الافق المبين اقطار السماء ونواحيها وانما قال سبحانه ذلك مع انه قد رآه غير مرة لانه رآه هذه المرة في صورته له ستمائة جناح قال سفيان انه رآه في افق السماء الشرقي اي لانه كان في المشرق من حيث تطلع الشمس وقال ابن بحر في افق السماء الغربي وقال مجاهد رآه نحو اجياد وهو مشرق مكة والمبين صفة للافق قاله الربيع وقيل صفة لمن رآه قاله مجاهد وقيل معنى الاية ولقد رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل وقد تقدم القول في هذا في سورة النجم قال ابن عباس في الاية انما عنى جبريل ان محمدا صلى الله عليه وسلم رآه في صورته عند سدرة المنتهى والافق المبين السماء السابعة وَمَا هُوَ اي محمد صلى الله عليه وآله وسلم

على الغيب يعني خبر السماء وما اطلع عليه مما كان غائبا علمه عن اهل مكة بظنين اي بمتهم اي هو
ثقة فيما يؤدي عن الله سبحانه وقيل بضنين بالضاد اي ببخيل قال ابن عباس اي لا يبخل بالوحي ولا يقصر
في التبليغ وسبب هذا الاختلاف اختلاف القراء فقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي بالظاء اي بمتهم والظنة
التهمة واختارها ابو عبيد قال لانهم لم يبخلوه ولكن كذبوه واتهموه وقرأ الباقون بالضاد من ضننت بالشيء
اضن ضنا اذا بخلت قال مجاهد اي لا يضن عليكم بما يعلم بل يعلم الخلق كلام الله واحكامه وقيل المراد
جبريل انه ليس على الغيب بضنين والاول اولى وقرأ ابن مسعود بالظاء بمتهم وعن عائشة ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان يقرأها بالظاء اخرجه الدارقطني في الافراد والحاكم وصححه وابن مردويه والخطيب فان البخل وما
في معناه لا يتعدى بعلى وانما يتعدى بالباء وما هو اي القران بقول شيطان رجيم طريد من الشياطين
المسترقة للسمع المرجومة بالشهب قال الكلبي يقول ان القران ليس بشعر ولا كهانة كما قالت قريش كقوله وما
تنزلت به الشياطين قال عطاء يريد بالشيطان الشيطان الابيض الذي كان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم
في صورة جبريل يريد ان يفتنه ثم بكتهم الله سبحانه ووبخهم فقال فاين تذهبون الفاء لترتيب ما بعدها
على ما قبلها من ظهور انه وحي مبين وليس مما يقولون في شيء اي اين تعدلون عن هذا القران وعن
طاعته قاله قتادة وقال الزجاج معناه اي طريق تسلكون ابين من هذه الطريقة التي قد بينت
لكم وهذا استضلال لهم كما يقال لتارك الجادة اعتسافا او ذهابا في بنيات الطريق اين تذهب
والى اين تذهب فحكى الفراء عن العرب ذهبت الشام وخرجت العراق وانطلقت السوق اي اليها
قال سمعناه في هذه الاحرف الثلاثة يريد الى اي ارض تذهب فحذف الى ان هو الا ذكر للعالمين
اي ما القران الا موعظة للخلق اجمعين وتذكير لهم وقوله لمن شاء منكم بدل من العالمين باعادة
الجار ومفعول المشيئة ان يستقيم اي لمن شاء منكم الاستقامة على الحق والايمان والطاعة وما
تشاؤون الاستقامة الا ان يشاء الله اي بان يشاء الله تلك المشيئة فاعلمهم سبحانه ان المشيئة في التوفيق اليه
وانهم لا يقدرون على ذلك الا بمشيئة الله وتوفيقه ومثل هذا قوله سبحانه وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن
الله وقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا
ان يشاء الله وقوله انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء والآيات القرانية في هذا
المعنى كثيرة والخطاب هنا ليس للمخاطبين في قوله فاين تذهبون بل هو لمن عبر عنهم بقوله لمن شاء منكم ان يستقيم

رَبُّ الْعَالَمِينَ اي مالك الخلق اجمعين عن ابي هريرة قال لما نزلت لمن شاء منكم ان يستقيم قالوا الامر
الينا ان شئنا استقمنا وان شئنا لم نستقم فهبط جبريل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
فقال كذبوا يا محمد وما تشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين اخرجه ابن ابي حاتم وابن مردويه

سورة الانفطار تسع عشرة آية وهي مكية بلا خلاف

قال ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله واخرج النسائي عن جابر قال قام معاذ فصلى العشاء
فطول فقال النبي صلى الله عليه وسلم افتان انت يا معاذ اين انت عن سبح اسم ربك والضحى واذا السماء انفطرت
واصل الحديث في الصحيحين ولكن بدون ذكر اذا السماء انفطرت وقد تفرد بها النسائي وقد تقدم في سورة التكوير
حديث من سره ان ينظر الى يوم القيامة رأي عين فليقرأ اذا الشمس كورت واذا السماء انفطرت الحديث

بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ السماء فاعل فعل محذوف يدل عليه المذكور قال الواحدي قال المفسرون
انفطارها انشقاقها كقوله ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا والفطر الشق يقال فطرته
فانفطر ومنه فطر ناب البعير اذا طلع قيل والمراد انها انفطرت هنا لنزول الملائكة منها وقيل انفطرت لهيبة
الله عز وجل وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ اي انقضت وتساقطت متفرقة يقال نثرت الشيء انثره نثرا
والانتثار استعارة لازالة الكواكب حيث شبهت بجواهر قطع سلكها وهي مصرحة او مكنية وَإِذَا الْبِحَارُ
فُجِّرَتْ اي فجر بعضها من اعلاها او سفلها في بعض فصارت بحرا واحدا واختلط العذب منها بالملح
وزال ما بينهما من البرزخ الحاجز وقال الحسن معنى فجرت ذهب ماؤها ويبست قال ابن عباس فجر بعضها
في بعض وقيل فاضت قرأ العامة على بناء فجرت للمفعول مثقلا وقرأ مجاهد مبنيا للفاعل مخففا من الفجور
نظرا الى قوله بينهما برزخ لا يبغيان فلما زال البرزخ بغيا وقرأ مجاهد ايضا والربيع بن خيثم والزعفراني
والثوري مبنيا للمفعول مخففا وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ اي قلب ترابها الذي اهيل على الاموات وقت الدفن
واخرج الموتى الذين هم فيها يقال بعثر يبعثر بعثرة اذا قلب التراب ويقال بعثر المتاع قلبه ظهرا لبطن
وبعثرت الحوض وبحثرته اذا هدمته وجعلت اعلاه اسفله قال الفراء بعثرت اخرجت ما في بطنها

من الذهب والفضة وذلك من اشراط الساعة ان تخرج الارض ذهبها وفضتها وقال ابن عباس أي بحثت وكررت اذا التهويل بما في حيزها من الدواهي قال الرازي المراد من هذه الآيات انه اذا وقعت هذه الاشياء التي هي اشراط الساعة فهناك يحصل الحشر والنشر وهي ههنا اربعة اثنان منها يتعلقان بالعلويات واثنان يتعلقان بالسفليات والمراد بهذه الآيات بيان تخريب العالم وفناء الدنيا وانقطاع التكاليف والسماء كالسقف والارض كالبناء ومن اراد تخريب دار فانه يبدأ اولا بتخريب السقف ثم يلزم من تخريب السماء انتثار الكواكب ثم بعد تخريب السماء والكواكب يخرب كل ما على وجه الارض من البحار ثم بعد ذلك تخرب الارض التي فيها الاموات واشار لذلك بقوله واذا القبور بعثرت ثم ذكر سبحانه الجواب عما تقدم فقال عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ والمعنى انها علمته عند نشر الصحف لا عند البعث لانه وقت واحد من عند البعث الى عند مصير اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار والكلام في افراد نفس هنا كما تقدم في السورة الاولى في قوله علمت نفس ما احضرت ومعنى ما قدمت واخرت ما قدمت من عمل خير او شر او اخرت من سنة حسنة او سيئة لان لها اجر ما سنته من السنن الحسنة واجر من عمل بها وعليها وزر ما سنته من السنن السيئة ووزر من عمل بها وقال قتادة ما قدمت من معصية واخرت من طاعة وقيل ما قدم من فرض واخر من فرض وقيل اول عمله وآخره وقيل ان النفس تعلم عند البعث بما قدمت واخرت علما اجماليا لان المطيع يرى آثار السعادة والعاصي يرى آثار الشقاوة واما العلم التفصيلي فانما يحصل عند نشر الصحف عن ابن مسعود قال ما قدمت من خير وما اخرت من سنة صالحة يعمل بها من غيران ينقص من اجورهم شيئا او سنة سيئة يعمل بها بعده فان عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من اوزارهم شيئا وعن ابن عباس نحوه واخرج الحاكم وصححه عن حذيفة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من استن خيرا فاستن به فله اجره ومثل اجور من اتبعه من غير منتقص من اجورهم ومن استن شرا فاستن به فعليه وزره ومثل اوزار من اتبعه من غير منتقص من اوزارهم وتلا حذيفة علمت نفس ما قدمت واخرت ولما اخبر سبحانه في الآية الاولى عن وقوع الحشر والنشر ذكر في هذه الآية ما يدل عقلا على وقوعه فقال يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ هذا خطاب للكفار وقال بعضهم المراد بالانسان ما يشمل الكافر والمؤمن العاصي قال الشهاب وهذا ارجح كما في الكشف وغيره والمعنى ما الذي غرك وخدعك وجعلك غارا حتى كفرت

بربك الكريم الذي تفضل عليك في الدنيا باكمال خلقك وحواسك وجعلك عاقلا فاهما ورزقك وانعم عليك بنعمه التي لاتقدر على جحد شيء منها قال قتادة غره شيطانه المسلط عليه وقال الحسن غره شيطانه الخبيث وقيل غره حمقه وجهله وقيل غره عفو الله اذ لم يعاجله بالعقوبة اول مرة كذا قال مقاتل وذكر الكريم للمبالغة في المنع عن الاغترار فان محض الكرم لايقتضي اهمال الظالم وتسوية الموالي والمعادي والمطيع والعاصي فكيف اذا انضم اليه صفة القهر والانتقام والاشعار بما به يغتره الشيطان فانه يقول له افعل ما شئت فربك كريم لايعذب احدا ولايعاجل بالعقوبة والدلالة على ان كثرة كرمه تستدعي الجد في طاعته لا الانهماك في عصيانه اغترارا بكرمه وعن عمر بن الخطاب انه قرأ هذه الاية وقال غره والله جهله ﴿الَّذِي خَلَقَكَ﴾ من نطفة ولم تك شيئا ﴿فَسَوَّاكَ﴾ رجلا تسمع وتبصر وتعقل ﴿فَعَدَلَكَ﴾ اي جعلك معتدلا قال عطاء جعلك قائما معتدلا حسن الصورة وقال مقاتل عدل خلقك في العينين والاذنين واليدين والرجلين والمعنى عدل بين ما خلق لك من الاعضاء قرأ الجمهور فعدلك مشددا وقرئ بالتخفيف واختار الاولى ابو عبيد وابو حاتم قال الفراء وابو عبيد يدل عليها قوله لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ومعنى القراءة الاولى انه سبحانه جعل اعضاءه متعادلة لاتفاوت فيها ومعنى الثانية انه صرفه وأماله الى اي صورة شاء اما حسنا واما قبيحا واما طويلا واما قصيرا ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ في اي صورة متعلق بركبك وما مزيدة وشاء صفة لصورة اي ركبك في اي صورة شاءها ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انه حال اي ركبك حاصلا في اي صورة ونقل ابو حيان عن بعض المفسرين انه متعلق بعدلك واعترض عليه بان اي لها صدر الكلام فلا يعمل فيها ما قبلها قال مقاتل والكلبي ومجاهد في اي شبه من اب او ام او خال او عم وقال مكحول ان شاء ذكرا وان شاء انثى ﴿كَلَّا﴾ ردع وزجر عن الاغترار بكرم الله وجعله ذريعة الى الكفر به والمعاصي له او بمعنى حقا ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ﴾ اضراب عن جملة مقدرة ينساق اليها الكلام كانه قيل بعد الردع بطريق الاعتراض وانتم لاترتدعون عن ذلك بل تجاوزونه الى ما هو اعظم منه من التكذيب بالدين وهو الجزاء او بدين الاسلام قال ابن الانباري الوقف الجيد على الدين وعلى ركبك وعلى كلا قبيح والمعنى بل تكذبون يا اهل مكة بالدين اي بالحساب وبل لنفي شيء تقدم وتحقيق غيره وانكار البعث قد كان معلوما عندهم وان لم يجر له ذكر قال الفراء كلا ليس الامر كما غررت به قرأ الجمهور تكذبون بالفوقية

على الخطاب وقرأ الحسن وابو جعفر وشيبة بالتحتية على الغيبة وجملة وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ
في محل نصب على الحال من فاعل تكذبون اي تكذبون والحال ان عليكم من يدفع تكذيبكم او مستأنفة
مسوقة لبيان ما يبطل تكذيبهم والحافظون الرقباء من الملائكة الذين يحفظون على العباد اعمالهم
ويكتبونها في الصحف قال ابن عباس جعل الله على ابن آدم حافظين في الليل والنهار يحفظان عمله
ويكتبان اثره وهذا الخطاب وان كان خطاب مشافهة الا ان الامة اجمعت على عموم هذا
الخطاب في حق المكلفين وقوله تعالى حافظين جمع يحتمل ان يكونوا حافظين لجميع بني آدم من غير
ان يختص واحد من الملائكة بواحد من بني آدم ويحتمل ان يكون الموكل بكل واحد منهم غير الموكل
بالآخر ويحتمل ان يكون الموكل بكل واحد منهم جمعا من الملائكة كما قيل اثنان بالليل واثنان بالنهار او
كما قيل انهم خمسة واختلفوا في الكفار هل عليهم حفظة فقيل لا لان امرهم ظاهر وعملهم واحد
قال تعالى يعرف المجرمون بسيماهم وقيل عليهم حفظة وهو ظاهر قوله تعالى في هذه الآية وفي قوله تعالى واما
من اوتي كتابه وراء ظهره فاخبر ان لهم كتابا وان عليهم حفظة ثم وصفهم سبحانه فقال كِرَامًا
كَاتِبِينَ اي انهم كرام لديه يكتبون ما يأمرهم به من اعمال العباد يَعْلَمُونَ على التجدد والاستمرار
مَا تَفْعَلُونَ في الآية دلالة على ان الشاهد لا يشهد الا بعد العلم لوصف الملائكة بكونهم حافظين
كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون فدل على انهم يكونون عالمين بها حتى انهم يكتبونها فاذا كتبوها يكونون
عالمين عند اداء الشهادة قال الرازي المعنى التعجيب من حالهم كانه قال انكم تكذبون بيوم الدين وملائكة
الله موكلون يكتبون اعمالكم حتى تحاسبوا بها يوم القيامة ونظيره قوله تعالى عن اليمين وعن الشمال
قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وفي تعظيم الكتبة بالثناء عليهم تعظيم لامر الجزاء
وانه عند الله من جلائل الامور وفيه انذار وتهويل للمجرمين ولطف للمتقين وعن الفضيل انه كان
اذا قرأها قال ما اشدها من آية على الغافلين ثم بين سبحانه حال الفريقين فقال إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي
نَعِيمٍ اي جنة وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ اي نار والجملة مستأنفة لتقرير هذا المعنى الذي سيقت له وهي
كقوله سبحانه فريق في الجنة وفريق في السعير ولفظ الفجار عائد على الكافرين الذين تقدم ذكرهم وليس شاملا
لعصاة المؤمنين لانا لا نسلم ان مرتكب الكبيرة من المؤمنين فاجر على الاطلاق فأل في الفجار للعهد
الذكري بدليل قوله بل تكذبون بالدين يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ صفة لجحيم او مستأنفة جواب سؤال

مقدر كانه قيل ما حالهم فقيل يصلونها يوم الجزاء الذي كانوا يكذبون به ويجوز ان يكون في محل
نصب على الحال من الضمير في متعلق الجار والمجرور ومعنى يصلونها انهم يلزمونها مقاسين لوهجها وحرها يومئذ
قرأ الجمهور يصلونها مخففا مبنيا للفاعل وقرئ بالتشديد مبنيا للمفعول وما هم عنها بغائبين اي لا يفارقونها
ابدا ولا يغيبون عنها بل هم فيها وقيل المعنى وما كانوا غائبين عنها قبل ذلك بالكلية بل كانوا يجدون حرها
في قبورهم ثم عظم سبحانه ذلك اليوم فقال وما ادراك ما يوم الدين اي يوم الجزاء والحساب ثم ما
ادراك ما يوم الدين كرره تعظيما لشانه وتفخيما لقدره وتهويلا لامره كما في قوله القارعة ما القارعة
وما ادراك ما القارعة والحاقة ما الحاقة وما ادراك ما الحاقة والمعنى اي شيء جعلك داريا ما يوم
الدين قال الكلبي الخطاب للانسان الكافر ثم اخبر سبحانه عن اليوم فقال يوم لا تملك نفس من النفوس
لنفس اخرى شيئا من النفع او الضر ومنه الشفاعة لبعض الناس اذ ذلك انما هو باذن الله من ذا الذي
يشفع عنده الا باذنه ذكره الحفناوي قرأ ابن كثير وابو عمرو برفع يوم على انه بدل من يوم الدين او
خبر مبتدأ محذوف وقرأ ابو عمرو في رواية عنه يوم بالتنوين والقطع عن الاضافة وقرأ الباقون
بفتحه على انها فتحة اعراب بتقدير اعني او اذكر فيكون مفعولا به او على انها فتحة بناء لاضافته الى الجملة على
راي الكوفيين وهو في محل رفع على انه خبر مبتدأ محذوف او على انه بدل من يوم الدين قال الزجاج
يجوز ان يكون في موضع رفع الا انه بني على الفتح لاضافته الى قوله لا تملك وما اضيف الى غير المتمكن فقد
يبنى على الفتح وان كان في موضع رفع وهذا الذي ذكره انما يجوز عند الخليل وسيبويه اذا كانت الاضافة
الى الفعل الماضي واما الى الفعل المستقبل فلا يجوز عندهما وقد وافق الزجاج على ذلك ابو علي الفارسي
والفراء وغيرهما والامر يومئذ لله وحده لا يملك شيئا من الامر غيره كائنا من كان قال مقاتل يعني
لنفس كافرة شيئا من المنفعة قال قتادة ليس ثم احد يقضي شيئا او يصنع شيئا الا الله رب العالمين
والمعنى ان الله لا يملك احدا في ذلك اليوم شيئا من الامور كما ملكهم في الدنيا ومثل هذا قوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار

ع الربع ١٩

سورة المطففين هي ست وثلاثون آية قال القرطبي وهي مكية في قول

ابن مسعود والضحاك ومقاتل ومدنية في قول الحسن وعكرمة وقال مقاتل ايضا هي اول سورة نزلت
بالمدينة وقال ابن عباس وقتادة هي مدنية الا ثمان آيات من قوله ان الذين اجرموا الى آخرها

وقال الكلبي وجابر بن زيد نزلت بين مكة والمدينة وعن ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله
وعن ابن عباس قال آخر ما نزل بمكة سورة المطففين وعنه قال لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة
كانوا من اخبث الناس كيلا فانزل الله ويل للمطففين فاحسنوا الكيل بعد ذلك اخرجه ابن مردويه
والبيهقي في الشعب قال السيوطي بسند صحيح

بسم الله الرحمن الرحيم

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ويل مبتدأ وسوغ الابتداء به كونه دعاء ولو نصب لجاز قال مكي والمختار في ويل
وشبهه اذا كان غير مضاف الرفع ويجوز النصب فان كان مضافا او معرفا كان الاختيار فيه النصب
كقوله ويلكم لا تفتروا والتطفيف المنقص وحقيقته الاخذ في الكيل او الوزن شيئا طفيفا اي نزرا
خفيفا حقيرا قال اهل اللغة المطفف ماخوذ من الطفف وهو القليل فالمطفف هو المقلل حق صاحبه
بنقصانه عن الحق في كيل او وزن قال الزجاج انما قيل للذي ينقص المكيال والميزان مطفف
لانه لا يكاد يسرق في المكيال والميزان الا الشيء اليسير الطفيف قال ابو عبيدة والمبرد المطفف الذي
يبخس في الكيل والوزن والمراد بالويل هنا شدة العذاب او نفس العذاب او الشر الشديد او هو واد في جهنم
قال الكلبي قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يسيئون كيلهم ووزنهم لغيرهم ويستوفون لانفسهم فنزلت
هذه الآية وقال السدي قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وكان بها رجل يقال له ابو جهينة
ومعه صاعان يكيل باحدهما ويكتال بالآخر فانزل الله هذه الآية قال الفراء هم بعد نزول هذه
الآية احسن الناس كيلا الى يومهم هذا وقد اخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما نقض قوم العهد الا سلط الله عليهم العدو ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات واخذوا
بالسنين وهذا الوعيد يلحق كل من ياخذ لنفسه زائدا او يدفع الى غيره ناقصا قليلا او كثيرا لكن ان
لم يتب منه فان تاب قبلت توبته ومن فعل ذلك واصر عليه كان مصرا على كبيرة من الكبائر وذلك
لان عامة الخلق محتاجون الى المعاملات وهي مبنية على امر الكيل والوزن والذرع فلهذا السبب
عظم الله امر الكيل والوزن ثم بين سبحانه المطففين من هم فقال الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ
يَسْتَوْفُونَ الاكتيال الاخذ بالكيل قال الفراء يريد اكتالوا من الناس وعلى ومن في هذا الموضع
يعتقبان يقال اكتلت منك اي استوفيت منك وتقول اكتلت عليك اي اخذت ما عليك قال الزجاج

اذا اكتالوا من الناس استوفوا عليهم الكيل قال الزمخشري لما كان اكتيالهم اكتيالا يضرهم ويتحامل فيه عليهم ابدل على مكان من للدلالة على ذلك ويجوز ان يتعلق بيستوفون ويقدم المفعول على الفعل لافادة الخصوصية اي يستوفون على الناس خاصة فاما انفسهم فيستوفون لها قال السمين وهو حسن ولم يذكر اتزنوا لان الكيل والوزن بهما الشراء والبيع فاحدهما يدل على الآخر قال الواحدي قال المفسرون يعني الذين اذا اشتروا لانفسهم استوفوا في الكيل والوزن واذا باعوا ووزنوا لغيرهم نقصوا وهو معنى {واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون} اي كالوا لهم او وزنوا لهم فحذفت اللام فتعدي الفعل الى المفعول فهو من باب الحذف والايصال ومثله نصحتك ونصحت لك كذا قال الاخفش والكسائي والفراء وقال الفراء سمعت اعرابية تقول اذا صدر الناس اتينا التاجر فيكيلنا المد والمدين الى الموسم المقبل قال وهو من كلام اهل الحجاز ومن جاورهم من قيس قال الزجاج لا يجوز الوقف على كالوا حتى يوصل بالضمير ومن الناس من يجعله تاكيدا اي توكيدا للضمير المستكن في الفعل فيجيز الوقف على كالوا او وزنوا قال ابو عبيد وكان عيسى بن عمر يجعلهما حرفين ويقف على كالوا او وزنوا ثم يقول هم يخسرون قال واحسب قراءة حمزة كذلك قال ابو عبيد والاختيار ان يكونا كلمة واحدة من جهتين احداهما الخط ولذلك كتبوهما بغير الف ولو كانتا مقطوعتين لكانتا كالوا او وزنوا بالالف والاخرى انه يقال كلتك ووزنتك بمعنى كلت لك ووزنت لك وهو كلام عربي كما يقال صدتك وصدت لك وكسبتك وكسبت لك وشكرتك وشكرت لك ونحو ذلك وقيل هو على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه والمضاف المكيل والموزون اي واذا كالوا مكيلهم او وزنوا موزونهم ومعنى يخسرون ينقصون كقوله {ولا تخسروا الميزان} والعرب تقول خسرت الميزان واخسرته ثم خوفهم سبحانه فقال {الا يظن اولئك انهم مبعوثون} مستانفة مسوقة لتهويل ما فعلوه من التطفيف وتفظيعه وللتعجيب من حالهم في الاجتراء عليه والاشارة باولئك الى المطففين وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد درجتهم في الشرارة والفساد والمعنى انهم لا يخطرون ببالهم انهم مبعوثون فمسئولون عما يفعلون قيل والظن هنا بمعنى اليقين اي لا يوقن اولئك ولو ايقنوا ما نقصوا الكيل والوزن وقيل الظن على بابه والمعنى ان كانوا لا يستيقنون البعث فهلا ظنوه حتى يتدبروا فيه ويبحثوا عنه ويتركوا ما يخشون من عاقبته ليأخذوا بالاحوط {ليوم عظيم} هو يوم القيامة ووصفه بالعظم لكونه زمانا لتلك الامور العظام من البعث والحساب والعقاب ودخول

اهل الجنة الجنة واهل النار النار وعن عبد الملك بن مروان ان اعرابيا قال له قد سمعت ما قال
الله في المطففين اراد بذلك ان المطفف قد توجه عليه الوعيد العظيم الذي سمعت به فما ظنك بنفسك
وانت تاخذ اموال المسلمين بلا كيل ولا وزن ثم ازدجر عن ذلك اليوم فقال يوم يقوم الناس لرب
العالمين اي يوم يقومون من قبورهم لامر رب العالمين او لجزائه او لحسابه او لحكمه وقضائه وفي
وصف اليوم بالعظم مع قيام الناس لله خاضعين فيه ووصفه سبحانه بكونه رب العالمين دلالة
على عظم ذنب التطفيف ومزيد اثمه وفظاعة عقابه وفيما كان مثل حاله من الحيف وترك القيام
بالقسط والعمل على السوية والعدل في كل اخذ وعطاء بل في كل قول وعمل وحال وقيل المراد بقوله
يوم يقوم الناس قيامهم في رشحهم الى انصاف اذانهم واخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عمر ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب احدهم في رشحه الى انصاف اذنيه وقيل
المراد قيامهم بما عليهم من حقوق العباد وقيل المراد قيام الرسل بين يدي الله للقضاء والاول اولى
وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الاية فكيف بكم اذا جمعكم الله كما يجمع النبل في الكنانة
خمسين الف سنة لا ينظر اليكم اخرجه الطبراني وابو الشيخ والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في
البعث وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم يوم يقوم الناس لرب العالمين بمقدار نصف يوم من خمسين
الف سنة فيهون ذلك على المؤمن كتدلي الشمس للغروب الى ان تغرب اخرجه ابو يعلى وابن حبان
وابن مردويه وعن ابن مسعود قال اذا حشر الناس قاموا اربعين عاما اخرجه ابن ابي حاتم واخرجه
ابن مردويه من حديثه مرفوعا وعن ابن عمر انه قال يا رسول الله كم مقام الناس بين يدي رب
العالمين يوم القيامة قال الف سنة لا يؤذن لهم اخرجه الطبراني وعن ابن عمر انه قرأ هذه السورة
فلما بلغ هنا بكى نحيبا وامتنع من قراءة ما بعدها كلا هي للردع والزجر للمطففين الغافلين عن البعث
وما بعده او بمعنى حقا ثم استانف فقال ان كتاب الفجار اظهر في موضع الاضمار تحقيرا وتعليق الحكم
بالوصف يعني ان كتب اعمال الكفار لفي سجين وهو ما فسره به سبحانه من قوله وما ادراك ما سجين كتاب
مرقوم فاخبر بهذا انه كتاب مرقوم اي مسطور قيل هو كتاب جامع لاعمال الشر الصادرة من الشياطين
والكفرة والفسقة ولفظ سجين علم له وقال قتادة وسعيد بن جبير ومقاتل وكعب انه صخرة تحت الارض
السابعة تقلب فيجعل كتاب الفجار تحتها روبه قال مجاهد فيكون في الكلام على هذا القول مضاف محذوف

والتقدير محل كتاب مرقوم وقال ابو عبيدة والاخفش والمبرد والزجاج لفي حبس وضيق شديد والمعنى كانهم في حبس جعل ذلك دليلا على خساسة منزلتهم وهوانهم قال الواحدي ذكر قوم ان قوله كتاب مرقوم تفسير لسجين وهو بعيد لانه ليس السجين من الكتاب في شيء على ما حكيناه عن المفسرين و الوجه ان يجعل بيانا للكتاب المذكور في قوله ان كتاب الفجار على تقدير هو كتاب مرقوم اي مكتوب قد بينت حروفه انتهى والاولى ماذكرناه ويكون المعنى ان كتاب الفجار الذين من جملتهم المطففون اي ما يكتب من اعمالهم او كتابة اعمالهم لفي ذلك الكتاب المدون للقبائح المختص بالشر وهو سجين ثم ذكر ما يدل على تهويله وتعظيمه فقال وما ادراك ما سجين ثم بينه بقوله كتاب مرقوم قال الزجاج معنى قوله وما ادراك ما سجين ليس ذلك مما كنت تعلمه انت ولا قومك اي في الدنيا قبل نزول الوحي عليك وانما اعلمته بالوحي قال قتادة ومعنى مرقوم رقم لهم بشر كانه اعلم بعلامة يعرف بها انه كافر وكذا قال مقاتل وقد اختلفوا في نون سجين فقيل هي اصلية واشتقاقه من السجن وهو الحبس وهو بناء مبالغة كخمير وسكير وفسيق من الخمر والسكر والفسق وكذا قال ابو عبيدة والمبرد والزجاج قال الواحدي وهذا ضعيف لان العرب ما كانت تعرف سجينا ويجاب عنه بان رواية هؤلاء الائمة تقوم بها الحجة وتدل على انه من لغة العرب ومنه قول ابن مقبل ؎ ورفقة يضربون البيض ضاحية ضربا تواصت به الابطال سجينا * وقيل النون بدل من اللام والاصل سجيل مشتقا من السجل وهو الكتاب قال ابن عطية من قال ان سجينا موضع فكتاب مرفوع على انه خبر ان والظرف وهو قوله لفي سجين ملغى ومن جعله عبارة عن الكتاب فكتاب خبر مبتدا محذوف والتقدير هو كتاب ويكون هذا الكلام مفسرا للسجين ما هو كذا قال الضحاك وقوله مرقوم مختوم بلغة حمير واصل الرقم الكتابة وقال كعب الاحبار في الاية ان روح الفاجر يصعد بها الى السماء فتابى السماء ان تقبلها فتهبط بها الى الارض فتابى ان تقبلها فيدخل بها تحت سبع ارضين حتى ينتهى بها الى سجين وهو خد ابليس فيخرج لها من تحت خد ابليس كتابا فيختم ويوضع تحت خد ابليس وعن ابن عباس قال سجين اسفل الارضين واخرج ابن جرير عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الفلق جب في جهنم مغطى واما سجين فمفتوح قال ابن كثير هو حديث غريب منكر لا يصح واخرج ابن مردويه عن عايشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سجين الارض السابعة السفلى واخرج هو عن جابر نحوه مرفوعا وعن

عبد الله بن كعب بن مالك قال لما حضرت كعبا الوفاة اتته ام بشر بنت البراء فقالت ان لقيت ابني فاقرأه مني السلام فقال غفر الله لك يا ام بشر نحن اشغل من ذلك فقالت اما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان نسمة المؤمن تسرح في الجنة حيث شاءت وان نسمة الكافر في سجين قال بلى قالت فهو ذاك اخرجه ابن ماجة والطبراني والبيهقي في البعث وعبد بن حميد ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ هذا متصل بقوله يوم يقوم الناس وما بينهما اعتراض والمعنى ويل يوم القيامة لمن وقع منه التكذيب بالبعث وبما جاءت به الرسل ثم بين سبحانه هؤلاء المكذبين فقال ﴿الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ اي بيوم القيامة لانه يوم الجزاء والحساب والموصول بدل من المكذبين او صفة ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ اي فاجر جائر متجاوز في الاثم منهمك في اسبابه ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا﴾ المنزلة على محمد صلى الله عليه وسلم وهو القرآن الكريم ﴿قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ اي احاديثهم واباطيلهم التي زخرفوها والحكايات التي سطرت قديما جمع اسطورة بالضم واسطارة بالكسر قرأ الجمهور تتلى بفوقيتين وقرئ بالتحتية وقوله ﴿كَلَّا﴾ للردع والزجر للمعتدي الاثيم عن ذلك القول الباطل وتكذيب له وقال الحسن معنى حقا وقوله ﴿بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ بيان للسبب الذي حملهم على قولهم بان القرآن اساطير الاولين قال ابو عبيدة ران على قلوبهم غلب عليها رينا وريونا وكل ما غلبك وعلاك فقد ران بك وران عليك قال الفراء هو انها كثرت منهم المعاصي والذنوب فاحاطت بقلوبهم فذلك الرين عليها قال الحسن هو الذنب على الذنب حتى يعمى القلب قال مجاهد القلب مثل الكف ورفع كفه فاذا اذنب انقبض وضم اصبعه فاذا اذنب ذنبا آخر انقبض وضم اخرى حتى ضم اصابعه كلها حتى يطبع على قلبه قال وكانوا يرون ان ذلك هو الرين ثم قرأ هذه الاية قال ابو زيد يقال قد رين بالرجل رينا اذا وقع فيما لا يستطيع الخروج منه ولا قبل له به وقال ابو معاذ النحوي الرين ان يسود القلب من الذنوب والطبع ان يطبع على القلب وهو اشد من الرين والاقفال اشد من الطبع قال الزجاج الرين هو كالصدأ يغشى القلب كالغيم الرقيق ومثله الغين وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا اذنب ذنبا نكتت في قلبه نكتة سوداء فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه وان عاد زادت حتى تعلو قلبه فذلك الران الذي ذكره الله سبحانه في القرآن كلا بل ران على قلوبهم الخ اخرجه احمد والترمذي وصححه والنسائي وابن ماجة وغيرهم ثم كرر سبحانه الردع والزجر فقال ﴿كَلَّا﴾ وقيل كلا بمعنى حقا اي حقا

إنهم يعني الكفار عن ربهم اي عن رؤيته يومئذ اي يوم القيامة لمحجوبون لا يرونه ابداً قال مقاتل
يعني انهم بعد العرض والحساب لا ينظرون الى ربهم نظر المؤمنين اليه قال الحسين بن الفضل
كما حجبهم في الدنيا عن توحيده حجبهم في الآخرة عن رؤيته قال الزجاج في هذه الآية دليل على
ان الله عز وجل يرى في القيامة ولولا ذلك ما كان في هذه الآية فائدة وقال جل ثناؤه وجوه يومئذ
ناضرة الى ربها ناظرة فاعلم سبحانه ان المؤمنين ينظرون واعلم ان الكفار محجوبون عنه وقيل
هو تمثيل لاهانتهم باهانة من يحجب عن الدخول على الملوك وقال قتادة وابن ابي مليكة هو ان لا
ينظر اليهم برحمته ولا يزكيهم وقال مجاهد محجوبون عن كرامته وكذا قال ابن كيسان والاول اولى
ثم انهم لصالوا الجحيم اي لداخلوا النار وملازموها غير خارجين منها وثم لتراخي الرتبة لان
صلي الجحيم اشد من الاهانة وحرمان الكرامة ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون اي يقول لهم
خزنة جهنم تبكيتاً وتوبيخاً هذا ما كذبتم به في الدنيا وانكرتم وقوعه فانظروه وذوقوه وقوله
كلا للردع والزجر عما كانوا عليه والتكرير للتاكيد وجملة إن كتاب الأبرار لفي عليين مستانفة
لبيان ما تضمنته ويجوز ان تكون كلا بمعنى حقاً فتلخص ان في كل واحدة من الاربعة الواقعة في
هذه السورة قولين والابرار هم المطيعون وكتابهم صحائف حسناتهم قال الفراء عليين ارتفاع بعد ارتفاع
لا غاية له ووجه هذا انه منقول من جمع علي من العلو قال الزجاج هو اعلى الامكنة قال الفراء والزجاج
فاعرب كاعراب الجمع لانه على لفظ الجمع ولا واحد له من لفظه نحو ثلاثين وعشرين وقنسرين قيل هو
علم لديوان الخير الذي دون فيه ما عمله الصالحون وحكى الواحدي عن المفسرين انه السماء
السابعة قال الضحاك ومجاهد وقتادة يعني السماء السابعة فيها ارواح المؤمنين وقال الضحاك
ايضاً هو سدرة المنتهى ينتهي اليه كل شيء من امر الله لا يعدوها وقيل هو الجنة وبه قال ابن عباس و
قال قتادة ايضاً هو فوق السماء السابعة عند قائمة العرش اليمنى وقيل ان عليين صفة للملائكة
فانهم في الملأ الاعلى كما يقال فلان في بني فلان اي في جملتهم وقيل هو لوح من زبرجد خضراء
معلق تحت العرش مكتوبة فيه اعمالهم وقيل هو قائمة العرش اليمنى وقيل هي مراتب عالية محفوفة بالجلالة
وقد عظمها الله واعلاها وما أدراك ما عليون اي ما اعلمك يا محمد اي شيء عليون على جهة التفخيم
والتعظيم لعليين اخرج ابن المبارك في الزهد وعبد بن حميد وابن المنذر من طريق شمر بن عطية ان

ابن عباس سأل كعب الاحبار عن قوله ان كتاب الابرار لفي عليين قال روح المؤمن اذا قبضت
عرج بها الى السماء ففتح لها ابواب السماء وتلقاها الملائكة بالبشرى حتى ينتهى بها الى العرش وتعرج الملائكة
فيخرج لها من تحت العرش رق فيرقم ويختم ويوضع تحت العرش لمعرفة النجاة لحساب يوم الدين وعن
ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوة على اثر صلوة لا لغو بينهما كتاب في عليين اخرجه
احمد وابو داود والطبراني وابن مردويه ثم فسّر سبحانه بقوله كِتَابٌ مَرْقُومٌ اي مسطور وقيل
مكتوب فيه اعمالهم او ما اعد لهم في الآخرة من الكرامة وهذا التفسير الالهي يغني عن تفاسير الخلق
قال الخطيب مكتوب فيه ان فلانا امن من النار رقما باله من رقم ما ابهاه واجمله والكلام في هذا
كالكلام المتقدم في قوله وما ادراك ما سجين الخ وجملة يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ صفة اخرى لكتاب
والمعنى ان الملائكة يحضرون ذلك الكتاب المرقوم ويحفظونه وقيل يشهدون بما فيه يوم القيامة
لتعظيمه والاول من الشهود والثاني من الشهادة قال وهب وابن اسحق المقربون هنا اسرافيل فاذا عمل
المؤمن عمل البر صعدت الملائكة بالصحيفة ولها نور يتلألأ في السموات كنور الشمس في الارض حتى ينتهي
بها الى اسرافيل فيختم عليها وقال ابن عباس المقربون اهل السماء ثم ذكر سبحانه حالهم في الجنة بعد ذكر كتابهم
فقال إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ اي ان اهل الطاعة لفي تنعم عظيم لا يقادر قدره عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ
الارائك الاسرة التي في الحجال وقد تقدم انها لا تطلق الاريكة على السرير الا اذا كان في حجلة قال
الحسن ما كنا ندري ما الارائك حتى قدم علينا رجل من اليمن فزعم ان الاريكة عندهم الحجلة
اذا كان فيها سرير قال الشهاب الحجلة بفتحتين بيت مربع من الثياب الفاخرة يرخى على السرير يسمى في
عرف الناس بالناموسية والمعنى انهم ينظرون الى ما اعد الله لهم من الكرامات كذا قال عكرمة ومجاهد
وغيرهما وقال مقاتل ينظرون الى اهل النار وقيل ينظرون الى وجهه وجلاله تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ
نَضْرَةَ النَّعِيمِ اي اذا رأيتهم عرفت انهم من اهل النعمة لما تراه في وجوههم من النور والحسن والبياض
والبهجة والتنعم والرونق اخرج ابن المنذر عن علي بن ابي طالب في الآية قال عين في الجنة يتوضؤن منها
ويغتسلون فتجري عليهم نضرة النعيم اي بهجة التنعم وطراوته والخطاب لكل راء يصلح لذلك يقال
انضر النبات اذا ازهر ونور قال عطاء وذلك ان الله زاد في جمالهم وفي الوانهم ما لا يصفه واصف قرأ الجمهور
تعرف بفتح الفوقية وكسر الراء ونصب نضرة وقرئ بضم الفوقية وفتح الراء على البناء للمفعول ورفع نضرة بالنيابة

قال الجوهري الحجال جمع حجلة بالتحريك واحد حجال العروس وهو بيت يزين بالثياب والاسرة والستور انتهى منه

يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ خمر خالصة من الدنس فهي بيضاء مَّخْتُومٍ على اناتها لا يفك ختمها الا هم قال ابو عبيدة
والاخفش والمبرد والزجاج الرحيق من الخمر ما لا غش فيه ولا شيء يفسده والمختوم الذي له ختام
وقال الخليل الرحيق اجود الخمر وفي الصحاح الرحيق صفوة الخمر وقال مجاهد هو الخمر العتيقة البيضاء
الصافية قال مجاهد مختوم مطين كانه ذهب الى معنى الختم بالطين ويكون المعنى انه ممنوع ان تمسه اليد
الى ان يفك ختمه للابرار وقال تعالى في سورة محمد صلى الله عليه وسلم وانهار من خمر والنهر لا يختم عليه فطريق
الجمع بينهما ان المذكور في هذه الآية في اوان مختوم عليها لشرفها ونفاستها وهي غير تلك الخمر التي في
الانهار خِتَامُهُ مِسْكٌ اي اخر طعمه ريح المسك اذا رفع الشارب فاه من اخر شرابه وجد ريحه كريح
المسك وقيل مختوم اوانيه من الاكواب والاباريق بمسك مكان الطين وكانه تمثيل لكمال نفاسته
وطيب رائحته والحاصل ان المختوم والختام اما ان يكون من ختام الشيء وهو اخره او من ختم الشيء وهو
جعل الخاتم عليه كما تختم الاشياء بالطين ونحوه وقال ابن مسعود الرحيق الخمر والمختوم يجدون عاقبتها طعم
المسك وعنه مختوم ممزوج ختامه مسك قال طعمه وريحه وقيل يمزج لهم بالكافور ويختم لهم
بالمسك وقال ابن عباس رحيق خمر ومختوم ختم بالمسك وعن ابن مسعود قال ليس بخاتم يختم به
ولكن خلطه مسك الم تر الى المرأة من نسائكم تقول خلطه من الطيب كذا وكذا وعن ابي الدرداء ختامه
مسك قال هو شراب ابيض مثل الفضة يختمون به اخر شرابهم لو ان رجلا من اهل الدنيا ادخل
اصبعه فيه ثم اخرجها لم يبق ذو روح الا وجد ريحها قرأ الجمهور ختامه وقرئ خاتمه بفتح التاء قال
علقمة اما رايت المرأة تقول للعطار اجعل خاتمه مسكا اي اخره والخاتم والختام يتقاربان في المعنى الا ان
الخاتم الاسم والختام المصدر كذا قال الفراء قال في الصحاح والختام الطين الذي يختم به وكذا قال ابن زيد
وَفِي ذَٰلِكَ الرحيق الموصوف بتلك الصفة فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ اي فليرغب الراغبون وقيل ان
في بمعنى الى اي والى ذلك فليتبادر المتبادرون في العمل كما في قوله لمثل هذا فليعمل العاملون واصل
التنافس التشاجر على الشيء والتنازع فيه بان يحب كل واحد ان ينفرد به دون صاحبه يقال نفست الشيء
عليه نفاسة اي ضننت به ولم احب ان يصير اليه قال البغوي اصله من الشيء النفيس الذي تحرص
عليه نفوس الناس فيريده كل واحد لنفسه وينفس به على غيره اي يضن به قال عطاء المعنى
فليستبق المستبقون وقال مقاتل بن سليمان فليتنازع المتنازعون وهذا لا يكون الا بالمسارعة

الى الخيرات والانتهاء عن السيئات وقال الزمخشري فليرتقب المرتقبون والمعنى في الجميع واحد
ومزاجه معطوف على ختامه مسك صفة اخرى لرحيق اي مزاج ذلك الرحيق من تسنيم وهو
شراب ينصب عليهم من علو وهو اشرف شراب الجنة واصل التسنيم في اللغة الارتفاع فهي عين
تجري من علو الى اسفل ومنه سنام البعير لعلوه من بدنه ومنه تسنيم القبور وقال ابن عباس تسنيم
اشرف شراب اهل الجنة وهو صرف للمقربين ويمزج لاصحاب اليمين وسائر اهل الجنة وقال ابن عباس لما
سئل عن هذا هذا مما قال الله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقال ابن مسعود عين في الجنة
تمزج لاصحاب اليمين ويشرب بها المقربون صرفا ثم بين سبحانه ذلك فقال عينا يشرب بها
المقربون انتصاب عينا على المدح وقال الزجاج على الحال وانما جاز ان يكون عينا حالا مع كونها
جامدة غير مشتقة لاتصافها بقوله يشرب بها وقال الاخفش انها منصوبة بيسقون وقال الفراء
بتسنيم والاول اولى وبه قال المبرد وقيل ان الباء في بها زائدة اي يشربها او بمعنى من اي يشرب منها
قال ابن زيد بلغنا انها عين تجري من تحت العرش ثم ذكر سبحانه بعض قبائح المشركين فقال ان الذين
اجرموا وهم كفار قريش كابي جهل والوليد بن المغيرة والعاصي بن وائل واصحابهم من اهل مكة
ومن وافقهم على الكفر حكى الله عنهم اربعة اشياء من العلامات القبيحة اولها كانوا من الذين
آمنوا كعمار وبلال وخباب وصهيب واصحابهم من فقراء المؤمنين يضحكون اي يستهزؤن بهم
في الدنيا ويسخرون منهم وآخرها قولهم ان هؤلاء لضالون وتقديم الجار والمجرور اما للقصر اشعارا
بغاية شناعة ما فعلوا او لمراعاة الفواصل واذا مروا بهم اي اذا مر المؤمنون بالكفار وهم في مجالسهم
يتغامزون من الغمز وهو الاشارة بالجفون والحواجب اي يغمز بعضهم بعضا ويشيرون باعينهم وحواجبهم
طعنا فيهم وعيبا لهم وقيل يعيرونهم بالاسلام ويعيبونهم به واذا انقلبوا اي اذا انقلب الكفار من مجالسهم
الى اهلهم انقلبوا فكهين اي معجبين بما هم فيه متلذذين به يتفكهون بذكر المؤمنين والطعن
فيهم والاستهزاء بهم والسخرية منهم والانقلاب الانصراف قرأ الجمهور فاكهين وقرئ فكهين بغير الف
قال الفراء هما لغتان مثل طمع وطامع وحذر وحاذر وقد تقدم بيانه في سورة الدخان ان الفكه
الاشر البطر والفاكه الناعم المتنعم واذا رأوهم اي اذا رأى الكفار المسلمين في اي مكان قالوا ان
هؤلاء لضالون في اتباعهم محمدا صلى الله عليه وسلم وتمسكهم بما جاء به وتركهم التنعم الحاضر يعني خدع محمد هؤلاء

فضلوا وتركوا اللذات لما يرجونه في الآخرة من الكرامات فقد تركوا الحقيقة بالخيال وهذا هو عين الضلال أو المعنى وإذا رأى المسلمون الكافرين قالوا هذا القول والأول أولى ﴿وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾ أي والحال أنهم لم يرسلوا على المسلمين من جهة الله موكلين بهم يحفظون عليهم أحوالهم وأعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم بل أمروا بإصلاح أنفسهم فاشتغالهم بذلك أولى بهم من تتبع عورات غيرهم وتسفيه أحلامهم وهذا تهكم بهم وإشعار بأن ما اجترؤا عليه من القول من وظائف الرسل من جهته تعالى ويجوز أن يكون ذلك من جملة قول المؤمنين كأنهم قالوا إن هؤلاء لضالون وما أرسلوا علينا حافظين إنكاراً لصدهم عن الشرك ودعائهم إلى الإسلام قاله أبو السعود والأول أولى وأظهر ﴿فَالْيَوْمَ﴾ أي يوم الآخرة ﴿الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ يعني أن المؤمنين في ذلك اليوم يضحكون من الكفار حين يرونهم أذلاء مغلوبين قد نزل بهم ما نزل من العذاب كما ضحك الكفار منهم في الدنيا ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ أي يضحكون منهم ناظرين إليهم وإلى ما هم فيه من الحال الفظيع والهوان والصغار بعد العزة والاستكبار وقد تقدم تفسير الأرائك قريباً قال الواحدي قال المفسرون إن أهل الجنة إذا أرادوا نظروا من منازلهم إلى أعداء الله وهم يعذبون في النار فضحكوا منهم كما ضحكوا منهم في الدنيا وقال أبو صالح يقال لأهل النار اخرجوا ويفتح لهم أبوابها فإذا رأوها قد فتحت أقبلوا إليها يريدون الخروج والمؤمنون ينظرون إليهم على الأرائك فإذا انتهوا إلى أبوابها أغلقت دونهم فذلك قوله فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون الخ وجملة ﴿هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ مستأنفة لبيان أنه قد وقع الجزاء للكفار بما كان يقع منهم في الدنيا من الضحك من المؤمنين والاستهزاء بهم والاستفهام للتقرير وثوب بمعنى أثيب والمعنى هل جوزي الكفار بما كانوا يفعلونه بالمؤمنين وقيل الجملة في محل نصب بينظرون وقيل هي على إضمار القول أي يقول بعض المؤمنين لبعض هل ثوب الكفار والثواب ما يرجع على العبد في مقابلة عمله ويطلق على الخير والشر قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي بإدغام لام هل في ثاء ثوب وقرأ الباقون بترك الإدغام

سورة الانشقاق هي ثلاث وعشرون آية وهي مكية

بالاختلاف قال ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله وعن أبي رافع قال صليت مع أبي هريرة العتمة

فقرأ اذا السماء انشقت فسجد فقلت له فقال سجدت خلف ابي القاسم صلى الله عليه وسلم فلا ازال اسجد فيها
حتى القاه اخرجه البخاري ومسلم وغيرهما واخرج مسلم واهل السنن وغيرهم عن ابي هريرة قال سجدنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في اذا السماء انشقت واقرأ باسم ربك الذي خلق وعن بريدة ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان يقرأ في الظهر اذا السماء انشقت ونحوها اخرجه ابن خزيمة والروياني في مسنده والضياء المقدسي في المختارة

بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ اي انصدعت وتفطرت فيه حذف والتقدير اذا انشقت السماء انشقت لان اذا
الشرطية تختص دخولها بالجمل الفعلية وما جاء من هذا ونحوه فمؤول محافظة على قاعدة الاختصاص
فالسماء فاعل لفعل محذوف قال الواحدي قال المفسرون انشقاقها من علامات القيامة ومعنى انشقاقها
انفطارها بالغمام الابيض كما في قوله ويوم تشقق السماء بالغمام وقيل تنشق من المجرة وبه قال علي بن
ابي طالب والمجرة باب السماء واهل الهيئة يقولون انها نجوم صغار مختلطة غير متميزة في الحس واختلف
في جواب اذا فقال الفراء انه اذنت والواو زائدة وكذلك القت قال ابن الانباري هذا غلط لان العرب
لا تقحم الواو الا مع حتى اذا كقوله حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها ومع لما كقوله فلما اسلما وتله للجبين
وناديناه ولا تقحم مع غير هذين وقيل ان الجواب قوله فملاقيه اي فانت ملاقيه وبه قال الاخفش
وقال المبرد ان في الكلام تقديما وتاخيرا اي يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه اذا
السماء انشقت وقال المبرد ايضا ان الجواب قوله فاما من اوتي كتابه وبه قال الكسائي والتقدير اذا السماء
انشقت فمن اوتي كتابه بيمينه فحكمه كذا وقيل هو يا ايها الانسان على اضمار الفاء او على اضمار القول
اي يقال له يا ايها الانسان وقيل الجواب محذوف تقديره بعثتم او لاقى كل انسان عمله وقيل هو ما صرح
به في سورة التكوير اي علمت نفس هذا على تقدير ان اذا شرطية وقيل ليست بشرطية وهي منصوبة
باذكر المحذوف وهي مبتدأ وخبرها اذا الثانية والواو مزيدة وتقديره وقت انشقاق السماء وقت مد
الارض ومعنى وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ انها اطاعته في الانشقاق ولم تأب ولم تمتنع مشتق من الاذن وهو
الاستماع للشيء والاصغاء اليه وحق لها ان تطيع وتنقاد وتسمع وقد استعمل الاذن في الاستماع في لسان
العرب وفي الحديث ما اذن الله لشيء اذنه لنبي يتغنى بالقرآن قال الشاعر * صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به *

وإن ذكرت بسوء عندها أذنت + وقال الجحاف بن حكيم ع اذنت لكم لما سمعت هديركم وفي المختار أذن لها استمع وبابه طرب وقيل المعنى وحقق الله عليها الاستماع لامره بالانشقاق اي جعلها حقيقة بذلك قال الضحاك حقت اطاعت وحق لها ان تطيع ربها لانه خلقها يقال فلان محقوق بكذا او معنى طاعتها انها لا تمتنع مما اراده الله بها قال قتادة حق لها ان تفعل ذلك ومن هذا قول كثير ع فان تكن العتبى فاهلا ومرحبا + وحقت لها العتبى لدينا وقلت وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ اي بسطت كما تبسط الادم ودكت جبالها وكل امت فيها حتى صارت قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا قال مقاتل سويت كمد الاديم فلا يبقى عليها بناء ولا جبل الا دخل فيها وقيل مدت زيد في سعتها من المدد وهو الزيادة قال ابن عباس تمد يوم القيامة واخرج الحاكم قال السيوطي بسند جيد عن جابر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم تمد الارض يوم القيامة مد الاديم ثم لا يكون لابن ادم فيها الا موضع قدميه وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا اي خرجت ما فيها من الاموات والكنوز وطرحتهم الى ظهرها ورمت وَتَخَلَّتْ من ذلك قال ابن عباس اخرجت ما فيها من الموتى وتخلت ممن على ظهرها من الاحياء ومثل هذا قوله واخرجت الارض اثقالها والمعنى تخلت غاية الخلو لم يبق شيء في باطنها كانها تكلفت اقصى جهدها في الخلو يقال تكرم الكريم اذا ابلغ جهده في الكرم وتكلف فوق ما في طبعه وذلك يؤذن بعظم الامر وقيل ألقت ما استودعته وتخلت مما استحفظته ووصف الارض بالالقاء والتخلية توسعا والا فالتحقيق ان المخرج لتلك الاشياء هو الله تعالى وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا اي سمعت واجابت واطاعت لما امرها به من الالقاء والتخلي وقال ابن عباس سمعت حين كلمها وعنه قال اطاعت وحقت بالطاعة وعنه قال سمعت واطاعت وَحُقَّتْ اي وجعلت حقيقة بالاستماع لذلك والانقياد له اذ هي مصنوعة مربوبة لله تعالى وقد تقدم بيان معنى الفعلين قبل هذا وليس تكرارا لان الاول في السماء وهذا في الارض وتكريرا لاستقلال كل من الجملتين بنوع من القدرة يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ المراد جنس الانسان فيشمل المؤمن والكافر وقيل هو الانسان الكافر والاول اولى لما سيأتي من التفصيل إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا الكدح في كلام العرب السعي في الشيء بجهد من غير فرق بين ان يكون ذلك الشيء خيرا او شرا والمعنى انك ساع الى ربك في عملك او الى لقاء ربك ماخوذ من كدح جلده اذا خدشه قال قتادة والضحاك والكلبي عامل لربك عملا وفي المختار الكدح العمل

والسعي والكد والكسب وهو الخدش ايضا وباب الكل قطع فملاقيه اي فملاق عملك وبه قال ابن عباس والمعنى انه لا محالة ملاق لجزاء عمله وما يترتب عليه من الثواب والعقاب قال الشهاب اي ملاق كدحه بنفسه من غير تقدير لوجوده في صحفه وعلى هذا فما بعده تفصيل له قال القتيبي معنى الآية انك كادح اي عامل ناصب في معيشتك الى لقاء ربك لا مفر الا منه والملاقاة بمعنى اللقاء اي تلقى ربك بعملك وقيل فملاق كتاب عملك لان العمل قد انقضى فاما من اوتي كتابه اي كتاب عمله بيمينه وهم المؤمنون فسوف يحاسب حسابا يسيرا سهلا هينا لا مناقشة فيه قال مقاتل لانها تغفر ذنوبه ولا يحاسب عليها وقال المفسرون هو ان تعرض عليه سيئاته ثم يغفرها الله فهو الحساب اليسير وعن عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس احد يحاسب الا هلك فقلت اليس يقول الله فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال ليس ذلك بالحساب ولكن ذلك العرض ومن نوقش الحساب هلك اخرجه البخاري ومسلم وغيرهما وعنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في بعض صلاته اللهم حاسبني حسابا يسيرا فلما انصرف قلت يا رسول الله ما الحساب اليسير قال ان ينظر في كتابه فيتجاوز له عنه انه من نوقش الحساب هلك اخرجه احمد وعبد بن حميد وابن جرير والحاكم وصححه وابن مردويه وفي بعض الفاظ الحديث الاول وهذا الحديث عذب مكان هلك وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث من كن فيه يحاسبه الله حسابا يسيرا ويدخله الجنة برحمته تعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك اخرجه البزار والطبراني في الاوسط والبيهقي والحاكم وينقلب اي يرجع وينصرف بنفسه بعد الحساب اليسير من غير مزعج برغبة وهو الى اهله الذين اهل بهم في الجنة من عشيرته او الى اهله الذين كانوا له في الدنيا من الزوجات والاولاد وقد سبقوه الى الجنة او الى من اعده الله له في الجنة من الحور العين والولدان المخلدين او الى جميع هؤلاء مسرورا مبتهجا فرحا بما اوتي من الخير والكرامة واما من اوتي كتابه بشماله وراء ظهره قال الكلبي لان يمينه مغلولة الى عنقه ويكون يده اليسرى خلفه وقال قتادة ومقاتل تفك الواح صدره وعظامه ثم تدخل يده وتخرج من ظهره فياخذ كتابه كذلك فسوف يدعو ثبورا اي ينادي هلاكه ويتمنى فان نداء ما لا يعقل يراد به التمني فالدعاء بمعنى الطلب بالنداء والمعنى لما قرا كتابه قال يا ويلاه يا ثبوراه والثبور الهلاك وقال ابن عباس ثبورا الويل

ويصلى سعيرًا اي يدخلها ويقاسي حرنارها وشدتها قرأ ابو عمرو وحمزة وعاصم ويصلى بفتح الياء وسكون الصاد وتخفيف اللام وقرأ الباقون بضم الياء وفتح اللام وتشديد يدها وقرئ بضم الياء واسكان الصاد من اصلى يصلى انه كان في اهله اي عشيرته في الدنيا مسرورًا باتباع هواه وركوب شهوته بطرا اشرا لعدم خطور الآخرة بباله اي كان لنفسه متابعا وفي مراتع هواه راتعا والجملة تعليل لما قبلها انه ظن اي علم وتيقن ان لن يحور تعليل لكونه كان في الدنيا بين اهله مسرورا والمعنى ان سبب ذلك السرور ظنه بانه لا يرجع الى الله ولا يبعث للحساب والعقاب لتكذيبه بالبعث وجحده للدار الآخرة وان هي المخففة من الثقيلة سادة مع ما في حيزها مسد مفعولي ظن والحور في اللغة الرجوع يقال حار يحور اذا رجع وقال الراغب الحور التردد في الامر ومحاورة الكلام مراجعته والمحار المرجع والمصير قال عكرمة وداود بن ابي هند يحور كلمة بالحبشية ومعناها يرجع قال القرطبي الحور في كلام العرب الرجوع ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اني اعوذ بك من الحور بعد الكور يعني من الرجوع الى النقصان بعد الزيادة وكذلك الحور بالضم وفي المثل حور في محار اي نقصان في نقصان والحور ايضا الهلكة قال ابن عباس يحور يبعث ويرجع بلى ان ربه كان به بصيرا اي كان به وباعماله عالما لا يخفى عليه منها خافية وبلى ايجاب للمنفي بلن اي بلى ليحورن وليبعثن وان ربه جواب قسم مقدر فالجملة بمنزلة التعليل لما افادته بلى قال الزجاج كان به بصيرا قبل ان يخلقه عالما بان مرجعه اليه فلا اقسم بالشفق لا زائدة كما تقدم في امثال هذه العبارة وقد قدمنا الخلاف فيها في سورة القيامة فارجع اليه اقسم بمخلوقاته تشريفا لها وتعريضا للاعتبار بها والشفق الحمرة التي تكون بعد غروب الشمس الى وقت صلوة العشاء الآخرة قال الواحدي هذا قول المفسرين واهل اللغة جميعا قال الفراء سمعت بعض العرب يقول عليه ثوب مصبوغ كانه الشفق وكان احمر وحكاه القرطبي عن اكثر الصحابة والتابعين والفقهاء وقال اسد بن عمرو وابو حنيفة رح في احدى الروايتين عنه انه البياض ولا وجه لهذا القول ولا متمسك له لا من لغة العرب ولا من الشرع قال الخليل الشفق الحمرة من غروب الشمس الى وقت العشاء الآخرة قال في الصحاح الشفق بقية ضوء الشمس وحمرتها في اول الليل الى قريب العتمة وكتب اللغة والشرع مطبقة على هذا وقال مجاهد الشفق النهار كله الا تراه قال والليل وما وسق وقال عكرمة هو ما بقي من النهار وانما قال الا هذا لقرانه بعده والليل وما وسق فكانه

تعالى اقسم بالضياء والظلام ولا وجه لهذا على انه قد روي عن عكرمة انه قال الشفق الذي يكون
بين المغرب والعشاء وروي عن اسد بن عمر الرجوع وعن عمر بن الخطاب قال الشفق الحمرة وعن ابن
عباس نحوه وعن ابي هريرة الشفق النهار كله وقال الراغب الشفق اختلاط ضوء النهار بسواد الليل
عند غروب الشمس وقال الزمخشري الشفق الحمرة التي ترى في المغرب بعد سقوط الشمس وبسقوطه يخرج
وقت المغرب ويدخل وقت العتمة عند عامة العلماء الا ما روي عن ابي حنيفة في احدى الروايتين
انه البياض وروى اسد بن عمرو انه رجع عنه انتهى وسمي شفقا لرقته ومنه الشفقة على الانسان
وهي رقة القلب عليه ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ اي جمع ما دخل عليه من الدواب وغيرها والوسق عند اهل
اللغة ضم الشيء بعضه الى بعض يقال استوسقت الابل اذا اجتمعت وانضمت والراعي يسقها اي يجمعها
قال الواحدي المفسرون يقولون وما جمع وضم وحوى ولف والمعنى انه جمع وضم ما كان منتشرا بالنهار
في تصرفه وذلك ان الليل اذا اقبل اوى كل شيء الى ماواه وقال عكرمة وما وسق اي وما ساق من شيء الى
حيث ياوي فجعله من السوق لا من الجمع وقيل وما وسق اي وما جن وما ستر وقيل وما حمل وكل شيء حملته فقد وسقته والعرب تقول لا احمله ما وسقت عيني الماء اي حملته ووسقت الناقة
تسق وسقا اي حملت قال قتادة والضحاك ومقاتل بن سليمان وما وسق وما حمل من الظلمة او حمل
من الكواكب قال القشيري ومعنى حمل ضم وجمع والليل يحمل بظلمته كل شيء وقال سعيد بن جبير
وما وسق اي وما عمل فيه من التهجد والاستغفار بالاسحار والاول اولى قال ابن عباس ما وسق ما دخل
فيه وعنه ما جمع ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ اي اجتمع وتكامل قال الفراء اتساقه امتلاؤه واجتماعه واستواؤه
ليلة ثالث عشرة ورابع عشرة الى ست عشرة وهو افتعل من الوسق الذي هو الجمع قال الحسن اتسق امتلا
واجتمع وقال قتادة استدار يقال وسقته فاتسق كما يقال وصلته فاتصل ويقال امر فلان متسق اي مجتمع
منتظم ويقال اتسق الشيء اذا تتابع قال ابن عباس اتسق استوى وعنه قال ليلة ثلث عشرة ﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾ ايها
الناس ﴿طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ حالا بعد حال هذا جواب القسم ومحل عن طبق النصب على انه صفة لطبقا اي طبقا مجاوزا
لطبق او على الحال من ضمير لتركبن اي مجاوزين او مجاوزا قرئ بفتح الموحدة على انه خطاب للواحد
وهو النبي صلى الله عليه وسلم او لكل من يصلح له وقرئ بضم الموحدة خطابا بالجمع وهم الناس قال الشعبي ومجاهد
لتركبن يا محمد سماء بعد سماء وقال الكلبي يعني تصعد فيها وهذا على القراءة الاولى وقيل درجة بعد درجة

ورتبة بعد رتبة في القرب من الله ورفعة المنزلة وقيل المعنى لتركبن حالا بعد حال كل حال منها مطابقة لاختها في الشدة وقيل المعنى لتركبن ايها الانسان حالا بعد حال من كونك نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم حيا وميتا وغنيا وفقيرا فالخطاب للانسان المذكور في قوله يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا واختار ابو حاتم وابو عبيد القراءة الثانية قالا لان المعنى بالناس اشبه منه بالنبي صلى الله عليه وسلم وقرأ عمر رضي الله عنه ليركبن بالتحتية وضم الموحدة على الاخبار وروي عنه وعن ابن عباس انهما قرءا بالفوقية وفتح الموحدة اي لتركبن الانسان وروي عن ابن مسعود وابن عباس انهما قرءا بكسر حرف المضارعة وهي لغة وقرئ بفتح حرف المضارعة وكسر الموحدة على انه خطاب للنفس وقيل ان معنى الاية لتركبن القمر احوالا من سرار واستهلال وهو بعيد قال مقاتل طبقا عن طبق يعني الموت والحياة وقال عكرمة رضيع ثم فطيم ثم غلام ثم شاب ثم شيخ وعن ابن مسعود قال يعني السماء تنفطر ثم تنشق ثم تحمر وعنه قال السماء تكون كالمهل وتكون وردة كالدهان وتكون واهية وتنشق فتكون حالا بعد حال وقيل يعني الشدائد واهوال الموت ثم البعث ثم العرض وقيل لتركبن سنن من كان قبلكم كما ورد في الحديث الصحيح فما لهم لا يؤمنون الاستفهام للانكار والفاء لترتيب ما بعدها من الانكار والتعجيب على ما قبلها من احوال يوم القيامة الموجبة للايمان والسجود او من غيرها على الاختلاف السابق والمعنى اي شيء للكفار لا يؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من القران مع وجود موجبات الايمان بذلك من التغيرات العلوية والسفلية الدالة على خالق عظيم القدرة واذا قرئ عليهم القران لا يسجدون الجملة في محل نصب على الحال اي اي مانع لهم حال عدم سجودهم وخضوعهم عند قراءة القران قال الحسن وعطاء والكلبي ومقاتل ما لهم لا يصلون وقال ابو مسلم المراد الخضوع والاستكانة وقيل المراد نفس السجود المعروف بسجود التلاوة وقد وقع الخلاف هل هذا الموضع من مواضع السجود عند التلاوة ام لا وقد تقدم في فاتحة هذه السورة الدليل على السجود وهذه السجدة اخر سجدات القران عند الشافعي ومن وافقه بل الذين كفروا يكذبون اي بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من الكتاب المشتمل على اثبات التوحيد والبعث والثواب والعقاب والله اعلم بما يوعون اي بما يضمرونه في انفسهم من التكذيب وقال مقاتل بما يكتمون من افعالهم وقال ابن زيد يجمعون من الاعمال الصالحة والسيئة مأخوذ من الوعاء الذي يجمع فيه ويقال وعاه حفظه ووعيت الحديث اعيه وعيا ومنه اذن واعية وقال ابن عباس يوعون يسرون



فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ اي اخبرهم خبرا يظهر اثره على بشرتهم وجعل ذلك بمنزلة البشارة لهم لان علمه سبحانه بذلك على الوجه المذكور موجب لتعذيبهم والاليم المولم الموجع والكلام خارج مخرج التهكم بهم إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ الاستثناء منقطع لان الموصول مبتدأ والجملة خبره و الاستثناء من قبيل المفردات اي لكن الذين جمعوا بين الايمان بالله والعمل الصالح لَهُمْ أَجْرٌ عند الله غَيْرُ مَمْنُونٍ اي غير مقطوع ولا منقوص يقال مننت الحبل اذا قطعته قال المبرد المنين الغبار لانه يقطعه وراءها وكل ضعيف منين وممنون وقيل المعنى انه لا يمن عليهم به وقيل متصل وليس بذاك لان الضمير راجع الى الذين كفروا والذين كفروا قد وضع موضع المظهر للاشعار بانهم لا يؤمنون ولا يسجدون عند قراءة القران عليهم لانهم كافرون مكذبون قال ابو السعود استثناء مفرد لما افاده الاستثناء من انتفاء العذاب عنهم ومبين لكيفيته ومقارنته الثواب العظيم لهم

سورة البروج هي اثنتان وعشرون اية وهي مكية

بلا خلاف قال ابن عباس نزلت بمكة وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في العشاء الآخرة بالسماء ذات البروج والسماء والطارق اخرجه احمد وعن جابر بن سمرة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الظهر والعصر بالسماء والطارق والسماء ذات البروج اخرجه احمد والدارمي وابو داود والترمذي وحسنه والنسائي وغيرهم

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ قد تقدم الكلام في البروج عند قوله هو الذي جعل في السماء بروجا قال الحسن ومجاهد وقتادة والضحاك هي النجوم والسماء ذات النجوم وقال عكرمة ومجاهد ايضا هي قصور في السماء وبه قال ابن عباس وقال المنهال بن عمرو ذات الخلق الحسن وقال ابو عبيدة ويحيى بن سلام وغيرهما هي المنازل للكواكب وهي اثنا عشر برجا لاثني عشر كوكبا وهي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت وهي منازل الكواكب السبعة السيارة المريخ وله الحمل والعقرب والزهرة ولها الثور والميزان وعطارد وله الجوزاء والسنبلة والقمر وله السرطان والشمس ولها الاسد والمشتري وله القوس والحوت وزحل وله الجدي والدلو

والبروج في كلام العرب القصور ومنه قوله ولو كنتم في بروج مشيدة شبهت منازل هذه النجوم
بالقصور لكونها تنزل فيها وقيل هي ابواب السماء وقيل هي منازل القمر واصل البرج الظهور سميت بذلك
لظهورها وعن جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن السماء ذات البروج فقال الكواكب
وسئل عن قوله جعل في السماء بروجا قال الكواكب وعن قوله في بروج مشيدة قال القصور اخرجه
ابن مردويه ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ اي الموعود به وهو يوم القيامة قال الواحدي في قول جميع المفسرين
وبه قال ابن عباس ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ نكرهما دون بقية ما اقسم به لاختصاصهما من بين
الايام بفضيلة ليست لغيرهما فلم يجمع بينهما وبين البقية بلام الجنس وهذا جواب ايضا عما
يقال لم خصصهما بالذكر دون بقية الايام وانما لم يعرفا بلام العهد لان التنكير ادل على التفخيم
والتعظيم بدليل قوله تعالى والحكم الله واحد والمراد بالشاهد من يشهد في ذلك اليوم من الخلائق
اي يحضر فيه والمراد بالمشهود ما يشاهد في ذلك اليوم من العجائب ثم ذهب جماعة من الصحابة
والتابعين الى ان الشاهد يوم الجمعة وانه يشهد على كل عامل بما عمل فيه والمشهود يوم عرفة
لانه يشهد الناس فيه موسم الحج وتحضره الملائكة قال الواحدي وهذا قول الاكثر قال ابن عباس
الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة وهو الحج الاكبر فيوم الجمعة جعله الله عيدا لمحمد صلى الله عليه وسلم
وامته وفضله بها على الخلق اجمعين وهو سيد الايام عند الله واحب الاعمال فيه الى الله وفيه ساعة
لا يوافقها عبد مسلم يصلي يسأل الله فيها خيرا الا اعطاه اياه اخرجه ابن مردويه وحكى
القشيري عن ابن عمر وابن الزبير ان الشاهد يوم الاضحى وقال سعيد بن المسيب الشاهد يوم التروية
والمشهود يوم عرفة وقال النخعي الشاهد يوم عرفة والمشهود يوم النحر وقيل الشاهد هو الله سبحانه
وبه قال الحسن وسعيد بن جبير لقوله وكفى بالله شهيدا وقوله قل اي شيء اكبر شهادة قل الله شهيد
بيني وبينكم وقيل الشاهد محمد صلى الله عليه وسلم لقوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك
على هؤلاء شهيدا وقوله يا ايها الرسول انا ارسلناك شاهدا وقوله ويكون الرسول عليكم شهيدا
وقيل الشاهد جميع الانبياء لقوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وقيل هو عيسى بن مريم لقوله
وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم والمشهود على هذه الاقوال الثلاثة اما امة محمد صلى الله عليه وسلم او امم الانبياء
او امة عيسى وقيل الشاهد آدم والمشهود ذريته وقال محمد بن كعب الشاهد الانسان لقوله كفى

بنفسك اليوم عليك حسيبا وقال مقاتل اعضاؤهم لقوله يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم وقال الحسين بن الفضل الشاهد هذه الامة والمشهود سائر الامم لقوله وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس وقيل الشاهد الحفظة والمشهود بنوآدم وقيل الايام والليالي وقيل الشاهد الخلق يشهدون لله عزوجل بالوحدانية والمشهود له بالوحدانية هو الله سبحانه وسيأتي بيان ما هو الحق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم الموعود يوم القيامة واليوم المشهود يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة وما طلعت الشمس ولا غربت على يوم افضل منه فيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يدعو الله بخير الا استجاب الله له ولا يستعيذ من شيء الا اعاذه منه اخرجه الترمذي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم وابن مردويه والبيهقي في سننه وعن ابي هريرة رفعه قال الشاهد يوم عرفة ويوم الجمعة والمشهود هو الموعود يوم القيامة اخرجه الحاكم وصححه والبيهقي وابن مردويه وعن علي بن ابي طالب اليوم الموعود يوم القيامة والمشهود يوم النحر والشاهد يوم الجمعة وعن ابي مالك الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم الموعود يوم القيامة والشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة اخرجه ابن جرير والطبراني وابن مردويه وعن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الآية الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة اخرجه ابن عساكر وابن مردويه وعن ابي هريرة مثله موقوفا وعن سعيد بن المسيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سيد الايام يوم الجمعة وهو الشاهد والمشهود يوم عرفة وهذا مرسل من مراسيله اخرجه سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن مردويه وعن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثروا من الصلوة علي يوم الجمعة فانه يوم مشهود تشهده الملائكة اخرجه ابن ماجة والطبراني وابن جرير وعن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه قال في الآية الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة وعن الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما ان رجلا سأله عن قوله وشاهد ومشهود قال هل سألت احدا قبلي قال نعم سألت ابن عمر وابن الزبير فقالا يوم الذبح ويوم الجمعة قال لا ولكن الشاهد محمد صلى الله عليه وسلم ثم قرأ وجئنا بك على هؤلاء شهيدا والمشهود يوم القيامة ثم قرأ ذلك يوم مشهود وعن الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما في الآية قال الشاهد جدي رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشهود يوم القيامة ثم تلى انا ارسلناك شاهدا ذلك يوم مشهود وعن ابن عباس

قال اليوم الموعود يوم القيامة والشاهد محمد صلى الله عليه وسلم والمشهود يوم القيامة ثم تلا ذلك يوم
مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وعنه قال الشاهد الله والمشهود يوم القيامة قلت وهذه التفاسير
عن الصحابة رضي الله عنهم قد اختلفت كما ترى وكذلك اختلفت تفاسير التابعين بعدهم و
استدل من استدل منهم بآيات ذكر الله فيها ان ذلك الشيء شاهد او مشهود فجعله دليلا على انه المراد
بالشاهد والمشهود في هذه الآية المطلقة وليس ذلك بدليل يستدل به على ان الشاهد والمشهود
المذكورين في هذا المقام هو ذلك الشاهد والمشهود الذي ذكر في آية اخرى والا لزم ان يكون
قوله هنا وشاهد ومشهود هو جميع ما اطلق عليه في الكتاب العزيز او السنة المطهرة انه يشهد او انه
مشهود وليس بعض ما استدلوا به مع اختلافه باولى من بعض ولم يقل قائل بذلك فان قلت
هل في المرفوع الذي ذكرته من حديثي ابي هريرة وحديث ابي مالك الاشعري وحديث جبير بن مطعم
ومرسل سعيد بن المسيب ما يعين هذا اليوم الموعود والشاهد والمشهود قلت اما اليوم الموعود فلم
تختلف هذه الروايات التي ذكرتها بل اتفقت على انه يوم القيامة واما الشاهد ففي حديث ابي هريرة
الاول انه يوم الجمعة وفي حديثه الثاني انه يوم عرفة ويوم الجمعة وفي حديث الاشعري انه يوم الجمعة
وفي حديث جبير انه يوم الجمعة وفي مرسل سعيد انه يوم الجمعة فاتفقت هذه الاحاديث عليه ولا تضر زيادة يوم عرفة عليه في
حديث ابي هريرة الثاني واما المشهود ففي حديث ابي هريرة الاول انه يوم عرفة وفي حديثه الثاني
انه يوم القيامة وفي حديث ابي مالك انه يوم عرفة وفي حديث جبير انه يوم عرفة وكذا في
حديث سعيد فقد تعين في هذه الروايات انه يوم عرفة وهي ارجح من تلك الرواية التي صرح
فيها بانه يوم القيامة فحصل من مجموع هذا رجحان ما ذهب اليه الجمهور من الصحابة والتابعين ومن
بعدهم ان الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة واما اليوم الموعود فقد قدمنا انه وقع الاجماع
على انه يوم القيامة ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾ هذا جواب القسم واللام فيه مضمرة وهو الظاهر
وبه قال الفراء وغيره وقيل تقديره لقد قتل فحذفت اللام وقد وعلى هذا تكون الجملة خبرية
والظاهر انها دعائية لان معنى قتل لعن قال الواحدي في قول الجميع والدعائية لا تكون جوابا
للقسم فقيل الجواب قوله ان الذين فتنوا المؤمنين وقيل قوله ان بطش ربك لشديد وبه قال
المبرد واعترض عليه بطول الفصل وقيل هو مقدر يدل عليه قوله قتل اصحاب الاخدود و

كانه قال اقسم بهذه الاشياء ان كفار قريش ملعونون كما لعن اصحاب الاخدود فان السورة وردت
لتثبيت المؤمنين على اذاهم وتذكيرهم بما جرى على من قبلهم وقيل تقدير الجواب ان الامر
حق في الجزاء وقيل تقدير الجواب لتبعثن واختاره ابن الانباري وقال ابو حاتم السجستاني وابن الانباري
ايضا في الكلام تقديم وتاخير اي قتل اصحاب الاخدود والسماء ذات البروج واعترض عليه
بانه لا يجوز ان يقال والله قام زيد وعن ابن مسعود قال والسماء ذات البروج الى قوله شاهد و
مشهود هذا قسم على ان بطش ربك لشديد الى اخرها والاخدود جمع خد وهو الشق العظيم
المستطيل في الارض كالخندق وجمعه اخاديد ومنه الخد لمجاري الدموع والمخدة لان الخد يوضع
عليها ويقال تخدد وجه الرجل اذا صارت فيه اخاديد من جراح اخرج عبد الرزاق وابن ابي شيبة
واحمد وعبد بن حميد ومسلم والترمذي والنسائي والطبراني عن صهيب ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال كان ملك من الملوك فيمن كان قبلكم وكان لذلك الملك كاهن يكهن له فقال له
ذلك الكاهن انظروا لي غلاما فهما او قال فطنا لقنا فاعلمه علمي فاني اخاف ان اموت فينقطع
منكم هذا العلم ولا يكون فيكم من يعلمه قال فنظروا له على ما وصف فامروه ان يحضر ذلك
الكاهن وان يختلف اليه فجعل الغلام يختلف اليه وكان على طريق الغلام راهب في صومعة
فجعل الغلام يسأل ذلك الراهب كلما مر به فلم يزل به حتى اخبره فقال انما اعبد الله فجعل
الغلام يمكث عند هذا الراهب ويبطي على الكاهن فارسل الكاهن الى اهل الغلام انه لا يكاد
يحضرني فاخبر الغلام الراهب بذلك فقال له الراهب اذا قال لك اين كنت فقل عند اهلي
واذا قال لك اهلك اين كنت فاخبرهم اني كنت عند الكاهن فبينما الغلام على ذلك اذ مر بجماعة من الناس كثير
قد حبستهم دابة يقال انها كانت اسدا فاخذ الغلام حجرا فقال اللهم ان كان ما يقول ذلك
الراهب حقا فاسألك ان اقتل هذه الدابة وان كان ما يقول الكاهن حقا فاسألك ان لا اقتلها
ثم رمى فقتل الدابة فقال الناس من قتلها قالوا الغلام ففزع الناس وقالوا قد علم هذا الغلام علما
لم يعلمه احد فسمع اعمى فجاءه فقال له ان انت رددت علي بصري فلك كذا وكذا فقال الغلام لا اريد
منك هذا ولكن ارايت ان رجع عليك بصرك اتؤمن بالذي رده عليك قال نعم فدعى الله فرد
عليه بصره فامن الاعمى فبلغ الملك امرهم فبعث اليهم فاتي بهم فقال لاقتلن كل واحد منكم

قتلة لا اقتل بها صاحبه فامر بالراهب والرجل الذي كان اعمى فوضع المنشار على مفرق احدهما
فقتله وقتل الآخر بقتلة اخرى ثم امر بالغلام فقال انطلقوا به الى جبل كذا وكذا فالقوه من راسه
فانطلقوا به الى ذلك الجبل فلما انتهوا الى ذلك المكان الذي ارادوا ان يلقوه منه جعلوا يتهافتون من
ذلك الجبل ويتردون حتى لم يبق منهم الا الغلام ثم رجع الغلام فامر به الملك ان ينطلقوا به الى البحر
فيلقوه فيه فانطلقوا به الى البحر فغرق الله الذين كانوا معه وانجاه فقال الغلام للملك انك لن تقتلني
حتى تصلبني وترميني وتقول اذا رميتني بسم الله رب الغلام فامر به فصلب ثم رماه وقال بسم الله رب الغلام
فوقع السهم في صدغه فوضع الغلام يده على موضع السهم ثم مات فقال الناس لقد علم هذا الغلام علما
ما علمه احد فانا نؤمن برب هذا الغلام فقيل للملك اجزعت ان خالفك ثلاثة فهذا العالم كلهم
قد خالفوك قال فخد اخدودا ثم القى فيها الحطب والنار ثم جمع الناس فقال من رجع عن دينه تركناه ومن
لم يرجع القيناه في هذه النار فجعل يلقيهم في تلك الاخدود فقال يقول الله قتل اصحاب الاخدود
النار ذات الوقود حتى بلغ العزيز الحميد فاما الغلام فانه دفن ثم اخرج فيذكر انه خرج في زمن
عمر بن الخطاب واصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل ولهذه القصة الفاظ فيها بعض اختلاف
وقد رواها مسلم في اواخر الصحيح عن هدبة بن خالد عن حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن
بن ابي ليلى عن صهيب واخرجها احمد من طريق عفان عن حماد به واخرجها النسائي عن احمد بن سليمان
عن حماد بن سلمة به واخرجها الترمذي عن محمود بن غيلان وعبد بن حميد عن عبد الرزاق عن معمر عن
عن ثابت به وعن علي بن ابي طالب في قوله اصحاب الاخدود قال هم الحبشة اخرجه ابن المنذر وابن ابي حاتم
وعن ابن عباس قال هم ناس من بني اسرائيل خدوا اخدودا في الارض اوقدوا فيه نارا ثم اقاموا
على ذلك الاخدود رجالا ونساء فعرضوا عليها اخرجه ابن جرير وقال مقاتل كانت الاخاديد
ثلاثة واحدة بنجران باليمن واخرى بالشام واخرى بفارس حرق اصحابها بالنار فاما التي بالشام
فهو ابطاموس الرومي واما التي بفارس فبخت نصر ويزعمون انهم اصحاب دانيال واما التي باليمن
فذو نواس فاما التي بالشام وفارس فلم ينزل الله فيهم قرآنا وانزل في التي بنجران اليمن وذلك لان
هذه القصة كانت مشهورة عند اهل مكة فذكرها الله تعالى لاصحاب رسوله يحملهم بذلك على الصبر
وتحمل المكاره في الدين النار ذات الوقود قرأ الجمهور النار بالجر على انها بدل اشتمال من الاخدود لان الاخدود

مشتمل عليها او ح فلابد فيه من ضمير مقدر اي النار فيه ﴿ذَاتِ الْوَقُودِ﴾ وصف لها بانها نار عظيمة
والوقود الحطب الذي توقد به وقيل هو بدل كل من كل وقيل ان النار مخفوضة على الجوار حكاه
مكي عن الكوفيين قرأ الجمهور بفتح الواو من الوقود وقرئ بضمها وبرفع النار على انها خبر مبتدأ محذوف
اي هي النار او على انها فاعل فعل محذوف اي احرقتهم النار ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾ العامل في الظرف قتل
اي لعنوا حين احرقوا بالنار قاعدين على ما يدنو منها ويقرب اليها قال مقاتل يعني عند النار
قعود يعرضونهم على الكفر وقال مجاهد كانوا قعودا على الكراسي عند الاخدود وقال زاده عبر عن القعود
على حافة النار بالقعود على نفس النار للدلالة على انهم حال قعودهم على شفيرها مستولون عليها يقذفون
فيها من شاؤه ويخلون سبيل من شاؤه ﴿وَهُمْ﴾ اي الذين خدوا الاخدود وهم الملك واصحابه
﴿عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ بالله تعالى من عرضهم على النار ليرجعوا الى دينهم ﴿شُهُودٌ﴾ اي حضور
او يشهد بعضهم لبعض عند الملك بانه لم يقصر فيما امر به وقيل يشهدون بما فعلوا يوم القيامة
ثم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم وقيل على بمعنى مع والتقدير وهم مع ما يفعلون بالمؤمنين
من الاحراق شهود لا يرقون لهم لغاية قسوة قلوبهم هذا هو الذي يستدعيه النظم وتنطق به
الروايات المشهورة قال الزجاج اعلم الله قصة قوم بلغت بصيرتهم وحقيقة ايمانهم الى ان صبروا على
ان يحرقوا بالنار في الله وفيه حث للمؤمنين على الصبر وتحمل اذى اهل الكفر والعناد روي ان الله
انجى المؤمنين الملقين في النار وكانوا سبعة وسبعين بقبض ارواحهم قبل وقوعهم فيها وخرجت
النار الى من ثم فاحرقتهم وهؤلاء لم يرجعوا عن دينهم والذين رجعوا عشرة او احد عشر ولم يرد نص
بتعيين عدد اصحاب الاخدود ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ﴾ قرأ الجمهور نقموا بفتح النون وقرئ بكسرها والفصيح الفتح
في المختار نقم الامر كرهه وبابه ضرب ونقم من باب فهم لغة اي ما انكروا عليهم ولا عابوا منهم ﴿إِلَّا أَن
يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ اي الا ان صدقوا بالله الغالب المحمود في كل حال قال الزجاج ما انكروا
عليهم ذنبا الا ايمانهم وهذا كقوله هل تنقمون منا الا ان آمنا بآيات ربنا وهذا من تاكيد المدح
بما يشبه الذم كما في قوله ∴ لا عيب فيهم سوى ان النزيل بهم + يسلو عن الاهل والاوطان والحشم +
وقول الآخر ∴ ولا عيب فيه غير شكلة عينها + كذاك عتاق الطير شكلا عيونها + وقول الآخر
∴ ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم + بهن فلول من قراع الكتائب + ثم وصف سبحانه بما يدل على العظم

والفخامة فقال الذي له ملك السموات والأرض ومن كان هذا شأنه فهو حقيق بأن يؤمن به
ويوحد والله على كل شيء شهيد من فعلهم بالمؤمنين لا يخفى عليه منه خافية وفي هذا وعيد
شديد لأصحاب الأخدود ووعد خير لمن عذبوه على دينه من أولئك المؤمنين ثم بين سبحانه ما أعد
لأولئك الذين فعلوا بالمؤمنين ما فعلوا من التحريق فقال إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات أي
حرقوهم بالنار والعرب تقول فتنت الشيء أي أحرقته وفتنت الدرهم والدينار إذا أدخلته النار
لتنظر جودته ويقال دينار مفتون ويسمى الصائغ الفتان ومنه قوله يوم هم على النار يفتنون أي يحرقون
وقيل معنى فتنوا المؤمنين محنوهم في دينهم ليرجعوا عنه قال الرازي ويحتمل أن يكون المراد كل من فعل
ذلك قال وهذا أولى لأن اللفظ عام والحكم بالتخصيص ترك الظاهر من غير دليل ثم لم يتوبوا من قبيح
صنعهم ولم يرجعوا عن كفرهم وفتنتهم فلهم في الآخرة عذاب جهنم بسبب كفرهم ولهم عذاب
زائد على عذاب كفرهم وهو عذاب الحريق الذي وقع منهم للمؤمنين وقيل إن الحريق اسم من
أسماء النار كالسعير وقيل إنهم يعذبون في جهنم بالزمهرير ثم يعذبون بعذاب الحريق فالأول عذاب
بردها والثاني عذاب حرها وقال الربيع بن أنس إن عذاب الحريق أصيبوا به في الدنيا وذلك أن النار
ارتفعت من الأخدود إلى الملك وأصحابه فأحرقتهم وبه قال الكلبي ومفهوم الآية أنهم لو تابوا لخرجوا
من هذا الوعيد وإنما عبر سبحانه بأداة التراخي لأن التوبة مقبولة قبل الغرغرة ولو طال الزمان ثم لما
ذكر سبحانه وعيد المجرمين أتبعه بذكر ما أعده للمؤمنين الذين أحرقوا بالنار فقال إن الذين آمنوا و
عملوا الصالحات وظاهر الآية العموم فيدخل في ذلك المحرقون في الأخدود بسبب إيمانهم دخولا
أوليا والمعنى أن الجامعين بين الإيمان وعمل الصالحات لهم بسبب الإيمان والعمل الصالح جنات تجري
من تحتها أي تحت أسرتها وغرفها وجميع أماكنها الأنهار يتلذذون ببردها في نظير ذلك الحر الذي
صبروا عليه في الدنيا وقد تقدم كيفية جري الأنهار من تحت الجنات في غير موضع وأوضحنا أنها إن
أريد بالجنات الأشجار فجري الأنهار من تحتها واضح وإن أريد بها الأرض المشتملة عليها فالتحتية باعتبار
جزئها الظاهر وهو الشجر لأنها ساترة لساحتها وأرضها ذلك أي ما تقدم ذكره مما أعده الله لهم الفوز الكبير
الذي لا يعدله فوز ولا يقاربه ولا يدانيه والفوز الظفر بالمطلوب وما في ذلك من معنى البعد للإيذان
بعلو درجته في الفضل والشرف إن بطش ربك بالكفار لشديد بحسب إرادته قاله الجلال المحلي

وفيه اشارة الى الرد على الفلاسفة القائلين بانه موجب بالذات وقد نطق القرآن بانه فعال لما يريد والجملة مستانفة لخطاب النبي صلى الله عليه وسلم مبينة لما عند الله سبحانه من الجزاء لمن عصاه والمغفرة لمن اطاعه والمعنى ان اخذه تعالى للجبابرة والظلمة شديد والبطش الاخذ بعنف ووصفه بالشدة يدل على انه قد تضاعف وتفاقم ومثل هذا قوله ان اخذه اليم شديد إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ اي يخلق الخلق اولا في الدنيا ويعيدهم احياء بعد الموت كذا قال الجمهور وقيل يبدئ للكفار عذاب الحريق في الدنيا ثم يعيده لهم في الآخرة واختار هذا ابن جرير والاول اولى وقال ابن عباس يبدئ العذاب ويعيده انتهى ومن كان قادرا على الايجاد والاعادة اذا بطش كان بطشه في غاية الشدة وبهذا ظهر التعليل بهذه الجملة لما سبق من شدة البطش وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ اي بالغ المغفرة لذنوب عباده المؤمنين لا يفضحهم بها بالغ المحبة للمطيعين من اوليائه قال مجاهد الواد لاوليائه فهو فعول بمعنى فاعل وقال ابن زيد معنى الودود الرحيم وحكى المبرد عن اسمعيل القاضي ان الودود هو الذي لا ولد له وقيل الودود بمعنى المودود اي يوده عباده الصالحون ويحبونه كذا قال الازهري قال ويجوز ان يكون فعول بمعنى فاعل اي يكون محبا لهم قال وكلتا الصفتين مدح لانه جل ذكره ان احب عباده المطيعين فهو فضل منه وان احبه عباده العارفون فلما تقرر عندهم من كريم احسانه قال ابن عباس الودود الحبيب وقالت المعتزلة غفور لمن تاب وقال اصحاب السنة غفور مطلقا لمن تاب ولمن لم يتب لان الآية مذكورة في معرض التمدح والتمدح بكونه غفورا مطلقا اتم فالحمل عليه اولى ولان الغفور صيغة مبالغة فالمناسب ان يحمل على الاطلاق قاله زاده ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ قرأ الجمهور برفع المجيد على انه نعت لذو واختاره ابو عبيد وابو حاتم قالا لان المجد هو النهاية في الكرم والفضل والله سبحانه هو المنعوت بذلك وقرئ بالجر على انه نعت للعرش ومجده علوه وعظمته وقد وصف سبحانه عرشه بالكرم كما في آخر سورة المؤمنين قال ابن عباس المجيد الكريم قيل ان العرش احسن الاجسام وقيل هو نعت لربك ولا يضر الفصل بينهما لانها صفات لله سبحانه وقال مكي هو خبر بعد خبر والاول اولى ومعنى ذو العرش ذو الملك والسلطان كما يقال فلان على سرير ملكه وقيل المراد خالق العرش فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ من الابداء والاعادة قال عطاء لا يعجز عن شيء يريده ولا يمتنع منه شيء طلبه وارتفاع فعال على انه خبر مبتدأ محذوف قال الفراء هو رفع على التكرير والاستئناف لانه نكرة محضة

قال ابن جرير رفع فعال وهو نكرة محضة على وجه الاتباع لاعراب الغفور الودود وانما قال فعال لان ما يريد ويفعل في غاية الكثرة والارادة هنا تكوينية فيكون فيه دلالة على خلق افعالهم وختم به الصفات لانه كالنتيجة للاوصاف السابقة قال الكرخي نكره لضرب من التعظيم تتلاشى عنده الاوهام والعقول قال بعضهم وفيه دلالة على انه لا يجب عليه شيء لانها دالة على ان فعله بحسب ارادته ثم ذكر سبحانه خبر الجموع الكافرة فقال هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ مستانفة مقررة لما تقدم من شدة بطشه سبحانه وكونه فعالا لما يريد وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي هل اتاك يا محمد خبر الجموع الكافرة الطاغية في الامم الخالية المكذبة لانبيائهم المتجندة عليها ثم بينهم فقال فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ وهو بدل من الجنود فالمراد بفرعون هو وقومه والمراد بثمود القوم المعروفون والمراد بحديثهم ما وقع منهم من الكفر والعناد والضلال وما وقع عليهم من العذاب والنكال وقصتهم مشهورة وقد تكرر في الكتاب العزيز ذكرها في غير موضع واقتصر على الطائفتين لاشتهار امرهما عند اهل الكتاب وعند مشركي العرب ودل بهما على امثالهما ثم اضرب عن مماثلة هؤلاء الكفار الموجودين في عصره صلى الله عليه وسلم اضرابا انتقاليا ممن تقدم ذكرهم وبين انهم اشد منهم في الكفر والتكذيب فقال بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ شديد لك ولما جئت به ولم يعتبروا بمن كان قبلهم من الكفار وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ اي يقدر على ان ينزل بهم ما انزل باولئك لا عاصم لهم منه والاحاطة بالشيء الحصر له من جميع جوانبه فهو تمثيل لعدم نجاتهم بعدم فوت المحاط به على المحيط ثم رد سبحانه تكذيبهم بالقران فقال بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ اي متناه في الشرف والكرم والبركة والنفع معجز بنظمه عالي الطبقة من بين الكتب وحيد في النظم والمعنى لكونه بيانا لما شرعه الله لعباده من احكام الدين والدنيا وليس هو كما يقولون انه شعر وكهانة وسحر فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ اي مكتوب في لوح وهو ام الكتاب محفوظ عند الله من وصول الشياطين اليه قرأ الجمهور لوح بفتح اللام واتفق عليها القراء وقرأ الجمهور محفوظ بالجر على انه نعت للوح وقرئ برفعه على انه نعت للقران اي بل هو قران مجيد محفوظ في لوح قيل والمراد باللوح بضم اللام الهوى والفضاء الذي فوق السماء السابعة وبه قال ابو الفضل وكذا قال ابن خالويه وقال في الصحاح اللوح بالضم الهوى بين السماء والارض وعن ابن عباس قال ان في صدر لوح الذكر لوح واحد فيه الذكر وان ذلك اللوح نور وانه مسيرة ثلثمائة سنة اخرجه ابن المنذر وعن انس

ان اللوح المحفوظ الذي ذكره الله في الآية في جبهة اسرافيل واخرج ابو الشيخ قال السيوطي بسند جيد عن ابن عباس قال خلق الله اللوح المحفوظ كمسيرة مائة عام فقال للقلم قبل ان يخلق الخلق اكتب علمي في خلقي فجرى بما هو كائن الى يوم القيامة وقال مقاتل اللوح المحفوظ عن يمين العرش ٭٭

سورة الطارق هي سبع عشرة آية وهي مكية بلا خلاف

قال ابن عباس نزلت بمكة وعن خالد العدواني انه ابصر رسول الله صلى الله عليه وسلم في سوق ثقيف وهو قائم على قوس او عصا حين اتاهم يبتغي النصر عندهم فسمعه يقرأ والسماء والطارق حتى ختمها قال فوعيتها في الجاهلية ثم قرأتها في الاسلام قال فدعتني ثقيف فقالوا ماذا سمعت من هذا الرجل فقرأتها فقال من معهم من قريش نحن اعلم بصاحبنا لو كنا نعلم ما يقول حقا لاتبعناه اخرجه احمد والبخاري في تاريخه والطبراني وابن مردويه

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ اقسم سبحانه بالسماء والطارق وقد اكثر في كتابه العزيز ذكر السماء والشمس والقمر والنجوم لان احوالها في اشكالها وسيرها ومطالعها ومغاربها عجيبة والطارق هو النجم كما صرح به التنزيل قال الواحدي قال المفسرون اقسم الله بالطارق يعني الكواكب تطرق بالليل وتخفى بالنهار قال الفراء الطارق النجم لانه يطلع بالليل وما اتاك ليلا فهو طارق وكذا قال الزجاج والمبرد وقد اختلف في الطارق هل هو نجم معين او جنس النجم فقيل هو زحل وقيل الثريا وقيل هو الذي ترمى به الشياطين وقيل هو جنس النجم قال في الصحاح والطارق النجم الذي يقال له كوكب الصبح قال الماوردي اصل الطرق الدق فسمي قاصد الليل طارقا لاحتياجه في الوصول الى الدق ثم اتسع بأن كل ما ظهر بالليل كائنا ما كان ثم اتسع كل التوسع حتى اطلق على الصور الخالية البادية بالليل وقال قوم ان الطرق قد يكون نهارا والعرب تقول اتيتك اليوم طرقتين اي مرتين ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اعوذ بك من شر طوارق الليل والنهار الا طارقا يطرق بخير قال ابن عباس اقسم ربك بالطارق وكل شيء طرقك بالليل فهو طارق ثم بين سبحانه ما هو الطارق تفخيما لشانه بعد تعظيمه بالاقسام به فقال وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ وفيه تنبيه على ان رفعة قدره بحيث لا ينالها ادراك

الخلق فلابد من تلقيها من الخلاق العليم النَّجْمُ الثَّاقِبُ اي المضيء ومنه يقال ثقب النجم ثقوباً اذا اضاء وثقوبه
ضوءه قال مجاهد الثاقب المتوهج وقيل المرتفع العالي قال سفيان كل ما في القرآن وما ادراك فقد
اخبره وكل شيء قال وما يدريك لم يخبره به وقيل هو نجم في السماء السابعة وهو زحل لا يسكنها غيره
من النجوم واذا اخذت النجوم امكنتها من السماء هبط فكان معها ثم يرجع الى مكانه من السماء السابعة
فهو طارق حين ينزل وحين يصعد ولم يقل والنجم الثاقب مع انه اخصر واظهر فعدل عنه تفخيما
لشانه فاقسم اولاً بما يشترك فيه هو وغيره وهو الطارق ثم فسره بالنجم ازالة لذلك الابهام الحاصل
بالاستفهام والجملة مستانفة جواب سؤال مقدر نشأ مما قبله كانه قيل ما هو فقيل هو النجم الثاقب
إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ هذا جواب القسم وما بينهما اعتراض جيء به لتاكيد فخامة القسم المستتبع
لتاكيد مضمون الجملة المقسم عليها وقد تقدم في سورة هود اختلاف القراء في لما فمن قرأ بتخفيفها
كانت ان هنا هي المخففة من الثقيلة فيها ضمير الشان المقدر وهو اسمها واللام هي الفارقة وما مزيدة
وهذا كله تفريع على قول البصريين اي ان الشان كل نفس لعليها حافظ ومن قرأ بالتشديد فان نافية
ولما بمعنى الا اي ما كل نفس الا عليها حافظ قيل والحافظ هم الحفظة من الملائكة الذين يحفظون عليها
عملها وقولها وفعلها ويحصون ما تكسب من خير وشر وقيل الحافظ هو الله عز وجل وعدي حافظ بعلى
لتضمينه معنى القيام فانه تعالى قائم على خلقه بعلمه واطلاعه على احوالهم وقيل هو العقل يرشدهم
الى المصالح ويكفهم عن المفاسد والاول اولى لقوله وان عليكم لحافظين وقوله ويرسل عليكم
حفظة وقوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه والحافظ في الحقيقة هو الله عز وجل
كما في قوله فالله خير حافظا وقوله وكان الله على كل شيء رقيبا فان الممكنات كما تحتاج الى الواجب لذاته
في وجودها تحتاج اليه في بقائها وحفظ الملائكة من حفظه لانهم يحفظونه بامره فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ
الفاء للدلالة على ان كون حافظ على كل نفس يوجب على الانسان ان يتفكر في مبتدأ خلقه ليعلم قدرة
الله على ما هو دون ذلك من البعث قال مقاتل يعني المكذب بالبعث مِمَّ خُلِقَ اي من اي شيء خلقه الله
والمعنى فلينظر نظر التفكر والاستدلال حتى يعرف ان الذي ابتدأه من نطفة قادر على اعادته ثم
بين سبحانه ذلك فقال خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ والجملة مستانفة جواب سؤال مقدر والماء هو المني
والدفق الصب يقال دفقت الماء اي صببته ويقال ماء دافق اي مدفوق مثل عيشة راضية اي مرضية

قال الفراء والاخفش اي مصبوب في الرحم قال الفراء واهل الحجاز يجعلون الفاعل بمعنى المفعول في كثير من
كلامهم كقولهم سر كاتم اي مكتوم وهم ناصب اي منصوب وليل نائم ونحو ذلك قال الزجاج من ماء ذي اندفاق
يقال دارع وقايس ونابل اي ذو درع وقوس ونبل يعني من صيغ النسب كلابن وتامر وهو صادق على الفاعل
والمفعول او هو مجاز في الاسناد فاسند الى الماء ما لصاحبه مبالغة او هو استعارة مكنية وتخييلية او
مصرحة بجعله دافقا لانه لتتابع قطراته كانه يدفع بعضه بعضا اي يدفعه كما اشار له ابن عطية
واراد سبحانه ماء الرجل والمرأة لان الانسان مخلوق منهما لكن جعلهما ماء واحدا لامتزاجهما ثم وصف
هذا الماء فقال يخرج من بين الصلب والترائب اي صلب الرجل وترائب المرأة وهي جمع تريبة وهي موضع
القلادة من الصدر والولد لا يكون الا من الماءين قرأ الجمهور يخرج مبنيا للفاعل وقرئ مبنيا للمفعول
وفي الصلب وهو الظهر لغات قرأ الجمهور بضم الصاد وسكون اللام وقرأ اهل مكة بضمهما وقرأ اليماني بفتحهما
ويقال صالب على وزن قالب ومنه قول العباس بن عبد المطلب ع تنقل من صالب الى رحم في ابياته
المشهورة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وقد تقدم كلام في هذا عند تفسير قوله الذين من اصلابكم وقيل
الترائب ما بين الثديين وقال الضحاك ترائب المرأة اليدان والرجلان والعينان وقال سعيد بن جبير
هي الجيد وقال مجاهد هي ما بين المنكبين والصدر وروي عنه انه قال هي الصدر وعنه قال هي التراقي
وحكى الزجاج ان الترائب عصارة القلب ومنه يكون الولد والمشهور في اللغة انها عظام الصدر والنحر قال
عكرمة الترائب الصدر قال في الصحاح التريبة واحدة الترائب وهي عظام الصدر قال ابو عبيدة
جمع التريبة تريب وحكى الزجاج ان الترائب اربع اضلاع من يمنة الصدر واربع اضلاع من يسرة
الصدر قال قتادة والحسن المعنى يخرج من صلب الرجل وترائب المرأة وحكى الفراء ان مثل هذا يأتي عن
العرب يكون معنى من بين الصلب من الصلب وقيل ان ماء الرجل ينزل من الدماغ ولا يخالف
هذا ما في الآية لانه اذا نزل من الدماغ نزل من بين الصلب والترائب وقيل ان المني يخرج من جميع
اجزاء البدن ولا يخالف هذا ما في الآية لان نسبة خروجه الى ما بين الصلب والترائب باعتبار ان
اكثر اجزاء البدن هي الصلب والترائب وما يجاورها وما فوقها مما يكون تنزله منها قال ابن عباس
في الآية ما بين الجيد والنحر وعنه قال تريبة المرأة وهي موضع القلادة وعنه الترائب ما بين ثديي
المرأة وعنه الترائب اربع اضلاع من كل جانب من اسفل الاضلاع قال ابن عادل ان الولد يخرج

من ماء الرجل يخرج من صلبه العظم والعصب ومن ماء المرأة يخرج من ترائبها اللحم والدم إنه
على رجعه لقادر الضمير في إنه يرجع إلى الله سبحانه بدلالة قوله خلق عليه فإن الذي خلقه هو الله
سبحانه والضمير في رجعه عائد إلى الإنسان والمعنى أن الله سبحانه على إعادة الإنسان بالبعث بعد الموت
لقادر هكذا قال جماعة من المفسرين وقال مجاهد على أن يرد الماء في الإحليل وقال عكرمة والضحاك
على أن يرد الماء في الصلب وقال مقاتل بن حيان يقول إن شئت رددته من الكبر إلى الشباب ومن
الشباب إلى الصبا ومن الصبا إلى النطفة وقال ابن زيد إنه على حبس ذلك الماء حتى لا يخرج لقادر
والأول أظهر ورجحه ابن جرير والثعلبي والقرطبي قال ابن عباس على أن يجعل الشيخ شابا والشاب شيخا
يوم تبلى السرائر العامل في الظرف على التفسير الأول هو رجعه وقيل لقادر واعترض عليه بأنه يلزم
تخصيص القدرة بهذا اليوم وقيل العامل فيه مقدر أي يرجعه أو اذكر فيكون مفعولا به وأما على
قول من قال إن المراد رجع الماء فالعامل فيه اذكر والمعنى تختبر وتعرف وتكشف السرائر التي تسر في القلوب
من العقائد والنيات وغيرها قيل يظهر الخبايا وقيل يبدي كل سر فيكون زينا في وجوه وشينا في
وجوه والمراد هنا عرض الأعمال ونشر الصحف فعند ذلك يتميز الحسن منها من القبيح والغث من السمين
وفي المختار السر الذي يكتم وجمعه أسرار والسريرة مثله والجمع سرائر فما له من قوة ولا ناصر أي فما للإنسان
من قوة ومنعة في نفسه يمتنع بها من عذاب الله ولا ناصر ينصره مما نزل به قال عكرمة هؤلاء الملوك ما لهم يوم القيامة
من قوة ولا ناصر قال سفيان القوة العشيرة والناصر الحليف والأول أولى والسماء ذات الرجع أي التي ترجع
بالدوران إلى الموضع الذي تتحرك عنه قال الزجاج الرجع المطر لأنه يجيء ويرجع ويتكرر قال الخليل الرجع المطر
نفسه والرجع نبات الربيع قال الواحدي الرجع المطر في قول جميع المفسرين وفي هذا نظر فإن ابن زيد
قال الرجع الشمس والقمر والنجوم يرجعن في السماء تطلع من ناحية وتغيب في ناحية وقال بعض المفسرين ذات
الرجع ذات الملائكة لرجوعهم إليها بأعمال العباد وقال بعضهم معناه ذات النفع ووجه تسمية المطر
رجعا ما قاله القفال إنه مأخوذ من ترجيع الصوت وهو إعادته وكذا المطر لكونه يعود مرة بعد أخرى
وقيل إن العرب كانوا يزعمون أن السحاب يحمل الماء من بحار الأرض ثم ترجعه إلى الأرض وقيل سمته العرب رجعا
لأجل التفاؤل ليرجع عليهم وقيل لأن الله يرجعه وقتا بعد وقت قال ابن عباس الرجع المطر وعلى هذا
والأرض ذات الصدع هو ما تتصدع عنه الأرض من النبات والثمار والشجر والأنهار والعيون والصدع

الشق لانه يصدع الارض فتنصدع له قال ابو عبيدة والفراء تتصدع بالنبات قال مجاهد والارض ذات
الطرق التي تصدعها المياه وقيل ذات الحرث لانه يصدعها وقيل ذات الاموات لانصداعها عنهم عند
البعث والحاصل ان الصدع ان كان اسما للنبات فكانه قال والارض ذات النبات وان كان المراد به
الشق فكانه قال والارض ذات الشق الذي يخرج منه النبات ونحوه وقال ابن عباس صدعها عن النبات
وعنه قال تصدع الاودية وعن معاذ بن انس مرفوعا قال تصدع باذن الله عن الاموال والنبات
اخرجه ابن منده والديلمي قال الرازي انه تعالى كما جعل كيفية خلقة الحيوان دليلا على معرفة المبدأ
والمعاد ذكر في هذا القسم كيفية خلقة النبات فقوله تعالى والسماء ذات الرجع كالاب وقوله والارض
ذات الصدع كالام وكلاهما من النعم العظام لان نعم الدنيا موقوفة على ما ينزل من السماء مكررا وعلى
ما ينبت من الارض كذلك وجواب القسم الثاني قوله انه لقول فصل اي ان القران لقول يفصل بين
الحق والباطل بالبيان عن كل واحد منهما كما قيل له فرقان ومنه فصل الخصومات وهو قطعها بالحكم
الجازم ويقال هذا قول فصل اي قاطع للشر والنزاع وقال ابن عباس فصل حق وما هو بالهزل اي لم ينزل
القران الكريم باللعب فهو جد كله ليس بالهزل والهزل ضد الجد فحق ان يكون مهيبا في الصدور ومعظما
في القلوب يترفع به قاريه وسامعه عن ان يلم بهزل او يتفكه بمزاح وقال ابن عباس بالهزل بالباطل انهم
يكيدون كيدا اي يمكرون في ابطال ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدين الحق قال الزجاج يخاتلون
النبي صلى الله عليه وسلم ويظهرون ما هم على خلافه وذلك حين اجتمعوا في دار الندوة وتشاوروا فيه وقيل الكيد
القاء الشبهات كقولهم ان هي الا حياتنا الدنيا من يحيي العظام وهي رميم اجعل الالهة الها واحدا
وما اشبه ذلك واكيد كيدا اي استدرجهم من حيث لا يعلمون واجازيهم جزاء كيدهم وقيل هو
ما اوقع الله بهم يوم بدر من القتل والاسر وقيل كيد الله لهم نصرة نبيه صلى الله عليه وسلم واعلاء درجته تسمية
لاحدى المتقابلين بالاسم الاخر كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها فمهل الكافرين اي اخرهم ولا تسأل
الله سبحانه تعجيل هلاكهم والدعاء عليهم باهلاكهم فانا لا نعجل لان العجلة وهي ايقاع الشيء في غير وقته
اللائق به نقص وارض بما يريده ذلك في امورهم امهلهم بدل من مهل ومهل وامهل بمعنى
مثل نزل وانزل والامهال الانظار وتمهل في الامر اتأد وخالف بين اللفظين لزيادة التسكين والتصبير
وانتصاب رويدا على انه مصدر مؤكد للفعل المذكور او نعت لمصدر محذوف اي امهلهم امهالا رويدا

أي قليلا أو قريبا وقد أخذهم الله تعالى ونسخت المهلة بآية السيف والأمر بالقتال والجهاد وقال أبو عبيدة الرويد في كلام العرب تصغير الرود والرود المهل وقيل تصغير إرواد مصدر أرود تصغير الترخيم ويأتي اسم فعل نحو رويد زيدا أي أمهله ويأتي حالا نحو سار القوم رويدا أي متمهلين ذكر معنى هذا الجوهري والبحث مستوفى في علم النحو

سورة الأعلى ويقال سورة سبح تسع عشرة آية وهي مكية في قول الجمهور

وقال الضحاك مدنية وعن ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن الزبير وعايشة مثله وأخرج البخاري وغيره عن البراء بن عازب قال أول من قدم علينا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير وابن أم مكتوم فجعلا يقرآننا القرآن ثم جاء عمار وبلال وسعد ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين ثم جاء النبي صلى الله عليه وسلم فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاء فما جاء حتى قرأت سبح اسم ربك الأعلى وسورة مثلها وعن علي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب هذه السورة سبح اسم ربك الأعلى أخرجه أحمد والبزار وابن مردويه أي لكثرة ما اشتملت عليه من العلوم والخيرات الحسان وأخرج أحمد ومسلم وأهل السنن عن النعمان بن بشير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في العيدين وفي الجمعة سبح اسم ربك الأعلى وهل أتاك حديث الغاشية وإن وافق يوم جمعة قرأهما جميعا وفي لفظ وربما اجتمعا في يوم واحد فقرأهما وفي الباب أحاديث وأخرج مسلم وغيره عن جابر بن سمرة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الظهر سبح اسم ربك الأعلى وأخرج أبو داود والنسائي وابن ماجة والدارقطني والحاكم والبيهقي عن أبي بن كعب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر بسبح اسم ربك الأعلى وقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وأخرج أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة والحاكم وصححه والبيهقي عن عايشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في الوتر في الركعة الأولى بسبح وفي الركعة الثانية قل يا أيها الكافرون وفي الثالثة قل هو الله أحد والمعوذتين وفي الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ هلا صليت بسبح اسم ربك الأعلى والشمس وضحاها والليل إذا يغشى

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح اسم ربك الاعلى اي نزهه عن كل ما لا يليق به في ذاته وصفاته واسمائه وافعاله واحكامه
قال السدي اي عظمه قيل والاسم هنا مقحم لقصد التعظيم قال ابن جرير المعنى نزه اسم ربك ان يسمى به
احد سواه فلا تكون على هذا مقحمة وقيل المعنى نزه تسمية ربك وذكرك اياه ان تذكره الا وانت له خاشع
معظم ولذكره محترم وقال الحسن معنى سبح صل له وقيل المعنى صل باسماء الله لا كما يصلي المشركون بالمكاء
والتصدية وقيل المعنى ارفع صوتك بذكر ربك ومنه قول جرير ٥ قبح الاله وجوه تغلب كلما
سبح الحجيج وكبروا تكبيرا ٥ وقال جماعة من الصحابة والتابعين قل سبحان ربي الاعلى وقيل معناه نزه ربك الاعلى عما يصفه
الملحدون فعلى هذا يكون الاسم صلة والاعلى صفة للرب قيل للاسم والاول اولى وعن عقبة
بن عامر الجهني قال لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها في
ركوعكم فلما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم اخرجه احمد وابو داود وابن
ماجة وابن المنذر وابن مردويه ولا مطعن في اسناده وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان اذا قرأ سبح اسم ربك الاعلى قال سبحان ربي الاعلى اخرجه احمد والطبراني وابن مردويه و
البيهقي وقال ابو داود خولف فيه وكيع فرواه شعبة عن ابي اسحق عن سعيد عن ابن عباس موقوفا واخرجه
موقوفا ايضا عبد الرزاق وابن ابي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير عنه انه كان اذا قرأ سبح اسم
ربك الاعلى قال سبحان ربي الاعلى وفي لفظ لعبد بن حميد عنه قال اذا قرأت سبح اسم ربك الاعلى
فقل سبحان ربي الاعلى وعن علي بن ابي طالب انه قرأ سبح اسم ربك الاعلى فقال سبحان ربي الاعلى
وهو في الصلوة فقيل له اتزيد في القران قال لا انما امرنا بشيء فقلته وعن ابي موسى الاشعري انه قرأ
في الجمعة سبح اسم ربك الاعلى فقال سبحان ربي الاعلى وعن سعيد بن جبير قال سمعت ابن عمر يقرأ
سبح اسم ربك الاعلى فقال سبحان ربي الاعلى وكذلك هي في قراءة ابي بن كعب وعن عمر انه كان اذا
قرأ سبح اسم ربك الاعلى قال سبحان ربي الاعلى وعن ابن الزبير انه قرأ سبح اسم ربك الاعلى فقال سبحان
ربي الاعلى وهو في الصلوة وقوله الذي خلق فسوى صفة اخرى للرب قال الزجاج خلق الانسان
مستويا ومعنى سوى عدل قامته وحسن خلقه قال الضحاك خلقه فسوى خلقه وقيل خلق
الاجساد فسوى الافهام وقيل خلق الانسان وهيأه للتكليف والقيام باداء العبادات وقيل خلق في
اصلاب الاباء وسوى في ارحام الامهات وقيل خلق كل شيء فسوى خلقه تسوية ولم يأت به

متقنا وتا غير ملتبثم ولكن على احكام وانساق ودلالة على انه صادر عن عالم حكيم او سواه على ما فيه منفعة ومصلحة وقيل خلق كل ذي روح فسوى اليدين والرجلين والعينين وقوله **وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى** صفة اخرى للرب او معطوف على الموصول الذي قبله قرئ قدر مخففا ومثقلا قال الواحدي قال المفسرون قدر خلق الذكر والانثى من الدواب فهدى الذكر للانثى كيف ياتيها وقال مجاهد هدى الانسان لسبيل الخير والشر والسعادة والشقاوة وروي عنه ايضا انه قال قدر السعادة والشقا وهدى الرشد والضلالة وهدى الانعام لمراعيها وقيل قدر ارزاقهم واقواتهم وهداهم لمعايشهم ان كانوا انسا ولمراعيهم ان كانوا وحشا وقال عطاء جعل لكل دابة ما يصلحها وهداها له وقيل خلق المنافع في الاشياء وهدى الانسان لوجه استخراجها منها وقال السدي قدر مدة الجنين في الرحم تسعة اشهر واقل واكثر ثم هداه للخروج من الرحم قال الفراء اي قدر فهدى واضل فاكتفى باحدهما وفي تفسير الاية اقوال غير ما ذكرنا والاولى عدم تعيين فرد او افراد مما يصدق عليه قدر وهدى الا بدليل يدل عليه ومع عدم الدليل يحمل على ما يصدق عليه معنى الفعلين اما على البدل او على الشمول والمعنى قدر اجناس الاشياء وانواعها وصفاتها وافعالها واقوالها واجالها فهدى كل واحد منها الى ما يصدر عنه وينبغي له وبيسره لما خلق له والهمه الى امور دينه ودنيا ولما ذكر ما يختص بالناس اتبعه بما يختص بالحيوان فقال **وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى** صفة اخرى للرب اي انبت العشب وما ترعاه الدواب والنعم من النبات الاخضر **فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى** اي فجعل المرعى بعد ان كان اخضر هشيما يابسا جافا باليا كالغثاء الذي يكون فوق السيل وفي القاموس الغثاء القماش والزبد والهالك البالي من ورق الشجر قال قتادة الغثاء الشيء اليابس ويقال للبقل والحشيش اذا انحطم ويبس غثاء وهشيم قال الكسائي غثاء حال من المرعى اي اخرجه احوى من شدة الخضرة والري فجعله غثاء بعد ذلك احوى اي اسود بعد اخضراره وذلك ان الكلاء اذا يبس اسود والاحوى ماخوذ من الحوة وهي سواد يضرب الى الخضرة وقيل خضرة عليها سواد وفي القاموس الحوة سواد الى الخضرة او حمرة الى السواد حوي كرضي حوى قال في الصحاح والحوة اي بالضم حمرة الشفة قال ابن عباس غثاء هشيما احوى متغيرا وقال ابن زيد وهذا مثل ضربه الله للكفار بذهاب الدنيا بعد نضارتها **سَنُقْرِئُكَ** اي سنجعلك قاريا بان نلهمك القراءة والسين اما للتاكيد واما لان المراد اقراء ما اوحى الله اليه حينئذ وما سيوحي اليه بعد ذلك فهو وعد باستمرار الوحي في ضمن الوعد بالاقراء **فَلَا تَنْسَى** ما تقراه والجملة مستانفة

قوله قرئ قرأ علي بن ابي طالب والسلمي والكسائي بالتخفيف وقرأ الباقون بالتشديد ١٢

لبيان هدايته صلى الله عليه وسلم الخاصة به بعد بيان الهداية العامة لكافة خلقه وهو هدايته صلى الله عليه وسلم لحفظ القرآن وتلقي الوحي وهدايته الناس اجمعين قيل هو نفي وقيل نهي والالف اشباع ومنع مكي ان يكون نهيا لانه لا ينهى عما ليس باختياره وهذا غير لازم اذ المعنى ان النهي عن تعاطي اسباب النسيان وهو شائع فسقط ما قاله قال مجاهد والكلبي كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه جبريل بالوحي لم يفرغ جبريل من اخر الاية حتى يتكلم النبي صلى الله عليه وسلم باولها مخافة ان ينساها فنزلت هذه الاية فلم ينس شيئا بعد ذلك وعن ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم يستذكر القرآن مخافة ان ينسى فقيل له قد كفيناك ذلك ونزلت هذه الاية وعن سعد بن ابي وقاص نحوه وهذه الاية تدل على المعجزة من وجهين الاول انه كان رجلا اميا فحفظه لهذا الكتاب المطول من غير دراسة ولا تكرار خارق للعادة فيكون معجزة الثاني ان هذه السورة من اول ما نزل بمكة فهذا اخبار عن امر عجيب مخالف للعادة سيقع في المستقبل وقد وقع فكان هذا اخبارا فيكون معجزا وقوله الا ما شاء الله استثناء مفرغ من اعم المفاعيل اي لا تنسى مما تقرأه شيئا من الاشياء الا ما شاء الله ان تنساه قال ابن عباس يقول الا ما شئت انا فانسيك قال الفراء وهو لم يشأ سبحانه ان ينسى محمد صلى الله عليه وسلم شيئا كقوله خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء الله وقيل الا ما شاء الله ان تنسى ثم تذكر بعد ذلك فاذن قد ينسى ولكنه يتذكر ولا ينسى شيئا نسيانا كليا وقيل هو بمعنى النسخ اي الا ما شاء الله ان ينسخه مما نسخ تلاوته وحكمه معا واما ما نسخت تلاوته فقط او حكمه فقط فلا يصح ان تنساه للاحتياج الى تلاوته في الاول والى حكمه في الثاني وقيل المعنى فلا تترك العمل الا ما شاء الله ان تتركه لنسخه ورفع حكمه وقيل الا ما شاء الله ان يغلبك النسيان عليه والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة والايذان بدوران المشية على عنوان الالوهية المستتبعة لسائر الصفات انه يعلم الجهر وما يخفى تعليل لما قبله اي يعلم ما ظهر وما بطن والاعلان والاسرار وظاهره العموم فيندرج تحته ما قيل ان الجهر ما حفظه رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن وما يخفى هو ما نسخ من صدره ويدخل تحته ايضا ما قيل من ان الجهر هو اعلان الصدقة وما يخفى هو اخفاؤها ويدخل تحته ايضا ما قيل ان الجهر جهره صلى الله عليه وسلم بالقرآن مع قراءة جبريل مخافة ان يتفلت عليه وما يخفى ما في نفسه مما يدعوه الى الجهر ونيسرك لليسرى معطوف على سنقرئك كما ينبئ عنه الالتفات الى الحكاية فهو داخل في حيز التنفيس وما بينهما اعتراض وارد للتعليل قال مقاتل ان نهون عليك عمل الجنة وقيل نوفقك للطريقة التي هي

ايسر واسهل وقيل للشريعة اليسرى وهي الحنيفية السهلة السمحة البيضاء التي ليلها كنهارها وقيل
نهون عليك الوحي حتى تحفظه وتعمل به والاولى حمل الآية على العموم اي نوفقك للطريقة اليسرى
في الدين والدنيا في كل امر من امورهما التي تتوجه اليك ولهذه النكتة قال نيسرك ولم يقل نيسر لك
اي لافادة انك موفق لها وقال ابن عباس لليسرى للخير وقال ابن مسعود للجنة فذكر ان نفعت
الذكرى اي عظ يا محمد الناس بما اوحينا اليك وارشدهم الى سبل الخير واهدهم الى شرائع الدين
قال الحسن تذكرة للمؤمن وحجة على الكافر وقال الواحدي ان نفعت او لم تنفع لان النبي صلى الله عليه وسلم
بعث مبلغا للاعذار والانذار فعليه التذكير في كل حال نفع او لم ينفع ولم يذكر الحالة الثانية
كقوله سرابيل تقيكم الحر قال الجرجاني التذكير واجب وان لم ينفع فالمعنى ان نفعت الذكرى
او لم تنفع وقيل انه مخصوص في قوم باعيانهم وقيل ان بمعنى ما اي فذكر ما نفعت الذكرى لان
الذكرى نافعة بكل حال وقيل انها بمعنى قد ذكره ابن خالويه وهو بعيد جدا وقيل انها بمعنى
اذ وما قاله الواحدي والجرجاني اولى وقد سبقهما الى القول به الفراء والنحاس والزهراوي قال الرازي
قوله ان نفعت الذكرى للتنبيه على اشرف الحالين وهو وجود النفع الذي لاجله شرعت الذكرى والمعلق
بان على الشيء لا يلزم ان يكون عدما عند عدم ذلك الشيء ويدل عليه آيات منها هذه الآية ومنها
قوله تعالى واشكروا الله ان كنتم اياه تعبدون ومنها قوله ولا جناح عليكم ان تقصروا من الصلوة
ان خفتم فان القصر جائز عند الخوف وعدمه ومنها قوله فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان ظنا
ان يقيما حدود الله والمراجعة جائزة بدون هذا الظن فهذا الشرط فيه فوائد منها ما تقدم ومنها
البعث على الانتفاع بالذكر كما يقول الرجل لمن يرشده قد اوضحت لك ان كنت تعقل وهو تنبيه للنبي
صلى الله عليه وسلم على انها لا تنفعهم الذكرى او يكون هذا في تكرير الدعوة فاما الدعاء الاول فهو عام
انتهى ثم بين سبحانه الفرق بين من تنفعه الذكرى ومن لا تنفعه فقال سيذكر اي سيتعظ
بوعظك والسين بمعنى سوف وسوف من الله واجب كقوله سنقرئك فلا تنسى من يخشى الله
فيزداد بالتذكير خشية وصلاحا ويتجنبها اي يتجنب الذكرى ويبعد عنها فلا يقبلها الاشقى من
الكفار لاصراره على الكفر بالله وانهماكه في معاصيه ثم وصف الاشقى فقال الذي يصلى النار
الكبرى اي العظيمة الفظيعة لانها اشد حرا من غيرها قال الحسن النار الكبرى نار جهنم والنار الصغرى

نار الدنيا وقال الزجاج هي السفلى من اطباق النار وقيل ان في الآخرة نيرانا ودركات متفاضلة فكما
ان الكافر اشقى العصاة فكذا يصلى اعظم النيران ثم لا يموت فيها فيستريح مما هو فيه من العذاب ولا يحيى
حيوة ينتفع بها ومنه قول الشاعر ألا ما لنفس لا تموت فينقضي عناها ولا تحيى حيوة لها طعم
وثم للتراخي في مراتب الشدة لان التردد بين الموت والحيوة افظع من صلي النار الكبرى ولما ذكر
تعالى وعيد من اعرض عن النظر في دلائل الله اتبعه بالوعد لضده فقال قد افلح من تزكى اي نال
الفوز من تطهر من الشرك فامن بالله ووحده وعمل بشرايعه قال عطاء والربيع من كان عمله زاكيا
ناميا وقال قتادة تزكى بعمل صالح وقال عطاء وقتادة وابو العالية نزلت في صدقة الفطر قال عكرمة
كان الرجل يقول اقدم زكوتي بين يدي صلوتي واصل الزكا في اللغة النما وقيل المراد بالآية زكوة
الاموال كلها وقيل المراد بها زكوة الاعمال لا زكوة الاموال لان الاكثر ان يقال في الاموال زكى لا
تزكى قال ابن عباس من تزكى من قال لا اله الا الله وعن عوف عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يأمر
بزكوة الفطر قبل ان يصلي صلوة العيد ويتلو هذه الآية اخرجه البزار وابن المنذر وابن ابي حاتم
والحاكم في الكنى والبيهقي في سننه وابن مردويه وفي لفظ قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن زكوة الفطر
فقال قد افلح من تزكى قال هي زكوة الفطر وكثير بن عبد الله ضعيف جدا قال ابو داود هو ركن من اركان
الكذب وقد صحح الترمذي حديثا من طرقه وخطئ في ذلك ولكن يشهد له ما اخرجه ابن مردويه
عن ابي سعيد الخدري قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى
ثم يقسم الفطرة قبل ان يغدو الى المصلى يوم الفطر وليس في هذين الحديثين ما يدل على ان ذلك
سبب النزول بل فيهما انه صلى الله عليه وسلم تلى الآية وقوله هي زكوة الفطر يمكن ان يراد انها مما يصدق عليه
التزكي وقد قدمنا ان السورة مكية ولم يكن في مكة صلوة عيد ولا فطرة وعن ابي سعيد الخدري
في الآية قال اعطى صدقة الفطر قبل ان يخرج الى العيد وخرج الى العيد فصلى وعن ابن عمر قال انما انزلت
هذه الآية في اخراج صدقة الفطر قبل صلوة العيد وعن عطاء قال قلت لابن عباس أرأيت قوله قد
افلح من تزكى للفطر قال لم اسمع بذلك ولكن للزكوة كلها ثم عاودته فقال لي والصدقات كلها وذكر
اسم ربه فصلى قيل المعنى ذكر اسم ربه بالخوف فعبده وصلى له وقيل ذكر اسم ربه بلسانه وكبر
للافتتاح فصلى اي فاقام الصلوات الخمس وبه يحتج على وجوب تكبيرة الافتتاح وعلى انها ليست من الصلوة

لأن المراد به عطفت عليها وهو يقتضي المغايرة وعلى أن الافتتاح جائز بكل اسم من أسمائه عز وجل
قاله النسفي وفيه نظر وقيل ذكر موقفه ومعاده فعبده وهو كالقول الأول وقيل ذكر اسم ربه بالتكبير في
أول الصلوة لأنها لا تنعقد إلا بذكره وهو قوله الله أكبر وقيل ذكر اسم ربه في طريق المصلى فصلى وقيل هو أن
يتطوع بصلوة بعد زكوة وقيل المراد بالصلوة هنا صلوة العيد كما أن المراد بالتزكي في الآية الأولى زكوة الفطر
ولا يخفى بعد هذا القول لأن السورة مكية ولم تفرض زكوة الفطر وصلوة العيد إلا بالمدينة عن جابر
بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله قد أفلح من تزكى قال من شهد أن لا إله إلا الله وخلع الأنداد
وشهد أني رسول الله وذكر اسم ربه فصلى قال هي الصلوات الخمس والمحافظة عليها والاهتمام
بمواقيتها أخرجه ابن مردويه وقال البزار لا يروى عن جابر إلا من هذا الوجه وعن ابن عباس قال
من تزكى من الشرك وذكر اسم ربه قال وحد الله فصلى قال الصلوات الخمس بل تؤثرون
الحيوة الدنيا هذا إضراب عن كلام مقدر يدل عليه السياق وينساق إليه الكلام
أي أنتم لا تفعلون ذلك بل تؤثرون اللذات الفانية العاجلة الكائنة في الدنيا
على الدار الآخرة الآجلة الباقية فلا تفعلون ما به تفلحون قرأ الجمهور بالفوقية على الخطاب للكفار فقط
أو لمطلق الناس ويؤيدها قراءة أبي بل أنتم تؤثرون وقرئ بالتحتية على الغيبة وعلى هذا يكون الضمير راجعا إلى الأشقى
قيل والمراد بالآية الكفرة والمراد بالإيثار للحياة الدنيا هو الرضاء بها والاطمئنان إليها والإعراض عن
الآخرة بالكلية وقيل المراد بها جميع الناس من مؤمن وكافر والمراد بإيثارها هو أعم من ذلك مما
لا يخلو عنه غالب الناس من تأثير جانب الدنيا على الآخرة والتوجه إلى تحصيل منافعها والاهتمام بها
اهتماما زائدا على اهتمامه بالطاعات وعن عرفجة الثقفي قال استقرأت ابن مسعود سبح اسم ربك الأعلى فلما
بلغ بل تؤثرون الحيوة الدنيا ترك القراءة وأقبل على أصحابه فقال آثرنا الدنيا على الآخرة فسكت القوم
فقال آثرنا الدنيا لأنا رأينا زينتها ونساءها وطعامها وشرابها وزويت عنا الآخرة فاخترنا هذا العاجل
وتركنا الآجل وقال بل يؤثرون الحياة الدنيا بالياء قال عرفجة كنا عند ابن مسعود فقرأ هذه الآية
فقال لنا أتدرون لم آثرنا الحياة الدنيا على الآخرة قلنا لا قال لأن الدنيا أحضرت وعجل لنا طعامها
وشرابها ونساؤها ولذاتها وبهجتها وإن الآخرة تغيبت وزويت عنا فأحببنا العاجل وتركنا الآجل
والآخرة خير وأبقى أي والحال أن الدار الآخرة التي هي الجنة أفضل وأدوم من الدنيا لأنها تشتمل على الصفا

الجسمانية والروحانية والدنيا ليست كذلك ولأن الدنيا لذاتها مخلوطة بالآلام والآخرة ليست كذلك
ولأن الدنيا فانية والآخرة باقية والباقي خير من الفاني قال مالك بن دينار لو كانت الدنيا من ذهب يفنى
والآخرة من خزف يبقى لكان الواجب أن يؤثر خزف يبقى على ذهب يفنى فكيف والآخرة من ذهب يبقى
والدنيا من خزف يفنى ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ أي ما تقدم من فلاح من تزكى وما بعده وقيل إنه إشارة إلى جميع السورة
﴿لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ﴾ أي ثابت فيها قال النسفي وهو دليل على جواز قراءة القرآن بالفارسية في الصلوة لأنه
جعله مذكورا في تلك الصحف مع أنه لم يكن فيها بهذا النظم وبهذه اللغة انتهى قال الخطيب لم يرد
تعالى أن هذه الألفاظ بعينها في تلك الصحف بل معناه أن معنى هذا الكلام في تلك الصحف وفيه
بعد لأن أبا حنيفة قد رجع عنه وعليه الاعتماد عند الحنفية وعليه الفتوى منهم وقد وصف
الله سبحانه القرآن بكونه عربيا فلا يتم هذا الاستدلال ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ بدل من الصحف الأولى
قال قتادة وابن زيد يريد بقوله إن هذا والآخرة خير وأبقى قال تتابعت كتب الله عز وجل أن
الآخرة خير وأبقى من الدنيا وقال الحسن تتابعت كتب الله عز وجل أن هذا لفي الصحف الأولى وهو قوله
قد أفلح إلى آخر السورة قرأ الجمهور صحف بضم الحاء في الموضعين وقرئ بسكونها فيهما وقرأ الجمهور إبراهيم
بالألف بعد الراء وبالياء بعد الهاء وقرئ بحذفهما وفتح الهاء وقرأ أبو موسى وابن الزبير إبراهام بألفين
وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي كلها في صحف إبراهيم وموسى أخرجه البزار وابن المنذر
والحاكم وصححه وابن مردويه وعنه في الآية قال نسخت هذه السورة من صحف إبراهيم وموسى وفي
لفظ هذه السورة في صحف إبراهيم وموسى وعن أبي ذر قال قلت يا رسول الله كم أنزل الله من كتاب
قال مائة كتاب وأربعة كتب الحديث أخرجه عبد بن حميد وابن مردويه وابن عساكر

ع ١٩

سورة الغاشية هي ست وعشرون آية وهي مكية بلا خلاف

وعن ابن عباس قال نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله وقد تقدم حديث النعمان بن بشير أن رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرأ سبح اسم ربك الأعلى والغاشية في صلوة العيد ويوم الجمعة

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ قال جماعة من المفسرين هل هنا بمعنى قد وبه قال قطرب اي قد جاءك
يا محمد حديث الغاشية وهي القيامة لانها تغشى الخلائق باهوالها وقيل ان بقاء هل على معناها الاستفهامي
المتضمن للتعجب مما في حيزه والتشويق الى استماعه اولى وقد ذهب الى ان المراد بالغاشية هنا القيامة اكثر المفسرين
وقال سعيد بن جبير ومحمد بن كعب الغاشية النار تغشى وجوه الكفار كما في قوله وتغشى وجوههم النار وقيل
الغاشية اهل النار لانهم يغشونها ويقتحمونها والاول اولى قال الكلبي المعنى ان لم يكن اتاك حديث الغاشية
فقد اتاك قال ابن عباس الغاشية من اسماء القيامة وعنه قال الغاشية الساعة وفي المصباح الغشاء
الغطاء ويقال ان الغشي يعطل القوى المحركة والاوردة الحساسة لضعف القلب بسبب وجع شديد
او برد او جوع مفرط وقيل الغشي هو الاغماء وقيل الاغماء امتلاء بطون الدماغ من بلغم بارد غليظ وقيل
الاغماء سهو يلحق الانسان مع فتور الاعضاء لعلة وغشيته اغشاه من باب تعب اتيته والاسم الغشيان
بالكسر وجملة وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ مستانفة جواب سؤال مقدر كانه قيل ما هو او مستانفة استينافا
نحويا والبيان ما تضمنته من كون ثم وجوه في ذلك اليوم متصفة بهذه الصفات المذكورة ووجوه
مرتفع على الابتداء وان كان نكرة لوقوعه في مقام التفصيل وقد تقدم مثل هذا في سورة القيامة
وفي سورة النازعات والتنوين في يومئذ عوض عن المضاف اليه اي يوم غشيان الغاشية والخاشع
الذليلة الخاضعة وكل متضائل ساكن يقال له خاشع يقال خشع الصوت اذا خفي وخشع في صلاته
اذا تذلل ونكس راسه والمراد بالوجوه هنا اصحابها قال المحلي عبر بها عن الذوات في الموضعين اي
بالجزء عن الكل وخص الوجه لانه اشرف اعضاء الانسان ولان الذل يظهر عليه اولا دون غيره
قال مقاتل يعني الكفار لانهم تكبروا عن عبادة الله قال قتادة وابن زيد خاشعة في النار وقيل اراد
وجوه اليهود والنصارى على الخصوص والاول اولى وفي البحر الآية نزلت في القسيسين وعباد الاوثان
وفي كل مجتهد في كفر عَامِلَةٌ اي انها تعمل عملا شاقا قال اهل اللغة يقال للرجل اذا دأب في سيره عمل
يعمل عملا ويقال للسحاب اذا دام برقه قد عمل يعمل عملا قيل وهذا العمل هو جر السلاسل والاغلال والخوض
في النار والصعود والهبوط في تلالها ووهادها نَاصِبَةٌ اي تعبة يقال نصب بالكسر ينصب نصبا اذا
تعب والمعنى انها في الآخرة تعبة لما تلاقيه من عذاب الله وقيل ان قوله عاملة في الدنيا اذ لا عمل في الآخرة
اي تعمل في الدنيا بالكفر والمعاصي وتنصب في ذلك وقيل انها عاملة في الدنيا ناصبة في الآخرة والاول اولى

قال قتادة عاملة ناصبة تكبرت في الدنيا عن طاعة الله فاعملها الله وانصبها في النار بجر السلاسل الثقال وحمل الاغلال والوقوف حفاة عراة في العرصات في يوم كان مقداره خمسين الف سنة قال الحسن و سعيد بن جبير لم تعمل لله في الدنيا ولم تنصب فاعملها وانصبها في جهنم قال الكلبي يجرون على وجوههم في جهنم وقال ايضا يكلفون ارتقاء جبل من حديد في جهنم فينصبون فيها اشد ما يكون من النصب بمعالجة السلاسل والاغلال والخوض في النار كما تخوض الابل في الوحل قال ابن عباس عاملة ناصبة تعمل وتنصب وعنه قال يعني اليهود والنصارى تخشع ولا ينفعها عملها قرأ الجمهور عاملة ناصبة بالرفع فيهما على انهما خبران اخران للمبتدأ او على تقدير مبتدء وهما خبران له وقرئ بنصبهما على الحال او على الذم وقوله تصلى نارا حامية خبر اخر للمبتدأ اي تدخل نارا متناهية في الحر يقال حمي النهار وحمي التنور اي اشتد حرهما قال الكسائي يقال اشتد حمي النهار وحموه بمعنى والمعنى قد احميت واوقد عليها مدة طويلة وفي الحديث احمي عليها الف سنة حتى احمرت ثم اوقد عليها الف سنة حتى ابيضت ثم اوقد عليها الف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة قرأ الجمهور تصلى بفتح التاء مبنيا للفاعل وقرئ بضمها مبنيا للمفعول وبضم التاء وفتح الصاد وتشديد اللام والضمير راجع الى الوجوه على جميع هذه القراءات السبعية والمراد اصحابها كما تقدم وهكذا الضمير في تسقى من عين انية اي متناهية في الحر والاني الذي قد انتهى حره من الايناء بمعنى التأخير يقال اناه يونيه ايناء اي اخره او حبسه كما في قوله يطوفون بينها وبين حميم ان قال الواحدي قال المفسرون لو وقعت منها قطرة على جبال الدنيا لذابت قال ابن عباس هي التي قد طال انيها وقال ايضا قد انى غليانها وعنه قال انتهى حرها ولما ذكر سبحانه شرابهم عقبه بذكر طعامهم فقال ليس لهم طعام الا من ضريع هو نوع من الشوك لا ترعاه دابة لخبثه يقال له الشبرق في لسان قريش اذا كان رطبا فاذا يبس فهو الضريع كذا قال مجاهد وقتادة وغيرهما من المفسرين قيل وهو سم قاتل واذا يبس لا تقربه دابة ولا ترعاه وقيل هو شيء يرمي به البحر يسمى الضريع من اقوات الانعام لا من اقوات الناس فاذا رعت منه الابل لا تشبع وهلكت هزلا قال الخليل الضريع نبات اخضر منتن الريح يرمي به البحر وجمهور اهل اللغة والتفسير قالوا بالاول وقال سعيد بن جبير الضريع الحجارة وقيل هو شجرة في نار جهنم وقال الحسن هو بعض ما اخفاه الله من العذاب وقال ابن كيسان هو طعام يضرعون عنده ويذلون ويتضرعون الى الله بالخلاص منه فسمي بذلك لان اكله يتضرع الى الله في ان يعفى عنه لكراهته وخشونته

قال النحاس قد يكون مشتقا من الضارع وهو الذليل اي من شربه تلحقه ضراعة وذلة وقال الحسن ايضا
هو الزقوم وقيل هو واد في جهنم وقد تقدم في سورة الحاقة فليس له اليوم ههنا حميم ولا طعام الا من غسلين
والغسلين غير الضريع كما تقدم وجمع بين الآيتين بأن النار دركات والعذاب الوان والمعذبون طبقات
فمنهم من طعامه الضريع ومنهم من طعامه الغسلين ومنهم من طعامه الزقوم فلا تناقض بين
هذه الآيات قال ابن عباس الضريع الشبرق وقال ايضا شجر من نار وعنه قال الشبرق اليابس ثم
وصف سبحانه الضريع فقال لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ اي لا يسمن الضريع آكله ولا يدفع عنه ما به من
الجوع يعني منفعتا الغذاء وكلاهما منتفيان عنه قال المفسرون لما نزلت ليس لهم طعام قال المشركون
ان ابلنا تسمن من الضريع فنزلت لا يسمن ولا يغني من جوع وكذبوا في قولهم هذا فان الابل لا تأكل
الضريع ولا تقربه وقيل اشتبه عليهم امره فظنوه كغيره من النبات النافع قال ابو السعود وتحقيق ذلك
ان جوعهم وعطشهم ليسا من قبيل ما هو المعهود منهما في هذه النشأة من حالة عارضة للانسان
عند استدعاء الطبيعة الى المطعوم والمشروب بحيث يلتذ بهما عند الاكل والشرب ويستغني بهما عن
غيرهما عند استقرارهما في المعدة ويستفيد منهما قوة وسمنا عند انهضامهما بل جوعهم عبارة
عن اضطرارهم عند اضطرام النار في احشائهم الى ادخال شيء كثيف يملؤها ويخرج ما فيها من اللهب
واما ان يكون لهم شوق الى مطعوم ما او التذاذ به عند الاكل واستغناء به عن الغير او استفادة
قوة فهيهات وكذا عطشهم عبارة عن اضطرارهم عند اكل الضريع والتهابه في بطونهم الى شيء مايع
بارد يطفئه من غير ان يكون لهم التذاذ بشربه او استفادة قوة في الجملة وهو المعنى بما روي انه
تعالى يسلط عليهم الجوع بحيث يضطرهم الى اكل الضريع فاذا اكلوه يسلط عليهم العطش فيضطرهم
الى شرب الحميم فيشوي وجوههم ويقطع امعاءهم وتنكير الجوع للتحقير اي لا يغني من جوع ما ثم شرع
سبحانه في بيان حال اهل الجنة بعد الفراغ من بيان حال اهل النار فقال وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ
اي ذات نعمة وبهجة في لين العيش وهي وجوه المؤمنين صارت —— ناعمة لما شاهدوا
من عاقبة امرهم وما اعده الله لهم من الخير الذي يفوق الوصف ومثله قوله تعرف في وجوههم نضرة
النعيم والمراد بالوجوه هنا اصحابها كما تقدم ثم قال لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ اي لعملها الذي عملته في الدنيا
راضية لانها قد اعطيت من الاجر ما ارضاها وقرت به عيونها فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ اي عالية المكان مرتفعة

علي غيرها من الامكنة او عالية القدر لان فيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين لا تسمع فيها لاغية قرأ الجمهور بفتح الفوقية ونصب لاغية اي لا تسمع انت ايها المخاطب او لا تسمع تلك الوجوه وقرئ بضم التحتية مبنيا للمفعول ورفع لاغية وقرئ بالفوقية مضمومة ورفع لاغية وقرئ بفتح التحتية مبنيا للفاعل ونصب لاغية واللغو الكلام الساقط قال الفراء والاخفش اي لا تسمع فيها كلمة لغو قيل المراد به الكذب والبهتان والكفر قاله قتادة وقال مجاهد اي الشتم وقال الفراء لا تسمع فيها حالفا يحلف بكذب قال الكلبي لا تسمع في الجنة حالفا بيمين برة ولا فاجرة وقال الفراء ايضا لا تسمع في كلام اهل الجنة كلمة تلغى لانهم لا يتكلمون الا بالحكمة وحمد الله تعالى على ما رزقهم من النعيم الدائم وهذا ارجح الاقوال لان النكرة في سياق النفي من صيغ العموم ولا وجه لتخصيص هذا بنوع من اللغو خاص الا بمخصص يصلح للتخصيص ولاغية اما صفة موصوف محذوف اي كلمة لاغية او جماعة لاغية او نفس لاغية او مصدر اي لا تسمع فيها لغوا قال ابن عباس لا تسمع اذى ولا باطلا فيها عين جارية قد تقدم في سورة الانسان ان فيها عيونا والعين هنا بمعنى العيون كما في قوله علمت نفس ومعنى جرى العين انها تجري مياهها على وجه الارض في غير اخدود وتتدفق بانواع الاشربة المستلذة لا ينقطع جريها ابدا قال الكلبي لا ادري بماء او بغيره فيها سرر مرفوعة اي عالية مرتفعة السمك او عالية القدر او شريفة الذات قال ابن عباس بعضها فوق بعض واكواب موضوعة قد تقدم ان الاكواب جمع كوب وانه القدح الذي لا عروة له ولا خرطوم اي انها موضوعة بين ايديهم لشربون منها او معدة لاهلها او موضوعة على حافات العين الجارية او موضوعة عن حد الكبر اي هي اوساط بين الكبر والصغر كقوله قدروها تقديرا ونمارق مصفوفة هي الوسائد قال الواحدي في قول الجميع واحدتها نمرقة بضم النون وزاد الفراء سماعا عن العرب نمرقة بكسرها وهما لغتان اشهرهما الاولى قال الكلبي وسائد مصفوفة بعضها الى بعض ومنه قول الشاعر كهول وشبان حسان وجوههم على سرر مصفوفة ونمارق + قال في الصحاح النمرق والنمرقة وسادة صغيرة وكذلك النمرقة بالكسر لغة حكاها يعقوب وقال ابن عباس نمارق مجالس وعنه قال مرافق وقيل مساند ومطارح اينما اراد ان يجلس جلس على مسورة واستند الى الاخرى قال الواحدي مصفوفة اي فوق الطنافس وزرابي مبثوثة يعني البسط العراض الفاخرة واحدها زربي وزربية قال ابو عبيدة والفراء

الزرابي الطنافس التي لها خمل رقيق واحدها زربية وفي القاموس الزرابي النمارق والبسط او كل ما ابسط
ويتكأ عليه الواحد زربي بالكسر ويضم والمبثوثة المبسوطة قاله قتادة وقال عكرمة بعضها فوق بعض
قال الواحدي ويجوز ان يكون المعنى انها مفرقة في المجالس وبه قال القتيبي وقال الفراء مبثوثة كثيرة
والظاهر ان معنى البث التفريق مع كثرة ومنه وبث فيها من كل دابة قال القرطبي وغيره وهذا
اصح أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ الاستفهام للتقريع والتوبيخ والفاء للعطف على مقدر
كما في نظائره مما مر غير مرة والجملة مستانفة مسوقة لتقرير امر البعث والاستدلال عليه وكذا ما بعدها
وقيل الجملة في محل جر على انها بدل اشتمال من الابل والمعنى اينكرون امر البعث ويستبعدون
وقوعه افلا ينظرون الى الابل التي هي غالب مواشيهم واكثر ما يشاهدونه من المخلوقات كيف خلقت
معدولا عن سنن خلق سائر انواع الحيوانات على ما هي عليه من الخلق البديع من عظم جثتها ومزيد
قوتها وبديع اوصافها قال ابو عمرو بن العلاء انما خص الابل لانها من ذوات الاربع تبرك فتحمل
عليها الحمولة وغيرها من ذوات الاربع لا يحمل عليه الا وهو قائم قال الزجاج نبههم على عظيم من
خلقه قد ذلله للصغير يقوده وينيخه وينهضه ويحمل عليه الثقيل من الحمل وهو بارك فينهض بثقل
حمله وليس ذلك في شيء من الحوامل غيره فاراهم عظيما من خلقه ليدلهم بذلك على توحيده
وسئل الحسن عن هذه الاية وقيل له الفيل اعظم في الاعجوبة فقال اما الفيل فالعرب بعيدة
العهد به ثم هو خنزير لا يركب ظهره ولا يؤكل لحمه ولا يحلب دره والابل من اعز مال العرب
وانفسه يأكل النوى والقت ويخرج اللبن ويأخذ الصبي بزمامها فيذهب بها حيث شاء مع عظمها
في نفسها وقال المبرد الابل هنا هي القطع العظيمة من السحاب وهو خلاف ما ذكره اهل التفسير واللغة
وروي عن الاصمعي انه قال من قرأ خلقت بالتخفيف عنى به البعير ومن قرأ بالتشديد عنى به السحاب
قال ابو السعود بدأ بالابل لكثرة منافعها كأكل لحمها وشرب لبنها والحمل عليها والتنقل عليها الى البلاد
البعيدة وعيشها باي نبات اكلته كالشجر والشوك وصبرها على العطش عشرة ايام فاكثر وطوعها
لكل من قادها ولو صبيا صغيرا ونهوضها وهي باركة بالاحمال الثقيلة وتأثرها بالصوت الحسن مع
غلظ اكبادها ولا شيء من الحيوان جمع هذه الاشياء غيرها ولكونها افضل ما عند العرب جعلوها دية
القتل والابل اسم جمع لا واحد له من لفظه وانما واحده بعير وناقة وجمل وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ

رُفِعَتْ فوق الارض بلا عمد على وجه لا يناله الفهم ولا يدركه العقل وقيل رفعت فلا ينالها شيء
وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ على وجه الارض مرساة راسخة لا تميد ولا تميل ولا تزول وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ
سُطِحَتْ اي بسطت والسطح بسط الشيء يقال لظهر البيت اذا كان مستويا سطح قرأ الجمهور مبنيا للمفعول
مخففا وقرأ الحسن مشددا وقرأ علي بن ابي طالب وغيره خلقت ورفعت ونصبت وسطحت على البناء للفاعل
وضم التاء فيها كلها قال المحلي قوله سطحت ظاهر في ان الارض سطح وعليه علماء الشرع لا كرة كما قاله
اهل الهيئة وان لم ينقض ركنا من اركان الشرع قال الكرخي هي كرة بطبعها وحقيقتها لكن الله اخرجها
عن طبعها بفضله وكرمه بتسطيح بعضها لاقامة الحيوانات عليها فاخرجها عما يقتضيه طبعها انتهى
وفي التكميل للشيخ رفيع الدين بن ولي الله الدهلوي رح اهل الشرائع يفهمون من مثل قوله تعالى
والارض فراشا ودحاها وسطحت انها سطح مستو والحكماء يثبتون كرويتها بالادلة الصحيحة فيتوهم
الخلاف ويدفع بان القدر المحسوس منها في كل بقعة سطح مستو فان الدائرة كلما عظمت قل انجذاب
اجزائها فاستواؤها باعتبار محسوسية اجزائها وكرويتها باعتبار معقولية جملتها انتهى ثم لما ذكر
تعالى دليل توحيده ولم يعتبروا ولم يتفكروا فيها خاطب نبيه وامره بان يذكرهم فقال فَذَكِّرْ
الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها اي فعظهم يا محمد وخوفهم ثم علل الامر بالتذكير فقال إِنَّمَا
أَنْتَ مُذَكِّرٌ اي ليس عليك الا ذلك لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ حتى تكرههم على الايمان ومصيطر
بالصاد والسين المسلط على الشيء ليشرف عليه ويتعهد احواله كذا في الصحاح قال ابن عباس اي
بجبار وعنه قال ثم نسخ ذلك فقال اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ استثناء
منقطع من الهاء في عليهم اي لكن من تولى عن الوعظ والتذكير فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ وهو
عذاب جهنم الدائم وقيل هو استثناء متصل من قوله فذكر اي فذكر كل احد الا من انقطع طمعك
عن ايمانه وتولى فاستحق العذاب الاكبر والاول اولى وانما قال الاكبر لانهم قد عذبوا في الدنيا بالجوع والقحط
والقتل والاسر وقرأ ابن مسعود فانه يعذبه الله وقرأ ابن عباس وقتادة الا من تولى على انها الا التي للتنبيه
والاستفتاح إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ اي رجوعهم بعد الموت بالبعث لا الى احد سوانا لا استقلالا ولا اشتراكا
وفائدة تقديم الظرف التشديد في الوعيد وان ايابهم ليس الا الى الجبار المقتدر على الانتقام قال
ابن عباس اي مرجعهم يقال آب يؤوب اذا رجع قرأ الجمهور ايابهم بالتخفيف وقرئ بالتشديد قال ابو حاتم

لا يجوز التشديد ولو جاز لجاز مثله في الصيام والقيام وقيل هما لغتان بمعنى قال الواحدي واما ايابهم بتشديد الياء فانه شاذ لم يجزه احد غير الزجاج ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ يعني جزاءهم بعد رجوعهم الينا بالبعث في المحشر لا على غيرنا وثم للتراخي في الرتبة لا في الزمان لبعد منزلة الحساب في الشدة عن منزلة الاياب وعلى لتاكيد الوعيد لا للوجوب اذ لا يجب على الله شيء وجمع الضمير في ايابهم وحسابهم باعتبار معنى من كما ان افراده في يعذبه باعتبار لفظها وفي تصدير الجملتين بان وتقديم خبرها وعطف الثانية على الاولى بكلمة ثم المفيدة لبعد منزلة الحساب في الشدة من الانباء عن غاية السخط الموجب لتشديد العذاب ما لا يخفى

سورة الفجر هي ثلثون اية وقيل تسع وعشرون وهي مكية بلا خلاف

في قول الجمهور قال ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن الزبير وعايشة مثله ومدنية في قول علي بن ابي طلحة اخرج النسائي عن جابر قال صلى معاذ صلوة فجاء رجل فصلى معه فطول فصلى في ناحية المسجد ثم انصرف فبلغ ذلك معاذا فقال منافق فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله جئت اصلي معه فطول علي فانصرفت فصليت في ناحية المسجد فعلفت ناضحي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افتان انت يا معاذ اين انت من سبح اسم ربك الاعلى والشمس وضحيها والفجر والليل اذا يغشى

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

وَالْفَجْرِ اقسم سبحانه بهذه الاشياء كما اقسم بغيرها من مخلوقاته واختلف في الفجر الذي اقسم الله به هنا فقيل هو الوقت المعروف وسمي فجرا لانه وقت انفجار الظلمة عن النهار من كل يوم قاله علي وابن الزبير وقال قتادة انه فجر اول يوم من شهر محرم لان منه تنفجر السنة وقال مجاهد يريد يوم النحر قال الضحاك فجر ذي الحجة لان الله قرن الايام به فقال وَلَيَالٍ عَشْرٍ اي ليالي عشر من ذي الحجة وبه قال السدي والكلبي وقيل المعنى وصلوة الفجر او ورب الفجر والاول اولى وقال ابن عباس فجر النهار وعنه قال يعني صلوة الفجر وعنه قال هو المحرم فجر السنة وقد ورد في فضل صوم شهر محرم احاديث صحيحة ولكنها لا تدل على انه المراد بالاية لا مطابقة ولا تضمنا ولا التزاما وجواب هذا القسم وما بعده هو قوله ان ربك لبالمرصاد قاله ابن الانباري وقيل محذوف لدلالة السياق عليه اي ليجازين

كل احد بما عمل اوليعذبن وقدره ابو حيان بما دلت عليه خاتمة السورة التي قبله اي والفجر الخ لاياْبهم الينا وحسابهم علينا وهذا ضعيف جدا واضعف منه قول من قال ان الجواب قوله هل في ذلك قسم لذي حجر وان هل بمعنى قد لان هذا لا يصح ان يكون مقسما عليه ابدا وليال عشر هي عشر ذى الحجة في قول جمهور المفسرين وانما نكرت ولم تعرف لفضيلتها على غيرها لانها افضل ليالى السنة ولو عرفت لم تستقل بمعنى الفضيلة الذي في التنكير فنكرت من بين ما اقسم به للفضيلة التي ليست لغيرها وقال الضحاك انها العشر الاواخر من رمضان وقيل العشر الاول من المحرم الى عاشرها يوم عاشوراء قرأ الجمهور ليال بالتنوين وعشر صفة لها وقرأ ابن عباس بالاضافة قيل والمراد ليالي ايام عشر وكان حقه على هذا ان يقال عشرة لان المعدود مذكر واجيب عنه بانه اذا حذف المعدود جاز الوجهان وعن جابر مرفوعا هي ليالى العشر من ذى الحجة اخرجه احمد والنسائي والحاكم وصححه والبيهقي وغيرهم وعن طلحة بن عبد الله انه دخل على ابن عمر هو وابو سلمة بن عبد الرحمن فدعاهم ابن عمر الى الغدا يوم عرفة فقال ابو سلمة اليس هذه الليالى العشر التي ذكرها الله تعالى في القرآن فقال ابن عمر وما يدريك قال ما اشك قال بلى فاشكك وقد ورد في فضل هذه العشر احاديث وليس فيها ما يدل على انها المرادة بما في القرآن هنا بوجه من الوجوه قال ابن عباس هي العشر الاواخر من رمضان والشفع والوتر هما يعمان الاشياء كلها شفعها ووترها كالكفر والايمان والهدى والضلال والسعادة والشقاوة والليل والنهار والسماء والارض والبر والبحر والشمس والقمر والجن والانس وقيل شفع الليالي ووترها وقال قتادة الشفع والوتر شفع الصلوة ووترها منها شفع ومنها وتر وقيل الشفع يوم عرفة ويوم النحر والوتر ليلة يوم النحر وقال مجاهد وعطية العوفي الشفع الخلق والوتر الله الواحد الصمد وبه قال محمد بن سيرين ومسروق وابو صالح وقتادة وقال الربيع بن انس وابو العالية هي صلوة المغرب فيها ركعتان والوتر الركعة وقال الضحاك الشفع عشر ذى الحجة والوتر ايام منى الثلاثة وبه قال عطاء وقيل هما آدم وحوى لان آدم كان وترا فشفع بحوى وقيل الشفع درجات الجنة وهي ثمان والوتر دركات النار وهي سبع وبه قال الحسين بن الفضل وقيل الشفع الصفا والمروة والوتر الكعبة وقال مقاتل الشفع الايام والليالي والوتر اليوم الذي لا ليلة بعده وهو يوم القيامة وقال سفيان بن عيينة الوتر هو الله سبحانه وهو الشفع ايضا لقوله ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم الآية وقال الحسن المراد بالشفع والوتر العدد كله لان العدد

لا يخلو عنهما وقيل الشفع مسجد مكة والمدينة والوتر مسجد بيت المقدس وقيل الشفع حج القران والوتر
الافراد وقيل الشفع الحيوان لانه ذكر وانثى والوتر الجماد وقيل الشفع ما سمي والوتر ما لم يسم ولا يخفاك
ما في غالب هذه الاقوال من السقوط البين والضعف الظاهر والاتكال في التعيين على مجرد الرأي
الزائف والخاطر الخاطي والذي ينبغي التعويل عليه ويتعين المصير اليه ما يدل عليه معنى الشفع
والوتر في كلام العرب وهما معروفان واضحان فالشفع عند العرب الزوج والوتر الفرد فالمراد بالآية
اما نفس العدد او ما يصدق عليه من المعدودات بانه شفع او وتر واذا قام دليل على تعيين
شيء من المعدودات في تفسير هذه الآية فان كان الدليل يدل على انه المراد نفسه دون غيره
فذاك وان كان الدليل يدل على انه مما تناولته هذه الآية لم يكن ذلك مانعا من تناولها لغيره
عن عمران بن حصين ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الشفع والوتر فقال هو الصلوة بعضها شفع و
بعضها وتر اخرجه احمد والترمذي وغيرهما وفي اسناده رجل مجهول وهو الراوي له عن عمران
وقد روي عن عمران بن عصام عن عمران بن حصين باسقاط الرجل المجهول وقال الترمذي
الرواية الاولى غريب لا نعرفه الا من حديث قتادة قال ابن كثير وعندي ان وقفه على عمران
اشبه والله تعالى اعلم قال ولم يجزم ابن جرير بشيء من هذه الاقوال في الشفع والوتر واخرج عبد الرزاق
وعبد بن حميد وابن جرير هذا الحديث موقوفا على عمران فهذا يقوي ما قاله ابن كثير وعن جابر
مرفوعا ان العشر عشر الاضحى والوتر يوم عرفة والشفع يوم النحر اخرجه احمد والنسائي والبزار والحاكم و
صححه وغيرهم وعن ابن عباس قال كل شيء شفع فهو اثنان والوتر واحد وعن ابي ايوب عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الشفع والوتر فقال يومان وليلة يوم عرفة ويوم النحر والوتر ليلة النحر ليلة جمع
اخرجه الطبراني وابن مردويه قال السيوطي بسند ضعيف وعن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الشفع اليومان والوتر اليوم الثالث اخرجه ابن جرير وعن ابن الزبير قال الشفع قول الله فمن تعجل
في يومين فلا اثم عليه والوتر اليوم الثالث وفي لفظ الوتر اوسط ايام التشريق وعن ابن عباس قال
الشفع يوم النحر والوتر يوم عرفة قرأ الجمهور الوتر بفتح الواو وقرأ حمزة والكسائي وخلف بكسرها وهي قراءة
ابن مسعود واصحابه وهما لغتان والفتح لغة قريش واهل الحجاز والكسر لغة تميم قال الاصمعي كل فرد
وتر واهل الحجاز يفتحون فيقولون وتر في الفرد وحكى يونس عن ابي عمرو انه قرأ بفتح الواو وكسر التاء

فيحتمل ان يكون لغة ثالثة ويحتمل انه نقل كسرة الراء الى التاء اجراء للوصل مجرى الوقف والليل
اذا يسر قرأ الجمهور يسر بحذف الياء وصلا ووقفا اتباعا لرسم المصحف وقرأ نافع وابو عمرو بحذفها
في الوقف واثباتها في الوصل وقرأ ابن كثير وابن محيصن ويعقوب باثباتها فيهما قال الخليل تسقط
الياء منها موافقة لرؤس الاي قال الزجاج والحذف احب الي لانها فاصلة والفواصل تحذف منها الياءات
قال الفراء قد تحذف العرب الياء وتكتفي بكسر ما قبلها قال المورج سألت الاخفش عن العلة في
اسقاط الياء من يسري فقال لا اجيبك حتى تبيت على باب داري سنة فبت على باب داره
سنة فقال الليل لا يسري وانما يسرى فيه فهو مصروف عن جهته وكل ما صرف عن جهته بخسته من اعرابه
الا ترى الى قوله وما كانت امك بغيا ولم يقل بغية لانه صرفها عن باغية وفي كلام الاخفش
هذا نظر فان صرف الشيء عن معناه بسبب من الاسباب لا يستلزم صرف لفظه عن بعض ما
يستحقه ولو صح ذلك للزم في كل المجازات العقلية واللفظية واللازم باطل فالملزوم مثله والاصل
ههنا اثبات الياء لانها لام الفعل المضارع المرفوع ولم تحذف لعلة من العلل الا الاتباع لرسم
المصحف وموافقة رؤس الاي اجراء للفواصل مجرى القوافي ومعنى والليل اذا يسر اذا يمضي كقوله
والليل اذ ادبر والليل اذا عسعس وقيل معنى يسر يسار فيه كما يقال ليل نائم ونهار صائم وبهذا
قال الاخفش والقتيبي وغيرهما من اهل المعاني وعلى هذا النسبة السرى الى الليل مجاز والمراد
يسرى فيه فهو مجاز في الاسناد باسناد ما للشيء للزمان كما يسند للمكان والظاهر انه مجاز مرسل
او استعارة وبالاول قال جمهور المفسرين وقال قتادة وابو العالية والليل اذا يسر اي جاء واقبل
وقال النخعي اي استوى قال عكرمة وقتادة والكلبي ومحمد بن كعب هي ليلة المزدلفة خاصة لاختصاصها
باجتماع الناس فيها بطاعة الله سبحانه وقيل ليلة القدر لسراية الرحمة فيها واختصاصها
بزيادة الثواب والراجح عدم تخصيص ليلة من الليالي دون اخرى قال ابن عباس اذا يسر اذا ذهب
ويسر ماخوذ من السري وهو خاص بسير الليل يقال سريت الليل وسريت به وقد استعملت العرب
سرى في المعاني تشبيها لها بالاجسام مجازا واتساعا كطاف الخيال وذهب الهم واخذه الكسل والنشاط
وقول الفقهاء سرى الجرح الى النفس معناه دام المه حتى حدث منه الموت وقطع كفه فسرى الى ساعده
اي تعدى اثر الجرح وسرى التحريم وسرى العتق بمعنى التعدية وهذه الالفاظ جارية على السنة الفقهاء

وليس لها ذكر في الكتب المشهورة لكنها موافقة لما تقدم قال الفارابي سرى فيه السم والخمر ونحوهما
وقال السرقسطي سرى عرق السوء من الانسان وقال ابن القطاع سرى عليه الهم اتاه ليلا وسرى
هه ذهب هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ هذا الاستفهام لتقرير تعظيم ما اقسم الله سبحانه به وتفخيمه من هذه
الامور المذكورة والاشارة بقوله ذلك الى تلك الامور والتذكير بتاويل المذكور اي هل في ذلك
المذكور من الامور التي اقسمنا بها قسم اي مقنع ومكتفى في القسم او مقسم به حقيق بان يؤكد به الاخبار
وايا ما كان فما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته في الفضل والشرف
لِذِي حِجْرٍ اي عقل ولب فمن كان ذا عقل ولب علم ان ما اقسم الله به من هذه الاشياء حقيق بان
يقسم به ومثل هذا قوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم قال الحسن لذي حجر اي لذي حلم وقال ابو مالك
لذي ستر من الناس وقال الجمهور الحجر العقل قال الفراء الكل يرجع الى معنى واحد لذي عقل ولذي
حلم ولذي ستر الكل بمعنى العقل واصل الحجر المنع يقال لمن ملك نفسه ومنعها انه لذو حجر ومنه
سمي الحجر لامتناعه بصلابته ومنه حجر الحاكم على فلان اي منعه قال والعرب تقول انه لذو
حجر اذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها قال ابن عباس لذي حجر لذي حجى وعقل ونهى ثم ذكر سبحانه
على طريق الاستشهاد ما وقع من عذابه على بعض طوائف الكفار بسبب كفرهم وعنادهم وتكذيبهم
للرسل تحذيرا للكفار في عصر نبينا صلى الله عليه وسلم وتخويفا لهم ان يصيبهم ما اصابهم فقال أَلَمْ تَرَ
كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ اي الم تعلم يا محمد علما يوازي العيان في الايقان وهو استفهام تقرير
قرأ الجمهور بتنوين عاد على ان يكون قوله إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ عطف بيان لعاد والمراد بعاد اسم ابيهم وارم
اسم القبيلة او بدلا منه وامتناع صرف ارم للتعريف والتانيث وقيل المراد بعاد اولاد عاد وهم
عاد الاولى ويقال لمن بعدهم عاد الاخرى فيكون ذكر ارم على طريقة عطف البيان او البدل للدلالة
على انهم عاد الاولى لا عاد الاخرى ولا بد من تقدير مضاف على كلا القولين اي اهل ارم او سبط ارم
فان ارم هو جد عاد لانه عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقرأ الحسن وابو العالية باضافة
عاد الى ارم وقرأ الجمهور ارم بكسر الهمزة وفتح الراء والميم وقرئ بفتح الهمزة والراء وقرأ معاذ بسكون الراء
تخفيفا وقرئ باضافة ارم الى ذات العماد وقال مجاهد من قرأ بفتح الهمزة شبههم بالارم التي هي
الاعلام واحدها ارم وفي الكلام تقديم وتاخير اي والفجر وكذا وكذا ان ربك لبالمرصاد الم تر الى قوم

ينته علمك الى ما فعل ربك بعاد وهذه الرؤية رؤية القلب والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم او لكل
من يصلح له وقد كان امر عاد وثمود مشهورا عند العرب لان ديارهم متصلة بديار العرب وكانوا
يسمعون من اهل الكتاب امر فرعون وقال مجاهد ايضا ارم امة من الامم وقال قتادة هي قبيلة
من عاد وقيل هما عادان فالاول هي ارم قال معمر ارم اليه مجمع عاد وثمود وكان يقال عاد ارم
وعاد ثمود وكانت القبيلتان تنتسب الى ارم قال ابو عبيدة هما عادان فالاولى ارم ومعنى ذات العماد
ذات القوة والشدة ماخوذ من قوة الاعمدة كذا قال الضحاك وقال قتادة ومجاهد انهم كانوا اهل عمد
سيارة في الربيع فاذا هاج النبت رجعوا الى منازلهم وقال مقاتل ذات العماد يعني طولهم وكان طول
الرجل منهم اثني عشر ذراعا يقال رجل طويل العماد اي القامة قال ابو عبيدة ذات العماد ذات الطول
يقال رجل معمد اذا كان طويلا وقال مجاهد وقتادة ايضا كان عماد القوم يقال فلان عميد
القوم وعمودهم اي سيدهم وقال ابن زيد ذات العماد يعني احكام البنيان بالعمد قال في الصحاح
والعماد الابنية الرفيعة تذكر وتؤنث وقال عكرمة وسعيد المقبري هي دمشق وعن مالك مثله
وقال محمد بن كعب هي الاسكندرية قال ابن عباس يعني بالارم الهالك الا ترى انك تقول ارم بنو فلان
وذات العماد يعني طولهم مثل العماد وعن المقدام بن معد يكرب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر ارم ذات
العماد فقال كان الرجل منهم ياتي الى الصخرة فيحملها على كاهله فيلقيها على اي حي اراد فيهلكهم اخرجه
ابن ابي حاتم وابن مردويه وفي اسناده رجل مجهول لان معاوية بن صالح رواه عمن حدثه عن المقدام
التي لم يخلق مثلها في البلاد هذه صفة لعاد اي لم يخلق مثل تلك القبيلة في الطول والشدة والقوة
وهم الذين قالوا من اشد منا قوة او صفة للقرية على قول من قال ان ارم اسم لقريتهم او للارض
التي كانوا فيها والاول اولى ويدل عليه قراءة ابي بن كعب التي لم يخلق مثلهم في البلاد وقيل
الارم الهلاك قال الضحاك ارم ذات العماد اي اهلكهم فجعلهم رميما وبه قال شهر بن حوشب
وقد ذكر جماعة من المفسرين ان ارم ذات العماد اسم مدينة مبنية بالذهب والفضة قصورها ودورها
وبساتينها وان حصباءها جواهر وترابها مسك وليس بها انيس ولا فيها ساكن من بني ادم وانها لا تزال
تنتقل من موضع الى موضع تارة تكون باليمن وتارة تكون بالشام وتارة تكون بالعراق وتارة تكون
بسائر البلاد وهذا كذب بحت لا يخفى على من له ادنى تمييز وزاد الثعلبي في تفسيره فقال ان عبد الله

بن قلابة في زمان معاوية دخل هذه المدينة وهذا كذب على كذب وافتراء على افتراء وقد اصيب الاسلام واهله بداهية دهياء وفاقرة عظمى ورزية كبرى من امثال هؤلاء الكذابين الدجالين الذين يجترون على الكذب تارة على بني اسرائيل وتارة على الانبياء وتارة على الصالحين وتارة على رب العالمين و تضاعف هذا الشر وزاد كثرة بتصدر جماعة من الذين لا علم لهم بصحيح الرواية من ضعيفها او موضوعها للتصنيف والتفسير للكتاب العزيز فادخلوا هذه الخرافات المختلقة والاقاصيص المنحولة والاساطير المفتعلة في تفسير كتاب الله سبحانه فحرفوا وغيروا وبدلوا ومن اراد ان يقف على بعض ما ذكرنا فلينظر في كتاب الفوائد المجموعة في الاحاديث الموضوعة للشوكاني قال الحافظ ابن كثير لا تغتر بما ذكره جماعة من المفسرين من ذكر مدينة يقال لها ارم ذات العماد فان ذلك كله من خرافات الاسرائيليين من وضع الزنادقة منهم ليختبروا بذلك عقول الجهلة من الناس فهذا وامثاله مختلق لا حقيقة له واما قوله تعالى فالمراد من الآية انما هو الاخبار عن هلاك القبيلة المسماة بعاد الذين ارسل الله فيهم هودا فكذبوه فاهلكهم الله وارم عطف بيان لعاد او بدل منه للاعلام بانهم عاد الاولى فسموا باسم جدهم ارم كما يقال لبني هاشم هاشم لان عادا هو ابن عوص ابن ارم بن سام بن نوح وقيل ارم اسم بلدتهم وارضهم فالتقدير بعاد اهل ارم كقوله تعالى واسأل القرية اي اهلها وذات العماد ان كان صفة للقبيلة فمعناها انهم اصحاب خيام لها اعمدة يظعنون بها او هو كناية عن طول اجسامهم تشبيها بالاعمدة وان كان صفة للبلدة فمعناه انها ذات عمد من الحجارة وتعقب هذا القول بانه لو كان ذلك مراد القائل التي لم يعمل مثلها في البلاد وانما قال لم يخلق فالقول الاول هو الصواب انتهى وبه قال شيخ الاسلام نجم الدين محمد الغيطي رحمه الله تعالى قال عبد الرحمن بن خلدون في كتاب العبر بعد ذكر اغلاط المؤرخين وابعد من ذلك و اعرق في الوهم ما يتناقله المفسرون في تفسير سورة والفجر في قوله تعالى ارم ذات العماد فيجعلون لفظة ارم اسما لمدينة وصفت بانها ذات عماد اي اساطين وهي كذا وكذا ذكر ذلك الطبري والثعالبي والزمخشري وغيرهم من المفسرين ويتقلون عن عبد الله بن قلابة من الصحابة انه خرج في طلب ابل له فوقع عليها الخ وهذه المدينة لم يسمع لها خبر من يومئذ في شيء من بقاع الارض وصحارى عدن التي زعموا انها بنيت فيها هي في وسط اليمن وما زال عمرانه متعاقبا والادلاء تقص طرقه ولم ينقل عن هذه المدينة خبر ولا ذكرها احد

كما ذكر من حمل ابن قلابة فيه نظر الشيخ عبد العزيز الدهلوي في تفسيره

من الاخباريين ولا من الامم ولو قالوا انها درست فيما درس من الاثار لكان اشبه الان ظاهر كلامهم
انها موجودة وبعضهم يقول انها دمشق بناء على ان قوم عاد ملكوها وقد ينتهي الهذيان ببعضهم
الى انها غائبة وانما يعثر عليها اهل الرياضة والسحر مزاعم كلها اشبه بالخرافات والذي حمل المفسرين
على ذلك ما اقتضته صناعة الاعراب في لفظة ذات العماد انها صفة ارم وحملوا العماد على الاساطين
فتعين ان يكون بناء ورشح لهم ذلك قراءة ابن الزبير عاد ارم على الاضافة من غير تنوين ثم وقفوا
على تلك الحكايات التي هي اشبه بالاقاصيص الموضوعة التي هي اقرب الى الكذب المنقولة في عداد
المضحكات والا فالعماد هي عماد الاخبية بل الخيام وان اريد بها الاساطين فلا بدع وصفهم بانهم
اهل بناء واساطين على العموم بما اشتهر من قوتهم لا انه بناء خاص في مدينة معينة كما تقول
قريش كنانة والياس مضر وربيعة نزار واي ضرورة الى هذا الحمل البعيد الذي تمحل لتوجيهه
لامثال هذه الحكايات الواهية التي ينزه كتاب الله تعالى عن مثلها لبعدها عن الصحة انتهى كلامه
ثم عطف سبحانه القبيلة الاخرة وهي ثمود على قبيلة عاد فقال وَثَمُودَ هم قوم صالح سموا باسم
جدهم ثمود بن عامر بن ارم بن سام بن نوح قرأ الجمهور ثمود بمنع الصرف على انه اسم للقبيلة ففيه التانيث
والتعريف وقرأ يحيى بن وثاب بالصرف على انه اسم لابيهم الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ اي قطعوه وقال ابن عباس
خرقوه والجوب القطع ومنه جاب البلاد اذا قطعها ومنه سمي جيب القميص لانه جيب اي قطع قال
المفسرون اول من نحت الجبال والصخور ثمود فبنوا من المدائن الفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة
ومنه قوله سبحانه وتنحتون من الجبال بيوتا امنين وكانوا ينحتون الجبال وينقبونها ويجعلون تلك
الانقاب بيوتا يسكنون فيها وقوله بِالْوَادِ متعلق بجابوا او بمحذوف على انه حال من الصخر وهو وادي
القرى وهو موضع بقرب المدينة من جهة الشام وقيل الوادي بين جبال وكانوا ينقبون في
تلك الجبال بيوتا ودورا واحواضا وكل منفرج بين جبال او تلال يكون مسلكا للسيل ومنفذا
فهو واد وقرأ الجمهور بالواد بحذف الياء وصلا ووقفا اتباعا لرسم المصحف وقرأ ابن كثير باثباتها فيهما
وقرئ باثباتها في الوصل دون الوقف وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ اي ذي الجنود الذين لهم خيام كثيرة
يشدونها بالاوتاد وجعل الجنود والجيوش والجموع انفسهم اوتادا لانهم يشدون الملك كما تشد
الاوتاد الخيام وقيل كان له اوتاد يعذب الناس بها ويشدهم اليها والوتد بكسر التاء في لغة الحجاز

قوله بالواد بالياء وفقا للرسم لانها من ياءات الزوائد قال الحفناوي ١٢

وهي الفصحى وجمعه اوتاد وفتح التاء لغة واهل نجد يسكنون التاء فيدغمون بعد القلب فيقولون وَدّ كذا في المصباح وقد تقدم بيان هذا في سورة ص قال ابن عباس الاوتاد الجنود الذين يشدون له امره وقال ابن مسعود وتد فرعون لامرأته اربعة اوتاد ثم جعل على ظهرها رحى عظيمة حتى ماتت ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ﴾ الموصول صفة لعاد وثمود وفرعون اي طغت كل طائفة منهم في بلادهم وتمردت وعتت والطغيان مجاوزة الحد ويجوز ان يكون الموصول في محل رفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي هم الذين طغوا وفي محل نصب على الذم ﴿فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾ بالكفر ومعاصي الله والجور على عباده ﴿فَصَبَّ﴾ اي افرغ ﴿عَلَيْهِمْ رَبُّكَ﴾ والقى على تلك الطوائف ﴿سَوْطَ عَذَابٍ﴾ هو ما عذبهم به قال الزجاج جعل سوطه الذي ضربهم به العذاب يقال صب على فلان خلعة اي القاها عليه ومعنى وسوط عذاب نصيب عذاب او نوع من العذاب فاهلكت عاد بالريح وثمود بالصيحة وفرعون بالغرق فكلا اخذنا بذنبه وذكر السوط اشارة الى ان ما احله بهم في الدنيا من العذاب العظيم هو بالنسبة الى ما اعده لهم في الآخرة كالسوط اذا قيس الى سائر ما يعذب به وقيل ذكر السوط للدلالة على شدة ما نزل بهم وكان السوط عندهم هو نهاية ما يعذب به قال الفراء هي كلمة تقولها العرب لكل نوع من انواع العذاب واصل ذلك ان السوط هو عذابهم الذي يعذبون به فجرى لكل عذاب اذ كان فيه عندهم غاية العذاب وقيل معناه عذاب يخالط اللحم والدم من قولهم ساطه يسوطه سوطا اي خلطه فالسوط خلط الشيء بعضه ببعض والاولى انه مجاز واستعارة عن ايقاع العذاب بهم على ابلغ الوجوه واكملها اذ الصب يشعر بالدوام والسوط بزيادة الايلام اي عذبوا عذابا مولما دائما وقوله ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ تعليل لما قبله ايذانا بان كفار قومه عليه السلام سيصيبهم مثل ما اصاب المذكورين من العذاب كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام وقد قدمنا قول من قال ان هذا جواب القسم وبه قال ابن مسعود والاولى ان الجواب محذوف والمعنى انه يرصد عمل كل انسان حتى يجازيه عليه بالخير خيرا وبالشر شرا ففيه استعارة تمثيلية قال الحسن وعكرمة اي عليه طريق العباد لا يفوته احد والرصد والمرصاد الطريق وقد تقدم بيانه في سورة براءة وقد تقدم ايضا عند قوله ان جهنم كانت مرصادا وقال ابن عباس بالمرصاد اي يسمع ويرى وقال ابن مسعود في

في الآية من وراء الصراط جسور جسر عليه الامانة وجسر عليه الرحم وجسر عليه الرب عز وجل
ولما ذكر سبحانه انه بالمرصاد ذكر ما يدل على اختلاف احوال عباده عند اصابة الخير وعند اصابة
الشر وان مطمح انظارهم ومعظم مقاصدهم هو الدنيا فقال فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ اي
اختبره وامتحنه بالنعم فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ اي اكرمه بالمال ووسع عليه رزقه فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ
فرحا بما نال وسرورا بما اعطي غير شاكر لله على ذلك ولا خاطر بباله ان ذلك امتحان له من ربه
واختبار لحاله وكشف لما يشتمل عليه من الصبر والجزع والشكر للنعمة وكفرانها وأما هنا لمجرد التاكيد
لا لتفصيل المجمل مع التاكيد وما في اذا ما زائدة وقوله فاكرمه ونعمه تفسير للابتلاء ومعنى اكرمن
اي فضلني بما اعطاني من المال واسبغه علي من النعم لمزيد استحقاقي لذلك وكوني موضعا له
ودخلت الفاء في لتضمن اما معنى الشرط اي فاما الانسان فيقول ربي اكرمن وقت ابتلائه
بالانعام قال الكلبي الانسان هنا هو الكافر ابي بن خلف وقال مقاتل نزلت في امية بن خلف
وقيل نزلت في عتبة بن ربيعة وابي حذيفة بن المغيرة وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ اي اختبره وعامله
معاملة من يختبره فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ اي ضيقه ولم يوسعه له ولا بسط له فيه فَيَقُولُ
رَبِّي أَهَانَنِ اي اولاني هوانا وهذه صفة الكافر الذي لا يؤمن بالبعث لانه لا كرامة عنده الا
الدنيا والتوسع في متاعها ولا اهانة عنده الا فوتها وعدم وصوله الى ما يريد من زينتها فاما
المؤمن فالكرامة عنده ان يكرمه الله بطاعته ويوفقه لعمل الآخرة ويحتمل ان يراد الانسان على العموم
لعدم تيقظه ان ما صار اليه من الخير وما اصيب به من الشر في الدنيا ليس الا للاختبار و
الامتحان وان الدنيا باسرها لا تعدل عند الله جناح بعوضة ولو كانت تعدل جناح بعوضة
ما سقى كافرا منها شربة ماء قرئ باثبات الياء في اكرمن واهانن وصلا وحذفها وقفا وقرئ
باثباتها فيهما وقرئ بحذفها في الوصل والوقف اتباعا لرسم المصحف وموافقة لرؤس الآي
والاصل اثباتها لانها اسم وقرأ الجمهور فقدر بالتخفيف وقرئ بالتشديد وهما لغتان وقرئ
ربي بفتح الياء في الموضعين وبسكونها فيهما وقوله كَلَّا ردع للانسان القائل في الحالتين ما قال
وزجر له فان الله سبحانه قد يوسع الرزق ويبسط النعم للانسان لا لكرامته ويضيقه عليه لا لاهانته
بل للاختبار والامتحان كما تقدم ونحوه قوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة قال الفراء كلا في هذا

الموضع بمعنى انه لم يكن ينبغي للعبد ان يكون هكذا ولكن يحمد الله على الغناء والفقر ثم انتقل سبحانه من
بيان سوء اقوال الانسان الى بيان سوء افعاله فقال بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ والالتفات الى الخطاب لقصد
التوبيخ والتقريع على قراءة الجمهور بالفوقية وقرئ بالتحتية على الخبر وهكذا اختلفوا فيما بعد هذا
من الافعال فقرأ الجمهور تحضون وتاكلون وتحبون بالفوقية على الخطاب فيها وقرئ بالتحتية
فيها والجمع في هذه الافعال باعتبار معنى الانسان لان المراد به الجنس اي بل لكم افعال هي اقبح مما ذكر
وهي انكم تتركون اكرام اليتيم فتاكلون ماله وتمنعونه من فضل اموالكم قال مقاتل نزلت في
قدامة بن مظعون وكان يتيما في حجر امية بن خلف وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ قرأ الجمهور
تحضون من حضه على كذا اي اغراه به ومفعوله محذوف اي لا تحضون انفسكم ولا تحض
بعضكم بعضا على ذلك ولا يامر به ولا يرشد اليه وقرئ تحاضون واصله تتحاضون اي يحض
بعضكم بعضا وقرئ تحاضون بضم التاء من الحض وهو الحث والطعام اما اسم مصدر اي على الطعام
المسكين او اسم للمطعوم على حذف مضاف اي على بذل او على اعطاء طعام المسكين وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ اصله الوراث
فابدلت التاء من الواو المضمومة كما في تجاه ووجاه والمراد به اموال اليتامى الذين يرثونه من قراباتهم
كذلك اموال النساء وذلك انهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان ويأكلون اموالهم أَكْلًا لَمًّا اي اكلا
شديدا وقيل معنى لما جمعا من قولهم لممت الطعام اذا اكلته جميعا قال الحسن ياكل نصيبه ونصيب
اليتيم وكذا قال ابو عبيدة واصل اللم في كلام العرب الجمع يقال لممت الشيء المه لما جمعته ومنه قولهم
لم الله شعثه اي جمع ما تفرق من اموره قال الليث اللم الجمع الشديد ومنه حجر ملموم وكتيبة ملمومة
والآكل يلم الثريد فيجمعه ثم ياكله وقال مجاهد يسفه سفا وقال ابن زيد هو اذا اكل ماله الم بمال غيره
فاكله ولا يفكر فيما اكل من خبيث وطيب قال ابن عباس لما سفا وعنه قال شديدا وكان حكم الارث
عندهم من بقايا شريعة اسمعيل او ما هو معلوم لهم وثابت عندهم بطريق عاداتهم فلا يقال السورة مكية
وآية المواريث مدنية ولا يعلم الحل والحرمة الا من الشرع وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا اي حبا كثيرا والجم
الكثير يقال جم الماء في الحوض اذا كثر واجتمع والجمة المكان الذي يجتمع فيه الماء وقال ابن عباس جما شديدا
ثم كرر سبحانه الردع لهم والزجر فقال كَلَّا اي ما هكذا ينبغي ان يكون عملكم ثم استأنف سبحانه فقال إِذَا دُكَّتِ
الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا وفيه وعيد لهم بعد الردع والزجر والدك الكسر والدق والمعنى هنا انها زلزلت وحركت

تحريكا بعد تحريك قال ابن قتيبة دكت جبالها حتى استوت قال الزجاج اي تزلزلت فدك بعضها بعضا قال المبرد اي بسطت وذهب ارتفاعها قال والدك حط المرتفع بالبسط وقد تقدم الكلام على الدك في سورة الاعراف وفي سورة الحاقة والمعنى انها دكت مرة بعد اخرى وتنصب دكا الاول على انه مصدر مؤكد للفعل ودكا الثاني تاكيد للاول كذا قال ابن عصفور ويجوز ان يكون النصب على الحال والمعنى حال كونها مدكوكة مرة بعد مرة كما يقال علمته الحساب بابا بابا وعلمته الخط حرفا حرفا والمعنى انه كرر الدك عليها حتى صارت هباء منبثا قال ابن عباس يعني تحريكها وجاء ربك اي جاء امره وقضاؤه وظهرت اياته وقيل المعنى انها زالت الشبه في ذلك اليوم وظهرت المعارف وصارت ضرورية كما يزول الشك عند مجيء الشيء الذي كان يشك فيه وقيل جاء قهر ربك وسلطانه وانفراده بالامر والتدبير من دون ان يجعل الى احد من عباده شيئا من ذلك وقيل تمثيل لظهور ايات اقتداره وتبين اثار قهره وسلطانه وقيل جاء امر ربك بالمحاسبة والجزاء وقيل غير ذلك والحق ان هذه الاية من ايات الصفات التي سكت عنها وعن مثلها عامة سلف الامة وائمتها وبعض الخلف فلم يتكلموا فيها بل اجروها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تاويل ولا تحريف ولا تعطيل وقالوا يلزمنا الايمان بها واجراؤها على ظاهرها والتاويل ديدن المتكلمين ودين المتاخرين وهو خلاف ما عليه جمهور السلف الصالحين وقوله والملك صفا صفا منتصب على الحال اي مصطفين او ذوي صفوف قال عطاء يريد صفوف الملائكة واهل كل سماء صف على حدة قال الضحاك اهل كل سماء اذا نزلوا يوم القيامة كانوا صفا محيطين بالارض ومن فيها فيكونون سبعة صفوف وجاي يومئذ منصوب بجيء والقائم مقام الفاعل قوله بجهنم وجوز مكي ان يكون يومئذ هو القائم مقام الفاعل وليس بذاك قال الواحدي قال جماعة المفسرين جيء بها يوم القيامة مزمومة بسبعين الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك يجرونها حتى تنصب عن يسار العرش فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا جثى لركبتيه يقول يارب نفسي نفسي وهذا الذي نقله عن جماعة المفسرين قد ثبت مرفوعا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد اخرج مسلم والترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم وابن مردويه عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون الف زمام

مع كل زمام سبعون الف ملك يجرونها وعلى هذا فالاية مجرية على ظاهرها وقيل المعنى انها برزت لاهلها كقوله وبرزت الجحيم للغاوين والاول اولى يومئذ بدل من يومئذ الذي قبله اي يوم جيء بجهنم يتذكر الانسان اي يتعظ ويذكر ما فرط منه ويندم على ما قدمه في الدنيا من الكفر والمعاصي وقيل ان قوله يومئذ الثاني بدل من قوله اذا دكت والعامل فيهما هو قوله يتذكر الانسان وانى له الذكرى اي ومن اين له التذكرة والاتعاظ وقيل هو على حذف مضاف اي ومن اين له منفعة الذكرى قال الزجاج يظهر التوبة ومن اين له التوبة يقول يا ليتني قدمت لحياتي بدل اشتمال من يتذكر او مستانف جواب سؤال مقدر كانه قيل ماذا يقول الانسان فقيل يقول الخ والمعنى انه يتمنى انه قدم الخير والعمل الصالح لاجل حياته والمراد حياة الاخرة فانها الحيوة بالحقيقة لانها دائمة غير منقطعة وقيل ان اللام بمعنى في والمراد حيوة الدنيا اي يا ليتني قدمت الاعمال الصالحة في وقت حياتي في الدنيا انتفع بها يوم القيامة والاول اولى قال الحسن علم الله انه صادف حيوة طويلة لاموت فيها فيومئذ اي يوم يكون زمان ما ذكر من الاحوال لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد اي لا يعذب كعذاب الله احد ولا يوثق كوثاقه لا يتولى عذاب الله ووثاقه احد سواه اذ الامر كله له والضميران في عذابه ووثاقه لله عز وجل وهذا على قراءة الجمهور يعذب يوثق مبنيين للفاعل وقرئ على البناء للمفعول فيهما فيكون الضميران راجعين الى الانسان اي لا يعذب كعذاب ذلك الانسان احد ولا يوثق كوثاقه احد والمراد بالانسان الكافر اي لا يعذب من ليس بكافر كعذاب الكافر وقيل ابليس وقيل المراد به ابي بن خلف قال الفراء المعنى انه لا يعذب بعذاب هذا الكافر المعين احد ولا يوثق بالسلاسل والاغلال كوثاقه احد لتناهيه في الكفر والعناد وقيل المعنى انه لا يعذب مكانه احد ولا يوثق مكانه احد فلا تؤخذ منه فدية وهو كقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى والعذاب بمعنى التعذيب والوثاق بمعنى التوثيق واختار ابو عبيد وابو حاتم قراءة المبني للمفعول وقالا تكون الهاء في الموضعين ضمير الكافر لانه معروف انه لا يعذب كعذاب الله احد وقال ابو علي الفارسي يجوز ان يكون الضمير للكافر على قراءة الجماعة اي لا يعذب احد احدا مثل تعذيب هذا الكافر ولما فرغ سبحانه من حكاية احوال الاشقياء ذكر بعض احوال السعداء فقال يا ايتها النفس المطمئنة والقائل هو الله سبحانه اكراما للمؤمن كما كلم

موسى او الملك وانما يقال لها ذلك عند الموت او البعث او عند دخول الجنة والنفس المطمئنة هي الساكنة الموقنة بالايمان وتوحيد الله الواصلة الى ثلج اليقين بحيث لا يخالطها شك ولا يعتريها ريب قال الحسن هي المؤمنة الموقنة وقال مجاهد الراضية بقضاء الله التي علمت ان ما اخطأها لم يكن ليصيبها وان ما اصابها لم يكن ليخطئها وقال مقاتل هي الآمنة المطمئنة وقال ابن كيسان المطمئنة بذكر الله تعالى وقيل المخلصة قال ابن زيد المطمئنة لانها بشرت بالجنة عند الموت وعند البعث وقال ابن عباس المطمئنة المؤمنة ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً بالثواب الذي اعطاك مَّرْضِيَّةً عنده والمعنى ارجعي الى الله وقيل الى موعده وقيل الى امره وقال عكرمة وعطاء الى جسدك الذي كنت فيه واختاره ابن جرير ويدل على هذا قراءة ابن عباس فادخلي في عبدي بالافراد والاول اولى قال القفال هذا وان كان امرا في الظاهر فهو خبر في المعنى والتقدير ان النفس اذا كانت مطمئنة رجعت في القيامة الى الله بسبب هذا الامر قال ابن عباس نزلت هذه الآية وابو بكر جالس فقال يا رسول الله ما احسن هذا فقال اما انه سيقال لك هذا اخرجه ابن ابي حاتم وابن مردويه والضياء في المختارة وعن سعيد بن جبير نحوه مرسلا وعن ابي بكر الصديق رضي نحوه واخرج ابن مردويه عن ابن عباس في قوله يا ايتها النفس المطمئنة قال هو النبي صلى الله عليه وسلم وعنه قال المطمئنة المصدقة وعنه قال ترد الارواح يوم القيامة في الاجساد وعنه قال راضية بما اعطيت من الصواب مرضية عنها بعملها فَادْخُلِي فِي عِبَادِي المؤمنين اي في زمرة عبادي الصالحين وكوني من جملتهم وانتظمي في سلكهم وهذا يشعر بان النفس بمعنى الذات ويجوز ان تكون بمعنى الروح كما اشار له البيضاوي وَادْخُلِي جَنَّتِي معهم قيل انه يقال لها ارجعي الى ربك عند خروجها من الدنيا ويقال لها ادخلي في عبادي وادخلي جنتي يوم القيامة واتى بالفاء فيما لم يتراخ عن الموت وبالواو فيما يتراخى عنه والمراد بالآية كل نفس مطمئنة على العموم لان السورة مكية ولا ينافي ذلك نزولها في نفس معينة فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب عن سعيد بن جبير قال مات ابن عباس في الطائف فجاء طير لم ير على خلقته فدخل نعشه ثم لم ير خارجا منه فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر لا ندري من تلاها يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية الآية اخرجه ابن ابي حاتم والطبراني وعن عكرمة مثله اخرجه ابو نعيم في الدلائل

ع ٣

سورة البلد ويقال سورة لا اقسم وهي عشرون آية وهي مكية بلا خلاف

عن ابن عباس قال نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله

بسم الله الرحمن الرحيم

لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ قد تقدم الكلام على هذا في تفسير لا اقسم بيوم القيامة ولا زائدة ومن زيادة لا في الكلام في غير القسم قول الشاعر ﴿ تذكرت ليلى فاعترتني صبابة ۞ وكاد ضمير القلب لا يتصدع ﴾ اي يتصدع ومن ذلك قوله تعالى ما منعك ان لا تسجد اي ان تسجد قال الواحدي اجمع المفسرون على ان هذا اقسم بالبلد الحرام وهو مكة وبه قال ابن عباس قرأ الجمهور لا اقسم وقرئ لاقسم من غير الف وقيل هو نفي للقسم والمعنى لا اقسم بهذا البلد اذا لم تكن فيه بعد خروجك منه وقال مجاهد ان لا رد على من انكر البعث ثم ابتدأ فقال اقسم والمعنى ليس الامر كما تحسبون والاول اولى والمعنى اقسم بالبلد الحرام وقال الواسطي ان المراد بالبلد المدينة وهو مع كونه خلاف اجماع المفسرين هو ايضا مدفوع بكون السورة مكية لا مدنية ومكة جعلها الله تعالى حرما آمنا ومثابة للناس وجعل مسجده قبلة لاهل المشرق والمغرب وشرفه بمقام ابراهيم وحرم فيه الصيد وجعل البيت المعمور بازائه ودحيت الارض من تحته فهذه الفضائل وغيرها لما اجتمعت في مكة دون غيرها اقسم بها وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ البلد يذكر ويؤنث والجمع بلدان والبلدة البلد وجمعها بلاد مثل كلبة وكلاب وقال الواحدي الحل والحلال والمحل واحد وهو ضد المحرم احل الله لنبيه صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح حتى قاتل وقد قال صلى الله عليه وسلم لم تحل لاحد قبلي ولا تحل لاحد بعدي ولم تحل لي الا ساعة من نهار قال والمعنى ان الله تعالى لما ذكر القسم بمكة دل ذلك على عظيم قدرها مع كونها حراما فوعد نبيه صلى الله عليه وسلم ان يحلها له حتى يقاتل فيها وان يفتحها على يده فهذا وعد من الله تعالى بان يحلها له حتى يكون بها حلا انتهى فالمعنى وانت حل بهذا البلد في المستقبل كما في قوله انك ميت وانهم ميتون قال النسفي رح وكفاك دليلا قاطعا على انه للاستقبال وان تفسيره بالحال محال ان السورة مكية بالاتفاق واين الهجرة من وقت نزولها فما بال الفتح انتهى قال مجاهد المعنى ما صنعت فيه من شئ فانت حل قال قتادة انت

حل به لست بآثم يعني انك غير مرتكب في هذا البلد ما يحرم عليك ارتكابه لا كالمشركين الذين يرتكبون فيه الكفر والمعاصي وقيل المعنى لا اقسم بهذا البلد وانت حال به ومقيم فيه وهو محلك فعلى القول بان لا نافية غير زائدة يكون المعنى لا اقسم به وانت حال به فانت احق بالاقسام بك وعلى القول بانها زائدة يكون المعنى اقسم بهذا البلد الذي انت مقيم به تشريفا لك وتعظيما لقدرك لانه قد صار باقامتك فيه عظيما شريفا وزاد على ما كان عليه من الشرف والعظم ولكن هذا اذا تقرر في لغة العرب ان لفظ حل يجيء بمعنى حال وكما يجوز ان تكون الجملة معترضة يجوز ان تكون في محل نصب على الحال قال ابن عباس في الآية يعني بذلك النبي صلى الله عليه وسلم احل الله له يوم دخل مكة ان يقتل من شاء ويستحيي من شاء فقتل يومئذ ابن خطل صبرا وهو آخذ باستار الكعبة فلم يحل لاحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم ان يفعل فيها حراما حرمه الله فاحل الله له ما صنع باهل مكة وعنه فيها قال انت يا محمد يحل لك ان تقاتل فيه واما غيرك فلا وعن ابي برزة الاسلمي قال نزلت هذه الآية في خرجت فوجدت عبد الله بن خطل وهو متعلق باستار الكعبة فضربت عنقه بين الركن والمقام اخرجه ابن مردويه وقوله ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ عطف على البلد قال قتادة ومجاهد والضحاك والحسن وابو صالح ووالد اي آدم وما ولد اي وما تناسل من ولده ومثله عن ابن عباس اقسم بهم لانهم اعجب ما خلق الله على وجه الارض لما فيهم من البيان والعقل والتدبير واستخراج العلوم وفيهم الانبياء والاولياء والصالحون والدعاة الى الله والانتصار لدينه وكل ما في الارض مخلوق لاجلهم وامر الملائكة بالسجود لآدم وعلمه الاسماء كلها فيكون قد اقسم بجميع الآدميين صالحهم وطالحهم وقيل هو قسم بآدم والصالحين من ذريته اما الطالحون فكانهم ليسوا من اولاده وكانهم بهائم وفائدة التنكير في والد التعجب والمدح قاله الرازي وقال ابو عمران الجوني الوالد ابراهيم عليه السلام وما ولد ذريته قال الفراء ان ما عبارة عن الناس كقوله ما طاب لكم وقيل الوالد ابراهيم والولد اسمعيل ومحمد صلى الله عليهم وسلم وقال عكرمة وسعيد بن جبير ووالد يعني الذي يولد له وما ولد يعني العاقر الذي لا يولد له وكانهما جعلا ما نافية وهو بعيد ولا يصح ذلك الا باضمار الموصول اي ووالد والذي ما ولد ولا يجوز اضمار الموصول عند البصريين وقال عطية العوفي هي عام في كل

والد ومولود من جميع الحيوانات واختار هذا ابن جرير وعن ابن عباس الوالد الذي يلد وما
ولد العاقر لا يلد من الرجال والنساء وقد استدل بعض الجهال بهذه الاية على جواز الاحتفال بمولد
النبي صلى الله عليه وسلم وهذا تحريف لمعاني كتاب الله لم يذهب اليه احد من المفسرين بل هو خلاف
اجماع المسلمين لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ هذا جواب القسم والانسان هو هذا النوع
الانساني والكبد الشدة والمشقة يقال كابدت الامر قاسيت شدته والانسان لا يزال في مكابدة
الدنيا ومقاساة شدائدها حتى يموت قال ذو النون لم يزل مربوطا بحبل القضاء مدعوا الى
الائتمار والانتهاء واصل الكبد الشدة ومنه تكبد اللبن اذا اشتد وغلظ ويقال كبد الرجل اذا
وجعت كبده ثم استعمل في كل مشقة وشدة قال الحسن يكابد مصائب الدنيا وشدائد الاخرة
وقال ايضا يكابد الشكر على السراء ويكابد الصبر على الضراء لا يخلو عن احدهما قال الكلبي نزلت
هذه الاية في رجل من بني جمح يقال له ابو الاشدين وكان يأخذ الاديم العكاظي ويجعله تحت
رجليه ويقول من ازالني عنه فله كذا فيجذبه عشرة حتى يتمزق ولا تزول قدماه وكان من اعداء
النبي صلى الله عليه وسلم وفيه نزل ايحسب ان لن يقدر عليه احد يعني لقوته ويكون معنى في كبد على
هذا في شدة خلق وقيل معنى في كبد انه جرئ القلب غليظ الكبد وقال ابن عباس في كبد في
اعتدال وانتصاب واستواء وعنه قال في نصب وعنه قال في شدة وقال ايضا في شدة خلق ولادته ونبت اسنانه ومعيشته
وختانه وقال ايضا خلق الله كل شيء يمشي على اربعة الا الانسان فانه خلق منتصبا وقال ايضا
منتصبا في بطن امه انه قد وكل به ملك اذا نامت الام او اضطجعت يرفع راسه لولا ذلك لغرق في
الدم والكبد الاستواء والاستقامة فهذا امتنان عليه في الخلقة ولم يخلق الله جل جلاله دابة
في بطن امها الا منكبة على وجهها الا ابن ادم فانه منتصب انتصابا قال اليماني لم يخلق الله خلقا
يكابد ما يكابد ابن ادم وهو مع ذلك اضعف الخلق قال العلماء اول ما يكابد قطع سرته
ثم اذا قمط قماطا وشد عليه يكابد الضيق والتعب ثم يكابد الارتضاع ولو فاته لضاع ثم يكابد
نبت اسنانه وتحريك لسانه ثم يكابد الفطام التي هو اشد من اللطام ثم يكابد الختان والاوجاع
والاحزان ثم يكابد المعلم وصولته والمؤدب وسياسته والاستاذ وهيبته ثم يكابد شغل
التزويج والتعجيل فيه والتزويج ثم يكابد شغل الاولاد والخدم والاجناد ثم يكابد شغل الدور

وبناء القصور ثم الكبر والهرم وضعف الركبة والقدم في مصائب يكثر تعدادها ونوائب
يطول ايرادها من صداع الراس ووجع الاضراس ورمد العين وغم الدين ووجع السن
والم الاذن ويكابد محنا في المال والنفس مثل الضرب والحبس ولا يمضي عليه يوم الا يقاسي فيه
شدة ويكابد مشقة ثم الموت بعد ذلك كله ثم سؤال الملك وضغطة القبر وظلمته ثم البعث
والعرض على الله تعالى الى ان يستقر به القرار اما في جنة واما في نار فلو كان الامر اليه لما اختار هذه
الشدائد ودل على ان له خالقا دبره وقضى عليه بهذه الاحوال فليمتثل امره ذكره القرطبي
أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ اي ايظن ابن آدم ان لن يقدر عليه ولا ينتقم منه
احد او يظن ابو الاشدين ان لن يقدر عليه احد وان هي المخففة من الثقيلة واسمها ضمير شان
مقدر ثم اخبر سبحانه عن مقال هذا الانسان فقال يَقُولُ مفتخرا أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا اي كثيرا
مجتمعا بعضه على بعض قال الليث مال لبد لا يخاف فناؤه من كثرته قال الكلبي ومقاتل يقول
اهلكت في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم مالا كثيرا وفي ابي السعود يريد كثرة ما انفقه فيما كان اهل
الجاهلية يسمونه مكارم ويدعونه معالي ومفاخر وقال مقاتل نزلت في الحارث بن عامر بن
نوفل اذنب فاستفتى النبي صلى الله عليه وسلم فامره ان يكفر فقال لقد ذهب مالي في الكفارات والنفقات
منذ دخلت في دين محمد صلى الله عليه وسلم قرا الجمهور لبدا بضم اللام وفتح الباء مخففا وقرئ بضمهما
بالتخفيف وقرئ بضم اللام وفتح الباء مشددا قال ابو عبيدة لبد فعل من التلبيد وهو المال الكثير
بعضه على بعض قال الزجاج فعل للكثرة يقال رجل حطم اذا كان كثير الحطم قال الفراء واحدته
لبدة والجمع لبد وقد تقدم بيان هذا في سورة الجن أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ استفهام على
سبيل الانكار اي ايظن انه لم يعاينه احد قال قتادة ايظن ان الله سبحانه لم يره ولا يسأله عن
ماله من اين كسبه واين انفقه وقال الكلبي كان كاذبا لم ينفق ما قال فقال الله ايظن ان الله لم ير
ذلك منه فعل او لم يفعل انفق او لم ينفق ثم ذكر سبحانه ما انعم عليه ليعتبر فقال أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ
عَيْنَيْنِ يبصر بهما المرئيات شققناهما وهو في الرحم في ظلمات ثلث على مقدار مناسب لا تزيد
احديهما على الاخرى شيئا وقدرنا البياض والسواد والسمرة والزرقة وغير ذلك على ما ترون و
اودعناهما البصر على كيفية يعجز الخلق عن ادراكها وَلِسَانًا ينطق به ويعبر عما في ضميره وَشَفَتَيْنِ

قوله الاشدين بفتح الهمزة وضم الشين المعجمة وتشديد الدال المهملة والاشد بدل ابا للافراد في اكثر من نسخ تفسير المحلي واكثر من عبارات المفسرين وفي بعض نسخ تفسير المحلي واكثر من التفاسير الاشدين بصيغة التثنية فعليه واسمه اسيد بن كلدة كما في القاري ١٢ منه

يستر بهما ثغره وفاه ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب والنفخ وغير ذلك قال الزجاج المعنى
المرنفعل به ما يدله على ان الله قادر على ان يبعثه والشفة محذوفة اللام واصلها شفهة
بدليل تصغيرها على شفيهة وجمعها على شفاه نظيره سنة في احدى اللغتين وشافهته
اي كلمته من غير واسطة ولا تجمع بالالف والتاء استغناء بتكسيرها عن تصحيحها ﴿وهديناه
النجدين﴾ النجد الطريق في ارتفاع قال المفسرون بينا له طريق الخير وطريق الشر قال الزجاج المعنى
المرنعرفه طريق الخير وطريق الشر مبينتين كتبيين الطريقين العاليتين وقال ابن عباس وعكرمة
وسعيد بن المسيب والضحاك النجدان الثديان لانهما كالطريقين لحياة الولد ورزقه والاول
اولى واصل النجد المكان المرتفع وجمعه نجود ومنه سميت نجد لارتفاعها عن انخفاض تهامة
فالنجدان الطريقان العاليان قال ابن مسعود في الاية سبيل الخير والشر وقال ابن عباس الهدى
والضلالة وعنه نحو قول ابن مسعود وعن انس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم هما نجدان فما جعل نجد الشر احب
اليكم من نجد الخير اخرجه ابن ابي حاتم تفرد به سنان بن سعد ويقال سعد بن سنان وقد وثقه
يحيى بن معين وقال الامام احمد والنسائي والجوزجاني منكر الحديث وقال احمد تركت حديثه
لاضطرابه قد روى خمسة عشر حديثا منكرة كلها ما اعرف منها حديثا واحدا يشبه حديثه حديث الحسن
البصري لا يشبه حديث انس وروي نحوه عن الحسن وقتادة مرسلا ويشهد له ما اخرجه الطبراني عن ابي امامة
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا ايها الناس انهما نجدان نجد خير ونجد شر فما جعل نجد الشر احب اليكم من
نجد الخير ويشهد له ايضا ما اخرجه ابن مردويه عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما هما نجدان
نجد الخير ونجد الشر فلا يكن نجد الشر احب اليكم من نجد الخير قال الشهاب لا يخفى انه ذكره في سياق
الامتنان والمراد الامتنان عليه بان هداه وبين له الطريق فسلكها تارة وعدل عنها اخرى فلا امتنان
عليه بالشر ولذا جعله الامام بمعنى قوله تعالى انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا ووصف مكان
الخير بالرفعة والنجدية ظاهر بخلاف الشر فانه هبوط من ذروة الفطرة الى حضيض الشقوة فهو على
سبيل التغليب او على توهم المخيلة ان فيه صعودا فتدبر انتهى قلت الامتنان بالهداية الى سبيل الشر
يصح بمعنى ان يعرف الانسان طريق الشر ليجتنبه وطريق الخير ليسلكه ولو لم يعرفه سبيل الشر لما
اجتنبه والاشياء تعرف باضدادها فالامتنان بهدايته اليه ثابت عقلا والمعنى بينا وضحناه

ان سلوك الاول ينجي وان سلوك الثاني يردي وان سلوك الاول ممدوح وان سلوك الثاني
مذموم فالذي ذكره الشهاب تدفعه الاحاديث المرفوعة المتقدم ذكرها فلا اقتحم العقبة
الاقتحام الرمي بالنفس في شيء من غير روية يقال منه قحم في الامر قحوما اي رمى بنفسه في
الامر من غير روية وتقحيم النفس في الشيء ادخالها فيه من غير روية والقحمة بالضم المهلكة والعقبة
في الاصل الطريق الصعب التي في الجبل سميت بذلك لصعوبة سلوكها وهو مثل ضربه الله سبحانه لمجاهدة
النفس والهوى والشيطان في اعمال البر فجعله كالذي يتكلف صعود العقبة قال الفراء والزجاج ذكر سبحانه
هنا لا مرة واحدة والعرب لا تكاد تفرد لا مع الفعل الماضي في مثل هذا الموضع حتى يعيدوها في كلام اخر
كقوله فلا صدق ولا صلى وانما افردها هنا لدلالة اخر الكلام على معناه فيجوز ان يكون قوله ثم كان من الذين
امنوا قائما مقام التكرير كانه قال فلا اقتحم العقبة ولا امن قال المبرد وابو علي الفارسي ان لا هنا بمعنى لم
اي فلم يقتحم وروي نحو ذلك عن مجاهد فلهذا لم يحتج الى التكرير وقيل هو جار مجرى الدعاء كقولهم لا نجا
قال ابن زيد وجماعة من المفسرين معنى الكلام هنا الاستفهام الذي بمعنى الانكار تقديره افلا
اقتحم العقبة او هلا اقتحم العقبة قال ابن عمر في العقبة جبل زلال في جهنم وقال ابن عباس العقبة
النار وعنه قال عقبة بين الجنة والنار وقال قتادة وكعب هي نار دون الجسر فاقتحموها بطاعة الله
وقال الحسن هي والله عقبة شديدة مجاهدة نفسه وهواه وعدو الشيطان وقيل العقبة
خلاصه من هول العرض وقال مجاهد والضحاك والكلبي هي الصراط الذي يضرب على جهنم
كحد السيف وعن عايشة قالت لما نزل فلا اقتحم العقبة قيل يا رسول الله ما عند احدنا ما يعتق
الا ان عند احدنا الجارية السوداء تخدمه فلو امرناهن بالزنا فجئن بالاولاد فاعتقناهم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لان امتع بسوط في سبيل الله احب الي من ان آمر بالزنا ثم اعتق الولد اخرجه
الحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي واخرجه ابن جرير عنها بلفظ لعلاقة سوط في سبيل الله اعظم
اجرا من هذا ثم بين سبحانه العقبة فقال وما ادراك ما العقبة اي اي شيء اعلمك ما
اقتحامها والمعرف باللام اذا اعيد كان الثاني عين الاول فتكون الجملة معترضة مقحمة لبيان
العقبة مقررة لمعنى الابهام والتفسير فان فلا اقتحم العقبة مفسرة بقوله فك رقبة والمفسر متحد
والمفسر لكن ذلك لاتحادهما في الاعتبار كانه قيل فلا فك رقبة ولا اطعم مسكينا قال محي السنة

ذكر العقبة ههنا مثل ضربه الله لمجاهدة النفس والهوى والشيطان في اعمال البر فجعله كالذي
يتكلف صعود العقبة قال صاحب الفرائد هذا تنبيه على أن النفس لا توافق صاحبها في الانفاق
لوجه الله البتة فلابد من التكليف وتحمل المشقة والذي توافقه النفس هو الافتخار والمراآة
فكانه تعالى ذكر هذا المثل بازاء ما قال اهلكت مالا لبدا والمراد الانفاق المفيد وان ذلك
الانفاق لمضر انتهى وفي التمثيل بالعقبة بعد ذكر النجدين ترشيح ثم التفريع عليه بالاقتحام
قرينة لتلك المبالغة ذكره الكرخي ومعنى فك رقبة اعتاق رقبة وتخليصها من اسار
الرق وكل شئ اطلقته فقد فككته ومنه فك الرهن وفك الكتاب فقد بين سبحانه
ان العقبة هي هذه القرب المذكورة التي تكون بها النجاة من النار قرئ فك رقبة على
انه فعل ماض وهكذا اطعم وقرئ فك واطعام على انهما مصدران وعلى الاولى المعنى فلا فك
ولا اطعم والفك في الاصل حل القيد سمي العتق فكا لان الرق كالقيد وسمي المرقوق رقبة
لانه بالرق كالاسير المربوط في رقبته وقد ثبت الترغيب في عتق الرقاب باحاديث كثيرة
منها ما في الصحيحين وغيرهما عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اعتق رقبة مؤمنة
اعتق الله بكل عضو منها عضوا من النار حتى الفرج بالفرج أو إطعام في يوم ذي مسغبة اي
مجاعة والسغب الجوع والساغب الجائع قال الراغب يقال منه سغب الرجل سغبا وسغوبا فهو ساغب
وسغبان والمسغبة مفعلة منه قال النخعي في يوم ذي مسغبة اي عزيز فيه الطعام قال ابن عباس
مسغبة مجاعة وعنه جوع وقيد الاطعام بكونه في هذا اليوم لان اخراج المال في ذلك
الوقت اثقل على النفس واوجب للاجر قرأ الجمهور بالجر على انه صفة ليوم ويتيما هو مفعول الطعام
وقرأ الحسن بالنصب على انه مفعول اطعام اي يطعمون ذا مسغبة ويتيما بدل منه يتيما ذا
مقربة اي قرابة قاله ابن عباس يقال فلان ذو قرابتي وذو مقربتي واليتيم في الاصل الضعيف
يقال يتم الرجل اذا ضعف واليتيم عند اهل اللغة من لا اب له وقيل هو من لا اب له ولا ام ومنه
قول قيس بن الملوح ؎ الى الله اشكو فقد ليلى كما شكى الى الله فقد الوالدين يتيم أو مسكينا
ذا متربة اي لا شئ له كانه لصق بالتراب لفقره وليس له ماوى الا التراب يقال ترب الرجل يترب تربا
ومتربة اذا افتقر حتى لصق بالتراب ضرا قال مجاهد هو الذي لا يقيه من التراب لباس ولا غيره

وقرأ ابو عمرو وابن كثير والكسائي فك رقبة او اطعم على انهما فعلان ماضيان وقرأ الباقون الطعام على انهما مصدران

وقال قتادة هو ذو العيال وقال عكرمة هو المديون وقال ابو سنان هو ذو الزمانة وقال ابن جبير هو الذي ليس له احد وقال عكرمة ايضا هو البعيد التربة الغريب عن وطنه وبه قال ابن عباس والاول اولى ومنه قول الهذلي شعر وكنا اذا ما الضيف حل بارضنا + سفكنا دماء البدن في تربة الحال + وعن ابن عباس ايضا قال هو المطروح الذي ليس له بيت وفي لفظ هو الذي لا يقيه من التراب شيء وفي لفظ هو اللازق بالتراب من شدة الفقر وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم في الآية قال هو الذي مأواه المزابل اخرجه ابن مردويه والمتربة والمقربة والمسغبة مفعلات اي كل واحد منها مصدر ميمي على وزن مفعلة ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ عطف على المنفي بلا وجاء بثم للدلالة على تراخي رتبة الايمان ورفعة محله وفيه دليل على ان هذه القرب انما تنفع مع الايمان وقيل التراخي في الذكر وقيل المعنى ثم كان من الذين آمنوا بان هذا نافع لهم وقيل المعنى انه اتى بهذه القرب لوجه الله ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ معطوف على آمنوا اي اوصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله وعن معاصيه وعلى ما اصابهم من البلايا والمصائب والمحن والشدائد ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ اي بالرحمة على عباد الله فانهم اذا فعلوا ذلك رحموا اليتيم والمسكين واستكثروا من فعل الخير بالصدقة ونحوها قال ابن عباس يعني بذلك رحمة الناس ﴿أُولَٰئِكَ﴾ الموصوفون بتلك الصفات هم ﴿أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ اي اصحاب جهة اليمين او اصحاب اليمن او الذين يعطون كتبهم بايمانهم وقيل غير ذلك مما قدمنا ذكره في سورة الواقعة ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا﴾ اي بالقرآن او بما هو اعم منه فتدخل الآيات التنزيلية والآيات التكوينية التي تدل على الصانع سبحانه ﴿هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ اي اصحاب الشمال او اصحاب الشؤم او الذين يعطون كتبهم في شمائلهم او غير ذلك مما تقدم ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ﴾ اي مطبقة مغلقة يقال اصدت الباب واوصدته اذا اغلقته واطبقته قرأ الجمهور مؤصدة بالواو وقرئ بالهمزة وهما لغتان والمعنى واحد قال ابن عباس مغلقة الابواب وقال ابو هريرة مطبقة

سورة الشمس خمس عشرة آية وهي مكية بلا خلاف

قال ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله وعن بريدة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

كان يقرأ في صلوة العشاء والشمس وضحاها وأشباهها من السور أخرجه أحمد والترمذي وحسنه
والنسائي وقد تقدم حديث جابر في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ هلا صليت بسبح اسم
ربك الأعلى والشمس وضحاها والليل إذا يغشى وعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره أن يقرأ في
صلوة الصبح بالليل إذا يغشى والشمس وضحاها أخرجه الطبراني وعن عقبة بن عامر قال أمرنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نصلي ركعتي الضحى بسورتيهما بالشمس وضحاها والضحى أخرجه البيهقي في الشعب

بسم الله الرحمن الرحيم

والشمس وضحاها أقسم سبحانه بهذه الأمور وله أن يقسم بما شاء من مخلوقاته وقال قوم إن القسم بهذه
الأمور ونحوها مما تقدم ومما سيأتي هو على حذف مضاف أي ورب الشمس وهكذا سائرها ولا ملجئ إلى
هذا ولا موجب له وقوله وضحاها هو قسم ثان وقال الرازي المقصود من هذه السورة الترغيب في
الطاعات والتحذير من المعاصي وقد أقسم تعالى بأنواع مخلوقاته المشتملة على المنافع العظيمة ليتأمل
المكلف فيها ويشكر عليها لأن ما أقسم الله تعالى به يحصل منه وقع في القلب وأقسم الله في هذه السورة
بسبعة أشياء إلى قوله قد أفلح من زكاها فأقسم بالشمس وضحاها فإن أهل العالم كانوا كالأموات في الليل
فلما ظهر أثر الصبح صارت الأموات أحياء وتكاملت الحياة وقت الضحوة وهذه الحالة تشبه أحوال القيامة
ووقت الضحى يشبه استقرار أهل الجنة فيها انتهى قال مجاهد أي ضوءها وإشراقها وأضاف الضحى إلى
الشمس لأنه إنما يكون عند ارتفاعها وكذا قال الكلبي وقال قتادة ضحاها نهارها كله قال الفراء
الضحى هو النهار وقال المبرد أصل الضحى الضح وهو نور الشمس وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك
قال القرطبي الضحى مؤنثة يقال ارتفعت الضحى فوق الضحوة وقد تذكر فمن أنث ذهب إلى أنها جمع ضحوة
ومن ذكر ذهب إلى أنها اسم فعل نحو صرد ونغر قال أبو الهيثم الضح نقيض الظل وهو نور الشمس على وجه
الأرض وأصله الضحي فاستثقلوا الياء فقلبوها ألفا قيل والمعروف عند العرب أن الضحى إذا طلعت
الشمس وبعد ذلك قليلا فإذا زاد فهو الضحاء بالمد قال المبرد الضحى والضحوة مشتقان من الضح وهو النور
فأبدلت الألف والواو من الحاء واختلف في جواب القسم ما هو فقيل هو قوله قد أفلح من زكاها قاله
الزجاج وغيره وحذفت اللام لأن الكلام قد طال فصار طوله عوضا منها وقيل هو محذوف أي لتبعثن

وقيل تقديره ليدمدمن الله على اهل مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما دمدم على ثمود
لانهم كذبوا صالحا واما قوله قد افلح من زكها فكلام تابع لقوله فالهمها فجورها وتقوىها على سبيل الاستطراد
وليس من جواب القسم في شيء وقيل هو على التقديم والتاخير بغير حذف والمعنى قد افلح من زكها وقد
خاب من دسها والشمس وضحها والاول اولى والقمر اذا تلىها اي تبعها وذلك بان طلع بعد غروبها
يقال تلى يتلو تلوا اذا تبع قال المفسرون وذلك انما يكون في النصف الاول من الشهر اذا غربت الشمس
تلاها القمر في الاضاءة وخلفها في النور قال الزجاج تلاها حين استدار فكان يتلو الشمس في الضياء
والنور يعني اذا كمل ضوءه فصار تابعا للشمس في الانارة يعني كان مثلها في الاضاءة وذلك في الليالي
البيض وقيل اذا تلى طلوعه طلوعها قال قتادة ان ذلك ليلة الهلال اذا سقطت رئي الهلال
قال ابن زيد اذا غربت الشمس في النصف الاول من الشهر تلاها القمر بالطلوع وفي آخر الشهر
يتلوها بالغروب وقال الفراء تلاها اخذ منها يعني ان القمر ياخذ من ضوء الشمس قال ابن عباس تلىها
تبعها والاولى ان يفسر تلوه لها بكون ضوئه يخلفها ويجيء بعد مغيبها سواء كان ذلك من غير تراخ
وهو في النصف الاول من الشهر او بعد مدة وذلك في النصف الثاني من الشهر فان القمر اذا طلع في
نصف الليل يقال انه تلاها في ظهور الضوء اي خلفها فيه ولو بعد تخلل مدة ظلمة فليتامل
والنهار اذا جلىها اي اضاءها قاله ابن عباس وذلك ان الشمس عند انبساط النهار تنجلي تمام
الانجلاء فكانه جلاها مع انها التي تبسطه وقيل الضمير عائد الى الظلمة اي جلى الظلمة وان لم
يجر للظلمة ذكر لان المعنى معروف قال الفراء تقول اصبحت باردة اي اصبحت غداتنا باردة والاول اولى
ومنه قول قيس بن الحطيم ؎ تجلت لنا كالشمس تحت غمامة + بدى حاجب منها وضنت بحاجب
وقيل المعنى جلى ما في الارض من الحيوانات وغيرها بعد ان كانت مستترة في الليل وقيل جلى
الدنيا وقيل جلى الارض والليل اذا يغشىها اي يغشى الشمس فيذهب بضوءها فتغيب وتظلم الآفاق
وقيل يغشى الآفاق وقيل الارض وان لم يجر لهما ذكر لان ذلك معروف والاول اولى قال الخطيب
وجيء به مضارعا دون ما قبله وما بعده مراعاة للفواصل اذ لو اتى به ماضيا لكان التركيب اذا
غشيها انتهى فتفوت المناسبة اللفظية بين الفواصل والمقاطع والمعنى يغطيها بظلمته اي فيزيل ضوءها
فالنهار يجليها اي يظهرها والليل يغطيها ويزيل ضوءها فالضمير في الفواصل من اول السورة الى هنا للشمس فهذه

الاقسام الاربعة ليست الا للشمس في الحقيقة لكن بحسب اربعة اوصاف اولها الضوء الحاصل منها
عند ارتفاع النهار وذلك هو الوقت الذي يكمل فيه انتشار الحيوان وتحرك الانسان للمعاش ومنها
تلو القمر للشمس باخذه الضوء عنها ومنها تكامل طلوعها وبروزها بمجيء النهار ومنها وجوب غروبها في مجيء الليل ومن تامل قليلا
في عظمة الشمس انتقل منها الى عظمة خالقها فسبحانه ما اعظم شانه ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ يجوز ان تكون
ما مصدرية اي والسماء وبنيانها ويجوز ان تكون موصولة وبه قال ابو البقاء اي والذي بناها
وايثار ما على من لارادة الوصفية لقصد التفخيم كانه قال والقادر العظيم الشان الذي بناها
ورجح الاول الفراء والزجاج ولا وجه لقول من قال ان جعلها مصدرية مخل بالنظم ورجح الثاني
ابن جرير قال ابن عباس الله بنا السماء ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾ الكلام في ما هذه كالكلام في التي قبلها
ومعنى طحاها بسطها على الماء كذا قال عامة المفسرين كما في قوله دحاها قالوا طحاها ودحاها واحد
اي بسطها من كل جانب والطحو البسط وقيل معنى طحاها قسمها وقيل خلقها ―――――――
والاول اولى والطحو ايضا الذهاب قال ابو عمرو بن العلاء طحى الرجل اذا ذهب في الارض يقال ما ادري
اين طحى ويقال طحى به قلبه اذا ذهب به ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ الكلام في ما هذه كما تقدم ومعنى سواها
خلقها وانشاها وسوى اعضاءها وعدلها على هذا القانون الاحكم في اعضائها وما فيها من
الجواهر والاعراض والمعاني وغير ذلك قال عطاء يريد جميع ما خلق من الانس والجن والتنكير للتفخيم او
للتكثير وقيل المراد نفس آدم ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ اي عرفها وافهمها حالهما وما فيهما من الحسن
والقبح والالهام القاء الشيء في القلب بطريق الفيض ينشرح له الصدر ويطمئن فاطلاقه على الفجور
تسامح وقد دفع بحمل الالهام على مطلق البيان قال مجاهد عرفها طريق الفجور والتقوى والطاعة
والمعصية قال الفراء فالهمها عرفها طريق الخير والشر كما قال وهديناه النجدين قال محمد بن كعب
اذا اراد الله بعبده خيرا الهمه الخير فعمل به واذا اراد به الشر الهمه الشر فعمل به قال ابن زيد جعل
فيها ذلك بتوفيقه اياها للتقوى وخذلانه اياها للفجور واختار هذا الزجاج وحمل الالهام على
التوفيق والخذلان قال الواحدي وهذا هو الوجه لتفسير الالهام فان التبيين والتعليم والتعريف
دون الالهام والالهام ان يوقع في قلبه ويجعل فيه واذا اوقع الله في قلب عبد شيئا فقد الزمه
ذلك الشيء قال وهذا صريح في ان الله خلق في المؤمن تقواه وفي الكافر فجوره قال ابن عباس في الآية

علمها الطاعة والمعصية وعنه قال الهمها من الخير والشر وعنه قال الزمها فجورها وتقواها وأخرج احمد وعبد بن حميد ومسلم وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه عن عمران بن حصين ان رجلا قال يا رسول الله ارأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه شيء قد قضي عليهم ومضى فيهم قدر قد سبق او فيما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم واتخذت عليهم به الحجة قال بل شيء قد قضي عليهم قال فلم يعملون اذن قال من كان الله خلقه لواحدة من المنزلتين يهيئه لعملها وتصديق ذلك في كتاب الله ونفس وما سويها فالهمها فجورها وتقويها وسيأتي في السورة التي بعد هذه نحو هذا الحديث وأخرج ابن ابي شيبة واحمد والنسائي عن زيد بن ارقم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم ات نفسي تقويها وزكها انت خير من زكيها انت وليها ومولاها و اخرجه ابن المنذر والطبراني وابن مردويه من حديث ابن عباس وزاد كان اذا تلى هذه الآية ونفس وما سويها فالهمها فجورها وتقويها قال فذكره وزاد ايضا وهو في الصلوة وأخرج حديث زيد بن ارقم مسلم ايضا واخرج نحوه احمد من حديث عائشة قد افلح من زكيها اي قد فاز من زكى نفسه وانماها واعلاها بالتقوى بكل مطلوب وظفر بكل محبوب وقد قدمنا ان هذا جواب القسم على الراجح قال الزجاج صار طول الكلام عوضا عن اللام اي والاصل فيه لقد وتبعه القاضي قال الشهاب وعند النحاة ان الماضي المثبت المتصرف الذي لم يتقدم معموله اذا وقع جوابا للقسم تلزمه اللام وقد ولا يجوز الاقتصار على احداهما الا عند طول الكلام او في ضرورة واصل الزكاء النمو والزيادة ومنه زكى الزرع اذا كثر قال ابن عباس يقول قد افلح من زكى الله نفسه اي بالطاعة وقد خاب من دسيها اي خسر من اضلها واغواها بالمعصية قال اهل اللغة دسيها اصله دسسها من التدسيس وهو اخفاء الشيء في الشيء فمعنى دسيها في الآية اخفاها واخملها ولم يشهرها بالطاعة والعمل الصالح وكانت اجواد العرب تنزل الامكنة المرتفعة ليشتهر مكانها فتقصدها الضيوف وكانت لئام العرب تنزل الهضاب والامكنة المنخفضة ليخفى مكانها عن الوافدين وقال ابن الاعرابي المعنى دس نفسه في جملة الصالحين وليس منهم قال ابن عباس قد خاب من دس الله نفسه وعنه قال دسيها يعني مكر بها وعنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في الآية افلح نفس

زكيها الله وخابت نفس خيبها الله من كل خير اخرجه ابو حاتم وابو الشيخ وابن مردويه والديلمي
من طريق جويبر عن الضحاك وجويبر ضعيف وتكرير قد فيه لابراز الاعتناء بتحقيق مضمونها في
الايذان بتعلق القسم به ايضا اصالة كذبت ثمود رسولها صالحا بطغويها انث الفعل لضعف اثر
تكذيبهم لان كل سامع له يعرف ظلمهم فيه لوضوح ايتهم الطغوي اسم من الطغيان كالدعوى
قال الواحدي قال المفسرون الطغيان معناه حملهم على التكذيب والطغيان مجاوزة الحد في المعاصي
والباء للسببية كما قاله مجاهد وقتادة وغيرهما وقيل بطغويها اي بعذابها الذي وعدت به
وسمي العذاب طغوي لانه طغى عليهم فتكون الباء على هذا للتعدية وتوبد في الكشاف بانها
للاستعانة مجازا يعني فعلت التكذيب بطغيانها كما تقول ظلمني بجراته على الله وقال محمد بن
كعب بطغويها اي باجمعها قرا الجمهور بفتح الطاء وهو مصدر بمعنى الطغيان وانما قلبت الياء واوا
للفرق بين الاسم والصفة لانهم يقلبون الياء في الاسماء كثيرا نحو تقوى وسروى وقرئ بضم
الطاء وهو مصدر ايضا كالرجعى والحسنى ونحوهما وقيل هما لغتان واختير التعبير بالطغوى
لانه اشبه برؤس الايات قال ابن عباس اسم العذاب الذي جاءها الطغوى فقال كذبت
ثمود بعذابها اذ انبعث اشقيها العامل في الظرف كذبت او بطغويها اي حين قام اشقى ثمود
وهو قدار بن سالف فعقر الناقة ومعنى انبعث انتدب لذلك وقام به يقال بعثته على
الامر فانبعث به ويضرب بقدار المثل فيقال اشأم من قدار وهو اشقى الاولين وكان رجلا
اشقر ازرق قصيرا ومعنى قدار في الاصل الجزار وقد تقدم بيان هذا في الاعراف فقال
لهم رسول الله يعني صالحا بسبب الانبعاث او التكذيب الذي دل على قصدهم لها بالاذى
ناقة الله قال الزجاج اي ذروا ناقة الله وقال الفراء حذرهم اياها وكل تحذير فهو نصب اي
ذروا عقرها والاضافة للتشريف كبيت الله واحذروا سقياها وهو شربها من الماء وكان
لها يوم ولهم يوم قال الكلبي ومقاتل قال لهم صالح ذروا ناقة الله فلا تعقروها وذروا سقياها
وهو شربها من النهر فلا تعرضوا لها يوم شربها فكذبوه بتحذيره اياهم واستمروا على تكذيبه
المعجز فعقروها اي عقرها الاشقى وانما اسند العقر الى الجميع لانهم رضوا بفعله قال قتادة انه لم يعقرها
حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وانثاهم قال الفراء عقرها اثنان والعرب تقول هذان

افضل الناس وهذان خير الناس فلهذا قيل اشقياها اخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن عبد الله بن زمعة قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الناقة وذكر الذي عقرها فقال اذا انبعث اشقاها قال انبعث لها رجل عارم عزيز منيع في رهطه مثل ابي زمعة وعن عمار بن ياسر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي الا احدثك باشقى الناس قال بلى قال رجلان احيمر ثمود الذي عقر الناقة والذي يضربك على هذا يعني قرنه حتى تبتل منه هذه يعني لحيته اخرجه احمد وابن ابي حاتم والبغوي والطبراني وابن مردويه والحاكم وابو نعيم في الدلائل فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ اي اهلكهم واطبق عليهم العذاب بِذَنْبِهِمْ الذي هو الكفر والتكذيب والعقر وحقيقة الدمدمة تضعيف العذاب وترديده يقال دمدمت على الشيء اي اطبقت عليه ودمدم عليه القبر اي اطبقه وناقة مدمومة اذا لبسها الشحم والدمدمة اهلاك باستيصال كذا قال المورج قال في الصحاح دمدمت الشيء اذا الزقته بالارض وطحطحته ودمدم الله عليهم اي اهلكهم ودمدمت على الميت التراب اي سويته عليه قال ابن الانباري دمدم اي غضب والدمدمة الكلام الذي يزعج الرجل وقال ابن الاعرابي دمدم اذا عذب عذابا تاما والضمير في فَسَوَّاهَا يعود الى الدمدمة اي فسوى الدمدمة عليهم وعمهم بها فاستوت على صغيرهم وكبيرهم وقيل يعود الى الارض اي فسوى الارض عليهم فجعلهم تحت التراب وقيل يعود الى الامة اي ثمود قال الفراء سوى الامة انزل العذاب بصغيرها وكبيرها بمعنى سوى بينهم فلم يفلت منهم احد الا من آمن مع صالح وكانوا اربعة الاف قرأ الجمهور فدمدم بميم بين الدالين وقرأ ابن الزبير فدهدم بهاء بينهما قال القرطبي وهما لغتان كما يقال امتقع لونه واهتقع لونه وفي القاموس دمدم الارض سواها كدهدم ودمدم عليهم فتلخص ان دمدمان بمعنى واحد ودمدم بدالين معناهما واحد وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا اي فعل الله بهم ذلك غير خائف من عاقبة ولا تبعة والضمير في عقباها يرجع الى الفعلة او الى الدمدمة المدلول عليها بدمدم قال السدي والضحاك والكلبي ان الكلام يرجع الى العاقر لا الى الله سبحانه اي لم يخف الذي عقرها عقبى ما صنع وقيل لا يخاف رسول الله صالح عليه الصلاة والسلام عاقبة اهلاك قومه ولا يخشى ضررا يعود عليه من صلاحهم لانه قد انذرهم والاول اولى قرأ الجمهور ولا يخاف بالواو وقرئ بالفاء

وهما قراءتان سبعيتان اما الواو فيجوز ان تكون للحال او للاستيناف الاخبار والفاء للتعقيب وهو ظاهر والمعنى لا يخاف عاقبتها كما تخاف الملوك عاقبة ما تفعله فهو استعارة تمثيلية لاهانتهم واهم اذلاء عند الله وفي القاموس اعقبه الله بطاعته جازاه والعقبى جزاء الامر*

سورة والليل هي احدى وعشرون اية وهي مكية عند الجمهور*

وقيل مدنية قال ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله عن جابر بن سمرة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في الظهر والعصر والليل اذا يغشى ونحوها اخرجه البيهقي في سننه وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بهم الهاجرة فرفع صوته فقرأ والشمس وضحها والليل اذا يغشى فقال له ابي بن كعب يا رسول الله امرت في هذه الصلوة بشيء قال لا ولكن اردت ان اوقت لكم اخرجه الطبراني في الاوسط وقد تقدم حديث فهلا صليت بسبح اسم ربك الاعلى والشمس وضحها والليل اذا يغشى وعن ابن عباس اني لاقول ان هذه السورة نزلت في السماحة والبخل قال الرازي نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه وانفاقه على المسلمين وفي امية بن خلف وبخله وكفره بالله والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب*

بسم الله الرحمن الرحيم

وَاللَّيْلِ اِذَا يَغْشٰى اي يغطي بظلمته ما كان مضيئا قال الزجاج يغشى الليل الافق وجميع ما بين السماء والارض فيذهب ضوء النهار وقيل يغشى النهار وقيل يغشى الارض والاول اولى قال ابن عباس اذا يغشى اذا اظلم وعن ابن مسعود قال ان ابا بكر الصديق اشترى بلالا من امية بن خلف ببردة وعشر اواق فاعتقه لله فانزل الله والليل اذا يغشى الى قوله ان سعيكم لشتى سعي ابي بكر وامية وابي الى قوله وكذب بالحسنى قال لا اله الا الله الى قوله فسنيسره للعسرى قال النار اخرجه ابن ابي حاتم وابو الشيخ وابن عساكر اقسم سبحانه بالليل الذي ياوي فيه كل حيوان الى ماواه ويسكن الخلق فيه عن التحرك ويغشاهم النوم الذي جعله الله راحة لابدانهم وغذاء لارواحهم ثم اقسم بالنهار فقال وَالنَّهَارِ اِذَا تَجَلّٰى اي ظهر وانكشف ووضح لزوال الظلمة التي كانت في الليل بطلوع الشمس لان النهار اذا جاء انكشف بضوئه ما كان في الدنيا من الظلمة وجاء الوقت الذي يتحرك فيه الناس لمعاشهم

وتتحول الطير من اوكارها والهوام من مكانها فلو كان الدهر كله ليلا لتعذر المعاش ولو كان
كله نهارا لبطلت الراحة فكانت المصلحة في تعاقبهما وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ ما هنا هي الموصولة اي والذي
خلقهما وعبر عن من بما للدلالة على الوصفية ولقصد التفخيم اي والقادر العظيم الذي خلق صنفي
الذكر والانثى قال الحسن والكلبي معناه الذي خلق الذكر والانثى فيكون قد اقسم بنفسه الكريمة
قال ابو عبيدة وما خلق اي ومن خلق وقال مقاتل يعني وخلق الذكر والانثى فتكون ما على هذا
مصدرية قال الكلبي ومقاتل يعني آدم وحوى والظاهر العموم قرأ الجمهور وما خلق الذكر والانثى
وقرأ ابن مسعود والذكر والانثى بدون ما خلق قال المحلي والخنثى المشكل عندنا ذكر او انثى عند الله
تعالى فيحنث بتكليمه من حلف لا يكلم ذكرا ولا انثى انتهى وعبارة الخطيب الخنثى وان اشكل امره عندنا
فهو عند الله غير مشكل معلوم بالذكورة او الانوثة انتهت وقال الكرخي يحنث بتكليمه لان الله
تعالى لم يخلق من ذوي الارواح من ليس بذكر ولا انثى والخنثى انما هو مشكل بالنسبة الينا خلافا لابي
الفضل الهمداني فيما حكاه وجها انه نوع ثالث ويدفعه قوله يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن
يشاء الذكور ونحو ذلك قاله الاسنوي إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ هذا جواب القسم اي ان عملكم لمختلف فمنه
عمل للجنة ومنه عمل للنار ومنكم مؤمن وكافر ومنكم مثاب بالجنة ومعاقب بالنار ومنكم راحم
وقاس وحليم وطائش وجواد وبخيل قال جمهور المفسرين السعي العمل فساع في فكاك نفسه
وساع في عطبها وشتى جمع شتيت كمرضى جمع مريض وقيل للمختلف شتى لتباعد ما بين بعضه
وبعض والشتات هو الافتراق وسعيكم مصدر مضاف فيفيد العموم فهو جمع معنى وان كان
مفردا في اللفظ ولذا اخبر عنه بالجمع وهو شتى فهو بمعنى مساعيكم فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ اي بذل
ماله في وجوه الخير وَاتَّقَىٰ محارم الله التي نهى عنها وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ اي ايقن بالخلف الذي
من الله قال المفسرون فاما من اعطى المعسرين وقال قتادة اعطى حق الله الذي عليه وقال
الحسن اعطى الصدق من قلبه وصدق بالحسنى اي بلا اله الا الله وبه قال الضحاك والسلمي
وابن عباس وقال مجاهد بالحسنى بالجنة وقال زيد بن اسلم بالصلوة والزكوة والصوم و
الاول اولى قال قتادة بالحسنى اي بموعود الله الذي وعده ان يثيبه قال الحسن بالخلف
من عطائه واختار هذا ابن جرير وقال ابن عباس اعطى من الفضل واتقى ربه و

صدق بالخلف من الله فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى اي فسنهيئه للخصلة التي هي حسنى وهي عمل الخير حتى يسهل عليه فعاله والمعنى فسنيسر له الانفاق في سبيل الخير والعمل بالطاعة لله والسين في الموضعين للتسويف وهو من الله محقق وذكر القسطلاني ان هذه السين للتلطيف قال الشريف الصفوي مرادهم به ترقيق الكلام بمعنى ان لا يكون نصا في المقصود بل يكون محتملا لغير المقصود فهو كالشيء الرقيق الذي يمكن تغييره بسهل ويقابله الكثيف بمعنى ان يكون نصا في المقصود لانه لا يمكن تغييره وتبديله فهو كالشيء الكثيف الذي لا يمكن فيه ذلك فالمقصود هنا ان التيسير حاصل في الحال لكن اتى بالسين الدالة على الاستقبال والتاخير لتلطيف الكلام وترقيقه باحتمال ان لا يكون التيسير حاصلا في الحال لنكات تقتضي ذلك والله اعلم قال الواحدي قال المفسرون نزلت هذه الآيات في ابي بكر الصديق اشترى ستة نفر من المؤمنين كانوا في ايدي اهل مكة يعذبونهم في الله قال ابن عباس لليسرى للخير من الله وقال زيد بن اسلم للجنة وعن عامر بن عبد الله بن الزبير قال كان ابو بكر يعتق على الاسلام بمكة وكان يعتق عجائز ونساء اذا اسلمن فقال له ابوه اي بني اراك تعتق ناسا ضعفاء فلو انك تعتق رجالا جلدا يقومون معك ويمنعونك ويدفعون عنك قال اي ابت انما اريد ما عند الله قال فحدثني بعض اهل بيتي ان هذه الآية نزلت فيه وَأَمَّا مَن بَخِلَ بماله فلم يبذله في سبل الخير وَاسْتَغْنَى اي زهد في الاجر والثواب او استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الآخرة قال ابن عباس بخل بماله واستغنى عن ربه وعنه قال يقول من اغناه الله فبخل بالزكوة وعنه هو ابو سفيان بن حرب وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى اي بالخلف من الله عز وجل وقال مجاهد بالجنة وعنه قال بلا اله الا الله فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى اي فسنهيئه للخصلة العسرى ونسهلها له حتى يتعسر عليه اسباب الخير والصلاح ويضعف عن فعلها فيؤديه ذلك الى النار قال مقاتل يعسر عليه ان يعطي خيرا قيل العسرى الشر وذلك ان الشر يؤدي الى العذاب والعسرة في العذاب والمعنى سنهيئه للشر بان نجريه على يديه قال الفراء سنيسره سنهيئه والعرب تقول قد يسرت الغنم اذا ولدت او تهيأت للولادة قال ابن عباس للعسرى للشر من الله وقيل للنار واخرج البخاري ومسلم واهل السنن وغيرهم عن علي بن ابي طالب قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في جنازة فقال ما منكم من احد الا وقد كتب مقعده من الجنة

ومقعده من النار فقالوا يا رسول الله افلا نتكل فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له اما من كان من اهل السعادة فيسر لعمل اهل السعادة واما من كان من اهل الشقا فييسر لعمل اهل الشقا ثم قرأ فاما من اعطى الى قوله للعسرى واخرج احمد ومسلم وغيرهما عن جابر بن عبد الله ان سراقة بن مالك قال يا رسول الله في اي شيء نعمل او في اي شيء ثبتت فيه المقادير وجرت به الاقلام ام في شيء يستقبل فيه العمل قال بل في شيء ثبتت فيه المقادير وجرت فيه الاقلام قال سراقة ففيم العمل اذن يا رسول الله قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية فاما من اعطى الخ وقد تقدم حديث عمران بن حصين فى السورة التي قبل هذه وفي الباب احاديث من طريق جماعة من الصحابة قال الفراء لقائل ان يقول كيف قال ذلك وهل فى العسرى تيسير انتهى وايضاح الجواب عن هذا ما ورد فى الحديث اعملوا فكل ميسر لما خلق له اي عليكم بشان العبودية وما خلقتم لاجله وامرتم به وكلوا امور الربوبية الغيبية الى صاحبها فلا عليكم بشانها ونظيره الرزق المقسوم مع الامر بالكسب والاجل المضروب فى العمر مع المعالجة بالطب فانك تجد المغيب فيهما علة موجبة والظاهر البادي سببا مخيلا وقد اصطلح الناس خاصتهم وعامتهم على ان الظاهر فيهما لا يترك بسبب الباطن قاله الكرخي وما اي لا يغني عنه شيئا ماله الذي بخل به وتركه لوارثه ولم يصحبه منه الى آخرته التي هي موضع فقره وحاجته شيء او اي شيء يغني عنه اذا تردى اي هلك يقال ردى الرجل يردى ردى وتردى يتردى اذا هلك وقال قتادة وابو صالح وزيد بن اسلم اذا تردى اذا سقط في جهنم يقال ردى فى البير وتردى اذا سقط فيها ويقال ما ادري اين ردى اي اين ذهب وجملة ان علينا للهدى مستانفة مقررة لما قبلها اي ان علينا البيان بموجب قضائنا المبني على الحكم البالغة حيث خلقنا الخلق للعبادة قال الزجاج علينا ان نبين طريق الهدى من طريق الضلال اي وقد فعلنا ذلك بما لا مزيد عليه حيث بينا حال من سلك كلا الطريقين ترغيبا وترهيبا قال قتادة على الله البيان بيان حرامه وطاعته ومعصيته قال الفراء من سلك الهدى فعلى الله سبيله لقوله وعلى الله قصد السبيل يقول من اراد الله فهو على السبيل القاصد قال الفراء ايضا المعنى ان علينا للهدى وللاضلال فحذف الاضلال كقوله سرابيل تقيكم الحر اي والبرد

وقيل المعنى ان علينا ثواب هداه الذي هديناه والاول اولى وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ اي لنا
كل ما في الآخرة وكل ما في الدنيا نتصرف به كيف نشاء فمن ارادهما او احدهما فليطلب ذلك منا
وقيل المعنى ان لنا ثواب الآخرة وثواب الدنيا فمن طلبها من غيرنا فقد اخطأ الطريق فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا
تَلَظَّىٰ اي حذرتكم وخوفتكم نارا تتوقد وتتوهج واصله تتلظى فحذفت احدى التائين تخفيفا
وقرئ على الاصل لَا يَصْلَاهَا صليا لازما على جهة الخلود إِلَّا الْأَشْقَى وهو الكافر وان صليها
غيره من العصاة فليس صليه كصليه والمعنى يدخلها ويجد صلاها وهو حرها ثم وصف
الاشقى فقال الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ اي كذب بالحق الذي جاءت به الرسل واعرض عن الطاعة
والايمان قال الفراء الا الاشقى الا من كان شقيا في علم الله جل ثناؤه وقال ايضا لم يكن كذب
برد ظاهر ولكنه قصر عما امر به من الطاعة فجعل تكذيبا كما تقول لقي فلان العدو فكذب
اذا نكل ورجع عن اتباعه قال الزجاج هذه الآية هي التي من اجلها قال اهل الارجاء بالارجاء
فزعموا انه لا يدخل النار الا كافر ولاهل النار منازل فمنها ان المنافقين في الدرك الاسفل
من النار والله سبحانه كلما وعد عليه بجنس من العذاب فجدير ان يعذب به وقد قال الله ان
الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فلو كان كل من لم يشرك لم يعذب
لم يكن في قوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فائدة وقال في الكشاف الآية واردة في الموازنة
بين حالتي عظيم من المشركين وعظيم من المؤمنين فاريد ان يبالغ في صفتيهما المتناقضتين
فقيل الاشقى وجعل مختصا بالصلي كان النار لم تخلق الا له وقيل الاتقى وجعل مختصا بالنجاة كان
الجنة لم تخلق الا له وقيل المراد بالاشقى ابو جهل وامية بن خلف وبالاتقى ابو بكر الصديق قال المحلي
وهذا الحصر مؤول لقوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فيكون المراد الصلي المؤبد انتهى اي مصروف
عن ظاهره فلا يرد الفاسق لانه اما ان لا يدخلها ان عفي عنه او يدخلها ويخلص منها فالمعنى لا
يدخلها دخولا مؤبدا الا الكافر الذي هو شقي لانه كذب النبي والاولى ان يقال مؤول بحمل الصلي
على التأبيد والخلود وعن ابي هريرة قال لتدخلن الجنة الا من يأبى قالوا ومن يأبى ان يدخل الجنة
فقرأ الذي كذب وتولى اخرجه ابن جرير وعن ابي امامة لا يبقى احد من هذه الامة الا ادخله الله
الجنة الا من شرد على الله كما يشرد البعير السوء على اهله فمن لم يصدقني فان الله يقول

لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب به وتولى كذب بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وتولى عنه اخرجه سعيد
بن منصور وغيره وعنه انه سئل عن الدين كلمة سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا كلكم يدخل الله الجنة الا من شرد على الله شراد البعير على اهله اخرجه
احمد والحاكم والضياء وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل النار
الا الاشقى قيل ومن الشقي قال الذي لا يعمل لله بطاعة ولا يترك لله معصية اخرجه احمد وابن ماجة
وابن مردويه وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل امتي يدخل الجنة يوم القيامة الا من ابى قالوا
ومن يأبى يا رسول الله قال من اطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد ابى اخرجه احمد والبخاري
وسيجنبها الاتقى اي سيباعد عنها المتقي للكفر اتقاء بالغا قال الواحدي الاتقى ابو بكر الصديق في
قول جميع المفسرين انتهى والاولى حمل الاشقى والاتقى على كل متصف بالصفتين المذكورتين
ويكون المعنى انه لا يصلاها صليا تاما لازما الا الكامل في الشقاء وهو الكافر ولا يجنبها ويبعد عنها
تبعيدا كاملا بحيث لا يحوم حولها فضلا عن ان يدخلها الا الكامل في التقوى فلا ينافي هذا دخول
بعض العصاة من المسلمين النار دخولا غير لازم ولا تبعيد بعض من لم يكن كامل التقوى عن النار
تبعيدا غير بالغ مبلغ تبعيد الكامل في التقوى عنها والحاصل ان من تمسك من المرجئة بقوله
لا يصلاها الا الاشقى زاعما ان الاشقى الكافر لانه الذي كذب وتولى ولم يقع التكذيب من عصاة
المسلمين فيقال له فماذا تقول في قوله وسيجنبها الاتقى فانه يدل على انه لا يجنب النار الا الكامل في
التقوى فمن لم يكن كاملا فيها كعصاة المسلمين لم يكن ممن يجنب النار فان اولت الاتقى بوجه من
وجوه التاويل لزمك مثله في الاشقى فخذ اليك هذه مع تلك وكن كما قال الشاعر شعر على
انني راض بان احمل الهوى + واخرج منه لا علي ولا ليا + وقيل اراد بالاشقى والاتقى الشقي والتقي كما
قال طرفة بن العبد شعر تمنى رجال ان اموت وان امت + فتلك سبيل لست فيها باوحد
اي بواحد ولا يخفاك انه ينافي هذا وصف الاشقى بالتكذيب فان ذلك لا يكون الا من الكافر
فلا يتم ما اراده قائل هذا القول من شمول الوصفين لعصاة المسلمين عن عروة ان ابا بكر الصديق
اعتق سبعة كلهم يعذب في الله بلال وعامر بن فهيرة والنهدية وابنتها وزنيرة وام عيسى وامة
بني المؤمل وفيه نزلت وسيجنبها الاتقى الى اخر السورة اخرجه ابن ابي حاتم وفي الباب روايات

ثم ذكر سبحانه صفة الاتقى فقال ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ﴾ اي يعطيه ويصرفه في وجوه الخير وقوله ﴿يَتَزَكَّى﴾ في محل نصب على الحال من فاعل يؤتي اي حال كونه يطلب ان يكون عند الله زكيا لا يطلب رياء ولا سمعة ويجوز ان يكون بدلا من يؤتي داخلا معه في حكم الصلة قرأ الجمهور يتزكى مضارع تزكى وقرأ علي بن الحسين رضي الله عنهما بادغام التاء في الزاي ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾ قال ابو السعود اي من شأنها ان تجازى وتكافأ والجملة مستأنفة لتقرير ما قبلها من كون التزكي على جهة الخلوص غير مشوب بشائبة تنافي الخلوص اي ليس ممن يتصدق في ماله ليجازي بصدقته نعمة لاحد من الناس عنده ويكافيه عليها وانما يبتغي بصدقته وجه الله تعالى ومعنى الاية انه ليس لاحد من الناس عنده نعمة من شأنها ان يجازي عليها حتى يقصد بايتاء ما يؤتي من ماله مجازاتها وانما قال تجزى مضارعا مبنيا للمفعول لاجل الفواصل والاصل يجزيها اياه او يجزيه اياها ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ قرأ الجمهور بالنصب على الاستثناء المنقطع لعدم اندراجه تحت جنس النعمة اي لكن ابتغاء وجه ربه ويجوز ان يكون منصوبا على انه مفعول له على المعنى اي لا يؤتي الا لابتغاء وجه ربه لا لمكافأة نعمة قال الفراء هو منصوب على التاويل اي ما اعطيتك ابتغاء جزائك بل ابتغاء وجه الله وقرئ بالرفع على البدل من محل نعمة لان محلها الرفع اما على الفاعلية واما على الابتداء ومن مزيدة والرفع لغة تميم لانهم يجوزون البدل في المنقطع في غير الايجاب ويجرونه مجرى المتصل قال مكي واجاز الفراء الرفع في ابتغاء على البدل من موضع نعمة وهو بعيد قال شهاب الدين كانه لم يطلع عليها قراءة واستبعاده هو البعيد فانها لغة فاشية وقرأ الجمهور ايضا ابتغاء بالمد وقرئ بالقصر والاعلى نعت للرب ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ اللام هي الموطئة للقسم اي وتالله لسوف يرضى بما نعطيه من الكرامة والجزاء العظيم وهو وعد من الكريم تعالى لابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه بنيل جميع ما يبتغيه على اكمل الوجوه واجلها اذ به يتحقق الرضا قاله ابو السعود قرأ الجمهور يرضى مبنيا للفاعل وقرئ مبنيا للمفعول من ارضاه الله وهو قريب من قوله تعالى في اخر طه لعلك ترضى وترضى

سورة الضحى هي احدى عشرة اية وهي مكية بلا خلاف

قال ابن عباس نزلت بمكة واخرج الحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الشعب من طريق
ابي الحسن المقري قال سمعت عكرمة بن سليمان يقول قرأت على اسمعيل ابن قسطنطين فلما
بلغت والضحى قال كبر حتى تختم واخبره عبد الله بن كثير انه قرأ على مجاهد فامره بذلك واخبره مجاهد
ان ابن عباس امره بذلك واخبره ابن عباس ان ابي بن كعب اخبره بذلك واخبره ابي ان النبي
صلى الله عليه وسلم امره بذلك. وابو الحسن المقرى المذكور هو احمد بن محمد بن عبد الله بن ابي بزة المقرئ
قال ابن كثير فهذه سنة تفرد بها ابو الحسن المقري وكان اماما في القراءات واما في الحديث فقد
ضعفه ابو حاتم الرازي وقال لا احدث عنه وكذلك ابو جعفر العقيلي قال هو منكر الحديث قال
ابن كثير ثم اختلف القراء في موضع هذا التكبير وكيفيته فقال بعضهم يكبر من آخر الليل اذا
يغشى وقال آخرون من آخر الضحى وكيفية التكبير عند بعضهم ان يقول الله اكبر ويقتصر ومنهم
من يقول الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر وذكروا في مناسبة التكبير من اول الضحى انه لما تاخر الوحي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتر تلك المدة ثم جاء الملك فاوحى اليه والضحى كبر فرحا وسرورا ولم
يروا ذلك باسناد يحكم عليه بصحة ولا ضعف واخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن جندب البجلي
قال اشتكى النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلتين او ثلاثا فاتته امرأة فقالت يا محمد ما ارى شيطانك
الا قد تركك لم يقربك ليلتين او ثلاثا فانزل الله والضحى وعن جندب قال ابطأ جبريل عن النبي
صلى الله عليه وسلم فقال المشركون قد ودع محمد صلى الله عليه وسلم فنزلت ما ودعك وعنه قال احتبس جبريل
عن النبي صلى الله عليه وسلم فقالت بعض بناته عمه ما ارى صاحبك الا قد قلاك فنزلت والضحى و
قيل في سبب نزولها غير ذلك وما ذكرناه هو الاولى

بسم الله الرحمن الرحيم

والضحى المراد بالضحى هنا النهار كله لقوله والليل اذا سجى فلما قابل الضحى بالليل دل على ان المراد
به النهار كله لا بعضه وهو في الاصل اسم لوقت ارتفاع الشمس كما تقدم في قوله والشمس
وضحاها وعلى هذا يكون في الكلام مجاز من اطلاق اسم الجزء وارادة الكل والظاهر ان المراد
به الضحى من غير تعيين قال قتادة ومقاتل وجعفر الصادق ان المراد به الضحى الذي كلم الله
فيه موسى والمراد بقوله الآتي والليل اذا سجى ليلة المعراج وقيل المراد بالضحى هو الساعة التي خر

فيها السجدة سجدا كما في قوله وان يحشر الناس ضحى وقيل المقسم به مضاف مقدر كما تقدم
في نظائره اي ورب الضحى وقيل تقديره وضحاوة الضحى ولا وجه لهذا فلله سبحانه ان يقسم
بما شاء من خلقه وقيل الضحى نور الجنة والليل ظلمة النار وقيل الضحى نور قلوب العارفين والليل
سواد قلوب الكافرين والاول اولى وقدم هنا الضحى على الليل وفي السورة قبلها قدم الليل لان
لكل منهما اثرا في صلاح العالم وللليل فضيلة السبق وللنهار فضيلة النور فقدم هذا تارة
وهذا اخرى اوانه قدم الليل في سورة ابي بكر لان ابا بكر سبق له كفر وقدم الضحى في سورة محمد لانه
نور محض ولم يتقدمه ذنب ولم يفصل بين السورتين اشارة الى انه لا واسطة بين النبي صلى الله عليه وسلم
وابي بكر قلت هذه الاقوال من قبيل لطائف النكات وليس من تفسير كتاب الله في شيء وَالَّيْلِ إِذَا
سَجَىٰ اي سكن كذا قال قتادة ومجاهد وابن زيد وعكرمة وغيرهم يقال ليلة ساجية اي ساكنة
ويقال للعين اذا سكن طرفها ساجية يقال سجى الشيء يسجو سجوا اذا سكن قال عطاء اذا سجى اذا
غطى بالظلمة وروى ثعلب عن ابن الاعرابي سجى امتد ظلامه وقال الاصمعي سجو الليل تغطيته
النهار مثل ما يسجى الرجل بالثوب وقال الحسن غشى بظلامه كل شيء وقال سعيد بن جبير اقبل
وقال مجاهد ايضا استوى والاول اولى وعليه جمهور المفسرين واهل اللغة ومعنى سكونه استقرار
ظلامه واستواؤه فلا يزداد بعد ذلك وقال ابن عباس اذا اقبل وعنه قال اذا ذهب مَا وَدَّعَكَ
رَبُّكَ اي ما تركك قاله ابن عباس وهذا جواب القسم اي ما قطعك قطع المودع قرأ الجمهور بتشديد
الدال من التوديع وهو توديع المفارق وقرئ بتخفيفها من قولهم ودعه اي تركه والتوديع ابلغ
من الودع لان من ودعك مفارقا فقد بالغ في تركك قال المبرد لا يكادون يقولون ودع
ولا وزر لضعف الواو اذا قدمت واستغنوا عنها بترك قال ابو عبيدة ودعك من التوديع كما
يودع المفارق وقال الزجاج لم يقطع الوحي والتوديع مستعار استعارة تبعية للترك فان الوداع
انما يكون بين الاحباب ومن تعز مفارقته هذه الحقيقة لا تتصور هنا وَمَا قَلَىٰ اي ما ابغضك
قاله ابن عباس والقلاء البغض يقال قلاه يقليه قلا وقال وما قلى ولم يقل وما قلاك لموافقة
رؤس الاي وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ اللام جواب قسم محذوف اي الجنة خير لك من الدنيا
مع انه صلى الله عليه وسلم قد اوتي في الدنيا من شرف النبوة ما يصغر عنده كل شرف وتتضاءل بالنسبة اليه

كل مكرمة فى الدنيا ولكنها لما كانت الدنيا بأسرها مشوبة بالاكدار منغصة بالعوارض البشرية
وكانت الحياة فيها كاحلام نائم او كظل زائل لم تكن بالنسبة الى الاخرة شيئا ولما كانت طريقا
الى الاخرة وسببا لنيل ما اعده الله لعباده الصالحين من الخير العظيم بما يفعلونه فيها من الاعمال
الموجبة للفوز بالجنة كان فيها خير فى الجملة من هذه الحيثية وانما قيد بقوله لك لانها ليست
خيرا لكل احد قال البقاعي ان الناس على اربعة اقسام منهم من له الخير فى الدارين وهم
اهل الطاعة الاغنياء ومنهم من له الشر فيهما وهم الكفرة الفقراء ومنهم من له صورة خير فى
الدنيا وشر فى الاخرة وهم الكفرة الاغنياء ومنهم من له صورة شر فى الدنيا وخير فى الاخرة
وهم الفقراء المؤمنون ذكره الخطيب وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض علي ما
هو مفتوح لامتي بعدي فانزل الله وللاخرة خير لك من الاولى اخرجه الطبراني فى الاوسط
والبيهقي فى الدلائل وعنه قال عرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هو مفتوح على امته من
بعده فسر بذلك فانزل الله ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ قيل هي لام الابتداء دخلت على
الخبر لتاكيد مضمون الجملة والمبتدء محذوف تقديره ولانت سوف يعطيك وليست للقسم
لانها لا تدخل على المضارع الا مع النون المؤكدة وقيل هي للقسم قال ابو علي الفارسي ليست هذه
اللام هي التي في قولك ان زيدا لقائم بل هي التي في قولك لاقومن ونابت سوف عن احدى
نوني التاكيد فكانه قال ولنعطينك اي ان العطاء كائن لا محالة وان تاخر لما في التاخير من
المصلحة قيل والمعنى ولسوف يعطيك ربك الفتح فى الدنيا والثواب فى الاخرة فترضى وقال البيضاوي
هذا وعد شامل لما اعطاه له من كمال النفس وظهور الامر واعلاء الدين ولما ادخر له مما لا يعرف
كنهه سواه وقيل الحوض والشفاعة فى الامة وقيل الف قصر من لؤلؤ ابيض ترابه المسك وبه
قال ابن عباس وزاد في كل قصر ما ينبغي له من الازواج والخدم وعنه قال رضاه ان يدخل امته
كلهم الجنة واخرج ابن جرير عنه قال من رضا محمد صلى الله عليه وسلم ان لا يدخل احد من اهل بيته النار
واخرج الخطيب فى التلخيص من وجه اخر عنه قال لا يرضى محمد صلى الله عليه وسلم واحد من امته فى النار
ويدل على هذا ما اخرجه مسلم عن ابن عمرو ان النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله في ابراهيم فمن تبعني
فانه مني وقول عيسى ان تعذبهم فانهم عبادك الاية فرفع يديه وقال اللهم امتي امتي وبكى

فقال الله يا جبريل اذهب الى محمد صلى الله عليه وسلم فقل له انا سنرضيك في امتك ولا نسوءك واخرج ابن المنذر
وابن مردويه وابو نعيم في الحلية من طريق حرب بن شريح قال قلت لابي جعفر محمد بن علي بن الحسين
ارايت هذه الشفاعة التي يتحدث بها اهل العراق احق هي قال اي والله حدثني محمد بن الحنفية عن
علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اشفع لامتي حتى يناديني ربي ارضيت يا محمد فاقول نعم يا رب رضيت
ثم اقبل علي فقال انكم تقولون يا معشر اهل العراق ان ارجى اية في كتاب الله يا عبادي الذين اسرفوا
على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا قلت انا لنقول ذلك قال فكنا
اهل البيت نقول ان ارجى اية في كتاب الله ولسوف يعطيك ربك فترضى وهي الشفاعة
وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اهل البيت اختار الله لنا الاخرة على الدنيا ولسوف
يعطيك ربك فترضى اخرجه ابن ابي شيبة وعن جابر بن عبد الله قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
على فاطمة وهي تطحن بالرحى وعليها كساء من جلد الابل فلما نظر اليها قال يا فاطمة تعجلي مرارة الدنيا
بنعيم الاخرة فانزل الله ولسوف يعطيك ربك فترضى اخرجه العسكري في المواعظ وابن مردويه
وابن النجار وقيل في الاية غير ذلك والظاهر انه سبحانه يعطيه ما يرضى به من خيري الدنيا والاخرة
ومن اهم ذلك عنده واقدمه قبول شفاعته لامته ألم يجدك يتيما هذا شروع في تعداد ما افاضه الله
سبحانه عليه من النعم الثلاث والقصد من تعداد هذه النعم تقوية قلبه صلى الله عليه وسلم بخلاف قول فرعون
الم نربك فينا وليدا لانه في معرض الذم ثم امره بعد ذلك ان يذكر نعم ربه كانه قال له فالطريق في
حقك ان تفعل مع عبيدي مثل ما فعلت في حقك والهمزة لانكار النفي وتقرير المنفي على ابلغ وجه
فكانه قال قد وجدك يتيما والوجود بمعنى العلم وقيل بمعنى المصادفة والمعنى وجدك يتيما لا اب لك
قبل ولادتك اي بعد حمله بشهرين وهو الارجح وقيل غير ذلك والتفصيل في المواهب وشرحه
وكانت وفاة ابيه بالمدينة ودفن في دار النابغة وقيل بالابواء من اعمال الفرع وتوفيت امه
وهو ابن اربع او خمس او ست او سبع او ثمان او تسع او ثنتي عشرة سنة وشهر وعشرة ايام وكانت
وفاتها بالابواء وقيل بالحجون ومات جده وهو صلى الله عليه وسلم ابن ثمان فآوى اي جعل لك ماوى تاوي
اليه قرأ الجمهور فآوى بالالف بعد الهمزة رباعيا من آواه يؤويه وقرئ ثلاثيا وهو اما بمعنى الرباعي
او هو من اوى له اذا رحمه وعن مجاهد قال معنى الاية الم يجدك واحدا في شرفك لا نظير لك فآواك

الله باصحاب يحفظونك ويحوطونك فجعل يتيما من قولهم درة يتيمة وهو بعيد جدا
ووجدك ضالاً فهدى معطوف على المضارع المنفي وقيل على ما يقتضيه الكلام الذي قبله كما
ذكرنا اي قد وجدك يتيما الخ والضلال هنا بمعنى الغفلة كما في قوله لا يضل ربي ولا ينسى و
كما في قوله وان كنت من قبله لمن الغافلين والمعنى انه وجدك غافلا عما يراد بك من امر النبوة
واختار هذا الزجاج وقيل معنى ضالا لم تكن تدرى القران ولا الشرائع فهداك لذلك يعني
ليس المراد به الانحراف عن الحق فهذا كقوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان تامل وقال
الكلبي والسدي والفراء وجدك في قوم ضُلال فهداهم الله بك او فهداك الى ارشادهم اوضالا
عما انت عليه الان من الشريعة فهداك الله تعالى اليها وقيل وجدك ضالا عن الهجرة فهداك
اليها وقيل ناسيا شان الاستثناء حين سئلت عن اصحاب الكهف وذى القرنين والروح
فذكرك كقوله تعالى ان تضل احدىهما وقيل وجدك طالبا للقبلة فهداك اليها كما في قوله
قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضيها ويكون الضلال بمعنى الطلب لان
الضال طالب وقيل وجدك ضائعا في قومك فهداك اليهم ويكون الضلال بمعنى الضياع
وقيل وجدك محبا للهداية فهداك اليها ويكون الضلال بمعنى المحبة كقوله تعالى انك
لفي ضلالك القديم وقيل وجدك ضالا في شعاب مكة فهداك اي ردك الى جدك عبد المطلب
وعن ابن عباس قال وجدك بين الضالين فاستنقذك من ضلالتهم وقيل ضل في طريق
الشام حين خرج به ابو طالب فرده الى القافلة ولا يجوز ان يفهم به عدول عن حق ووقوع في باطل
فقد كان صلى الله عليه وسلم من اول حاله الى نزول الوحي عليه معصوما من عبادة الاوثان وقاذورات
اهل الفسق والعصيان وقيل ضالا نفسك لا تدري من انت فعرفك نفسك وحالك وقيل
ضالا ليلة المعراج حين انصرف عنك جبريل وانت لا تعرف الطريق فهداك الى ساق العرش وقيل
معناه لا احد على دينك بل انت وحيد ليس معك احد فهديت بك الخلق وقيل الخطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم والمراد غيره وفيه بعد وايضا يأباه النظم الكريم وعندي ان الضلال والهدى عامان في
هذه الاية فيشملان كل نوع من انواع الضلالة والهداية بيد الكفر والشرك لان العبرة باللفظ لا بخصوص
السبب ووجدك عائلا فاغنى اي وجدك فقيرا لا مال لك فاغناك يقال عال الرجل يعيل عيلة اذا افتقر

قال الكلبي فأغنى أي رضاك بما أعطاك من الرزق واختار هذا الفراء قال لأنه لم يكن غنياً
من كثرة ولكن الله سبحانه رضاه بما آتاه وذلك حقيقة الغنى وقيل بإعانة الأنصار حين الهجرة
وقيل فأغنى بما فتح لك من الفتوح والغنائم وفيه نظر لأن السورة مكية وقيل بمال خديجة بنت خويلد
وتربية أبي طالب أولاً وبمال أبي بكر ثانياً وقيل وجدك فقيراً من الحجج والبراهين فأغناك بها وفيه
بعد قرأ الجمهور عائلاً وقرئ عيلاً بزنة سيد عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال سألت ربي
مسألة وددت أني لم أكن سألته قلت قد كانت قبلي أنبياء منهم من سخرت له الريح ومنهم من
كان يحيي الموتى فقال تعالى يا محمد ألم أجدك يتيماً فآويتك ألم أجدك ضالاً فهديتك ألم
أجدك عائلاً فأغنيتك ألم أشرح لك صدرك ألم أضع عنك وزرك ألم أرفع لك ذكرك
قلت بلى يا رب أخرجه ابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي وأبو نعيم
وابن عساكر وأخرج ابن مردويه عنه قال لما نزلت والضحى على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يمن علي ربي وأهل أن يمن ربي ثم أوصاه سبحانه باليتامى والفقراء فقال فأما اليتيم
فلا تقهر أي لا تقهره بوجه من وجوه القهر كائناً ما كان قال مجاهد لا تحتقر اليتيم فقد كنت يتيماً
قال الأخفش لا تسلط عليه بالظلم ادفع إليه حقه واذكر يتمك قال الفراء والزجاج لا تقهره على
ماله فتذهب بحقه لضعفه وكذا كانت العرب تفعل في حق اليتامى تأخذ أموالهم وتظلم حقوقهم
فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسن إلى اليتيم ويبره ويوصي باليتامى قرأ الجمهور فلا تقهر بالقاف
وقرئ بالكاف والعرب تعاقب بين القاف والكاف قال النحاس إنما يقال كهره إذا اشتد عليه وغلظ
وقيل القهر الغلبة والكهر الزجر قال أبو حيان هي لغة يعني قراءة الكاف مثل قراءة الجمهور وعن
سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بالسبابة
والوسطى وفرج بينهما أخرجه البخاري وفي الباب أحاديث واليتيم منصوب بتقهر وبه استدل
ابن مالك على أنه لا يلزم من تقديم المعمول تقديم العامل ألا ترى أن اليتيم منصوب بالمجزوم وقد
تقدم على الجازم ولو قدمت تقهر على لا امتنع لأن المجزوم لا يتقدم على جازمه كالمجرور لا يتقدم على
جاره قاله السمين وأما السائل فلا تنهر يقال نهره وانتهره إذا استقبله بكلام يزجره فهو نهي
عن زجر السائل والإغلاظ له ولكن يبذل اليسير القليل أو يرده بالجميل قال الواحدي قال المفسرون

يريد السائل على الباب يقول لا تنهره اذا سألك فقد كنت فقيرا فاما ان تطعمه واما ان ترده
ردا لينا قال قتادة معناه رد السائل برحمة ولين وقيل المراد بالسائل طالب العلم والذي يسأل
عن الدين فلا تنهره بالغلظة والجفوة واجبه برفق ولين كذا قال سفيان والسائل منصوب
بتنهر والتقدير مهما يكن من شيء فلا تقهر اليتيم ولا تنهر السائل وهذه النواهي لرسول الله صلى الله
عليه وسلم هي نواهي له ولامته صلى الله عليه وسلم لانهم اسوته فكل فرد من افراد هذه الامة منهي بكل فرد من
افراد هذه النواهي واما بنعمة ربك فحدث امره سبحانه بالتحدث بنعم الله عليه واظهارها للناس
واشهارها بينهم والظاهر النعمة على العموم من غير تخصيص بفرد من افرادها او نوع من انواعها
وقال مجاهد والكلبي المراد بالنعمة هنا القرآن قال الكلبي وكان القرآن اعظم ما انعم الله به عليه فامره
ان يقرأه قال الفراء وكان يقرأه ويحدث به وقال مجاهد ايضا المراد بالنعمة النبوة التي اعطاه الله
واختار هذا الزجاج فقال اي بلغ ما ارسلت به وحدث بالنبوة التي اعطاك الله وهي اجل النعم
وقال مقاتل يعني اشكر ما ذكر من النعمة عليك في هذه السورة من الهدى بعد الضلالة وجبر
اليتيم والاغناء بعد العيلة فاشكر هذه النعم والتحدث بنعمة الله شكر وهذا الامر له صلى الله عليه وسلم هو امر
له ولامته لانهم اسوته في كل ما يأتي ويذر قال الحسن بن علي في الآية ما عملت من الخير وعنه
قال اذا اصبت خيرا فحدث اخوانك وعن النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على
المنبر من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بنعمة الله شكر
وتركه كفر والجماعة رحمة اخرجه عبد الله بن احمد في زوائد المسند والبيهقي في الشعب والخطيب
في المتفق قال السيوطي بسند ضعيف وعن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من ابلي بلاء
فذكره فقد شكره وان كتمه فقد كفره اخرجه ابو داود والترمذي وحسنه وابو يعلى وابن حبان
والبيهقي والضياء واخرج البخاري في الادب وابو داود والضياء عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من اعطي عطاء فوجد فليجز به فان لم يجد فليثن به فمن اثنى به فقد شكره ومن كتمه فقد كفره
ومن تحلى بما لم يعط فانه كلابس ثوبي زور وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اولي
معروفا فليكافئ به فان لم يستطع فليذكره فان من ذكره فقد شكره اخرجه احمد والطبراني في الاوسط
والبيهقي قال الكرخي والجار والمجرور متعلق بحدث والفاء غير مانعة من ذلك لانها كالزائدة والتحدث

ع ١١

نشرها بالشكر والثناء عليه تعالى وفيه اشعار بان قوله تعالى فاما اليتيم فلا تقهر مقابل لقوله الم يجدك يتيما فاوى وقوله اما السائل الخ مقابل لقوله ووجدك عائلا فاغنى واما قوله واما بنعمة ربك الخ فجيئ به على العموم وفي حكمة تاخير حق الله تعالى عن حق اليتيم والسائل وجوه احدها ان الله غني وهما محتاجان وتقديم المحتاج اولى وثانيها انه وضع في حظهما الفعل ورضي لنفسه بالقول وثالثها ان المقصود من جميع الطاعات استغراق القلب في ذكر الله فختمت به واوثر فحدث على فخبر ليكون عنده حديثا لا ينساه

سورة الم نشرح هي ثمان آيات وهي مكية بلا خلاف

عن عائشة قالت نزلت سورة الم نشرح بمكة ومثله عن ابن عباس و ز د بعد الضحى

بسم الله الرحمن الرحيم

الم نشرح لك صدرك معنى شرح الصدر فتحه باذهاب ما يصد عن الادراك والاستفهام للتقرير اذا دخل على النفي قرره فصار المعنى قد شرحنا لك صدرك حتى وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق فكان غائبا عنهم بروحه وحاضرا معهم بجسده الشريف والمعنى الم نفسحه بما اودعنا فيه من الحكم وازلنا عنه ضيق الجهل او بما يسرنا لك من تلقي الوحي بعد ما كان يشق عليك قال الراغب اصل الشرح بسط اللحم ونحوه يقال شرحت اللحم وشرحته ومنه شرح الصدر وهو بسطه بنور الهي وسكينته من جهة الله وروح منه وانما خص الصدر لانه محل احوال النفس من العلوم والادراكات وقيل لان الصدر محل الوسوسة كما قال تعالى يوسوس في صدور الناس فازالة تلك الوسوسة وابدالها بدواعي الخير هي الشرح والقلب محل العقل والمعرفة وهو الذي يقصده الشيطان فيجيئ اولا الى الصدر الذي هو حصن القلب فاذا وجد مسلكا نزل فيه هو وجنده وبث فيه الغموم والهموم والحرص فيضيق القلب حينئذ ولا يجد للطاعة لذة ولا للاسلام حلاوة واذا لم يجد له مسلكا وطرد حصل الامن وانشرح الصدر وتيسر القيام باداء العبودية ولم يقل نشرح صدرك تنبيها على ان منافع الرسالة عائدة عليه صلى الله عليه وسلم كانه يقول انما شرحنا صدرك لاجلك لا لاجلي والمراد الامتنان عليه صلى الله عليه وسلم بفتح صدره وتوسيعه

حتى قام بما قام به من الدعوة وقدر على ما قدر عليه من حمل أعباء النبوة وحفظ الوحي وقد مضى
القول في هذا عند تفسير قوله أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه قال ابن عباس
في الآية شرح الله صدره للإسلام قرأ الجمهور نشرح بسكون الحاء بالجزم وبفتحها قرأ أبو جعفر المنصور
العباسي قال الزمخشري قالوا لعله بين الحاء وأشبعها في مخرجها فظن السامع أنه فتحها وقال
ابن عطية إن الأصل ألم نشرحن بالنون الخفيفة ثم أبدلها ألفا ثم حذفها تخفيفا وهذا مبني
على جواز توكيد المجزوم بلم وهو قليل جدا وخرجها بعضهم على لغة بعض العرب الذين ينصبون
بلم ويجزمون بلن وهذه ما أظنها تصح وإن صحت فليست من اللغات المعتبرة فإنها جاءت بعكس ما
عليه لغة العرب بأسرها وعلى كل حال فقراءة هذا الرجل مع شدة جوره ومزيد ظلمه وكثرة جبروته
وقلة علمه ليست بحقيقة بالاشتغال بها ﴿ووضعنا عنك وزرك﴾ معطوف على معنى ما تقدم لا على
لفظه أي قد شرحنا لك صدرك ووضعنا الخ والوزر الذي أي ووضعنا عنك ما كنت فيه من أمر الجاهلية
قال الحسن وقتادة والضحاك ومقاتل المعنى حططنا عنك الذي سلف منك في الجاهلية وهذا
كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وعنك متعلق بوضعنا وتقديمه على المفعول
الصريح مع أن حقه التأخر عنه لتعجيل المسرة والتشويق إلى المؤخر ولما أن في وصفه نوع طول فتأخير
الجار والمجرور عنه مخل بتجاوب أطراف النظم الكريم ثم وصف هذا الوزر فقال ﴿الذي أنقض ظهرك﴾
قال المفسرون أي أثقل ظهرك قال الزجاج أثقله حتى سمع له نقيض أي صوت وهذا مثل معناه أنه لو كان
حملا يحمل لسمع نقيض ظهره وأهل اللغة يقولون أنقض الحمل ظهر الناقة إذا سمع له صرير من شدة الحمل
قال قتادة كان للنبي صلى الله عليه وسلم ذنوب قد أثقلته فغفرها الله له وقوم يذهبون إلى أن هذا تخفيف أعباء
النبوة التي تثقل الظهر من القيام بأمرها سهل الله ذلك عليه حتى تيسرت له وكذا قال أبو عبيدة وغيره و
قرأ ابن مسعود وحللنا عنك وقرك وقيل معناه عصمناك من الوزر الذي ينقض ظهرك لو كان ذلك
الوزر حاصلا قاله الرازي وفيه استعارة تمثيلية حيث عبر عن العصمة وضعا مجازا ثم ذكر سبحانه منته
وكرامته عليه فقال ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾ وزيادة لك في الموضعين وعنك في موضع تفيد إبهام
المشروح والموضوع والمرفوع ثم توضيحه والإيضاح بعد الإبهام أوقع في الذهن قال الحسن وذلك أن الله
لا يذكر في موضع إلا ذكر صلى الله عليه وسلم معه قال قتادة رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صا

صلوة الا ينادي فيقول اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان محمدا رسول الله قال مجاهد يعني بالتاذين وعبارة الخطيب تذكر معي في الاذان والاقامة والتشهد ويوم الجمعة على المنابر ويوم الفطر ويوم الاضحى ويوم عرفة وايام التشريق وعند الجمار وعلى الصفا والمروة وفي خطبة النكاح ومشارق الارض ومغاربها ولو ان رجلا عبد الله وصدق بالجنة والنار وكل شيء ولم يشهد ان محمدا رسول الله لم ينتفع بشيء وكان كافرا انتهى وقيل المعنى ذكرناك في الكتب المنزلة على الانبياء قبلك وامرناهم بالبشارة بك ولا دين الا ودينك يظهر عليه وقيل رفعنا ذكرك عند الملائكة في السماء وعند المؤمنين في الارض ونرفع ذكرك في الآخرة بما نعطيك من المقام المحمود وكرائم الدرجات وجلائل المراتب قال الضحاك لا تقبل صلوة الا به ولا تجوز خطبة الا به وقيل رفع ذكره باخذ ميثاقه على النبيين والزامهم الايمان به والاقرار بفضله والظاهر ان هذا الرفع لذكره الذي امتن الله به عليه يتناول جميع هذه الامور فكل واحد منها من اسباب رفع الذكر وكذلك امره بالصلوة والسلام عليه واخباره صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل ان من صلى عليه واحدة صلى الله عليه بها عشرا وكم من موضع في القرآن يذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم مع الله سبحانه من ذلك قوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه وامر الله بطاعته صلى الله عليه وسلم كقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول وقوله ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقوله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وغير ذلك وبالجملة فقد ملأ ذكره الجليل السموات والارضين وجعل الله له من لسان الصدق والذكر الحسن والثناء الصالح ما لم يجعله لاحد من عباده وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله عدد ما صلى عليه المصلون بكل لسان في كل زمان وما احسن قول حسان رضي الله تعالى عنه ؎ اغر عليه للنبوة خاتم + من الله مشهود يلوح ويشهد + وضم الاله اسم النبي مع اسمه + اذا قال في الخمس المؤذن اشهد + وشق له من اسمه ليجله + فذو العرش محمود وهذا محمد + عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اتاني جبريل فقال ان ربك يقول تدري كيف رفعت ذكرك قلت الله ورسوله اعلم قال اذا ذكرت ذكرت معي اخرجه ابو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم وابن حبان وابن مردويه وابو نعيم في الدلائل وقد روي بطرق وقال ابن عباس في الآية لا يذكر الله الا ذكر

فهو الذي يطوى به الذكر الجميل ويبيد ا فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا اي ان مع الضيقة سعة ومع الشدة رخاء
ومع الكرب فرجا وفي هذا وعد منه سبحانه بان كل عسير يتيسر وكل شديد يهون وكل صعب يلين
ومع بمعنى بعد وفي التفسير بها اشعار بغاية سرعة مجيء اليسر كانه مقارن عن انس قال كان
النبي صلى الله عليه وسلم جالسا وحياله حجر فقال العسر لو دخل العسر هذا الحجر لجاء اليسر حتى يدخل
عليه فيخرجه فانزل الله ان مع العسر يسرا الخ ولفظ الطبراني وتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فان مع
العسر يسرا ان مع العسر يسرا اخرج الطبراني في ــــ وابن مردويه عنه
مرفوعا نحوه قال السيوطي وسنده ضعيف وعن ابن مسعود مرفوعا لو كان العسر في حجر لتبعه
اليسر حتى يدخل فيه فيخرجه ولن يغلب عسر يسرين ان الله يقول ان مع العسر يسرا الخ اخرجه
عبد الرزاق وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن ابي الدنيا في الصبر وابن المنذر
والبيهقي في الشعب قال البزار لا نعلم رواه عن انس الا عائذ بن شريح قال فيه ابو حاتم الرازي في حديثه
ضعف ولكن رواه شعبة عن معاوية بن قرة عن رجل عن ابن مسعود ثم زاد سبحانه هذا الوعد
تقريرا وتوكيدا فقال مكررا له بلفظه إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا اي ان مع ذلك العسر المذكور سابقا
يسرا اخر لما تقرر من انه اذا اعيد المعرف يكون الثاني عين الاول سواء كان المراد به الجنس
او العهد بخلاف المنكر اذا اعيد فانه يراد بالثاني فرد مغائر لما اريد بالفرد الاول في الغالب
ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في معنى هذه الاية انه لن يغلب عسر يسرين قال الواحدي وهذا
قول النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والمفسرين على ان العسر واحد واليسر اثنان قال الزجاج ذكر العسر
مع الالف واللام ثم ثنى ذكره فصار المعنى ان مع العسر يسرين قيل والتنكير في اليسر للتفخيم
والتعظيم وهو في مصحف ابن مسعود غير مكرر قرأ الجمهور بسكون السين في العسر واليسر في الموضعين
وقرئ بضمها في الجميع وفيه خلاف هل هو اصل او مثقل من المسكن وعن الحسن قال خرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فرحا مسرورا وهو يضحك ويقول لن يغلب عسر يسرين ان مع العسر
يسرا ان مع العسر يسرا اخرجه عبد الرزاق وابن جرير والحاكم والبيهقي وهذا مرسل وروي نحوه
مرفوعا مرسلا عن قتادة ولما عدد سبحانه عليه صلى الله عليه وسلم نعمه السالفة ووعده بالنعم الاتية
بعثه على الشكر والاجتهاد في العبادة فقال فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ اي اذا فرغت من صلوتك او من

التبليغ او من الغزو فاجتهد في الدعاء واطلب من الله حاجتك او فانصب في العبادة واتعب في الدعاء
قبل السلام وبعده والنصب التعب يقال نصب ينصب نصبا اي تعب قال قتادة والضحاك
ومقاتل والكلبي اذا فرغت من الصلوة المكتوبة فانصب الى ربك في الدعاء وارغب اليه في المسئلة
يعطك وكذا قال مجاهد قال الشعبي اذا فرغت من التشهد فادع لدنياك واخرتك وكذا قال
الزهري وقال الكلبي ايضا اذا فرغت من تبليغ الرسالة فانصب اي استغفر لذنبك وللمؤمنين
والمؤمنات وقال الحسن وقتادة وزيد بن اسلم اذا فرغت من جهاد عدوك فانصب لعبادة ربك
وفيه نظر لان السورة مكية والامر بالجهاد انما كان بعد الهجرة فلعل تفسير الذاهب الى ان السورة
مدنية وقال مجاهد ايضا اذا فرغت من دنياك فانصب في صلاتك قال ابن عباس اذا فرغت من
الصلوة فانصب في الدعاء واسأل الله وارغب اليه وعنه قال قال الله لرسوله صلى الله عليه وسلم اذا فرغت
من الصلوة وتشهدت فانصب الى ربك واسأله حاجتك وعن ابن مسعود قال فانصب الى الدعاء
والى ربك فارغب في المسئلة وعنه قال اذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل قال عمر بن
الخطاب اني اكره ان ارى احدكم فارغا لا في عمل الدنيا ولا في عمل الاخرة وَإِلَىٰ رَبِّكَ المحسن
اليك بفضائل النعم خصوصا بما ذكر في هاتين السورتين فَارْغَبْ اي اجعل رغبتك اليه خصوصا
ولا تسأل الا فضله متوكلا عليه وقيل تضرع اليه قال الزجاج اي اجعل رغبتك الى الله وحده
وقال عطاء يريد انه يضرع اليه راهبا من النار راغبا في الجنة والمعنى انه يرغب اليه سبحانه لا الى
غيره كائنا من كان فلا يطلب حاجاته الا منه ولا يعول في جميع اموره الا عليه قرأ الجمهور فارغب
وقرأ زيد بن علي وابن ابي عبلة فرغّب بتشديد الغين اي فرغّب الناس الى الله وشوقهم الى ما عنده من الخير

سورة والتين هي ثمان آيات وهي مكية في قول الجمهور

وروى القرطبي عن ابن عباس انها مدنية ويخالف هذه الرواية ما اخرجه ابن الضريس والنحاس
وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال انزلت سورة التين بمكة واخرج ابن مردويه عن ابن
الزبير مثله واخرج البخاري ومسلم واهل السنن وغيرهم عن البراء بن عازب قال كان النبي
صلى الله عليه وسلم في سفر فصلى العشاء فقرأ في احدى الركعتين بالتين والزيتون فما سمعت احدا احسن صوتا

ولا قراءة منه وعنه قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المغرب فقرأ بالتين اخرجه الخطيب وعن عبد الله بن يزيد نحوه عند الطبراني وابن ابي شيبة وعن زرعة بن خليفة قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم من اليمامة فعرض علينا الاسلام فاسلمنا فلما صلينا الغداة قرأ بالتين والزيتون وانا انزلناه في ليلة القدر اخرجه ابن قانع وابن السكن والشيرازي في الالقاب

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالتِّيْنِ قال اكثر المفسرين هو التين الذي ياكله الناس وانما اقسم بالتين لانه فاكهة مخلصة من شوائب التنغيص وفيها اعظم عبرة لدلالتها على من هيأها لذلك وجعلها على مقدار اللقمة قال كثير من اهل الطب ان التين انفع الفواكه للبدن واكثرها غذاء وذكروا له فوائد كما في كتب المفردات والمركبات وهو غذاء ودواء اما كونه غذاء فالاطباء زعموا انه طعام لطيف سريع الهضم لا يمكث في المعدة يلين الطبع ويخرج بطريق الرشح ويقلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل ما في المثانة من الرمل ويسمن البدن ويفتح مسام الكبد وسدده والطحال ويقطع البواسير ويزيل نكهة الفم ويطول الشعر وهو امان من الفالج واما كونه دواء فلانه سبب في اخراج فضلات البدن وهو ماكول الظاهر والباطن دون غيره كالجوز والتمر والتين في النوم رجل خير جبار ومن نالها في المنام نال مالا ومن اكلها منا ما رزقه الله اولادا وتستر آدم بورق التين حين فارق الجنة ويشبه فواكه الجنة لانه بلا عجم وفاكهة طيبة لا فضل له ينفع من النقرس وقال الضحاك التين المسجد الحرام وقيل مسجد اصحاب الكهف وقال ابن زيد مسجد دمشق وقال قتادة التين الجبل الذي عليه دمشق وقال عكرمة وكعب الاحبار التين دمشق وعن ابن عباس قال التين بلاد الشام وفي سنده مجهول وعنه قال مسجد نوح الذي بني على الجودي وعنه قال الفاكهة التي ياكلها الناس وَالزَّيْتُوْنِ وهو الذي يعصرون منه الزيت الذي هو ادام غالب البلدان ودهنهم ويدخل في كثير من الادوية وقال الضحاك المسجد الاقصى وقال ابن زيد مسجد بيت المقدس وقال قتادة الجبل الذي عليه بيت المقدس وقال عكرمة وكعب الاحبار بيت المقدس وعن ابن عباس قال بلاد فلسطين وفي سنده مجهول وقال ايضا بيت المقدس وليت شعري ما الحامل لهؤلاء الائمة على العدول عن المعنى الحقيقي في اللغة العربية والعدول الى هذه التفسيرات البعيدة عن المعنى المبنية على خيالات

لا ترجع الى عقل ونقل واعجب من هذا اختيار ابن جرير للآخر منهما مع طول باعه في علم الرواية والدراية قال الفراء سمعت رجلا يقول التين جبال حلوان الى همدان والزيتون جبال الشام قلت هب انك سمعت هذا الرجل فكان ماذا فليس مثل هذا تثبت اللغة ولا هو نقل عن الشارع وقال محمد بن كعب الزيتون مسجد ايليا وقيل انه على حذف مضاف اي ومنابت التين والزيتون قال النحاس لا دليل على هذا من ظاهر التنزيل ولا من قول من لا يجوز خلافه قال الرازي اما الزيتون فهو فاكهة من وجه ودواء من وجه ويستصبح به ومن رأى ورق الزيتون في المنام استمسك بالعروة الوثقى ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ وهو الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام اسمه الطور ومعنى سينين المبارك الحسن بلغة الحبشة قاله قتادة وقال مجاهد هو المبارك بالسريانية وقال مجاهد والكلبي سينين كل جبل فيه شجر مثمر فهو سينين وسينا بلغة النبط قال الاخفش طور جبل وسينين شجر واحدته سينة قال ابو علي الفارسي سينين فعليل فكررت اللام التي هي نون فيه ولم ينصرف سينين كما لم ينصرف سيناء لانه جعل اسما للبقعة وانما اقسم بهذا الجبل لانه بالشام وهي الارض المقدسة كما في قوله الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله واعظم بركة حصلت به ووقعت عليه تكليم الله لموسى عليه السلام قرأ الجمهور سينين بكسر السين وقرئ بفتحها وهي لغة بكر وتميم وقرئ سيناء بالكسر والمد وهذه لغات اختلفت في هذا الاسم السرياني على عادة العرب في تلاعبها بالاسماء العجمية ﴿وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ يعني مكة سماه امينا لانه امن كما قال انا جعلنا حرما آمنا يقال امن الرجل امانة فهو امين قال الفراء وغيره الامين بمعنى الآمن او فعيل بمعنى مفعول من امنه لانه مأمون الغوائل قال ابن عباس اي مكة يعني لامن الناس فيها جاهلية واسلاما ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ هذا جواب القسم اي خلقنا جنس الانسان كائنا في احسن تقويم وتعديل لصورته وقال ابن عباس في احسن خلق قال الواحدي قال المفسرون ان الله خلق كل ذي روح مكبا على وجهه الا الانسان خلقه مديد القامة يتناول ماكوله بيده مزينا بالعلم والفهم والنطق والعقل والتمييز والادب فهو احسن الخلق بحسب الظاهر والباطن ومعنى التقويم التعديل يقال قومته فاستقام واراد القوام لان التقويم فعل الباري تعالى قال القرطبي

وقيل خلقناه مع التين والزيتون
اخرج ابن مردويه عن ابن مسعود
ان الحسن في احسن تقويم
انه ..

هو اعتداله واستواء شانه كذا قال عامة المفسرين قال ابن العربي ليس لله تعالى خلق احسن من الانسان فان الله خلقه حيا عالما قادرا مريدا متكلما سميعا بصيرا مدبرا حكيما وهذه صفات الرب سبحانه وعليها حمل بعض العلماء قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته يعني على صفاته التي تقدم ذكرها قلت وينبغي ان يضم الى كلامه هذا قوله سبحانه ليس كمثله شيء وقوله ولا يحيطون به علما ومن اراد ان يقف على حقيقة ما اشتمل عليه الانسان من بديع الخلق وعجيب الصنع فلينظر في كتاب العبر والاعتبار للجاحظ وفي الكتاب الذي عقده النيسابوري على قوله وفي انفسكم افلا تبصرون وهو في مجلدين ضخمين نروي ان رجلا قال لامرأته ان لم تكوني احسن من القمر فانت طالق فافتى بعض اهل العلم بانها صارت مطلقة وقال الشافعي لم تطلق لانها من جنس الانسان والله تعالى يقول لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم فلو كان القمر احسن صورة من الانسان لم يصفه الله سبحانه باحسن تقويم ولنعم ما قيل

ما انت مادحها يا من يشبهها ... بالشمس والبدر لا بل انت هاجيها
من اين للشمس خال فوق وجنتها ... وضحك من نظام الدر في فيها
من اين للبدر اجفان مكحلة ... بالسحر والغنج تجري في حواشيها

ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ اي رددناه الى ارذل العمر قاله ابن عباس وهو الهرم والضعف بعد الشباب والقوة حتى يصير كالصبي فيخرف وينقص عقله كذا قال جماعة من المفسرين قال الواحدي والسافلون هم الضعفاء والزمناء والاطفال والشيخ الكبير اسفل هؤلاء جميعا لانه لا يستطيع حيلة ولا يهتدي سبيلا لضعف بدنه وسمعه وبصره وعقله قاله الخازن وقال مجاهد و ابو العالية والحسن المعنى ثم رددنا الكافر الى النار وذلك ان النار درجات بعضها اسفل من بعض فالكافر يرد الى اسفل الدرجات السافلة ولا ينافي هذا قوله تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار فلا مانع من كون الكفار والمنافقين مجتمعين في ذلك الدرك الاسفل وقوله اسفل سافلين اما حال من المفعول اي رددناه حال كونه اسفل سافلين او صفة لمقدر محذوف اي مكانا اسفل سافلين إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ هذا الاستثناء منقطع على القول الاول اي لكن الذين آمنوا الخ ووجهه ان الهرم والرد الى ارذل العمر يصاب به المؤمن كما يصاب به الكافر فلا يكون لاستثناء المؤمنين على وجه الاتصال معنى

وعلى القول الثاني متصل من ضمير رددناه فانه في معنى الجمع اي رددنا الانسان اسفل
سافلين من النار الا الذين امنوا وعملوا الصالحات قال الشهاب الاستثناء منقطع لانه لم
يقصد اخراجهم من الحكم وهو مدار الاتصال والانقطاع كما صرح به في الاصول لا الخروج و
الدخول كما توهم فلا يرد عليه انه كيف يكون منقطعا مع انهم مردودون ايضا فهو للاستدراك
لدفع ما يتوهم من ان التساوي في ارذل العمر يقتضي التساوي في غيره ويكون الذين حينئذ
مبتدء والفاء داخلة في خبره لا للتفريع كما في الاتصال وقيل المعنى رددناه الى الضلال
كما قال ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات اي الا هؤلاء فلا يردون الى
ذلك فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ اي غير مقطوع فلهم ثواب دائم غير منقطع على طاعاتهم فهذه
الجملة على القول الاول مبينة لكيفية حال المؤمنين وعلى الثاني مقررة لما يفيده الاستثناء
من خروج المؤمنين عن حكم الرد قال ابن عباس في الاية اجر غير منقوص يقول فاذا بلغ المؤمن
ارذل العمر وكان يعمل في شبابه عملا صالحا كتب له من الاجر مثل ما كان يعمل في صحته وشبابه
ولم يضره ما عمل في كبره ولم تكتب عليه الخطايا التي يعمل بعد ما يبلغ ارذل العمر وعنه قال من
قرأ القران لم يرد الى ارذل العمر وذلك قوله ثم رددناه الى قوله الصالحات قال لا يكون حتى لا يعلم
من بعد علم شيئا وعنه قال يقول الى الكبر وضعفه فاذا كبر وضعف عن العمل كتب له مثل اجر
ما كان يعمل في شبيبته واخرج احمد والبخاري وغيرهما عن ابي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا مرض العبد او سافر كتب الله له من الاجر مثل ما كان يعمل صحيحا مقيما فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ
بِالدِّينِ الخطاب للانسان الكافر والاستفهام للتقريع والتوبيخ والزام الحجة اي اذا عرفت ايها الانسان
ان الله خلقك في احسن تقويم وانه يردك اسفل سافلين فما يحملك على ان تكذب بالبعث و
الجزاء وعليه ينبغي ان يذهب الى الالتفات من الغيبة الى الخطاب لما جرى من قوله ولقد خلقنا
الانسان وعليه جرى في الكشاف وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي اي شيء يكذبك يا محمد بعد
ظهور هذه الدلائل الناطقة فاستيقن مع ما جاءك من الله انه احكم الحاكمين والى هذا ذهب
القاضي وقدمه على القول الاول قال الفراء المعنى فمن يكذبك ايها الرسول بعد هذا البيان
بالدين كانه قال من يقدر على ذلك اي على تكذيبك بالثواب والعقاب بعد ما ظهر من قدرتنا

اخرجه سعيد بن منصور وابن ابي شيبة
وعبد بن حميد وابن المنذر وابن
جرير وابن مردويه ١٢
ابن ابي حاتم

على خلق الانسان ما ظهر واختار هذا ابن جرير والدين الجزاء أليس الله اي اليس الذي فعل ما فعل مما ذكرنا بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ صنعا وتدبيرا واقضى القاضين واصحهم وانفذهم حكما وقضاء حتى تتوهم عدم الاعادة والجزاء وفيه وعيد شديد للكفار والمعنى اتقن الحاكمين في كل ما يخلق وقيل احكم الحاكمين قضاء وعدلا والاستفهام اذا دخل على النفي صار الكلام ايجابا وتقريرا كما تقدم في الم نشرح وعن ابي هريرة مرفوعا من قرأ والتين والزيتون فقرأ أليس الله باحكم الحاكمين فليقل بلى وانا على ذلك من الشاهدين اخرجه الترمذي وابن مردويه وعن جابر مرفوعا اذا قرأت التين فقرأت اليس الله الخ فقل بلى اخرجه ابن مردويه وعن ابن عباس انه كان اذا قرأ هذه الاية قال سبحانك اللهم فبلى اخرجه ابن جرير وابن المنذر

سورة اقرأ ويقال لها سورة العلق وسورة القلم وهي تسع عشرة آية وقيل عشرون آية

وهي مكية بلا خلاف وهي اول ما نزل من القرآن قاله ابن عباس وعن ابي موسى الاشعري قال هو اول سورة انزلت على محمد صلى الله عليه وسلم وعن عايشة رضي الله تعالى عنها نحوه ويدل على هذا الحديث الطويل الثابت في البخاري ومسلم وغيرهما من حديثها وفيه فجاءه الحق وهو في غار حراء فقال له الملك اقرأ الحديث وفي الباب احاديث وآثار عن جماعة من الصحابة وقد ذهب الجمهور الى ان هذه السورة اول ما نزل من القرآن ثم بعدها ن والقلم ثم المزمل ثم المدثر الى آخر ما ذكره الخازن في اول تفسيره فانه استوفى الكلام على ترتيب السور من جهة النزول بمكة ثم بالمدينة قال القاضي ابو بكر بن الطيب ترتيب السور على ما هي عليه اليوم في المصحف كان على وجه الاجتهاد من الصحابة وذكر ذلك مكي في تفسير سورة براءة وذكر ان ترتيب الآيات ووضع البسملة في الاوائل هو من النبي صلعم ولما لم يؤمر بذلك في اول سورة براءة تركت بلا بسملة وهذا اصح ما قيل في ذلك وقال قوم ان ترتيب السور عن توقيف من اصحاب النبي صلعم واما ما روي من اختلاف مصحف ابي وعلي و عبد الله فانما كان قبل عرض القرآن على جبريل في المرة الاخيرة وان رسول الله صلعم رتب لهم تاليف السور بعد ان لم يكن فعل ذلك تروى يونس عن ابن وهب قال سمعت مالكا يقول انما الف القرآن على ما كانوا يسمعونه من رسول الله صلعم وذكر ابو بكر ابن الانباري في كتاب الرد ان الله انزل القرآن جملة الى سماء

الدنيا ثم فرقه على النبي صلى الله عليه وسلم في عشرين سنة فكانت السورة تنزل في امر يحدث والآية تنزل جوابا لمستخبر يسأل ويوقف جبريل النبي صلى الله عليه وسلم على موضع السورة والآية فانتظام السور كانتظام الآيات والحروف فكله عن رسول الله خاتم النبيين عليه الصلوة والسلام عن رب العالمين فمن اخر سورة مقدمة اوقدم اخرى مؤخرة كمن افسد نظم الآيات وغير الحروف والكلمات ولا حجة على اهل الحق في تقديم البقرة على الانعام والانعام نزلت قبل البقرة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ عنه هذا الترتيب وهو كان يقول ضعوا هذه السورة موضع كذا وكذا من القرآن وكان جبريل عليه السلام يوقفه على مكان الآيات انتهى

بسم الله الرحمن الرحيم

اِقْرَأْ قرأ الجمهور بسكون الهمزة امرا من القراءة وقرئ بفتح الراء وكانه قلب الهمزة الفا ثم حذفها للامر والامر بالقراءة يقتضي مقروا فالتقدير اقرأ ما يوحى اليك او ما نزل عليك او ما امرت بقراءته وقوله بِاسْمِ رَبِّكَ متعلق بمحذوف هو حال اي اقرأ متلبسا باسم ربك او مبتديا به او مفتتحا والباء زائدة اي اقرأ اسم ربك قاله ابو عبيدة وقال ايضا والاسم صلة اي اذكر ربك وقيل الباء بمعنى على اي اقرأ على اسم ربك يقال افعل كذا باسم الله وعلى اسم الله قاله الاخفش وقيل الباء للاستعانة اي مستعينا به وبسم الله تكتب من غير الف استغناء عنها بباء الالصاق في اللفظ والخط لكثرة الاستعمال بخلاف قوله تعالى اقرأ باسم ربك فانها لم تحذف فيه لقلة الاستعمال عن عبد الله بن شداد قال اتى جبريل محمدا صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اقرأ فقال وما اقرأ فضمه ثم قال يا محمد اقرأ قال وما اقرأ قال اقرأ باسم ربك حتى بلغ ما لم يعلم اخرجه ابن ابي شيبة وابن جرير وابو نعيم في الدلائل وفي الصحيحين وغيرهما من حديث عايشة فجاءه الملك فقال اقرأ فقال قلت ما انا بقارئ قال فاخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرأ فقلت ما انا بقارئ فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرأ فقلت ما انا بقارئ فاخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد فقال اقرأ باسم ربك الخ ثم الظاهر ان هذه الجملة ليست من القرآن لان الامر بتحصيل الشيء غير ذلك الشيء ولكن قام الاجماع على انها من جملة القرآن خصوصا مع اثباتها في المصاحف بخطها سلفا وخلفا من غير نكير فعلم منه

انها من جملة القرآن تامل قال السيوطي في اتقانه ان اول سورة اقرأ مشتمل على نظير ما اشتملت عليه الفاتحة من براعة الاستهلال لكونها اول ما نزل من القرآن فان فيها الامر بالقراءة وفيها البداءة باسم الله وفيها الاشارة الى علم الاحكام وفيها ما يتعلق بتوحيد الرب واثبات ذاته وصفاته من صفة ذات وصفة فعل وفي هذا الاشارة الى اصول الدين وفيها ما يتعلق بالاخبار من قوله علم الانسان ما لم يعلم ولهذا قيل انها جديرة ان تسمى عنوان القرآن لان عنوان الكتاب يجمع مقاصده بعبارة وجيزة في اوله انتهى ذكره ابن لقيمة في حاشية البيضاوي والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التربية والتبليغ الى الكمال اللائق شيئا فشيئا مع الاضافة الى ضميره صلعم للاشعار بتبليغه صلعم الى الغاية القاصية من الكمالات البشرية قاله ابو السعود ثم وصف الرب بقوله الَّذِي خَلَقَ لتذكير اول النعم الفائضة عليه منه تعالى لان الخلق هو اعظم النعم وعليه يترتب سائر النعم قال الكلبي يعني الخلائق وفيه تنبيه على ان من قدر على خلق الانسان على ما هو عليه من الحياة وما يتبعها من الكمالات قادر على تعليم القراءة خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ يعني بني آدم والعلقة الدم الجامد واذا جرى فهو المسفوح وقال من علق بجمع علق لان المراد بالانسان الجنس والمعنى خلق جنس الانسان من جنس العلق واذا كان المراد بقوله الذي خلق كل المخلوقات فيكون تخصيص الانسان بالذكر تشريفا له لما فيه من بديع الخلق وعجيب الصنع واذا كان المراد بالذي خلق الذي خلق الانسان فيكون الثاني تفسيرا للاول والنكتة ما في الابهام ثم التفسير من التفات الذهن وتطلعه الى معرفة ما ابهم اولا ثم فسر ثانيا وقال من علق ولم يقل من نطفة مراعاة للفواصل تكرير الامر بالقراءة للتاكيد والتقرير فقال اقْرَأْ اي افعل ما امرت به من القراءة وجملة وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ مستانفة لازاحة ما اعتذر به صلى الله عليه وسلم من قوله ما انا بقارئ يريد ان القراءة شان من يكتب ويقرأ وهو امي فقيل له اقرأ وربك الذي امرك بالقراءة هو الاكرم قال الكلبي يعني الحليم عن جهل العباد فلم يعجل بعقوبتهم وقيل انه امره بالقراءة اولا لنفسه ثم امره بالقراءة ثانيا للتبليغ فلا يكون من باب التاكيد والاول اولى والاكرم صفة تدل على المبالغة في الكرم اذ كرمه يزيد على كل كرم لانه ينعم بالنعم التي لا تحصى قال في البحر ومن غريب ما رأينا تسمية النصارى بهذه الصفة التي هي صفة الله تعالى يسمون الاكرم والرشيد وفخر السعداء وسعيد السعداء في ديار مصر ويدعوهم بها المسلمون

ويزيدون عليها على سبيل التعظيم الشيخ الاكرم والشيخ الاسعد والشيخ الرشيد فيا لها من خزي يوم عرض الاقوال والافعال على الله تعالى الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ اي علم الانسان الخط بالقلم فكان بواسطة ذلك يقدر على ان يعلم كل مكتوب قال الزجاج علم الانسان الكتابة بالقلم قال قتادة القلم نعمة من الله عز وجل عظيمة لولا ذلك لم يقم دين ولم يصلح عيش فدل على كمال كرمه بانه علم عباده ما لم يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل الى نور العلم ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التي لا يحيط بها الا هو وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت اخبار الاولين ومقالاتهم ولا كتب الله المنزلة الا بالكتابة ولولا هي ما استقامت امور الدين ولا امور الدنيا ولو لم يكن على دقيق حكمة الله ولطيف تدبيره دليل الا القلم والخط لكفى به وسمي قلما لانه يقلم اي يقطع واول من خط به ادريس وقيل آدم وقد حققنا احوال القلم وما يتعلق به في كتابنا الاكسير في اصول التفسير فان شئت فارجع اليه وجملة عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ بدل اشتمال من التي قبلها اي علمه بالقلم من الامور الكلية والجزئية ما لم يعلم منها قيل المراد بالانسان هنا آدم كما في قوله وعلم آدم الاسماء كلها وقيل الانسان هنا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم والاولى حمل الانسان على العموم والمعنى ان من علمه الله سبحانه من هذا الجنس بواسطة القلم فقد علمه ما لم يعلم كلا ردع وزجر لمن كفر نعم الله عليه بسبب طغيانه وان لم يتقدم له ذكر وقيل معناه حقا وهو مذهب الكسائي ومن تبعه لانه ليس قبله ولا بعده شئ يكون كلا ردا له كما قالوا في كلا والقمر ومذهب ابي حيان انها بمعنى الا الاستفتاحية وصوبه ابن هشام لكسر همزة ان بعدها اي لكونه مظنة جملة كما بعد حرف التنبيه نحو الا انهم هم المفسدون ولو كانت بمعنى حقا لما كسرت ان بعدها لكونها مظنة مفرد وفي الكواشي يجوز في كلا ان تكون تنبيها فيقف على ما قبلها وردعا فيقف عليها ومعنى إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى انه يجاوز الحد ويستكبر على ربه قيل المراد بالانسان هنا ابو جهل وهو المراد بهذا وما بعده الى آخر السورة وانه تاخر نزول هذا وما بعده عن الخمس الآيات المذكورة في اول هذه السورة وقوله أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى علة ليطغى اي ليطغى ان رأى نفسه مستغنيا والرؤية هنا بمعنى العلم ولو كانت بصرية لامتنع الجمع بين الضميرين في فعلها لشئ واحد لان ذلك من خواص باب علم ونحوه قال الفراء لم يقل رأى نفسه كما قيل قتل نفسه لان رأى من الافعال التي تريد اسما وخبرا نحو الظن والحسبان فلا يقتصر فيه على مفعول واحد

لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتهددني وانا اكثر اهل الوادي ناديا فنزلت فليدع ناديه قال ابن عباس اي ناصره سندع الزبانية اي الملائكة الغلاظ الشداد وهم خزنة جهنم كذا قال الزجاج وقال الكسائي والاخفش وعيسى بن عمر واحدهم زابن وقال ابو عبيدة زبنية وقيل زباني بتشديد الياء وقيل هو اسم الجمع لا واحد له من لفظه كعباديد وابابيل وقال قتادة هم الشرط في كلام العرب واصل الزبن الدفع والعرب تطلق هذا الاسم على من اشتد بطشه قرأ الجمهور سندع بالنون وحذف الواو كما في قوله يوم يدع الداع وقرئ سيدعى على البناء للمفعول ورفع الزبانية على النيابة والسين في سندع ليست للشك فانه من الله واجب لانه ينتقم لرسوله من عدوه وعن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي فجاء ابو جهل فقال الم انهك عن هذا انك لتعلم ان ما بها رجل اكثر ناديا مني فانزل الله هذه الاية فجاء النبي صلى الله عليه وسلم يصلي فقيل ما يمنعك فقال قد اسود ما بيني وبينه قال ابن عباس والله لو تحرك لاخذته الملائكة والناس ينظرون اليه اخرجه احمد والترمذي وصححه وابن جرير وابن المنذر والطبراني وغيرهم واخرج احمد ومسلم والنسائي والبيهقي وغيرهم عن ابي هريرة قال قال ابو جهل هل يعفر محمد وجهه بين اظهركم قالوا نعم قال واللات والعزى لئن رايته يصلي كذلك لاطأن على رقبته ولاعفرن وجهه في التراب فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ليطأ على رقبته قال فما فجئهم منه الا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيده فقيل له ما لك فقال ان بيني وبينه خندقا من نار وهولا واجنحة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا قال فانزل الله كلا ان الانسان ليطغى الى آخر السورة يعني ابا جهل فليدع ناديه يعني قومه سندع الزبانية يعني الملائكة ثم كرر سبحانه الردع والزجر فقال كلا لا تطعه فيما دعاك اليه من ترك الصلوة واسجد اي صل لله غير مكترث به ولا مبال بنهيه واقترب تقرب اليه سبحانه بالطاعة والعبادة وقيل المعنى اذا سجدت فاقترب من الله بالدعاء وقال زيد بن اسلم واسجد انت يا محمد واقترب انت يا ابا جهل من النار والاول اولى في السجود هذا الظاهر ان المراد به الصلوة وعبر عنها بالسجود لانه افضل اركانها بعد القيام وقيل سجود التلاوة ويدل على هذا ما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم من السجود عند تلاوة هذه الاية وقد قدمنا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يسجد في اذا السماء انشقت وفي اقرأ باسم ربك الذي خلق وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقرب ما يكون

بلغ اول دولان نامبرده کم تاثيره تخفيف الياء من الزبن وهو الدفع او واحد زبني على النسب واصله زباني بتشديد الياء فالتاء عوض عن الياء قاله البيضاوي وفي القمص واحد زبانية زبان او زبني ... ع ١٩

العبد من ربه وهو ساجد فاكثروا من الدعاء اخرجه مسلم

سورة القدر هي خمس آيات في البحر أو ست آيات

قال سليمان الجمل ولم يذكر غيره هذا القول من المفسرين فيما رأينا بل اقتصروا على كونها خمسا ولعل قائل هذا القول يعد تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم آية مستقلة ثم رأيت في السمين ما يشير إليه انتهى وهي مكية عند أكثر المفسرين كذا قال الماوردي وقال الثعلبي هي مدنية في قول أكثر المفسرين وهو الأصح وذكر الواقدي أنها أول سورة نزلت بالمدينة وعن ابن عباس وابن الزبير وعائشة أنها نزلت بمكة

بسم الله الرحمن الرحيم

إنا أنزلناه الضمير للقرآن وإن لم يتقدم له ذكر عظمه حيث أسند إنزاله إليه دون غيره وجاء بضميره دون اسمه الظاهر للاستغناء عن التنبيه عليه ورفع مقدار الوقت الذي أنزله فيه والنون في إنا للتعظيم روي أنه أنزل جملة واحدة في ليلة القدر إلى السماء الدنيا من اللوح المحفوظ ثم كان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما على حسب الحاجة وكان بين نزول أوله وآخره على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث وعشرون سنة وفي آية أخرى إنا أنزلناه في ليلة مباركة وهي ليلة القدر وفي آية أخرى شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وليلة القدر في شهر رمضان قال مجاهد في ليلة القدر ليلة الحكم وقد أخرج ابن الضريس وابن جرير وابن المنذر والبيهقي في الدلائل وغيرهم عن ابن عباس أنزل القرآن في ليلة القدر حتى وضع في بيت العزة في السماء الدنيا ثم جعل جبريل ينزل على محمد صلى الله عليه وسلم بجواب كلام العباد وأعمالهم ومعلوم أن الإنزال مستعار للمعاني من الأجرام شبه نقل القرآن من اللوح إلى السماء وثبوته فيها بنزول جسم من علو إلى سفل فعلى هذا هو مجاز مرسل قيل سميت ليلة القدر لأن الله سبحانه يقدر فيها ما يشاء من أمره إلى السنة القابلة من أمر الموت والأجل والرزق وغير ذلك وقيل إنها سميت بذلك لعظم قدرها أو شرفها من قولهم لفلان قدر أي شرف ومنزلة كذا قال الزهري وقيل سميت بذلك لأن للطاعات فيها قدرا عظيما وثوابا جزيلا وقال الخليل سميت ليلة القدر لأن الأرض تضيق فيها بالملائكة كقوله

ومن قدر عليه رزقه اي ضيق والاحاديث في فضل ليلة القدر كثيرة وكذا في تعيينها وليس هذا
موضع بسطها وقد اختلف في تعيين ليلة القدر على اكثر من اربعين قولا قد ذكرناها بادلتها وبينا
الراجح منها في شرحنا لبلوغ المرام المسمى بمسك الختام وذكرها الشوكاني في شرحه لمنتقى الاخبار المسمى
بنيل الاوطار وما ادراك ما ليلة القدر في هذا الاستفهام تفخيم لشأنها حتى كانها خارجة
عن دراية الخلق لا يدريها الا الله سبحانه والمعنى ما غاية فضلها ومنتهى علو قدرها قال سفيان
كل ما في القران من قوله وما ادراك فقد ادراه وكل ما فيه من قوله وما يدريك فلم يدره وكذا قال
الفراء والمعنى اي شيء يجعله داريا بها ثم بين فضلها من ثلثة اوجه اولها قوله ليلة القدر
خير من الف شهر وهي ثلاث وثمانون سنة واربعة اشهر قال كثير من المفسرين اي العمل فيها
خير من العمل في الف شهر ليس فيها ليلة القدر واختار هذا الفراء والزجاج وذلك ان الاوقات
انما يفضل بعضها على بعض بما يكون فيها من الخير والنفع فلما جعل الله الخير الكثير في ليلة
كانت خيرا من الف شهر لا يكون فيها من الخير والبركة ما في هذه الليلة وقيل اراد بقوله الف
شهر جميع الدهر لان العرب تذكر الالف في كثير من الاشياء على طريق المبالغة وقيل وجه ذكر الف
شهر ان العابد كان فيما مضى لا يسمى عابدا حتى يعبد الله الف شهر فجعل الله لامة محمد صلى الله
عليه وسلم عبادة ليلة خيرا من عبادة الف شهر كانوا يعبدونها وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى اعمار
امته قصيرة فخاف ان لا يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم في طول العمر فاعطاه الله ليلة القدر
وجعلها خيرا من الف شهر لسائر الامم وقيل غير ذلك مما لا طائل تحته عن انس في الاية قال العمل
في ليلة القدر والصدقة والصلوة والزكوة افضل من الف شهر وعن الحسن بن علي بن
ابي طالب رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اري بني امية على منبره فساءه ذلك
فنزلت انا اعطيناك الكوثر يا محمد يعني نهرا في الجنة ونزلت انا انزلناه في ليلة القدر الى قوله
الف شهر يملكها بعدك بنو امية قال القاسم فعددنا فاذا هي الف شهر لا تزيد يوما ولا تنقص
يوما والمراد بالقاسم هو القاسم بن الفضل المذكور في اسناده اخرجه الترمذي وضعفه وابن
جرير والطبراني والحاكم وابن مردويه والبيهقي قال الترمذي ان يوسف هذا مجهول يعني يوسف
بن سعد الذي رواه عن الحسن بن علي قال ابن كثير فيه نظر فانه قد روى عنه جماعة منهم

حماد بن سلمة وخالد الحذاء ويونس بن عبيد وقال فيه يحيى بن معين هو مشهور وفي رواية
عنه هو ثقة ورواه ابن جرير من طريق القاسم بن الفضل عن عيسى بن مازن قال ابن كثير ثم هذا
الحديث على كل تقدير منكر جدا قال المزي هو حديث منكر وقول القاسم بن الفضل انه حسب مدة
بني امية فوجدها الف شهر الخ ليس بصحيح فان جملة مدتهم من عند ان استقل بالملك معاوية
وهي سنة اربعين الى ان سلبهم الملك بنو العباس وهي سنة اثنتين وثلاثين ومائة مجموعها
اثنتان وتسعون سنة وعن ابن عباس نحو ما روي عن الحسن بن علي وعن سعيد بن المسيب
مرفوعا مرسلا نحوه ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ وهي مستانفة مبينة لوجه
فضلها موضحة للعلة التي صارت بها خيرا من الف شهر وهذا هو الوجه الثاني والمعنى متلبسين
باذن ربهم والاذن الامر ومعنى تنزل تهبط من السموات الى الارض والروح هو جبريل عند
جمهور المفسرين اي ومعهم جبريل ووجه ذكره بعد دخوله في الملائكة التعظيم له والتشريف
لشانه وقيل الروح صنف من الملائكة هم اشرافهم وقيل هم جند من جنود الله من غير الملائكة
وقيل الروح الرحمة وقد تقدم الخلاف في الروح عند قوله يوم يقوم الروح والملائكة صفا
قرا الجمهور تنزل بفتح التاء وقرئ بضمها على البناء للمفعول ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ من الامور التي
قضى الله بها في تلك السنة وقيل ان من بمعنى اللام اي لكل امر وقيل هي بمعنى الباء اي بكل امر فهي
للتعدية قاله ابو حاتم قرا الجمهور امر وهو واحد الامور وقرئ امرئ مذكر امراة اي من اجل
كل انسان وتاولها الكلبي على ان جبريل ينزل مع الملائكة فيسلمون على كل انسان فمن على
هذا بمعنى على والاول اولى وقد تم الكلام عند قوله من كل امر ثم ابتدئ بفضلها الثالث فقال
﴿سَلَامٌ هِيَ﴾ اي ما هي الا سلامة وخير كلها لا شر فيها وقيل هي ذات سلامة من ان يؤثر فيها
شيطان في مؤمن او مؤمنة قال مجاهد هي ليلة سالمة لا يستطيع الشيطان ان يعمل فيها سوءا
ولا اذى وقال الشعبي هو تسليم الملائكة على اهل المساجد من حين تغيب الشمس الى ان يطلع الفجر
يمرون على كل مؤمن ويقولون السلام عليك ايها المؤمن وقيل يعني سلام الملائكة بعضهم على
بعض وقال عطاء يريد سلام على اولياء الله واهل طاعته وعن ابن عباس في الاية قال في
تلك الليلة تصفد مردة الشياطين وتغل عفاريت الجن وتفتح فيها ابواب السماء كلها ويقبل الله فيها

قوله وقرئ امرئ هي قراءة ابن عباس وعكرمة والكلبي رضي الله عنهم ١٢

التوبة لكل تائب فلذا قال سلام هي حتى مطلع الفجر قال وذلك من غروب الشمس الى ان يطلع الفجر اي حتى وقت طلوعه قرأ الجمهور مطلع بفتح اللام وقرئ بكسرها فقيل هما لغتان في المصدر والفتح اكثر نحو المخرج والمقتل وقيل بالفتح اسم مكان وبالكسر المصدر وقيل العكس وحتى متعلقة بتنزل على انها غاية لحكم التنزل اي لمكثهم في محل تنزلهم بان لا ينقطع تنزلهم فوجا بعد فوج الى طلوع الفجر وقيل متعلقة بسلام بناء على ان الفصل بين المصدر ومعموله بالمبتدأ مغتفر

سورة لم يكن وتسمى سورة البينة وسورة المنفكين وسورة القيامة وسورة البرية

هي ثمان ايات او تسع ايات وهي مدنية في قول الجمهور وقيل مكية اخرج ابن مردويه عن ابن عباس نزلت بالمدينة واخرج ابن مردويه عن عائشة قالت نزلت سورة لم يكن بمكة واخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بن كعب ان الله امرني ان اقرأ عليك لم يكن قال وسماني لك قال نعم فبكى وفيه فضيلة عظيمة لابي حيث امر الله تعالى رسوله صلعم ان يقرأ عليه وعن ابي حية البدري قال لما نزلت لم يكن الى اخرها قال جبريل يا رسول الله ان الله يأمرك ان تقرئها ابيا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابي ان جبريل امرني ان اقرئك هذه السورة فقال ابي وقد ذكرت ثمه يا رسول الله قال نعم فبكى اخرجه احمد وابن قانع في معجم الصحابة والطبراني وابن مردويه قيل ان ابيا كان اسرع اخذا لالفاظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد بقراءته صلى الله عليه وسلم عليه ان يأخذ الفاظه ويقرأ كما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ ويعلم غيره وعن اسمعيل بن ابي حكيم المزني احد بني فضل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يستمع قراءة لم يكن الذين كفروا فيقول ابشر عبدي وعزتي وجلالي لامكنن لك في الجنة حتى ترضى اخرجه ابو نعيم في المعرفة قال ابن كثير حديث غريب جدا واخرجه ابو موسى المديني عن مطر المزني او المدني بنحوه

بسم الله الرحمن الرحيم

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ المراد بهم اليهود والنصارى ومن للبيان وَالْمُشْرِكِينَ المراد بهم مشركو العرب وهم عبدة الاوثان وقرأ ابن مسعود لم يكن المشركون

واهل الكتاب قال ابن العربي وهي قراءة في معرض البيان لا في معرض التلاوة وقرأ ابي فما كان
الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركون وقرأ الاعمش والنخعي والمشركون بالرفع عطفا على الموصول
وسمي اهل الكتاب كفارا مع ايمانهم بكتابهم ونبيهم لانهم عدلوا عن الطريق المستقيم في التوحيد
فكفروا بذلك فانه قيل ان اليهود مجسمة وكذلك النصارى لقولهم بالتثليث وهذا يقتضي كفر جميع
اهل الكتاب قبل النبي صلى الله عليه وسلم والظاهر خلافه ولذا قال الماتريدي ان من تبعيضية لان منهم من
امن منفكين يقال فككت الشيء فانفك اي انفصل والمعنى انهم لم يكونوا مفارقين لكفرهم ولا
منتهين عما هم عليه حتى تأتيهم اي اتتهم البينة اي الحجة الواضحة وقيل الانفكاك بمعنى
الانتهاء وبلوغ الغاية التي لم يكونوا يبلغون نهاية اعمارهم فيموتوا حتى تأتيهم البينة وقيل منفكين
زائلين اي لم تكن مدتهم لتزول حتى تأتيهم البينة يقال ما انفك فلان قائما اي ما زال فلان
قائما واصل الفك الفتح ومنه فك الخلخال وقال الازهري ليس هو من باب ما انفك وما برح وانما
هو من باب انفكاك الشيء عن الشيء وهو انفصاله عنه وقيل منفكين بارحين اي لم يكونوا ليبرحوا
ويفارقوا الدنيا حتى تأتيهم البينة وقال ابن كيسان المعنى لم يكن اهل الكتاب تاركين صفة محمد
صلى الله عليه وسلم حتى بعث فلما بعث حسدوه وجحدوه وهو كقوله فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وعلى
هذا فيكون معنى قوله والمشركين انهم ما كانوا يسيئون القول في رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى بعث فانهم كانوا يسمونه الامين فلما بعث عادوه واساؤا القول فيه وقيل منفكين
هالكين من قولهم انفك صلبه اي انفصل فلم يلتئم فيهلك والمعنى لم يكونوا معذبين ولا
هالكين الا بعد قيام الحجة عليهم وقيل ان المشركين هم اهل الكتاب فيكون وصفا لهم لانهم قالوا
المسيح ابن الله وعزير ابن الله قال ابو السعود منفكين عما كانوا عليه من الوعد باتباع الحق والايمان
بالرسول المبعوث في آخر الزمان والعزم على انجازه وهذا الوعد من اهل الكتاب مما لا ريب فيه
واما من المشركين فلعله قد وقع من متأخريهم بعد ما شاع ذلك من اهل الكتاب واعتقدوا صحته
بما شاهدوا من نصرتهم على اسلافهم وفيه اشارة الى كمال وكادة وعدهم انتهى ملخصا قال الواحدي
ومعنى الآية اخبار الله تعالى عن الكفار انهم لم ينتهوا عن كفرهم وشركهم بالله حتى اتاهم محمد صلى الله عليه وسلم
بالقرآن فبين لهم ضلالتهم وجهالتهم ثم دعاهم الى الايمان وهذا بيان عن النعمة والانقاذ به من الجهل

والضلالة والاية فيمن امن من الفريقين قال وهذه الاية من اصعب ما في القران نظما وتفسيرا وقد
تخبط فيها الكبار من العلماء وسلكوا في تفسيرها طرقا لا تفضي بهم الى الصواب والوجه ما اخبرتك فاحمد
الله اذ اتاك بيانها من غير لبس ولا اشكال قال ويدل على كون البينة محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
فسرها وابدل بقوله الا في رسول من الله يتلو صحفا مطهرة يعني ما تتضمنه الصحف من المكتوب فيها
وهو القران ويدل على ذلك انه كان يتلو عن ظهر قلبه لا عن كتاب انتهى كلامه وقيل ان الاية
حكاية لما كان يقوله اهل الكتاب والمشركون انهم لا يفارقون دينهم حتى يبعث النبي الموعود
به فلما بعث تفرقوا كما حكاه الله عنهم في هذه السورة والمراد بالبينة على ما قاله الجمهور هو محمد
صلى الله عليه وسلم لانه في نفسه بينة وحجة ولذلك سماه سراجا منيرا وقد فسر الله سبحانه هذه البينة
المجملة بقوله رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ فاتضح الامر وتبين انه المراد بالبينة وقال قتادة وابن زيد البينة
هي القران كقوله اولم تاتهم بينة ما في الصحف الاولى وقال ابو مسلم المراد بها مطلق الرسل والمعنى
حتى تاتيهم رسل من الله وهم الملائكة والاول اولى قرا الجمهور برفع رسول على انه بدل كل من كل على
سبيل المبالغة او بدل اشتمال قال الزجاج رسول رفع على البدل من البينة وقال الفراء رفع على انه خبر
مبتدا مضمر اي هي رسول او هو رسول وقرا ابن مسعود وابي رسولا بالنصب على القطع وقوله من الله متعلق
بمحذوف هو صفة لرسول اي كائن من الله ويجوز تعلقه بنفس رسول يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً صفة
اخرى لرسول او حال وقال ابو البقاء التقدير يتلو صحفا مطهرة منزلة من الله ومعنى يتلو يقرأ يقال تلا يتلو
تلاوة والصحف جمع صحيفة وهي ظرف المكتوب ومعنى مطهرة انها منزهة من الزور والضلال قال قتادة
مطهرة من الباطل قال الشهاب تطهير الصحف كناية عن كونها ليس فيها باطل على الاستعارة المصرحة او
المكنية وقيل مطهرة من الكذب والشبهات والكفر والمعنى واحد وقيل معظمة وقيل لا ينبغي ان يمسها
الا المطهرون والاول اولى والمعنى انه يقرأ ما تتضمنه الصحف والقراطيس من المكتوب فيها فالكتب بمعنى
المكتوبات في القراطيس فالقران يجمع ثمرة كتب الله المتقدمة عليه والرسول وان كان اميا لكنه لما تلى ما
في الصحف كان كالتالي لها فصح نسبة تلاوة الصحف اليه وهو امي لا يكتب ولا يقرأ من كتاب وانما يقرأ القران
عن ظهر قلب فِيهَا كُتُبٌ صفة لصحفا او حال من ضميرها والمراد الايات والاحكام المكتوبة فيها التي هي
مدلول القران المكتوب بلفظه ونقشه قَيِّمَةٌ اي مستقيمة مستوية محكمة من قول العرب قام الشيء اذا استوى وصح

قال صاحب النظم الكتب بمعنى الحكم كقوله كتب الله لاغلبن انا ورسلي اي حكم وقوله صلى الله عليه وسلم
في قصة العسيف لاقضين بينكما بكتاب الله ثم قضى بالرجم وليس الرجم في كتاب الله فالمراد لاقضين
بينكما بحكم الله وبهذا يندفع ما قيل ان الصحف هي الكتب فكيف قال صحفا مطهرة فيها كتب قيمة وقال
الحسن يعني بالصحف التي في السماء يعني في اللوح المحفوظ كما في قوله تعالى بل هو قرآن مجيد في لوح
محفوظ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتٰبَ اِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاۤءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ مستانفة لتوبيخ اهل
الكتاب وتقريعهم وبيان ما نسب اليهم من عدم الانفكاك لم يكن لاشتباه الامر بل كان بعد
وضوح الحق وظهور الصواب وايضا تصريح بما افادته الغاية قبله وافرادا اهل الكتاب بالذكر
بعد الجمع بينهم وبين المشركين للدلالة على شناعة حالهم وانهم لما تفرقوا مع علمهم كان غيرهم
بذلك اولى فاقتصر عليهم لانهم اشد جرما او انه يعلم حال غيرهم بالطريق الاولى فهو من باب
الاكتفاء فالمعنى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب ولا المشركون الا من بعد الخ قال المفسرون لم يزل
اهل الكتاب مجتمعين حتى بعث الله محمد صلى الله عليه وسلم فلما بعث تفرقوا في امره واختلفوا فآمن
به بعضهم وكفر آخرون والاستثناء مفرغ من اعم الاوقات اي وما تفرقوا في وقت من الاوقات
الا من بعد ما جاءتهم الحجة الواضحة وهي بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشريعة الغراء والمحجة
البيضاء او هو صلى الله عليه وسلم وقيل البينة القرآن وقيل البينة هو البيان الواضح الذي في كتبهم
انه نبي مرسل كقوله وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم قال القرطبي
قال العلماء من اول السورة الى قوله كتب قيمة حكمها فيمن آمن من اهل الكتاب والمشركين
وقوله وما تفرق الذين الخ فيمن لم يؤمن من اهل الكتاب والمشركين بعد قيام الحجج وجملة
وَمَاۤ اُمِرُوْۤا اِلَّا لِيَعْبُدُوا اللّٰهَ حالية مفيدة لغاية قبح ما فعلوا وتقريعهم وتوبيخهم بما فعلوا من التفرق
بعد مجيئ البينة اي والحال انهم ما امروا في كتبهم الا لاجل ان يعبدوا الله ويوحدوه وقيل ان اللام
في ليعبدوا بمعنى ان اي ما امروا الا بان يعبدوا كقوله يريد الله ليبين لكم اي ان يبين وقوله يريدون
ليطفئوا نور الله اي ان يطفئوا والعبادة هي التذلل ومن زعم انها الطاعة فقد اخطأ لان جماعة
عبدوا المسيح والملائكة والاصنام وما اطاعوهم لكنها في الشرع صارت اسما لكل طاعة ديت له
على وجه التذلل والنهاية في التعظيم مُخْلِصِيْنَ لَهُ الدِّيْنَ اي حال كونهم جاعلين دينهم خالصا لله

سبحانه او جاعلين انفسهم خالصة له في الدين قرأ الجمهور مخلصين بكسر اللام وقرأ الحسن بفتحها
وهذه الآية من الادلة الدالة على وجوب النية في العبادات لان الاخلاص في العمل من عمل القلب قال الكرخي
الاخلاص ان لا يطلع على عملك الا الله سبحانه ولا تطلب منه ثوابا وقال الشهاب الاخلاص عدم
الشرك وانه ليس بمعنى الاخلاص المتعارف وانتصاب حُنَفَآءَ على الحال من ضمير مخلصين فيكون
من باب التداخل ويجوز ان يكون من فاعل يعبدوا والمعنى مائلين عن الاديان كلها الى دين الاسلام
وقيل متبعين ملة ابراهيم وقيل حجاجا وقيل مختونين محرمين لنكاح المحارم وقيل الحنيف الذي
آمن بجميع الانبياء والرسل ولا يفرق بين احد منهم والاول اولى واصل الحنف في اللغة الميل وخصه العرف
بالميل الى الخير وسموا الميل الى الشر الحادا والحنيف المطلق هو الذي يكون متبرأ عن اصول الملل
الخمسة اليهود والنصارى والصابئين والمجوس والمشركين وعن فروعها من جميع النحل الى الاعتقادات
وعن توابعها من الخطأ والنسيان الى العمل الصالح وهو مقام التقى وعن المكروهات الى المستحبات وهو
المقام الاول من الورع وعن الفضول شفقة على خلق الله وهو ما لا يعني الى ما يعني وهو المقام الثاني
من الورع عما يجر الى الفضول وهو مقام الزهد فالآية جامعة لمقامي الاخلاص الناظر احدهما
الى الحق والثاني الى الخلق وَيُقِيمُوا الصَّلٰوةَ وَيُؤْتُوا الزَّكٰوةَ اي يفعلوا الصلوات في اوقاتها ويعطوا
الزكوة عند محلها وخص الصلوة والزكوة لانهما من اعظم اركان الدين قيل ان اريد بالصلوة
والزكوة ما في شريعة اهل الكتاب من الصلوة والزكوة فالامر ظاهر وان اريد ما في شريعتنا فمعنى
امرهم بهما في الكتابين امرهم باتباع شريعتنا وهما من جملة ما وقع الامر به فيها وَذٰلِكَ المذكور
من عبادة الله واخلاصها واقامة الصلوة وايتاء الزكوة دِيْنُ الْقَيِّمَةِ اي دين الملة المستقيمة
والشريعة المتبوعة قال الزجاج فالقيمة صفة لموصوف محذوف قال الخليل القيمة جمع القيم والقيم
القائم قال الفراء اضاف الدين الى القيمة وهو نعته لاختلاف اللفظين وانث القيمة ردا الى
الملة وقال الفراء ايضا هو من اضافة الشيء الى نفسه ودخلت الهاء للمدح والمبالغة وما في
الاشارة من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته وسمو مكانته ثم بين سبحانه حال
الفريقين في الآخرة بعد بيان حالهم في الدنيا فقال اِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا مِنْ اَهْلِ الْكِتٰبِ
وَالْمُشْرِكِيْنَ عطف على الموصول والمجرور وخبر ان فِيْ نَارِ جَهَنَّمَ اي انهم يصيرون اليها يوم القيامة

وبدأ باهل الكتاب لانهم كانوا يطعنون في نبوته فجنايتهم اعظم لانهم انكروه مع العلم به خالدين فيها
حال من المستكن في الخبر ولم يقل خالدين فيها ابدا كما قال بعد في صفة اهل الثواب لان رحمته
ازيد من غضبه فلم يتفق الخلودان في الابدية أُولَئِكَ المذكورون من اهل الكتاب والمشركين
المتصفين بالكون في نار جهنم والخلود فيها هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ يقال برأ اي خلق والبارئ الخالق
والبرية الخليقة قرأ الجمهور البرية في الموضعين بغير همز وقرئ بالهمز فيهما قال الفراء ان اخذت البرية
من البراء وهو التراب لم تدخل الملائكة تحت هذا اللفظ وان اخذتها من بريت القلم اي قدرته
دخلت وقيل ان الهمز هو الاصل لانه يقال برأ الله الخلق بالهمز اي ابتدعه واخترعه ومنه قوله من قبل
ان نبرأها ولكنها خففت الهمزة والتزم تخفيفها عند عامة العرب وظاهر الآية العموم وقيل شر البرية
الذين عاصروا الرسول اذ لا يبعد ان يكون في كفار الامم من هو شر من هؤلاء كفرعون وعاقر ناقة
صالح عليه السلام وشر البرية افعل تفضيل اي لانهم يخفون من كتاب الله صفة محمد واشر من
قطاع الطريق لانهم قطعوا طريق دين الحق على الخلق واشر من الجهال لان الكفر مع العلم يكون
عنادا وهذا فيه تنبيه على ان وعيد علماء السوء اعظم من وعيد كل احد ثم بين سبحانه حال
الفريق الآخر فقال إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ اي جمعوا بين الايمان والعمل الصالح
أُولَئِكَ المنعوتون بهذا هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ اي في عصره صلى الله عليه وسلم ولا يبعد ان يكون في مؤمني
الامم السالفة من هو خير منهم وعن ابي هريرة قال اتعجبون من منزلة الملائكة من الله والذي
نفسي بيده لمنزلة العبد المؤمن عند الله يوم القيامة اعظم من منزلة ملك واقرؤا ان شئتم
ان الذين آمنوا الآية وعن عائشة قالت قلت يا رسول الله من اكرم الخلق على الله قال يا عائشة
اما تقرئين ان الذين آمنوا الآية اخرجه ابن مردويه وعن جابر بن عبد الله قال كنا عند النبي
صلى الله عليه وسلم فاقبل علي فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ان هذا وشيعته لهم الفائزون يوم
القيامة ونزلت ان الذين آمنوا الآية فكان اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم اذا اقبل قالوا قد جاء خير
البرية اخرجه ابن عساكر وعن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية قال رسول الله لعلي هو انت
وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين اخرجه ابن مردويه واخرج الضياء عن علي مرفوعا
نحوه واخرج ابن عدي وابن عساكر عن ابي سعيد مرفوعا علي خير البرية وعن ابي هريرة قال قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بخير البرية قالوا بلى يا رسول الله قال رجل أخذ بعنان فرسه في سبيل الله كلما كانت هيعة استوى عليه ألا أخبركم بشر البرية قالوا بلى قال الذي يسأل بالله ولا يعطي به أخرجه أحمد جزاؤهم عند ربهم أي ثوابهم عند خالقهم بمقابلة ما وقع منهم من الإيمان والعمل الصالح جنات عدن هذا من مقابلة الجمع بالجمع وهو يقتضي انقسام الآحاد على الآحاد فيكون لكل واحد جنة وقيل الجمع باق على حقيقته وإن لكل واحد جنات كما يدل عليه قوله ولمن خاف مقام ربه جنتان ومن دونهما جنتان فذكر للواحد أربع جنات وأدنى تلك الجنات مثل الدنيا بما فيها عشر مرات والمراد بجنات عدن هي أوسط الجنات وأفضلها يقال عدن بالمكان يعدن عدنا أي أقام ومعدن الشيء مركزه ومستقره تجري من تحتها الأنهار الأربعة وهي الخمر والماء والعسل واللبن وقد قدمنا في غير موضع أنه إن أريد بالجنات الأشجار الملتفة فجريان الأنهار من تحتها ظاهر وإن أريد مجموع قرار الأرض والشجر فجري الأنهار من تحتها باعتبار جزئها الظاهر وهو الشجر خالدين فيها أبدا لا يخرجون منها ولا يظعنون عنها بل هم دائمون في نعيمها مستمرون في لذاتها وجملة رضي الله عنهم ورضوا عنه مستأنفة لبيان ما تفضل الله به عليهم من الزيادة على مجرد الجزاء وهو رضوانه عنهم حيث أطاعوا أمره وقبلوا شرائعه ورضاهم عنه حيث بلغوا من المطالب ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ويجوز أن تكون الجملة خبرا ثانيا وأن تكون في محل نصب على الحال بإضمار قد ذلك لمن خشي ربه أي ذلك الجزاء والرضوان لمن وقعت منه الخشية لله سبحانه في الدنيا وانتهى عن معاصيه بسبب تلك الخشية التي وقعت له لا مجرد الخشية مع الانهماك في معاصي الله سبحانه فإنها ليست بخشية على الحقيقة

سورة الزلزلة هي ثمان أو تسع آيات وهي مدنية

في قول ابن عباس وقتادة ومكية في قول ابن مسعود وعطاء وجابر عن عبد الله بن عمرو قال أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أقرئني يا رسول الله قال اقرأ ثلاثا من ذوات الراء فقال الرجل كبر سني واشتد قلبي وغلظ لساني قال اقرأ ثلاثا من ذوات حم فقال مثل مقالته الأولى فقال اقرأ ثلاثا من المسبحات فقال مثل مقالته الأولى وقال ولكن أقرئني يا رسول الله سورة جامعة فأقرأه إذا زلزلت الأرض حتى فرغ منها قال الرجل والذي بعثك بالحق لا أزيد

قال أحمد حدثنا إسحاق بن عيسى حدثنا أبو معشر عن أبي وهب مولى أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكره في الفتح للشوكاني

عليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افلح الرويجل افلح الرويجل اخرجه احمد وابو داود والنسائي ومحمد بن نصر والحاكم وصححه والطبراني وابن مردويه والبيهقي في الشعب وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ اذا زلزلت الارض عدلت له بنصف القرآن ومن قرأ قل هو الله احد عدلت له بثلث القرآن ومن قرأ قل يا ايها الكافرون عدلت له بربع القرآن اخرجه الترمذي وابن مردويه و البيهقي وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زلزلت الارض تعدل له نصف القرآن وقل هو الله احد تعدل ثلث القرآن وقل يا ايها الكافرون تعدل ربع القرآن اخرجه الترمذي وابن الضريس ومحمد بن نصر والحاكم وصححه والبيهقي قال الترمذي غريب لانعرفه الا من حديث يمان بن المغيرة واخرج الترمذي عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل من اصحابه هل تزوجت يا فلان قال لا والله يا رسول الله ولا عندي ما اتزوج به قال اليس معك قل هو الله احد قال بلى قال ثلث القرآن قال اليس معك اذا جاء نصر الله والفتح قال بلى قال ربع القرآن قال اليس معك قل يا ايها الكافرون قال بلى قال ربع القرآن قال اليس معك اذا زلزلت الارض قال بلى قال ربع القرآن تزوج قال الترمذي هذا حديث حسن وعن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ في ليلة اذا زلزلت كان له عدل نصف القرآن اخرجه ابن مردويه

بسم الله الرحمن الرحيم

اِذَا زُلْزِلَتِ الْاَرْضُ زِلْزَالَهَا اي اذا حركت حركة شديدة وجواب الشرط تحدث والمراد تحركها عند قيام الساعة فانها تضطرب من شدة صوت اسرافيل حتى ينكسر كل شيء عليها قال مجاهد وهي النفخة الاولى لقوله تعالى يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة وفي الخازن في وقت هذه الزلزلة قولان احدهما وهو قول الاكثرين انها في الدنيا وهي من اشراط الساعة والثاني انها زلزلة يوم القيامة انتهى ويؤيد القول الثاني قوله تعالى واخرجت الارض اثقالها فان الاخراج انما هو في النفخة الثانية وكذا شهادتها بما وقع عليها انما هو بعد النفخة الثانية وكذلك انصراف الناس من الموقف انما يكون بعد الثانية تأمل وذكر المصدر للتاكيد ثم اضافه الى الارض فهو مصدر مضاف الى فاعله والمعنى زلزالها المخصوص الذي يستحقه ويقتضيه جرمها وعظمها قرأ الجمهور زلزالها بكسر الزاي وقرئ بفتحها وهما مصدران بمعنى وقيل المكسور مصدر والمفتوح اسم قال القرطبي والزلزال بالفتح مصدر كالوسواس والقلقال

قال ابن عباس في الآية اي تحركت من اسفلها وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا اي ما في جوفها من الاموات والدفائن والاثقال جمع ثقل قال ابو عبيدة والاخفش اذا كان الميت في بطن الارض فهو ثقل لها واذا كان فوقها فهو ثقل عليها قال مجاهد اثقالها موتاها تخرجهم في النفخة الثانية وقد قيل للجن والانس الثقلان واظهار الارض في موضع الاضمار لزيادة التقرير قال ابن عباس اثقالها الموتى والكنوز واخرج مسلم والترمذي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقيئ الارض افلاذ كبدها امثال الاسطوان من الذهب والفضة فيجيء القاتل فيقول في هذا قتلت ويجيء القاطع فيقول في هذا قطعت رحمي ويجيء السارق فيقول في هذا قطعت يدي ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئا وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا اي قال كل فرد من افراد الانسان ما لها زلزلت لما يدهمه من امرها ويبهره من خطبها وقيل المراد بالانسان الكافر وقوله ما لها مبتدء وخبر وفيه معنى التعجب اي اي شيء لها او لاي شيء زلزلت واخرجت اثقالها قال ابن عباس الكافر يقول ما لها وقوله يَوْمَئِذٍ بدل من اذا والعامل فيهما قوله تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ويجوز ان يكون العامل في اذا محذوفا والعامل في يومئذ تحدث والمعنى يوم اذا زلزلت واخرجت تخبر باخبارها وتحدث بما عمل عليها من خير وشر وذلك اما بلسان الحال حيث يدل على ذلك دلالة ظاهرة او بلسان المقال بان ينطقها الله سبحانه وقيل هذا متصل بقوله وقال الانسان ما لها اي قال ما لها تحدث اخبارها متعجبا من ذلك وقال يحيى بن سلام تحدث اخبارها بما اخرجت من اثقالها وقيل تحدث بقيام الساعة وانها قد اتت وان الدنيا قد انقضت قال ابن جرير تبين اخبارها بالرجفة والزلزلة واخراج الموتى ومفعول تحدث الاول محذوف والثاني هو اخبارها اي تحدث الخلق اخبارها عن ابي هريرة قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ تحدث اخبارها قال اتدرون ما اخبارها قالوا الله ورسوله اعلم قال فان اخبارها ان تشهد على كل عبد وامة بما عمل على ظهرها تقول عمل كذا وكذا فهذا اخبارها اخرجه احمد والترمذي وصححه والنسائي وغيرهم وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الارض لتجيء يوم القيامة بكل عمل عُمل على ظهرها وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زلزلت الارض زلزالها حتى بلغ يومئذ تحدث اخبارها اخرجه ابن مردويه والبيهقي وعن ربيعة الجرشي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تحفظوا من الارض فانها امكم وانه ليس من احد

عامل عليها خيراً او شراً الا وهي مخبرة اخرجه الطبراني بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا متعلق بتحدث
او بنفس اخبارها والباء زائدة وقيل سببية اي بسبب ايحاء الله اليها قال الفراء تحدث اخبارها
بوحي الله واذنه لها واللام في لها بمعنى الى وانما اوثرت على الى لموافقة الفواصل والعرب تضع لام
الصفة موضع الى كذا قال ابو عبيدة وقيل ان اوحى يتعدى باللام تارة وبالى اخرى وقيل ان اللام
على بابها من كونها للعلة والموحى اليه محذوف وهو الملائكة والتقدير اوحى الى الملائكة لاجل
الارض اي لاجل ما يفعلون فيها والاول اولى وقوله يَوْمَئِذٍ اما بدل من يومئذ الذي قبله واما
منصوب بمقدر هو اذكر واما منصوب بما بعده والمعنى يوم اذ يقع ما ذكر يَصْدُرُ النَّاسُ من قبورهم الى موقف
الحساب أَشْتَاتًا اي متفرقين والصدر الرجوع وهو ضد الورود وقيل يصدرون من موضع الحساب
الى الجنة او النار وانتصاب اشتاتا على الحال والمعنى ان بعضهم آمن وبعضهم خائف وبعضهم بلون
اهل الجنة وهو البياض وبعضهم بلون اهل النار وهو السواد وبعضهم ينصرف الى جهة اليمين
وبعضهم الى جهة الشمال مع تفرقهم في الاديان واختلافهم في الاعمال لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ متعلق
بيصدر وقيل فيه تقديم وتأخير اي تحدث اخبارها بان ربك اوحى لها ليروا اعمالهم
يومئذ يصدر الناس اشتاتا قرأ الجمهور ليروا مبنيا للمفعول وهو من رؤية البصر اي ليريهم
الله اعمالهم وقرئ مبنيا للفاعل والمعنى ليروا جزاء اعمالهم فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ
وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ اي وزن نملة وهي اصغر ما يكون من النمل قرأ الجمهور
يره في الموضعين بضم الهاء وصلا وسكونها وقفا وقرأ هشام بسكونها وصلا ووقفا وقرأ الجمهور
ايضا يره مبنيا للفاعل في الموضعين وقرئ على البناء للمفعول فيهما اي يريه الله اياه وقرئ يراه
على توهم ان ما موصولة او على تقدير الجزم بحذف الحركة المقدرة في الفعل قال مقاتل فمن يعمل في الدنيا
مثقال ذرة خيرا يره يوم القيامة في كتابه فيفرح به وكذلك من يعمل مثقال ذرة في الدنيا شرا يره يوم
القيامة فيسوءه ومثل هذه الآية قوله ان الله لا يظلم مثقال ذرة وقال بعض اهل اللغة ان الذرة
هو ان يضرب الرجل بيده على الارض فما علق من التراب فهو ذرة وقيل الذر ما يرى في شعاع
الشمس من الهباء والاول اولى ومن الاولى عبارة عن السعداء ومن الثانية عبارة عن الاشقياء
وقال محمد بن كعب فمن يعمل مثقال ذرة من خير من كافر يرى ثوابه في الدنيا وفي نفسه وماله واهله

قوله ولم يتعرض لبيان ... عن ... من ... وقوله ... الاولى ... والاولى ... الكلام ... ما ذكرنا ...

وولده حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله خير ومن يعمل مثقال ذرة من شر من مؤمن يرى عقوبته في الدنيا في نفسه وماله واهله وولده حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله شر والاول اولى قال مقاتل نزلت في رجلين كان احدهما يأتيه السائل فيستقل ان يعطيه التمرة والكسرة والجوزة وكان الاخر يتهاون بالذنب اليسير كالكذبة والغيبة والنظرة ويقول انما اوعد الله النار على الكافرين قال ابن مسعود هذه الآية احكم آية في القرآن واصدق وقد اتفق العلماء على عموم هذه الآية قال كعب الاحبار لقد انزل على محمد آيتان احصتا ما في التوراة والانجيل والزبور والصحف فمن يعمل الخ وروى محي السنة عن ابن عباس ليس من مؤمن ولا كافر عمل خيرا كان او شرا الا اراه الله تعالى فاما المؤمن فيغفر له سيئاته ويثيبه بحسناته واما الكافر فترد حسناته تحسرا ويعذب بسيئاته وهذا الاحتمال يساعده النظم والمعنى عن انس قال بينما ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه يأكل مع النبي صلى الله عليه وسلم اذ نزلت عليه فمن يعمل الخ فرفع ابو بكر يده وقال يا رسول الله اني لراء ما عملت من مثقال ذرة من شر فقال يا ابا بكر ارأيت ما ترى في الدنيا مما تكره فبمثاقيل ذر الشر ويدخر لك مثاقيل ذر الخير حتى توفاه يوم القيامة اخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم والطبراني في الاوسط والحاكم في تاريخه وابن مردويه والبيهقي في الشعب وعن ابي اسماء قال بينا ابو بكر يتغدى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ نزلت هذه الآية فامسك ابو بكر وقال يا رسول الله ما عملنا من شر رأيناه فقال ما ترون مما تكرهون فذلك مما تجزون ويؤخر الخير لاهله في الآخرة اخرجه اسحق بن راهويه وعبد بن حميد والحاكم وابن مردويه وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال انزلت اذا زلزلت وابو بكر الصديق قاعد فبكى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا ابا بكر قال تبكيني هذه السورة فقال لولا انكم تخطئون وتذنبون فيغفر لكم لخلق الله قوما يخطئون ويذنبون فيغفر لهم اخرجه ابن ابي الدنيا وابن جرير والطبراني وابن مردويه والبيهقي في الشعب وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل لثلثة لرجل اجر ولرجل ستر وعلى رجل وزر الحديث قال وسئل عن الحمر فقال ما انزل على الا هذه الآية الجامعة الفاذة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره اخرجه البخاري ومسلم وغيرهما ۞

سورة العاديات هي احدى عشرة آية وهي مكية

في قول ابن مسعود وجابر والحسن وعكرمة وعطاء ومدنية في قول ابن عباس وانس بن مالك وقتادة وعن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زلزلت تعدل نصف القرآن والعاديات تعدل نصف القرآن وهو مرسل اخرجه ابو عبيد في فضائله وعن ابن عباس مرفوعا مثله اخرجه محمد بن نصر من طريق عطاء بن ابي رباح وزاد وقل هو الله احد تعدل ثلث القرآن وقل يا ايها الكافرون تعدل ربع القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

والعاديات جمع عادية وهي الجارية بسرعة من العدو وهو المشي بسرعة فقلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها كالغازيات من الغزو والمراد بها الخيل العادية في الغزو نحو العدو وضبحا مصدر مؤكد لاسم الفاعل فان الضبح نوع من السير ونوع من العدو ويقال ضبح الفرس اذا عدا بشدة مأخوذ من الضبع وهو الدفع وكان الحاء بدل من العين قال ابو عبيدة والمبرد الضبح من اضباعها في السير ويجوز ان يكون مصدرا في موضع الحال اي ضابحات او ذوات ضبح ويجوز ان يكون مصدرا لفعل محذوف اي يضبح ضبحا وقيل الضبح صوت حوافرها اذا عدت وقال الفراء الضبح صوت انفاس الخيل اذا عدت قيل كانت تكعم لئلا تصهل فيعلم العدو بهم فكانت تتنفس في هذه الحالة بقوة وقيل الضبح صوت يسمع من صدور الخيل عند العدو وليس بصهيل وقد ذهب الجمهور الى ما ذكرنا من ان العاديات ضبحا هي الخيل وقال عبيد بن عمير ومحمد بن كعب والسدي هي الابل ونقل اهل اللغة ان اصل الضبح للثعلب فاستعير للخيل قال ابن عباس بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خيلا فاستمرت شهرا لا يأتيه منها خبر فنزلت والعاديات ضبحا ضبحت بارجلها وفي لفظ ضبحت بمناخرها وعنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية الى العدو فابطأ خبرها فشق ذلك عليه فاخبره الله خبرهم وما كان من امرهم فقال والعاديات ضبحا قال هي الخيل والضبح نخير الخيل حين تنخر وعنه قال هي الخيل في القتال وضبحها حين ترخي مشافرها اذا عدت وعن ابن مسعود قال هي الابل قال ابراهيم النخعي قال علي هي الابل وقال ابن عباس هي الخيل فبلغ عليا قول ابن عباس فقال ما كانت لنا خيل يوم بدر قال ابن عباس انما كانت تلك في سرية بعثت وعن عامر الشعبي قال تمارى علي وابن عباس في العاديات ضبحا فقال ابن عباس هي الخيل وقال

علي كذبت يا ابن فلانة والله ما كان معنا يوم بدر فارس الا المقداد كان على فرس ابلق قال وكان يقول هي الابل فقال ابن عباس الا ترى انها تثير نقعا فما شيء يثير الا بحوافرها وعن ابن عباس قال هي الخيل في القتال وعن ابن مسعود قال في الحج وعن ابن عباس ليس شيء من الدواب يضبح الا الكلب او الفرس وقد روي عنه بطرق انها الخيل وعنه قال الخيل ضبحها زحيرها الم تر ان الفرس اذا عدى قال اح اح فذلك ضبحها وعن علي قال الضبح من الخيل الحمحمة ومن الابل النفس فالموريات قدحا هي الخيل حين توري النار بسنابكها والايراء اخراج النار والقدح الصك فجعل ضرب الخيل بحوافرها كالقدح بالزناد قال الزجاج اذا عدت الخيل بالليل واصابت حوافرها الحجارة انقدح منها النيران والكلام في انتصاب قدحا كالكلام في انتصاب ضبحا والخلاف في كونها الخيل او الابل كالخلاف الذي تقدم في العاديات والراجح انها الخيل كما ذهب اليه الجمهور وكما هو الظاهر من هذه الاوصاف المذكورة في هذه السورة ما تقدم منها وما سياتي فانها في الخيل اوضح منها في الابل وتقدم ما في ذلك من الخلاف بين الصحابة قال ابن عباس في الاية قدحت بحوافرها الحجارة وعنه قال حين تجري الخيل توري نارا اصابت سنابكها الحجارة وعنه قال الرجل اذا اورى زنده وعنه قال هو مكر الرجل قدح فاورى وقال ابن مسعود اذا سفت الحصى بمناسمها فضرب الحصى بعضه بعضا فتخرج منه النار فالمغيرات صبحا اي التي تغير على العدو وقت الصباح يقال اغار يغير اغارة اذا باغت عدوه لقتل او اسر او نهب واسند الاغارة اليها وهي لاهلها للاشعار بانها عمدتهم في اغارتهم وصبحا منصوب على الظرفية قال ابن عباس صبحت القوم بغارة وعنه قال هي الخيل اغارت فصبحت العدو وعنه قال اذا اصبحت العدو وعنه قال الخيل تصبح العدو وقال ايضا غارة الخيل صبحا وقال ابن مسعود حين يفيضون من جمع وانما اقسم الله عز وجل بخيل الغزاة تنبيها على فضلها وفضل رباطها في سبيل الله ولما فيها من المنافع الدينية والدنيوية والاجر والغنيمة فاثرن به نقعا معطوف على الفعل الذي دل عليه اسم الفاعل اذ المعنى واللاتي عدون فاثرن او على اسم الفاعل نفسه لكونه في تاويل الفعل لوقوعه صلة للموصول فان الالف واللام في الصفات اسماء موصولة فالكلام في قوة واللاتي عدون فاورين فاغرن فاثرن والنقع الغبار الذي اثرنه في وجه العدو عند الغزو وتخصيص اثارته بالصبح لانه وقت الاغارة ولكونه لا يظهر اثر النقع في الليل الذي اتصل به الصبح وقيل المعنى فاثرن بمكان عدوهن نقعا يقال ثار النقع واثرته

اي هاج وهيجه قرأ الجمهور فاثرن بتخفيف الثاء وقرئ بتشديدها اي فاظهرن غبارا وقال ابو عبيدة
النقع رفع الصوت وعلى هذا رايت قول اكثر اهل العلم انتهى والمعروف عند جمهور اهل اللغة والمفسرين
ان النقع الغبار وهذا هو المناسب لمعنى الاية وليس لتفسير النقع بالصوت فيها كثير معنى فان قولك
اغارت الخيل على بني فلان صبحا فاثرن به صوتا قليل الجدوى مغسول المعنى بعيد من بلاغة القرآن
المعجزة وقيل النقع شق الجيوب وقال محمد بن كعب النقع ما بين مزدلفة الى منى وقيل انه طريق الوادي
قال في الصحاح النقع الغبار والجمع انقاع والنقع محبس الماء وكذلك ما اجتمع في البئر منه والنقع الارض
الحرة الطين يستنقع فيها الماء قال ابن عباس في الاية اثارت بحوافرها التراب وقال ايضا هي الخيل
اثرن بحوافرها يقول بعدو الخيل والنقع الغبار وعنه قال التراب وقال ايضا نقعا غبارا وقال
ابن مسعود اذا سرن يثرن التراب فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا اي توسطن بذلك الوقت او توسطن
متلبسات بالنقع جمعا من جموع الاعداء او صرن بعدوهن وسط جمع الاعداء والباء اما للتعدية
او للحالية او زائدة يقال وسطت القوم والمكان اسط وسطا من باب وعد اذا توسطت بين ذلك و
الفاعل واسط وبه سمي البلد المشهور بالعراق لانه توسط الاقليم تقول جلست وسط القوم بالتسكين
لانه ظرف وجلست وسط الدار بالتحريك لانه اسم لما يكتنفه غيره من جهاته وكل موضع صلح فيه بين فهو وسط
بالسكون وان لم يصلح فيه بين فهو وسط بالتحريك وربما سكن وليس بالوجه وجمعا مفعول به والفاءات في
المواضع الاربعة للدلالة على ترتب ما بعد كل واحدة منها على ما قبلها قرأ الجمهور فوسطن بتخفيف السين
وقرئ بالتشديد قال ابن عباس في الاية صبحن القوم جميعا وفي لفظ الجمع العدو وفي لفظ اذا توسطت
العدو وفي لفظ جمع العدو إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ هذا جواب القسم والمراد بالانسان بعض
افراده وهو الكافر والكنود الكفور للنعمة وقوله لربه متعلق بكنود قدم لرعاية الفواصل وقيل هو الجاحد للحق
وقيل الكنود ماخوذ من الكند وهو القطع كانه قطع ما ينبغي ان يواصله من الشكر يقال كند الحبل
اذا قطعه وقيل الكنود البخيل بلغة بني مالك وقيل الحسود وقيل الجهول لقدره وقيل العاصي بلغة
كندة وتفسير الكنود بالكفور للنعمة اولى بالمقام والجاحد للنعمة كافر لها ولا يناسب المقام سائر ما قيل وعن
ابن عباس قال الكنود بلساننا اهل البلد الكفور وعن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الكنود الكفور اخرجه
ابن عساكر وعنه قال الكنود الذي يمنع رفده وينزل وحده ويضرب عبده وروي نحوه

مرفوعًا عنه وسنده ضعيف والموقوف أصح وإنه على ذلك لشهيد أي وإن الإنسان على كنوده لشهيد يشهد على
نفسه به لظهور أثره عليه وقيل المعنى إن الله جل ثناؤه على ذلك من ابن آدم لشهيد وبه قال الجمهور و
قال بالأول الحسن وقتادة ومحمد بن كعب وهو أرجح من قول الجمهور لقوله وإنه لحب الخير لشديد فإن
الضمير راجع إلى الإنسان والمعنى إنه لحب المال قوي مجد في طلبه وتحصيله متهالك عليه يقال هو شديد لهذا الأمر
وقوي له إذا كان مطيقا له ومنه قوله تعالى إن ترك خيرا وقيل المعنى وإن الإنسان من أجل حب المال لبخيل والأول أولى
واللام في الحب متعلقة بشديد قال ابن زيد سمى الله المال خيرا وعسى أن يكون شرا ولكن الناس يجدونه خيرا فسماه
خيرا قال الفراء أصل نظم الآية أن يقال وإنه لشديد الحب للخير فلما قدم الحب قال لشديد وحذف من آخره
ذكر الحب لأنه قد جرى ذكره ولرؤس الآي كقوله في يوم عاصف والعصوف للريح لا لليوم كأنه قال في يوم عاصف
الريح قال ابن عباس الخير المال أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور الاستفهام للإنكار والفاء للعطف على مقدر
يقتضيه المقام أي أيفعل ما يفعل من القبائح فلا يعلم وهذا تهديد ووعيد وبعثر معناه نثر وبحث أي نثر
ما في القبور من الموتى وبحث عنهم وأخرجوا قال أبو عبيدة بعثرت المتاع جعلت أسفله أعلاه وقال الفراء سمعت
بعض العرب من بني أسد يقرأ بحثر بالحاء مكان العين وقد تقدم الكلام على هذا في قوله وإذا القبور بعثرت
وحصل ما في الصدور أي ميز وبين ما فيها من الخير والشر والتحصيل التمييز كذا قال المفسرون وقيل حصل أبرز
قرأ الجمهور حصل بضم الحاء وتشديد الصاد مكسورا مبنيا للمفعول وقرئ حصل بفتح الحاء وتخفيف الصاد مبنيا
للفاعل أي ظهر قال ابن عباس بعثر بحث وحصل أبرز والمعنى أظهر وجمع بغاية السهولة ما في الصدور من خير
وشر مما يظن خفاؤه وأنه لا يعلمه أحد أصلا وظهر مكتوبا في صحائف الأعمال وهذا يدل على أن الإنسان يحاسب بها
كما يحاسب على ما يظهر من آثارها وخص أعمال القلوب بالذكر وترك ذكر أعمال الجوارح لأنها تابعة لأعمال القلوب
فإنه لولا تحقق البواعث والإرادات في القلوب لما حصلت أفعال الجوارح إن ربهم بهم أي رب المبعوثين بهم
يومئذ لخبير لا تخفى عليه خافية فيجازيهم بالخير خيرا وبالشر شرا قال الزجاج الله خبير بهم في ذلك
اليوم وفي غيره ولكن المعنى إن الله يجازيهم على كفرهم في ذلك اليوم ومثله قوله تعالى أولئك الذين يعلم
الله ما في قلوبهم معناه أولئك الذين لا يترك الله مجازاتهم قال الإمام دلت الآية على أنه تعالى عالم
بالجزئيات الزمانيات وغيرها لأنه تعالى نص على كونه عالما بكيفية أحوالهم في ذلك اليوم فكيف لا يكون منكره كافرا
ذكره الكرخي قرأ الجمهور بكسر إن وباللام في لخبير وقرأ أبو السمال بفتح الهمزة وإسقاط اللام

سورة القارعة وهي ثمان آيات وقيل احدى عشرة آية وقيل عشر آيات

وهي مكية بلا خلاف قال ابن عباس نزلت بمكة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الْقَارِعَةُ﴾ هي من اسماء القيامة قاله ابن عباس لانها تقرع القلوب بالفزع وتقرع اعداء الله بالعذاب والعرب تقول قرعتهم القارعة اذا وقع بهم امر فظيع وقيل اصل القرع الصوت الشديد ومنه قوارع الدهر وسميت قارعة بصوت اسرافيل لانه اذا نفخ في الصور مات جميع الخلائق من شدة صوت نفخته وهي مبتدأ وخبره ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾ قرأ الجمهور بالرفع وقرئ بنصبها على تقدير احذروا القارعة والاستفهام للتفخيم والتعظيم لشانها كما تقدم بيانه في قوله الحاقة ما الحاقة وقيل معنى الكلام على التحذير قال الزجاج والعرب تحذر وتغري بالرفع كالنصب والحمل على معنى التفخيم والتعظيم اولى ويؤيده وضع الظاهر موضع المضمر فانه ادل على هذا المعنى ويؤيده ايضا قوله ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ فانه تاكيد لشدة هولها ومزيد فظاعتها حتى كانها خارجة عن دائرة علوم الخلق بحيث لا تنالها دراية احد منهم وما الاستفهامية مبتدأ وادراك خبرها وما القارعة مبتدأ وخبر والجملة في محل نصب على انها المفعول الثاني والمعنى واي شيء اعلمك ما شان القارعة ثم بين سبحانه متى تكون القارعة فقال ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ انتصاب الظرف بفعل محذوف تدل عليه القارعة اي تقرعهم يوم يكون الخ ويجوز ان يكون منصوبا بتقدير اذكر وقال ابن عطية ومكي وابو البقاء هو منصوب بنفس القارعة وقيل هو خبر مبتدأ محذوف وانما نصب لاضافته الى الفعل فالفتحة فتحة بناء لا فتحة اعراب اي هي يوم يكون الخ وقيل التقدير ستاتيكم القارعة يوم يكون الخ وقرأ زيد بن علي برفع يوم على الخبرية للمبتدأ المقدر والفراش الطير الذي تراه يتساقط في النار والسراج الواحدة فراشة كذا قال ابو عبيدة وغيره قال الفراء الفراش هو الطائر من بعوض وغيره ومنه الجراد قال وبه يضرب المثل في الطيش والهوج يقال اطيش من فراشة والمراد بالمبثوث المتفرق المنتشر يقال بثه اذا فرقه ومثل هذا قوله سبحانه في اية اخرى كانهم جراد منتشر وقال المبثوث ولم يقل مبثوثة لان الكل جائز كما في قوله اعجاز نخل منقعر واعجاز نخل خاوية وقد تقدم بيان وجه ذلك وفي تشبيه الناس بالفراش

مبالغات شتى منها الطيش الذي يلحقهم وانتشارهم في الارض وركوب بعضهم بعضا والكثرة و
الضعف والتذلل واجابة الداعي من كل جهة والتطاير الى النار وتكون الجبال بعد ان تفتت كالرمل
السائل كالعهن المنفوش اي كالصوف الملون بالالوان المختلفة الذي نفش بالندف والعهن عند
اهل اللغة الصوف المصبوغ بالالوان المختلفة وقد تقدم بيان هذا في سورة سأل سائل وقد
ورد في الكتاب العزيز اوصاف للجبال يوم القيامة وقد قدمنا بيان الجمع بينها ثم ذكر سبحانه احوال
الناس وتفرقهم فريقين على جهة الاجمال فقال فاما من ثقلت موازينه باتباعه الحق وقد تقدم
القول في الميزان في سورة الاعراف وسورة الكهف وسورة الانبياء وقد اختلف فيها هنا فقيل
هي جمع موزون وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله وبه قال الفراء وغيره وقيل هي جمع
ميزان وهو الآلة التي توضع فيها صحائف الاعمال وعبر عنه بلفظ الجمع كما يقال لكل حادثة ميزان
وقيل المراد بالموازين الحجج والدلائل فهو في عيشة راضية حياة راضية طيبة او مرضية فهو اسناد مجازي
او استعارة مكنية وتخييلية او هي بمعنى المفعول على التجوز في الكلمة نفسها قال الزجاج اي ذات
رضى يرضاها صاحبها يعني انها للنسب وقيل المعنى فاعلة للرضاء وهو اللين والانقياد لاهلها
والعيشة كلمة تجمع النعم التي في الجنة واما من خفت موازينه اي رجحت سيئاته على حسناته
او لم تكن له حسنات يعتد بها فامه هاوية اي فمسكنه جهنم وسماها امه لانه يأوي اليها كما
يأوي الى امه والهاوية من اسماء جهنم وهي آخر الطبقات السبع وسميت هاوية لانه يهوي فيها
مع بعد قعرها والهوي والمهواة ما بين الجبلين وتهاوى القوم في المهواة اذا سقط بعضهم في اثر بعض
قال قتادة يعني فمصيره الى النار قال عكرمة لانه يهوي فيها على ام راسه قال الاخفش امه مستقره
قال ابن عباس هاوية كقوله هوت امه وعن عكرمة قال ام راسه هاوية في جهنم قال الخطيب
اي نار نازلة سافلة جدا فهو بحيث لا يزال يهوي فيها نازلا فهو في عيشة ساخطة فالآية من
الاحتباك ذكر العيشة اولا دليلا على حذفها ثانيا وذكر الام ثانيا دليلا على حذفها اولا واخرج
ابن مردويه عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات المؤمن تلقته ارواح المؤمنين يسألونه
ما فعل فلان ما فعلت فلانة فاذا كان مات ولم ياتهم قالوا خولف به الى امه الهاوية فبئست الام
وبئست المربية واخرج ابن مردويه من حديث ابي ايوب الانصاري نحوه واخرج ابن المبارك من حديثه

عن ايضا وبقي قسم ثالث غير مذكور في الآية وهو من استوت حسناته وسيئاته قال المناوي من رجحت حسناته بسبب زيادتها على السيئات فهو في الجنة بغير حساب ومن استوت حسناته وسيئاته فيحاسب حسابا يسيرا ومن رجحت سيئاته على حسناته اي بسبب زيادتها فيشفع فيه او يعذب وما ادراك ماهيه هذا الاستفهام للتهويل والتفظيع ببيان انها خارجة عن المعهود بحيث لا تحيط بها علوم البشر ولا تدري كنهها والضمير يعود الى الهاوية والهاء للسكت ثم بينها سبحانه بقوله نار حامية اي قد انتهى حرها وبلغ في الشدة الى الغاية وارتفاع نار على انها خبر مبتدء محذوف اي هي نار حامية نعوذ بالله منها

سورة التكاثر ثمان آيات وهي مكية عند الجميع

وروى البخاري انها مدنية قال ابن عباس نزلت بمكة عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا يستطيع احدكم ان يقرأ الف آية في كل يوم قالوا ومن يستطيع ان يقرأ الف آية في كل يوم قال اما يستطيع احدكم ان يقرأ الهاكم التكاثر اخرجه الحاكم والبيهقي في الشعب قال المنذري رجال اسناده ثقات الا ان عقبة لا اعرفه وعن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ في ليلة الف آية لقي الله وهو ضاحك في وجهه قيل يا رسول الله ومن يقوى على الف آية فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم الهاكم التكاثر الى آخرها ثم قال والذي نفسي بيده انها لتعدل الف آية اخرجه الخطيب في المتفق والمفترق والديلمي واخرج مسلم والترمذي والنسائي وغيرهم عن عبد الله بن الشخير قال انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ الهاكم التكاثر وفي لفظ وقد انزلت عليه الهاكم التكاثر وهو يقول يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما اكلت فافنيت واخرجه مسلم وغيره من حديث ابي هريرة ولم يذكر فيه قراءة هذه السورة ولا نزولها بلفظ يقول العبد مالي مالي انما له من ماله ثلاثة ما اكل فافنى وما لبس فابلى وما تصدق فاقنى وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس وعن جرير بن عبد الله قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اني قارئ عليكم سورة الهاكم التكاثر فمن بكى فله الجنة فقرأها فمنا من بكى ومنا من لم يبك فقال الذين لم يبكوا قد جهدنا يا رسول الله ان نبكي فلم نقدر عليه فقال اني قارئها عليكم الثانية فمن بكى فله الجنة ومن لم يقدر ان يبكي فليتباك اخرجه البيهقي في الشعب وضعفه والحكيم الترمذي في نوادر الاصول

بسم الله الرحمن الرحيم

ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر اي شغلكم التماري في التكاثر بالاموال والاولاد والتباهي
والتفاخر بكثرتها عن طاعة الله تعالى والتغالب فيها يقال الهاه عن كذا واقهاه اذا شغله وقال
الحسن معناه انساكم حتى ادرككم الموت وانتم على تلك الحال وقال قتادة ان التكاثر التفاخر بالقبائل
والعشائر قال الضحاك الهاكم التشاغل بالمعاش وقيل المعنى حتى متم ودفنتم في المقابر والمقابر جمع مقبرة
وقال مقاتل وقتادة ايضا وغيرهما نزلت في اليهود حين قالوا نحن اكثر من بني فلان وبنو فلان اكثر
من بني فلان الهاهم ذلك حتى ماتوا وقال الكلبي نزلت في حيين من قريش بني عبد مناف وبني سهم تعادوا
وتكاثروا بالسيادة والاشراف في الاسلام فقال كل حي منهم نحن اكثر سيدا واعز عزيزا واعظم
نفرا واكثر قائدا فكثر بنو عبد مناف بني سهم ثم تكاثروا بالاموات فكثرتهم بهم فانزلت الهاكم التكاثر
فلم ترضوا حتى زرتم المقابر مفتخرين بالاموات وعن ابي بردة في الاية قال نزلت في قبيلتين من قبائل
الانصار في بني حارثة وبني الحارث تفاخروا وتكاثروا فقالت احداهما فيكم مثل فلان وفلان وقال
الاخرون مثل ذلك تفاخروا بالاحياء ثم قالوا انطلقوا بنا الى القبور فجعلت احدى الطائفتين تقول
فيكم مثل فلان يشيرون الى القبر ومثل فلان وفعل الاخرون مثل ذلك فانزل الله هذه الاية
اي لقد كان لكم فيما زرتم عبرة وشغل اخرجه ابن ابي حاتم وفي الاية دليل على ان الاشتغال
بالدنيا والمكاثرة بها والمفاخرة فيها من الخصال المذمومة والشرع دل على ان التكاثر والتفاخر
في السعادات الحقيقية غير مذموم فيجوز للانسان ان يفتخر بطاعاته وحسن اخلاقه ان كان
يظن ان غيره يقتدي به وقال سبحانه الهاكم التكاثر ولم يقل عن كذا بل اطلقه لان الاطلاق
ابلغ في الذم لانه يذهب فيه الوهم كل مذهب فيدخل فيه جميع ما يحتمله المقام ولان حذف المتعلق
مشعر بالتعميم كما تقرر في علم البيان والمعنى انه شغلكم التكاثر عن كل شيء يجب عليكم الاشتغال
به من طاعة الله والعمل للاخرة وعبر عن موتهم بزيارة المقابر لان الميت قد صار الى قبره كما
يصير الزائر الى الموضع الذي يزوره هذا على قول من قال ان معنى زرتم المقابر متم واما على قول من
قال ان معنى زرتم المقابر ذكرتم الموتى وعددتموهم للمفاخرة والمكاثرة فيكون ذلك على طريق التهكم

بهم وقيل انهم كانوا يزورون المقابر فيقولون هذا قبر فلان وهذا قبر فلان يفتخرون بذلك
كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ردع وزجر لهم عن التكاثر وتنبيه على انهم سيعلمون عاقبة ذلك يوم
القيامة وفيه وعيد شديد قال الفراء اي ليس الامر على ما انتم عليه من التكاثر والتفاخر ثم كرر
الردع والزجر والوعيد فقال ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثم للدلالة على ان الثاني ابلغ من الاول و
قيل الاول عند الموت او في القبر والثاني يوم القيامة قال الفراء هذا التكرار على وجه التغليظ والتاكيد
قال مجاهد هو وعيد بعد وعيد وكذا قال الحسن ومقاتل وجعله الشيخ جمال الدين بن مالك
من التوكيد اللفظي مع توسط حرف العطف وقال الزمخشري والتكرير تاكيد للردع والردع عليهم
نقل عن علي كلا سوف تعلمون في الدنيا ثم كلا سوف تعلمون في الاخرة فعلى هذا يكون غير مكرر
لحصول التغاير بينهما لاجل تغاير المتعلقين وثم على بابها من المهلة وحذف متعلق العلم في الافعال
الثلاثة لان الغرض هو الفعل لا متعلقه والعلم بمعنى المعرفة فيتعدى لمفعول واحد قاله السمين
كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ اي لو تعلمون الامر الذي انتم صائرون اليه علما يقينيا كعلمكم ما
هو متيقن عندكم في الدنيا وجواب لو محذوف اي لشغلكم ذلك عن التكاثر والتفاخر او لفعلتم ما
ينفعكم من الخير وتركتم ما لا ينفعكم مما انتم فيه وقال الاخفش التقدير لو تعلمون علم اليقين ما الهاكم وكلا في
هذا الموضع الثالث للردع والزجر كالموضعين الاولين وقال الفراء هي بمعنى حقا وقيل هي في المواضع
الثلاثة بمعنى الا قاله ابن ابي حاتم قال قتادة اليقين هنا الموت وعنه قال هو البعث وعنه كنا نحدث
ان علم اليقين ان يعلم ان الله باعثه بعد الموت واضافة العلم الى اليقين من اضافة الموصوف
الى صفته وفي السمين وعلم اليقين مصدر قيل واصله العلم اليقين وقيل لا حاجة الى ذلك
لان العلم يكون يقينا وغير يقين فاضيف اليه اضافة العام للخاص وهذا يدل على ان اليقين
اخص وقوله لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ جواب قسم محذوف وفيه زيادة وعيد وتهديد اي والله لترون الجحيم
في الاخرة قال الرازي وليس هذا جواب لو لان جواب لو يكون منفيا وهذا مثبت ولانه عطف عليه
ثم لتسألن وهو مستقبل لا بد من وقوعه قال وحذف جواب لو كثير والخطاب للكفار وقيل عام كقوله
وان منكم الا واردها قرأ الجمهور لترون بفتح التاء مبنيا للفاعل وقرئ بضمها مبنيا للمفعول والرؤية
هنا بصرية فلذلك تعدت الى مفعول واحد ثم كرر الوعيد والتهديد للتاكيد فقال ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ

اليقين اي ثم لترون الجحيم الرؤية التي هي نفس اليقين وهي المشاهدة والمعاينة وقيل المعنى لترون
الجحيم بابصاركم على البعد منكم ثم لترونها مشاهدة على القرب وقيل المراد بالاول رؤيتها قبل دخولها
وبالثاني رؤيتها حال دخولها وقيل هو اخبار عن دوام بقائهم في النار اي هي رؤية دائمة متصلة
وقيل المعنى لو تعلمون اليوم علم اليقين وانتم في الدنيا لترون الجحيم بعيون قلوبكم وهو ان تتصوروا
امر القيامة واهوالها ثم لتسألن يومئذ عن النعيم اي عن نعيم الدنيا الذي الهاكم عن العمل
للآخرة وثم للترتيب الاخباري لا المعنوي لان السؤال قبل رؤية الجحيم قال قتادة يعني كفار مكة كانوا
في الدنيا في الخير والنعمة فيسألون يوم القيامة عن شكر ما كانوا فيه ولم يشكروا رب النعم حيث
عبدوا غيره واشركوا به قال الحسن لا يسأل عن النعيم الا اهل النار وقال قتادة ان الله سبحانه
سائل كل ذي نعمة عما انعم عليه وهذا هو الظاهر ولا وجه لتخصيص النعيم بفرد من الافراد او
نوع من الانواع لان تعريفه للجنس او للاستغراق ومجرد السؤال لا يستلزم تعذيب المسئول على
النعمة التي سئل عنها فقد يسأل الله المؤمن عن النعم التي انعم بها عليه فيم صرفها وبم عمل فيها
ليعرف تقصيره وعدم قيامه بما يجب عليه من الشكر قيل السؤال عن الامن والصحة وقيل عن
الصحة والفراغ وقيل عن الادراك بالحواس وقيل عن ملاذ المأكول والمشروب وقيل عن الغداء
والعشاء وقيل عن بارد الشراب وظلال المساكن وقيل عن اعتدال الخلق وقيل عن لذة النوم
وقيل غير ذلك والاولى العموم كما ذكرنا وعن ابن عباس في الآية قال صحة الابدان والاسماع
والابصار وهو اعلم بذلك منهم وهو قوله ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا
اخرج ابن ابي حاتم وابن مردويه عن زيد بن اسلم عن ابيه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الهاكم التكاثر
يعني عن الطاعة حتى زرتم المقابر يقول حتى ياتيكم الموت كلا سوف تعلمون يعني لو قد دخلتم قبوركم ثم
كلا سوف تعلمون يقول لو قد خرجتم من قبوركم الى محشركم كلا لو تعلمون علم اليقين قال لو قد
وقفتم على اعمالكم بين يدي ربكم لترون الجحيم وذلك ان الصراط يوضع وسط جهنم فناج مسلم
ومخدوش مسلم ومكدوش في نار جهنم ثم لتسألن يومئذ عن النعيم يعني شبع البطون وبارد
الشراب وظلال المساكن واعتدال الخلق ولذة النوم واخرج ابن مردويه عن عياض بن غنم مرفوعا
نحوه وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم في الآية قال الامن والصحة رواه عبد الله بن احمد في زوائد الزهد

ع ٨

وابن ابي حاتم وغيرهما وعن علي قال النعيم العافية وعنه قال من اكل خبز البر وشرب ماء الفرات مبردا وكان له منزل يسكنه فذلك من النعيم الذي يسأل عنه وعن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاية اكل خبز البر والنوم في الظل وشرب ماء الفرات مبردا اخرجه ابن مردويه ولعل رفع هذا لا يصح فربما كان من قول ابي الدرداء وعن ابي قلابة عن النبي صلى الله عليه وسلم في الاية قال ناس من امتي يعقدون السمن والعسل بالنقي فياكلونه اخرجه احمد في الزهد وابن مردويه وهذا مرسل وعن عكرمة قال لما نزلت هذه الاية قال الصحابة يا رسول الله اي نعيم نحن فيه وانما ناكل في انصاف بطوننا خبز الشعير فاوحى الله الى نبيه صلى الله عليه وسلم ان قل لهم اليس تحتذون النعال وتشربون الماء البارد فهذا من النعيم اخرجه عبد بن حميد وابن ابي حاتم وعن محمود بن لبيد قال لما نزلت الهكم التكاثر فقرأ حتى بلغ النعيم قالوا يا رسول الله اي نعيم نسأل عنه وانما هما الاسودان الماء والتمر وسيوفنا على رقابنا والعدو حاضر فعن اي نعيم نسأل قال اما ان ذلك سيكون اخرجه ابن ابي شيبة وهناد واحمد وابن جرير وابن مردويه والبيهقي في الشعب واخرجه الترمذي وغيره من حديث ابي هريرة واخرجه احمد والترمذي وحسنه وغيرهما من حديث الزبير بن العوام وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول ما يسأل العبد عنه يوم القيامة من النعيم ان يقال له الم نصحح لك جسدك ونرويك من الماء البارد اخرجه احمد والترمذي وابن حبان والحاكم والبيهقي وغيرهم وعن جابر بن عبد الله قال جاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر فاطعمناهم رطبا وسقيناهم ماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا من النعيم الذي تسألون عنه اخرجه احمد والنسائي وابن جرير وابن المنذر وعبد بن حميد وغيرهم واخرج مسلم واهل السنن وغيرهم عن ابي هريرة قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم فاذا هو بابي بكر وعمر فقال ما اخرجكما من بيوتكما الساعة قالا الجوع يا رسول الله قال والذي نفسي بيده لاخرجني الذي اخرجكما فقوموا فقاما معه فاتى رجلا من الانصار فاذا هو ليس في بيته فلما رأته المرأة قالت مرحبا فقال النبي صلى الله عليه وسلم اين فلان فقالت انطلق يستعذب لنا الماء اذ جاء الانصاري فنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه فقال الحمد لله ما احد اليوم اكرم اضيافا مني فانطلق فجاء بعذق فيه بسر وتمر فقال كلوا من هذا واخذ المدية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اياك والحلوب فذبح لهم فاكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا فلما شبعوا ورووا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر وعمر والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة وفي الباب احاديث

سورة العصر هي ثلث آيات وهي مكية عند الجمهور وقال قتادة هي مدنية

قال ابن عباس نزلت بمكة وعن ابي مزينة الدارمي وكانت له صحبة قال كان الرجلان من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اذا التقيا لم يتفرقا حتى يقرأ احدهما على الآخر سورة العصر ثم يسلم احدهما على الآخر اخرجه الطبراني في الاوسط والبيهقي في الشعب ١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالْعَصْرِ اقسم سبحانه بالعصر وهو الدهر لما فيه من العبر من جهة مرور الليل والنهار على تقدير الادوار وتعاقب الظلام والضياء فان في ذلك دلالة بينة على الصانع عز وجل وعلى توحيده ويقال لليل عصر وللنهار عصر ويقال للغداة والعشي عصران قال الرازي اقسم تعالى بالدهر لما فيه من الاعاجيب لانه يحصل فيه السراء والضراء والصحة والسقم والغنى والفقر ولان بقية عمر المرء لا قيمة له فلو ضيعت الف سنة فيما لا يعني ثم ثبتت السعادة في اللمحة الاخيرة من العمر بقيت في الجنة ابد الآباد فعلمت ان اشرف الاشياء حياتك في تلك اللمحة فكان الدهر والزمان من جملة اصول النعم ولان الزمان اشرف من المكان فاقسم به لكونه نعمة خالصة لا عيب فيه وقال قتادة والحسن المراد به في الآية العشي وهو ما بين زوال الشمس وغروبها وعن قتادة ايضا انه آخر ساعات من ساعات النهار وقال مقاتل ان المراد به صلوة العصر وهي الصلوة الوسطى التي امر الله سبحانه بالمحافظة عليها وقيل هو قسم بعصر النبي صلى الله عليه وسلم قال الزجاج قال بعضهم معناه ورب العصر والاول اولى وبه قال ابن عباس وعنه هو ساعة من ساعات النهار وقال ايضا هو ما قبل مغيب الشمس من العشي واخرج الفريابي وابو عبيد في فضائله وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن الانباري في المصاحف عن علي بن ابي طالب انه كان يقرأ والعصر ونوائب الدهر ان الانسان لفي خسر وانه فيه الى آخر الدهر وعن ابن مسعود ايضا انه كان يقرأ ان الانسان لفي خسر وانه لفيه الى آخر الدهر اخرجه عبد بن حميد إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ هذا جواب القسم والخسر والخسران النقصان وذهاب راس المال والمعنى ان كل انسان في المتاجر والمساعي وصرف الاعمار في اعمال الدنيا لفي نقص وضلال عن الحق حتى يموت وقيل المراد بالانسان الكافر وقيل جماعة من الكفار وهم الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود

قال الرازي اقسم سبحانه بمكان في قوله لا اقسم بهذا البلد واقسم بعمره في قوله لعمرك انهم ... بعصره في هذه الآية ... قال والعصر ... فاقسم بهذه الثلاثة ... تعظيم الظرف ... من باب اولى ١٢

عبد المطلب بن اسد والاول اولى لما في لفظ الانسان من العموم ولدلالة الاستثناء عليه قال الاخفش في خسر في هلكة وقال الفراء في عقوبة وقال ابن زيد لفي شر وقيل لفي نقص والمعاني متقاربة قرأ الجمهور والعصر بسكون الصاد وقرئ بكسر الصاد وقرأ الجمهور ايضا خسر بضم الخاء وسكون السين وقرئ بضمهما والتنكير في خسر يفيد التعظيم اي في خسر عظيم لا يعلم كنهه الا الله فقد جعل الانسان مغمورا في الخسر للمبالغة وانه احاط به من كل جانب لان كل ساعة تمر بالانسان فان كانت مصروفة الى المعصية فلا شك في الخسران وان كانت مشغولة بالمباحات فالخسران ايضا حاصل وان كانت مشغولة بالطاعات فهي غير متناهية وترك الاعلى والاقتصار على الادنى نوع خسران ولا ينافيه قوله لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم لان الكلام ثم في احوال البدن وهنا في احوال النفس ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ اي جمعوا بين الايمان بالله والعمل الصالح فانهم في ربح لا في خسر لانهم عملوا للآخرة ولم تشغلهم اعمال الدنيا عنها والاستثناء متصل ومن قال ان المراد بالانسان الكافر فقط فيكون منقطعا ويدخل تحت هذا الاستثناء كل مؤمن ومؤمنة ولا وجه لما قيل ان المراد الصحابة او بعضهم فان اللفظ عام لا يخرج عنه احد ممن يتصف بالايمان والعمل الصالح ﴿وَتَوَاصَوْا﴾ اي اوصى بعضهم بعضا ﴿بِالْحَقِّ﴾ الذي يحق القيام به وهو الايمان بالله والتوحيد والقيام بما شرعه الله واجتناب ما نهى عنه قال قتادة بالحق اي بالقرآن وقيل بالتوحيد والحمل على العموم اولى ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ عن معاصي الله سبحانه وعلى فرائضه وعلى البلايا وفي جعل التواصي بالصبر قرينا للتواصي بالحق دليل على عظيم قدره وفخامة شرفه ومزيد ثواب الصابرين على ما يحق الصبر عليه ان الله مع الصابرين وايضا التواصي بالصبر مما يندرج تحت التواصي بالحق فافراده بالذكر وتخصيصه بالنص عليه من اعظم الادلة الدالة على انافته على خصال الحق ومزيد شرفه عليها وارتفاع طبقته عنها وكرر الفعل لاختلاف المفعولين

سورة الهمزة هي تسع آيات وهي مكية بلا خلاف

قال ابن عباس انزلت بمكة وقال المحلي ومدنية والاول اولى

بسم الله الرحمن الرحيم

اشارة الى ان تواصوا فعل ماض لا امر

﴿وَيْلٌ﴾ هو مرتفع على الابتداء وسوغ الابتداء به مع كونه نكرة كونه دعاء عليهم وخبره ﴿لِكُلِّ هُمَزَةٍ
لُمَزَةٍ﴾ والمعنى خزي او عذاب او هلكة او واد في جهنم لكل همزة لمزة والتاء فيهما للمبالغة في الوصف
وقد اطرد ان بناء فعلة لمبالغة الفاعل اي المكثر لما اخذ الاشتقاق واذا سكنت العين يكون لمبالغة
المفعول يقال رجل لعنة بفتح العين لمن كان يكثر لعن غيره ولعنة بسكون العين اذا كان ملعونا للناس
يكثرون لعنه قال ابو عبيدة والزجاج الهمزة اللمزة الذي يغتاب الناس وعلى هذا هما بمعنى وقال ابو العالية
والحسن ومجاهد وعطاء بن ابي رباح الهمزة الذي يغتاب الرجل في وجهه واللمزة الذي يغتابه
من خلفه وقال قتادة عكس هذا وروي عن قتادة ومجاهد ايضا ان الهمزة الذي يغتاب الناس في
انسابهم وعن مجاهد ايضا ان الهمزة الذي يهمز الناس بيده واللمزة الذي يلمزهم بلسانه وقال
سفيان الثوري يهمزهم بلسانه ويلمزهم بعينه وقال ابن كيسان الهمزة الذي يوذي جلساءه
بسوء اللفظ واللمزة الذي يكسر عينه على جليسه ويشير بيده وبراسه وبحاجبه وقيل هم المشاؤن
بالنميمة المفرقون بين الاحبة الباغون للبرئ العيب وحاصل هذه الاقاويل يرجع الى اصل واحد
وهو الطعن واظهار العيب ويدخل في ذلك من يحاكي الناس في اقوالهم وافعالهم واصواتهم ليضحكوا منه
والاول اولى واصل الهمز الكسر يقال همز راسه كسره وقيل اصل الهمز واللمز الضرب والدفع يقال همزه يهمزه
همزا ولمزه يلمزه لمزا اذا دفعه وضربه قرأ الجمهور همزة لمزة بضم اولهما وفتح الميم فيهما وقرئ بسكون الميم
فيهما وقرأ ابو وائل والنخعي والاعمش ويل للهمزة اللمزة والآية تعم كل من كان متصفا بذلك ولا ينافيه نزولها
على سبب خاص فان الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وعن ابن عباس انه سئل عن همزة لمزة
قال هو المشاء بالنميمة المفرق بين الجمع المغري بين الاخوان وعنه قال همزة طعان ولمزة مغتاب ﴿الَّذِي
جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾ بدل من كل او في محل نصب على الذم وهذا ارجح لان البدل يستلزم
ان يكون المبدل منه في حكم الطرح او تعليل لما قبله وانما وصفه سبحانه بهذا الوصف لانه يجري مجرى
السبب والعلة في الهمز واللمز وهو اعجابه بما جمع من المال وظنه انه الفضل فلاجل ذلك يستنقص غيره
قرأ الجمهور جمع مخففا وقرئ مثقلا قال الرازي الفرق ان التشديد يفيد انه جمعه من ههنا ومن ههنا
ولم يجمعه في يوم واحد ولا في يومين ولا في شهر ولا في شهرين وان التخفيف لا يفيد ذلك وتنكير مالا للتفخيم
اي مالا بلغ في الخبث والفساد اقصى النهايات فكيف يليق بالعاقل ان يفتخر به وقرأ الجمهور وعدده

مشدداً وقرئ بالتخفيف والتشديد في الكلمتين يدل على التكثير وهو جمع الشيء بعد الشيء و
تعديده مرة بعد اخرى قال الفراء معنى عدده احصاه فهو ماخوذ من العدد وقال الزجاج وعدده
لنوائب الدهر يقال اعددت الشيء وعددته اذا امسكته قال السدي احصى عدده وقال الضحاك
اعد ماله لمن يرثه وقيل المعنى فاخر بكثرته وعدده والمقصود ذمه على جمع المال وامساكه وعدم
انفاقه في سبيل الخير وقيل المعنى على قراءة التخفيف في عدده انه جمع عشيرته واقاربه قال المهدوي
من خفف عدده فهو معطوف على المال اي وجمع عدده وجملة يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ مستأنفة
لتقرير ما قبلها ويجوز ان تكون في محل النصب على الحال من فاعل جمع اي يعمل عمل من يظن ان ماله يتركه
حياً مخلداً لا يموت واخلده ماض معناه المضارع اي يخلده وقال عكرمة يحسب ان ماله يزيد في عمره
والاظهار في موضع الاضمار للتقريع والتوبيخ وقيل هو تعريض بالعمل الصالح وانه الذي يخلد صاحبه
في الحيوة الابدية لا المال والخلد بالضم البقاء والدوام وبابه دخل واخلده الله وخلده تخليداً .
كَلَّا ردع له عن ذلك الحسبان اي ليس الامر كما يحسبه هذا الذي جمع المال وعدده او معناه
حقاً لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ اللام جواب قسم محذوف اي ليطرحن في النار وليلقين فيها قرأ الجمهور
لينبذن وقرئ لينبذان بالتثنية اي لينبذن هو وماله في النار وقرئ لَيُنْبَذُنَّ اي لينبذن ماله
في النار والمعنى تحطم وتكسر كل ما يلقى فيها ففي الحطمة مماثلة لعمله لفظاً ومعنى لانها على وزن همزة لمزة و
فيهما كسر كما فيها وحطمه من باب ضرب والتحطيم التكسير والحطمة من اسماء النار لانها تحطم ما تلتقم وَمَا
أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ هذا الاستفهام للتهويل والتفظيع حتى كانها ليست مما تدركه العقول وتبلغه
الافهام قيل هي الطبقة السادسة من طبقات جهنم وقيل الطبقة الثانية منها وقيل الطبقة الرابعة
ثم بينها سبحانه فقال نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ بامر الله سبحانه التي لا تخمد ابداً او وجب وتحتم ايقادها وفي
اضافتها الى الاسم الشريف تعظيم لها وتفخيم وكذلك في وصفها بالايقاد الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ
اي يخلص حرها الى القلوب فيعلوها ويغشاها وخص الافئدة بالذكر مع كونها تغشى جميع ابدانهم لانها
محل العقائد الزائغة والنيات الخبيثة ومنشأ الاعمال السيئة او لكون الالم اذا وصل اليها مات صاحبها
لان الفؤاد الطف ما في الجسد واشد تالماً بادنى اذى يمسه اي انهم في حال من يموت وهم لا يموتون كما
قال تعالى لا يموت فيها ولا يحيى وقيل المعنى انها تطلع على مقدار ما يستحقه كل واحد من العذاب وذلك بامارات عرفها

الله بها إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ أي مطبقة مغلقة كما تقدم بيانه في سورة البلد يقال أصدت الباب إذا أغلقته وقال ابن عباس مطبقة وجمع الضمير في عليهم رعاية لمعنى كل فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ في محل نصب على الحال من الضمير في عليهم أي كائنين في عمد ممددة موثقين فيها أو في محل رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هم في عمد أو صفة لمؤصدة أي مؤصدة بعمد ممددة قال مقاتل أطبقت الأبواب عليهم ثم شدت بأوتاد من حديد فلا يفتح عليهم باب ولا يدخل عليهم روح ومعنى كون العمد ممددة أنها مطولة وهي أرسخ من القصيرة وقيل العمد أغلال في جهنم وقيل القيود وقال قتادة المعنى هم في عمد يعذبون بها واختار هذا ابن جرير قرأ الجمهور عمد بفتح العين والميم وقيل هو اسم جمع لعمود وقيل جمع له قال الفراء هي جمع لعمود كأديم وأدم وقال أبو عبيدة هي جمع عماد وقرئ بضم العين والميم جمع عمود قال الفراء هما جمعان صحيحان لعمود واختار أبو عبيد وأبو حاتم قراءة الجمهور قال الجوهري العمود عمود البيت وجمع القلة أعمدة وجمع الكثرة عمد وعمد وقرئ بهما وهما سبعيتان قال أبو عبيدة العمود كل مستطيل من خشب أو حديد قال ابن عباس عمد من نار وقال ابن مسعود هي الأدهم وعن ابن عباس أيضا الأبواب هي الممدودة وعنه قال أدخلهم في عمد فمدت عليهم في أعناقهم فسدت بها الأبواب قال ابن جزي المعنى أن أبواب جهنم أغلقت عليهم بعمد ممدودة على أبوابها عمد تشديدا في الإغلاق وقيل معناه في دهر ممدود طويل لا انقطاع له قال القشيري إن العمد أوتاد الأطباق التي تطبق على أهل النار تشد تلك الأطباق حتى يرجع عليهم غمها وحرها فلا يدخل عليهم روح

سورة الفيل هي خمس آيات وهي مكية بلا خلاف وقال ابن عباس نزلت بمكة

بسم الله الرحمن الرحيم

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ الاستفهام لتقرير رؤيته صلى الله عليه وسلم بإنكار عدمها والمراد بالرؤية هنا رؤية القلب وهي العلم عبر عنه بالرؤية لكونه علما ضروريا مساويا في القوة والجلاء للمشاهدة والعيان وحذفت الألف من تر للجازم قال الفراء المعنى ألم تخبر وقال الزجاج ألم تعلم وهو تعجيب له صلى الله عليه وسلم بما فعله الله بِأَصْحَابِ الْفِيلِ الذين قصدوا تخريب الكعبة من الحبشة وكيف

كيف منصوبة بالفعل الذي بعدها ومعلقة بفعل الرؤية. فتح

منصوب على المصدرية او الحالية واختار الاول ابن هشام في المغني والمعنى اي فعل فعل واما نصبه على الحالية من الفاعل فممتنع لان فيه وصفه تعالى بالكيفية وهو غير جائز والجملة سدت مسد مفعولي ترى والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يكون لكل من يصلح له

والمعنى قد علمت يا محمد او علم الناس الموجودون في عصرك ومن بعدهم بما بلغكم من الاخبار المتواترة من قصة اصحاب الفيل وما فعل الله بهم فما لكم لا تؤمنون وصاحب الفيل ابرهة ملك اليمن واسمه الاشرم سمي بذلك لان اباه ضربه بحربة فشرم انفه وجبينه قاله الطيبي وابرهة لقب لكل من فيه بياض وكان نصرانيا والفيل هو الحيوان المعروف وجمعه فيول وافيال وفيلة قال ابن السكيت ولا تقول افيلة وصاحبه فيال وكانت الفيلة ثلاثة عشر وانما وحد لانه نسبهم الى الفيل الاعظم الذي كان يقال له محمود وهو الذي برك وضرب في راسه وقيل انما وحده موافقة لرؤس الاي وعن ابن عباس قال جاء اصحاب الفيل حتى نزلوا الصفاح فاتاهم عبد المطلب فقال ان هذا بيت الله لم يسلط عليه احد قالوا لا نرجع حتى نهدمه وكانوا لا يقدمون فيلهم الا تاخر فدعى الله الطير الابابيل فاعطاها حجارة سوداء عليها الطين فلما حاذتهم رمتهم فما بقي منهم احد الا اخذته الحكة وكان لا يحك انسان منهم جلده الا تساقط لحمه اخرجه ابن المنذر وعبد بن حميد وابو نعيم والبيهقي الم يجعل كيدهم اي مكرهم وسعيهم في تخريب الكعبة وهدمها واستباحة اهلها في تضليل اي في خسار وهلاك عما قصدوا اليه حتى لم يصلوا الى البيت ولا الى ما ارادوا بكيدهم والهمزة للتقرير كما سبق قد جعل كيدهم في تضليل والكيد هو ارادة المضرة بالغير لانهم ارادوا ان يكيدوا قريشا بالقتل والسبي ويكيدوا البيت الحرام بالتخريب والهدم قال ابن عباس اقبل اصحاب الفيل حتى اذا دنوا من مكة استقبلهم عبد المطلب فقال لملكهم ما جاء بك الينا الا بعثت فناتيك بكل شيء فقال اخبرت بهذا البيت الذي لا يدخله احد الا امن فجئت اخيف اهله فقال انا ناتيك بكل شيء تريد فارجع فابى الا ان يدخله وانطلق يسير نحوه وتخلف عبد المطلب فقام على جبل فقال لا اشهد مهلك هذا البيت واهله فاقبلت مثل السحابة من نحو البحر حتى اظلتهم طير ابابيل التي قال الله ترميهم بحجارة من سجيل فجعل الفيل يعج عجا فجعلهم كعصف ماكول

اخرجه البيهقي وابن المنذر والحاكم وغيرهم وقصة اصحاب الفيل مبسوطة في كتب التفسير والتاريخ والسير فلا نطول بذكرها وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ عطف على الم يجعل لان الاستفهام فيه للتقرير فكان المعنى قد جعل ذلك وارسل طَيْرًا هو اسم جنس يذكر ويؤنث أَبَابِيلَ نعت لطير لانه اسم جمع اي اقاطيع يتبع بعضها بعضا كالابل المؤبلة قرجعوا هاربين يتساقطون بكل طريق وكان هلاكهم قرب عرفة قبل دخول الحرم على الاصح وقال جماعة بوادي محسر بين مزدلفة ومنى قال ابن حجر قال ابو عبيدة ابابيل جماعات في تفرقة يقال جاءت الخيل ابابيل اي جماعات من ههنا وههنا قال النحاس وحقيقته انها جماعات عظام يقال فلان يؤبل على فلان اي يعظم عليه ويكبر هو مشتق من الابل وهو من الجمع الذي لا واحد له وقال بعضهم واحده ابول بكسر الهمزة مثل عجول وقال بعضهم ابيل كسكين قال الواحدي ولم نر احدا يجعل لها واحدا قال الفراء لا واحد له من لفظه وزعم الرواسي وكان ثقة انه سمع في واحدها ابالة مشددا وحكى الفراء ايضا ابالة بالتخفيف قال سعيد بن جبير كانت طيرا من السماء لم ير قبلها ولا بعدها قال قتادة هي طير سود جاءت من قبل البحر فوجا فوجا مع كل طائر ثلثة احجار حجران في رجليه وحجر في منقاره لا يصيب شيئا الا هشمه وقيل كانت طيرا خضرا خرجت من البحر لها رؤس كرؤس السباع وقيل كان لها خراطيم كخراطيم الطير واكف كاكف الكلاب وقيل انها العنقاء المغرب التي تضرب بها الامثال وقيل في صفتها غير ذلك والعرب تستعمل الابابيل في الطير وفي غير الطير ولما تم هلاكهم رجعت الطير من حيث جاءت تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ قرأ الجمهور بالفوقية وقرأ ابو حنيفة وابو معمر وعيسى وطلحة بالتحتية واسم الجمع يذكر ويؤنث وقيل الضمير في القراءة الثانية لله عز وجل والجملة في محل نصب صفة اخرى لطير قال الزجاج من سجيل اي مما كتب عليهم العذاب به مشتقا من السجل قال في الصحاح قالوا هي حجارة من طين طبخت بنار جهنم مكتوب فيها اسماء القوم واصله سنك وكل وقيل السجيل الشديد وقال عبد الرحمن بن ابزى من سجيل من السماء وهي الحجارة التي نزلت على قوم لوط وقيل من الجحيم التي هي سجين ثم ابدلت النون لاما قال عكرمة كانت ترميهم بحجارة معها فاذا اصاب احدهم حجر منها خرج به الجدري وكان الحجر كالحمصة وفوق العدسة وقد قدمنا الكلام في سجيل في سورة هود وعن ابن عباس قال حجارة كالبندق وبها نضح حمرة مختمة مع كل طائر ثلثة احجار

تامل من هو هو الكاتب وهل كان الطائر الذي يحمل حجر بقدر ما يمكن ان يحمل مخصوصا بمن اجل ذلك وقد كان كذلك فهل كان ادراك لمثل هذا المعنى من الكتابة المذكورة او مجرد الالهام ٢ حسن

حجران في رجليه وحجر في منقاره حلقت عليهم من السماء ثم ارسلت عليهم تلك الحجارة فلم تعد عسكرهم وعنه ان ابرهة الاشرم قدم من اليمن يريد هدم الكعبة فارسل الله عليهم طيرا ابابيل يريد مجتمعة لها خراطيم تحمل حصاتين في رجليها وحصاة في منقارها ترسل واحدة على راس الرجل فيسيل لحمه ودمه وبقي عظاما خاوية لا لحم عليه ولا جلد ولا دم فجعلهم كعصف مأكول اي جعل الله اصحاب الفيل كورق الزرع اذا اكلته الدواب فرمت به من اسفل شبه لقطع اوصالهم بتفرق اجزائه وقيل المعنى انهم صاروا كورق زرع قد اكلت منه الدواب وبقي منه بقايا او كلت حبه فيبقى بدون حبه والعصف جمع عصفة وعصافة وعصيفة وقد قدمنا الكلام في العصف في سورة الرحمن فارجع اليه قال ابن عباس يقول كالتبن وعن عايشة قالت لقد رايت قائد الفيل وسائسه بمكة اعميين مقعدين يستطعمان ونحوه عن اسماء بنت ابي بكر وعن ابن عباس قال ولد النبي صلى الله عليه وسلم عام الفيل قال القرطبي اي قبل مولده بخمسين يوما قال الخازن وهذا هو القول الاصح فانهم يقولون ولد عام الفيل ويجعلونه تاريخا لمولده صلعم وعن قيس بن مخرمة قال ولدت انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل وقيل كان عام الفيل قبل ولادته صلعم باربعين سنة وقيل بثلاث وعشرين سنة وقيل غير ذلك

سورة قريش ويقال سورة لايلاف وهي اربع آيات وهي مكية عند الجمهور

وقال الضحاك والكلبي هي مدنية والاول اصح قال ابن عباس نزلت بمكة وعن ام هانئ بنت ابي طالب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضل الله قريشا بسبع خصال لم يعطها احد قبلهم ولا يعطيها احد بعدهم اني فيهم وفي لفظ النبوة فيهم والخلافة فيهم والحجابة فيهم والسقاية فيهم ونصروا على الفيل وعبدوا الله سبع سنين وفي لفظ عشر سنين لم يعبده احد غيرهم ونزلت فيهم سورة من القران لم يذكر فيها احد غيرهم لايلاف قريش اخرجه البخاري في تاريخه و الطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي قال ابن كثير هو حديث غريب ويشهد له ما اخرجه الطبراني في الاوسط وابن مردويه وابن عساكر عن الزبير بن العوام قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل الله قريشا سبع خصال فضلهم بانهم عبدوا الله عشر سنين لا يعبده الا قرشي وفضلهم بانه

٤ع ١

قال الشيخ ولم يقل فجعلهم كورق ذي وشيئا حفظا للفظ الروي من الهجنة والشناعة منه

نصرهم يوم الفيل وهم مشركون وفضلهم بانها نزلت فيهم سورة من القرآن لم يدخل فيها
احد من العالمين غيرهم وهي لايلاف قريش وفضلهم بان فيهم النبوة والخلافة والسقاية
واخرج الخطيب في تاريخه عن سعيد بن المسيب مرفوعاً نحوه وهو مرسل

بسم الله الرحمن الرحيم

لايلاف قريش اللام قيل متعلقة بآخر السورة التي قبلها كانه قال سبحانه اهلكت اصحاب الفيل
لاجل تالف قريش قال الفراء هذه السورة متصلة بالسورة الاولى لانه ذكر سبحانه اهل مكة
بعظيم نعمته عليهم فيما فعل بالحبشة ثم قال لايلاف قريش اي فعلنا ذلك باصحاب الفيل
نعمة منا على قريش وذلك ان قريشا كانت تخرج في تجارتها فلا يغار عليها في الجاهلية يقولون
هم اهل بيت الله عز وجل حتى جاء صاحب الفيل ليهدم الكعبة ويأخذ تجارتها فيبني بها بيتا في اليمن
يحج الناس اليه فاهلكهم الله عز وجل فذكرهم نعمته اي فعل ذلك لايلاف قريش اي ليألفوا
الخروج ولا يجترأ عليهم وذكر نحو هذا ابن قتيبة قال الزجاج والمعنى فجعلهم كعصف مأكول لايلاف
قريش اي اهلك الله اصحاب الفيل لتبقى قريش وما قد الفوا من رحلة الشتاء والصيف ولهذا جعل
ابي بن كعب هذه السورة وسورة الفيل واحدة ولم يفصل بينهما في مصحفه بالبسملة والذي عليه الجمهور
من الصحابة وغيرهم وهو المستفيض المشهور ان هذه السورة منفصلة عن سورة الفيل وانه لا تعلق
بينهما وقال في الكشاف ان اللام متعلقة بقوله فليعبدوا امرهم ان يعبدوه لاجل ايلافهم الرحلتين
ودخلت الفاء لما في الكلام من معنى الشرط لان المعنى اما لا فليعبدوه وقد تقدم صاحب الكشاف
الى هذا القول الخليل بن احمد والمعنى ان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه النعمة الجليلة
وقال الكسائي والاخفش اللام لام التعجب اي اعجبوا لايلاف قريش وقيل هي بمعنى الى وقرئ لالف
وقرئ ليالف بفتح اللام على انها لام الامر وكذلك هو في مصحف ابن مسعود وفتح لام الامر لغة معروفة
قال سليمان الجمل قرأ ابن عامر لالاف قريش دون ياء قبل اللام الثانية والباقون لايلاف بياء قبلها
واجمع الكل على اثبات الياء في الثاني وهو ايلافهم ومن غريب ما اتفق في هذين الحرفين ان القراء
اختلفوا في سقوط الياء وثبوتها في الاول مع اتفاق المصاحف على اثباتها خطاً واتفقوا على اثبات

قال الخازن واجيب عن مذهب ابي بن كعب في جعله السورتين سورة واحدة بان القرآن كالسورة الواحدة يتصل بعضه ببعض ويبين بعضه معنى بعض وهو معارض ايضا باطباق الصحابة وغيرهم على الفصل بينهما وانهما سورتان اه الفتوحات اه

وقد جمع بين القراءتين الشاعر فقال * زعمتم ان اخوتكم قريش * لهم الف وليس لكم الاف *

الياسين الثاني مع أنه في الثالث مما جمعنا على سقوطهما منه خطا فهو أدل دليل على أن القراء متبعون
للأثر والرواية لا لمجرد الخط انتهى. وقريش هم بنو النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس
بن مضر فكل من كان من ولد النضر فهو قرشي ومن لم يلده النضر فليس بقرشي وقريش يأتي منصرفا
ان اريد به الحي وغير منصرف ان اريد به القبيلة وقيل ان قريشا بنو فهر بن مالك بن النضر
والأول أصح وقوله إيلافهم تأكيد لفظي للأول للاتصال بضمير ما أضيف إليه الأول وقيل هو بدل
لأنه اطلق المبدل منه وقيد البدل بالمفعول وهو قوله رحلة الشتاء والصيف لما فيه من
الابهام في المبدل منه ثم التبيين في البدل وانما أفرد الرحلة ولم يقل رحلتي الشتاء لأمن الالباس
وقيل ان رحلة منصوبة بمصدر مقدر اي ارتحالهم رحلة الشتاء وقيل منصوبة على الظرفية
والرحلة الارتحال وكانت احدى الرحلتين الى اليمن في الشتاء لانها بلاد حارة والرحلة الأخرى
الى الشام في الصيف لأنها بلاد باردة وروي انهم كانوا يشتون بمكة ويصيفون في الطائف والأول
أولى فان ارتحال قريش للتجارة معلوم معروف في الجاهلية والاسلام قال ابن قتيبة انما كانت
تعيش قريش بالتجارة وكانت لهم رحلتان في كل سنة رحلة في الشتاء الى اليمن ورحلة في الصيف
الى الشام ولولا هاتان الرحلتان لم يكن بها مقام ولولا الأمن بجوارهم البيت لم يقدروا على
التصرف قال ابن عباس في الآية نعمتي على قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف كانوا يشتون بمكة
ويصيفون بالطائف وعنه قال ايلافهم لزومهم وقيل رحلة اسم جنس وكانت لهم اربع رحلات
وجعله بعضهم غلطا وليس كذلك وأول من سن لهم الرحلة هاشم بن عبد مناف فليعبدوا
رب هذا البيت أمرهم سبحانه بعبادته بعد أن ذكر لهم ما أنعم به عليهم أي ان لم يعبدوه
لسائر نعمه فليعبدوه لهذه النعمة الخاصة المذكورة والبيت الكعبة وعرفهم سبحانه بأنه رب
هذا البيت لأنها كانت لهم أوثان يعبدونها فميز نفسه عنها وقيل لأنهم شرفوا بالبيت على سائر
العرب فذكر لهم ذلك تذكيرا لنعمته الذي أطعمهم من جوع أي أطعمهم بسبب تينك
الرحلتين من جوع شديد كانوا فيه قبلهما وقيل ان هذا الاطعام هو أنهم لما كذبوا النبي صلى الله عليه وسلم
دعا عليهم فقال اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف فاشتد القحط فقالوا يا محمد ادع الله
لنا فانا مؤمنون فدعا فأخصبوا وزال عنهم الجوع وارتفع القحط قال ابن عباس يعني قريشا

اهل مكة بدعوة ابراهيم حيث قال وارزق اهله من الثمرات وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ اي من خوف شديد كانوا فيه قال ابن زيد كانت العرب يغير بعضها على بعض ويسبي بعضها بعضا فامنت قريش من ذلك لمكان الحرم وقال الضحاك والربيع وشريك وسفيان امنهم من خوف الحبشة مع الفيل وقال ابن عباس من الجذام وعنه في الاية قال امنهم من خوف حيث قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد امنا قال ابن عباس نهاهم عن الرحلة وامرهم ان يعبدوا رب هذا البيت وكفاهم المؤنة وكانت رحلتهم في الشتاء والصيف فلم تكن لهم راحة في شتاء ولا صيف فاطعمهم الله بعد ذلك من جوع وامنهم من خوف وكان ذلك من نعمة الله عليهم وعنه قال امروا ان يالفوا عبادة رب هذا البيت كالفهم رحلة الشتاء والصيف وقد وردت احاديث في فضل قريش ان الناس تبع لهم في الخير والشر وان هذا الامر يعني الخلافة لا يزال فيهم ما بقي منهم اثنان وهي في دواوين الاسلام

سورة ارايت ويقال لها سورة الدين وسورة الماعون وسورة اليتيم سبع ايات او ست

وهي مكية في قول عطاء وجابر واحد قولي ابن عباس ومدنية في قول قتادة وآخرين وعن ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله وقيل نصفها الاول مكي ونصفها الثاني مدني والاول في العاص بن وائل والثاني في عبد الله بن ابي بن سلول وقال مقاتل والكلبي نزلت في العاص بن وائل السهمي وقال السدي في الوليد بن المغيرة وقال الضحاك في عمرو بن عائذ وقال ابن جريج في ابي سفيان وقيل في رجل من المنافقين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَرَأَيْتَ الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اولكل من يصلح له والاستفهام لقصد التعجيب من حال الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ اي بالجزاء والحساب في الاخرة وقال ابن عباس بحكم الله قرأ الجمهور ارايت باثبات الهمزة الثانية وقرئ باسقاطها قال الزجاج لا يقال في رايت ريت ولكن الف الاستفهام سهلت الهمزة الفا والرؤية بمعنى المعرفة وقيل هي البصرية فتتعدى الى مفعول واحد وهو الموصول اي ابصرت المكذب وقيل انها بمعنى اخبرني فتتعدى الى مفعولين الثاني محذوف اي من هو والاول اولى

قيل وفي الكلام حذف والمعنى ارايت الذي يكذب بالدين امصيب هو ام مخطئ ﴿فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾ الفاء جواب شرط مقدر اي ان تاملته او طلبته فذلك الخ ويجوز ان تكون عاطفة على الذي يكذب اما عطف ذات على ذات او صفة على صفة فعلى الاول يكون اسم الاشارة مبتدأ وخبره الموصول او خبر لمبتدء محذوف اي فهو ذلك والموصول صفته وعلى الثاني يكون في محل نصب لعطفه على الموصول الذي هو في محل نصب ومعنى يدع يدفع دفعا بعنف وجفوة اي يدفع اليتيم عن حقه دفعا شديدا ومنه قوله سبحانه يوم يدعون الى نار جهنم دعا وقد كانوا لا يورثون النساء والصبيان قال ابن عباس يدفعه عن حقه ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ اي لا يحض نفسه ولا اهله ولا غيرهم على ذلك بخلا بالمال او تكذيبا بالجزاء وهو مثل قوله في سورة الحاقة ولا يحض على طعام المسكين ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾ الفاء جواب لشرط محذوف كانه قيل اذا كان ما ذكر من عدم المبالاة باليتيم والمسكين فويل لهم ووضع المصلين موضع لهم للتوسل بذلك الى بيان ان لهم قبائح أخر غير ما ذكر والمعنى عذاب لهم او هلاك او واد في جهنم لهم كما سبق الخلاف في معنى الويل ويجوز ان يكون الفاء لترتيب الدعاء عليهم بالويل على ما ذكر من قبائحهم ﴿الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ اي غافلون غير مبالين وانما عبر بعن دون في لان صلوة المؤمن لا تخلو عن سهو بدليل وقوعه للانبياء ولان المراد السهو عن الصلوة بتاخيرها عن وقتها لا السهو فيها قال الواحدي نزلت في المنافقين الذين لا يرجون بصلاتهم ثوابا ان صلوا ولا يخافون عليها عقابا ان تركوا فهم عنها غافلون حتى يذهب وقتها واذا كانوا مع المؤمنين صلوا رياء واذا لم يكونوا معهم لم يصلوا قال النخعي الذين هم عن صلاتهم ساهون هو الذي اذا سجد قال براسه هكذا وهكذا ملتفتا وقال قطرب هو الذي لا يقرأ ولا يذكر الله وقرأ ابن مسعود لاهون مكان ساهون قال ابن عباس هم المنافقون يتركون الصلوة في السر ويصلونها في العلانية عن مصعب بن سعد قال قلت لابي ارايت قول الله الذين هم عن صلاتهم ساهون اينا لا يسهو اينا لا يحدث نفسه قال انه ليس كذلك انه اضاعة الوقت وعن سعد بن ابي وقاص قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الآية قال هم الذين يؤخرون الصلوة عن وقتها قال الحاكم والبيهقي الموقوف اصح اسنادا قال ابن كثير وضعف البيهقي رفعه وصحح وقفه وكذلك الحاكم وعن ابي برزة الاسلمي قال لما نزلت

هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر هذه الآية خير لكم من ان يعطى كل رجل منكم
جميع الدنيا هو الذي ان صلى لم يرج خير صلاته وان تركها لم يخف ربه رواه ابن جرير وابن مردويه
قال السيوطي بسند ضعيف في اسناده جابر الجعفي وهو ضعيف وشيخه مبهم لم يسم وعن ابن عباس
قال هم الذين يؤخرونها عن وقتها الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ الناس بصلاتهم ان صلوا او يراؤن الناس
بكل ما عملوه من اعمال البر ليثنوا عليهم قال ابن عباس هم المنافقون يراؤن الناس بصلاتهم
اذا حضروا ويتركونها اذا غابوا قال الخازن اما من يظهر النوافل ليقتدى
به ويأمن على نفسه من الرياء فلا بأس بذلك وليس بمراء وَيَمْنَعُونَ
الناس او الطالبين الْمَاعُونَ فاعول من المعن وهو الشيء القليل يقال مال معن اي قليل قاله
قطرب او اسم مفعول من اعانه يعينه والاصل معوون وكان من حقه على هذا ان يقال
معون كمصون ومقول اسمي مفعول من صان وقال ولكنه قلبت الكلمة بان قدمت عينها
قبل فائها فصار موعون ثم قلبت الواو الاولى الفا فوزنه الآن مفعول قال اكثر المفسرين الماعون
اسم لما يتعاوره الناس بينهم من الدلو والفاس والقدر وما لا يمنع كالماء والملح وقيل هو الزكوة
اي يمنعون زكوة اموالهم قال الزجاج وابو عبيدة والمبرد الماعون في الجاهلية كل ما فيه منفعة
حتى الفاس والدلو والقدر والقداحة وكل ما فيه منفعة من قليل وكثير وقال ايضا الماعون
في الاسلام الطاعة والزكوة وقال الفراء سمعت بعض العرب يقول الماعون الماء وقيل الماعون
هو الحق على العبد على العموم وقيل هو المستغل من منافع الاموال مأخوذ من المعن وهو القليل،
قال قطرب اصل الماعون من القلة والمعن الشيء القليل فسمى الله الصدقة والزكوة ونحو ذلك
من المعروف ماعونا لانه قليل من كثير وقيل هو ما لا يبخل به كالماء والملح والنار وعن ابن مسعود
قال كنا نعد الماعون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عارية الدلو والقدر والفاس والميزان وما
تتعاطون بينكم وعنه قال كان المسلمون يستعيرون من المنافقين القدر والفاس وشبهه
فيمنعونهم فانزل الله ويمنعون الماعون وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في الآية قال ما تعاون
الناس بينهم الفاس والقدر والدلو واشباهه اخرجه ابو نعيم والديلمي وابن عساكر وعن قرة
بن دعموص النميري انهم وفدوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ما تعهد الينا قال لا تمنعوا

ع

الماعون قالوا وما الماعون قال في الحجر والحديدة وفي الماء قالوا فأي الحديدة قال قدوركم النحاس وحديد الفاس الذي تمتهنون به قالوا وما الحجر قال قدوركم الحجارة اخرجه ابن ابي حاتم وابن مردويه قال ابن كثير غريب جداً ورفعه منكر وفي اسناده من لا يعرف وعن سعيد بن عياض عن اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الماعون الفاس والقدر والدلو وقال ابن عباس عارية متاع البيت وعن علي بن ابي طالب قال الماعون الزكوة المفروضة يراؤن بصلاتهم ويمنعون زكاتهم

سورة الكوثر وتسمى سورة النحر هي ثلث آيات وهي مكية

في قول ابن عباس والكلبي ومقاتل ومدنية في قول الحسن وعكرمة ومجاهد وقتادة وعن ابن عباس وابن الزبير وعايشة انها نزلت سورة الكوثر بمكة

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ قرأ الجمهور هكذا وقرأ الحسن وابن محيصن وطلحة والزعفراني انطيناك بالنون قيل هي لغة العرب العاربة اي قضيناك وخصصناك به فهو لك ولامتك من قبل وجودك وان لم تستول عليه وتتصرف فيه الا في القيامة فالعطاء تجوز التمكن والاستيلاء مستقبل والكوثر فوعل من الكثرة وصف به للمبالغة في الكثرة مثل النوفل من النفل والجوهر من الجهر والعرب تسمي كل شيء كثير في العدد او القدرة او الخطر كوثرا فالمعنى على هذا انا اعطيناك يا محمد الخير الكثير البالغ في الكثرة الى الغاية وذهب اكثر المفسرين كما حكاه الواحدي الى ان الكوثر نهر في الجنة وقيل هو حوض النبي صلى الله عليه وسلم في الموقف قاله عطاء وقال عكرمة الكوثر النبوة وقال الحسن هو القرآن وقال الحسن بن الفضل هو تفسير القرآن وتخفيف الشرائع وقال ابو بكر بن عياش هو كثرة الاصحاب والامة وقال ابن كيسان هو الايثار وقيل هو الاسلام وقيل رفعة الذكر وقيل نور القلب وقيل الشفاعة وقيل المعجزات وقيل اجابة الدعوة وقيل لا اله الا الله وقيل الفقه في الدين وقيل الصلوات الخمس وسيأتي بيان ما هو الحق وعن انس قال اغفى رسول الله اغفاءة فرفع راسه متبسما فقال انه انزل علي آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر حتى ختمها قال هل تدرون ما الكوثر قالوا الله ورسوله اعلم قال هو نهر اعطانيه ربي في الجنة عليه خير كثير ترد عليه امتي يوم القيامة

آنيته كعدد الكواكب يختلج العبد منهم فأقول يا رب إنه من أمتي فيقال إنك لا تدري ما أحدث
بعدك أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في سننه وأخرجه
أيضا مسلم في صحيحه وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فإذا أنا بنهر حافتاه خيام اللؤلؤ
فضربت بيدي إلى ما يجري فيه الماء فإذا مسك أذفر قلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي
أعطاكه الله أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما وقد روي عن أنس من طرق كلها مصرحة بأن
الكوثر هو النهر الذي في الجنة وعن عائشة قالت هو نهر أعطيه نبيكم صلى الله عليه وسلم في بطنان الجنة
وعن ابن عباس أنه نهر في الجنة وعن حذيفة قال نهر في الجنة وحسن السيوطي إسناده وعن
أسامة بن زيد مرفوعا أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إنك أعطيت نهرا في الجنة يدعى الكوثر فقال
أجل وأرضه ياقوت ومرجان وزبرجد ولؤلؤ أخرجه ابن جرير وابن مردويه وعن عمرو بن
شعيب عن أبيه عن جده أن رجلا قال يا رسول الله ما الكوثر قال هو نهر من أنهار الجنة أعطانيه الله
أخرجه ابن مردويه فهذه الأحاديث تدل على أن الكوثر هو النهر الذي في الجنة فيتعين المصير إليها
وعدم التعويل على غيرها وإن كان معنى الكوثر هو الخير الكثير في لغة العرب فمن فسره بما هو أعم
مما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم فهو تفسير ناظر إلى المعنى اللغوي كما أخرج أحمد والترمذي وصححه وابن ماجه
وغيرهم عن عطاء بن السائب قال قال محارب بن دثار قال سعيد بن جبير في الكوثر قلت حدثنا
عن ابن عباس أنه قال هو الخير الكثير فقال صدق إنه للخير الكثير ولكن حدثنا ابن عمر قال نزلت
إنا أعطيناك الكوثر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب يجري على
الدر والياقوت تربته أطيب من المسك وماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وأخرج
البخاري وابن جرير والحاكم من طريق أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال في الكوثر
هو الخير الذي أعطاه الله إياه قال أبو بشر قلت لسعيد بن جبير فإن ناسا يزعمون أنه نهر في الجنة
قال النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه وهذا التفسير من حبر الأمة ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما ناظر إلى المعنى اللغوي كما عرفناك ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فسره فيما صح عنه
أنه النهر الذي في الجنة وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل قال القرطبي أصح هذه الأقوال أنه النهر أو
الحوض لأنه ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم نصا في الكوثر قال القاضي عياض أحاديث الحوض صحيحة

والايمان به فرض والتصديق به من الايمان وهو على ظاهره عند اهل السنة والجماعة لايتاول
ولايختلف فيه وحديثه متواتر النقل رواه خلائق من الصحابة وقد جمع ذلك كله البيهقي في كتابه
البعث والنشور باسانيده وطرقه المتكاثرة وذهب صاحب القوت وغيره الى ان حوض النبي صلعم
انما هو بعد الصراط والصحيح ان له صلعم حوضين وكلاهما يسمى كوثرا واختلف في الميزان والحوض
ايهما قبل الآخر فقيل الميزان وقيل الحوض قال ابو الحسن القابسي والصحيح ان الحوض قبل قلت والمعنى
يقتضيه فان الناس يخرجون من قبورهم عطاشا فيقدم قبل الصراط والميزان والله اعلم فصل
لربك وكان الظاهر ان يقول لنا فانتقل الى الاسم المظهر على طريق الالتفات لانه يوجب عظمة ومهابة
والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها والمراد الامر له صلعم بالدوام على اقامة الصلوات المفروضة
قال ابن عباس الصلوة المكتوبة وقيل صلوة عيد النحر وهذا يناسب كونها مدنية والاول يناسب كونها
مكية وانحر البدن التي هي خيار اموال العرب قال محمد بن كعب ان ناسا كانوا يصلون لغير الله وينحرون
لغير الله فامر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يكون صلاته ونحره له وقال قتادة وعطاء وعكرمة المراد صلوة
العيد ونحر الاضحية وقال سعيد بن جبير صل لربك صلوة الصبح المفروضة بجمع وانحر البدن في
منى وقيل النحر وضع اليمنى على اليسرى في الصلوة حذاء النحر قاله محمد بن كعب وقيل هو ان يرفع يديه في
الصلوة عند التكبيرة الى حذاء نحره وقيل هو ان يستقبل القبلة بنحره قاله الفراء والكلبي وابو الاحوص
قال الفراء سمعت بعض العرب يقول تتناحر اي تتقابل نحر هذا الى نحر هذا اي قبالته وقال ابن الاعرابي
هو انتصاب الرجل في الصلوة بازاء المحراب من قولهم منازلهم تتناحر اي تتقابل وروي عن عطاء انه
قال امره ان يستوي بين السجدتين جالسا حتى يبدو نحره وقال سليمان التيمي المعنى وارفع يديك
بالدعاء الى نحرك وظاهر الاية الامر له صلى الله عليه وسلم بمطلق الصلوة ومطلق النحر وان يجعلهما لله عز وجل لا لغيره
وما ورد في السنة من بيان هذا المطلق بنوع خاص فهو في حكم المقيد له عن علي بن ابي طالب قال لما نزلت
هذه السورة على النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل ما هذه النحيرة التي امرني بها ربي فقال انها ليست بنحيرة ولكن
يامرك اذا تحرمت للصلوة ان ترفع يديك اذا كبرت واذا ركعت واذا رفعت راسك من الركوع فانها صلاتنا
وصلوة الملائكة الذين هم في السموات السبع وان لكل شيء زينة وزينة الصلوة رفع اليدين عند كل تكبيرة
قال النبي صلى الله عليه وسلم رفع اليدين من الاستكانة التي قال الله فما استكانوا لربهم وما يتضرعون اخرجه ابن

ابي حاتم والحاكم وابن مردويه والبيهقي في سننه وهو من طريق مقاتل بن حيان عن الاصبغ بن نباتة
عن علي وعن ابن عباس في الاية قال ان الله اوحى الى رسوله صلى الله عليه وسلم ان ارفع يديك حذاء نحرك واذا
كبرت للصلوة فذاك النحر وعن علي في الاية قال وضع يده اليمنى على وسط ساعده اليسرى ثم وضعهما
على صدره في الصلوة وعن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله اخرجه ابو الشيخ والبيهقي في سننه وعن
ابن عباس ايضا اذا صليت فرفعت راسك من الركوع فاستو قائما وعنه قال هو الذبح يوم الاضحى يقول الرحم
يوم النحر ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ اي ان مبغضك هو المنقطع عن الخير على العموم فيعم خيري الدنيا والاخرة
او الذي لا عقب له او الذي لا يبقى ذكره بعد موته وظاهر الاية العموم وان هذا شان كل من يبغض
النبي صلى الله عليه وسلم ولا ينافي ذلك كون سبب النزول هو العاص بن وائل كما سياتي فالاعتبار بعموم اللفظ
لا بخصوص السبب كما مر غير مرة قيل كان اهل الجاهلية اذا مات الذكور من اولاد الرجل قالوا قد بتر فلان
فلما مات ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ابراهيم خرج ابو جهل الى اصحابه فقال بتر محمد فنزلت الاية وقيل القائل
بذلك عقبة بن ابي معيط قال اهل اللغة الابتر من الرجال الذي لا ولد له ومن الدواب الذي لا ذنب له وكل
امر انقطع من الخير اثره فهو ابتر واصل البتر القطع يقال بترت الشيء بترا قطعته وفي المختار بتره
قطعه قبل التمام وبابه نصر والانبتار الانقطاع والابتر المقطوع الذنب وبابه طرب عن ابن عباس قال
قدم كعب بن الاشرف مكة فقالت له قريش انت خير اهل المدينة وسيدهم الا ترى الى هذا الصابي
المنبتر من قومه يزعم انه خير منا ونحن اهل الحجيج واهل السقاية واهل السدانة قال انتم خير منه فنزلت
ان شانئك هو الابتر ونزلت الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب الى قوله فلن تجد له نصيرا اخرجه
البزار وابن ابي حاتم وابن مردويه قال ابن كثير واسناده صحيح وعن ابي ايوب قال لما مات ابراهيم ابن رسول الله
صلى الله عليه وسلم مشى المشركون بعضهم الى بعض فقالوا ان هذا الصابي قد بتر الليلة فانزل الله انا اعطيناك
الكوثر الى اخر السورة اخرجه الطبراني وابن مردويه واخرج ابن سعد وابن عساكر من طريق الكلبي عن ابي
صالح عن ابن عباس قال كان اكبر ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم القاسم ثم زينب ثم عبد الله ثم ام كلثوم ثم
فاطمة ثم رقية رضي الله تعالى عنهم فمات القاسم وهو اول ميت من اهله وولده بمكة ثم مات عبد الله
فقال العاص بن وائل السهمي قد انقطع نسله فهو ابتر فانزل الله ان شانئك هو الابتر وفي اسناد الكلبي
وعنه قال هو ابو جهل وعنه قال يقول عدوك وقيل ولد القاسم ثم زينب ثم عبد الله قال ابن الكلبي

قوله موت ابراهيم كان بعد هلاك ابي جهل فلعله احد اولاد النبي صلعم الاولين ١٢ منه

ولدت زينب ثم القاسم ثم ام كلثوم ثم فاطمة ثم رقية ثم عبد الله وكان يقال له الطيب والطاهر
قال وهذا هو الصحيح وغيره تخليط

سورة الكافرون هي ست آيات وهي مكية

في قول ابن مسعود والحسن وعكرمة ومدنية في احد قولي ابن عباس وقتادة والضحاك وعن ابن الزبير انها نزلت بالمدينة وقد ثبت في صحيح مسلم من حديث جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ بهذه السورة وبقل هو الله احد في ركعتي الطواف وفي مسلم ايضا من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأهما في ركعتي الفجر وعن ابن عمر قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ في الركعتين قبل الفجر والركعتين بعد المغرب بضعا وعشرين مرة او بضع عشرة مرة قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد اخرجه احمد والترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجة وابن حبان وابن مردويه واخرج الحاكم وصححه عن ابي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر بسبح وقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل هو الله احد تعدل ثلث القرآن وقل يا ايها الكافرون تعدل ربع القرآن وكان يقرأهما في ركعتي الفجر اخرجه محمد بن نصر والطبراني في الاوسط وعن نوفل بن معاوية الاشجعي انه قال يا رسول الله علمني ما اقول اذا اويت الى فراشي قال اقرء قل يا ايها الكافرون ثم نم على خاتمتها فانها براءة من الشرك اخرجه احمد وابو داود والترمذي والنسائي وغيرهم وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ادلكم على كلمة تنجيكم من الاشراك بالله تقرؤن قل يا ايها الكافرون عند منامكم اخرجه ابو يعلى والطبراني وعن زيد بن ارقم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لقي الله بسورتين فلا حساب عليه قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد اخرجه ابن مردويه وعن خباب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا اخذت مضجعك فاقرأ قل يا ايها الكافرون وان النبي صلى الله عليه وسلم لم يأت فراشه قط الا قرأ قل يا ايها الكافرون حتى يختمها اخرجه البزار والطبراني وابن مردويه وفي الباب احاديث كثيرة

بسم الله الرحمن الرحيم

قل يا أيها الكافرون الالف واللام للجنس ولكنها لما كانت الآية خطابا لمن سبق في علم الله انه يموت

على كفره كان المراد بهذا العموم خصوص من كان كذلك لان من الكفار عند نزول هذه الاية من اسلم وعبد الله سبحانه وسبب نزول هذه السورة ان الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعبد آلهتهم سنة ويعبدوا إلهه سنة فامره الله سبحانه ان يقول لهم لا اعبد ما تعبدون اي لا افعل في الحال ما تطلبون مني من عبادة ما تعبدون من الاصنام قيل والمراد فيما يستقبل من الزمان لان لا النافية لا تدخل في الغالب الا على المضارع الذي في معنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على مضارع في معنى الحال وذكر الحافظ ابن القيم في بدائع الفوائد عشر مسائل تحت هذه الاية وقال وقع ما فيها بدلا عن من ومعناه انتم لا تعبدون معبودي فالمقصود المعبود لا العبادة ولا يصح في النظم البديع والمعنى الرفيع الا لفظ ما لابهامها ومطابقتها الغرض الذي تضمنته الاية انتهى عن ابن عباس ان قريشا دعت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان يعطوه مالا فيكون اغنى رجل بمكة ويزوجوه ما اراد من النساء فقالوا هذا لك يا محمد وكف عن شتم آلهتنا ولا تذكرها بسوء فان لم تفعل فانا نعرض عليك خصلة واحدة ولك فيها صلاح قال ما هي قالوا تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة قال حتى انظر ما يأتيني من ربي فجاء الوحي من عند الله قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون الى آخر السورة وانزل الله قل افغير الله تأمروني اعبد ايها الجاهلون الى قوله بل الله فاعبد وكن من الشاكرين اخرجه ابن جرير وابن ابي حاتم والطبراني وعن سعيد بن مينا مولى ابي البختري قال لقي الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن عبد المطلب وامية بن خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد وتعبد ما نعبد ونشترك نحن وانت في امرنا كله فان كان الذي نحن عليه اصح من الذي انت عليه كنت قد اخذت منه حظا وان كان الذي انت عليه اصح من الذي نحن عليه كنا قد اخذنا منه حظا فانزل الله هذه السورة اخرجه ابن جرير وابن ابي حاتم وابن الانباري وعن ابن عباس ان قريشا قالت لو استلمت آلهتنا نعبد إلهك فانزل الله هذه السورة كلها ولا انتم عابدون ما اعبد اي ولا انتم فاعلون في المستقبل ما اطلب منكم من عبادة إلهي قال الحافظ ابن القيم في البدائع اشتمال هذه على النفي المحض خاصة هذه السورة العظيمة فانها سورة براءة من الشرك كما جاء في وصفها فمقصودها الاعظم هو البراءة المطلقة بين الموحدين والمشركين ولهذا اتى بالنفي في الجانبين تحقيقا للبراءة المطلوبة هذا مع انها متضمنة للاثبات صريحا فقوله لا اعبد ما تعبدون براءة محضة

ولا انتم عابدون ما اعبد اثبات ان له معبودا يعبده وانهم بريئون من عبادته فتضمنت النفي
والاثبات فطابقت قول امام الحنفاء انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني وطابقت قول الفئة
الموحدين واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ بها وبقل هو الله احد
في سنة الفجر وسنة المغرب فان هاتين السورتين سورتا الاخلاص وقد اشتملتا على نوعي التوحيد الذي
لا نجاة للعبد ولا فلاح الا بهما وهما توحيد العلم والاعتقاد المتضمن تنزيه الله عما لا يليق به من الشرك
والكفر والولد والوالد وانه اله واحد صمد لم يلد ولم يولد والثاني توحيد القصد والارادة وهو ان
لا يعبد الا اياه فلا يشرك به في عبادته سواه بل يكون وحده هو المعبود وهذه السورة مشتملة على هذا
التوحيد انتهى ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾ اي ولا انا قط فيما سلف عابد ما عبدتم فيه والمعنى انه لم يعهد مني
ذلك ﴿وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ اي وما عبدتم في وقت من الاوقات ما انا على عبادته كذا قيل وهذا
على قول من قال انه لا تكرار في هذه الآيات لان الجملة الاولى لنفي العبادة في المستقبل لما قدمنا من ان لا
لا تدخل الا على مضارع في معنى الاستقبال والدليل على ذلك ان لن تأكيد لما تنفيه لا قال الخليل في
لن اصلها لا فالمعنى لا اعبد ما تعبدون في المستقبل ولا انتم عابدون في المستقبل ما اطلبه من عبادة
الهي ثم قال ولا انا عابد ما عبدتم اي ولست في الحال بعابد معبودكم ولا انتم في الحال بعابدين معبودي
وقيل بعكس هذا وهو ان الجملتين الاوليين للحال والجملتين الاخريين للاستقبال بدليل قوله ولا انا عابد
ما عبدتم كما لو قال القائل انا ضارب زيدا وانا قاتل عمرا فانه لا يفهم منه الا الاستقبال قال الاخفش
والفراء المعنى لا اعبد الساعة ما تعبدون ولا انتم عابدون الساعة ما اعبد ولا انا عابد في المستقبل
ما عبدتم ولا انتم عابدون في المستقبل ما اعبد قال الزجاج نفى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه السورة عبادة
آلهتهم عن نفسه في الحال وفي المستقبل ونفى عنهم عبادة الله في الحال وفيما يستقبل وقيل ان كل واحد
منهما يصلح للحال والاستقبال ولكنا نخص احدهما بالحال والثاني بالاستقبال دفعا للتكرار وكل هذا فيه
من التكلف والتعسف ما لا يخفى على منصف فان جعل قوله لا اعبد ما تعبدون للاستقبال وان
كان صحيحا على مقتضى اللغة العربية ولكنه لا يتجه جعل قوله ولا انتم عابدون ما اعبد للاستقبال لان الجملة
الاسمية تفيد الدوام والثبات في كل الاوقات فدخول النفي عليها يرفع ما دلت عليه من الدوام والثبات في
كل الاوقات ولو كان حملها على الاستقبال صحيحا للزم مثله في قوله ولا انا عابد ما عبدتم وفي قوله ولا انتم

عابدون ما اعبد فلا يتم ما قيل من حمل الجملتين الاخريتين على الحال وكما يندفع هذا يندفع ما قيل من العكس لان الجملة الثانية والثالثة والرابعة كلها جمل اسمية مصدرة بالضمائر التي هي للمبتدأ في كل واحد منها المخبر عنها باسم الفاعل العامل فيما بعده منفية كلها بحرف واحد وهو لفظ لا في كل واحد منها فكيف يصح القول مع هذا الاتحاد بان معانيها في الحال والاستقبال مختلفة واما قول من قال ان كل واحد منها يصلح للحال والاستقبال فهو اقرار منه بالتكرار لان حمل هذا على معنى وحمل هذا على معنى مع الاتحاد يكون من باب التحكم الذي لا يدل عليه دليل فاذا تقرر لك هذا فاعلم ان القرآن نزل بلسان العرب ومن مذاهبهم التي لا تجحد واستعمالاتهم التي لا تنكر انهم اذا ارادوا التاكيد كرروا كما ان من مذاهبهم انهم اذا ارادوا الاختصار اوجزوا هذا معلوم لكل من له علم بلغة العرب وهذا مما لا يحتاج الى اقامة البرهان عليه لانه انما يستدل على ما فيه خفاء ويبرهن على ما هو متنازع فيه واما ما كان من الوضوح والظهور والجلاء بحيث لا يشك فيه شاك ولا يرتاب فيه مرتاب فهو مستغن عن التطويل غير محتاج الى تكثير القال والقيل وقد وقع في القرآن الكريم من هذا ما يعلمه كل من يتلو القرآن وربما يكثر في بعض السور كما في سورة الرحمن وسورة المرسلات وفي اشعار العرب من هذا ما لا ياتي عليه الحصر وقد ثبت عن الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم وهو افصح من نطق بلغة العرب انه كان اذا تكلم بالكلمة اعادها ثلاث مرات واذا عرفت هذا ففائدة ما وقع في السورة من التاكيد هو قطع اطماع الكفار عن ان يجيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ما سألوه من عبادته آلهتهم وانما عبر سبحانه بما التي لغير العقلاء في المواضع الاربعة لانه يجوز ذلك كما في قوله سبحان ما سخركن لنا ونحوه والنكتة في ذلك ان يجري الكلام على نمط واحد ولا يختلف وقيل انه اراد الصفة كانه قال لا اعبد الباطل ولا تعبدون الحق وقيل ان ما في المواضع الاربعة هي المصدرية لا الموصولة اي لا اعبد عبادتكم ولا انتم عابدون عبادتي الخ وجملة لكم دينكم مستأنفة لتقرير قوله لا اعبد ما تعبدون وقوله ولا انا عابد ما عبدتم كما ان قوله ولي دين تقرير لقوله ولا انتم عابدون ما اعبد في الموضعين اي ان رضيتم بدينكم وشرككم فقد رضيت بديني وتوحيدي كما في قوله لنا اعمالنا ولكم اعمالكم والمعنى ان دينكم الذي هو الاشراك مقصور على الحصول لكم لا يتجاوزه الى الحصول لي كما تطمعون وديني الذي هو التوحيد مقصور على الحصول لي لا يتجاوزه الى الحصول لكم وقيل المعنى لكم جزاؤكم ولي جزائي لان الدين الجزاء قيل وهذه الاية منسوخة باية السيف وقيل ليست بمنسوخة لانها اخبار والاخبار لا يدخلها النسخ

ع ٣

وقيل السورة كلها منسوخة وقال القاضي ولي دين اي الذي انا عليه لا ارفضه فليس فيه اذن في
الكفر ولا منع عن الجهاد فلا يكون منسوخا بآية القتال وقد فسر الدين بالحساب والجزاء والعبادة
وقال الحافظ ابن القيم في البدائع وقد غلط في السورة خلائق وظنوا انها منسوخة بآية السيف لاعتقادهم
ان هذه الآية اقتضت التقرير لهم على دينهم وظن آخرون انها مخصوصة بمن يقرون على دينهم
اهل الكتاب وكلا القولين غلط محض فلا نسخ في السورة ولا تخصيص بل هي محكمة عمومها نص محفوظ
وهي من السور التي يستحيل دخول النسخ فيها وهذه السورة اخلصت للتوحيد ولهذا تسمى سورة الاخلاص
والآية اقتضت البراءة المحضة وان ما انتم عليه من الدين لا اوافقكم عليه فانه دين باطل فهو مختص
بكم لا نشرككم فيه ولا تشركونا في ديننا الحق فهذا غاية البراءة والتفصيل من موافقتهم في دينهم فاين
الاقرار حتى يدعى النسخ والتخصيص افترى اذا جوهدوا بالسيف كما جوهدوا بالحجة لا يصح ان يقال لهم
لكم دينكم ولي دين بل هذه الآية قائمة محكمة ثابتة بين المؤمنين والكافرين الى ان يطهر الله
منهم بلاده وعباده وكذلك حكم هذه البراءة بين اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل سنته وبين
اهل البدع المخالفين لما جاء به الداعين الى غير سنته اذا قال لهم خلفاء الرسول وورثته لكم دينكم
ولنا ديننا هذا فلا يقتضي اقرارهم على بدعتهم بل يقولون لهم هذا براءة منها وهم مع هذا منتصبون
للرد عليهم ولجهادهم بحسب الامكان انتهى بحاصله قرأ الجمهور ولي باسكان الياء وحذف الياء من
ديني وصلا ووقفا وقرئ بفتح الياء من قوله لي واثباتها من ديني وصلا ووقفا وقالوا لانها اسم فلا
تحذف ويجاب بان حذفها لرعاية الفواصل سائغ وان كانت اسما ويجاب ايضا بانها من ياءات الزوائد
فيراعى فيه اتباع رسم المصحف وهي غير ثابتة فيه اكتفاء بالكسرة

سورة النصر وتسمى سورة التوديع وهي ثلاث آيات وهي مدنية بالاجماع بلا خلاف

قال ابن عباس نزل بالمدينة اذا جاء نصر الله والفتح وعن ابن عمر قال هذه السورة نزلت على رسول الله
صلى الله عليه وسلم اوسط ايام التشريق بمنى وهو في حجة الوداع اذا جاء نصر الله والفتح حتى ختمها فعرف رسول الله
صلى الله عليه وسلم انها الوداع اخرجه البزار وابو يعلى والبيهقي وغيرهم وعن ابن عباس قال لما نزلت اذا جاء
نصر الله والفتح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعيت الي نفسي اخرجه احمد وغيره وزاد ابن مردويه

في لفظ وقرب الي اجلي وفي لفظ لما نزلت نعيت لرسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه حين انزلت فاخذ في اشد ما كان قط اجتهادا في امر الاخرة وعن ام حبيبة قالت لما انزل اذا جاء نصر الله والفتح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يبعث نبيا الا عمر في امته شطر ما عمر النبي الماضي قبله فان عيسى بن مريم كان اربعين سنة في بني اسرائيل وهذه لي عشرون سنة وانا ميت في هذه السنة فبكت فاطمة رضي الله تعالى عنها فقال النبي صلى الله عليه وسلم انت اول اهلي بي لحوقا فتبسمت اخرجه ابن ابي حاتم وابن مردويه وعن ابن عباس قال لما نزلت اذا جاء نصر الله والفتح دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة وقال انه قد نعيت الي نفسي فبكت ثم ضحكت وقالت اخبرني انه نعيت اليه نفسه فبكيت فقال اصبري فانك اول اهلي لحاقا بي فضحكت اخرجه البيهقي وقد تقدم في سورة الزلزلة ان هذه السورة تعدل ربع القران وهي اخر سورة نزلت جميعا

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا جاء نصر الله النصر العون ماخوذ من قولهم قد نصر الغيث الارض اذا اعان على نباتها ومنع من قحطها يقال نصره على عدوه ينصره نصرا اذا اعانه والاسم النصرة واستنصره على عدوه اذا ساله ان ينصره عليه قال الواحدي قال المفسرون اذا جاءك يا محمد نصر الله على من عاداك وهم قريش وقيل المراد نصره صلى الله عليه وسلم على قريش من غير تعيين وقيل نصره على من قاتله من الكفار وقيل اذا بمعنى قد وقيل بمعنى اذ ومعنى جاء حصل وانما عبر عن الحصول بالمجئ تجوزا للاشعار بان المقدرات متوجهة من الازل الى اوقاتها المعينة فتقرب منها شيئا فشيئا وقد قرب النصر من وقته فكن مترقبا لوروده مستعدا لشكره قاله القاضي وهو استعارة تبعية لكن قول الراغب المجئ الحصول ويكون في المعاني والاعيان يقتضي خلافه وفي الخطيب جاء بمعنى استقر وثبت في المستقبل مجئ وقته المضروب له في الازل واذا منصوبة بسبح الذي هو جوابها ونصر الله مصدر مضاف لفاعله ومفعوله محذوف اي نصره اياك والمؤمنين والفتح اي فتح مكة وقيل هو فتح سائر البلاد وقيل هو ما فتح الله عليه من العلوم والاول اظهر والثاني انسب والثالث ابعد عن ابن عباس ان عمر سالهم عن قول الله اذا جاء نصر الله والفتح فقالوا فتح المدائن والقصور قال فانت يا ابن عباس ما تقول قال قلت مثل ضرب لمحمد صلى الله عليه وسلم نعيت له نفسه واخرج البخاري وغيره عن ابن عباس قال كان عمر يدخلني مع اشياخ بدر وكان بعضهم وجد

في نفسه فقال لم تدخل هذا معنا ولنا ابناء مثله فقال عمر انه من قد علمتم فدعاهم ذات يوم فادخله معهم فما رأيت انه دعاني فيهم يومئذ الا ليريهم فقال ما تقولون في قول الله عز وجل اذا جاء نصر الله والفتح فقال بعضهم امرنا ان نحمد الله ونستغفره اذا نصرنا وفتح علينا وسكت بعضهم فلم يقل شيئا فقال لي اكذاك تقول يا ابن عباس فقلت لا فقال ما تقول فقلت هو اجل رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلمه الله له قال اذا جاء نصر الله والفتح فذلك علامة اجلك فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا فقال عمر لا اعلم منها الا ما تقول قال الرازي الفرق بين النصر والفتح ان الفتح هو تحصيل المطلوب الذي كان منغلقا والنصر كالسبب للفتح فلهذا بدأ بذكر النصر وعطف عليه الفتح او يقال النصر كمال الدين والفتح اقبال الدنيا الذي هو تمام النعمة او يقال النصر الظفر والفتح الجنة هذا معنى كلامه ويقال الامر اوضح من هذا واظهر فان النصر هو التأييد الذي يكون به قهر الاعداء وغلبهم والاستعلاء عليهم والفتح هو فتح مساكن الاعداء ودخول منازلهم وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا اي ابصرت الناس من العرب وغيرهم يدخلون في دين الله الذي بعثك به وهو الاسلام جماعات فوجا بعد فوج قال الحسن لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة قال العرب اما اذ ظفر محمد صلى الله عليه وسلم باهل الحرم وقد اجارهم الله من اصحاب الفيل فليس لكم به يدان فكانوا يدخلون في دين الله افواجا اي جماعات كثيرة بعد ان كانوا يدخلون واحدا واحدا واثنين اثنين فصارت القبيلة تدخل باسرها في الاسلام قال عكرمة ومقاتل اراد بالناس اهل اليمن وذلك انه ورد من اليمن سبعمائة انسان مؤمنين وانتصاب افواجا على الحال من فاعل يدخلون ومحل يدخلون النصب على الحال ان كانت الرؤية بصرية وان كانت بمعنى العلم فهو في محل نصب على انه المفعول الثاني وعن ابي هريرة قال لما نزلت اذا جاء نصر الله والفتح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء اهل اليمن هم ارق قلوبا الايمان يمان والفقه يمان والحكمة يمانية اخرجه ابن مردويه وعن ابن عباس قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة اذ قال الله اكبر قد جاء نصر الله والفتح وجاء اهل اليمن قوم رقيقة قلوبهم لينة طباعهم الايمان يمان والفقه يمان والحكمة يمانية اخرجه الطبراني وابن مردويه وعن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس دخلوا في دين الله افواجا وسيخرجون منه افواجا اخرجه ابن مردويه وعن ابي هريرة قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأيت الناس يدخلون

في دين الله افواجا قال ليخرجن منه افواجا كما دخلوا فيه افواجا اخرجه الحاكم وصححه ﴿فسبح بحمد ربك﴾ هذا جواب الشرط وهو العامل فيه والتقدير فسبح بحمد ربك اذا جاء نصر الله كما مر وقال مكي العامل في اذا هو جاء ورجحه ابو حيان وضعف الاول بان ما جاء بعد فاء الجواب لا يعمل فيما قبلها وقوله بحمد ربك في محل نصب على الحال اي فقل سبحان الله متلبسا بحمده او حامدا له وفيه الجمع بين تسبيح الله المؤذن بالتعجب مما يسره الله له مما لم يكن يخطر بباله ولا بال احد من الناس وبين الحمد له على جميل صنعه له وعظيم منته عليه بهذه النعمة التي هي النصر والفتح لام القرى التي كان اهلها قد بلغوا في عداوته الى اعلى المبالغ حتى اخرجوه منها بعد ان افتروا عليه من الاقوال الباطلة والاكاذيب المختلقة ما هو معروف من قولهم هو مجنون هو ساحر هو شاعر هو كاهن ونحو ذلك ثم ضم سبحانه الى ذلك امره لنبيه صلى الله عليه وسلم بالاستغفار فقال ﴿واستغفره﴾ اي اطلب منه المغفرة لذنبك وسله الغفران هضما لنفسك واستقصارا لعملك واستدراكا لما فرط منك من ترك ما هو الاولى وقد كان صلى الله عليه وسلم يرى قصوره عن القيام بحق الله ويكثر من الاستغفار والتضرع وان كان قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وقيل ان الاستغفار منه صلى الله عليه وسلم ومن سائر الانبياء هو تعبد تعبدهم الله به لا لطلب المغفرة لذنب كائن منهم وقيل انما امره الله سبحانه بالاستغفار تنبيها لامته وتعريضا بهم فكانهم هم المامورون بالاستغفار وقيل ان الله سبحانه امره بالاستغفار لامته لا لذنبه وقيل المراد بالتسبيح هنا الصلوة والاولى حمله على معنى التنزيه مع ما اشرنا اليه من كون فيه معنى التعجب سرورا بالنعمة وفرحا بما حباه الله من نصر الدين وكبت اعدائه ونزول الذلة بهم وحصول القهر لهم قال الحسن اعلم الله رسوله صلى الله عليه وسلم انه قد اقترب اجله فامره بالتسبيح والتوبة ليختم له في اخر عمره بالزيادة في العمل الصالح فكان يكثر ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك اغفر لي انك انت التواب قال قتادة ومقاتل وعاش صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه السورة سنتين وعن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر من قول سبحان الله وبحمده واستغفره واتوب اليه فقلت يا رسول الله اراك تكثر من قول سبحان الله وبحمده واستغفر الله واتوب اليه فقال اخبرني ربي اني سارى علامة من امتي فاذا رايتها اكثرت من قول سبحان الله وبحمده واستغفر الله واتوب اليه فقد رايتها اذا جاء نصر الله والفتح فتح مكة ورايت الناس يدخلون الخ اخرجه ابن ابي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه واخرج البخاري ومسلم وابو داود والنسائي وابن ماجه

وغيرهم عن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفرلي يتاول القران نعني اذا جاء نصر الله والفتح وفي الباب احاديث وقوله إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا تعليل لامره سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم بالاستغفار اي من شانه التوبة على المستغفرين له يتوب عليهم ويرحمهم بقبول توبتهم وتواب من صيغ المبالغة ففيه دلالة على انه سبحانه مبالغ في قبول توبة التائبين وقد حكى الرازي في تفسيره اتفاق الصحابة رضي الله عنهم على ان هذه السورة دلت على نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عمر نزلت هذه السورة بمنى في حجة الوداع ثم نزل اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي فعاش النبي صلى الله عليه وسلم بعدها ثمانين يوما ثم نزلت اية الكلالة فعاش بعدها خمسين يوما ثم نزل واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فعاش بعدها احد او عشرين يوما وقيل سبعة ايام وقيل غير ذلك وكان فتح مكة في رمضان سنة ثمان وتوفي صلى الله عليه وسلم في ربيع الاول على راس العاشرة بالنظر لجعل التاريخ من الهجرة وان كانت لشهرين وشي مضت من الحادية عشر اذا اعتبر التاريخ من اول السنة الشرعية وهو المحرم فلما هاجر صلى الله عليه وسلم لاثني عشر من ربيع الاول حسبوا الباقي من هذه السنة سنة مع انها ناقصة شهرين واثني عشر يوما فلما كانت وفاته لاثني عشر من ربيع الاول كان الماضي من هذه السنة وهو شهران و اثنا عشر يوما مكملا ومتمما لما نقصته السنة الاولى فصح قولهم انه توفي في العاشرة اي على راسها وحين كمالها بالنظر لجعل التاريخ من الهجرة ويصح ان يقال توفي في الحادية عشر بالنظر لجعل التاريخ من اول السنة الشرعية تامل والله تعالى اعلم

سورة تبت وتسمى سورة ابي لهب كما في البحر

هي خمس ايات وهي مكية بلا خلاف وبه قال ابن عباس وابن الزبير وعايشة

بسم الله الرحمن الرحيم

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ قال مقاتل وابن عباس خسرت وقيل خابت وقال عطاء ضلت وقيل

صفرت من كل خير ومنه قولهم شابة ام تابة اي هالكة من الهرم وقيل المعنى هلكت و
الاول اولى وخص اليدين بالتباب لان اكثر العمل يكون بهما وقيل المراد باليدين نفسه وقد يعبر
باليد عن النفس كما في قوله بما قدمت يداك اي نفسك والعرب تعبر كثيرا ببعض الشيء
عن كله كقولهم اصابته يد الدهر واصابته يد المنايا قرأ العامة لهب بفتح الهاء وقرئ بسكونها
فقيل لغتان بمعنى كالنهر والنهر والشعر والشعر وقال الزمخشري هو من تغيير الاعلام ولم
يختلف القراء في قوله ذات لهب انها بالفتح والفرق انها فاصلة فلو سكنت زال التشاكل
وابولهب اسمه عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم وذكره سبحانه بكنيته لاشتهاره بها
ولكون اسمه كما تقدم عبد العزى اسم صنم وعبادة العزى ولكون في هذه الكنية ما يدل على انه ملابس للنار
لان اللهب هو لهب النار وان كان اطلاق ذلك عليه في الاصل لكونه كان جميلا وان وجهه
يتلهب لمزيد حسنه كما تتلهب النار قال القرطبي اولان الله اراد ان يحقق نسبته بان يدخله النار
فيكون ابالهب تحقيقا للنسب وامضاء الفالة الطيرة التي اختارها لنفسه وقيل اسمه كنيته و
روى صاحب الكشاف انه قرئ تبت يد ابولهب وذكر وجه ذلك وتب اي هلك قال الفراء
الاول دعاء عليه والثاني خبر كما تقول اهلكه الله وقد هلك والمعنى انه قد وقع ما دعى به
عليه وتدل عليه قراءة ابن مسعود وقد تب وقيل كلاهما اخبار اراد بالاول هلاك عمله
وبالثاني هلاك نفسه وقيل كلاهما دعاء عليه ويكون في هذا شبه من مجيء العام بعد
الخاص وان كان حقيقة اليدين غير مرادة وقد اخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن
عباس قال لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين خرج النبي صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فهتف
يا صباحاه فاجتمعوا اليه فقال ارايتكم لو اخبرتكم ان خيلا تخرج بسفح هذا الجبل اكنتم
مصدقي قالوا ما جربنا عليك كذبا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال ابو لهب
تبالك انما جمعتنا لهذا ثم قام فنزلت هذه السورة تبت يدا ابي لهب وتب ما اغنى عنه ماله
وما كسب اي ما دفع عنه ما حل به من التباب وما نزل به من عذاب الله ما جمع من المال
ولا ما كسب من الارباح والجاه او المراد بقوله ماله ما ورثه من ابيه وما كسب الذي كسبه بنفسه
قال مجاهد وما كسب من ولد وولد الرجل من كسبه ويجوز ان تكون ما في قوله ما اغنى استفهامية

اي اي شيء اغنى عنه وكذا في قوله وما كسب اي واي شيء كسب او مصدرية اي وكسبه والظاهر
ان ما الاولى نافية والثانية موصولة عن عايشة قالت ان اطيب ما اكل الرجل من كسبه وان ابنه
من كسبه ثم قرأت ما اغنى عنه ماله وما كسب قالت وما كسب ولده اخرجه ابن ابي حاتم وعن
ابن عباس قال كسبه ولده اي عتيبة بالتصغير واما عتبة فقد اسلم وفسر الكسب بالولد
ليغاير ما قبله فيسلم من التكرار ومات ابولهب بالعدسة بعد وقعة بدر لسبع ليال قال الشهاب
العدسة قرحة تعتري الانسان كانت العرب تهرب منها لانها بزعمهم تعدي اشد العدوى ثم اوعده
سبحانه بالنار فقال سيصلى نارا قرأ الجمهور بفتح اللام واسكان الصاد وتخفيف اللام اي سيصلى
هو بنفسه النار ويحترق بها وصلي من باب تعب وقرئ بضم الياء وفتح الصاد وتشديد اللام
والمعنى سيصليه الله ومعنى ذات لهب ذات اشتعال وتوقد وهي نار جهنم وامرأته حمالة
الحطب معطوف على الضمير في يصلى وجاز ذلك للفصل اي وتصلى امرأته نارا ذات لهب وهي
ام جميل بنت حرب اخت ابي سفيان وكانت عوراء تحمل الغضا والشوك والسعدان فتطرحها بالليل
على طريق النبي صلى الله عليه وسلم كذا قال ابن زيد والضحاك والربيع بن انس ومرة الهمداني وقال مجاهد وقتادة
والسدي انها كانت تمشي بالنميمة بين الناس العرب تقول فلان يحطب على فلان اذا نم به
وقال سعيد بن جبير معنى حمالة الحطب انها حمالة الخطايا والذنوب من قولهم فلان يحتطب
على ظهره كما في قوله وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم وقيل المعنى حمالة الحطب في النار قرأ الجمهور
حمالة بالرفع على الخبرية على انها جملة مسوقة للاخبار بان امرأة ابي لهب حمالة الحطب واما على
ما قدمنا من عطف وامرأته على الضمير في يصلى فيكون رفع حمالة على النعت لامرأته والاضافة
حقيقية لانها بمعنى المضي او على انه خبر مبتدأ محذوف اي هي حمالة وقرأ عاصم بالنصب على
الذم او على انه حال من امرأته وقرئ حاملة الحطب وعن ابن عباس في الآية قال كانت
تحمل الشوك فتطرحه على طريق النبي صلى الله عليه وسلم لتعقره واصحابه وقال حمالة الحطب نقالة الحديث
في جيدها حبل من مسد الجيد العنق والمسد الليف الذي تفتل منه الحبال قال ابو عبيدة
المسد هو الحبل من صوف وقال الحسن هي حبال تكون من شجر ينبت باليمن يسمى بالمسد وقد
تكون الحبال من جلود الابل او من اوبارها والمسد ايضا الليف المقل او مطلق الليف والمقل شجر الدوم

كما في المصباح والمختار وفي القاموس المسد يسكون السين مصدر بمعنى الفتل وبفتحها المحور من الحديد او حبل من ليف او كل حبل محكم الفتل والجمع مساد وامساد قال الضحاك وغيره هذا في الدنيا كانت تعير النبي صلى الله عليه وسلم بالفقر وهي تحتطب في حبل تجعله في عنقها فخنقها الله به فاهلكها وهو في الآخرة حبل من نار وقال مجاهد وعروة بن الزبير هو سلسلة من نار يدخل في فيها ويخرج من اسفلها وقال قتادة هو قلادة من ودع كانت لها قال الحسن انما كان خرزا في عنقها وقال سعيد بن المسيب كانت لها قلادة فاخرة من جوهر فقالت واللات والعزى لانفقنها في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم فيكون ذلك عذابا في جسدها يوم القيامة والمسد الفتل يقال مسد حبله يمسده مسدا اجاد فتله قال ابن عباس هي حبال تكون بمكة ويقال المسد العصى التي تكون في البكرة واخرج ابن ابي حاتم وابو زرعة عن اسماء بنت ابي بكر قالت لما نزلت تبت يدا ابي لهب وتب اقبلت العوراء ام جميل بنت حرب ولها ولولة وفي يدها فهر وهي تقول مذمما ابينا ۔ ودينه قلينا ۔ وامره عصينا ۔ ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد ومعه ابو بكر فلما رآها ابو بكر قال يا رسول الله قد اقبلت وانا اخاف ان تراك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها لن تراني وقرأ قرآنا اعتصم به كما قال تعالى واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا فاقبلت حتى وقفت على ابي بكر ولم تر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا ابا بكر اني اخبرت ان صاحبك هجاني قال لا ورب الكعبة ما هجاك فولت وهي تقول قد علمت قريش اني ابنة سيدها واخرجه البزار بمعناه وقال لا نعلمه يروى باحسن من هذا الاسناد ۔

سورة الاخلاص ولها اسماء كثيرة

ذكرها الخطيب وزيادة الاسماء تدل على شرف المسمى وهذه السورة مصرحة بالتوحيد رادة على عباد الاصنام والاوثان والقائلين بالثنوية والتثليث هي اربع او خمس آيات وهي مكية في قول ابن مسعود والحسن وعطاء وعكرمة وجابر ومدنية في احد قولي ابن عباس وقتادة والضحاك والسدي عن ابي بن كعب ان المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم يا محمد انسب لنا ربك فانزل الله قل هو الله احد الخ ليس شيء يولد الا سيموت وليس شيء يموت الا سيورث وان الله لا يموت ولا يورث

سورة التفريد وسورة التجريد وسورة التوحيد وسورة الاخلاص وسورة النجاة وسورة الولاية وسورة النسبة لقولهم انسب لنا ربك وسورة المعرفة وسورة الجمال وسورة المقشقشة وسورة المعوذة وسورة الصمد وسورة الاساس قال اسست السموات السبع والارضون السبع على قل هو الله احد والمانعة لانها تمنع فتنة القبر ولفحات النار وسورة المحضر لان الملائكة تحضر لاستماعها اذا قرئت والمنفرة لان الشياطين تنفر عند قراءتها وسورة البراءة لانها براءة من الشرك والمذكرة لانها تذكر العبد خالص التوحيد والنور لانها تنور القلب عن بعضهم

ولم يكن له شبيه ولا عدل وليس كمثله شيء رواه احمد والبخاري في تاريخه وابن خزيمة والحاكم وصححه وغيرهم ورواه الترمذي من طريق اخرى عن ابي العالية مرسلا ولم يذكر ابيا ثم قال وهذا اصح وعن جابر قال جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال انسب لنا ربك فانزل الله قل هو الله احد الى آخر السورة اخرجه الطبراني والبيهقي وابو نعيم وغيرهم وحسن السيوطي اسناده وعن ابن مسعود قال قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم انسب لنا ربك فنزلت هذه السورة اخرجه ابو الشيخ في العظمة والطبراني وعن ابن عباس ان اليهود جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم منهم كعب بن الاشرف وحيي بن اخطب فقالوا يا محمد صف لنا ربك الذي بعثك فانزل الله قل هو الله احد الله الصمد لم يلد فيخرج منه الولد ولم يولد فيخرج من شيء رواه البيهقي وغيره وعن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ قل هو الله احد فكانما قرأ ثلث القرآن اخرجه احمد والنسائي وغيرهما وعن انس قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني احب هذه السورة قل هو الله احد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حبك اياها ادخلك الجنة رواه احمد والترمذي وابن الضريس والبيهقي في سننه وقد وردت احاديث كثيرة في ان من قرأ هذه السورة كذا غفر له ذنوب كذا وكذا أتى في السنن وغيرها ولكنها ضعيفة غريبة وفيها من هو متهم بالوضع وقد روي من غير وجه انها تعدل ثلث القرآن وفيها ما هو صحيح وفيها ما هو حسن فمن ذلك ما اخرجه احمد والبخاري وغيرهما عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انها لتعدل ثلث القرآن يعني قل هو الله احد قيل ولاشتمال هذه السورة مع قصرها على جميع المعارف الالهية والرد على من الحد فيها جاء في الحديث انها تعدل ثلث القرآن فان مقاصده محصورة في بيان العقائد والاحكام والقصص ومافي الكشاف من انها تعدل القرآن كله قال الدواني لم اره في شيء من كتب التفسير والحديث انتهى ولو لم يرد في فضل هذه السورة الا حديث عائشة عند البخاري ومسلم وغيرهما ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث رجلا في سرية فكان يقرأ لاصحابه في صلاتهم فيختم بقل هو الله احد فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سلوه لاي شيء يصنع ذلك فسألوه فقال لانها صفة الرحمن وانا احب ان اقرأها فقال اخبروه ان الله تعالى يحبه هذا لفظ البخاري في كتاب التوحيد واخرج البخاري ايضا في كتاب الصلوة من حديث انس قال كان رجل من الانصار يؤمهم في مسجد قبا

فكان كلما افتتح سورة يقرأ بها لهم في الصلوة مما يقرأ به افتتح بقل هو الله احد حتى يفرغ منها ثم يقرأ سورة اخرى معها وكان يصنع ذلك في كل ركعة فكلمه اصحابه فقالوا انك تفتتح بهذه السورة ثم لا ترى انها تجزيك حتى تقرء بالاخرى فاما ان تقرء بها واما ان تدعها وتقرأ باخرى قال ما انا بتاركها ان احببتم ان اؤمكم بذلك فعلت وان كرهتم تركتكم وكانوا يرون انه من افضلهم فكرهوا ان يؤمهم غيره فلما اتاهم النبي صلى الله عليه وسلم اخبروه الخبر فقال يا فلان ما يمنعك ان تفعل ما يامرك به اصحابك وما حملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة فقال اني احبها قال حبك اياها ادخلك الجنة وقد روي بهذا اللفظ من غير وجه عند غير البخاري وهذه السورة قد تجردت للتوحيد والصفات وفيه دليل على شرف علم التوحيد وكيف لا والعلم يشرف بشرف المعلوم ويتضع بضعته ومعلوم هذا العلم هو الله سبحانه وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز عليه فما ظنك بشرف منزلته وجلالة محله وفي التوحيد وصفاته سبحانه كتب ورسائل مستقلة مفرزة تصدى لجمعها وتاليفها عصابة من اهل العلم بالكتاب العزيز والسنة المطهرة منهم شيخ الاسلام احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني وتلميذه الحافظ محمد بن ابي بكر بن القيم وغيرهما من سلف الائمة وخلفها كالمقريزي والشوكاني ومحمد بن اسمعيل الامير اليماني ومحمد اسمعيل الدهلوي وامثالهم رحم الله ايانا واياهم اجمعين اللهم اجعلنا من الموحدين اياك واحشرنا في زمرة العالمين بك العاملين لك الراجين لثوابك الخائفين من عقابك المكرمين بلقائك وتقبل منا انك انت السميع العليم

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ الضمير يجوز ان يكون عائدا الى ما يفهم من السياق لما قدمنا من بيان سبب النزول وان المشركين قالوا يا محمد انسب لنا ربك فيكون مبتدأ والله مبتدأ ثان واحد خبر المبتدأ الثاني والجملة خبر المبتدأ الاول ويجوز ان يكون الله بدلا من هو والخبر احد ويجوز ان يكون الله خبرا اول واحد خبرا ثانيا ويجوز ان يكون احد خبر المبتدأ محذوف اي هو احد ويجوز ان يكون هو ضمير شان لانه موضع تعظيم والجملة بعده مفسرة له وخبر عنه والاول اولى قال الزجاج هو كناية عن ذكر الله والمعنى ان سألتموني تبيين نسبته هو الله احد قيل وهمزة احد بدل من الواو واصله

واحد ومن جملة القائلين بالقلب الخليل وقال ابو البقاء همزة احد اصل بنفسها غير مقلوبة وذكر
ان احد يفيد العموم دون واحد ومما يفيد الفرق بينهما ما قاله الازهري بانه لا يوصف بالاحدية
غير الله تعالى لا يقال رجل احد ولا درهم احد كما يقال رجل واحد ودرهم واحد قيل والواحد
يدخل في الاحد والاحد لا يدخل فيه فاذا قلت لا يقاومه واحد جاز ان يقال لكنه يقاومه اثنان
بخلاف قولك لا يقاومه احد وفرق ثعلب بين واحد وبين احد بان الواحد يدخل في العدد
واحد لا يدخل فيه ورد عليه ابو حيان بانه يقال احد وعشرون ونحوه فقد دخله العدد وهذا
كما ترى انتهى وذكر احد في الاثبات مع ان المشهور انه يستعمل بعد النفي كما ان الواحد لا يستعمل الا
بعد الاثبات يقال في الدار واحد وما في الدار احد فالجواب عنه ما قال ابن عباس انه لا فرق بينهما
في المعنى واختاره ابو عبيدة ويؤيده قوله تعالى فابعثوا احدكم بورقكم وعليه فلا يختص احدهما
بمحل دون آخر وان اشتهر استعمال احدهما في النفي والآخر في الاثبات ويجوز ان يكون العدول عن
المشهور ههنا رعاية للفاصلة بعد فدل بقوله الله على جميع صفات الكمال وهي الثبوتية كالعلم
والقدرة والارادة وبالاحد على صفات الجلال وهي الصفات السلبية كالقدم والبقاء كذا قال
الكرخي قرأ الجمهور قل هو الله احد باثبات قل وقرأ ابن مسعود وابي الله احد بدون قل وقرئ
قل هو الله الواحد وقرأ الجمهور بتنوين احد وهو الاصل وقرئ بحذفه للخفة وقيل ان ترك التنوين
لملاقاته لام التعريف فيكون الترك لاجل الفرار من التقاء الساكنين ويجاب عنه بان الفرار
من التقاء الساكنين قد حصل مع التنوين بتحريك الاول منهما بالكسر الله الصمد الاسم الشريف
مبتدأ والصمد خبره والصمد هو الذي يصمد اليه في الحاجات اي يقصد لكونه قادرا على قضائها
فهو فعل بمعنى مفعول كالقبض بمعنى المقبوض لانه مصمود اليه اي مقصود اليه قال الزجاج الصمد
السيد الذي انتهى اليه السودد فلا سيد فوقه وقيل معنى الصمد الدائم الباقي الذي لم يزل
ولا يزول وقيل معنى الصمد ما ذكر بعده من انه الذي لم يلد ولم يولد وقيل هو المستغني عن كل
احد والمحتاج اليه كل احد وقيل هو المقصود في الرغائب المستعان به في المصائب وهذان
القولان يرجعان الى معنى القول الاول وقيل هو الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وقيل هو الكامل
الذي لا عيب فيه وقال الحسن وعكرمة والضحاك وسعيد بن جبير وسعيد بن المسيب ومجاهد

وعبد الله بن بريدة وعطاء وعطية العوفي والسدي الصمد هو المصمت الذي لا جوف له وهذا لا ينافي القول الاول لجواز ان يكون هذا اصل معنى الصمد ثم استعمل في السيد المصمود اليه في الحوائج و لهذا اطبق على القول الاول اهل اللغة وجمهور اهل التفسير وتكرير الاسم الجليل للاشعار بان من لم يتصف بذلك فهو بمعزل عن استحقاق الالوهية وحذف العاطف من هذه الجملة لانها كالنتيجة للجملة الاولى وقيل ان الصمد صفة للاسم الشريف والخبر هو ما بعده والاول اولى لان السياق يقتضي استقلال كل جملة وعن بريدة قال الصمد الذي لا جوف له وروي عنه مرفوعا ولا يصح رفعه وعن ابن مسعود مثله وفي لفظ ليس له احشاء وعن ابن عباس مثله وعنه قال الصمد الذي لا يطعم وهو المصمت وقد روي عنه انه الذي يصمد اليه في الحوائج وفي لفظ الصمد الذي قد كمل في سودده والشريف الذي قد كمل في شرفه والعظيم الذي قد كمل في عظمته والحليم الذي قد كمل في حلمه والغني الذي قد كمل في غناه والجبار الذي قد كمل في جبروته والعالم الذي قد كمل في علمه والحكيم الذي قد كمل في حكمته وهو الذي قد كمل في انواع الشرف والسودد وهو الله سبحانه هذه صفة لا تنبغي الا له ليس له كفو وليس كمثله شيء وعن ابن مسعود قال الصمد هو السيد الذي قد انتهى سودده فلا شيء اسود منه وعن ابن عباس قال الصمد الذي تصمد اليه الاشياء اذا نزل بهم كربة او بلاء ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ اي لم يصدر عنه ولد كما ولدت مريم ولم يصدر هو عن شيء كما ولد عيسى وعزير لانه لا يجانسه شيء ولاستحالة نسبة العدم اليه سابقا ولاحقا وقد دل على هذا قوله تعالى انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة قال قتادة ان مشركي العرب قالوا الملائكة بنات الله وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله فاكذبهم الله فقال لم يلد ولم يولد قال الرازي قدم ذكر نفي الولد مع ان الوالد مقدم للاهتمام لاجل ما كان يقوله الكفار من المشركين الملائكة بنات الله واليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله ولم يدع احد ان له والدا فلهذا السبب بدأ بالاهم فقال لم يلد ثم اشار الى الحجة فقال ولم يولد كانه قيل الدليل على امتناع الولد اتفاقنا على انه ما كان ولد الغيره وانما عبر سبحانه بما يفيد انتفاء كونه لم يلد ولم يولد في الماضي ولم يذكر ما يفيد انتفاء كونه كذلك في المستقبل لانه ورد جوابا عن قولهم ولد الله كما حكى الله عنهم بقوله الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله فلما كان المقصود من هذه الاية تكذيب

قولهم وهم انما قالوا ذلك بلفظ يفيد النفي فيما مضى وردت الآية لدفع قولهم هذا ولم يكن له كفوا احد هذه الجملة مقررة لمضمون ما قبلها لانه سبحانه اذا كان متصفا بالصفات المتقدمة كان متصفا بكونه لم يكافئه احد ولم يماثله ولا يشاركه في شيء واخر اسم كان لرعاية الفواصل وقوله له متعلق بقوله كفوا قدم عليه لرعاية الاهتمام لان المقصود نفي المكافأة عن ذاته وقيل انه في محل نصب على الحال والاول اولى وقد رد المبرد على سيبويه بهذه الآية لان سيبويه قال انه اذا تقدم الظرف كان هو الخبر وههنا لم يجعل خبرا مع تقدمه وقد رد على المبرد بوجهين احدهما ان سيبويه لم يجعل ذلك حتما بل جوزه والثاني انا لا نسلم كون الظرف ههنا ليس بخبر بل يجوز ان يكون خبرا ويكون كفوا منتصبا على الحال وحكى في الكشاف عن سيبويه ان الكلام العربي الفصيح ان يؤخر الظرف الذي هو لغو غير مستقر واقتصر في هذه الحكاية على نقل اول كلام سيبويه ولم ينظر الى آخره فانه قال في آخر كلامه والتقديم والتاخير والالغاء والاستقرار عربي جيد كثير انتهى قال الشهاب ولعل الوصل بين هذه الجمل الثلث وهي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد بالعطف دون ما قبلها من هذه السورة لانها سيقت لمعنى وغرض واحد وهو نفي المماثلة والمناسبة عنه تعالى بوجه من الوجوه وهذه اقسامها لان المماثل اما ولدا او والدا او نظير فلتغاير الاقسام واجتماعها في المقسم لزم العطف فيها بالواو كما هو مقتضى قواعد المعاني وترك العطف في الله الصمد لانه محقق ومقرر لما قبله وكذا ترك العطف في لم يلد لانه مؤكد للصمدية لان الغني عن كل شيء المحتاج اليه كل ما سواه لا يكون والدا ولا مولودا انتهى قرأ الجمهور كفوا بضم الكاف والفاء وتسهيل الهمزة وقرأ الاعرج وسيبويه ونافع في رواية عنه باسكان الفاء مع ابدال الهمزة واوا في الوقف وابدلت الواو وصلا ووقفا ايضا وقرئ كفا بكسر الكاف وفتح الفاء من غير مد وكذلك مع المد والكفو في لغة العرب النظير تقول هذا كفوك اي نظيرك والاسم الكفاءة بالفتح قال ابن عباس ليس له كفو ولا مثل ومن زعم ان نفي الكفو وهو المثل في الماضي لا يدل على نفيه للحال والكفار يدعونه في الحال فقد تاه في غيه لانه اذا لم يكن فيما مضى لم يكن في الحال ضرورة اذ الحادث لا يكون كفوا للقديم وحاصل كلام الكفرة يؤل الى الاشراك والتشبيه والتعطيل والسورة الكريمة تدفع الكل اخرج البخاري عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك

وشتمني ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياي فقوله لن يعيدني كما بدأني وليس اول الخلق باهون علي من اعادته واما شتمه اياي فقوله اتخذ الله ولدا وانا الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد

سورة الفلق هي خمس آيات وهي مكية

في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر ومدنية في احد قولي ابن عباس وقتادة قيل وهو الصحيح وعن ابن مسعود انه كان يحك المعوذتين في المصحف يقول لا تخلطوا القرآن بما ليس منه انهما ليستا من كتاب الله انما امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يتعوذ بهما وكان ابن مسعود لا يقرأ بهما اخرجه احمد والطبراني وابن مردويه من طرق قال السيوطي صحيحة قال البزار لم يتابع ابن مسعود احد من الصحابة وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرأ بهما في الصلوة واثبتتا في المصحف واخرج احمد والبخاري والنسائي وغيرهم عن زر بن حبيش قال اتيت المدينة فلقيت ابي بن كعب فقلت له ابا المنذر اني رايت ابن مسعود لا يكتب المعوذتين في مصحفه فقال اما والذي بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق لقد سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهما وما سألني عنهما احد منذ سألته غيرك قال قيل لي قل فقلت فقولوا فنحن نقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال القرطبي زعم ابن مسعود ان هاتين السورتين دعاء يتعوذ به وليستا من القرآن وقد خالف الاجماع من الصحابة واهل البيت قال ابن قتيبة لم يكتب ابن مسعود المعوذتين في مصحفه لانه كان يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين بهما فقدر انهما بمنزلة اعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة قال ابو بكر بن الانباري وهذا مردود على ابن قتيبة لان المعوذتين من كلام رب العالمين المعجز لجميع المخلوقين واعيذكما الخ من كلام البشر وكلام الخالق الذي هو آية لمحمد صلى الله عليه وسلم وحجة له باقية على جماعة الكافرين لا يلتبس بكلام الآدميين فضلا عن مثل عبد الله بن مسعود الفصيح اللسان العالم باللغة العارف باجناس الكلام وافانين القول وقال بعض الناس لم يكتب عبد الله المعوذتين لانه امن عليهما من النسيان فاسقطهما وهو يحفظهما كما اسقط فاتحة الكتاب من مصحفه واخرج مسلم والترمذي والنسائي وغيرهم عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت علي الليلة آيات لم ير مثلهن قط قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس واخرج الترمذي وحسنه وابن جرير

والبيهقي عن ابي سعيد الخدري قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من عين الجان ومن عين الانس فلما نزلت سورة المعوذتين اخذ بهما وترك ما سوى ذلك وعن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يكره عشر خصال ومنها انه كان يكره الرقى الا بالمعوذتين اخرجه ابو داود والنسائي والحاكم وصححه وعن ام سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احب السور الى الله قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس اخرجه ابن مردويه وعن عايشة قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذتين وينفث فلما اشتد وجعه كنت اقرأ عليه وامسح بيده عليه رجاء بركتها اخرجه مالك في الموطا وهو في الصحيحين من طريق مالك وعن زيد بن ارقم قال سحر النبي صلى الله عليه وسلم رجل من اليهود فاشتكى فاتاه جبريل فنزل عليه بالمعوذتين وقال ان رجلا من اليهود سحرك والسحر في بير فلان فارسل عليا فجاء به فامره ان يحل العقد ويقرأ اية ويحل حتى قام النبي صلى الله عليه وسلم كانما انشط من عقال اخرجه عبد بن حميد في مسنده واخرجه ابن مردويه من حديث عايشة مطولا وكذلك من حديث ابن عباس قيل وكانت مدة سحره صلى الله عليه وسلم اربعين يوما وقيل ستة اشهر وقيل عاما قال الحافظ ابن حجر وهو المعتمد قال الراغب تاثير السحر في النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن من حيث انه نبي وانما كان في بدنه من حيث انه انسان او بشر كما كان ياكل ويتغوط ويغضب ويشتهي ويمرض فتاثيره فيه من حيث هو بشر لا من حيث هو نبي وانما يكون ذلك قادحا في النبوة لو وجد للسحر تاثير في امر يرجع للنبوة كما ان جرحه وكسر ثنيته يوم احد لم يقدح في ما ضمن الله له من عصمته في قوله والله يعصمك من الناس وكما لا اعتداد بما يقع في الاسلام من غلبة بعض المشركين على بعض النواحي فيما ذكر من كمال الاسلام في قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم قال القاضي ولا يوجب ذلك صدق الكفرة في انه مسحور لانهم ارادوا به انه مجنون بواسطة السحر انتهى ومذهب اهل السنة ان السحر حق وله حقيقة ويكون بالقول والفعل ويؤلم ويمرض ويقتل ويفرق بين الزوجين وتمام الكلام على هذا في حاشية سليمان الجمل فارجع اليه وقد ورد في فضل المعوذتين وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لهما في الصلوة وغيرها احاديث وفيما ذكرناه كفاية

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ الفلق الصبح يقال هو ابين من فلق الصبح وسمي فلقا لانه يفلق عنه الليل وهو فعل بمعنى مفعول قال الزجاج لان الليل ينفلق عنه الصبح ويكون بمعنى مفعول وهذا قول جمهور المفسرين وقيل هو سجن في جهنم وقيل هو اسم من اسماء جهنم وقيل شجرة في النار وقيل هو الجبال والصخور لانها تفلق بالمياه اي تشقق وقيل هو التفليق بين الجبال لانها تنشق من خوف الله قال النحاس يقال لكل ما اطمأن من الارض فلق وقيل هو كل ما انفلق عن جميع ما خلق الله من الحيوان والصبح والحب والنوى وكل شيء من نبات وغيره قال الحسن والضحاك قال القرطبي هذا القول يشهد له الاشتقاق فان الفلق الشق يقال فلقت الشيء فلقا شققته والتفليق مثله يقال فلقته فانفلق وتفلق فكل ما انفلق عن شيء من حيوان وصبح وحب ونوى وماء فهو فلق قال الله سبحانه فالق الاصباح وقال فالق الحب والنوى انتهى والقول الاول اولى لان المعنى وان كان اعم منه واوسع مما تضمنه لكنه المتبادر عند الاطلاق وقد قيل في وجه تخصيص الفلق الايماء الى ان القادر على ازالة هذه الظلمات الشديدة عن كل هذا العالم يقدر ايضا ان يدفع عن العائذ كل ما يخافه ويخشاه وقيل طلوع الصبح كالمثال لمجيء الفرج فكما ان الانسان في الليل يكون منتظرا لطلوع الصباح كذلك الخائف يكون مترقبا لطلوع صباح النجاح وقيل غير هذا مما هو مجرد بيان مناسبة ليس فيها كثير فائدة تتعلق بالتفسير عن عمرو بن عبسة قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ قل اعوذ برب الفلق وقال يا ابن عبسة اتدري ما الفلق قلت الله ورسوله اعلم قال بئر في جهنم اخرجه ابن مردويه واخرجه ابن ابي حاتم موقوفا عليه غير مرفوع وعن عقبة بن عامر قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ قل اعوذ برب الفلق هل تدري ما الفلق باب في النار اذا فتح سعرت جهنم اخرجه ابن مردويه وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله عز وجل قل اعوذ برب الفلق فقال هو سجن في جهنم يحبس فيه الجبارون والمستكبرون وان جهنم لتتعوذ بالله منه اخرجه ابن مردويه والديلمي وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الفلق جب في جهنم اخرجه ابن جرير وهذه الاحاديث لو كانت صحيحة ثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لكان المصير اليها واجبا والقول بها متعينا وعن ابن عباس قال الفلق سجن في جهنم وعن جابر بن عبد الله قال الفلق الصبح وعن ابن عباس ايضا الفلق الخلق مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ متعلق باعوذ

اي اعوذ بالله من شر كل ما خلقه من جميع مخلوقاته فيعم جميع الشرور فهذا عام وما بعده من الشرور
الثلاثة خاص فهو من ذكر الخاص بعد العام وقيل هو ابليس وذريته وقيل جهنم ولا وجه لهذا التخصيص
كما انه لا وجه لتخصيص من خصص هذا العموم بالمضار البدنية وقد حرف بعض المتعصبين هذه
الآية مدافعة عن مذهبه وتقويما لباطله فقرأ بتنوين شر على ان ما نافية والمعنى من شر لم يخلقه
ومنهم عمرو بن عبيد وعمرو بن فائد وفي المدارك قرأ ابو حنيفة رحمه الله تعالى من شر بالتنوين وما
على هذا مع الفعل بتأويل المصدر في موضع الجر بدل من شر اي شر خلقه اي من خلق شر او ما
زائدة انتهى وفيه ايضا بعد وضعف كما ترى ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ الغاسق الليل والغسق
الظلمة قال الفراء يقال غسق الليل واغسق اذا اظلم وقال الزجاج قيل لليل غاسق لانه ابرد من
النهار والغاسق البارد والغسق البرد ولان في الليل تخرج السباع من آجامها والهوام من اماكنها
وينبعث اهل الشر على العبث والفساد كذا قال وهو قول بارد فان اهل اللغة على خلافه وكذا
جمهور المفسرين ووقوبه دخول ظلامه يقال وقبت الشمس اذا غابت وقيل الغاسق الثريا وذلك
انها اذا سقطت كثرت الاسقام والطواعين واذا طلعت ارتفع ذلك وبه قال ابن زيد وهذا
محتاج الى نقل عن العرب انهم يصفون الثريا بالغسوق وقال الزهري هو الشمس اذا غربت وكانه
لاحظ معنى الوقوب ولم يلاحظ معنى الغسوق وقيل هو القمر اذا خسف وقيل اذا غاب وبهذا قال قتادة
وغيره واستدلوا بحديث اخرجه احمد والترمذي والحاكم وصححه وغيرهم عن عائشة قالت نظر رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوما الى القمر لما طلع فقال يا عائشة استعيذي بالله من شر هذا فان هذا هو
الغاسق اذا وقب قال الترمذي بعد اخراجه حسن صحيح وهذا لا ينافي قول الجمهور لان القمر آية
الليل ولا يوجد له سلطان الا فيه وهكذا يقال في جواب من قال انه الثريا قال ابن الاعرابي
في تاويل هذا الحديث وذلك ان اهل الريب يتحينون وجبة القمر وقيل الغاسق الحية اذا لدغت
وقيل الغاسق كل هاجم يضر كائنا ما كان من قولهم غسقت القرحة اذا جرى صديدها وقيل
الغاسق هو السائل وقد عرفناك ان الراجح في تفسير هذه الآية هو ما قاله اهل القول الاول ووجه
تخصيصه ان الشر فيه اكثر والتحرز من الشرور فيه اصعب ومنه قولهم الليل اخفى للويل وعن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال النجم هو الغاسق وهو الثريا اخرجه ابن جرير وابو الشيخ وغيرهما وروي من وجه

آخر عن غير مرفوع وقد بينا منافاة تأويل هذا وتأويل ما ورد ان الغاسق القمر واخرج ابو الشيخ عنه ايضا
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ارتفعت النجوم رفعت كل عاهة عن كل بلد وهذا الوجه لم يكن
فيه دليل على ان الغاسق هو النجم او النجوم وعن ابن عباس في الآية قال الليل اذا اقبل ﴿ومن شر النفاثات
في العقد﴾ النفاثات هن السواحر اي واعوذ برب الفلق من شر النفوس النفاثات او النساء
النفاثات والنفث النفخ كما يفعل ذلك من يرقي ويسحر قيل مع ريق وقيل بدون ريق وهو دليل
على بطلان قول المعتزلة في انكار تحقق السحر وظهور اثره والعقد جمع عقدة وذلك انهن كن
ينفثن في عقد الخيوط حين يسحرن بها قال ابو عبيدة النفاثات هن بنات لبيد بن الاعصم اليهودي
سحرن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ الجمهور النفاثات جمع نفاثة على المبالغة وقرئ النافثات جمع نافثة
والنُفاثات بضم النون والنفثات بدون الف وقال ابن عباس الساحرات وعنه قال هو ما خالط
السحر من الرقى واخرج النسائي وابن مردويه عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من عقد عقدة
ثم نفث فيها فقد سحر ومن سحر فقد اشرك ومن تعلق شيئا وكل اليه وعنه قال جاء النبي صلى الله
عليه وسلم يعودني فقال الا ارقيك برقية رقاني بها جبريل فقلت بلى بابي انت وامي قال بسم الله ارقيك
والله يشفيك من كل داء فيك من شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد اذا حسد فرقى بها
ثلث مرات اخرجه ابن ماجة وابن سعد والحاكم وغيرهم واختلفوا في جواز النفخ في الرقى والتعاويذ
الشرعية فجوزه الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم يدل عليه حديث عائشة قالت كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مرض احد من اهله نفث عليه بالمعوذات الحديث وانكر جماعة التفل
والنفث في الرقى واجازوا النفخ بلا ريق قال عكرمة لا ينبغي للراقي ان ينفث ولا يمسح ولا يعقد قال
النسفي جوز الاسترقاء بما كان من كتاب الله وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لا بما كان بالسريانية
والعبرانية والهندية فانه لا يحل اعتقاده ولا اعتماد عليه ﴿ومن شر حاسد﴾ الحسد تمني زوال
النعمة التي انعم الله بها على المحسود ومعنى ﴿اذا حسد﴾ اذا اظهر ما في نفسه من الحسد وعمل بمقتضاه
وحمله الحسد على ايقاع الشر بالمحسود قال عمر بن عبد العزيز لم ار ظالما اشبه بالمظلوم من حاسد وقد
نظم الشاعر هذا المعنى فقال ؎ قل للحسود اذا تنفس طعنة ، يا ظالما وكانه مظلوم ثم ذكر
الله سبحانه في هذه السورة ارشاد رسوله صلى الله عليه وسلم الى الاستعاذة من شر كل مخلوقاته على العموم

ع ٥

ثم ذكر بعض الشرور على الخصوص مع اندراجه تحت العموم لزيادة شره ومزيد ضره وهو الغاسق و
النفاثات والحاسد فكان هؤلاء لما فيهم من مزيد الشر حقيقيون بافراد كل واحد منهم بالذكر وختم
بالحسد ليعلم انه اشد الشر وهو اول ذنب عصي الله به في السماء من ابليس وفي الارض من قابيل وانما
عرف بعض المستعاذ منه ونكر بعضه لان كل نفاثة شريرة فلذا عرفت النفاثات ونكر غاسق
لان كل غاسق لا يكون فيه الشر انما يكون في بعض دون بعض وكذلك كل حاسد لا يضر ورب حاسد يكون
محمودا كالحسد في الخيرات ذكره النسفي في المدارك وعن ابن عباس في قوله ومن شر حاسد اذا حسد قال نفس ابن آدم وعينه

سورة الناس هي ست آيات

والخلاف في كونها مكية او مدنية كالخلاف الذي تقدم في سورة الفلق قال ابن عباس
انزل بمكة قل اعوذ برب الناس وعن ابن الزبير قال انزل بالمدينة وقد قدمنا في سورة
الفلق ما ورد في سبب نزول هذه السورة وما ورد في فضلها فارجع اليه وللحافظ ابن القيم
في البدائع فوائد بديعة كثيرة تتعلق بالمعوذتين وكتب عشرين ورقة في بيان ذلك لا يتسع
هذا المقام لبسطها ان شئت فراجعه

بسم الله الرحمن الرحيم

قل أعوذ قرأ الجمهور بالهمزة وقرئ بحذفها ونقل حركتها الى اللام **برب الناس**
قرأ الجمهور بترك الامالة في الناس وقرئ بالامالة والمعنى مالك امرهم ومربيهم ومصلح احوالهم
وانما قال رب الناس مع انه رب جميع مخلوقاته للدلالة على شرفهم ولكون الاستعاذة وقعت من
شر ما يوسوس في صدورهم وقوله **ملك الناس** عطف بيان جيء به لبيان ان ربيته سبحانه
ليست كربية سائر الملاك لما تحت ايديهم من مماليكهم بل بطريق الملك الكامل والسلطان
القاهر وقد اجمع جميع القراء في هذه السورة على اسقاط الالف من ملك بخلاف الفاتحة
فاختلفوا فيها كما مضى **اله الناس** هو ايضا عطف بيان لبيان ان ربوبيته وملكه قد انضم
اليهما المعبودية المؤسسة على الالوهية المقتضية للقدرة التامة على التصرف الكلي بالايجاد
والاعدام وايضا الرب قد يكون ملكا وقد لا يكون ملكا كما يقال رب الدار ورب المتاع ومنه قوله

اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله فبين انه ملك الناس ثم الملك قد يكون الهاً وقد لا يكون
فبين انه اله لان اسم الاله خاص به لا يشاركه فيه احد وايضاً بدأ باسم الرب وهو اسم لمن قام
بتدبيره واصلاحه من اوائل عمره الى ان صار عاقلاً كاملاً فحينئذ عرف بالدليل انه عبد مملوك
فذكر انه ملك الناس ثم لما علم ان العبادة لازمة له واجبة عليه وانه عبد مخلوق وان خالقه
اله معبود بين سبحانه انه اله الناس وكرر لفظ الناس في الثلثة المواضع لان عطف البيان يحتاج
الى مزية الاظهار والبيان ولان التكرير يقتضي مزيد شرف الناس وقيل اراد بالاول الاطفال و
معنى الربوبية يدل عليه وبالثاني الشباب ولفظ الملك المنبئ عن السياسة يدل عليه و
بالثالث الشيوخ ولفظ الاله المنبئ عن العبادة يدل عليه وبالرابع الصالحين اذ الشيطان
مولع باغوائهم وبالخامس المفسدين لعطفه على المعوذ منه ذكره النسفي ولا وجه لهذا التخصيص وانما
هذا الكلام من لطائف البيان (من شر الوسواس) قال الفراء هو بفتح الواو بمعنى الاسم اي الموسوس
وبكسرها المصدر اي الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة وقيل هو بالفتح اسم اعني الوسوسة والوسوسة
هي حديث النفس يقال وسوست اليه نفسه وسوسة اي حدثته حديثاً واصلها الصوت الخفي و
منه قيل لاصوات الحلي وسواس قال الزجاج الوسواس هو الشيطان اي ذي الوسواس ويقال
ان الوسواس ابن لابليس وسمي بالمصدر كانه وسوسة في نفسه لانها شغله الذي هو عاكف
عليه وقد سبق تحقيق معنى الوسوسة في تفسير قوله فوسوس لهما الشيطان ومعنى (الخناس) كثير
الخنس وهو التأخر يقال خنس يخنس اذا تأخر قال مجاهد اذا ذكر الله خنس وانقبض واذا لم يذكر
انبسط على القلب ووصف بالخناس لانه كثير الاختفاء ومنه قوله تعالى فلا اقسم بالخنس يعني
النجوم لاختفائها بعد ظهورها كما تقدم وقيل الخناس اسم لابن ابليس كما تقدم في الوسواس وعن
ابن عباس في قوله الوسواس الخناس قال مثل الشيطان كمثل ابن عرس واضع فمه على فم القلب
فيوسوس اليه فان ذكر الله خنس وان سكت عاد اليه فهو الوسواس الخناس وعن انس ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال ان الشيطان واضع خطمه على قلب ابن ادم فان ذكر الله خنس وان نسيه التقم قلبه فذلك
الوسواس الخناس اخرجه ابن ابي الدنيا في مكائد الشيطان وابو يعلى وابن شاهين والبيهقي في الشعب
وعن ابن عباس في الاية قال الشيطان جاثم على قلب ابن ادم فاذا سها وغفل وسوس واذا ذكر الله

خنس وعنه قال ما من مولود يولد الا على قلبه الوسواس فاذا ذكر الله خنس واذا غفل وسوس
فذلك قوله الوسواس الخناس وقد ورد في معنى هذا غيره وظاهره ان مطلق ذكر الله يطرد
الشيطان وان لم يكن على طريق الاستعاذة ولذكر الله سبحانه فوائد جليلة حاصلها الفوز
بخيري الدنيا والآخرة الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ قال قتادة ان الشيطان له خرطوم
كخرطوم الكلب في صدر الانسان فاذا غفل ابن آدم عن ذكر الله وسوس له واذا ذكر العبد ربه
خنس قال مقاتل ان الشيطان في صورة خنزير يجري من ابن آدم مجرى الدم في عروقه
سلطه الله على ذلك ووسوسته هي الدعاء الى طاعته بكلام خفي يصل الى القلب من غير سماع
صوت والجملة في محل الجر على الصفة او الرفع والنصب على الشتم وعلى هذين الوجهين يحسن
الوقف على الخناس ثم بين سبحانه الذي يوسوس بانه ضربان جني وانسي فقال مِنَ الْجِنَّةِ
وَالنَّاسِ اما شيطان الجن فيوسوس في صدور الناس واما شيطان الانس فوسوسته في صدور
الناس انه يري نفسه كالناصح المشفق فيوقع في الصدر من كلامه الذي اخرجه مخرج النصيحة ما
يوقع الشيطان فيه بوسوسته كما قال سبحانه شياطين الانس والجن ويجوز ان يكون متعلقا بيوسوس
اي يوسوس في صدورهم من جهة الجنة ومن جهة الناس ويجوز ان يكون بيانا للناس قال الرازي
وقال قوم من الجنة والناس قسمان مندرجان تحت قوله في صدور الناس لان القدر المشترك
بين الجن والانس سمي انسانا والانسان ايضا سمي انسانا فيكون لفظ الانسان واقعا على الجنس
والنوع بالاشتراك والدليل على ان لفظ الانسان يندرج فيه لفظ الانس والجن ما روي انه جاء
نفر من الجن فقيل لهم من انتم قالوا ناس من الجن وايضا قد سماهم الله تعالى رجالا في قوله
وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن وقيل يجوز ان يكون المراد اعوذ برب الناس
من الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس ومن الجنة والناس كانه استعاذ
ربه من ذلك الشيطان الواحد ثم استعاذ بربه من جميع الجنة والناس وقيل المراد بالناس الناسي
وسقطت الياء كسقوطها في قوله يوم يدع الداع ثم بين بالجنة والناس لان كل فرد من افراد
الفريقين في الغالب مبتلى بالنسيان واحسن من هذا ان يكون قوله والناس معطوفا على الوسواس
اي من شر الوسواس ومن شر الناس كانه امر ان يستعيذ من شر الجن والانس قال الحسن اما شيطان الجن

فيوسوس في صدور الناس واما شيطان الانس فيأتي علانية وقال قتادة ان من الجن شياطين وان من الانس شياطين فنعوذ بالله من شياطين الجن والانس وقيل ان ابليس يوسوس في صدور الجن كما يوسوس في صدور الانس وواحد الجنة جني كما ان واحد الانس انسي والقول الاول هو ارجح هذه الاقوال وان كان وسوسة الانس في صدور الناس لا تكون الا بالمعنى الذي قدمنا ويكون هذا البيان تذكر الثقلين للارشاد الى ان من استعاذ بالله منهما ارتفعت عنه محن الدنيا والآخرة وعن ابن عباس قال قيل يا رسول الله اي الاعمال احب الى الله تعالى قال الحال المرتحل قيل وما الحال المرتحل قال الذي يضرب من اول القرآن الى آخره كلما حل ارتحل اخرجه الترمذي

يقول العبد الضعيف الخامل المتواري مؤلف هذا التفسير صديق بن حسن بن علي الحسيني القنوجي البخاري ختم الله له بالحسنى واذاقه حلاوة رضوانه الاسنى

والى هنا انتهى هذا التفسير الجامع بين فني الرواية والدراية الرافع من الوية التحقيق والتنقيح اعظم راية وكان الفراغ منه في ضحوة يوم الجمعة لعله التاسع والعشرون من شهر ذي الحجة احد شهور سنة تسع وثمانين بعد مائتين والف من الهجرة النبوية على صاحبها الصلوة والسلام والتحية وقد تم بتمامه وانتهى بانتهائه الاسبوع والشهر والسنة اللهم كما مننت علي باكمال هذا التفسير واعنتني على تحصيله وتفضلت علي بالفراغ منه على ما اردت فامنن علي بقبوله واجعله لي ذخيرة خير عندك واجزل لي المثوبة بما صرفت الوقت في تحريره كما قلت في كتابك اني لا اضيع عمل عامل منكم وكما قلت في هذا الباب ؎ كل يجيئ بكسبه وكتابه + يوم القيامة آخر الازمان + في حضرة الرحمن جل جلاله + عم الورى بالعفو والغفران + ويجيئ هذا العبد وهو مقصر + بكتابه التفسير فتح بيان + ثم اللهم انفع به من اخلفه من بعدي من ولدي ومن شئت من عبادك المؤمنين ليدوم لي الانتفاع به بعد موتي فان هذا هو المقصد الجليل والمطلب الجميل من هذا الجمع والتأليف واجعله خالصا لوجهك الكريم وتجاوز عني اذا خطر لي من خواطر السوء ما فيه شائبة تخالف الاخلاص والتوحيد واغفر لي ما لا يطابق مراداتك فاني لم اقصد في جميع ابحاثي فيه الا اصابة الحق وموافقة ما ترضاه فان اخطأت فانت غافر الخطيئات ومسبل

ذيل الستر على الهفوات وإن اصبت فانت قابل الطاعات ومانح العطيات يا بارئ البريات
وقد جمعته في زمن اهله بغير الكتاب والسنة يهزؤن وصنعته كما صنع نوح عليه السلام
الفلك ومنه يسخرون ولله در من يقول سه اذا رضيت عني كرام عشيرتي فلا زال
غضبانا علي لئامها ثم اللهم واحمدك على ما اوليتني من نعمك الوافرة من الاموال و
الاولاد والعلم النافع من الكتاب العزيز والسنة المطهرة لا احصي حمد الك واشكرك
على ما رزقتني من خلوص النية في القول والعمل والاعتقاد لا احصي شكرك انت كما اثنيت
على نفسك وقد رويت في صحيح مسلم بن الحجاج بسنده المتصل الى ابي هريرة رضي الله تعالى
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا مات الانسان انقطع عنه عمله
الا من ثلث صدقة جارية او علم ينتفع به او ولد صالح يدعو له اللهم فهذا علم ينتفع
به وقد علمت نيتي وعلمي انتصاري في تفسير كتابك لمذهب ذاهب او قول قائل ما عدا
قولك وما صح عن رسولك صلى الله عليه وسلم فانفعني به في الحيوة الدنيا وفي الاخرة واجزني بما انت له
اهل يا اهل التقوى واهل المغفرة وهذه اولادي فاجعلهم من عبادك الصالحين وممن
يدعوني بعد مماتي ووفقهم للعلم النافع والعمل الصالح واحفظهم من بين ايديهم ومن
خلفهم مما لا تحبه ولا ترضاه واجعل لي ولهم لسان صدق في الاخرين رب اوزعني ان
اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضاه واصلح لي في ذريتي اني
تبت اليك واني من المسلمين وقد طعنت في العشر الخامس من عمري ووهن العظم مني
واشتعل الراس شيبا فلم اكن بدعائك رب شقيا ولنختم الكلام بالحمد لله رب العالمين
كما بدأنا به اول مرة وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد وآله وصحبه وبارك وسلم كرة بعد كرة

خاتمة الطبع لنخبة السادة وعمدة القادة الجامع بين العلم الاشرف والعمل الاجود السيد محمد ذو الفقار احمد سلمه الله الصمد وعليه نعمه جدد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انزل ما ارتضاه دينا لخيرته من عباده + ونور بصائر خاصته بانوار الهدى
حتى اهتدوا الى ما اودعه في كتابه من مراده + فنظموا درر البلاغة في سلك البيان ونسجوا
حلل الفصاحة على منوال الايقان والاتقان والصلوة والسلام على من حاز قصب السبق في مضمار المباراة
بجامع البراهين والحجج وسلم من التاثم في ميدان المجاراة بالاعتصام بقران عربي غير ذي عوج وعلى آله الذين
انقادت لهم معارف الهدى في ازمة الخلوص طوعا وسمعا وصحبه الذين جمعوا من الفضائل العليا والمناقب العظمى
جمعا وبعد فان لكل عمل قواما ولكل امل مراما وقوام كل عمل ومرام كل امل معرفة كتاب الله المنزل على النبي المعصوم
من الزيغ والزلل اذ بهبوب نسائم معانيه تهتز معاطف العقول وبالاحاطة بشمول مبانيه لجميع المقاصد تفخر الفحول
وبشروق شموس نصوصه تتضح سبل الهدى والرشاد وببزوغ بدور حكمه يدرك كل مرام ومراد وبقطف ثمار
حقائقه من افنان الايات البينات يعرف ان هنا غراس اليقين وليس بغراس الاوهام وبدنو جنا
جنان دقائقه من النصوص النيرات يعلم انه كلام الخالق المعجز وليس بنظام الانام ولا سبيل الى كشف
القناع عن هذه المخدرات والتمتع بتلك الرافلات في حلل الايات الكريمات الا بممارسة علوم التفسير
ومقالات الائمة المفسرين والعثور على حقائق ما سطره وحرره سلف الامة وائمتها في طروس اليقين و
ان هذا التفسير المبارك واسطة عقدها واكليل تاجها ومنزلة سعدها قد دخل جامعه على
حقائق التحقيق الحقيق بالقبول من مجازها وخاض في بحر حقائق التدقيق الحري بالسمع والطاعة
من فنون التفسير حتى اخرج كل عويصة الى معالم ابرازها احيى لياليه في تدبر الايات واحكامها حتى امات اشباح
الاراء الصرفة والاوهام وجرد سيف السنة المطهرة ففتح مدن القيل والقال الزائف بمجرد ذات الصمصام
فعلا رايته في هذا العلم كان الناس امة واحدة وعلى توحده في هذا العلم ضرب سرادق الاجماع و جمعه

لكل فائدة فلله دره حيث اجرى انهار الحجج والبراهين الصحيحة من تحت جنان النصوص والآيات فذقنا عذب الشرب
من كوثرها حلاوة تسنيم الكرام وحقق لنا حق التحقيق في كل دقيق وجليل والحق احق ان يتبع وهو القدح
على كل كلام في كل مقام ماكنت احسب ان النيرات غرت بصيدها شرك الاوهام والفكر
الفى عصى تحريره البالغ في المعنى والمبنى فالتقفت حبال سحرة الاباطيل وتحدى بما هو تحقيقه مصاقع
المفسرين من القدماء والمتاخرين فالقوا السمع وتركوا غيره من كتب الاقاويل فلهذا ترى عصابة
اهل العلم وسادتهم عكفوا على ابواب حقائقه وطائفة اولى الفهم وقادتهم تمسكوا بذيول دقائقه
كيف وقد اورد عطاش الافهام على حياض علوم التفسير الفائقة من غير مقاساة الاوام وسهل
حزن تناولها بعد احتفافها باشواك الاشكال للخاص والعام وجمع بين الرواية والدراية من علم
التفسير على وجه لم يسبق اليه وورد ماءه وهم نيام ونظم عقود هذا الفن المبارك العزيز الوجود
في هذا الزمان بعد تبدده لمن قصده باحسن اسلوب والطف نظام وذب عن الكتاب العزيز
ما لم يكن منه واذاع اسرار لفظه ومعناه بعد ان لم يستطع احد عليه خبرا ولم يبق منه في
هذا الزمان الاخير الحاضر بين يدي الساعة الكبرى عين ولا اثر الا ذكراه فكساه ثوب
العلى ثوب بهاء وسقاه الجمال ماء شباب فهذا التفسير بحمد الله تعالى قد جاء جامعا للصحيح من
الاقاويل عاريا عن الشبه والتصحيف والتبديل محلى بالاحاديث النبوية مطرزا بالاحكام الشرعية
موشحا بالقصص الصحيحة واخبار الماضيين الصريحة مرصعا باحسن الاشارات مخرجا باوضح العبارات
مفرغا في قالب الجمال بافصح لفظ وابلغ مقال ومهذبا جامعا لمعاني التفسير ولباب التاويل
والتعبير حاويا لتلخيص ماثوره ومنقوله متضمنا لنكته واصوله ولم يجعل لنفسه تصرفا فيه سوى
النقد والانتخاب مجتنبا حد التطويل الممل والايجاز المخل وفضول الاسباب فهو كتاب مبارك وسط
في التاويلات جامع لوجوه الاعراب والقراآت متضمن لحقائق السنن ومقالات اهاليها موشح
بتفاسير سلف الامة وائمتها ومواليها خال عن اباطيل الاراء الفاسدة واكاذيب العقول الكاسدة
ساقه بابلغ ما قدر عليه من الايجاز وحسن التهذيب مازجا له بالكتاب العزيز مع التسهيل والتقريب
وكانت بداية زبره في اوائل شهر صفر من تسع وثمانين من القرن الثالث عشر ونهاية رقمه
في اواخر شهر اتمام الشعائر من العام المذكور الحاضر وقد حال بين تلك المدة مدة التحرير والكتابة حائل

ومنعه عن تدبره وتسطيره الى اربعة اشهر كاملة شاغل فكان تمام امد جمعه ثمانية اشهر لا اقل منه ولا اكثر
وهذا من فضل الله تعالى على جامعه حيث سهل له صعاب المرام في تاليف هذا التفسير المبارك العالي
المقام ومن اعجب العجائب واغرب الغرائب انه كما تم بتمامه الاسبوع والشهر والسنة انتهى بانتهاء تبييضه الذي
بيضه هذا العبد الجاني لاجل طبعه الاسبوع والشهر والسنة فانه كان تمام تبييضه يوم الجمعة بعد العصر
التاسع والعشرين من ذي الحجة الحرام سنة الف ومائتين وثلث وتسعين وايضا قد وقع ختام تحريره
وتمام تسطيره لاجل الطبع بتمام الشهر فكان بعد العصر لثلثين من ربيع الاول سنة الف ومائتين واربع وتسعين
على يد كاتبه وسياتي اسمه وما هذا الا من بركة هذا التفسير المبارك والحمد لله الذي تعالى وتبارك
وكم لمؤلف هذا التفسير من كتب ورسائل مدونة في الحديث والفقه والعقائد والاصول والطبقات
الناسخ والمنسوخ واثبات الاتباع وذم الكلام التي لم ينسج على منوالها احد من المعاصرين ولم يحم حول حماها رجل
من المتاخرين والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم وصلى الله وسلم وبارك على رسوله محمد سيد الخلق والمرسلين وآله وصحبه
اجمعين ومن تبعهم بالاحسان الى يوم ما ناح حمام وفاح مسك ختام هذا وقد تم طبع هذا الجزء الرابع من التفسير المسمى
بفتح البيان في مقاصد القران في عهد حكومة من هي نخبة الزمان ونسخة الاوان وعين الانسان وزينة المكان قد جمعت
من الفضائل العليا دانيها وقاصيها واخذت من الفواضل الحسنى ناصيتها جلت عن المدح وعلت من
القدح الى ان صارت بحيث كان مدحها قدحا وعاد قدحها مدحا اعني بذلك والية الملك وولية النعم
حضرتنا نواب شاهجهان بيگم ادام الله تعالى ظلالها وطابت ايامها ولياليها وكان مبنى ثمرة ارتفاع
وضعه بالمطبع الصديقي الواقع بدار الامارة العلية وروض الرياسة البهية بهوپال المحمية حرسها الله
تعالى واهلها من كل رزية وبلية في اوائل شهر ربيع الآخر سنة الف ومائتين واربع وتسعين الهجرية القدسية
بكتابة الحافظ لكتاب الله الصالح الاواه علي حسين اللكنوي سلمه الله العلي القوي وتصحيح هذا العبد المقصر
الجاني عفا الله عنه ما جناه ووفقه لما يحبه ويرضاه وذي الفضل الابهر والمجد الانور المولوي محمد عبد الصمد
الفتاوري تحت ادارة ذي الخلق الوسيع والفضل المنيع المولوي محمد عبد المجيد خان مهتمم مطابع دار
الرياسة البهوپالية وباصلاح حجر الطبع من الحافظ كرامة الله عافاه الله وابقاه ولما عم نفعه وشاعت نسخه
في الديار الشاسعة واجتلى اهل العلم اضواءه الساطعة قيض الله لهم بعضا بحر الي الفضل الاشاعة جماعة من اهل الدين السماح
في كل ساعة فجادوا وابكل ثناء جيد وافادوا بما يهتجي به المؤلف السيد السند لتفسيره المبارك من الشهرة والصحة والقبول الازيد

فمنهم الاديب الفقيه اللبيب النبيه عالي العلوم والمعلوم سحاب الفنون المركوم السيد محمد الكتبي الحنفي الخطيب الامام المدرس بالمسجد الحرام خصه الله بمزيد الانعام

بسم الله الرحمن الرحيم

يا من فتح ينابيع البيان بالاسرار القرآنية وفجر عيون التبيان بالاذكار الصمدانية واظهر بدائع المعارف والحقائق واشهر صنائع العوارف والدقائق واضاء انوار بدور العلوم واشرق شموس الفهوم على كل صديق اختاره من عباده ونسب المحسن على التحقيق من عباده حتى اباح له نشر ما انطوى من الفضل بين اعيان الانام وازاح عنه حجاب الجهل واحيى به ما اندرس من مآثر الافاضل الاعلام نعليا ناك الحمد الذي يوافي نعمك ويكافي مزيدك ولكبريائك الشكر الذي يليق بوافر امتنانك ويقضي بان استزيدك وابتهل اليك في اوقات الاستجابة واتضرع اليك في اماكن الاجابة ان توالي صلات الصلوات وموصولات التسليمات على سيد العجم والعرب صاحب السيف والقلم واشرف من قرأ وكتب المستفيد من مدرسة وعلمك ما لم تكن تعلم المنزل عليه في الذكر المحكم اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم وعلى آله واصحابه واتباعه واحزابه وعلى من انتمى اليهم باحسان الى يوم الدين وعلينا معهم اجمعين آمين

اما بعد فان العبد المأسوف الملتجي الى حرم ربه الرؤوف مغيث الملهوف للعروف بالمعروف لما نظر في تفسير فتح البيان في مقاصد القرآن تاليف نخبة الافاضل خلاصة الاماثل **بيت**

علامة العلماء والبحر الذي * لا ينتهي ولكل بحر ساحل

العالم العلامة الكامل الفهامة افضل المتبحرين اكمل المحررين صاحب المناصب العلية والمراتب السنية والمناقب المشهورة والفضائل المأثورة والاخلاق الزكية والسيرة المرضية الذي قرن بين الكمالات النفسية والرياضات الانسية وجمع مع التوغل في نظم المصالح الدنيوية مراعاة الدقائق الدينية باسمه السامي ولقبه النامي نتباهى الاحساب وبذاته الملكية استغنى المادح عن الاطراء والاطناب **شعر**

له مناقب تسري مر سرى قمر * وسيرة سار فيها اعدل السير

علم وحلم وعدل شامل وتقى   وعفة ونوال غير منحصر   خلائق في العلا لما سمت ونمت

فاحت ولاحت لنا كالزهر والزهر   يا كامل الاصل حائز الفضل وافره   بسيط فضل العطايا غير منبتر

يا سيدا في المعالي طال مطلبه   ملكتها عنوة بالحق فاقتصر   ان فهت بالعلم فقت الاقدمين فخر كما

وصلت بالحق صول الصارم الذكر   وان تكلمت في الاصلين فاعل وطر   وقل ولا فخر ما الرازي بمفتخر

وان تقشر تحقق كل مشتبه   وسيف ذهنك شفاف على الطرر   وليس يرفع راسا سيبويه اذا

نصبت للنحو طرفا غير منكسر   ومن قد برز مان للحديث لقد   رقيت في الحفظ والعليا الى الزهر

اعني النواب عالي الجناب المفخم المهاب الطيب **السيد محمد صديق بن حسن بن علي القنوجي** اسبغ الله تعالى سجال محاسنه على العالمين وادام افضال صيامنه على المسترشدين وهذا دعاء بالاجابة قرين فانه سبحانه لا يضيع اجر المحسنين **شعر**

حاز الكمال صبيا منذ مولده +   ووام بالفضل طفلا قبل ينفصل   يمد نحو العلا والمكرمات يدا

خطوطها بالمنايا والمنى سبل   يد الى كل مصر من اناملها   ترى الايادي وفيها ينزل الامل

كان خاتمه يوم النوال بها   قوس السحاب الغوادي حين ينهمل   نفس من القدس في ذات مجردة

بالنعت جاز عليها يصدق الرجل   وحين سرح الطرف في التاليف المذكور وتامل فيما حواه من الجواهر التي

تفوق جواهر النحور ودرر البحور وجده تفسيرا لم يسمح الدهر له بمثيل + ولم يقدر مدع ان ياتي له

بقبيل لو اطلع عليه ابو حيان لشهد بانه الذي ظهر او ان فضله وحان ولو تامل الزمخشري

فيما احتوى عليه لانعزل عن اعتزاله ورجع اليه ولو شاهده الغزالي لقال نعم هذا الغزل ولا ابالي

ولو طالعه المفتي ابو السعود لقال يا لهذا الطالع المسعود ولو قرأ البغوي فوائده لشهد له بفائدة

اي فائدة حتى انه لو فرض وقدر **بيت** حلف الزمان ليأتين بمثله + حنثت يمينك يا زمان فكفر ولو تخيلنا

امرا وسمعنا **بيت** لئن قاسه بالاذكى مقايس + منعنا وقلنا لا نسلمه قطعا + اذ عباراته في غاية الفصاحة

والفاظه في نهاية الرشاقة والملاحة احتوت على افادة المعاني الوافرة وانطوت على مباني التفاسير المتكاثرة منها

تهللت على وجنات الطبائع السليمة لمعات انه فائق وتلالات على صفحات الاذهان المستقيمة انوار الحقائق محصل

ما خصه لسان التحقيق وملخص ما حرره بنان التدقيق فالله ينفع به اهل الاسلام ويبقي مؤلفه مقصد الخاص

والعام بجاه سيد الانام من هو للرسل الكرام ختام +

ومنهم شيخ الادباء وتاج الاذكياء الحنفاء ونخبة الاصدقاء الشيخ امين بن حسن المدني الحلواني اعانه الله تعالى بنيل الاماني

بسم الله الرحمن الرحيم

خير الكلام كلام الرب جل وعلا واعظم الاثار ثناءه على قدوس الملا، اللهم اجعل افضل صلواتك وازكى تحياتك على من انزلت عليه كلامك المجيد واتممته على حلي مغرف الوحي الجيد محمد سيد البدو والحضر وافضل من وفى ونهى وامر صلى الله عليه وعلى من والاه، ما دعى داع مخبت اواه

وبعد فان علم التفسير هو في نفسه خطير بيد انه العلة الاولى لجميع العلوم والسبب الاقصى للمنطوق والمفهوم جاز وان كان السلف بنوا فيه القصور المناظر الا انه كم ترك الاول للآخر وان في الخمر معنى ليس في العنب وبينما كان الناس يخبطون خبط عشواء ويهيمون بليل عمياء في غبار المحاريات بين الفخر والزمخشري الا وقيض الله لهم السري بن السري بن السري الا وهو النواب **السيد محمد صديق حسن خان بهادر** امير بوفال احسن الله له الفال فانه وان ظهر بعد جهابذ الا انه اتى بما لم يحوه زبر الاولين وهاك تفسيره المسمى **بفتح البيان** فانه احسم دليل واقطع برهان واوضح صباح وابلج تبيان في حل منازعات المتقدمين وكشف اشكالات العلماء الراسخين وبيان اسرار كلام رب العالمين ولتعلمن نبأه بعد حين وهذه التفاسير الوف على وجه الغبراء فاطرح التقليد واهجر المراء تعلم ان في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل وانه لا عطر بعد عروس وقد وضح الصبح لذي عينين واذا جاء نصر الله بطل نهر معقل ولما طلعت شمس طبعه على الوجود واينع منها الغصن واورق العود انشدت مؤرخا ومادحا ولا عدائه صادما وكابحا **شعر**

اجريت يا بوفال طرف بياني　　وسلوت فيك محاسن الاوطان　　بمديح مهدي الاوان من انتهى

في سيره ماسنه العمران　　نواب بوفال رعاها الله كم　　تسمو به شرفا على كيوان

صدّيقها حسن امام العصر من　　شرفت به الاباء من عدنان　　هو حيدر في فتكه بل يوسف

في حسنه في درعه القمران　　يا بدر افق العلم يا شمسه　　يا غوثه يا ديمة الظمآن

اسديت في بوفال ثوب عدالة ماحاكه كسرى انوشروان وغرستها شجر الفهوم فاصبحت

تزهو على بلد به الهرمان ومنحتها سبل السلام فانبتت زهر الربيع وروضة النعمان

يا حسن روض بالمعارف مورق اروى به الوسمي غصن البان سل عنه داؤ الطبع كم اسكبها

دررا تفوق قلائد العقيان سل عنه اهل الزيغ كم اردا هم ببيانه وجنانه وسنان

وسل العلوم واهلها اهل غدوا بحرا ينظم سبحة المرجان والشد هم مستفسرا اهل شاهدوا

صبحا كصبح مقاصد الفرقان لله ما ابديته من معجز الرازي والانوار والتبيان

وجليت في الفرقان ايات لها في كل فقرة اية بجران وانلتها زهر البديع مفوفا

ازرى البديع وخطبتي سحبان ونسجته في الطبع احسن مطرف يكسو الانام ملاحف العرفان

لما انتهى في طبعه ارخت في فتح البيان مفصل القران

وكتبه فقير ربه واسير ذنبه امين بن حسن الحلواني المدني عفي عنه ١٢٩٤ هـ

هذه قصيدة بديعة وكلمة رفيعة سمح بها طبع الاديب وخاطر اللبيب تاج البلغاء الكرام وامام الفصحاء العظام الشيخ المكرم السهارنفوري فيض الحسن حفظه الله عن كل ما يكره في السر والعلن عند ما وقف على تاليف هذا التفسير ووجده حين النظر اليه نظير نسخة الاكسير

بسم الله الرحمن الرحيم

ما سمعنا بمثل فتح البيان في المباني ولا ولا في المعاني فمعانيه عين عذب فرات

ومبانيه جنة من جنان لا ولا ثم لا ولا مثل شيء منه شيء من الكبار المتان

من رأى مثله رآه واني مثله عز مثله في زماني انظرن فيه فانظرن فيه تنظر

فيه ما ليس في الحسان السمان يا لها من جميلة ذات حسن تتمناه ناعمات غوان

انحب الحسان حبا شديدا بعدها وبك من محبة مدان كل ما فيه نضرة وسرور

لمن ي بات عنده في مكان حسبه انه على كل حال كاشف عن لطائف القران

ان وضعناه فوق سبع شداد
وفقد جل مدحه عن بيان
مرتع مونق ومرعى مريع
منظر دونه العيون الرواني
بيته حسن من المعاني منيف
فيه شيء يقول لي لن تراني
كيف يلفى له نظير ولما
ذو سمو وراسخ البنيان
هاشمي له مكارم قوم
ماجدات واوجه غران
ذاك فخر ودونه كل فخر
ثم يمضي فيه كسيف يماني
لذة في نواظر الناس طرا
في صغار وذلة وهوان
ثم لله دره من كريم
لخشوع ورحمة وحنان
كيف لا وهو حق عرق كريم
اسواء لديه باق وفان
يعرف المرء حيث كان ولا
مستعان وحسبه من مستعان
كل فضل له وما كان فضل
كجواد من ارسلا في رهان

اجانا اذ حل فيه سبع المثاني
يكشف المعضلات سهلا يسيرا
غاثه كل صيب هتان
انه فانظروه او فاسمعوه
كل بكر به وكل عوان
لن ترى فيه من فتور ونقص
يلف فيما مضى لبانيه ثان
خير قوم بنوا بيوت المعالي
لم يكن مثلهم بعيد ودان
آل زهراء ثم آل علي
نالهم من غلام الفتيان
وجنى المجد بعد نضج وينع
رحمة في ضمائر الاقران
لا يبالي بشامخات رواس
سل من حرة حصان رزان
ذو خضوع كانه ذو صغار
عنده الفقر والغنى سيان
في اسمه مبدأ ان صدق وحسن
يغمض عنه وان بعيد المكان
فاضل كل فضله فضل ربي
لم يكن فيه شهرة وبدان
بارك الله فيه ما هبت الريح

امره بين غني عن المدح
فكان حلها ذوات البنان
منهل حوله القلوب الصوادي
لذة للعيون والآذان
لم ازره وكيف زورة بيت
ولمن اسس البنا خير بان
بيته المجد وهو قصر مشيد
ثم هم عامروا بلاد الاماني
بلغوا المجد والعلى بنفوس
اكرم الناس اشجع الشجعان
يخلق الامر في فؤاد رحيب
خير جان ويا له من جان
في حسود وهم على ما اصابوا
من علو له على كل شان
فيه عز كانه ذل عز
ذو وقار كانه ذو توان
لم تغره نعمة وثراء
وكلا المبدأين للخير بان
عارف بالعلى مكين امين
لا يداينه رب فضل مدان
كاتب ويد وايد يداه
ح صباح الندى على الاغصان

صلاته اسمى من شرور الدواهي وحفظ في كلاءة وامان ذا دعاء له بخير ولا يذهب ما كان من عظيم الجنان

قد زاره بعد نظم هذه القصيدة فيهره فوز ناظمه ١٢

ومنهم الشيخ العلامة والمفسر المحدث الفهامة ذو الفضل السامي الشيخ علي بن عبد الله الشامي الكناني خصه الله تعالى بمراحمه

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحانك الفاتح المانح اللهم اني اسالك التوفيق لما تحب وترضى واستمنحك حامدا لك باسمائك وعلى جلائل آلائك ودقائق نعمائك الباهرة الغراء حمدا تتعطر مجاري الانفاس بنفحة من نفحاته وتتفجر انهار انوار الاسرار بلمحة من لمحاته وتتدفق مناهل الافكار برشحة من رشحاته، واصلي واسلم على سيدنا محمد العظيم الشان المؤيد بالآيات البينات والمعجزات الباهرات الذي محى ظلم الشرك والطغيان، وسل سيف عزمه فاستنار منار الاسلام والايمان واقام دلائل التوحيد بالسيف والبرهان، وعلى اهل بيته خزنة اسراره وعلى آله واصحابه وانصاره الذين كشفوا عن مخدرات مكنونات الكتاب النقاب وخاضوا عبابه واستخرجوا درر فرائده وجواهر قلائده وفتحوا لطالبيه الباب **وبعد** فلا يخفى ان العلوم وان عظمت اخطارها وتباينت اقدارها فعلم التفسير هو الجدير بان يشمر له ساق الجد والعناية، ويعتنى في تحصيله باتقان الرواية والدراية وقد بذل الائمة والسلف الصالح من الصحابة ومن بعدهم من الخلف الفالح هممهم العلية وافكارهم الوقادة المرضية في استخراج دقائقه وبث كنوز حقائقه مستضيئين من انوار مشكاة النبوة الزاهرة فضاءت واشرقت على صفحات قلوبهم اسرار انواره الباهرة فهم اول من صلى وجلى في ذلك الميدان فجزاهم الله احسن الجزاء وهل جزاء الاحسان الا الاحسان ثم ليعلم ان من اجل ما طالع الحقير من التفاسير العظيمة الحسان وافضل واحسن ما الف في هذا الشان ما جمعه المولى الهمام جامع فضائل الانام السيد العلامة الامام الحافظ السند ذو الجاه المعتمد الاواب **محمد صديق حسن خان** صاحب بهوپال النواب فرأيته مؤلفا حاويا للباب مشتملا على غرر درارى العباب تبهر جزالة معاني الفاظه عقول اولى الالباب مع احكام قواعد وايجاز مباني وتقييد اوابد وتنقيح لطائف شوارد وثمرات اسرار لم تنسق قبل ذلك في تفسير ولا كتاب جامعا ما تفرق مظهرا للانوار الساطعة التي لا يحوم حولها خطا كيف لا وجامعه مرتضع لبان الفضائل والعلوم ومرصع جواهر

المنطوق والمفهوم دري بفنون انواع الدراية امام متقن لمدارك الرواية لازال محروسا بعين
العناية ولقد اتفق به الحقير لما رحل الى بيت الله سنة خمسة وثمانين ومأتين والف فلما وقع
نظر الحقير عليه رأيته اية من ايات الله وايقنت انه لجوامع الفضل والفضائل اولى واحرى
فاجريت سوابق فكري اليه فانقلب اصف منتهي قائلا ايها وان وجدناه لبحر الآن محفوظا
وبعين الله تعالى ملحوظا جامعا الفنون العلوم موضحا ببديع بيانه ما ادلهم على القوم امين اللهم امين
وصلى الله وسلم على سيدنا محمد الذي انزل عليه الكتاب والشفيع يوم المآب كتب ذلك عجلا
الحقير علي بن عبد الله الشامي الكتبي تاب الله عليه ورحم والديه والمسلمين امين

ومنهم الشيخ المحترم النبيه والعلامة المفسر الفقيه يحيى بن محمد المفتي بحديدة عظمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد الامين وعلى اله وصحبه اجمعين **وبعد**
فان من نعم الله على عبده الحقير الفقير خليق الكسل والتقصير ان اوقفه الله على هذا التفسير
الخطير الذي لاحد لفضائله ولا تقدير تاليف الملك الهمام والعلامة الامام الذي فاق اهل
زمانه ولم يلحقه من تقدمه من العلماء الاعلام **ابي الطيب السيد محمد صديق
حسن خان نواب والاجاه** وقد سرحت النظر في ربعه الاول فرأيته الغاية في فنه
وجنسه محكم الوضع والترتيب في بنائه واسه حاويا جميع مباحث العلوم سهل التناول لارباب
العقول والفهوم سالك فيه مسلكا باهرا عجيبا وطريقا واضحا قريبا اتضح فيه للناظر المراد باول وهلة و
لا يحتاج لكثير تامل له بخلاف غيره من التفاسير المتقدمة فان غالب مباحث اكثرها يصعب
فهمه على هذه الافهمة ولعمري لقد اوضح بحسن تقريره اسرار الكتاب العزيز ونظم في سلك تحريره
جواهر الابريز وكشف عن عجائبه واسراره وانفرد من ذلك بما لم يحوه شيء من كتب التفسير و
اسفاره فجزى الله مؤلفه خير الجزاء وبوأه بجميل صنعه دار الكرامة والرضى وادام النفع به
للمسلمين الى يوم الفصل والقضاء امين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون
ربهم والصلوة والسلام على رسوله محمد الذي هدى الناس كافة الى خير الهدى عن الضلالة
ذ بتهم وعلى آله واصحابه ومن تبعهم بالاحسان واحبهم **وبعد** فيقول الراجي عفو
ربه الرحمن **محمد عبد المجيد** خان خصه الله تعالى بالغفران وعفى عنه ما جناه باللسان
والجنان والاركان مهتم مطابع الرياسة العلية **بهوپال** المحمية والعامل على تلك الصنعة
البهية ان هذا التفسير المبارك الميمون والزبور الكريم المصون عن ريب المنون قد انفه
مؤلفه السيد العلامه وحرره جامعه الشريف الفهامة بحسب استبداد جماعة من اهل
العلم بالقرآن نخبتهم الطبيب الماهر الحاجي فوري الحكيم **محمد احسن** انعم الله عليه
واليه احسن في ثمانية اشهر ونظر عليه النظر الثاني في اربعة اشهر فكان مدة تاليفه
الكامل عام واحد ثم بيضه نخبة البررة وزبدة الخيرة السيد **ذو الفقار احمد**
البهوپالي رقاه الله الى مدارج المعالي في سنتين ثم صدر الامر المطاع بطبعه في تاج المطابع
وراس المصانع فكتبه الحافظ لكتاب الله المجيد والتالي له باللحن السديد **علي حسين** اللكنوي صانه الله
عما شانه فطبع كما تراه مطبوعا لاهل العمل والعلم وعاد احسن المصاحف موضوعا لدى اصحاب
الفضل والحلم وكان ذلك في مدة اربعة اعوام وصحح حروفه واصلح فروقه الشيخ الصالح العالم
النبيه واللوذعي الالمعي الفقيه **محمد عبد الصمد** بن الفاضل الاريب الكامل
الاديب المولوي **عبد الوهاب** الفشاوري احسن الله اليهما وانعم عليهما فلما تم طبعه ونفد وضعه
حسب المصروف عليه من المعلوم الذي بذله المؤلف حفظه الحي القيوم على تصحيحه وكتابته
واجرة العاملين على طبعه وغير ذلك مما لا بد منه في طبع الكتب واشاعتها وزبر الصحف
المطولة واذاعتها فكان جملة النفقة في ذلك زها خمس عشرة الف ربية وقد طار خبره
قبل تمامه وتضوع مسك ختامه الى البلدان واستطلبه كل من سمع به او نظره من الاعيان
من اهل صنعاء وابي عريش وزبيد وبيت الفقيه وبلاد الحجاز ومصر والشام والقدس وبلغار

ومن حل بها من بقية علماء الديار وكرام الامصار واستحسنوه استحسانا بالغا ورجحوه على
جميع دفاتر التفاسير المتقدمة والمتاخرة وقالوا من ظفر به وفهمه فقد صار في العلماء نابغا
وهو حري بذلك فانه لم يؤلف مثله في هذه المسالك والمدارك وقد اولم عليه حضرة النواب
الرفيع الخطاب وليمة حسنة مستحسنة واطعم كل من له المام بعلم الكتاب والسنة واضافهم ضيافة
وخلع على اهل المطابع والمصححين باحسن خلاع تنبغي للمحسنين كما صنع الحافظ ابن حجر
العسقلاني رح وليمة عند ختم فتح الباري شرح صحيح البخاري ثم جادت الرئيسة المكرمة
ومليكة هذه الديار المعظمة تاج العروس وبهجة النفوس من يباهي بها الدهر ويفتخر بها الفخر
عادلة الزمان ومكرمة الانام ونسخة الامان وحسنة الايام ونخبة رؤساء الديار
الهندية وحامية حمى الشريعة الحقة الصادقة السنية حضرتنا **نواب شاهجهان**
بيگم والية المملكة البوفالية رفع الله قدرها وافخل امرها وانجح مرامها واسعف نظامها
وبارك لها عليها وفيها وخضع لجنابها رقاب من في نواحيها وضواحيها ببذل نسخ كثيرة من
هذا الكتاب الكريم والتفسير الشريف العظيم على اهل الفضائل والعلوم الساكنين بالهند
والحجاز وحديدة والحرمين الشريفين ومصر والقدس والروم واشاعة لاحكام رب
العالمين واذاعة لمقاصد هذا الرقيم الكريم وتبليغا للدين القيم القويم وهداية
لهم الى الصراط المستقيم صراط الذين انعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين
عم الله تعالى نفعه لعصابة المؤمنين وزمرة المتبعين لسنة سيد المرسلين صلى الله
تعالى عليه وعلى آله وصحبه اجمعين ابصعين التعين وقد ارخ لتاليف هذا الكتاب و
طبعه جماعة من اهل الدين بعبائر رشيقة وجمل انيقة يتضح منها زمان الطبع و
التاليف من غير مشقة لذلك وتكلف وتكليف وهي هذه

تاريخ التاليف للسيد العالم الحفي ابي الحامد محمد يوسف علي
المولوي الگوپاموي انعم الله عليه في الدنيا والآخرة

وقد تيسر لي تصحيح هذا التفسير البارع ... من خطأ ... بخلاف ذلك ... من اول الكتاب الى آخره ونظر الثقات ... وبالله التوفيق والاستعانات منه

وجابنعمة الذاخرة الفاخرة

اسوة الاعلام صديق الحسن	فسر الذكرى بتفسير فريد
التمست القلب عن تاريخه	قال ايضاح لقرآن المجيد

سنه ١٢٨٩ هجري

تاريخ التاليف للناسخ الراسخ القوي الحافظ لكتاب الله

العلي الشيخ الصالح علي حسين اللكنوي كاتب هذ التفسير

سلمه الله وعافاه واوصله الى ما يتمناه

وإنه لهدى وبشرى للمتقين

سنه ١٢٨٩ هجري

وله لعام الطبع

قدوة الاعيان تاج الاذكيا	ناصر الاسلام بالفكر السديد
مجمع الاوصاف ذو الفضل الجلي	منبع الخيرات بالمجد المزيد
حضرة النواب صديق الحسن	ألف التفسير بالطرز الجديد
قال عام الطبع قلبي ملهما	انه تفسير فرقان مجيد

سنه ١٢٩٣ هجري

ايضا

قد تم الجزو الرابع بحمد القدير

١٢٩٤ هـ قدسي

بسم الله الرحمن الرحيم

اصلاح الذي وقع من الاغلاط في طبع الجزء الرابع من تفسير فتح البيان في مقاصد القرآن

صفحه	سطر	خطا	صواب	صفحه	سطر	خطا	صواب	صفحه	سطر	خطا	صواب
۴	۱۷	مّن قرن	من قرن	۳۳	۲ حاشیه	المرأة	المرأة	۷۱	۵	اذاوى	اذا آوى
۵	۱	ليلي	ليلى	۳۴	۲۱	النسعب	النسب	۷۳	۱۴	اختشي	اخشى
//	۱۳	بنت	بُنُتُ	۳۵	۶	قال	قال هو	۷۵	۲۳	عظيها	عظيمها
۹	۲۳	المسجلة	السجلة	۳۹	۱۵	الروج	الروح	۷۸	۱۶	بة	به
۱۰	۱۳	والافافة	والافاقة	۴۳	۲۳	اواما	اوما	۷۹	۱۲	رضي	رضى
۱۱	۲	نصلينا	نصيبنا	۴۵	۱۳	للدين	الدين	۸۰	۲۰	المنجاذة	المنجاة
//	//	نبيه	نبيه	۴۶	۵	آلهة	الهة	۸۲	۱۲	ليخبط	ليحبط
//	۱۰	اسلام	السلام	//	۱۰	ولم يتأتى	ولم يتأت	۸۴	۲	المطوى	المطوي
//	۱۴	عنه و	عنه	۴۸	۱۱	انما	وانما	۸۵	۵	قبل وهمنا	قبل همنا
//	۲۲	حما	عما	۴۹	۴	ينهي	ينهى	۸۶	۱۲	فسألوا	فسئلوا
۱۳	۸	بجذ وبه	بجذوبه	//	۲۲	لئن	ولئن	۸۹	۲۳	باتامنهم	باقامتهم
۱۵	۱۴	الزوج	زوج	۵۴	۵	دغنهم	دغبهم	۹۳	۳	جادلتنا	قد جادلتنا
۱۸	۹	روج	زوج	//	۶	نتبو	نتبوء	//	۱۲	البلاد	البِلاد
۱۶	۱۶	وعني	وعنى	۶۱	۱۲	اومثنى	اومثنّى	//	۲۱	كقولهم	كقوله
۲۵	۷	على	الى	//	۱۲	استثقلالا	استثقالا	۹۷	۱۸	الله	الامه
۲۷	۱۶	الجبال	الحبال	۶۳	۳	جنزه	جلده	۹۹	۲	الازقة	الازفة
۳۱	۹	التابيد	التأبيد	//	۱۹	بنقسه	بنفسه	۱۰۰	//	الخلق	الخلق كلهم
//	۱۳	بالايدي	بالايدي	۶۴	۲۲	اخلص	خلص	۱۰۲	۲۰	و به	به و
۳۲	۱۶	قدر	وقب	۶۷	//	النجاة	النجاة	۱۰۹	۴	للاية	الاية

صفحه	سطر	خطا	صواب	صفحه	سطر	خطا	صواب	صفحه	سطر	خطا	صواب
١١٣	١٦	للعرض	العرض	١٣٧	٣	تحتيق	تحقيق	١٧٢	١٥	أتيتكم به	ائتيتكم به
〃	٢٣	الملل	المال	〃	١١	البينة	البنية	١٧٤	١٠	القول	الفعل
١١٤	٥	منهم	عنهم	١٣٩	١٩	واستعتب	واستعتبته	〃	١٣	والرسول	والرسل
١١٥	٢	بالأولى	بالأولى	١٤١	١٥	سببا	سببا	١٧٧	٥	ثبتت الادلة	ثبت بالادلة
١١٦	١	امر	امره	〃	٢١	قتل	قتل	١٧٨	٦	فانه	فان
١١٧	٤	لانه	ولانه	١٤٢	١	منهم	منهما	١٨٠	١	والربا	والنميمة
〃	〃	ولكن	ولكن	١٤٤	٣	ودعًا	ودعا	١٨١	٥	موديا	مؤديا
١٢١	٦	صلسل	سلسل	١٤٥	٢	الحس	الحسنة	〃	١٢	ببينا	بينا
١٢٠	٥	انكار	انكارا	〃	٦	يعاذيه	يعاديه	١٨٢	٦	الحوتي	الحوفي
١٢٤	١	التفرق	التفرقة	١٤٨	٢١	الطاغون	الطاعون	١٨٦	١	فبلمه	فيلمه
〃	٢٠	وحوا	ففرحوا	١٥٠	١٩	تختصد بقومك	تختصد بقومك	〃	١٦	وهو	اوهو
١٢٥	٨	اشبه	اشبهه	١٥٦	١	الكناية	الكفاية	١٨٩	١٠	الادب	الادب انتهى
١٢٦	٦	بنيه	٭	〃	٢	مَمَّا	مَا	〃	١٧	اي الذي	الذي
〃	١٠	فقال	فقال ياقوم	١٥٨	١٢	اللهُ	اللهُ	٢٠١	٢٠	الدنيا	اهل الدنيا
١٢٧	٣٠	واعطيته	واعطية	١٥٩	١٠	هذا	هذا حديث	٢٠٨	٢	عهراه	عهده
١٢٨	٥	ولمرادعكم	ولم ادعكم	〃	١٣	في يده	وفي يده	〃	٤	يَنكِثُونَ	يَنكُثُونَ
١٣١	٨	سواءأوقرأ	سواء وقرء	١٦٣	٤	لتخيير	لتخيير	〃	٥	التكث	النكث
١٣٢	١٠	وجثيا	وجيثا	١٦٦	٢٣	دخوضا	دحوضا	〃	١٠	بالاها	بالاهاد
١٣٣	٦	في ساعة	في اخر ساعة	〃	〃	الادخاض	الادحاض	〃	١١	قو د	قوة
〃	١٢	وقع و	وقع	١٦٧	١٥	بعرها	بقربها	〃	١٣	ظاهر	طاهر
١٣٤	١٣	الحق	الحق منزلة	١٦٩	١٩	المعاولة	المعادلة	٢١٢	١١	واحيائه	واحياءه
١٣٥	١٠	صَرْصَرًا	صَرْصَرًا	١٧٢	١٠	عوضا	عرضا	〃	١٢	علماء	علماء الساعة

صفحه	سطر	خطا	صواب
٣٩٢	٩	بثفة	نبقة
〃	١٤	ثوى	ثوى
٣٩٣	٣	وتكثير	والتكثير
		للقواشي	للغواشي
٣٩٤	٥	هزالجل	هزالرجل
〃	٢٣	والعزى	والعزى الاخرى
٣٩٧	٤	ماهم	وماهم
〃	٧	لايغني	لايغني شيئا
〃	١١	العمل	العمل به
〃	١٩	ينسخ	ينسخها
٣٩٩	١٢	ونجاسة	[illegible] اذا كان يغلب [illegible] واستعمالها
		المسجد اذا	
		كان يغلب	
		تنجيسهم له	
		واستعمال	
		نجاسة	
〃	١٣	الواقعة	الوقعة
٤٠١	〃	اموالكم	اموركم
٤٠٢	٧	التقوى له	التقوى
٤٠٣	١٥	الاتزز	الاتزر
٤٠٥	٦	مؤمنات	مؤمنات الخ
〃	٨	ببعض	ببعض الخ

صفحه	سطر	خطا	صواب
٤٠٥	١٢	نتاول	تناول
٤٠٦	٩	الطبائعين	الطبائعيات
〃	١٩	يقني	يقنى
〃	〃	يغني	يغنى
٤٠٨	١١	نعماء	نعما
〃	١٤	فانة	فانه
〃	١٨	للتخيم	للتفخيم
٤٠٩	١٢	المسموح	السموح
٤١٤	١٤	والراح	والداعي
٤١٧	٣	مريب	مريب
〃	١٥	الاذكار	الاذتكار
٤١٨	١٢	كالثي	كالشئ
٤٢١	٤	قيل	قبل
٤٢٢	٤	هنا	هٰهنا
٤٢٣	١٥	خير	خيرا
〃	٢٠	او	اوالمعنى
٤٢٤	٣	والمزبية	والهزبية
٤٢٦	١١	المهاء	الهاء
٤٢٧	٧	لاشئ	لابشئ
٤٢٨	٢٢	معهما	معها
٤٣١	٢٠	تكسونك	[illegible]

صفحه	سطر	خطا	صواب
٤٣٢	١٩	الحذف	الحرف
〃	٢١	من	من ماء مهين
٤٣٣	١٧	مطلعهما	مطلعها
〃	〃	مغربهما	مغربها
٤٣٤	٧	كلما	كلما
〃	١٣	صغاره	صغار الدين
٤٣٨	٩	وفتح الراء	وفتح الراء وقرئ بكسر النون وفتح
〃	١١	وقرئ بكسر النون وفتح الراء	+
٤٤١	١٥	الزنانية	الزبانية
٤٤٢	٨	ثلثة	ثلاث
〃	١٨	لتضاعف	ليتضاعف
٤٤٣	٤	منهما	منها
٤٤٩	١٥	عليهما	عليها
٤٥٠	٣	ولخرج	واخرجه
٤٥٨	٧	بكسر الزاي وفتحها	بكسر الزاي ويفتحها
〃	١٧	خبرهم	خبر
٤٦٤	٣	حسناته	حسناته فانه
٤٦٥	١٠	يكون	يكون

صفحہ	سطر	خطا	صواب	صفحہ	سطر	خطا	صواب	صفحہ	سطر	خطا	صواب
٤٦٥	١٣	لعشق	العشق	٥١٦	١٣	سمي	سمى	٥٨٨	١٢	لاحمال	الاحمال
٤٦٦	٢٣	لكل لكم	لكلكم	٥١٧	١٥	للحشر	الحشر	٥٩٨	١٧	تحله	تحلة
٤٦٧	٥	نيثرون	تثيرون	٥٢٠	١١	اصولها	على اصولها	٦٢٣	٢٠	لرفقه	رفقه
〃	١٢	او	و	٥٢٤	١٥	الام	الامام	٦٢٥	٥	امر	لحم
٤٧٠	٢١	يتقوي	يتقوى	٥٢٥	١٠	يطنه	بطنه	٦٢٦	٢	مباينهم	مباينتهم
٤٧١	٧	لاهية	لاناهية	٥٣٠	٢٠	قرئ	قرئ	〃	٩	ويعيد	ويعيدوا
〃	١٢	الاحداث	الاحداث	٥٣٨	٨	والعد	والعدو	٦٢٩	١	اي حلف	حلف
٤٧٢	٥	اسانيدها	اسانيده	٥٣٠	١	ابن الزبير	الزبير	٦٣١	〃	المسالين	السالين
٤٧٥	٢٣	ربك	ربك العظيم	〃	٨	عنق	عنقه	٦٣٨	٢٣	اطعمه	اطعمة
٤٧٧	٢٠	قيل	وقيل	〃	٢٣	لكرمام	لكرام	٦٣٩	١٣	يشاهدونه	تشاهدونه
٤٩٣	١٢	الياء	الباء	٥٤٣	١٣	كان	كانت	〃	〃	يشاهدونه	تشاهدونه
〃	١٦	فان	فان الله	٥٤٧	١٣	مثلما	مثل ما	٦٥٠	٣	اوقرى	وقرى
٤٩٥	١٣	وليعلم	وليعلم الله	٥٥٠	٥	لما	ولما	٦٥١	١	ولايقدرون	ولاتقدرون
٤٩٨	٩	كتبنا	كتبناها	〃	١٢	المراد	المراد	٦٥٢	٩	لسأل	بسأل
٤٩٩	١٨	عنه قال	عنه	٥٥١	٩	واسقط	واسقطه	٦٥٥	٧	مفقوقيل	مفقودوقيل
٥٠٠	١١	المعوذ	العجوز	٥٥٣	〃	ودونا	ودونا	٦٥٥	١٥	والادوات	والاداوى مفشاوى
٥٠٨	٩	معصيته	معصيت	٥٦٥	〃	لاتخفى	لايخفى				
٥١٠	١٢	لمريتاذى	لمريتاذ	٥٧٧	١٣	الابتراء	الابداء	٦٥٩	١٣	مالكم	مالي
〃	٢٠	يافلان	يافلان و	٥٨٠	٥	يكن	تكون	٦٦٦	٣	طبان	طباق
			انت يافلان	〃	٢٠	وقدموا	اوقدموا	〃	٢١	ابن حجر	ابن حجر
٥١٣	١٣	قيمة	قيامة	٥٨٥	٧	وضوع	موضوع	٦٦٧	١٥	تعزيرهم	تغريمهم
٥١٦	١	تشديد	تشديدا	〃	١٨	عن ابن	وعن ابن	٦٦٩	١١	ابن حجر	ابن حجر

صفحه	سطر	خطا	صواب	صفحه	سطر	خطا	صواب	صفحه	سطر	خطا	صواب
٢١٩	٣	مستحق	المستحق	٢٧٧	٢٠	ثنبيت	تثبيت	٣٦٤	٢٣	فتحدث	فتحدث
٢٢٠	١٣	زلزيه	لوبه	٢٧٩	حاشيه ٦	الزحول	الزحل	٣١٢	١٣	ديفينا	دينينا
٢٢٣	٢٠	حيات	حيوة	٢٨٦	٥	العشاد	الفساد	〃	〃	يا بن	يا ابن
٢٢٧	١٧	التكثير	التكثير	٢٩٠	١٧	وحل	وجل	٣١٨	١٨	القعفاع	القعقاع
٢٢٨	١٧	وان	وان لم	٢٩٣	٣	كانت	كانت منهم	〃	٢١	بالرأي	بالرأء
٢٣٥	١٤	فواوه	فواه	〃	١٤	القران	قران	٣٢٠	٨	المراد	قوله
٢٣٩	٢٣	[illegible]	[illegible]	٢٩٤	٣	جيئ	جيئ	٣٢٣	١١	خشيت	خشية
٢٣٢	١٣	شاربيه	شاربيه	〃	٨	ويؤيد	ويؤيده	٣٢٥	٦	احدي	احدى
٢٣٣	٧	الحيوت	الحيوة	٢٩٥	١٢	ولكنه	ولكنها	〃	٢٢	زال	ازال
٢٣٥	١	حسن	احسن	٣٠٠	٣	الحفظ	الحفظو	٣٢٦	١٨	فئة	الفئة
٢٥٧	٣	ماسيقنا	ماسبقنا	٣٠٢	٣	انففت	اتفقت	٣٢٧	١٤	عليه	عينه
〃	١٩	لتنزل	لينزل	〃	١٥	ابطاء	ابطأ	٣٢٨	١٢	ابى جبيرة	ابى حبيرة
٢٥٩	١٧	التحتن	التحان	〃	١٩	ومزنية	ومزينة	٣٢٩	٣	يحطره	يخطره
٢٦٣	١٨	جهة	وجهه	٣٠٦	١٨	اذبان	ان	٣٣٠	٩	ولا تحسسوا	ولا تجسسوا
٢٦٥	١٢	شئ	شيئا	〃	١٩	انه	ان	〃	١١	سطره	سطرها
٢٦٧	١١	احدهما	احديهما	٣٠٧	٣	لقرير	تقرير	〃	١٦	تتبع	تتبع
٢٦٨	〃	الاول	الثاني	٣٠٨	١٢	للاخرى	لاخرى	٣٣١	٣	اغنيته	اغتبته
〃	١٢	والثاني	والاول	٣٠٩	٨	حل	بل	٣٣٢	١	غالبا	غاشيا
٢٧٠	١١	هداهم الله	هدى الله	〃	١٢	هزله	هزمه	٣٣٣	〃	جهنية	جهينة
٢٧١	١٠	تعالى وسبحانه	سبحانه وتعالى	〃	١٨	غزة	غرة	〃	〃	ومزنية	ومزينة
٢٧٣	٣	دخى	دخي	〃	٣	فدعي	فدعى	٣٣٦	١٣	خضر الخضر	خضر الخضر
٢٧٦	١٩	قنطرة	قنطرة	٣١١	١٩	وقع	دفع	٣٣٩	٧	يبقي	يبقى

صفحه	سطر	خطا	صواب	صفحه	سطر	خطا	صواب	صفحه	سطر	خطا	صواب
٣٣٩	٣	دم	ذم	٣٦٥	١٨	يرلان	ترلان	٣٧٧	٢٢	حبان	حيان
٣٤٠	٨	و	او	〃	〃	يغفيان	تغفيان	٣٧٩	٥	جرة	حرة
٣٤١	١٦	اعرف	تعرف	٣٦٦	٢١	اجالهم	آجالهم	٣٨٢	١٢	بان	بان من كان
〃	٢٢	وجدهم	وجدتهم	٣٦٧	٧	اخر	أُخر	〃	١٥	المعزم	المغرم
٣٤٣	١٣	لدي	لدى	〃	١٥	كحلقه	كحلقة	〃	٢٠	اليه	اليهم
٣٤٤	١٥	تَحِيدُ	تَحِيدُ	٣٦٩	١٠	محموله	محمولة	٣٨٣	٦	اهلكه	اهلكهم
〃	٢٣	يوم العيد	يوم الوعد	〃	١٣	لامرهم و	لاٰمرهم و	〃	١٤	سبحان	سبحان الله
			والوعيد			واهانتهم	اهانهم	٣٨٤	٥	يوم	يوم
٣٤٥	١٩	وتدارك	وتدرك	٣٧٠	٧ و ٨	وتعليل العدم	ذو القوة	〃	١٣	باالذي	بالذي
٣٤٧	٥	قناؤهم	قناءهم			ارادة الرزق	المتين وجملة	〃	١٤	مراث	بمرأى
٣٤٨	٩	امتلت	امتلأت			منهم ذو القوة	تعليل العدم	〃	٢١	والاول	فالاول
〃	〃	لم يمتلي	لم يمتلئ			المتين تعليل لعدم	ارادة الرزق منهم و	٣٨٥	٩	سالتي	سألتني
〃	١٣	تزين دينه	تزيدونه				عدم	٣٨٠	١٠	قال مجاهد	قال ابن عباس
٣٥٣	١٤	عز	عزى	〃	٢٠	فلا يطلبوا	فلا تطلبوا			وغيرهم	ومجاهد وغيرهما
〃	١٧	عنبته	ظلبة	〃	٢١	لكم	لهم	٣٨٧	〃	ماهو	ماهذا
٣٥٧	٣	اخبر	ثم اخبر	〃	٢٣	اع	١٤ع	〃	١٥	حسن	الحسن
٣٥٨	〃	استغفار	الاستغفار	٣٧١	١٨	اذا	واذا	〃	٢٣	ذافع	دافع
〃	٧	ذوفود	لوفود	٣٧٣	١٢	واقع	دافع	٣٨٨	١	ارتفع	اي ارتفع
٣٦٠	٢٠	فبنى	فبني	٣٧٥	٦	بالمعطي	بالمعطى	〃	١٣	قرأة	ذاراة
٣٦١	١٦	كلاما	فقالوا كلاما	〃	١٥	شتوئة	شنوئة	٣٩٠	٢	الوحاء	الوحا
٣٦٢	٦	حنيئذ	حينئذ	〃	١٣	تخييل	تخيل	〃	٣	وقيل	قيل
〃	١٠	احسن	احسّ	٣٧٦	٢٠	دونه	دونه في العمل	٣٩٢	٧	الروية	الرويات

صفحه	سطر	خطا	صواب	صفحه	سطر	خطا	صواب	صفحه	سطر	خطا	صواب
٦٧٣	٢٣	على	على ان	٧١٣	٢٣	لها	بها	٧٨٠	١٨	الصدي	الصدى
٦٧٧	١٩	طلب	القرطلب	٧١٦	٧	لم	لِمَ	٧٨٤	٢٣	اتجارا	اشجار
٦٧٨	٢	اوحي	اوحي الي	٧١٧	١٨	ذتب	ذنب	٧٨٧	١٥	بفعل	لفعل
٦٧٩	٣	بن	به	٧٢٣	٧	واقي	واق	٧٨٩	٦	فلايبقي	فلايبقى
٦٨٠	٢	بمستبعد	مستبعدة	〃	٨	راقي	راق	٧٩٠	٩	امتالت	امتلأت
٦٨٢	١٣	فهذا	فهذا القول	〃	〃	يرقي	يرق	〃	١٧	لجن	الجن
٦٨٣	〃	كاهتين	كاهنين	٧٢٥	١٠	امره	ام امره	٧٩١	٣	احشرو	احشروا
٦٨٤	١٣	[illegible]	[illegible]	〃	١٣	بل	ابل	٧٩٣	١٦	الظباء	الظباء
٦٩٢	١٥	وطاء	وطأة	〃	١٥	لا	الا	٧٩٤	١٩	صبحة	صيحة
〃	١٦	وطائك	وطأتك	٧٢٦	٥	الابتداء	الابداء	٧٩٦	١٧	تذكير	تذاكير
〃	٢٣	هاوية	هادية	٧٣٠	٤	الرثية	المرثية	٧٩٧	١٣	اثره	اثره
٦٩٣	١٤	والتكل	وكِلٌ	٧٣٥	〃	والتأشيرات	والتأثيرات	٧٩٨	١٦	يعمل بها	[illegible]
٦٩٦	٥	الشيب	اشيب	٧٣٧	٣	تبين	تبيين			من غير	
٦٩٧	١٠	الاحياذ	الاحياذ	٧٥٩	٢٠	اثنى عشر	اثنا عشر				
٧٠٣	٥	لان	بان	٧٦٠	٨	اخر	اخرثم اخر	٨٠٠	١١	كتابا	كُتّابا
٧٠٣	١١	خل	يقول خل	٧٦١	١	للصدرية	مصدرية	٨٠٦	١٩	والاقفال	والاقفال
٧١٠	٨	[illegible]	[illegible]	٧٦٥	١٢	يتمني	يتمنى	٨٠٨	[illegible]	جس	جمع
٧١٢	٣	يسالان	يسألون	٧٦٦	٢	يرج	برج	٨٠٩	٣	الضحاح	الصحاح
〃	١٢	وهذا	وهذان	٧٦٩	١٩	بارجائه	بارجائها	٨١٦	٥	يروي	يروى
٧١٣	١٨	ماله	قاله	٧٧٢	١٣	هل	هل لك	٨١٨	٦	وراءها	وراءه
٧١٣	١٢	[illegible]		٧٧٨	١	لايخفى	لاتخفى	٨٢٤	٥	تا	تاعديت على
				〃	١٢	ينتهي	تنتهي	٨٣٠	١٧	وقيل	قيل

صفحه	سطر	خطا	صواب	صفحه	سطر	خطا	صواب	صفحه	سطر	خطا	صواب
٨٣٣	٥	تسع	تسع عشرة	٨٨٣	٢٠	هزه	وهزه	〃	١١	يجعلوته	يجعلونه
٨٣٣	٣	[illegible]	فلاتكون لفظة اسم على	٨٨٦	٨	فذاه	فذاه	٩٣٩	٢٣	فاخضبوا	فاخضبوا
				〃	١٩	فذاك	فذاك	٩٤٢	١٤	وقال	وقالوا
〃	٦	كبروا	كبروا	〃	٢٢	باللفظ	بعموم اللفظ	〃	١٦	المستغل	المستقل
٨٣١	٩	اغشاء	اغشاه	٨٩١	١٣	ما	وما	٩٤٣	١٤	القدرة	القدر
〃	〃	الخاشنة	الخاشعة	٨٩٧	حاشيه ٢	ابن ابي	ابن	٩٤٧	١٢	أويتُ	أوتيت
٨٤٢	١٤	اناه	اناة	〃	حاشيه ٣	ابن	ابن ابي	٩٤٨	١٩	نعبد	لعبدنا
〃	〃	اوجبسه	وحبسه	٩٠٠	١٢	بجمع طلقة	لجمع علق	٩٥٦	٨	[illegible]	والعزى
٨٤٣	٢	هٰهنا	هٰهنا	〃	١٦	طق	علق	٩٥٨	١٩	والتثليت	والتثليث
٨٤٥	١٥	وزه	دزه	٩٠٣	٤	اي	اي الم	٩٦٠	٩	يصعته	بضعته
٨٤٩	١١	الترمذي	الدرمكي	٩١١	١	بيان	بيانان	٩٦١	٣	نعال	تعالى
٨٥٠	١٣	اذادبر	اذادبر	٩١٣	〃	البراء	البرا	٩٦٣	٦	الخير	الخبر
٨٥٤	١٢	عامر	عابر	٩١٤	٨	مستقرة	مستقره	〃	١٦	مرلود	مولود
٨٥٧	٢١	تجتمع	يجتمع	٩١٥	٢٠	ليكون	يكون	٩٦٤	٥	في	من
٨٦٠	١٧	سع	سع	٩١٩	٣	نعزل	تعدل	٩٦٥	٩	يجعل	يحل
٨٦٣	٢١	العظام التي	العظام الذي	〃	حاشيه ٣٨	اودوا	ادوا	٩٦٧	١١	غايت	غابت
〃	〃	للعظام	اللطام	٩٢١	٤	الجدي	الجدوى	٩٦٨	٧	ينبن	ينفش
٨٦٦	٣	رؤية	روية	〃	٧	اثارث	اثارت	〃	٩	خائط	خالط
٨٦٨	١٨	سع	سع	٩٢٤	٢٢	فالوا	قالوا	〃	١٦	الثقل	التعقل
٨٦٩	١٧	الضوة	الضحو	٩٣٤	١٢	الموودة	الموده	٩٧٠	٣	نحيئذ	نحينئذ
〃	١٨	وثغر	ونغر	٩٣٦	حاشيه ٣	الاوقه	الاوقه	٩٧٧	١٨	الكمات	الكمالات
٨٧٠	٢٢	والمقاطع	[illegible]	٩٣٧	٤	وبقي	ويبقى	٩٧٨	١١	بالمنايا	المنايا
٨٧١	٣	باخذة	باخذه	〃	٩	بتمت	بنت	٩٨٣	٢	حمسة	خمس

قال المحشي وقال الشهاب ... جنس ... والاطلاق الجمع عليه اما ... او ... الجمع ... كذا قال سليمان الجمل ١٢ لمصحح